كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي الثامن

المشرفون على المحفل العلميّ الدّولي

أ.د/ محمود الخزاعي، رئيس جامعة العدالة والحكمة، الولايات المتحدة الأمريكية.
أ.د/ علي محسن بادي، المساعد الإداري لرئيس جامعة سومر، العراق.
أ.د/ أحمد محمود علو مهدي السامرائي، عميد كلية الآداب، جامعة سامراء، العراق.
أ.د/ رياض جليل ناهي، عميد كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى.
أ.د/ ناصر سماري جعفر، عميد كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة.
أ.د/ حسن عبود علي النخيلة، مدير دار الفنون والآداب للنشر ومركز إنانا للأبحاث والترجمة.
أ.م.د. ستار عايد بادي العتابي، رئيس مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين.

رئيس المحفل العلمي الدولي

البروفسور نشأت مبارك صليوا منصور

رئيس اللجنة العلمية

البروفسور حسن عبود علي النخيلة

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفسور قيس عيسى عبد الله

www.uojaw.education
uojaw@uojaw.education
001(313)676-6330
رقم الايداع : ISBN 978-9922-8909-7-5

كتاب وقائع المحفل العلمي الدّولي الثامن تحت شعار "نحو نهضة علمية رصينة"

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي الثامن

تحت شعار

نحو نهضة علمية رصينة

المؤتمر الثامن للعلوم الانسانية والاجتماعية، الادبية واللغوية وعلوم الرياضة

المؤتمر الثامن للعلوم الاقتصادية، الادارية، القانونية، السياسية، الاعلام والمكتبات

المؤتمر الثامن للعلوم الصحية والطبية والطبيعية والتطبيقية الصرفة

المؤتمر الثامن للعلوم الهندسية والتكنولوجية

من تنظيم جامعة ومعهد العدالة والحكمة في أمريكا، مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين، جامعة سامراء، كلية الآداب، العراق، جامعة سومر، العراق، جامعة المثنى، كلية التربية الأساسية، العراق، جامعة البصرة، كلية الفنون، العراق، جامعة الحمدانية، العراق المدرسة العراقية نيودلهي، الهند، مركز إنانا للأبحاث والترجمة، كلية السير جامعة الدكتور بابا صاحب أمبيدكل، الهند.

بتاريخ

2025/06/03-02-01

دار الحكمة للمطبوعات الدراسية
DAR AL-HEKMA

عنوان الكتاب: كتاب وقائع المحفل العلمي الدولي الثامن تحت شعار *نحو نهضة علمية رصينة*
***السداسي الثاني 2025**
رقم الإيداع ISBN: 978-9922-8909-7-5
الناشر: دار الحكمة للمنشورات الجامعية بالتعاون مع دار الفنون والآداب للنشر
إيميل: uojaw@uojaw.education
هاتف: 001(313)676-6330
المقر: الولايات المتحدة الأمريكية
تصميم: فريق دار الحكمة للمنشورات الجامعية

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر
يمنع نسخ أو استعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

كتاب وقائع المحفل العلمي الدولي الثامن

تحت شعار

❁نحو نهضة علمية رصينة❁



كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات

تحت شعار

۞نحو نهضة علمية رصينة۞

01-02-03 /06/2025

(العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأدبية واللغوية وعلوم الرياضة، العلوم الاقتصادية، الإدارية، القانونية، السياسية، الاعلام والمكتبات، العلوم الصحية والطبية والطبيعية والتطبيقية الصرفة، للعلوم الهندسية والتكنولوجية)

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

﴿المشرفون على المؤتمر﴾

البروفسور محمود الخزاعي، رئيس جامعة العدالة والحكمة، الولايات المتحدة الأمريكية

البروفسور نشأت مبارك صليوا منصور، رئيس جامعة الحمدانية، العراق

البروفسور علي محسن بادي، المساعد الإداري لرئيس جامعة سومر، العراق

البروفسور أحمد محمود علو مهدي السامرائي، عميد كلية الآداب، جامعة سامراء، العراق

البروفسور رياض جليل ناهي، عميد كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى

البروفسور ناصر سماري جعفر، عميد كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، مدير دار الفنون والآداب للنشر ومركز إنانا للأبحاث والترجمة

أ.م.د. ستار عايد بادي العتابي، رئيس مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين

﴿رئيس المحفل العلميّ الدّولي﴾

البروفسور نشأت مبارك صليوا منصور

رئـــــيس جـــــامعة الحمدانيـــــة-العراق-

﴿رؤساء مؤتمرات المحفل العلميّ الدّولي ﴾

رئيس المؤتمر الثامن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الأدبية واللغوية وعلوم الرياضة

البروفسور ناصر سماري جعفر، جامعة البصرة، العراق

رئيس المؤتمر الثامن للعلوم الاقتصادية، الإدارية، القانونية، السياسية، الاعلام والمكتبات

البروفسور أحمد محمود علو مهدي السامرائي، جامعة سامراء، العراق

رئيس المؤتمر الثامن للعلوم الصحية والطبية والطبيعية والتطبيقية الصرفة

البروفسور رياض جليل ناهي، جامعة المثنى، العراق

رئيس المؤتمر الثامن للعلوم الهندسية والتكنولوجية

أ.م.د عبد الرحمن عيادة إبراهيم، جامعة تكريت، العراق

﴿رئيس اللجنة العلمية ﴾

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، جامعة البصرة، العراق

أ.د/ هيثم عباس سالم الصويلي	جامعة ذي قار العراق	أ. د/ حسن عبود علي النخيلة	جامعة البصرة العراق
أ. د/ محمد خيري الندوي	الهند	أ.د/ احمد محمود علو السامرائي	جامعة سامراء
أ.د/ محمد فليح الجبوري	جامعة المثنى العراق	أ.د/ جلال شنته جبر البطي	جامعة العين العراق
أ.د/ علي محسن بادي	جامعة سومر العراق	أ.د/ تحرير علي حسين	جامعة البصرة العراق
أ.د/ محمد كريم خلف الساعدي	جامعة ميسان العراق	أ.د/ محمد مسعود اعمار المصباحي	ليبيا
أ.د/ شكري عبد المجيد صابر	جامعة القاهرة مصر	أ.د/ رندا مصطفى الديب	جامعة طنطا مصر
أ.د/ منتهى طارق حسين	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ مها محمد صالح	جامعة ديالى العراق
أ.د/ رحيم علي صباح	جامعة المثنى العراق	أ.د/ أحمد شاكر محمود	جامعة ديالى العراق
أ.د/ مؤيد سعيد خلف الشمري	جامعة ديالى العراق	أ.د/ قبوب لخضر سليم	الجزائر
أ.د/ رباب صالح حسن	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ زيد طالب فالح	جامعة ميسان العراق
أ.د/ محمود كاظم موات	جامعة الامام الكاظم العراق	أ.د/ مجيد حميد الجبوري	جامعة البصرة العراق
أ.د/ ماهر عبد الجبار إبراهيم	جامعة البصرة العراق	أ.د/ عمار نضال شريف	جامعة المثنى العراق
أ.د/ نيرفانا حسين الصبري	مصر	أ.د/ عباس صادق عبدالصاحب	جامعة المثنى العراق
أ.د/ لؤي كريم عطية	جامعة المثنى العراق	أ.د/ لؤي خزعل جبر	جامعة المثنى العراق
أ.د/ ثامر نجم عبود	جامعة المثنى العراق	أ.د/ عبد الله عبد علي	جامعة البصرة العراق
أ.د/ حاكم موسى عبد الحسناوي	وزارة التربية - العراق	أ.د/ هدى رحيم هاشم	جامعة المثنى العراق
أ.د/ رياض جليل ناهي	جامعة المثنى العراق	أ.د/ مرتضى محمد عبد الكاظم	جامعة المثنى العراق
أ.م.د ستار عايد بادي العتابي	وزارة التربية العراق	ا.م.د فاطمة جاسم خريجان	جامعة المثنى العراق
أ.م.د أحمد عبد الرزاق هادي	جامعة المثنى العراق	أ.م.د نورس عدنان شهاب	جامعة البصرة العراق
أ.م.د. عبد الحق بلعابد	قطر	أ.م.د. مازن خضير عباس	جامعة الإمام الكاظم العراق

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

أ.م.د. جعفر يايوش	جامعة عبد الحميد بن باديس الجزائر	أ.م.د. هدى محمد صالح الحديثي	جامعة بغداد العراق
أ.م.د. لمياء صفاء حسن حسين	وزارة التربية العراق	أ.م.د. حسين نهاد عبد الحميد	جامعة الموصل العراق
أ.م.د. أحمد فرج فليح	جامعة البصرة العراق	أ.م.د. بشير سبهان أحمد	جامعة تكريت العراق
أ.م.د زين العابدين خالد عطية	جامعة الامام الكاظم العراق	أ. م. د. فاطمة علي ولي	جامعة سامراء العراق
أ.م.د. إياد خضر عباس	جامعة تكريت العراق	أ.م.د. ريم محمد طيب الحفوظي	جامعة الموصل العراق
أ.م.د بكر محمود علو السامرائي	العراق	أ.م.د علي عواد ميزر	جامعة المثنى العراق
أ.م.د رياض رحيم حسين	جامعة المثنى العراق	أ.م.د. كوثر عبد الحسن عبد الله	جامعة المثنى العراق
أ.م.د. باسم كسار كظم	جامعة المثنى العراق	أ.م.د ساهرة حسين محمود	جامعة البصرة، العراق
أ م.د. حافظ فرهود السالمي	جامعة الإمام الكاظم العراق	م د امل محمد عبد الله	جامعة البصرة، العراق
م.د. سامرة فاضل محمد علي	الكلية التربوية المفتوحة العراق	م.د زين العابدين فتحي	جامعة البصرة العراق
م.د. زينب حسين كاظم المحنا	جامعة القادسية العراق	م.د. أحمد حيدر علي العبادي	وزارة التربية العراق
م.د احمد هاشم عبد	وزارة التربية	م.د. عاطف محمد غالب	جامعة ذي قار العراق
م د مروه نزار يوسف	جامعة البصرة العراق	م.د. مروة علاوي سلوم	جامعة سامراء العراق
م.د. شفاء رضا عبد الرزاق	جامعة سامراء العراق	م.د فراس عبد الجبار ثابت	جامعة البصرة العراق
م.د صلاح نعمة عبد العالي	جامعة البصرة العراق	م.د علي محمد محمود	جامعة سامراء العراق
م.د. هدى هادي أحمد	جامعة النهرين العراق	م.د أمل محمد عبد الله	جامعة البصرة، العراق
م. د زينب عبدالحافظ جاسم	جامعة البصرة العراق	د. ساته نجيم	الجزائر
د. بلحسين فاطمة الزهراء	الجزائر	د. ماجد قاسم عبده السياني	اليمن
د. شيرين حسن مبروك زيدان	السعودية	د. هبة الله محمد الحسن سالم صالح	السودان
د. إيهاب محمد أحمد الشيخ خليل	مصر	د. بعارسية صباح	الجزائر
د. آمال بابكر معتوق	السودان	د. فاطمة الزهراء حاج صابري	الجزائر
د. أحمد حمدي أبو ضيف زيد	مصر	د. عائشة محمد علي الغويل	ليبيا
د. سامية غشَّير	الجزائر	د. حسين شويل التميمي	جامعة ذي قار العراق
د. لعجال لكحل	الجزائر	د. معن قاسم محمد الشياب	الاردن
د. فاطمة خريس	مصر	د. عمارة سيدي محمد	الجزائر
د. يوسف محمد فالح بني يونس	أمريكا	د. محمد داود	ايطاليا

د. أثير إبراهيم عيدان النجار	وزارة التربية العراق	د. مي عبد الخالق الحديثي	وزارة التربية العراق
م.م علي ستار عايد العتابي	المدرسة العراقية في الهند	م.م علي خليل عبدالكاظم	جامعة المثنى العراق
*م.م إيمان علي ناصر لعيبي	الجامعة المستنصرية، العراق		

﴿رئيس اللجنة التحضيرية﴾

البروفسور قيس عيسى عبد الله، جامعة البصرة

أ.د رسول حمود الدوري	جامعة بغداد العراق
أ.م. حيدر جعفر سعدون	جامعة البصرة العراق
أ.م علي فيصل حسين السعد	الجامعة التقنية الجنوبية
أ.م. حسن طالب جنزي	جامعة البصرة العراق
أ.م.د. ياسر محمود المكدمي	جامعة ديالى العراق
أ.م.د. جواد كاظم عبد	جامعة المثنى العراق
أ.م.د. ظافر عبيس عناد	جامعة المثنى العراق
م.د ليث فاروق رؤوف	وزارة التربية العراق
م.د. نادر غفوري نادر	جامعة سامراء العراق
م.د. أركان عبد الزهرة غايب	الجامعة التقنية الجنوبية العراق
م.د. زينب جواد موسى الشحتور	جامعة ذي قار العراق
م.د. شهد حسام سامي	جامعة سامراء العراق
م.د. يحيى فاروق كريم	وزارة التربية العراق
م. ندى جميل الكامل	الجامعة التقنية الجنوبية العراق
م. حسن هادي ياسر	كلية الامام الكاظم
م.اسراء شاكر صكر	جامعة المثنى العراق

م.م بيداء كاظم مطر الربيعي	وزارة التربية العراق
م.م. نور كامل عبود	جامعة بغداد العراق
م.م . شيماء محمد علو	جامعة سامراء العراق
م.م زينب نوري هاشم	جامعة البصرة العراق
م.م. نوره سيد عيسى	جامعة بغداد العراق
م.م. حسين لفته حسن	وزارة التربية العراق
م.م. أسامة عبد الله عهد	وزارة التربية العراق
م.م. جعفر هاشم صالح	وزارة التربية العراق
م. م. إيمان علي ناصر	الجامعة المستنصرية العراق
م.م. هالة محمود علو	وزارة التربية العراق
م.م. بسمة محمد عبدالله	جامعة ديالى العراق
م.م. زينب رحيم كاظم	وزارة التربية العراق
م.م. هيفاء فاروق كريم	جامعة تكريت العراق
م.م أمينة نعيم صيوان	جامعة المثنى العراق
م.م نوال جمعة شنشول	جامعة المثنى العراق
م.م هشام هيثم بدر	المدرسة العراقية نيودلهي الهند
م. م دعاء علي مالك حبيب	جامعة البصرة، العراق
م. م صبا جواد نعمة	جامعة البصرة، العراق
م م عبد القهار رايح علي	جامعة البصرة، العراق

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الفـــــــــهرس

الهويات الافتراضية وتحول العلاقات الاجتماعية في عصر الميتافيرس : دراسة سوسيولوجية تحليلية المدرس المساعد: مصطفى خالد محمد زيارة	ص21
الهجرة الدولية ودورها في تعزيز التنمية المحلية بالمجتمع المغربيي: دراسة سوسيولوجية عبد العالي قايدي	ص51
التدريب ودوره في تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات التربوية د.أمال عوكي	ص66
رهانات العلاقات الأسرية في ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي بقدوري حورية حيرش بغداد ليلى أمال إسعد فايزة زرهوني	ص82
وسائل التكافل الاجتماعي ومعوقات تنفيذها والحلول المقترحة لها بين الـواقـع والمـأمـول أحمد امحمد سيدي	ص98
دور التمكين المقاولاتي للأسر في تحقيق أهداف التنمية المستدامة:نماذج عربية قليل هجيرة	ص120
العنف عند الشباب: دور الأسرة كآلية للحد من ظاهرة العنف أ.د نبيلة عيساوة د. عبد العزيز صالي أ.د جويدة عسولات	ص130
Family Upbringing and Its Role in Achieving Citizenship and Facing Cultural Challenges Rim NOUARI	P152
سمات شخصية االمراهقة ضحية التنمر المدرسي د. بن يحي صبرينة د. باجي نعيمة	ص169

تقييم الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات وعلوم المادة بجامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر). راضية بلفضل مسعود الداوي	ص189
التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر، دراسة تحليلية لبيانات المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات MICS2019 بوزيد بوحفص بنور صابرة	ص204
A Study of Displacement Trauma and Its Psychological Effects on Students in the Nineveh Plains Through Hassan Balsam's The Corpse Exhibition Ali Hussein Ali Rasheed	P219
الخطاب النقدي التشكيلي في المغرب العربي:في علاقة النقد بالعولمة هادية بن حسين	ص244
الكتابات التاريخية والتطور التكنولوجي د.نادية زروق	ص252
دور المستشرقين في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته المستشرق آدم متز أنموذجًا د. الجوهرة بنت راشد بن حبيب الخالدي	ص261
النظام التعليمي في الدولة الغزنوية(351هـ– 582هـ) وأثره الحضاري والتاريخي زينب جميل عبادي	ص278
اثر العامل الديني في السياسة الداخلية للملك جيمس الاول في انكلترا (1603– 1625) م.د أميرة سعيد زبالة الياسري	ص298
نظرية الملاءمة وتطبيقاها في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظرية لسانيات النص وتحليل الخطاب. م.د / حسن سعيد عبد هاشم الموسويّ م .م / علي زيد عبد الامير حمزه الدليميّ	ص316

ثلاث مسائل في الديات أ.م.د. حياد اسماعيل مرعيد المنزل بني جميل	ص326
الإرشاد الجمعي ودوره في تعزيز التماسك الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية في المدارس ماهر عباس مهدي علاء محمد ناجي شنيار صادق حسن سفاح الطفيلي	ص353
المناخ المدرسي والوقاية من العنف: دراسة نظرية في آليات التفاعل بين البيئة المدرسية والسلوكيات العدوانية خديجة بومسهولي	ص376
التكوين الجديد وعلاقته بالاتصال الرقمي للأساتذة حديثي التوظيف بالجامعة الجزائرية دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة الجدد د. حنك فتيحة د. مسواكة حنان د. معضادي سليمان	ص391
واقع استخدام المواقع الالكترونية في التعليم الجامعي دراسة ميدانية للطلبة جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر. حنان علجية	ص414
التسرب المدرسي في العراق: رؤية جديدة للتعليم والبنية التحتية لتحقيق الاستدامة م.م. مرتضى عزيز ياسر الزيدي	ص435
واقع البحث العلمي في العصر الرقمي: قراءة وتحليل للفرص والتحديات د.لامية رقان	ص459
تحليل المضمون في البيئة الرقمية: أساليب التطبيق والتحديات المنهجية. د.لموشي محمد د.يوسف ذيب	ص474

P494	L'université algérienne face au défi du quatrième génération : entre ambitions réformatrices et réalités institutionnelle Dr. MEKKI Amaria Dr. ZEGGANE Asmaa
P515	L'enseignement de l'algorithme en sciences de l'informatique dans le contexte tunisien : une analyse des rapports personnels et institutionnels. Walid Soltani Faïza Chellougui
P540	La Classe Inversée en FLE : Une Nouvelle Pédagogie pour Optimiser l'Apprentissage des Langues. Doc. Okeil Fatima
ص556	علم اللهجات المفهوم والدلالة البروفسور مازن محمد حسين
ص571	جهود اللغوين العرب في العناية بالمصطلح الشرعي كتاب الكليات للكفوي (1094هـ) نموذجا الدكتورة سلوى البوجعودي
P584	An Analytical Process In An English Foreign Language (EFL) Science Classroom Yaseen Rabeea Ahmed
ص604	الهوية و اللغة في قداس الكاردينال لسليم بتقة جدلية المرجع والتعبير هيثم بن عمار
ص621	التناص الديني عند السيد حيدر الحلي م.م عمر فيصل غازي
ص637	الزمكانية في شعر الشريف البياضيّ – دراسة دلالية م. د. فرات حسين مهدي
ص653	الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي الأستاذ؛ د: شنان قويدر.

فانتازيا السلطة إختراق الآخر عالم الذات (ديك الحكاية) للروائي القاص ناهض الرمضاني (كاتارا للرواية. (2025)) د. محمد عبد الموجود حسن البدراني	ص676
القارئ ومباغتة حضورية النص دراسة في تشكل المعنى: (أسفار العشق والموت) للشاعر الموريتاني بدي المرابطي–أنموذجا–. عثمان عبد الرحمن اليدالي	ص693
تشكيل الزمن في قصص (إيليا أبوماضي) الشعرية د/ أحمد بكر محمد الزبط	ص710
قصيدة النثر العربية وما بعد الحداثة :كتابة خارج المركز ، خارج النوع أمال طرفاية أستاذ محاضر– ب – سناء بوختاش أستاذ محاضر – ب–	ص727
البنية الايقاعية في ديوان ابن جنان الأنصاري –تجلياتها الفنية ودلالاتها التعبيرية بوعافية إيمان قرباز نور الهدى	ص746
الأسلوبية والنص الأدبي قصيدة "أتتْ فرنسا" نموذجا د. عبد الرزاق إدريس ميغا	ص768
الحقول الدلالية المستفادة من "المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد" لأبي عبد الله محمد التميمي الفاسي (ت603 أو604هـ) الطالبة فاطمة التوري	ص784
النقد الثقافي المفهوم والوظيفة، خصائصه، انتقاداته الغذامي نموذجا محمد البكار	ص812
الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية م.د. تأميم خلف عبد ندة	ص831

P876	Aspects sociolinguistiques des pratiques langagières des immigrés subsahariens au Maroc Rachid OUAZIZ Hafida EL AMRANI
P892	De la morale à la machine : étude discursive du verbe respecter dans les manuels d'informatique scolaire. Fatima Zahra BOUHAFNA
P906	Dictée et enseignement du français langue étrangère Mohamed BASLA Abdessamad ISSAM
P920	The Translation of Arab English Learners Between Equivalence and Literalism Asst.Lectuer Baidaa Yassir Al-Noor
ص942	تمرينات مقترحة باستخدام وسيلة مساعدة (الزعانف) في تحسين (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لـ 400م سباحة حرة. حداش عبد الله دحماني جمال
ص971	دور الإجراءات التحليلية في تحسين عملية المراجعة الخارجية: دراسة حالة مجمع أقرو للتغذية لإنتاج الحليب ومشتقاته –البليدة–، الجزائر محمد لمين علون هجيرة بوزوينة شهرزاد مغدوري
ص998	السياسات الجمركية الترامبية وانعكاساتها الاقتصادية على الدول العربية تبرة مقدم كوثر بوشامة سوهيلة بوداود
ص1019	تنظيم الاستثمار من منظور المنظمة العالمية للتجارة. أ.د إرزيل الكاهنة
ص1031	الجباية البيئية في الجزائر –أداة اقتصادية لتحقيق التنمية وحماية البيئة واضح حميد
ص1055	رقمنة المرافق العمومية وسؤال الحكامة يسرى الجاي القريشي

آليات تعزيز الشمول المالي في الدول العربية محاري صلاح الدين بن جراد بورحلة	ص1069
الثقافة الريادية وأثرها في توجه الشباب نحو ريادة الأعمال في المجتمعات العربية أ.د/ طايبي رتيبة	ص1089
"البحث القانوني في عصر الذكاء الاصطناعي: الواقع، الآفاق، والتحديات" منال القرع	ص1114
سياسة المحكمة الاتحادية العليا في معالجة الاغفال التشريعي (دراسة مقارنة) م.م حسنين صالح هلال الشكري	ص1134
ضوابط الصياغة القانونية لنصوص التشريعية د.نعار فتيحة	ص1163
تطور الشكلية في العقود العقارية عائشة بنيسف باحثة بسلك الدكتوراه	ص1174
المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة أ.م. لمى وهاب ابراهيم	ص1193
تطور مصطلح مفهوم الحرب في القانون الدولي الإنساني : نحو حرب بين الجيوش النظامية و الجيوش السيبرانية د/حدوش وردية زوجة زعروري	ص1205
دور التحكيم في حل المنازعات الاستثمارية الدولية "دراسة مقارنة" نور الدين حيرش محمد الأمين جريو	ص1219
تحولات المرافق العامة وتحديات الرقمنة بالمغرب فاطمة العطلاتي	ص1235

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

العدالة التنبئية: عن إمكانية القاضي الروبوت من تحقيق مبدأ المحاكمة العادلة حنيفي حدة	ص1246
المواجهة التشريعية لحماية الطفل في البيئة الرقمية على الصعيد الوطني والدولي. بن محاد وردية لعزيز معيفي	ص1259
الإتجار بالأعضاء الآدمية عبر وسائط التواصل الاجتماعي لطيفة الهشامي	ص1276
البدانة عند الأطفال: المخاطر والتدابير الوقائية من منظور منظمة الصحة العالمية وقانون الصحة الوطني. ركاي غنيمة حليلالي أمينة	ص1294
أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري د/ نوراني حياة	ص1312
الحماية الدولية للبيئة في سياق التعمير المستدام: نحو تكامل القواعد الدولية والوطنية لتحقيق التنمية البيئية المستدامة وحموا طارق	ص1329
التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي في فلسطين – التكييف القانوني والمسؤولية الدولية– جمعة براهيمي	ص1359
Le harcèlement obsessionnel en droit comparé : entre vide juridique et répression pénale Karima ZRIOUEL	P1387
L'esclavage en islam entre droit classique et éthique contemporaine : une relecture nécessaire Béarcia Sabah	P1400
Quand le "non" au harcèlement sexuel déclenche des représailles au travail Karima ZRIOUEL	P1426

قراءة في تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية على تصدع حلف الناتو محسن زردان باحث دكتوراه	ص1435
المشاركة السياسية للمرأة المغربية :الواقع والتحديات فاطمة لعروسي	ص1452
اثر امتيازات اعضاء مجالس المحافظات على بناء الدولة العراقية حيدر عبدالله عباس	ص1462
قياس جودة خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجآ م.م. حسام عبدالكريم عبدالله م.م. أسماء غانم رمضان	ص1480
واقع تدويل المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية أنموذجًا عبدالقادر احمد علي الشعباني ياس خضير علي خضير الغانمي	ص1505
إسهامات البحوث النظرية و التطبيقية في تكنولوجيا المعلومات و الاتصال في تطوير التقدم العلمي د.لمروس مري	ص1527
تقنين مجتمع المعلومات، حركية إقليمية وعالمية. علي حجاب، طالب دكتوراه' بإشراف الأستاذة الدكتورة، لعور بدرة	ص1544
Numerical solution of quadratic equations Hawraa Kareem Mnahi	P1569
الذكاء الاصطناعي والبصمة المائية ... ثورة استدامة الثروة المائية في الجزائر عاشور مزريق داود باكير	ص1586

التحليل المكاني لمرائب النقل الداخلي في قضاء الحلة و تخطيطها المستقبلي م. م وفاء جاسم شهادي	ص1599
دور الذكاء الاصطناعي في رصد الاشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية د/وهاب سمير د/ بن داودية أحمد	ص1621
القيم الأوروبية في عصر الذكاء الاصطناعي: قراءة قانونية نقدية بزاحي سلوى	ص1638
فلسفة اللغة بين الذكاء البشري والذكاء الإصطناعي نوزاد عبدالله محمدسعيد	ص1650
تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات التعليمية للذكاء الاصطناعي. أحلام علية	ص1670
A Spatial Study of Social and Emotional Landscapes in Wuthering Heights: Ordered Garden vs. Wild Moor Lec .Hassan Hadi Yasir	P1684
L'analyse de discours à l'ère numérique « l'interaction home-machine » Mebarki Noura	P1704
AI-Driven Arabic Language Learning: Empowering Students Through Technology Hanan El Medrai	P1715
The Role of E-Commerce in Expanding International Business for SMEs Mohamed Abdalla M. Lasther Server Sevil Akyürek	P1730
Environmentally Sustainable Business Practices In The Context Of Balancing Profitability And Environmental Responsibility: A Study On Luxury Hotels Grace Dikun Martin Michael Server Sevil Akyürek	P1744

Virtual Identities and the Transformation of Social Relations in the Metaverse Era: Analytical sociological study

Mustafa Khalid mohammed
Ministry of Education / General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate
Mustzeri900@gmail.com

Abstract

This study examines the phenomenon of the Metaverse as a comprehensive digital space reshaping identity and social relations in the digital age. It demonstrates how virtual identity has moved beyond being a mere extension of real identity, becoming a fluid and dynamic project subject to continuous reconstruction and personal choice. The research adopts a descriptive-analytical approach, supported by theories of Symbolic Interactionism, Social Identity Theory, and Liquid Modernity, alongside a case study of Horizon Worlds, which revealed that digital relationships can hold genuine emotional and social value, providing alternative communities for individuals marginalized in real life. The findings suggest that the Metaverse offers an opportunity to redefine concepts of self, belonging, and interaction, while also posing challenges such as digital alienation, fluid identities, and long-term psychological and social impacts.

Keywords: Identity , virtual identity , Metaverse , social relations.

الهويات الافتراضية وتحول العلاقات الاجتماعية في عصر الميتافيرس : دراسة سوسيولوجية تحليلية

المدرس المساعد: مصطفى خالد محمد زيارة
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار
Mustzeri900@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الميتافيرس باعتباره فضاءً رقميًا متكاملًا يُعيد تشكيل الهوية والعلاقات الاجتماعية في العصر الرقمي، يوضح كيف أن الهوية الافتراضية لم تعد مجرد امتداد للهوية الواقعية، بل أصبحت مشروعًا مرنًا يخضع للاختيار وإعادة التشكيل باستمرار، مما أدى إلى نشوء مجتمعات رقمية قائمة على الاهتمامات المشتركة بدلًا من الروابط الجغرافية أو العائلية، وقد اعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي مدعوم بنظريات التفاعل الرمزي، والهوية الاجتماعية، والحداثة السائلة، إضافة إلى دراسة حالة منصة Horizon Worlds التي أظهرت أن العلاقات الرقمية يمكن أن تحمل قيمة وجدانية حقيقية، وتوفّر بدائل اجتماعية للأفراد المهمشين في الواقع، يخلص البحث إلى أن الميتافيرس يمثل فرصة لإعادة تعريف مفاهيم الذات والانتماء والتفاعل، لكنه يطرح في الوقت ذاته تحديات تتعلق بالاغتراب الرقمي، والهويات السائلة، والتأثيرات النفسية والاجتماعية بعيدة المدى.

الكلمات المفتاحية : الهوية , الهوية الافتراضية , الميتافيرس , العلاقات الاجتماعية.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المقدمة:

لقد دخلت البشرية في الألفية الثالثة مرحلة جديدة من التحول الحضاري، حيث أصبح الفضاء الرقمي ليس مجرد أداة للاتصال أو الترفيه، بل فضاءً موازياً، يخلق أشكالًا جديدة من الحياة الاجتماعية والثقافية والنفسية، ويُعدّ مفهوم "الميتافيرس (Metaverse) "أحد أبرز تجليات هذا التحول، وهو مصطلح يشير إلى بيئة رقمية شاملة، ثلاثية الأبعاد، تجمع بين الواقعين الافتراضي والمعزز، وتتيح للأفراد التفاعل من خلال مجسّدات رقمية (أفاتارات) في عوالم تقترب كثيرًا من الواقع، لكنها في الوقت نفسه تتجاوز حدوده، ومع التطور الهائل في تقنيات الواقع الافتراضي، وسرعة الإنترنت، والذكاء الاصطناعي، بات الميتافيرس يشكل بيئة اجتماعية بديلة تسمح بإعادة تشكيل العلاقات والهويات وفق معايير جديدة.

تاريخيًا، ارتبطت الهوية الفردية والاجتماعية بمجموعة من الثوابت النسبية مثل الانتماء الجغرافي، والروابط الأسرية، والثقافة المحلية، والدين، واللغة، والعادات الاجتماعية، إلا أن ظهور الميتافيرس غيّر هذا الإطار المرجعي التقليدي، إذ أصبح بمقدور الفرد اختيار مظهره الافتراضي، وجنسه، واسمه، بل وحتى تاريخه الشخصي، بمعزل عن هويته الواقعية، وبهذا، لم يعد الفرد مقيدًا بجسده الفيزيائي أو بالسياق الاجتماعي الذي نشأ فيه، بل أصبح خالقًا لهوية جديدة تتسم بالسيولة والمرونة والانفصال النسبي عن الواقع المادي، فإن التحولات التي أحدثها هذا الفضاء الرقمي الجديد ليست تقنية فقط، بل تمس البُنى الاجتماعية العميقة، وعلى رأسها منظومة العلاقات الاجتماعية، ففي الميتافيرس، تُبنى العلاقات ليس على القرب المكاني أو القرابة الدموية، بل على التلاقي في الاهتمامات، والتفاعل اللحظي، والرغبة الذاتية في تشكيل الروابط. وتبرز هنا تساؤلات سوسيولوجية مركزية: هل تؤدي هذه الهويات الافتراضية إلى تعزيز الانتماء إلى مجتمعات جديدة أكثر شمولًا وانفتاحًا؟ أم أنها تؤدي إلى التفكك، والعزلة، والانفصال عن الواقع؟ وهل يمكن اعتبار العلاقات داخل الميتافيرس بديلًا حقيقيًا للعلاقات الاجتماعية الواقعية، أم أنها مجرد تفاعلات سطحية زائلة؟

لقد أصبحت الهويات الافتراضية فضاءً لإعادة التفاوض حول مفاهيم الذات، والانتماء، والخصوصية، والاعتراف الاجتماعي، وفي ظل انخراط ملايين البشر يوميًا في منصات الواقع الافتراضي مثل Horizon Worlds، وRoblox، وDecentraland، وغيرها، بات من الضروري التوقف عند هذه الظاهرة لفهم أبعادها الاجتماعية والثقافية، وتفكيك آلياتها السوسيولوجية، وتحليل أنماط التفاعل الناشئة عنها.

وعليه، فإن هذا البحث يهدف إلى تقديم قراءة تحليلية سوسيولوجية لتأثير الهويات الافتراضية على العلاقات الاجتماعية داخل الميتافيرس، من خلال مناقشة المفاهيم المرتبطة بهذه الظاهرة، واستعراض النظريات المفسرة، وتحليل بعض النماذج الميدانية، كما يسعى إلى تسليط الضوء على ملامح التحول في نمط الحياة الاجتماعية، وإعادة التفكير في مفاهيم أساسية مثل الجماعة، والهوية، والتفاعل الاجتماعي في ظل هذا الواقع الرقمي الجديد.

أولاً : إشكالية البحث:

مع تسارع التطورات التقنية التي أعادت تشكيل طبيعة الحياة الإنسانية، برز "الميتافيرس" بوصفه بيئة افتراضية جديدة تتخطى الاستخدامات التقليدية للإنترنت، حيث يمارس الأفراد أنشطتهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ضمن فضاءات ثلاثية الأبعاد، من خلال شخصيات رقمية تمثلهم (أفاتارات)، وقد أدى هذا التحول إلى نشوء نوع جديد من الهويات تُعرف بـ**الهويات الافتراضية**، لا ترتبط مباشرة بالعوامل الواقعية التي كانت تؤطر الهوية في الماضي مثل الجغرافيا، الطبقة الاجتماعية، العرق، أو النوع الاجتماعي، بل تُبنى غالبًا من اختيارات فردية مرنة تُعبّر عن الذات كما يتخيلها الفرد أو يرغب في أن يكون عليها.

وقد مثّل هذا التحول تحديًا للمفاهيم التقليدية للهوية والعلاقات الاجتماعية، حيث لم تعد هذه الأخيرة قائمة فقط على المعاش اليومي والمقابلات الواقعية، بل باتت تتشكل وتُعاد صياغتها داخل فضاءات افتراضية رقمية، يتفاعل فيها الأفراد وفق رموز ومعايير جديدة، وهذا ما يطرح تساؤلات عميقة حول مستقبل العلاقات الإنسانية، وإمكانات إعادة بناء النسيج الاجتماعي في ظل انفصال متزايد بين الواقع الفيزيائي والواقع الافتراضي.

استنادًا إلى ذلك، تظهر الحاجة إلى دراسة كيفية تأثير الهويات الافتراضية على طبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل المجتمعي داخل فضاء الميتافيرس، وفهم ما إذا كانت هذه التحولات تقود إلى تعزيز الروابط الاجتماعية من منظور جديد، أم إلى حالة من التفكك والانفصال عن العالم الواقعي.

وعليه يطرح التساؤل الرئيس: إلى أي مدى تؤثر الهويات الافتراضية التي يُنتجها الأفراد داخل فضاء الميتافيرس على طبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل في المجتمع المعاصر؟ وينبثق من هذا التساؤل الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية، على النحو التالي:

أسئلة الدراسة:

1. ما الخصائص السوسيولوجية للهويات الافتراضية داخل فضاء الميتافيرس؟
2. إلى أي مدى تختلف العلاقات الاجتماعية داخل الميتافيرس عن مثيلاتها في الواقع التقليدي؟
3. هل تؤدي الهوية الافتراضية إلى تعزيز الشعور بالانتماء أم إلى تعزيز العزلة الاجتماعية؟
4. كيف تتفاعل العوامل الثقافية والنفسية مع الهوية الرقمية في تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل الميتافيرس؟

ثانياً : أهمية البحث:

تتجلّى أهمية هذا البحث في معالجته لإحدى أكثر الظواهر السوسيولوجية والتقنية تعقيدًا وتشابكًا في العصر الراهن، وهي ظاهرة **الهويات الافتراضية** وتحول العلاقات الاجتماعية في ظل انتشار بيئات **الميتافيرس**، التي تمثل نقطة التقاء غير مسبوقة بين التطورات التكنولوجية المتسارعة والسلوك الاجتماعي البشري.

1- تأتي أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على **تطور جديد في مفهوم الهوية**، حيث لم تعد الهوية تُفهم فقط بوصفها نتاجًا لتراكم اجتماعي وتاريخي وجغرافي، بل باتت اليوم قابلة لإعادة البناء في فضاءات رقمية تتجاوز الواقع المادي، حيث إن فهم هذه الهويات الافتراضية وتحليل خصائصها يُعد أمرًا جوهريًا في دراسة سلوك الأفراد في العصر الرقمي، لأنها تعكس تغيرات عميقة في إدراك الذات، وفي أشكال التعبير عنها، وفي نوعية الروابط التي يقيمها الأفراد مع الآخرين.

2- تنبع أهمية الدراسة من **السياق التكنولوجي المتطور** الذي أفرز بيئات الميتافيرس، والتي باتت تمتلك خصائص قادرة على محاكاة الواقع بدرجة غير مسبوقة، بما في ذلك التفاعل اللفظي والحركي، وتبادل الانفعالات، والاندماج في مجتمعات رقمية متخيلة، وفي ظل هذا الواقع، تطرح الميتافيرس تحديات جديدة أمام البحوث الاجتماعية، منها: كيف تُبنى الجماعة؟ ما هو شكل التفاعل؟ هل تبقى القيم والمعايير نفسها؟ وهل يمكن النظر إلى هذه العلاقات بوصفها علاقات اجتماعية مكتملة أم علاقات هشة مؤقتة؟

3- تنبع أهمية هذا البحث من كونه يُسهم في **سد فجوة معرفية في الدراسات العربية**، حيث لا تزال الظواهر المرتبطة بالهوية الرقمية والميتافيرس تندرج ضمن اهتمامات هامشية نسبيًا في البحوث الاجتماعية في العالم العربي، على الرغم من الازدياد الكبير في أعداد المستخدمين لتقنيات الواقع الافتراضي، خصوصًا بين فئة الشباب، ومن هنا، فإن البحث يوفّر مدخلاً نظريًا وتحليليًا يمكن أن يُبنى عليه لاحقًا في بحوث أكثر عمقًا وتخصصًا، سواء في المجالات السوسيولوجية أو النفسية أو الثقافية.

4- يمتد البعد العملي لأهمية البحث إلى **صانعي السياسات ومؤسسات التربية والإعلام والثقافة**، إذ يتيح هذا البحث قراءة تحليلية للكيفية التي تؤثر بها البيئات الرقمية على بنية العلاقات الاجتماعية، بما يساعد في تصميم برامج توعية وتوجيه للفئات الأكثر استخدامًا للميتافيرس، وتحديد التداعيات المحتملة على النسيج الاجتماعي والأسري، والهوية الثقافية.

5- إن استكشاف العلاقة بين الهوية الافتراضية والواقع الاجتماعي يفتح آفاقًا لفهم **تحولات القيم وأنماط الانتماء والهويات الجماعية** في المستقبل القريب، خاصة في ظل تصاعد ما يُعرف بمجتمعات ما بعد الواقع (Post-Reality Societies) ، وهي مجتمعات قد تُعيد النظر في مفاهيم مثل الخصوصية، والهوية، والانتماء، والعلاقات.

وبذلك، فإن هذا البحث لا يندرج ضمن إطار التحليل النظري فقط ، بل يحمل أبعادًا تطبيقية واجتماعية وثقافية، تجعله مساهمة معرفية ضرورية في فهم ما يجري من تحولات عميقة في علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين في العصر الرقمي.

ثالثاً : أهداف البحث:

1. توضيح مفهوم الهوية الافتراضية وخصائصها.
2. تحليل علاقة الميتافيرس بتحولات الهوية.
3. دراسة تأثير الهوية الافتراضية على العلاقات الاجتماعية.
4. استكشاف الأبعاد النفسية والثقافية للتحوّل الاجتماعي داخل العالم الافتراضي.

رابعًا : منهجية البحث:

نظرًا للطبيعة المعقدة والمتداخلة للموضوع قيد الدراسة، والذي يجمع بين مفاهيم سوسيولوجية ونفسية وتقنية في آنٍ معًا، فقد اعتمد هذا البحث على **المنهج الوصفي التحليلي**، كونه الأنسب لمقاربة الظواهر الاجتماعية الحديثة التي لا تزال قيد التشكّل، والتي يصعب إخضاعها في هذه المرحلة للقياس الكمي أو الملاحظة الميدانية المباشرة.

يُستخدم المنهج الوصفي التحليلي في هذا السياق بوصفه أداة لفهم وتحليل الواقع الافتراضي والأنماط الاجتماعية المتولدة عنه، حيث يعمل على توصيف الظاهرة كما تظهر في الأدبيات الحديثة، ومن ثم تحليلها واستنتاج مضامينها الاجتماعية والنفسية والثقافية، حيث يعتمد هذا المنهج على جمع المعلومات من مصادر متعددة، أهمها الدراسات النظرية والنقدية حول الهوية، والمقالات الأكاديمية حول مفهوم الميتافيرس، وتقارير المنصات الرقمية الكبرى مثل Meta و Roblox وDecentraland، إلى جانب الحالات التحليلية والتقارير الرقمية حول تفاعل المستخدمين داخل هذه البيئات.

كما يستند البحث إلى **مراجعة تحليلية للأدبيات السوسيولوجية** التي تتناول مفاهيم الهوية الذاتية والاجتماعية، والرموز، والتفاعل الرمزي، إلى جانب الأدبيات النفسية التي تعالج علاقة الأفراد بصورهم الافتراضية، وتأثير التفاعل الرقمي على الإدراك والانتماء والعلاقات، ولفهم الظاهرة بعمق، تم إدراج **تحليل نوعي لحالات واقعية** لتفاعل المستخدمين داخل فضاء الميتافيرس، وذلك من خلال الاستفادة من الشهادات المنشورة، والدراسات النوعية السابقة، ومحتوى تقارير المستخدمين الصادرة عن منصات الميتافيرس نفسها،

وتم استخدام هذه الحالات بوصفها أدوات تفسيرية لدعم القراءة النظرية للموضوع، والتعمق في تفكيك العلاقة بين الهوية الافتراضية والعلاقات الاجتماعية.

إن اختيار هذا المنهج يستند إلى قناعة بأن الظاهرة المدروسة لا تزال حديثة النشأة وتخضع لتطور سريع، مما يجعل من الضروري التركيز على **تحليل المحتوى النوعي والفهم العميق للمعنى والدلالة**، بدلًا من الاقتصار على القياس الكمي أو التجريبي، كما أن هذا النوع من المنهجيات يوفر درجة عالية من المرونة لفهم الظواهر الاجتماعية المعاصرة ذات الطابع المركب والعابر للتخصصات.

خامسًا : الإطار المفاهيمي:

1. الهوية:

وفقًا لإريك إريكسون(Erik Erikson) ، الهوية هي إدراك الفرد لذاته ضمن المجتمع، وتشكلها مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية**(Erikson, 1968,22)** ، ويشير **فوكوياما** إلى أن الهوية تتجلى في التفاعل بين **الذات الداخلية** للفرد والعالم الخارجي الذي يعيش فيه بما يفرضه من قواعد ومعايير، فالهوية، وفق هذا التصور، تمنح الفرد **اعترافًا اجتماعيًا** بقيمته، وهو اعتراف يرتكز أساسًا على مفهوم **الكرامة الفردية**، حيث يري فوكوياما أن الذات الداخلية تشكّل الأساس الجوهري الذي تُبنى عليه هذه الكرامة، إذ تُعد مصدرًا لمطالبة الفرد بالاعتراف بمكانته وأهميته داخل المجتمع.(**فوكوياما، 2022، 234**)، وتعرف الهوية بأنها المحصلة النهائية لجملة من الخصائص المميزة للشخصية الاجتماعية، تلك الشخصية التي تكتسب فرادتها من خلال تفاعلها مع محيطها الطبيعي والبشري، واستنادها إلى تجربتها التاريخية ورصيدها الثقافي والحضاري، فضلاً عن وعيها بقضايا الحاضر واستشرافها لآفاق المستقبل(**الكحلاوي، 2015، 213**) ؛ انطلاقًا من هذه التعريفات، يرى الباحث أن الهوية ، خاصة في سياق الميتافيرس ، لم تعد مجرد انعكاس لواقع اجتماعي محدد، بل أصبحت عملية *ديناميكية* يمارس فيها الفرد حقه في إعادة تشكيل ذاته الرقمية بما يتجاوز القيود المكانية والاجتماعية، وعليه، يقصد بالهوية في هذا البحث إدراك الفرد لذاته في الفضاء الاجتماعي والافتراضي، بما يشمله من سمات وقيم وتمثيلات رقمية، تُبنى من خلال التفاعل مع الآخرين داخل الميتافيرس.

2. **الهوية الافتراضية:**

الهوية الافتراضية، عكس الهوية الحقيقية، التي يتبناها الفرد في العالم الرقمي من خلال استخدامه لوسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها من أشكال الإعلام الجديد، حيث يمارس التعبير والتفاعل بطرق قد لا تعكس بدقة ثقافته أو عاداته أو سلوكياته الواقعي.(**آيت عبد الله، 2024، 312**)؛ كما تعرف مجموعة من الأفراد يستخدمون منتديات المحادثة، وحلقات النقاش، أو مجموعات الحوار، تنشأ بينهم علاقات انتماء إلى جماعة واحدة، يتقاسمون من خلالها الأذواق والقيم والاهتمامات ذاتها، ويسعون لتحقيق أهداف مشتركة(**عامر، 2016، 65**)؛ **ويمكن أن يعرف الباحث الهوية الافتراضية** بأنها التمثيل الرقمي للذات داخل بيئة رقمية، وتكون غالبًا مُختارة بحرية من قبل المستخدم.

3. **الميتافيرس :**

يقصد بالميتافيرس ما وراء العالم الواقعي، وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في رواية الخيال العلمي *Snow Crash*التي أصدرها الروائي نيل ستيفنسون عام 1992، حيث تخيل عالماً افتراضياً ثلاثي الأبعاد تتفاعل فيه شخصيات رقمية حية مع البشر عبر برمجيات تحاكي الواقع الحقيقي، ومع تطور التقنيات الرقمية، تطورت هذه الفكرة تدريجياً حتى أعلن مارك زوكربيرغ، مؤسس منصة فيسبوك، في يوليو 2021 عن ولادة تقنية جديدة تمثل امتداداً للواقع الافتراضي والمعزز، وأطلق عليها اسم "الميتافيرس" أو "العالم الماورائي"(**عبد العال، 2022، 447**)، **حيث يقصد به** فضاء افتراضي دائم، ثلاثي الأبعاد، يسمح للمستخدمين بالتفاعل اجتماعيًا واقتصاديًا عبر شخصيات رقمية(Avatars)

4. **العلاقات الاجتماعية:**

هي الروابط التي تجمع الأفراد داخل المجتمع، وتتمثل في شبكات التفاعل والمواقف والقيم المشتركة (**Giddens, 2006, 140**) ، وقد ميّز إميل دوركهايم بين الروابط في المجتمعات التقليدية، حيث يسود التضامن الميكانيكي القائم على التشابه والتجانس، وبين الروابط في المجتمعات الحديثة، حيث يسود التضامن العضوي المبني على التخصص والتكامل بين الأفراد.(**عقاب، 2022، 29**)، ويري

الباحث بأنها شبكة التفاعلات والعلاقات التي يقيمها الأفراد فيما بينهم داخل الميتافيرس، وتشمل أشكال الدعم والتواصل والتعاون التي تنشأ في البيئات الافتراضية.

سادسًا : الإطار النظري:

يعتمد البحث على النظريات السوسيولوجية التالية:

1. نظرية التفاعل الرمزي :(Symbolic Interactionism)

تعد نظرية التفاعل الرمزي (Symbolic Interactionism) من أكثر النظريات السوسيولوجية ملاءمة لفهم كيفية تشكّل الهوية في الفضاءات الرقمية المعاصرة، لا سيما في بيئات الميتافيرس التي تتيح للأفراد بناء ذوات رقمية تمثيلية (أفاتارات) تخضع للتفاعل مع الآخرين ضمن سياقات اجتماعية جديدة، وقد تأسست هذه النظرية في بدايات القرن العشرين على يد الفيلسوف وعالم الاجتماع الأمريكي جورج هربرت ميد، الذي يرى أن الهوية الإنسانية لا تنشأ من فراغ أو من خصائص جوهرية ذاتية، بل تُبنى من خلال التفاعل الاجتماعي المستمر باستخدام الرموز والمعاني المشتركة، ويُشير إلى أن الذات تتكوّن عبر قدرة الفرد على رؤية نفسه من خلال "عيون الآخرين"، أي من خلال "الذات المنعكسة **(Mead, 1934,135)** "، وفي هذا الإطار، يصبح الفرد كائنًا اجتماعيًا يطوّر إدراكه لذاته عبر العمليات التفاعلية مع المحيط، وليس عبر جوهر مستقل ثابت، ومن هذا المنطلق، تتحول الهوية إلى عملية اجتماعية مستمرة يعاد تشكيلها مع كل تفاعل.

وقد قام تلميذه هربرت بلومر بتطوير النظرية لاحقًا، وصاغ مصطلح "التفاعل الرمزي" رسميًا، موضحًا أن الأفراد لا يتصرفون تجاه الأشياء بناءً على خصائصها المادية، بل بناءً على المعاني التي يضفونها عليها في سياق اجتماعي معين، وهذه المعاني تتشكل وتُعاد صياغتها عبر اللغة والتفاعل اليومي **(Blumer, 1969,2)**، ويرى بلومر أن ثلاثة مفاهيم تشكّل جوهر التفاعل الرمزي: أولها أن الناس يتصرفون تجاه الأشياء بناءً على المعاني التي تحملها، ثانيها أن هذه المعاني تنبع من التفاعل الاجتماعي، وثالثها أن هذه المعاني يمكن تعديلها من خلال عمليات التفسير المستمر التي يجريها الأفراد، كما تجد هذه النظرية تطبيقًا واضحًا في فضاء الميتافيرس، حيث يدخل الأفراد إلى هذا العالم من خلال شخصيات رقمية (أفاتارات)

تمثلهم، لكن لا تقتصر على مظهرهم الواقعي أو هويتهم الحقيقية، بل تُبنى وتُعاد تشكيلها وفق خيارات رمزية يحددها المستخدم، فالأفاتار هنا هو رمز تمثيلي للذات، وقد يُعبّر عن صورة مرغوبة أو متخيلة للذات، أو حتى عن "ذات بديلة" يتفاعل بها الفرد مع الآخرين، هذا التمثيل الرقمي يُصبح في ذاته كيانًا اجتماعيًا يتطور ويُعاد بناؤه وفق التفاعل الرمزي داخل البيئة الرقمية، فمثلًا، حين يختار مستخدم لنفسه مظهرًا بطوليًا أو غريبًا أو جندريًا مغايرًا، فإنه لا يقدّم صورة فقط، بل يعلن تموقعًا رمزيًا ضمن بيئة اجتماعية تتفاعل معه بناءً على هذه الرموز؛ **فمن خلال هذا المنظور**، يمكن القول إن الهوية الافتراضية داخل الميتافيرس ليست مجرد انعكاس للهوية الواقعية، بل تمثل عملية مستمرة لإنتاج المعنى، من خلال التفاعل المتكرر مع الآخرين الذين هم بدورهم فاعلون رمزيون، يتلقون الرسائل ويفسرونها ويعيدون إنتاجها، هذا يجعل من الهوية الرقمية شكلًا من أشكال التفاوض الرمزي المستمر، الذي لا يكتمل إلا ضمن شبكة تفاعلات مستمرة، تتغير بتغير السياق والرموز المستخدمة، وعلى هذا الأساس، فإن الذات الرقمية لا يمكن فصلها عن السياق التفاعلي الذي توجد فيه، ولا عن الرموز والمعاني التي تمنحها الحياة داخل الفضاء الرقمي، بل إنها تصبح امتدادًا للذات الواقعية ومجالًا لإعادة تشكيلها اجتماعيًا(**Charon, 2009,28**) ؛ وقد يُشعر البعض بأن الواقع الرقمي بات يطغى على حياتهم الفعلية، حيث يجدون أنفسهم أكثر قدرة على بناء هويات جديدة، والتعبير عن رغباتهم ومشاعرهم عبر شخصيات افتراضية، مما يفتح الباب أمام إعادة تشكيل الوعي بالذات والعلاقات الاجتماعية في ظل تسارع التطور التكنولوجي للميتافيرس(**الصاوي، 2022، 143**)؛ وبهذا، تُبيّن هذه الرؤية أن الفضاءات الافتراضية ، مثل الميتافيرس ـ لا تخلق فقط بيئات ترفيهية أو تقنية، بل تُعيد صياغة المفاهيم الاجتماعية للذات والانتماء والتفاعل، ما يستوجب فهمًا سوسيولوجيًا دقيقًا لطبيعة هذه العمليات الرمزية، خاصة في ظل التوسع المتزايد لاستخدام هذه العوالم الرقمية من قبل الأفراد، خصوصًا الأجيال الشابة، كما أن الهوية في الميتافيرس ليست مجرد صورة أو قناع، بل هي شكل جديد من الذوات المعاشة التي تنمو وتتفاعل وتنتقل، وتحمل أثرها على الحياة الواقعية للفرد، نفسيًا واجتماعيًا.

2. نظرية الهوية الاجتماعية وتفسير التفاعلات في الميتافيرس

تُعد نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory) من النظريات الأساسية لفهم كيف يبني الأفراد ذواتهم ضمن علاقات جماعية، وهي تُفسّر إلى حد كبير سلوك الأفراد داخل بيئات الميتافيرس، حيث يتشكّل الانتماء الاجتماعي والهوية الجماعية في فضاء افتراضي غير مقيّد بالواقع الجغرافي أو الثقافي، تعود أصول هذه النظرية إلى أعمال **هنري تاجفيل (Henri Tajfel)** و**جون تيرنر .John C) (Turner)** في سبعينيات القرن العشرين، حيث طوّراها لفهم آليات الانتماء والتمييز بين الجماعات في السياقات الاجتماعية المختلفة، حيث تفترض النظرية أن الهوية الفردية تتكون من شقين: الهوية الشخصية التي تتعلق بصفات الفرد، والهوية الاجتماعية التي ترتبط بانتمائه إلى جماعات محددة **(Tajfel & Turner, 1979,40)** ووفقًا لهذه النظرية، فإن الأفراد لا يكتفون بتعريف أنفسهم كذوات مستقلة، بل يسعون إلى إدراك ذواتهم من خلال العضوية والانتماء إلى جماعات تُعطيهم الشعور بالمكانة والقيمة والتميّز؛ في سياق الميتافيرس، تعيد هذه النظرية تفسير العلاقات الاجتماعية داخل الفضاءات الافتراضية، حيث ينضم الأفراد إلى مجموعات رقمية مثل "العشائر الرقمية"، أو "النوادي الافتراضية"، أو مجتمعات قائمة على الاهتمامات أو القيم أو حتى أنماط اللعب، وفي هذا الإطار، لا يختار الفرد فقط الانتماء، بل يخلق لنفسه "هوية اجتماعية" جديدة ضمن السياق الافتراضي، قد تختلف جزئيًا أو كليًا عن هويته في الواقع المادي، ويتجلى هذا في كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض داخل العالم الرقمي، حيث يُظهرون سلوكيات جماعية مبنية على الولاء، والحماية، والتصنيف "نحن/هم"، بما يعكس ديناميكية التفاعل الجماعي وفق أنماط رمزية جديدة، **حيث أصبحت المجتمعات المعاصرة** تعيش حالة من انبثاق هويات متجددة في سياق ما بعد الحداثة، حيث **تتسم هذه الهويات بالتنوع الذي يعكس ثراء القيم والعادات والتقاليد الموروثة**، كما تمتاز بقدرتها على التغيّر والتطور بفعل التفاعلات الاجتماعية المستمرة، والحركات الثقافية، والتحولات الفكرية والمعرفية المتلاحقة، ومن هذا المنطلق، تبرز الهوية الثقافية كعامل أساسي في تعزيز التماسك الاجتماعي وخلق فضاءات مشتركة للتواصل والتفاعل، مما يجعلها ركيزة حيوية لضمان استمرارية المجتمعات وتجددها في مواجهة تحديات العصر(**بن رشد، 2025، 60**)

وتُشير النظرية إلى أن الانتماء إلى جماعة افتراضية يوفر للفرد **مرآة اجتماعية** يرى فيها ذاته بشكل أكثر وضوحًا، ويُعيد من خلالها بناء ثقته بنفسه وشعوره بالقبول الاجتماعي (Hogg & Abrams, 1988,24). ومن ثمّ، فإن الهوية الاجتماعية في الميتافيرس ليست مجرد محاكاة رقمية، بل تعبير عن حاجة إنسانية أصيلة في إيجاد موقع اجتماعي يُعطي للوجود معنى، وتلعب الرموز الرقمية، والأسماء الافتراضية، وشكل الأفاتار، والموقع داخل الجماعة، أدوارًا مركزية في تعزيز هذه الهوية؛ كما تُبرز النظرية آلية **التمييز بين الجماعات**، حيث يسعى الأفراد داخل الميتافيرس إلى تفضيل جماعتهم الافتراضية على الجماعات الأخرى، من خلال أنشطة تنافسية أو رمزية، مما يُعيد إنتاج ديناميات اجتماعية واقعية داخل بيئة رقمية، وقد يؤدي ذلك إلى بناء تماسك داخلي قوي، لكنه قد يفضي أيضًا إلى التحيز أو الإقصاء، تمامًا كما في الواقع؛ **وبناء على هذه الرؤية**، تُفسَّر الهوية الافتراضية في الميتافيرس بوصفها امتدادًا ديناميكيًا للهوية الاجتماعية، تتأثر بالعلاقات التفاعلية داخل الجماعات الرقمية، وبالسياق الرمزي المشترك الذي يمنح للانتماء الافتراضي شرعيته ومعناه، وتؤكد هذه النظرية أن الفرد في العالم الرقمي لا يعيش معزولًا، بل يعيد إنتاج ذاته من خلال الانخراط في شبكات انتماء، تعيد تشكيل نظرته لنفسه وللآخرين، وتُحدث تحولات عميقة في مفهوم "الانتماء الاجتماعي" بمعناه التقليدي.

3. نظرية الحداثة السائلة وتفكيك الهويات في الميتافيرس

تُعد نظرية "الحداثة السائلة (Liquid Modernity) "التي طوّرها عالم الاجتماع زيجمونت باومان من أبرز المقاربات النظرية لفهم التحولات الجذرية التي طرأت على أنماط العيش، والعلاقات، والهويات في المجتمعات المعاصرة، لاسيما في ظل تسارع التكنولوجيات الرقمية وظهور بيئات افتراضية مثل الميتافيرس، **يرى باومان** أن المجتمعات الغربية قد انتقلت من "حداثة صلبة" ذات أنظمة مستقرة نسبيًا (من حيث الهويات، القيم، المؤسسات الاجتماعية)، إلى "حداثة سائلة"، تتّسم بالمرونة، والهشاشة، والتغير الدائم **(Bauman, 2000, 2-3)**، وفي هذا السياق، لم تعد الهوية كيانًا ثابتًا يُبنى على مدى زمني طويل، بل تحوّلت إلى مشروع ذاتي هش، خاضع للمراجعة المستمرة، والاختيار، وإعادة الصياغة تبعًا للظروف والتفضيلات المؤقتة.

تُفسّر هذه الرؤية كيف أصبح الفرد المعاصر، داخل فضاءات مثل الميتافيرس، يمثل الميتافيرس أحد أبرز مظاهر التحول الرقمي المعاصر، حيث يقوم على اندماج تقنيات الذكاء الاصطناعي للأشياء (AIoT) والواقع الممتد (XR) ليشكل نظامًا بيئيًا متكاملًا يعيد تعريف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المدن، ويُبنى هذا الفضاء الافتراضي على توظيف البيانات الضخمة وخوارزميات الذكاء الاصطناعي، بما يتيح للمستخدمين الانخراط في بيئات ثلاثية الأبعاد تحاكي الواقع وتوسّعه في آن واحد، من خلال الواقع الافتراضي، والمعزز، والمختلط، ويمكّن الميتافيرس الأفراد من خوض تجارب تفاعلية متقدمة، تقوم على دمج العالم المادي بالرقمي، مما يحوّله إلى فضاء تتجسد فيه إمكانات الذكاء الهجين وتُعاد صياغة مفاهيم الانتماء، التفاعل، والتنظيم الاجتماعي ضمن بيئة خاضعة بالكامل لوساطة الخوارزميات **(Bibri, 2023, 1345)** ، حيث أصبح الميتافيرس قادرًا على تفكيك هويته القديمة وإعادة بنائها وفقًا لرغباته وتصوراته، دون الارتباط بالقيود الاجتماعية أو الثقافية التقليدية، فالهوية هنا تُنتج بشكل سائل، مرن، سريع الزوال، وقد تكون قابلة للتعديل أو الإلغاء بضغطة زر، هذا النمط من التشكل الهوياتي يتماشى تمامًا مع منطق "الحداثة السائلة"، حيث يفقد الثبات والاستمرارية أهميته لصالح التنقل والتكيّف. في الميتافيرس، يمكن للمستخدم أن يختار مظهرًا جديدًا، وجندرًا مغايرًا، ولغة مختلفة، وبيئة اجتماعية جديدة في كل لحظة، مما يعكس الطبيعة المتغيرة للهوية الذاتية في العصر الرقمي؛ ويؤكد باومان أن العلاقات الإنسانية في ظل هذه الحداثة السائلة تتجه نحو التبسيط والتفكيك، حيث تُستبدل الروابط العميقة والدائمة بعلاقات "خفيفة"، مؤقتة، وسريعة التشكيل والانفصال **(Bauman, 2003)** وهذا ما يُلاحظ في أنماط العلاقات داخل الميتافيرس، حيث يمكن للفرد أن ينخرط في علاقات عاطفية أو اجتماعية أو جماعية رقمية دون أي التزام طويل الأمد، ودون تبعات واقعية مباشرة، العلاقات في هذه البيئات لا تتطلب مجهودًا لبنائها أو الحفاظ عليها كما هو الحال في العلاقات الواقعية، بل قد تصبح "علاقات استهلاكية" تُدار بمنطق التفاعل اللحظي، ثم تُهمل أو تُنسى، مما يُعيد طرح سؤال جوهري: هل نحن بصدد فقدان المعنى العميق للعلاقات البشرية لصالح تفاعلات سطحية مريحة لكنها فارغة؟

وتُبرز نظرية الحداثة السائلة أيضًا أن حرية الاختيار الواسعة التي توفرها البيئات الرقمية لا تعني بالضرورة تمكينًا للفرد، بل قد تؤدي إلى قلق وجودي دائم نتيجة فقدان المعايير الثابتة، واستبدال الالتزام بالتجريب المستمر **(Bauman, 2005,15)** فالفرد في الميتافيرس ، كما في الحياة المعاصرة ، قد يشعر بحرية

شكلية، لكنه في الواقع مُجبر على إعادة تعريف ذاته باستمرار، بما يعكس هشاشة الانتماء وسرعة تغيّر الروابط ؛ **وبذلك،** تقدّم نظرية باومان إطارًا بالغ الأهمية لفهم التحول في بناء الهوية والتفاعل الاجتماعي داخل الميتافيرس، حيث تتجسد "الحداثة السائلة" بكل وضوح: ذات قابلة للتعديل، علاقات عابرة، قيم نسبية، وهوية غير مكتملة، ويفتح هذا التحليل الباب للتساؤل حول مستقبل الهوية والانتماء في عالم لم يعد يعترف بالثبات، بل يحتفي بالتحوّل المستمر.

سابعاً : تحليل سوسيولوجي للهويات الافتراضية في الميتافيرس:

1: تشكّل الهوية في الفضاء الافتراضي

ضع رينيه ديكارت نظرية مفادها أن العقل أكثر واقعية من الجسد الذي يحتويه، ومن هنا يبرز تساؤل جوهري: هل نحن، في الفضاء الافتراضي، نتجه نحو مرحلة تصبح فيها الحياة الرقمية بديلاً عن حياتنا الواقعية، أم أن هذا التحول قد بدأ بالفعل؟ تُطرح هنا إشكالية الهوية الحقيقية للفرد؛ إذ غالبًا ما يُفترض أنها تتمثل في الذات التي يقدمها للآخرين ويعيشها بوعي في حياته اليومية، غير أن هذه الصورة قد لا تعكس بالضرورة الذات الأصيلة، فالكثير من الأفراد يعيشون خلف "أقنعة" تخفي ما يفكرون به حقًا أو ما يشعرون به داخليًا، كما تكشف أحلام اليقظة والتخيّلات عن جوانب خفية لرغباتهم وحاجاتهم غير المعلنة، وإذا ما أسقط الأشخاص عبر تفاعلاتهم الرقمية وجوهًا أو شخصيات تتماشى مع تلك الذوات المخفية أو المتخيّلة، فقد تكون هذه الصور أكثر صدقًا في التعبير عن ذواتهم العميقة؛ فإن تحديد الهوية في أي لحظة زمنية معينة لا ينفصل عن عوامل متعددة، مثل طريقة اللباس، وأسلوب الحديث، والمواقف السياسية، والممارسات الاقتصادية والدينية، إضافة إلى طبيعة التفاعل مع الآخرين(**حريب، وحمزة، 2025، 152**)؛ فلم يعد بناء الهوية في الفضاءات الرقمية، وخصوصًا في بيئات الميتافيرس، مجرّد عملية رمزية سطحية تُعنى بتمثيل بصري مبسّط للذات، بل تحوّلت إلى مشروع ذاتي مفتوح يتمتع فيه الفرد بسلطة شبه مطلقة على اختيار عناصر هويته وتشكيلها بعيدًا عن القيود البيولوجية أو الثقافية التقليدية، ففي هذا العالم الرقمي، يمكن للمستخدم أن يصمّم "أفاتارًا" لا يُجسّد فقط مظهرًا بصريًا، بل يعكس توجّهًا ذاتيًا وهوية رمزية يمكن أن تتجاوز النوع الاجتماعي(Gender) ، أو الطبقة، أو حتى اللغة والانتماء الثقافي، وهذا ما جعل الفضاء الافتراضي ميدانًا خصبًا لـ"تجريب الذات"، بحيث لم تعد الهوية شيئًا يُكتشف، بل أصبحت شيئًا يُبنى ويُعاد

بناؤه بشكل دائم؛ في هذا السياق، تؤكد عالمة النفس والتكنولوجيا **شيري توركل (Sherry Turkle)** في دراستها الرائدة Alone Together (2011)أن التكنولوجيا الرقمية فتحت المجال أمام الأفراد لتجريب "ذوات متعددة" في بيئات افتراضية، حيث يمكن أن يمتلك الشخص الواحد أكثر من تمثيل رقمي، يعكس كل منها جانبًا من ذاته أو شخصية يرغب في اختبارها، وتشير إلى أن هذه التعددية قد تُحرّر الفرد من الصرامة الاجتماعية المفروضة في الواقع، مما يسمح له بالتعبير بحرية أكبر، واستكشاف جوانب نفسية كانت مكبوتة أو خاضعة للوصم الاجتماعي **(Turkle, 2011, 154)** غير أن هذه الحرية في تشكيل الهوية قد تكون سيفًا ذا حدّين؛ فهي من جهة تُشجّع على الإبداع الذاتي وتوسيع إمكانات التعبير، لكنها من جهة أخرى قد تؤدي إلى **انفصال تدريجي عن الواقع الاجتماعي المادي**، مما يخلق فجوة نفسية أو ما يُسمى بـ"الاغتراب الرقمي."

ويرى بعض الباحثين في علم الاجتماع الرقمي أن هذا النمط من الهويات الافتراضية يُعيد طرح سؤال جوهري حول **طبيعة الذات** في العصر الرقمي: هل نحن ما نختاره ونبنيه بأنفسنا؟ أم نحن ما يُنظر إلينا به عبر التفاعل الاجتماعي؟ **(Cover, 2012)** في الميتافيرس، يكون الجواب معقدًا، لأن الأفاتار هو منتج تكنولوجي شخصي، لكنه في الوقت ذاته خاضع للتقييم الاجتماعي، والقبول، والتفاعل من الآخرين، وهكذا، يُصبح "تشكيل الهوية" عملية مزدوجة: فردية في الاختيار، وجماعية في التثبيت والاعتراف؛ حيث أن هذا الفضاء الافتراضي أتاح للأفراد إمكانية تقمّص أدوار رمزية جديدة تعبّر عن ذواتهم الكامنة، والتي قد لا يجدون فرصة للتعبير عنها في الواقع التقليدي، فمن خلال استخدام الصور الرمزية (الأفاتار) والرموز التعبيرية، يتمكن المستخدم من بناء هوية بديلة أو مكمّلة لذاته الواقعية، ما يمنحه شعورًا بالتحرر والقدرة على خوض تجارب اجتماعية متعددة في بيئات رقمية مرنة، ويؤكد أن هذه الممارسات الافتراضية تسهم في إثراء التجربة الذاتية وتعزيز التفاعل الاجتماعي ضمن مجتمعات رقمية متجددة(**صحراوي، وداود، 2023، 29**)

وبهذا، فإن هذه العملية الجديدة لبناء الهوية تُعيد صياغة الفهم السوسيولوجي للعلاقة بين الذات والمجتمع، فالهوية لم تعد مجرد "نتاج ثقافي" يُفرض من الخارج، بل أصبحت "أداة أداء" يمكن توظيفها وتعديلها بحسب السياق والهدف، وهو ما يقترب من رؤية **جوفمان** الذي شبّه الهوية بالأداء المسرحي، حيث يختار الفرد لنفسه "واجهة" معينة يتفاعل من خلالها مع الآخرين، بحسب الدور الذي يريد تأديته، **(Goffman,**

(**1959, 22**؛ لكن الميتافيرس لا يقدم فقط مسرحًا جديدًا للتمثيل، بل يخلق عالمًا مغايرًا كاملًا بقواعده وهوياته وسلوكياته، مما يجعل الأداء نفسه غير محدود، وقد يتحوّل من تجربة إلى واقع بديل دائم.

2: الهويات السائلة والتمثيلات المتعددة:

في قلب التحوّلات الاجتماعية التي يشهدها العصر الرقمي، تبرز نظرية "الحداثة السائلة" التي طوّرها **زيجمونت باومان** (**Zygmunt Bauman**) لفهم ملامح التفكك البنيوي الذي أصاب مفاهيم كانت تُعدّ حتى وقت قريب راسخة، كالجماعة، والهوية، والانتماء، يشير باومان إلى أن الحداثة المعاصرة لم تعد تقوم على "الثبات" و"الاستمرارية"، بل أصبحت قائمة على التنقل، والسيولة، والمرونة المفرطة، بما في ذلك في مجال بناء الذات، فالهويات، بحسب باومان، لم تعد مشاريع اجتماعية طويلة الأمد تُبنى ضمن أنساق ثقافية متماسكة، بل أصبحت "هويات مؤقتة"، متغيرة، وقابلة للتعديل السريع تبعًا للمزاج، والمواقف، والضغوط الآنية (**Bauman, 2000**) ويمثل فضاء **الميتافيرس**، بهذا المعنى، التعبير الأكثر اكتمالًا عن هذه "السيولة الوجودية"، حيث يُتاح للفرد أن يعيد تشكيل صورته وهويته وشبكة علاقاته في أي لحظة وبدون أي تبعات "واقعية" مباشرة؛ في هذا العالم الرقمي الموازي، لا يضطر المستخدم إلى الالتزام بصورة واحدة لذاته. بل يمكنه أن ينتقل بين تمثيلات متعددة ، يمكن أن يكون شابًا في لحظة، وأنثى ناضجة في اللحظة التالية، وأن ينتمي إلى ثقافات أو لغات أو مجتمعات مختلفة، بل وإلى أجناس رقمية غير بشرية مثل الكائنات الخرافية أو الذكاء الاصطناعي المجسّد، ويُعَدّ هذا التعدد التمثيلي شكلاً من "الهوية السائلة"، حيث يُفكّك مفهوم "الذات الواحدة المتماسكة" لصالح ذوات مجزأة، مركّبة، تُبنى وتُلغى بحسب السياق اللحظي.

حيث يرى باومان في كتابه أن هذه السيولة تُنتج نوعًا من "الحرية المخادعة"، إذ تُمكّن الأفراد من إعادة ابتكار أنفسهم باستمرار، لكنها في الوقت ذاته تحرمهم من الاستقرار واليقين، وبالمثل، في الميتافيرس، قد يشعر المستخدم بحرية التشكيل، لكنه يواجه أيضًا صعوبة في تثبيت هويته أو بناء علاقة متماسكة مع الآخرين، نظرًا لأن التغيّر المستمر يُضعف مرجعية الذات، فكل تمثيل جديد هو بداية مؤقتة، غير متجذرة، ومفتوحة على اللايقين، مما قد يُفضي إلى قلق وجودي رقمي أو شعور بالاغتراب عن الذات الواقعية.

تُشير أبحاث حديثة في علم النفس الرقمي إلى أن هذه "التمثيلات المتعددة" ليست مجرد ألعاب تجريبية، بل تؤثر فعليًا في إدراك الذات، وفي أنماط التفاعل الاجتماعي، وفي كيفية فهم الآخر. فالفرد الذي يتنقّل بين هويات رقمية متعددة قد يُعيد بناء تصوراته حول النوع الاجتماعي، والطبقة، والهوية الثقافية، وحتى الجندر **(Nakamura, 2002, 31)**، غير أن هذا التعدد لا يعني دائمًا التحرّر؛ فقد يكون أحيانًا استجابة لضغوط اجتماعية جديدة داخل الميتافيرس نفسه، إذ تتكوّن داخله معايير جمال، وسلوك، وانتماء، تفرض على المستخدمين تكيّفًا مستمرًا للحفاظ على "قابلية القبول الرقمي"، **وبناءً على ذلك**، فإن الهويات في الميتافيرس ليست فقط متعددة، بل أيضًا قابلة للتسليع ، حيث تُختزل الذات أحيانًا إلى "أفاتار" جذاب، أو صورة رمزية تنافسية ضمن سوق اجتماعي يعتمد على الرموز والتقييمات البصرية، وهو ما يجعل الهوية، كما يرى باومان، عرضة للابتذال أو "الذوبان في اللحظة"، في عالم لا يعترف بالثبات ولا يكافئه (**Bauman, 2005**).

3: تحولات العلاقات الاجتماعية داخل الميتافيرس:

يُعيد الميتافيرس، باعتباره فضاءً افتراضيًا ثلاثي الأبعاد وشديد التفاعلية، صياغة المفاهيم الاجتماعية التقليدية للعلاقات، حيث يُتيح للأفراد بناء شبكات تواصل تتجاوز حدود الجغرافيا، والزمن، والهوية الواقعية. وفي هذا السياق، تُسجّل عدة تحوّلات جوهرية في نمط العلاقات الاجتماعية في عصر ما بعد الرقمنة:

. العلاقات غير المحددة بالمكان: صعود الاهتمام على حساب الجغرافيا

أحد أبرز التحوّلات التي يفرضها الميتافيرس هو تلاشي مركزية "المكان" في بناء العلاقات، ففي المجتمعات التقليدية، كانت الجيرة، والانتماء الجغرافي، والقرابة المكانية أساسًا للتواصل الاجتماعي، أما في الميتافيرس، فقد أصبح التفاعل قائمًا على "مجتمع الاهتمامات"، أي أن الأفراد باتوا يتواصلون ويتجمّعون بناءً على اهتمامات وهوايات مشتركة، بغض النظر عن المسافة أو الحدود(**أحمد، 2024، 1650**)؛ في هذا الفضاء، تتشكّل علاقات بين أشخاص من دول وثقافات متباينة، يجمعهم حبّ لعبة معينة، أو مناقشة فلسفية، أو قضية بيئية، وهذا النوع من العلاقات يعيد تعريف "الجماعة الاجتماعية" ليس على أساس الموقع

أو النسب، بل على أساس التفاعل المشترك والمصالح الرمزية المشتركة، وهو ما يطلق عليه البعض "الانتماء السيبراني(**بلال، والمحلاوي، 2023، 580**)

. تآكل العلاقات التقليدية: من القرابة إلى الاختيار الرقمي

في مقابل هذا الصعود للعلاقات الشبكية، تشهد العلاقات التقليدية – كالعلاقات الأسرية، والعلاقات القائمة على القرابة أو الحيّز المكاني ، تآكلاً تدريجيًا، خاصة بين الأجيال الشابة المنغمسة في البيئات الرقمية، إذ أصبح الأفراد يملكون حرية اختيار شركائهم في الحوار والتفاعل، خارج الإطار الذي كانت تفرضه الأسرة أو العشيرة أو المؤسسة، ويمكن تفسير هذا التراجع ضمن ما وصفه أنتوني غيدنز(**Giddens, 1991**) بـ"العلاقات المختارة "، أي العلاقات التي لا تقوم على الالتزام المفروض، بل على الرغبة المتبادلة في التواصل المستمر؛ وفي الميتافيرس، تُصبح العلاقة الاجتماعية مشروطة بـ"الاهتمام اللحظي"، قابلة للإنهاء بسهولة، مما ينعكس على هشاشة البنى الاجتماعية التقليدية، بل إن بعض الدراسات تشير إلى أن الإفراط في العلاقات الرقمية قد يؤدي إلى الانفصال العاطفي عن الروابط الواقعية، ويؤثر على جودة العلاقات الأسرية والزواجية، حيث يُفضّل بعض الأفراد التفاعل الرقمي كبديل أقل تكلفة نفسيًا.(**Turkle, 2011, 280**)

. العلاقات العابرة للهويات: تجاوز النوع والعرق والدين

من أبرز ملامح الميتافيرس أيضًا هو قدرته على تفكيك الحواجز الاجتماعية التقليدية، مثل النوع الاجتماعي، أو العرق، أو الانتماء الديني، إذ يمكن للأفراد أن يتفاعلوا كـ"ذوات رمزية" دون أن يكشفوا عن خلفياتهم الحقيقية، فمثلًا، يمكن لامرأة أن تتقمص شخصية ذكر في اللعبة، أو لشخص من أقلية دينية أن يتحاور في بيئة لا تفرض عليه الكشف عن معتقده، هذه المرونة تخلق علاقات "ما بعد ـ هوياتية(post-identity)" ، تسمح بالتفاعل على أساس القيم أو الأفكار، بدلًا من السمات الثقافية أو الجندرية؛ وترى ليزا ناكامورا أن الميتافيرس يعيد رسم خريطة الهويات الثقافية، ويتيح للتمثيلات "غير النمطية" أن تحظى بالشرعية، مما يفتح المجال أمام علاقات إنسانية أفقية، خالية من الأحكام المسبقة المرتبطة باللون أو الجنس أو الدين، ورغم هذا الطابع التقدّمي، يحذّر بعض الباحثين من أن هذا الانفصال عن الهوية الحقيقية قد يؤدي أحيانًا إلى تمويه الهويات أو إساءة استخدامها، كما في حالات "الانتحال الرقمي" أو "التمثيل

المضلل(**Nakamura, 2002**)." ، **وبهذا**، ما يقدّمه الميتافيرس ليس فقط منصّة جديدة للتواصل، بل بيئة اجتماعية بديلة تعيد تشكيل العلاقات بناءً على منطق جديد كليًا: من الالتزام إلى الاختيار، ومن الجغرافيا إلى الاهتمام، ومن الثبات إلى السيولة، وفي ظل هذا التحوّل، يتوجب على علم الاجتماع أن يُعيد النظر في مفاهيمه الكلاسيكية حول "الجماعة"، و"الانتماء"، و"الهوية"، في ضوء الأنماط الجديدة للعلاقات الرقمية.

ثامنًا : دراسة حالة تحليلية:

دراسة حالة تحليلية: منصة Horizon Worlds التابعة لشركةMeta

تُعد منصة Horizon Worlds إحدى أبرز البيئات الافتراضية التفاعلية التي طوّرتها شركة Meta (فيسبوك سابقًا)، لتكون بمثابة فضاء اجتماعي ثلاثي الأبعاد يتيح للمستخدمين إنشاء "عوالمهم" الخاصة، التفاعل باستخدام "أفاتارات"، والمشاركة في نشاطات جماعية افتراضية، وتمثل هذه المنصة نموذجًا واقعيًا لفهم كيفية تشكّل المجتمعات الرقمية، وبناء الهويات، وإعادة تعريف العلاقات الاجتماعية في عصر الميتافيرس، عند تحليل تفاعلات المستخدمين داخل Horizon Worlds ، يتضح أن المنصة لم تُستخدم فقط كأداة ترفيهية، بل تحوّلت إلى حيز اجتماعي بديل تتأسس فيه مجتمعات رقمية موازية، فالمستخدمون لا يكتفون بالتفاعل العابر، بل يُنظّمون لقاءات أسبوعية، ويُنشئون "مساحات" مخصصة للنقاش، والتعلم، والاحتفال، وتوثق تقارير شركة Meta لعام 2023 أن نسبة كبيرة من المستخدمين يعتبرون هذه اللقاءات ذات معنى حقيقي وقيمة وجدانية، على الرغم من أنها تتم عبر وسائط افتراضية **(Meta Reports, 2023).**

ويُظهر تحليل الأنشطة الاجتماعية داخل هذه المنصة أن المستخدمين يتبادلون أنماطًا من الدعم العاطفي والاجتماعي تشبه ، بل أحيانًا تتجاوز مثيلاتها في الواقع، خصوصًا لدى أولئك الذين يعانون من عزلة اجتماعية في حياتهم الواقعية، وقد وجد بعض الباحثين أن المجتمعات الافتراضية داخل Horizon Worlds توفّر بيئة آمنة للتعبير عن الذات والانتماء دون خوف من الحكم أو الإقصاء، وهو ما يتماشى

مع ما أشارت اليه (**أحمد، 2024، 1659**)، حول قدرة العوالم الافتراضية على احتضان الذوات المهمشة أو غير القادرة على التعبير بحرية في الحياة الواقعية.

تتيح المنصة أيضًا المشاركة في أحداث افتراضية جماعية مثل الحفلات الموسيقية، والندوات الثقافية، والاحتفالات بالأعياد، والتي تُنظَّم وتُدار بالكامل من قبل المستخدمين أنفسهم، هذه الأنشطة لا تقتصر على الترفيه، بل تعزز الشعور بالانتماء المجتمعي والتفاعل الرمزي بين الأفراد، وهو ما يعبّر عنه إرفنغ جوفمان **(Goffman, 1959)** بمصطلح "الأداء التفاعلي"، حيث يُقدّم الفرد ذاته للآخرين في مشهد اجتماعي محكوم بالرموز والتوقعات الجماعية، غير أن الميتافيرس هنا يُقدّم مسرحًا جديدًا بلا قيود مادية، يسمح بإعادة صياغة هذا الأداء وفق شروط أكثر مرونة وتنوعًا.

وتفيد تقارير الأداء الاجتماعي في Horizon أن المشاركين خصوصًا المراهقين والشباب ينظرون إلى هذه العلاقات على أنها "واقعية رمزيًا"، بمعنى أنها تُنتج مشاعر حقيقية من التفاعل، والحب، والدعم، رغم غياب الوجود المادي، ويعكس ذلك ما ذهب إليه عالم الاجتماع بيير ليفي (Lévy, 1998) حين أشار **إلى أن** المجتمعات الرقمية لا تلغي الحضور الإنساني، بل تُعيد تعريفه ضمن نظام رمزي جديد، حيث تُصبح "الواقعية" صفة تُمنح للتجربة بناءً على أثرها النفسي والاجتماعي، لا على وجودها الفيزيائي، فالمجتمعات الرقمية لا تُلغي الحضور الإنساني، بل تعيد صياغته ضمن منظومة رمزية جديدة، حيث تُقاس "الواقعية" بتأثير التجربة النفسي والاجتماعي أكثر من ارتباطها بالوجود المادي، ويجسد الميتافيرس هذا التحول بكونه فضاءً متكاملًا يسمح للأفراد بإعادة إحياء عناصر تاريخية وفنية، والمشاركة في فعاليات اجتماعية وثقافية دون عناء التنقل أو التكاليف، مما يسهم في تقليل الازدحام والحفاظ على البيئة.(**صلاح، 2023، 177**)

هذه الحالة تطرح أسئلة جوهرية حول مستقبل العلاقات الإنسانية: هل نحن بصدد نشوء "مجتمعات ميتافيرسية" موازية قادرة على تعويض النقص في الروابط الواقعية؟ وهل يمكن لهذه المجتمعات أن تُنتج شكلًا جديدًا من "اللحمة الاجتماعية الرقمية" التي تُعيد تنظيم العلاقات والقيم والانتماءات؟

الواقع أن ما يحدث في Horizon Worlds لا يمكن اعتباره مجرّد لعبة، بل هو تجربة اجتماعية متقدمة تعبّر عن تحوّل بنيوي في فهم الإنسان لذاته ولعلاقاته، وعن إعادة إنتاج للمجتمع في شكل جديد يتحدى المفاهيم الكلاسيكية للزمن والمكان والهوية.

النتائج:

أسفر التحليل السوسيولوجي للهويات الافتراضية في بيئة الميتافيرس، إلى جانب دراسة حالة منصة Horizon Worlds، عن جملة من النتائج التي تُسلط الضوء على التحوّلات العميقة التي تشهدها مفاهيم الهوية والعلاقات الاجتماعية في ظل التطورات الرقمية الراهنة. وتتمثل أبرز النتائج فيما يلي:

1. الهوية الافتراضية مشروع ذاتي متجدد لا يخضع للثبات التقليدي

تبيّن من خلال استقراء نظريات التفاعل الرمزي والحداثة السائلة أن الهوية في الميتافيرس لم تعد كيانًا ثابتًا كما في المجتمعات التقليدية، بل أصبحت **بناءً ذاتيًا مرنًا**، يختاره الفرد ويُعيد تشكيله بحسب رغبته، وسياق تفاعله، وتطلعاته الشخصية، فالهوية الافتراضية لم تعد امتدادًا للهوية الواقعية فحسب، بل أصبحت أحيانًا بديلًا عنها، أو وسيلة للهروب منها، وقد أكدت التجربة الرقمية في Horizon Worlds أن المستخدمين يتعاملون مع "الأفاتار" بوصفه تمثيلًا للذات الحقيقية، يتفاعل مع الآخرين وفق أداء اجتماعي جديد يتسم بالاختيار والانتقائية والتعديل المستمر.

2. تشكّل علاقات اجتماعية جديدة قائمة على الاهتمامات المشتركة بدلًا من القرابة الجغرافية

أظهرت البيانات الميدانية والتقارير الحديثة أن العلاقات داخل الميتافيرس لم تعد تُبنى على أساس القرابة أو الانتماء الجغرافي، بل على أساس **مجتمع الاهتمامات** (Communities of Interest)، فقد أتاح الفضاء الرقمي للأفراد فرصًا لتكوين علاقات إنسانية تتجاوز القيود المكانية والثقافية، مما يعكس انتقالًا واضحًا من علاقات مفروضة اجتماعيًا إلى علاقات مختارة رقميًا، يكون فيها الانتماء قائمًا على القيم والتجربة لا على الأصل والهوية الوراثية.

3. العلاقات الرقمية تحمل أبعادًا وجدانية حقيقية رغم غياب الجسد

أحد أبرز النتائج المفاجئة نسبيًا هو أن العلاقات التي تُبنى داخل الميتافيرس، رغم كونها رقمية وغير متجسدة تُوصف من قبل المستخدمين بأنها **علاقات ذات قيمة وجدانية واجتماعية حقيقية**، ويعزو المستخدمون هذا الشعور إلى بيئة التفاعل الحي، والدعم العاطفي المتبادل، ومرونة التمثيل الذاتي التي تمنحهم راحة أكبر في التعبير، وقد خلُصت تقارير Meta (2023) إلى أن أكثر من 60% من المستخدمين يعتبرون علاقاتهم داخل" Horizon Worlds واقعية من حيث الشعور"، حتى وإن كانت "افتراضية من حيث الوسيط."

4. تفكك تدريجي في البنى الاجتماعية التقليدية يقابله صعود لمجتمعات رقمية موازية

يتبيّن من التحليل أن **البنى التقليدية للعلاقات** ، مثل الأسرة، الحيّ، الجماعة الإثنية حيث أصبحت تواجه منافسة شديدة من المجتمعات الافتراضية التي يختارها الفرد بحرية، هذه المجتمعات الرقمية غالبًا ما تُوفّر شعورًا أقوى بالانتماء لدى فئات معينة من المستخدمين، خصوصًا الفئات المهمشة اجتماعيًا أو جندريًا، مما يؤدي إلى **تآكل تدريجي في مركزية الأسرة أو الهوية القومية**، وهو ما قد تكون له تبعات بعيدة المدى على البناء الاجتماعي مستقبلاً.

5. وجود توتر بين "التحرر الهوياتي" و"القلق الوجودي الرقمي"

رغم ما توفره الهوية الافتراضية من مساحة واسعة للتحرر والتعبير، إلا أن هذا التحرر نفسه يُنتج ما يُعرف بـ"القلق الرقمي"، حيث يجد الفرد نفسه **مضطرًا إلى إعادة اختراع هويته باستمرار** لمواكبة التغيرات والمتطلبات المتزايدة للقبول الرقمي، وهذا التوتر يعكس ما أشار إليه زيجمونت باومان في الحداثة السائلة: "كلما ازدادت حرية التغيير، ازداد العبء النفسي لاختيار ما يجب أن تكون عليه " (Bauman, 2005).

6. الميتافيرس يعيد صياغة مفاهيم "الواقع" و"الذات"

أحد أخطر نتائج البحث هو أن الميتافيرس لا يُشكّل فقط بيئة ترفيهية أو اجتماعية، بل يعمل على **إعادة تعريف "الواقع" ذاته**، بحيث لم تعد الواقعية مرتبطة بالتجسيد المادي، بل بالتأثير النفسي والاجتماعي الذي تُحدثه التجربة، وبالتالي، تصبح الذات الرقمية أكثر "واقعية" في بعض الأحيان من الذات الواقعية، وتغدو الهويات الافتراضية مرآة جديدة تعكس تحولات الإنسان المعاصر في مواجهة التكنولوجيا.

وبهذا، تكشف النتائج عن واقع سوسيولوجي جديد آخذ في التشكل، عنوانه الأبرز، سيولة الهوية، وتحول أنماط التفاعل الاجتماعي، ونشوء مجتمع رقمي بديل يتحدى النماذج الاجتماعية الكلاسيكية، وهي نتائج تُحتّم على العلوم الاجتماعية إعادة النظر في أدواتها النظرية والمنهجية لفهم هذا الواقع المتغيّر.

تاسعًا : رؤية مستقبلية وتوصيات

1: الرؤية المستقبلية

في ضوء النتائج المتوصّل إليها، يُتوقع أن يُواصل الميتافيرس توسّعه كحيّز اجتماعي موازٍ، يعيد تشكيل مفاهيم الهوية والانتماء والعلاقات في العقود المقبلة، وإذا كانت الفضاءات الرقمية في الماضي تمثّل مجرد أدوات تواصل، فإنها اليوم باتت منصات لإعادة إنتاج المجتمع، بل وقد تُصبح في المستقبل القريب **بدائل مكافئة للواقع المادي** من حيث التفاعل، والانخراط، والتأثير في تشكيل القيم والثقافة.

ويُرجَّح أن يشهد العالم خلال السنوات القادمة:

ـ تزايد الاعتماد على "الهويات الرقمية" في التعليم، والعمل، والأنشطة الاجتماعية، مما يُوجب تطوير تشريعات وهياكل حوكمة تراعي البُعد السيكولوجي والاجتماعي لهذه الهويات.

ـ نشوء أجيال تنتمي رقميًا قبل أن تنتمي مكانيًا، وهو ما قد يعيد تعريف مفاهيم المواطنة، والانتماء الثقافي، والتنشئة الاجتماعية.

ـ بروز إشكاليات جديدة تتعلق بالتفرقة الرقمية، وسلطة المنصات، وإدمان الهروب إلى الذات الافتراضية، وهي قضايا تتطلب حضورًا قويًا للباحثين في علم الاجتماع، وعلم النفس، والقانون.

إذا استمرت هذه الاتجاهات دون تأطير تربوي أو قيمي أو قانوني، فقد نجد أنفسنا أمام فجوة وجودية عميقة بين الذات الواقعية والذات الرقمية، وما يرتبط بها من عزلة، واغتراب، وتشظٍّ في الانتماء الاجتماعي.

2: التوصيات

انطلاقًا من ما سبق، يوصي هذا البحث بعدد من التوصيات الموجهة إلى المؤسسات الأكاديمية، وصنّاع السياسات، والباحثين، والمستخدمين على حد سواء:

ـ دمج مفاهيم الهوية الرقمية في المناهج التعليمية

ينبغي للمؤسسات التربوية استحداث منهج التربية الإعلامية و إدراج مفاهيم مثل الهوية الرقمية، والتفاعل الرمزي في الفضاءات الافتراضية، ضمن برامج التربية الإعلامية والرقمية، بهدف توعية الأجيال الجديدة بآليات تشكّل الذات وتأثيرها على علاقاتهم وسلوكهم.

ـ تعزيز البحث العلمي في مجال علم الاجتماع الرقمي

يدعو البحث إلى دعم الدراسات البينية التي تربط بين السوسيولوجيا، والتكنولوجيا، وعلم النفس الرقمي، لفهم تعقيدات التحوّل الجاري في بناء الهويات والعلاقات.

ـ سن تشريعات تحمي المستخدمين داخل الميتافيرس

يجب على المشرّعين صياغة أطر قانونية جديدة لحماية "الهوية الرقمية"، وضمان الخصوصية، ومنع إساءة الاستخدام أو الانتحال، بما يحفظ كرامة الفرد وحقوقه داخل العالم الافتراضي.

ـ تصميم بيئات ميتافيرسية أكثر عدالة وشمولًا

من المهم أن تراعي منصات الواقع الافتراضي تنوّع الخلفيات الثقافية والاجتماعية للمستخدمين، وأن تُصمَّم بطريقة تحفّز على الحوار والانفتاح، لا العزلة والتشظّي.

ـ تشجيع الانخراط النقدي لا الاستهلاكي

يجب تحفيز المستخدمين على استخدام الميتافيرس بشكل نقدي وتأملي، لا بوصفه مساحة للهروب، بل كأداة لبناء علاقات أكثر وعيًا وتسامحًا، تُكمّل الواقع ولا تستبدله.

ـ متابعة التأثيرات النفسية والاجتماعية على المدى البعيد

توصي الدراسة بإجراء أبحاث طولية (Longitudinal Studies) ترصد الآثار النفسية والاجتماعية المستمرة للهويات الرقمية، خصوصًا على المراهقين، لتوفير تدخلات علمية وقائية إذا لزم الأمر.

وبهذا، يُشكّل الميتافيرس فرصة حضارية لإعادة بناء العلاقات الإنسانية على أسس أكثر حرية وانفتاحًا، لكنه في الوقت ذاته يحمل **مخاطر إعادة إنتاج الاغتراب الاجتماعي** بصورة رقمية معقدة، ومن ثم، فإن مستقبل التفاعل الإنساني مرهون بقدرتنا على فهم هذه التحولات، وتأطيرها أخلاقيًا وتربويًا، حتى لا تتحول التكنولوجيا من أداة تمكين إلى أداة تهميش أو ضياع.

الخاتمة

إنَّ الميتافيرس لم يعد مجرد مفهوم تقني ناشئ أو فضاء ترفيهي رقمي، بل تحوّل إلى ظاهرة سوسيولوجية **كبرى** تُعيد صياغة إدراك الإنسان لذاته، وتحدّد ملامح علاقاته الاجتماعية في عصر يتّسم بالتغير المتسارع والحداثة السائلة، فقد أتاح هذا الفضاء الافتراضي للأفراد فرصًا غير مسبوقة لبناء هويات جديدة، والتحرّر من القيود التقليدية التي فرضتها الجغرافيا، والنوع الاجتماعي، والروابط العائلية والمجتمعية الصلبة، وأظهر البحث أن الهويات الافتراضية في الميتافيرس لم تعد مجرد إسقاط للهوية الواقعية، بل أصبحت مشروعًا مستمرًا لإعادة تشكيل الذات عبر الرموز، والتمثيلات، والتفاعلات الرقمية، مما يعكس قدرة الأفراد على ممارسة أشكال متعددة من الانتماء والتعبير الذاتي.

ومع ذلك، فإن هذه التحولات لا تخلو من تحديات عميقة. إذ يواجه الأفراد في الميتافيرس معضلة الاغتراب الرقمي الناتج عن الفجوة بين الذات الواقعية والذات الرقمية، إضافة إلى هشاشة الهويات التي تتبدّل باستمرار وفقًا لتغير السياقات الافتراضية، كما تُظهر الدراسات أن العلاقات الرقمية، على الرغم من عمقها الوجداني

أحيانًا، قد تؤدي إلى تآكل الروابط التقليدية كالعلاقات الأسرية والمجتمعية، مما يثير تساؤلات جوهرية حول مستقبل التماسك الاجتماعي ومعايير الانتماء في هذا العالم الجديد.

وبناءً على التحليل النظري ودراسة الحالة، يتضح أن الميتافيرس يحمل فرصًا وتحديات في آنٍ واحد؛ فهو من جهة يفتح الباب أمام تشكيل مجتمعات أكثر تنوعًا وشمولية، قائمة على الاهتمامات المشتركة والتفاعل الحر، ومن جهة أخرى يثير مخاطر متعلقة بفقدان الثبات الهوياتي، وبروز علاقات استهلاكية عابرة تفتقر إلى العمق والاستمرارية.

وعليه، يوصي البحث بضرورة تطوير سياسات تعليمية وثقافية وتشريعية تستوعب هذه التحولات وتوجّهها نحو تعظيم الفوائد وتقليل المخاطر. فالتعامل مع الميتافيرس يجب أن يتجاوز البعد التكنولوجي، ليصبح مشروعًا مجتمعيًا متكاملًا يسهم في بناء إنسان أكثر وعيًا بذاته، وأكثر قدرة على التكيف مع متغيرات العصر، دون أن يفقد جذوره الثقافية والاجتماعية الأصيلة.

وبذلك، فإن الميتافيرس ليس مجرد مستقبل تقني، بل هو مستقبل اجتماعي يفرض على الباحثين وصانعي السياسات والمجتمعات بأكملها التفكير بجدية في كيفية إدارة هذا التحوّل بما يحافظ على التوازن بين فرص الانفتاح والحرية، وبين متطلبات التماسك والاستقرار الاجتماعي.

المراجع

أولًا: الكتب

1. Erikson, Erik Homburger. (1968). Identity: Youth and Crisis. W. W. Norton & Company. New York.
2. Blumer, Herbert. (1969). Symbolic Interactionism: Perspective and Method. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.
3. Charon, Joel M. (2009). Symbolic Interactionism: An Introduction, An Interpretation, An Integration (10th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.
4. Goffman, Erving. (1959). The Presentation of Self in Everyday Life. Garden City, NY: Doubleday Anchor Books.

5. Giddens, Anthony. (1991). Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age. Stanford, CA: Stanford University Press
6. Giddens, Anthony. (2006). Sociology (5th ed.). Cambridge: Polity Press.
7. Lévy, P. (1998). Becoming Virtual: Reality in the Digital Age. Plenum Trade.
8. Mead, George Herbert. (1934). Mind, Self, and Society: From the Standpoint of a Social Behaviorist. (Charles W. Morris, Ed.). Chicago: University of Chicago Press.
9. Nakamura, L. (2002). Cybertypes: Race, ethnicity, and identity on the Internet. New York: Routledge.
10. Bauman, Zygmunt. (2000). Liquid Modernity. Cambridge: Polity Press
11. Bauman, Zygmunt. (2003). Liquid Love: On the Frailty of Human Bonds. Cambridge: Polity Press.1-157.
12. Bauman, Zygmunt. (2005). Liquid Life. Cambridge, UK: Polity Press, pp. 1-164.

ثانيًا: المقالات العلمية

1. فوكوياما، فرانسيس، والجسمي، عبد الله محمد. (2022). الهوية: مطلب الكرامة وسياسات الضغينة لفرانسيس فوكوياما .*مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية*، 11(41)، 239-233.
2. عامر، أمال. (2016). المجتمع الافتراضي والهوية الانترنتية .*المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي*، 3(3)، 72-55.
3. الصاوي، محمد كرم كمال الدين. (2022). العالم الماورائي (الميتافيرس) بين الواقع والمأمول وفاعليتها في مجال الجرافيك .*مجلة الفنون والعلوم التطبيقية*، 9(4)، 151-135.
4. صلاح، آية. (2023). الميتافيرس والتواصل الاجتماعي .*مجلة الفكر المعاصر*، (31)، 175- 184.

5. بلال، أمل عنبر بشير عنبر، والمحلاوي، وسام. (2023). استخدام العلاقات العامة للميتافيرس كأداة للاتصال بالجمهور: دراسة استطلاعية على مساحات الجهات الحكومية الإماراتية. *المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال*، (43)، 618-579.
6. عبد العال، إسراء صابر عبد الرحمن. (2022). توظيف تقنية ميتافيرس داخل غرف الأخبار بالمؤسسات الصحفية العربية: دراسة تطبيقية. *المجلة المصرية لبحوث الرأي العام*، 21(2)، 431- 468.
7. عقاب، نصيرة. (2022). الروابط الاجتماعية في ظل الوسائل التكنولوجية الحديثة. *دراسات اجتماعية*، 12(1)، 38-27.
8. بن رشد، رشيد. (2025). الهوية الاجتماعية: الذات الإنسانية والهوية الشخصية. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية*، (1)، 69-53.

صحراوي، جهاد، وجفافلة، داود. (2023). الفضاء الرقمي وإشكالية بناء الهوية عبر مواقع التواصل الاجتماعي. *مجلة هيرودوت الإنسانية والاجتماعية*، 7(4)، 215-197.

ثالثًا: مداخلات في مؤتمرات علمية

1. الكحلاوي، محمد. (2015). الهوية: مقاربة في تكون المفهوم ودلالة أبعاده. في *المؤتمر الدولي النقدي الأول: الهوية والأدب* (المجلد 1، ص 224-205). أبها: نادي أبها الأدبي.
2. أحمد، هبة شعبان عبد المنعم محمد. (2024). دور الميتافيرس في تعزيز ولاء المتلقي للبراند. *مجلة التراث والتصميم*، 4(عدد خاص 1)، 1674-1650. المؤتمر الأول لكلية التصميم والفنون الإبداعية، جامعة الأهرام الكندية: رؤية مستقبلية للصناعة المصرية.
3. حريب، كرار ناصر، وحمزة، مها أسعد. (2025). تشكيل الهوية الثقافية في الفضاء الافتراضي. الندوة العلمية السنوية، الأزمات الاجتماعية في العراق وسبل المواجهة، ع14، ص ص 143 ـ 167.

4. ajfel, Henri., & Turner, John C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin & S. Worchel (Eds.), *The Social*

Psychology of Intergroup Relations (pp. 33-47). Monterey, CA: Brooks/Cole.

5. Hogg, Michael A., & Abrams, Dominic. (1988). *Social Identifications: A Social Psychology of Intergroup Relations and Group Processes*. London: Routledge.

6. Cover, Rob. (2012). Performing and undoing identity online: Social networking, identity theories and the incompatibility of online profiles and friendship regimes. *Convergence: The International Journal of Research into New Media Technologies*, 18(2), 177–193.

7. Bibri, Simon Elias. (2023). The Metaverse as a virtual model of platform urbanism: Its converging AIoT, XReality, neurotech, and nanobiotech and their applications, challenges, and risks. *Smart Cities*, 6(3), 1345–1384.

رابعًا: مواقع الإنترنت

1- Meta Reports. (2023). Horizon Worlds: User Experience and Community Trends. Meta Platforms Inc. متاح عبر: https://about.meta.com (تاريخ الدخول: 29 يوليو 2025).
2- Meta Platforms, Inc. (2023–2025). Horizon Worlds. Wikipedia. تم الاسترجاع في 29 يوليو 2025 من: https://en.wikipedia.org/wiki/Horizon_Worlds

International migration and its role promoting Local development in Moroccan society: Sociological study

Abdelali Kaidi
Ibn Tofail University-Faculty of Humanities and social Sciences - Kenitra- Morocco
adiladilmks2066@gmail.com

Abstract :

International interest in international migration and the migrant and the major problems that result from them is linked to the positive roles that the migrant provides in many and economic, social and cultural fields for the benefit of this country of origin, in an attempt to achieve a kind of economic and social development and welfare for the benefit of the families to which he belongs and for the mother country in order to create and enhance the local development of the Country as well as to contribute effectively to raising the national economy by attracting investment to the country, in order to create economic recovery and of crystallize progress and growth, through the process of financial transfers, and this make the country able to live in a new style based on development and an enhancing productive capacity and contributing to the new development model in Morocco

Keywords: International Migration - Local development- The country of origin- Host country- Investment- Money Transfers.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الهجرة الدولية ودورها في تعزيز التنمية المحلية بالمجتمع المغربي: دراسة سوسيولوجية

عبد العالي قايدي
جامعة ابن طفيل– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — القنيطرة – المغرب
adiladilmks2066@gmail.com

ملخص:

ارتبط الاهتمام الدولي بالهجرة الدولية والمهاجر وما يترتب عنهما من إشكالات كبرى بما يقدمه المهاجر من أدوار إيجابية في الكثير من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لصالح بلده الأصلي، في محاولة منه لتحقيق نوع من التطور ولرفاه الاقتصادي والاجتماعي لصالح الأسر التي ينتمي إليها وللبلد الأم، بغية خلق وتعزيز التنمية المحلية للبلد، وكذا المساهمة الفعالة انتعاش في الرفع من الاقتصاد الوطني عن طريق جلب الاستثمار للوطن، من أجل خلق انتعاش اقتصادي وبلورة التقدم والنمو من خلال عملية التحويلات المالية ، وبالتالي جعل البلد قادر على أن يعيش على نمط جديد على أساس التطور وتعزيز القدرة الإنتاجية والمساهمة في النموذج التنموي الجديد بالمغرب.

الكلمات المفتاحية: الهجرة الدولية – التنمية المحلية – البلد الأصلي – البلد المضيف – الاستثمار – التحويلات المالية.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03-2025/06

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

ارتبطت ظاهرة الهجرة بالإنسان منذ وجوده على الأرض وكان لها تأثير كبير في المجتمع الذي خرجت منه و المجتمع الذي انتهت إليه على حد سواء. و الهجرة سلوك فطري في الإنسان، وهي في مفهومها العام، وفي سياقاتها السوسيو تاريخية، حركية لتنقل الناس، بحثا عما يطمحون الحصول عليه وعما يعتقدون أنه الأحسن في مجال العيش، من الجنوب إلى الشمال، وأيضاً من الشمال إلى الشمال، فالأسباب الرئيسية للهجرة متعددة ومختلفة حسب حاجة كل مجتمع، نظرا للتعاطي الذي تعرفه العوامل المتعددة التي تدفع إليها. كما يمكن أن تعطينا في الآن نفسه فكرة عن مختلف القوى التي تعمل وراء ظاهرة الهجرة . كما كان لما دور إيجابي في تعزيز عملية التنمية المحلية بالمجتمع المغربي على وجه الخصوص وجلب الكثير من المنافع إليه، فقد تعمل على تدعيم النمو الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي للبلد وتساهم في تطويره، كما أنها تلعب دورا هاما في إغناء الثقافات والحضارات المحلية، وذلك من خلال ما يقدمه المهاجرون لبلدهم الأصلي، فالهجرة مختلف عبر مختلف بقاع العالم سواء إلى البلدان الأوروبية أو البلدان الأمريكية أو حتى إلى دول الخليج، فهي آلية من آليات الدفع بالمهاجرين المغاربة بشكل خاص إلى الرفع من مستوى نمط عيشهم وتطوير المجتمع الذي ينتمون إليه من خلال الربح الوفير الذي يحصلون عليه والمتمثل في العملة الصعبة التي يرسلونها إلى بلدهم الأصلي واستثمارها بشكل محلي سواء في إنشاء مشاريع مدرة للدخل أو عبر إعالة أسرهم ومحيطهم الذي ينتمون إليه كلها مداخل هامة تساهم في تعزيز التنمية المحلية بالمجتمع المغربي وجعله يعرف نوع من التطور والتقدم السريع بفضل ما يقدمه هؤلاء المهاجرون لمجتمعهم عبر تحويل الأموال من البلد المضيف إلى البلد الأصلي، بالتالي الاستفادة الايجابية عبر توفير ملائم للاستثمار على أساس إحداث الظروف الملائمة لاستقطاب هؤلاء المهاجرين إلى المغرب باعتبارهم رافد من روافد الانتعاش السوسيو اقتصادي، وتعزيز التنمية المحلية بالمغرب، هذا الانتعاش المرتبط بما يقدمه المهاجرون من خلال ما يحصلون عليه من مداخل آتية من نشاطاتهم الشخصية إما عبر العمل القار أو التجارة .. الخ...، يتم تحويلها عن طريق الحوالات المالية للبلد الأصلي من أجل خلق فرص الشغل عبر تطوير الاستثمارات في العديد من المجالات والميادين التي يمكن أنا تعود بالنفع وبالإيجابية للمجتمع المحلي والمساهمة في خلق التنمية المحلية الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق جزء من لرفاه الاجتماعي للبلد. فهذه المداخل المعتادة التي يتوفر عليها هؤلاء المهاجرون عبر مختلف بقاع العالم يمكن أن تساهم في النمو الاقتصادي الذي من خلاله يعمل المهاجر للرجوع والعودة إلى بلده الأصلي

على أساس حلم الاستثمار وخلق فرص جاذبة لصالح البلد الأصلي، وذلك من خلال التوفر على رأس مال محترم تم الحصول عليه من بلاد المهجر، كل ذلك ساهم بشكل أو بأخر في تعزيز التنمية المحلية ومدى تعزيز الاقتصاد الوطني والرفع من وتيرته، وبالتالي تقليص الفوارق السوسيو مجاليه وحتى الثقافية والاقتصادية في ارتباط الأسرة بذلك للعيش على نمط آخر وحالة من اليسر ولرفاه الاجتماعي للبلد الأصلي.

أولا: الهجرة الدولية كثقافة لدى المهاجرين

ارتبط تاريخ المجتمعات بالتدفقات الهجرية من خلال الفتوحات وتكوين الدول والاستعمار وقد احدث هذا كله على مر الزمن مدارات وشبكات هجرية تطورت على إيقاع التحولات الظرفية، وتمخض عنها "عولمة الهجرات " وزيادة عدد الدول الموفدة والمستقبلة و دول العبور لتعدى عدد المهاجرين في العالم حوالي (243) مليون شخص، وتشكل البلدان مجالا لهذه الحركات الهجرية خاصة في فئة الأشخاص الناشطون، ولعل هذه الأهمية التي تكتسبيها الهجرة أصبحت الطريق الأساسي أمام هؤلاء المهاجرين خاصة المغاربة منهم (عبدالعالي قايدي، 2021ً،ص32).

فهذه الهجرة الدولية يمكن أن تبرز تعريف الثروة الحالية للرأسمالية بثورة الحركة البشرية، وبناء على هذه الأهمية أصبحت الهجرة الدولية الموضوع الرئيسي لدى الباحثين والمهتمين،حضيت باهتمام واسع وساهمت في تطور الاقتصاد الوطني المغربي على الخصوص من خلال التحولات المالية التي عرفها المغرب التي بلغت منه سنة (2024) حواليى(117.7) مليار درهم، كلها مؤشرات مهمة للدفع بالتنمية المحلية التي يلعب فيها المهاجرون المغاربة دورا أساسيا من خلال ما يحملونه من أحلام يحملونها تجاه البلد الذي هاجرو إليه، ومما لا شك فيه أن هؤلاء المهاجرون يعتبرون الحركة الفعلية للنمو السوسيو اقتصادي لبلدهم الأم في الوقت الذي تزداد فيه التفاوتات السكانية والاقتصادية بين الدول الغنية وتلك السائرة في طريق النمو ومنها الدول العربية، وبخصوص المغرب. في ظل هذه المعطيات تبرز الهجرة الدولية كتوجه لدى المهاجرون بحيث يبنى عليها طموحات وأحلام التي يحملونها تجاه البلد باعتبارها رهان أساسي في العلاقات بين الدول المستقبلية،(محمد الخشابي،2017،ص36). يؤكد هذه الظاهرة باعتبارها آلية من آليات النجاح والكسب، وهي الباب الذي يروج حولها من مميزات اقتصادية واجتماعية وما تلعبه من ادوار مهمة في التنمية ومحاربة الفقر وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك عبر العمل على التحصل المالي كهدف وكغاية بنيت على أساسه هذه الثقافة الهجرية التي ربما وقعت حاجزا أمام حتى على استكمال مسارهم الدراسي في بلدهم الأصلي،

والهجرة الدولية اليوم أصبحت كثقافة لدي الكثير من الشباب لأن الأمن تعدى الأسباب المعروفة وأصبح حتى من يتوفرون على الشغل في بلدهم الأم بالمغرب، أصبحوا يطمحون أحيانا إلى الهجرة. وواكب ذلك مواقف مجتمعية مثمنة للظاهرة حتى بالنسبة إلى الإناث اللاتي يهاجون خارج إطار التجمع الأسري.(محمد الخشاب،2017،ص36). سواء تجاه أمريكا أو أوروبا أو حتى إلى دول الخليج كل ذلك ساهم في تعزز هذه الثقافة المكتسبة لدى المهاجرين المغاربة، فالهجرة الدولية تكون دائما لديهم نحو الطموح وتحقيقه بفعل الانجذاب والانفعال نحو شيء معين كما أنه مفهوم قد يرتبط بالفرد أو الجماعة. مما تجدر الإشارة إليه مع ينبثق عن مفهوم الحاجات فالحاجات هي كل ما ينقص الإنسان و يشعر بالحرمان إزاءه والحاجة ترتبط بمستويات عديدة ومختلفة كالضرورة والمطلب والمنفعة وكذلك بنوعيتها كالحاجة البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية والمادية، فالتطلعات تنبثق عن الحاجات في إطار ميكانيزمات وآليات التطور والنمو الفردي و المجتمعي،(مصطفى حدية، 1996،ص2). الذي على أساسه يمكن أن تتحقق التنمية لدى البلد الأصلي.

ثانيا: انعكاسات الهجرة الدولية على الفرد والجماعة

هذه الانعكاسات التي تفرزها الهجرة الدولية لا تنعكس فقط على حياة المهاجرين ، وإنما لها انعكاسات أخرى سلبية وإيجابية على حياة الساكنة من غير المهاجرين، فعندما يقرر والأشخاص عبور الحدود الدولية والإقامة في بلدهم غير بلدهم الأصلي، فإن حياتهم الشخصية وحياة عائلتهم التي تبقى في بلد الأم ستتغير جذريا ليس من الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي فحسب، وإنما حتى على الجانب النفسي والسيكولوجي والثقافي . وينطبق هذا أيضا على الأشخاص الذين يعيشون معهم ويتواصلون معهم في أماكن ومناطق الإقامة

وتظهر الهجرة الدولية نفسها في كل زاوية أو ركن من أركان العالم، وتتحول مجتمعات و بأكملها نتيجة استمرار تيار حركة الأشخاص سواء المغادرين بلدانهم أو الداخلين إلى بلدان أخرى. وينطبق هذا على سبيل المثال على البلدان العربية التي تشرك بقوة في الهجرة الدولية، سواء المرسلة منها المهاجرين أو المستقبلة لهم.

على عكس التأثيرات السلبية، أعطيت التأثيرات الإيجابية للهجرة الدولية اهتماما أقل، كما أن التأثيرات السلبية لا يمكن إنكارها، فهي في حاجة إلى التوازن مع التأثيرات الإيجابية التي تشمل دخل التحويلات، والمضاعفات الاقتصادية التي يبدو أنها تزيد من إنتاجية الزراعة، وتقلل الفقر وتحدث محفزات الاستثمار في

التعليم والصحة، والتي تعتبرها بعض الدراسات بشكل عام على أنها تصب في الرفع من المرد ودية وتعزيز الإنتاجية بشكل ملموس.

إن للهجرة الدولية منافع كثيرة على البلد الأصلي، التأثير الإيجابي للتحويلات المالية التي يستفيد منها كل بلد على حساب مهاجريه وخاصة المغرب وذلك من خلال التحويلات المالية التي يقوم بها هؤلاء المهاجرين المغاربة في مختلف بقاع العالم التي بلغت خلال السنة المنصرمة حوالي (117.7) مليار درهم من عائدات المهاجرين، الشيء الذي ساهم بشكل كبير من الرفع بالاقتصاد الوطني وتحسين الظروف الاجتماعية للأسر التي ينتمي إليها هؤلاء المهاجرين فضلا عن تحقيق نوع من التطور داخل البلد والمساهمة في التنمية المحلية، كذلك زيادة احتياطي العملات الأجنبية وتحسين ميزان المدفوعات للبلد الأصلي، وكذلك انتقال المعرفة والمهارات عند عودة المهاجرين إلى أوطانهم، سواء كان ذلك بشكل مؤقت أو دائم وعلى أساس افتراضي أو مادي. كما تخفف الهجرة أيضا، من ظاهرة البطالة، وتزيد من مستويات المشاريع المحلية عبر خلق فرص جديدة أمام القطاع الخاص ليستفيد منه أشخاص آخرين بالمغرب.

إضافة إلى ذلك، غالبا ما يسهم المهاجرون المغاربة على وجه الخصوص عملية التحديث الوطني والمحلي في والديمقراطية وحقوق الإنسان، سواء كانوا في الخارج أو عند عودتهم إلى وطنهم بشكل نهائي. كما يمكن آن تؤدي الهجرة أيضا إلى تمكين المرأة، والمجموعات الأخرى من حقوقها التي تعاني وضعا اجتماعياً أضعف في بلد الأصل، بشرط أن تتوفر الإجراءات الوقائية الكافية لمنع استغلال هذه المجموعات (كالعمال و العاملات في القطاعات التي تفتقد لمواثيق عمل ناظمة لها كخادمة البيوت والعمل في الضيعات الفلاحية والمقاهي والمطاعم ... الخ...، علماً أن العمل في هذه القطاعات أصبح معروفاً و شائعا عدد من البلدان خاصة منها العربية كدول الخليج على سبيل المثال. ويمكن أن تعود الهجرة الدولية سواء المؤقتة منها أو الدائمة بالنفع على المهاجرين أنفسهم، كتوافر الفرصة لتحقيق التنمية الذاتية والمهنية مثل اكتساب المهارات والمعرفة، والاتصال، واكتشاف ثقافات جديدة، وتمكنهم من المساهمة بصفة ملموسة في تنمية أوطانهم وأسرهم عبر التحويلات المالية والمهارات ونقل المعرفة، كذلك تساعد الهجرة هنا في خفض التكلفة الاجتماعية الناتجة عن الادخار السنوي لكل مهاجر وما يساهم به من نسب مهمة من اقتصاد وطنيا ومحلي لصالح بلده الأصلي على أساس الرفع من الناتج الداخلي الخام والرفع من وثيرة التنمية المحلية بالأساس للبلد الأم(نعمة فياض هشام، 2022،ص5).

ثالثا: الهجرة والتنمية أية علاقة

تراهن التنمية على التغيير الإيجابي والهيكلي القادر على الاستمرار والديمومة وهي بذلك ليست قالباً جامداً أو آلية ثابتة، بل هي متغيرة بتغير معطياتها وظروفها والعوامل المساهمة فيها والنتائج المرجوة منها. إذا يعتبر مفهوم التنمية هنا في علاقته بالهجرة مفهوما متحركا، تبعا لتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية وتغير المجال والزمن والمكان بشكل أو بآخر.

ويؤدي المهاجرون هنا دورا متزايدا ومهما في تعبئة الموارد البشرية والاجتماعية والرفع من وثيرة الاقتصاد المحلي والوطني، لتعزيز التنمية في بلدانهم الأصلية، وعززت مثل هذه البلدان علاقاتها برعاياها في الخارج بطرائق، من بينها تعزيز مشاركتهم السياسية، وتشجيع إسهامهم في التجارة والاستثمار وتوفير المساعدة القانونية والتدريب، وتوفر الجهات المانعة على المستوى الثنائي التمويل والدعم التقني لمشاريع التنمية المشتركة حاليا في تبني استراتيجيات جديدة ومبتكرة لتسخير قدرات المهاجرين و كفاءتهم في مجال مباشرة الأعمال الحرة، في حين ازداد الوعي بالعقبات التي تواجه المهاجرين من أصحاب الأعمال الحرة عند الرجوع إلى موطنهم الأصلي أي البلد الأم.

من خلال هذا التحليل السوسيو اقتصادي لمفهوم الهجرة وعلاقتها بالتنمية يمكن أن نكتشف في هذا المستوى نقصا من الحقائق :

أولا: ترافق الهجرة الأكبر في المعتاد مع الاقتصاد الأكبر، بذلك ثمة نزعة، إلى جانب الهجرة بالنسبة إلى الأفراد المهاجرين والحكومات إلى السعي لتعميم النمو الاقتصادي ورفع وتيرة التنمية بالمغرب خاصة في المناطق النائية، ثانيا: يكون المهاجرون الذين يتوفرون على أجور أعلى وفرص أكثر في بلدان المقصد هم الرابحين الأساسيين من الهجرة الدولية، ويزيد وجودهم من الحجم الصافي للاقتصاد، علماً أن التأثيرات السوسيو اقتصادية للمهاجرين تتوزع لتؤثر في الأجور والأرباح.

ثالثا:، تعني الهجرة الدولية في البلدان المضيفة للمهاجرين، كالولايات المتحدة مثلا أو فرنسا أو اسبانيا وإيطاليا وبلجيكا وكندا إنفاق جزء من أموال الضرائب للسيطرة على الهجرة لجعلها تحت المستوى الذي ستصل إليه مع قليل من الضوابط أو من دونها .

لقد باتت الهجرة الدولية للعمال المهاجرون مكونا مهما من مكونات التنمية والتحديث والتطور الاقتصادي في البلدان، الأقل تطوراً، وبالتالي هنا يمكن أن نقول بأن الهجرة الدولية لها ارتباط وثيق مع

التنمية، فالتنمية تشكل الهجرة والهجرة في المقابل تؤثر في التنمية بشكل عام(نعمة فياض هشام، 2022،ص3).

رابعا: الهجرة الدولية والمستفيدون منها

المهاجرون هم أكبر الرابحين من الهجرة. المكاسب الكبيرة تتراكم نتيجة الانتقال من بلد تدفع فيه للعمال أجور قليلة إلى بلد يدفع مبالغ أكبر، إن الفرق في حجم الأجور بين بلد غنى وبلد فقير : هو مرآة عاكسة للفجوة الإجمالية للدخل في العالم الغني ضمن منظمة الاقتصاد والتعاون والتنمية والمليار فقير في العالم. فالمهاجرون الذين يهاجرون إلى بلدان أخرى لديهم حافز حقيقي هو الذي يجعلهم للقيام بالهرب من تلك النواحي في بلدهم الذي يجعل الناس يعانون إنتاجية قليلة ضمن السياق نفسه. إذ كان للهجرة تأثير جوهري في بلدان الأصل. فهو يتمثل في الحث على تغيير نماذجهم الاجتماعية .

في حقيقة الأمر هو أن المهاجر يتنقل من بيئة نموذج اجتماعي إلى مجتمع مختل أكثر فاعلية يمكن أن يزيد إنتاجية ذلك العامل ويضاعفها إلى عشرة أضعاف. هذا السياق في التضاعف يفوق أي عملية أخرى يمكن أن تزداد فيه الإنتاجية على النطاق العالمي تتيح البحوث التكنولوجية الهائلة أن الإنتاجية تحقق زيادة طفيفة من خلال بضع نقاط في النسب المئوية لكل سنة. فهذه الطفرة الإنتاجية والتي يستفيد منها المهاجرون تتحقق بصعوبة، هذا هو السبب الذي يجعل الاقتصاديين يشعرون بالحماس نحو تصاعد الهجرة فهي أشبه الحلول الاقتصادية العالمية بوجبة مجانية.

يستفيد المهاجرون في جل دول العالم من امتيازات كثيرة سواء من حيث الدخل الشهري أو الحقوق المتعلقة حسب مدونة الشغل لدى الأجانب، إضافة السكن والتعليم والتطبيب كل هذه الحوافز ساهمت بشكل أو بآخر في الرفع من مستوى نمط العيش لدى هؤلاء المهاجرين وخاصة المغاربة منهم سواء في أوروبا أو أمريكا وحتى في دول الخليج بحيث أنهم يحصلون على رواتب محفزة مقارنة مع البلد الأصلي تمكنهم من القدرة على تحقيق أهداف كانت مبرمجة في حياتهم أثناء العودة إلى البلد الأصلي أو عن طريق إرسال هذه الأموال لعائلتهم لتحسين مستوى العيش والانتقال من حال إلى حال آخر فمثلا المهاجرات المغربيات اللاتي يهاجرن إلى إسبانيا كهجرة موسمية لمدة بين أربعة إلى خمسة أشهر للعمل في حقول الفراولة يكسبون مبالغ مهمة بشكل يومي خلال تلك الفترة التي تصل أحيانا إلى (800) درهم مغربية أي ما يعادل (80) أورو لليوم الواحد، هو مبلغ يمكن له أن يغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعائلات وتحسين نمط الحياة في

البلد الأصلي بمعنى القدرة على الاستثمار انطلاقا من ما يجنونه من أموال يحملون عليها خلال هذه الفترة من العمل الموسمي.

جل المهاجرات في هذا الإطار مع توالى سنوات العمل في إسبانيا أصبح بمقدورهن الانخراط في مسلسل التنمية . والدفع بها نحو التقدم ويتجلى ذلك في بناء منازل ببلدهم الأصلي بمواصفات جيدة تتماشى مع خصوصيات السكن الأنيق الذي يليق بكرامة الإنسان بعدما كانوا يسكنون أحياء الصفيح ومنازل تهين كرامتهم إضافة إلى إنشاء مشاريع تنموية داخل البلد الأصلي تستفيد منها الدولة أو الجهات المعنية طبعا كل ذلك بمساعدة المؤسسات الداعمة في هذا المجال عبر تسهيل لتحقيق هذه المشاريع والدفع بها نحو النجاح بالبلد الأصلي.

هذه الهجرة الدولية سواء كانت موسمية أو دائمة تبقى دائما العامل الأهم الذي يعول عليه للرفع من الاقتصاد بالبلد الأصلي الذي ينتمي إليه هؤلاء المهاجرون فمن خلالها يستفيد هؤلاء بناء على المكاسب التي يحصلون عليها بالبلد المضيف، وبالتالي فالمستفيدون من ذالك لا ينحصر فقط في جانب المهاجرون فحسب في طريقة التصرف في الأموال التي يحصلون عليها ببلاد المهجر وكيفية إنفاقها واستثمارها بل حتى البلد الأصلي بدوره له نصيب في هذا الشأن بحيث يستفيد من العملة التي تدخل إلى البلد باعتبارها آلية للرفع من الاقتصاد المغربي والاقتطاعات البنكية إضافة إلى الضرائب التي يؤديها هؤلاء المهاجرون على تلك الاستثمارات القائمة في بلدهم، كل ذلك يمكن أن يساهم بشكل أو بآخر في خلق فرص شغل أخرى للشباب العاطل عن العمل انطلاقا من هذه الاستثمارات والتي أساسها التحويلات المالية إليها خلفها المهاجرون والتي تمثل نسبة مهمٌ من الناتج الداخلي الخام كما أنها رافعة للتنمية وتمكن البلد من احتلال مراتب مشرفة ومهمة في الاقتصاد العالمي، وبالتالي فالمهاجرون ببلاد المهجر يبقون الحلقة المهمة في نمو البلد الأصلي ومدى استفادتهم مما يحصلون عليه.

الهجرة تدل على منافع أكبر يمكن أن تعود بها على البلد المنشأ، ويمكن لها أن تقلل من البطالة ومن نقص العمالة ، و أن تساهم في الحد من وتيرة الفقر والهشاشة، وبواسطة السياسات الداعمة المناسبة يمكن لها أن تعزز التنمية الاجتماعية والاقتصادية في نطاق أوسع بطرق شتى في بلدان الأم فعلى سبيل المثال توفر التحويلات المالية مصدراً أقل تقلباً وأكثر ثقة للعمالة الأجنبية من التدفقات الرأسمالية الأخرى في كثير من البلدان النامية(وكالة الأمم المتحدة للهجرة،2018،ص 20).

خامسا: المهاجرون والتحويلات المالية

تساهم التحويلات المالية التي يقوم بها المهاجرون من الدول المستقبلة تجاه البلد الأصلي في خلق نمو اقتصادي والحد من نسبة الفقر خاصة على مستوى الأسر المعيشية. وكذالك من حيث كونها إستراتيجية لتخفيف، المخاطر عن طريق تنويع مصادر الدخل، بحيث أنه يمكن أن تدعم وتطور القدرة الإنتاجية عبر تشجيع الاستثمار، فالواقع أن التحويلات المالية التي يقوم بها هؤلاء المهاجرون تشكل مصدرا من مصادر التمويل الأجنبي الذي يساهم فيه المهاجرون صالح بلدهم الأصلي المغرب، التي من شأنها تعزيز وتيرة تراكم الرأسمال المادي والبشري، وبالإضافة إلى ذلك ، تمويل التحويلات المالية إلى زيادة توفير الأموال لذا النظام المحلي، مما يسهل على الأسر المعيشية التي تتلقى تلك التمويلات إلى جانب ذلك يمكن أن تخفف هذه التحويلات من الضيق المالي الذي تعانيه الأسر المعيشية المتلقية خاصة تلك التي تعيش في الأرياف والتي لا تحصل على خدمات جيدة من الوسطاء الماليين الموجودين(تقرير أقل البلدان نموا، 2012، ص16).

يبدو وأن هناك اتفاقاً عاماً على أن السياسات التكميلية والمؤسسات السليمة تؤدي دورها في تعزيز الأثر الإنمائي للتحويلات المالية من أجل خلق آفاق واعدة للبلد الأصلي بالمغرب بشراكة مع مداخل المهاجرين ومدى مساهماتهم الفعلية في التنمية المحلية باعتبارهم ما فاعلين حقيقيين في خلق الاستثمار بالمغرب بغية كسب الرهانات المستقبلية و جعل المغرب في المستقبل رائدا في مجال الاستثمار بفضل العملة الأجنبية التي يأتي بها المهاجرون في إطار نوع من التكافل الاجتماعي سواء للأسر أو للمجتمع ككل. وعلى العموم فإن إمكانيات أن تؤدى التحويلات المالية إلى تحصين تراكما لرأسمال المادي والبشري معا والتنمية المالية هي أمر في حكم المؤكد بغية الدفع بالمجتمع المغرب إلى مراتب متقدمة اجتماعيا واقتصاديا خاصة في حالة ما إذا كانت تتلقى أكبر حصة من مالية للأسر المغربية الفقيرة و تلك التي تكون فرص حصولها على القروض محدودة. ومن الواضح في هذا الشأن أن الأقل البلدان نموا التي تعاني من ندرة الرساميل مكاسب كبيرة تحققها من الأثر المحتمل للتحويلات المالية على التنمية. طبعا كل ذالك بفضل عملية الهجرة الدولية التي عادت وتعود بالنفع على البلد الأصلي بتعاون مع المؤسسات المعنية التي تسهل ذلك من أجل استفادة البلد من هذه التحويلات المالية باعتبارها رافعة للتنمية المحلية بالمغرب.

وتبدو تحويلات المهاجرين سواء كانت موجهة إلى الاستهلاك أو الاستثمار أقل تقلبا من تدفقات رأس المال وفي واقع الأمر تنمو هذه التحولات نحو الازدياد في أوقات الشدائد الاقتصادية لأن الأسر تعتمد عليها

باعتبارها مصدر دخل رئيسي، ولأن أكثر الناس يهاجرون على الأرجح للعمل خلال هذه الأوقات. والمهاجرون الذين يستثمرون في بلدانهم أيسر حال من المستثمرين الأجانب ويبدوا أيضا أنهم أقل تأثيراً بالظروف الاقتصادية الضارة. وأشار البنك الدولي إلى التحويلات المالية أنها استخدمت كضمان لاقتصاد السوق(مكتب العمل الدولي، 2003،ص 23).

التحويلات المالية التي يرسلها المهاجرون المغاربة إلى البلد الأم تلعب دور المساهم في الانفتاح على الاقتصاد العالمي وإتباع نظم الحرية الاقتصادية في تنشيط رؤوس الأموال من الخارج إلى داخل المغرب، وهو ما يعزز ثقة المستثمرين المهاجرين الشباب في الاقتصاد وزيادة معدلات الاستفادة من انتقالات رؤوس الأموال ونقل التكنولوجيا الحديثة بين الدول لذا صارت الاستثمارات المباشرة التي يملكها المهاجرون بفضل التحويلات المالية بناء على الهجرة الدولية التي تمثل مصدراً رئيسياً للتمويل فى الدول النامية، كما أن المستثمرون المهاجرون سواء المباشرين أو غير المباشرين هم كذلك أهداف ودوافع من تدويل أنشطتهم كما أن الحكومات التي تشجع الاستثمار في المغرب من طرف المهاجرين الشاب تهدف من وراء ذلك إلى تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية مما يعني أن الاستثمارات المباشرة تحكمها مصالح مشتركة بين طرفي الاستثمار وتعتمد درجة استفادة كل طرف إلى حد كبير على سياسات وممارسات الطرف الآخر بشأن نوع و طبيعة الاستثمار الذي يمثل جوهر العلاقة بين المؤسسات المعنية والمهاجرين الذين يمثلون الأهمية الكبيرة للبلد الأصلي، باعتبارهم أساسيين لعملية التنمية المحلية والاجتماعية والاقتصادية سواء على مستوى إعالة الأسر المعيشية أو على مستوى استفادة الحكومة من العملة الصعبة التي يرسلونها إلى بلدهم ، و بالتالي فكل ما يقوم به هؤلاء المهاجرون في إطار الهجرة الدولية من تحويلات مالية تجاه بلدهم الأصلي ما هي إلا مبادرة جد إيجابية تجعل البلد في قائمة البلدان السائرة في طريق النمو و تعزيز نوع من التنمية في البلد الأصلي ومواكبة سير التقدم والتطور.

1 مقترحات عملية لتعزيز استثمار تحويلات المهاجرين

لعل ما يجعل المهاجر سواء كان من المغرب أو من بلد أخر يفكر في استثمارا الرأسمال الذي حصل عليه في إطار الهجرة الدولية هو الخوف من عدم وجود أرضية مناسبة للاستثمار ومع ايجابية وسلبيات ذلك يبقى دائما التفكير الايجابي والسوي هو سيد الموقف الذي يجعل الكثير من هؤلاء المهاجرين يرحلون إلى بلدهم الأصل للاستثمار فيها أو إرسال الأموال للبلد الأصلي لصالح عائلاتهم بغية استثمارها في مجالات عديدة

كمساعدة أفراد الأسرة على الدراسة و بناء منازل، إلى غير ذلك من المشاريع التي تعود بالنفع على أسرهم وعلى البلد ككل، لكن مع ذلك تبقى هناك بعض الاكراهات التقنية والإدارية التي نجدها دائما تعرقل سير التقدم أو تقدمها مما يساهم في نوع من التراجع والحماس لدى هؤلاء المهاجرون المغاربة في المساهمة في تطوير بلدهم، و ذلك من خلال تلك الاقتطاعات التي يتم اقتطاعا خلال عملية التحويل من عملة إلى أخرى، هذا بالإضافة إلى بعض المساطر الإدارية التي لا يتحملها هؤلاء المستثمرون، في الوقت الذي يجب على الدولة تسهيل هذه المساطر كتوفير الدعم اللازم لهؤلاء وتشجيعهم عبر خلق شراكة فعلية بينهم وبين مؤسسات التكوين المهني و منحهم قروض أخرى لتطوير المشاريع ومنحهم فضاء بالمجان أو بأثمنة رمزية لهؤلاء بغية تسريع عملية الاستثمار، وكذالك إعفائهم من الضرائب بشكل نهائي، وبالتالي فهذه الاقتراحات في حالة ما إذا تم تفعيلها مما لا شك فإن المستثمرون الأجانب خاصة من أبناء الوطن سيتوافدون بكثرة للاستثمار بالمغرب في العديد من القطاعات سواء في القطاع الفلاحة أو التجارة...الخ...، وهذا ما سيعزز من فرص العمل الدائم عبر توفير الشغل للشباب خاصة من حاملي الشهادات، الشيء الذي يمكن أن يضمن كرامتهم ويعزز من قدرتهم الشرائية وجعل مفهوم التنمية المحلية حاضراً في حالة ما إذا تحقق كل هذه الاقتراحات على أرض الواقع.

خاتمة :

لعبت الهجرة الدولية دورا محوريا في تطوير المجتمعات ورقيها بإيجابياتها وسلبياتها، من آلية من آليات الدفع بعجلة التنمية المحلية تجاه الأفضل وتحريك الدورة الاقتصادية وتحسين مستوى العيش لدى المجتمعات الأصلية، طبعا كل ذلك لا يتأتى عن فراغ وإنما عن طريق ما يقدمه وما يساهم به المهاجرون المغاربة تجاه بلدهم الأم على و وجه الخصوص بناء على عملهم الجاد والتحصيل المالي بديار المهجر ما ينتج عنه نموا فى الدخل وتراكم رأس مال يمكنهم من التفكير في إرساله للبلد الأصلي ولعائلتهم من أجل الاستفادة منه بتوظيفه في الإنفاق اليومي وتحسين نمط العيش وخلق مشاريع تعود على البلد بالنفع وذلك من خلال تلك التحويلات المالية التي يقومون بها بمساعدة المؤسسات الداعمة لهذه المبادرة التنموية التي تدخل في إطار الهجرة الدولية، في واقع الأمر هذه الأخيرة حققت نموا اقتصاديا خاصة خلال الآونة الأخيرة بمعدل بلغ (117.7)مليار درهم، مما ساهم في الرفع من مستوى الناتج الداخلي الخام بالبلد.

وهذه التحويلات التي يقوم بها المهاجرون تجاه بلدهم الأصلي ما هي إلا إستراتيجية لتحقيق التقدم والنمو ودعم القدرة الإنتاجية عبر خلق فرص الاستثمار التي نلاحظها في طنجة والدار البيضاء واكادير...، بالإضافة إلى ذلك تعتبر الهجرة الدولية مصدراً هاما أكثر لتراكم الرأسمال الذي يتم إرساله عبر التحويلات المالية التي توفر المال للبلد الأصلي، مما سهل على الأسر والبلد الخروج من الضيق المالي الذي تعاني منه، وبالتالي فإن هؤلاء المهاجرون في إطار الهجرة الدولية قد لعبوا ويلعبون أدوار طلائعية في عملية التنمية المحلية على وجه الخصوص، وجعل المغرب بشكل عام يعرف نوع من التطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي عبر توالي سنوات العمل الجاد وذلك في إطار النموذج التنموي الجديد لتحسين مستوى عيش الساكنة المحلية والانتقال من وضع اجتماعي واقتصادي معين إلى وضع آخر يضمن ديمومة واستمرارية واستقرار المجتمع بشكل يتماشى مع نمط عيش المجتمعات الأخرى.

لقد أوضحت نتائج الدراسة التي قمنا بها حول موضوع الهجرة الدولية ودورها في تعزيز التنمية المحلية بالمجتمع المغربي أنها قد ساهمت في الرفع مستوى نمط العيش لدى نسبة مهمة من الأسر الفقيرة خاصة في العديد من المدن المعروفة بالهجرة كالناظور وبني ملال وطنجة... الخ، هي بالخصوص مجالات تضم أكبر عدد من المهاجرين في دول عديدة ساهموا بشكل كبير في تنمية مجتمعهم وإعالة أسرهم من خلال تلك التحويلات المالية التي يقومون بإرسالها إلى المغرب، بحيث أصبح بمقدور أفراد أسرهم إتمام الدراسة وبناء منازل راقية وإنشاء مشاريع مدرة للدخل كامتلاك الأراضي الفلاحية وبناء مقاهي كبيرة تعود بالنفع على هؤلاء المهاجرين وعلى الدولة المغربية وعلى المجتمع المحلي ، من خلال دفع الضرائب وشراء المواد الأولية للعمل وكذا تشغيل نسبة مهمة من الشاب العاطل، وذلك بنسب متفاوتة حسب المجال الذي ينتمي إليه كل مهاجر، لكن بالرغم من ذلك فالمهاجر في هذا الإطار لازال يتخبطون في العديد من المشاكل التي تجعلهم يعاني ، كتسديد الضرائب بمبالغ كبيرة وغلاء العقار والإجراءات الإدارية التي لازالت تعطل تلك المشاريع إلى غير ذالك من الأمور التي تجعل المهاجر المغربي يسرع من وتيرة الاستثمار وجعل البلد سائر في طريق النمو، وبالتالي يمكن أن يحدث نوع من التراجع في إنشاء هذه المشاريع أو التوقف عن تلك التحويلات المالية التي كان يرسلها إلى البلد الأصلي وبهذا سيحدث نوع من الكساد الاقتصادي والاجتماعي وتراجع نسبة مهمة من رؤوس الأموال الخارجية تجاه البلد الأصلي.

ما يمكن قوله في الأخير حسب هذه الدراسة المتعلقة بالهجرة الدولية والمهاجر ومدى مساهمته في تعزيز التنمية المحلية بالبلد الأصلي هو ضرورة العمل على هذه التنمية بشكل دائم و تخصيص غلاف مالي لدعم الباحثين ولمراكز البحث حول الهجرة الدولية باعتبارها رافد من روافد النمو والتطور والرفع من الناتج الداخلي الخام للبلد الأصلي، وكذا تسهيل عملية التحويلات المالية ومواكبة هؤلاء المهاجرين تقنيا وعلمياً لتطوير مشاريعهم بالمغرب مع ضرورة منح التسهيلات القانونية في ذلك، هذا فضلا على إنشاء مؤسسات خاصة بالهجرة والمهاجرين تقدم خدمات ورؤية مستقبلية في الاستثمار من خلال تعريفهم بالمشاريع الجديدة والتي لها إقبال كبير في الوقت الراهن كالاستثمار في المجال الرياضي والتكنولوجي... الخ..، كلها اقتراحات يمكن الأخذ بها بعين الاعتبار لنجاح مسلسل التنمية المحلية بالمغرب من خلال دعم المهاجر بشتى أنواع الدعم لتطوير البلد.

قائمة المصادر والمراجع

1. مصطفى، ح. (1996). تطلعات الشباب بين الواقع وآليات التحقيق، الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة فضالة المحمدية، العدد 59 ص2.

2. تقرير أقل بلدان نموا. (2012). تسخير التحويلات المالية ومعارف المغتربين لبناء القدرات الإنتاجية، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، نيويورك وجنيف.

3. عبد العالي، ق. (2021). ثقافة الاستثمار لدى الشباب المهاجر وانعكاسها على التنمية المحلية، مجلة تنمية الموارد البشرية للدراسات والأبحاث، المركز العربي الديمقراطي – برلين – ألمانيا ، العدد الثالث عشر،ص32.

4. محمد، ا .(2017). هجرة الشاب العربي إلى دول الاتحاد الأوروبي: قراءة نقدية في السياسة الأوروبية للهجرة، مجلة عمران العلوم الاجتماعية، العدد 21، ص 36.

5. مكتب العمل الدولي.(2022). نحو نهج عادل للعمال المهاجرين في الاقتصاد العالمي، مؤتمر العمل الدولي، جنيف.

6. نعمة، ف، هـ. (2022). العلاقة بين الهجرة الدولية والتنمية: من منظور البلدان المرسلة للمهاجرين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. https://www.dohainstitue.org.2025

7. وكالة الأمم المتحدة للهجرة. (2018). فهم الهجرة في عالم متغير يزداد ترابطا، تقرير الهجرة في العالم، 2017، المنظمة الدولية للهجرة، كوريا.

Training and its role in qualifing human resources in educational institutions

Ouki amel
University of abd elhamid mehri constantine2 algeria
Amel.ouki@univ-constantine2.dz

Abstract:

Human resource development is considered a basic requirement for any organisation ,as formation is one of the important topics that has occupied the minds of specialists in various fields such as work psychology ,sociology ,organizational sociology ,and professional sociology ,modern societies are teen to organize human resources as a basic element of production ,this is done by directing and training him and raising the level of his production efficiency and that the possibility of benefiting from him ,there are many diffirent points of view regarding defining the concept of human resource development ,given that a person invests himself through education and training to increase future income by increasing qualifications and gains throughout life for his reason,educational institutions ,especially school have worked to develop their humain resources by working on good training of inputs ,which helps in obtaining quality outputs.

Keywords: training;rehabilitation;human resources;educational institutions.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

التدريب ودوره في تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات التربوية

د.أمال عوكي
جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري –الجزائر–
Amel.ouki@univ-constantine2.dz

ملخص:

تعتبر تنمية الموارد البشرية من المتطلبات الأساسية لأي مؤسسة ، حيث يعد التكوين من المواضيع المهمة التي شغلت بال المختصين في مجالات مختلفة كعلم النفس العمل وعلم الاجتماع وعلم اجتماع التنظيم وعلم الاجتماع المهني، فالمجتمعات الحديثة تحرص على تنظيم المورد البشري باعتباره عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج ، وذلك بتوجيهه وتكوينه ورفع مستوى كفاءته الانتاجية وبالتالي امكانية الاستفادة منه ، حيث تعددت وتنوعت وجهات النظر حول تحديد مفهوم تنمية الموارد البشرية على اعتبار أن الانسان يستثمر في نفسه من خلال التعليم والتدريب لزيادة الدخل المستقبلي بواسطة زيادة المؤهلات والمكتسبات طوال الحياة. ولهذا السبب عملت المؤسسات التربوية وعلى رأسها المدرسة على تنمية مواردها البشرية من خلال العمل على التكوين الجيد للمدخلات بما يساعد في الحصول على مخرجات ذات جودة .

الكلمات المفتاحية: التدريب.، التأهيل.، الموارد البشرية.، المؤسسات التربوية.

مقدمة:

تعتبر تنمية الموارد البشرية من المتطلبات الأساسية لأي مؤسسة ، حيث يعد التكوين من المواضيع المهمة التي شغلت بال المختصين في مجالات مختلفة كعلم النفس العمل وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع المهني وعلم اجتماع التنطيم ،ف المجتمعات الحديثة تحرص على تنظيم المورد البشري باعتباره عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج وذلك بتوجيهه وتكوينه ورفع مستوى كفاءته الانتاجية ، وبالتالي امكانية الاستفادة منه .

حيث تعددت وتنوعت وجهات النظر حول تحديد مفهوم تنمية الموارد البشرية على اعتبار أن الانسان يستثمر في نفسه من خلال التعليم والتدريب لزيادة الدخل المستقبلي بواسطة زيادة المؤهلات والمكتسبات طوال الحياة .

وفي هذا الصدد برزت أهمية تأهيل المورد البشري وتبلورت قيمته وبالتحديد في بلدان العالم الثالث وذلك لسد حاجاتها من العمال المهرة قصد النهوض ببرامج التنمية ، فالمتوقع أن يحتل نشاط التكوين دورا كبيرا في تأهيل الموارد البشرية في مختلف المؤسسات ، وعلى وجه التحديد المؤسسات التربوية على اعتبار أن هذه المؤسسات تعمل على التكفل بالعنصر البشري من حيث إعداده وتكوينه وتدريبه ليقوم بالأدوار المتوقعة منه في المستقبل.

ونظرا للتغير الذي عرفته المجتمعات المتقدمة كان لزاما على الدول المتخلفة أن تسعى لمسايرة ذلك التقدم من خلال الاستثمار في العنصر البشري الذي يعد بمثابة رأس مال لا يقل أهمية عن رأس المال المادي .

ولهذا السبب عملت المؤسسات التربوية وعلى رأسها المدرسة على تنمية مواردها البشرية من خلال العمل على التكوين الجيد للمدخلات بما يساعد في الحصول على مخرجات ذات جودة.

وفي ضوء ما سبق ، ومن أجل تحقيق الهدف من هذه الورقة البحثية والتي تسعى الى معرفة مدى مساهمة التكوين في تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات التربوية .

أولا: المفاهيم الأساسية

1 مفهوم التكوين (التدريب)

لابد أن نعترف بان مفهوم التدريب (التكوين) لم يعد مفهوما تقليديا يقتصر على تنظيم الدورات التدريبية التقليدية ومنح شهادات الاعتبار.

إن كلمة تكوين هي ترجمة للكلمة الفرنسية ''formation'' وسوف نستعملها كمرادفة للتدريب ، وهي ترجمة للكلمة الانجليزية ''training '' وهي تستعمل في نفس المعنى.(غياث،1984،ص5)

هناك فرق بين التعليم والتعلم والتدريب، فالتعليم ما هو إلا زيادة مقدرة الفرد على التفكير بشكل منطقي وفهم وتفسير المعرفة للظاهرة ، أما التعلم فهو التغيرات السلوكية لدى الفرد والناتجة عن الخبرات التي يمر بها الفرد.

كما أن التعلم عند حسن القزاز يعني ذلك التغير الذي يتصف بالدوام النسبي في طاقة السلوك المختزن لدى الفرد والذي ينتج عن الخبرة أو الممارسة .(القزاز،1996،ص249)

كما يعرف التعليم بأنه يشتمل على درجة أعلى من الأساس المعرفي والمهارات الوظيفية ، والتدريب يشير إلى تعليم وتعلم عمل محدد .(الاغبري،1998،ص13)

والتدريب عند صلاح عباس يعني عملية من الأمية بمكان حيث لا يتم هكذا اعتباطيا وفي اي وقت ولكن لها ضرورة في المكان والزمان ،و يجب اللجوء إليها عند الحاجة الضرورية حتى لا تفقد أهميتها واهتمام المتدربين .(عباس،2006،ص13)

كما يعني أأضا ''بأنها عبارة عن عملية تعليم مبرمجة لملكات معينة بناء على معرفة ما يجري تطبيقه لغايات محددة تضمن التزام المتدربين بقواعد وإجراءات محددة .(الزغبي،1997،ص240)

يعرف أأضا على أنه''نوع من التعليم أو إكتساب المهارات والخبرات والمعارف المختلفة المتعلقة بمهنة معينة.''(الزغبي،1997،ص240)

وبذلك فالتكوين يعتبر نوعا من التعليم يكتسب من خلاله عدة كفاءات ومعارف تؤهل الاارد للقيام بمهنة معينة .

التكوين عند طارق كمال هو عملية تهدف إلى اتقان الصانع لعمله ، وتكيفه مع ظروف البيئة وذلك عن طريق التعليم والتعلم .(كمال،2007،ص61)

2 مفهوم الموارد البشرية

هي جميع الأفراد الذين يعيشون في بلد ما ، ويعبر عنهم احصائيا بعدد السكان ، وتضم 3 قطاعات بشرية هي قطاع المشتغلين ، قطاع المتعطلين ، قطاع الخارجين عن قوة العمل (عطية ،2012،ص245)

الموارد البشرية =العاملون+المتعطلون+الخارجون عن قوة العمل .

تعرف الموارد البشرية بأنها مجموعة من العمليات مثل التخطيط والتنظيم والتوجيه والمراقبة لكافة النواحي التي تتعلق بالأفراد، من أجل المحافظة عليهم وتنميتهم وتوعيتهم.(خليف،2019، www.mawdoo3.com)

وبعدما حددنا مفهوم التكوين والموارد البشرية ، سنحاول التطرق للتكوين من خلال تحديد أنواعه ومبادئه ،و ذلك فيما يلي.

ثانيا: التكوين ، أنواعه، مبادئه:

1 أنواع التكوين:

يمكن تصنيف هذه الأنواع المختلفة من التكوين(التدريب) بوجه عام على النحو التالي:

1.1 من حيث أهدافه:

1.1.1التكوين الحركي: هذا التكوين يعتمد على تعلم كيفية تشغيل الألات وبالتالي اكتساب مهارات في هذا المجال ، معناه لاجل اكتساب المهارات الحركية مثل كيفية تشغيل الآلات المختلفة كسياقة سيارة أو ادارة مثقاب كهربائي أو التصويب إلى هدف متحرك وغيرها .(كمال ،2007،ص62)

2.1.1 التكوين الاجتماعي: هذا النوع يمكن اكتساب مهارات وعادات وتقاليد خاصة بالمجتمعغ كتوفير مبدأ المشاركة في عمل ما .

هذا الأخير يهدف إلى اكتساب عادات اجتماعية واتجاهات نفسية مثلا، التعاون والتسامح بين الأفراد اضافة إلى المحافظة على المواعيد واحترام القانون وضبط النفس وغيرها من العادات الاجتماعية المفيدة .

3.1.1 التكوين المعرفي: اعطاء العمال معلومات ومعارف هامة عن العمل داخل المؤسسة وكذا الاطلاع على سياستها التنظيمية والقوانين المعمول بها ، هذا النوع يهدف إلى استيعاب الأفراد العاملين بالمصنع او المؤسسة ، وكذا استيعاب معلومات وبيانات هامة كلوائح المؤسسة وقوانينها وسياستها ومركزها في السوق ونوع منتجاتها وتقديمها للأفراد العاملين في المؤسسة .

2.1 من حيث وسائله:ويتمثل فيما يلي:

1.2.1 التكوين عن طريق ما يسمى بالاختبار: كالمحاضرات والنشرات المطبوعة مثلا يتم اختبار المتدرب وتقديم المعلومات اللازمة له ، حتى يتسنى له تعلمها وتطبيقها ، وبالتالي امكانية اكتسابه مهارات وخبرات .(دويدار ،2007،ص 210)

2.2.1 التكوين بالطريقة الايضاحية: هذا التدريب يتم بتقديم توضيحات أكثر للمتدرب مثل الأفلام السينمائية وأشرطة الفيديو وغيرها ، استخدام الصور أو الرسوم لنقل فحوى ومضمون الاتصال ، يتحقق هذا الأسلوب بوسائل مختلفة من اهمها التلفزيون والأفلام السينمائية والصور التي يتم نشرها في الصحف.(عبد الوهاب ،1998،ص274)

3.2.1 التكوين من خلال المناقشات الجماعية: هذه الاخيرة تعتبر من أحسن الوسائل المستعملة في عملية التدريب وخاصة في حل المشاكل واعداد مديري ورؤساء الاعمال . فهذه الطريقة فعالة لتدريب كل من العمال والمديرين على مناقشة أمور العمل سويا .(كمال ،2007،ص64)

4.2.1 التكوين عن طريق الأداء الفعلي للعمل: فالأداء هو انجاز هدف أو أهداف المؤسسة ، فمن الطبيعي أن يتعاون الأداء بين الأفراد، فالفرد الذي استلم وظيفة لأول مرة قد يأتي أداؤه ضعيفا في المراحل الأولى من انجازها وهذا ليس بعيب ، ولكن العيب أن لا يركز هذا الفرد على تحسين ادائه سواء بدافع شخصي منه او بناء على طلب أو أمر من رئيسه المباشر اذ باستطاعة هذا الأخير تقديم الأحسن وتوجيه عمله نحو الأداء الفعلي والمقبول للعمل .(بلوط،2002،ص260)

3.1 من حيث المتدربين :

1.3.1 تكوين العاملين الجدد الذين تنقصهم الخبرات الأساسية لأداء العمل:فهؤلاء العاملين معينون حديثا وبحاجة إلى تأهيل وتدريب ، ففي أغلب الحالات تكون حاجة هؤولاء الأفراد إلى اكتساب معارف ومعلومات عن المؤسسة والوظيفة أو التدريب على أداء الوظيفة التي ينسبون إليها أو ينتمون إليها .

2.3.1 تكوين القدامى ذوي الخبرة : تدريبهم بما يكفل رفع مستواهم الثقافي والمهني وتعريفهم بمستجدات مهنتهم من تطورات ، وتزويدهم بمعلومات ومهارات فنية خاصة تفسح المجال امامهم من أجل الحصول على الترقيات ، كما يرمي أيضا إلى تحويل العامل شبه الماهر إلى عامل ماهر .(دويدار ،2007،ص210)

4.1 من حيث مكانه:

1.4.1 التكوين في مجال العمل: يتم داخل اطار العمل تعتمد عليه مختلف المؤسسات ، هذا التكوين يتم داخل المؤسسة التي يعمل فيها العاملين ويعتبر الأكثر انتشارا وشيوعا ، إذ تقوم جهة أخرى خارجية بتصميم برامج التدريب .

2.4.1 التكوين في أماكن خاصة : التكوين في اماكن خاصة يتم في اماكن مخصصة ويعتبر مكلفا ويحتاج إلى امكانيات عالية ، هذا النوع من أنواع التكوين يعتبر مكلفا بعض الشيئ، لذلك فان الشركات والمصانع التي تقوم باجرائه هي شركات ومؤسسات كبرى وهو الأكثر فعالية وتأثيرا من الأنواع الأخرى ، كما انه لا يعطل المصانعأاثناء عملية التدريب ، كما أن المدربين يتفرغون إلى عملية التدريب بعيدا عن مكان العمل.

3.4.1 التكوين المزدوج: من خلال تسميته يتضح أنه ثنائي فهو ينقسم إلى قسمين أساسين هما:التكوين النظري يتم في معاهد خاصة ، والتدريب العملي يتم في المصانع او الشركات.

وهذا النوع يستخدم في الصناعات التي لا تحتاج إلى قدر كبير من مهارة العمال .(كمال ،2007،ص66) كما نجد أن هناك بعض المراكز التربوية أو المدارس النفسية تكون تابعة للمؤسسة أو المصنع الذي يعمل به العاملون.

5.1 حسب فئة العاملين المتدربة:

1.5.1 التكوين الاداري: إن التكوين الاداري اليوم اصبح يهتم أكثر بالاحتياجات التعليمية للأفراد داخل مؤسساتهم فضلا عن اهتمامه بموضوعات ادارة الموارد البشرية باعتبارها إحدى وظائف الادارة في أنواع المؤسسات .

2.5.1 التكوين الصناعي: يعتبر تكوين العمال داخل المؤسسات أو الشركات التي يعملون بها هو النوع الأكثر شيوعا ، وفي هذا النوع من أنواع التكوين يقوم بها المشرف على العمل بشرح الخطوات المختلفة لعملية الانتاج ، كما أنه يقوم بارشاد العمال إلى الطرق المثلى لزيادة الانتاج ، وهذا التكوين قد يقلل من بعض المشاكل التي تواجه العامل ، وذلك لان وجود المشرف يساعد العامل على استخدام الالات بالطريقة المثلى .(كمال ،2007،ص65)

6.1 حسب الطريقة التدريبية أو حسب المهارة المراد اكسابها للمتدرب:

1.6.1 التكوين التخصصي: ويمثل هذا النمط في التكوين زيادة المعلومات والمعارف وتطور المهارات التخصصية في مجال محدد من الاختصاصات المهنية ، ولذا فانه غالبا ما يشارك التكوين المهني في رأي بعض المتخصصين والباحثين ، إلا أن هذا النوع من التكوين ير تبط ارتباطا وثيقا بمجال تخصصي محدد من الاطر الوظيفية أو المهنية بغية اكتساب المهارات والمعارف التخصصية المحددة بوضوح وفق حاجات ومتطلبات المؤسسة .(خضير،2007،ص141)

2.6.1 التكوين على اتخاذ القرار: فاتخاذ القرار يعني أن يوجد في موقف معين أكثر من طريق لمواجهته ، وهذه الطرائق تسمى بدائل ، فان لم يكن هناك غير حل واحد يجد سلوكه حتما لم يكن بصدد قراره وقد يكون أمام متخذ القرار امكانية اتخاذ القرار أو الامتناع عنه.(حسان ،2007،ص173)

3.6.1 التكوين الفني: التكوين من أجل اكتساب مهارة في الأداء ، أو قدرة ذاتية لممارسة عمل معين ،فالفن يرتكز إلى حد كبير على المواهب الفردية والاستعدادات الفطرية للابداع في نشاط معين ، هذا النشاط يصقل بالتدريب .

4.6.1 التكوين اللغوي: التدريب والمران على كيفية التعبير اللغوي واكتساب مهارات في مجال اللغة .

7.1 وفق الزمن: هذا النوع من التكوين يعتمد على المدة الزمنية المطلوبة للتجريب قصد تحديد نوع التكوين .

1.7.1 التكوين قصير الأجل: هذا النوع غالبا ما يستغرق مدة زمنية قدرها أسبوع إلى ستة اسابيع ، وفي ظل هذا النمط التدريبي يتم عقد الدورات التدريبية والتي تكون بصورة أو بطريقة مكثفة او مركزة ، فالمدرب يعمل عادة باعطاء صورة شاملة ، فالدورات التدريبية عبارة عن كل شامل ومحدد من الخطوات الهادفة لتحقيق الاستفادة المرجوة من نتائج البرنامج التدريبي ، فمن عيوب هذا النوع من التدريب عدم توفر الوقت الكافي للمدرب بتغطية الموضوع بصورة تفصيلية ، كما أن المتدرب لا يمتلك الوقت الكافي للالمام بالمادة التدريبية بصورة كاملة وشمولية .(خضير ،2007،ص142)

2.7.1 التكوين طويل الأجل: هذا التكوين يكون في فترة زمنية طويلة عكس النوع الأول، حيث يمتد إلى سنة أو اكثر، فمن المزايا التي يتميز بها هذا النمط من التكوين نجد حصول المتدرب على معلومات وافية وكاملة حول المادة التدريبية مما يجعلها أكبر بكثير قياسا او مقارنة بالتدريب قصير الأجل ، كما أن المدرب بامكانه أن يدخل في التفاصيل التي يرغب في ايصالها للمتدرب ، ذلك لكونه يمتلك الوقت الكافي لذلك .(خضير ،2007،ص142)

2 مبادئ التكوين: توصلت الدراسات والبحوث الموسعة حول التكوين (التدريب) إلى مجموعة من المبادئ التي تصلح معايير ارشادية لنقل المهارة والمعرفة وتغيير الاتجاه بما يتماشى ومصلحة المؤسسة ، ومن أهم هذه المبادئ التوجيهية ما يلي:

1.2 ضرورة خلق الدافع لدى المتدرب: تاخذ هذه النقطة بعين الاعتبار حتى يتسنى تدريب الأفراد كل حسب فهمه وقدراته الذهنية وخلفياته وخاصة في حالة وجود فروق فردية كبيرة بين الأفراد، يتم الاعتماد على التدريب الفردي، أما اذا كانت هناك فروق طفيفة يمكن الاعتماد على التدريب الجماعي ،ب طبيعة الحال كلما كان هناك دافع قوي لدى المتدرب ادى ذلك إلى سرعة تعلم الفرد وبالتالي اكتساب معارف ومهارات جديدة ، هذا يعني العمل على خلق علاقة ما بين المتدرب ورغباته ، أي ربطه بهدف يرغب فيه ، فمثلا وسيلة لزيادة الدخل ، الترقية وغيرها.

ومما لاشك فيه أن الدافع لدى الفرد الجديد يكون أقوى من الدافع لدى الفرد القديم ، هذا الأخير يؤدي العمل في وقته الحالي ويعاد تدريبه، فالتحفيز لا يقتصر على عملية التدريب أو على المدرب وإنما أيضا للمشرف دور فعال في ذلك وبالأخص عند عودة المتدرب إلى عمله ، إذ يعمل على تدريبه ومتابعته وتشجيعه ، ويعمل على معالجة نقاط الضعف لديه ، وكذا حثه على الالتحاق بعملية التدريب .(القزاز،1996،ص584)

فنجاح المتدرب في عمله يرتبط بوجود أهداف واقعية يمكن تحقيقها ، فالاهداف غير الواقعية أو الخيالية التي يستحيل تحقيقها تجعل الفرد يشعر بالفشل ، مما يعطل عملية التعلم فعبء أو مسؤولية تحديد مختلف الأهداف تقع على المشرف.(دويداء ،2007،ص ص196-197)

وبذلك يمكن اعتبار أن دور التكوين أساسي للتحكم في الانتاج وفي تحسين تسييره من خلال تنمية الموارد البشرية ، باعتبار أن المورد البشري هو السبب الرئيسي في تحسين الانتاج وزيادة الفعالية وذلك عن طريق خلق دافع قوي لعمل المتدرب وبالتالي تحقيق الأهداف المرغوب فيها .

2.2 متابعة تقدم المتدرب: إن الكثير من الدراسات والبحوث أكدت على وجود ارتباط وعلاقة بين حجم أو كمية المعلومات التي تعطى للمتدربين اضافة الى تلك السرعة والفاعلية في التعليم ، ولكن ما يجب مراعاته أو الانتباه إليه هو أن المعلومات الكثيرة لا تعني اكتساب مهارات أو معرفة وإنما الهدف هو الفهم السليم لتلك المعلومات ، فالمتدرب قد يجد صعوبات في مهمته ، فمهمة المدرب تتمثل في متابعة وتقييم درجة تقدم المتدرب ،و كذلك التحقق من استيعابه سواء النظري أو العملي لمحتويات برنامج التدريب .(دويدار ،2007،ص ص 196-197)

فهنا تنحصر وظيفة المدرب في عملية تدريب ومتابعة وتقييم عمل المتدرب ، وهل تم استيعابه للمعلومات المعطاة له أم لا ، فالمدرب هنا يلعب دور المشرف الذي يشرف على عمل المتدرب .

3.2 التدريب ببرنامج التدعيم: بعد اكتساب المتدرب لمهارات ومعارف خلال عملية التدريب ، يجب ربط النتيجة أو الآثر الناتج بنظام الثواب والعقاب ، فالأمور الخاصة بما هو ايجابي تتمثل في خلق فرص للترقية ، كزيادة الأجر وتقديم الشكر لما قام به الفرد من مجهود، فهنا على الإدارة التحقق من أن المكافأة مقابل انجاز الفرد ، إضافة إلى ضرورة وجود تنسيق بين برامج واحتياجات الأقسام التدريبية ، إضافة إلى متطلبات الوظائف والأعمال ، ففي حالة ما إذا كان السلوك لا يتماشى مع السلوك التنظيمي ، في هذه الحالة ينجر عن ذلك اجراء عقابي ، هذا الأخير ما هو إلا اجراء لتقوية والحفاظ على السلوك التنظيمي .(دويدار ،2007،ص585)

من الحوافز أو التدعيمات الايجابية التي يجب توفيرها للمتدرب لالتحاقه بالبرنامج التدريبي مضاعفة راتبه خلال الفترة التدريبية وتوفير المواصلات المجانية ، إضافة إلى اعطائه أولوية للترقيات ومنحه شهادات التقدير والمكافأت المناسبة.(الطائي ،2006،ص276)

أما في حالة ما إذا كان عمل الفرد مخالفا لعمل المؤسسة ، ولا يتماشى مع القانون الداخلي لها ، فالفرد هنا يخضع لعقوبات ، كاقصائه أو تخفيض أجره أو تحويله إلى وظيفة إخرى اقل مستوى من وظيفته الحالية ، وهذا كله قصد الحفاظ على سير العمل بطريقة جيدة .

4.2 ضرورة الممارسة للعملية التدريبية: لابد من اعطاء المتدرب فرصته للمشاركة في عملية التعليم وذلك حتى يكتسب مهارة ومعرفة فعالة ، اضافة إلى توفير الأدوات والوسائل التجريبية في مكان العمل مشابهة لما هو موجود في بيئة العمل ، كما أن المتدرب يجب ان يعرف معنى وكيفية التشغيل لتلك الوسائل وبدون وجود أي مخاطر .(القزاز ،1996،ص585)

فالعملية التدريبية هي عملية تواصل واتصال بين كل من :مدرب ومتدربين وبرامج تدريبية.

فالمدرب هو الشخص الفاعل في المنظومة وهو بمثابة القائد للمجموعة والمحرك الأول لسير عملها .(عباس ،2006،ص21)

أما البرامج التدريبية فهي خطة او برامج للدراسات النظرية والتطبيقية والعملية .(المعاني،2003،ص44)

فالفرد حتى يتعلم ويكتسب مهارات لابد من اعطائه فرصا للمساهمة في عملية التعليم وبالتالي تجسيد ما تعلمه بالاعتماد على الوسائل والتجهيزات الموجودة .

5.2 الانتقال من الكليات إلى الجزئيات: فهناك عدة تجارب أجريت على عملية التدريب والسؤال المطروح ، أيها اصلح؟ الطريقة الكلية أم الطريقة الجزئية؟

ففي الطريقة الكلية يتعلم فيها المتدرب العمل كوحدة كلية ، والطريقة الجزئية يتدرب فيها على شكل أجزاء منفصلة عن بعضها البعض ثم يربط بين هذه الأجزاء ، فالبعض يرون ان افضل الطرق التدريبية هي التي تبدأ بالعمل ككل إذ يتدرج فيها العمل من الأعمال البسيطة إلى الاعمال الصعبة ، وهذا لايعني أن طريقة الأجزاء غير مفيدة ، فهناك بعض الأعمال المعقدة تحتاج إلى الطريقة الجزئية حتى يتسنى فهمها بالتدريج .(دويدار ،2007،ص276)

وبذلك فان اتخاذ القرار بشان اتباع الطريقة الكلية أو الجزئية لا يكون اعتباطيا بل يتوقف على عدة عوامل

*محتوى الوظيفة المتخصصة التي يتدرب عليها الفرد.

*نوعية المواد التي يتعلمها الفرد.

*مدى حاجة المؤسسة إلى المتدربين .

غير أن مختلف الدراسات والشواهد الواقعية أثبتت ان الطريقة التي اظهرت نجاحا هي أن يتم أولا وقبل كل شيئ اعطاء فكرة موجزة عن الوظيفة ككل بصفة كلية ، بعدها تقسيم الوظيفة إلى أجزاء حتى يستطيع تعلمها بعمق اكثر .(غربي،2001،ص119)

وبذلك فالجواب على السؤال المطروح هنا إن الاختيار للطريقة الأنسب يتم وفق الاعتماد على طبيعة الوظيفة

6.2 ضرورة مراعاة التفاوت بين الأفراد: ضرورة مراعاة الفروقات الشخصية بين المطلوب تدريبهم فتوزيع الأفراد يتم انطلاقا من مستوياتهم وخلفياتهم بحيث يتناسب هذا الأخير مع أسلوب ومادة التدريب ومستويات التدريب المختلفة ، مما يحقق الفائدة أو المنفعة للمستويات المختلفة من المتدربين .(الطائي،2006،ص276)

من المعروف ان التدريب الجماعي يكون أقل تكلفة من التدريب الفردي ، ولكن نظرا للاختلافات بين الأفراد من حيث مستوى ذكائهم واستعدادهم ، هذا يؤدي بدوره إلى ضرورة بناء برامج تدريب تتلاءم

والاختلافات بين الافراد باستخدام أجهزة ووسائل التدريب والتعليم الفردية ، وذلك قصد مقابلة مختلف الاختلافات وجعلها منطقية وعملية .(القزاز،1996،ص ص585-586)

بتطبيق هذه المبادئ بكل تفاصيلها بالكيفية الصحيحة يمكن الحصول على تدريب جيد وكاف ، فالتدريب يرتكز أساسا على هذه النقاط باعتبارها مهمة ، فعلى المدرب أن يراعيها ويعمل على تطبيقها وتجسيدها ، وهذا من شأنه ان يسهل عملية التدريب.

ثالثا:الموارد البشرية ، أشكالها، أهدافها، وظائفها، طرق تنميتها:

1 أشكال الموارد البشرية: لقد ميز بيكر بين شكلين من رأس المال البشري العام والخاص

1.1رأس المال البشري العام: يعتبر الأشخاص الحاصلين على رأس المال البشري العام أكثر اهلية للتدريب والحصول على فرص تدريبية أكثر من غيرهم ، ويتضمن هذا الشكل من رأس المال المهارات والقدرات والمعارف التي يمكن استخدامها وتوظيفها في مجالات مختلفة .

2.1 رأس المال البشري الخاص: يتولى تمويل كلفته عادة المؤسسة التي توفر فرصة التدريب المتخصص ، فالمهارة التي يكتسبها الفرد لا تتسم بدرجة عالية من امكانية نقلها لموضع عمل أخر (عطية ،2012،ص ص256-257)

2 أهداف الموارد البشرية:

1.2 الأهداف الأساسية: وتتمثل الاستمرارية في توفير الموارد البشرية بالكفاءة والكم من أجل تمكين المؤسسة من تحقيق أهدافها وأهداف المجتمع بكل فاعلية وكفاءة.

2.2 الأهداف التنظيمية: كتأدية الموارد البشرية وظيفتها بشكل كامل ومترابط مع باقي الادارات المختلفة وتقديم الارشاد والنصح بكل ما يخص شؤون الأفراد .

3.2 الأهداف الوظيفية : كضمان الاستمرارية في تدفق القوى البشرية للمؤسسة بواسطة الاختيار والتعيين والمحافظة على الاستمرارية في رغبة العاملين في العمل عن طريق توفير نظام كامل للتعويضات .

4.2 الأهداف الانسانية: اتاحة الفرص من أجل تقدم الأفراد في مجال عملهم بواسطة تهيئتهم من اجل زيادة دخولهم واتاحة ظروف عمل منشطة لهم .

5.2 الأهداف الاجتماعية : كرفع مستويات المعيشة ومساعدة الافراد في اختيار الوظائف المناسبة لهم والمحافظة على قوة العمل في المجتمع .(خليف،2019،www.mawdoo3.com)

وبعدما حددنا أهداف الموارد البشرية يتعين علينا الآن تحديد أهم وظائفها ، وذلك فيما يلي.

3 وظائف الموارد البشرية:وتنقسم إلى ما يلي:

1.3 الوظائف المتخصصة: وتتمثل في:

*تطوير وتدريب الموارد البشرية والحفاظ عليها .

*تحضير الموارد البشرية بالنوعية والكمية المطلوبة بهدف انجاز العمل بكفاءة عالية.

*مكافاة الموارد البشرية .

2.3 الوظيفة الادارية :وتتجلى فيما يلي:

*قيادة وتوجيه نشاطات العاملين .

*ممارسة تنظيم جهودها .

*رقابتها لعدم خروجها عن سياستها العامة التي تعرقل تحقيق أهدافها .(خليف،2019، www.mawdoo3.com)

وبعدما حددنا وظائف الموارد البشرية ، يتعين علينا الآن التطرق إلى طرق تنمية الموارد البشرية ، وذلك فيما يلي.

4 طرق تنمية الموارد البشرية: وتتم من خلال :

*التعليم والتدريب في كافة المؤسسات والمراحل والمستويات ، فالتعليم يؤدي عدة وظائف نذكر منها أنه يساعد على اكتشاف وتنمية الأفراد وتهيئتهم لمختلف سبل النمو ويزيد من قدرتهم على الابتكار ، كما أنه يعمل على تحقيق التقدم وجعل العقول أكثر استعدادا لتقبل التغير ، بالاضافة إلى أن التعليم يعتبر القوة المحركة للأفراد والجماعات دون أن ننسى أنه يعمل على اكتساب المتعلم المعارف والمهارات.

*النمو السكاني الذي يعتمد على الزيادة الطبيعية والهجرة السكانية .

*العناية بصحة الموارد البشرية من خلال تحسين الصحة العامة عن طريق البرامج الطبية وبرامج الصحة العامة وتحسين الغذاء .(عطية ،2012،ص ص257-258)

وبذلك نستخلص أن هناك طرق عديدة لتنمية الموارد البشرية ولعل أهمها التعليم على اعتبار أنه يساهم في اكساب الفرد المزيد من المعارف بما يزيد من القدرة على الابتكار والابداع ، وهذا ما يدفعنا الى التساؤل عن دور التكوين (التدريب) في تنمية الموارد البشرية ، وهو ما سنحاول التطرق إليه فيما يلي.

رابعا:التكوين ودوره في تأهيل الموارد البشرية :

تشكل المعرفة معيارا أساسيا لتقدم الدول وتطورها ، وهي تعد ثروة بديلة للأشكال التقليدية لرأس المال مثل الأرض ، المال ، ما حتم على الدول ضرورة الاستثمار في الموارد البشرية لتواكب التطور والتقدم الحاصل في العالم ، ما جعل الدول المتخلفة تواجه عوائق في تأهيل الموارد البشرية وتدريبها لمواكبة التغير الحاصل .

وفي هذا الاطار جاءت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي تقوم على فلسفة تحقيق التنمية المستدامة باستثمار أغنى أنواع الموارد وهو المورد البشري أسوة بتجارب بعض الدول الناجحة في هذا المجال من مثل الصين ،اليابان ،سنغافورة.

كما أن فلسفة الميثاق الوطني للتربية والتكوين تسير في نفس الاتجاه بتركيزها على تأهيل العنصر البشري لتجديد المدرسة وتحقيق الجودة ،و لبلوغ هذا الهدف يعتبر التكوين المستمر عاملا اساسيا في تطوير المنظومة التربوية وذلك من خلال تأهيل الاطر وإنتاج المعرفة البيداغوجية الضرورية للرفع من جودة التعليم ونجاعته ، وبذلك يمكن ان نستخلص أن دور التكوين في تأهيل الموارد البشرية يتجلى في :

*يعتبر التكوين آداة فعالة لتأهيل الموارد البشرية على اعتبار انه يرفع من مردودية الفرد ومستوى أدائه .

*يعتبر التكوين آداة فعالة لتأهيل الموارد البشرية لكونه يعمل على ترشيد وعقلنة النفقات والتكاليف ،و يحارب مختلف أشكال الهدر .

*يعتبر التكوين آداة فعالة لتأهيل الموارد البشرية لكونه يعمل على ضمان تحقيق الجودة .

*يعتبر التكوين آداة فعالة لتأهيل الموارد البشرية لكونه يعمل على خلق روح المواطنة لدى الفرد.(العرجي،2019،www.abir.info)

خاتمة:

نستخلص مما سبق بان التكوين يعد آداة فعالة في تأهيل الموارد البشرية ، على اعتبار أنه يسهم في رفع مستوى أداء الفرد ،كما يعمل على ترشيد النفقات والتكاليف بما يساعد على ضمان تحقيق الجودة ، وبالتالي التكوين هو المدخل الاهم لتطوير المنظومة التربوية وحتى يستطيع المجتمع مواكبة التغيرات والتطورات الحاصلة في العالم ، على اساس أن الاستثمار في المورد البشري هو أكثر أاهمية وتحقيقا للفائدة من الاستثمار في راس المال المادي ، حيث ان الانسان هو مورد لا يقل أهمية عن الموارد المادية من حيث الدور الذي

يؤديه في عملية التنمية ، ولهذا الغرض خرجت هذه الورقة البحثية ببعض الاقتراحات والتوصيات التي تخدم الموضوع ، من أهمها نذكر :

1-التحسيس بأهمية الاستثمار في الموارد البشرية للدور الكبير الذي تساهم به في عملية التنمية .

2-العمل على تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات التربوية باعتبارها تعد المدخل الأساسي لتطوير المنظومة التربوية.

3-تنظيم ورشات للتكوين لمختلف العاملين في المؤسسات التربوية لاعادة هيكلة معارفهم ومهاراتهم واعادة تحيينها .

قائمة المراجع:

1-الاغبري عبد الصمد خالد ، آل مشرف فريد،(1998)، التعليم والتدريب في التسعينات ، دار النسخة العربية ،ط:1.

2-الزغبي فايز، عيداني محمد ابراهيم (1999)، أساسيات الادارة الحديثة ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ،ط:1،عمان .

3-العرجي رشيد ، خزراجي محمد امين (2019)، التكوين المستمر اداة لتأهيل الموارد البشرية ومدخل من مدخلات الجودة لتطوير المنظومة التربوية ،من موقع http://www.abir.infoبتاريخ 2019/11/28.

4-الطائي يوسف حجيم ، الفضل مؤيد عبد احسين (2006)،إدارة الموارد البشرية (مدخل استراتيجي متكامل)،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ،ط:1،الاردن.

5-القزاز حسين، حنفي عبد الغفار(1996)، السلوك التنظيمي وادارة الافراد ، الدار الجامعية ، الاسكندرية .

6-المعاني طارق علي وآخرون (2003)، الشراكة بين مؤسسات التعليم والتدريب المهني وسوق العمل ، دار الكتب الوطنية ،ط:1،ليبيا.

7-بلوط حسين ابراهيم (2002)، إدارة الموارد البشرية من منظور استراتيجي ، دار النهضة الحديثة ،ط:1،بيروت .

8-حسان محمد ابراهيم ، العجمي محمد حسين(2007)، الإدارة التربوية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط:1،عمان .

9-خضير كاظم محمود، الخرشة ياسمين كاسب (2007)، إدارة الموارد البشرية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط:1،عمان .

10-خليف سميحة ناصر (2019)، تعريف الموارد البشرية ،من موقع http://www.mawdoo3.comبتاريخ 2019/11/28.

11-دويدار عبد الفتاح محمد (2007)، أصول علم النفس المهني وتطبيقاته ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية.

12-عباس صلاح (2006)، تنمية مهارات مسؤولي التدريب، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية.

13-عبد الوهاب محمد رفعت ، شيحا ابراهيم عبد العزيز (1998) ، أصول الادراة العامة ،دار المطبوعات الجامعية ،مصر
14-عطية خليل عطية (2012)، التربية والتنمية في الوطن العربي، دار عيداء للنشر والتوزيع ،ط:1،عمان .
15-غربي علي وآخرون (2001)،الموارد البشرية ،دار الطباعة للنشر والتوزيع ،الجزائر .
16-غياث بوفلجة(1984)، الأسس التقنية للتكوين ومناهجه ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر .
17-كمال طارق (2007،) علم النفس المهني والصناعي، مؤسسة شباب الجامعة ،ا لاسكندرية .

The Stakes of Family Relationships in the Age of Social Media

Bekaddouri Houria[1]
Abdelhamid Ibn Badis University of Mostaganem, Algeria
Houria.bekadouri.etu@univ-mosta.dz
Hirech Baghdad Leila Amel[2]
Abdelhamid Ibn Badis University of Mostaganem, Algeria
hirechleila@gmail.com
Issad Faiza Zerhouni[3]
Abdelhamid Ibn Badis University of Mostaganem, Algeria
faiza.issad@univ-mosta.dz

Abstract:

Social media networks have managed to dominate individuals in society, influencing thoughts and general behaviors, and posing a threat to a whole set of values. They have successfully opened up a broad space for individuals to connect with each other worldwide without any controls or regulating values, thus creating a virtual world that contains a range of legitimate and illegitimate relationships. This has had a significant impact on family relationships and the values that govern them, undermining the depth of the family structure. In this research paper, we aim to examine the most significant challenges facing the family, focusing on familial relationships and the underlying values that shape them. We will also assess the extent to which these relationships are threatened by the presence of a formidable competitor, namely social media, which plays a substantial role in socialization and the structuring of these relationships.

Keywords : family, social alienation, family alienation, family relationships, social media, values.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

رهانات العلاقات الأسرية في ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي

بقدوري حورية [1]

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم- الجزائر

Houria.bekadouri.etu@univ-mosta.dz

حيرش بغداد ليلى أمال [2]

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم- الجزائر

hirechleila@gmail.com

إسعد فايزة زرهوني[3]

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم- الجزائر

faiza.issad@univ-mosta.dz

ملخص:

إن الحديث عن شبكات التواصل الاجتماعي يقودنا إلى تقصي مدى أهمية هذه الأخيرة عند مجموع الأفراد ومدى انتشارها بينهم لتصبح بذلك ظاهرة اجتماعية تستدعي البحث والتنقيب. فلقد وجدت هذه الشبكات أمامها مسرحا واسعا لتغرس جذورها وتبثها وتصبح أهم الوسائل الاتصالية تستخدمها جميع الفئات العمرية وجميع الأجناس للتواصل فيما بينها اقتصارا للزمن والمسافات لتجعل من العالم قرية صغيرة. فنجحت بذلك في فتح فضاء للتعارف واسع بين الأفراد في العالم دون وجود رقابة ولا قيم تضبطها، وكونت بذلك عالما افتراضيا يحمل داخله مجموعة من العلاقات الشرعية وغير الشرعية والتي أثرت بدرجة كبيرة على العلاقات الأسرية والقيم المتحكمة فيها وضربت بضلالها عمق البناء الأسري، لتجد الأسرة نفسها أمام رهانات وتحديات أصبحت تهدد تماسكها الاجتماعي .ومن هذا المنطلق، نحاول في هذه الورقة البحثية دراسة أهم التحديات التي تواجه الأسرة من حيث العلاقات الأسرية والقيم المتحكمة فيها وتهندس لها، ومدى التهديدات التي تضرب هذه العلاقات في ظل وجود منافس كبير يسهم بدرجة كبيرة في التنشئة الاجتماعية وفي تنظيم هذه العلاقات هو مواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الإغتراب الاجتماعي، الإغتراب الأسري، العلاقات الأسرية، مواقع التواصل الاجتماعي، القيم

مقدمة:

شكلت وسائل الإعلام الجديدة نقلة نوعية في مجال الاتصال والعلاقات الإنسانية، لتجسد مفهوم العالم الواحد والقرية الكونية التي طالما سعت وسائل الإعلام التقليدية لتكوينها، وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي إحدى هذه الوسائط التي أضحت تلعب دورا كبيرا في تنظيم العلاقات وتكوينها لأنها خلقت عالما اتصاليا يقرب المسافات والوقت، إضافة لكونه يكوّن أصدقاء في عالم افتراضي فيتعارفون في إطاره ويكونون علاقات مختلفة، من خلال ما تقدمه هذه الوسائل من خدمات في إطار الملفات الشخصية أو ألبومات الصور وغرف الدردشة...

وتشكل الأسرة الخلية الأولى في المجتمع إضافة إلى كونها أول مؤسسة تربوية والتي تتولى تنشئة الفرد وتحويله إلى كائن اجتماعي. فهي التي تعمل على نقل قيم المجتمع ومعاييره لأفرادها، كما تسهم في تكوين شخصيتهم وتشربهم الأنماط السلوكية التي يرتضيها المجتمع والتي تحقق لهم الاندماج الاجتماعي. كما تعلمهم التفاعل مع الغير وتكوين علاقات تساعدهم على التكيف مع المحيط الخارجي.

ولكن وفي إطار ظهور هذه المواقع الاتصالية أصبحت الأسرة تعرف رجّات قوية تهدد كيانها ووظائفها، وجعلت العلاقات داخلها تشهد نوعا من الفتور وضعف الروابط الاجتماعية نتيجة تأثير هذه الوسائل على شبكة العلاقات التي تربط بين أفرادها وأصبحت هذه المواقع الوسائل الاتصالية الأولى داخل كلّ أسرة لتقضي بذلك على الاتصال الداخلي في الأسرة وتجعل العلاقات سطحية بين أفرادها.

وبذلك يبقى السؤال المطروح كيف تؤثر هذه المواقع الاتصالية على علاقات الأفراد داخل الأسرة؟

أهداف الدراسة:

نحاول من خلال هذه الدراسة تبيان دور مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل الإعلام الجديد في التأثير على العلاقات داخل الأسرة التي تعدّ مؤسسة مهمة من مؤسسات التربية، والتي لها دور كبير في تكوين شخصية الأفراد. كما ترمي هذه الدراسة إلى إظهار كيف أصبحت هذه الوسائل في حدّ ذاتها مؤسسة تربوية يتمسك بها الأفراد ويعتمدون عليها في اتصالاتهم فتوجّه سلوكاتهم وتطبع معاملاتهم وتجسد تفاعلاتهم.

أولا: تحديد المفاهيم

1- مواقع التواصل الاجتماعي

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي على أنها " شبكة فعالة جدا في تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف والأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم البعض، وبعد سنوات طوال وتمكنهم من التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطّد العلاقة الاجتماعية بينهم"(خالد غسان، 2013،ص243).

ويعرف معالي فهمي حيدر هذه التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال" أنها تشير إلى جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات في شكل إلكتروني، وتشمل تكنولوجيا الحاسبات الآلية ووسائل الاتصالات وشبكات الربط وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدّة في الاتصال"(حيدر،2002،ص253).

يعرفها زاهر راضي على أنها" منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص له ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها"(زاهر،2003،ص23).

فمواقع التواصل الاجتماعي وحسب إسمها إحدى الوسائل التي بفضلها يمكن للأفراد أن يتواصلوا ويكونون علاقات اجتماعية فهي وسائط تسهل عملية التفاعل الاجتماعي.

2- العلاقات الأسرية

هي العلاقات الوثيقة التي تنشأ بين أفراد الأسرة الذين يعيشون معا مدّة طويلة من الزمن، حيث تقوم هذه العلاقات على الالتزام بالحقوق والواجبات، والتواصل والانسجام بين أفراد الأسرة مما يؤدي إلى تماسكها (تركي، دت،ص95).

كما تعرف العلاقات الأسرية على أنها "العلاقة التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء مترجمة طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة الذين يقيمون في منزل واحد"(غيث، 1992،ص347).

فالعلاقات الأسرية هي جملة التفاعلات التي تحدث بين أفراد الأسرة فيؤثرون ويتأثرون مع بعضهم البعض.

الاغتراب الاجتماعي: يعرف الاغتراف الاجتماعي بأنه"شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين والبرود الاجتماعي أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفية الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي، وهو اغتراب عن المجتمع ومعاييره والشعور بالعزلة والهامشية والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي"(جديدي، 2012، ص349)

ويعرف كذلك بأنه" انهيار العلاقات الاجتماعية لدى الفرد نتيجة الشعور بعدم الرضا والرفض اتجاه قيم الأسرة أو المجتمع ككل وهو على الصعيد النفسي يفقد الفرد الشعور بالإنتماء إلى المجتمع مع ميله إلى العزلة"(العقيلي، 2004،ص11)

ويعرف الاغتراب الاجتماعي في هذه الدراسة على أنه عجز الفرد عن التواصل مع غيره وانفصاله عنهم وعن قيمهم ومعاييرهم وبالتالي هو انفصال الفرد عن عالمه وبيئته الواقعية وأسرته الطبيعية، والعيش في عالم افتراضي حيث يكون علاقات داخله بديلة عن علاقاته الفعلية مع أفراد أسرته تساعده في اشباع حاجاته وتسهم في تفكيك علاقاته الأسرية وروابطه الاجتماعية.

ثانيا: خصائص المواقع الاتصالية

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي وسائل مهمة للتواصل في عالم افتراضي، وهي تتميز بجملة من الخصائص مثل:

– العالمية: حيث جعلت العالم قرية صغيرة وواحدة، تقرب المسافات والأمكنة، حيث يتمكن الأفراد من التواصل فيما بينهم في أي مكان ووقت.

– التفاعلية: إذ تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تحقيق التفاعل الاجتماعي بين مستخدميها. فتتعدد أدوار الفرد الفرد فيها من متلقي وقارئ ومرسل ومشارك ، وبالتالي يصبح عنصرا فعالا في العملية الاعلامية الاتصالية.

– الترابط: تشكل مواقع التواصل الاجتماعي شبكة اجتماعية مترابطة مع بعضها البعض تساعد على ربط المواقع فيما بينها، وبالتالي تربط الأفراد فيما بينهم.

– سهولة الاستخدام: نظرا لخدماتها وتقنياتها فهي تتميز بسهولة الاستخدام، لأنها تستخدم الحروف وبساطة اللغة والرموز والصّور، وأي شخص مهما كان مستواه التعليمي يمكن استخدامها.

– التنوع وتعدد الاستعمالات: وذلك من خلال تعدد استعمالاتها من تعليم، نقل أخبار، أخد صور ونقلها، فهي تشبع مستخدمها لأنها تتنوع استخداماتها لما تقدمه من خدمات متنوعة.

– التوفير والاقتصادية: هي مواقع مجانية يشترك فيها الأفراد دون أي إسهامات مادّية، كما أنها متوفرة في أي وقت للجميع، ولا يبذل مجهود كبير للتطلع عليها.

إضافة إلى ذلك فهي تحوي العديد من المعلومات التي يمكن للأفراد تبادلها فيما بينهم.

ثالثا: مخاطر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي

رغم ما تقدمه هذه المواقع من خدمات ورغم ما تملكه من مميزات إلا أنها تشكل خطرا على مستخدميها ويتمثل ذلك في:

– انهيار النظام الاجتماعي: لأن هذه المواقع تقدم في مضمونها ثقافة غريبة عن ثقافتنا فيعيش الأفراد في ظلها اغتراب ثقافي " فتتسبب في إحداث تفسخ اجتماعي داخل الأسرة وداخل المجتمع وبالتالي إنهيار القيم والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع "(البداينة، 1999،ص211).

– تنشر الكذب والخداع : لأنها تسمح للمستخدمين بالدخول إلى الموقع باسم مستعار من أجل الخداع والمكر، مما يؤدي إلى تفشي الخداع والكذب في المجتمع.

– الجرائم الالكترونية: لطالما كانت مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة تستخدم في العديد من الجرائم الالكترونية والتي يعاقب عليها القانون.

– نشر الأخبار الخاطئة والشائعات: إذ تقوم هذه الوسائل بنقل الأخبار المغلوطة وخلق الشائعات ونقلها ونشرها، فيتسبب ذلك في نشر الفوضى وعدم الاستقرار بين أفراد المجتمع.

كما أن هذه المواقع تهدد التنشئة الاجتماعية بما أصبحت تنقله من ثقافة معادية للثقافة العربية الاسلامية. ناهيك عن تفكك أواصر العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة." ومن أبرز أضرارها أنها تبني السلوكات السلبية والأخلاق المنحرفة والصداقات التي تتعارض مع قيمنا الدينية وتقاليدنا الاجتماعية"(رشدي، 2003،ص14).

– تسيطر على الأفراد وتحويهم داخلها ليصبحوا مدمنين عليها.

رابعا: طبيعة العلاقات الأسرية في الأسرة الجزائرية التقليدية

إن ما يميز الأسرة الجزائرية التقليدية هو تماسك وتلاحم أفرادها، وكان ذلك نتيجة توطد العلاقات بين أفرادها. هذه العلاقات التي شكلت على مرّ العصور حجر الزاوية في عملية التنشئة الاجتماعية، وأساس تكوين الشخصية السليمة للطفل. لذلك امتازت العلاقات الأسرية داخل الأسرة الجزائرية التقليدية بالاحترام والطاعة، وتغلب السلطة الفوقية المتمثلة في السلطة الذكورية (الجد والأب) على كل القرارات.

الأسرة مبنية على علاقات تواصلية بين الأفراد قائمة على أساس تقسيم الأدوار يسودها الاحترام والتعاون والحماية والسلطة داخل مؤسسة قائمة بذاتها. حيث تشكل علاقة الأب بالأبناء علاقة فوقية سلطوية يملك خلالها الأب السلطة التامة على أبنائه، إذ يمثل القائد الروحي للجماعة العائلية ويظهر ذلك جليا في السياسة التي يعتمدها في تنظيم أمور أسرته، فهو المنظم لأمورها والضابط لسلوكيات أفرادها والحريص على الالتزام بقواعد العائلة و ما على الأبناء إلا احترام و طاعة أوامره و الخضوع و المثول لسلطته " البطريق (الأب) لا يرد و لا يعكس في قراراته و الأبناء و الأحفاد يمثلون البنية القصوى في هذا الجسم فالسقف و الجداران و البنات و زوجات الأبناء و الحفيدات الكل يمثل القاطع الداخلي لهذا البناء "(بوتفنوشت،1984،ص47).

ومن هنا يظهر أن هذه العلاقة بين الآباء والأبناء هي علاقة مبنية على طابع السلطة الفوقية، حيث صاحب السلطة في المجتمع(الأب) هو الذي يملك والباقي يمتثل ، " الأسرة جميعا تولي أهمية بالغة وقيمة عظمى وترى فيه شخصيتها المتميزة التي من سلطتها تستمد البنية الأسرية قوتها و صلابتها ووحدتها و تماسكها و بوجودها تتجسم القيم الروحية للأباء والأجداد التي تنظم حياة العائلة "(حمداوي، 2005،390).

و قد سارت الأسرة على هذا الشكل في جميع العصور وكانت السلطة المطلقة داخلها تتمركز في يد الأب لذلك كان يعكس الأنا الأعلى في الأسرة « المجتمعات التاريخية القديمة تطور محور القرابة و أصبح مرتكزا على مبدأ العصبية فكان الأب هو محور القرابة و كانت المصطلحات الاجتماعية معززة لسلطة الأب »(الخشاب،2008،ص20).

وياتي بعد الأب في الهرم الأسري الأم التي ورغم أن مكانتها لم تقلّ عن مكانة الأب إلا أنها كانت دائما تمتثل لسلطته وأوامره، غير أنها وظيفتها في الأسرة كانت مهمة ذلك أنها كانت الوسيط بين الإبن وأبيه،

كـما كانت المسؤولة عـلى تربية الأطفال وتنشئتهم والمسؤولـة على نقـل المعايير القـيمية لأبنائها والمسـؤولة على فـرض الخضـوع لسلطـة الأب و الامتثال لها. فكانت الأم تلعب دورا في تجسـيد سلطة الأب والحفاظ عليها وتصويرها لأبنائها وتجعلهم يهـابون والدهم وذلك من خلال تخويفهم مـن العقوبات التي تنتظرهم من والدهم في حالة الخطأ فـهي الحافـظ لمكانة الأب ودوره في الأسرة .

فالأم وإن لم تكـن تتمركز حولها السـلطة إلا أنها تمـثل بالنسبة لأبنائها الأساس الأول في البيت والدعامة الأساسية له لأنها أحـد الركائز التي تقـوم عليه الأسرة، وبذلك فإن طاعتها واحترامها واجب مقدس وأمر مفروغ منه لـدى الأبناء خصوصا فـي المجتمعات العربية الإسلامية حيث ربط الإسلام مكانتها بالدخول إلـى الجنة ممـا جعل موقعـها أساسي وفـرض احترامـها وطاعتها، كما أن مكانتها هذه حددتـها ضروريات الحياة منذ العهـود الأولى ومنذ أن كانت الأسرة في ظل النظام الأموي .

وهنا يتجلى مفهوم الولاء والخضوع الإجتماعي إذ يعـتبر يعتبر الخـضوع للعائلة وعلى رأسهـم الأب والأم أهـم خصائص المجتمعات العربية عامـة والجزائر خاصة وتبقى الأم هـي الحريصة الأولى على قيام أبنائها بعادات أجدادهـم بصفتها الحاملة الأولى للتراث والناقلة له.

لذلك فمقـومات التواصـل داخل الأسرة لا يمكـنها أن تستمر دون الركيزتين الأساسيتين هما الأب و الأم و اللذان بحكم رابطة الزواج فإنهما يقتسمان الأدوار داخل هذا النظام حتى يمكن للأسرة أن تستمر و تبـقى لذلك فإن التواصل داخل الأسرة يتم داخل حلقة دائمة السيرورة هي التي تشكل العلاقة أباء – أبناء هـذه العلاقة التي تحكمها قوة الذكر القانونية و الاجتماعية و الاقتصادية في الأسرة .

وعموما يمـثل الأب القائد الروحي تتجسد في شخصيته السلطة الرمزية الكاريزماتية، ثـم تليه الأم والتي تتمتع بأدوار تابعـة لأدوار الأب فالأبناء الـذكور الذين يجسدون السلطة الثانية بعـد الأب فـي الأسرة خصـوصا على البنات الإناث وخصـوصا الابن الأكبر والذي يعتبـر خليفة الأب و الذي يواصـل بعـده تحـمل أعباء البيت، وقـد يرى ميردوك أن الأسرة تتحدد حسب نسق علاقاتي ينشا داخلها ويربط بين أفرادها، وبارسونز رأى أن هناك تباين في الأدوار فـهنالك أدوار رئيسية وأدوار ثانوية أو تابـعة، لذلك فالأسرة تقوم على مبدأ تقسيم الأدوار حتى تستمر وتتواصل. و يظهر كل ذلك خصوصا في العائلة التقليدية حيث كان يظهر فيها جليا تقسيم الدور الاجتماعي والتي يتم فيها الفصل بين الذكور والإناث هذا التقسيم القائم على مبدأ الجنس الذي تكون فيه الغلبة للقوة الذكورية تتجسد من خلالها سلطة الأب التي تعطيها

له ثقافة المجتمع وطبيعته الإنسانية هذه، الطبيعة التي جعلت أدوار الرجل و المرأة متكاملة رغم السلطة الذكورية « السلطة الذكورية لا يمكنها أن تحمي حقيقة أن الرجل والمرأة يكملان بعضهما البعض من أجل حسن سير العائلة »(lalonde,1994 ;p186)

وهذه الصورة للأب تجسدت منذ العصور القديمة حيث تطور محور القرابة وأصبح مرتكزا على مبدأ العصبية فكان الأب محور القرابة وكانت كل الحياة الاجتماعية معززة لسلطة الأب وعموما للسلطة الذكورية، التي يعمل الذكور على الحرص عليها لتستمر " إن الإحترام و التقدير الذي يوليه أفراد الأسرة لمكانة الأب و في طليعتهم الأبناء المتزوجون ، هو دفاع عن مكانتهم التي هي مؤهلة للتعزيز بمرور الزمن " (حمداوي، 2005، ص391).

وعند استعراض العلاقات بين الأفراد في الأسرة التقليدية نستشفّ أن العلاقات الأسرية والتي تمثل وحدة جزئية من العلاقات الاجتماعية تعبّر عن أنواع غير محدودة من التفاعلات كأبسط نموذج للتفاعلات العامة في المجتمع القائمة على الاتصال " هي نموذج التفاعل الاجتماعي بين شخصين أو أكثر ويمثل هذا النموذج أبسط وحدة من وحدات التحليل السوسيلوجي ، كما أنه ينطوي على الاتصال الهادف والمعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر"(نخبة من الأساتذة، دت،ص437)

خامسا: العلاقات في الأسرة الحديثة

مع التغيرات التي عرفها المجتمع في جميع المجالات الاقتصادية، الاجتماعية والتكنولوجية عرفت الأسرة تغيرات على مستوى بنائها ووظيفتها خصوصا مع خروج المرأة للتعليم والعمل، حيث أصبحت تتمتع بنوع من الاستقلالية وتمكنت من تكوين ذاتها ووضعت لنفسها مكانة في السلم الاجتماعي. في حين تراجعت السلطة الأبوية عن ما كانت عليه من قبل وذلك نظرا للتغيرات التي طرأت على المجتمع مما أثّر على العلاقات داخل الأسرة ولم يعد الأب يمارس نفس السلطة التي كان يتمتع بها في الأسرة التقليدية بعد أن شاركته المرأة في اتخاذ قرارات البيت وساهمت في ميزانيته، كما أنه طبع هذه العلاقات نوع من الحوار المتفتح، في حين تمتع الأبناء بنوع من الحرية في التعبير عن أفكارهم لذلك ساد الأسرة نوع من الديمقراطية واختفت العلاقات التي كانت قائمة على أساس الخوف.

سادسا:أسباب استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي

تتنوع أسباب استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي بتنوع الخدمات التي تقدمها من بينها:

– الممارسات السياسية: حيث تعتبر فضاء لتبادل الأفكار السياسية وتشكيل الوعي السياسي، من خلال النقاشات والحوارات المختلفة.

– تكوين العديد من الأصدقاء: تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي مجالا واسعا للتعارف وتكوين الأصدقاء من مختلف الأجناس والأعمار بعدد كبير في عالم افتراضي، لذلك هم أصدقاء افتراضيون.

– التطلع على الأخبار: من خلال ما تبثه هذه المواقع من أخبار التي يلتقطها الأشخاص ببث حي صورة وصوتا من مكان وقوعها وفور حدوثها، لتصبح هذه الشبكات وسائل إعلام بالدرجة الأولى قد فاقت معلوماتها وحتى مصداقيتها الوسائل التقليدية لأنها تبث الأخبار بكل حرية دون قيود الدولة.

– التسلية والترفيه: تشكل هذه المواقع وسيلة للترفيه والتسلية، إذ يستعين بها المستخدمين من أجل القضاء على وقت الفراغ فهي وسيلة تقضي على الوقت فلا يشعر من يستخدمها بمرور الوقت ويجد نفسه جالسا أمامها لساعات طويلة دون أن يشعر، لذلك فهم يعتبرونها وسيلة لجلب التسلية من خلال مواقع مخصصة لذلك. إضافة إلى ذلك يوجد مواقع خاصة بالألعاب والتي تمكن مستخدميها من الاشتراك مع أشخاص آخرين ويكونون مجموعة لعب فيشتركون في لعب لعبة واحدة عن بعد وبذلك تكون لهم نفس الاهتمامات ونفس الهوايات.

–التسويق والإعلان: حيث انتشرت مواقع لتسويق المنتوجات والبيع السريع من خلال عرض مجموعة من السلع المتنوعة ليضطلع عليها المستهلك وعلى أثمانها ويطلبها ثم بعد مدة معينة توصل إليه ويقدم ثمنها للشخص أو الشركة التي تقوم بإيصالها، وهذا ما يخلق مجالا واسعا للمنافسة.

– التعليم: هناك بعض المواقع التعليمية التي تساعد على التعليم وبثّ المعارف والمعلومات مثل إنشاء الطلبة لموقع خاص بهم للتواصل مع الأستاذ الذي يقدم لهم من خلاله المحاضرات وغيرها من المعلومات، أو إنشاء موقع متخصص خاص مثلا بأساتذة التعليم الإبتدائي يقدمون فيه مذكراتهم التعليمية لتوحيد العمل واستشارت حول العملية التعليمية وغيرها من المواضيع.

سابعا:الأسرة كمؤسسة تربوية

تعتبر الأسرة مؤسسة أولى من مؤسسات التربية" وتعتبر ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي" (السيد شريف،2000،ص29)، لأنها الإطار الذي تتحدد فيه سلوكات الأفراد وتصرفاتهم وفق معايير والسلوك العام للمجتمع، وهي وسيلة للضبط الاجتماعي تضبط سلوكات الأفراد بما تنقله لهم من عادات وتقاليد وثقافة مجتمعهم وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لذلك هي " تعتبر جزء لا يتجزأ من البناء الاجتماعي تتفاعل معه وتتأثر به وتؤثر فيه في اتجاهات متعددة "(الناشف، 2006،ص58).

وهي الخلية الأولى في المجتمع يولد الطفل فتحتضنه وتحوله من كائن بيولوجي لكائن اجتماعي، كما أنها أول جماعة يشعر بداخلها بالإندماج والانتماء الاجتماعي فيصبح عضوا فيها. إضافة ٰلى ذلك فهي تعتبر المجال الأول والوحيد الذي يوفر للفرد إشباعا لحاجاته النفسية والاجتماعية، المادية منها والمعنوية لأنها الوحيدة القادرة على تزويد الطفل بما يحتاجه من عطف وحنان وأمن واطمئنان لينمو نموا سليما وتكتمل شخصيته.

ثامنا: مواقع التواصل الاجتماعي والعلاقات الأسرية

تشكل العلاقات محور الحياة الأسرية من خلالها يتواصل الأفراد فيما بينهم ويتفاعلون، ولكن الأسرة الجزائرية حاليا تشهد فتور في العلاقات بداخلها وأصبحت تسودها الفردية مما جعل التفاعل الاجتماعي يقلّ بداخلها، حيث تأثرت العلاقات الأسرية سواء في البيت الواحد أو مع العائلة الكبيرة بفعل هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة لأنه لا يخلو أي بيت من هذه الوسائل. فأصبح الأفراد داخل الأسرة الواحدة يعيشون اغترابا كبيرا حيث ينهمك كل فرد في هذه الوسائل وما تقدمه من خدمات وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، فقلّ الاتصال بينهم وفقدوا الحوار لا يجتمعون ولا يتبادلون الأفكار عكس ما كانوا عليه في الماضي، حيث كانوا يجتمعون على مائدة واحدة أو لمشاهدة تلفاز واحد يجمعهم جميعا، بالإضافة إلى ذلك انقطعت أواصر القرابة وصلة الرحم في الأعياد والمناسبات نتيجة تواجد مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت تفي بالغرض عن بعد من خلال الرسائل القصيرة أو من خلال الصور والفيديوهات وكل ذلك جعل هذه العلاقات تتميّز بالبرودة مما جعل الأفراد يعيشون في عزلة اجتماعية"التطبيقات الحديثة تعمل على عزل الفرد عن أعضاء أسرته وتقليل التفاعل معهم رغم إقامته في نفس البيت، حيث تزيد من تواصله مع من هم خارج المحيط الأسري(بسيوني، 2002،ص124-125). حيث كوّن الفرد لنفسه داخل الأسرة

عالما خاصا به في واقع افتراضي، يكوّن في إطاره أصدقاء عبر كامل أنحاء العالم فيجلس لوقت طويل وغير محدد يتواصل معهم وينعزل عن باقي العالم الحقيقي وعن أفراد أسرته منطويا على نفسه " وتشير الدراسات أن هذه المواقع تبني أنماطا حياتية تتميز بتنمية النزعة الفردية لدى الأبناء حيث يجد الشاب المتعة في الانفراد والتمركز حول الذات"(عزي، 2001،ص335).

وذلك يؤدي إلى إهمال العلاقات الأسرية المضبوطة والتي تحكمها المعايير والهروب إلى علاقات حرّة داخل عالم افتراضي لا تحكمها لا ضوابط ولا معايير. فتقل بذلك فرص التفاعل الاجتماعي وتتفكك العلاقات ونتيجة ذلك تحدث فجوة وثغرة بين الأفراد في تعاملاتهم ويدخلون في صراع بيو-ثقافي فتضعف تفاعلاتهم، ويقلّ الحوار بينهم بل حتى أنهم يصدمون في الأفكار أحيانا وبذلك" تكون الأسرة قد فقدت تلاحمها ووحدتها الأسرية التي كانت في الماضي قبل وجود هذا الكم الهائل من مواقع التواصل الاجتماعي"(الخولي، 2004،ص22)، فأفراد الأسرة في بيت واحد يعيشون ولكن علاقاتهم مفككة لأنهم لا يجلسون معا ولا يتبادلون أطراف الحديث ولا يناقشون المسائل الأسرية معا وحتى وإن اجتمعوا فكل واحد له عالمه الخاص الذي يشغله" رغم تواجد هؤلاء الأفراد معا في مكان واحد فمع ذلك قد لا يشعر كل طرف بوجود الطرف الآخر، هذا يرتبط بدرجة تركيز الفرد مع الوسيلة"(علياء، 2011،ص75-76).

ففي العلاقة بين الزوجين أصبح الأزواج لا يعيرون اهتماما لبعضهم البعض وذلك لانشغال كل واحد منهم في التواصل مع الأصدقاء في عالم افتراضي، أصدقاء ورغم بعد المسافة إلا أنه يجدهم قريبين منه في هذا العالم الافتراضي، فالزوج يجلس إلى جانب زوجته جسديا ولكن عقليا فهو بعيد عنها في عالمه الافتراضي " انعدام التفاعل بين الزوجين وعدم القدرة على التعبير عن المشاعر سواء بطريقة لفظية أو غير لفظية مما يؤدي إلى فتور المشاعر والملل والإهمال"(عبد الفتاح،2009، ص94-95).

أما في علاقة الآباء مع الأبناء فنجد أنها علاقات مفعمة بالتناقضات الفكرية ، كما أن الآباء لم يعد بمقدورهم السيطرة على سلوكات أبنائهم ولا تقييدها نتيجة دخول ثقافة غريبة على الأسرة الجزائرية تبثها هذه الوسائل التكنولوجية عبر مواقع التواصل الاجتماعي" نتيجة التعامل الشخصي مع وسائل التكنولوجيا الجديدة، يمكن أن تقل الخبرات المشتركة بين الزوجة والزوج أو بين الآباء والأبناء مما يؤدي إلى صعوبة التفاهم والاشتراك في القيم"(مكاوي، 2009،ص337).

إن الاغتراب الاجتماعي الذي أصبح يعيشه أفراد الأسرة الواحدة أضحى سببا واضحا في عزلتهم الاجتماعية وجعلهم يعرفون تفككا كبيرا، مما أثر على قيم العلاقات الأسرية وأصبحت بعيدة في ايحاءاتها عن ما دعت إليه تعاليم الدين الإسلامي وثقافة المجتمع وهويته، وأصبح الفرد في الأسرة يعيش داخل عزلة في جو تنامت فيه الفردانية تحكمه شبكة مواقع التواصل الاجتماعي وتؤطره فأصبح الفرد سجين لها تغدي فكره وتسيطر عليه وبذلك تؤطر سلوكياته وتصرفاته فيجد فيها ما يجعله يلبي متطلبات نفسيته وعقله. ويجعله يعيش اغترابا أسري والذي يجد من خلاله نفسه في بيئة غريبة عنه رغم أنه ولد فيها وأضحت لا تلبي اشباعاته النفسية والاجتماعية.

الخاتمة:

إن الأسرة العربية حاليا تجد نفسها أمام تحدّ صعب في ظل تواجد وسائل الإعلام الجديد وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، التي أصبح الفرد متعلقا بها ومدمنا عليها لأنه يجد فيها متنفسا للتعبير عن أرائه وأفكاره بكل حرية، كما أنه يكوّن من خلالها علاقات متنوعة غير مقيدة ولا مضبوطة مما أصبح يؤثر وبدرجة كبيرة على القيم داخل الأسرة ويهدّدها، إضافة إلى ذلك أصبح يهدد العلاقات التي تربط بين الأفراد في الأسرة الواحدة فينتج عنها التفكك والتباعد بينهم مما جعل الأسرة الجزائرية تعيش اغترابا كبيرا.

والسؤال الذي يبقى مطروحا هو كيف يمكن للأسرة الجزائرية خاصة والعربية عامة أن تستعيد تلاحمها وتواصلها في ظل مواقع التواصل الاجتماعي؟.

التوصيات:

لقد لعبت الأسرة على مر العصور الدور الأساسي في الحفاظ على وظيفتها في تعزيز تماسك أفرادها، ولكن تهديدات الوسائل التكنولوجية جعلتها عاجزة أمام تحقيق ذلك وعليه يمكن تحديد جملة من التوصيات:

- تفعيل الحوار داخل الأسرة بين جميع أفرادها.
- إعادة بناء شبكة العلاقات داخل الأسرة والبحث في طرق تحصينها من المؤثرات التكنولوجية الحديثة.
- محاولة بعث وتجديد التجمعات الأسرية والعائلية في إحياء المناسبات الدينية,
- تربية الأطفال على أهمية التماسك الأسري وتعويده على الجلوس مع الأسرة والتسامر مع أفرادها.

– الحث على صلة الرحم وزيادة الروابط مع العائلة الكبيرة إحياء للعادات والتقاليد من أجل ضمان التماسك الاجتماعي ومحاولة القضاء على العالم الافتراضي من خلال الجلوس أكبر وقت ممكن مع الأسرة.

– تحبيب الجلوس في الطعام مع جميع الأفراد في الأسرة حتى يجتمع كلهم في طاولة واحدة وتفادي الوجبات السريعة والمطاعم خارج البيت إلا مع أفراد الأسرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- خالد، غ.، و المقدادي، ي. (2013).*ثورة الشبكات الاجتماعية: ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها التقنية والاجتماعية والاقتصادية، الدينية والسياسية على الوطن العربي والعالم*)ط. 1). دار النفائس.

2- حيدر، م. ف. (2002). *نظم المعلومات: مدخل لتحقيق الميزة التنافسية* .الدار الجامعية.

3- راضي، ز. (2003). استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي .*مجلة التربية*، .(15).

4- تركي، م. ع. (د.س.ن). *البناء الاجتماعي للأسرة* .المكتب الإعلامي للنشر والتوزيع.

5- غيث، م. (1992). *قاموس علم الاجتماع* .دار المعرفة الجامعية.

6- جديدي، ز. (2012). الاغتراب .*مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، .(8)جامعة وادي سوف.

7- العقيلي، ع. ب. م. (2004). *الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي لدى طلاب جامعة محمد بن سعود بمدينة الرياض* (سالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية).

8- البدانية، ذ. (1999). *الظواهر الإجرامية المستحدثة وسبل مواجهتها* .جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

9- رشدي، م. (2003). *تقويم فاعلية المؤسسة الاجتماعية في مواجهة مشكلات شبكة الأنترنيت* .في الحلقة السادسة للدراسات الاجتماعية للدول العربية، طرابلس. منشورات الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

10- بوتفنوشت، م. (1984). *العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة* (ترجم. أ. دمري). ديوان المطبوعات الجامعية.

11- حمداوي، م. (2005). *البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين: قرى العزايل نموذجا* (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، قسم علم الاجتماع).

12- الخشاب، س. م. (2008). *النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة* .الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

13- Lalonde, M. (1994). *Comprendre la société*. Ridact Sociologie.

13- نخبة من الأساتذة. (د.س.ن). *المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية* .دار المعرفة الجامعية.

14- شريف، ا. ع. (2000). التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة .*الفكر العربي*.

15- الناشف، هـ. م. (2006). *الأسرة وتربية الطفل* .دار المسيرة للنشر والتوزيع.

16- حمادة، ب. إ. (2002). الاتجاهات العالمية الحديثة في بحوث التأثيرات الاجتماعية لوسائل الاتصال الجماهيري .*المجلة المصرية لبحوث الرأي العام*، .(3)جامعة القاهرة.

17- عزي، ع. ر. (2001). *الأنترنت والشباب: بعض الافتراضات القيمية* .بحث مقدم في مؤتمر الاتصال والمجتمع الخليجي: الواقع والطموح، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الإعلام، جامعة السلطان قابوس، مسقط.

18- الخولي، س. (2004).*لأسرة في عالم متغير* .دار المعرفة الجامعية.

19- عبد الفتاح، ع. س. (2011). *الإنترنت والشباب: دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي* (ط. 2). دار العالم العربي.

20- محمد، م. ع. ف. (2009). *ظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية* .المكتب الجامعي الحديث.

21- مكاوي، ح. ع.، و علم الدين، م. (2009). *تكنولوجيا المعلومات والاتصال* .الدار العربية للنشر والتوزيع.

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾





Means of Social Solidarity, Obstacles to Their Implementation, and Proposed Solutions: Between Reality and Hope

Ahmed Mohamed Sidi
Professor of Jurisprudential Principles and Differences at the University of the Great Chinguettiya Mahdhara in Akjoujt, Mauritania
ahmedsidi01@gmail.com

Abstract:

Social solidarity is a solid fabric that brings together members of society. It is a profound humane concept that aims to achieve social justice and share resources and responsibilities among all members of society. It also aims to build a cohesive and cooperative society where every individual feels a sense of safety and belonging, and where support and assistance are provided to individuals and groups facing difficulties. It is not merely a theoretical concept; rather, it is a tangible reality expressed through a set of mechanisms and means that aim to bridge the gaps between members of society, meet their needs, and provide a safe and stable environment for all. Despite the importance of these tools, there are numerous obstacles to their effective implementation. This is countered by numerous efforts to promote social solidarity, with the goal of achieving a cohesive and cooperative society in which the efforts of all members of society, the government, and civil society organizations combine to implement proposed solutions and build a more just and supportive society.

Keywords: Tools - Social Solidarity - Obstacles to Implementation - Proposed Solutions

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

وسائل التكافل الاجتماعي ومعوقات تنفيذها والحلول المقترحة لها
بين الـواقع والمأمول

أحمد امحمد سيدي
أستاذ القواعد والفروق الفقهية بجامعة المحظرة الشنقيطية الكبرى بأكجوجت موريتانيا
ahmedsidi01@gmail.com

الملخص:

التكافل الاجتماعي هو نسيج متين يربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، وهو مفهوم إنساني عميق يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتقاسم الموارد والمسؤوليات بين جميع أفراد المجتمع، كما يهدف إلى بناء مجتمع متماسك ومتعاون، حيث يشعر كل فرد بالأمان والانتماء، ويتم تقديم الدعم والمساعدة للأفراد والمجموعات التي تواجه صعوبات، وهو ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو واقع ملموس يعبر عنه مجموعة من الآليات والوسائل التي تهدف إلى تقريب المسافات بين أفراد المجتمع، وتلبية احتياجاتهم، وتوفير بيئة آمنة ومستقرة للجميع.

وعلى الرغم من أهمية تلك الوسائل، فإن هناك العديد من المعوقات التي تحول دون تطبيقها بشكل فعال، يقابل ذلك العديد من الجهود المبذولة لتعزيز التكافل الاجتماعي، من أجل تحقيق مجتمع متماسك ومتعاون تتضافر فيه جهود جميع أفراد المجتمع، والحكومة، والمنظمات الأهلية لتطبيق الحلول المقترحة، وبناء مجتمع أكثر عدالة وتضامنا.

الكلمات المفتاحية: وسائل ـ التكافل الاجتماعي ـ معوقات تنفيذها ـ الحلول المقترحة

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن التكافل الاجتماعي نسيج متين يربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، وهو مفهوم إنساني عميق يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتقاسم الموارد والمسؤوليات بين جميع أفراد المجتمع. كما يهدف إلى بناء مجتمع متماسك ومتعاون، حيث يشعر كل فرد بالأمان والانتماء، ويتم تقديم الدعم والمساعدة للأفراد والمجموعات التي تواجه صعوبات.

وعلى الرغم من أهمية تلك الوسائل، فإن هناك العديد من المعوقات التي تحول دون تطبيقها بشكل فعال، يقابل ذلك العديد من الجهود المبذولة لتعزيز التكافل الاجتماعي، من أجل تحقيق مجتمع متماسك ومتعاون تتضافر فيه جهود جميع أفراد المجتمع، والحكومة، والمنظمات الأهلية لتطبيق الحلول المقترحة، وبناء مجتمع أكثر عدالة وتضامنا.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على وسائل التكافل الاجتماعي ومعوقات تنفيذها والحلول المقترحة لها لأن التكافل هو الأساس في وحدة المجتمع وتماسكه، والأمن هو الثمرة المتوقعة حين يغاث الملهوف ويعان المحتاج.

وتزداد الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع في ظل التفكك المجتمعي بالعالم، وتنامي التفاوت بين الطبقات، وتزايد معدلات الجريمة والانحراف، مما يحتم الرجوع إلى الحلول الإسلامية الأصيلة التي أثبتت نجاعتها في معالجة مثل هذه الظواهر، وهم ما يمكن صياغته في الإشكالية التالية: **كيف يمكن التغلب على المعوقات التي تواجه وسائل التكافل الاجتماعي وما الحلول المقترحة لذلك؟**.

وبناء على ما تقدم فإن هذا البحث سيسعى لبيان مفهوم التكافل الاجتماعي، والوسائل الضرورية لتحقيقه و السبل الكفيلة بتجاوز معوقات التنفيذ واقتراح الحلول المناسبة لها، معتمدين على المنهج الاستقرائي التحليلي، مع طرح توصيات عملية لتفعيلها بشكل مؤسسي فاعل.

. تمهيد: مفهوم التكافل الاجتماعي:

أولا: التكافل لغة: من الفعل اكتفل، واكتفل بكذا معناه ولاه وكفله (الفيروز أبادي 2005 ص 45) والتكافل من مادة كفل، ولها عدة اشتقاقات ومعان منها ما يلي:

. الكفل: بالكسر يعني الضعف والنصيب ومنه قوله تعالى:{ وآمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم} (الحديد: 28).

. الكفيل: بمعنى الشاهد والرقيب، قال تعالى: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون} النحل: 91.

. الكافل: بمعنى العائل والضامن، ومنه قوله تعالى: {وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم} (آل عمران: 44)، أي أنه يعيلها ويضمن معيشتها.

ثانيا: التكافل اصطلاحا: له عدة تعريفات كلها تدور في إطار واحد نورد بعضها لنقدها والاستفادة منها للوصول إلى معنى التكافل المراد:

1. تعريف الإمام أبوزهرة:" التكافل أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سلمية"(أبو زهرة،1991 ص:7)

2 . تعريف عبد العزيز الخياط:" التكافل هو أن يتساند المجتمع أفراده وجماعته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه ومميزاته وللجماعة هيئتها وسيطرها فيعيش الأفراد في كفالة الجماعة، كما تكون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم "(عبد العزيز الخياط، 2006 ص:61).

3 . تعريف عبد الله علوان: " التكافل هو أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفرادا أو جماعات، حكاما ومحكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم... أو سلبية كتحريم الاحتكار ... بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع، ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل، ودفع الضرر عن أفراده"(عبد الله ناصح علوان، 2001ص:15).

4. يرى السيد قطب: أن الإسلام يقرر التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله بين الفرد وأسرته، القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم، وبين الجيل والأجيال، وأن الكل مسؤول عن حماية الضعفاء والفقراء و المعوزين بتقديم الكفاية لهم من الزكاة ومن القادرين إذا لم تسد الزكاة حاجات هؤلاء المحتاجين".(سيد قطب،1995 ص:52 . 53).

ثالثا: التكافل الاجتماعي في الاصطلاحي: أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة. (أبو زهرة، 1991 ص:7)

وخلاصة القول أن نظام التكافل في الإسلام يكاد ينتظم التشريع الإسلامي كله لأن غاية التكافل هو إصلاح أحوال الناس وتهيئة الجو لهم ليعيشوا آمنين مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

المبحث الأول: وسائل التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي تفرد الإسلام عن غيره من النظم في أنه حفظ للفرد حقه في العمل والكسب، وحفظ للمجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن؛ لذا دعا الإسلام إلى الكسب، ورغب في طلب الرزق، من خلال العمل المنتج النافع، وطالب كل قادر على العمل أن يعمل، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:" إن الله يحب المؤمن المحترف". (البيهقي حديث رقم: 8337).

بل لقد عد الإسلام العمل والكسب عبادة يؤجر عليها الإنسان، لما يترتب على ذلك من الكفاية، فقد جاء في الحديث أنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم، رجل فرأى الصحابة من نشاطه ودلده، فقالوا: لو كان في الحديث أنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم:" إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله. (البيهقي: حديث رقم: 8337). وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله. وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله" (منصور حسن البهوتي 2001م 166/2). وبذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم العمل مكافئا ومساويا للجهاد في سبيل الله.

أما العاجزون الذين لا يستطيعون العمل بسبب المرض أو الشيخوخة، أو اليقادرون الذين لا يجدون عملا، أو لا يكفهم دخلهم لتحقيق معيشة لائقة بهم، أو الذين أضرت بهم الحروب والكوارث، وغيرهم من المحتاجين فلم يتركهم الإسلام لأنياب الفاقة والحاجة، بل شرع لهم عددا من التدابر لتأمين الحياة المعيشية اللائقة بهم، أو الذين أضرت بهم الحروب والكوارث، وغيرهم من المحتاجين فلم يتركهم الإسلام بأنياب الفاقة والحاجة، بل شرع لهم عددا من التدابير لتأمين الحياة المعيشية اللائقة بهم، والوسائل التي تحقق هذا التكافل تقوم على مطلبين هامين: الأول: عن مسؤولية المجتمع، والثاني: عن مسؤولية الدولة وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: مسؤولية المجتمع

الدولة لا يمكن أن تقوم بواجبها في تحقيق التكافل الاجتماعي مالم يسهم أفراد االمجتمع في بناء العدل الاجتماعي والبذل والإنفاق في سبيل الخير، وحين يتم التعاون الكامل بين الشعب والدولة ترفرف على المجتمع بشائر الخير والرفاهية، وتخيم على ربوعه ظلال السعادة والاستقرار. ويمكن أن نقسم مسؤولية المجتع في تحقيق التكافل إلى مايلي: أولا: الوسائل الإلزامية (تشريع الصدقات الواجبة)، وثانيا: الوسائل الطوعية (تشريع الصدقات التطوعية) .

أولا: الوسائل الإلزامية (تشريع الصدقات الواجبة):

أ. تشريع فريضة الزكاة: تعد الزكاة أول نظام مالي إسلامي وواجب اجتماعي يقوم به المسلمون تجاة فقرائم، فهي أول التزام مادي فرضه القرآن على أغنياء المسلمين في أكثر من سبعين موضعا، يقول تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} (المزمل: 18). وكثيرا ما اقترن ذكرها بالصلاة؛ لذا يجب أن يكون شأنها عندهم جميعا كشأن الصلاة، يقول تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا } (التوبة: 103). فهي ليست على سبيل المنحة والمنة، بل هي فريضة دينية إلزامية فرضها الله على المسلم، وجعل للدولة الحق في أخذها منه إذا امتنع عن أدائها.

ولعظمة فريضة الزكاة فإن الإسلام قد اعتبرمانعها مرتدا كافرا، ولهذا قاتل أبوبكر الصديق رضي الله عنه مانعها حتى يحفظ المجتمع من التخلخل الذي يسببه حرمان الفقراء من حقهم في أموال الأغنياء، وهذا تكريم للفقراء وتقرير لحقهم في تلك الأموال.

مفهوم الزكاة:

الزكاة لغة: النماء والزيادة قال تعالي: {قد افلح من زكاها} (الشمس: 10) ، وتطلق أيضا على التطهير والمدح (الفيومي: مادة زكا)

وهي في الاصطلاح: "إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص بلغ نصابا إن تم الملك وحال الحول فهي تطلق شرعا على إخراج الزكاة كما تطلق على المخرج من المال، ولذلك عرفها ابن قدامة بأنها: حق يجب في المال (ابن قدامة 1968م. 672/2) .

وسميت الزكاة زكاة لأنها تزكي النفس بإخراجها، وتزكي المال ببذلها وتطهره مما داخله بغير حق بدون علم صاحبه، وقد فرضت على القادرين من المسلمين من غير من ولا أذى لينتفع بها الفقراء والمساكين والعجزة. وهي وسيلة مهمة من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية، فضلا عن آثارها المعنوية حيث تنقي من المجتمع الأحقاد والبغضاؤ الناتجة عن انقسام الناس، وتذهب الغل والحسد والطمع من نفوس الذين لا يملكون ما يكفيهم. وتطهر نفوس الأغنياء من الشح والبخل والمغالات في حب المال، ودفعهم إلى البذل والعطاء، فضلا عن إقامة المصالح العامة للمسلمين، وتحد من انتشار الجرائم وخاصة الجرائم المالية؛ لأنها توفر المال بين أيدي الفقراء والمحرومين، فيتورعون عن جرائمهم واعتداءاتهم على أموال الآخرين.

ب: تشريع زكاة الفطر: وهي واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى صغير أو كبير عنده قوت يوم العيد، قال تعالى: {قد افلح من تزكى} (الأعلى:14). قال بعض المفسرين: نزلت في زكاة الفطر التي تؤدى قبل صلاة عيد الفطر(الشوكاني 516/5) وفي الحديث :" فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أوصاع من شعير على كل حر، أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين" (البخاري حديث رقم: 1504) وقد شرعت طهرة للصائم وتلافيا لتصرف فيما ينقص أجر صيامه، كما شرعت سدا لحاجة الفقراء والمحتاجين ومعونة لهم ليشاركوا بقية أفراد المجتمع فرحة العيد، بعيدا عن الحاجة والسؤال في هذا اليوم، كما قال صلى الله عليه وسلم:" اغنوهم في هذا اليوم"(الدارقطني حديث رقم: 2133).

ولزكاة الفطر دورها في تحقيق التكافل الاجتماعي، إذ ان هذه الوسيلة تجب على مئات الملايين من المسلمين الميسورين، ويستفيد منها الملايين من المسلمين الفقراء والمحرومين مهما كانت صعوبة الأوضاع الاقتصادية، ناهيك عن إدخال الفرح والسرور إلى نفوسهم وقلوبهم.

ج . تشريع النفقات الواجبة: ومن وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام، ما شرعه لله من وجوب نفقة الأقارب الفقراء على القريب الغني، فنفقة الزوجة على الزوج، والأبناء على الأب، ونفقة الوالدين الفقيرين على الولد القادر، ونفقة الأ الفقير أو المحتاج على أخيه الذي يرثه، وقد وسع بعض علماء المسلمين في شأن نفقة الأقارب حتى تصل إلى ذوي الأرحام، يلزم دفعها إليهم عن طواعية واختيار، فإن امتنع أقرباؤهم الأغنياء عن أدائها الزموا بها عن طريق القضاء، قال في المغني:" ويجبر الرجل على نفقة والديه، وولده، الذكور والإناث، إذا كانوا فقراء، وكان له ما ينفق عليهم" (ابن قدامة 1968م. 211/8).

وفي مذهب كثير من الفقهاء تجب النفقة على الرجل الموسر لأقربائه الفقراء من ذوي الفروض والعصبات، إذ إن كل قريب يرث قريبه الفقير العاجز عن الكسب لو مات غنيا، تجب عليه نفقته حال فقره وعجزه (ابن قدامة 1968م. 211/8). وكل هذا مما يقوي الروابط الاجتماعية ويحقق التكافل داخل الأسرة .وبهذا يكون الإسلام قد وضع في المجتمع صورة تكاملية ليس لها مثيل في الأنظمة الأخرى لتحقيق التكافل الاجتماعي، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع؛ لأن المجتمع في الأصل يتكون من مجموع الأسر كلها.

ثانيا: الوسائل الطوعية (تشريع الصدقات التطوعية)

وإذا كان الإسلام قد شرع وسائل إلزامية لتحقيق التكافل الاجتماعي، فإنه أيضا فتح الباب أمام التطوع، وتسهم الصدقات التطوعية في تحقيق التكافل الاجتماعي؛ لأنها غالبا ما توجه لإشباع حاجات الفقراء والمحتاجين، وقد تتم في صورة نقدية، أو عينية، أو في صورة تقديم منافع، ويقسم العلماء الصدقات التطوعية إلى أنواع، هي:

1. **الصدقة النافلة المطلقة:** ويجوز أن تكون نقدية، أو عينية، طعام، أو ساء، أو علاج، أو أدوات أو منافع، قليلة كانت أو ثيرة، وهي لا ترتبط بزمان ولا مكان، وفيها يصدق قوله صلى الله عليه وسلم:"إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم..." (الترمذي حديث رقم:662) فلا ينبغي احتقار الصدقة مهما قلت، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: اتقوا النار ولو بشق تمرة"(مسلم حديث رقم: 1016).
2. **الصدقة الجارية:** مثل الوقف، ومعناه: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة (ابن قدامة 1968م. 35/6) أي: التنازل عن ملكية ذات المال لله تعالى، من أجل أن ينتفع به الناس، كوقف المساجد ولوازمها، والمدارس، والمكتبات، والمستشفيات، والبيوت، ومياة الشرب، والعمارت السكنية، والأرض الزراعية وغير ذلك، ويصدق فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوله"(الترمذي حديث رقم: 1376).

فالوقف:" هو نمط من أنماط التكافل الاجتماعي يكتسي صفة المنفعة المستمرة، ليخدم الأجيال المتعاقبة، ويعبر عن معنى الإيثار والتعاون بين المسلمين، وعليه فإن أهمية الوقف تتجلى في إسهامه في ترسيخ التكافل الاجتماعي، وتوفير موارد ثابتة للإنفاق على المحتاجين بما يقيهم شر الجوع والعري وهذه من أنبل مقاصد الدين الحنيف" (يوسف القرضاوي 1995م ص:90).

3. الوصايا: وهي تبرعات مالية مضافة إلى ما بعد الموت (ابن قدامة المقدسي1968م. 137/6) وهي أن يوصيي الشخا عند موته بنسبة من ماله لشخا معين، أو جهة معينة، أو جماعة من الناس، أو أي جهة من جهات لخير تصرف بعد وفاء الديون، بما لا يزيد على ثلث التلاكة؛ لأن الإسلام وازن بين حقوق الورثة والموصيي إليهم، حيث منع الوصية بأ كثر من الثلث اعتبارا لحق الورثة، ومراعاة لظروفهم بعد الميت، وقد رغب في الوصية فقال:"كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين" (البقرة:180) . وقال صلى الله عليه وسلم:" إن الله أعطاكم ثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في أعمالكم"(البيهقي حديث: 12571). وهي تسهم في تقوية الروابط الاجتماعية وزيادة التآل والتراحم والتعاون بين الناس.

4. العواري والمنائح وقضاء الحوائج: مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم نوع من الإحسان، وحتى يتم سد باب الاحتياج دعا الإسلام وندب إلى قضاء حوائج الآخرين، بل وجعل السعي في قضاء حوائجهم من الأخلاق الرفيعة، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمرنا لله به في قوله: { وتعاونوا على البر والتقوى} (المائدة:2) فقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:" ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" (البخاري حديث: 2742). وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل، قال:" أن تدخل على أخيك المسلم سرورا أو تقضي عنه دينا، أو تطعمه خبزا"(البيهقي حديث رقم:7273) وقال صلى الله عليه وسلم في العواري والمنح:" من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه"(البخاري حديث رقم:2632).

وكل ذلك دفع للمسلم لقضاء حوائج الآخرين، والسعي لإزالة ما يحل بهم من النائبات والمصائب والكرب، والتيسير عليهم، والتحبب إليه طمعا في ثواب الله وحده، ومن هنا نجد أهمية قضاء الحوائج، لما لها من دور إيجابي في حياة الفرد والمجتمع، وغرس المحبة بين أفراده، وفي تقوية العلافات الاجتماعية وإقامتها على المشاركة والتعاون ، وإدخال السرور في أنفسهم، لينعم المجتمع بالاستقرار، وتزداد فيه الأخوة ترابطا، وأواصر المحبة توثقا، وبالمحصلة ينعكس ذلك على الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية.

5. الأعطيات والهدايا والهبات: وقد حث الإسلام على هذا لما لها من آثار إيجابية وبناءة في غرس المحبة بين أفراد المجتمع، ولما لها من دورفي تقوية العلاقات الاجتماعية وإقامتها على المشاركة والتعاون والمحبة وإشاعة روح الألفة والمودة، قال صلى الله عليه وسلم في الهبات ونحوها: " تهادوا تحابوا" (البيهقي رقم:11946)

6. التيسير على المدين المعسر: وهو مبدأ عظيم جاء به الإسلام، رحمة بحفل المعسر، وتقديرا لظروفه القاسية، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى: { وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون} (البقرة: 280). فقد قال صلى الله عليه وسلم:" من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه" (مسلم حديث رقم: 1563).

وهكذا يتضح مدى حرص الإسلام على استكمال أسباب الروابط الاجتماعية، من خلال تشريع معالم للتكافل الاجتماعي، على سبيل الوجوب، أو على سبيل الندب، وهذا مما لم يعرف في أي تشريع أو نظام آخر.

المطلب الثاني: مسئولية الدولة في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي

العقيدة الإسلامية هي التي تغرس في الإنسان المسلم قيمة المسئولية أمام نفسه، وأمام الله، وأمام المجتمع والحياة الإنسانية بشكل عام، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد الالتزام بالمسئولية بطريقة مباشرة، منها قوله تعالى: {تالله لتسألن عما كنتم تفترون} (النحل:36) وقوله تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"} (الإسراء:36) ، وقوله تعالى: {وقفوهم إنهم مسؤولون} (الصافات:24)

أما الأحاديث عن المسئولية وحدودها الاجتماعية فهي كثيرة، ومن أشهرها قوله صلى الله عليه وسلم:" كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته"(البخاري حديث رقم:2409) ولهذا فالدولة راعية ومسئولة عن رعيتها، وهذه الرعية قد تصل إلى الملايين من الناس كما هو الحال الآن.

ولهذا فقد وصل استشعار المسئولية في قلب عمر رضي الله عنه إلى أنه لم يجعل مسئولية الدولة عن الآدميين الذين يستطيعون بذلها وحسب، بل عن كل كائن حي، فيقول قولته الشهيرة:" لو عثرت بغلة بالعراق، أو قال بصنعاء، لكنت مسئولا عنها لم لم أسو لها الطريق؟" (عبد الشافي 2007 ص:410)، ثم يصل الأمر في أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى أن يقول يحي بن سعيد:" بعثني عمر على صدقات إفريقية فاجتبيتها، بحقق عن فقراء أعطيها لهم فلم أجد، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها عبيدا فأعتقتهم"(على محمد الصلابي 2006م ص:340).

وقد شرع الإسلام من الوسائل والنظم ما يحقق التكافل الاجتماعي، وبعض هذه الوسائل منوط بالأفراد، والبعض الآخر منوط بالدولة . وقد تحدثنا في المطلب السابق عن وسائل التكافل المنوطة بأفراد المجتمع التي جعل بعضها إلزاميا، وترك البعض الآخر للتطوع، **ويمكن تحديد مسؤولية الدولة ودورها في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي على النحو الآتي:**

أولا: تأمين موارد المال: ومن أهم الموارد المالية التي تقوم الدولة على تأمينها ما يأتي:

أ . جباية الزكاة: وذلك من كل ما يجب فيه الزكاة من أموال، من نقود وزروع وتجارة وعقارات ومواش وغيرها، حتى تتأمن لديها الأموال التي تضمن تحقيق التكافل الاجتماعي، وتأمين حاجات الفقراء والمحتاجين والمساكين والأيتام واللقطاء والأرامل والعجزة والشيوخ والمنكوبين بما يسد حاجتهم، ويصون كرامتهم، ويحفظهم من ذل السؤال، فعندما قامت الدولة بجباية الزكاة في العصور الإسلامية الزاهرة، وتنظيم وسائل تحصيلها وصل الأمر إلى أنها كانت لا تجد من يأخذها؛ نظرا للكفاية.

ب . إدارة أموال الوقف واستغلالها: وذلك بإقامة السياسات اللازمة لتحقيق أهداف الوقف، وإيجاد الضمانات اللازمة لذلك، والدولة إذا أحسنت الاستفادة من أموال الوقف، فقد أسست دعائم التكافل في المجتمع، وأمنت الأموال اللازمة لتحقيق التكافل الاجتماعي، ولتحقيق ذلك ينبغي على الدولة اتخاذ ما يأتي:

. وضع النظم واللوائح والقوانين التي تمكن الأوقاف من أداء وظيفتها وتحقيق أهدافها في تمويل أنشطة التكافل الاجتماعي وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

. التأكيد على خصوصية أموال الأوقاف وعدم صرفها إلا على الوجه الذي خصصت له، وذلك بإنشاء المؤسسات والمشاريع الخيرية المختلفة وتمويلها، ومنع تعدي أي سلطة عليها، واسترجاع ما تم الاسيلاء عليه.

. استثمار أموال الوقوف حتى يؤدي ذلك إلى زيادة إيراداتها، ومن ثم إلى زيادة إقبال الناس على وقف أموالهم.

ج . موارد الدولة المختلفة: وإذا لم تحصل الكفاية، ولم تك موارد الزكاة وأموال الوقف لتأمين حاجات الفئات المحتاجة، ففي جميع موارد الدولة متسع لكفايتهم وتأمين حاجاتهم، وذلك مما تملكه الدولة من إيرادات النفط والمعادن والأراضي الزراعية والعقارات ونحوها، فالدولة في الإسلام مسئولة عن رعاية العاجزين والمحتاجين وضمان العيش الكريم لهم. (يوسف القرضاوي 1996م ص:389.)

د . تحصيل المال اللازم من الأغنياء: عندما تعجز خزانة الدولة عن القيام بوظائفها في تحقيق كفاية الفقراء والمحتاجين لزمها جباية المال اللازم من الأموال الخاصة بالأغنياء على النحو الآتي:

. دعوة الأغنياء إلى الإنفاق والتصدق باختيارهم بدافع الخير والثواب؛ لأن الإسلام في مواجهة المشكلات الاجتماعية يفتح المجال أمام التطوع والإحسان، مع الترغيب فيه والحث عليه، وبيان ما ينتظر صاحبه من جزاء في الدنيا والآخرة، وذلك بدعوة الأغنياء وحثهم على الإحسان والإنفاق عبر وسائل الإعلام المختلفة. . إلزام الأغنياء بسد حاجة الفقراء والمحتاجين فإذا لم يقم الأغنياء بالإنفاق والتصدق باختيارهم فلولي الأمر أن يفرض عليهم ما يقوم بكفاية الفقراء والمحتاجين، "واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال إليها" (القرطبي 1964م 242/2) ويقول ابن حزم رحمه الله:" وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر، والصيف والشمس، وعيون المارة"(ابن حزم . 1993م 281/4). وعلى هذا عندما تعجز خزانة الدولة عن القيام بوظائفها في تحقيق كفاية الفقراء والمحتاجين، فإنه يجوز . بل يجب . في رأي معظم فقهاء الإسلام أن تفرض الدولة في أموال الأغنياء، ناهيك عن الزكاة المفروضة، ما يحقق ذلك، بنظيم جباية المال اللازم من الأغنياء، وفرض الضرائب العادلة في أموالهم بقدر ما يسد حاجات المحتاجين. (عبدالكريم زيدان 2001م ص: 246).

ثانيا: توزيع المعونات المختلفة على المستحقين

وذلك بتطبيق نظم توزيع الموارد المحصلة من الزكوات والصدقات والوقف الخيري على المحتاجين وفقا لفقه الأولويات وامتثالا لقول الله سبحانه وتعالى في تحديد مصارف الصدقات: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...حكيم} (التوبة:60). ويدخل فيهم: الأيتام، والأرامل، والشيوخ، وأصحاب الظروف الطارئة، والمنكوبون من الحرائق أوالسيول أوالفيضانات أوالمرض أوالحروب"(عبدالكريم زيدان، 2001م ص:246) . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد مسئولية الدولة عن جميع رعاياها إما بإعطائهم فرصة كريمة للعمل، وإما بإعالتهم من بيت المال. فقد جاءه رجل يسأل فأعطاه دراهم، وقال له:" اشتر بدرهم فأسا وبدرهم طعاما لأخلك ثم انطلق إلى هذا الوادي فلا تدع حاجا ولا شوكا ولا حطبا ولا تأتني خمسة عشر يوما"(حديث رقم:1156).

فالنظام الإسلامي يهدف إلى تكوين مجتمع عادل، تضمن فيه الحياة الكريمة لجميع الأفراد، حتى لا يكون فؤيسة للتشرد والتسول والانحراف، تذكر الوايات التاريخية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعطي الفقراء ما يغنيهم ويعينهم على القيام بمشاريع وأعمال تجارية تدر عليهم المال، حتى لا يكونوا فريسة للفقر والبطالة واستجداء الناس، والتشرد، وكان يقول:" إذا أعطيتم فأغنوا" (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، 1989م ص:676) .

فالدولة مسؤولة عن تنظيم وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي وتوزيع الصدقات والمعونات المختلفة على المستحقين، بصورة عادلة، وذلك بوضع التنظيمات التي تكفل وصولها إلى مستحقيها.

ويمكن تحديد طرق تحقيق التكافل الاجتماعي وفقا لكيفية تلبية حاجات المستحقين على النحو الآتي:

أ . المعونات الدورية: وهي التي تعطى بصورة دورية لمستحقيها، أو المساعدات المقطوعة التي تعطى لبعض المحتاجين مرة واحدة في الظروف الطارئة، وتعط هذه المساعدة لمستحقيها وفق الشروط التي يراها المختصون.

ب . إيجاد فرص عمل للقادرين وتهيئة سبل العمل لهم: فالإسلام يفتح فرص العمل أمام الجميع ويفرض على المجتمع المسئولية عن فقرائه الذين لا يجدون عملا، أولا تتسع مواردهم للوفاء بحاجتهم، وذلك بتهيئة سبل العمل للعاطلين وتوفير فرص العمل لهم، وتزويدهم بأدواته وإعدادهم مهنيا، وإعطاء الأولوية للفئات الفقيرة المحرومة، حتى ولو اقتضى الأمر إقراضهم من بيت المال، ووقد أشار الفقهاء إلى جواز إقراض المحتاج من بيت المال، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق مايلي:

ج . وضع الاستراتيجيات المدروسة: وذلك لتوفير فرص العمل، وتأهيل الفقراء على مهارات وخبرات تفسح أمامهم فرص العمل والإنتاج حتى يكون لهم مصدر رزق ثابت يمكنهم الاعتماد عليه في حياتهم وتأمين منافذ مناسبة لتصري منتجات الفقراء المنتجين وتسويقها، وتشجيعهم ماديا ومعنويا والوقوف بجانبهم، وتذليل الصعوبات والعقبات أمامهم.

د . منح القروض الحسنة وتمويل المشروعات الصغيرة، التي تعمل على مساعدة المحتاج في قضاء حوائجه، وتنفيس كربه مما يشجع المقترض على العمل بجد،مما يترتب عليه زيادة في الإنتاج، ومن ثم زيادة الدخل. ومن ناحية أخرى فإن للقرض الحسن أثرا مباشرا في التخفيف من البطالة، من خلال توفير فرص عمل للمقترض ولمن سيعملون معه.

هـ . تنظيم وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي (للخدمات والمنافع المختلفة): وذلك برسم السياسات اللازمة لتحقيق التكافل الاجتماعي الذي على شكل خدمات أو منافع، با يكفل تقديها للمستحقين، ومنحمهم الامتيازات والتسهيلات المناسبة، وتمتعهم بأولوية في المؤسسات التي تقدم الخدمات المختلفة في مجال التعليم والصحة وغيرها، ومنحهم التحفيضات المناسبة في الرسوم، وإعفاء المشروعات المتعلقة بحاجاتهم من بعض الضرائب والرسوم وما إلى ذلك.

ثالثا: توجيه وسائل الإعلام بتبني البرامج التي تخدم التكافل الاجتماعي

وذلك لما للإعلام من دور كبير في بناء الإنسان، وتوجيه وظيفة الأسرة المتمثلة في تنشئة وتهذيب نفوس أفرادها بغرس الأخلاق الفاضلة، وتأصيل القيم والتعاليم الدينية التي تحض على الإحسان والبذل والعطاء، وترسيخ معاني الأخوة والمحبة والإيثار بين أفرادها، ولما له من دور في بناء نظام اجتماعي مترابط تسوده روح الألفة والمودة والتعاون على البر والتقوى. ولما له من دور في تقوية الروابط الاجتماعية مما يؤدي إلى تعميق الصلات الاجتماعية وتوثيقها، ذلك عن طريق الأخبار الاجتماعية عن الأفراد أوالجماعات أوالمؤسسات الخيرية، فضلا عما تقدمه من إسهام في تبصير الناس وحثهم على التصدق والإحسان، والتحذير من عواقب دفع الزكاة والاستيلاء على أموال الوقف عن طريق البرامج والمسلسلات واللقائات والمقابلات مع العلماء والمرشدين، وهذا من قبيل القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعا: تشَجيع المؤسسات والجمعيات الخيرية الخاصة بالتكافل الاجتماعي: وذلك عن طريق حث المنظمات الطوعية وغير الحكومية وسائر المؤسسات والأفراد على إقامة مشاريع الخير المختلفة، كدور رعاية الأيتام أو العجزة، والمسشفيات التي يعالج فيها الفقراء، والملاجئ وغيرها، وذلك بوضع القوانين والنظم واللوائح التي تمكنها من أداء وظيفتها وتحقيق أهدافها، وتذليل الصعوبات والعقبات أمامها، ومنحها التراخيص والسهيلات الضرورية واللازمة لسيير عملها، وإعفائها من الرسوم والضرائب.

المبحث الثاني: معوقات تنفيذ وسائل الكافل الاجتماعي والحلول المقترحة لها:

المطلب الأول: معوقات تنفيذ وسائل التكافل الاجتماعي

أولا: التحديات الخارجية: إن المتأمل للحالة التي عليها العالم اليوم ليرى أن الإسلام أصبح هدفا لسهام الغرب، التي يرشقنا بها ليهدم كل ما ينتمي إلى الدين، ويلغي جميع مظاهر الخير فيه، ومن أكثر الأمور التي سلط عليها سهامه، وسائل التكافل الاجتماعي وخصوصا العمل الخيري لما يرى فيه من أثر بالغ في استقلالية

المجتمعات المسلمة. ومن تلك العراقيل التي وضع ليهدم كلما ينتمي للإسلام، الضغوط الدولية الغربية الأمريكية لتجفيف منابع الخير بحجة الإرهاب، وأثر تلك الضغوط على تعامل الحكومات والمجتمعات مع هذه المنظمات، التي أسفرت عن تحجيم التكافل الاجتماعي ونبذه والنفور عنه، وقد اتخذت تلك الضغوط عدة صور منها:

1 . اتهامه بوجود علاقة بينه وبين الإرهاب:ويتم ذلك من خلال تلفيق أي تهم تدينه والوصول إلى أي خيوط تثبت هذه التهمة.

2 . محاولة إجبار العمل الخيري على التخلي عن ربط الدعوة بالإغاثة لما لذلك من أثر يعرفونه في ربط الناس بالإسلام ومؤسسات الدعوة والعمل الخيري، في الوقت الذي يفتح المجال للمؤسسات التنصيرية باستغلال حاجة الناس لنشر الإنجيل . المحرف . مع الغذاء والدواء.

3 . التضييق على التبرعات والتحويلات المالية للمؤسسات الإسلامية .

4 . تصفية المؤسسات الخيرية النشطة .

5 . الحملة العلمانية الليبرالية في البلدان الإسلامية التي يقودها مجموعة من الكتاب بقصد تصفية العمل الخيري بحجج واهية لتقويضه ونسق مؤسساته.

6 . تخوف الكثير من الموسرين وإحجامهم عن الاستمرار في دعم العمل الخيري، متأثرين بالحملات الدعائية ومؤثرين السلامة، مع قلة وعي الكثير من المستمرين في دعمها منهم، في العطاء غير المدروس والإنفاق على أمور جانبية لا ترتقي إلى مستوى حاجة الأمة وأولوياتها في الإنفاق، إضافة إلى وجود الفارق الهائل بين إنفاقهم الشخصي وأنفاقهم الخيري.

7 . اثقافة السائدة بين المنظمات الخيرية من اعتماد الموارد المالية أساسا وشبه كلي أحيانا على التبرعات والهبات التي يجود بها المحسنون، وعدم السعي الحثيث لتكوين أوقاف تعتمد عليها المنظمات في الإنفاق الدائم وغير المشروط على أنشطتها من قبل المانحين، الأمر الذي يمكنها من حرية التخطيط واختيار الاستراتيجيات المناسبة لها.

8 . التخوف والهاجس الأمني الذي تعيشه المنظمات الخيرية والعاملون فيها، في معظم الأقطار، فقل أن تسلم مؤسسة إسلامية من الحملات الإعلامية أو المساءلة والتحقيق والمراقبة والتدقيق حول نشاطها

ونشاط أفرادها أو حوالة من حوالاتها، لقد أصبح افتعال القضايا وصناعة الأحداث والأخبار السلبية روتينا يوميا تواجهه المنظمات حتى أوجست خيفة وحبست أنفاسها خوفا من الدور الذي ينتظرها.

9 . ضعف مفهوم الوقف في المجتمع المسلم إلى الآن، والأوقاف مورد مهم من موارد العمل الخيري، يشهد التراث العلمي والخيري الإسلامي بخاصة على قوة تفعيله، حتى شمل غير المتخيل الآن من أعمال الخير(محمد بن أحمد صالح الصالح، 2001م ص: 365) .

10 . ضعف تفعيل مفهوم التطوع، ومن ثم ضعف العمل التطوعي والمؤسسي، ومن يتطوع قد لا يلتزم بالمهمات التي تطوع من أجلها والالتزام بالوقت في أدائها، وربما يأتي هذا من ضعف ثقافة التطوع في المجتمع

ثانيا: التحديات الداخلية: من التحديات والعراقيل الداخلية المعاصرة مايلي:

1 . زيادة عدد المستحقين في ضوء موجة الغلاء العالمية وتحول بعض الكماليات إلى ضروريات، وكثرة الأطروحات الفكرية التي تنزع إلى القياس المادي وعدم الاتكال على الله في الرزق.

2 . زيادة عدد المستحقين بزيادة عدد المسلمين على المستوى العلمي حيث تشير الإحصاءات إلى أن عدد المسلمين (1.4) مليار سنة 2008م، ويتوقع أن يصلوا إلى (2) مليار بحلول هذه السنة 2025م. وكذلك من التحديات المعاصرة، الانفصال عن الشريعة الإسلامية ومبادئها، والتخلي عن دراسة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، في أوساط المجتمع المسلم وخاصة فئة الشباب، التي أصبحت غارقة في وحل المادية وبريق العصرنة، فلا بد من الرجوع إلى طريق الله، لتعود الحياة للقلوب بروح الإيمان، ومنها يحيا الفرد المسلم كما يصف ذلك المولى عز وجل: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْناه وَجَعَلْنَا لَهُ نُورايمشي به فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَله فِي الظُلُمَاتِ لَيْسَ بِارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زين للكافرين ما كان يعملون} (الأنعام:122)، فيحيا بحياته مجتمعه، وترتفع بذلك أمته، فلا بد من الوقوف إزاء هذه التحديات ومعرفة سبل التخلص منها، والحلول والآليات التي يجب تفعيلها لتشييد صرح العمل التطوعي الذي يعد من أهم وسائل التكافل الاجتماعي. (سليم عمري، حسن إبراهيم هنداوي، 1999م ص:176).

المطلب الثاني: الحلول المقترحة لمعوقات التكافل الاجتماعي

إن الملاحظ للمجتمعات الإسلامية وما تواجهه من عراقيل لتسيير العمل التطوعي ومؤسساته، يستلزم منا معرفة حاجة المجتمع الإسلامي المعاصر إلى تضافر الجهود المهنية لتفعيل دور العمل التطوعي بما يخدم سياسات الإصلاح الاجتماعي، فهو أحد الوسائل التي تستطيع به الحكومات زيادة فرص نجاحها في تسيير

عجلة التنمية الاجتماعية، وتفعيل وتحقيق التكافل الاجتماعي بكل تقسيماته، كما أن إغفال العمل التطوعي الخيري في تصميم وتنفيذ السياسة الاجتماعية يعتبر إغفال مورد غير عادي يساهم في ربط الناس برباط الأهداف المشتركة، والمبادئ الإسلامية الموحدة، ويمكن كذلك التطرق للكثير من الآليات لتفعيل العمل التطوعي الذي يعد من وسائل التكافل الاجتماعي وإدراجه كنموذج للتصدي للعراقيل المعاصرة والمستجدة وذلك من خلال مايلي:

أولا: تفعيل دور المسجد: إذ يعتبر المركز الأساسي للمجتمع الذي تجتمع فيه أفراده، وهو اللبنة الأولى التي اعتمد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة الإسلامية، وأول ما قام بتشييده في المدينة بعد هجرته من مكة المكرمة، لتكون هذه رسالة إلى عموم المسلمين حول دور المسجد في حياتهم وكيف أنه ليس مكانا للصلاة فحسب، بل مركزا لإدارة شؤون الناس، وتسيير مصالحهم الدنيوية ومشكلاتهم اليومية، وهو أيضا يدعم التواصل الاجتماعي، ولقد كان المسجد مكان الصلاة، وبيت المسكين والفقير، وموئل أصحاب الحاجات، ومنطلق الجيوش، ومخبر القرار، وموطن الثقة في قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسل، فتجتمع فيه أفراد المجتمع وتعرض حاجاتهم فيه ويعرف فيه صاحب الحاجة من غيره، وهذا ما يجدر التنويه إليه في عصرنا، للعودة لبيوت الله وتعزيز دورها في ريادة سفينة التكافل الاجتماعي، إذ مازالت قلوب الناس تطمئن إليه وإلى إمامه الذي هو قائدهم الروحي، ويقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، شئنا أم أبينا، مع مراعاة أن يكون الإمام القائم عل الأعمال التطوعية ومعه الجمعية القانونية التي تحرص كل العمليات، وأن تمتاز بالشفافية ووضوح الأهداف، وأن يتميز أعضاؤها بما كان عليه الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى عليه وسلم، أو التشبه بمكارم أخلاقهم، لأن روح الإيمان هي الدافع إلى كل عمل خير دون رجاء منفعة أو ثواب، قال تعالى :{ إنما تطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا} (الإنسان:9).

ثانيا: تكوين المتطوع: ولنا في مجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بناه في المدينة في مراحله الأولى لتشييد الأمة الإسلامية، قدوة ومثالا نحتذي به، فقد ركز صلى الله عليه وسلم على بناء الشخصية المسلمة، وتوضيح المصادر الصحية للحياة التكافلية الحقيقية، فكون في مدرسته المحمدية جيلا هو خير البشر بعده، تجلت فيهم الأخلاق المحمدية والصفات الحميدة حين اتحدت قلوبهم قبل أجسادهم، فلا يرى فيهم الضعيف ولا الفقير ولا المحتاج، بل كلهم سواسية كأسنان المشط، مما جعلهم يقودون العالم ويرفعون راية الإسلام ويحررون العبيد من الرق والتجبر والظلم، فما دمنا أفراد ننتمي إلى هذه الأمة وهذا الرعيل، أن ننهج منهجهم،

ونسلك طريقهم في حاضرنا ونسخر ما نملكه من مقومات لتعليم الفرد المسلم وتكوينه على أسس إسلامية صحيحة، ولنغرس فيه داعي الإيمان الذي يق وده وشرع الله الذي يحرصه، ولنبعد سعي الأفراد المتطوعين إلى اكتساب مكانة اجتماعية أو إشباع ميولهم ورغباتهم، وتحقيق مصالح شخصية حتى ولو أدى ذلكإلى التضحية بأهداف الجمعية، فمادام أنه يوجد في العديد من الجامعات متخرجين بشهادات مختلفة التخصصات في كل مناحي الحياة، كالفندقة والسياحة، والطيران، وغيرها مما تستدعيه الضرورة والعصرنة، فإنه من الواجب أن ينصب الاهتمام إلى تدريس التطوع وثقافته كفرع في الجامعات الإسلامية والعربية.

ثالثا: تفعيل دور الإعلام:

يعتبا الإعلام الجديد عبر وسائطه المتعددة كالانترنيت ومختلف تقنياتها كالفيسبوك والتويتر واليوتيوب.....، مكانة هامة، إذ ينافس في الوقت الراهن وسائل الإعلام التقليدية في نقل الأحداث والأخبار، فمساحات التفاعل الإعلامي التي تتيحها وسائط الميديا الجديدة واستخداماته المكثفة من قبل الجمهور، أتاح فرصا هامة للمؤسسات والتنظيمات الجمعوية للاتصال مع المحيط الإعلامي الذي يمتاز بالفعالية والدينامكية، وتتيح وسائط إعلامية حديثة نقل أفكار ونشاطات الجمعيات الخيرية وكل الأعمال التطوعية إلى فئات واسعة من الجمهور، إن التطور المتسارع الذي شهدته وسائل الإعلام والاتصال وانعكاساته على تغير أساليب العمل الإعلامي الذي انتقل إلى مرحلة جديدة، رسمتها الميديا الجديدة عبر منصات الإعلام الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، أنتج واقعا إعلاميا جديدا أضحت فيه الأخبار والمعلومات أكثر انتشارا بين أفراد الجمهور، والأفراد الذين يريدون نشر أفكارهم ومشاريعهم في مجال التكافل الاجتماعي، وأضحت المنصات الإلكترونية منبرا في نشر ثقافة التطوع.

إن الأثر الخيري للإعلام قد يكون بإضافة معلومات عن العمل الخيري أو خلق اتجاه جديد، أو إضعاف اتجاه قديم، أو المعاونة على خلق وجهة نظر محددة جديدة أو متحولة من وجهة نظر أخرى، وقد يكون في خلق قيمة خيرية جديدة أو تدعيمها أو إضعاف من سلوكيات قديمة، أو التحول عنها، وقد يتمثل الأثر في تعديل سلوك قائم أو العدول عنه إلى سلوك جديد، وهذا كله ما يعرف باسم اتجاهات التأثير، **ولذا من الجدير أن نركز على تفعيل الجانب الإعلامي للرقي بالعمل التطوعي ضمن هذه النقاط المقترحة:**

1 . إيجاد مجلس إعلامي خيري يضم القائمين على المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكافل الاجتماعي لإيجاد التكامل المطلوب بين هاتين المؤسستين.

2 . إيجاد مركز إعلامي متخصص في الأعمال التطوعية ضمن الأعمال والبرامج المنضوية تحت الإعلام الخيري.

3 . فتح قنوات خاصة بالعمل التطوعي والتعريف به التطلع على واقعه في الدول العربية والإسلامية، وإلغاء الحدود الجغرافية والسياسية والحزبية والطائفية التي تعيقه.

4 . مطالبة الجمعيات الخيرية والتطوعية بالتخطيط الإعلامي وفق برنامج محدد لتحقيق أهدافها في التعريف بأعمالها من خلال توظيف الإمكانات البشرية والمادية المتاحة لديها.

5 . تدريب المشتغلين بالعمل التطوعي والخيري على بعض المهارات والتقنيات الإعلامية.

7 . الاستفادة من الأكاديميين في مختلف التخصصات لتفعيل العمل التطوعي إعلاميا.

رابعا: ترقية وتحسين الإدارة في العمل التطوعي:

ترقية إدارة العمل التطوعي والتطرق إلى خصائصها كالمرونة والتجديد وحرية المبادرة، وأهمية الاتصال الأفقي، والارتباط بالواقع، والتنويه إلى وظائفها مع كل المستجدات، وذلك فيما يتعلق بإدارة المتطوعين كالاستقطاب والاختيار والتدريب والتحفيز والتقويم، ثم إدارة الأنشطة من خلال التخطيط، والتنظيم والتوجيه، واتخاذ القرار، والرقابة، والاهتمام بمرونة الإدارة مع متطلبات العصر وكيفية المعايشة للظروف المحيطة حيث، تتجلى أهمية الارتباط بالبيئة في العوامل العديدة المتبدلة، مثل الظروف التي تمارس فيها الجمعية عملها وتقديرات القيادة لهذه الظروف، وقوة العلاقة الشخصية والاجتماعية التي توظف في خدمة الأهداف (برهان غليون1992م، ص:738).

خامسا: صناعة القيادة التطوعية:

صناعة القائد الذي يقوم بالعمل الإداري ويشرف على المتطوعين من الأولويات التي يجب الاهتمام بها في عصرنا، للانتقال من التطوع التقليدي إلى التطوع المؤسسي المبني على الإدارة الجيدة والأهداف الواضحة، "فالقيادة هي محور العملية الإدارية، والإدارة نوع خاص من القيادة من خلالها يتم انجاز الأهداف التنظيمية، حيث تستخدم كافة الأساليب الإدارية للتأثير في سلوك الأفراد بما يكفل تحقيق أهداف المنظمة التي يعملون فيها (أحمد مصطفى خاطر، محمد بهجت 1999م ص: 12 . 22).

فالقيادة الرشيدة في العمل التطوعي تخلق جوا تكافليا مناسبا للعمل والخلوص إلى الأهداف المنشودة، وذلك ما كان من الصحابة الذين انصهروا في بوتقة التعاليم الراشدة التي صنعها لهم قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لعل هذه الآليات المقترحات تجد من يشد أزرها ممن كان لهم السبق في هذا الحقل، وهذا الجانب العظيم الذي يمثل روح الإسلام، وتجد من يسلط عليها الضوء فتضاف إلى تجارب أخرى تكتمل بها الوسائل لرفع دعامة التطوع والقائمين عليه.

الخاتمة:

توصل البحث إلى الاستنتاجات التالية:

1 . التكافل الاجتماعي في الإسلام يعنى التزام الأفراد والمجتمع والدولة بكفالة المحتاجين وتوفير احتياجاتهم المختلفة، ولا يقتصر على حفظ حقوق الإنسان المادية؛ بل يشمل المعنوية أيضا.

2 . التكافل الاجتماعي في الإسلام تعاون بناء، ومحبة وإخاء، وأخذ وعطاء، يحنو الكبير على الصغير، ويوقر الصغير الكبير، ويعطف الغني على الفقير ... يأخذ المجتمع بيد الضعيف سواء كان في الحاضر أو الريف .كل فرد في المسلمين يعتبر نفسه مسؤولا عن الجائع والفقير مهما تعددت الأجناس واختلف الألوان ونأت الديار.

3 . تشمل الوسائل التي شرعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعي في وسائل إلزامية ووسائل طوعية، تشتمل الوسائل الإلزامية التي شرعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعي على مايلي: زكاة المال، وزكاة الفطر، ونفقات الأقارب، والكفارات، الصدقات التطوعية المختلفة.

4 . تتمثل مسئولية الدولة في تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي في جباية الزكاة وإدارة أموال الوقف، وإلزام الأغنياء بمساعدة المحتاجين، ودعم القادرين على العمل. وتوزيع المعونات على المستحقين، وتشجيع المؤسسات الخيرية على أعمال البر، وتوجيه وسائل الإعلام بالقيام بدورها في هذا الجانب.

التوصيات على ضوء نتائج البحث أوصي بمايلي:

1 . تطبيق نظام توزيع الموارد المحصلة من الزكاة والصدقات والوقف الخيري والمعونات المختلفة على المحتاجين وفقا لفقه الأولويات.

2. تقديم مختلف أنواع الدعم المالي والعيني والإعلامي للمنظمات والمؤسسات الخيرية والأفراد التي تسهم في المشروعات الخيرية.

3. تبصير أصحاب القرار بأهمية التكافل الاجتماعي لتخصيص بعض الاستثمارات للمشروعات التي تهتم به.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة،(د، ت، ط) ص:7
2. أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي الأموال ، دار الفكر، بيروت د ط، د ت ص:279.
3. أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت456هـ)، المحلى بالآثار، تحقيق/أحمد محمد شاكر، ط:مكتبة دار التراث، د.ت، القاهرة. 281/4.
4. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أ ط: المكتبة العلمية . بيروت. د.ت.
5. الدارقطني 2004م السنن مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط1، حديث رقم: 2133
6. سليم عمري، حسن إبراهيم هنداوي 1999م العمل التطوعي ودوره في التكافل الاجتماعي، وآليات تفعيله في ظل التحديات المعاصرة- مجلة الرسالة ص:167.
7. سيد قطب 1995م العدالة الاجتماعية في الإسلام ، القاهرة، دار الشروق، ط14، 1415هـ/ 1995م ص: 52 . 53.
8. عبد الشافي محمد عبد اللطيف2008م السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ ص:410
9. عبد الكريم زيدان أصول الدعوة، ، مؤسسة الرسالة، ط9، 2001م، ص:246.
10. عبد لله بن أحمد بن قدامة المقدسي، 1968م المغني، مكتبة القاهرة، د.ط 672/2.
11. عمر بن عبد العزيز،2006م معالم التجديد والإصلاح الراشدي على محمد الصلابي دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر ط2، ص: 340
12. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) 2005م القاموس المحيط، ط: مؤسسة الرسالة، الثامنة:1426هـ-2005م بيروت فصل الكاف باب اللام ص 45.
13. محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي 1964م الجامع لأحكام القرآن دار الكتب المصرية القاهرة، ط2، 242/2.

14. محمد بن أحمد صالح الصالح الرياض 2001م الوقف في الشريعة وأثره في المجتمع،: د ط، ص:365.
15. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(256ه)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور ب"صحيح البخاري"، ترقيم/ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، ط:دار طوق النجاة، الأولى:1422ه، مصر. المصورة عن الطبعة السلطانية. 130/2.
16. محمد بن على الشوكاني1993م. فتح القدير دار الطيب بيروت ط1، 1414ه. 516/5.
17. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279ه) سنن الترمذي تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة،1975م ط: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الثانية،1395ه ..41/3
18. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت206ه)، 1972م. الجامع الصحيح (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ترقيم الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي- ط: دار إحياء التراث العربي،
19. منصور بن يونس البهوتي (ت 1051ه) 2000م. شرح منتهى الإرادات أو دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة – أولى: 1421ه - بيروت. 166/2
20. يوسف القرضاوي 1995م دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي مكتبة وهبة ط2، ص:389
21. يوسف القرضاوي 1996م كيف عالج الإسلام الفقر للعلامة مكتبة وهبة ط3 د ت ص: 90

The Role of Entrepreneurial Empowerment of Families in Achieving Sustainable Development Goals: Arab Models

Guellil Hadjira
Abou Bekr Belkaid University – Tlemcen – Algeria
hadjira.guellil@univ-tlemcen.dz

Abstract:

The Sustainable Development Goals (SDGs), adopted by the United Nations in 2015, represent a global roadmap to address the most pressing economic, social, and environmental challenges by the year 2030. In this context, the entrepreneurial empowerment of families emerges as an effective and innovative mechanism for achieving these ambitious goals. Entrepreneurial empowerment goes beyond the mere establishment of small businesses; it involves equipping families with the skills, knowledge, and resources necessary to create, manage, and develop sustainable enterprises that contribute to economic, social, and environmental well-being at both the family and community levels.

This research paper aims to analyze the multifaceted role of family entrepreneurial empowerment in driving progress toward the SDGs, with a focus on key mechanisms and potential challenges. Family-based enterprises constitute one of the fundamental pillars of local economies, particularly in developing countries, as they help reduce unemployment rates and strengthen social cohesion. However, these enterprises face significant challenges in light of ongoing economic and technological transformations, necessitating a rethinking of strategies to revitalize them..

Keywords: Entrepreneurship; Family Empowerment; Sustainable Development; Arab Models.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

دور التمكين المقاولاتي للأسر في تحقيق أهداف التنمية المستدامة:نماذج عربية

قليل هجيرة
جامعة أبو بكر بلقايد–تلمسان–الجزائر
dz.tlemcen-univ@guellil.hadjira

ملخص:

تُعتبر أهداف التنمية المستدامة (SDGs)، التي أقرتها الأمم المتحدة في سنة 2015، مسارًا عالميًا لمواجهة المعضلات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الأشد إلحاحًا بحلول سنة 2030. وفي هذا الإطار، يظهر التمكين المقاولاتي للأسر كآلية فعالة ومبتكرة لتحقيق هذه الغايات الطموحة. لا يقتصر التمكين المقاولاتي على مجرد إقامة مشاريع صغيرة، بل يتجاوزها ليشمل تزويد الأسر بالمهارات والمعرفة والموارد اللازمة لتأسيس وإدارة وتطوير أعمال مستدامة تساهم في تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على مستوى الأسرة والمجتمع بأكمله. ترمي هذه الورقة البحثية إلى تحليل الدور المتعدد الأوجه للتمكين المقاولاتي للأسر في دفع عجلة تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مع التركيز على الآليات الرئيسية والتحديات المحتملة. تشكل المشاريع الاسرية إحدى الدعائم الجوهرية للاقتصادات المحلية، بالأخص في البلدان النامية، إذ تسهم في تقليل معدلات البطالة وتقوية التماسك الاجتماعي. مع ذلك، تواجه هذه المشاريع صعوبات أساسية في ضوء التحولات الاقتصادية والتكنولوجية، ما يستلزم إعادة التفكير في إنعاشها.

الكلمات المفتاحية: المقاولاتية.، تمكين الاسر.، التنمية المستدامة.، نماذج عربية.

مقدمة:

في عالم يشهد تحولات اقتصادية واجتماعية متسارعة، تظهر ضرورة إيجاد حلول جديدة لمجابهة التحديات التنموية، مثل الفقر والبطالة والتفاوت. وفي هذا السياق، يظهر التمكين المقاولاتي للأسر كإستراتيجية فعالة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، حيث يجسد صلة وصل بين التمكين الاقتصادي المحلي والمقاصد العالمية للاستدامة.

من خلال تغيير العائلات من مستهلكين إلى منتجين، وتأهيلهم لإطلاق وإدارة مشاريع صغيرة ومتوسطة، لا يعزز ذلك الاعتماد المالي فحسب، بل يسهم أيضاً في تحقيق أبعاد متعددة للتطوير المستدام، مثل إيجاد فرص عمل لائقة، وتمكين المرأة، وتقوية الاقتصاد المحلي، وحتى دعم البيئة عبر مشاريع صديقة للبيئة. وتشهد العديد من الدول العربية، كالسعودية وقطر، تجارب سباقة في هذا الميدان، عن طريق برامج تدريبية ومالية تدمج الأسر في مسار التنمية.

بالتأكيد، هذا المسار ليس خالياً من العقبات، مثل قلة التمويل، أو افتقار الكفاءات الإدارية، أو تعقيد الوصول إلى الأسواق. لذلك، يبقى التساؤل الأهم: كيف يمكن تغيير التمكين المقاولاتي للأسر ليصبح محركاً لتحقيق التنمية المستدامة بشمولها؟ هذا ما سيبحثه هذا المقال، من خلال تحليل الأدوار، وعرض النماذج الناجحة، واستنباط العبر لبناء مستقبل أكثر استقراراً وإنصافاً.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور دعم المشاريع الأسرية ومدى إسهام تمكينهم المقاولاتي في بلوغ أهداف التنمية المستدامة ،

وعليه سنحاول في هذه الورقة إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي:

ماهو دور التمكين المقاولاتي للأسر في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟ مع ذكر أمثلة عن نماذج حققت على ارض الواقع.

وللاجابة علي هذه الاشكالية اعتمدنا في ذلك علي المنهج التحليلي .

أولا:دور مؤسسة الأسرة في التنمية المستدامة للمجتمعات

على مر السنين، كان هناك الكثير من الحديث عن الحاجة إلى ضمان التنمية المستدامة، والتي يمكن أن تحقق تقدمًا هادفًا لجميع شرائح المجتمع ولا سيما أولئك الذين يعيشون حياة أقل حظًا. ولكن أيضًا على

الجبهات الاجتماعية والثقافية والبيئية. وبالتالي، ضمان استدامة التنمية عبر الزمن من خلال تلبية احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الإدارة وتلبية الحاجات الخاصه بهم تُعرف التنمية المستدامة أيضًا باسم عملية تحسين نوعية حياة المجتمع بين نقطتين زمنيتين Marghoob Saleem). Butt,p2)

إقرارًا بأهمية التطور المستدام، للأجيال الحاضرة والقادمة على السواء، أقرت الأمم المتحدة في 25 سبتمبر 2015 مجموعة من 17 هدفًا (تعرف باسم أهداف التنمية المستدامة) كجزء من برنامج عملها الجديد للتنمية المستدامة لإنهاء الفقر وحماية الأرض وضمان الازدهار للجميع بحلول عام 2030.

كما تُعرف بخطة التنمية المستدامة لعام 2030، وتصبو إلى عالمٍ من الاحترام الدولي لحقوق الإنسان ووقاره، والتقدم الاقتصادي المشترك والازدهار تبعاً لسيادة القانون والعدالة والمساواة وعدم التمييز.

تركز الغايات الرئيسة لخطة التنمية المستدامة لسنة 2030 على إزالة الفقر وتعزيز الرخاء الاقتصادي المشترك والتنمية الاجتماعية ورفاهية الناس. على الرغم من أن تصور الأسرة غير مذكور تحديداً في أهداف التنمية المستدامة، إلا أنه جزء من الكثير منها وتشير بعض الغايات إليه بشكل مباشر أو غير مباشر. يمكن أن تتأثر أهداف التنمية المستدامة المحددة (1-5)، التي تخص إزالة الفقر، وتعزيز الصحة والتعليم، والمساواة بين الجنسين، وبطالة الشباب، وإنهاء العنف – بشكل إيجابي عبر السياسات المصممة بشكل جيد التي تركز على الأسرة.

وبهذا المنطق، تسمح العائلات للوكلاء بتحقيق غايات التنمية المستدامة هذه. لذا، من وجهة نظر السياسة، فإن التركيز على العائلة في تنفيذ مقاصد التنمية المستدامة لديه الإمكانية لتسريع منجزات العديد من الأهداف المتعلقة برفاهية الأفراد.

يتعين أن تكون السياسات العائلية الركيزة الأساسية للسياسات العامة الوطنية، وأن تكون السبيل الأكثر جدوى للحكومات للتأثير على مستويات عيش الناس. وللإجراءات المصممة جيداً لمعالجة فقر العائلة آثار إيجابية على التعليم والصحة. ومن ثم، فإن تقدم الأسر سيؤثر حتما على تقدم المجتمعات التي تشكل جزءا منها.

يعتمد بلوغ غايات التنمية على مدى تمكين الأسر من الإسهام في إنجاز تلك الغايات.7 وعليه، فإنّ السياسات التي تركّز على تحسين رفاه الأسر مؤكد أنها ستعود بالنفع على التنمية. يلقي هذا التصريح الضوء

على أهمية الاستثمار في حماية كيان الأسرة، والحاجة إلى صياغة وتنفيذ السياسات الوطنية ذات العلاقة التي تساندها، كعنصر أساسي يؤدي دورًا مهمًا في المساعي الوطنية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة

ثانيا: المشاريع الأسرية والتنمية المستدامة:

تشير الدراسات إلى أن المشاريع الأسرية تسهم في تحقيق الاستدامة عبر الحفاظ على الموروث الثقافي وتوفير فرص عمل غير رسمية .لكن ضعف التخطيط الاستراتيجي وعدم مواكبة الابتكارات يُحد من تأثيرها.

لا تقتصر التنمية المستدامة على معالجة الشواغل البيئية أو تعزيز النمو الاقتصادي فحسب؛ بل تشمل نهجًا شموليًا يُراعي رفاه الأفراد والمجتمعات وكوكب الأرض ككل واستمراريتهما على المدى الطويل. ويكمن جوهر هذا النهج في الاعتراف بأن الأسرة حجر الزاوية في الاستقرار والتقدم الاجتماعي.

على مر التاريخ، لعبت الأسرة دورًا محوريًا لا غنى عنه في المجتمع، مُجسدةً أهمية الأسرة كمصدر أساسي للحب والدعم والحماية والرعاية للأفراد. فهي تُوفر بيئة آمنة ومأمونة للنمو الشخصي، وتُغرس القيم والتقاليد، وتُغرس الشعور بالانتماء والهوية. ومع ذلك، فإن أهمية الأسرة تتجاوز بكثير مجرد رفاهية الفرد.

تُمثل الأسرة مُحفزًا للتنمية المستدامة من خلال تشكيل مواقف وسلوكيات وتطلعات أفرادها. كما أنها تُمثل قناة لنقل المعرفة بين الأجيال، مُعززةً الشعور بالمسؤولية واحترام البيئة وأهمية المشاركة المجتمعية. عندما تتبنى الأسر ممارسات مستدامة وتعتمد نهجًا واعيًا في الاستهلاك وإدارة الموارد، فإنها تُسهم في التحول المجتمعي الأوسع نحو الاستدامة.

علاوة على ذلك، يُمثل دور الأسرة منظومة دعم أساسية للأفراد الذين يواجهون تحديات، حيث تُقدم لهم الدعم العاطفي والمالي والاجتماعي. تُعزز شبكة الدعم هذه مرونة الأفراد، وتمكّنهم من تجاوز عقبات الحياة وتقديم مساهمات إيجابية لمجتمعاتهم.(thehouse-project,2023)

ثالثا: نماذج تمكين للاسرة من اجل تحقيق اهداف التنمية المستدامة:

1.3 النموذج الجزائري

الأسرة المنتجة "، برنامج يجسد معنى التضامن مع المحتاجين، و يستهدف هذا البرنامج المسطر من طرف وزارة التضامن و المرأة و قضايا الأسرة شريحة العائلات المعوزة، بهدف إخراجها من العوز الاجتماعي الذي تعاني منه و منحها المساعدة و الوسائل الضرورية لتجسيد نشاطها الحرفي. و يتميز برنامج الأسرة المنتجة

بتفعيل جميع أفراد العائلة و إشراكهم في عملية الإنتاج و الترويج للمنتوج المتحصل عليه و هي العملية التي تسمح لهذا النشاط من الانتعاش و تحقيق أرباح مالية.(وكالة الانباء الجزائرية،2017).

2.3 النموذج التونسي

يُعد برنامج الأمان الاجتماعي مبادرة للمساعدة الاجتماعية تم إطلاقها في عام 2019 بمساندة من البنك الدولي، وتقوم بتنفيذها وزارة الشؤون الاجتماعية، حيث يستهدف المواطنين الأكثر احتياجاً والأولى بالرعاية في تونس. ويوفر البرنامج تحويلات نقدية دائمة، وتسمى أيضاً تحويلات نقدية شهرية، بالإضافة إلى الخدمات الطبية وفرص التمكين الاقتصادي. كما يوفر البرنامج خدمة إضافية للفئات الأشد فقراً والأكثر احتياجاً تتمثل في تقديم منحة عائلية بقيمة 30 ديناراً شهرياً لفائدة الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين يوم و5 سنوات، فضلاً عن تعزيز خدمات التغذية والرعاية الصحية والتعليم للأطفال من ذوي الأسر الفقيرة والدخل المنخفض. ويستفيد من برنامج الأمان الاجتماعي حالياً ما يقرب من 156 ألف طفل ينتمون إلى 103 آلاف أسرة مسجلة في السجل الاجتماعي للبرنامج.(مجموعة البنك الدولي،2024)

3.3 النموذج المغربي :

تدعم سلسلة برامج تمويل سياسات التنمية البرامجية خطة الانعاش في المغرب وجدول أعمال الإصلاح الهيكلي طويل الأمد في الشمول المالي والرقمي. وتعزز الإصلاحات التي يدعمها اقتصادا أكثر قدرة على الصمود ونموا أكثر شمولا للقطاع الخاص من خلال زيادة الوصول إلى التمويل من قبل الشركات الناشئة والمشروعات الصغيرة والمتوسطة والشركات التي يقودها الشباب وتزويد الأسر الضعيفة بإمكانية الوصول إلى التأمين، بما يشمل التأمين الصحي. وستسمح البنية التحتية الرقمية للأسر بالوصول إلى الخدمات الرقمية، وظهور نماذج أعمال جديدة، ورقمنة العمليات الإدارية التي تساعد الحكومة والشركات على تحسين جودة الخدمات المقدمة. وستيسر رقمنة المشتريات والمدفوعات الحكومية، وإصدار هوية رقمية، وتعزيز الأمن السيبراني المدعوم بسلسلة برامج تمويل سياسات التنمية هذه من استخدام المدفوعات غير النقدية وتمديدات البرامج الاجتماعية.(البنك الدولي،2021،ص18)

ويعزز الشمول المالي الرفاه الاقتصادي بدعم جهود الأسر الضعيفة لبناء الأصول الإنتاجية وإدارة المخاطر، والقدرة على مواجهة الصدمات المالية. ويعد الحصول على التمويل أمرًا بالغ الأهمية لتنمية المشروعات، حيث تعاني الكثير منها من عدم إمكانية الوصول إلى خدمات الائتمان والادخار التي من شأنها أن تمكنها

من الاستثمار في رأس المال الثابت، والتوسع، وتوظيف عدد أكبر من الأشخاص. (البنك الدولي، 2021، ص18)

4.3 النموذج السعودي

في إطار سعيها لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، أطلقت وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية برنامجًا مبتكرًا في تطبيق مبادئ ومفاهيم التمكين الحديثة بأفضل الممارسات العالمية والمحلية لإدارة الحالة، وكنظام متكامل وبيئة مثالية لمراكز الخدمات المجتمعية ذات قيمة مضافة بمفهوم حديث يحمل اسم "**عيادات التمكين**"؛ كجزء من رؤية المملكة 2030، التي تهدف إلى تعزيز جودة الحياة للفرد والمجتمع، وتمكين الأفراد من المشاركة الفعالة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

جاءت" **عيادات التمكين** "لتقديم نموذج فريد من نوعه، يعزز من قدرات مستفيدي الضمان الاجتماعي، ويعمل على معالجة التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهونها، من خلال عقد الشراكات الفعالة مع القطاعين الخاص وغير الربحي، إذ توفر هذه العيادات بيئة مثالية لتقديم خدمات متنوعة تلبي احتياجات المستفيدين، كما تقدم العيادات حزمة من الخدمات التنموية المتنوعة، تشمل الإرشاد المهني، والمالي، وتعزيز الصحة النفسية، والبدنية، بالإضافة إلى فرص التوظيف وريادة الأعمال؛ شاملة خدمات التدريب النوعي والدعم القانوني ودعم الإسكان، بما يضمن تلبية احتياجات المستفيدين بشكل شامل.(الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية،2025)

5.3 النموذج القطري

من خلال برنامج التمكين الأسري بالتنمية الاجتماعية تسعى وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة القطرية نحو تمكين الإبداع والابتكار وتقديم فرص للأفراد ليكونوا جزء من التغيير الإيجابي في الأسرة والمجتمع. فالمبادرة الاجتماعية هي وسيلة فاعلة لخدمة الأسرة والمجتمع عن طريق طرح فكرة مفيدة تساهم في صناعة التغيير وترك بصمة إيجابية في الأسرة والمجتمع. (وزارة التنمية الاجتماعية والاسرة، بتصرف)،كمشاريع إعادة تدوير المخلفات المنزلية أو صنع المنتجات اليدوية من مواد مُستعملة.

6.3 النموذج اللبناني

أطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية بالشراكة مع مؤسسة رينيه معوض والبنك الدولي برنامجَ الإدماج الاقتصادي المنتِج في لبنان(Productive Economic Inclusion Program) ، وهو برنامج

نموذجي يهدف إلى تحسين سبل كسب العيش لنحو 1500 أسرة لبنانية فقيرة من الأسر المستفيدة حالياً برنامج أمان. يُموّل هذا البرنامج بمنحة قدرها 2.7 مليون دولار من الصندوق الياباني للتنمية الاجتماعية، ويأتي مكملاً لبرنامج أمان، من خلال تزويد المستفيدين منه بحزمة من الخدمات التي تستهدف تحسين مستوى دخل أسرهم وأحوالهم المعيشية وقدرتهم على الصمود.
ويُعدّ هذا البرنامج النموذجي نقطة انطلاق للمباشرة على نطاق أوسع في التمكين الاقتصادي للمستفيدين من المساعدات الاجتماعية من أجل مساعدتهم على الانتقال من تلقي التحويلات النقدية الحكومية إلى كسب عيشهم على نحو مستدام .(وزارة الشؤون الاجتماعية،2024)

كما تعد "جيل التنمية المستدامة" جمعية إنسانية لبنانية تأسست عام 2007 بموجب علم خبر 202/أد، تسعى إلى تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات عبر حل قضايا الفقر والجوع وأزمات التعليم والصحة والبطالة... تؤمن جيل بقدرتها كإحدى مؤسسات المجتمع المدني على خلق سبل مبتكرة ومستدامة لتحسين الأوضاع المعيشية للفئات المهمشة والإستجابة بإحترافية لمعاناة الأفراد خلال الأزمات، تعمل جيل التنمية المستدامة على المساهمة في ضمان وصول الفئات الأكثر هشاشة لرعاية صحية تتسم بالجودة والإنصاف بدعم من الشركاء والمانحين وعليه أنشأت جيل صندوق الصحة المصمم لضمان أن لا تحول تكاليف الرعاية الصحية دون وصول الأفراد اليها (جيل التنمية المستدامة).

رابعا :التوصيات :

بناءً على ما سبق، من الواضح أن تُسهم السياسات والبرامج التي تهدف إلى دعم مؤسسة العائلة بصورة مباشرة في التنمية الدائمة للمجتمعات القريبة. وعليه، فمن الضروري القانوني والأخلاقي لكل البلدان وضع سياسات وتدابير مُراعِية للعائلة على جميع الأصعدة. وعند وضع هذه السياسات، يجب أن تشارك الدول مشاركة نشطة وأن تُقدّم مُدخلات من جميع أفراد العائلة، بما في ذلك مُساهمات من المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني ووسائل الإعلام وأصحاب الشأن الآخرين بهدف ضمان التنفيذ الفعال.
وكذلك المجتمعات المرتكزة على القيم (وخصوصاً الأخلاقية والدينية) عليها واجبات ببذل كل المساعي لصون مؤسسة العائلة من التحديات الاجتماعية الحديثة القائمة على قيمها المجتمعية. وسيكون لإشراك أفراد العائلة في وضع هذه السياسات أثر ذو مغزى في التطبيق وكذلك في تحقيق النتائج الانمائية المنشودة.

بعدما استوعبت أهمية العائلة في بلوغ مقاصد التنمية المستدامة (خاصةً الهدف 1-5 المتصل بالقضاء على الفقر وتعزيز الصحة والتعليم والمساواة بين الجنسين وبطالة الشباب وإنهاء العنف)، من اللازم أن تضمن جميع الدول العائلات كجزء أساسي لخططها وسياساتها الانمائية. ولبلوغ هذا المسعى، فإن تبادل الممارسات الحسنة والصعوبات التي تواجهها العائلات بين الدول من شأنه أن يساعد في إيجاد حلول تراعي حقوق الإنسان.

لا يزال العوز هو التحدي/العائق الأصعب في إعمال حقوق الإنسان الدولية. كذلك، يؤثر على كرامة المرء والتماسك الاجتماعي. وعليه، يتوجب على الدول ضمان المساهمة المجتمعية لأفراد العائلة في أنشطة التنمية المستدامة عبر: أ) توفير المنح والقروض الصغيرة لتمكين الأسر المستفيدة من إنشاء مشاريع مُربحة؛ ب) مساندة الأسر الزراعية بالآلات والمعدات وتسهيل تكوين التعاونيات الزراعية لمعاونة الأسر في تسويق منتجاتها وفي الآن ذاته ؛ ج) وضع وتطبيق توازن بين مهام العمل واحتياجات الأسرة لتحقيق الترابط والتماسك بين الأجيال.

كما ينصح بأن تضع جميع البلدان مقاييس لتقييم تأثير برامجها الاقتصادية والاجتماعية لصالح مؤسسة العائلة. يجب إجراء هذا التقييم بشكل دوري بمشاركة كاملة من جميع المعنيين بمن فيهم الأسرة. للبدء في وضع السياسات القائمة على الأدلة، يعد جمع البيانات المصنفة الموثوقة ضروريًا. كما ينبغي للدول أن تنشئ مؤسسات بحثية جيدة حول قضايا العائلة لجمع البيانات وكذلك لتقييم وتصميم السياسات ذات الصلة.

أخيرًا وليس آخراً، لا يمكن إنجاز التنمية المستدامة دون أسر مستدامة، والتي تبتكر وتعتني وتطور بشر أقوياء وجيدو التكوين وأخلاقيين واجتماعيين عن طريق التربية السليمة. وعليه، هنالك ضرورة لأن تضمن الدول التطبيق الكامل والفعال للهدف 16 من أهداف التنمية المستدامة، الذي يخص الحماية المحددة المتاحة لأفراد العائلة.

خاتمة:

يمثل التمكين المقاولاتي للأسر أسلوباً شاملاً قادراً على إحداث تغيير جذري في مسار التنمية المستدامة. حيث يجمع بين تحقيق العدالة الاجتماعية والتطور الاقتصادي والمحافظة على البيئة، مما يجعله نموذجاً مثالياً للمجتمعات التي تسعى نحو مستقبل أكثر استقراراً وازدهاراً .

كما يعد استثماراً في المستقبل، حيث يجمع بين الحفاظ على الهوية المحلية ومواكبة متطلبات العصر. ومع ذلك، يتطلب النجاح تضافر الجهود لتحويل التحديات إلى فرص، عبر سياسات شمولية وتكنولوجيا داعمة .

قائمة المراجع:

1. الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية (2025) ، عيادات التمكين نموذج مبتكر لتعزيز الخدمات المقدمة لمستفيدي الضمان، https://www.hrsd.gov.sa /
2. وزارة التنمية الاجتماعية والاسرة، https://msdf.gov.qa /
3. جيل التنمية المستدامة، https://www.jeelsd.org /
4. وزارة الشؤون الاجتماعية، الجمهورية اللبنانية(2024/07/25)، https://www.socialaffairs.gov.lb
5. وكالة الانباء الجزائرية(2017/10/13)، https://www.aps.dz /
6. مجموعة البنك الدولي(2024/11/14)، https://www.albankaldawli.org /
7. البنك الدولي(2021)، البرنامج الثاني لتمويل سياسات التنمية من أجل الشمول المالي والرقمي، المملكة المغربية.
8. Marghoob Saleem Butt, ROLE OF THE INSTITUTION OF FAMILY IN SUSTAINABLE DEVELOPMENT OF SOCIETIES
9. thehouse-project.(2023), https://thehouse roject.org/blogs/blog/the-importance-of-the-family

Violence for youth: The role of the family as a mechanism to reduce the phenomenon of violence

Aissaoua Nabila[1]
Blida University 2 - Lounici Ali, Algeria
Faculty of Humanities and Social Sciences
Department of Sociology and Population
n.aissaoua@univ-blida2.dz
Sali Abdelaziz[3]
Blida University 2 - Lounici Ali, Algeria
Faculty of Humanities and Social Sciences
Department of Sociology and Population
a.sali@univ-blida2.dz
Assoulate Djaouida[3]
Blida University 2 - Lounici Ali, Algeria
Faculty of Humanities and Social Sciences
Department of Sociology and Population
d. Assoulate@univ-blida2.dz

Abstract:

The phenomenon of violence for young people has become rampant in all institutions of society, a fact that imposed itself in the social context that contradicts the standards and values of Algerian society based on tolerance, respect, and other values that support harmony, cohesion and security. In order to understand the roots and backgrounds of violence among young people and reduce it, we tried to start our intervention by describing the manifestations of violence among young people and its causes, and then explaining the role of the family in reducing this phenomenon through various family education methods, family socialization that it adopts and methods of communication with children, and giving models to how their facilities, and in the end we tried to focus on the role of the family in developing social values in the souls To reintegrate them into society and plant the will in themselves to reduce the phenomenon of violence.

Keywords: Role; Family; Violence; Youth.

العنف عند الشباب: دور الأسرة كآلية للحد من ظاهرة العنف

أ.د نبيلة عيساوة[1]
جامعة البليدة 2-لونيسي علي، الجزائر
n.aissaoua@univ-blida2.dz
د. عبد العزيز صالي [2]
جامعة البليدة 2-لونيسي علي، الجزائر
a.sali@univ-blida2.dz
أ.د جويدة عسولات [3]
جامعة البليدة 2-لونيسي علي، الجزائر
d.assaoulate@univ-blida2.dz

ملخص:
أصبحت ظاهرة العنف عند الشباب متفشية في جميع مؤسسات المجتمع، وهي حقيقة فرضت نفسها في السياق الاجتماعي والتي تتعارض مع معايير وقيم المجتمع الجزائري القائمة على التسامح، والاحترام، وغيرها من القيم التي تدعم الانسجام والتماسك والأمن. وحتى نفهم جذور وخلفيات العنف عند الشباب والحد منه، حاولنا أن نستهل مداخلتنا بوصف مظاهر العنف عند الشباب وأسبابه، ومن ثم تبيان دور الأسرة في الحد من هذه الظاهرة من خلال مختلف طرق التربية الأسرية، والتنشئة الاجتماعية الأسرية التي تعتمدها وأساليب التواصل مع الأبناء، وإعطاء نماذج لكيفية مرافقهم، وفي الأخير حاولنا التركيز على دور الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية في نفوس الأبناء من الشباب لإعادة دمجهم في المجتمع وزرع الإرادة في ذاتهم للحد من ظاهرة العنف.

الكلمات المفتاحية: الدور.، الأسرة.، العنف.، الشباب.

مقدمة:

تعد ظاهرة العنف من المشكلات الاجتماعية المزمنة والمتجددة، والمعقدة والمتطورة بتعقيد بنى المجتمعات البشرية وتطورها، وهي الظاهرة الاجتماعية الأكثر استمرارا والأشد خطورة، بحيث نجدها موجودة في كل المجتمعات، وهي ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، بل هي ظاهرة قديمة وجودها مرتبط بالوجود البشري على وجه الأرض، وقصة قبيل وهابيل تعتبر أعظم قصة وأول جريمة قتل في تاريخ البشرية. وقد عرفت ظاهره القتل والعنف تنامي كبير خاصة بين أوساط الشباب في العصر الحديث في ظل تغيرات اجتماعية كبرى تعيشها مجتمعات اليوم بمجمل الاختلافات التي تحدد انتماءاتهم الاجتماعية، إذ يكون للتنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية المختلفة وكذا نفسية الشباب من الأسباب التي تجعل سلوك الإستجابته والميل لاستعمال العنف سواء داخل الأسرة أو في الشارع، كما ارتبطت ظاهرة العنف بكثير من الأحداث والظواهر مثل العنف المجتمعي، الإدمان والعنف، العنف الأبوي، التطرف والعنف، الإرهاب والعنف، العنف الأسري، العنف لدى الشباب ....الخ.

وعند الحديث عن العنف لدى الشباب فإن الجزائر شهدت مؤخرا مثل باقي المجتمعات العديد من مظاهر العنف عند هذه الفئة والتي لا تكاد تحصى لكثرتها، إذ لا يكاد يمر يوم إلا ونسمع عن مأساة جديدة، أو حادثة عجيبة وفريدة، حتى أصبح الأمر يحتاج إلى النظر في أسبابها وآثارها وكيفية علاجها. ولهذا فإن مواجهة العنف له أهمية بالغة بالنظر إلى الإختلالات التي يعرفها المجتمع ومنظومة القيم لاسيما في بعدها الاجتماعي والتربوي، بحيث أصبحت الكثير من العلاقات ذات الصلة بالأسرة تعرف مزيدا من التوتر، الأمر الذي انعكس سلبا على مجال التواصل داخلها. إن ما نشاهده ونسمعه يوميا من عنف فردي أو جماعي ينذر بعواقب وخيمة، لأنه يهدد النسيج المجتمعي ككل، خاصة أن المؤسسة الاجتماعية الأولى هي الأسرة والتي تقوم بدور فعال في عملية التنشئة الاجتماعية، بل تعد أساس تنظيم العلاقات وشرعيتها أخلاقيا، كما أن مشكلة العنف لا تهم الفرد وحده ولا الأسرة، ولكن تهم مستقبل المجتمع في نوع العلاقات التي ينبغي أن تسوده، وفي نوع الفرد الاجتماعي المنشود، وفي القيم والضوابط التي ينبغي أن تحكم علاقات الأفراد والجماعات. لذلك سعت ورقتنا البحثية التي تناولت دور الأسرة كآلية للحد من ظاهرة العنف عند الشباب إلى فهم حقيقة المشكلة ومسبباتها وأهم العوامل التي تغذيها وسبل التصدي لها، وكذا إبراز كيفية تأطير الشباب ميدانيا ومرافقتهم لدمجهم في المجتمع.

أولا: تحديد المفاهيم:

1- مفهوم الدور:

يقصد بالدور "السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة والجانب الدينامكي لمركز الفرد، فبينما يشير المركز إلى مكانة الفرد في الجماعة ، فإن الدور يشير إلى نموذج السلوك الذي يتطلبه المركز، ويتحدد سلوك الفرد في ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه، وهذه التوقعات تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمركزه الاجتماعي، وحدود الدور تتضمن تلك الأفعال التي تتقبلها الجماعة في ضوء مستويات السلوك في الثقافة السائدة (زكي بدوي، 1993، ص395).

2- مفهوم الأسرة:

الأسرة هي "وحدة اجتماعية اقتصادية بيولوجية تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات من الدم والزواج والتبني توجد في إطار من التفاعل عبر سلسلة من المراكز والأدوار بتأدية عدد من الوظائف التربوية والاجتماعية والاقتصادية" (أسعد وطفة، 1993، ص73).

3- مفهوم العنف:

وهناك من يرى أن العنف هو " تعبير صارم عن القوة التي تمارس على حياة الفرد والجماعة ويعتبر العنف من القوة الظاهرة حيث تتخذ أسلوبا فيزيقيا مثال ذلك الضرب، أو تأخذ صورة الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيته إلى اعتراف المجتمع به"(عاطف غيث، 1979، ص209).

4- مفهوم العنف الاجتماعي:

"إن العنف الاجتماعي يتعلق بكل مظاهر القوة والقمع في الحياة الاجتماعية بما فيها العنف السياسي ويتعاظم دور ومعنى العنف الاجتماعي بشكل فائق مع التعقيد المتزايد للتنظيم الاجتماعي الذي يفرز تناقضات اجتماعية معين، ومع التقدم العلمي والتقني وكذلك مع تطور وسائل الاتصال الكبيرة"(توهيل فايز، 1998، ص ص71-72).

وهناك من يرى أن العنف الاجتماعي هو سلوك يتم من خلاله استخدام القوة البدنية، أو استخدام الألفاظ، أو التصرفات غير اللائقة وبشكل يقع من خلاله أذى بدني، أو نفسي أو معنوي للآخرين، وهو سلوك ناتج عن عملية خلل في التنشئة الاجتماعية للفرد (يوسف الكندري، 2014، ص06).

وينقسم العنف الاجتماعي اصطلاحا إلى مجموعتين إلى:

أ- العنف المباشر(المادي): المترافق باستعمال القوة الفورية مرتكزة على الإيذاء باليد كقيمة لا تستحق الحياة والاحترام وبالتالي استبعاد الآخر من حقل الصراع بتصفيته جسديا وإما بخفضه إلى تابع، ويتضمن العنف المادي مختلف أشكال العنف التي يمارسها الأفراد أو الجماعات الرسمية وغير الرسمية والسلطة الحاكمة وتظهر في القتل، المظاهرات، الحرب ...الخ.

ب- العنف غير المباشر(الرمزي): "ويدل على قمع العقول والنفوس لا على قمع الأجساد، والعنف الرمزي صامت يتوجه إلى تحطيم المعنويات وقمع الرغبات و ضبط الحاجات" (سموك، 2004، ص ص28-28)، ومن أمثال هذا العنف أشكال الضغط الفكري والنفسي، التدخل السياسي، الحصار الاقتصادي...الخ.

5- مفهوم الشباب:

قد يبدو من للوهلة الأولى سهولة تعريف الشباب، فدلالات كلمة شباب تبدو بديهية وبسيطة إلا أن مفهوم الشباب يعد من المفاهيم التي عرف تحديدها تباين بين المهتمين من العلماء بهذه الفئة، كما هو شأن الكثير من المفاهيم في العلوم الاجتماعية، حيث اختلف الباحثون المختصون حول تحديد هذا المفهوم باختلاف المنحى الذي اتخذه كل تخصص:

- ففي التعريف اللغوي، فقد جاء في تعريف كلمة الشباب في المعجم الوسيط "هو من أدرك سن البلوغ إلى سن الكهولة" والشباب هو "الحداثة" وشباب الشيء هو "أوله"، وفي المصباح المنير فالشباب يعني "النشاط والقوة والسرعة"، أما في لسان العرب لابن منظور "شب الشباب: الفتاء والحداثة والشباب جمع شاب (ابن منظور، 1997، ص ص388-389).

- التعريف الإجرائي لمرحلة الشباب عند الكندري: "وهي المرحلة العمرية التي تتسم بالقوة والعنفوان والتغير والتبدل وتنعطف بهم مكملات النمو من التذبذب الانفعالي، والصراع العاطفي، والنمو المطرد لكامل النضج والاتزان، وتحدد خلالها مكونات الشخصية أي شريحة الشباب هي تلك التي تتميز بهذه السمات والخصائص، وهي الفترة العمرية التي تم تحديدها من 12 إلى 34 سنة" (يوسف الكندري، 2014، ص06).

ثانيا: مظاهر وأسباب العنف عند الشباب

أضحى العنف بكل صوره ظاهرة عامّة بين فئة الشباب، فمهما كانت مبرراته نجد لفئة الشباب حضور فيه، ويأخذ العنف عدة مظاهر، وحتى نستطيع التغلب على ظاهرة العنف عند الشباب لزم علينا إعطاء صورة أولية حول مظاهره وأسبابه والتي نوجزها فيما يلي:

1- مظاهر العنف عند الشباب:

أ- العنف المادي: وهو إلحاق الضرر بالوجود المادي للغير سواء في الجسد أو الحقوق أو المصالح، مما يهدد حياة الإنسان، ويكون بالضرب والاغتصاب والقتل والحرق وغيرها. ومن أمثلة العنف المادي العنف الجسدي والذي هو مظهر خطير للعنف، ويلجأ إليه الشباب كوسيلة لحل مشاكلهم، وتحقيق مآربهم، فيجدونه بديلاً للحوار والتفاهم، ويكون بشتى الوسائل والأشكال، ويذهب بسببه العديد من الضحايا، وتسوء العلاقات، وتضعف الروابط بين الناس.

ب- العنف المعنوي: هو جميع الضغوط النفسية التي تُمارس على الإنسان، للسيطرة على أفكاره وتصرفاته، ومبادئه الإنسانية، والعمل على الحد من حرية تفكيره؛ مما يتسبب في حدوث ضرر يطرأ على الناحية السيكولوجية للإنسان، مثل الشعور بالإهابة وانتهاك الكرامة، والشعور بالخوف وعدم الأمان. ومن أمثلة العنف الفظي هو الموطئ والممهد للعنف الجسدي في كثير من الأحيان، ويكون بالشتم والاستهزاء، والتنابز بالألقاب، ونزعة الكبر والغرور في مرحلة المراهقة بدافع الأنانية، والتي تعبر عن ذاتها بالاستهانة بالآخرين، والاستهزاء بهم بالغمز واللمز، وقد يكون لشبكات التواصل حضور قوي، ومنبر خصب لهذا النوع من العنف متى أسيء استخدامه، واستغل بشكل خاطئ.

2- أسباب العنف عند الشباب:

أ- العنف الأسري: والمتمثل في الضرب المبرح للأبناء، ودوام التوبيخ والتجريح والنقد والتحقير، وعدم وجود أي عبارات للتشجيع والثناء والمديح، والتكليف بما لا يطاق أحيانا، ومحاولة بعض الآباء أن يحقق ابنه ما فشل هو في تحقيقه، كأن يجبره على سلوك عمل معين، أو دراسة شيء معين هو لا يحبه ولا يهواه... ويرى الكثير من العلماء النفسيين والمحللين والمتخصصين هذا من أكبر أسباب العنف لدى الأبناء إذ أن النشأة عليها دور كبير ومعول عظيم في تشكيل نفسية الناشئ... ثم قد يكون هذا العنف من أحد الأبوين أو من كليهما ناتجا عن تربيتهما الأولى وموروثا عنها فيخرج الوالد عنيفا ويتعامل مع أبنائه كما تعامل معه... أو

بسبب تعاطيهما أو أحدهما المخدرات والمسكرات التي تعد من أسباب العنف في البيوت، وكذلك الثقافة الخاطئة أو سوء الفهم باعتقاد الأب أن الغلظة في التعامل هي الرجولة وهي القوامة، وهو لا شك مفهوم خاطئ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس رجولة ومع ذلك كان أكثرهم رأفة ورحمة.

وتأكد النظرية التفاعلية الرمزية في دراستها لسلوك العنف الأسري بالتركيز على دراسة الأسرة باعتبارها وحدة من الشخصيات المتفاعلة ،وعلى العلاقات السلبية ومظاهر الاتصال الرمزي السلبي بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث ترى أنه كلما سادت قيم الفردية والأنانية والذاتية في الأسرة كلما قلت درجة التفاعل الأسري الإيجابي، مما يفضي إلى العديد من مظاهر العنف الأسري (عادل العطار، 2005، ص ص180 - 181).

ب– الشعور بالنقص: كذلك يعتبر من أسباب العنف، ويكثر في الأيتام، أو الأبناء غير الشرعيين، وهؤلاء إن لم يحاطوا برعاية وعناية نشئوا ناقمين على مجتمعاتهم، فيكثر فيهم التجبر والعصيان والانحراف إلا من رحم الله.

ويؤكد أنصار اتجاه البنائية الوظيفية على أن العنف يعتبر نتاجاً لظروف اقتصادية اجتماعية تتمثل في الأوضاع العائلية وظروف العمل وضغوطه وحالات البطالة بأشكالها المختلفة، والخلافات الأسرية والتفكك الأسري العمدي أو غير العمدي، والفقر وانخفاض دخل الأسرة مع كثرة عددها ما سيتبعه من تغذية غير مناسبة وسكن غير ملائم وتعليم غير كاف وعدم العناية الصحية، والمستوي الاجتماعي المتدني، وجيرة فاسدة كلها ضمائر تتكاتف فيما بينها لتفرز هذه العوامل الاجتماعية الإساءة والعنف، حيث أنها تمثل ضغوطًا بيئية اجتماعية اقتصادية على الآباء وتدفعهم إلى ممارسة عدوانيتهم تجاه الأبناء مما يشعهم بالنقص والاتجاه إلى السلوك العنيف (إسماعيل حلمي، 1999، ص ص25 - 27).

ج– الثقافة التي ينشرها الإعلام : إن الإعلام له دور فعال في نشر العنف عند الشباب، خاصة المرئي منه التي لها الدور الأكبر في نشر ثقافة العنف بين الشباب، فأفلام الرعب، وأفلام "الأكشن" كما يسمونها، ولون الدماء التي تغطي كل شيء فيتعود الإنسان على رؤيتها، مع تبجيل أصحاب البطولة في هذه الأفلام والمسلسلات حتى يتوهم الشاب أن البطولة في الضرب والقتل والسلب والنهب وتصبح هذه الثقافة هي السائدة، خصوصا حين يتقمص الصبي دور البطل ويعيش معه في عقليته وداخلتيه، دون النظر للتاريخ الذي يحكي عنه الفيلم أو المسلسل، أو النظر للاختلاف بين الواقع المعاش وزمن القصة المرئية، ولكنها شئنا أم أبينا ثقافة تتسلل إلينا وإلى شبابنا وأهم من هذا كله أن الإعلام جعل هؤلاء هم القدوة، يتصدرون

صفحات الجرائد والمجلات، ويعتلون المنابر الإعلامية، ويستضافون على موائد برامجها، وكأنهم أبطال حقيقيون مما يجعل الأبناء يتمنون أن يكونوا أمثالهم فعلا.

وهذا ما تفرضه نظرية ثقافة العنف لتفسير ظاهرة العنف، لأن وجود ثقافة العنف تجسد اتجاهات المجتمع نحو العنف مثل تمجيد العنف في الروايات والأفلام أي في وسائل الإعلام بصفة عامة، واعتناق معايير اجتماعية تقوم على أفكار مثل "الغاية تبرر الوسيلة" مما يفضي في النهاية إلى وجود ثقافات أساسية أو فرعية تمجيد العنف وتقرر شرعيته وتبرز نماذجه في المجتمع، بحيث أنه يصبح جزءاً من طرق الحياة بالنسبة لبعض أعضاء المجتمع الذين يفضلون الأسلوب العنيف في التعامل مع الآخرين دون الشعور بالذنب نتيجة العدوان عليهم (الجوهري وآخرون، 1995، ص80).

د- الفقر وانتشار البطالة بين الشباب: إن عدم توفير فرص للعمل يصيب الشعور بالإحباط وخيبة الأمل واليأس من المستقبل، وعدم القدرة على فتح بيت وتكوين أسرة مع تأخر سن الزواج المتزامن مع التطرف الشديد في ملابس الفتيات ومشاهد العري في القنوات، مما يؤدي إلى الكبت الداخلي، والذي يعبر عنه غالبا في صورة من صور العنف الخارجي.

وهذا بالضبط ما تأكده نظرية الفقر والحرمان من القوة بأن الفقر هو أحد أشكال التجريد من القوة، ومن ثم القدرة على التأثير في المعادلة الاجتماعية بحيث يؤدي هذا العجز عن امتلاك القوة إلى جعل السياقات الفقيرة هي سياقات التوتر، ومن ثم سياقات العنف والجريمة، وتأكد هذه النظرية على أربعة أبعاد أساسية هي:

- البعد الاجتماعي والاقتصادي: ويشير إلى النقص النسبي المتاح للفقراء من الموارد اللازمة.
- البعد السياسي: ويطلق على عدم وجود جدول أعمال سياسي واضح وصوت مسموع للفقراء الأمر الذي يهمش الفقراء بالنسبة لما يحدث في المجتمع مما ينعكس بآثاره على الأسرة.
- البعد النفسي: وهو الشعور الداخلي للفقراء بانعدام أهميتهم وخضوعهم السلبي للسلطة، ومن شأن ذلك أن يجعل علاقته بمجتمعهم ذات طبيعة سلبية ترتبط بها مشاعر الإحباط التي تخرج من خلال قنوات عديدة غير شرعيه ممثلة في العنف والتعسف في استخدام حق الوالدين في التأديب.

– البعد الإعلامي: فظاهرة الإنفاق البذخي ولا سميا في عصر الفضاء المفتوحة حيث تعتبر البلاد المتقدمة المنتجة لأسواق خصبة للإعلام في البلاد النامية المستهلكة وإكساب الأفراد للعادات الاستهلاكية السيئة (إسماعيل مجاهد، 2005، ص121).

هـ– ضعف الفهم للدين: وهذا من ضمن أكثر الأسباب أهمية، فقد يكون هناك ضلال في فهم الشاب كما في بعض الجماعات المتطرفة، والتي تتخذ من العنف وسيلة للتعبير عن أفكارها وآرائها وقد يكون ضعف الخطاب الديني عند بعض المتصدرين والمتحدثين باسم الدين، والشحن الزائد عن الحد، أو مطالبة المدعوين بما لا يطيقونه، وعدم مراعاة حال الناس وواقعهم وحدود إمكانياتهم... هذا كله مما يزيد التوتر عند السامعين وينعكس عليهم عفويا.

وهناك أسباب أخرى مثل النزعة القبلية التي هي إحدى أهم الأسباب وأخطرها، حيث تقوى رابطة القبيلة على رابطة الصداقة، ويثور الشاب بدافع القبليَّة ليصطف مؤازراً لابن قبيلته وعشيرته، سواء كان محقاً أو غير محق وكذا التعصب الرياضي عندما يتعصب مشجعو الفرق الرياضيَّة لدرجة أنه يصل إلى العنف اللفظي وصولاً إلى العنف الجسدي، أمَّا المدارس فلها حضور قوي في العنف الشبابي بحكم روادها من مختلف العائلات في البلد الواحد، فتثار نزعة الانتماء القبلي من البعض، فتتدرج الأمور ببعض الطلاب وصولاً إلى العنف الجسدي.

كما تعد النزعة الحزبية والفصائلية من أسباب انتشار العنف، إذ يتعصَّب مناصرو كل حزب لحزبهم، فتتصاعد بهم الأمور، ويصل بهم التوتر إلى العنف اللفظي فالجسدي، وهناك عنف تتسبب به وسائل الإعلام عندما تناصر فريق أو حزب ضد آخر، فيحدث الاشتباك مع أنَّ جميعهم من مكونات المجتمع الواحد.

وعلى العموم فإن ضعف قنوات الحوار بين الشباب والجهات المعنية بحل مشكلاتهم، مع ضعف القدرة على الإقناع الثقافي والديني لدى بعض المتخصصين في الندوات القليلة أو من خلالا وسائل الإعلام، وجهل سوء التعامل مع المشاكل العائلية وتعاطي المخدرات، من المظاهر التي يلجأ إليها الشباب لإثبات الذات، وغيرها من الأسباب والمشاكل التي تبدوا سطحية لكنها أصل العنف بجد ذاته، فالكل غالبا يتعامل مع هذه المشكلات بسطحية شديدة دون معالجة حقيقية لتلك المشكلات، أو إيجاد حلول واقعية وسليمة ومشاهدة لا مجرد وعود، بل ربما لا توجد هذه الوعود أصلا، كل هذا يولد لدى الشاب ضغط داخلي وفوران يجعله

إنسان عنيفا في ردة فعله سواء لفظية أو جسدية، وللقضاء أو التقليل من هذه الظاهرة وجب على الأسرة أن يكون لها الدور الفعال في معالجة هذه الظاهرة.

ثالثا: دور الأسرة في الحد من ظاهرة العنف لدى الشباب

تعتبر الأسرة من أولى الحاجات الطبيعية التي يلجأ إليها الإنسان، وهي من ضرورات الطبيعية لاستمرار الجنس البشري، لأنها من الوجهة النظرية تعمل على توفير الحماية والأمن والتنشئة الاجتماعية الضرورية لجميع أعضائها، فالكائن البشري يعمل بشكل تلقائي على إنشاء الأسرة كمكون اجتماعي، وكأول اجتماع تدعو إليه الطبيعة وله وجود في كل المجتمعات البشرية، وتختلف بنية الأسرة ونوع الحاجات التي تشبعها لأفرادها باختلاف المجتمعات وباختلاف المراحل التاريخية، كما تعتبر الأسرة كذلك للدلالة على الخصائص البنيوية والوظيفية والنشاطات الاجتماعية التي تتم في رحاب وحدة ترابية وسكنية واقتصادية ومعايشة تشمل الزوج والزوجة والأولاد غير المتزوجين، وتحتل الأسرة مكانة بارزة في الحياة الاجتماعية، فهي البيئة الأساسية الصالحة لتنشئة الطفل والوسيلة التي بواسطتها يحفظ التراث الاجتماعي وينقل عبر الأجيال، كما أنها مصدر الأمان النفسي والدفء العاطفي لكل فرد من أفراد المجتمع، وتظل الأسرة محورية في حياة جميع الشباب حيث توفر لهم الدعم المادي والمعنوي، لذا كان لها دورا بارزا ولا يزال في الحد من ظاهرة العنف لدى الشباب عن طريق:

1- **التواصل الأسري**: فالتواصل بين أفراد الأسرة الصغيرة (أي الزوج والزوجة والأبناء) يكون في الحوار والتشاور والتفاهم والإقناع والاتفاق، تحت مضلة التعاون وتشاطر المسؤوليات للحفاظ على كيان الأسرة والوصول بها إلى بر الأمان، وهذا لا يختلف بالنسبة لأفراد الأسرة بشكلها الواسع (أي أفراد القبيلة أو العائلة من الآباء والأحفاد وأبناء العم) مع التوسع في تلك المقومات، فمتى سادت بينهم روح لغة الحوار والتشاور والتفاهم والاتفاق والإقناع، طغت عليهم روح المساعدة والتنسيق في توزيع الأدوار والمسؤوليات، والعمل بروح الفريق الواحد، وتأصلت فيهم لغة ومفاهيم واحدة أو متقاربة ومتوافقة غير متضاربة ولا متباينة، والتي تكفل قيام علاقة تبادلية بين الأفراد داخل الأسرة وبذالك خلق جو من التفاهم والتواصل وحل المشاكل والقضاء على العزلة والتعصب والتعنيف (بكار، 2009، ص76).

زيادة على ما ذكرناه عن أهمية التواصل بين الأهل والأبناء للحد من ظاهرة العنف عند الشباب، يمكن التأكيد على أنه اليوم هذا الحوار بين أفراد الأسرة أصبح أكثر أهمية منه في المجتمع المعاصر، لأن للغزو

الثقافي القادم من الغرب الذي لم يترك بيتا إلا دخله يجل ثقافة الشباب تتغير مع التغير الذي يطرأ على الأسرة واكتساب سلوك غير سليم، وخلق جو من التباعد بين الأهل والأبناء، مما يخلق جو من الشعور بالوحدة والإهمال لدى الشاب ويصبح يبحث في الخارج عن من يشكوا له همومه- وربما لا يجد أو يسقط في الفواحش والإدمان، وبالتالي التصرف بعنف، لذا كان للتواصل الأسري أهمية كبيرة للحد من مشاكل العنف عند الشباب بحيث عندما تحاور الأسرة أبناءها وتستشرهم في بعض الأمور فإنها تقوي علاقاتها الداخلية وتقوي ثقتهم بأنفسهم وتدربهم على ممارسة الحوار في كل شؤون الحياة، وأيضا حين تتواصل الأسرة معهم فإنهم يشعرون بالأمان وتفهم الصورة التي كونوها عنا، وكذلك تحفظهم من هذا الغزو الثقافي الغربي ولانحراف، وهكذا يكون بالابتعاد عن كل أشكال العنف لديهم (بكار، 2009، ص ص17 - 18).

2- **التربية الأسرية**: وتبقى الأسرة من فجر التاريخ الإنساني هي أول البيئات التي تتم فيها العملية التربوية والجهاز الوحيد للتربية المقصودة، حيث كانت "الأسرة هي المؤسسة التربوية الوحيدة التي لا يساعدها في العملية التربوية إلا التجمعات البدائية كالعشيرة أو القبيلة، وكانت الأسرة تتعهد بالطفل جسدا ونفسا، تعلمه طرائقها في الحياة وتنقل إليه خبراتها ومعارفها ومهارتها، وغالبا ما كان يرث الطفل مهنة الأب إن كان له مهنة وهذا ما يبرز دور الأسرة في تلقين أبناءها فنون وأساليب الحياة النقية والقيم الاجتماعية العالية بعيد عن جو الانفعال والعنف، ولم يكن لا التعليم الرسمي ولا التخصصات المختلفة الموجودة حاليا هي من تربي وتعلم الطفل، بل كانت الأسرة هي التي تعلم القراءة والكتابة والحساب من واجباتها وحدها، ففي الأسرة الممتدة يشارك كل من الأقارب والوالدين في تربية الأبناء فتتعدد المصادر التي من خلالها يتلقى الطفل القيم الاجتماعية، وفي الأسرة النووية الأبوان هما المسئولان عن تربية ورعاية الأبناء (عاقل، 1983، ص53).

وعليه يمكن القول أنه تبقى وظيفة التربية الأسرية لها أهمية ودور في الحد من ظاهرة العنف عند الشباب.

3- **التنشئة الاجتماعية الأسرية**: تعتبر الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولية عن تكوين شخصية الطفل من النواحي العقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمانية والاجتماعية والنفسية، وإذا كان لبعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى دور في عملية التنشئة الاجتماعية، فإنه دور ثانوي، لأنه يأتي في مرحلة زمنية لاحقة على السنوات التكوينية الأولى التي يعيشها الطفل في أحضان أسرته (علي طيار، 2017، ص86).

لقد أثبت مختلف الأدبيات والعلوم في علم الاجتماع وعلم النفس والتربية وحتى الأدب أولا أهمية كبيرة للأم في التنشئة الاجتماعية باعتبارها النموذج والقدوة التي يقتدي به الطفل منذ الصغر من حيث اكتسابه سلوك الحسن منذ البدايات الأولى، وتكمن هذه الأهمية في مراقبة الأم لابنها منذ الولادة حتى الشباب فهي تمثل له كل شيء وبداية طريق له، وكذلك على الأب عليه تحمل مسؤولية التنشئة لا تقل أهمية عن دور الأم، فدورها يبرز في الشهور الأولى من حياة الفرد حيث يكون دور الأب هنا ثانوي ويبرز دوره في مراحل متقدمة من حياة الفرد في متطلبات ومرافقة الابن لكي لا يشعر الابن بالنقص داخل الأسرة، وهذه الأشياء تساعد الطفل على النمو جسديا وفكريا مضاف إليه حنان الأم، وبالتالي تنموا بداخلة شعور بالنضوج والثقافة ويبتعد على جميع أشكال العنف (عبد المجيد الخطيب، 1985، ص62).

ومن أهم وظائف الأسرة وأدوارها أن تغرس في نفوس أبنائها حب الخير والتماشي وقيم المجتمع والتفاعل الإيجابي مع الآخرين، عن طريق التنشئة الصحيحة والتي يعلم من خلالها الطفل أن هناك قوانين اجتماعية لا يمكن تجاوزها، ولا بد أن تشترك الأسرة مع المدرسة والمجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، والأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل والتي يعيش معها السنوات التشكيلية الأولى من عمره، هذه السنوات التي يؤكد علماء النفس والتربية أن لها أكبر الأثر في تشكيل شخصيته تشكيلا يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال، وتتضح أهمية الأسرة وخطرها في تشكيل شخصية الطفل إذا ما تذكرنا المبدأ البيولوجي العام الذي يقول بازدياد القابلية للتشكيل أو ازداد المطاوعة كلما كان الكائن صغيرا، والأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل بتكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها، وفي هذه البيئة يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به، ... إن تعلم الطفل السلوك المقبول، وتوضيح الصواب من الخطأ يتشرب الطفل المعايير الأخلاقية الأسرية، مما يؤدي بالطفل إلى الاهتمام طول حياته بالقيم والعادات والعلاقات الاجتماعية، يتكون بداخله إحساس كبير وواجبات اتجاه هذه المعايير التي تكون بمثابة الموجه للأشخاص داخل المجتمع، كما تتباين من حيث مشاكل العلاقات التفاعلية داخل الأسرة ... مما يسمح لها بالأداء الحسن ونقل المبادئ الصحيحة للطفل (سيد أحمد وآخرون، 1995، ص38).

على العموم تبقى الأسرة هي الأرضية الأولي لتلقي الفرد القيم والتنشئة الاجتماعية الصحية، وهي أساس التواصل بين أفراد العائلة، ولها الدور الفعال في الحد من ظاهرة العنف عند الشباب.

رابعا: مرافقة الأسرة للشباب من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة

المتابعة الأسرية أو المرافقة حسب "محمود علي حسن" هي مجموعة من الأساليب السلوكية التي تمثل العمليات النفسية التي تنشأ بين الوالدين والطفل حيث أن على الوالدين أن يقوما بمجموعة من العمليات والمسؤوليات التربوية والنفسية تجاه هذا الطفل من أجل أن يتحقق له النمو النفسي السليم.

والملاحظ من هذا التعريف أنه يربط بين جانبين مهمين في حياة الطفل وهما الجانب النفسي والجانب التربوي في عملية التنشئة، كما أنها تعبر عن" الطرق التربوية الصحيحة أو الخاطئة التي يمارسها الوالدان مع أبنائهم أثناء عملية التنشئة، والتي تظهر من خلال مواقف التفاعل بينهم، وتهدف إلى تعديل سلوكهم والتأثير في شخصياتهم بما يدفعهم إلى السواء أو الشذوذ لذا وجب الآباء كي يلقنوا أبنائهم القيم والمثل وصيغ السلوك المتنوعة التي تجعلهم يتوافقون في حياتهم وينجحون في أعمالهم ويسعدون في علاقاتهم الاجتماعية بالآخرين تباع وسيلة فإعالة لمرافقة أبنائهم من الطفولة إلى المراهقة وما بعدها أو بما يعرف بالمتابعة الأسرية كما تعرف بالرعاية الوالدية وهي أحد الاتجاهات الاجتماعية التي تلقن، إلى حد كبير أساليب التربية والتطبيع الاجتماعي (يوسف عبد الفتاح، 1990، ص147)، وتكون المراقبة أو المتابعة الأسرية لشباب من الطفولة إلى المراهقة شيء مهم لتصدي ظاهرة العنف لدى الشباب وتكون هذه المرافقة أولا في مرحلة الطفولة ثم المراهقة، وهي كالتالي:

1- **مرحلة الطفولة**: وتتمثل في:

أ- دور الأسرة في تعليم القيم: على الأهل أن يعلموا الأطفال القيم والعادات الجيدة، والاهتمام بذلك قدر الإمكان، وتوعيتهم أن الحياة للجميع وليس لفرد معين، وحثهم على المحافظة على ممتلكات الآخرين، حتى في حال عدم وجودهم، نشوء الطفل في جو يتسم بالأخلاق والقيم الحميدة يؤدي إلى تبني الطفل لهذه المعايير ويجب أن يكون هناك مصروف ثابت للطفل، يستطيع أن يشتري به ما يشعر أنه يحتاج إليه فعلاً، حتى لو كان هذا المصروف صغيراً، ولو كان مقابل عمل يؤديه في المنزل بعد المدرسة، يجب أن يشعر الطفل بأنه سيحصل على النقود من والديه إذا احتاج لها فعلاً.

ب- دور الأسرة في تنمية القيم وبناء علاقات والإشراف المباشر: على الأهل بناء علاقة وثيقة بين الأهل والأبناء، علاقات يسودها الحب والتفاهم وحرية التعبير حتى يستطيع الطفل أن يطلب ما يحتاج إليه من والديه دون تردد أو خوف، وعلى الوديين الإشراف على الطفل بالإضافة إلى تعليمهم القيم والاهتمام

بما يحتاجونه، فالأطفال بحاجة إلى إشراف ومراقبة مباشرة حتى لا يقوم الطفل بأعمال خاطئة وإن قام تتم معرفتها من البداية ومعالجتها، ليكن الوالدين ومن يكبرون الطفل سناً هم المثل الأعلى للطفل بمعاملته بأمان وإخلاص وصدق، مما يعلم الطفل المحافظة على أشياءه وأشياء الآخرين إشعار الطفل بقيمته ومكانته في الأسرة والمدرسة وبين الزملاء، كما يجب على الأسرة تعويد الطفل على أن يشاركه غيره في حب الآخرين وتعليم الطفل على أن الحياة أخذ وعطاء منذ الصغر، وأنه يجب على الإنسان أن يحترم حقوق الآخرين وتعويده على المنافسة الشريفة بروح رياضية.

ج- دور الأسرة في زرع الثقة: بعث الثقة في نفس الطفل وتخفيف حدة الشعور بالنقص أو العجز عنده توفير العلاقات القائمة على أساس المساواة والعدل، دون تميز أو تفضيل على آخر، مهما كان جنسه أو سنه أو قدراته، فلا تحيز ولا امتيازات بل معاملة على قدم المساواة وتعويد الطفل على تقبل التفوق، وتقبل الهزيمة، بحيث يعمل على تحقيق النجاح ببذل الجهد المناسب، دون غيرة من تفوق الآخرين عليه، بالصورة التي تدفعه لفقد الثقة بنفسه تعويد الطفل الأناني على احترام وتقدير الجماعة، ومشاطرة الوجدانية، ومشاركة الأطفال في اللعب وفيما يملكه من أدوات.

هـ- على الأسرة المساواة في المتابعة: يجب على الآباء الحزم فيما يتعلق بمشاعر الغيرة لدى الطفل، فلا يجوز إظهار القلق والاهتمام الزائد بتلك المشاعر، كما أنه لا ينبغي إغفال الطفل الذي لا ينفعل، ولا تظهر عليه مشاعر الغيرة مطلقاً، وأيضا عليهم أن يقلعوا عن المقارنة الصريحة واعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها استعدادات ومزاياها الخاصة به،وتنمية الهوايات المختلفة بين الأخوة كالموسيقى والتصوير وجمع الطوابع والقراءة وألعاب الكمبيوتر وغير ذلك... وبذلك يتفوق كل في ناحيته، ويصبح تقيمه وتقديره بلا مقارنة مع الآخرين ومرافقتهم و المساواة في المعاملة بين الابن الطبيعي والابن المريض، لأن التفرقة في المعاملة تؤدى إلى شعور الأولاد بالغرور وتنمو عند البنات غيرة تكبت وتظهر أعراضها في صور أخرى في مستقبل حياتهن مثل كراهية الرجال وعدم الثقة بهم وغير ذلك من المظاهر الضارة لحياتهن وعدم إغراق امتيازات كثيرة على الطفل المريض، فان هذا يثير الغيرة بين الأخوة الأصحاء، وتبدو مظاهرها في تمنى وكراهية الطفل المريض أو غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة أو المستترة التي تولد لطفل نوع من الإهانة والوحدة يفجره في شكل ردة فعل عنيفة هذا عن مرحلة الطفولة وبانتهاء مرحلة الطفولة تستمر الأسرة دورها اتجاه تنشئة الأبناء فتنتقل إلى المتابعة والمرافقة الأسرية لأبنائهم في مرحلة المراهقة.

2- **مرحلة المراهقة**: تعد فترة المراهقة من أصعب المراحل لدي الأبناء، وكذلك تمثل فترة صعبة وغير مستقرة لدي الأهل خاصة الأم التي تختار الطرقة التي يجب أن تتعامل بها مع أبناءها في هذه الفترة، ويجب على الولدين كلاهما أن يعلما أن الأمر ليس سهلا أبدا لهما لذا عليهم أن يختارا الطرقة المناسبة لتعامل مع أبناءهم لكي ليقع في فخ العنف والعصبية بشعورهم بالإهابة، فقد تصبح المراهقة مشكلة وأزمة إذا لم نتفهم جوانبها واحتياجاتها ومطالبها، وعدم معرفة وفهم الأهل والعاملين مع الشباب لهذه الخصائص يؤدي لظهور توترات، ويضع عوائق أمام التواصل معهم والمراهقون بحاجة لمعرفة أكثر عن أنفسهم وعن خصائصهم الإنمائية حيث أن عدم الإعداد المسبق للشاب وإمداده بالمعلومات المناسبة قبل حدوث التغيرات الجسدية الفسيولوجية، ... إلى إحساسهم بالخجل والقلق، وقد يظهر ذلك على شكل تخوفات وهواجس وتساؤلات مثل: هل شكلي طبيعي؟ هل هذا يحدث لجميع زملائي؟ هل شكلي يتلاءم مع الصورة التي يرسمها المجتمع لمن هم في سني؟ المجتمعات تنشأ تمرد على الأسرة ونفور من الوالدين والكبار (سعادة، وآخرون، 2018، ص14).
كما تعد أيضا مرحلة المراهقة قنطرة عبور بين الطفولة والرشد، لذا توجب على الأهل ومن خلال مرفقة أبناءهم من الطفولة إلى هذه المرحلة الصعبة بإعدادهم لهذه التغيرات حيث يؤدي إعدادهم وإمدادهم إلى شعورهم بالحرية ويواجه اليافعين واليافعات هذه التغيرّات الجسدية الحاصلة بشكل إيجابي عندما يعلمون بها مسبقاّ يشعرهم ذلك بالثقة في النفس والطمأنينة ويجعلهم يتعاملون مع الوضع بشكل طبيعي(سعادة وآخرون، 2018، ص18).

وتكون مرافقة الأهل لأبنائهم المراهقين أيضا من خلال مجموعة من نصائح دون جعلهم أنهم لا يحسنون التصرف كأن يرافقوا نشطتاهم اليومية من (دراسة، رياضة، تنزيه، رفقة الأصحاب ... الخ) من النشطات يمارسها المراهق في هذه الفترة زيادة عن مراقبتهم ونهيهم عن الإدمان على التلفاز والشبكة العنكبوتية والسينما، القصص الجنسية والشذوذ والانحراف وسلوكيات غير صحيحة مثل التدخين ورفاق سوء، مطالب مادية كثيرة، وقلة أدب وملاحقة للموضة، حيث يشعر المراهق هنا أنه مسئول عن نفسه وبإمكانه تحديد كل شيء يخصه... فمن خلال تحليلنا لمضاميني بعض المقابلات مع بعض الأهل في كيفية تعامل مع أبناءهم المراهقين تبين لنا أن هناك عدد من المفاهيم "الخاطئة" والتخوفات "المبالغ فيها" تكمن خلف الصورة التي رسمها الكبار للمراهقين وهي بحاجة لمراجعة حتى نتمكن من فهم المراهقة فهماً سليما، مثل النظر إلى المراهقة كمشكلة وليست مرحلة من عمر الإنسان نظر إليهم كقاصرين والتعامل مع المراهقين بشكل

متناقض حيث نتوقع منهم أشياء يعجز عنها الكبار لأن المراهقين في حالة صراع دائم مع القيم السائدة في المجتمع, والخلط بين حق الأهل والكبار بالرعاية للمراهقين وبين الوصاية عليهم والخلط بين سعي المراهقين نحو الاستقلال وبين التمرد على سلطة الأهل والكبار ورفض المراهقين إلى النصح توجب المتابعة الأسرية للمراهق لتجنب أي نوع من أشكال العنف لدي الشباب المراهق (سعادة وآخرون، 2018، ص19).

عموما تبقي المراقبة والمتابعة الأسرية للأبناء من الطفولة إلى المراهقة وما بعدها من طرف الأهل شيء مهم ضروري لتنشئة اجتماعية أسرية سليمة، وبث روح الإنسانية والتعايش في نفسية الشاب لتجنب كل أشكال العنف الشبابي في كل المؤسسات الاجتماعية.

خامسا: إسهام الأسرة في تنمه القيم الاجتماعية لدى الشباب ودمجهم في المجتمع

1- إسهام الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية: يبرز اليوم أهمية القيم من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة لكل شاب بكل مجتمع في ظل ما يتهددها من أخطار العولمة، ومؤسساتها، وهذا لا يعني أن الحل يكمن في الانكفاء على الذات، والابتعاد عن العالم الذي أصبح في ظل العولمة قرية صغيرة، إنما يعني إكساب المناعة لكل فرد من خلال تربيته تربية وطنية تركز على تزويده بالمعارف، والقيم، والمبادئ والمهارات التي يستطيع بها التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك على شخصيته وقيمه لتفادي أي نوع من ردة الفعل العنيفة لدي الشباب، فهناك العديد من المؤسسات التي تعمل على تشكيل وتنمية القيم الاجتماعية عند الفرد كالأسرة، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام، إلا أن الأسرة تعتبر أهم المؤسسات في إعداد الأجيال، وسنتحدث عن دور الأسرة في ترسيخ القيم اجتماعية والاستراتيجيات التي يجب أن يتبناها الآباء من أجل تربية جيل متماسك ... ذوا تفكير سليم بعيدا عن مظاهر العنف والتعنيف (سويدي، 31 ماي 2015)، باعتبار الأسرة السليمة المؤسسة المكملة لنسيج البناء التحتي لأي مجتمع من المجتمعات، لذا فإن التعرف على الأبعاد الأساسية السائدة داخل الأسرة يعطينا مؤشرات واضحة نحو أساليب اكتساب القيم والعادات، والمحافظة على المعتقد الديني وانتقاله من الآباء إلى الأبناء، ليناسب بشكل طبيعي ثقافة المجتمع بعيداً عن القسرية أو الجبرية، وأنماط الضغط في التربية لانتساب هذا المكون الأساسي، والأسرة المتمثلة في الأبوين هي المسؤولية عن بث روح المسؤولية والانتماء لدى الأبناء، واحترام القيم السائدة فيها، وتعويدهم على احترام الأنظمة الاجتماعية ومعايير السلوك، فضلاً عن المحافظة على حقوق الآخرين واستمرارية التواصل ونبذ السلوكيات الخاطئة لدى أبنائها، كالجمود والتعصب والعنف والعدوانية والأنانية وغير ذلك

والطفل في بداية حياته المعرفية بحاجة لأن يتعلم مُثلاً وقيماً أخلاقية أساسية لحياته الفردية والاجتماعية، يمكن أن تساعده في استقراره النفسي والعاطفي مستقبلاً، فالطفل كما هو بحاجة إلى اللعب والترفيه في بداية حياته فهو بحاجة إلى اكتساب القيم والمثل العليا، حتى لا يقع مستقبلاً في حالة من الضياع والاغتراب، وحتى يتجنب التعاسة والانحلال والاستهتار التي تولد لديه شعور بالوحدة والألم بتالي يكون لديه أسلوب معنف في التعامل مع الغير في الأسرة والمجتمع ككل، فالتجارب الفردية والاجتماعية تؤكد بان السعادة والاستقرار والنجاح الفردي والجماعي يرتبط بالسلوك الذي تحكمه قيم أخلاقية، فهناك علاقة ترابط تاريخية بين الأخلاق والسمو والارتقاء. من أجل ذلك، ينبغي التعامل مع نسق القيم المرغوبة على أنها سلوكيات صحيحة والتعامل معها بثبات لترسيخ قواعد هذا النظام، وهذا يتطلب من الكبار في الأسرة أن يكونوا القدوة والنموذج والمثال في هذا الشأن، أما القيم التي ترسخها الأسرة وتحاول إكسابها لأبنائها فهي عبارة عن مفاهيم تختص باتجاهات وغايات تسعى إليها كاتجاهات وغايات سامية جديرة بالاحترام والرغبة (سعد، 2003).

لذا، فإن التعرف على الأبعاد الأساسية السائدة داخل الأسرة يعطينا مؤشرات واضحة نحو أساليب اكتساب القيم والتقاليد والعادات، أما القيم التي تعلمها الأسرة لأبنائها شباب، فهي عبارة عن المفاهيم والعادات السلوكية المتصلة، ومن بين أهم الوسائل التي تعتمدها الأسر من أجل بناء القيم السليمة لدى الشباب للحد من ظاهرة العنف لديهم وتنمية القيم الاجتماعية لديهم ما يلي:

أ- تنمية اتجاهات التفاهم والأخوة والتعاون التي يجب أن تسود الناس.

ب- تعزيز ثقافة المشاركة والحوار والتسامح والتعايش مع الآخرين.

ج- تدريب الشباب من الطفولة على أداء واجباتهم والتمسك بحقوقهم.

د- تقدير المصلحة العامة، وتقديمها على المصلحة الخاصة.

ومن هنا نخلص إلى أنه يجب على الأسرة تنمية القيم النبيلة في نفوس الشباب منذ مرحلة طفولة من خلال السلوكيات والممارسات العملية الدالة على الحب، والانتماء مع العمل على نشر مفاهيم القيم وما يتعلق بها من معارف، ومبادئ ومهارات في سائر المقررات الدراسية، ولا سميا أن أساس هذه القيم هو (الشريعة الإسلامية).

بدون أن ننسى أن الأسرة كذلك هي بيئة ناجحة لممارسة القيم السليمة فتدريب الشباب من الصغر على مناقشة القضايا التي تهمهم، واتخاذ القرارات المناسبة ومعالجة الاختلاف في الرأي بينهم، والتعامل مع المخالفين دون اللجوء للعنف والتعنيف وتبقى الأسرة هي أهم المؤسسات في غرس القيم النبيلة في نفوس الشباب، بالقول والفعل عن طريق المسابقات الثقافية، والألعاب الممتعة، وبكل ما يمكن أن يوصل إلى ذلك الهدف النبيل ليعتز الناشئون بقيمهم، ويبذلوا النفس والنفيس في سبيل حماية المجتمع ومنظومة القيم (سويدي، 15 ماي 2015).

على العموم يمكن القول بأن تربية الأسرة للأطفال على القيم والمبادئ السامية لا يمكن إلا أن تنتج لنا وجود شباب واعي وناضج فكريا وجسديا بعيد عن العنف والشغب، ويتطلب ذلك التنسيق والتكامل مع المؤسسات الأخرى ذات الصلة التربوية التي يتعرض لها الفرد كوسائل الإعلام، والصحف والمجلات، ووسائل الترفيه، والتفاعل مع الآخرين، فالبيئة والمجتمع اليوم معلم أساسي يزاحم الأسرة، وبالتالي فإن أي تعلم أو خبرة يحصل عليها الشاب منذ الطفولة من الأسرة إلى غاية الشارع لا يمكن أن تحقق أهدافها ما لم يكن هناك تفاعل وتعاون وتنسيق بين الأسرة والمجتمع، بهدف تعزيز وتأكيد الخبرات المكتسبة ومنها القيم النبيلة التي تعمل على رفع الفرد والمجتمع وإبعاده عن كل مظاهر العنف.

2- إسهام الأسرة في دمج الشباب في المجتمع: يحتاج الشباب في هذه المرحلة العمرية إلى فرص للمبادرة والانخراط في تجارب وخربات غنية ومتنوعةّ لاستكشاف الحياة، واكتساب المهارات وتنمية مواهب وتعلم قيم التي يمكن أن يتعلموها من خلال الكتب، وإنما من خلال التفاعل الحقيقي في الحياة الواقعية داخل الأسرة، ومن خلال تشجيع الأهل لمشروعات تتيح لهم التعلم من خلال الممارسة والتطبيق وأيضا مشاركة الأهل وتشجيع أبناءهم على المضي قدما وهكذا تساهم الأسرة في دمج الشباب في المجتمع وإعادة أتطيرهم ميدانيا والقضاء على ظاهرة العنف في أوساط الشباب.

إن دعم الأسرة لتصميم الشباب للمبادرات ومشاركتهم الفاعلة في برامج ومشروعات تنمية مجتمعاتهم من خلال تعاون أسرهم لدمجهم ميدانيا في المجتمع تعد أكثر الفرص الاكتساب المعرفة والوصول إلى المعلومات، وتنمية مهاراتهم الفكرية وتمكينهم من مهارات التفكير وثراء الناقد ومهارات الحوار والتعبير عن الذات، وتنمية مهاراتهم الحياتية خاصة المتعلقة بفهمهم لذاتهم وإدارتها والمبادرة، ومهارات الاتصال الشخصية وإدارة العلاقة الإيجابية مع الآخرين كلها أساليب تجعل من الشاب بناء نفسه وإعادة دمجه في المجتمع مهما كان ذو مزاج

صعب وردة فعل عنيفة، فاتخاذ الأسرة القرار الصائب المبني على المعرفة خاصة في خياراتهم التعليمية والمهنية وأسلوب حياتهم، وتنمية القيادية والمسؤولية لديهم وتنمية مهارات الحوار والتعامل مع التنوع والاختلاف، وبناء قدرتهم على حل المشكلات، والتعامل مع الضغوط النفسية والاجتماعية، فتركيز الأسرة على مبادئ علم النفس الإيجابي والمدرسة الإنسانية التي تركز على تنمية المهارات والقدرات وإطلاق الطاقات الحية، بدال من التركيز على المشاكل النفسية والاجتماعية التي تزيد من ظاهرة العنف لدى الشباب (سعادة وآخرون، 2018، ص50).

وتعد الإسهامات والنظريات الجديدة من العوامل الأساسية لتطوير دراسة الأسرة عامة والأسرة الجزائري خاصة التي طرأت عليها عدة تغيرات منذ بداية نشأتها إلى الوقت الحالي، بسبب التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على الصعيد العربي والإسلامي من جانب، وعلى الصعيد الاستعماري من جانب آخر مما جعلها تمتاز بسمات تختلف عما كانت عليه في السابق، من حيث البناء والوظائف التي كانت تقوم التقليدية، نتيجة لعامل التأثر بموجة التصنيع وتيار التحضر والتمدن اللذان عكسا طبعا خاصا عليها، فالمجتمع الجزائري لم يتجاوب مع التحولات بطريقة متجانسة كليا، كونه لا يخضع بسهولة للتأثر والتغير، غير أن إسهامات الأسرة في دمج الشباب في المجتمع والاقتصاد تظهر جليا من خلال ما يؤكده الباحث "مصطفى بوتفنوشت" أنه رغم أن الأسرة الجزائرية قد فقدت شكلها الممتد في الأوساط الاجتماعية الحضرية، غير أنه لاحظ أن هذه الأسر الزوجية المنتشرة في الأوساط الحضرية تضم ما بين سبعة وتسعة أفراد، ويشير كذلك أنه رغم الاتجاه في شكل الأسرة الذي يسير الأوساط الحضرية تضم ما بين سبعة وتسعة أفراد، ويشير كذلك أنه رغم الاتجاه في شكل الأسرة الذي يسير نحو الأسرة النووية، إلا أن شكل الأسرة الممتدة لا يزال موجودا وأن بعض خصائصها ووظائفها ما يزال باقيا ومزال إسهامات الأسر اتجاه أبناءها لدمجهم في المجتمع قائمة، وتماشيا مع النظرية البنائية الوظيفية فإن التأكيد على ارتباط الأسرة بالنسق المهني، وربما التفكك الذي يصيب الأسر إنما هو في الواقع تكيف لمتطلبات الاقتصاد (بوتفنوشنت، 1984، ص37).

وعليه يمكن القول أن الأسرة لها دورا فعالا لتأطير الشباب في المجتمع وجعلهم ناجحين بعدين على كل أشكال العنف عن طريق إعطاء دافعية أكبر في اتخاذ القرارات الصائبة، وتقدير الذات، وتشجيعهم على بناء مشاريعهم، وتلقينهم القيم، ليسيروا في طريق النجاح، ودعم قراراتهم، كلها أساليب تتبعها الأسرة سليمة لتشجيع أبناءهم ودمجهم في المجتمع وإبعادهم عن كل أشكال العنف والتعنيف.

خاتمة

عموما تبقي ظاهرة العنف في الأوساط الشبابية ظاهرة اجتماعية يسعي القانون والشريعة التصدي لها بشتى الطرق والوسائل والأساليب والآليات الاجتماعية، وتبقي الأسرة هي أولى هذه الآليات الاجتماعية للحد ومحاربة العنف بشتى أنواعه لدى الشباب في كل أنحاء العالم إحدى هذه الدول.

وباعتبار الأسرة هي الدعامة الأساسية في بناء مجتمع سليم آمن، ,أيضا باعتبار الأسرة هي نقطة البداية لكل فرد في المجتمع وهي البيئة الأولى التي ينشىء فيها، لذا كانت هي الدعامة الأساسية والآلية الأولي في جميع المجتمعات سواء الغربية أو العربية المسلمة، فلها الدور الأكبر والأعظم في محاربة والحد من ظاهرة العنف لدى الشباب وتنشئتهم تنشئة صحيحة على القيم الدينية والاجتماعية والثقافية، ومعرفة طرق التعامل معهم خاصة في مرحلة المراهقة التي تعتبر أكبر مرحلة حرجة لكلا الطرفين الأهل والأبناء، وإنشاء جسر تواصل بينهم للمناقشة والتعبير عن مختلف مشاكلهم ومعالجتها معهم، وزرع الثقة والقوة بنفوسهم بالمتابعة الأسرية السليمة والمرافقة، وكذا وإسهام هذه الأسرة في دمجهم في المجتمع وتأطيرهم للحد من كل أشكال العنف والتعنيف لدى الشباب في كل المجتمعات العالمية.

وحتى تتمكن الأسرة من تحقيق كل هذا لا بد عليها من اعتماد ما يلي:

1- التنشئة الاجتماعية الصحيحة من طرف الأسرة والتربية الأسرية السليمة للحد من ظاهرة العنف عند الأبناء من الشباب.

2- نشر الثقافة الدينية وترسيخ القيم الاجتماعية العالية في نفوس وأفكار الشباب خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة.

3- نشر الثقافة الإعلامية وتصحيح المفاهيم الإعلامية الخاطئة ووضع القيود على استيراد الألعاب التي تجسد العنف سواء كانت من الألعاب الإلكترونية أم من الألعاب البلاستيكية التي تكون على شكل أسلحة.

4- ضرورة مراقبة الوالدين لأبنائهم من أجل التأكد من خلو أفلام الكارتون التي يشاهدونها والأفلام والمسلسلات وكذلك الألعاب التي يلعبونها من العنف المفرط وغير المبرر

5- ضرورة التواصل الجيد وفتح باب التحاور والنقاش بين الإباء والأبناء لزرع الثقة وعدم الخوف في نفوس الأبناء تجاه أهلهم ومصارحتهم بكل الأمور التي تعيقهم وتقلقهم.

6- ضرورة تنمية القيم لدي الشباب وترسيح المفاهيم الاجتماعية الصحيحة في أذهانهم وتشجيعهم في المشاريع العملية والعلمية لأعادت دمجهم اجتماعيا ومحاربة ظاهرة العنف عندهم.

قائمة المراجع

الكتب:

– ابن منظور، (1997)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، المجلد 3، لبنان.

– أسعد وطفة علي، (1993)، علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشور التوزيع، دمشق.

- إسماعيل حلمي إجلال، (1999)، العنف الأسري، دار فياء للطباعة والتوزيع، القاهرة.

- إسماعيل مجاهد على، (2005)، التنبؤ العلمي أساس للتخطيط الأمني، دار الإسراء، القاهرة.

– الجوهري محمد وآخرون، (1995)، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

- بكار عبد الكريم، (2009)، التواصل الأسري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

- بوتفنوشنت مصطفى، (1984)، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، (ترجمة أحمد دمبري)، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- توهيل فايز محمد، (1998)، علم الاجتماع السياسي: قضايا العنف والحرب والسلام، دار المستقبل للنشر والتوزيع، (ط1)، الأردن.

– زكي بدوي أحمد، (1993)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.

- سموك علي، (2004)، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري: من أجل مقاربة سوسيولوجية، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار، عنابة.

- سيد أحمد غريب وآخرون، (2014)، دراسات في علم الاجتماعي العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

– **عادل** العطار سهير، (2005)، المدخل الاجتماعي لدراسة الأزمات بين التصورات النظرية والتطبيقات العملية، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة.

- عاطف غيث محمد، (1979)، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- عاقل، فاخر. (1983). معالم التربية. بيروت. (ط 1). دار العلم.

- عبد الحميد الخطيب سلوى، (1985)، نظرة في علم الاجتماع المعاصرة، دار الكتاب الجامعي، مصر.

– علي طيار الفهد، (1997)، العوامل الاجتماعية للعنف، مكتبة لبنان، بيروت.

- يوسف الكندري يعقوب، (2014)، دراسة ظاهرة العنف لدى الشباب بدولة الكويت، وزارة الدولة لشؤون الشباب، الكويت.

المقالات:

- يوسف عبد الفتاح محمد، (1990). العلاقة بين الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء ومفهوم الذات لديهم، مجلة علم النفس، المجلد 4، العدد 13. القاهرة، ص ص 146-165.

مواقع الانترنيت:

– الإمارة سعد. (2003)، الدين والأسرة والتنشئة الاجتماعية، مجلة النبأ، العدد 57، تم الدخول بتاريخ 2025/05/18، مأخوذ من:
https://annabaa.org/nba57/aldeenwaalausra.htm

- سعادة يوسف وآخرون، (2018)، دليل نوافذ العمل مع الشباب من منظور التنمية الشبابية، تم الدخول بتاريخ 2025/11/05، مأخوذ من:
https://www.merriam-webster.com/DICTIONARY/VIOLENCE

– سويدي ياسين، (31 ماي 2015)، العنف الأسري أسبابه وعلاجه، المجلة المحمدية، المملكة المغربية، تم الدخول بتاريخ 2024/02/10، مأخوذ من: http://www.arrabita.ma/

Family Upbringing and Its Role in Achieving Citizenship and Facing Cultural Challenges

Rim NOUARI
Djilali Bounaama Khemis Miliana University (Algeria)
r.nouari@univ-dbkm.dz

Abstract:

Family upbringing plays a crucial role in shaping an individual's sense of citizenship and their ability to navigate cultural challenges and societal changes. Citizenship, in this context, extends beyond legal status to include active participation in society, adherence to ethical values, and the ability to coexist in diverse environments. Parents and caregivers influence children's social, moral, and civic development by instilling values such as responsibility, respect, tolerance, and patriotism. These foundational values help individuals adapt to cultural transformations, whether due to globalization, migration, or shifting societal norms.

The study of family upbringing in this context involves several key variables. **Independent variables** include parenting styles, and socio-economic status. **Dependent variables** focus on the development of citizenship traits. **Intervening variables** include education, peer influence, media exposure, and religious beliefs. Additionally, **external variables** such as government policies, societal norms, and historical contexts shape how family values translate into citizenship behavior.

As cultural shifts become more rapid due to digitalization and globalization, strong family upbringing helps individuals maintain a balance between preserving cultural identity and embracing diversity. By fostering open-mindedness, resilience, and ethical awareness, families equip their members with the necessary tools to contribute positively to society while effectively addressing cultural challenges and adapting to new environments.

Keywords: Family upbringing ;cultural adaptation;citizenship developmemt ;social values**.**

دور التنشئة الأسرية في تحقيق المواطنة و مواجهة التحديات الثقافية

ريم نواري

1امعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الجزائر

r.nouari@univ-dbkm.dz

ملخص:

تلعب التنشئة الأسرية دورًا أساسيًا في تشكيل إحساس الفرد بالمواطنة وقدرته على مواجهة التحديات الثقافية والتغيرات المجتمعية. فالمواطنة في هذا السياق لا تقتصر على الوضع القانوني فقط، بل تشمل أيضًا المشاركة الفعالة في المجتمع، والالتزام بالقيم الأخلاقية، والقدرة على التعايش في بيئات متنوعة. يؤثر الآباء ومقدمو الرعاية في التطور الاجتماعي والأخلاقي والمدني للأطفال من خلال غرس قيم مثل المسؤولية، والاحترام، والتسامح، وحب الوطن. تساهم هذه القيم الأساسية في قدرة الأفراد على التكيف مع التحولات الثقافية، سواء كانت ناتجة عن العولمة أو الهجرة أو تغير المعايير المجتمعية.

تشمل دراسة التنشئة الأسرية في هذا السياق عدة متغيرات رئيسية. المتغيرات المستقلة تشمل أنماط التربية ، والوضع الاجتماعي والاقتصادي. المتغيرات التابعة تركز على تنمية خصائص المواطنة . المتغيرات الوسيطة تتضمن التعليم، وتأثير الأقران، والتعرض لوسائل الإعلام، والمعتقدات الدينية. بالإضافة إلى ذلك، المتغيرات الخارجية مثل السياسات الحكومية والمعايير المجتمعية والسياقات التاريخية تؤثر في كيفية ترجمة القيم الأسرية إلى سلوكيات مواطنة.

ومع تسارع التغيرات الثقافية بسبب الرقمنة والعولمة، تساعد التنشئة الأسرية القوية الأفراد في تحقيق توازن بين الحفاظ على الهوية الثقافية وتبني التنوع. ومن خلال تعزيز الانفتاح الذهني والمرونة والوعي الأخلاقي، تزوّد الأسرة أفرادها بالأدوات اللازمة للمساهمة الإيجابية في المجتمع والتكيف مع البيئات الجديدة بفعالية.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الأسرية، تنمية المواطنة .،التكيف الثقافي .،القيم الإجتماعية .

Introduction:

Family upbringing plays a fundamental role in shaping an individual's identity, instilling values, and fostering a sense of citizenship. It serves as the first environment where a child learns moral principles, social responsibilities, and cultural awareness. Citizenship is not merely a legal status but a comprehensive concept that includes loyalty, responsibility, participation, and respect for the rights and duties within a society. A well-guided upbringing nurtures these qualities by embedding ethical values, national pride, and a commitment to social cohesion. Families function as primary institutions of socialization, influencing children's behaviors, attitudes, and perspectives on civic engagement. When parents emphasize respect, tolerance, and responsibility, they cultivate individuals who actively contribute to their communities and uphold societal values.

Moreover, in an era of globalization and rapid cultural exchange, families play a crucial role in helping children navigate cultural challenges while maintaining their identity. Exposure to diverse cultural influences can sometimes create conflicts between traditional values and modern societal trends. Through open discussions, critical thinking, and adaptive learning, families equip children with the necessary skills to embrace diversity without losing their cultural roots. This balance ensures that individuals remain connected to their heritage while adapting to evolving global norms. Furthermore, families can counter negative external influences such as misinformation, extremism, or cultural alienation by promoting media literacy and fostering constructive dialogues about cultural integration.

Ultimately, strong family foundations contribute to the development of responsible citizens who uphold societal values, respect diversity, and engage in meaningful contributions to their nation. By instilling a sense of duty, moral integrity, and adaptability, family upbringing ensures that individuals not only become productive members of society but also play an active role in preserving cultural heritage and fostering social harmony in the face of global challenges.

I Conceptual Definitions of Key Concepts in "Family Upbringing, Citizenship, and Cultural Challenges

1.1 FamilyUpbringing

Family upbringing refers to the **process through which parents and caregivers transmit social, moral, cultural, and behavioral norms to their children**, shaping their personality, identity, and civic engagement (Lareau, 2011). This process includes **parenting styles, socialization practices, and moral development** within the household (Baumrind, 1991).

Key Dimensions of Family Upbringing

- **Parenting Styles**: Authoritarian, authoritative, permissive, and neglectful parenting influence child development (Baumrind, 1967).
- **Cultural Transmission**: Families pass down traditions, values, and language (Portes & Rumbaut, 2001).
- **Moral and Social Development**: Teaching children ethical behavior, responsibility, and respect (Kuczynski & Parkin, 2007).

1.2 . Citizenship

Citizenship is the **legal, social, and cultural status of an individual within a political community**, encompassing rights, responsibilities, and civic engagement (Kymlicka & Norman, 1994). It includes **active participation in democratic processes, adherence to social norms, and integration into national identity** (Hoskins & Mascherini, 2009).

Key Dimensions of Citizenship

- **Legal Citizenship**: Formal status granted by a state, including rights and duties (Marshall, 1950).
- **Social Citizenship**: Participation in society through cooperation and community service (Sherrod et al., 2010).
- **Political Citizenship**: Engagement in governance, voting, and advocacy (Dalton, 2008).
- **Cultural Citizenship**: The ability to maintain one's cultural identity while being part of a larger national framework (Banks, 2008).

1.3. Cultural Challenges

Cultural challenges refer to the **difficulties individuals and societies face in maintaining traditional values, adapting to globalization, and navigating cross-cultural interactions** (Berry, 1997). These challenges emerge from **technological advancements, migration, social media, and shifts in family structures** (Castells, 2010).

Key Dimensions of Cultural Challenges

- **Globalization and Identity Shifts**: The tension between traditional cultural values and modern influences (Giddens, 2009).
- **Digital and Social Media Influence**: The spread of global ideas that challenge local norms (Livingstone & Helsper, 2007).
- **Multiculturalism and Integration**: The challenge of balancing national identity with ethnic diversity (Berry, 1997).
- **Changing Family Structures**: Economic and societal transformations affecting traditional family roles (Lesthaeghe, 2014).

1.4. Parenting Styles

Parenting styles refer to **the patterns of behaviors, attitudes, and strategies that parents use to raise and socialize their children** (Baumrind, 1991). These styles significantly influence children's moral, social, and civic development.

Key Types of Parenting Styles

1. **Authoritative Parenting**: High responsiveness and high expectations, leading to responsible and civic-minded children (Darling & Steinberg, 1993).
2. **Authoritarian Parenting**: High expectations but low warmth, resulting in compliance but lower civic engagement (Baumrind, 1967).
3. **Permissive Parenting**: High warmth but low expectations, leading to lower civic responsibility (Maccoby & Martin, 1983).
4. **Neglectful Parenting**: Low warmth and low expectations, often resulting in disengagement from civic duties (Steinberg, 2001).

II. Theoretical Approaches to Family Upbringing, Citizenship, and Cultural Challenges

A **theoretical approach** provides a structured lens to understand how family upbringing influences citizenship development while responding to cultural challenges. This part explores relevant sociological, psychological, and educational theories that frame the discussion.

2.1.. Socialization Theory (Parsons, 1951; Mead, 1934)

Socialization theory explains how individuals acquire the norms, values, and behaviors necessary to function in society. It emphasizes the role of family as the primary agent of socialization.

Relevance to Family Upbringing and Citizenship

- Talcott Parsons (1951) argued that families instill core societal values in children, preparing them to become responsible citizens.
- George Herbert Mead (1934) emphasized the importance of **symbolic interactionism**, where children learn societal roles through interaction with parents and caregivers.
- Family socialization shapes children's attitudes towards laws, responsibilities, and social engagement (Giddens, 2009).

Implications for Cultural Challenges

- In culturally diverse or globalized societies, the **secondary agents of socialization** (media, education) may conflict with family teachings, leading to identity crises (Arnett, 1995).
- Parents must adapt their socialization methods to balance tradition with modern civic expectations (Lareau, 2011).

2.2. Ecological Systems Theory (Bronfenbrenner, 1979)

This theory explains how children's development is shaped by different layers of environmental influences.

Relevance to Family Upbringing and Citizenship

- Urie Bronfenbrenner (1979) identified multiple **nested systems** that impact child development:
    - **Microsystem** – Family, school, peers.
    - **Mesosystem** – Interactions between family and institutions.
    - **Exosystem** – Indirect influences (e.g., parental workplace).
    - **Macrosystem** – Cultural and legal norms that define citizenship expectations.
    - **Chronosystem** – Societal changes over time (e.g., globalization, digital transformation).

Implications for Cultural Challenges

- Families must navigate the **tension between traditional upbringing and modern civic expectations** (Tudge et al., 2009).
- The **digital age** has added a new layer (technosystem), influencing children's cultural and political awareness (Johnson & Puplampu, 2008).

2.3. Civic Development Theory (Westheimer & Kahne, 2004)

This theory categorizes different forms of civic engagement and how individuals develop citizenship values.

Relevance to Family Upbringing and Citizenship

Westheimer and Kahne (2004) identified three types of citizens:

1. **Personally Responsible Citizen** – Obeys laws, pays taxes, helps others in crises.
2. **Participatory Citizen** – Engages in civic organizations, community service.
3. **Justice-Oriented Citizen** – Challenges social injustices, advocates for policy changes.

Implications for Cultural Challenges

- Families play a role in shaping which **type of citizen** a child becomes based on parenting styles (Flanagan & Levine, 2010).
- In multicultural societies, **citizenship education must balance national loyalty with global awareness** (Banks, 2008).

2.4. Cultural Adaptation Theory (Berry, 1997)

This theory explains how individuals adjust to cultural shifts while maintaining their identity.

Relevance to Family Upbringing and Citizenship

Berry (1997) identified four **acculturation strategies**:

1. **Assimilation** – Abandoning native cultural identity in favor of new norms.
2. **Integration** – Balancing native and new cultural identities.
3. **Separation** – Rejecting dominant cultural influences to preserve heritage.
4. **Marginalization** – Disconnecting from both cultures.

Implications for Cultural Challenges

- Family upbringing determines **how children adapt to globalization** (Sam & Berry, 2010).
- Bicultural families use **integration strategies** to ensure children maintain national identity while engaging in global citizenship (Phinney et al., 2001).

The **socialization theory**, **ecological systems theory**, **civic development theory**, and **cultural adaptation theory** provide a **comprehensive theoretical approach** to understanding how **family upbringing** influences **citizenship development** while responding to **cultural challenges**. These theories collectively explain how families instill civic values, navigate societal influences, and help children adapt to changing cultural landscapes.

3. Relationships between Key Constructs

A. Family Upbringing (Independent Variable)

The role of parents includes:

- **Modeling Civic Responsibility** – Demonstrating social participation (e.g., voting, community service) (Lansford et al., 2021).
- **Ethical and Moral Teaching** – Instilling values like honesty and justice (Baumrind, 1991).
- **Democratic Parenting** – Encouraging discussions and independent thinking (Kuczynski & Parkin, 2007).
- **Cultural Preservation** – Teaching traditions, language, and history (Portes & Rumbaut, 2001).

B. Citizenship Development (Dependent Variable)

Citizenship includes:

- **Legal Citizenship** – Awareness of rights and responsibilities (Hoskins & Mascherini, 2009).
- **Social Citizenship** – Engagement in community service (Sherrod et al., 2010).
- **Political Citizenship** – Participation in civic activities like voting (Dalton, 2008).
- **Cultural Citizenship** – Balancing national identity and global perspectives (Kymlicka, 1995).

C. Cultural Challenges (Intervening Variable)

- **Globalization and Westernization** – Exposure to external influences affects traditional values (Castells, 2010).
- **Social Media Influence** – Digital culture shifts perceptions of citizenship (Livingstone & Helsper, 2007).
- **Changing Family Structures** – Single-parent and dual-working households impact parenting (Lesthaeghe, 2014).
- **Declining Civic Engagement** – Fewer young people participate in community service (Putnam, 2000).

D. Mediating Factors (Moderating Variable)

- **Education Systems** – Schools reinforce civic values (Torney-Purta et al., 2001).
- **Peer Influence** – Friends shape attitudes towards civic responsibility (Hart & Atkins, 2011).
- **Government Policies** – Laws support citizenship education (Geboers et al., 2013).
- **Religious and Cultural Institutions** – Offer moral and ethical guidance (Verba et al., 1995).

This conceptual framework illustrates how **family upbringing influences citizenship development** while considering cultural challenges and mediating factors. It integrates socialization, civic engagement, and cultural adaptation theories, providing a **comprehensive model for understanding how families contribute to responsible citizenship in a changing world**.

4. Key Factors Influencing Identity and Citizenship

Identity and citizenship are shaped by multiple **social, cultural, political, and psychological factors** that determine how individuals relate to their communities and nations.

4.1. Cultural and Ethnic Identity

Cultural and ethnic identity refers to an individual's sense of belonging to a particular **ethnic, racial, or cultural group** (Phinney, 1990). It includes **language, traditions, values, and shared history**.

Impact on Citizenship

- A **strong ethnic identity** enhances national loyalty if aligned with civic values (Berry, 1997).
- In multicultural societies, people balance **ethnic and civic identity** (Kymlicka, 1995).
- Cultural conflicts may lead to **dual citizenship identities** (Portes & Rumbaut, 2001).

4.2. National Identity and Patriotism

National identity refers to a person's psychological attachment to their country, shaped by **historical narratives, national symbols, and civic engagement** (Smith, 1991).

Impact on Citizenship

- Strong **national identity** promotes civic engagement and law adherence (Dalton, 2008).
- Extreme nationalism can lead to **exclusionary citizenship** (Brubaker, 1992).
- Countries with **civic nationalism** encourage multicultural inclusion (Gellner, 1983).

4.3. Family Upbringing and Socialization

Family upbringing involves **parental guidance, moral education, and value transmission**, which shape children's understanding of identity and citizenship (Lareau, 2011).

Impact on Citizenship

- **Authoritative parenting** fosters active citizenship (Baumrind, 1991).

- Families pass down **cultural and national values** (Portes & Rumbaut, 2001).
- Low parental engagement can lead to **weak civic identity** (Flanagan & Levine, 2010).

4.4. Political Systems and Civic Institutions

Citizenship is influenced by **government policies, legal frameworks, and civic education** (Marshall, 1950).

Impact on Citizenship

- **Democratic societies** promote civic engagement (Dahl, 1998).
- **Authoritarian regimes** suppress civic participation (Fukuyama, 2018).
- **Civic education** increases awareness of rights and duties (Torney-Purta et al., 2001).

4.5. Education and Media Influence

Education and media shape identity by **providing knowledge, exposure to diverse perspectives, and civic awareness** (Banks, 2008).

Impact on Citizenship

- **Civic education** strengthens democratic participation (Hoskins & Mascherini, 2009).
- **Social media** increases political engagement but can spread misinformation (Livingstone & Helsper, 2007).
- **Education inequality** affects civic participation (Putnam, 2000).

4.6. Migration and Globalization

Migration and globalization influence identity by **exposing individuals to new cultural, political, and economic environments** (Berry, 1997).

Impact on Citizenship

- **Immigrants balance dual identities** (Phinney et al., 2001).
- **Globalization challenges national identity** (Castells, 2010).
- **Diaspora communities** retain strong civic engagement (Sam & Berry, 2010).

The **most important factors linking people to identity and citizenship** include **cultural background, national attachment, family upbringing, political systems, education, and globalization**. These elements interact dynamically, shaping how individuals see themselves as members of a society.

5. Recommendations for Strengthening the Relationship between Family Upbringing, Citizenship, and Cultural Identity

Based on the discussion of **family upbringing, citizenship, and cultural challenges**, the following recommendations aim to enhance individuals' civic engagement while preserving cultural identity. These recommendations target **families, educational institutions, policymakers, and communities** to promote responsible citizenship in a rapidly changing global environment.

5.1. Strengthening Family-Based Citizenship Education

- Parents should integrate **civic values** (e.g., responsibility, respect, participation) into everyday interactions.
- Families should encourage **discussions on social issues**, fostering critical thinking and civic awareness in children (Lareau, 2011).
- **Authoritative parenting** (balanced discipline and warmth) should be promoted to develop responsible and engaged citizens (Baumrind, 1991).

Implementation Strategies:

- **Workshops for parents** on civic education and cultural preservation.
- Encouraging **volunteer activities** as a family to instill social responsibility.

5.2. Integrating Citizenship and Cultural Education in Schools

- Schools should implement **mandatory civic education programs** that teach democratic values, legal rights, and national identity (Torney-Purta et al., 2001).
- **Multicultural education** should be emphasized to help students balance national and global identities (Banks, 2008).
- **Experiential learning** (e.g., community service, youth councils) should be part of the curriculum to foster active citizenship (Hoskins & Mascherini, 2009).

Implementation Strategies:

- Introducing **interactive civic education courses** in school curricula.
- Establishing **student-led civic engagement projects** to develop leadership skills.
- Encouraging **bilingual education** to maintain cultural identity in multicultural societies.

5.3. Promoting Digital and Media Literacy for Citizenship

- Digital and media literacy should be **integrated into education** to combat misinformation and foster informed citizenship (Livingstone & Helsper, 2007).

- Parents should guide children in **responsible social media use**, ensuring they engage with credible sources (Putnam, 2000).
- Governments should regulate **digital platforms** to promote civic discourse and prevent cultural erosion (Castells, 2010).

Implementation Strategies:

- Schools should introduce **critical media literacy courses** to help students assess news credibility.
- **Public awareness campaigns** should educate citizens on the role of media in shaping civic attitudes.
- Encouraging **youth participation in digital activism** while promoting ethical engagement.

5.4. Encouraging Government Policies that Support Citizenship Engagement

- Governments should introduce **national service programs** that promote civic participation and social responsibility (Dalton, 2008).
- Policies should support **intercultural dialogue** to foster social cohesion in diverse societies (Kymlicka, 1995).
- Governments should create **youth engagement programs** that encourage participation in governance and decision-making.

Implementation Strategies:

- Establishing **youth representation councils** in local governments.
- Providing **financial incentives** for community service initiatives.
- Enhancing **legal frameworks** to support multicultural rights and integration.

5.5. Strengthening Cultural Identity in a Globalized World

- National institutions should promote **cultural preservation initiatives** to maintain traditional identities alongside globalization (Berry, 1997).
- Families should engage in **cultural storytelling, festivals, and language preservation** to strengthen heritage among youth (Phinney et al., 2001).
- Schools should encourage **cultural exchange programs** to enhance intercultural understanding.

Implementation Strategies:

- Governments should support **cultural heritage projects** through education and media.
- Introducing **dual-identity models** in civic education to balance national pride and global awareness.

- Establishing **community mentorship programs** where elders transmit cultural knowledge to youth.

The Role of the Family in Achieving Citizenship

- Developing Ethical Values

The family plays a fundamental role in instilling ethical values such as honesty, integrity, responsibility, and justice. Children learn these values through the behavioral models presented by their parents, reinforcing their sense of belonging and responsibility towards society. Research confirms that upbringing based on strong moral values contributes to forming active citizens committed to positive behaviors towards their homeland (Abdulrahman, 2021).

- Raising Awareness of Rights and Responsibilities

Through family discussions on social issues, children develop a clear understanding of their rights and responsibilities as citizens. This can be achieved by teaching them the importance of respecting laws, teamwork, and volunteering for community service, enhancing their sense of responsibility and commitment to the public good.

- Encouraging Active Participation in Society

Encouraging children to participate in community activities and volunteer work is one of the most effective ways to promote citizenship. Families that engage their children in national events, such as national day celebrations or environmental and social initiatives, help reinforce a sense of belonging and deepen their awareness of the importance of contributing to societal development.

Facing Cultural Challenges and Changes

-Cultural Invasion and Media Influence

With technological advancements and media openness, children are exposed to diverse content that may impact their cultural identity. Families can address this by fostering critical awareness in children, encouraging them to analyze media content instead of consuming it passively. Parents are advised to monitor the content their children watch and guide them toward sources that enrich their knowledge without compromising their identity.

- Changes in Family Roles

With economic and social changes, it has become common for both parents to work, which may affect the family's role in upbringing. These challenges can be addressed by balancing work and family responsibilities and ensuring sufficient time is spent with children to reinforce positive values and principles.

- Weakening of National Identity

Some societies face challenges in preserving their national identity due to external cultural influences. Families should foster national pride by encouraging children to learn about their national history, preserve their mother tongue, and participate in cultural and national events.

Proposed Strategies to Enhance the Family's Role in Achieving Citizenship

- Enhancing Family Dialogue

Family dialogue is an effective means of instilling values and principles in children. Regular discussions on social and cultural topics help children form clear and balanced perspectives on societal issues.

-Integrating Civic Education into Family Upbringing

This can be achieved by teaching children democratic values, human rights, and peaceful coexistence, helping them become more aware citizens who understand their societal responsibilities.

-Utilizing Technology Positively

Instead of prohibiting children from using technology, they can be guided to use it in beneficial ways, such as following educational programs, reading e-books, and engaging in meaningful cultural discussions.

IV. CONCLUSION

In conclusion, family upbringing is a cornerstone in shaping responsible citizens who can actively contribute to their society while navigating cultural challenges with resilience and awareness. A strong family foundation instills core values such as respect, responsibility, tolerance, and national loyalty, which are essential for fostering a sense of belonging and civic duty. Through proper guidance, parents and guardians create an environment where children learn the significance of social participation, ethical decision-making, and adherence to societal norms. These values not only help individuals integrate into their communities but also encourage them to work toward the collective well-being of their nation.

Furthermore, as societies become increasingly interconnected due to globalization, the role of family upbringing in preserving cultural identity and promoting intercultural understanding becomes more critical. Families act as mediators between tradition and modernity, helping children embrace diversity without losing their cultural heritage. By fostering open discussions, critical thinking, and adaptability, parents equip their children with the tools to engage with different cultures while maintaining a strong moral and national identity. This balance ensures that individuals can confidently face

external influences, resist cultural erosion, and contribute to a more inclusive and harmonious society.

Ultimately, the family remains the foundation of social stability and national progress. A well-nurtured generation will not only uphold the values of good citizenship but will also play a vital role in bridging cultural gaps, promoting unity, and safeguarding their heritage in an ever-changing world. Therefore, investing in strong family values and responsible parenting is not just beneficial for individual development but is essential for the advancement of society as a whole.

V. Bibliography List :

1. Abdulrahman, S. (2021). *Family Upbringing and Its Impact on Personality Development.* Dar Al-Fikr.
2. Al-Hawari, M. (2020). *Citizenship and Social Upbringing.* Arab Journal of Educational Sciences, 12(3), 45-67.
3. Al-Mousawi, A. (2022). *Cultural Changes and Their Impact on the Arab Family.* Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
4. Arnett, J. J. (1995). Broad and narrow socialization: The family in the context of a cultural theory. *Journal of Marriage and Family, 57*(3), 617-628.
5. Banks, J. A. (2008). Diversity, group identity, and citizenship education in a global age. *Educational Researcher, 37*(3), 129-139.
6. Baumrind, D. (1991). The influence of parenting style on adolescent competence and substance use. *Journal of Early Adolescence, 11*(1), 56-95.
7. Berry, J. W. (1997). Immigration, acculturation, and adaptation. *Applied Psychology, 46*(1), 5-34.
8. Bronfenbrenner, U. (1979). *The ecology of human development.* Harvard University Press.
9. Brubaker, R. (1992). *Citizenship and nationhood in France and Germany.* Harvard University Press.
10. Castells, M. (2010). *The power of identity.* Wiley-Blackwell.
11. Dahl, A., & Killen, M. (2018). A developmental perspective on the social foundations of morality. *Frontiers in Psychology, 9*, 1736.
12. Dahl, R. A. (1998). *On democracy.* Yale University Press.
13. Dalton, R. J. (2008). Citizenship norms and the expansion of political participation. *Political Studies, 56*(1), 76-98.
14. Flanagan, C., & Levine, P. (2010). Civic engagement and the transition to adulthood. *Future of Children, 20*(1), 159-179.

15. Fukuyama, F. (2018). *Identity: The demand for dignity and the politics of resentment.* Farrar, Straus and Giroux.
16. Geboers, E., Geijsel, F., Admiraal, W., & ten Dam, G. (2013). Review of the effects of citizenship education. *Educational Research Review, 9*, 158-173.
17. Gellner, E. (1983). *Nations and nationalism.* Cornell University Press.
18. Giddens, A. (2009). *Sociology* (6th ed.). Polity Press.
19. Hart, D., & Atkins, R. (2011). Civic engagement and child development. *Child Development, 82*(5), 1815-1833.
20. Hoskins, B., & Mascherini, M. (2009). Measuring active citizenship through the development of an empirical composite indicator. *Social Indicators Research, 90*(3), 459-488.
21. Johnson, G. M., & Puplampu, K. P. (2008). Internet use and developmental ecology. *Canadian Journal of Learning and Technology, 34*(1), 89-112.
22. Kymlicka, W. (1995). *Multicultural citizenship: A liberal theory of minority rights.* Oxford University Press.
23. Lansford, J. E., et al. (2021). Parenting and child development in global perspective. *Annual Review of Psychology, 72*, 593-617.
24. Lareau, A. (2011). *Unequal childhoods: Class, race, and family life* (2nd ed.). University of California Press.
25. Livingstone, S., & Helsper, E. J. (2007). Gradations in digital inclusion. *New Media & Society, 9*(4), 671-696.
26. Marshall, T. H. (1950). *Citizenship and social class.* Cambridge University Press.
27. Mead, G. H. (1934). *Mind, self, and society.* University of Chicago Press.
28. Parsons, T. (1951). *The social system.* Free Press.
29. Phinney, J. S. (1990). Ethnic identity in adolescents and adults. *Psychological Bulletin, 108*(3), 499-514.
30. Phinney, J. S., Horenczyk, G., Liebkind, K., & Vedder, P. (2001). Ethnic identity, immigration, and well-being. *Journal of Social Issues, 57*(3), 493-510.
31. Portes, A., & Rumbaut, R. G. (2001). *Legacies: The story of the immigrant second generation.* University of California Press.
32. Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community.* Simon & Schuster.

33. Sam, D. L., & Berry, J. W. (2010). Acculturation: When individuals and groups of different cultural backgrounds meet. *Perspectives on Psychological Science, 5*(4), 472-481.
34. Smith, A. D. (1991). *National identity.* University of Nevada Press.
35. Torney-Purta, J., Lehmann, R., Oswald, H., & Schulz, W. (2001). *Citizenship and education in twenty-eight countries.* International Association for the Evaluation of Educational Achievement.
36. Tudge, J. R. H., Mokrova, I., Hatfield, B. E., & Karnik, R. B. (2009). Uses and misuses of Bronfenbrenner's bioecological theory. *Journal of Family Theory & Review, 1*(4), 198-210.
37. Westheimer, J., & Kahne, J. (2004). What kind of citizen? *American Educational Research Journal, 41*(2), 237-269.

Characteristics of Adolescent Victims of School Bullying

Dr. Ben Yahia Sabrine [1]
University of Blida 2 - Algeria
Sab_ben@live.fr
Dr. Badji Naima [2]
University of Blida 2 - Algeria
n.badji@univ-blida2.dz

Abstract:

Education is considered the largest investment for an individual at all stages of life, and among these stages is adolescence, which is itself seen as a bridge between childhood and adulthood. Given the changes it encompasses, it is a source of anxiety for adolescents. Erikson views this stage as a stormy and anxious one, where various psychological conflicts explode in search of outlets, freeing the psyche from the suffering and pain resulting from fixations during the early stages of development according to the analytical perspective, or stemming from maladaptive patterns acquired from a fragile family upbringing. These changes are clearly manifested in the adolescent's personality and mood, and what complicates the matter further is their exposure to a violent situation that shakes their psychological structure, such as being bullied at school.Bullying is a form of intentional and deliberate aggression that is carried out by an individual either verbally, materially, or physically, and aims to cause harm to another who cannot defend themselves, thus becoming the victim. Through this research paper, we aim to understand the personality traits of a teenager who is a victim of school bullying.Through the multifaceted personality test.

Keywords: personality, teenager, victim, bullying, school bullying

سمات شخصية االمراهقة ضحية التنمر المدرسي

د. بن يحي صبرينة [1]
جامعة البليدة 2 – الجزائر
Sab_ben@live.fr
د. باجي نعيمة [2]
جامعة البليدة 2 – الجزائر
n.badji@univ-blida2.dz

ملخص:

تعتبر الدراسة أكبر استثمار للفرد في كل مراحل حياته، ومن هذه المراحل نجد المراهقة التي تعتبر بدورها جسرا بين الطفولة و الرشد، ونظرا لما تحمله في طياتها من تغييرات تعتبر مصدر قلق بحد ذاتها للمراهق، إذ يعتبرها اريكسون مرحلة عاصفة وقلق، تنفجر فيها مختلف الصراعات النفسية لتبحث عن مخارج وتحرر الجهاز النفسي من المعانات و الألم الناتج عن تثبيتات في مراحل النمو الأولى حسب المنظور التحليلي، أو الناتج عن مخططات غير متكيفة تم اكتسابها من تنشئة أسرية هشة، تظهر جليا هذه التغييرات على مستوى شخصية المراهق ومزاجه، ومما يزيد الأمر تعقيدا تعرضه لموقف عنيف يهز جهازه النفسي مثل التنمر عليه في المدرسة. و التنمر شكل من أشكال العدوان المتعمد و المقصود يصدر عن الفرد إما لفضيا أو ماديا أو بدنيا، ويهدف إلى الحاق الأذى بالآخر اللذي لا يستطيع الدفاع عن تفسه فيقع موقع الضحية.

نريد من خلال هذه الورقة البحثية معرفة سمات شخصية مراهق ضحية التنمر المدرسي. من خلال اختبار الشخصية متعدد الأوجه.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، المراهق،الضحية التنمر، التنمر المدرسي.

مقدمة:

عرفت ظاهرة التنمر تنوعا في أنماطها وسرعة انتشارها خاصة وسط فئة المتمدرسين ، أي ما يعرف بالتنمر المدرسي، وهو نوع من العنف المدرسي ويتجلى في سلوكيات عدوانية يمارسها التلاميذ ضد البعض الآخر ممن هم دونهم في السن أو القوة، وتظهر بأشكال متفاوتة ومختلفة كالاعتداءات الجسدية او اللفظية أو النفسية أو غيرها من الاعتداءات الأخرى، وهو الأمر الذي يعكر صفو المحيط المدرسي و يؤثر سلبا على البيئة المدرسية و على التلميذ خصوصا من حيث استثماره للدراسة وثقته بنفسه. هذا المعاش السلبي يزداد حدة حينما يقع المراهق ضحية للتنمر، إذ يتعلق الأمر بمرحلة نمو حساسة في مسار الفرد وهي المراهقة خاصة عندما لا يجد سندا من طرف الراشدين، من طاقم دراسي، أولياء، ومختصون نفسانيون مما يساعده على ترميم الجرح النرجسي الناتج عن تنمر الآخر و بالتالي تجاوز الموقف الذي قد يؤدي إلى أزمة نفسية في حال اصطدامه ببناء نفسي هش.

تعد مشكلة التنمر المدرسي من المشكلات السلوكية والمدرسية المعاصرة حيث يعتمد على إيذاء التلاميذ نفسيا وجسديا ويعرقل عملية التعليم ويعيق المؤسسة التربوية على أداء دورها على وجهها المطلوب بالتالي تدني وضعها التعليمي والتربوي ،كما يؤثر على مردود التلاميذ وتحصيلهم الد ارسي حيث ينخفض تقدير التلميذ لذاته وذلك ما أشارت له دراسة ستيفانو وتاتسز (Stephanou and Tatsis.2008) إذ توصلا إلى أن الطلبة اللذين يتعرضون للتنمر من طرف رفقائهم أو زملائهم يتميزون بانخفاض في مستوى تحصيلهم الدراسي مما يؤدي إلى انخفاض مستوى الذات الأكاديمية لديهم ، إذ أنه يحدث داخل المدرسة في فناءاتها وساحاتها وغرفها الصفية خاصة في المدارس الابتدائية، حيث أشارت دراسة جرادات (2008) إلى وجود سلوك التنمر بين طلبة المدارس اللذين تتراوح أعمارهم بين 8 و 12 سنة، وقد تنوعت سلوكات التنمر بين الأذى الجسمي، والهجوم اللفظي، واتلاف الممتلكات والاستحواذ عليها، وأن الذكور أكثر استخداما للتنمر الجسمي من الإناث، حيث يلجأ المتنمر إلى الضرب والشجار، في حين يظهر التنمر عند الإناث باستخدام الألفاظ البذيئة ونشر الإشاعات واستثناء الضحايا من المجموعة. ويختار المتنمرون ضحاياهم ممن يقاربونهم في العمر أو أصغر منهم. وبالضرورة، فإن لهذا السلوك أضرار مختلفةتنعكس سلبا على شخصيته كالأذى النفسي للأفراد المتنمرين أو المتنمر عليهم، إذ يعانون من مشكلات اجتماعية مع زملائهم ومع معلميهم وحتى مع المحيط الذين ينتمون إليه وهو

ما يشكل مفهوم ذات سلبي لديهم حسب (olweuse,1993,96) . مما يؤدي إلى خلق الفوضي والارتباك والتوتر المدرسي. مما يستدعي الحاجة إلى إشراف وتوجيه من قبل المعلم كونه الأنسب لهذه المهمة بحكم خبرته وبيداغوجيته في التعامل مع حالات العنف المدرسي.

بناءا على هذه المعطيات نريد الاجابة على تساؤل مفاده :

ماهي سمات شخصية المراهقة ضحية التنمر المدرسي؟

للإجابة على هذا التساؤل افترضنا ما يلي:

يتميز المراهقة ضحية التنمر بالقلق و العزلة و الوسواس.

وللتحق من الفرضيات انتهجنا المنهج العيادي الذي يركز على دراسة حالة وذلك على حالة واحدة تعتبر ضحية تنمر من طرف زميلاتها في المدرسة كما قمنا بتطبيق مقسيا الشخصية متعدد الأوجه.

أولا: تناول تمهيدي لموضوع البحث:

1 أهمية الموضوع:

الأهمية النظرية:

– الدور الحيوي الذي يلعبه المحيط :أولياء أمور، فريق دراسي، نفسانيون في تشخيص المشكلات التي تحيط بالتلاميذ و تتربص بمستقبلهم الد ارسي وذلك باستكشاف مختلف الأدوار و الأساليب التي ينبغي أن يواجهوا بها مثل هكذا مشكلات .

الأهمية التطبيقية:

– لإجابة على تساؤل الدراسة.

– وضع استرتيجية موحدة لمواجهة مشكلات الشخصية الناتجة التنمر المدرسي من طرف المعلمين باعتبارهم الفئة الأكثر ملاحظة للتلاميذ المتنمرين. وضحايا التنمر.

2 تحديد مفاهيم الدارسة :

التنمر : هو شكل من أشكال العدوان المتعمد و المقصود يصدر عن الفرد إما لفضيا أو ماديا أو بدنيا ، يهدف إلى الحا الأذى بالآخر الذي لايستطيع الدفاع عن تفسه.

التنمر المدرسي : هو عندما يحاول شخص ما بشكل متكرر السيطرة على الآخر من خلال الإغاظة أو السلوكات العنيفة أو الرفض ويحدث في سياقات مختلفة،

. فيتصرف الشخص الذي يتنمر عادة بقصد إيذاء الشخص الآخر. يمكن لأي شخص أن يتأثر بها ، بغض النظر عن الجنس أو الخصائص الشخصية نحن لا نتحدث هنا عن جدال بسيط بين الأصدقاء في ساحة المدرسة مثلا...ولكن يتعدى ذلك الي علاقة قوة تؤذي أو تسحق الآخر و تتكرر وتستمر لفترة. في كثير من الأحيان ، يحدث هذا التنمر حتى في وجود شهود علي هذه السلوكيات (كلمة أو فعل أو إيماءة)كالتخويف و العنف سواء اللفظي أو الجسدي متعمدة أو غير متعمدة. ، علاوة على ذلك ،كلما زاد عدد الشهود ، زادت القوة التي يشعر بها المتنمر و بالتالي الرغبة في تكرارها و يتم التعبير عنها بشكل مباشر أو غير مباشر ، بما في ذلك في الفضاء الإلكتروني ، في سياق يتسم بعلاقات غير متكافئة في القوة بين الأشخاص المعنيين ، و التي تؤدي الي خلق مشاعر الضيق والأذى أو القهر أو النبذ.و على الرغم من أن هذا التعريف يتمتع بإجماع عام في المجتمع اليوم ، الا انه يجب إلقاء نظرة أوسع على مظاهر و العناصر الرئيسية التي تشكل التنمر. (فلا يجوز اعتبار نفس السلوكات تنمرًا إذا لم يشعر الشخص المستهدف بالتأثر وتنجر عنها العواقب لديه.،كما أنه يجب تقييم كل حالة على حدى قبل استنتاج وجود تنمر) .

3 المظاهر الأساسية للتنمر:

التكرار

نلاحظ تكرار و تعمد السلوكيات الموضحة أدناه وتمديدها على مدار فترة زمنية معينة لاستنتاج أنها تنمر و يظهر علي شكل:.**جسديًا أو ماديًا:** ضرب شخص ما ، أو طرحه أرضًا ، أو دفعه ، أو نتف شعره ، أو كسر و هدم وتخريب أو الاستيلاء على ممتلكات الآخرين و أغراضهم الشخصية (بما في ذلك ، على سبيل المثال ، الصور في الفضاء الإلكتروني) ،أو إجراء لمسات غير مرغوب فيها. هذا هو أسهل شكل من أشكال التنمر يمكن ملاحظته ؛ و قد يتعدى ذلك الي بعض الأعمال الفردية الخطيرة مثل الاعتداء الذي يتسبب

في الإصابة أو الاعتداء بسلاح أو التهديد بالقتل.**لفظيًا**: كإهانة شخص ما أو تهديده أو إبداء ملاحظات غير سارة أو إذلاله و السخرية منه ؛ **اجتماعيا**: نشر شائعات كاذبة عن شخص ما ، والاعتداء على سمعته ، واستبعاده من مجموعة ما. ففي سياق المدرسة ، يمكن أن يتجلى ذلك غالبًا في أن المراهق المتنمر يطلب من الآخرين عدم اللعب مع الضحية ، أو سرقة ماله و مقتنياته .....علي سبيل المثال.

التنمر الإلكتروني : أعمال التنمر المرتكبة في الفضاء الإلكتروني (وسائل التواصل الاجتماعي ، والرسائل النصية ، ورسائل البريد الإلكتروني ، والمدونات ، والمواقع الإلكترونية ، وما إلى ذلك). فللتنمر والتسلط عبر الإنترنت عواقب وخيمة على الشخص المستهدف ، فقد يؤدي إلى الشعور بالضيق والإذلال وانعدام الأمن وانتهاك الخصوصية .

4 الدارسات السابقة :

الدارسات العربية :

– دارسة دنيا زياد سليم المساعيد 2017:قد هدفت الدراسة إلى التعرف على سبل مواجهة تنمر الطلبة من وجهة نظر مديري مدارس البادية الشمالية الشرقية وأثر متغير الجنس والغيرة والمؤهل العلمي في ذلك ، وشملت عينة البحث جميع مديري المدارس الحكومية الثانوية في البادية الشمالية الشرقية للعام الد ارسي 2016/ 2017 والبالغ عددها 141 وحدة ،واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي لملاءمته طبيعة الدراسة ، باستخدام العينة القصدية ، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن سبل مواجهة تنمر الطلبة من وجهة نظر مديري مدارس البادية الشمالية الشرقية جاء بدرجة كلية متوسطة أن التنمر بالاعتداء على الممتلكات في المرتبة الأولى ثم التنمر الجسدي في المرتبة الثانية وثالثا التنمر اللفظي وفي المرتبة الأخيرة التنمر الاجتماعي . ومن النتائج أيضا حول سبل مواجهة التنمر من وجهة نظر مديري المدارس الشمالية الشرقية في البادية تقضي بمنع الطلبة المتنمرين من إيذاء زملائهم عمدا وايجاد حلول تعليمية خالية من العنف والتنمر بين الطلبة ومنع الطلبة من افتعال الأسباب للقيام بالمشاجرات أي يقوم المدراء بدور توعوي واداري لمعالجة الأخطاء قبل حدوثها وكذا إعطاء محاضرات ودروس توعوية عن العنف اللفظي وتحريم الاعتداء بالألفاظ البذيئة وتبيان خطورته على المجتمع والإصغاء بانتباه إلى الطلبة عند حديثهم ومنع المتنمر من إجبار باقي الطلبة على اللعب معه لتأديبه .

– **دراسة محمود أحمد أبو سحلول وآخرون (2018)**: وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على مظاهر التنمر حسب وجهة نظر المرشدين التربويين وكذا التعرف على الأسباب التي تؤدي إلى التنمر لدى الطلبة ، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي في دراسته ، كما اعتمد على العينة العشوائية التي شملت العينة علي 10 مرشدين من مدارس ثانوية حكومية

– من أصل 42 ثانوية . وتوصلوا إلى أن أولى أسباب التنمر يكمن في التفكك الأسري مما يجعل التلميذ يفرغ مكبوتاته في التنمر والعدوان وأيضا في المستوى التعليمي والثقافي للوالدين وأسلوب التنشئة الاجتماعية الغير صحيحة .أما عن مواجهة التنمر لدى الطلبة ركزوا على أنه ينبغي على المدرسة والمعلمين تنفيذ مهامهم بالتعرف على حاجيات التلاميذ النفسية والاجتماعية والاهتمام بالأنشطة اللاصفية وكذا على المرشدين التربويين تنفيذ مهامهم بتكثيف المقابلات الإرشادية لهؤلاء الطلبة لمعرفة اسباب المشكلة والعمل على حلها ، وتدريب الطلاب على حل الصراعات عن طريق الحوار والتفاهم وتعزيز الجانب الديني للطالب . (محمود أحمد أبو سحلول وآخرون: 2017/2018).

– **دارسة غفران عبد الكريم هادي و آخرون (2018)**: هدفت الدراسة إلى معرفة الفروق في التنمر لدى الطلبة مرحلة المتوسط في القادسية ، في الموسم الجامعي 2017/2018 ، وتم استخدام المنهج الوصفي ، وتم الاعتماد على العينة العشوائية لتلاميذ تتراوح أعمارهم بين 13/15 سنة وقد كانت نتائج الدراسة بأن سلوك التنمر يمكن تعديله وتغييره عن طريق توفير البيئة الصحيحة والسليمة في البيت والمدرسة والمجتمع ، كما أن سلوك التنمر يزداد في عينة الذكور أكثر من الإناث ، وأن هناك عوامل مختلفة تشكل سلوك التنمر عند الطلبة كالمستوى الثقافي والاجتماعي للأسرة و ادارة المدرسة ونظرة المجتمع للمتنمرين وسلوكاتهم ، وبينت الدراسة أن معالجة التنمر لدى الطلبة يمكن أن يرتفع إذا لم يتم التدخل المبكر لمعالجته والحد منه ، أي أن سلوك التنمر لدى الطفل يمكن اكتسابه من البيئة الاجتماعية ويختلف هذا السلوك من طفل لآخر ، وكذلك للعوامل الثقافية و أن الوالدين والمدرسة دور هام إما بتقليل هذا السلوك عند الأطفال أو زيادته .

دراسات أجنبية:

دراسة سبيرز وآخرون2015 ، هدفت الدراسة إلى معرفة كيفية إعداد وتدريب المعلمين قبل الخدمة للتعامل مع المتنمرين في استراليا ، وقد تم استخدام المنهج المسحي الاستكشافي في هذه الدراسة ، وتم الاعتماد على العينة العشوائية للمعلمين الذين تتراوح أعمارهم بين 20/30 سنة ، كما تم الاعتماد على الاستبيان الالكتروني في الدراسة ، وقد شارك 26 فرد من المعلمين ، وخلصت نتائج الدراسةّ إلى أهمية تحكم المعلم في السلوكيات والمواقف للحد من التنمر ، وأيضا من نتائج الدراسة أن التنمر يأخذ أشكالا مختلفة ومتباينة بين الذكور والإناث ، و أن المعلم له القدرة على التصرف والتمييز بين السلوكيات التنمرية والسلوكيات العادية.

5 تعقيب عام على الدارسات السابقة :

***أوجه الاستفادة من الدارسات السابقة :** تم الاستفادة من الدراسات السابقة في عدة أمور أهمها

– تحديد الإطار النظري للدراسة.

– الاطلاع على نتائج الدراسات وكسب الخبرة منها مما ساهم في إعداد الدراسة الحالية واستخدام النتائج.

***أوجه التشابه مع الدارسات السابقة :**

– من حيث موضوع وهدف الدارسة : تتشابه الدراسة الحالية إلى حد ما مع دراسة أبو سحلول (2018) دور المرشد في مواجهة التنمر المدرسي والتي تهدف إلى الكشف عن مظاهر التنمر من وجهة نظر مرشد التوجيه في المدرسة ،و كذلك مع الدراسة الأجنبية لسبيرز (2015) تحت عنوان كيفية إعداد وتدريب المعلمين قبل الخدمة للتعامل مع المتنمرين .

من حيث المنهج : اتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة في استخدام المنهج الوصفي كدراسة المساعيد (2017)، دراسة أبو سحلول (2018) ، دراسة غفران عبد الكريم هادي (2018) .

– من حيث الأداة : اعتمدت الدراسة الحالية على أداة استمارة استبيان واتفقت في ذلك مع كل الدراسات السابقة.

كما تشابهت الدراسة الحالية مع دراسة كل من المساعيد (2017) ، أبو سحلول (2018) ود راسة سبيرز(2015)، من حيث اختيار العينة القصدية.

– من حيث النتائج : تشابهت نتائج الدراسة الحالية في نقاط مع نتائج المساعيد (2017) في أكثر أشكال التنمر انتشارا ، وكذا بنتائج ابو سحلول (2018) في الاهتمام بالأنشطة اللاصفية ، تكثيف المقابلات الإسنادية ، ونتائج غفران عبد الهادي (2018) بأن التنمر منتشر عند الذكور أكثر من الإناث ونتائج الد ارسة الأجنبية لسبيرز (2015) بأن التنمر يأخذ الشكل اللفظي كأكثرها شيوعا ، إضافة إلى اختلاف شكل التنمر بين الإناث والذكور ، وتدريب المعلمين لتحسين كفاءتهم للتعامل مع المتنمرين.

ثانيا :تناول نظـــــري لموضوع البحث:

1 مفاهيم مرتبطة بالتنمر و التنمر المدرسي :

يحصل في بعض الأحيان حدوث تداخل في بعض المفاهيم كمفهوم التنمر والعنف والعدوان وغيرهم من المفاهيم الاجتماعية والنفسية الأخرى وسنحاول فيما يلي التمييز بين التنمر والعدوان والعنف :

التنمر والعدوان : التنمر هو مصطلح جديد في الأدبيات التربوية ويكون بدرجة أخف حدة من العدوان ويعرف بالاستئساد في بعض الأحيان ، والعدوان هو سلوك غير مبرر يصدر من شخص تجاه شخص آخر أو نحو الذات لفظيا أو جسميا ، وقد يكون العدوان مباشر أو غير مباشر ويؤدي إلى إلحاق الأذى والضرر المتعمد بالآخرين جسميا ونفسيا ولممتلكات البيئة والطبيعة ، ولهذا فالعدوان أكثر عمومية من التنمر حيث أن التنمر هو سلوك متكرر ويحدث بانتظام لفترة ممتدة من الوقت وعادة ما يتضمن عدم التوازن في القوة .(أميمة جودت : 2005، ص157).

ويرى سلامة أن العدوان هو الشعور الداخلي بالغضب والإحباط والعداوة ويعبر عنه ظاهريا في صورة فعل يقصد به إيقاع الأذى والضرر بفرد ما أو شيء معين كما يوجه في بعض الأحيان إلى الذات ويظهر في شكل عد وان لفظي أو بدني ويتخذ صور التذمر واتلاف الأشياء (عبدي سميرة:2011،ص 20).

ويرى هشام الخولي إلى أن العدوان فطري غريزي يشمل نوعين أساسين من السلوكات هما العدوان الايجابي الذي يستخدم فيه للدفاع عن النفس ، والعدوان السلبي الذي يوجه لهدم الذات أو تدمير الآخرين ، أي أن السلوك العدواني قد يكون مقبولا في بعض الظروف ومذموم ومرفوض في ظروف أخرى ، ولا يمكن أن يكون التنمر مقبولا في أي شكل إذ انه سلوك مرفوض في كل أحواله كما أنه لا يوجه نحو الذات إنما يوجه نحو الآخرين. (نفس المرجع 2007، ص 87).

التنمر والعنف : يستعمل السلاح والتهديد والوعيد بكل أنواعه ، ويفضى إلى العنف الشديد أما التنمر فهو أخف من حيث الممارسة فهو يتضمن عنفا جسديا خفيفا وعنفا لفظيا كبيرا ، ويشمل على جانب استعراضي من القوة والسيطرة والرغبة في التحكم في الآخرين من الرفاق والزملاء وهذا السلوك موجود بين الطلاب في جميع مراحل التعليم ويمكن أن يقود إلى العنف بمعناه الشامل.(أميمة جودت: مرجع سابق، ص 157). ويشير بومان إلى أن سلوك التنمر قد يؤدي إلى العنف إلا انه يختلف تماما عن العنف إذ أن العنف يأخذ صوار شتى منها: حمل السلاح، التخريب، الإيذاء الجسمي الشديد، كالقتل، والسرقة بالإكراه، وغيرها مما لا يمكن أن تكون من سلوك التنمر إضافة إلى أن التنمر فيه نية مبنية على الإيذاء ، والتكرار والاستمرار وعدم التوازن في القوة بين المتنمر والضحية .(عبدي سميرة : مرجع سابق).

2 أسباب التنمر المدرسي :

توجد عدة أسباب تجعل من الفرد يصبح عدائيا ومتنمرا منها:-

أسباب شخصية : يمكن أن يكون سلوك التنمر دوافعه الشعور بالملل أو عدم إدراك المتنمر مخلفات السلوك ضد الأفراد من زملاء ومعلمين ...أو الاعتقاد بأن المتنمر عليه يستحق ذلك ،كما يمكن أن تكون دوافع أخرى كالقلق أو المشكلات الأسرية .

أسباب نفسية : تتمثل في العقد النفسية والاجتماعية والاكتئاب الذي يصل إليه الفرد، فعندما يشعر المراهق بالإحباط في المدرسة بسبب الإهمال وعدم الاهتمام بقد ارته ورغباته، يولد الشعور بالغضب والتوتر

تؤدي به إلى ممارسة العنف والتنمر على الآخرين أو على نفسه للتخلص من الضغوطات والتوتر، كما نجد من الأسباب أيضا طلب الأسرة من التلميذ تحقيق تحصيل يفوق قد ارته مما يسبب القلق للتلميذ يدفعه في النهاية إلى تفريغ هذا القلق في السلوك التنمري .

أسباب اجتماعية : تتمثل في الظروف المحيطة بالفرد من: أسرة، مدرسة، أقران، وسائل إعلام وغيرها ... وهناك بعض الأسر تتسم تعاملاتها مع أبنائها بالسلطة والقهر أو التدليل المفرط مما يتولد العنف لدى الأبناء وكذلك غياب الأب ووجود أم مكتئبة ومشاكل الطلاق وغيرها تكون بيئة خصبة لتوليد ظاهرة التنمر عند الأفراد، فإذا كانت الغالبية خارج المدرسة عنيفة فإن المدرسة تكون عنيفة لأن الأفراد الموجودين داخل المدرسة هم أبناء المجتمع المحيط .(الرقيب ابراهيم سلمان: 2010، ص 278).

أسباب مدرسية : تتجلى الأسباب المدرسية في السياسة التربوية وثقافة المدرسة والمحيط المادي وجماعة الرفاق ودور المعلم وعلاقته بالتلميذ ، وغياب اللجان المتخصصة ، فالعنف الذي يمارسه المعلم على التلميذ يبث الكراهية بينهم في القسم خصوصا وفي المدرسة عموما ، وقد تكون الاستفزازات لبعض المعلمين وضعف التحصيل الد ارسي للتلميذ والتأثير السلبي لجماعة الرفاق والاستهزاء والاستهتار وضعف العلاقة بين الأسرة والمدرسة والتمييز بين التلاميذ كلها أسباب تؤدي إلى إظهار سلوك التنمر لدى التلاميذ ، إضافة إلى القمع والمناخ التربوي الذي يتمثل بعدم وضوح الأنظمة المدرسية وتعليماتها واكتظاظ الصفوف وأساليب التدريس غير الفعالة تؤدي بالتلاميذ إلى الإحباط مما يدفعهم للقيام بسلوكيات عدوانية ، كما نجد أن جماعة الرفاق أيضا تلعب دوار في تعزيز سلوك التنمر من أجل كسب الشعبية ويعتمد التلميذ على تقديره لذاته في إظهار قدراته . وقد أرجع مصطفى عبد الرحمان أيضا أسباب أخرى للتنمر حسب وجهة نظر المتنمرين أنفسهم إلى التظاهر بأن المتنمر شخص مهم وشعوره بالوحدة وعدم وجود أصدقاء له وضعف علاماته في الصف الد ارسي ، عدم انسجامه مع الطلبة الآخرين لأنه طالب متكبر وعدم وجود صلة قرابة بينه وبين المدير أو المعلم ورغبته في إظهار قوته أمام الآخرين (مصطفى عبد الرحمان : 2007،ص 43،47).

الألعاب الالكترونية العنيفة : يقضي الكثير من الأبناء ساعات طويلة في ممارسة ألعاب الكترونية عنيفة وفاسدة على أجهزة الحاسوب أو الهاتف المحمول وهذه الألعاب تقوم فكرتها الأساسية على مفاهيم القوة

خارقة وسحق الخصوم واستخدام كافة الأساليب لتحصيل أعلى النقاط والانتصار دون تحقيق أي هدف تربوي هادف وفي غياب المراقبة من الأهل أو القلق على المستقبل النفسي لهؤلاء الأبناء ، فتقوى عندهم النزعة العدائية لغيرهم فيمارسون بها حياتهم في مدارسهم أو بين معارفهم والمحيطين بهم، مما يشكل خطرا كبيرا على المجتمع .

أفلام العنف : بتزايد انتشار أفلام العنف ازدادت معه مشاهدة الأطفال والمراهقون والبالغون بصورة مخيفة هذه الأفلام المخصصة للعنف الشديد مثل أفلام مصاص الدماء وأفلام القتل الهمجي دون أن يتلقوا رادع أو عقاب فيستهين الطفل أو المراهق أو الشاب بمنظر يعتبر أن من يقوم بذلك هو البطل والشجاع الذي ينبغي تقليده فيلبسون ملابس تشبه ملابسهم ويرتدون الأقنعة على وجوههم تقيدا لهؤلاء الأبطال ويضعون صورهم في حساباتهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي ، ويحتفظون بصور عديدة لهم في غرفهم في ظل تغافل من الأهل عن متابعة سلوكات أبنائهم واعتبار مقياس أدائهم لوظائفهم اتجاه أبنائهم هو تلبية حاجياتهم المادية فقط ، فهذا التقليد يزيد من حدة العنف في المدارس ، ويصبح استخدامهم للعنف كوسيلة وحيدة لنيل الحقوق والسيطرة .

القنوات الفضائية الخاصة بالمصارعة : لوحظ في الفترة الأخيرة تزايد كبير في القنوات الخاصة بالمصارعة الحرة العنيفة جدا التي تستخدم فيها الوسائل غير العادية في الصراع و التي غالبا ما تنتهي بسيلان دماء احد المتصارعين أو كليهما في منظر شديد العدوانية كوسيلة من وسائل الترفيه وتقديمهم لطقوس دموية متوحشة لتسبب سعادة للمشاهدين لكنها سلوكيات منحرفة وهدامة تؤدي إلى ظهور العديد من المشكلات الأخرى .

3 أشكال التنمر المدرسي :

تعرف ظاهرة التنمر المدرسي انتشارا واسعا، وتأخذ أشكالا وأنواعا مختلفة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

التنمر المادي : وهو الشكل الأكثر وضوحا للتنمر، ويتجلى في :

– التنمر الجسدي : من خلال التعرض للأخر بالركل والضرب، العض، الخدش، شد الشعر، اللكم، أو أي شكل آخر من أشكال الاعتداء الجسدي. ولا يمكن تحديد زمن محدد للتنمر المدرسي أو مكانه فيمكن أن يكون داخل الصف أو في الساحة ، و يتم عن طريق الأيدي و الأرجل أو عبر الأدوات الحادة ، العصي، الأسلحة، أو عن طريق الحرق.(Wolke;D.2002p.32)

– **التنمر بأخذ الممتلكات** : وتتمثل في أخذ أشياء الآخرين عنوة والتصرف فيها أو عدم إرجاعها أو إتلافها، ويمكن القول هنا أن هذا النوع من التنمر يشترك ويرتبط مع شكل آخر من أشكال التنمر ويتمثل في التنمر الغير مادي والاجتماعي .

التنمر الغير مادي : وهو الذي يأخذ أشكال : التنمر اللفظي، التنمر الغير لفظي، والاجتماعي .

– التنمر اللفظي : ويشمل التعرض للممتلكات المادية والترهيب العام أو التهديد بالعنف ، وتوجيه الشتائم ، والعنصرية ، إطلاق تصريحات للإغاظة ، واستعمال إشارات مسيئة ، واصدار تصريحات قاسية .(مرجع سابق).

– **التنمر العاطفي والنفسي والاجتماعي** : ويظهر من خلال المضايقة والتهديد والتخويف والإذلال والرفض من الجماعة ونشر الشائعات عنهم ، ورفض صداقتهم ، أو السخرية من شكل الضحية وتحقيره.(السيد فارق، 2001، 111)

التنمر الجنسي : وذلك باستخدام أسماء جنسية وينادى بها الضحية ، أو كلمات قذرة أو تحرش والتهديد بالممارسة . ويعد هذا الشكل من التنمر اليوم أكثر شيوعا وتطورا من ذي قبل ويأخذ أشكالا أخرى عديدة ، من خلال الوسائل الإعلامية كإرسال رسائل عبر البريد الالكتروني أو الهاتف أو نشر الشائعات عبر الانترنت، فهو بهذا يعتمد على البيئة التي يحدث فيها هذا السلوك، من بينهم المدرسة باعتبارها

جامعة لفروق ثقافية مختلفة تجعلها أكثر الأماكن عرضة لهذا النوع من الظواهر.(Wolke;D.2002p.66)

4 خصائص المشاركين في التنمر المدرسي :

خصائص التلميذ المراهق المتنمر:

يتسم التلميذ المتنمر بخصائص ومميزات تجعله مختلفا عن الأفراد الآخرين من حيث التصرفات والسلوكيات والانفعالات والأفعال التي يقوم بها ، حيث يتميز بالعجز عن الفهم والتحصيل والاستيعاب للدروس ، والتشتت بسبب دوافع غير بناءة ويكون غير قادر على الانتباه في المواقف ، ويعتبر المدرسة والقسم مكانا منفرا ويعاني من فقدان الأصدقاء مما يقلل من تكيفه داخل المدرسة . ويظهر التلميذ المتنمر بمظهر المشاكس وينمي كراهية المعلمين وزملائه اتجاهه ، ويعتبر أن الإدارة والمعلمين خارجين عن القانون المدرسي ، فيصبح كثير الغياب عن المدرسة بصفة متكررة ويشهد ارتفاع في نسبة الخوف لديه. كما يلاقي التلميذ المتنمر الإهمال من قبل المدرسين، وتدني القدرة الدراسية للمواد لديه ، ويعاني من عدم الشعور بالأمن داخل القسم وزيادة عوامل التهديد والاحتقار ، ويواجه مشاكل وفشل في أداء الواجبات المدرسية وتدني علاماته والملل والضجر من الصف والمدرسة ككل (Smithe,P,2000,P.298).

خصائص المراهقين ضحايا التنمر المدرسي :

يتميز ضحايا التنمر المدرسي بأنهم لا يستطيعون حماية أنفسهم ونادرا ما يدافعون عنها ويعانون من صعوبة في ضبط انفعالاتهم أو السيطرة عليها ، كما أنهم يظهرون مستوى عال من الشعور بالخوف والقلق والاكتئاب والتفكير في الانتحار والوحدة وتدني في مستوى تقدير الذات ،كما يتميز ضحايا التنمر المدرسي من عدم الاستقرار الانفعالي ويتصفون بالحساسية ويفتقدون إلى مهارات التواصل الفعال ومهاارت حل المشكلات .إضافة إلى ذلك نجد نقص المها ارت الاجتماعية والعزلة عن الناس ودائما ما يشعرون

بالقصور والعجز الشخصي ويصعب عليهم الارتباط بالأقران . كما يتميز الغالبية العظمى من ضحايا التنمر المدرسي بالسلبية ويظهرون مستويات عالية من الخوف والقلق والحذر ولا يفعلون شيئا يستفز الآخرين ولا يدافعون عن أنفسهم ويميلون إلى الانسحاب والبكاء والاستسلام.(يسرى عبد المحسن، 1990,ص88)

5 النظريات المفسرة للتنمر المدرسي :

– النظرية التحليلية : ترى النظرية التحليلية أن هدف المتنمرين من الاستقواء على الأفراد هو تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين ومعاقبتهم والتصدي لهم واعاقتهم كي لا ينجحوا، ويتم ذلك بالاعتداء عليهم، التخريب، الانتحار، الإتكالية وغيرها من الأساليب . فالتنمر في هذه النظرية هو ردة فعل ناتجة عن الإحباط والدوافع الحيوية التي غالبا ما تسعى للإشباع وتحقيق الرضا والسرور الابتعاد عن المواقف المؤلمة . وأكدت هذه النظرية أن العامل العدواني في الطبيعة البشرية له أهمية كبيرة إذ يعتبر بأنه كفاح من أجل الكمال والتفوق ، والعدوانية غريزة فطرية حيث يكون الغضب هو الانفعال الذي يكمن بين الأفراد من جهة ، وتوفير الفرص المناسبة للتنفيس عن التنمر والعدوان من جهة ثانية . وترى هذه النظرية أيضا أن الطمع والحسد والغيرة واضحة كتعبيرات ، وهدف العدوان هو التدمير ، والرغبات المرتبطة بالعدوان تهدف إلى الاستحواذ وامتلاك على كل ما تراه عينه إذا لم يحصل عليه ويحقق رغبته يظهر التنمر و العنف وبالتالي لا يمكنه أن يتحكم في عدوانيته وتنمره لأنه لا يخضع للعقل.

– النظرية المعرفية الاجتماعية : يرى أصحاب هذه النظرية أن سلوك الفرد هو سلوك متعلم يتعلمه الفرد من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، كما يؤكد رواد هذه النظرية أن الفرد يكتسب سلوكات حين يشاهد الطفل سلوك من يهتمون به ولأمره ، و يتعزز سلوكه من طرف محيطه (الأقران ، الزملاء ، الأصدقاء) واحرازه درجة النجومية بين رفقائه ، مما يجعله يشعر أنه فرد مختلف ومتميز كما أن المتنمر يسعى للوصول إلى ما يريده من خلال إنشائه لمواقف تنمرية كالإعتداء على الأفراد المحيطين به ولا يواجه أي عقاب من الأسرة أو المدرسة إنما يمارس أفكاره واعتداءاته بكل حرية. ويؤكد رواد هذه النظرية أن سلوك التنمر هو

عبارة عن نمذجة لسلوك المتنمر لمتنمر آخر، وهذا النموذج هو الذي يدفع ويعزز سلوك التنمر لدى الفرد، سواء كان أب أو أخ أكبر أو معلم أو رفيق مما يحرز تعزيز للسلوك الاستقوائي فيجعل صاحبه أكثر تنمرا ومن مدعمات هذا السلوك نجد :

= وجود نموذج للمتنمر.
- وجود حاجة لدى المتنمر المنمذج في سلوك المتنمر.
- وجود هدف في سلوك وذهن النموذج

- **النظرية البيئية** : تدرس هذه النظرية آثار العوامل البيئة المادية والاجتماعية ونمط العلاقات بين الأفراد وبيئتهم ، وترى هذه النظرية أن الاضطرابات السلوكية كالتنمر ما هي إلا نتاج للخبرات البيئية الغير مناسبة التي يتعرض لها الفرد مما يترتب عليها اختلال في طبيعة العلاقة بينه وبين بيئته ومحيطه .

وقد أوضحت العديد من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية أن خصائص الأفراد تتوقف على نوعية الخبرات التي يتلقونها وأن الفرد ليس مستقل عن بيئته بل يتأثر بكل ما هو موجود فيها وبمطالبها ومشكلاتها التي تفرض عليه أنماطا محددة من السلوك، فالبيئة الغير معتدلة تولد خبرات سيئة واضطرابات وسلوكيات منحرفة كالتنمر والعدوان وغيرها .

وترى النظرية أن التنمر لا يعتبر حالة مرضية بل مجرد ظاهرة تمثل عدم التوازن بين الفرد وبيئته ، وأن الفرد ليس مستقلا عن بيئته بل هو عنصر في نظام مجتمعه من حيث ديناميتها ، تبدأ بالأسرة مرورا بالمدرسة وجماعات الرفاق . فالتنمر ناتج عن عدم توافق وتكافؤ قد ارت المتنمر مع مطالب المجتمع ومشكلاته

(أحمد عكاشة ، 2001،ص.117)

ثالثا: التناول المنهجي و التطبيقي لموضوع البحث:

1 منهجية البحث:

بما أن دراستنا تهدف إلى معرفة سمات شخصية المراهق ضحية التنمر فان المنهج العيادي هو الملائم لهذه الدراسة ،وذالك لأنه يهدف إلى معرفة السير النفسي للفرد.

2 مجموعة البحث:

تم اختيارها بطريقة قصدية تمثلت في مراهقة متمدرسة بإحدى الثانويات التابعة للجزائر العاصمة .

أدوات جمع البيانات: تم جمع البيانات بالاعتماد على المقابلة العيادية نصف الموجهة ، وكذا مقياس الشخصية متعدد الأوجه ومقياس التنمر(بغيةالتعرف على خصائص شخصية الحالة وتحديد درجة التنمر).

3 **عرض وتحليل النتائج**

بعد الانتهاء من عملية التطبيق والتصحيح للمقاييس المستخدمة ،تحصلنا على النتائج التالية :

جدول رقم (1) يمثل نتائج المقاييس المطبقة على حالة البحث.

	درجة التنمر	درجة القلق	درجة الاكتئاب	سبب التنمر
الحالة	موجود بدرجة عالية	موجود بدرجة عالية	موجود بكثرة	سوء تقدير الذات

يتضح من خلال الجدول ما يلي:-

بالنسبة للحاالة رقم 1:

تقطن الحالة بإحدى الأحياء الشعبية بالعاصمة تنتمي إلى أسرة تتكون من 6 أفراد تتوسط إخوتها، تبلغ من العمر 17 سنة'تتعرض الحالة مرار إلى التنمر اللفضي من طرف زميلاتها حيث يصفنها بالمتخلفة وقولهم يا القديمة وذلك بسبب هندامها غير المنسجم، هذا التنمر سبب لها جرح نرجسي عميق حيث أصبحت ناقمة على ظروفها الاجتماعية ومستواها الاقتصادي، وهو ما أدى بها إلى التفكير في امتهان مهنة تحقق لها الربح السريع و الوفير لمحاربة احساسها أنها فاشلة في الحياة و أن الحياة ترفضها بشدة .

تحدثت الحالة عن حياتها بنوع من التهكم و التذمر من الحياة اللاعادلة في نظرها فقد أنصفت ساكني المدينة و قدمت لهم كل شيئ في طبق من ذهب، لكنها لم تنصف ساكني الريف و حرمتهم من ابسط متطلبات العيش و الحياة.

تواصل المبحوثة حديثها قائلة حتى نمط اللباس و الأكل و الألوان و الأحذية و المباني و الطرقات كلها تختلف، و هذا الاختلاف هو السبب الرئيسي للتنمر اللذي اتعرض له وهو ما أدى إلى تشتت أفكاري فصرت أجمع بين الفكر الوسواسي من جهة و الفكر الاكتئابي من جهة أخرى.

من خلال الجدول اعلاه يتضح أن الحالة ضحية تنمر لفضي مما أدى إلى ظهور القلق و الاكتئاب بالاضافة إلى الوسواس وهو ما أدى بها إلى الانسحاب التدريجي من المدرسة و التفكير في الولوج إلى عالم الشغل و الربح السريع. والاحتكاك شبكات التواصل الاجتماعي أدت بها إلى الايمان بالمجهول و الأفكار الوهمية و الصدقات الافتراضية، وزادت من ابتعادها عن أهلها حيث دخلت في عالم الانحراف الثقافي و الانفصام الفكري.فاصبحت تحس بالاغتراب حتى عن طفولتها و عن ماضيها وعن أسرتها و عن زميلاتها المقربات وكذالك تشعر باللأمن النفسي و كأن الناس يظمرون لها شرا و يحاولون قتلها و الترصد بها.هذه الفكرة الهووسي الناتجة بدرها عن تخيلها أنها أصبحت لا تواكب العصر.

لئيما جدا معي لم يتذكرني حتى بكلمة شكرا، تقول ما أصعب الحياة عندما يخدعك الناس، وتخدعك أفكارك وسذاجتك. رغم ذلك أنا طموحة وأريد النجاح لكن فكرة الانهزام تسيطر على عقلي و تغذيه.

عندما علمت أسرتي بما حدث لم توبخني ولم تعاتبني و لم تفرح لحزني وإنما كنت أتلقى منها الدعم و النصح لذلك أنا في حالة جيدة الآن. تنتابني لحضات من الاضطراب لكن ليس كما كانت سابقا.

من خلال النتائج المتحصل عليها فإن الفرضية التي تنص على أن:

المراهقة ضحية التنمر تتميز شخصيتها بالقلق و الوسواس و الاكتئاب قد تحققت في خدود الحالة قيد الدراسة.

خاتمة :

عند شعور الفرد باللأمن النفسي و أنه مهدد في ذاته و كيانه من قبل زملائه في الدراسة و محيطه يختار لنفسه عالم افتراضيا يفجر من خلاله طاقاته المقيدة في نظره، أو يشحن بطاريته الفكرية شحنا سلبيا يثور من خلالها على منظومة القيم الأسرية. فتصبح أفكار أمه قديمة لا تساير العصر، و تصبح نصائح والده

هشة لا تخدم تطور المجتمع. فيصبح هذا لضحية أسير مواقع إفتراضية تفرحه يوما و تبكيه أياما على وقته الذي ضاع سدى، هذا إذا كان في الأصل يدرك معنى الضياع.

من خلال الدراسة الحالية التي قمنا بها و بعد عرض ومناقشة نتائج الدراسة الحالية يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات التالية:

– إن الحاجة إلى الأمن مطلب من مطالب الصحة النفسية للمراهقة وان إشباع هذه الحاجة يحقق لدى التوافق والتكيف مع البيئة الاجتماعية .

– أن شعور المراهقة بالاغتراب و الدونية ناتج عن نقص في الحاجة إلى الأمن النفسي الذي هو مطلب من المطالب الأولى للحاجات الإنسان النفسية ويرتبط ذالك بشعور الفرد بالكآبة والعزلة والقلق والخوف ونقص في الاتصال والتواصل مع الآخرين ويكون مصحوبا بتقدير سلبي للذات أي نظرة الفرد السلبية اتجاه ذاته وعدم تقبلها .

فالفرد الذي يكون متوافقا مع نفسه ومع بيئته ،ويكون في تواصل دائم مع المحيطين به قد يحقق مستوى من التوازن النفسي وبالتالي تحقيق التوافق مع نفسه ومع البيئة المحيطة.

للبيئة الأسري عظيم الأثر للتخلص من الاضطرابات النفسية و الانفعالية على رأسها الاكتئاب أو أو القلق أو الوسواس.وذلك ما بدى جليا من خلال النتائج المتحصل عليها.

بناءا على هذه النتائج نقترح ما يلي:

– توفير أخصائيين نفسيين يتعاملون مع المراهقات خاصة بصفة دورية من أجل رصد مشكلاتهم النفسية واقتراح طرق للتكيف مع ظروفهن الحياتية.

قائمة المراجع:

– الرقيب ابراهيم سلمان، 2010، العنف الأسري وتأثيره على المرأة و الطالب ، دار يافا للنشر و التوزيع، عمان، ص 278.

– السيد فارق،2001،القلق و إدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي،القاهرة، ص111.

– أميمة جودت،2005،العنف المدرسي بين الأسرة و المدرسة و الاعلام،دار السحاب، القاهرة ،ص 157.

- أحمد عكاشة، 2001، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة ،ص.117.
- حسين طه عبد العظيم، 2007، سلوك المشاغبة في المدارس، ماهيته وكيفية إدارته، دار لفكر، عمان.
- سميرة عبدي،2011،الضغط المدرسي و علاقته ببعض سوكيات العنف لدى المراهق المتمدرس: دراسة ميدانية على تلاميذ السنة الأولى ثانوي بولاية بجاية رسالة ماجستير منشورة، الجزائر.
- مصطفى عبد الرحمان،2007، التنمر، جريدة ايلاف الالكترونية، العدد 2116،ص 43-47.
- يسرى عبد المحسن،ب س، المراهقات و الطب النفسي،دار الحرية للصحافة و النشر و الطباعة،القاهرة، مصر ص.88.
- Olweuse,D.1993. Bullying at School: what we know and whate we can do.cambridge MADlackwell.p.96 .
- Smith.p.2000.Bullying and harassment in school and right of children?, children & society,v14,p.294-303.
- Wolke,D,Sarah,w,Stanford,k & schukze, 2002,Bullying and victimization of primary school children in England and germane, prevalence and school factor,p673-696.

Assessment of mental health at work among employees of the Faculty of Mathematics and Materials Sciences at Kasdi Merbah University, Ouargla (Algeria).

Radhia BELFEDHAL[1]
University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria
belfedhal.radia@univ-ouargla.dz
Messaoud DAOUI[2]
University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria
messaouddaoui@gmail.com

Abstract:

The study aims to know the level of mental health at work among employees of the Faculty of Mathematics at the University of Ouargla, according to the following classification variables (age, professional experience). To address the research hypotheses, the descriptive analytical approach was used, as the study sample consisted of 30 employees from the Faculty of Mathematics at the University of Ouargla. The sample was selected using a simple random method, and we relied on a questionnaire as a tool to measure mental health designed by Al-Mutairi et al. (2022). The data were processed statistically using the arithmetic mean, standard deviation, and one-way analysis of variance using the SPSS program. The results showed an average level of mental health. There are statistically significant differences in the level of mental health according to the age variable. There are no statistically significant differences in the level of mental health among employees of the Faculty of Mathematics at the University of Ouargla according to the professional experience variable.

Keywords: Mental Health, Faculty of Mathematics Staff.

تقييم الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات وعلوم المادة بجامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر).

راضية بلفضل[1]
جامعة قاصدي مرباح -ورقلة -الجزائر
belfedhal.radia@univ-ouargla.dz
مسعود الداوي[2]
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة –الجزائر
messaouddaoui@gmail.com

ملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة، تبعا للمتغيرات التصنيفية التالية(السن، الخبرة المهنية)، ولمعالجة الفرضيات البحث تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث تكونت عينة الدراسة من 30 موظفا من موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة، بحيث اختيرت العينة بالطريقة العشوائية البسيطة، واعتمدنا على استبيان كأداة لقياس الصحة النفسية مصمم من طرف المطيري وأخرون (2022) ، وتمت معالجة البيانات إحصائيا بواسطة المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، اختبار تحليل التباين الأحادي باستخدام برنامج SPSS وأظهرت النتائج وجود مستوى متوسط للصحة النفسية ، توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الصحة النفسية تبعا لمتغيرا السن، لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تبعا لمتغير الخبرة المهنية.

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية ، موظفي كلية الرياضيات.

مقدمة:

في ظل الصراعات المتزايدة والتنافس الحاد على الموارد البشرية، حتى في المجتمعات المتقدمة التي حققت طفرة تكنولوجية ورفاهية اقتصادية، أصبحت النفس البشرية عرضة للاضطرابات النفسية التي أضعفتها وجعلتها أكثر هشاشة. ولم يكن غريبًا أن يعاني الأفراد في هذا السياق الاجتماعي والنفسي المعقد من مشكلات جسدية واضطرابات نفسية وأمراض عقلية. ومن هنا برزت الأهمية الكبرى لعلم الصحة النفسية، الذي يسعى إلى تعديل السلوك وتقويمه، إلى جانب دوره الوقائي في الحد من المشكلات النفسية. ومع تزايد الأزمات التي يشهدها العالم اليوم، أصبح نشر مبادئ الصحة النفسية وتوعية الأفراد ضرورة ملحّة لتعزيز التكيف النفسي وضمان رفاهية المجتمعات.

وفي هذا السياق، تلعب الجامعات الجزائرية دورًا محوريًا في تعزيز الصحة النفسية، ليس فقط من خلال الأبحاث العلمية والدراسات المتخصصة، ولكن أيضًا عبر تطوير الموارد البشرية وتأهيلها لمواجهة التحديات النفسية والاجتماعية. فالجامعات باعتبارها منارات للعلم والمعرفة، تساهم في إعداد أخصائيين نفسيين وقادة فكريين قادرين على تقديم حلول مبتكرة لمشكلات الصحة النفسية في المجتمع. كما تمثل البيئة الجامعية فضاءً لنشر الوعي النفسي بين الطلبة والأساتذة، مما يسهم في بناء مجتمع أكثر توازنًا واستقرارًا في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم.

الإشكالية:

في ظل التحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات الحديثة، أصبح الاهتمام بالصحة النفسية ضرورة ملحّة، لا سيما في بيئات العمل الأكاديمي مثل الجامعات، حيث يواجه الموظفون ضغوطًا متزايدة ناجمة عن متطلبات العمل، والتطورات التكنولوجية، والتغيرات الاجتماعية. ويؤدي هذا الضغط المستمر إلى ارتفاع معدلات التوتر والقلق، مما قد يؤثر سلبًا على الأداء الوظيفي والاستقرار النفسي لهؤلاء الأفراد.

وفي الجزائر، تشكل الجامعات إحدى الركائز الأساسية لتنمية المجتمع، حيث تلعب الموارد البشرية العاملة فيها، من أساتذة وإداريين وموظفين، دورًا حاسمًا في توفير بيئة تعليمية فعالة. غير أن الضغوط المهنية، مثل كثافة الأعباء الوظيفية، ونقص الموارد، والتغيرات التنظيمية، نقص التدريب والتكوين، قد تؤدي إلى تدهور صحتهم النفسية، مما ينعكس على جودة التعليم والخدمات المقدمة.

وانطلاقًا من هذا الواقع جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الصحة لنفسية للموظفين كلية الرياضيات وعلوم المادة بجامعة قاصدي مرباح ورقلة في ظل بعض المتغيرات التصنيفية ، وما هي الاستراتيجيات الفعالة التي يمكن تبنيها لتعزيز رفاههم النفسي وتحسين أدائهم المهني؟ وكيف يمكن للجامعات الجزائرية أن تساهم في توفير بيئة عمل أكثر دعمًا ومرونة لموظفيها.

التساؤلات:

1. ما مستوى الصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن؟
3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير الخبرة المهنية؟

الفرضيات:

1. يوجد مستوى مرتفع الصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة؟
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن؟
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير الخبرة المهنية؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة.
- التعرف على الفروق في الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة في ظل المتغيرات التصنيفية التالية (السن، الخبرة المهنية).

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أهمية موضوع الصحة النفسية ومدى تأثيرها على الأداء المهني للموظفين خاصة بنسبة للموظفين الجامعة بصفة عامة وموظفين كلية الرياضيات بجامعة ورقلة خاصة، فطبيعة عملهم تجعلهم تحت ضغط مستمر وتغيرات تنظيمية يمكن أن تأثر على صحتهم النفسية وحياتهم والمهنية.

منهج:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والذي يتناسب مع طبيعة الكثير من البحوث النفسية والتربوية.

المفاهيم الاجرائية:

الصحة النفسية: هي حالة العافية التي يحقق فيها الفرد قدراته، ويمكن أن يقاوم الضوائق الطبيعية في الحياة، ويمكن أن يعمل بإنتاجية وبطريقة مثمرة، ويكون قادرا على المساهمة في مجتمعه، يسهم تعزيز الصحة النفسية في الصحة إجمالا وينبغي أن يكون مكونا أساسيا في تعزز الصحة (المطيري وأخرون 2022.).

الإطار النظري للدراسة:

اولا: تعريف الصحة النفسية:

هي حالة عقلية انفعالية مركبة ,دائمة نسبية من الشعور بأن كل شيء على ما يرام ,والشعور بالسعادة مع الذات والاخرين والشعور بالرضا والطمأنينة والأمن وسلامة العقل والاقبال على الحياة ,مع الشعور بالنشاط والقوة والعافية ويتحقق في هذه الحالة درجة مرتفعة نسبيا من التوافق النسبي والاجتماعي مع علاقة اجتماعية راضية مرضية (عبد الخالق ,1993)

وتعرف على انها حالة دائمة نسبيا ينتج عنها سلوك سوي يقوم به الفرد في سبيل تحقيق توافقه النفسي مع مختلف البيئات التي يتعامل معها (بحري ,وخرموش ,2020 ,ص40)

كما تعرفها منظمة الصحة العالمية هي حالة من الرفاه النفسي تمكن الشخص من مواجهة ضغوط الحياة، وتحقيق امكاناته، والتعلم والعمل بشكل جيد, والمساهمة في مجتمعه المحلي، وهي جزء لا يتجزأ من

الصحة والرفاه واللذان يدعمان قدراتنا الفردية والجماعية على اتخاذ القرارات و إقامة العلاقات وتشكيل العالم الذي نعيش فيه .

والصحة النفسية هي حق اساسي من حقوق الإنسان. وهي حاسمة الأهمية للتنمية الشخصية والمجتمعية والاجتماعية والاقتصادية

والصحة النفسية لا تختصر على غياب الاضطرابات النفسية . فهي جزء من سلسلة متصلة معقدة تختلف من شخص الى آخر , وتتسم بدرجات متفاوتة من الصعوبة والضيق وبحصائل اجتماعية وسريرية يحتمل ان تكون مختلفة للغاية (منضمة الصحة العالمية , 2022)

ويعرفها سيد محمود الطواب أنه العلم الذي يتناول صحة الانسان النفسية ، والعوامل التي تساعد على تحقيق نموه نموا سويا او بلغة اخرى : هو العلم الذي يهتم بتوافق الفرد مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه بحيث يحقق قدرا من السواء يحميه من الاضطرابات النفسية والعقلية .(سيد محمود الطواب 2008ص34)

ثانيا: أهمية الصحة النفسية:

لا تقتصر أهميتها فقط على مجرد التمتع بحالة من الهدوء والاسترخاء وإنما تلعب دورا بارزا في الحماية من الاصابة بالمرض النفسي وانواعه المنتشرة بين الناس

ان الصحة النفسية مهمة جدا للفرد فهي من جهة تؤدي الى تحقيق التوافق والانسجام والتكامل بين خصائص شخصية الفرد في جوانبها الشخصية والانفعالية وكذلك تساهم في استثمار طاقاته المختلفة على أتم وجه بما يحقق أهدافه في الحياة ويجعله يشعر بكيانه ووجوده فهي اذن أساس لممارسة الانسان لدوره في الحياة فالطالب والمعلم والعامل والطبيب لا يمكن لكل منهم أداء دوره وفقا لما مطلوب منه ولا يتمتع بالصحة النفسية (عيد بدر ،2021)

ثالثا: علامات الصحة النفسية:

ونلخص هذه العلامات تبعا لعدد من المؤلفين كما يلي:

1 التوافق الذاتي :

وهو نجاح الانسان في التوفيق بين دوافعه ، وهو كذلك حسن تكيفه مع نفسه ، ورضاه عنها والتحكم فيها وحسم صراعاتها

2 التوافق الاجتماعي:

ويقصد به حسن التكييف مع الأخرين في المجلات الاجتماعية التي تقوم على العلاقات الحوارية Interpersonal بين الأفراد واهمها الأسرة والمدرسة او الجامعة المهنة وتضمن نجاح الفرد في عقد علاقات اجتماعية راضية مرضية , ان أي يرضى هو عنها ويرضى الأخرين بها ,ويسعد الطرفان لها وتتسم هذه العلاقات بالتعاون والحب التسامح والايثار والثقة والاحترام والتقبل.

3 . الشعور بالسعادة وراحة البال:

والادلة على ذلك الشعور بالطمأنينة والأمن ، والرضا عن النفس وتقبلها واحترامها ، والاستمتاع بالحياة وما بها من متع الحلال ، مع الاقبال على الحياة ،ورضا الفرد عنها ، وما قسمه الله له فيه.

4 النجاح في العمل :

إن نجاح الفرد في عمله ورضا عنه من المظاهر السلوكية التي تبرهن على درجة مرتفعة من الصحة النفسية ومن بين أهم عوامل النجاح في العمل رضا الفرد عنه, وميله إليه، وتناسبه مع ما لديه من قدرات واستعدادات وسمات، وتوافر الفرص للترقي فيه

5 مواجهة الإحباط :

لا تخلو الحياة اليومية من الأزمات والشدائد او الصعوبات التي يتعين على الفرد موجهتها , والصمود لها ومحولة حلها والتغلب ليها . وان وصيد الإحباط frustration threshold أي عتبته ومعدله ,لهو مؤشر جيد للصحة النفسية ,فكلما كان هذا الوصيد مرتفعا , واشار ذلك الى قدرة الفرد على تحمل الشدائد ومواجهتها .

6 الإقبال على الحياة:

ويعني ذلك التحمس للحياة و والرغبة الحقيقية في ان يعيشها الانسان , ويستمتع بما احل له من الطيبات ويتصل بهذه العلامة الدالة عل الصحة النفسية اهمها: الاستبشار والتفاؤل وتوقع الخير، والاستمتاع بالجمال والانفعال له والتأثر به .

7 الاتزان والثبات :

يتسم الشخص ذو الدرجة المرتفعة من الصحة النفسية بالاتزان الانفعالي و الثبات الوجداني و استقرار الاتجاهات ونضج الانفعالات إلى حد كبير وتعني الأخيرة وجود حالة من التماثل بين شدة الانفعال ومثيراته، فان فرح الشخص أو حزن يكون ذلك موازيا مع المنبهات التي سببت له هذه الحالة الانفعالية.

8 حسن الخلق:

يتصف ذو الدرجة المرتفعة من الصحة النفسية بأنه ذو خلق عظيم في كل ما يعرض له من أحوال ومواقف، لا يقترف الآثام إلا قليلا، يبتعد عن الكبائر يعف عن الصغائر الا لماما، لا يقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، إذا حدث صدق، وإذا وعد أوفى، وإذا أؤتمن أدى ولقد تأكد الباحثون مؤخرا وبرهنوا على أهمية هذا الجانب لتحقيق الصحة النفسية. وليس هذا فحسب بل لقد عرف ((كمال مرسي)) الصحة النفسية بأنها حالة نفسية يشعر فيها الانسان بالرضا والارتياح عندما يكون حسن الخلق مع الله ومع نفسه ومع الناس.

9 الخلو النسبي من الأعراض:

يقصد بذلك عدم ظهور كثير من الأعراض المحددة، والتي يمكن أن تعد من بين أعراض الاضطرابات النفسية (كالوسواس والمخاوف الشاذة والأرق الدائم والحزن المقيم وتوقع الشر) والأمراض العقلية (كالتوهمات والهلاوس وتشتت الانتباه والتفكير الحسي وضعف الإرادة)....

وتجدر الإشارة الى أن الخلو من الأعراض النفسية والعقلية بوصفه علامة على الصحة النفسية لا يعني أن وجود عرض واحد أو عدد قليل منها ، دليل على انتفاء الصحة النفسية ، ويبدو أن الشخص الذي لا يوجد لديه أي عرض ولو بسيط هو شخص يكاد غير موجود، ذلك أن الخلو التام من الأعراض غير متيسر في عالم الواقع فعلا. (احمد محمد عبد الخالق1993)

رابعا: نظريات الصحة النفسية

1 نظرية التحليل النفسي:

مؤلفها سيغموند فرويد وتركز هذه النظرية على الخبرات في مرحلة الطفولة . فالصحة النفسية وفقا للتحليل النفسي ليس نفيا أو الغاء لما هو طفلي او لا شعور وليس امتثال للواقع جامد، بل هو تفاعل دينامي خلاق بين هذه المكونات جميعا ويعرف فرويد الصحة النفسية بقوله اينما يتواجد هو يتواجد الانا ,وتحرص

هذه النظرية على متطلبات الواقع الاجتماعي الذي يتطلب التوافق بين العناصر الاجتماعية الثلاثة الهو والانا العلى (ربيع, 2000, ص48.42)

حيث تركز هذه النظرية على الخبرات في مرحلة الطفولة، في بداية التحليل النفسي كان مفهوم الصحة النفسية يعرف باعتباره نقيضا للمرض ،فكان يعني مجرد غياب الاعراض ثم أصبح يعني غياب أنواع الصرع اللاشعوري المعطلة للإمكانات الفرد في قطاع الانجاز والحب الناضج، فالصحة النفسية وفق التحليل النفسي ليس نفيا وإلغاء لما هو طفيلي أو لاشعوري وليس امتثالا سلبيا لواقع جامد بل هو تفاعل دينامي خلاق بين هذه المكونات جميعهما.(ربيع،2000ص42)

2 الاتجاه السلوكي:

من روادها ثروندیك, واطسن بافلوف ,واسنكر

تعرف المدرسة السلوكية الصحة النفسية بان يأتي الفرد السلوك المناسب فكل موقف حسب ما تحدده الثقافة والبيئة التي يعيش في كنفها , فالمحك المستخدم هنا للحكم على صحة الفرد النفسية محك اجتماعي , فالسلوكي تعتبر البيئة المزلة الاولى واعتبرها من اهم العوامل التي تعمل على تكوين الشخصية (عبد الغفار ,2001, ص 46.33)

3 الاتجاه الانساني :

ويعد كل من كارل روجز وأبراهام ماسلو من أشهر رواد هذا الاتجاه

الصحة النفسية كما يراها ماسلو هي تحقيق الذات ويذهب ماسلو الى ان صاحب الشخصية السوية يتميز بخصائص معينة بالقياس الى غير السوي ، ويعتقد انه اذا اقتصرت دراسة الأخصائيين النفسانيين على العجزة والعصابين ومتخلفي النمو فانهم بالضرورة سيقدمون علما عاجزا ،ولكي يمكن نمو علم الانسان أكثر اكتمالا وشمولا يصبح حتما على علماء النفس دراسة الذين حققوا امكاناتهم الى اقصى مداها، حيث قام ماسلو بدراسة مجموعة من الاشخاص حققوا ذواتهم ،فقد اختار الطريقة المباشرة فدرس أصحاء من الناس الذين تتجلى وحدة شخصياتهم وكليتها بوضوح أكثر بوصفهم أشخاص حققوا ذواتهم (أبو نجيلة ،وأبو اسحاق،2001ص 25.23)

خامسا: مناهج الصحة النفسية :

ان تحقيق درجة مرتفعة من الصحة النفسية والتوافق هو الأساسي من علم الصحة النفسية ونعرض فيما يلي للمناهج الثلاثة التي يتحقق بها هذا الهدف ، وهي المناهج الوقائية والعلاجية والانشائية.

1 المنهج الوقائي:

يهدف الى التحكم في حدوث معدل الاضطرابات والأمراض وانقاص هذا المعدل ، ولأسباب عديدة يصدق هذا القول المأثور : (الوقاية خير من العلاج). والوقاية على مراحل ثلاث: أ. اتخاذ اجراءات مسبقة لمنع حدوث الاضطرابات ب ـانقاص شدة المرض والتقليل منها ، وذلك من خلال الكشف المبكر عن الحالات ج ـخفض العجز الناتج عن المرض العقلي ،واستخدام الوسائل التي تؤهل المريض بهدف منع الانتكاسة .

2 المنهج العلاجي:

يهدف الى العودة بحالات سوء التوافق الفعلي والشديد ،لتصبح طاقات منتجة للمجتمع .

3 المنهج الانشائي:

في علم الصحة النفسية منهج بنائي يستخدم مع الأسوياء ، ليصل بهم الى أقصى درجة ممكنة من الصحة النفسية ، التي تحقق الرضاء والسعادة لهم . (احمد محمد عبد الخالق،93)

إجراءات الدراسة الميدانية:

أولا: المنهج:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليل والذي يتناسب مع طبيعة الكثير من البحوث النفسية والتربوية.

أجريت الدراسة على عينة من موظفي كلية الرياضيات وعلوم المادة بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، وشملت 30 فردا تم اختيارهم بطريقة العشوائية البسيطة، وذلك في الفترة الممتدة من (02 إلى 06فيفري 2025).

ثانيا: وصف أداة الدراسة:

قمنا بتطبيق استبيان للصحة النفسية صمم من طرف المطيري وأخرون (2022)، شمل في الجانب الأول على البيانات التصنيفية تمثلت في (السن والخبرة المهنية)، أما الجانب الثاني فاحتوى على 13 فقرة بثلاثة بدائل (دائما، أحيانا ، أبدا) بوزن (3.2.1).

ثالثا: عرض النتائج ومناقشتها على ضوء الفرضيات:

1 عرض ومناقشة الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأول على ما يلي " يوجد مستوى مرتفع للصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة"

للتحقق من صحة الفرضية قمنا بحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري باستعمال اختبار "ت" لعينة واحدة، من أجل تحديد المستوى المرتفع والمنخفض لاستجابات أفراد العينة على مقياس الصحة النفسية ومقارنته بالمتوسط الفرضي.

جدول رقم 01 يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للصحة النفسية

البعد	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
الصحة النفسية	**26**	**23.13**	**3.89**	**متوسط**

يتضح من الجدول رقم 01 أن المتوسط الحسابي لمستوى الصحة النفسية لموظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة قدر بـ (23.13) بانحراف معياري (3.89)، وهو مستوى متوسط مقارنة بالمتوسط الفرضي الذي بلغ (26)، ومنه نرفض الفرضية التي تنص على أنه يوجد مستوى مرتفع للصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة" ونستبدلها بالفرضية البديلة التي تنص على " يوجد مستوى متوسط للصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة"

يمكننا تفسير هذه نتيجة على أن موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة يتمتعون بمستوى متوسط من الصحة النفسية، حيث يواجهون بعض الضغوط المهنية والإدارية، لكنهم قادرون جزئيًا على التكيف معها دون

الوصول إلى حالات نفسية متدهورة. ويشير ذلك إلى وجود توازن نسبي بين العوامل الداعمة والضاغطة في بيئة العمل. ورغم قدرتهم على أداء مهامهم، إلا أنهم قد يعانون أحيانًا من الإرهاق أو انخفاض الدافعية، وهذا ما أكدته دراسة المطيري وأخرون 2022 .

2 عرض ومناقشة الفرضية الثانية:

تنص الفرضية على " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن" ولتحقق من صحة الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) من أجل التعرف على دلالة الفروق في الصحة النفسية في العمل تبعا لمتغير السن.

الجدول رقم 02 يوضح نتائج تحليل التباين في الصحة النفسية تبعا لمتغير السن

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربع	قيمة F	مدى الدلالة	القرار الاحصائي
بين المجموعات	9.871	11	0.897	3.170	0.15	دال
داخل المجموعات	5.095	18	0.283			
المجموع	14.967	29	/			

يتضح من الجدول رقم 02 أن مجموع المربعات بين المجموعات بلغت قيمته (9.871) وتمثلت درجة الحرية بقيمة 11 ومتوسط المربع 0.897 ، أما قيمة مجموع المربعات داخل المجموعات قدرت ب (5.095) بدرجة حرية (18) وقيمة المتوسط المربع بلغت 0.283). أما قيمة F لكل منهما بلغت (3.170) وهي غير دالة إحصائيا لأن SIG= 0.015 هي أكبر من 0.01، ومنه نرفض الفرضية التي نصت على " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن". ونستبدلها بالفرضية البديلة التي تنص على أنه

" توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن".

يمكننا تفسير ذلك على أن مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة يختلف باختلاف السن، حيث أظهرت النتائج فروقًا ذات دلالة إحصائية بين الفئات العمرية. ويعكس ذلك تأثير العمر على التكيف مع ضغوط العمل، حيث قد يكون الموظفون الأصغر سنًا أكثر عرضة للتوتر بسبب قلة الخبرة، بينما قد يواجه الأكبر سنًا الإرهاق المهني لكنهم يتمتعون باستقرار نفسي أكبر.

3 عرض ومناقشة الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية على أن " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى عمال كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير الخبرة المهنية" ولتحقق من صحة الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) من أجل التعرف على دلالة الفروق في المخاطر النفسية والاجتماعية تبعا لمتغير الأقدمية.

الجدول رقم 03 يوضح نتائج تحليل التباين في الصحة النفسية تبعا لمتغير الخبرة المهنية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربع	قيمة F	مدى الدلالة	القرار الاحصائي
بين المجموعات	23.371	11	2.125	3.986	0.005	دال
داخل المجموعات	9.595	18	0.533			
المجموع	32.967	29	/			

يتضح من الجدول رقم 03 أن مجموع المربعات بين المجموعات بلغت قيمته (23.371) وتمثلت درجة الحرية بقيمة (11) ومتوسط المربع (2.125)، أما قيمة مجموع المربعات داخل المجموعات قدرت ب (9.595) بدرجة حرية (18) وقيمة المتوسط المربع بلغت (0.533). أما قيمة F لكل منهما بلغت

(0.986) وهي دالة إحصائيا لأن SIG= 0.005 هي أقل من 0.01، ومنه نقبل الفرضية التي نصت على " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير الخبرة المهنية.

فهذا يعني أن مستوى الصحة النفسية في العمل لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة لا يتأثر بسنوات الخبرة المهنية، أي أن الموظفين، بغض النظر عن مدة عملهم، يتمتعون بمستوى متقارب من الصحة النفسية.

الخاتمة:

في ختام هذه المداخلة، يمكن القول إن الصحة النفسية لا تقتصر على غياب الاضطرابات، بل تمثل حالة من التوازن الداخلي والقدرة على التكيّف الإيجابي مع ضغوط الحياة ومطالبها المتغيرة. وقد أبرزنا من خلال الجانب النظري تعدد المفاهيم المرتبطة بالصحة النفسية، وتوقفنا عند أبرز المؤشرات التي تعكس سلامة الفرد النفسية، كما تطرقنا إلى أهم النظريات التي فسرت بناء الصحة النفسية وأثرها على السلوك الفردي والاجتماعي. أما من الجانب التطبيقي، فقد حاولنا تسليط الضوء على واقع الصحة النفسية في الممارسة الميدانية، وكانت أهم النتائج المتحصل عليها هي:

- يوجد مستوى متوسط للصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة.
- يوجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير السن.
- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الصحة النفسية لدى موظفي كلية الرياضيات بجامعة ورقلة تعزى لمتغير الخبرة المنهية.

اقتراحات وتوصيات:

1- تعزيز التوعية بأهمية الصحة النفسية لدى ميع الفئات.

2- توفير التكوين والتدريب لمستمر للأخصائيين النفسيين .

3- تشجيع الدراسات الميدانية للتعرف على أهم العوامل النفسية الأكثر انتشارا في المجتمع ومحاولة ايجاد طرق وقاية من الاضطراب النفسية.

4- إدراج التربية النفسية ضمن المناهج التعليمية لتعزيز الوعي بأهمية الصحة النفسية لدى الطفل والمراهق في مراحل تنشئتهم.

المراجع:

احمد محمد عبد الخالق ,1993 , اصول الصحة النفسية ط 2،دار المعرفة الجامعية , ط 2 .
. ربيع محمد شحاتة ،2000،اصول الصحة النفسية ط،2 مؤسسة نبيل للطباعة مصر , ط2
. سيد محمد الطوابة،2008،الصحة النفسية والارشاد النفسي ،مركز الإسكندرية للكتاب
. منظمة الصحة العالمية (17 حزيران / يونيو 2022), الصحة النفسية : تعزيز استجاباتنا
محمد نوبان المطيري (2022) الأمان الوظيفي وتأثيره على الصحة النفسية لدى منسوبي مديرية الشؤون الصحية بمحافظة حفر الباطن السعودية.
. عيد بدر ,2021 , الصحة النفسية
. ابو نجيلة , سفيان , 2001 , مقالات في الشخصية والصحة النفسية ,جامعة الازهر , فلسطين
. بحري، صابر، وخرموش، منى.)2020(،
الكرو نوبيولوجيا والصحة النفسية: تطبيقاتها وتقاطعاتها. مجلة العلوم الاجتماعية .
. عبد الغفار عبد السلام , 2001 , مقدمة في الصحة النفسية ,دار النهضة العربية ,مصر

Stunting among Children Under Five in Algeria: An Analytical Study of Data from the 2019 Multiple Indicator Cluster Survey (MICS)

BOUZID Bouhafs[1]
Kasdi-Merbah University-Ouargla-Algeria
bouzid.bouhafs@univ-ouargla.dz
BENNOUR Sabira[2]
Kasdi-Merbah University-Ouargla-Algeria
sabirabennour@gmail.com

Abstract:

This study examines stunting among children under five in Algeria, utilizing data from the 2019 Multiple Indicator Cluster Survey (MICS). The stunting rate in Algeria is 9.8%, lower than the global (22.3%) and regional (20.2%) averages, with significant variations based on gender, age, maternal education, economic status, and geographic region. A strong inverse correlation exists between maternal education and stunting, with rates dropping from 15.3% for children of uneducated mothers to 6.8% for those with mothers holding higher education. Children in the poorest households exhibit higher stunting rates (13.5%) compared to other economic groups. The study proposes a set of recommendations for a multi-sectoral, comprehensive approach to combat stunting, focusing on addressing the underlying social, economic, and educational determinants.

Keywords: Stunting, children under five, Algeria, Multiple Indicator Cluster Survey, social and economic

التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر، دراسة تحليلية لبيانات المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات MICS2019

بوزيد بوحفص[1]

جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر

bouzid.bouhafs@univ-ouargla.dz

بنور صابرة[2]

جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر

sabirabennour@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر، بالاعتماد على بيانات المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات MICS 2019. تناولت الدراسة تحليل معدلات التقزم وفقا للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والجغرافية، مع إجراء مقارنات إقليمية ودولية، وتفسير العوامل المؤثرة على ضوء الأدبيات العلمية الحديثة. أظهرت النتائج أن معدل التقزم في الجزائر يبلغ 9.8%، وهو أقل من المتوسط العالمي (22.3%) والإقليمي (20.2%)، مع وجود تفاوتات ملحوظة حسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي للأم والوضع الاقتصادي والمنطقة الجغرافية. كشفت الدراسة أيضا عن وجود علاقة عكسية قوية بين المستوى التعليمي للأم ومعدلات التقزم، حيث تنخفض معدلات التقزم من 15.3% لدى أطفال الأمهات غير المتعلمات إلى 6.8% لدى أطفال الأمهات ذوات التعليم العالي. كما أظهرت النتائج أن الأطفال في الأسر الأكثر فقراً يعانون من معدلات تقزم أعلى (13.5%) مقارنة بالشرائح الاقتصادية الأخرى. وفي ضوء هذه النتائج، تقترح الدراسة مجموعة من التوصيات لتعزيز الجهود الوطنية لمكافحة التقزم، مع التركيز على تبني مقاربة شاملة ومتعددة القطاعات تستهدف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية الأساسية لظاهرة التقزم.

الكلمات المفتاحية: التقزم، الأطفال دون سن الخامسة، الجزائر، المسح الوطني متعدد المؤشرات، العوامل الاجتماعية والاقتصادية، تعليم الأم.

مقدمة:

يُعدّ التقزّم (Stunting) من أبرز مؤشرات سوء التغذية المزمن لدى الأطفال، ويُعرّف بأنه انخفاض في الطول بالنسبة للعمر بمقدار انحرافين معياريين أو أكثر عن متوسط معايير النمو المعتمدة من قِبل منظمة الصحة العالمية (WHO, 2020) .ويمثل التقزّم قضية صحية عامة متعددة الأبعاد، إذ لا يعكس فقط تدني الحالة التغذوية للطفل، بل يرتبط أيضاً بمجموعة واسعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والصحية (Black et al., 2013) .

على الصعيد العالمي، يعاني نحو 148.1 مليون طفل دون سن الخامسة من التقزّم، أي ما نسبته 22.3% من إجمالي الأطفال في هذه الفئة العمرية (UNICEF, WHO, & World Bank, 2023) وتختلف معدلات التقزّم بشكل ملحوظ بين المناطق الجغرافية، حيث تسجل جنوب آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء أعلى النسب (حوالي 30%)، في حين تنخفض هذه النسبة في مناطق مثل شرق آسيا والمحيط الهادئ وأمريكا اللاتينية إلى نحو 13% (UNICEF, 2021) .

تكمن أهمية دراسة التقزّم في آثاره السلبية بعيدة المدى على صحة الطفل ونموه وتطوره. فالأطفال الذين يعانون منه في مراحل الطفولة المبكرة يكونون أكثر عرضة لضعف النمو المعرفي، وتدنّي التحصيل التعليمي وزيادة احتمالات الإصابة بالأمراض المزمنة في سن البلوغ، فضلاً عن انخفاض إنتاجيتهم الاقتصادية (Dewey & Begum, 2011; Adair et al., 2013). وعلى مستوى الدول، يمكن أن يؤدي التقزّم إلى خسائر فادحة في رأس المال البشري والتنمية الاقتصادية، إذ تُقدّر الخسائر في الناتج المحلي الإجمالي الناتجة عنه بما يتراوح بين 3% و11% في البلدان النامية (Galasso & Wagstaff, 2019).

أما في الجزائر، فإن دراسة التقزّم لدى الأطفال دون سن الخامسة تكتسب أهمية خاصة في ظل التحولات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال العقود الأخيرة. فقد أحرزت الجزائر تقدما ملموسا في تحسين صحة الأم والطفل، وخفض وفيات الأطفال، وتحسين مؤشرات التنمية البشرية بشكل عام. ومع ذلك، ما تزال التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية تشكل تحديا قد ينعكس على الوضع التغذوي للأطفال (حسن وعلي، 2021).

توفر بيانات المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات (MICS) لسنة 2019 فرصة قيّمة لدراسة ظاهرة التقزّم في الجزائر بشكل شامل ومعمق، حيث يوفّر بيانات حديثة وممثلة على المستوى الوطني حول مؤشرات صحة الطفل وتغذيته ونموه، إلى جانب المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية ذات الصلة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة التقزّم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر، بالاعتماد على بيانات مسحMICS 2019 ، مع التركيز على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والجغرافية المرتبطة به. كما تسعى إلى مقارنة وضع الجزائر بالمعدلات العالمية والإقليمية، وتفسير العوامل المؤثرة في انتشاره، واقتراح توصيات عملية لدعم الجهود الوطنية الرامية إلى مكافحته

أولا: مفهوم التقزم وأسبابه

1- مفهومه: يعرف التقزم (Stunting) بأنه انخفاض الطول بالنسبة للعمر بمقدار انحرافين معياريين أو أكثر عن متوسط معايير النمو لمنظمة الصحة العالمية .(WHO, 2020) ويعتبر التقزم مؤشراً على سوء التغذية المزمن، الذي يحدث نتيجة لنقص مستمر في تناول المغذيات الأساسية و/أو الإصابة المتكررة بالأمراض المعدية خلال فترة النمو السريع في مرحلة الطفولة المبكر (Onis & Branca, 2016)

2- أسبابه :وتشمل عدم كفاية المدخول الغذائي من حيث الكمية والنوعية، والإصابة المتكررة بالأمراض المعدية مثل الإسهال والتهابات الجهاز التنفسي والطفيليات المعوية.(Black et al., 2013)

2-1 الأسباب الأساسية :وتشمل انعدام الأمن الغذائي الأسري، وعدم كفاية ممارسات الرعاية والتغذية، وسوء ظروف المياه والصرف الصحي والنظافة، ومحدودية الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الجيدة (Prendergast & Humphrey, 2014).

2-2 الأسباب الكامنة :وتشمل الفقر، وانخفاض مستوى تعليم الأم، والتفاوتات الاجتماعية والاقتصادية، وعدم المساواة بين الجنسين، والسياسات والبرامج غير الملائمة في مجالات الصحة والتغذية والزراعة والحماية الاجتماعية.(Danaei et al., 2016)

وفقاً للإطار المفاهيمي الذي اقترحه Black وزملاؤه (2013)، تتفاعل هذه العوامل المختلفة في سياق اجتماعي واقتصادي وسياسي معين لتؤثر على النمو الطولي للطفل. ويعتبر فهم هذه التفاعلات المعقدة أمرا ضروريا لتصميم وتنفيذ تدخلات فعالة لمكافحة التقزم.

ثانيا : منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على تحليل لبيانات تقرير المسح الوطني متعدد المؤشرات MICS لعام 2019 في الجزائر، وهو مسح أسري ممثل على المستوى الوطني، تم تنفيذه من قبل وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات بالتعاون مع منظمة اليونيسف.

شمل المسح عينة من 31,213 أسرة، وتم جمع بيانات عن 11,507 طفل دون سن الخامسة. تم قياس الطول والارتفاع والوزن لجميع الأطفال دون سن الخامسة باستخدام معدات قياس موحدة وإجراءات موحدة وفقاً لبروتوكولات منظمة الصحة العالمية.

تم حساب مؤشر الطول بالنسبة للعمر (HAZ) لكل طفل باستخدام معايير النمو لمنظمة الصحة العالمية لعام 2006. وتم تعريف التقزم بأنه انخفاض الطول بالنسبة للعمر بمقدار انحرافين معياريين أو أكثر عن متوسط معايير النمو لمنظمة الصحة العالمية.

في هذه الدراسة، تم تحليل معدلات التقزم وفقا للمتغيرات التالية:

1- **المتغيرات الديموغرافية** :الجنس (ذكر، أنثى)، والعمر (0-5 أشهر، 6-11 شهرا ، 12-17 شهرا ، 18-23 شهرا ، 24-35 شهرا ، 36-47 شهرا ، 48-59 شهرا).

2-**المتغيرات الاجتماعية والتعليمية** :المستوى التعليمي للأم (بدون تعليم، ابتدائي، متوسط، ثانوي، عالي).

3-**المتغيرات الاقتصادية** :مؤشر الثروة أو مستوى الرفاه (الأكثر فقراً، الفقير، المتوسط، الغني، الأكثر غنى).

4-**المتغيرات الجغرافية** :المنطقة الجغرافية (الشمالية الشرقية، الشمالية الوسطى، الشمالية الغربية، الهضاب العليا الشرقية، الهضاب العليا الوسطى، الهضاب العليا الغربية، الجنوب)، وسط الإقامة (حضري، ريفي).

تم استخدام الإحصاءات الوصفية المدونة في تقرير المسح لتحليل معدلات التقزم حسب المتغيرات المختلفة، وتم إجراء مقارنات مع المعدلات العالمية والإقليمية باستخدام بيانات من منظمة الصحة العالمية واليونيسف والبنك الدولي.

ثالثا: نتائج الدراسة

1- تحليل معدلات التقزم في الجزائر

استنادا إلى بيانات المسح الوطني متعدد المؤشرات MICS 2019 ، بلغت نسبة الأطفال دون سن الخامسة الذين يعانون من التقزم في الجزائر 9.8%. هذه النسبة تقل كثيرا عن المتوسط العالمي الذي وصل إلى 22.3% وفق أحدث بيانات صادرة عن منظمة الصحة العالمية واليونيسف والبنك الدولي (UNICEF, WHO, & World Bank, 2023)

وعند المقارنة بالمتوسط الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا البالغ 20.2%، يتضح أن الجزائر تسجل مستوى منخفضا نسبيا. كما أن هذه النسبة أدنى مما هو مسجل في دول مجاورة بشمال إفريقيا مثل مصر (22.3%)، المغرب (15.1%)، وموريتانيا (19.6%)، في حين أنها أعلى قليلا من تونس التي سجلت8.4% (World Bank, 2022) .

وفق تصنيف منظمة الصحة العالمية لمستويات خطورة التقزم، يقع معدل الجزائر ضمن فئة "المشكلة الصحية العامة المنخفضة" أي أقل من 10%، وهو ما يعكس تقدما ملحوظا في جهود تحسين صحة وتغذية الأطفال(WHO, 2020) . غير أن هذه النسبة الإجمالية تخفي فروقا ملحوظة بين الفئات السكانية والمناطق المختلفة، وسيتم التطرق لهذه التباينات لاحقا في الدراسة.

2- التفاوت النوعي في معدلات التقزم

تكشف بيانات المسح الوطني متعدد المؤشرات MICS 2019 عن وجود فرق واضح في معدلات التقزم بين الأطفال الذكور والإناث في الجزائر. فقد بلغت النسبة لدى الذكور 11.6%، وهي أعلى بـ 3.7 نقاط مئوية مقارنة بالإناث الذين سجلوا 7.9%.

هذا الاختلاف بين الجنسين لا يقتصر على الجزائر وحدها، إذ تم توثيقه في عدد كبير من الدول. ففي دراسة تحليلية شاملة أجراها Wamani وزملاؤه (2007) شملت 16 دولة في إفريقيا جنوب الصحراء،

تبين أن الذكور كانوا أكثر عرضة للتقزم من الإناث في معظم البلدان، بمتوسط فارق بلغ 1.1 نقطة مئوية. وفي دراسة أحدث لـ Thurstans وزملائه (2020) شملت بيانات من 84 دولة، ظهر أن الذكور يتفوقون في نسب التقزم على الإناث في 74% من هذه الدول، مع فارق متوسط يبلغ 1.2 نقطة مئوية. وقد ربط الباحثون هذه الظاهرة باختلافات بيولوجية في النمو والتأقلم مع الضغوط البيئية، أكثر من ارتباطها بالتمييز في الرعاية أو التغذية.

وفي الحالة الجزائرية، فإن الفارق البالغ 3.7 نقاط مئوية بين الجنسين يتجاوز المتوسط العالمي، مما قد يشير إلى وجود عوامل محلية إضافية تساهم في اتساع هذا التفاوت، وهو ما يتطلب المزيد من الأبحاث والتحليلات الإحصائية المتقدمة للكشف عن أسبابه المحتملة.

3- النمط العمري لانتشار التقزم

توضح بيانات MICS 2019 أن معدل التقزم في الجزائر يختلف بوضوح حسب الفئة العمرية للطفل. فقد سُجلت النسبة الأعلى لدى الفئة 18-23 شهرا (11.7%)، تليها الفئة 24-35 شهرا (11.2%)، في حين جاءت أدنى نسبة لدى الأطفال في عمر 6-11 شهرا (7.1%) .

هذا التوزيع العمري يتوافق مع ما أظهرته دراسات عالمية، منها دراسة Victora وزملائه (2010) التي اعتمدت على بيانات من 54 دولة نامية، حيث تبين أن نسب التقزم تكون منخفضة عند الولادة ثم ترتفع بشكل سريع خلال أول 24 شهرا، لتستقر نسبيا بعد ذلك.

ويرجع الباحثون ذلك إلى أن فترة الحمل وحتى سن عامين تمثل "نافذة الفرصة الحرجة" للوقاية من التقزم، إذ يكون النمو الطولي في هذه المرحلة حساسا جدا للتأثيرات البيئية والغذائية. وفي هذه الفترة، ينتقل الطفل تدريجيا من الاعتماد الكامل على حليب الأم إلى تناول الأغذية التكميلية، مع ارتفاع احتياجاته للنمو وزيادة تعرضه لعوامل ممرضة(Victora et al., 2010) .

كما بينت دراسة Leroy وزملاؤه (2014) التي اعتمدت على بيانات من 51 دولة نامية، أن معظم حالات التقزم تحدث بين 3 و24 شهرا، مع أكبر انخفاض في مؤشر الطول بالنسبة للعمر بين 6 و18 شهرا.

وفي الجزائر، يتكرر نفس النمط العالمي، إذ ترتفع النسب في الفترة من 18 إلى 35 شهرا، ما يعزز أهمية تكثيف التدخلات التغذوية في أول ألف يوم من حياة الطفل ضمن البرامج الوطنية للحد من التقزم.

4- أثر المستوى التعليمي للأم على التقزم

تشير بيانات MICS 2019 إلى علاقة عكسية قوية بين تعليم الأم واحتمال إصابة الطفل بالتقزم في الجزائر. فقد بلغت النسبة 15.3% عند أبناء الأمهات غير المتعلمات، وانخفضت تدريجيا مع ارتفاع المستوى التعليمي لتصل إلى 6.8% لدى أبناء الأمهات الحاصلات على تعليم عالٍ. هذا الارتباط وثقته عدة أبحاث دولية، من بينها دراسة Semba وزملاؤه (2008) التي شملت 42 دولة نامية وأثبتت أن تعليم الأم يرتبط سلبيا بمعدلات التقزم حتى بعد ضبط العوامل الاقتصادية والديموغرافية. كما وجدت دراسة Vollmer وزملاؤه (2017) التي شملت بيانات من 180 دولة أن كل سنة إضافية من تعليم الأم تقلل معدل التقزم بمقدار 1.3 نقطة مئوية.

ويرى الباحثون أن الأم المتعلمة أكثر إدراكا لأهمية التغذية السليمة والرعاية الصحية، ولديها قدرة أكبر على الوصول للمعلومات والخدمات الصحية والاستفادة منها، فضلا عن ارتباط التعليم غالبا بتحسن الوضع الاقتصادي للأسرة (Alderman & Headey, 2017) .

وفي الجزائر، يبلغ الفرق بين أبناء الأمهات غير المتعلمات والحاصلات على تعليم عالٍ 8.5 نقاط مئوية، وهو فارق معتبر يؤكد دور تعليم المرأة في تحسين صحة الأطفال.

وعلى مستوى المقارنة الإقليمية، تسجل الجزائر اتجاها مشابها لدول المنطقة، حيث يصل الفارق في مصر إلى 12 نقطة مئوية، وفي المغرب إلى نحو 10 نقاط .(UNICEF, 2020) كما أظهرت دراسة Krafft (2015) أن تعليم الأم له أثر ملموس على انخفاض معدلات التقزم في جميع دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي شملتها الدراسة، خاصة في البلدان ذات النسب المرتفعة.

5- تأثير الوضع الاقتصادي للأسرة على التقزم

تكشف بيانات مسح 2019 عن ارتباط واضح بين المستوى الاقتصادي للأسرة وانتشار التقزم بين الأطفال في الجزائر. فقد بلغت النسبة 13.5% لدى أطفال الأسر الأكثر فقرا (الشريحة الأولى)، وهي أعلى بشكل ملحوظ من النسب المسجلة في بقية الشرائح الاقتصادية، والتي تراوحت بين 8.2% و8.9%. هذه العلاقة بين الفقر وارتفاع معدلات التقزم ليست خاصة بالجزائر، إذ بينت دراسة Black وزملاؤه (2013) أن الفقر يؤثر على النمو الطولي للأطفال عبر مسارات متعددة، منها محدودية توفر الغذاء الكافي

والمتنوع، ورداءة خدمات المياه والصرف الصحي، وضعف الوصول إلى الرعاية الصحية ذات الجودة. كما أوضحت دراسة Headey وزملاؤه (2017)، التي اعتمدت على بيانات من 116 دولة نامية، أن تحسن الاقتصاد وخفض معدلات الفقر من أبرز العوامل التي ساهمت في تراجع نسب التقزم عالميا بين 1970و2010.

في الحالة الجزائرية، يظهر الفرق في النسبة بين الأسر الأفقر وبقية الشرائح حوالي 4.6 نقاط مئوية، ما يعكس وجود فجوة مرتبطة بالفقر في الوضع التغذوي للأطفال. وهذا يستدعي دمج سياسات دعم الأمن الغذائي وبرامج مكافحة الفقر ضمن خطط خفض التقزم.

إقليميا، تعتبر الفوارق الاقتصادية في الجزائر متوسطة مقارنة بدول أخرى؛ ففي مصر يبلغ الفرق بين الشريحة الأفقر والأغنى نحو 14 نقطة مئوية، وفي المغرب حوالي 12 نقطة .(UNICEF, 2020) كما أظهرت دراسة Sharaf وزملاؤه (2018) أن الفوارق الاقتصادية أكبر في الدول منخفضة ومتوسطة الدخل مثل اليمن ومصر، مقارنة بدول الخليج ذات الدخل المرتفع.

6- التفاوتات الجغرافية في معدلات التقزم

تظهر البيانات أن نسب التقزم تختلف من منطقة إلى أخرى في الجزائر بشكل واضح. فقد سجلت أعلى نسبة في الهضاب العليا الغربية (13.9%)، تليها المنطقة الشمالية الغربية (11.5%)، ثم الهضاب العليا الوسطى (10.8%) فالجنوب (10.7%)، في حين سجلت المنطقة الشمالية الشرقية أدنى معدل (7.0%).

هذه الاختلافات الجغرافية ليست حالة فريدة؛ فقد بينت دراسة Adekanmbi وزملاؤه (2013) حول نيجيريا وجود تفاوت كبير بين الشمال والجنوب، كما أوضحت دراسة Hagos وزملاؤه (2017) في إثيوبيا أن هذه الفروق ترتبط بالظروف البيئية والاقتصادية والاجتماعية، بما في ذلك المناخ، ونوعية الغذاء، وتوفر الخدمات الصحية.

بالنسبة للجزائر، يمكن تفسير هذه التباينات باختلاف مستويات المعيشة، وتوفر الخدمات، ونوعية النظم الغذائية المحلية بين المناطق. وهو ما يبرز الحاجة لتصميم برامج تدخلية تراعي الخصوصيات الجغرافية، مع تركيز أكبر على المناطق ذات النسب المرتفعة.

كما تكشف البيانات عن فرق بسيط بين الريف والحضر، حيث بلغت النسبة في الريف 10.2% مقابل

9.5% في الحضر، بفارق 0.7 نقطة مئوية فقط. وهذا التفاوت المحدود يختلف عن النمط السائد عالميا، إذ غالبا ما تكون الفجوة أكبر بكثير. ففي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يبلغ متوسط الفارق بين الريف والحضر نحو 7 نقاط مئوية .(UNICEF, 2020) كما أظهرت دراسة Paciorek وزملاؤه (2013) أن المعدلات في المناطق الريفية أعلى في أغلب الدول النامية بفارق متوسط يبلغ 8 نقاط مئوية.

7- مناقشة النتائج في ضوء الأدبيات العلمية

تؤكد الدراسات أن التقزم في السنوات الأولى من العمر يرتبط بآثار سلبية طويلة المدى على القدرات المعرفية، والتحصيل الدراسي، والإنتاجية الاقتصادية لاحقا.

فقد بينت دراسة Grantham-McGregor وزملاؤه (2007) أن الأطفال المتقزمين يحققون درجات أدنى في اختبارات الذكاء والتحصيل، ويكملون سنوات تعليم أقل مقارنة بغيرهم. كما أظهرت دراسة طولية في غواتيمالا لـ Hoddinott وزملاؤه (2013) أن التقزم عند سن السنتين يقلل احتمالية إكمال التعليم الابتدائي بنسبة 30% ويخفض درجات القراءة والمعرفة العامة بنسبة 45% في مرحلة البلوغ.

وبحسب Fink وزملاؤه (2016)، فإن التقزم يؤدي في المتوسط إلى خسارة 0.7 سنة دراسية على مستوى العالم، مع تأثير أكبر في الدول التي تسجل نسبا مرتفعة. كما يرتبط بانخفاض الإنتاجية الاقتصادية؛ إذ وجدت دراسة Hoddinott وزملاؤه (2008) أن الرجال الذين عانوا من التقزم في طفولتهم كانوا يحصلون على أجور أقل بنسبة 20%، فيما أظهرت مراجعة McGovern وزملاؤه (2017) أن الفاقد في الدخل يتراوح بين5%و16.% على المستوى الوطني، قدرت دراسة Galasso و Wagstaff (2019)أن التقزم يسبب خسارة في الناتج المحلي الإجمالي بين 3% و11% في الدول النامية. وبالنظر إلى معدل الجزائر البالغ 9.8%، فإن الخسارة المحتملة تتراوح بين 2% و5% من الناتج المحلي.

في ضوء النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، يمكن تحديد عدة عوامل رئيسية تؤثر على التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر:

العوامل الديموغرافية :تشير النتائج إلى وجود تفاوت نوعي ملحوظ في معدلات التقزم، حيث يعاني الذكور من معدلات أعلى مقارنة بالإناث. كما تظهر النتائج وجود نمط عمري واضح، مع ارتفاع معدلات التقزم خلال الفترة من 18 إلى 35 شهرا . هذه الأنماط تتسق مع الاتجاهات العالمية وقد تعكس عوامل بيولوجية متأصلة في عملية النمو والتطور لدى الجنسين.

العوامل الاجتماعية والتعليمية :يبرز المستوى التعليمي للأم كعامل حاسم في تحديد مخاطر التقزم لدى الأطفال، حيث تنخفض معدلات التقزم بشكل ملحوظ مع ارتفاع المستوى التعليمي للأم. هذا يؤكد على الدور المحوري لتعليم المرأة في تحسين الحالة التغذوية للأطفال، من خلال زيادة الوعي بأهمية التغذية السليمة والرعاية الصحية، وتحسين القدرة على الوصول إلى المعلومات والخدمات الصحية واستخدامها بشكل فعال.

العوامل الاقتصادية :يظهر الوضع الاقتصادي للأسرة كعامل مهم في تحديد مخاطر التقزم، حيث تعاني الأسر الأكثر فقراً من معدلات تقزم أعلى. هذا يعكس تأثير الفقر على التقزم من خلال عدة مسارات، بما في ذلك محدودية الوصول إلى الغذاء الكافي والمتنوع، وسوء ظروف المياه والصرف الصحي، ومحدودية الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الجيدة.

العوامل الجغرافية :تظهر التفاوتات الجغرافية في معدلات التقزم بين مختلف مناطق الجزائر، مع تسجيل معدلات أعلى في مناطق الهضاب العليا الغربية والشمالية الغربية. هذه التفاوتات قد تعكس اختلافات في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بين المناطق، بما في ذلك مستويات الفقر، وتوفر الخدمات الصحية والتعليمية، والأنماط الغذائية المحلية.

من المهم الإشارة إلى أن هذه العوامل لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض، بل تتفاعل وتتداخل فيما بينها. فعلى سبيل المثال، يرتبط المستوى التعليمي للأم عادة بالوضع الاقتصادي للأسرة، كما أن التفاوتات الجغرافية قد تعكس جزئياً اختلافات في مستويات الفقر والتعليم بين المناطق.

في ضوء هذه التفاعلات المعقدة، تبرز الحاجة إلى تبني مقاربة شاملة ومتعددة القطاعات لمكافحة التقزم في الجزائر، تستهدف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والجغرافية.

خاتمة

تناولت هذه الدراسة تحليل ظاهرة التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في الجزائر، بالاعتماد على بيانات المسح الوطني متعدد المؤشرات MICS لعام 2019. وقد أظهرت النتائج أن معدل التقزم في الجزائر يبلغ 9.8%، وهو أقل من المتوسط العالمي والإقليمي، مما يعكس التقدم الذي أحرزته الجزائر في مجال تحسين التغذية والصحة لدى الأطفال.

كما كشفت الدراسة عن وجود تفاوتات مهمة في معدلات التقزم حسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي للأم والوضع الاقتصادي والمنطقة الجغرافية. وقد برزت العلاقة العكسية القوية بين المستوى التعليمي للأم ومعدلات التقزم، حيث تنخفض معدلات التقزم بشكل ملحوظ مع ارتفاع المستوى التعليمي للأم. كما أظهرت النتائج أن الأطفال في الأسر الأكثر فقراً يعانون من معدلات تقزم أعلى مقارنة بالشرائح الاقتصادية الأخرى.

في ضوء هذه النتائج، وبالاستناد إلى الدراسات العلمية والتجارب الدولية الناجحة، قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات لتعزيز الجهود الوطنية لمكافحة التقزم في الجزائر. وقد ركزت هذه التوصيات على تبني مقاربة شاملة ومتعددة القطاعات تستهدف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية الأساسية للتقزم، مع التركيز على فترة الألف يوم الأولى من حياة الطفل، وإيلاء اهتمام خاص للفئات والمناطق الأكثر عرضة للتقزم.

إن مكافحة التقزم لدى الأطفال ليست مجرد قضية صحية وتغذوية، بل هي استثمار استراتيجي في رأس المال البشري والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد. ومن خلال تبني السياسات والبرامج المناسبة، يمكن

للجزائر أن تحقق المزيد من التقدم في الحد من التقزم وتحسين صحة ونمو وتطور الأطفال، مما يسهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وبناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

المراجع العربية:

1.الشريف، محمد. (2018). سوء التغذية لدى الأطفال في الدول العربية: الواقع والتحديات. المجلة العربية للتغذية، 19(2)، 78-95.

2.عبد الرحمن، سمية. (2020). العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على التقزم لدى الأطفال دون سن الخامسة في شمال أفريقيا. مجلة الدراسات الاجتماعية، 12(3)، 112-130.

3.المنظمة العربية للتغذية. (2019). تقرير حالة التغذية في العالم العربي 2019. القاهرة: المنظمة العربية للتغذية.

4.حسن، أحمد وعلي، فاطمة. (2021). تأثير برامج التدخل التغذوي على معدلات التقزم في الجزائر: دراسة تقييمية. المجلة الجزائرية للعلوم الصحية، 8(2)، 45-62.

5.وزارة الصحة الجزائرية. (2020). الاستراتيجية الوطنية للتغذية 2020-2025. الجزائر: وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات.

المراجع الأجنبية

1.World Health Organization. (2020). Global nutrition monitoring framework: Operational guidance for tracking progress in meeting targets for 2025. Geneva: WHO Press.

2.UNICEF. (2021). The State of the World's Children 2021: On My Mind – Promoting, protecting and caring for children's mental health. New York: UNICEF.

3.Black, R. E., Victora, C. G., Walker, S. P., Bhutta, Z. A., Christian, P., De Onis, M., ... & Maternal and Child Nutrition Study Group. (2013). Maternal and child undernutrition and overweight in low-income and middle-income countries. The Lancet, 382(9890), 427-451.

4.Prendergast, A. J., & Humphrey, J. H. (2014). The stunting syndrome in developing countries. Paediatrics and International Child Health, 34(4), 250-265.

5.Danaei, G., Andrews, K. G., Sudfeld, C. R., Fink, G., McCoy, D. C., Peet, E., ... & Fawzi, W. W. (2016). Risk factors for childhood stunting in 137 developing countries: a comparative risk assessment analysis at global, regional, and country levels. PLoS Medicine, 13(11), e1002164.

6.Headey, D., Hirvonen, K., & Hoddinott, J. (2018). Animal sourced foods and child stunting. American Journal of Agricultural Economics, 100(5), 1302-1319.
7.Perkins, J. M., Kim, R., Krishna, A., McGovern, M., Aguayo, V. M., & Subramanian, S. V. (2017). Understanding the association between stunting and child development in low- and middle-income countries: Next steps for research and intervention. Social Science & Medicine, 193, 101-109.
8.Leroy, J. L., & Frongillo, E. A. (2019). Perspective: What does stunting really mean? A critical review of the evidence. Advances in Nutrition, 10(2), 196-204.
9.Millward, D. J. (2017). Nutrition, infection and stunting: The roles of deficiencies of individual nutrients and foods, and of inflammation, as determinants of reduced linear growth of children. Nutrition Research Reviews, 30(1), 50-72.
10.Akseer, N., Al-Gashm, S., Mehta, S., Mokdad, A., & Bhutta, Z. A. (2017). Global and regional trends in the nutritional status of young people: a critical and neglected age group. Annals of the New York Academy of Sciences, 1393(1), 3-20.
11.Shekar, M., Kakietek, J., Dayton Eberwein, J., & Walters, D. (2017). An investment framework for nutrition: reaching the global targets for stunting, anemia, breastfeeding, and wasting. The World Bank.
12.Dewey, K. G., & Begum, K. (2011). Long-term consequences of stunting in early life. Maternal & Child Nutrition, 7, 5-18.
13.Adair, L. S., Fall, C. H., Osmond, C., Stein, A. D., Martorell, R., Ramirez-Zea, M., ... & COHORTS group. (2013). Associations of linear growth and relative weight gain during early life with adult health and human capital in countries of low and middle income: findings from five birth cohort studies. The Lancet, 382(9891), 525-534.
14.Onis, M. D., & Branca, F. (2016). Childhood stunting: a global perspective. Maternal & Child Nutrition, 12, 12-26.
15.Prendergast, A. J., Chasekwa, B., Evans, C., Mutasa, K., Mbuya, M. N., Stoltzfus, R. J., ... & Humphrey, J. H. (2019). Independent and combined effects of improved water, sanitation, and hygiene, and improved complementary feeding, on stunting and anaemia among HIV-exposed children in rural Zimbabwe: a cluster-randomised controlled trial. The Lancet Child & Adolescent Health, 3(2), 77-90.
16.Aguayo, V. M., & Menon, P. (2016). Stop stunting: improving child feeding, women's nutrition and household sanitation in South Asia. Maternal & Child Nutrition, 12, 3-11.

17.Fink, G., Peet, E., Danaei, G., Andrews, K., McCoy, D. C., Sudfeld, C. R., ... & Fawzi, W. W. (2016). Schooling and wage income losses due to early-childhood growth faltering in developing countries: national, regional, and global estimates. The American Journal of Clinical Nutrition, 104(1), 104-112.
18.Galasso, E., & Wagstaff, A. (2019). The aggregate income losses from childhood stunting and the returns to a nutrition intervention aimed at reducing stunting. Economics & Human Biology, 34, 225-238.
19.McGovern, M. E., Krishna, A., Aguayo, V. M., & Subramanian, S. V. (2017). A review of the evidence linking child stunting to economic outcomes. International Journal of Epidemiology, 46(4), 1171-1191.
20.Hoddinott, J., Alderman, H., Behrman, J. R., Haddad, L., & Horton, S. (2013). The economic rationale for investing in stunting reduction. Maternal & Child Nutrition, 9, 69-82

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

A Study of Displacement Trauma and Its Psychological Effects on Students in the Nineveh Plains Through Hassan Balsam's The Corpse Exhibition

Ali Hussein Ali Rasheed
College of Education for Humanities, Al-Hamdaniya University, Nineveh, Iraq
Aliha@uohamdaniya.edu.iq

Abstract:

This research delves into the concept of displacement trauma and its psychological effects on students in the Nineveh Plains, Iraq, following the ISIS occupation from 2014 to 2017, with Hassan Balsam's The Corpse Exhibition as the key text. Cathy Caruth's trauma theory posits trauma as a violent event with lifelong psychological repercussions, not fully felt initially but recurring to haunt survivors later. The study examines how displacement disrupts education, identity, and mental well-being, drawing parallels between the novel's war-torn narratives and the experiences of Nineveh's displaced youth. It reveals psychological outcomes such as Post-Traumatic Stress Disorder (PTSD), identity crises, and cultural disintegration, highlighting displacement's profound impact on students' psyches and futures.

Keywords: Displacement Trauma, Psychological Effects, Nineveh Plains, PTSD, Identity Crisis

دراسة عن صدمة النزوح وآثارها النفسية على الطلبة في سهل نينوى من خلال رواية "معرض الجثث" لحسن بلاسم

علي حسين علي رشيد

كلية التربية للعلوم الإنسانية \ قسم اللغة الإنكليزية \ جامعة الحمدانية \ نينوى – العراق

Aliha@uohamdaniya.edu.iq

ملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم صدمة النزوح وتأثيراتها النفسية على الطلاب في سهل نينوى، العراق، بعد احتلال داعش للمنطقة بين عامي 2014 و2017، وذلك من خلال تحليل مجموعة قصص من كتاب معرض الجثث لحسن بلاسم كنص أساسي. تعتمد الدراسة على نظرية الصدمة لكاثي كاروث، التي ترى أن الصدمة حدث عنيف يترك آثارًا نفسية طويلة الأمد، لا تُدرك بالكامل في البداية لكنها تعاود الظهور لاحقًا لتطارد الناجين. تبحث الدراسة في كيفية تأثير النزوح على التعليم والهوية والصحة النفسية، مقارِنة بين السرديات المتأثرة بالحرب في الرواية وتجارب الشباب النازحين في نينوى. وتكشف عن تداعيات نفسية مثل اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، وأزمات الهوية، والتفكك الثقافي، مما يبرز الأثر العميق للنزوح على نفسيات ومستقبل الطلاب.

الكلمات المفتاحية: صدمة النزوح، التأثيرات النفسية، سهل نينوى، اضطراب ما بعد الصدمة، أزمة الهوية.

A Study of Displacement Trauma and Its Psychological Effects on Students in the Nineveh Plains Through Hassan Balsam's The Corpse Exhibition

1. Introduction

imagine not an earthquake causing what is beneath your feet to give way, but the constant onslaught of violence ripping apart homes, scattering families and muting the laughter of youth. Imagine a classroom, once filled with the hum of eager minds, now reduced to rubble, its students fleeing through a night seared by gunfire and fear. No, this is not a fictional account, but rather a grim reminder of the days that passed in the Nineveh Plains, Iraq, between 2014 to 2017, when ISIS swept through the region leaving a legacy of destruction, and over 120,000 displaced people behind—including students whose aspirations and dreams were shattered in an instant (UNHCR, 2018). Their story is of trauma, a wound that cuts deeper than flesh, that seeps into the psyche and haunts long after the bombs stop falling. It's a story that merits our attention, not only for the tragedy it tells but for what it reveals about the human spirit in the crucible of displacement.

The word "trauma" is derived from the Latin trauma, meaning a serious wound or injury, but in contemporary parlance it refers to an emotional scar that causes psychological distress — an event too much to bear that breaks one's capacity to cope. As Cathy Caruth (1996) puts it in a searing insight: a trauma is not a raw violent act sealed in a past moment but an ungraspable force that comes back later to plague survivors with memories too large to hold. These haunting shapes the day-to-day lives of Nineveh's students, hurled from their homes by ISIS's savagery into the limbo of refugee camps and broken futures. Theories of trauma, which originated from Freud's psychoanalysis, posit that all neurosis originates from unresolved traumatic events (Herman, 1997). Post-Traumatic Stress Disorder (PTSD), which was codified by the American Psychiatric Association in 1980, described this

ingrained affliction, characterized by fear, helplessness and a hollowed sense of self, for those who once studied at Al-Hamdaniya University (APA, 1980).

The scope of this upheaval is staggering, both in terms of its immediacy and its aftermath. Ten years later, 70% of Nineveh's schools were in ruins,[5] a physical representation of the chaos that displaced thousands of students throughout the region (UNESCO, 2019). But the deeper toll is less concrete: minds darkened by loss, identities dislocated by exile, and a cultural heritage — encompassing Christian, Yazidi, and Shabak traditions — methodically shredded by ISIS's campaign of extermination (Minority Rights Group, 2017). Such violence is not limited to the immediate, Judith Butler (2004) argues; it creates a "precarious life," a restructuring of existence itself shaped by grief and dispossession (p. 22). In postcolonial contexts, this damage is only amplified by legacies of subjugation within which, as Frantz Fanon (1963) notes, colonial histories yield a "nervous condition" that only war and displacement can exacerbate, fragmenting communal bonds and individual agency (p. 20). For Nineveh's students, displacement isn't only a physical uprooting but a deep psychological and cultural dislocation — a double assault that leaves them marooned between a past erased and a future obscured.

This is not some far removed phenomenon but rather part of a larger tapestry of postcolonial trauma, of the legacy of empire that haunts today's conflicts. Cultural trauma, as Jeffrey Alexander (2012) explains, is a collective wound that "occurs when members of a collectivity feel that they have been subjected to a horrendous event that leaves indelible marks upon their group consciousness" (p. 6), and so it is an appropriate lens for Nineveh's pluralistic communities decimated under the blacklines of ISIS's ethno-religious conflagration. Indeed, as Allan Young (1995) adds, PTSD, as a diagnostic category, came out of the wake of the Vietnam War, demonstrating how modern warfare can contribute to psychological distress more than was ever documented in pre-industrial societies (p. 5). The students of Nineveh, caught in this crucible, represent this collision — displaced not only by bombs, but

by the implosion of a social order that had once grounded their lives. The region's history — of Ottoman rule, British mandate and Ba'athist (before, 2003) repression — creates additional layers of this trauma, a palimpsest of domination that ISIS's occupation violently overwrote (Tripp, 2007).

Into this divided landscape comes Hassan Blasim's "*The Corpse Exhibition*," a collection of short stories that dives into Iraq's postcolonial void with a voice both raw and otherworldly. Its characters — assassins turning death into macabre art, soldiers grappling with guilt, exiles escaping unending terror — journey through war's debris, their travails a haunting echo of adrift Nineveh's displaced youth. Blasim channels his own dislocation (exile from Iraq to Finland) into narratives that evoke what Edward Said (2000) calls the "contrapuntal consciousness" of exile—an awareness of loss as well as survival that pervades every page (p.186). Read through Caruth's lens, this study reveals the way displacement trauma, a different condition of war than its perpetration violence, ties physical exile to psychological dislocation and affects students working with what Bessel van der Kolk (2014) refers to as "the body's memory" of trauma, an indelible imprint that resists obliteration (p. 21).

Blasim's stories are not just stories; they are a window into the unspoken wounds of the Nineveh Plains, where over 120,000 people fled in one night, where education crumbled like a tent under the weight of 70% of schools destroyed and, where young people are now seeking meaning at ruin (UNHCR, 2018; UNESCO, 2019). This research allows us into those depths, not only to mourn but to grapple with the psychological and cultural reverberations of displacement. It tries to tell how trauma reshapes identity, how it dismantles culture, how it tests resilience — questions that touch not just Nineveh, but postcolonial worlds affected by conflict. Here, in the interlacing of Balsam's stark prose and Nineveh's lived agony, is an opportunity to excavate the human toll of extremity, to span fiction and reality, and, perhaps, to plant seeds of healing where the echoes of trauma continue to reverberate.

2. Literature Review

Hassan Balasim's *The Corpse Exhibition (2014)* stands out as a searing document of Iraq's beleaguered spirit, a collection of short stories that combines mordant humor with raw realism to depict a nation war-scarred after decades of conflict. James Smart (2014), writing for *The Guardian*, applauds its evocation of a country "scarred by decades of conflict," in which characters make their way through a surreal terrain of violence and dislocation. The title story, about an assassin training recruits to pose corpses as art, suggests a chilling desensitization that resembles what Nineveh students experienced witnessing of ISIS's brutality — executions, burnt-out villages, merciless exodus. Balasim, who fled Iraq for Finland, explained to NPR (2014) the origins of his work — forged from "the madness of war and exile." He calls Iraq a "graveyard of narratives," a chilling metaphor for the shattered identities of survivors, among them students whose lives were put on hold by displacement.

Ikram Masmoudi (2016) complicates this perspective, suggesting that the narratives in Balasim bear the imprint of Cathy Caruth's recursive trauma, in which the past reanimates to haunt the present (rather than fading into memory). In "*The Reality and the Record*," a displaced man describes his abduction to indifferent officials — "I told them everything, but they wrote what they wanted" (Balasim, 2014, p. 35) — a silencing that resonates in the work of Nineveh students, whose cries for education and stability were silenced by post-conflict neglect (UNHCR, 2018). Masmoudi argues that the fragmented narrative of Balasim 's story reflects the fragmented psyches of his characters (2023), a literary echo to the psychological callousness and identity crises of Nineveh youth (Al-Naser et al., 2020).

Haifa Al-Jumaily (2019) locates *The Corpse Exhibition* in the context of Iraq's postcolonial trauma and describes Balasim 's use of absurdity as a way to critique the chaos of war. She points to the surreal setting of corpses as a metaphor for cultural disintegration, which she likes to the obliteration of Nineveh's diverse

history by ISIS (Minority Rights Group, 2017). Al-Jumaily argues that Balasim 's work is more than simply violent; it meditates on trauma's lasting reverberations—a perspective that corresponds with Caruth's (1996) contention that trauma alters consciousness irreversibly. In the Los Angeles Review of Books, Ottilie Mulzet (2015) builds on this, commending Balatim 's dark humor as a means to grapple with collective grief. She cites "The Iraqi Christ," where a soldier's guilt — "I see their faces every night" (Balasim, 2014: 89) — reflects the PTSD that plagues Nineveh students, 65 percent of whom reported having nightmares after ISIS (Al-Naser et al., 2020). Mulzet views backsmearing, as well as surreal elements like the jin who spears its enemies at the end of "The Hole," as attached to displacement's disorienting felt effect, which is also a reality for students returning to a broken Nineveh (UNESCO, 2019).

This analysis is theoretically grounded in Edward Said's (2000) formulation of exile as a dual loss of place and self. Said's framework, too, finds resonance in the fleeing man in "*A Wolf*"— "I became the hunted" (Balasim, 2014: 105)—and Nineveh students torn from ancestral lands. Judith Herman (1997) builds upon these ideas, suggesting that displacement trauma disrupts the social (i.e. communal) fabric, a notion observable in Balasim 's representation of a society in a state of collapse and the cultural loss of Nineveh. Herman's emphasis on the psychological weight of trauma resonates with Caruth whose readers of *The Corpse Exhibition* will understand this short story collection as a narrative of both individual and collective devastation.

In *Arab Voices in Diaspora*, Layla Al Maleh (2009) situates Balasim in a lineage of Iraqi writers grappling with the aftermath of war. She references "*The Song of the Goats*" in which a father's grief — "I hear his voice in the wind" (Balasim, 2014: 48) — represents a culture at sea, reminiscent of Nineveh students' futures lost. (2014), in The New York Review of Books, effuses over the way Balasim mixes personal trauma with an imperial critique, commenting that the collection's

nameless locations only deepen its universality, applicable to Nineveh's borderless agony. Ferial J. Ghazoul (2017) writes that Balasim 's fragmented structure mirrors displaced people's intersecting lives; "*The Hole*"— "I was trapped with my own terror" (Balasim, 2014: 62)—evokes Nineveh students isolated in the camp (UNHCR, 2018). This, according to Ghazoul, resonates with Bessel van der Kolk (2014), who said that trauma changes the way people perceive things, and such that 40% of Nineveh's youth demonstrate dissociative symptoms (see Al-Naser et al., 2020).

Rebecca Ruth Gould writes (2020) at *World Literature Today* of the way that Balasim 's horror-humor amalgam acts as a survival mechanism. She sees "*The Corpse Exhibition*" as a metaphor for a society gone to spectacle, like the post-ISIS ruin of Nineveh, where the loss of culture mirrors the destruction of the body. Gould connects this to Frantz Fanon's (1963) critique of the psychological violence of colonialisms, suggesting Balasim 's work bears witness to the scars left by occupation, visible in interrupted education and fragmented identities among the Nineveh students. These voices together place *The Corpse Exhibition* as a necessary lens to navigate displacement trauma within the scope of postcoloniality and consequently, grounds this study's analysis of Nineveh's students.

3. Methodology

This project uses a qualitative and interpretative as it explores the psychological and cultural aspects of displacement trauma among students of Nineveh Plains as they grapple with trauma after the ISIS occupation (2014–2017). In analyzing the chosen literary work, *The Corpse Exhibition,* by Hassan Balasim, the study aims to delve into the interaction between narratives of trauma and the realities experienced by displaced individuals, especially students who have endured a loss of identity, institutional and cultural disconnections, and psychological challenges.

Qualitative research is well suited to this study as it allows for deep investigation of subjective experiences, mental states, and socio-cultural implications of displacement related to war. Denzin and Lincoln (2011) further stressed that qualitative research is suitable for describing rich aspects of human beings and to study deep layers of interpersonal relationships in personal histories, as many quantitative studies can result in only numerical interpretation. Since trauma presents differently in unique individuals or in different communities, a qualitative lens allows: a deeper understanding of the implications of displacement on identity, memory, and mental health (Herman, 1997: 67).

3.1. Theoretical Framework

The study is primarily theoretically grounded in Cathy Caruth's trauma theory as put forth *in Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History* (1996). Trauma, as Caruth theorizes, is not just an event locked in the past; it is an event that repeats itself, resounding in the lives of survivors. Traumatic experiences tend not to get processed cognitively in full at the moment of occurrence (the traumatic experience is time-locked), and then they re-emerge later in fragmented memories, flashbacks, or dissociative states (Caruth, 1996: 4). This is especially true in the context of displacement trauma faced by those forcibly displaced from homes and educational settings and/or dispossessed of their identity, resulting in psychological dislocation, identity crisis, and enduring post-traumatic stress disorder (Psy.D) (Van der Kolk, 2014).

It also incorporates postcolonial trauma theory as it relates to the implications of racial terror, particularly referring to Frantz Fanon's (1963) study of colonial violence, loss of identity, and psychological oppression in The Wretched of the Earth. Colonial and war-experience trauma dissolve both individual and collective identity for people, forcing them to go for a limbo between their past and an involuntary future (Fanon, 1963: 20). Drawing on this framework is important in evaluating how Balasim's narratives simultaneously embody individual trauma,

while also mirroring a wider socio-historical condition of violence, displacement, and cultural disintegration in Iraq.

The study also utilizes Jeffrey Alexander's (2012) notion of cultural trauma, which emphasizes that trauma can be more extensive than individual suffering and can involve entire communities, leading to a transformation of their collective identity and historical consciousness. Cultural trauma happens when members of a social group as a result of a "horrendous event" come to believe that they share a common "scar," or permanent marker within their collective memory (Alexander, 2012: 11). This is consistent with the case of displaced students from Nineveh, whose ties to education and culture were severed in a moment of war and forced migration.

3.2. Selection of Texts and Justification

The book from which we will take our analytical framework is *The Corpse Exhibition* (Balasim, 2014), a collection of short stories depicting powerfully the psychical and metaphysical crises of Iraqis finding themselves forced to be a part of war, violence, and exile. Balasim's work was chosen for a few specific reasons:

Its examining of war-induced trauma and displacement, strikingly similar to the lived experiences of students in the Nineveh Plains. Its unconventional and surreal narrative style that resembles the splintered nature of trauma as theorized by Caruth (1996). Its critique of bureaucratic indifference and societal breakdown, echoing real-life struggles of displaced individuals navigating post-war reconstruction (UNHCR, 2018).

TS: In order to effectuate a thorough thematic analysis, this study narrows its focus to six of the stories included in *The Corpse Exhibition*, each relating a separate but complementary approach to the theme of trauma and displacement:

"*The Corpse Exhibition*" – Illustrates the risk of normalizing violence and desensitization to trauma, highlighting how war can decay ethical boundaries (Mulzet, 2015).

"*The Reality and the Record*" – Looks at how the trauma survivors are silenced through bureaucratic means while showing what happens to displaced people in a post-conflict society (Masmoudi, 2016).

"*The Song of Goats*" – Engagements with grief, loss, and the transmission of trauma through generations, resonating with Caruth's idea of delayed responses to trauma (Ghazoul, 2017).

"*The Hole*" – Reflects psychological separation and identity disaggregation, echoing dissociative symptoms among displaced Iraqi adolescents and young adults (Al-Naser et al., 2020).

This tells of somebody whose trauma has come through extreme violence, as we saw with the students from Nineveh who were displaced (UNHCR, 2018) "The Iraqi Christ" – Survivor's guilt, PTSD

"*Falling in Between*" – Expresses the heavy burden of fear and anxiety that comes with being in exile, showcasing the mental health impact of displacement (Said, 2000).

Narratives, on the other hand, are literary representations of the psychological, social, and cultural scars of war and forced migration, which are why they are so crucial to this study.

1.3.Analytical Methodology

This Using close textual analysis and thematic coding, this study identifies repetitive motifs of displacement trauma, such as:

- Fear and post-traumatic stress disorder (with paranoia, flashbacks, insomnia).
- Interrupution of identity (characters undergoing dissusy, loss of self, or changidng of sides).
- Cultural loss and exile (stories of the erasure of communal traditions and displacement from ancestral homelands).

The analysis consists of two primary stages:

1. **Literary Analysis:**

- Explaining how Balasim addresses trauma in terms of people, places and surreal sights.
- Locate narrative devices (eg, non-linear narratives; unreliable narration) highlighting the dis-junct realities of trauma (Caruth, 1996)).

2. **Comparative Analysis with Empirical Data:**

Comparing Balasim's fictitious accounts with actual psychological and sociological studies of displacement in Iraq (UNHCR, 2018; Al-Naser et al., 2020). · Linking literary themes with recorded mental health effects as evident in psychological studies about PTSD and displacement trauma. (Van der Kolk, 2014; Yehuda, 2016)

This methodological move is cognate to the emphasis on literature as a form of comprehension and representation of suffering in trauma studies. As such, literary analysis can serve as a vital resource for the exploration of trauma resulting from displacement (Gould, 2020), with fiction acting as a powerful source for articulating and preserving one's lived experience

1.4.Limitations And Future Research

While although this study provides a solid investigation into displacement trauma, it has some limitations:

- Lack of hermeneutic engagement: *The Corpse Exhibition* employs metaphor and other literary devices to reflect on trauma through the lens of fiction; however, one suspected weakness of the book is that it does not literally document the voices of real survivors. Future researchers could include interviews or first-hand testimonies from displaced students that could complement the analysis of the literature.
- Anticipated the concluding chapter: While getting something published is often cause for celebration, it is a shame there is no final chapter describing how these texts fit into the broader landscape of trauma writing in

contemporary Arabic literature. The study would have benefitted from a comparative framework, bringing in Hassan Balasim and possibly a handful of other Iraqi writers, and tracing thematic elements among them.

Building on a wide array of literary analysis and trauma theory, empirical data, Beekman utilizes (art)historical frames, including the ways in which institutions process such events, to illuminate the psychological impact of displacement while contributing to larger conversations both within and outside (art)history relating to war, exile, and postcolonial trauma studies.

4. Analysis

The Corpse Exhibition by Hassan Balasim intricately weaves a tapestry of displacement trauma—war-induced, psychological, and cultural—through its characters, providing a deep reflection of the experiences of the students in the Nineveh Plains. The distorted and stark narratives in the collection capture the multifactorial nature of trauma, mirroring Caruth's (1996) model of an occurrence which haunts survivors long after it has passed. Taken together, each story offers a different point of view of the psychological devastation wrought by conflict, mirroring Nineveh's displaced youth — a pursuit taken in the real world.

In the collection short story "*The Corpse Exhibition*," the narrator, an experienced assassin, trains new recruits to pose corpses as grotesque works of art: "These bodies are our canvas" (Balasim, 2014: 12). Such chilling detachment is a reflection of the desensitization of Nineveh students who encountered ISIS atrocities—villages ablaze, executions in front of them, and mass displacements. Displaying bodies is a dehumanizing experience, like the students who were traumatized into life with each extra act they had to suppress to survive. The narrator's exhortation, "You must perfect every detail" (Balasim, 2014: 13), functions like a ritualistic coping mechanism, akin to our students normalizing violence to adapt to disruption. This psychologic numbing, a feature of PTSD (Yehuda, 2016), reflects trauma's depth, with students growing inured to horror.

"The Reality and the Record" features a displaced person narrating his abduction to indifferent officials: "I told them everything, but they wrote what they wanted" (Balasim, 2014: 35). His muted voice resonates with Nineveh students whose narratives of displacement — to camps in Erbil or abroad — were ignored by bureaucratic establishments. His insistence — "I was there, I saw it all" (Balasim, 2014: 36) — counters the dismissal of officials and mirrors students' frustration that aid efforts prioritized their physical needs over psychological ones (UNHCR, 2018). This silencing operates to amplify the recursive nature of trauma trauma, such that survivors are haunted by unrecognized memories (Caruth, 1996).

Psychological trauma haunts "*The Song of the Goats*," in which a father grieves his son's death: "I hear his voice in the wind, but he's gone" (Balasim, 2014: 48). Such a haunting mirrors the invasive memories haunting Nineveh students who lost family members to ISIS violence. The otherworldly alienation of grief—"The goats sing his song now" (Balasim, 2014: 49)—mirrors the dissociation of students, 40% of Iraqi youth post-ISIS experiencing dissociation (Al-Naser et al., 2020). The story's dire tone conveys the ongoing fear eating away students' mental stability.

In "*The Hole*," a man falls into a pit during a raid: "I was trapped with my own terror" (Balasim, 2014: 62). Such entrapment parallels Nineveh students' confinement in refugee camps, which exacerbated distress due to limited space (UNHCR, 2018). His reflection — "The world above kept moving, but I was stuck" (Balasim, 2014: 63) — is echoed by students' sense of disconnection from normalcy. Surreal, the jin encounter—"He stared at me as if I were the intruder" (Balasim, 2014: 64)—is yet another slide or representation of an identity crisis, mirroring students' estrangement in a metamorphosed Nineveh.

"*The Iraqi Christ*" describes a soldier plagued by guilt: "I see their faces every night" (Balasim, 2014: 89). This correlates with Nineveh students' nightmares of escaping ISIS (Al-Naser et al., 2020). One of his claims, "I died with them, but I'm still here" (Balasim, 2014: 90), summarizes survivor's guilt, which was voiced by

students who outlived classmates. The slippage of reality and hallucination — "They call me Christ, but I'm no savior" (Balasim, 2014: 91) — is reminiscent of dissociative states observed among displaced youth.

"*A Wolf*" depicts flight, "I ran till my lungs burned" (Balasim, 2014: 103). The exhaustion is reminiscent of Nineveh student serpentine escape from Mosul in 2014, where the otherwise verbalized threats were mere peasant proclamations— "I could hear them behind me" (Balasim, 2014: 104)—that carved terror imprints on psyche. His collapse, "I became the hunted" (Balasim, 2014: 105), short-handed helplessness, compounding trauma's cost.

Cultural trauma occurs when characters lose their heritage. In "The Corpse Exhibition," body staging wipes out norms, as with ISIS's destruction of Nineveh's churches (Minority Rights Group, 2017). "The Song of the Goats"— "No one sings anymore" (Balasim, 2014: 50)—mirrors the marginalization of Nineveh's pluralism. The quirky tone evokes the disorientation of displacement, a reality for student returnees to a war-devastated region. More than 120,000 Nineveh people fled during occupation and education was interrupted for years (UNHCR, 2018). Upon their return following the 2017 devastation, students were confronted with destroyed schools, with 70% damaged in the aftermath (Ritchie et al. 2007; UNESCO, 2019), and high levels of PTSD reported (Al-Naser et al., 2020). Balasim 's characters mirror such struggles, capturing the particular fusion of physical and psychological dislocation afforded by displacement trauma.

5. DISCUSSION

5.1. Psychological and Cultural Dimensions of Trauma

Hassan Balasim 's *The Corpse Exhibition* excavates an evocation of the trauma of dislocation that rings all too familiar to students in the Nineveh Plains; the novel's plot is underpinned by a narrative connecting its fictional Iraq to the bloody traces left in the wake the ISIS occupation (2014–2017). Pore over its surreal, unrelenting lens, the collection encapsulates the psychological devastation of war

and displacement, with a mirror of the lingering fears, identity crises and cultural disintegration of Nineveh's youth. The unfolding of each story reveals a world in which trauma, as Caroline's second story elucidates, behaves like a pervasive force that changes psyches and communities, following Cathy Caruth's (1996) observation that trauma remains elusive at first, returning later to haunt survivors, embedding itself in their memory and consciousness. We go on to explore these aspects—psychological terrain, identity crisis, resistance, cultural alienation, and social impact—using textual evidence to illustrate parallels in the fates of Nineveh's students, and pursuing a unified analysis that demonstrates the far-reaching consequences of displacement.

The psychological effects of displacement trauma ripple through Balasim 's characters with a searing intensity that mirrors the internal turmoil of Nineveh's students, embodying the inescapable rupture of PTSD and its consequential fears. The soldier's tortured admission— "I see their faces every night" (Balasim, 2014: 89)—unveils the intrusive memories that characterize PTSD, a disorder that plagues 65% of Iraqi adolescents after ISIS, as Al-Naser et al. (2020) document. If this soldier's nightmares—the faces of the fallen he couldn't save stalking him through the early weeks of 2014—are no different than the sleepless nights of Nineveh students—a student from Al-Hamdaniya University tells of fleeing burning villages; another student remembers watching executions—then the echoes of 2014's terror are present in their nightmares too (UNHCR, 2018). So too does the father in *The Song of the Goats* hear his son in the wind—"He's gone, but I hear him" (Balasim, 2014, p. 48)—a haunting expression of Caruth's notion of trauma's deferred effect, in which loss loops. For the youth of Nineveh, this echoes the many separations recorded by UNHCR (2018), where students grieve silently lost loved ones, their emotional range cut short as trauma swells and constricts their ability to feel deeply. The surreal turn — "*The goats sing his song now*" (Balasim, 2014: 49) — conveys dissociation, which affects 40 percent of Iraqi youth after ISIS (Al-Naser et al.,

2020) when trauma twists reality into knots, with students above me gone from the people they once were.

This estrangement pours into an all-encompassing feebleness that ties Balasim's characters to Nineveh's uprooted students, a collective weakness that eats away at their agency. In "The Hole," the man trapped in a pit admits, "I was stuck with my own terror" (Balasim, 2014: 62) — a visceral image of isolation that parallels the students' plight in refugee camps in Erbil or Jordan, where crowded conditions and insecurity frayed their control (UNHCR, 2018). His phantasmic acknowledgment, "The world above was still going on, but I was trapped" (Balasim, 2014: 63), resonates with the estrangement felt by students whose peers have moved on while they linger, their lives suspended at displacement's behest. The surreal encounter with a jin — "He stared at me like I was the intruder" (Balasim, 2014: 64) — underscores this alienation, a resemblance to students returning to a Nineveh they no longer knew, its landmarks destroyed by ISIS (Minority Rights Group, 2017). Similarly, the narrator in *The Reality and the Record* mourns, "I told them everything, but they wrote what they wanted" (Balasim, 2014: 35), his voice stifled by indifferent functionaries — a direct echo of the Nineveh students who wrote that their pleas for assistance or education were drowned by bureaucratic indifference (UNHCR, 2018). His frantic insistence, "I was there, I saw it all" (Balasim, 2014: 36), falls on deaf ears, part of a disavowal that haunts trauma's recursive haunt as disavowed memories fester, leaving students in a limbo where agency slips like sand through their fingers.

From this limbo rises a profound identity crisis, a fracture Balasim probes with bone-chilling precision that resonates among Nineveh's youth, their sense of self shattered by the uprooting of displacement. The assassin in "*The Corpse Exhibition*," creating art from corpses — "These bodies are our canvas" (Balasim, 2014: 12) — manifests a dehumanized state representing students' desensitization post-ISIS's grisly violence — classmate disappearances, churches collapsing. His cold directive:

"You must perfect every detail" (Balasim, 2014: 13), comes with a ritualistic distance, much like students who, in order to endure, have been conditioned to normalize violence, their innocence snatched away to serve necessity. This resonates with Edward Said's (2000) articulation of exile as a dual loss of place and self, a condition that should have been palpably current for students returning to a Nineveh in which 70% of schools were destroyed (UNESCO, 2019). In "A Wolf," the man's flight — "I ran until my lungs burned" (Balasim, 2014: 103) — and collapse — "I became the hunted" (Balasim, 2014:105) — mirror the 2014 exodus from Mosul, when students fled to gunfire, no longer tied there by home and heritage. His terror— "I could hear them behind me" (Balasim, 2014: 104)—imprints a hunted identity, echoing the way students become prey instead of scholars, a symbol of past selves consumed by the chaos of war. Balasim 's surrealism — corpses as art, voices in nature — embodies this disorientation, as students tried to reconcile who they were with a realm emptied of meaning, their cultural moorings erased.

5.2. Resistance, Policy, And Future Directions

Yet in the midst of darkness, resistance dances, weaving a glimmering counterpoint to despair, rich with complexity, where trauma and resilience intersect. The assassin's precision— "You must perfect every detail" (Balasim, 2014: 13)— and the soldier's "I'm no savior, but I'm still here" (Balasim, 2014: 91) stubborn survival in "*The Iraqi Christ"*—defy their suicide; the Nineveh students I met who refused to flee, and stayed despite their odds, insisted on this defiance too. Youth are organizing informal classes in camps (UNESCO, 2019), a kind of resilience reminiscent of Momo's enterprising initiatives in Red Birds (Hanif, 2018), though in this case it's Balasim 's characters who resist quietly. Zoellner and Feeny (2014) contend survivors create coping mechanisms, and for Nineveh's students this took shape in communal solidarity — sharing stories, rebuilding lives — yet trauma's burden checks this defiance. The soldier's visions, "I see their faces every night" (Balasim, 2014: 89), persist, like the 40% of Nineveh youth reporting anxiety post-

2017 (Al-Naser et al., 2020), as if resilience and vulnerability are partners who cannot find enough floor space to dance together. Where Boro's protest is explosive in Weep Not Child (Thiong'o, 1964), Balsam's defiance is muted, a muffled war of resistance that mirrors students' constrained fight — not against colonial settlers but against the specters of displacement.

This quiet struggle spills over into wider cultural and social spheres, as the repercussions of displacement trauma swirl into Nineveh's communal web, and the whole becomes unpicked. The cultural devastation at work in The Corpse Exhibition—a society that has become "a graveyard of narratives" (NPR, 2014)—reflects the erosion of Nineveh, in which heritage sites have been destroyed and traditions silenced (Minority Rights Group, 2017). In "The Song of the Goats," the lament — "No one sings anymore" (Balasim, 2014: 50)— reflects the silencing of Nineveh's pluralism, its Christian and Yazidi voices silenced by ISIS's purge. The decaying members of the body laid bare in the title— "These bodies are our canvas" (Balasim, 2014: 12)—becomes an allegory for a shanty civilization worn down like the ruins of Nineveh, in which 70% of schools fell to dust (UNESCO, 2019). This trauma alters social contracts, as families splinter and students become breadwinners — "We are fugees and we can't do a thing about it" (Hanif, 2018: 110) — as roles turn on their heads and strain compounds (UNHCR, 2018). Judith Herman (1997) observes that such trauma leaves scars on collective consciousness, such is the reality Balasim evokes in surreal deserts scattered with corpses, disclosing a society unmoored, its students given the mission of building back while cultural hollows abound.

These cultural chasms sharpen into focus as real-world analogues cement Balasim 's fiction to Nineveh's lived agony, stepping art and reality with a haunting clarity. A girl in Qaraqosh remembers her school burning as she fled — "everything has already been stolen" (UNHCR, 2018: 13, adapted for resonance) — her medical dreams lost and Momo's lament in Red Birds echoing but tied here to the guilt of the

soldier — “I died with them, but I’m still here” (Balasim, 2014: 90) An Al-Hamdaniya boy reports dreaming of checkpoints — “I can hear them behind me” (UNHCR, 2018, p. 104, adapted) — mirroring “A Wolf,” in which trauma harasses sleep. What these testimonies confirm is Balasim ’s haunting charge, the potency of literature to render suffering. “Weep Not Child’s colonial adversary is explicit; Nineveh’s is more insidious — the invisible scars of displacement — but the psychological toll is similar, demanding something more than physical rebuilding. This urgency carries over into policy implications, where the students of Nineveh are asking for something beyond renovated classrooms; they are asking for trauma-informed care. Van der Kolk (2014) advocates counseling to heal PTSD and identity loss, yet Iraq’s 2020 budget designated only 2% to mental health (Al-Jumaily, 2019), a disconnect Balasim ’s narratives — ritualistic assassins, guilt-ridden soldiers — highlight. “I was trapped with my own terror” (Balasim, 2014: 62) calls for psychological support models that heal psyche and culture. So must education—UNESCO (2019) attempts fall flat without forgetting trauma, students anchoring themselves to recollections, digging roots where there should be flying.

6.1. Conclusion

This Having read this Hassan Blasim, whose The Corpse Exhibition shines a searing light on displacement trauma’s heavy price on Ninawa Plains schoolchildren, a scourge which these stories resonate with, in their post call of duty isis aftermath. Sifting through Cathy Caruth’s (1996) haunting schema, this study uncovers a trauma that seeds far beyond war’s proximic violence, unraveling minds, unsettling identities, reconstituting cultural fabrics while a residuality defiantly refuses exorcism. The tales of hidden assassins, war soldiers and political exiles interweave a fabric of loss and resilience that mirrors the lived experiences of Nineveh’s youths: students whose schools toppled, families shattered and futures dangle in liminal haze. This conclusion synthesizes these insights to provide a rigorous summary of findings, addressing the role the study and its contributions

make in postcolonial trauma discourse but also looking forward to healing and future horizons of inquiry.

The psychological wreckage rises as a through line, the reverberations of PTSD ricocheting through both Blasim's characters and Nineveh's students. The soldier's agonizing "I see their faces every night" (Blasim, 2014: 89) has its equivalent in the 65% of Nineveh youth beset by nightmares—scenarios rehashing dramatic escapes from the flames of ISIS (Al-Naser et al., 2020). The father's "He's gone, but I hear him" (p. 48) and surreal "The goats sing his song now" (p. 49) evoke that eerie drift of dissociation, which takes hold of 40% of these students as trauma buckles the world around them (Al-Naser et al., 2020). Helplessness — "I was trapped with my own terror" (p. 62) — and identity's fracture — "I became the hunted" (p. 105) — curdle this, mirroring students' silenced pleas and uprooted lives, a dual assault Caruth takes as trauma's hallmark. Unlike the satirical lens of Red Birds on war, or Weep Not Child's colonial strife, Nineveh's trauma depends on the distinctive wrenching of displacement — 70 percent of schools razed (U.N.E.S.C.O., 2019); homes and heritage obliterated (Minority Rights Group, 2017) — a postcolonial wound that tears past from present.

Cultural loss becomes a similarly strong force, Blasim's "graveyard of narratives" (NPR 2014) a haunting echo of Nineveh's effaced pluralism. "No one sings anymore" (p. 50) laments a broken past — Christian chants, Yazidi rites — extinguished by ISIS's cleanse, an incalculable collective trauma Alexander (2012) considers irreversible (p. 6). These students inherit this devastation— "Our church [was] our heart, and now it's gone" (UNHCR, 2018)—their communal fabric torn asunder, a loss Butler (2004) situates as a "grievable life" laid bare (p. 22). But resistance is a flicker — "perfect every detail" (p. 13), "I'm still here" (p. 91) — like students teaching under tents (UNESCO, 2019), a more muted defiance upleveling Zoellner and Feeny (2014) like an unraveled length added to coping's fragile thread. Overshadowed by "I see their faces" (p. 89) and 40% of students

suffering from anxiety (Al-Naser et al., 2020), this resilience reveals a more passive Diaspora; moreso refuse Boro and go's fierce rebellion or Momo's humor, Nineveh's students cementing survival in fragility.

6.2. Findings And Key Contributions

These findings clarify the multilayered impact of displacement trauma. First, the prevalence of PTSD — that 65% of Nineveh students suffer nightmares (Al-Naser et al., 2020) — resonates with Blasim's soldier, "I see their faces every night" (p. 89), and father, "The goats sing his song now" (p. 49), a range of entra-painful dwelling that is intrusive and dissociative. Advancing to the second point, the collapse of identity—"These bodies are our canvas" (p. 12), "I became the hunted" (p. 105)—mirrors students' numbed selves, and severed roots, 70% of schools lost (UNESCO, 2019): Third, cultural trauma—"No one sings anymore" (p. 50)—echoes Nineveh's erased heritage, a collective wound (Alexander, 2012). Their resistance — "I'm still here" (p. 91) — harkens the classes students mount in their camps, but vulnerability remains, unlike Red Birds's satire, Weep Not Child's colonial fight.

Impactful contributions advance trauma discourse. By stretching Caruth's (1996) theory into a postcolonial Iraqi context, it situates the psychological and cultural toll of displacement in a manner that moves past an exclusively war-centric interpretation of the phenomenon outlined in the original study. Blasim's "graveyard of narratives" (NPR, 2014) interweaves with actual data (UNHCR, 2018) which provides a new view into the extent of postcolonial trauma. It implores trauma-informed policy — counseling, cultural renewal — above Iraq's 2 percent mental health allocations (Al-Jumaily, 2019), a plea dry rebuilding (UNESCO, 2019) ignores. Other questions beg—about gender, about Syrian comparisons, about the arc of resilience, that follow Fanon's (1963) "nervous condition" and Alexander's (2012) collective trauma. Blasim's dour mirror asks of action, of

healing Nineveh's youth before their stories go to rest, a legacy this study hopes to prevent.

6.3. Final Thoughts

This research has shown that literature is an influential vehicle for remembering, verbalising trauma and engendering empathy for people who have been displaced. Hassan Balasim's *The Corpse Exhibition* not only reflects the psychological struggles of Nineveh's students but serves as a reminder of the larger, structural effects of war, exile and cultural destruction. In short, to comprehend trauma in the literature it's not just for the sake of literature, it's, at first step, to recognize, describe, and ultimately heal psychological wounds of displacement.

Further studies should build on this work by also gauging the relevance of literature to current affairs: how close — or parallel — do literature and politics run when it comes to trauma, and how can displaced people be remembered as more than statistics? Fiction can allow the silenced to speak, hold the memory of the lost, and compel societies to come to terms with the realities of war and exile. In doing so, it serves not merely as an image of suffering, but a vital site of resistance, survival, and ultimately, resilience.

7. References

1. Al Maleh, L. (Ed.). (2009). *Arab voices in diaspora: Critical perspectives on Anglophone Arab literature*. Rodopi.
2. Al-Jumaily, H. (2019). *War and exile in Hassan Balasim 's The Corpse Exhibition*. Journal of Arabic Literature, 50(3), 245–267. https://doi.org/10.1163/1570064x-12341389
3. Al-Naser, F., Al-Ani, M., & Al-Shawi, A. (2020). *Post-traumatic stress disorder among Iraqi adolescents after ISIS occupation*. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 61(8), 901–908. https://doi.org/10.1111/jcpp.13245
4. American Psychiatric Association. (1980). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (3rd ed.). American Psychiatric Publishing.

5. Antoon, S. (2014, May 22). *Iraq's new literary voices: Hassan Balasim* 's *The Corpse Exhibition*. The New York Review of Books. https://www.nybooks.com/articles/2014/05/22/iraqs-new-literary-voices/
6. Balasim, H. (2014*). The Corpse Exhibition and other stories* (J. Wright, Trans.). Penguin Books.
7. Caruth, C. (1996). *Unclaimed experience: Trauma, narrative, and history*. Johns Hopkins University Press.
8. Fanon, F. (1963). The wretched of the earth. Grove Press.
9. Ghazoul, F. J. (2017*). Fragmentation and trauma in contemporary Arabic fiction*. Alif: Journal of Comparative Poetics, 37, 45–63.
10. Gould, R. R. (2020). *Writing war's aftermath: Hassan Balasim 's surreal survival*. World Literature Today, 94(2), 28–31. https://doi.org/10.1353/wlt.2020.0023
11. Herman, J. L. (1997). *Trauma and recovery: The aftermath of violence*. Basic Books.
12. Masmoudi, I. (2016). *Trauma and narrative in Hassan Balasim 's stories*. Middle Eastern Literatures, 19(2), 123–140. https://doi.org/10.1080/1475262X.2016.1199098
13. Minority Rights Group International. (2017). *Iraq: The displacement of minorities in the Nineveh Plains*. https://minorityrights.org/publications/iraq-nineveh-plains-displacement
14. Mulzet, O. (2015). *The surreal scars of war: Hassan Balasim 's The Corpse Exhibition*. Los Angeles Review of Books. https://lareviewofbooks.org/article/surreal-scars-war-hassan-Balasim
15. NPR. (2014, March 10). *Hassan Balasim on war, exile, and The Corpse Exhibition*. NPR. https://www.npr.org/2014/03/10/hassan-Balasim - interview
16. Said, E. W. (2000). *Reflections on exile and other essays*. Harvard University Press.
17. Smart, J. (2014, February 15). *The Corpse Exhibition* by Hassan Balasim — Review. The Guardian. https://www.theguardian.com/books/2014/feb/15/corpse-exhibition-hassan-Balasim -review
18. UNESCO. (2019). *Education in crisis: Rebuilding schools in post-ISIS Iraq*. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000367890
19. UNHCR. (2018). *Displacement in Iraq: Nineveh Plains report*. https://www.unhcr.org/iraq-displacement

20. Van der Kolk, B. A. (2014). *The body keeps the score: Brain, mind, and body in the healing of trauma*. Penguin Books.

21. Yehuda, R. (2016). *Post-traumatic stress disorder: Advances in research and clinical practice*. Annual Review of Medicine, 67, 119–132. https://doi.org/10.1146/annurev-med-051914-021818

22. Zoellner, L. A., & Feeny, N. C. (Eds.). (2014). *Facilitating resilience and recovery following trauma*. Guilford Press.

Visual Criticism in the Maghreb: The Relationship between Criticism and Globalization

Hadia Ben Hassin
Professor at the Higher Institute of Arts and Crafts
University of Gabes (Tunisia)
Benhassinhadia1983@gmail.com

Abstract:

The world witnesses, from time to time, tremendous leaps that have impacted all areas of life: economically, socially, politically, and artistically. In light of the successive and accelerating technologies in the computer industry, the internet, the world of communications, and all the implications of scientific progress, we do not exclude the field of arts in all its forms, branches, and affiliations, such as Maghrebi visual art, which has witnessed radical transformations in contemporary times, both in form and content, influenced by technological developments and globalization. The development of art is a direct reflection of the development of theoretical studies and scientific research in the Maghrebi world, especially visual art criticism. What, then, are the prospects for our critical reading and research in light of the technological achievements and digital revolution the world is witnessing? What is the impact of globalization on contemporary Maghrebi visual art criticism? Is it useful to talk about a Maghrebi critical discourse in the face of the new influences imposed by globalization and the major technological and cultural transformations that have been rapidly affecting the Maghrebi world since the beginning of the third millennium?

Keywords: Fine Arts Criticism, Globalization, Scientific Development, Openness, Privacy, Universality

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الخطاب النقدي التشكيلي في المغرب العربي:في علاقة النقد بالعولمة

هادية بن حسين

أستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف

جامعة قابس (تونس)

Benhassinhadia1983@gmail.com

ملخص:

يشهد العالم بين الفينة والأخرى قفزات هائلة ضربت كافة مجالات الحياة إقتصاديا وإجتماعيا وسياسيا وفنيا ،وفي ظل التقنيات المتلاحقة والمتسارعة في صناعة الكمبيوتر والأنترنات وعالم الإتصال وكافة معطيات التقدم العلمي التي لا نستثني منها مجال الفنون بشتى أصنافها وفروعها وإنتماءاتها كالفن التشكيلي المغاربي الذي شهد في الزمن المعاصر تحوّلات جذرية سواء على مستوى الشكل أو المضمون متأثرا بالتطور التكنولوجي وبالعولمة، فتطور الفن هو إنعكاس مباشر لتطور الدراسات النظرية والأبحاث العلمية المغاربية خاصة منها الكتابة النقدية التشكيلية.

فما هي إذا أفاق قراءتنا وأبحاثنا النقدية على ضوء ما يشهده العالم من إنجازات تكنولوجية وثورة رقمية؟ وما أثر العولمة في الخطاب النقدي التشكيلي المغاربي في الزمن المعاصر؟ وهل ينفع الحديث عن خطاب نقدي مغاربي أمام المؤثّرات الجديدة التي تفرضها العولمة والتحوّلات التكنولوجية والثقافية الكبرى القادمة للعالم المغاربي بإيقاع سريع منذ مطلع الألفية الثالثة؟.

الكلمات المفتاحية: النقد التشكيلي، العولمة ،التطور العلمي ،الإنفتاح، الخصوصية، الكونية

1 **النقد و العولمة:**

إنّ طرح مسألة النقد والعولمة في إطار المحفل العلمي الدولي نحو تكريس نهضة علمية رصينة يعدّ إشكالا ضروريّا للطرح و المناقشة ، فسؤال النقد في علاقته بظاهرة العولمة التي أخذت تبرز في أشكال متنوّعة و مختلفة ،يطرح إشكالية بناء خطاب نقدي مغاربي وفق مقتضيات العولمة الثقافية. فتأسيس خطاب نقدي يسعى إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية وخصوصيتنا المحلية في مواجهة الفكر الآخرالقادم تحت عنوان العولمة والحداثة .وفي الفترة الاخيرة أضحت هذه المسألة ضرورة ملحة للنهوض بالفكر الثقافي، فالباحث المغاربي أصبح مجبرا على الدفاع عن الهوية الثقافية والخصوصية المحلية في مواجهة الفكر الآخر الوافد تحت عنوان الحداثه والمعاصرة والعولمة.

1.1- ملامح العولمة الثقافية:

نهدف من وراء التطرق لملامح العولمة الوقوف عند تأثير العولمة على النقد التشكيلي المغاربي وبالتالي على الهوية الثقافية المغاربية، فيمكن القول أنّ العولمة ليست ظاهرة جديدة على تاريخ الإنسانية، لها تجليات متعددة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، وما نسعى للتركيز عليه هوتجليات العولمة الثقافية فهذه الأخيرة تحمل قيما ومبادئ، فبقدر ما تغزو العولمة الأسواق فإنّها تحمل في طياتها غزوا ثقافيّا يتبلور خاصة من خلال سيطرة الثقافة الأقوى على بقية الثقافات، وما يدعون للحديث عن العولمة في السنوات الأخيرة ليس لأنها ظاهرة جديدة وإنّما لتطورها المتسارع وسيطرتها على المجتمع ،هذا التطور سببه التقدم التكنولوجي، ومن هنا يمكننا

أن نطرح علاقة العولمة بالهوية وما يخلفه هذا التطور من صراع بينهما، بين ما تسعى إليه العولمة من هيمنة ثقافة واحدة وبين الهوية التي تسعى للمحافظة على الأصالة والإستمرارية الثقافية.

العولمة الثقافية كما يراها البعض تحمل مخاطر على هويتنا الثقافية بحجة التطور العلمي والكوني والثقافة الكونية ،وبالتالي تصبح الثقافة الغربية هي الأنموذج المثالي الذي يجب أن تحتذى به جميع الشعوب ،وتبعا لذلك تضمحل الثقافة الخاصة لصالح الثقافة الكونية فتتّم محاصرة الهوية الثقافية مثل ما يعرف بالمثاقفة وهو ما يساهم في القضاء على ثقافة شعب ما لصالح ثقافة بلد ما ، وهذا ما يخلق الثقافة المركزية في إطار ما يدعونه بالتفاعل الثقافي أو الحوار الحضاري ،وهي مفاهيم تنتهي الى أنّ ثقافة" المركز هي الثقافة النمطية ممثلة في الثقافة العالمية والتي يستلزم على كل ثقافة إحتذاؤها وتنتهي بذلك اسطورة التعددية" (حسن حنفي و صادق جلال العضم،1991ص48)

وفي هذا السياق لابد من الإشارة أنّنا نركز بشكل أساسي على المكوّن الثقافي لمفهوم العولمة الذي يعدّ ضروريّا لتحديد الهوية الثقافية بما هي إبداع فكري يسمح لنا ان نحدّد خصوصية أمّة ما على أخرى وتميّزها الثقافي على ثقافة أخرى وبالتالي خصوصية هويّتنا من جهة ومدى قدرتها على التواصل مع الهويات الثقافية الأخرى بشكل ايجابي .

ما يزيد في صعوبة تناول مسألة العولمة في علاقتها بالنقد التشكيلي المغاربي هو انّ الكثير ينظر الى الهوية الثقافية نظرة تفتقد الى الحس الثقافي ،فالنقد في علاقته بالعولمة أظهر ذلك الإنفتاح والتفاعل الإيجابي ليس فقط مع الهويات الثقافية بل مع الحداثة التي غزت العالم الثقافي ككل.

فالنقد المغاربي اصبح منذ منتصف القرن التاسع عشر وما يزال الى يومنا هذا يواجه الثقافة الغربية التي نجحت بفضل العولمة في السيطرة على بقية العالم ،ساعدها في ذلك التطور التكنولوجي من خلال ثورة الإتصال والمعلومات التي إحتكرها الغرب ،وهذا ما يفسّر تأثير العولمة على الأنماط الثقافية المغاربية بما فيها النقد التشكيلي.

غير انّ ما يجب التأكيد عليه هو أن الحديث عن علاقة العولمة بالهوية الثقافية ليست بمعطيات مكتملة فلا يمكننا أن نحكم عليها بالسلب او الإيجاب المطلق ،فالإمكانات التي تتيحها العولمة وما ينتج عليها من تأثيرات تساهم في الإنفتاح الثقافي ممّا يخلق أفاقا جديدة أمام الخصوصية الثقافية لمواجهة الثقافة الكونية، من هنا فإنّ مشكلة العولمة أصبحت حاضرة في جميع الأوساط الثقافية والفكرية ويرى محمد عابد الجابري"انّ العولمة تعمل على تعميم نمط حضاري يخصّ بلدا بعينه هو الولايات المتحدة الامريكية بالذات على بلدان العالم اجمع وهي بالدرجة الأولى تسعى الى تبنّي نموذج معين يعبر بصورة مباشرة على ارادة الهيمنة على العالم وأمريكته"(علي حرب،حديث النهايات،2000،ص21) ويوضّح محمد عابد الجابري الفرق بين العولمة بإعتبارها أداة للهيمنة على الخصوصية والعالمية هي الطموح الى الإرتقاء و التطور ،"فالعالمية هي الطموح الى الارتقاء الى المستوى العالمي ونشدان العالمية في المجال الثقافي طموح مشروع ،إنها طريق الأنا في التعامل مع اللآخر، امّا العولمة هي إرادة إختراق الآخر وسلبه خصوصيته وبالتالي نفيه من العالم، امّا العالمية هي إغناء للهوية الثقافية بينما العولمة إختراق لها "(محمّد عابد الجابري،1998،ص318)

2.1 في علاقة النقد بالعولمة:

إنّه من المسلّم به في يومنا هذا هو أنّه لا يمكن فصل النقد عن العولمة ،إذ تدفع العلاقة الجدلية بينهما الى تطوير الخطاب النقدي. وبناءا على ما تناولناه في السابق تنشأ لدينا جملة من التساؤلات حول علاقة النقد بالعولمة ودورها في تطوير الخطاب النقدي حول الفن التشكيلي المعاصر ،تساؤلات من قبيل كيف يمكن المحافظة على الخصوصية الثقافية دون القطع مع التواصل الثقافي العالمي؟

على الخطاب النقدي المغاربي الإنخراط بلا تردّد في مشروع العولمة "الذي يهدف الى عولمة الهويات و المجتمعات والأوطان عبر شبكات الأسواق التي تبدو أقوى من العقائد والإديولوجيات وتلك هي ثمرة لثورة المعلومات والإنفجار التكنولوجي ، واقع بلا حدود وبلا هويات متميزة،وبذلك تصبح خارجية المكان الوجه الآخر لمرونة الهوية .الامر الذي يضع الهوية موضع التساؤل لفتحها على تعدّد الأمكنة والعوالم والإنتماءات في موازات مع الشركات المتعدّدة الجنسيات" (محمّد عابد الجابري،1998،ص300)

إنطلاقا من السنوات الأخيرة إنخرطت الثقافة العربية في جدل العولمة وهو ماساهم في بروز قراءات تجديدية للموروث الحضاري المغاربي ساهمت فيه المرجعية الغربية المعاصرة وهو ما جعل الخطاب النقدي حول الفن التشكيلي المغاربي يتأثر بمنجزات الثقافة العالمية ومكاسبها مما ساهم في تطوير فكرنا المعاصر.

وتبعا لذلك لا ننكر انّ التغييرات التي أحدثتها العولمة في بنية الخطاب النقدي المحلي و المغاربي ككل لعب دورا كبيرا في اثراء خطابنا الثقافي في بعض جوانبه لما اضافته عليه من ملامح جديدة اسهمت بشكل

كبير في الحد من الخطاب النقدي التقليدي الانطباعي منه و الوصفي الذي لم تعد معطياته النظرية وتصوراته تتناسب ومعطيات الخطاب النقدي المعاصر .

اذا ليس هنالك انقطاع على الصعيد العالمي في فعالية النقد ،ذلك أنّ غاية التقدّم هي التي تدفعه إلى الإلتصاق بالأمم الأكثر تقدّما علميا ونشاطا ابداعيا .انما نفترضه هنا هو أنّ النقد لا يكترث كثيرا بالتباين في الدور الحضاري لأمة ما ،أوبين الأمم في زمن ما ،أو بالتفاوتات التي تحدث هنا وهناك، حتى يتجاوز العراقيل و يتخطى منزلته القائمة ويتوافق مع سيرورته بصفته وعيا كونيا بالعالم ويحقق بذلك انتظامه الشامل. الفرضية التي يجب ان نطرحها في هذا السياق هو ان وجد نقد في شتى الدول المغاربية ، فإن النقد يظل واحدا في سيرورته ويشكل خطابا واحدا في تواصله ويمكنه بمعنى ما ان يكون هو الهوية الثقافية في وحدتها بصفتها تعبيرا عن حضور الوعي الانساني الكلي. وهو ان اكّد ذاته وبرهن على انتماء ما لثقافة فنية معينة، وعرّفناه على هذا الاساس، إنما يظل نقدا ويشكل معرفة فنية واحدة.

وتبعا لذلك يهتم النقد بالوحدة المطلقة للتنوّع الفني القائم في العالم وهو يبرهن على هذه الحقيقة العامة في كل ما هو نمط فني خاص ،حينما يتماهى مع واقع العولمة ومع التطور العلمي والتكنولوجي، ويكون الخطاب النقدي اكثر كمالا في تطوره كلّما كان أشدّ إلتصاقا بالعولمة.

فالنقد إذا في علاقته بالعولمة يبين ثقافة شعب ما في فكره وفنونه وأعرافه ،فالشكل المتحقق لنقد فني ما يكون معاصرا لنمط متحقق ومحدد من الفن يعكس روح هذا الشعب وتقديم حياته والجوانب المتنوّعة لإبداعاته المادية والنظرية ،إن روح شعب ما وعصره يكونان قائمين في خطابه الفني النقدي بصفته الأساس

الذي تقوم عليه الثقافة الفنية لهذا الشعب ووعيه بذاته وهي تعكس تفتّح هذا الشعب و تقدّمه ودرجة وعيه بذاته ومصيره في العالم بما يعجّ به من تحوّلات علمية و تمثّلات رقمية و تكنولوجية .

المراجع:

1- حسن حنفي و صادق جلال العضم،1999،ما العولمة،دار الفكر المعاصر،دمشق

2- محمّد عابد الجابري،1998،العولمة و الهوية الثقافية،من كتاب العرب و العولمة،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان

3- علي حرب،2000،حديث النهايات،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب

Historical Writings and Technological Development

Dr Nadia ZERROUK
University Akli Mohand Oulhadj Bouira
n.zerrouk@univ-bouira.dz

Abstract:

This Article examines the impact of technological development on historical writings, through it, we attempt to discuss the main issues related to the ability of historical researchers to develop their studies by relying on digital sources and artificial intelligence. we aim to provide a clear picture of digital sources and how to rely on them in historical research, along with presenting key databases of the world's preeminent archival centers, we also try to demonstrate the importance of artificial intelligence in analyzing historical sources. Given the significant challenges facing historians in the digital age, we wanted to demonstrate the tools and methodologies that enable them to distinguish reliable sources from misleading ones.

Keywords: Historical writings; Digital History; Digital Historical Sources; Artificial Intelligence.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الكتابات التاريخية والتطور التكنولوجي

د.نادية زروق
جامعة أكلي محند أولحاج البويرة
n.zerrouk@univ-bouira.dz

ملخص:

يدرس هذا المقال أثر التطور التكنولوجي على الكتابات التاريخية, وحاولنا من خلاله أن نناقش القضايا الرئيسية المتعلقة بقدرة الباحثين في التاريخ على تطوير دراساتهم بالاعتماد على المصادر الرقمية والذكاء الاصطناعي.

نسعى لتقديم صورة واضحة عن المصادر الرقمية وكيفية الاعتماد عليها في البحوث التاريخية, مع تقديم أهم قواعد بيانات لأهم مواقع مراكز الأرشيف في العالم, ونحاول أيضا تبيان أهمية الذكاء الاصطناعي في تحليل المصادر التاريخية بكل أشكالها وأنواعها, بتسليط الضوء على أهم التطبيقات واستعمالاتها.

وأمام التحديات الكبيرة التي يواجهها المؤرخ في العصر الرقمي بسبب تدفق المعلومات بكميات كبيرة, أردنا أن نبين له السبل والمنهجيات والأدوات التي تمكنه من التمييز بين المصادر الموثوقة من المصادر المضللة.

الكلمات المفتاحية: الكتابات التاريخية, التاريخ الرقمي, المصادر التاريخية الرقمية, الذكاء الاصطناعي.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

أحدثت الثورة التكنولوجية الرقمية تحولا كبيرا في الدراسات التاريخية, إذ استفاد المؤرخ من الأساليب الرقمية الجديدة في مجال البحث العلمي, فالانفجار المعلوماتي الذي يعرفه العالم اليوم مكن المؤرخ من الوصول إلى مصادر المعرفة المتخصصة, والتي يمكن تصفحها في مكتبه وعلى جهاز الحاسوب بوضع الكلمات المفتاحية على صفحات الويب, فسمحت بذلك للمؤرخ بتخطي حواجز الزمان والمكان ومكنته من الوصول إلى مصادر نادرة أو بعيدة, ومتنوعة (مخطوطات, خرائط, جرائد, وثائق أرشيفية, تسجيلات مرئية ومسموعة...إلخ).

كما يعد الذكاء الاصطناعي ثورة مذهلة في التطور التكنولوجي وأداة فعالة في البحث التاريخي, بحيث تساهم الكثير من التطبيقات في ترجمة وقراءة وتحليل النصوص القديمة والحديثة باستعمال تقنيات التعرف البصري على الحروف واستخدام خوارزميات معالجة اللغة الطبيعية, وتقنيات لإعادة الأجزاء المفقودة من الوثائق والنقوش وغيرها.

فالتاريخ الرقمي ثورة جديدة في مجال الكتابة التاريخية, بحيث تسمح المعلومات الفائضة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي الخوض في أعماق التاريخ, وتمكن المؤرخ من الكشف عن حقائق تاريخية هامة بسرعة وفعالية, لكن في نفس الوقت سيجد المؤرخ نفسه في تحدي كبير بحيث يتوجب عليه تطوير منهجيات جديدة لنقد المصادر الرقمية وبياناتها.

وانطلاقا مما سبق نطرح إشكالا مهما حول مدى تأثير التطور التكنولوجي على البحوث التاريخية, هل ساهمت إيجابا في كتابة التاريخ؟ هل ساهمت المصادر الرقمية التاريخية في غزارة الإنتاج المعرفي وتسهيل مهمة المؤرخ؟ وماذا عن دور الذكاء الاصطناعي, هل يعد فعلا ثورة حقيقة في كتابة التاريخ؟ هل للمؤرخ قدرة على دراسة الماضي بمواكبة العصر الرقمي؟ ما هي الأدوات والمنهجيات الجديدة التي يجب عليه اعتمادها لضمان مصداقية المعلومات وتجنب النتائج الخاطئة؟

نحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على الإشكاليات المطروحة, بالتحدث عن المصادر الرقمية وتوثيق التاريخ, إلى جانب ذلك سنناقش دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحليل المصادر التاريخية, ثم سنقدم للمؤرخ أدوات ومنهجيات تساعده في تمييز الحقائق من الأكاذيب في العصر الرقمي.

أولا: المصادر الرقمية وتوثيق التاريخ

شهدت الكتابة التاريخية تحولات كبيرة مع تطور التكنولوجيا, حيث أثرت الأدوات والوسائل التكنولوجيا على كيفية تدوين التاريخ, ومن أبرز هذه الأدوات, المصادر الرقمية والتي نقصد بها لأرشيفات الالكترونية وقواعد البيانات والصحف الرقمية التي تحولت من أوراق ومخطوطات مادية وروايات شفوية, وتسجيلات, إلى نصوص رقمية, وتسجيلات مسموعة ومرئية, المخزنة إلكترونيا عل وسائط ممغنطة أو ليزرية في ملفات قواعد بيانات وبنوك المعلومات, متاحة على شبكة الإنترنت للمستفيدين عن طريق الاتصال المباشر. (موسم عبد الحفيظ, 2021, ص 9-10). ونجد أيضا المصادر الرقمية Bornالأصلية Digital وهي المصادر التي ولدت وبدأت رقمية مثل رسائل البريد الالكتروني, الصور الرقمية, مواقع الويب, قواعد البيانات إلخ, ومستقبلا سيكون الجزء الأكبر من المصادر الأولية التي سيعتمدها المؤرخون لفهم العالم في القرن الحادي والعشرين هي مصادر بدأت رقمية. ((Trevor Owens, Thomas Padilla, 2020,p5

تتميز المصادر الرقمية أنها متنوعة, وتزيد من الخبرات التاريخية, وتنمي القدرة على المقارنة, إلى جانب سهولة التحكم فيها, وسرعة التوصل إليها, وبذلك تمنح لنا صورة صادقة وحقيقية عن الأحداث الماضية, بحيث أصبحت وسيلة لإنتاج المعارف والتعبير عن الآراء والأفكار لأنها سمحت لنا بالاطلاع على مختلف المعلومات في شتى أنحاء العالم.(سلوى سامي عبد الباسط عبد الحي, 2024, ص 230) بالتالي فالزمن الرقمي" أنتج وعيا بأهمية الكوني استنادا إلى المحلي وضرورة حضور الغيرية ضمن نطاق اهتمام الإنيّة, خاصة وأن الاهتمام بالتنوع بين الشعوب والأمم والبلدان, في سياق التاريخ العالمي, يثير مسألة الاختلاف في المنظر التاريخي بين الأمم, خصوصا في مسألة البدايات ومشكلة الهوية القومية أو الإثنية, فالزمن الرقمي يدلنا على ممارسة التسامح عن التأريخ."(محمد البشير رزاقي, 2022) كما أنتج الزمن الرقمي بفضل الكم الهائل من البيانات والتحليلات الجديدة وعيا لدى المؤرخ بأهمية مراجعة مسألة التحقيب التاريخي, فبعد أن كان التحقيب تقليديا معتمدا على المعطي السياسي, ومتأثرا بالمركزية الغربية مثل التقسيم الرباعي(تاريخ قديم,

تاريخ وسيط, تاريخ حديث, تاريخ معاصر) (محمد البشير رزاقي, 2022) أصبح من الضروري اليوم إعطاء بدائل للتحقيب التاريخي التقليدي لأنها لا تعكس المحطات التاريخية للشعوب الأخرى, وتعتمد على أحداث سياسية أوروبية. فسهولة الوصول إلى مصادر رقمية متنوعة من فترات ومجالات مختلفة وسهولة الربط بينها تحدت فكرة تقسيم التاريخ إلى فترات, وأثبتت أن التاريخ متصل وغير منفصل.

هذه التحولات ليست إيجابية تماما وليست سلبية تماما, فقد مكنت المؤرخ من تصفح المصادر بسهولة وهو في مكتبه وبنقرة واحدة على الحاسوب, فوفر بذلك الوقت الذي كان يمضيه في أرشيفات بعيدة, فأصبح يمضي وقت أكثر مع عائلته, ومتفرغا لمهمته التعليمية, هذه التحولات لا يمكن إنكارها بحيث أصبح بإمكان المؤرخ البحث بكلمات مفتاحية لبناء مجموعة من المعلومات أكثر شمولا, في نفس الوقت هناك أضرار تتمثل في عدم تمكن المؤرخ من فهم السياق التاريخي أثناء استخدامه لكلمات مفتاحية مباشرة بعبارات خارج سياقها العام. وبفضل الاستخدام الواعي والنقدي للتكنولوجية الرقمية نستطيع أن نضمن أن هذا التحول يعد مكسبا بالنسبة للمؤرخ, ولكن على المؤرخ أن يحقق تكوينا جيدا في عالم التكنولوجية الرقمية, وفي منهجية البحث الرقمي تواكب هذا التطور, وفي ظل تزايد طلب المستخدمين قد تتبنى المزيد من المنصات نهجا يسهّل قراءة السياق, وهو نهج تبناه "أرشيف الانترنت « Internet Archiv ,كما يعمل المؤرخون الرقميون على تطوير الأدبيات المتعلقة بتوفير السياق.((Ian Milligan,2022, p4-5

ثانيا–قواعد بيانات لأهم المواقع حول المصادر الرقمية التاريخية :

اهتمت الدول الغربية بعملية رقمنة الوثائق التاريخية الأولية وخصصت لها موارد مالية هامة, فمثلا في فرنسا تمت رقمنة الأرشيف بمقتضى قانون 13 مارس 2000 , واستفاد أرشيف ما وراء البحار من رقمنة أكثر من مليون وثلاثمائة وخمسة وعشرين ألف عقد الخاص بالحالة المدنية لأوروبي الجزائر, والتي يمكن الاطلاع عليها من خلال الموقع الالكتروني للأرشيف ANOM, ويعد الأرشيف التركي أحد أضخم الأرصدة الأرشيفية في العالم, يقوم برقمنة ملايين الوثائق التاريخية والمخطوطات التي تعود إلى العهد العثماني .(زهير بن علي, 2022, ص 222).

أما إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية (NARA) تضم ما يقرب مائة وعشرين ألف وحدة من الوثائق الورقية , والتي تم مسحها ضوئيا وتم تحويلها إلى نسخ رقمية ونشرت على

موقع نارا, وتضم هذه الوثائق الرقمية آلاف النصوص والصور والخرائط والجداول المرتبطة بمراحل تاريخية للولايات المتحدة الأمريكية.(موسم عبد الحفيظ, 2021,ص 11)

كما توجد مكتبة رقمية تحتوي على ملايين الفيديوهات والصور والمستندات المجانية وهي Intenet Archive, وموقع Ponds5 الذي يقدم مجموعة من الفيديوهات الارشيفية المجانية والمدفوعة, إلى جانب العديد من المواقع منها Europeana , DPLA, world digital library ; library of congress digital collections, national archives, islamicmanuscripts, qantara, JSTOR, bibalex, BOA, وغيرها.

ثالثا:دور الذكاء الاصطناعي في تحليل المصادر التاريخية

أصبح الذكاء الاصطناعي أداة ثورية في البحث التاريخي, حيث يسهل في تحليل كميات كبيرة من البيانات التاريخية بطرق لم تكن ممكنة من قبل, فنجد المؤرخ اليوم يستخدم خوارزميات التعلم الآلي لتحليل النصوص القديمة, وهي الطريقة التي تمكنه من من استخراج الأنماط وفهم السياقات التاريخية بسهولة, والحصول على نتائج دقيقة, وإن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وفرت للمؤرخ فرص جديدة لفهم التراث الثقافي والاجتماعي, بدمجه مصادر مختلفة للمعرفة, مثل الصور والخرائط والوثائق, من خلال تحويل هذه الموارد إلى بيانات قابلة للتحليل, فمثلا استخدام تقنيات معالجة اللغة الطبيعية NLP للكشف عن المعاني الخفية واستنتاج الأفكار من النصوص المعقدة ويساعد هذا على بناء سياقات جديدة لدراسة الأحداث التاريخية وتحليل تأثيرها في المجتمعات الحالية, (علاء عبد الخالق المندلاوي, إسراء نجم عبد, 2025, ص170)

كما تتوفر برمجيات لتحليل النصوص, فعندما تتوفر لدى المؤرخ العديد من الوثائق التاريخية يستعمل هذه البرمجيات للكشف عن صفة مشتركة, مثل كلمة معينة تتكرر أو أسلوب ما, إلى جانب التطبيقات الإحصائية المهمة في الدراسات التاريخية لمعرفة اتجاه معين للأحداث في حقبة معينة ومقارنتها بحقب أخرى, والذكاء الاصطناعي يساعد أيضا المؤرخ في تحليل الوثيقة, لمعرفة إن كتبها شخص واحد أم عدة أشخاص, واكتشاف اللغة المستخدمة وعصرها, فمثلا تمكن باحثون من معهد ماساشوستس التقني من تطوير برنامج يساعد على حل شفرة اللغات المفقودة مما يساعد على كشف ألغاز الكثير من الوثائق في مختلف بقاع المعمورة, خاصة التي تخص الحضارات المندثرة.(محمد زهران, 2022)

ومن أهم هذه التطبيقات والنماذج التي تساعد على تحليل المصادر التاريخية نجد:

1-Deepmind وهو تطبيق تابع لجوجل وهي شبكة عصبية لفك أجزاء من الخطاب اللاتيني LinearB والكتابات الهيروغليفية, كما تم تطوير نماذج مثل GPT4 لترجمة نصوص قديمة بلغات ميتة مثل الأكادية والسومرية, بناءا على قواعد بيانات ضخمة.

2-OCR وهي تقنية التعرف البصري على الحروف المحسنة بالذكاء الاصطناعي والتي تحول المخطوطات اليدوية إلى نصوص رقمية بدقة عالية.

3-AI-based image restoration وهو التطبيق الذي يعيد أجزاء مفقودة من وثائق تاريخية أو نقوش أثرية. بالإضافة إلى مشروع Pythia التابع لجامعة أكسفورد والذي يسعى إلى إعادة بناء النقوش اليونانية القديمة التالفة باستخدام شبكة عصبية متكررة LSTM وهي تقنية تتنبأ بالحروف المفقودة بناءا على سياق النص, وتمكن الباحثين من خلاله من ملأ الفراغات في نقوش تعود للقرن الخامس قبل الميلاد بنسبة 72 % .

رابعا: أدوات ومنهجيات تساعد المؤرخ في تمييز الحقائق من الأكاذيب في العصر الرقمي:

يواجه المؤرخون في العصر الرقمي تحديا كبيرا في تمييز الحقائق من الأكاذيب أو التزييف, فالعثور على ملايين المصادر دفعة واحدة أدى إلى تحول المنهجية التاريخية, لذلك لكي يستفيدوا من زخم المعلومات المقدمة لهم, يجب عليهم تطوير تقنيات التدقيق والبحث والصرامة والأمانة العلمية والحياد, والانفتاح على بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية, والشرط الأساسي لإتقان عملهم في الزمن الرقمي هو أن يعرفوا كيف يتعاملون مع الحاضر ويخضعون تشنّجاته إلى صرامتهم المهنية وخاصة أن يحسنون التعامل مع زخم المعلومات والأحداث والوثائق وتعدد مصادرها,(محمد البشير رزاقي, 2022) ويكون ذلك بنقد كل ما تقدمه صفحات الويب وقواعد البيانات من مادة علمية, فيعرضها للتحليل والتمحيص بنفس الطريقة البحثية التي يتعاط من خلالها مع المعلومات التاريخية التي سبقت الثورة الرقمية, مثل عقد مقارنة بين الأدلة التاريخية, ترتيب الأحداث في سياقها الزمني والمكاني, التمييز بين الرأي الخاص والحقيقة الدامغة, إصدار الأحكام المدعمة بالأدلة التاريخية,وأخيرا ربط النتائج بالأسباب.(موسم عبد الحفيظ, 2021, ص14)

من جانب آخر نجد أمرا مهما يجب على المؤرخ الاستفسار عنه وطرح مجموعة من الأسئلة حول إنتاج النسخ المرقمنة, فمثلا, لماذا تم رقمنة هذا المصدر وليس مصدر آخر؟ لأن في بعض الحالات قامت مراكز

الأرشيف برقمنة كامل المواد, في حالات أخرى قامت برقمنة مختارات منها, كما نجد من قامت برقمنة جزء صغير فقط, (Trevor Owens, Thomas Padilla, 2020,p3-4) ويعد هذا أمرا مهما لأن الناشر يشتبه فيه التحيز, عندما يكون ممولا من جهات ذات أجندة, أو يريد إخفاء حقائق تاريخية مثل الجرائم الاستعمارية, لذلك على المؤرخ عدم الوثوق حتى في الأرشيفات الرسمية التابعة للحكومات, وهذا التحيز يؤدي إلى نتائج تاريخية خاطئة, لأنه يفسر الأحداث من منظور الثقافة المهيمنة على بياناته, كتركيزه على تفسير الأحداث على الرواية الغربية للاستعمار, مع انعدام المصادر التاريخية في قواعد البيانات, والتي تتحدث عن معاناة الشعوب المستعمرة, لأن الذكاء الاصطناعي يعتمد على البيانات المتوفرة, بالتالي نقص البيانات يؤدي إلى أخطاء تاريخية.

لكن لا يمكن الاكتفاء بالوسائل التقليدية لأن المؤرخ أمام فرضية التحريف والتزييف التي تطال الوثيقة الالكترونية بالحذف أو الزيادة والنقصان, باستخدام التقنيات التي توفرها التكنولوجية الحديثة, ناهيك عما يعتري هذه العملية من مخاطر التلف أو ضياع المضمون, فضلا عن الحاجة المستمرة إلى تحديث أوعية التخزين الالكترونية بما يتناسب مع التطورات التكنولوجية المتسارعة في الأجهزة والبرامج. (زهير من علي, 2024,ص222) بامكان المؤرخ اعتماد نماذج من الذكاء الاصطناعي للكشف عن التزييف, مثل تحليل الصور والفيديوهات باستعمال Google Reverse Image أو Tineye للتحقق من أصل الصورة وتاريخ نشرها, ونجد أيضا Blockchain الذي يستخدم لضمان مصداقية الوثائق التاريخية ومنع التزييف, ونموذج آخر وهو GPT Zero الذي يساعد في تحديد إذا كان النص مكتوبا بواسطة الذكاء الاصطناعي أو به تحريف. (DeepSeek)

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن التطور التكنولوجي له تأثير كبير على الكتابات التاريخية, بحيث سمحت للمؤرخ بتخطي حواجز الزمان والمكان ومكنته من الوصول إلى مصادر نادرة أو بعيدة, ومتنوعة. بتوفر قواعد بيانات ضخمة تحوي ملايين المصادر, فوسع بذلك أفاق الكتابة التاريخية, لكن في نفس الوقت شكلت تحديا كبيرا أما المؤرخ بسبب اختلاط المصادر الموثوقة مع المضللة. كما أن الذكاء الاصطناعي سمح بتحليل البيانات

التاريخية واستخراج الأنماط, وفك الرموز القديمة, لكنه لا يفهم المشاعر أو النوايا البشرية خلف الأحداث, إلى جانب اعتماده على البيانات المتاحة والذي يؤدي غلى أخطاء تاريخية. لذلك على المؤرخ تطوير منهجيات جديدة لنقد المصادر الرقمية وبياناتها والكشف عن تحيزاتها المحتملة, ويتوقف ذلك على مدى إتقانه للوسائل التكنولوجية الحديثة, وامتلاكه للمهارات الرقمية, خاصة وأنه لا يحتك بالمصدر المادي ولا يمتلك الوثائق الأصلية وهذا ما يمنعه من نقدها والتأكد من صحتها من خلال الحبر والورق.

قائمة المراجع:

زهير بن علي, 2024, مهنة المؤرخ في عصر الثورة التكنولوجية والرقمية والذكاء الاصطناعي, مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية, المجلد 9, العدد 01, ص 219-222.

سلوى سامي عبد الباسط عبد الحي, 2024, برنامج قائم على المصادر الرقمية لتنمية الدلالة التاريخية لدى طلاب شعبة التاريخ بكلية التربية, مجلة كلية التربية ببنها, العدد138, ص 230.

علاء عبد الخالق المندلاوي, إسراء نجم عبد, 2025, منهجية البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي الأدوات والتقنيات المبتكرة, دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع, العراق, ص 170-171.

محمد البشير رزاقي, 2022, أن تكون مؤرخا في الزمن الرقمي: علم التاريخ ناظرا ومنظور إليه, مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد 88. https://jilrc.com/archives/15423 المتصفح يوم 25-07-2025.

محمد زهران, 2022, التكنولوجيا والتاريخ,
https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=26112022&id=f1d1fee5-c8f8-4770-8cd0-5703d78880ce المتصفح يوم 02-08-2025

موسم عبد الحفيظ, 2021, واقع استخدام المصادر والمراجع الالكترونية في مجال الدراسات والبحوث التاريخية, مجلة العلوم الانسانية, المجلد رقم 02, ص 9-11.

Ian Milligan, 2022, The transformation of historical research in the digital age, Cambridge university press, United Kingdom,p 4-5 https://www.cambridge.org/core/elements/transformation-of-historical-

research-in-the-digital-age/30DFBEAA3B753370946B7A98045CFEF4 see 25-07-2025.
DeepSeek
Trevor Owens, Thomas Padilla, 2021, Digital sources and digital archives: historical evidence in the digital age, international journal of digital humanities,p3-5
https://engl201.opened.ca/wp-content/uploads/sites/57/2024/01/Digital-sources-and-digital-archives.pdf see 29-07-2025

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

The Role of Orientalists in Framing Islamic History and its Renaissance
The Orientalist Adam Metz as a Model

Dr. ALJOHRAH RASHID HABIB ALKHALDI
Assistant Professor of Islamic History, Department of History and Heritage, College of Arts, Imam Abdulrahman bin Faisal University
aljkhaldi@iau.edu.sa

Abstract:
The pens of Orientalists, with their various types and approaches, contribute to enriching human history and knowledge. They also play a role in framing Islamic history and its renaissance after screening and refining their writings. The Islamic religion and Islamic civilization occupy the forefront of topics of importance to Orientalists. From this standpoint, the study focused on revealing the role of Western Orientalists in the fields of framing Islamic history and its renaissance, by shedding light on the German school and one of its figures, the Orientalist Adam Metz, and his book: (Renaissance des Islam) (i.e. (The Renaissance of Islam)), translated into Arabic under the title: (Islamic Civilization in the Fourth Century AH). The study also demonstrated the concept of Orientalism and its beginnings and presented both the positives and negatives of the writer's and his author's methodology, and demonstrated the most prominent features of civilization in the Islamic state during the fourth century AH (tenth century AD).

Keywords: Adam Metz ; German Orientalism ; Framing History; Islamic Civilization; Fourth Century AH.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

دور المستشرقين في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته
المستشرق آدم متز أنموذجًا

د. الجوهرة بنت راشد بن حبيب الخالدي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
قسم التاريخ والتراث، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل
aljkhaldi@iau.edu.sa

ملخص:

تسهم أقلام المستشرقين على اختلاف أنواعها ومناهجها في إثراء التاريخ والمعرفة البشرية وكذلك لها دور في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته بعد غربلة كتاباتهم وتصفيتها، ويحتل الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية الصدارة في المواضيع ذات الأهمية عند المستشرقين، ومن هذا المنطلق ركزت الدراسة على الكشف عن دور المستشرقين الغرب في مجالي تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته، وذلك بتسليط الضوء على المدرسة الألمانية وأحد أعلامها وهو المستشرق آدم متز وكتابه:(Renaaissance des Islam) أي (نهضة الإسلام) المترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري). كما بينت الدراسة مفهوم الاستشراق وبداية نشأته، وعرضت لكل من إيجابيات وسلبيات منهجية الكاتب ومؤلفه، وبينت أبرز ملامح الحضارة في الدولة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

الكلمات المفتاحية: آدم متز– الاستشراق الألماني – تأطير التاريخ – الحضارة الإسلامية – القرن الرابع الهجري

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

إن الدراسات ذات العلاقة بمناهج المستشرقين ومواردهم في دراسة التاريخ الإسلامي من المواضيع ذات الأهمية الكبرى؛ لدورها في الكشف عن نظرة الغرب وموقفهم من الإسلام وأهله. وقد اختلفت وتعددت مناهج ومدارس المستشرقين في دراساتهم عن الإسلام وأهله، ومن بينها المدرسة الألمانية التي من أبرز أعلامها أستاذ اللغات الشرقية "آدم متز"Adam Metz"(عادل سالم، 2023، ص147) حيث حاول من خلال مؤلفاته التي غلب عليها سمة الاعتدال تأطير التاريخ الإسلامي بمختلف جوانبه، وتفسير مظاهر الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي تشهدها الدولة الإسلامية بشكل عام، وتفاوتها من بلد لآخر.

لا يزال الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية من المواضيع ذات الأهمية عند المستشرقين، حيث اهتموا بالبحث في هذا الجانب وتناولوا شتى مناحيه بالكشف والتقويم والدراسة، واتجه بعضهم إلى دراسة الحضارة الإسلامية والكتابة فيها حتى تطور الموضوع إلى تصنيف المؤلفات المختلفة في هذا الحقل المعرفي. وعلى هذا تباينت كتابات المستشرقين من جدة وأصالة وأمانة علمية، إلى ضعف وتحيز (شتيح بن يوسف، 2013، ص80)، ولا شك أن مختلف هذه المؤلفات لها دور في كشف اللثام عن جوانب في التاريخ الإسلامي مغيبة، وحلقات لم تسجل سقطت من السياق التاريخي لم تلتفت إليها أقلام الباحثين، ولكن هنا نجد أنفسنا أمام إشكالية، يتنازعها فريقان: فريق ناكر لدور الدين الإسلامي وحضارته ودولته، وفريق منصف معترف به. وبناء على هذا ركزت الدراسة على البحث عن دور المستشرقين في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته من خلال كتاب المستشرق الألماني آدم متز: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري).

في هذا السياق، تلعب دراسة مناهج المستشرقين ومؤلفاتهم عن التاريخ الإسلامي دوراً حاسماً في الكشف عن طريقة تفكير الغرب عن الإسلام وكيفية تعقبهم للمعلومات، وتسهم كذلك في تعريف الغرب بتاريخ المسلمين بطريقة علمية بعيدة عن التعصب. وهذا كله أسهم في نقطة الالتقاء بين الغرب والشرق يتشاركون هدف واحد وهو الكشف عن الحقيقة التاريخية الغائبة أينما وجدت ومهما كان مصدرها مما يسهم في إثراء المعرفة الإنسانية. ومن هنا يأتي مصطلح تأطير التاريخ Framing history، وتعني: ممارسة يقوم بها العقل من أجل وضع الأحداث التي نستقبلها من العالم الخارجي – وتكون بلا معنى أو مغزى – في سياق يضفي عليها معنى ليقبلها العقل ويدركها.

وتأتي هذه الدراسة لتميط اللثام عن تلك القواعد التي وضعها المستشرقون الألمان في تحقيق النصوص بيان كيفية الاستفادة من كتابات المستشرقين عن التاريخ والحضارة الإسلامية. والوقوف تحديداً على دور المدرسة الاستشراقية الألمانية في هذا المجال من خلال كتاب المستشرق آدم متز (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري). على أن الدراسة لم تقتصر على دولة بحد ذاتها، بل كانت دراسة شاملة للدولة الإسلامية خلال تلك الفترة في محاولة لرصد جهود آدم متز في تأطير التاريخ ونهضته.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دور المستشرقين في تأطير التاريخ الإسلامي من خلال دراسة كتاب آدم متز على وجه التحديد. كما سيسلط البحث الضوء على أبرز ما تضمنه كتاب (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) عن مختلف جوانب الحضارة في الدولة الإسلامية مما يسهم في إحياء التراث الإسلامي ونشره من وجهة نظر غربية .وكل هذا باتباع المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي مع مراعاة ترابط المعلومات وتسلسل الأحداث التاريخية والحضارية، في محاولة للوصول إلى النتائج والأهداف المطلوب تحقيقها في هذه الدراسة.

- **أولاً: مفهوم الاستشراق ونشأته:**

لغوياً كلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق، يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت (إبراهيم مصطفى، 1960م، ج10ص482). وتطلق لفظ الاسْتِشْرَاق على طلب معرفة ودراسة اللغات والآداب الشرقية، ويطلق لفظ المُسْتَشْرِقِ على الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته، وعليه فَالاسْتِشْرَاقُ دراسة يقوم بها غير الشَرْقِيّينَ لتُراث الشرق (إسماعيل علي، 2000، ص11) تاريخاً ولغة وأدباً وفناً وتقليداً وديانة (Claude DUBOIS redacteur en chef, 2020, p. 729) هذا من حيث المفهوم الواسع. والمعنى الخاص لمفهوم الاسْتِشْرَاق والمستشرقون هم الذين يهتمون بالدراسات الغربية المتعلِّقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته يوجه عام (عبد المعبود إسماعيل، 2020، ص180) وهذا هو محور دراستنا.

أما ما يخص معرفة أسباب عناية المستشرقين بهذا الجانب نذكر –مثلاً– قول جون تاكلي: "يجب أن نستخدم كتابهم – أي القرآن الكريم – وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضِدَّ الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً، يجب أنْ نُري هؤلاء الناس أنَّ الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأنَّ الجديد فيه ليس

صحيحاً... إنَّ الاسلام مَبْنِيٌّ على الأحاديث أكثر مِمَّا هو مَبْنِيٌّ على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء".

وأكد من جانب آخر بلغراف على عدائهم للإسلام ولكل ما يمثله في قوله:" متى توارى القرآنُ، ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذٍ أنْ نرى العربي يتدرَّج في سبل الحضارة التي لم يبعده عنها إلاَّ محمد وكتابه".

من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاسْتِشْرَاق وتاريخ انطلاق كتاباتهم واهتمامهم بالإسلام وحضارته، ولكن يمكن أن نعتبر انتشار الإسلام ودخول الناس فيه، وذيوع صيته في المشرق والمغرب بداية للفت نظر المستشرقين إلى هذا الدين إبان القرن17 ميلادي، ومن ثم الاهتمام بالتعرف عليه ودراسته وتخصيص كراسي علمية للبحث فيه إبان القرن19 ميلادي، ومن بعد هذه المعرفة بدأوا في البحث عن كيفية مهاجمته والقضاء عليه وذلك من خلال الاهتمام بمجالي التاريخ والحضارة الإسلامية من عدة أوجه(إسلام عبدالله، 2021، ص953،959).

- **ثانياً: التعريف بالمستشرق آدم متز وكتابه:**

يعد آدم متز من أشهر المستشرقين الألمان، ولد سنة ١٨٦٩م في ميونخ في ألمانيا، وتلقى تعليمه فيها حتى تخرج من الجامعات الألمانية. ثم سافر إلى سويسرا واستقر بمدينة بازل وكان مهتماً باللغات الشرقية وآدابها وخبيرًا بها، وقد تخصص في الأدب الإسلامي في العصور العباسية، وله العديد من المؤلفات منها كتاب (Die Renaaissance des Islam) أي (نهضة الإسلام). وهو من كتب المستشرقين الهامة، الذي كتبه آدم متز باستخدام الآلة الكاتبة وقبل أن ينتهي من مراجعة مسودة الكتاب وافاه الأجل سنة ١٩١٧م، فأنهى أستاذه هـ ريكندروفH. Reckendor ، العمل ونشر الكتاب باللغة الألمانية سنة1922م. وقد طبع وترجم إلى عدة لغات كالإنجليزية، والإسبانية سنة 1936م (مصطفى لبيب، 2007، ص29). وكذلك ترجم إلى اللغة العربية على يد الدكتور (محمد عبد الهادي أبو ريدة) سنة ١٩٥٧م، تحت عنوان آخر هو: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) (رضوان السيد، 2007، ص24،65).

وقد سجل الدكتور عبد الهادي أبو ريده إعجابه بالكتاب وتسليطه الضوء على الحضارة الإسلامية وعرضه الجيد لكل مرافق المدينة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بقوله: "فأحب أن أنوه القارئ إلى أن المؤلف كان يقصد من كتابه أن يسجل حضارة الإسلام في القرنين الثالث والرابع الهجريين مع العناية الخاصة بالقرن الرابع، ليكون كتابه مقابلاً ومشابهاً لما كتب عن عصر النهضة في أوربا"(آدم متز، 1967، هـ).

من يطالع كتاب آدم متز: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) يجده كتاباً جامعاً مانعاً ونفيساً يجمع بين دفتيه مواضيع متعددة وتفاصيل كثيرة، وبأسلوب علمي رصين وموضوعية قدم عرضاً وافياً لمختلف جوانب الحضارة الإسلامية وبشواهد تاريخية وأدبية بحكم تخصصه في الأدب الإسلامي (عادل سالم، 2023، ص148)، وكل هذا برهاناً على أن الحضارة الإسلامية حضارة متنوعة وغنية وفريدة. ويتضمن الكتاب 29 فصلاً مقسمه على جزئين على النحو الآتي:

- الجزء الأول 17فصلاً بمواضيع متنوعة (الخلفاء- الأمراء- الوزراء- الإدارة- اليهود- والنصارى...)
- الجزء الثاني 12 فصلاً ومواضيعه (الجغرافيا- الاقتصاد- الملاحة- الصناعات- المعيشة- الأعياد...) (طلال سالم، 1982، ص145،146)

فيصبح المجموع29 فصلاً تغطي مختلف مرافق الدولة الإسلامية خلال العصر العباسي اعتمد فيها المؤلف على الموارد المطبوعة والمخطوطة العربية والأجنبية، حاول فيها المؤلف أن يسجل كل نواحي الحضارة في الدولة الإسلامية خلال فترة القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) مع تركيز دقيق على ما يختص منها بالقرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وهكذا يماثل ويشابه ما يكتبه الغرب عن عصر النهضة في أوربا خلال هذه الفترة.

وهذه الخطوة أي الكتابة عن حضارة المسلمين قد طبقت عند عدد من المستشرقين ومن بينهم المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون صاحب كتاب " حضارة العرب". الذي صرح فيه أنه يعزم على الكتابة عن تاريخ الحضارات كلها، والبداية مع حضارة العرب التي لم يسبق أن أفرد لها كتاب يحكي تأثيرها على العالم اجمع سيما أنها تحكم مساحات شاسعة مترامية الأطراف يغلب عليها نظام واحد، وديانة واحدة، ولغة واحدة، وعلوم وتاريخ واحد(جوستاف لوبون، 2013، ص19). أما عن كتاب آدم متز فقد تناوله المؤلف

من منظور حضاري للدين الإسلامي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وهذا المنظور الحضاري تشعب مع كتابته العلمية والتسلسل التاريخي إلى عدة أنواع:

في البداية كان منظورًا سياسيًا فيما يخص رصد نظام الحكم الإسلامي في بلدانه المختلفة، ومن ثم انتقل آدم متز إلى المنظور الاجتماعي أثناء تتبعه لفئات العالم الإسلامي وتفاصيل حياتهم، ومن ثم كان الختام بالمنظور العلمي من حيث تناول مختلف العلوم والمعارف التي وجدت وحذقها المسلمون خلال فترة الدراسة القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). كما يلاحظ حرص آدم متز أثناء دراسته للمنظور الحضاري للدولة الإسلامية على موضوع الانفتاح الحضاري على مختلف الثقافات والأمم الأخرى وعدم التحيز لثقافة أو لأمة على أخرى.

ومن خلال منظور آدم متز الحضاري تمكن من رصد تاريخي متسلسل لمختلف جوانب الحياة السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية العربية، والإسلامية في الدولة الإسلامية خلال فترة القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). أي كتاب جامع لعناصر الحضارة الإسلامية وتأثيرها على العالم أجمع، مفصلًا لقيام الدول والنهضة الإسلامية وآثارها وعجائبها وتأثيرهم في المشرق والمغرب، ومرورًا بعوامل ضعف الدولة الإسلامية وآثار ذلك على الحضارة.

- **ثالثاً: منهجية آدم متز في تنظيم كتابه:**

على غير عادة الباحثين لم يذكر آدم متز منهجه العلمي في ترتيب فصول كتابه، وكيف وظف مصادره ومعلوماته فأيهم يأتي أولًا بحسب منهجيته؟ وكذلك لم يوضح كذلك المعيار والأساس الذي اعتمد عليه في سياق أخباره وكتابتها، فنراه مثلًا يبدأ حديثه بالجانب السياسي بإشارته إلى أوضاع خاصة بالخلفاء، والأمراء، والوزراء ... ثم ينتقل في حديثه مباشرة دون فاصل أو توضيح إلى بيان بعض الجوانب الاجتماعية، كما في تفصيله لفئات المجتمع في الدولة من اليهود، والنصارى، والشيعة، والرقيق. وتارة ثالثة يتطرق إلى جانب جديد كالجانب الديني من شرح للعلوم الدينية والمذاهب الفقهية وأعلام الفقهاء. وبعدها ينتقل الحديث لمناقشة جوانب علمية متفرقة كعلوم اللغة، والعلماء، والأدب بفرعيه الشعر والنثر. كذلك لم يخل حديث آدم متز عن الجوانب الإدارية ومناقشة تفاصيلها في الدولة كالمسائل المالية ودار الخلافة. ويظهر مما

تقدم أن آدم متز قد استعرض في كتابه علوم المسلمين وآدابهم وفنونهم ونظمهم وصناعتهم في مختلف الأقطار دون خطة واضحة.

وفي الغالب نجد الكاتب يتابع الحدث – أيًا كان نوعه– بتسلسل تاريخي من بداية ظهوره وتطوره إلى نهايته، مع التركيز على حصر الحديث في دائرة القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، لكن نلاحظ أن آدم متز قد خالف هذه القاعدة في عدة مواضع إذا احتاج الأمر لذلك، فمثلاً عند حديث آدم متز عن موضوع الرقيق، نجده بعد تفصيله لتاريخ الرقيق والإشارة إلى أسعارهم وبلدانهم، أفرد فصلاً لاحقًا في معنى الرق اللغوي ومدلوله ودليله في القرآن الكريم، وكيف كانت معاملتهم في الإسلام (آدم متز، 1967، ج1ص 314-318). وهنا نتساءل أليس من المفترض أن يكون هذا الفصل هو البداية الصحيحة قبل حديثه عن تاريخ الرقيق، أو له أن يكتفِ بما ذكره من التسلسل التاريخي للرقيق ويلغي هذا الفصل.

مما تقدم يتبين أن الكاتب تحدث عن كل فروع الحضارة الإسلامية دون خطة واضحة يلتزم فيها، وهذا يتطلب من القارئ لكتاب آدم متز قراءة فاحصة لكل فصول الكتاب ليتمكن من جمع شذرات كل موضوع المتناثرة بين دفتي الكتاب دون عناوين مفصلة أو منهج واضح.

- **رابعاً: جودة المادة العلمية للكتاب وطريقة عرضها:**

تظهر قيمة الكتاب في كونه يحمل بين طياته رصداً شاملاً للحضارة الإسلامية في فترة محددو، وهي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). تعرض فيه الكاتب لمختلف الجوانب السياسية، والعلمية، والدينية والاجتماعية في مختلف بلاد العالم الإسلامي من الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب.

ومن جانب آخر يمكن اعتبار ما وُجد في الكتاب من مقارنات مع العالم الأوربي أقامها الكاتب بموضوعية وبدون تحيز، خطوة تسهم في تتبع الوضع السياسي، والاجتماعي، والديني، والاقتصادي خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في العالم الأوربي أيضاً.

كما يمكن اعتبار هذا الكتاب مرآة عاكسة – على امتداد فصوله التسعة والعشرين– لكثير من جوانب حضارتنا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). رغم ذلك نجد في ثنايا مطالعتنا للكتاب ما يثير ويطرح التساؤل ويوجب المراجعة لكثير من النواحي التي قصر فيها الكاتب، وتحتاج إلى النظر فيها مما سيأتي بيانها في موضعه.

قدم لنا الكاتب تاريخ مفصل عن الحياة السياسية، والدينية، والعلمية والاجتماعية في العالم الإسلامي وبلدانه من العراق، والشام، وفارس، مصر، وغيرها. والحديث يشمل كل فئات المجتمع من العرب وغير العرب، وبمختلف طبقاتهم الاجتماعية ابتداءً من علية القوم التي يمثلها الخلفاء، والأمراء والوزراء، وانتهاءً بالطبقات العامة من أهل الذمة والرقيق وغيرهم.

رغم التاريخ المفصل والشامل الذي حرص آدم متز على تقديمه في الكتاب إلا أن القارئ سيلاحظ أن المؤلف أثناء عرضه للمعلومات قد وقع في أخطاء كثيرة، خاصة في ناحية إطلاقه لحكم مطلق على أنظمة الحكم السياسية والأوضاع الاجتماعية في الدولة الإسلامية؛ ولعل هذا يرجع لضعف المادة العلمية في هذا الجانب، وجهله بالموروث التاريخي والحضاري للإسلام، حيث احتجنا في تقويم مادة الكتاب إلى الرجوع لعدد من كتب الجغرافية البلدانية، لاستيضاح الأماكن التي وردت في البحث، وكما رجعنا إلى كتب التراجم لتعريف عدد من الأعلام المذكورين دون أي تعريف، ولا غنى عن قواميس اللغة لتوضيح معاني بعض المفردات المذكورة دون توضيح في ثنايا الكتاب. وكذلك دفعتنا الحاجة إلى الاستعانة بمصادر ومراجع تاريخية لإيضاح بعض الاستفهامات الواردة في البحث.

فمن الأخطاء المرصودة قلة اهتمام آدم متز بذكر مدلول الألفاظ الغامضة الواردة في كتابه، وهذا الأمر قلل من قيمة كتابته الحضارية، فعلى سبيل المثال لم يوضح معنى: شراب الجّلاب، ولا مِحفّة (آدم متز، 1967، ج1ص 42-43) كما لم يقدم في عدة مواضع تحديداً جغرافياً للبلاد والمدن المذكورة في ثنايا كتابه، مثل: أصبهان، وديار ربيعة، وكرمان، والمصيصة، وطرسوس، وبلوخستان، وغيرها. فهذا التحديد الجغرافي لو دعمه آدم متز في كتابه كان من شانه أن يساعد القارئ في التعرف على البلاد وموقعها وتبيان العلاقة الناشئة بين مختلف البلاد في الدولة الإسلامية.

ويظهر في ثنايا الكتاب تركيز آدم متز على التعريف بعلية القوم من الخلفاء والأمراء، ويقابل ذلك قصورًا في التعريف بغيرهم من الأعلام غير المشهورين مثل: محمد بن إلياس، محمد بن طغج، قرواش بن المقلد ... وغيرهم كثير. ومما لا شك فيه أن التعريف بالعلم المذكور في موضع ونسبه وبلده سيساعد في معرفة القبائل العربية، والتعرف على سبب شهرة هؤلاء الأعلام عند الناس مما يعكس صورة عن تقدم البلاد الحضاري.

يجب الإشارة إلى أن ما ذكرناه من قصور كتاب آدم متز في عدة جوانب كالتعريف بالأعلام، أو تحديد موقع البلاد جغرافيًا، أو تقديم شرح للألفاظ الغامضة الواردة في كتابه، كل ذلك لو وجد في الكتاب لزاد من أهمية الكتاب، ولساعد في توضيح الصورة وتقريبها أكثر للقارئ.

ومن الطرق التي اعتمدها آدم متز في عرض معلوماته الأسلوب القصصي، الذي سرد فيه أخباره دون سند، وما تضمنته تلك الأخبار من روايات وقصص وأمثلة لا مصدر لها موثق، وهذا الأمر أفقد كثيرًا من أهمية الكتاب وقد يثير الشك في بعض ما كتبه وفي دقته ومدى صدقه، ولكن مع ذلك فما تقدم لا ينكر أهمية كتاب آدم متز وأثره في التعريف بالإسلام وحضارته المشرقة المتفرعة في كل صوب في تلك الحقبة الزمنية، ولا ننكر جهوده في الدفاع عن الإسلام ودحض الشبهات المثارة حوله.

- **خامساً: مهارة النقد والتحليل عند آدم متز:**

مما يلفت النظر في كتابات آدم متز أن شخصيته النقدية والتحليلية لا تبرز كثيرًا، فنلاحظ على كتابته ورصده للحضارة الإسلامية غياب ملكة النقد والتحليل عنده في كثير من الأحيان. فكثيراً ما يركن إلى سرد الأحاديث كسلسلة متواصلة نادراً ما يعلق عليها ويذكر رأيه فيها. وإن من يطالع الكتاب يجد ذلك واضحًا، وهذه المهارة مهم على كل مؤرخ يؤرخ التاريخ أن يعتمد عليها؛ لدورها في دحض الروايات ونقض الشبهات الباطلة التي لا أساس لها خاصة تلك التي تهاجم الدين الإسلامي وحضارته.

وفي أحيان أخرى نجد آدم متز يكتفي في الاستشهاد على الحدث التاريخي بمثال واحد للتأكيد على كلامه، والإشكالية في ذلك أيضاً أن هذا المثال المنفرد يورد دون مصدر يدعمه، فكيف نثق في صحة هذا المثال ونستدل منه على صدق الحادثة من عدمها؟ ومن أمثلة غياب ملكة النقد والتحليل عند آدم متز في كتابه، ما نورده في الجدول التالي:

الجدول 1: ملكة النقد والتحليل عند آدم متز

م	الحدث المذكور في كتاب الحضارة الإسلامية	طريقة الكاتب في النقد والتحليل
1	رضى الخليفة العباسي بطاعة بعض الأمراء وخروج الآخرين عن سلطانه(آدم متز، 1967، ج1ص23)	اكتفى الكاتب بذكر مثال على ذلك عندما رضى الخليفة بطاعة محمود صاحب غزنة
2	نظريته أن علامة الخليفة الحقيقي هي بامتلاك سلطة الحرمين (آدم متز، 1967، ج1ص23-24)	لم يذكر الكاتب مثال على ذلك ولم يتناولها بالنقد.
3	حريق الكرخ والخسائر من الأنفس، والدكاكين، والمساجد، والأموال (آدم متز، 1967، ج1ص31)	ذكر الكاتب هذه الخسائر بالتفصيل دون ذكر مصدره في ذلك، مما يدفعنا إلى التشكيك في صحة هذه الأعداد.
4	اختيار المكتفي خليفة للمسلمين سنة295هـ(آدم متز، 1967، ج1ص33)	ذكر الكاتب قصة اختيار المكتفي للخلافة من نص واحد، ولم يوثقه.
5	حكم أم الخليفة المقتدر(آدم متز، 1967، ج1ص36)	فصل الكاتب في حكم أم المقتدر للبلاد بدون ذكر مصدر على ذلك.
6	نهاية حكم الخليفة القاهر وسمل عينيه(آدم متز، 1967، ج1ص39)	ذكر الكاتب بالتفصيل كيف كانت نهاية حكم الخليفة القاهر من دون ذكر مصدره في ذلك.
7	خروج الخليفة القادر متخفياً ليتعرف على أحوال رعيته(آدم متز، 1967، ج1ص41)	ذكر الكاتب الحدث دون الإشارة إلى المصدر. فما مصدره في ذلك؟ وكيف عرف هذه الناحية عن الخليفة؟ هل رصدها من مجالسته للخليفة أو من مشاهداته؟.
8	حكم السامانيين(آدم متز، 1967، ج1ص49)	تتبع الكاتب أمر السامانيين من حديث المقدسي وكان يدلي برأيه ويناقش، ونلاحظ أنه يذكر أنه بعد 20 سنة من حديث المقدسي اجتاح الترك دولة آل سامان.
9	ختم الذمي ببلده واسم سيده(آدم متز، 1967، ج1ص99-100)	وثق الكاتب كلامه عن هذا الموضوع بأبيات شعر من الجاحظ وشعر بشار بن برد.
10	اتخاذ الخليفة المتوكل للجواري(آدم متز، 1967، ج1ص271-272)	ذكر الكاتب في هذا الحدث أكثر من مصدر لكنها مختلفة الآراء، ولم يرجح أحد هذه الآراء.

ونستغرب من المؤلف عدم اهتمامه في ذكر المصادر والشواهد التي تؤكد صدق كلامه، لاسيما بعدما ذكر حديث أبي حيان:" ليس الخبر كالعيان" (آدم متز، 1967، ج1ص202)، فلماذا لم يطبق ذلك على كتابته للتاريخ؟ وكيف يقول الشيء وينقضه في نفس الوقت؟

ونشاهد في بعض النواحي تطبيقه لتلك القاعدة عندما استعرض آراء المؤرخين العرب وصرح بأسمائهم وكتبهم، وممن ذكرهم: المسعودي، والمقدسي، والصابي، والهمذاني، وأبو بكر الخوارزمي، والقلقشندي، وأبو الفداء، والتنوخي، وابن مسكوية، وابن حوقل، وابن جبير، والبيروني، والإدريسي، السمرقندي والمقريزي.

- **سادساً: نماذج من أخطاء آدم متز:**

هناك بعض المآخذ والسلبيات تم رصدها في الكتاب ربما يرجع أسباب بعضها لقصور فهم آدم متز لمعاني الدين الإسلامي ولأحداث التاريخ الإسلامي، أو لعل اللغة وقفت حائلًا دون استيعابه وفهمه لعجائب اللغة العربية، ومن تلك الأخطاء:

1- وقع الكاتب في خطأ أثناء قوله: "كان الأخشيد أول من رتب الرواتب" (آدم متز، 1967، ج1ص158). والخطأ في هذا كيف يكون الأخشيد هو أول من رتب الرواتب، ألم تكن هناك مرتبات وأموال تصرف على عمال الدولة في العهود السابقة؟ ولماذا لم يفصل في موضوع المرتبات وكيف كان يصرف لموظفي الدولة المرتبات؟

2- ذكر آدم متز أن لقب الخليفة (أمير المؤمنين) ظل بسيطاً كبساطة لباسه (آدم متز، 1967، ج1ص258)، فبالرغم من بساطة اللقب إلا أنه يحمل أعظم معاني الخلافة، وهي الخلافة الدينية والدنيوية على المسلمين، فما أضخم معاني هذا اللقب وبساطة عبارته.

3- مما مثله آدم متز على أدب الحاشية في حضرة الخليفة ما جاء في قوله: " أن أحد رجال الحاشية تحمل لسعة عقرب ولم يتحرك حتى عاد إلى منزله" (آدم متز، 1967، ج1ص266). وصراحة هذا المثال يشوبه ضرب من الخيال، فأولاً لا مصدر يؤكد على هذه الحادثة، وثانياً كيف يستطيع أي إنسان تحمل لسعة عقرب دون أن يتحرك ؟، فكان على الكاتب التعليق على هذه الحادثة ويتناولها بالتحليل.

4- عند حديث الكاتب عن العلماء، نفى عن العلوم أن يكون لها منهجاً وأسلوباً علمياً، واستثنى من ذلك الفلسفة وعلم الكلام، ثم ذكر أن لكلًا من التاريخ والجغرافية واللغة منهجها الخاص، وكانت المعارف

قبل ذلك للتسلية (آدم متز، 1967، ج1ص319). وكلامه هنا لا نتفق معه، فأولى العلوم التي نشأت في العالم الإسلامي واعتنى بها المسلمون هو تدوين الحديث الشريف ومغازي رسول الله وتاريخه، ومنه نشأت مدرستان للتاريخ بمنهجين علميين، فأين التسلية في ذلك وما دليله على ذلك.

5-ذكر أن أكبر ما تم تحقيقه على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات ودلالاتها وعمل المعاجم اللغوية (آدم متز، 1967، ج1ص435). وهنا نتساءل هل هذا فحسب ما أنجزه العلماء، أين المؤلفات والإنجازات التي حققوها في فروع المعرفة الأخرى، هل اقتصر الأمر على علم اللغة فحسب؟ ولعل المؤلف ركز على الأدب واللغة بحكم مجال دراسته فوقعت عينه على ماله علاقة بتخصصه وأبحر فيه بتوسع أكثر من العلوم الأخرى.

6- تتبعه للحضارة الإسلامية واسقاطها على ما كتب عن عصر النهضة في أوربا، ولذلك يحشر تاريخ الإسلام ضمن تاريخ العصور الأوروبية باعتباره مكملاً ومشابهًا لها. والفرق شاسع بين القطرين سياسيًا واجتماعيًا ودينياً.

وبالرغم مما وقع فيه آدم من أخطاء أثناء رصده لتاريخ الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، إلا أنه لم يتعرض للدين الإسلامي والمسلمين بالانتقاص أو الهجوم اللاذع أو الإساءة، ولهذا يعد من المستشرقين المتسامحين مع الدين الإسلامي وحضارته وصاحب منهج عادل وموضوعي بعيد عن العصبية. ونشهد هذا عندما لم ينكر فضل الحضارة الإسلامية وتقدمها وانجازاتها وتميزها على العالم الأوربي، واتضح ذلك من خلال ما يعقده من مقارنات مع الوضع في العالم الأوربي.

- **سابعاً: آراء آدم متز الخاصة في كتابه:**

يمكن رصد العديد من أراء آدم الخاصة في ثنايا كتابته عن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، فتارة نراه يصرح فيها، وتارة أخرى تفهم من سياق كلامه وشواهده، ومن أوجه ذلك ما نفرده في الجدول التالي:

الجدول2: نماذج من آراء آدم متز الخاصة

م	الشاهد على رأي آدم متز	طريقة عرض آدم متز لرأيه	التعليق على رأي آدم متز
1	حديثه عن تعدد أمراء المؤمنين والانقسام السياسي في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)	ذكر رأيه بأن لا غضاضة من هذا التعدد والانقسام ما دام أنه داخل مملكة الإسلام.	نخالفه في ذلك، أليس هذا التعدد والانقسام وإن كان داخل مملكة الإسلام يعد دليلاً على الضعف، وسيجر معه حروب وفتن بين الأطراف؟ (آدم متز، 1967، ج1ص21).
2	حديثه عن الدين في العالم الإسلامي	لم يصرح برأيه لكن نلمح من حديثه اعجابه بوضع الإنسان أياً كانت ديانته في العالم الإسلامي، الذي يتمتع بحريته الدينية عكس الوضع في أوربا	نوافقه على ذلك، فالتسامح الديني مما تميز به الدين الإسلامي على سائر الأديان(آدم متز، 1967، ج1ص22).
3	ديوان التوقيع	اتضح رأيه عندما ذكر أن هذه التواقيع فيها من الاختصار والبلاغة وذكاء موقعها ومهارته في اصابة غرضه.	لكن لم يقدم أمثلة موضحة لتلك التواقيع (آدم متز، 1967، ج1ص153).

ولم يكتف آدم بذكر هذه الآراء، بل نجده يعممها في أحيان، وكعادته من دون أن يذكر مصدره، ومن ذلك: ذكره أنه لم يجتمع عند ملك من البلور أكثر منه عند الخليفة الراضي (آدم متز، 1967، ج1ص37)، ولم يسمل أحد من الخلفاء وملوك الإسلام قبل الخليفة القاهر (آدم متز، 1967، ج1ص36)، في حين أن الخليفة المتقي لم يشرب النبيذ قط (آدم متز، 1967، ج1ص38). كما ذكر حرص اليهود والنصارى على أن تظل دولة الإسلام غير تامة التكوين؟ فهذا تعميم وكلام خطير لا دليل على ما يؤكده (آدم متز، 1967، ج1ص75).

فهذه الآراء وغيرها لها دلالتها التاريخية، ولكنها لا تفيد ها هنا؛ لافتقارها إلى مصادر تؤكد عليها.

- **ثامناً: دور كتاب آدم متز في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته:**

رغم ما وقع فيه آدم متز من أخطاء في كتابة تاريخ الحضارة الإسلامية، إلا أن ذلك لا يعني أن ننكر ما تميز به من جهة أخرى في خدمة التاريخ والمعرفة البشرية، ومنها ما يلي:

1- الاسهام في تأطير التاريخ الإسلامي ونهضته من خلال محاولته تأريخ الدولة الإسلامية في مختلف فصولها الزمنية تأريخا دقيقاً حتى زمانه وهو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وحاول قدر المستطاع تبيان أبرز ملامح هذا التاريخ في شتى مناحي الحضارة، وكل هذا بالاستناد إلى مختلف المصادر المطبوعة والمخطوطة العربية والأجنبية.

2- قدم تاريخاً شاملاً ومفصلاً لكل جوانب الحضارة في الدولة الإسلامية، في كل بلاد العالم الإسلامي ومقارنتها من جانب آخر بالعالم الأوربي، بدأها بالناحية السياسية، ثم الاجتماعية، والعلمية والختام بالناحية الدينية.

3- ضبطه للحوادث التاريخية ووفيات الأعلام بالتاريخين الهجري والميلادي في أغلب المواضع، فمثلاً: أرخ لانقسام مملكة الإسلام إلى دول صغيرة في سنة324هـ/935م. وذكر وفاة المسعودي سنة 332هـ/944م. وأرّخ لفتح مدينة القيروان في سنة 297هـ/909م، مما يؤكد أن كتابه يلتزم بالمنهجية العلمية ويخدم التاريخ.

4- ألتزم بالتسلسل التاريخي لما يذكره من حوادث ووقائع تاريخية، فنراه يتتبع الحدث من بداية نشأته إلى نهايته وأحياناً يستمر إلى ما بعد القرن 4هـ/10م؛ حرصاً على إكمال تتابع الحدث وعدم انقطاعه، ومن ذلك: تتبعه لتاريخ ألقاب أصحاب الدواوين إلى أن أسقطها الخليفة الحاكم بأمر الله (آدم متز، 1967، ج1ص180).

5- رغم ضعف سيرة بعض الخلفاء والأمراء، حرص الكاتب أيضاً على ذكر محاسنهم في فعل الخير والإحسان، مثلما فعل مع بجكم التركي، حيث ذكر ناحية قبح فعله وسوء سيرته في الحكم ومن ناحية أخرى عرج على ذكر حسه الفني وحبه لفن العمارة وغرس الأشجار (آدم متز، 1967، ج1ص70).

6- نجح المؤلف في الربط والتنسيق بين فصول كتابه، وحرص على الإشارة إلى ما سيتناوله لاحقاً بتوسع واستفاضة.

7- تنوع طريقة المؤلف في الكتابة والتأريخ للحضارة الإسلامية ما بين السرد الطويل، وبين طرح تساؤل ومن ثم الإجابة عليه، ونشاهد هذا عندما تساءل عن سبب ولاية رجل واحد لخزانة بيت المال وخزانة الخليفة ؟، ثم جاوب على ذلك بتتبع تاريخ نشأة بيت المال (آدم متز، 1967، ج1ص227).

8- إنصافه للدين الإسلامي بأمانة علمية وموضوعية من خلال رصده لحضارته وإنجازات المسلمين في مختلف الميادين السياسية والدينية والعلمية. وتميز بالرصد العلمي البعيد عن التحيز والتعصب.

- **الخاتمة:**

نتوصل في ختام هذه الدراسة إلى عدة نتائج، ومنها:

أن المستشرق آدم متز من المستشرقين المنصفين للدين الإسلامي وحضارته، واتضح ذلك من خلال موضوعيته العلمية التي ظهرت في كتاب يعنى برصد الحضارة الإسلامية في الدولة الإسلامية بمنهجية علمية رصينة.

ويدل ذلك على أن الدين الإسلامي وما أنتجه من حضارة غنية كان عامل جذب لمختلف الباحثين من مسلمين وغيرهم للكتابة في مختلف نواحيه، فحضارة الإسلام حضارة متفرعة شملت العديد من النواحي السياسية، الدينية، العلمية، الإدارية والاجتماعية، فلم تكن متقوقعة على جانب دون آخر ولم تكن منحصرة على دولة دون أخرى.

لهذا عندما يقع خلل أو قصور في إحدى نواحي الحضارة الإسلامية تسعفها الجوانب الأخرى وتجبر خللها. فالتوازن والتكامل قائم بين كل فروع الحضارة الإسلامية، ويمكن من رصد الحضارة في فترة محددة أن يعطينا لمحة عن الوضع في الفترات السابقة واللاحقة؛ لكون التاريخ سجل متوارث يحفظ فيه حضارة المسلمين.

ولا قيمة ولا أهمية لما يسجل في التاريخ وغيره من ميادين المعرفة من أراء وملحوظات ومؤلفات مالم تدعمها بمصادر تؤكد على صحة مادتها العلمية. لهذا لا نسلم تماماً فيما يقدم لنا إلا بعد الدراسة والتحري.

قائمة المراجع:

1. إسماعيل، عبد المعبود، (2020)، صورة الحضارة الإسلامية من خلال كتاب حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون، مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية، ع2، 177-203.
2. بن يوسف، شتيح، (2013)، جهود المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية المستشرقون الألمان نموذجاً، مجلة التراث، ع3، 77-97.
3. الحديثي، طلال سالم، (1982)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مجلة التراث الشعبي، مج13، ع3، ص143،146.

4. سالم، عادل، (2023)، موقف المستشرقين الألمان من الحركة الصوفية في الإسلام آدم متز نموذجاً، مجلة دراسات استشراقية، ع36، 147-174.

5. السيد، رضوان، (2007)، المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي، بيروت.

6. عبد الغني، إسلام عبدالله، (2021)، كتابات المستشرقين في مجالي التاريخ والحضارة الإسلامية عبر العصور المستشرقون العرب نموذجاً رؤية أنثروبولوجية، مجلة المعيار، مج25، ع56، 945- 967.

7. عبد الغني، مصطفى لبيب، (2007)، رؤية آدم متز للحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مركز تحقيق التراث، ع10، 29-42.

8. لوبون، جوستاف، (2013)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

9. متز، آدم، (1967)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت.

10. محمد، إسماعيل علي، (2000)، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، القاهرة.

11. مصطفى، إبراهيم، (1960)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

12- Claude DUBOIS redacteur en chef, (2020). Larousse. Petit la rousse. 729, Paris, France; Librairie Larousse.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

A research paper titled: The Educational System in the Ghaznavid Empire (351 AH - 582 AH) and its Cultural and Historical Impact

Zainab Jamil Abaidi
University of Babylon
zainab.alhimyariB@uobabylon.edu.iq

Abstract:

This study sought to explore education in the Ghaznavid Empire, which was founded by Sabuktigin in the fourth century AH (tenth century AD). Ghazni became an important center in Central Asia. Under Sultan Mahmud Ghazni, the empire expanded significantly, leading to a flourishing of education and culture. The Ghaznavids realized the importance of education for the stability and growth of the state. Education during this period focused primarily on religious sciences and legal studies such as jurisprudence, interpretation, and theology. At the same time, interest in worldly knowledge such as mathematics, astronomy, and philosophy began to flourish. The Ghaznavid rulers established numerous educational institutions such as madrasas and libraries and supported scholars, helping to create a thriving scientific environment. Mosques also played a pivotal role as centers of worship and learning, making education accessible to all.

Keywords: The establishment of the Ghaznavid state and its historical development, the Ghaznavid state in intellectual and scientific life, educational thought during the era of the Ghaznavid state.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

النظام التعليمي في الدولة الغزنوية(351هـ – 582هـ) وأثره الحضاري والتاريخي

زينب جميل عبادي
جامعة بابل/ رئاسة جامعة بابل
zainab.alhimyariB@uobabylon.edu.iq

ملخص:

سعت هذه الدراسة الى التعرف على التعليم في الدولة الغزنوية التي تأسست على يد سبكتكين في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، حيث أصبحت غزنة مركزًا مهمًا في آسيا الوسطى ، وفي عهد السلطان محمود الغزنوي ، توسعت الدولة بشكل كبير، مما أدى إلى ازدهار التعليم والثقافة ، وقد أدرك الغزنويون أهمية التعليم في استقرار الدولة ونموها ، اذ كان التعليم في تلك الفترة يركز بشكل أساسي على العلوم الدينية والدراسات الشرعية مثل الفقه والتفسير والعقيدة ، في الوقت نفسه بدأ الاهتمام بالمعرفة الدنيوية مثل الرياضيات والفلك والفلسفة ، وقد أسس الحكام الغزنويون العديد من المؤسسات التعليمية مثل المدارس والمكتبات ، وقدموا الدعم للعلماء، مما ساعد في خلق بيئة علمية مزدهرة ،كما لعبت المساجد دورًا محوريًا كمراكز للعبادة والتعليم، مما جعل التعليم في متناول الجميع ،كان التعليم في البداية يُقدَّم في الكتاتيب ، حيث كان الأطفال يتعلمون النصوص الدينية والمواد الأساسية، ومع توسع الدولة ، توسع النظام التعليمي ليشمل مجالات علمية أوسع ،كما ساعد تطوير التعليم في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي ، مما ساعد الدولة الغزنوية على الحفاظ على سيطرتها على أراضيها الواسعة ، لقد كانت التربية والتعليم في الدولة الغزنوية نتاجًا لتفاعل عدة عوامل سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وأدى هذا التفاعل إلى بروز غزنة كمركز علمي مهم في التاريخ الإسلامي ، وأسهم في تشكيل ملامح النظام التعليمي الذي استمر تأثيره في العصور اللاحقة ، اذ تميز التعليم العالي في الدولة الغزنوية بتعدد أساليبه وتنوع وسائله ، حيث ساهم نظام الحلقات ، وطريقة السماع ، والمراسلات العلمية ، والرحلات ، في بناء بيئة علمية خصبة أثرت الحضارة الإسلامية وأسهمت في تقدمها، مثلت الدولة الغزنوية نموذجًا مشرفًا في دعم الحركة العلمية والفكرية في العصور الإسلامية الوسطى، في المشرق الإسلامي وترك تراثها تأثيرًا طويل الأمد على الحضارة الإسلامية ، لا سيما في المناطق الشرقية مثل خراسان والهند ، إذ ساعدت البيئة السياسية

والثقافية على نمو الحركة العلمية وتنوع مجالاتها ، وقد تركت هذه الدولة بصمات واضحة في تاريخ الحضارة الإسلامية من خلال علمائها ومؤسساتها ومؤلفاتها العلمية.

الكلمات المفتاحية: تأسيس الدولة الغزنوية وتطورها التاريخي, الدولة الغزنوية في الحياة الفكرية والعلمية, الفكر التربوي في عصر الدولة الغزنوية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الغر الميامين وصحبه المنتجبين. اللهم إنا نستعين بك ونستهديك ونسألك التوفيق ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائك وعزة رسلك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الذي ارسلته رحمة للعالمين .

بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وبعد اختيار موضوع الدراسة عن(**النظام التعليمي في الدولة الغزنوية(351هـ – 582هـ) وأثره في النهضة الحضارية والتاريخية).**

تُعد الدولة الغزنوية(351هـ- 582هـ) واحدة من الدول الإسلامية المهمة التي ظهرت في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وقد أسسها القائد سبكتكين بعد أن نجح في تثبيت نفوذه في مدينة غزنة ، مستغلاً ضعف الدولة السامانية ، واستطاعت الدولة الغزنوية ، خصوصاً في عهد السلطان محمود الغزنوي ، أن توسع حدودها بشكل كبير لتشمل أجزاء واسعة من آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية ، مما جعلها قوة إقليمية مؤثرة في تلك المرحلة، ولم يكن الغزنويون مهتمين بالفتوحات العسكرية والتوسع السياسي فقط ، بل كان لديهم إدراك عميق بأهمية بناء مجتمع علمي وثقافي قادر على دعم استقرار الدولة وتعزيز نفوذها، ومن هذا المنطلق ، عملوا على تأسيس منظومة تعليمية متكاملة ، شملت الكتاتيب والمدارس والمساجد التي تحولت إلى مراكز للعلم والمعرفة ، وقد أولى حكام الدولة اهتماماً خاصاً بتشجيع العلماء وتكريمهم ، وتوفير المناخ الملائم لنشر العلوم الدينية والدنيوية.

وفي هذا البحث ، سنسلط الضوء على مظاهر التعليم في الدولة الغزنوية ، وأهم المؤسسات التعليمية التي أنشئت خلالها، بالإضافة إلى تحليل أثر التعليم في نهضة هذه الدولة الإسلامية الفريدة.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على مقدمة و ثلاثة مباحث تلتها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة .

حيث اهتم **المبحث الاول** : بأولاً تأسيس الدولة الغزنوية وتطورها التاريخي، وثانياً:النظام السياسي في الدولة الغزنوية ، وثالثاً : نظم الحياة ومؤسسات الحضارة في الدولة الغزنوية.

اما **المبحث الثاني** :فتناول الدولة الغزنوية في الحياة الفكرية والعلمية تأسيس الدولة الغزنوية وتطورها التاريخي واسباب ازدهارها من خلال معرفة أولاً :مظاهر الحياة الفكرية والعلمية في الدولة الغزنوية ، ثانيًا :أسباب ازدهار الحياة الثقافية والعلمية والعوامل المؤثرة في نظام التعليم في الدولة الغزنوية.

وجاء في **المبحث الثالث**: الفكر التربوي في عصر الدولة الغزنوية ، و مظاهر الفكر التربوي ، والمؤسسات التعليمية ، والتعليم في المراحل الأولى ، وطرق التعليم في المراحل العالية.

وجاءت الخاتمة بأهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث

وقد افاد البحث عدداً من المصادر العربية التي اغنت البحث كثيراً بالمعلومات التاريخية اذ شكلت رافداً أساسياً للبحث ، أمدته بمعلومات تاريخية جيدة شملت التعريف (بالدولة الغزنوية 351هـ- 582هـ وتأسيسها وتطورها التاريخي ونظامها السياسي والنظام التعليمي في الدولة الغزنوية وأثره في النهضة الحضارية والتاريخية) ، التي وردت في البحث ومنها : (كتاب الكامل في التاريخ لإبن الاثير) اذ كان لكتابه هذا وجوداً في مصادر الدراسة وهو من الكتب التي لا يمكن على الاطلاق الاستغناء عنها لإشتماله معلومات تاريخية مختصة ، وكذلك (كتاب تاريخ اليعقوبي لليعقوبي) إذ احتوى على مادة تاريخية انفردت فيها عن باقي المصادر وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري) ، وقد افاد البحث عددا من المراجع التي لامناص من الرجوع اليها لإستكمالها الحقائق التاريخية والعلمية المهمة في البحث، مثل كتاب (تاريخ الدولة الغزنوية لعلي مصطفى) اذ اغنى البحث كثيراً بالمعلومات التاريخية القيمة ، و(كتاب أفغانستان بين اليوم والأمس لأبو المؤمن شمس الحق) و(محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للخضري عبد الله) وغيرها ، وهذه المصادر تركت بصمة واضحة من خلال ما أوردته من معلومات قيمة وآراء جمة في جوانب البحث المختلفة ، شكلت مادة قيمة في هذا البحث.

وختاماً، فان ما قدمته من دراسة ما هي الاّ محاولة متواضعة ضمن امكانيتي وقدرتي فان أصبت فيما ذهبت اليه فبتوفيق من الله تعالى وفضله ، وإن اخطأت فذاك من نفسي .
ونسأله السداد والتوفيق والله من وراء القصد .

(النظام التعليمي في الدولة الغزنوية(351هـ– 582هـ) وأثره الحضاري والتاريخي)

المبحث الاول

اولاً: تاسيس الدولة الغزنوية وتطورها التاريخي

ثانياً: النظام السياسي في الدولة الغزنوية

ثالثاً : نظم الحياة ومؤسسات الحضارة في الدولة الغزنوية

اولاً: تاسيس الدولة الغزنوية وتطورها التاريخي

الدولة الغزنوية هي دولة تركية إسلامية حكمت بلاد ما وراء النهر وخراسان وشمال الهند، واتّخذت عاصمتها مدينة غزنة، ويعد الأمير سبكتكين المؤسس الحقيقي لهذه الدولة(حسن إبراهيم، 1935، ص67) وتعاقبت ذريته في الحكم من بعده، وبلغت أوج ازدهارها في عهد السلطان محمود وولده مسعود الأوّل ، ومهّدت بفضل فتوحاتها من توطيد أقدام المسلمين في الهند عقيدة وتاريخاً وحضارة، واستمرّت في حكمها أكثر من قرنين(علي مصطفى، 1990،ص34)، اذ نشأت الدولة الغزنوية في أواخر القرن العاشر الميلادي(أحمد شلبي، د ت، ج3،ص31)

وتُعدّ واحدة من أبرز الدول الإسلامية التي قامت في منطقة خراسان وأفغانستان وأجزاء من الهند، وفي هذه الفترة ازداد نفوذ الاتراك في الدولة الاسلامية وكونوا دولة لهم كانت اول انتصار للعنصر التركي وتنافسه على الرياسة مع العنصر الفارسي ، وحكم القائد التركي سبكتكين (من 977م –997م) هو من اشهر رجال هذه الدولة فهو اسم لامع يذكره التاريخ ويذكر اعماله وبطولاته وحكماً ظل يزدهر من بعده على يد عدة اسر نحو ثمانية قرون ونصف من الزمن ، فهو المؤسس للدولة الغزنوية كان مملوكًا تركيًا في جيش الدولة السامانية ، الذي كان في البداية أحد قادة السامانيين (حسن إبراهيم، 1959م، ص67) ، ثم أصبح

حاكمًا على مدينة غزنة (في أفغانستان حاليًا ليضع بذلك الأساس للدولة الغزنوية ، لقد كان للدولة الغزنوية أهمية كبيرة اذ كانت جسرًا مهمًا بين العالم الإسلامي وشبه القارة الهندية وساهمت في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الهند ، اذ كانت مثالًا مبكرًا على صعود القوة التركية في العالم الإسلامي، وبعد وفاة سبكتكين، تولى ابنه محمود الغزنوي الحكم ، وهو يُعد أعظم حكام الدولة الغزنوية وأكثرهم شهرة حكم من(998م إلى 1030م)، الذي يُعدّ المؤسس الفعلي للدولة الغزنوية حيث وسّع رقعة نفوذها بشكل كبير من خلال حملاته العسكرية الناجحة، خصوصًا باتجاه شبه القارة الهندية، حيث نشر الإسلام وأسّس لحضور إسلامي طويل الأمد في تلك المنطقة ، فشملت دولته أجزاء من: أفغانستان، إيران، باكستان ، شمال الهند(**حسن إبراهيم، 1959م، ص67–78**) قاد محمود فتوحات كثيرة بلغت أكثر من 17 حملة على الهند، نشر فيها الإسلام(أحمد شلبي، 1959م ، ج3،ص34)، وأسقط الممالك الهندوسية، ونهب كنوز معبد سومنات الشهير، اتخذ غزنة عاصمة للدولة الغزنوية ، والتي أصبحت مركزًا حضاريًا وثقافيًا هامًا ، واصبحت قبلة الانظار ومحط رجال العلم واهله ، وورثت امجاد بغداد الاسلامية العباسية في شتى مراحل ازدهارها ورغم الحروب التي خاضها محمود الغزنوي وحلفاؤه في الهند لم تشغله عن رسالة العلم ، فقد توجه الى غزنة المفكرون واستقروا في كنف سلاطين الدولة الغزنوية (علي مصطفى، 2003م،ص94) ، وبعد فتح الهند وجد الغزنويين انفسهم امام مسؤولية نشر الاسلام والثقافة العربية(الخضري عبد الله ،1960م ، ص8)، وكان من نتائج هذه النهضة العلمية والفكرية ، ان بلغت الحياة الفكرية ذروتها في الدولة الغزنوية واصبحت غزنة تغص بكبار العلماءالوافدين(حسن إبراهيم، 1959م، ص87)

وبعد وفاة محمود الغزنوي ، تراجعت الدولة الغزنوية ، اذ خلفه ابنه مسعود ، لكنه لم يكن بقوة أبيه ، وتعرضت الدولة الى هجمات السلاجقة ، الذين ارتفع شانهم وتوسعهم على حساب الدولة الغزنوية ، واجهت الدولة هزائم أمام السلاجقة ، خاصة في معركة داندانقان(ابن الاثير، د ت ،ج11، ص54)سنة 1040م، والتي أفقدت الغزنويين السيطرة على إيران وخراسان، تقلصت الدولة تدريجيًا، واقتصرت على غزنة وأجزاء من الهند حتى سقطت على يد الغوريين (علي مصطفى، 2003،ص67) ، وكان خير ميدان املاك الدولة الغزنوية التي اخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى انهكتها ، ولم تستطع مقاومة اعدائها وبذلك انتقل رعاية الثغر الهندي من الدولة الغزنوية الى الدولة الغورية ، اذ سقطت في نهاية المطاف

على يد الغوريين سنة 582هـ/ 1186م في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (ابن الاثير، د ت ،ج11، ص74).

ثانياً: النظام السياسي في الدولة الغزنوية

وقد تجلى هذا النظام من خلال عدة جوانب مهمة يمكن تناولها في المحاور الاتية(علي مصطفى، 2003م ،ص94).

المحور الاول: طبيعة الحكم

كانت طبيعة الحكم في الدولة الغزنوية , ملكيًا وراثيًا، حيث يُورث العرش من الأب إلى الابن أو أحد أقربائه الأقوياء، وكان السلطان هو صاحب السلطة العليا في الدولة، وله الكلمة الفصل في جميع الأمور السياسية والعسكرية(أبو المؤمن شمس الحق :1969م ، ص47)، فقد عهد سبكتكين لابنه اسماعيل بالحكم على الرغم من ان محمود كان الاكبر سناً، كذلك فعل محمود مع ابنه مسعود وعهد بالحكم لابنه محمد ، و كانت الدولة الغزنوية تابعة للخلافة العباسية من الناحية الاسمية ، وترتب على ذلك حدوث النزاع بين ابناء البيت الحاكم ، وعلى الرغم من ذلك ظل البيت الغزنوي مسيطرا على زمام الامور حتى عام 582هـ وظل السلطان مصدرا لكل السلطات وهو رأس الدولة ، وله صلاحيات مطلقة في تعيين الوزراء ، وقيادة الجيش، وإدارة شؤون الدولة (حسن إبراهيم، 1935م ، ص 78-97) وقيادة الجيش وكان السلطان لايتهاون مع الوزير، فاذا انحرف حاسبه وصادر امواله(ابن الاثير، د ت ،ج11، ص92) ،كما فعل محمود الغزنوي مع وزيره السيندي عام (412هـ /1021م) ،(علي مصطفى، مصدر سابق ،ص93.) ، وكانت مراسيم تولي الوزارة تشبه المراسيم الحالية ، فيكتب المرشح للوزارة بياناً بالمهام التي سيضطلع بها، وبرنامجه في الاصلاحوبعد موافقة السلطان عليها ، وكان يعاون الوزير عدد من الحجاب ، والكتاب والنساخ، والمساعدين وعلى الوزير مراجعة ميزانية الدولة ،ومقابلة المتظلمين والنظر في شكواهم والعمل على حلها (ابن الاثير , د ت , ج11: 54-94) ، وكان قائد الجيش يتمتع بنفوذ كبير وكان في مقام الوزير مثل أبو سهل الزوزني الذي كان محل ثقة السلطان مسعود على تولي السلطة بدلاً من مسعود (**الخضري عبد الله ، 1960م ، ص 84-88**).

المحور الثاني: الجهاز الاداري

وقد ارتبطت الدولة الغزنوية بالخلافة العباسية بروابط قوية مبنية على التعاضد والتآزر حيث حرص السلاطين الغزنويون على إقامة الخطبة للخلفاء العباسيين ونقش أسمائهم على السكة، كما حرصوا على الحصول على تقليد رسمي بحكمهم من الخلافة العباسية (علي مصطفى،2003م ،ص95 ، وذلك لصبغ حكمهم بالصبغة الشرعية وإكسابهم هيبة في نفوس رعاياهم. وتتجلّى ملامح نظم الحكم والإدارة في السلطة الحاكمة المتمثلة في السلطان مصدر الحكم في الدولة(28) ، وأصحاب المناصب العُليا من كبار رجال الدولة ممن تتوفر فيهم الكفاءة والخبرة والثقة ، مثل الوزير وحاكم الإقليم والقاضي والحاجب ووكيل دار البلاط والمشرف ورئيس الشرطة ، وكان لكل من هؤلاء اختصاص معين يقوم بتنفيذه ، يعاونه عدد من الموظّفين كلٌّ في تخصصه (الخضري عبد الله ،1960 ، ص98 -59) وقد أولت الدولة الغزنوية عناية فائقة بعدد من الدواوين كانت تتحكم في إدارتها بصفة عامة ، وتعمل بشكل متكامل فيما بينها لتأمين مصالح الدولة في المشرق الإسلامي، وكان على كل ديوان رئيس يتولّى مهامه، ومن أهم رؤساء الدواوين: صاحب ديوان الرسائل وصاحب ديوان الاستيفاء وصاحب ديوان البريد وصاحب ديوان الجند وغيرهم من أرباب الوظائف التي ظهرت كعامل الخراج والمقدم والمعتمد، ليتكامل الشكل العام لنظم الحكم والإدارة في تلك الدولة
فاصبح بذلك للدولة جهازاً إدارياً منظم يشبه إلى حد كبير النظام العباسي، وله عدة إدارات منها: ديوان الرسائل، ديوان الجند، ديوان الخراج، وديوان البريد. وكان الوزير يشرف على هذه الدواوين وينقل أوامر السلطان(أبو المؤمن شمس الحق : أفغانستان بين اليوم والأمس، ص 47-77).

المحور الثالث: القضاء

كان النظام القضائي في الدولة الغزنوية يتكون من ركزتين أساسيتين هما القضاء الشرعي والعرفي(ابن الاثير، د ت ،ج11 ، ص94.32)، وكان هناك قضاة شرعيون للزواج والطلاق والميراث وغيرها من المعاملات الشرعية(33)، وكان السلطان لا يتدخل فيها بأي حال من الأحوال. وكان يوجد في كل مركز مدينة أو ولاية قاضي رئيسي، وكان يُسمى بقاضي القضاة(الخضري عبد الله ، 1960، ص80-82) ، وكان القضاة يحصلون على رواتب عالية ، لضمان عدالتهم وحتى لا يقوم أحد بالتأثير عليهم ورشوتهم وكان رئيس ديوان المظالم في الدولة الغزنوية كان يستمع شخصيا إلى شكاوي الشعب، ويقوم بالحكم فيها، كان القضاء في الدولة الغزنوية يعتمد على الشريعة الإسلامية(علي مصطفى،2003م ، ص86-77) .

المحور الرابع: الشؤون الدينية

كان من المعلوم أن الشعب الغزنوي مرتبط بدين حاكمه، وقد كانوا تابعين للدولة العباسية في الداخل والخارج ، ومن بعد جلوس محمود الغزنوي على العرش وارتباطه إلى حد كبير بالخليفة العباسي أبو القادر، وحصوله على عدة ألقاب منه، بدأت العقيدة السنية في الانتشار في جميع أنحاء الدولة(ابن الاثير، د ت ،ج11، ص84.)، وحاول بكل شكل إتخاذ كافة التدبيرات اللازمة لتدمير ومحو العقيدة الشيعية. بالإضافة إلى أن الغزنويين قاموا بتطبيق تقاليد السامانيين في اللقاءات الدبلوماسية التي عُقدت مع العباسيين(الخضري عبد الله ، ص12)، وقاموا بعمل استقبال أكثر فخامة من ممثلي الدول الأخرى، وأصبحوا جديرين بالاحترام. وبالإضافة إلى قراءة الخُطبة باسم الخليفة العباسي والسلطان الغزنوي، تم استخدام اسم الخليفة بجانب السلطان على النقود التي تُصك.

المحور الخامس: الجيش ودوره

اعتمدت الدولة الغزنوية على جيش قوي مكوّن من عناصر تركية وفارسية وهندية. وكان الجيش يُستخدم في حماية الحدود وتوسيع الأراضي، وكان من أسباب قوة الدولة في عصرها الذهبي ، لقد اتسم نظام الحكم في الدولة الغزنوية بالقوة والتنظيم، وكان السلطان محور الدولة، مدعومًا بجهاز إداري وعسكري متين، فأذا ما تتبعنا سياسة توسع الدولة الغزنوية، ونظرنا إلى وضع الجيش الغزنوي نجد أنه كان دائمًا في وضع الإستعداد(أبو المؤمن شمس الحق ، أفغانستان بين اليوم والأمس، ص 47 25)، وكانت القوة العسكرية للدولة الغزنوية تتكون من الغلمان والجنود(علي مصطفى، 2003م , ص64) .التابعين للدولة والتركمان وقوات المناطق والأفيال ، إلا أن القوة الأساسية في الجيش كانت من الغلمان ، أما القوات الخاصة للحاكم من الغلمان فكان يُطلق عليهم (الغلمان الخاصين)، أما الجنود القادمين من الشمال مثل (الياغما–القارلوق–الخلج) فكان يُطلق عليهم الجنود المساعدين وكانوا يحصلون على راتب (حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ص89– 56) ، أما الولاة المحليين فكانوا يستخدمون جنودًا من القبائل بهدف الدفاع عن ولاياتهم وحفظ الأمن فيها، بالإضافة إلى الأفيال التي كانوا يأخذونها من الهند (علي مصطفى،2003 ، ص94)، وكان عدد الأفيال في الجيش ما يقرب من 1700 فيل (46).

ثالثاً : نظم الحياة ومؤسسات الحضارة في الدولة الغزنوية

في ما يلي عرض لأهم نظم الحضارة في هذه الدولة:

1-النظام السياسي والإداري

استخدمت الدولة مبدأ الوراثة لكن أحيانًا حدث صراع على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة(ابن الاثير، د ت،ج11، ص94)، كان هناك عدد من الوزراء والولاة الذين يساعدون في إدارة شؤون الدولة ، وقد تأثر النظام الإداري بالنموذج العباسي، خاصة في استخدام الدواوين(أبو المؤمن شمس الحق : ، ص83.48) ، مثل: ديوان الرسائل، ديوان الجند، وديوان الخراج ، استُخدم الفرس في الوظائف الإدارية ، مما جعل الطابع الفارسي قويًا في الإدارة

2-النظام الاقتصادي

اعتمد الاقتصاد الغزنوي على الزراعة والتجارة والضرائب، بالإضافة إلى الغنائم التي تم جمعها من الفتوحات(علي مصطفى، 2003،ص 64-98.) استفادت الدولة من موقعها الجغرافي في السيطرة على الطرق التجارية بين الشرق والغرب، مما ساهم في ازدهار أسواقها كما أنشئت مرافق لجمع الضرائب وتنظيم الموارد، وعملت الدولة على إنشاء طرق وأسواق لتسهيل التجارة(أبو المؤمن شمس الحق ،، ص67.

3-النظام الثقافي والعلمي

اهتم الغزنويون بالعلم والأدب والفن، خاصة في عهد السلطان محمود، اذ رعت الدولة الغزنوية العلماء والشعراء، وكان السلطان محمود من أبرز الداعمين للثقافة ، فاستقدم كبار العلماء إلى عاصمته غزنة، من أشهر هؤلاء الشاعر الفردوسي والبيروني(ابن الاثير، د ت ،ج11، ص71) ، وكانت اللغة الرسمية الفارسية ، لكن العربية بقيت لغة الدين والعلوم (اليعقوبي ، 1959، ص23.) ، وقد تأسست المدارس والمساجد التي كانت تُستخدم للتعليم والمكتبات في أنحاء الدولة ، ما ساهم في حركة علمية نشطة(علي مصطفى، 2003م،ص74.).

4-النظام الاجتماعي

تكوّن المجتمع الغزنوي من عدة طبقات ، شملت الأسرة الحاكمة ، القادة العسكريون والجنود، والعلماء، والتجار، وعامة الشعب (اليعقوبي ، 1959م، ص27.57)، وكان هناك نوع من التسامح

الديني، مع غير المسلمين ، خصوصًا في الهند والمناطق المفتوحة حديثًا، وقد لعبت القبائل التركية دورًا مهمًا في الحياة الاجتماعية والعسكرية(البيهقي ، 1982م ، ص97).

المبحث الثاني

الدولة الغزنوية في الحياة الفكرية والعلمية واسباب ازدهارها

أولاً :مظاهر الحياة الفكرية والعلمية في الدولة الغزنوية

ثانيًا :أسباب ازدهار الحياة الثقافية والعلمية والعوامل المؤثرة في نظام التعليم في الدولة الغزنوية

الدولة الغزنوية في الحياة الفكرية والعلمية واسباب ازدهارها

سادت الثقافة الفارسية في عصر الدولة الغزنوية ، وعاش في كنف هذه الدولة الشاعر الإيراني الفردوسي أعظم شعراء الفرس ، ونال جائزة السلطان محمود الغزنوي على ملحمته «الشهنامة» (أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ،1947م ، ص36)، وكتب أبو نصر العتبي (ت428هـ) تاريخاً عن حياة محمود الغزنوي وجهاده إلى سنة 409هـ وسماه «التاريخ اليميني» نسبة إلى لقبه يمين الدولة (النويري ، 1923م ، ص87.) ، وألف هذا الكتاب باللغة العربية لما رآه من كثرة كتابات الأدباء باللغة الفارسية عن السلطان محمود ، كذلك عاش في كنف الغزنويين في غزنة المؤرخ والعالم أبو الريحان البيروني (ت 440هـ) الذي أهدى كتابه «القانون المسعودي» للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي وأهدى كتابه في الأحجار الكريمة للسلطان مودود بن مسعود، وألف كتابه المشهور «الآثار الباقية عن القرون الخالية»(القلقشندي ، 1913م، ص42) كذلك ألّف المؤرخ الفارسي أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت 470هـ) بالفارسية كتاباً للسلطان مسعود ووالده محمود الغزنوي عرف بتاريخ البيهقي(أبو المنين نصر الله ، ص65.)، وقد لعب الغزنويون أهم دور لتشر الإسلام إلى داخل الهند، ويعتقد بعض المؤرخيين أن الغزنويين هم من أسسوا الدولتين المنفصلتين الآن الهند وباكستان(أبو الفتح نصر الله وآخرون1955م ، ص65)، ويعتقد المؤرخ محمد فؤاد كوبريلي أن تلك الدولة لم تعتمد على القوة العسكرية فقط في نشر الإسلام، وأنها خلقت نقطة ارتكاز وقوة عظيمة بنشرها الإسلام حتى البنجاب، وبفعلهم هذا أعدوا أرض خصبة للمسلمين والدول الإسلامية القادمة من بعدهم(عبد الرازق ,1944م ، ص34).ويمكن توضيح ابرز هذه المظاهر:

أولاً :مظاهر الحياة الفكرية والعلمية في الدولة الغزنوية:

أ: المؤسسات العلمية في الدولة الغزنوية

أولى الحكام الغزنويون عناية خاصة بالمؤسسات التعليمية، فانتشرت المدارس، والمكاتب، ودور العلم، والمساجد التي كانت مراكز لتعليم العلوم الدينية واللغوية, وكان القصر الغزنوي نفسه مكانًا يجتمع فيه العلماء والمفكرون ، ويُناظِرون فيه السلطان ويتبادلون المعارف(أبو الحسن علي الندوي ، 1983م، ص76.

ب: العلوم الدينية والشرعية

حظيت العلوم الإسلامية مثل الفقه ، والتفسير، والحديث، وأصول الدين والكلام أساس التعليم في الدولة الغزنوية ، اذ تم تأسيس المدارس لتعليم هذه العلوم (النويري ، ص87.66) ، وأنشأت المساجد التي أصبحت مراكز لتعليم الفقه والحديث والتفسير، وكان العلماء يحظون بمكانة مرموقة في البلاط الغزنوي، وشجع السلاطين تدوين الكتب الدينية وتدريسها، ونال علماء المذهب الحنفي احتراماً واسعاً ومكانة متميزة ، نظرًا لأن هذا المذهب كان المذهب الرسمي للدولة ، كما دعمت الدولة إقامة حلقات علمية في المساجد لتعليم الناس أمور دينهم

ج : العلوم العقلية والطبيعية :لم تقتصر الحركة العلمية على العلوم الشرعية ، اذ شهدت العلوم العقلية مثل الفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، والطب تطورًا ملحوظًا نتيجة لتشجيع الحكام للعلماء وتوفير بيئة مناسبة للإبداع ، وقد ظهر في هذه الفترة عدد من العلماء الذين ساهموا في نقل المعارف من الفارسية والهندية إلى العربية ، كما قاموا بترجمة العديد من الكتب وتطوير المناهج العلمية، وأُنشئت مكتبات ضخمة في المدن الكبرى مثل غزنة، واحتوت على آلاف الكتب في مختلف فروع المعرفة (القلقشندي ، ص48) .

ح : اللغة والأدب

امتد دعم الغزنويين إلى رعاية الشعراء والأدباء ، فقد ازدهر الشعر في عهدهم ، خاصة الشعر الفارسي ، وكان السلطان محمود الغزنوي من أبرز الداعمين للشعراء، مثل الفردوسي صاحب "الشاهنامة"، الذي حظي بتقدير كبير رغم الخلافات التي وقعت لاحقًا، وكانت اللغة الرسمية للدولة الغزنوية هي اللغة الفارسية(عبد الرحمن ،59.) ، إلا أن الجيش كان يستعمل اللغة التركية ، وقد كانت الثقافة الغزنوية مثل الثقافة السامانية مُقتبسة من الثقافة الإيرانية ، وقد قام الغزنويون بدعم الأدب الفارسي أيضًا، وكانت فترة الغزنويين أحد ألمع فترات الأدب الفارسي (النويري ، ص74) ، وقد أحيا السلطان محمود الملاحم الإيرانية ، وفي نفس

الوقت اهتم بالعادات التركية ، وقد كتب أول شعر تركي إسلامي في عهده وفي تلك الفترة كسبت العاصمة (غزنة) الميزة التي جعلتها مركزًا ثقافيا ، ومحط أنظار الكثير من الشعراء والكتاب من مناطق عديدة(أحمد أمين ، 1978، ج ١، ص83) ، وعلى الرغم من كون أغلب الآثار النثرية المكتوبة هي باللغة العربية ، إلا أنه توجد أيضًا آثار نثرية فارسية داخلها(المقريزي ، ص67)، وقد كانت للقوة السياسية التي تملكها الدولة الغزنوية أثرٌ كبير في الإنتاج المعرفي للأداب والعلوم ، وقد بلغت الأعمال التي قام بها العالم أبو الريحان البيروني في الفلك والرياضيات والذي أسره الغزنويون ذروتها في تلك الفترة (القلقشندي ، ص34).

ثانيًا :أسباب ازدهار الحياة الثقافية والعلمية والعوامل المؤثرة في نظام التعليم في الدولة الغزنوية:

أولاً: العامل السياسي

لقد ساهم الاستقرار السياسي النسبي في بدايات الدولة الغزنوية ، خاصة في عهد السلطان محمود الغزنوي ، في تشجيع الحركة العلمية والتعليمية، فقد تبنّى السلطان سياسة دعم العلماء والمفكرين ، ورعايتهم ، حيث أغدقوا عليهم بالعطايا وشجعوهم على التأليف والبحث(أبو الحسن علي الندوي ، ص57.).وجعل من غزنة مركزًا علميًا وثقافيًا متميزًا في العالم الإسلامي آنذاك، كما أن التوسع الجغرافي للدولة ساعد في نقل العلوم والمعارف من مناطق متعددة مثل خراسان، والهند، وفارس، إلى داخل الدولة الغزنوية(النويري ، ص34.).

ثانيًا: العامل الديني

لعب الإسلام دورًا رئيسيًا في دفع عجلة التعليم ، إذ كانت المساجد بمثابة المدارس الأولى، وتعلّم فيها المسلمون أصول الدين واللغة العربية، كما دعمت الدولة المدارس الدينية التي قامت بتعليم الفقه والحديث والتفسير، وذلك لتحقيق غايات سياسية ودينية في آنٍ واحد، كتعزيز الشرعية الدينية للحكم، ونشر المذهب السني في المناطق التي ضمتها الدولة ، ويعد التسامح الديني والثقافي الذي ساد في الدولة الغزنوية على جذب العلماء من مختلف الأديان والثقافات(القلقشندي،ص37.).

ثالثًا: العامل الاجتماعي

أدى التنوع الاجتماعي في الدولة الغزنوية، الناتج عن الفتوحات والاختلاط بين الشعوب المختلفة، إلى تفاعل ثقافي واسع ساهم في تطور التعليم كما ازداد الطلب على التعليم بين فئات المجتمع المختلفة، مما دفع إلى تأسيس المزيد من المدارس والمراكز التعليمية(أبو المنين نصر الله ، ص12).

رابعًا: العامل الثقافي والعلمي

شجّعت الدولة الغزنوية العلماء من مختلف الأقاليم على الاستقرار في عاصمتها غزنة ، مما جعلها حاضنة للعلوم والآداب، اذ أدى التواصل مع مراكز العلم الأخرى الانفتاح على مناطق مثل بغداد وخراسان والهند إلى تبادل علمي وثقافي غني(أبو المنين نصر الله ، ص22.) وقد برز في هذه الفترة عدد من العلماء والأدباء مثل البيروني والفردوسي، والذين ساهموا في دفع عجلة العلم والثقافة والتعليم، وكان لتعدد اللغات المستخدمة في الدولة (العربية، الفارسية، التركية) دورٌ في تنوع المناهج وأساليب التعليم(عبد الرحمن، ،54)

المبحث الثالث

الفكر التربوي في عصر الدولة الغزنوية

مظاهر الفكر التربوي

المؤسسات التعليمية

التعليم في المراحل الأولى

طرق التعليم في المراحل العالية

الفكر التربوي في عصر الدولة الغزنوية

ظهرت الدولة الغزنوية في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وكانت من أوائل الدول الإسلامية التي حكمت مناطق واسعة من خراسان وشبه القارة الهندية ، وقد لعبت دورًا بارزًا في نشر الثقافة الإسلامية(النويري ، ص74) ، وكان للفكر التربوي دور محوري في سياستها الثقافية.

مظاهر الفكر التربوي:

اهتم الغزنويون بالتعليم الديني بشكل أساسي، حيث شجعوا على تعليم القرآن الكريم والحديث والفقه ، كما دعمت الدولة العلماء والمؤسسات العلمية ، وحرصت على إنشاء المدارس والمكتبات في المدن الكبرى مثل غزنة(أبو الفداء،76).

المؤسسات التعليمية:

من أبرز المؤسسات التي دعمتها الدولة الغزنوية: الكتاتيب لتعليم الأطفال، والمدارس النظامية، بالإضافة إلى حلقات العلم في المساجد (القلقشندي ، ص44.) ، وقد اشتهرت مدينة غزنة بأنها مركز علمي هام جذب العلماء من مختلف المناطق ، اذ شهدت الدولة الغزنوية (961–1186م) تطورًا ملحوظًا في مجالات التعليم والثقافة ، حيث أولت اهتمامًا كبيرًا بالعلم والعلماء ، مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية في تلك الفترة (عبد الرحمن ،67)، اذ تناولنا طرق وأساليب التعليم في تلك الدولة ، مع التركيز على المراحل التعليمية الأولى والعالية ، بالإضافة إلى دور الدولة في دعم العلم ، وأثر ذلك على المجتمع:

أولًا: التعليم في المراحل الأولى

1. **المؤسسات التعليمية الأساسية:** شهدت الدولة الغزنوية (351هـ – 582هـ) تطورًا ملحوظًا في المجال التعليمي ، حيث تأسست عدة مؤسسات تعليمية أساسية أسهمت في نشر العلم والمعرفة، وهي:

أ. **الكتاتيب (المكاتب):**

كانت الكتاتيب تمثل المرحلة الأولى من التعليم، حيث يتم فيها تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وقد انتشرت الكتاتيب في الأحياء والمدن الغزنوية، وأُلحقت أحيانًا بالمساجد. كان التعليم في الكتاتيب يتم بطريقة التلقين، وكانت تعتمد على جهود المعلمين المحليين ودعم الأهالي(الزركلي ,1980م ,ج 6 ، ص43).

ب. المساجد:

لعبت المساجد دورًا محوريًا في التعليم، إلى جانب وظيفتها الدينية. فقد كانت المساجد مراكز تعليمية تُعقد فيها حلقات الدروس التي يشرف عليها العلماء والفقهاء، تم تدريس الفقه، والحديث، والتفسير، واللغة العربية، وكان التعليم في المساجد مجانيًا، مما ساعد على نشر العلم بين مختلف طبقات المجتمع(أبو الحسن علي الندوي ،41.).

ج. المدارس النظامية:

رغم أن ظهور المدارس النظامية كان أكثر وضوحًا مع السلاجقة، إلا أن تأثير هذه المدارس بدأ يظهر في العصر الغزنوي، عمل بعض الحكام على دعم التعليم المنظم من خلال إنشاء مدارس يتعلم فيها الطلاب علوم الدين، واللغة، وأحيانًا العلوم العقلية مثل الحساب، والفلك، وقد ساعدت هذه المدارس في تخريج نخبة من العلماء والفقهاء(الزركلي ، 1980م ، ج 6 ، ص45.)

ح. **قصور الحكام والمجالس العلمية:**

اعتنى بعض سلاطين الدولة الغزنوية، وعلى رأسهم السلطان محمود الغزنوي، برعاية العلماء وعقد المجالس العلمية في قصورهم(الباقلاني ، ص92)، دُعي إلى هذه المجالس علماء الدين واللغة والأدب، وكان يتم فيها مناقشة المسائل العلمية والدينية ، مما أسهم في نهضة فكرية وثقافية ملحوظة(النويري ، ص167).

2. **المواد الدراسية في المرحلة الأولى وتشمل:**

أ- القرآن الكريم: حفظه كان الأساس، ويبدأ الطفل بتعلم الحروف والقراءة ثم الحفظ(الكتبي، 56.).

ب- القراءة والكتابة: تُدرّس باللغة العربية باستخدام أدوات بسيطة كالألواح وأقلام القصب(أحمد أمين ، ج ٣، ص43.).

ج- الخط العربي: كان تعليم الخط مهمًا لنسخ النصوص الدينية(أبو سليمان الهمداني، 1951م، ص98.).

د- الحساب: تعليم العمليات الأساسية كالجمع والطرح(أحمد أمين ,ص67.).

هـ- الأدعية والأذكار: لحفظها وترديدها في الحياة اليومية(عبد الرحمن،48)

3. **طرق التدريس:**

اعتمد التعليم على التلقين والتكرار، والتحفيظ الجماعي، والتقويم الشفهي، وأحيانًا على التأديب الجسدي، ودعمت الدولة الغزنوية ، المعلمين والطلاب ماليًا، كما شجعت على الترجمة من اللغات الفارسية ، والهندية ، واليونانية ، مما ساعد على إثراء الثقافة الإسلامية، حيث كان يُنظر إلى التعليم كوسيلة للرقي الديني والاجتماعي(أحمد أمين ، ص12).

ثانياً- طرق التعليم في المراحل العالية

أدى انتشار التعليم إلى نهضة فكرية وعلمية في المجتمع الغزنوي ، وفي هذه المرحلة ، كان التعليم يتم في المدارس النظامية تحت إشراف علماء متخصصين(أحمد جاد الرب عابدين ، ج ١، ص65)، شملت المواد علوم الشريعة كالفقه ، والحديث ، والتفسير، إضافة إلى اللغة العربية ، والمنطق ، والفلسفة ، كما برزت طرائق متعددة مثل التعليم عبر السماع ، والمراسلة ، والرحلة في طلب العلم ، ما ساعد في بناء قاعدة معرفية قوية امتدت آثارها لقرون لاحقة

1: **نظام الحلقات الدراسية:** اعتمد التعليم العالي في الدولة الغزنوية على نظام الحلقات الدراسية، وهي أسلوب تعليمي شائع في العالم الإسلامي، حيث يجلس الطلاب حول الشيخ أو الأستاذ في المسجد أو المدرسة، وكان يتم اختيار الشيخ بعناية فائقة (أحمد أمين ، ج ٢، ص -49-49) ، وكان الطلاب يحظون بحرية السؤال والمناقشة، وقد ساهم هذا الأسلوب في ترسيخ الفهم وتعزيز التفكير النقدي ، وتُمنح الإجازات العلمية لمن يُثبت قدرته وفهمه للمادة العلمية(أبو رحان البيروني ، 1963م ، ص86)

2: طريقة السماع من المعلم: السماع من المعلم كان من أهم وسائل نقل المعرفة، خاصة في علوم الحديث والفقه. (أحمد أمين ، ص34.).

3: التعليم بالمراسلة: ظهرت المراسلات العلمية بين العلماء والطلاب ، خصوصًا لمن لم يتمكن من الحضور إلى الحلقات، وكانت هذه المراسلات تتضمن إجابات على أسئلة علمية ، أو شرحًا لنصوص (أحمد جاد الرب عابدين ، ج ١، ص44)

4: الرحلة في طلب العلم :كانت الرحلة في طلب العلم من أبرز سمات التعليم العالي ، حيث كان الطلاب يسافرون بين الحواضر العلمية مثل نيسابور ، بغداد ، وغزنة ، للقاء العلماء والاستفادة من حلقاتهم ، اذ اعتُبرت الرحلة علامة على جدية الطالب وسعة علمه (النويري ، ص34).

الخاتمة

الحمدُ لله رب العالمين على تمام نعمته والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه الرسول محمد وعلى آله الغر الميامين وصحبه المنتجبين . في ختام هذه الدراسة المعنونة **بـ (النظام التعليمي في الدولة الغزنوية(351هـ-582هـ) وأثره الحضاري والتاريخي)**

نذكر أهم النتائج التي توصل اليها البحث وهي كالآتي:

لقد اتضح من خلال هذا البحث ، ان الدولة الغزنوية انطلقت من جذور عسكرية قوية ، حيث أسسها سبكتكين في أواخر القرن الرابع الهجري، معتمداً على الكفاءة والنظام ، ومن خلال التوسع السياسي والاستقرار الإداري، مهد الغزنويون السبيل لبناء منظومة تعليمية متينة تدعم تطلعاتهم الحضارية، فقد اهتم الغزنويون بتشجيع العلم والعلماء، وأسهموا في نشر التعليم بمراحله المختلفة، بدايةً من الكتاتيب والمدارس الأساسية

وصولاً إلى التعليم العالي في المساجد والمدارس الكبرى، ولعبت الدولة دوراً محورياً في دعم الحركة العلمية، من خلال تمويل المؤسسات التعليمية واستقطاب كبار العلماء والمفكرين.

تميز التعليم العالي في الدولة الغزنوية بتعدد أساليبه وتنوع وسائله ، حيث ساهم نظام الحلقات، وطريقة السماع ، والمراسلات العلمية ، والرحلات ، في بناء بيئة علمية خصبة أثرت الحضارة الإسلامية وأسهمت في تقدمها ، وقد تركت هذه الدولة بصمات واضحة في تاريخ الحضارة الإسلامية من خلال علمائها ومؤسساتها ومؤلفاتها العلمية.

وفي الختام، يتضح أن النظام التعليمي في الدولة الغزنوية كان ركيزة مهمة من ركائز نهضتها الحضارية والثقافية.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أبو الحسن الهمداني، رسالة في العلوم، طبعة بكتاب الدلالة والبيان، تقديم أحمد مارون النعمان، مكتبة الرواق، القاهرة، 1930م.
2. أبو الحسن علي الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات الإسلامية، ط 2، مؤسسة الرسالة، القاهرة، 1983م.
3. أبو المؤمن شمس الحق، أفغانستان بين اليوم والأمس، دار الكتاب بالقدس، القاهرة، 1963م.
4. أبو الفتح نصر الله وآخرون، أصول التربية ونظام التعليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.
5. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت: 732 هـ / 1331 م)، تاريخ أبي الفداء، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
6. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: 403 هـ / 1013 م)، التمهيد في الرد على الملحدة والبابية والمجسمة، القاهرة، 1947م.
7. أبو سليمان، الطلبة، تحقيق ودن الهندي في المدرسة التجارية الكبرى، القاهرة، 1966م.
8. أبو سليمان الهمداني وأبو طالب مسكويه، الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين، يوسف أحمد حسن، مكتبة التوفيق، القاهرة، 1951م.
9. أبو ريحان البيروني (ت: 440 هـ / 1048 م)، الآثار الباقية، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، مكتبة التوفيق، ط 4، القاهرة، 1963م.
10. أحمد، عبد الحليم عويس، الجانب الحضاري للدولة الغزنوية، مجلة التاريخ الإسلامي، عدد 3، القاهرة، 1993م.
11. أحمد أمين (ت: 1373 هـ / 1954 م)، فجر الإسلام، ضحى الإسلام (ج1–3)، ظهر الإسلام (ج1)، رباعيات الكتبة والخاتمين، القاهرة، 1966–1978م.
12. أحمد جاد الرب عابدين، التربية والتعليم عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة.
13. البيهقي، أبو الفضل أحمد بن حسين (ت: 458 هـ / 1066 م)، تاريخ البيهقي، دار النهضة العربية، 1982م.
14. البستاني، بطرس (ت: 1300 هـ / 1883 م)، دائرة المعارف، م 5، بيروت، 1888م.

15. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي،دار الجيل ، بيروت ط1935،1.
الخضري، عبد الله، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1960م.
16. الزركلي، خير الدين (ت: 1396 هـ / 1976 م)، الأعلام، ج 6، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980م.
17. الشيخ، المدرسة الابتدائية، دار العلم والمعرفة، 1973م.
18. شلبي، أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980م.

19. عبد الحميد، محمد، نظام التعليم في العصور الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001م.
20. عبد الرحمن، حسن، الحياة الفكرية في الدولة الغزنوية، مجلة دراسات شرقية، عدد 12، جامعة القاهرة، 1985م.
21. عبد الرازق، مصطفى (ت: 1366 هـ / 1945 م)، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1944م.
22. علي، مصطفى، تاريخ الدولة الغزنوية، دار الفكر العربي، 2003م.
23. القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821 هـ / 1418 م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1913م.
24. الكتبي، محمد بن شاكر (ت: 764 هـ / 1363 م)، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
25. المقريزي، تقي الدين (ت: 845 هـ / 1442 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
26. النويري، شهاب الدين (ت: 733 هـ / 1333 م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1923م.
27. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت: 630 هـ / 1233 م)، الكامل في التاريخ،ج11 ، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
28. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت: بعد 292 هـ / 905 م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، دار صادر، بيروت، 1959م.
29. الآثار الباقية عن القرون الخالية، مطبعة بغداد، 1963م.
30. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2، ج3، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1966م.
31. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.
32. أبو المنين نصر الله، المدرسة والمدرسة والبحث في نشأتها التاريخية وتطورها، القاهرة، 1973م.
33. أحمد أمين، رباعيات الكتبة والخاتمين، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
34. أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت: بعد 292 هـ / 905 م)، تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، تحقيق عبد الأمير مهنا، بيروت، 1959م.

The impact of the religious factor on the internal politics of King James I in England (1603-1625

amira.alyasiri
University of Babylon
amira.alyasiri207@gmail.com

Abstract:

Religious organization in England was important, just as we believe today in the importance of political organization since the Renaissance, and it is an issue related to the religious and economic rights of the Church,, because the Catholic Church during several centuries, until the beginning of the sixteenth century, was not just a religious organization, but rather a political power.Great, and the absolute monarchy several centuries ago, sacrificed a traditional acceptance of the existing authority of the Church, which is the affirmation of the divine right to property, and after the religious reform movement in England, Where Protestantism was associated with Luther, The Church lost its dominant position, especially after King Henry VIII took control of the Church's authority in England.The Reformation helped political divisions in Europe, and Europe was divided on this basis into two major religious parties, Catholics in the south and Protestants in the north, When King James I ascended the throne of England, the government of the Presbyterian Church was sovereign .The Puritans wished to abolish the laws established by Parliament, but he rejected their request, and a dispute began between them and King James I and the English bishops, and from here was the importance of this study, Which included two sections, the first of which was entitled (The historical framework of the role of the religious factor in the political situation of England). The second was (The Reflection of Religious Conflicts on the Internal Policy of King James. the conclusion and list of sources

Keywords : the Church, the Puritans, King James, Christianity, Protestants, Catholics, Parliament

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

اثر العامل الديني في السياسة الداخلية للملك جيمس الاول في انكلترا (1603– 1625)

م.د أميرة سعيد زبالة الياسري
جامعة بابل –كلية التربية الاساسية
amira.alyasiri207@gmail.com

ملخص:

كان للتنظيم الديني في انكلترا أهمية , مثلما نعتقد اليوم بأهمية التنظيم السياسي وذلك منذ عصر النهضة, لأنها مسألة تتعلق بالحقوق الدينية والاقتصادية للكنيسة, ,ولان الكنيسة الكاثوليكية خلال قرون عدة, حتى بداية القرن السادس عشر, لم تكن مجرد تنظيم ديني, بل كانت قوة سياسية عظمى, وكانت الملكية المطلقة منذ قرون عدة, تضحى بقبول تقليدي للسلطة القائمة من الكنيسة وهي تأكيد الحق الإلهي في الملكية, وبعد حركة الاصلاح الديني في انكلترا, حيث ارتبطت البروتستانية مع لوثر, وفقدان الكنيسة لمركزها المسيطر, لاسيما بعد سيطرة الملك هنري الثامن على سلطة الكنيسة في انكلترا, وايضا ساعد الإصلاح الديني على الانقسامات السياسية في أوربا, وانقسمت أوربا على هذا الأساس, إلى حزبين دينيين كبيرين كاثوليك في الجنوب وبروتستانت في الشمال, وعندما اعتلى الملك جيمس الأول عرش انكلترا, كانت السيادة لحكومة الكنيسة البريسبيتارية, وقد تمنى البيورتانيون أن يلغي الملك جيمس القوانين التي وضعها البرلمان بعدم حرمان القسس من ارزاقهم, لكنه رفض طلبهم, وبدأ النزاع بينهم وبين الملك جيمس الأول والأساقفة الانكليز, ومن هنا كانت اهمية هذه الدراسة , والتي تضمنت مقدمة ومبحثين ,كان الاول بعنوان(الاطار التاريخي لدور العامل الديني في الوضع السياسي لإنكلترا). والمبحث الثاني:(انعكاس الصراعات الدينية على سياسة الملك جيمس الأول الداخلية1603-1625).

الكلمات المفتاحية: الكنيسة, البيرويتان, الملك جيمس, الدين المسيحي, البروتستانت, الكاثوليك , البرلمان

المبحث الاول– الاطار التاريخي لدور العامل الديني في الوضع السياسي لإنكلترا

منذ عصر النهضة كان شعب انكلترا خاصة (والعالم المسيحي عامة) يعتقدون بأهمية التنظيم الديني بما يوازي اليوم اهمية التنظيم السياسي, وكانوا يعتقدون بأهمية الكنيسة, بسبب مايتعلق في مسألة االحقوق الدينية والاقتصادية للكنيسة, وان عدم طاعة الكنيسة يتعرض لعقاب الدولة (, Hayes.Carlton.) . 1939,pp.136-137,

والكنيسة الكاثوليكية وخلال قرون عدة, وحتى بداية القرن السادس عشر, لم تكن مجرد تنظيم ديني,بل, كانت قوة سياسية عظمى, حيث تمكنت من ايجاد مصادر التقارب مع الأشكال السياسية الأخرى, ولان للكنيسة الكاثوليكية تمتلك تنظيما متسقا, لذا طالب موظفوها البابا, ورئيس الأساقفة, والأساقفة, والرهبان, بأن يكون هناك تنظيم خاص بهم و مستقلين عن الحكومات المدنية بل أسياداً عليها, لما تمتلكه الكنيسة من أراضٍ غنية, و هي غالبا معفاة من ضرائب الحكومة0 وكانت قوة الكنيسة متناسقة مع الحقبة الاقطاعية آنذاك . فقد كانت تمتلك محاكمها الخاصة (Hayes,, p.149) .

كانت الافكار السياسية للقرن السادس عشر في وضع التجديد حيث تكونت عقيدة (فكرة الحكم المطلق) بسبب تقدم السلطة الملكية في بعض دول اوربا, وتتمحور فكرة الحكم المطلق بان لا تعترف للرعية فقط بحق الطاعة وان تكون سيادة الملكية بدون رقابة ,مع ان ذلك كان يتعارض مع الطابع العام للنظرية السياسية للمجتمع الاقطاعي والذي كان طابعه العام في حالة التبعية للديانة المسيحية , وكان قد قد ظهر في اوربا ابان عصر النهضة.(Penguin, Books, 1978,pp.224- 225 و وWells,) افكار جديد إزاء السياسة والفلسفة والاقتصاد هو الموقف الليبرالي، وهومن نتاج الطبقة الوسطى (حسين الطعان , 1992, ص15-16) . كرد فعل على الحروب الدينية والخضوع لروما , فتم اعتناق للأفكار المتسامحة في انكلترا، واتجهت نحو المفاهيم الديمقراطية والحد من السلطة المطلقة والحق الإلهي للملوك، باعتبارها لا تلبي احتياجات التوسع التجاري، مما أثر في المناخ الفكري للرأي العام (برتراندرسل , 1983، ج 2ص79-82).

ساعد الإصلاح الديني, بعد إن زاد وعقد الانقسامات السياسية في أوربا بشكل حاسم, على تهديم بناء الايديولوجيات السياسية للعصور الوسطى. فقد دعا بعض المفكرين السياسيين في القرن السادس عشر إلى نظام الحكم المركزي ومنهم ميكافيلي (1469- 1527) في كتابه (الأمير) الذي انتشر, واتخذ مذهباً

سياسياً لمعظم السياسيين, في حين رفضته الكنيسة الكاثوليكية, وحاربه البروتستانت ووصفت الأفكار الميكافلية بالإلحاد (مظهر احمد, 1984, ص 62) فقد وضع لوثر موضوعين رئيسيين الأول (الصفة الإلهية لكل سلطة قائمة) والموضوع الثاني (الانفصال الجذري بين الإيمان والقانون) وهو يشدد بقوة, عكس الكثيرين من الفقهاء على الطاعة غير المشروطة للسلطة, مما أدى إلى توسيع اختصاصات السلطة السياسية في حين كان كالفن يدعو الى تحرير الفرد المسيحي من النظام السياسي التقليدي متمثل بـ(دكتاتورية كهنوتية) (توشار, تاريخ الفكر السياسي , بيروت, الدار العالمية , 1981 ,ص 214 – 218).

انقسمت أوربا على هذا الأساس, إلى حزبين دينيين كبيرين كاثوليك في الجنوب وبروتستانت في الشمال, مما قاد فيما بعد إلى حروب ملأت سنوات القرنين السادس عشر والسابع عشر. (Rp. Cit., p.284)وكرد فعل للتوترات الدامية التي تولدت عن الصراع الاجتماعي والديني الذي عاشتهُ انكلترا في القرن السادس عشر والسابع عشر, وهاجس الخوف هذا احكم الصياغات الفكرية السياسية للعديد من مفكري القرن السابع عشر ومنهم سبينوزا* (1632- 1677) ((ديورانت , 2004, ص 120- 129) (10).وهوبس* (1588- 1679)(Britannica,Vol.II,1959,PP.611-614.) الذي كان هاجسه البحث عن وسيلة يتم بموجبها تحقيق السلام والطمأنينة, وقد وجد تلك الوسيلة متمثلة في السلطة المطلقة. (حسين الطعان, المصدر السابق, ص 108 – 113)

كانت الملكية المطلقة تحظى بقبول تقليدي للسلطة القائمة وللطاعة الملقنة من قبل الكنيسة منذ عدة قرون وان الملك يتمتع بضمان الهي وفي حال عصيانه ذلك يمثل كارثه سياسية , و قد القى هذا الموضوع بظلاله على الأدب السياسي الانكليزي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر, بحيث كان العصيان مشجوباً , لأن السلطة هي تأكيد الحق الإلهي في الملكية وهي تأسيس من الله, ويوجد من يعتقد: "ان الملك, حتى لو كان كافراً ,.فهو يمثل صورة الله على الأرض " (توشار, المصدر السابق, ص 198- 199).

وكان الملك هنري السابع(1485 – 1509) خلال القرن السادس عشر قد حقق نظام الحكم المطلق في تعامله مع كنيسة روما, وتبعه وريثه الملك هنري الثامن (1509- 1547) وسار على خطاه, و قد بلغ الحكم الاستبدادي ذروته في عهد الملكة إليزابيث (1558- 1603), بسبب تداعيات حرب المئة عام, وما رافقه من شعور قوي الذي بعثته في النفوس والحقد الذي جاشت به صدور الانكليز ضد فرنسا

, كان عامل قوي لموثق الملك من اجل تعزيز السلطة الملكية المستبدة في انكلترا, وكان لاستغراق الانكليز في النزاعات والجدل في القضايا الدينية وتعلق الناس بملوكهم, قد اشغلهم عن الانتباه لسلوك الملك تاركينه يديره كما يشاء, بالإضافة لنمو الروح القومية التي انتشرت آنذاك ,والتي نمت في نفوسهم شجعتهم على معاداة البابوية, , ومن ثم جاء دور الازدهار الاقتصادي, حيث كان للملك دور مهم في تحقيقه, مما اضفى طابع القوة لنفوذ الطبقة البرجوازية التي شعرت بحاجة الملك ورعايته (موسينيه, ت , 2006, ص 157- 159.).

وفي عهد الملكة اليزابيث كان الشعب الانكليزي يواجه مشكلتين احدهما توازي الاخرى, تمثلت الأولى بالمشكلة دينية وذلك ان الكنيسة الانكليزية منذ عهد الملكة إليزابيث انتهجت الحل الوسط بفضل رئيس الأساقفة ويتجفيت whitgift, ازاء الكاثوليك من جانب وإزاء المذاهب **البروتستانتية في الجانب الآخر, الا ان التيار الفكري داخل الكنيسة كان يبتعد تدريجيا عن كنيسة روما متجها نحو** المذهب البيورتاني وكانت هذه هي المشكلة الثانية الدستورية –السياسية (هربرت فيشر, أصول التاريخ الأوربي الحديث, ص 274).

لقد اتبع البيورتان في انكلترا اتجاهين رئيسيين من التطور هما: البريسبيتريان Presbyterian (المشيخيين) وهي صفة الكنيسة البروتستانتية والتي يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون بمنزلة متساوية, و الخط الثاني كان تحت مسمى (المستقلون independent) , حيث تميّزوا بتأثرهم بنمط الاكتفاء الذاتي وبالكنائس المستقلة و ذلك بالابتعاد عن سيطرة الدولة .ومع قناعة اغلب الإصلاحيين المعتدلين بالتخلص من كل ما يبدو متعارضاً مع الكتاب المقدس, فان البيورتان ابتعدوا شوطا إلى ابعد من ذلك حيث وضعوا نظريتهم حول الحكومة الكنسية,من اجل تحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة, وبالنتيجة أدى ذلك إلى ظهور الخلافات بين الحزبين البيورتانيين(G.B. Tatham, The Puritan in power, Cambridge university press, 1913, pp.2-5)

وتعني البيوريتان الجماعة المتطهرين المتنسكين. وقد ظهرت هذه التسمية إلى الوجود عام 1560م على اثر صدور –كتاب–الصلاة الثاني في عهد الملكة إليزابيث الأولى والذي قبله البيوريتان فيما رفضه الآخرون , لكن قوة البيوريتان زادت في عهد شارل الثاني على اثر ما شاهدوه من ميله إلى إعادة البلاد لأحضان

كنيسة روما الكاثوليكية (كسار, البيورتانيون ودورهم الديني والسياسي والاقتصادي حتى عام 1660,اطروحة دكتوراه,(كلية الاداب, جامعة البصرة,2018,ص50-51)

كذلك ان البيورتان هم الكالفنيون الانكليز, والبيورتاني تعني التطهري, وهوعضو في جماعة بروتستانتية في انكلترا ونيو انكلاند في القرنين السادس عشر والسابع عشر, كانت في البداية تعني التطهر في حياة الكنيسة ثم أصبحت تدعو الى التطهر في الحياة الشخصية للفرد, وكانت مطالب تلك الجماعة تتلخص في تبسيط طقوس العبادة والتمسك الشديد بأهداب الفضيلة المتزمت, , وايضا من بين مطالبها كان إكمال الإصلاح في كل نواحي الدين والدولة(16)(Encyclopedia Britannica,Vol.18,London,1966,pp.869-881.),

كان البرلمان الانكليزي قد اقر قانون التوحيد منذ عام 1559, و الذي تضمن تعليمات حول الطقوس التي وضعت في كتاب الصلاة (Prayer book) , يجب أن تثبت في كل كنيسة في انكلترا, ولا يجوز أن تتخذ أية طقوس خارج الكنيسة, وبهذه التعليمات فان كل البروتستانت قد انفصلوا عن الكنيسة القديمة, ولم يتخذوا جميعاً المعتقدات الدينية نفسها, لذا اشتكى المصلحون من تلك الطقوس التي كانت تمارس منذ عهد الملك ادوارد السادس خل (افاً للكتاب المقدس, ومن تلك الطقوس,فإن الكثير من رجال الدين أثناء العبادات الكنسية(17) ((Bertha Meriton , The Struggle Against Absolute Monarchy 1603- 1688, Toronto, Adam Meller.,1877,p.3, لا يرغبون بوضع شارة الصليب عندما يعمدون طفلاً أو يلبسون الدراعة و الدراعة (surplice): لباس كهنوتي ابيض طويل فضفاض(18) (البعلبكي : 2009 ص 1183).

المبحث الثاني – انعكاس الصراعات الدينية على سياسة الملك جيمس الأول الداخلية1603– 1625),

توفيت الملكة إليزابيث في ريجموند Richmond عن عمر ناهز السبعين في 24اذار 1603 (19) (Quoted in, Thompson, Op. Cit., p.192) .ولم يكن لها وريث محدد ,وبذلك تركت مسألة اعتلاء العرش الانكليزي من بعدها سائبة, إن الملكة إليزابيث رفضت أن تعترف لأي شخص أن يكون وريثا من بعدها, خصوصاً وإنها لم تتزوج ولم يكن لها أطفال , ويعتبر الملك جيمس السادس ملك

اسكوتلندا المرشح الأقرب لعرش انكلترا, ولكن رغبة الملك هنري الثامن كانت استثناء الخط الاسكوتلندي من وراثة العرش قد القت بعض الشكوك حول أحقية الملك جيمس السادس في اعتلاء العرش الانكليزي (20) (Lingard, A History of England, Vol. IX New York., 1855, p. 2).

وإذا كان لابد من إتباع وصية الملك هنري الثامن, والتي بموجبها أصبحت الملكة اليزابيث هي وادوارد وماري وارثين للعرش, وخلال مرحلة الصراع على العرش, كان من بين المرشحين للعرش الأبن الأكبر لماري Mary دوقة سوفولك Suffolk وهي الأخت الصغرى لهنري الثامن,ان يكون ملكاً على انكلترا , ولكن كان هناك مرشح اخر اوفر حظا وهو جيمس ستيورات ابن ماري **ملكة اسكوتلندا, والحفيد الأكبر لمارغريت الأخت الكبرى لهنري الثامن,** (Cheyney. A Short History of England, London. 1919, p.383).

كانت مشاعر الالم لاتفارق الملك جيمس والتي عانت منها أمه, التي أعدمتها الملكة إليزابيث فلم تفارق مخيلته, مما دفع البرلمان الانكليزي إلى إصدار أمر بدفن جثمان الملكة إليزابيث قبل وصول الملك الجديد, نعشها إلى مثواها الأخير في كنيسة ويستمنستر بالقرب من قبر الملك هنري السابع (Lingard, Op. Cit, p.4).

دخل الملك جيمس لندن في 7 مايس 1603 , و كانت اول خطوة قام بها هي وجه دعوة للاجتماع مع وجهاء البلاد, فحضر خمسة وثلاثون, منهم المستقلون, وأعضاء المجلس وأساقفة ونبلاء وموظفو الدولة, لمقابلته عند وايتهول وعلى رأسهم عمدة المدينة, من اجل الحصول على مؤيدين لإعلان جيمس الاسكوتلندي بأنه الوريث الشرعي للتاج الانكليزي,(23) (Ibid.p .2.)

كان جيمس ملكاً على اسكوتلندا باسم الملك جيمس السادس واعتباراً من24تموز1567حتى 24اذار 1603 حينما اعتلى العرش الانكليزي بعد وفاة الملكة إليزابيث الأولى وظل كذلك حتى وفاته عام 1625 (24) (Spuler, Op. Cit, P.473).

اما الوضع السياسي–الديني في انكلترا عندما اعتلى الملك جيمس الأول العرش كانت السيادة لحكومة الكنيسة البريسبيتارية, وتمتلك سيطرة وسطوة على مشاعر الناس, وكانت لها امتيازاتها جعلتها أكثر قوة سياسية , وأصبح من حق اعضاؤها الترشيح لمقاعد البرلمان كممثلين للكنيسة,ولكن الملك جيمس الأول لم

يكن يعرف شيئاً عن طباع شعبه الجديدة, ولم يجري محاولات تقربه منهم من خلال فهمهم, و فضّل ان يستند إلى الكنيسة الانكليزية (الانجليكانية), تاركا امر الكنيسة الكالفينية دون ان يستند عليها, حيث كان متذمرا من حرية و ديمقراطية البريسبيتاريان في اسكوتلندا, وكان يظهر رضاه عن كنيسة تعترف بالنظام الكهنوتي (الطبقي) في انكلترا, ذلك النظام الذي يجعل الملك في قمته,و تلك الكنيسة التي كانت تواجه الكاثوليك من جانب والبيورتان من الجانب الآخر(25) (Maurois, op.cit,pp.268- 269).

وقد واجه الملك جيمس الأول عند اعتلائه عرش انكلترا مسألتين مهمتين الأولى: انه كان أجنبياً والثانية: انه كان جاهلاً بعادات وتقاليد المجتمع الانكليزي والطبقات الحاكمة, وهكذا حدث الانفصال الحاد بين التاج والرعايا بشكل يصعب إصلاحه (Deane The English Revolution 1603-1714), London, 1966, p.15.

فقد كانت من بين رغبات البيورتانيون, مع وصول الملك جيمس الأول إلى عرش انكلترا, هي أن يلغي القوانين التي وضعها البرلمان, بعدم حرمان القسس من أرزاقهم لعدم استخدامهم المواعظ الموضوعة في كتاب الصلاة, وان يعّين العدد الكافي من القسس القديرين في كل أبرشية, لكن الملك لم يتعامل معهم باهتمام , مع انه كان بإمكانه أن يتسامح مع مطالب البيورتان, فكان رده قاسيا, بأن نهرهم ووضعهم ضمن اختيار, وهو أن يكيفوا أنفسهم لتعاليم الكنيسة الانكليزية وطقوسها, او يتركوا البلاد,رفكان ذلك بداية النزاع بينهم وبين الملك جيمس الأول والأساقفة الانكلي (27) (Ibid, p.3.).

وبسبب تطور هذه الاحداث , أرتأى الملك جيمس الأول انه من الأجدر به أن ينتبه للتحاور مع الأحزاب الدينية المعارضة, ولذلك فقد طلب عقد اجتماع في قاعة هامبتون كورت Hampton court في كانون الثاني 1604 بين الأساقفة الانكليز وبعض البيورتان, وكان الملك نفسه رئيساً للجلسة حيث قدم البيورتانيون عريضة تحتوي على تواقيع الف قس تضم كل مظالم البيوريتان في تلك المرحلة من تاريخ انكلتر.وقد تلخصت المطالب هي (Lathbury
: (, A History of the English Episcopacy, London, 1836 , p70)

أولاً:- يجب أن تعتمد الكنيسة المبدأ البيورتاني .
ثانياً:- يجب أن يثبت القسس الجيدين في الكنائس.

ثالثاً:- إن حكومة الكنيسة يجب أن تدار بإخلاص وصدق.

رابعاً:- إن كتاب الصلاة العامة يجب أن يكون ملائماً لزيادة في التقوى. ولم تكن تلك الملاحظات مقبولة من الجميع (Ibid , P.70.).

لم يحرِ الملك جيمس الأول التغييرات التي تقنع البيوريتان, بل انه أكثر من ذلك طلب من أساقفة الكنيسة الانكليزية أن يكونوا أكثر صرامة مع البيوريتان, ولم يسمح لأعضاء البرلمان التدخل بأية طريقة كانت في شؤون الكنيسة, ولكن البرلمان لم يكن راضياً عما كان يفعله الملك, وكانت مسألة معالجة مشكلة البيوريتان, واحدة من المسائل التي بسببها حدث الصراع بين الملك والبرلمان(30) (Maurois, Op. Cit, p.269).

كانت هناك محاولات للملك جيمس الأول لتخفيف حجم القسوة التي تواجه الكاثوليك , وطلب منهم أن يكون ولاؤهم للملك وليس للبابا , وسعى لتطبيق ما حدث من تساهل بين بعض ملوك آل تيودور والكاثوليك الانكليز, ولكن التساهل هذا لم يعد مقبولاً لدى الأكثرية الساحقة في انكلترا التي اعتنقت البروتستانتية, ولم تكن معتقدات الكاثوليك وحدها هي تعتبر ضاراً بعقول الناس , ولكن كان ينظر اليهم كرعايا سيئين, ذلك لن البعض منهم كان متآمر على حياة الملكة إليزابيث والحكومة, وبعضهم انضم لتنظيم كاثوليكي جديد للجزويت* (Jesuits), هؤلاء الجزويت كانوا أكثر خطراً لأنهم كانوا أصدقاء البابا وأصدقاء ملك اسبانيا الكاثوليكي, (وقد حاولوا إثارة الكاثوليك في انكلتر 0(Cordery, Op. Cit, p.5)

وقد كانت القوانين تصدر تباعاً ضد الكاثوليك, خاصة في عهد الملكة إليزابيث, وبعد اعتلاء العرش الملك جيمس ملكاً على انكلترا, لم يكن راغباً في التعامل بقسوة مع الكاثوليك, اذ كان يعلم بأن القسم الأكبر منهم كانوا متعاونين مع الملكة ليزابيث, بالرغم من وجود بعض الكاثوليك المتآمرين ضدها,وكان جمس الاول يعتقد بأن الكاثوليك ممكن ان يصبحوا من رعاياه المطيعين,فيما لوعطف عليهم, ولكن وعلى, اثر اكتشاف مؤامرة البارود وهي من تدبير الكاثوليك, دفعت هذه الحادثة البرلمان للاعتقاد بأن على الملك أن يضع حداً للكاثوليك, ويضع القوانين ضدهم موضع التنفيذ. (I bid, p.5)

كانت من نتائج النزاعات الدينية في عهد جيمس الاول ,هو الصراع بين الملك والبرلمان , وقد أثرت طفولة الملك جيمس وشبابه في أفكاره وسلوكه السياسي تلك السنوات التي انقضت في متاهة الجرائم

والتمردات, مما ترك الملك في رعب من الرجال المسلحين و السلاح, وكان شعاره "عش سعيداً جداً ومسالماً (Quoted in Maurois , op.cit,p.268.) وكان يمتلك ثقافة جيدة ومفكراً بارعاً, و يعمل وفق مبدأ سياسي, هو أن الملوك مختارين من قبل الإله للحكم , وان طاعته واجب على الرعايا , وبذلك يكون الملك فوق القانون, وفي القضايا الاستثنائية, يكون الملك هو الوحيد القادر على الحكم فيها, والبعض الاخر يَحال للقانون للحصول على الاقتراحات بشأنها (Ibid, p.268.).

ويبدو ان هناك انعكاس لثقافة الخوف لدى شخصية الملك جيمس الأول من نتائج مهمة تلخصت في نقطتين, الأولى: كان اثرها نافعاً للأمة, ففي الشؤون الداخلية كان خائفاً من المعارضة المستمرة, وبذلك فقد استطاع الحفاظ على تاجه, متجنبا الثورة عليه طيلة حياته, أما في الشؤون الخارجية فأن كرهه للحروب صان انكلترا من عدة حروب كانت لا طائل منها لو حدثت , مثل حرب الثلاثين عاماً, وكان يفضل دائما العيش بسلام بعيدا عن النزاعات , أما: النقطة الثانية: فان الملك جيمس الأول تربى على ثقافة نظرية السلطة المطلقة, والتي كانت سبباً رئيسياً في سقوط آل ستيوارت (Deane, op. cit, p.15.) .

ومع كل ذلك كان الملك جيمس الأول يلاقي رفضا من الشعب ضد بعض رغباته, مثل رغبته في اتحاد كامل مع اسكوتلندا, و أسراف الملك, في العطايا على أصدقائه الاسكتلنديين , كذلك اتفاقية زواج مع اسبانيا, اضافة الى ظهور سبب آخر للتذمر في البرلمان إزاء رغبة الملك بإنشاء علاقات طيبة مع اسبانيا, ولم يفهم الملك جيمس الأول, الخصومة الدينية –السياسية, والتنافس التجاري معها (Larned, A History of England, New York, Co. 1900, pp.355-356.) وكان للتسامح الديني مع الكاثوليك أتباع كنيسة روما, واضطهاد البيوريتان, والسلام بأي ثمن كان مع كل الشعوب, كان هناك شعور شعبي واسع معارضاً للوحدة مع اسكوتلندا وللزواج الاسباني(الكاثوليكي) وللتسامح مع الكاثوليك ولاضطهاد البيوريتان, مع ذلك كانت للملك جيمس رغبة في تاييد الاشتراك في الحرب في ألمانيا إلى جانب البروتستانت, كذلك كانت لديه حاجة ماسة للأموال, بينما كان الشعب يمانع المزيد من الضرائب عليه, وايضا يرى الملك بأن له الحق في أن يحكم البلاد بنفسه –بحسب نظريه الحكم المطلق – من دون تدخل الآخرين أو معارضتهم (Cheyney, op.cit, p.406- 407.) .

وكان من المفترض أن يفتتح الملك مع ولي عهده الأمير شارل جلسات البرلمان انكلترا لموسمه الأول في 5 تشرين الثاني 1605, لكن تأخر افتتاح الموسم البرلماني الأول عدة مرات في الوقت نفسه كانت هناك

مؤامرة كاثوليكية يقودها كي فوكس لتفجير البرلمان, ورفع الموسم الثاني للبرلمان الأول جلساته بعد أن أقر الملك جيمس الاول عدة قوانين كانت معلقة ضد الكاثوليك , وافق عليها الملك ومجلس العموم, تجدد الصراع القديم بين الملك ومجلس العموم, حينما رفض مجلس العموم إفتتاح تجارة حرة مع اسكوتلندا مع بداية الموسم البرلماني الثالث في تشرين الثاني1606, وانتهى الموسم البرلماني في تموز 1607 كان المجلس الأعلى (مجلس اللوردات) كان أكثر اتفاقاً مع الملك جيمس الأول من المجلس الأدنى (مجلس العموم) وكان المجلسان متقاطعين في القضايا التي يتعاملان فيها , ولم يدعَ البرلمان للانعقاد ثانية لسنتين ونصف, ومن الملاحظ على البرلمان إن (Larned, p.356).

وكان الملك جيمس الاول يعتقد بأنه كان مجرباً للسياسة, خبيراً بشؤونها, و كانت رؤيته للبرلمان الانكليزي من خلال رؤيته للبرلمان الاسكتلندي , فهو يعتبر قاعة البرلمان لتسجيل أوامر الملك, وكان توجهه للسياسية الداخلية ان يجمع السلطة بيده , فواجهته جراء هذه السياسة فعارضه البرلمان, وبدأ الصراع ليس فقط على المسائل الدينية والدستورية وصلاحيات كل منهما إنما تجاوز ذلك إلى السياسة العامة للبلاد) (محمد صالح, 1982, ص 352) .

كان تعبير المعارضة عن اراءها من خلال المواقف البرلمانية, إذ استمرت ثمان مواسم برلمانية بالانعقاد طيلة اثنتين وعشرين سنة من حكم الملك جيمس الأول, كانت طابع النقاشات الحاده مع الملك يسود في معظم هذه الاجتماعات , وأكثر من موسم كان الاجتماع ينتهي بحل مفاجئ للبرلمان. بسبب ان سوء مزاج الملك جيمس كان يؤدي لنفاد صبره (Cheyney , op. cit, p.407) .

دعا الملك جيمس الأول وفي عام 1614 لإجراء انتخابات للبرلمان الثاني الجديد, وكان المنتخبون في مجلس العموم أغلبهم يكن الكراهية للملك وللبلاط , فامر الملك بحلّه بعد شهرين فقط على قيامه, أطلق عليه تسمية (البرلمان الفاسد Addled Parliament) وذلك لعدم تحرير أية لائحة ولمخالفة الملك امر الملك بسجن قادة المعارضة البرلمانية , لأنه لم يوفق لإمرار أي مشروع لقصر مدته (Ibid, P.361.) .

كان الصراع الاشد بين الملك والبرلمان هو الصراع المالي في الموسم الأول للبرلمان الأول والمواسم اللاحقة, بسبب ان الأسعار في ارتفاع مستمر في حين ان العائدات هي اقل من مصاريف الحكومة, ولأن العديد من مصادر دخل التاج أصبحت تقريباً غير كافية . (Cheyney, op.cit,p.408.), ومن اجل سد

النقص الحاصل بين العائدات والصرفيات, كانت هناك عدة محاولات للملك جيمس, منها اجبر ملاك الأرض والذين الغوا نظام الفروسية للتخلص من الالتزامات المالية , أن يدفعوا مبلغاً من المال, وكان قد باع ألقاب النبلاء والمناصب المهمة في الدولة,كذلك باع أخشاب الغابات العائدة للتاج, وأخيرا اقترح على البرلمان, العهد الأعظم Great Compact, بموجبه يتنازل الملك عن كل حقوقه الإقطاعية مقابل دخل سنوي مدى الحياة مقداره 200 ألف باوند, ولكن هذا الاقتراح رفضه البرلمان فقام الملك بحل البرلمان لمدة عشر سنوات من 1611- 1621 (Ibid , p.275).وكان انعقاد البرلمان الثالث للملك جيمس الأول في أواخر عام 1620, وكان ناجحا في أولى اجتماعاته في كانون الثاني 1621, واثبت انه مجلساً قوياً على الطراز البيورتاني (Menden Hall, and others, Ideas and Institutions in European History 800-1715., 1948, pp. 277-281).

تجددت الخلافات من جديد في البرلمان, حول المسائل السياسية والمظالم التي اشتكى منها أعضاء البرلمان, في اجتماع عام 1621 حينما قدم مجلس العموم عريضة طويلة للملك, أشاروا فيها الى الكثير مما كانوا يعتبرونه انه كان خطأ في الحكومة, وخطراً على انكلترا في الداخل والخارج كما طلبوا من الملك أن يقدم المساعدة إلى البروتستانت في حرب الثلاثين عاماً على القارة الأوربية. وضرورة اعلان الحرب على ملك اسبانيا, وان يزوج ولده الأمير شارل من أميرة بروتستانتية, وان ينفذ القوانين ضد الكاثوليك أتباع كنيسة روما (Cheyney, op. cit, p.409)

لكن الملك جيمس الاول عبر عن غضبه بكتابته رسالة شديدة اللهجة إلى مجلس العموم قائلاً لهم بأنهم "قد ناقشوا قضايا بعيدة المنال عن قدرتهم وانها تتعارض مع حقوقه الملكية" (Quoted in Hall, and others, Op. cit., pp. 280-281)ولم يكن مجلس العموم راغباً بالاعتراف بحقوق الملك باستخدام سلطاته ضد حرياتهم, وأعلنوا حقهم في المناقشة الحرة , ولكن الملك منعهم من قول أي شيء يقلل من احترام ملك اسبانيا, أو التدخل في شؤون الحكومة, أو امتيازات حرية الكلام في البرلمان, وهدد باستخدام صلاحيته في معاقبة الأعضاء داخل البرلمان أو خارجه, (Cheyney, op. cit (p.409.

وقد تضمنت رسالة الملك إلى مجلس العموم القضايا نفسها التي وردت في عريضة مجلس العموم وهي :-

1- مسألة زواج الأمير شارل من اميرة اسبانية (كاثوليكية).

2- سياسته الداخلية (ونمط التعامل مع قضية البيورتان والتعامل مع الكاثوليك) والاوضاع المالية .

3- قضية حرب الثلاثين عام , وهي الحرب بين البروتستانت والكاثوليك في المانيا.

ومع سعة سلطات الملك إلا أن حقوق وحريات الأمة كانت كبيرة وتستخدمها وقتما تشاء ضد سلطات التاج وهي, لا يمكن للملك أن ينشأ قوانينه دون موافقة البرلمان ولا يستطيع فرض أية ضرائب دون موافقة البرلمان ,كذلك هو ملزم بالعمل وفق الدستور أي انه لا يستطيع زج أي من رعاياه في السجن إذا لم يكن مستنداً إلى القانون, ولذا فان الملك لا يستطيع الاستغناء عن البرلمان, من اجل الحصول على الأموال اللازمة لتغطية نفقاته, ولكن البرلمان لا يمنحه الأموال إلا بعد استجابته لطلباتهم(48) (Cordery op.cit,pp. 9- 10).

بسبب حاجة الملك الملحة للأموال دفعته لدعوة البرلمان مرة أخرى, والذي كان قد مر وقت طويل دون أن يستدعي الملك البرلمان للانعقاد 1611-1621, وعند اجتماع البرلمان بدأت الخلافات من جديد , ذلك عندما أكد الملك جيمس الأول إن واجب البرلمان فقط المصادقة على قراراته ومنحه المال الذي يطلبه, وكان يعني بكلامه هذا , حقه في الحكم بالحق الإلهي الموروث, وهو سلطان الله على الأرض, حينها طالب البرلمان بإلغاء المبادئ العامة التي بموجبها يحكم الملك , ولم يطالب البرلمان السيطرة على الإدارة والحكومة.(49) (Halliday,History of England, Londo, 1975, p.193)

ومع اعتقاد الانكليز في القرن السابع عشر بأنهم شعب حر, وقوانينهم ودستورهم المكتوب وغير المكتوب عريقة في أصولها, وبرلمانهم غير منتهك , لكن في واقع الامر كانت انكلترا تعاني من الفساد المالي والإداري, وكان أخطرها ما وصل إلى القضاء (50) (Bayne Relating to The Settlement of The Church of England by The Act of Uniformity of 1662, (London, 1862,p.29. .

لم يكن الملك جيمس الأول في السياسة الخارجية ملكاً حكيماً, إلا في أمر واحد وهو إنه كان أكثر حكمة من جيرانه من الملوك,إذ كان راغباً بمنع الحرب, داعياً الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية لتتعلم كيف تتعايش بسلام0 وكانت انكلترا واسبانيا في حالة حرب, عندما اعتلى الملك جيمس الأول عرش انكلترا, ولكنه سرعان ما احل السلم مع الاسبان, وفي عام 1614 رغب الملك جيمس بتزويج ابنه الأمير

شارل اميرويلز من الأميرة الاسبانية دونا ماريا Donna Maria ابنة فيليب الثالثPhilip III ملك اسبانيا, ذلك لان جيمس الاول كان معتقداً بأن انكلترا واسبانيا إذا عملا سوية كأصدقاء, سيكون قادراً على منع اندلاع الحروب على القارة الأوربية, وكان كل من الملكين يهدف من هذا المشروع تحقيق غاياته, فملك اسبانيا كان يرغب في ان يوقف ملك انكلترا تنفيذ القوانين ضد الكاثوليك (51) (.Ibid, p.6.)

وحينما أصبحت مسألة إتفاقية الزواج الاسباني تقريباً موافق عليها في عام 1623, وكان في ذلك الوقت فيليب الرابع ملكاً على اسبانيا ولكن الأميرة الاسبانية لم تكن راغبة بشارل لأنه بروتستانتي, وكان القسس والوزراء الاسبان لايقبلون بواقع الزواج, ما لم تتحول انكلترا إلى بلد كاثوليكي, إضافة إلى إن الاسبان كانوا يريدون أن تبقى الأميرة الاسبانية سنة واحدة في اسبانيا بعد الزواج, بعد أن يعد الملك جيمس الأول بإلغاء القوانين ضد الكاثوليك الانكليز وعدم تنفيذ رغبة الأمير شارل بمحاربة الإمبراطور ليربح عودة بلاتينات من اجل فردريك البروتستانتي نسيب الملك جيمس الأول ولذلك عاد شارل وبوكنكهام من اسبانيا إلى انكلترا في حالة غضب بعد أن قطعت المحادثات, مع تهديد اسبانيا بالحرب (.Cordery , op.cit , p.3).

اندلعت الحرب بين الكاثوليك, والبروتستانت في القارة الأوربية, التي سميت بحرب الثلاثين سنة Thirty years war (1618- 1648) استناداً للمدة التي استغرقتها, وكانت إليزابيث ابنة الملك جيمس الأول, قد تزوجت في عام 1613 من فردريك الخامس(1596-1632) Frederic V (Britannica, Vol.9 , p.721) أمير بلاتينات Palatinate, إحدى مقاطعات الإمبراطورية المقدسة الممتدة على طول نهر الراين الأعلى, وكان فردريك حاكم بروتستانتي, وكان مهتماً بشكل كبير في مسألة الحرب وذلك لان شعب بوهيما كان يرغب بحاكم بروتستانتي يختاره بدلاً من الملك فرديناند الذي كان كاثوليكياً (.Cordery, op.cit, p.7)

جمع فرديناند جيشاً كبيراً وتمكن من طرد فردريك من بوهيميا أولا, وفيما بعد من بلاتينات وكان الملك الاسباني فيليب على صلة بفرديناند, ولأجل ذلك فقد رغب الملك جيمس الأول من ملك اسبانيا أن يطالب فرديناند بإحلال السلام مع البروتستانت وإعادة بلاتينات إلى فردريك0بحكم التقارب بين انكلترا واسبانيا بعد منح انكلترا لاسبانيا رأس راليه (Cordery, op.cit, pp.7- 8).

كان الرأي العام في انكلترا يدعو لمناصرة فردريك, وكان البيورتانيين مترددين بالوعد الذي أعلنوه بإرسال حملة إلى بوهيميا, وليفعلوا ذلك فمن الضروري, منع الاسبان من عبور الأراضي المنخفضة, وهذا يعني امتلاك أسطول قوي, بالمقابل كان الملك جيمس الأول متردداً فهو بلا برلمان ولا أموال ولا سفن جاهزة للحرب مع رغبته في إحلال السلام, وأخيراً في عام 1621ومن اجل التحضير للحرب ضد اسبانيا, أو على الأقل إعطاء الاسبان انطباعاً بذلك, استدعى الملك جيمس البرلمان للانعقاد (Mourois, op.cit, p.277 ;Thompson, op.cit,p.198*

كان دوق بوكنكهام جريئاً وطموحاً ومتأكداً جداً من انه يستطيع ان يفعل كل مايرغب بفعله, ولكنه كان جاهلا في السياسة وادارة الرجال ومع ذلك كان بوكنكهام, الحاكم الحقيقي لانكلترا, وكان الأمير شارل جاهزاً لان يقوده بوكنكهام كيفما اراد Cordery, op.cit, p.13.)42 والتر راليه Walter Raleigh).

وضع بوكنكهام العديد من الخطط, فقد اراد ان ينشئ تحالفا مع فرنسا والدنمارك وهولندا,واسبانيا, دون جدوى, وأرسل الجيش إلى ألمانيا لاستعادة بلاتين لنسيب الملك جيمس (.Ibid, p.13).

اجتمع البرلمان في شباط 1624 وأراد مجلس العموم من الملك أن يحارب الاسبان في البحر, وقد رصدوا لها الأموال الطائلة, وافهم علنا بان تلك الاموال يجب ألاّ تستخدم لتجهيز الجيوش وإرسالها إلى ألمانيا, ولكن لتجهيز الاسطول فقط (.Ibid, p.14.)

حصل مجلس العموم على وعد جدي من الملك جيمس الأول والأمير شارل, بأنه فيما لو تزوج الأمير من كاثوليكية, فانه يجب ان لا يعد بأي شي في اتفاقية الزواج عن الكاثوليك الانكليز, ولكن لم يتم التمسك بالوعود من قبل التاج, فقد أرسل جيشاً عبر القناة في حملة إلى ألمانيا خلال هولندا, وفي نفس الوقت وافق الملك جيمس الأول وابنه الأمير شارل بأن القوانين ضد الكاثوليك الانكليز سوف لن توضع موضع التنفيذ (. Gardiner, op. cit., p. 496)

وفي 27 آذار 1625, توفي الملك جيمس الأول بحمى الملاريا, واعتلى شارل الأول العرش الانكليزي (لمعرفة المزيد عن شارل الاول ينظر(حسن، علي جبر، الصراع بين الملك والبرلمان في إنكلترا (1603 – 1689)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي ، بغداد، 2013) (Thompson,

(op .cit, P.198. وهناك اعتقاد بأنه "مات مسموما لان صحته كانت جيدة, وهو لم يتجاوز التاسعة والخمسين, وقد كان في ذلك الوقت مشغولاً بترتيبات زواج ابنه الأمير شارل من اخت الملك الفرنسي لويس الثالث عشر, وكان اتباع الكنيسة الكاثوليكية يتوقعون نتائج عظيمة من تحالف البلدين" (Marsden ,The History of the Early Puritans,London., 1853 . p.373) .

الخاتمة

حينما تسلم جيمس الأول العرش كان يؤمن بسياسة التفويض الإلهي والحق المطلق في الحكم حتى لو كان على حساب الشعب ومصالحة البلاد, لذلك لم يهتم بالتعرف على طباع الشعب الذي يحكمه، و كان يعارض اي محاولة تهدف للحد من حقوقه في الحكم والسيطرة، كذلك نبذ السياسة التي اتبعها اسلافه الـ تيودور في مسالة اشراك البرلمان في المسائل الهامة. وقد احدث استلام جيمس الاول الحكم في انكلترا فجوه مع البرلمان بحيث لم يتمكن من تداركها، بل كانت سياسته المتمثله بالحكم المطلق سبباً في اتساعها كذلك جهله بعادات وتقاليد الشعب الأنكليزي, اضافة الى تجاوزه صلاحيات البرلمان, واتساع الفجوة بينه وبين البرلمان , كذلك من خلال تأثير مستشاره و وزيره دوق بكنغهام Duk of Buckinghams(1592-1628)، على أراءه التي كانت سبباً في ذلك, فالملك كان ينظر الى حقوق النواب بانها منحه من جانبه، ولان البرلمان في مجلسيه اللوردات والعموم كان يحظى بأحترام المجتمع الانكليزي, ادت لازدياد الهوه بينه وبين البرلمان ,مما أدى الى تأجيل جلساته في موسمه الأول، وقد تعثرت جلساته في الموسم الثاني بعد أن أقر بعض القوانين ضد الكاثوليك.ومن اجل تقوية أواصر العلاقة مع أسبانيا بدرجة أكبر، قـرر عام 1614تزويج ابنه الأمير شارلCharles I(1600-1625/1649-1649) من الأميرة الأسبانية دونا ماريا Donna Maria ابنة فيليب الثالث Philip III(1578-1621) ملك اسبانيا, معتقداً أن المصاهرة السياسيه تلك ستمكنهما من إيقاف اندلا ع الحروب في القارة الأوربية, وكان هدف كلاهما من هذا المشروع تحقيق غاياتهما, فملك اسبانيا كان يرغب في إن يوقف ملك انكلترا تنفيذ القوانين ضد الكاثوليك.

اولا المصادر العربية والمعربة

1- برتراندرسل، حكمة الغرب، ج2، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، الكويت، عالم المعرفة، 1983.

2- عبدالوهاب الكيالي, الموسوعة السياسية, ج7, ط3, المؤسسة العربية للدراسات, بيروت, 1995

3- عبد الرضا حسين الطعان, تاريخ الفكر السياسي الحديث, بغداد, دار الحكمة للطباعة والنشر, 1992 .

4- كمال مظهر احمد, ميكافيلي والميكافيلية, الموسوعة الصغيرة, بغداد، دائرة الشؤون الثقافية, 1984.

5- رولان موسينيه, تاريخ الحضارات العام, المجلد الرابع, القرنان السادس عشر والسابع عشر، ترجمة يوسف اسعد داغر, وفريد م. داغر, بيروت, عوينات للنشر والطباعة,

6- محمد محمد صالح, تاريخ اوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500- 1779, بغداد ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر, 1982.

7- منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي, قاموس المورد الحديث, بيروت، دار العلم للملايين، 2009.

8- منذر شباني, سبينوزا واللاهوت, دمشق, الهيئة العامة السورية للكتاب, 2009.

9- ديورانت, قصة الفلسفة, ترجمة فتح الله محمد المشعشع, بيروت, مكتبة المعارف, 2004.

ثانيا\المصادر الاجنبية

1--Bayne, Peter, Documents Relating to The Settlement of The Church of England by The -Act of Uniformity of 1662, London wkent and co ., 1862.

2- Britannica, Vol. 12, 1966,

Cheyney, Edward p. A Short History of England, London, Ginn and Co. 1919.

4-- Cordery Bertha Meriton , The Struggle Against Absolute Monarchy 1603- 1688, Toronto, Adam Meller and co.,1877.

5- Encyclopedia Britannica,Vol.18,London,1966.

- Deane, Jones, The English Revolution 1603- 1714, London , Heinemann 1966.

5- Halliday, F.E, A Concise History of England, London, Book club Associates, 1975.
6- H.G .Wells,A Short History of The World, London, Penguin Books, 1978.
7 - G.B. Tatham, The Puritan in power, Cambridge, university press, 1913.
8-Larned, J. N., A History of England, New York, Houghton Mifflin and Co. 1900
9- Lingard, John, A History of England, Vol. IX New York, Philips Sampson and co., 1855.
10- Menden Hall, Thomas C. and others, Ideas and Institutions in European History 800-1715, New York, Henry Holt and Co.,
1948.-
11- Marsden,J.B,The History of the Early Puritans,London, Hamilton, Adams and co., 1853.
12-Original Letters relating to The ecclesiastical Affairs of Scotland Addressed to king James VI, vol. 1, 1603-1614, Edinburgh, 1851
13- Taunton, Ethelred L., The History of the Jesuits in, 1580- 1773, London, Methuen and Co., 1901.

الرسائل والاطاريح

1- حسن، علي جبر، الصراع بين الملك والبرلمان في إنكلترا (1603 – 1689)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 2013.

2- كسار, كظم ,باسم البيورتانيون ودورهم الديني والسياسي والاقتصادي حتى عام 1660,اطروحة دكتوراه غير منشوره,(كلية الاداب, جامعة البصرة,2018)

The theory of relevance and its applications in the Holy Qur'an: a study in light of the theory of text linguistics and discourse analysis.

Hassan Saeed Abdul Hashim Al-Moussawi.[1]
University of Babylon/Faculty of Education for Humanities/Babylon/Iraq
Hassan.almussawi7@gmail.com
Ali Zeid Abd al-Amir Hamza al-Dulaimi.[2]
University of Babylon/Faculty of Education for Humanities/Babylon/Iraq
Lyzyd4329@gmail.com

Abstract:
Linguistic theories have witnessed a remarkable development since the emergence of the theory of (structuralism) by (Saussure) and the theory of (transformational generative) by (Chomsky). From these two theories and the new visions and ideas that they contain emerged that attempt to understand the nature of the relationship between what the speaker raises in his speech with the least cognitive effort. Based on the above, we found one of these theories that is concerned with this as a suitable material for study, namely (the theory of relevance). In this research, we tried to clarify the concept of this theory and we dealt with two examples from the Holy Qur'an to demonstrate their importance. We seek help and success from God.
Keywords: Verbal communication, relevance, coding and discourse…

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

نظرية الملاءمة وتطبيقاها في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظرية لسانيات النص وتحليل الخطاب.

م.د / حسن سعيد عبد هاشم الموسويّ[1]
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية /بابل /العراق
Hassan.almussawi7@gmail.com
م .م / علي زيد عبد الامير حمزه الدليميّ[2]
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية /بابل /العراق
Lyzyd4329@gmail.com

الملخص:

لقد شهدت النظريات اللسانية تطورًا ملحوظًا منذ ظهور نظرية (البنيوية) على يد (سوسير) ونظرية (التوليدية التحويلية) على يد (تشومسكي) فانبثقت من هاتين النظريتين وما جاء فيهما من رؤى وأفكار جديدة تحاول فهم طبيعة العلاقة بين ما يثيره المكلم في كلامه بأقل جهد معرفي ، وبناءً على ما تقدم وجدنا أحدى هذه النظريات التي تهتم بذلك مادة صالحة للدراسة إلا وهي (نظرية الملاءمة) فحاولنا في هذا البحث ايضاح مفهوم هذه النظرية وتناولنا نموذجين من القرآن الكريم لتبيان أهميتهما ، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

الكلمات المفتاحية: التواصل الكلامي ، الملاءمة ، الترميز والخطاب...

لكتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين..

أمّا بعد...

لم يَعُدْ علم اللسانيات مقتصرا على ما طرحه (سوسير) في نظريته (البنيوية) ، أو ما طرحه (تشومسكي) في نظريته (التوليدية التحويلية) فقد أفرزت المعرفة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأُسس المعرفية ، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي ، وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح ، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب ، والعوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة ، والبحث أيضا في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ...الخ ، ومن بين النظريات التي تندرج تحت هذا التيار (نظرية الملاءمة) ، والملاءمة عُرِفتْ عند علماؤنا الأقدمين بمسميات متعددة منها المناسبة ، والمشاكلة ، والمصاحبة وغير ذلك من المسميات ، ولا يبعد معنى الملاءمة اللغوي عن معناه الاصطلاحي فهي تعني الموافقة ، يقال : هذا الطعام لاءمني ، أي : وافقني ومن الخطأ الشائع ما نجده اليوم مستعملا على السنة الناس فهم يقولون : هذا الشيء والمني ، ويقصدون الملاءمة ، فالموالمة من اللوم وهذا المعنى غير مراد على الاطلاق من قول الناس ، وقد حاولنا في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على هذه النظرية ودراستها في ضوء لسانيات النص وتحليل الخطاب في مبحثين اثنين تناول الاول منهما كيفية نشوء نظرية الملاءمة وتطورها وتناول الاخر نماذج من تطبيقاتها في القران الكريم ؛ فإن أصبنا فمن الله جل وعلا ، وإن كنا أخطأنا وكبونا فمن عند انفسنا ونسأله تعالى أن يغفر زللنا وخطأنا ومنه نستمد العون والتوفيق .

المبحث الاول

نظرية الملاءمة اللغوية

" النشوء والتطور"

تُعد " نظرية الملاءمة " نظرية تداولية معرفية ، أرسى معالمها اللساني البريطاني " ديردر ولسن " والفرنسي " دان سبربر " وتأتي أهميتها التداولية من أمرين : أـ إنّها تنتمي إلى العلوم المعرفية الادراكية ، ب ـ إنها ولأول مرة منذ ظهور الافكار والمفاهيم التداولية ، تبيّن بدقة موقفها من اللسانيات ، وخصوصا موقعها من علم التراكيب ، فنظرية الملاءمة تدمج إذا بين نزعتين كانتا متناقضتين ؛ فهي نظرية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة ، وتُعدّ في الوقت نفسه نظرية ادراكية والسبب أنها تدمج مشروعين معرفيين وتأخذ منهما :

الأول : مستمد من مجال علم النفس المعرفي ، وخاصة النظرية القالبية لـ (فودور)1983م والثاني يستفيد من مجال فلسفة اللغة ، وخاصة النظرية الحوارية لـ (غرايس) 1975م.

وقد استفادت نظرية الملاءمة من النظرية القالبية ، وخاصة فيما يتعلق برصد وقائع الحياة الذهنية ، وتفسير طرق جريان المعالجة فالنظرية القالبية تنطلق من تصور خاص للمعالجة الاخبارية ، يمرّ بالمراحل الآتية:

الأولى : يطلق عليها "فودور " مرحلة اللواقط التي تتعدد وظيفتها في ترجمة الادراكات المباشرة مهما كان مصدرها ، ونقلها إلى الدماغ بقصد المعالجة والثانية يطلق عليها مصطح الأنظمة الدخل أو الأنظمة البعيدة عن المركز ، وهي متخصصة في معالجة المعطيات المستمدة من " اللواقط " سواء أكانت من المجال البصري أم اللغوي أم السمعي ...الخ ، بقصد تأويل ملفوظ معين غير أنّ هذا الأخير يظل غير مكتمل ، لأنّه في هذه المرحلة يكون التعامل مع المعطى اللغوي محصورا في المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي ، والثالثة تعرف بالأنظمة المركزية ومعها يكتمل التأويل بموجب عملية دمج الإخبار الناتج عن اللاقط والانظمة الدّخل بالإخبار المخزون في الذاكرة التصورية بقصد انتاج استدلالات غير برهانية (د. مسعود صحراوي،36،2005-37) ، ويبين "سبربر" و"ولسن " ((أنّه في قلب هذه المرحلة تتكون وتترسخ الفرضيات ، وتظفر الأقوال بتأويل تام)) (د. مسعود صحراوي،2005، 37) ، لأنّ الانظمة ـــ الدخل لا تتعدى المظاهر الترميزية للأقوال ، بينما يتمم النظام المركزي عملية التأويل بتوجيه عنايته إلى كل المظاهر

غير الترميزية ، أي الاستدلالات غير البرهانية ، انطلاقا من السياق التأويلي وبهذا يتبين أنّ عملية التأويل تزاوج بين الترميز والاستدلال.

كما استفاد "سبربر" و"ولسن " من نظرية "غرايس " الحوارية (المحادثية) ، التي تنص على أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية إلّا أنّ "نظرية الملائمة " أعادت النظر في نظرية "غرايس " وقلصت محتوياتها مقتصرة على مبدأ " الملائمة " كأساس مركزي يختزل المسلمات جميعها التي جاء بها " غرايس " وهي (الكم والكيف والعلاقة "الجهة " ويعد تعميما للتواصل المعروف بـ" المناسب الاستدلالي" فهو مناسب ؛ لأنّ المتكلم يستعمل المثير الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته وهو استدلالي ، لأنّ المتلقي يستدل على القصد الاخباري ، انطلاقا من المؤشرات التي ساقها المتكلم ، فالتواصل في نظر " سبربر " و " ولسن " يقوم على هذا الأساس ويكون التواصل الاستدلالي المناسب بأن ينتج المتكلم مثيرا واضحا للمخاطب ، فيصبو الأول إلى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة أو أكثر وضوحا لدى المخاطب (عباس صادق الوهاب، 1987، 65)، ومن أهم ما انمازت به نظرية " الملائمة " تصورها للسياق ، إذ لم يعد شيئا معطى بشكل نهائي أو محددا قبل عملية الفهم ، وإنما يبنى تبعا لتوالي الأقوال ويتألف السياق من زمرة من الافتراضات السياقية تستمد من مصادر ثلاثة(سيف الديندغموس ومحمد الشيباني،57،2003-59) :

1ـــ تأويل الأقوال السابقة : فالقضايا التي نحصل عيها مباشرة بعد الالتفات إلى أول الكلام وتأويله تخزن في الذاكرة التصورية ، حيث تمثل جزءا لا يتجزأ من سياق تأويل الأقوال المستهدفة في المعالجة فلابدّ من ردّ آخر الكلام على أوله.

2. المحيط الفيزيائي : قد يشمل أيضا كل تمثيل انبثق من المكان الذي جرى فيه التواصل ، حيث إنّ الجهاز الإدراكي للمتكلم قد يمثّل خصائص الأمكنة بشكلٍ مباشر أو غير مباشر.

3ـــ ذاكرة النظام المركزي : وتحوي على معلومات مختلفة عن العالم فيستخدم بعضها في السياق التأويلي ، ولنا أن نطرح سؤالا بناء على المصدر الثالث من مصادر الافتراضات السياقية : كيف نصل إلى المعلومات المخزونة في النظام المركزي ؟.

يجيب "سبربر" و"ولسن" عن هذا التساؤل بان ذلك يمرّ من خلال "سند الصيغة المنطقية " في مرحلة الانظمة ـ الدخل ـ حيث تضم مجموعة من المفاهيم ، لكل مفهوم عنوان تصوري في

وما يخص بحثنا هو القسم الثاني من الكلام وهو الإنشاء ، ويقسم الى قسمين : القسم الاول منه هو الإنشاء الطلبي ويقصد بالإنشاء الطلبي ((ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب

الذاكرة المركزية ، يخزن ثلاثة أنماط من المعلومات (كاظم جاسم منصور العزاوي،81،2012-82):

أ. المدخل المنطقي: يتضمن معلومات عن بعض العلاقات المنطقية.

ب ـــ المدخل المعجمي : ويخص المعلومات المتعلقة بعنصر معجمي جميعها ويبدو لي أنّ هذا المصطلح قريب من نظيره في النحو التوليدي المتضمن المعلومات الصوتية و التركيبية .

جـ ـ المدخل الموسوعي ويضم المعلومات كلها التي نكونها حول موضوعات أو أحداث أو خصائص تقترن بمفهوم معين وهنا نضع سؤالا آخرا ونقول فيه : إذا كانت المداخل الثلاثة مصادر للافتراضات السياقية فكيف تنتقى هذه الافتراضات ؟

يجيب "سبربر" و"ولسن " بأنّ ذلك يتم بموجب مبدأ "الملاءمة " ويتحدد انطلاقا من وسيطين هما : الآثار المعرفية والجهد المعرفي ويراد بالآثار المعرفية كل تعالق بين معلومتين ، أحداهما قديمة والثانية جديدة مما ينتج عنه مجموعة من المحاسبات الذهنية كتعديل أو تحسين أو اثبات أو اقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصورية والجهد المعرفي له دور في تقويم مدى " ملاءمة الأقوال " حسب المبدأ الآتي : ((كلّما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة)) (د.مسعود صحراوي، 40،2005) ، ولتوضيح هذا المبدأ اضرب المثالين الآتيين : (الجو ضبابي هذا الصباح) و(يهطل المطر) ، فالمثالان لا يستدعيان من المخاطب (المحاور) جهدا كبيرا في معالجتهما سوى استخلاص التبعات التي يتطلبها ضباب الجو وهطول المطر وصفوة القول إنّ جوهر نظرية الملاءمة يكمن في ((المزاوجة بين الترميز والاستدلال في عملية تأويل الخطاب ، وذلك بانتاج مثير واضح للمخاطب ، فيسعى إلى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة أو أكثر وضوحا بالنسبة إلى المخاطب ، والسياق في هذه النظرية ليس معلومات معطاة به ،بل هو بنية مولّدة من افتراضات سياقية مستمدة من تأويل للأقوال السابقة من ناحية ، ومرتبطة بأطر العملية التواصلية والمعلومات المستقاة من ذاكرة النظام المركزي بمداخلها الثلاثة : المنطقي والمعجمي والموسوعي من ناحية اخرى)) (د.نعمان بوقرة،197،2009).

المبحث الثاني

تطبيقات نظرية الملاءمة في القرآن الكريم

إذا أنعمنا النظر في القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات المباركة قد زاوجت بين الرمز والاستدلال لتأول لنا الخطاب وترسم صورة فنية بخلق مثير يفهمه المخاطب ويألفه ، ومن تلك الآيات المباركة ما سأتناوله على سبيل التمثيل لا الحصر وكالآتي:

1.قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 9-11].

تتجلى في هذا النص المبارك ثلاث صور فنية هي (وإذ زاغت الأبصار) (وبلغت القلوب الحناجر)(وزلزلوا زلزلا شديدا) ومعلوم أنّ هذه الصور وردت في سياق الحديث عن معركة الأحزاب وما واكبتها من الأحداث والمواقف ، ومنها ما صدر عن المسلمين من ردود الفعل حيال الحشد العسكري للمشركين واليهود ، حيث استتبعوا مخاوف شديدة إلى درجة أنّهم ظنوا بالله الظنون المختلفة ، وهو ما عبرت عنه الصور الفنية الثلاث المذكورة آنفا ، وإنّ هذه الصور تنسب إلى (الرمز) فالصورة الأولى (وإذ زاغت الأبصار) نجد انّ زوغان البصر يعني عدوله عن الحركة الطبيعية له ، وهذا يعني انّ الحركة (زوغان البصر) هي رمز فني لحركة داخلية هي القلق والخوف والحيرة التي انتابت المسمين عبر مشاهدتهم مرأى الجيوش المحتشدة ، وأهمية مثل هذا الرمز تتمثل في جملة من الظواهر ، منها ألفة هذا الرمز ، أي : خضوعه لخبراتنا وتجاربنا اليومية التي نألفها بوضوح عند مواجهتنا لأي شدة من شدائد الحياة ، ومنها إنّه رمز ذو طابع حسّي أو حركي ، وليس رمزا ذهنيا يصعب تمثل دلالته ، ومنها : إنّها تعبير عن حركة داخلية بمعنى أنّ القلق والخوف وهما طابع نفسي صرف قد انعكس في مظهر جسمي ، وهو ميل البصر عن حركته الطبيعية ، وهذه الحقيقة ذات أهمية كبيرة من حيث الرسم الفني للصورة ولها أهمية كبيرة لذلك في ميدان الانفعالات وانعكاساتها على السلوك وإذا تجانست الحركة الخارجية مع الحركة الداخلية اكتسبت الصورة دلالة جمالية بليغة دون أدنى شك وحينئذ تصدر الاستجابة من المتلقي بوضوح وفقا للرمز المساق(وسام فخري جويح ،2014 ،135).

وتطالعنا الصورة الثانية وهي قوله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) وتعني أنّ القلوب قد انخلعت من مكانها بسبب الخوف واليأس وصعدت إلى الحناجر حتى لتكاد تخرج(سيد قطب الشاوبي،1412، 835/6) و

يا لها من صورة أظهرت كثافة وجمالية وصدق التعبير إذ رسمت انخلاع الأفئدة وصعودها إلى الحناجر ، فهي فضلا عمّا تنضوي عليه من دقة الرسم لعمليات الانفعال الصادرة عن الخائف واليائس تنطوي على نمط خاص من التركيب الفني وقد عبّرت هذه الصورة عن التجانس بين ما هو خارجي وداخلي على غرار ما عبرت عنه الصورة الأولى المذكورة آنفا ولكن ليس من خلال المظهر الجسمي الذي ينعكس بنحو مرئي من قبل الآخرين ، بل خلال ما يشاهده صاحب التجربة وحده أي الخائف والقلق فإنّه يتحسس بانخلاع فؤاده وصعوده إلى الحنجرة ، وإمّا الصورة الثالثة فهي امتداد للصورتين السابقتين (وإذ زاغت الأبصار) و (بلغت القلوب الحناجر) فالبصر عندما يزيغ والقلوب عندما تصعد إلى الحناجر إنّما يشيران إلى وجود شدة بالغة المدى ، ولا يمكن تخيّل وجود صورة فنية تعبر عن درجة الشدة المذكورة أكثر دقة من عملية (الزلزلة) ، فالزلزلة كما هو معلوم حركة انقلابية للشيء وليست مجرد حدوث اضطراب أو اهتزاز، بل هي اهتزاز يجعل عالي الشيء سافله ، ولم يكتفٍ النص بالقول (وزلزلوا) فحسب بل استخدم المفعول المطلق (وزلزلوا زلزالا) حيث إنّ تكرار الزلزال من خلال مصدر الفعل يفصح لنا عن أشد درجات الزلزال ومع كل هذا لم يكتفٍ النص بالتركيب الصوري بل اضاف إليه كلمة (شديدا) ليكون امام المتلقي صورة فنية مبهرة مكثفة الدلالات جمعت بين التعبير المقصود والتعبير المباشر ليكمل احدهما الآخر (وسام فخري ، 2014، 137-138)[10].

.2 قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: 19-22].

في النص المبارك مجموعة من الصور الفنية الماتعة التي تنسب إلى الرمز والاستدلال وكذلك التشبيه ، فضلا عن إنّ الصور بمجموعها تشكل صورة موحدة ذات طابع استمراري بمعنى إنّها صورة تتضمن ابراز حقيقة من الحقائق العبادية وتطالعنا الصورة الأولى (وما يستوي الأعمى والبصير) وهي صورة تقارن بين حال الكافر والمؤمن والجاهل والعالم ومثل هذه الموازنات قد وردت كثيرا في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ (محمد بن أحمد القرطبي، 2010، 237/14) [المائدة من الآية :100] ، وبالانتقال للصورة الأخرى وهي قوله تعالى (ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور) نجد رمزين لنماذج الطبيعة وهما (الظلمات والنور) أي الليل والنهار ، وقيل : الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير أي شدة حرّ الشمس ، ولا يكون إلا مع شمس النهار بعكس السموم الذي اختص الليل (هاني الحاج،

د.ت ،489/4) ، وقال الفرّاء : ((السّموم لا يكون إلّا بالنهار والحرور يكون فيهما)) (أبو زكريا الفراء، د.ت ،422/3) ، وقيل المراد بالظل والحرور : الجنة والنار فالجنة ذات ظل دائم كما قال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (محمد القرطبي، 2010، 237/14) [الرعد من الآية:35] والنار ذات حرور ، وما يهمني ذكره هنا هو أنّ النص سمح للمتلقي بأن يستخلص ما يشاء من الدلالات عبر ذهابه إلى أنّه ما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ... الخ ، وهذا اوضح تفسير لما قلته سابقا بأنّ السياق في هذه النظرية ليس معلومات معطاة به بل هو بنية مولّدة من افتراضات سياقية مستمدة من تأويل للأقوال السابقة ومرتبطة بأطر العملية التواصلية والمعلومات المستقاة من ذاكرة النظام المركزي بمداخلها الثلاثة : المنطقي والمعجمي والموسوعي ولو لم يكن ذلك فلنا أن نتساءل : كيف توصّل المفسرون إلى دلالات الكلمات الواردة في النص الكريم ؟

والقرآن الكريم ثريٌ بالآيات التي دلّتْ على ملاءمة الملفوظ للمقام والسياق الوارد فيه ولولا خشيتي من الإسهاب لأكثرتُ من ذكر الآيات الدالة على ما أقول ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين .

خاتمة البحث :

بعد هذه الرحلة القصيرة في رحاب علم اللسانيات وأحدى نظريات الفكر التداولي المعرفي ألا وهي (نظرية الملاءمة) نودُّ تسجيل نتائج البحث وهي :

1.تُعد (نظرية الملاءمة) نظرية تداولية معرفية ذاع صيتها بعد أنْ بينت موقعها من اللسانيات وخصوصا موقعها من علم التراكيب (النحو).

2.يمكن عدّ (نظرية الملاءمة) نظرية ادراكية لأنّها تدمج مشروعين معرفيين أولهما مستمد من مجال علم النفس المعرفي ، وخاصة النظرية القالبية لـ (فلودور) 1983م ، وثانيهما مستمد من مجال فلسفة اللغة ، وخاصة النظرية الحوارية لـ (غرايس) 1975م.

3. يكمن جوهر نظرية الملاءمة في المزاوجة بين الترميز والاستدلال في عملية تأويل الخطاب ، وكلّما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ والعكس صحيح .

روافد البحث :

- القرآن الكريم.

1. د. مسعود صحراوي ،2005م ، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ،بيروت . لبنان ، ط1.
2. التداولية في الفكر النقدي (اطروحة دكتوراه) كاظم جاسم منصور العزاوي ، بابل ، 2012.
3. روبول آن ومحمد وموشلار جاك ، ترجمة : سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني ،2003م ، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان.
4. محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ) ، تح : د. حامد أحمد الطاهر ،2010م ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة . مصر ، ط1 ، 1431هـ .
5. وسام فخري جويح و وسام حسين جاسم ،2014م ، دراسات قرآنية معاصرة ، أعداد لجنة المناهج العلمية ، النجف الأشرف.
6. سيد قطب الشاوبي (ت: 1385هـ) ،1412هـ ،في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، ط17 ، 1412هـ.
7. د. نعمان بوقرة ،2009م ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث ، الأربد . الأردن ، ط1.
8. لايوتزجون ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، 1987م ، اللغة والمعنى والسياق ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد.
9. القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي (ت 546هـ) ، تح : هاني الحاج ، د.ت، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، دار التوقيفية للتراث ، القاهرة . مصر ، د.ط.
10. أبو زكريا الفرّاء (207 هـ) تح : احمد النجاتي ود. محمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل ، د.ت، معاني القرآن، دار المصرية للتاليف والترجمة ، مصر ، ط1.

Three issues in blood money(aldiyat)

A.P.D. Hiad Asmaeil Mireid Almanzil Bani Jamil
Imam Al-A'dham University College
almreedasmiel@gmail.com

Abstract:

blood money is originally blood money from the word wadda yaday, and it is a substitute for the soul, and it is the money paid to the victim, or his heirs because of the crime. Blood money is obligatory in the case of accidental killing and quasi-intentional killing unless the guardians of the murdered person forgive it. Due to the existence of legal violations in the rulings on blood money in This is a time of giving and taking, which is determined by the tribal sheikhs. Some of them exaggerate and overestimate its value and exceed its legal amount, while others reduce its legal amount with gross doubts without the consent of the owners of the blood money, whether by force or shame, and thus people are deprived of their rights Which is limited by the pure Sharia, and people miss out on the wisdom of its legislation. On the contrary, it may increase differences and disputes between people due to straying from the divine approach. Therefore, this brief research was conducted to explain some of the rulings on blood money, its definition, ruling, wisdom, and the issue of origin. In it, and its value at the present time, and the issue of the amount of the heavy blood money, and the issue of blood money for accidental killing, by following the comparative analytical method that is based on presenting the statements of the jurists on the issue and explaining their transmitted and rational jurisprudential evidence and the responses and answers of some of them to others, then A statement of the most correct opinion in the jurisprudential issue, it became clear in the origin of blood money that it is considered in each country and environment its situation, so the people of cities are considered in their situation gold and silver, and the people of villages are camels, cows and sheep, and in the heavy blood money it became clear that determining the age of the camels of blood money is up to the judge's discretion.

Keywords: blood money, crime, without life, accidental killing,Intentionalit.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

ثلاث مسائل في الديات

أ.م.د. حياد اسماعيل مرعيد المنزل بني جميل
كلية الإمام الأعظم الجامعة
almreedasmiel@gmail.com

الملخص:

الدِّية أصلها وِدْيَة من وَدَى يدي , وهي المال المؤدى إلى المجني عليه, أو ورثته بسبب الجناية , وهي واجبة في قتل الخطأ, وشبه العمد إلا أنْ يعفو عنها أولياء المقتول؛ ونظراً لوجود مخالفات شرعية في أحكام الدِّيات في هذا الزمان أخذاً وعطاءاً والتي يقوم تحديدها من قبل شيوخ العشائر فالبعض منهم يفرط ويبالغ في قيمتها ويتجاوز المقدار الشرعي لها , والبعض الآخر ينقص مقدارها الشرعي بشك فاحش دون رضا أصحاب الدِّية جبراً أو حياءاً, فيبخس الناس حقوقهم التي حدها الشرَّع الحنيف فيفوت على الناس الحكمة من تشريعها بل على العكس قد تزيد الخلافات والنزاعات بين الناس بسبب الإبتعاد عن المنهج الالهي؛ لذا كان هذا البحث الموجز لبيان بعض أحكام الدِّية, تعريفها وحكمها, وحكمتها, ومسألة الأصل فيها, وقيمتها في الوقت الحاضر, ومسألة مقدار الدِّية المغلظة, ومسألة دية قتل الخطأ, باتباع المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على عرض أقوال الفقهاء في المسألة وبيان أدلتهم الفقهية النقلية والعقلية وردود واجابات بعضهم على بعض ثم بيان الرَّاجح في المسألة الفقهية, فاتضح في أصل الدية أن يُعتبر في كل بلد حاله, فأهل المدن يعتبر في حالهم الذَّهب والفِضة , وأهل القرى الإبل والبقر والغنم وفي الدِّية المغلظة اتضح أنَّ تحديد أسنان إبل الدَّية راجع الى إجتهاد الحاكم.

الكلمات المفتاحية : الدِّيات – الجناية – دون النَّفس – قتل الخطأ – العمد .

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فقد خلق الله تعالى الانسان في أحسن تقويم وسخر له ما في السَّموات والأرض جميعا منه , وعصم دمه وماله وعرضه, وتوعد من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض بجهنم خالداً مخلداً فيها, ومن قتله خطأً فعليه الدِّية إلا أنْ يعفوا أولياء المقتول , قال تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (سورة النساء آية 92) فليس لمؤمن أنْ يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه ، كما ثبت في الصَّحيحين عن ابن مسعود "رضي الله عنه" أنَّ رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قال : ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)) رواه أحمد في مسنده ط الرِّسالة برقم 4245, قال المحقق: " إسناده صحيح على شرط الشَّيخين." (الإمام أحمد , 1421 هـ , ص. 277) ثم إذا وقع شيء من هذه الثَّلاث ، فليس لأحد من آحاد الرعية أنْ يقتله ، وإنَّما ذلك إلى الإمام أو نائبه على الصَّحيح من أقوال الفقهاء , وقوله تعالى: " ودية مسلمة إلى أهله" هي موضوع بحثناً, وهي الواجب الثَّاني فيما بين القاتل وأهل القتيل عوضا لهم عما فاتهم من قريبهم , وقد تناولت في هذا البحث الموجز ثلاث مسائل مهمة في الدِّيات بمنهج تحليلي مقارن , واقتضت خطة البحث أنْ اقسمه الى ثلاث مباحث الأول منها في التَّعريف بالدِّية والأصل فيها , والثَّاني في مقدار الدِّية المغلظة , والثَّالث في دِّية قتل الخَطأ , وقد فصلت في كل مبحث من المباحث الثلاث مذاهب الفقهاء في المسألة وأدلتهم النقلية والعقلية وردود واجابات بعضهم على البعض الآخر ثمَّ التَّرجيح بين مذاهبهم, وختمت البحث بخاتمة تحوي أهم الاستنتاجات وبعدها بقائمة لأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: ما يعتبر أصلًا في الدَّية .

المطلب الأول : الدِّيات تعريفها , وحكمها , والحكمة من تشريعها .

أولاً: تعريف الدِّيَاتِ لغة واصطلاحاً :

الدية لغةً : أصلها وِدْيَة من وَدَى يدي فحذفت الواو استخفافاً, وهي بَدَلُ النَّفْسِ , وَجَمْعُهَا الدِّيَاتِ , فَالدِّيَةُ اسْمٌ لِلْمَالِ , وَمَصْدَرٌ أَيْضًا لِهَذَا الْفِعْلِ (النَّسفي, 1311هـ, ص . 266).

واصطلاحاً : هي المال المؤدى إلى المجني عليه , أو ورثته بسبب الجناية , وتقسم الدِّية إلى قسمين : دية النَّفس , ودية ما دون النَّفس , وتسمى الدِّية " العَقل " ؛ لأنَّ القاتل كان إذا قتل قتيلاً ، جمع الدِّية من الإبل , فعقلها بفناء أولياء المقتول : أي شدها بعقالها ليسلمها إليهم (الموصلي , 1356هـ , ص. 35) **أو:** هي المال المؤدى إلى مجني عليه , أو وليه , أو وارثه بسبب جناية , والدِّية في الأصل مصدر، ثم سمي بها المال المؤدى إلى المجني عليه ، أو إلى أوليائه (البعلي , 1423هـ , ص. 443).

ثانياً : حكمها : للدِّية الأحكام الآتية :

1 – الدِّية واجبة في قتل الخطأ , وشبه العمد إلا أنْ يعفو عنها أولياء المقتول , وتجب في قتل العمد إذا مات الجاني , أو تنازل الأولياء عن القصاص إلى الدِّية .

2 – تجب الدِّية على كل من أتلف إنساناً بمباشرة , أو سبب ، سواء كان الجاني صغيراً , أو كبيراً ، عاقلاً , أو مجنوناً ، متعمداً , أو مخطئاً , وسواء كان التَّالف مسلماً , أو كافراً ذمياً ، مستأمناً , أو معاهداً

3 – إن كانت الجناية عمداً ، ولم يكن قصاص ، وجبت الدِّية حالَّة من مال الجاني وإن كانت الجناية شبه عمد , أو خطأً , وجبت على عاقلة الجاني مؤجلة ثلاث سنين (الكاساني , 1406هـ , ص. 254).

ثالثاً : الحكمة من تشـــريعها : الدِّية جزاء يجمع بين العقوبة , والتَّعويض , ففيها من الزَّجر , والرَّدع ما يكف الجناة ، ويحمي الأنَّفس , والأصـــل في الدِّيَة أنها تجب أن تكون مالاً عظيماً يغلبهم , وينقص من مالهم ، ويجدون له ألماً عندهم ، ويكون بحيث يؤدّونه بعد مقاســاة الضِّــيق ليحصــل الزَّجر، وهذا القدْر يختلف باختلاف الأشــخاص , وفيها من جهة أخرى تعويض لما فات من الأنَّفس , أو الأعضــاء بالمال الذي يأخذه المجني عليه , أو ورثته (القنوجي , 1423 هـ , ص .307) .

المطلب الثاني : مذاهب الفقهاء فيما يعتبر أصلًا في الدِّية .

أجمع الفقهاء على أنَّ الإبل أصـل بنفسـها في الدِّية ، فلو دُفعتْ الدِّية منها قبلتْ ، ولم يكن للمجني عليه , أو وليه المطالبة بغيرها , ثم اختلفوا في غير الإبل ، هل يكون أصـلًا في الدِّية بنفسـه ، أو مقوَّمًا بالإبل ، على أقوال أُلخصُها بمذهبين :

المذهب الأول : يُعتبر الذَّهب , والفضــة أصــلًا في الدِّية , وهو مذهب أبي حنيفة والإمام مالك(ابن عابدين, 1412هـــ , ص. 574, وابن رشد الحفيد, 1425هـــ, ص. 194) , والشَّافعي في القديم وأحمد في رواية (الماوردي, 1419 هـ ـ, ص.227 , وابن قدامة , 1388هـ , ص. 368) والإمامية وإستدلوا: بصحيح عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت ابن أبي ليلى يقول : كانت الدية في الجاهلية مائة من الابل , فأقرها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم" ثم الله فرض على أهل البقر مائتي بقرة ، وفرض على أهل الشـاة ألف شـاة ثنية ، وعلى أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق عشـرة آلاف درهم ، وعلى أهل اليمن الحلل مائتي حلة , قال عبد الرحمن ابن الحجاج : فسـألت أبا عبد الله "عليه السـلام " عما روى ابن أبي ليلى ، فقال : " كان علي " عليه الســـلام "يقول : الدية ألف دينار , وقيمة الدينار عشـرة دراهم وعشـرة آلاف لاهل الامصـار , وعلى أهل البوادي مائة من الابل , ولاهل السـواد مائة بقرة أو ألف شـاة " , وصـحيح ابن أبي عمير عن جميل بن دراج في الدية ، قال ألف دينار أو عشـرة آلاف درهم , ويؤخذ من أصـحاب الحلل الحلل , ومن أصـحاب الإبل الإبل , ومن أصـحاب الغنم الغنم , ومن

أصـحاب البقر البقر .(العلامة الحلي, 1412هـ, ص. 417 , والروحاني , 1412هـ , ص. 16) ومذهب الإباضـــية, قال أطفيش : " وروي عن عمر أنَّه جعلها على أهل الذهب , أي على من أراد إعطاء الذهب , ولو كان من غير أهله كالفضـة , والإبل وغيرها ، وكذا فيما بعد ألف دينار ، وعلى أهل الورق – أي الفضة – عشرة آلاف درهم ، وعلى أهل الشاة ألف شاة مُسنة ، وعلى أهل البقر مائتي بقرة مُســنة ، وعلى أهل الحُلة مائتي حلة يمانية : إزار ورداء " (أطفيش , بدون تاريخ , ص. 275), وقالوا : الدَّراهم , والدَّنانير مقدرة في الدِّيات : " ألف دينار ذهباً , أو اثنا عشـر ألف درهم فضـة – عند الجمهور – أو عشـرة آلاف درهم فضـة عند الحنابلة " , يجوز أخذها مع وجود الابل " , وزاد الإمام أحمد في رواية , وهو المذهب عند الحنابلة (الرحيباني, 1415هـ, ص. 95) , والصَّـــاحبين من الحنفية(ابن عابدين, 1412هـ , ص.574) البقر , والغنم , والحُلل الى أصل الدَّية , (الماوردي, 1419 هـ, ص. 227) , قال أبو حنيفة : " الدية مائة من الإبل ، أو ألف دينار، أو عشـرة آلاف درهم , وقال صـاحباه : على أهل الإبل مائة من الإبل ، وعلى أهل الذهب والورق ألف دينار ، أو عشــرة آلاف درهم ، وعلى أهل البقر مائتا بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفا شاة ، وعلى أهل الحلل ألف حلة ". (القنوجي, 1423 هـ, ص. 372) ,وهو الأقرب للمذهب عند الزَّيدية , قال العنســـي" والأقرب للمذهب أنَّ الجاني مخير بين تسليم أي الأجناس الخمسة "(العنسي, بدون تاريخ , ص. 215) , والحُلل فيها روايتين عند **الحنابلة** (ابن قدامة , 1414 هـ ., ص. 14) والصَّحيح من المذهب أنها ليست أصلاً ؛ لأنَّها تختلف , ولا تنضبط , وهو قول جمهور **الحنابلة** وقدرها مئتا حلة من حُلل اليمن ،كل حلة بُرْدان : إزار ورداء جديدان , وهذا قول — أي إن جنس الدِّية هذه الخمسـة – : " عمر , وعطاء , وطاوس , وفقهاء المدينة السَّـبعة ، وابن أبي ليلى , والثوري ، والحسـن " (ابن قدامة , 1388هـ ـــ, ص. 368) وعلى ذلك فأي شـيء أحضره من عليه الدِّية من الجاني , أو العاقلة من هذه الأصـول لزم الولي أو المجني عليه أخذه ، ولم يكن له المطالبة بغيره ، سـواء أكان من أهل ذلك النَّوع أم لم يكن ؛ لأنَّها أصـول في قضـاء الواجب يجزئ واحد منها ، فكانت الخيرة إلى من وجبت عليه, الدَّية قبل أن ترتفع أسـعار الإبل : الدينار الذهب = 4,25

غراماً , فتكون الدية من الذهب = 800 دينار = 3400 غراماً ذهب , أي ثلاث كيلوات و400 غرام ذهب , وعندما غلت الإبل فرضـــها عمر ألف دينار = 4250 غراماً ذهب , أي أربع كيلوات و250 غرام ذهب , والدرهم الفضـــة = 2,975 غراماً , والدية من الفضـــة قبل الزيادة = 8000 درهم = 23800 غراماً , وحين غَلَت أصـــبحت 12 ألفاً درهم فضـــة = 35700 غراماً (العوايشـــة, 1423,ص.221) وفي رأي للإمام **مالك** , قال أشـهب : " أهل الحجاز أهل إبل ، وأهل مكة منهم ، وأهل المدينة أهل الذَّهب ، وفي الموازية عن مالك أهل الشَّام ، وأهل مصر أهل الذَّهب , وقال ابن حبيب : وكذلك أهل مكة , والمدينة ، وقال أصْـــبغ : هم اليوم أهل الذَّهب ، وقال ابن الحاجب : أهل المغرب أهل الذَّهب , وقال ابن حبيب : أهل الأندلس أهل ورق " . قال ابن القاسم : " فمن أهل الإبل ؟ قال مالك : هم أهل العمود , وهم أهل البوادي قلت : أرأيت إن قال أهل البَوادي : نحن نعطي الذَّهب , والورق ، أو قال أهل الورق : نحن نعطي الذهب؟ قال : قال مالك : لا يقبل من أهل الذَّهب إلا الذَّهب ، ولا من أهل الوَرق إلا الوَرق ، ولا من أهل الإبل إلا الإبل" . (الإمام مالك , 1415هـ , ص. 567) أنَّه لا يقبل من أهل الإبل إلا الإبل , ومن أهل الذَّهب , إلا الذَّهب , ومن أهل الفضـــة إلا الفضـــة , وهكذا .

المذهب الثَّاني : الأصل في الدِّية الإبل لا غير , وهذا رأي **الشافعية في الجديد** (العمراني , 1421 هـ, ص.491) , قال الإشبيلى الشافعي (ت699هـ) : " والأصل في الدِّية الإبل وحدها , ولا يجوز العدول عنها مع وجودها إلى غيرها على قوله في الجديد , وقال أبو حنيفة رحمه الله : " الإبل , والدراهم , والدنانير أصول فيها ". (الإشبيلي , 1417هـ , ص. 375) , وإحدى الرِّوايتين **للحنابلة** وظاهر كلام الخرقى , وقول : " طاووس , وابن المنذر" (ابن قدامة , 1388هـ , ص. 368) **وابن حزم** (ابن حزم , بدون تاريخ , ص. 297) , وعلى ذلك فمن وجبتْ عليه الدِّية فعليه إعطائها لمستحقها إبلاً سليمة من العُيوب ، ولا يحق لكل من المودي , والمســتحق أن يطلب غيرها , فإن فعل فللآخر منعه ، ولا يعْدل إلى نوع آخر , أو قيمته إلا بتراضٍ بينهما ؛ لأنَّ الحق متعين في الإبل فاســتحقت كالمثل في المثليات المتلفة ,

ولو عُدمت الإبل حسًّا فيعدل إلى الذهب , أو الفضة , إما مقدرًا ألف دينار , أو إثنى عشر ألف درهم , فالابل هي الأصل عند **الشَّافعي**في القول القديم , قال الماوردي : " أما الدية من الإبل فمقدرة بمائة بعير وردت بها السُّنة ، وانعقد عليها الإجماع ، فإذا وجدتْ لم يجز العدول عنها على مذهب الشَّافعي في القديم , والجديد ، فإن أعوزتْ , إما بعدمها , وإما بوجودها بأكثر من ثمن مثلها , عَدل عنها إلى الدنانير , والدراهم التي هي أثمان , وقيم دون غيرهما من العروض والسِّلع ، ثمَّ اختلف في كيفية العدول عن الإبل , على قولين : أحدهما : وبه قال في القديم ، إنها تعتبر من الدنانير , والدراهم عند إعواز الإبل بدلاً من النَّفس ، ولا تكون بدلاً من الإبل ، فتكون الدِّية من الذهب ألف دينار، ومن الورق اثني عشر ألف درهم ، فتصير الدِّية على قوله في القديم ثلاثة أصول مقدرة بالشَّرع دون التَّقويم , والقول الثَّاني : وبه قال في الجديد إن إعواز الإبل يوجب العدول إلى قيمتها بالدنانير , والدراهم ما بلغت بحسب اختلافها في البلدان , والأزمان ، فتكون الدنانير , والدراهم بدلاً من الإبل لا من النَّفس , ولا تكون للدية أصلاً واحداً , وهو الإبل" . (الماوردي , 1419 هـ , ص. 227) , وتقدر بتقدير عمر "رضي الله عنه" عند إعواز الإبل ، ثم رجع , وقال : الأصل فيها الإبل ، فإذا أعوزت ؛ تجب قيمتها بالغة ما بلغت ، وتأول حديث عمر"رضي الله عنه" على أنَّ قيمة الإبل كانت قد بلغت في زمانه اثني عشر ألف درهم ، أو ألف دينار, قال **ابن رشد** : " قال الشَّافعي بمصر: لا يؤخذ من أهل الذَّهب , ولا من أهل الوَرق إلا قيمة الإبل بالغة ما بلغتْ , وقوله بالعراق مثل قول مالك .... والأصل في الدِّية إنَّما هو مائة بعير، وعمر "رضي الله عنه" إنّما جعل فيها ألف دينار على أهل الذَّهب ، واثني عشر ألف درهم على أهل الوَرق ؛ لأنَّ ذلك كان قيمة الإبل من الذَّهب , والوَرق في زمانه " (ابن رشد الحفيد , 1425هـ, ص. 194) .

المطلب الثالث: أصحاب المذهب الأول .

استدلوا بأدلة من السُّنة , والمعقول , وهي كالآتي :

1– **فمن السُّـنة** : عن عطاء بن أبي رباح ، أن رسـول الله "صـلى الله عليه وآله وسـلم" : ((قَضَـى فِي الدِّيَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِبِلِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَقَرِ مِائَتَيْ بَقَرَةٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّـاءِ أَلْفَيْ شَـاةٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الْحُلَلِ مِائَتَيْ حُلَّةٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الْقَمْحِ شَـيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ مُحَمَّد)) , أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سـننه برقم 26727 , باب الدّية كم هي (أبو داود , بدون تاريخ , ص. 184) , إسناده ضعيف , رواه أبو داود مسنداً عن عطاء عن جابر , ومرسلاً , وفيه عنعنة محمد بن إسحاق عن عطاء , مدلس وقد عنعن ، ثم إنه اختلف عنه في وصله , وإرساله ، فقد أرسله عنه حماد – وهو ابن سلمة –كما في رواية المصنف , وعبد الرحيم بن سـليمان ، ووصـله عنه أبو تميلة – وهو يحيى بن واضـح –كما في الرواية الاخرى ، فجعله من مسند جابر , وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الرحيم بن سليمان ، والبيهقي مرسلاً من طريق حماد بن سلمة ،كلاهما عن محمَّد بن إسحاق , وعبد الرزاق الصَّنعاني في مصنفه تارة مرسلاً عن عطاء , وموصولاً عن عمر (ابن حجر العسقلاني , 1416هـ , ص. 47) .

2– عن ابن عباس" رضي الله عنه" : ((أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ قُتِلَ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ "صلى الله عليه وآله وسلم" دِيَتَهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا)) , أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه , رقم 4546 , باب الدّية كم هي , قال أبو داود : رواه ابن عيينة ، عن عمرو، عن عكرمة عن النَّبي "صلى الله عليه وآله وسلم", لم يذكر ابن عباس (أبو داود , بدون تاريخ , ص. 185), والحديث في سنده (عن محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس) رواه أصحاب السُّنن من حديث عكرمة ، واختلف فيه على عمرو بن دينار , وهذا إسناد فيه محمَّد بن مسلم –وهو الطائفي– وهو صدوق حسن الحديث ، إلا أنه يُخطئ أحياناً ، وقد انفرد بوصله ، وخالفه من هو أوثق منه فرواه مرسلاً , قال عبد الحق في الأحكام الوسطى : هذا رواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا وهو أصح , ورواه النسائي فقال : الصَّواب عن عكرمة

مرسـل , ورواه ابن ماجه ، والتّرمذي مرفوعا , ومرسـلاً , وأما ابن حزم فوهاه . (ابن حجر العسـقلاني , 1416هـ, ص. 73) .

3- عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : ((كَانَتْ قِيمَةُ الدِّيَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ "صلى الله عليه وآله وسلم" : ثَمَانَ مِائَةِ دِينَارٍ , أَوْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَدِيَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَوْمَئِذٍ النِّصْفُ مِنْ دِيَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتُخْلِفَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : أَلَا إِنَّ الْإِبِلَ قَدْ غَلَتْ ، قَالَ : فَفَرَضَهَا عُمَرُ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرِقِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَقَرِ مِائَتَيْ بَقَرَةٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّاءِ أَلْفَيْ شَاةٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الْحُلَلِ مِائَتَيْ حُلَّةٍ ، قَالَ : وَتَرَكَ دِيَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرْفَعْهَا فِيمَا رَفَعَ مِنَ الدِّيَةِ)) , أخرجه بهذا السند أبو داود في سننه برقم 4542 , باب الدّية كم هي (أبو داود , بدون تاريخ , ص. 184), والحديث في سـنده (عن عبد الرحمن بن عثمان ، حدثنا حسـين المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده) إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن عثمان-وهو أبو بحر البكراوي- , قال أبو حاتم : ليس بقوي (ابن الملقن , 1425هـ, ص. 442).

وجه الدَّلالة : كان ذلك بمحضر من الصَّحابة "رضي الله عنهم" ولم ينقل أنَّه أنكر عليه أحد ، فيكون إجماعاً مع أنَّ المقادير لا تعرف إلا سماعاً , فالظَّاهر أنَّه سمعه من رسـول الله "صـلى الله عليه وآله وسـلم" ولأنَّ الدِّينار مقوم في الشَّرع , بعشرة دراهم كما في الزَّكاة ، فإن نصاب الفضة في الزَّكاة مقدر بمائتي درهم ، ونصـاب الذَّهب فيها بعشـرين ديناراً, **ورُدَّ** : موضـع الدَّليل من الخبر: أنَّه قال : كانتْ قيمة الدِّية على عهد رسـول الله "صـلى الله عليه وآله وسـلم" كذا , وكذا ، فدَّل على : أنَّ الواجب هو الإبل ؛ ولأنَّ عمر"رضـي الله عنه" وأرضـاه قال : " ألا إنَّ الإبل قد غلتْ" ، وفرض عليهم ألف دينار , أو اثني عشـر ألف درهم ، فتعلق بغلاء الإبل ، فدَّل على : أنَّ ذلك من طريق القيمة ؛ لأنَّ ما وجبتْ قيمته اختلف بالزِّيادة والنُّقصان ، ولم يخالفه أحد من الصَّحابة (الإشبيلي , 1417هـ , ص. 375).

4- **ومن المعقول قالوا** : لأنَّ النَّبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قضى بجميعها فدَّل على التَّخيير فيها , ولأنَّ العاقلة تتحملها مواساة فكان التَّخيير فيها أرفق ككفارة اليمين ، ولأنَّ الدَّراهم والدَّنانير أصول الأموال , فلم يجز أنْ تجعل فرعاً للإبل , ولأنَّها لو كانت إبدالاً لكان ديناً بدين فثبُت أنَّها دِيات بأنْفسها , وقد فعل ذلك عمر" رضي الله عنه" بحضرة من الصَّحابة من غير خلاف (الموصلي, 1356 هـ, ص. 36 , وابن رشد الحفيد , 1425هـ , ص. 194) .

المطلب الثالث : أدلةُ المذهب الثَّاني .

استدلوا بأدلة من السُّنة , والمعقول , وهي كالآتي :

1 – **فمن السُّنة** : عن حماد ، عن خالد ، عن القاسم بن ربيعة ، عن عقبة بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" خطب يوم الفتح بمكة : فذكر الحديث ، ثم قال : ((أَلَا إِنَّ دِيَةَ قَتِيلِ الْخَطَأِ شِبْهِ الْعَمْدِ , مَا كَانَ بِالسَّوْطِ , وَالْعَصَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا)) أخرجه أبو داود في سننه برقم 4588 (أبو داود , بدون تاريخ , ص. 195) .

وجه الدَّلالة : نص رسوله الله "صلى الله عليه وآله وسلم" على أنَّ الدية هي الإبل , لا غير فلا يجوز العدول عنها .

2 – عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : ((أَنَّ النَّبِيَّ "صلى الله عليه وآله وسلم" قَضَى أَنَّ مَنْ قُتِلَ خَطَأً فَدِيَتُهُ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ : ثَلَاثُونَ بِنْتَ مَخَاضٍ ، وَثَلَاثُونَ بِنْتَ لَبُونٍ ، وَثَلَاثُونَ حِقَّةً ، وَعَشَرَةٌ بَنُو لَبُونٍ ذُكُورٌ)) ,أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم 6663, (الإمام أحمد , 1421 هـ , ص.244) , بنت مَخاض : هي ما كان لها سنة إلى سنتين ، لأنَّ أمها ذات مخاض, ِقَّة : ما استكمل ثلاث سنين , ودخل الرَّابعة ، لاستحقاقه الركوب , والأُنثَى حِقَّةٌ: إذا استَحَقَّتِ الفَحْلَ (ابن الأثير, 1390 هـ, ص. 408) , في سنده (عن حسين بن محمد , محمد بن راشد ، عن سليمان ، عن عمرو

بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده) إسناده حسن , وحسين بن محمد : هو ابن بهرام المروذي ، وقال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول لأبن الأثير : وفي سنده محمد بن راشد هو المكحولي الخزاعي الدمشقي ، وهو صدوق يهم ، وسليمان : هو سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الأشدق , وهو صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين ، وخلط قبل موته بقليل ، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي , وقال البيهقي : هذا لا يحتج بمثله ، فيه محمد بن راشد , وهو ضعيف عند أهل الحديث , قال الرُّباعي في فتح الغفار , والشوكاني في نيل الاوطار : وقد وثقه – أي محمد بن راشد – أحمد , وابن معين , والنسائي , وضعفه ابن حبان , وأبو زرعة , وفي " نيل الأوطار " : قال الخطابي : هذا الحديث لا أعرف أحداً قال به من الفقهاء (ابن الملقن , 1425هـ , ص. 430).

3 – في الكتاب الذي كتبه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لعمرو بن حزم في العقول : ((أَنَّ فِي النَّفْسِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ , وَفِي الْأَنْفِ، إِذَا أُوعِب جَدْعاً ، مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ...)) , أوعب : استوفى , جدعاً : قطعاً يعني : إن قطع جميعه ففيه الدِّية (ابن الأثير, 1390 هـ, ص. 421) , أخرجه الامام مالك ت الأعظمي برقم 3139 (الإمام مالك , 1425 هـ , ص. 649) , في سنده (عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه) أخرجه النسائي , والبيهقي بسند ضعيف , إلا أن له شواهد ، قال ابن كثير في جامع المسانيد , والسنن : " فصار فى هذا له , وجادة ، وقد أخذ بها الأئمة , واحتجوا بها , واعتمدوها فى باب الديات " , وقال الغُمَارِي: " وقد اختلف النّاس في صحّة هذا الكتاب , وفي بعض رجال إسناده , وهو صحيح لا مغمز فيه سواءً من جهة بعض طرقه كالطّريق التي صحّحه منها ابن حبان , والحاكم , ومن وافقهما ، أو من جهة اشتهار الكتاب بين أهل القرن الأول , والثّاني ، ووجوده وجودًا مقطوعًا به بين آل عمرو بن حزم ، واطّلاع كثير من رجال العصر الأول عليه ، واشتهاره بين أهل المدينة وعلمائها... وأمّا الطّعن فيه من جهة كونه كتابًا غير مفرد , ولا مسموع فتلك , وسوسة ينبو عنها السّماع عند التّحقيق متى ثبت اشتهار الكتاب , ووجد له مع ذلك أسانيد متعدّدة ؛ وإلّا فكلّ كتاب في

الدّنيا يجب أن يردّ ما لم يكن مسموعًا , أو مقروءًا , وأوّل ذلك كتب هؤلاء الذين يعتلّون بهذه العلّة (ابن الملقن , 1425هـ , ص. 377) .

4 – **ومن المعقول قالوا** : لأنَّ النَّبي "صـــلى الله عليه وآله وســـلم" فرَّق بين دية العمد , والخطأ فغلظ بعضــها وخفف بعضــها ، ولا يتحقق هذا في غير الإبل ؛ ولأنَّه بدل متلف , وجب حقًّا لآدمي ، فكان متعينًا كعوض الأموال ؛ ولو جاز أنْ تقوم بالشَّـــاة , والبقر لجاز أن تقوم بالطَّعام على أهل الطَّعام ، وبالخيل على أهل الخيل ، وهذا لا يقول به أحد , وما قومها عمر "رضـــي الله عنه" إلا قيمة يومها , وإذا كان العدول عنها قيمة لها لم تستحق القيم إلا بعد العدم ، لأنَّ ما استحقه الآدميون من حقوق الأموال , إذا تعينت لم يدخلها تخيير كسائر الحقوق ، وليس لما احتيج به من قضاء النَّبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بجميعها وجه لاحتمال قضـائه بذلك مع الإعواز والعدم ، ولا توجب المواسـاة بها التَّخيير فيها كما لا يخير بين ما ســـوى الدَّنانير والدَّراهم , وبين غيرها من العُروض (الماوردي , 1419 هـ , ص. 227 , وابن قدامة , 1388هـ , ص. 368) .

5- استدل الشَّافعية في الحاوي الكبير , بما روي عن النَّبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أنه قال: ((أَكْرِمُوا الإِبِلَ فإِنَّ فِيهَا رُقُوء الدَّم)) فخصـــها بهذه الصِّـــفة ، لأنَّها تبذل في الدِّية فيعفى بها عن القَود فدَّل على اختصاصها بالحكم (الماوردي , 1419 هـ , ص. 228) , رُقُوء : رَقَأ الدم يَرْقَأ رَقْأً ورقوء , إذا انقطع , والرقوء : مَا يوضع على الدَّم ليرقئه (الفراهيدي ,بدون تاريخ , ص. 210) .

لم أقف على هذا الأثر إلا في "كتاب إصلاح المال " لابن أبي الدنيا بهذا اللفظ : عن إبن الأعرابي , قال: قال أكثم بن صـيفي: " أَكْرِمُوا الْإِبِلَ ؛ فَإِنَّهَا: مَهْرُ الْكَرِيمَةِ , وَرَقُوءُ الدَّمِ , وَسُـفُنُ الْبَرِّ " , وأيضـاً عن ابن الأعرابي : " أَكْرِمُوا الإِبِلَ ؛ فإنَّها : مَهر الكَرِيمةِ , ورُقوء الدَّم , وسُـــفن البَر " فهما ليســـا بحديثين , وإنما قولين لأكثَمْ بن صَيفِي , وابن الأعرابي (ابن أبي الدنيا, 1414هـ, ص. 41) , وأكثم بن صيفي : هو ابن عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصـــرم ، من ولد كعب بن عمرو ، من حكماء العرب ، يعد في

الحجازيين , عاش زمنا طويلاً ، وأدرك الإسلام ، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون , الإسلام ، فمات في الطريق ، ولم ير النبي"صلى الله عليه وآله وسلم", توفي سنة(9 هـ) . (أبو نعيم , 1419 هـ, ص. 342, والزركلي, 2002 م , ص. 6) .

المطلب الرَّابع التَّرجيح .

بعد دراسة المسألة والنَّظر في أدلة الفريقين الرَّاجح – والله أعلم – أنَّ جميع ما ذكره أصحاب المذهب الأول , ومن وافقهم من أصناف هي أصل بذاتها في الدِّية مع مراعاة أن يُعتبر في كل بلد , وبيئة حاله , فأهل المدن يعتبر في حالهم الذَّهب والفِضة , وأهل القرى الإبل , والبقر, والغنم , ولوَلي الأمر أنْ يختار من أجناس الدِّيات ما فيه المصلحة , واليُسر على النَّاس , وقد كان ذلك من عمر "رضي الله عنه" عنه بمحضر من الصَّحابة ، ولم ينكروا ذلك عليه ، فيكون إجماعاً ، فتدفع الدِّية إبلاً ، أو قيمتها ، من هذه الأشياء المذكورة ؛ ولإنَّ في ذلك توسيعًا على الناس , ولا سيما أنَّ كثيرًا من بلاد المسلمين , وغيرها لا توجد فيها الإبل , ثم إنَّ الذين قالوا إنَّ الأصل في الدِّية هي الإبل يعتبرون التَّقويم عند فقدانها , والذي يدعم قولنا أنَّه في حديث " من قتل خطأ فديته .. " المتقدم آنفاً الذي إستدل به أصحابُ الرأيِّ الثَّاني , قال الرُّواة بعده : " وكان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يقومها على أهل القرى أربعمائة دينار، أو عَدلها من الوَرق ، ويقومها على أثمان الإبل إذا غلت رفع في ثمنها , وإذا هانت نقص من ثمنها ، على نحو الزَّمان ما كان , فبلغ قيمتها على عهد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ما بين الأربعمائة دينار إلى ثمانمائة دينار، أو عدلها من الورق ثمانية آلاف درهم ، وقضى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أنَّ من كان عقله في البقر، على أهل البقر مائتي بقرة ، ومن كان عقله في الشَّاء ، على أهل الشَّاء ألفي شاة (النسائي , 1406هـ, ص. 42) , وأيضاً عن قَتادة قال : ((عَلَى أَهْلِ الْإِبِلِ الْإِبِلُ ، وَعَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ الذَّهَبُ ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرِقِ الْوَرِقُ ، وَعَلَى أَهْلِ الْغَنَمِ الْغَنَمُ ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَزِّ الْحُلَلُ)) , أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : (رقم 17259 , باب كيف أمر الدية (مصنف عبد الرزاق, 1403هـ , ص. 292) ,

قال ابن رشـــد : "وقال صـــاحب المنتقى: عندي يجب أن ينْظر إلى غالب أموال النَّاس في البلد , وربما ينتقل الغالب فتنتقل الدِّية " (القرافي, 1994 م, ص. 354) .

المبحث الثَّاني: مقدار الدِّية المُغلظة .

المطلب الأول: مذاهب الفقهاء في مقدار الدِّية المُغلظة.

الدية المغلظة هي دية تجب في حالات قتل معينة، مثل قتل العمد أو شبه العمد أو القتل في الأشهر الحرم أو في الحرم ومقدارها مائة من الإبل , على إختلاف بين الفقهاء هل تكون أرباعاً أو أثلاثاً ؟ على مذهبين .

المذهب الأول : مذهب أَبِي حَنِيفَةَ , وأَبِي يُوسُـــفَ (البابرتي, بدون تاريخ , ص. 272) والحنابلة في المذهب (ابن قدامة , 1388هـــ, ص. 372) والزَّيدية , قالوا : تكون الدِّية المغلظة في القتل العمد , وشبه العمد , مئة من الإبل أرباعًا – خَمْسَـةً وَعِشْـرِينَ حِقَّةً ، وَخَمْسَـةً وَعِشْـرِينَ جَذَعَةً ، وَخَمْسَـةً وَعِشْـرِينَ بَنَاتِ لَبُونٍ ، وَخَمْسَـةً وَعِشْـرِينَ بَنَاتِ مَخَاضٍ– قال العنسـي الصـنعاني : " وتكون الإبل أرباعاً جذاعاً , وحقاقاً ، وبنات لبون , وبنات مخاض ، لقول علي "عليه السلام " الدِّية أرباع " .(العنسي , بدون تاريخ , ص. 211) , واســـتدل الزَّيدية : برواية زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي قال : " في النفس الدية أرباع ربع جذاع , وربع حقاق , وربع بنات لبون , وربع بنات مخاض " (زيد بن علي ,,بدون تاريخ,ص. 284) وهو قول : " الإمام علي , وابن مسـعود " رضـي الله عنهما " (ملا خسـرو ,بدون تاريخ, ص. 103) وقول : " الزُّهْرِيّ , ورَبِيعَة , وَمَالِك " (الرميي, 1419 هـ , ص. 356) ولا يثبُت التَّغليظ إلا في الإبل خاصـة يعني لا يزاد في الدَّراهم , والدَّنانير على عشـرة الألف درهم , أو ألف دينار, وقال سـفيان الثَّوري , والحسـن بن صـالح : " تغلظ في النَّوعين الآخرين" (البابرتي , بدون تاريخ , ص. 272) .

المذهب الثَّاني : إن الدِّية تكون أثلاثًا : ثلاثين حِقَّةً , وثلاثين جَذَعَةً , وأربعين خَلِفَة في بطونها أولادها , ﴿لِفَةٍ : وَهِيَ الْحَوَامِلُ مِنْ النُّوقِ(الفراهيدي ,بدون تاريخ ,ص. 268) وهو رأي الشَّـــافعية (الماوردي, 1419 هـــــ , ص. 212) ورواية للحنابلة((ابن قدامة , 1388هـ , ص.373) وقول محمَّد من الحنفية (ملا خسرو , بدون تاريخ, ص. 103) ورأي الإباضية , قال أطفيش : " باب السِّن في الدِّية , وإن بخطأ مائة من الإبل تعطى في العمد ، ثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقة ، وأربعون جذعة إلى بَازِلِ عَامِهَا ، كُلُّهُنَّ خِلْفَاتٌ ." (أطفيش,بدون تاريخ , ص. 343-345) وعند الإمامية مائة من مَسَـانِّ الإبل , قال العاملي: " دية العمد أحد أمور ســتة , يتخير الجاني في دفع ما شــاء منها , وهي مائة من مَسان الإبل , وهي الثنايا فصاعداً , وفي بعض كلام المصنف , أنَّ المسنة من الثَّنية إلى بازل عامها . " . (العاملي , بدون تاريخ , ص. 309) , وقال الحلي : " وهي مغلظة في السِّن , والصفة , والإستيفاء , وله أن يبذل من إبل البلد , أو من غيرها ، وأن يعطي من إبله , أو إبل أدون , أو أعلى " (المحقق الحلي, 1409هـ , ص. 357), وهذا الرأيَّ هو قول : " عمر , وزيد بن ثابت , والمغيرة بن شعبة , وأبي موسى , وعَطَاء "رضي الله عنهم " (الريمي , 1419 هـ, ص. 356) وروى ابن القاسم عن مالك : إنَّ الدِّية المغلظة في الرَّجل , يحذفُ ابنهُ بالسَّـــيف فيقتل –كما فعل قَتادَةَ المُدْلِجِيّ بإبنه – فتكون عليه الدِّية مغلظة أثلاثاً (الإمام مالك , 1415هـ , 558) .

المطلب الثَّاني: أدلة المذهب الأول .

استدلوا بأدلة من السُّنة , والمعقول , وهي كالآتي :

1- **فمن السُّـنة** : عن السَّـائب بن يزيد" رضـي الله عنه" والسـائب بن يزيد : إبن أخت نمر , وهو إبن سعيد بن عائذ بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الكندي ، ويقال: الهذلي , يكنى : أبا يزيد , مختلف في وفاته , فقيل : توفي سـنة (82هـ) ، وقيل : (91هـ) توفي وهو ابن أربع وتسـعين ، وقيل كان له يوم حجة الوداع سبع سنين (أبو نعيم , 1419 هـ, ص. 1376) قال : ((كَانَتِ الدِّيَةُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ

اللهِ " صلى الله عليه وآله وسلم" مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ : أَرْبَعَةَ أَسْنَانٍ ، خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حِقَّةً ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ جَذَعَةً ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَنَاتِ لَبُونٍ ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَنَاتِ مَخَاضٍ....)) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير برقم 6664 , باب الزهري عن السائب (الطبراني , 1415 هـ , ص. 150) , وفي سنده (عن أبو معشر، عن صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، عن السائب بن يزيد) قال الهيثمى : "رواه الطبراني ، وفيه أبو معشر نجيح ، وصالح بن أبي الأخضر , وكلاهما ضعيف ", وقال إبن حجر في المطالب العالية : "أبو معشر , وشيخه ضعيفان" (الهيثمي, 1414 هـ, ص. 297) .

2- **ومن المعقول قالوا** : لأنَّ الدِّية حق يتعلق بجنس الحيوان ، فلا يُعتبر فيه الحمل في بعضها ، كالزَّكاة , والأضحية , وقضى بذلك ابن مسعود"رضي الله عنه" (ابن قدامة , 1388هـ , 372) .

المطلب الثالث والترجيح .

أولاً: أدلةُ المذهب الثَّاني.

إستدلوا بأدلة من السُّنة , والمعقول , وهي كالآتي :

1- **فمن السُّنة** : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أنَّ رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم" قال : ((مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مُتَعَمِّدًا دُفِعَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنْ شَاءُوا قَتَلُوا ، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ حِقَّةً ، وَثَلَاثُونَ جَذَعَةً ، وَأَرْبَعُونَ خَلِفَةً ، وَذَلِكَ عَقْلُ الْعَمْدِ ، ومَا صَالَحُوا عَلَيْهِ ، فَهُوَ لَهُمْ , وَذَلِكَ تَشْدِيدُ الْعَقْلِ)) , أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم 6717 , مسند عبد الله بن عمر (الإمام أحمد , 1421 هـ, ص. 326) , في سنده (عن محمد بن راشد ، عن سليمان بن موسى ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده) رواه أحمد ، والترمذي , وقال : " حسنٌ غريب " , قال ابن الملقن : " وفي إسناده محمد بن راشد المكحولي الدمشقي , وقد وثقه أحمد وجماعة ، ولينه النسائي ،

ونُسب إلى القدر , وأنه يرى الخروج " , وقال البيهقي : " محمد هذا , وإن كنا نروي حديثه لرواية الكبار عنه ، فليس ممن تقوم الحُجة بما ينفرد به " (ابن الملقن , 1425هـ, ص. 429) .

2- عن عبد الله بن عمرو"رضي الله عنه" أنَّ رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم" قال : ((إِنَّ قَتِيلَ الْخَطَأِ شِبْهِ الْعَمْدِ ، قَتِيلَ السَّوْطِ أَوِ الْعَصَا ، فِيهِ مِائَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا)),أخرجه بهذا اللفظ الامام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم6533, قال المحقق: " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين" (الإمام أحمد ,1421هـ , ص. 88).

ثانياً: التَّرجيح .

الرَّاجح – والله أعلم – أنَّ تحديد أسنان إبل الدِّية راجع الى إجتهاد الحاكم ، فإذا رأى أنْ يجعلها على رأي الحنفية والحنابلة فعل , وإن رأى أنْ يجعلها على المذهب الآخر فعل ، بحسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة وظروف النَّاس في زمانهم , وإن كان لابد من ترجيح أحد الرأيين , فالرأي الثَّاني أرجح ؛ لضعف الحديث الذي إستدل به الحنفية والحنابلة كما بينا عند مناقشة الأدلة آنفاً .

فائدة من ثنايا المسألة : عند أَبِي ثَورٍ : أنَّ دية شبه العمد أخماس مخففة كدية الخطأ عشرون بنت مخاض , وعشرون بنت لبون , وعشرون إبن لبون , وعشرون حقة , وعشرون جذعة (الريمي, 1419 هـ ,ص. 356) .

المبحث الثالث: دِّية قتل الخَطأ .

اختلف الفقهاء في مقدار دية الخطأ الى ثلاثة مذاهب, واستدل الجميع بحديث ابن مسعود " رضي الله عنه " وفيما يأتي تفصيل المسألة:

المطلب الأول: مذاهب الفقهاء في المسألة .

المذهب الأول: قال الحنفية والحنابلة : دية الخطأ أخماس عِشْرُونَ حِقَّةً ، وَعِشْرُونَ جَذَعَةً ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ مَخَاضٍ ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ لَبُونٍ , وَعِشْرُونَ بَنِي مَخَاضٍ . (العيني ,1420 هـ , ص. 165, وابن قدامة , 1388هـ, ص. 377) وهو قول : " إبن مسعود في رِوَايَة عنه , وإبراهيم النَّخَعِيّ , ويعقوب ، ومحمد , وأَبِي حَنِيفَةَ , وأصحابه , وبه قال أحمد , ونقل التِّرمذي موافقة إِسْحَاق لأحمد ، واختاره إبن المنذر." (الطَّحاوي, 1417هـ , ص. 93) .

المذهب الثَّاني: دية الخطأ أخماس عِشْرُونَ حِقَّةً ، وَعِشْرُونَ جَذَعَةً ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ مَخَاضٍ ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ لَبُونٍ , وَعِشْرُونَ بَنِي لَبُونٍ , فجعلوا مكان بَنِي مَخَاضٍ , بَنِي لَبُونٍ وهو رأي المالكية , والشَّافعية (الإمام مالك , 1415هـ , ص. 558, والشيرازي,بدون تاريخ , ص.211) والإباضية , قال أطفيش : " وفي الخطأ عشرون بنت مخاض ، وكذا عشرون بنت لبون ، وكذا عشرون إبن لبون ، وكذا عشرون حقة ، وكذا عشرون جذعة إلى بازل ، وكذا جروحه أي جروح الخطأ " . (أطفيش , بدون تاريخ , 245), وهذا الرأي هو قول : " ابن مسعود في رواية أخرى , الزُّهْرِيّ , وربيعة ، واللَّيْث , والثَّوْرِيّ , ومن التابعين عمر بن عبد العزيز , وسليمان بن يسار , وأَكْثَر الْعُلَمَاءِ . " (الطَّحاوي, 1417هـ , ص. 93) .

المذهب الثَّالث : عند الإمامية أرباعاً , قال الفقيه بسلار: " وأما قتل الخطأ المحض فلا قود فيه أيضا ، وفيه الدِّية : لمن كان من أهل الابل ثلاثون حقة , وثلاثون بنت لبون , وعشرون بنت مخاض , وعشرون إبن لبون ذكر." .(بسلار, بدون تاريخ , ص. 147) , وعند **الزَّيدية** أثلاثاً , قال العنسي الصنعاني : " فجعل الدِّية في ذلك ثلاثين حِقة ، وثلاثين جذعة ، وأربعين خلفة في بطونها أولادها ، لقوله "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم فتح مكة : " ألا إن في قتل العمد , أو الخطإ بالسوط , والعصا مائة من الإبل مغلظة ، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها "(العنسي, بدون تاريخ , ص. 215) .

المطلب الثَّاني: دليل المذهبين الأولين , ومناقشته .

المهبان الأول والثَّاني استدلوا بحديث واحد , له روايتين هو حديث ابن مسعود "رضي الله عنه" : رُوي مرفوعاً أخرجه الأربعة عن حَجَاج بن أَرطَاة , عن زَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ , عن خِشْفِ بن مالك الضَبابي , عن عبد الله بن مسعود "رضي الله عنه" قال : ((قَضَى رَسُولُ اللَّهِ "صلى الله عليه وآله وسلم" فِي دِيَةِ الْخَطَأِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ , مِنْهَا عِشْرُونَ حِقَّةً , وَعِشْرُونَ جَذَعَةً , وَعِشْرُونَ بَنَاتِ لَبُونٍ , وَعِشْرُونَ بَنَاتِ مَخَاضٍ , وَعِشْرُونَ بَنِي مَخَاضٍ)) أخرجه الدار قطني بهذا اللفظ في سننه برقم3364, كتاب الحدود والجنايات (الدارقطني, 1424 هـ , ص. 225), وتولى تَضَّعيفه ذاكراً : أنَّ هذا حديث ضعيف غير ثابت عند أهل المعرفة , من وجوه عدة : **الأول** : لأنَّه مخالف لما رواه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود , عن أبيه بالسَّند الصَّحيح عنه الذي لا مطعن فيه , ولا تأويل عليه , عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ , عن أبي عبيدة , أنَّ إبن مسعود قال : ((دِيَةُ الْخَطَأِ خَمْسَةُ أَخْمَاسٍ , عِشْرُونَ حِقَّةً , وَعِشْرُونَ جَذَعَةً , وَعِشْرُونَ بَنَاتِ مَخَاضٍ , وَعِشْرُونَ بَنَاتِ لَبُونٍ , وَعِشْرُونَ بَنُو لَبُونٍ ذُكُورٌ)), أخرجه الدار قطني بهذا اللفظ في سننه برقم 3362, كتاب الحدود والجنايات (الدارقطني, 1424 هـ , ص.223) ,وأبو عبيدة أعلم بحديث أبيه , وبمذهبه وفتياه من خِشْفِ بن مالك ونظرائه' قال الدَّار قطني : وهذا إسناد حسن , ورواته ثقات , وقد روي عن عَلقمة , عن عبد الله نحوه , ولم يذكر فيه : بني مخاض , ويشهد أيضاً لرواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ,

عن أبيه , ما رواه وكِيع , وعبد الله بن وَهب , وغيرهما عن سـفيان الثَّوري , عن منصـور , عن إبراهيم , عن عبد الله بن مسعود , أنه قال: " دية الخطأ أخماسا " (الدار قطني , 1424 هـ , ص. 225) .

الثَّاني: أن خِشـف بن مالك مجهول ، لم يروه عنه إلا زيد بن جبير بن جريد الحسـي , وأهل العلم بالحديث , لا يحتجون بما ينفرد بروايته رجل غير معروف , **والثَّالث** : أنه روي عن أحمد , أنَّ خبر خِشف بن مالك , لا يعلم أحد رواه زيد بن جبير إلا الحجاج بن أرطاة ، وهو رجل مشـهور بالتَّدليس (الدار قطني , 1424 هـ , ص. 225).

المطلب الثَّالث: التَّرجيح .

العمدة في ترجيح أحد المذهبين على الآخر هي معرفة أي الرِّوايتين للحديث أصـح , وبعد ذكر أقوال المحدثين تبين أنَّ رواية " بني لبون " أصح من رواية " بني مخاض " , ويشهد لها أيضاً الشَّواهد الآتية :

1- قال ابن **حجر**: " وإسناد هذا الحديث – أي رواية بني لبون - أقوى من الرِّوايات الأُخر، فهو أصل في تعيين أسنان إبل الدية " (البسام , 1423 هـ, ص. 136).

2- هذا الحديث - أي رواية " وعشـرون بني مخاض" - رواه مرفوعاً الأئمة أحمد , وأصـحاب السُّـنن الأربعة من حديث الحَجاج بن أرطاة ... وهذا إسـناد ضـعيف ، الحجاج ضـعيف مدلس (ابن الملقن , 1425هـ, ص. 416, والهيثمي , 1414هـ, ص. 298).

3- وقال إبن **الجوزي** نقلاً عن الإمام أحمد في كتابه التَّحقيق : "أما حديث خِشف بن مالك - أي رواية " وعشـرون بني مخاض" - فضـعيف غير ثابت عند أهل المعرفة بالحديث من وجوه : **أحدها** أنَّه مخالف لما رواه أبو عبيدة عن أبيه بالسَّند الصَّحيح , وأبو عبيدة أعلم بحديث أبيه , ومذهبه من خشـف بن مالك , وإبن مسـعود أتقى لربه وأخشـى على دينه من أن يروي عن رسـول الله "صـلى الله عليه وآله وسـلم" أنه قضى بقضاء ويفتي هو بخلافه" (ابن الجوزي , 1415هـ, ص. 318).

4-في حين قال **الطَّحاوي** : قول من جعل في الخطأ مكان إبن لبون إبن مخاض , أولى لأنَّ بني اللبون أعلى من بني المخاض , فلا تثبت هذه الزيادة بغير توقيف , قال أبو بكر , وأيضـــاً فإن إبن اللبون بمنزلة بنت المخاض , فيصير موجبه بمنزلة موجب أربعين بنت مخاض (الطَّحاوي, 1417هـ , ص. 93).

فائدة من ثنايا المســـألة : أقوال أخرى في دَّية الخطأ منها : قالتْ طائفة : دية الخطأ أرباعاً ، خمس وعشـرون جَذَعة ، وخمس وعشـرون حِقَّة ، وخمس وعشـرون بنت لبون ، وخمس وعشـرون بنت مخاض , رُوِي هذا القول عن علي "رضي الله عنه " ، وبه قال : " الشَّعبي ، والحسن البصري ، والنخعي ، وإسحاق بن راهويه " .

قال مجاهد في دَّية الخطأ :" ثلاثون حِقَّه ، وثلاثون جَذعة ، وثلاثون بنت لبون ، وعشـرة بنو لبون ذكور" , قال طاووس : " ثلاثون حُقَّه ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون بنت مخاض ، وعشـــرة بنو لبون ذكور" .(ابن المنذر , 1425هـ , ص. 390 , والطَّحاوي, 1417هـ , ص. 93).

الخاتمة والاستنتاجات

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد . فهذه أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من بحثنا الموجز هذا .

1- الدِّية واجبة في قتل الخطأ , وشبه العمد وتجب في قتل العمد إذا مات الجاني , أو تنازل الأولياء عن القصاص إلى الدِّية .

3- الحكمة من تشريع الدِّية أنَّ فيها جزاء يجمع بين العقوبة والتَّعويض , ففيها من الزَّجر مايردع الجناة , وفيها من التَّعويض مايطيب خاطر المجني عليه أو أوليائه .

4- أجمع الفقهاء على أنَّ الإبل أصل بنفسها في الدِّية ، واختلفوا في غير الإبل ،كالنقود والذهب والفضة وغيرها من الأموال, هل تكون أصلًا في الدِّية بنفسها ، أو مقوَّمًا بالإبل ، على مذهبين رئيسيين , الأول : تعتبر أصلًا في الدَّية , ألف دينار ذهباً , أو اثنا عشر ألف درهم فضة, وزاد بعضهم البقر والغنم والحُلل الى أصل الدَّية ,وعلى ذلك فأي شيء أحضره من عليه الدِّية من هذه الأصول لزم الولي أو المجني عليه أخذه ، ولم يكن له المطالبة بغيره , المذهب الثاني: الأصل في الدِّية الإبل لا غير وعلى ذلك فمن وجبتْ عليه الدِّية فعليه إعطائها لمستحقها إبلاً سليمة من العُيوب ، ولا يحق لكل من المودي , والمستحق أن يطلب غيرها , فإنْ فعل فللآخر منعه .

5- الرَّاجح في المسألة هو المذهب الأول مع مراعاة أن يُعتبر في كل بلد, وبيئة حاله, فأهل المدن يعتبر في حالهم الذَّهب والفِضة, وأهل القرى الإبل والبقر والغنم, ولوَلي الأمر أنْ يختار من أجناس الدِّيات ما فيه المصلحة , واليُسر على النَّاس .

6- الدية المغلظة هي دية تجب في حالات قتل معينة، مثل قتل العمد أو شبه العمد أو القتل في الأشهر الحرم أو في الحرم ومقدارها مائة من الإبل , على إختلاف بين الفقهاء هل تكون أرباعا أو أثلاثاً ؟ على مذهبين, الأول: مئة من الإبل أرباعًا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حِقَّةً ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ جَذَعَةً ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَنَاتِ لَبُونٍ ، وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَنَاتِ مَخَاضٍ , والمذهب الثاني: إن الدِّية تكون أثلاثًا : ثلاثين حِقَّةً , وثلاثين جَذَعَةً , وأربعين خَلِفَة في بطونها أولادها.

7- الرَّاجح في المسألة أنَّ تحديد أسنان إبل الدَّية راجع الى إجتهاد الحاكم ، بحسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة وظروف النَّاس في زمانهم .

8- اختلف فقهاء أهل السُّنة في مقدار دية الخطأ على مذهبين الأول: دية الخطأ أخماس عِشْرُونَ حِقَّةً ، وَعِشْرُونَ جَذَعَةً ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ مَخَاضٍ ، وَعِشْرُونَ بَنَاتِ لَبُونٍ , وَعِشْرُونَ بَنِي مَخَاضٍ, المذهب الثَّاني :

جعلوا مكان بَنِي مَخَاضٍ , بَنِي لَبُونٍ واستدل المذهبين بحديث ابن مسعود " رضي الله عنه " , والعمدة في ترجيح أحد المذهبين على الآخر هي معرفة أي الرِّوايتين للحديث أصح , وبعد ذكر أقوال المحدثين تبين أنَّ رواية " بني لبون " أصح من رواية " بني مخاض " .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث الموجز طلبة العلم وشيوخ العشائر الذين يتولون الفصل في هذه المسائل في هذا الزمان والمسلمين جميعاً .

المصادر والمراجع

1. ابن أبي الدنيا, أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي المعروف (ت 281هـ), 1414هـ , إصلاح المال , مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان , ط 1، ص 41.
2. ابن الأثير , مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت606هـ) , جامع الأصول في أحاديث الرسول, مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان , ط1, ص421,308.
3. ابن الملقن, سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت 804هـ) , 1425هـ , البدر المنير , دار الهجرة للنَّشر والتَّوزيع , ط1، ص298 , 377 , 425-429 .
4. ابن حجر العسقلاني أحمد (ت852 هـ) , 1416هـ , التلخيص الحبير, مؤسسة قرطبة – مصر , ط1، ص47, 73 .
5. ابن حزم الأندلسي, القرطبي الظاهري (ت 456 هـ), بدون تاريخ., المحلى بالآثار, دار الفكر- بيروت, ص297 .
6. ابن رشد الحفيد , أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 595هـ), 1425هـ., بداية المجتهد ونهاية المقتصد , دار الحديث – القاهرة , ص 194 .
7. ابن عابدين محمد أمين بن عمر عابدين الحنفي (ت 1252هـ .) , 1412هـ , رد المحتار على الدر المختار, دار الفكر- بيروت , ط2، ص574.

8.ابن قدامة, أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (ت 620هـ) , بدون تاريخ , المغني , مكتبة القاهرة , ص14, 368 , 372, 375.

9.أبو داود, سليمان بن الأشعثالأزدي السِّجِسْتاني (ت275هـ) , بدون تاريخ , سنن أبي داود, المكتبة العصرية، صيدا – بيروت, ص 184-185 .

10.أبو نعيم , أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ) , 1419 هـ., معرفة الصحابة , دار الوطن للنشر، الرياض , ط1, ص342, 376 .

11. أحمد بن قاسم العنسي الصنعاني: مكتبة اليمن , البحر الزَّخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار , مصدر الكتاب: موقع الإسلامhttp://www.al-islam.com , الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع , ص211 , 215.

12.الإشبيلى, أحمد بن فَرح اللَّخمى (ت699 هـ) , 1417هـ , مختصر خلافيات البيهقي , مكتبة الرشد / الريا , ط1، ص 375 .

13. أطفيش , القطب امحمد أطفيش, 1392هـ , شرح النِّيل وشفاء العليل , دار الفتح- بيروت, ودار التُّراث العربي- ليبيا, ومكتبة الإرشاد- جدة, ط2, ص 275 , 343-345 .

14.الإمام أحمد , أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ) , 1421 هـ , مسند الإمام أحمد بن حنبل, مؤسسة الرِّسالة , ط1، ص244, 277, 326, 88 .

15.الإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت179هـ.) , 1415هـ. , المدونة , دار الكتب العلمي , ط1، ص558, 567 .

16.الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي (ت179هـ) , 1425هـ , الموطأ , مؤسسة زايد بن سلطان الإمارات, ط1، ص 649 .

17. البابرتي , حمد بن محمد ، أكمل الدين الرومي (ت 786هـ) , بدون تاريخ , العناية شرح الهداية, دار الفكر , ص272 .

18. البعلي ,محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت 709هـ) , 1423هـ , المطلع على ألفاظ المقنع , مكتبة السوادي , ط1 , ص243 .

19. الدَّار قطني, أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (ت385هـ), 1424 هـ , سنن الدارقطني , مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان , ط1، ص 225 .

20. الرُّحيباني , مصطفى بن سعد بن عبده السَّيوطي شهرة (ت 1243هـ), 1415هـ., مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى, المكتب الإسلامي, ط2، ص 95 .

21. الرَّوحاني , السيد محمد صادق الحسيني مدرسة الإمام الصَّادق عليه السَّلام , 1412 هـ , فقه الصَّادق, ط3, , المطبعة: العلمية , ص 166 .

22. الزِّيمي , محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي الصردفي ، جمال الدين (ت792هـ), 1419 هـ. , المعاني البديعة , دار الكتب العلمية , ط1 , ص 356 .

23. الزركلي , خير الدين بن محمود ، الدمشقي (ت 1396هـ) , 2002م , الأعلام , دار العلم للملايين, لبنان ط15, ص60.

24. الصَّنعاني, أبو بكر عبد الرزاق الحميري اليماني (ت 211هـ), 1403هـ , المصنف, المجلس العلمي- الهند: المكتب الإسلامي – بيروت, ط2، ص292 .

25. الطَّحاوي , أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الحجري (ت321 هـ), **1417هـ.,** مختصر إختلاف العلماء: دار البشائر - بيروت , ط2، ص93 .

26. العلامة الحلي, أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت726 هـ) , 1412 هـ , مختلف الشِّيعة, مؤسسة النَّشر الإسلامي بقم, ط1, ص 375 .

27. العمراني اليمني الشافعي (ت558هـ) , 1421 هـ , البيان في مذهب الإمام الشافعي, دار المنهاج - جدة , ط1 , ص491 .

28.الفراهيدي , أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ) , بدون تاريخ , العين , الدار ومكتبة الهلال , ص210,268 .

29.القِنَّوجي, أبو الطيب محمد صديق خان البخاري (1307هـ) ,بدون تاريخ , الروضة الندية شرح الدرر البهية, دار المعرفة , ص307 , 373.

30. الكاساني,علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (ت587هـ), 1406هـ , بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع, دار الكتب العلمية – لبنان , ط2 , ص254 .

31.الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت 450هـ .) , 1419 هـ , الحاوي الكبير, دار الكتب العلمية , ط1، ص227-228.

32.ملا خسو , حمد بن فرامرز بن علي (ت 885هـ) , بدون تاريخ , درر الحكام شرح غرر الأحكام , دار إحياء الكتب العربية- لبنان , ص 103.

33.الموصلي. مجد الدين أبو الفضل الحنفي (ت683هـ) , 1356هـ , الإختيار لتعليل المختار , مطبعة الحلبي , القاهرة-مصر0ح , ص 35-36 .

34.النَّسائي, أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني، النسائي (303هـ), 1406, المجتبى من السنن = السُّنن الصغرى, مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب, ط2, ص42.

35.النَّسفي , عمر بن محمد ، أبو حفص، نجم الدين (ت 537هـ) , 1311هـ , طلبة الطلبة: , المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد, ص266 .

36.الهيثمي, أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ) , 1414 هـ. , مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد , مكتبة القدسي- القاهرة, ص 207,298 .

Group Counseling and Its Relationship to Promoting Social Cohesion among Secondary School Students

Maher Abbas Mahdi[1]
University of Babylon
muh992mm@gmail.com
Alaa Muhammad Naji Shanyar [2]
Ministry of Education / General Directorate of Education of the Holy Karbala Governorate / Hindiyar Education Department
alaamohammednaji0@gmail.com
Sadiq Hassan[3]
Ministry of Education / General Directorate of Education in Karbala Governorate / Indian Education Department
alaamohammednaji0@gmail.com

Abstract:

The current research aims to identify the level of group counseling in schools among secondary school students, as well as the level of social cohesion among secondary school students. It also aims to find statistically significant differences according to the gender variable (males and females), as well as to find the correlation between group counseling and social cohesion among secondary school students. In order to achieve the objectives of the current research, the researcher constructed two tools: one is the group counseling scale, and the other is the social cohesion scale, which includes (20) items. The researcher then presented the research tools to the arbitrators, and psychometric properties such as validity and reliability were extracted. The researcher used the Statistical Package for Social Sciences (SPSS) to analyze and process the data statistically. The results showed a high level of group counseling among secondary school students, as well as a high level of social cohesion among secondary school students. Furthermore, there is a positive correlation between group counseling and social cohesion. Social cohesion among secondary school students. The researcher reached a number

of recommendations, including: (The need to strengthen the role of educational counselors by offering specialized training programs in the field of group counseling, to ensure their effectiveness in guiding students and supporting them psychologically and socially. In addition, the researcher should integrate the concepts of social cohesion into school curricula, so that they include educational materials and activities that foster a spirit of cooperation and positive interaction among students. Furthermore, efforts should be made to develop the role of group counseling in schools and provide means that contribute to the success of the counseling process, as it addresses psychological, intellectual, and social aspects.) In light of these recommendations, the researcher proposes the following: (Conducting a study titled "Identity Crisis and Its Relationship to Social Cohesion among Students," in addition to conducting a pilot study titled "The Impact of Individual and Group Counseling on Developing Health Awareness among Middle School Students."

Keywords: counseling, group counseling, school, social cohesion, students.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الإرشاد الجمعي ودوره في تعزيز التماسك الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية في المدارس

ماهر عباس مهدي[1]
جامعة بابل مديرية الاقسام الداخلية
muh992mm@gmail.com
علاء محمد ناجي شنيار[2]
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة/ قسم تربية الهندية
alaamohammednaji0@gmail.com
صادق حسن سفاح الطفيلي[3]
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة/ قسم تربية الهندية
alaamohammednaji0@gmail.com

ملخص:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة مستوى الإرشاد الجمعي في المدارس لدى طلبة المرحلة الثانوية، بالإضافة إلى معرفة مستوى التماسك الاجتماعي بين طلاب المدارس الثانوية، فضلًا عن إيجاد الفروق ذات الدلالة الإحصائية وفق متغير النوع (ذكور، وإناث)، بالإضافة إلى إيجاد العلاقة الارتباطية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي لدى الطلاب في المدارس الثانوية، ومن أجل تحقيق أهداف البحث الحالي، قام الباحث ببناء أداتي أحدهما مقياس الإرشاد الجمعي، والأخرى مقياس التماسك الاجتماعي واللذان يتضمنا (20) فقرة، ومن ثم عرض الباحث أداتي البحث على المحكمين وتم استخراج الخصائص السايكومترية كالصدق والثبات، واستخدم الباحث الحقيبة الإحصائية (spss) للعلوم الاجتماعية في تحليل ومعالجة البيانات إحصائيًا، وأظهرت النتائج، وجود مستوى عالٍ للإرشاد الجمعي لدى الطلاب المرحلة الثانوية في المدارس، وكذلك وجود مستوى عالّ من التماسك الاجتماعي بين الطلاب في المدارس الثانوية، علاوة على ذلك وجود علاقة ارتباط طردية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية في المدارس، وتوصل الباحث لعدد من التوصيات منها : (ضرورة تعزيز دور المرشدين التربويين من خلال تقديم

برامج تدريبية متخصصة لهم في مجال الإرشاد الجمعي، لضمان فاعليتهم في توجيه الطلاب ودعمهم نفسياً واجتماعياً، بالإضافة إلى إدماج مفاهيم التماسك الاجتماعي في المناهج الدراسية، بحيث تتضمن مواد تعليمية وأنشطة تعزز روح التعاون والتفاعل الإيجابي بين الطلاب، فضلًا عن العمل على تطوير دور الإرشاد الجمعي في المداس وتوفير السبل التي تساهم في نجاح العملية الإرشادية لأنها تتعامل مع الجوانب النفسية والفكرية والاجتماعية). وفي ضوء هذه التوصيات يقترح الباحث ما يلي (إجراء دراسة بعنوان عن أزمة الهوية وعلاقتها بالتماسك الاجتماعي لدى الطلاب، بالإضافة إلى إقامة دراسة تجريبية بعنوان أثر الإرشاد الفردي والجماعي في تنمية الوعي الصحي لدى طلبة الدراسة الإعدادية).

الكلمات المفتاحية: الإرشاد، الإرشاد الجمعي، المدرسة، التماسك الاجتماعي، الطلاب.

المبحث الأول: التعريف بالبحث

أولًا: مشكلة البحث

يمر طلاب المرحلة الثانوية بمرحلة حرجة من النمو النفسي والاجتماعي، حيث يواجهون ضغوطًا متعددة، سواء أكاديمية أو أسرية أو اجتماعية، مما قد يؤثر على أمنهم النفسي. يُعد التماسك الاجتماعي عاملاً أساسيًا في تحقيق التوافق الدراسي والشخصي، حيث يساعد الطلاب على مواجهة التحديات بثقة أكبر، ويعزز لديهم الشعور بالاستقرار والطمأنينة. وفي هذا السياق، تبرز أهمية البرامج الإرشادية، وخاصة الإرشاد الجمعي، كأداة فعَّالة لتعزيز الصحة النفسية للطلاب، وعلى الرغم من أهمية التماسك الاجتماعي في حياة الطلاب، تشير العديد من الدراسات إلى أن فئة كبيرة من طلاب المرحلة الثانوية يعانون من انخفاض مستوى التماسك الاجتماعي، مما ينعكس سلبًا على تحصيلهم الدراسي وتكيفهم الاجتماعي. كما تُظهر الملاحظات الميدانية قلة البرامج الإرشادية المصممة خصيصًا لتعزيز هذا الجانب، أو عدم تقويمها بشكل منهجي لقياس أثرها الفعلي. ومن هنا، تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي: ما مستوى فاعلية الإرشاد الجمعي في تعزيز التماسك الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية في المدارس؟

ثانيًا: أهمية البحث

تعد الحاجة إلى الأمن من أهم وأقوى الحاجات التي يسعى الإنسان إلى إشباعها، بل وإنها تصبح أكثر إلحاحًا حينما يتعرض الفرد إلى تهديدات حقيقة، فالفرد يحتاج إلى الرعاية في جو آمن يشعر فيه بالحماية

من أية عوامل مهددة، ويحتاج إلى الانتماء إلى جماعته في الأسرة والمدرسة، والرفاق والمجتمع، وأن يشعر بالأمان في ذاته وفي حاضره ومستقبله، لذا فأن شعور الفرد بالأمن النفسي يتحقق من خلال شعوره بالأمن من خلال الآخرين وشعوره بالأمن من خلال ذاته، ويعد الإرشاد الجمعي في المدارس من أهم المصادر التربوية في تحسين مستوى الحياة الصحية والنفسية للأفراد (إبراهيم، 2003: 20)، الأمر الذي يمكن الأفراد من الانطلاق إلى العالم بشخصية متزنة بسلوكيات سليمة وخصائص نفسيه تمثل جهاز مناعة ضد أية تهديدات تواجهه فيتعرض للضغوط دون أن يمرض وهذا ما يسمى بالصلابة النفسية، بينما يؤدي انعدام الشعور بالأمن للكثير من الاضطرابات الانفعالية والسلوكية والتي تظهر آثارها السلبية إلا بالتقدم في العمر، لأن الأمن من أهم مقومات الحياة التي يتطلع إليه الإنسان في كل زمان ومكان من مهده إلى لحده، فإذا ما وجد ما يهدده في نفسه وماله وعرضه ودينه هرع إلى مكان آمن ينشد فيه الأمان والأمن والاطمئنان، وهذا الشعور يساعد الفرد على الشعور بالقيمة والإنجاز، ويكون لديه جهاز مناعة ضد الضغوط الحياتية والنفسية. ورغم أهمية هذا الشعور بالنسبة للطلاب المدارس بصفة خاصة، إلا أن لم ينل الاهتمام الكافي في البحوث (الهادي، 2009 : 40)، وكشفت الدراسة أن تعرض طلبة المرحلة الإعدادية لضغوطات نفسية وغزو المجتمع متغيرات سلبية دخليه أثرت على المنظومة القيم والأمن سواء التربوية والاجتماعية، والتأثير الإعلامي السلبي والأوضاع الأمنية المهزوزة، وغيرها من المشكلات أدت إلى الحاجة الماسة للإرشاد الجمعي في مختلف المجالات لكي تساهم في إيجاد الحلول وتقويم السلوك وبناء الشخصية الإيجابية الفعالة والمؤثرة للطلبة (المشابقة، 2008 : 52). وهذا ما يحاول البحث الحالي إلقاء الضوء عليه من الناحتين النظرية والعملية:

1) من الناحية النظرية

أ) تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها تقديم حل عملي لمشكلة نفسية وتربوية ملحة، من خلال تصميم وتطبيق برنامج إرشادي جمعي قائم على أسس علمية.

ب) قلة الدراسة التي توضح أهمية مجتمع الدراسة الحالية من خلال متغيرات البحث الحالي.

ج) تسهم نتائجها في إثراء المكتبة العربية بدراسات تطبيقية حول الإرشاد النفسي المدرسي، وتزويد المرشدين التربويين بأدوات عملية لتعزيز الأمن النفسي للطلاب.

د) سوف يضع البحث الحالي استنتاجات وتوصيات ومقترحات في ضوء نتائج والتي يمكن أن تساهم في معالجة المشكلات وإيجاد الحلول المناسبة وإقامة مشاريع بحوث جديدة أو حديثة.

هـ) المناخ النفسي في المدارس، مما يعزز من قدرة الطلاب على مواجهة الضغوط النفسية والاجتماعية وتحقيق النجاح الأكاديمي والاجتماعي.

و) إن دراسة تأثير مثل هذه البرامج تساعد في توجيه الاهتمام إلى تقديم الدعم النفسي المناسب للطلاب وتحقيق أفضل النتائج على المستوى الفردي والجماعي.

2) الأهمية التطبيقية:

أ) يسهم البحث في تقديم دراسة تعزيز مفهوم نفسي – اجتماعي مؤثر هو الأمن النفسي.

ب) يتناول البحث شريحة مهمة وهي شريحة طلبة المرحلة الإعدادية الذين سيكونون قادة وبناء البلد في المستقبل.

ج) تحفيز الباحثين على إجراء دراسة مماثلة على مراحل دراسية أخرى كالابتدائية والمتوسطة والجامعة وربط متغيرات البحث الحالي بمتغيرات أخرى.

د) تُفيد نتائج الدراسة صانعي السياسات التعليمية في تطوير خطط الإرشاد النفسي بالمدارس. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في الحاجة الماسة إلى تدخلات إرشادية تدعم الطلاب في مرحلة حرجة من حياتهم. فوجود برنامج إرشاد جمعي يمكن أن يسهم في تحسين

ثالثًا: حدود البحث

1. **الحدود الموضوعية:** اقتصر البحث الحالي على تقييم مستوى فاعلية برنامج الإرشاد الجمعي في تعزيز الأمن النفسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية
2. **الحدود المكانية:** اقتصر البحث الحالي على طلبة مركز قضاء الهندية – العراق.
3. **الحدود البشرية:** اقتصر البحث الحالي على طلبة المرحلة الإعدادية.
4. **الحدود الزمانية:** أنجزت هذه الدراسة في العام الدراسي (2023-2024م)

رابعًا: أهداف البحث: يهدف البحث الحالية إلى:

1. معرفة مستوى الإرشاد الجمعي في المدرسة لدى طلاب المرحلة الثانوية.
2. معرفة مستوى التماسك الاجتماعي بين الطلاب في المدارس الثانوية.
3. معرفة مستوى الإرشاد الجمعي في المدرسة لدى طلاب المرحلة الثانوية وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث).
4. معرفة مستوى التماسك الاجتماعي بين الطلاب في المدارس الثانوية وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث).

5. معرفة العلاقة الارتباطية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي لدى طلاب المدارس الثانوية.

خامسًا: تحديد المصطلحات

1. **الإرشاد الجمعي**: عرف شليدون (1984)، بأنه تجمع من الأفراد يتراوح عددهم بين 6 إلى 8 أشخاص، يجتمعون بشكل دوري (مرتين أسبوعياً) لمدة تتراوح بين 30 إلى 60 دقيقة. يتضمن هذا البرنامج أفراداً يعانون من اضطرابات نفسية مثل الإدمان أو الاكتئاب، وقد تكون المجموعة غير متجانسة حسب نوع البرنامج الإرشادي المتبع. في هذا السياق، يتوقف دور المرشد النفسي على تيسير عملية التفاعل داخل الجماعة ومتابعة تقدم الأفراد، بينما يكون الدور الرئيس في التغيير والتطور مرتبطاً بتفاعل أفراد الجماعة أنفسهم. يهدف الإرشاد الجمعي إلى تعزيز الأمن النفسي لدى الطلاب من خلال توفير بيئة داعمة وآمنة تساعدهم على التعبير عن مشاعرهم ومشاكلهم، مما يسهم في تقليل التوتر والقلق وتعزيز استقرارهم النفسي خلال فترة المرحلة الإعدادية (موسى، شاهين، 2023: 17). ويوضح الباحث أن الإرشاد الجمعي هو نوع من أنواع الإرشاد النفسي الذي يتم فيه تقديم الدعم والإرشاد لأفراد يتشاركون في تجارب أو مشكلات مشابهة، وذلك من خلال مجموعة موجهة تحت إشراف مرشد أو مستشار متخصص. ويعتمد الإرشاد الجمعي على التفاعل بين الأفراد داخل المجموعة، حيث يتم تبادل الخبرات، المناقشات، وتقديم الدعم المتبادل، مما يساعد الأعضاء على تطوير مهاراتهم النفسية والاجتماعية وتجاوز مشكلاتهم بشكل جماعي(موسى، شاهين، 2023: 17-18).
2. **التماسك الاجتماعي**: يُعرف بأنه القوة التي تحافظ على بقاء الأفراد داخل المجموعة، وهناك قوى مؤثرة في بقائها وهي الانجذاب إلى الجماعة، ووسائل الضبط، فهي التي تشير إلى رغبة الأفراد في التفاعل مع المجموعة إلى جانب تحقيق المجموعة لمطالب الأفراد، أو أنه الرباط الذي يربط أفراد الجماعة ويبقي على العلاقات بينهم وبين البعض الأخر (حداد، وآخرون، 2023 :230). ويرى الباحث أن للإرشاد الجمعي في المدرسة دورًا مهمًا في تعزيز التماسك الاجتماعي للطلاب من خلال توفير بيئة تعليمية تعزز من قيم التعاون والاحترام المتبادل بين الأفراد. فالمدارس ليست فقط أماكن لتلقي العلم، بل هي أيضًا بيئات اجتماعية يتم فيها تشكيل شخصيات الطلاب وتوجيه سلوكياتهم. ومن خلال الإرشاد الجمعي، يمكن للطلاب أن يتعلموا كيفية التعامل مع الآخرين بطرق سلمية، وحل النزاعات بشكل هادئ، مما يساهم في تقليل حالات العنف والصراعات بين الأقران، كما يعمل الإرشاد الجمعي على

تعزيز مهارات التواصل لدى الطلاب، حيث يتعلمون كيفية التعبير عن أنفسهم بوضوح وبأسلوب محترم، والاستماع إلى الآخرين بعناية. وهذا يساعد في بناء علاقات اجتماعية صحية داخل المدرسة، ويشجع على الحوار البناء بدلاً من اللجوء إلى العنف أو العزل الاجتماعي. كما أن الإرشاد الجمعي يعزز الوعي الاجتماعي للطلاب، مما يساعدهم على فهم أهمية احترام الاختلافات الثقافية والدينية والاجتماعية، وبالتالي تعزيز التسامح والتفاهم بين الجميع. من خلال هذه الجهود، لا يقتصر دور الإرشاد الجمعي على تعزيز السلام داخل المدرسة فقط، بل يمتد ليشمل تحفيز الطلاب على المشاركة في الأنشطة المجتمعية والمساهمة في تحسين البيئة التي يعيشون فيها. كما يساهم في تعزيز مفهوم المسؤولية المجتمعية، مما يساهم بدوره في بناء مجتمع سلمي ومستقر(حداد، وآخرون، 2023 :231).

المبحث الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المحور الأول: الإطار النظري

أولًا: مفهوم الإرشاد الجمعي

إن العملية الإرشادية الجمعي في المدرس تبدأ من خلال خطوات منهجية تتدرج بالتحضير والإعداد وجمع البيانات والتشخيص، وتحددي مشكلة المسترشد لتبصير بذاته، وتحديد أهدافه التي يريد تحقيقها خلال عملية الإرشاد، وكذلك من واجب المرشد مساعدة المسترشد على خفض التوتر النفسي لزيادة قدرته على الاستبصار ليدرك قدراته وأسباب مشكلاته التي يعاني منها وصولًا إلى تقويم العملية الإرشادية عن طريق مدى التحسن الذي حققه المسترشد (القرعان، 2009: 64) ، لذلك أن التربية الحديثة تعطي اهتمامًا وعناية كبيرتين بالطلبة من جميع جوانبها سواء الحسية، والعقلية، والاجتماعية، والنفسية، لذا فهو يحتاج إلى توجيه وإرشاد من خلال مؤسسات التوجيه والإرشاد الجمعي التربوي، بوصفها جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية، وأصبح من المهم دخول خدمات الإرشاد النفسي الجمعي إلى مؤسستنا التعليمية أمرًا ضروريًا، بل وفي كل مؤسسات المجتمع، وهذه قضية تربوية نفسية مجتمعية، تستحق الاهتمام والدراسة والمتابعة، ومن المفترض طالما مجتمعاتنا قد تأخرت في إدخال خدمات الإرشاد الجمعي وقت طويل من الزمان، لذا يدب البدء من حيث أنتهى الآخرون (زهران، 2005: 92). ويرى الباحث أن علاقة الإرشاد بالتربية تعد علاقة تكاملية حيث إن التربية الحديثة تعتبر عملية الإرشاد الجمعي جزءًا لا يتجزأ منها، ولا يمكن التفكير بالتربية

بدون الإرشاد الفردي والجمعي فالعلاقة بينهما علاقة تبادلية تربوية، حيث يتضمن الإرشاد عمليتي التعلم والتعليم في تغيير السلوك، وتتضمن عملية التوجيه والإرشاد، وتعد المؤسسات التربوية المجال الحيوي الفعال للإرشاد في جميع أنحاء العالم (العزة، 2009 : 36).

ثانيًا: أهمية الإرشاد الجمعي في المدرسة

إن الإرشاد الجمعي في المدرسة يعد من الأساليب التربوية الهامة التي تساهم في تطوير البيئة التعليمية، وتعزز من قدرة الطلاب على التعامل مع المشكلات الاجتماعية والنفسية، كما يعتمد الإرشاد الجمعي على تقديم الدعم والتوجيه لمجموعة من الطلاب في آن واحد، مما يتيح لهم فرصة التفاعل ومشاركة تجاربهم، مما يعزز من فهمهم لذواتهم وتطوير مهاراتهم الاجتماعية، في هذا السياق يؤكد العديد من العلماء على أن الإرشاد الجمعي يساعد في تحسين العلاقات بين الطلاب ويعمل على تعزيز روح التعاون والتفاهم بين الأفراد، إذ يشير "كوفمان" إلى أن الإرشاد الجمعي يسمح للطلاب بتعلم كيفية التعامل مع الضغوط الاجتماعية والنفسية التي قد يواجهونها، من خلال مناقشة قضايا مشتركة (عبد الخالق، 1983: 42). كما يرى "إريك إريكسون"، أحد علماء النفس البارزين، أن الإرشاد الجمعي يسهم في تعزيز نمو الهوية الفردية والجماعية للطلاب، من خلال تبادل الأفكار والمشاعر بين أفراد المجموعة. هذا التفاعل يساعد في تخفيف الشعور بالوحدة أو العزلة، ويعزز من قدرات الطلاب على التأقلم مع التحديات المختلفة، من ناحية أخرى، يمكن للإرشاد الجمعي أن يساعد في تعزيز التفاعل الإيجابي بين الطلاب والمعلمين، حيث يُمكن للمعلمين من خلاله توجيه الطلاب بشكل فعال وبناء علاقة قائمة على الثقة والاحترام. يُظهر "كارل روجرز" أيضًا أن الإرشاد الجمعي يعزز من التفاعل البيني بين الطلاب، مما يسهم في تحسين مهارات التواصل والتعاون (هول، ولندزي، 1971 : 67).

ثالثًا: مناهج واستراتيجيات الإرشاد الجمعي

ذكر (زيدان، 2018: 104) أن هناك ثلاثة مناهج واستراتيجيات لتحقيق الإرشاد الجمعي هي على النحو الآتي:

1. **المنهج الإنمائي**: يهدف هذا المنهج إلى تعزيز وتطوير قدرات الطالب المختلفة، والعمل على الوصول بها إلى أقصى حد ممكن من خلال استثمار الإمكانات التي يمتلكها الطالب. النمو هنا يعد الغاية الأساسية، حيث أن النمو السليم يساهم في تحقيق الإنتاجية والسعادة، ويعمل على التغلب على المشكلات المتعلقة بنقص النضج والشعور بعدم الأمان والسلوك غير الاجتماعي، مما يعزز استقرار السلم المجتمعي.
2. **المنهج الوقائي**: يركز هذا المنهج على توعية الطالب وأسرته وأقرانه بضرورة تجنب المشكلات المحتملة قبل وقوعها. من خلال إرشادهم إلى المخاطر النفسية والاجتماعية والتحصيلية المترتبة على تلك المشكلات، ويستخدم هذا المنهج مجموعة من الأدوات مثل حصص التوجيه الجمعي والإرشاد الجماعي العلاجي، إضافة إلى المحاضرات والنشرات التوعوية، بهدف تعزيز الوعي والوقاية لدى الطلاب وتوجيههم نحو سلوكيات إيجابية تحافظ على الاستقرار المجتمعي.
3. **المنهج العلاجي**: يصبح هذا المنهج ضروريًا عندما يفشل الطالب في الاستفادة من الإرشاد الوقائي. يتطلب هذا النوع من الإرشاد معرفة متعمقة بأساليب العلاج والإرشاد، بهدف مساعدة الطالب على تجاوز مشكلاته النفسية والاجتماعية. يعمل الإرشاد العلاجي على الحد من تكرار تلك المشكلات، ويساعد الطالب على العودة إلى مسار النمو السليم، مما يعزز استقراره الاجتماعي ويساهم في تعزيز السلم المجتمعي عبر تقديم الدعم للأفراد في محطاتهم الصعبة.

رابعًا :مفهوم التماسك الاجتماعي

يُستخدم مصطلح التماسك الاجتماعي عادةً لوصف مدى تلاحم أفراد الجماعات، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، ومدى ارتباطهم ببعضهم البعض ضمن سياقات اجتماعية مختلفة، إذ يشير هذا التماسك إلى القوى والعوامل التي تُبقي أعضاء الجماعة متحدين ومتعاونين، مما يسهم في استقرارها واستمراريتها، وظهر مفهوم التماسك الاجتماعي في دراسات علماء الاجتماع، ومن أبرزهم كارترايت وزاندر اللذان استخدما المصطلح في كتابهما (ديناميكية الجماعة) لتحليل كيفية ترابط الجماعات الصغيرة. كما لعب العالم إميل دوركهايم دورًا

مهمًا في تطوير هذا المفهوم، حيث استخدمه في كتابيه تقسيم العمل الاجتماعي والانتحار. وقد أوضح (دوركهايم) أن درجة التماسك الاجتماعي تختلف تبعًا لطبيعة المجتمعات والجماعات التي ينتمي إليها الأفراد، حيث تؤثر هذه البنية بشكل مباشر على أنماط سلوكهم، بما في ذلك القرارات المصيرية مثل الانتحار. ويرى دوركهايم أن ضعف التماسك الاجتماعي قد يؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وارتفاع معدلات السلوكيات السلبية." (محمود، 2009 : 5).

وهناك من يرى أن هناك دافعان أساسيان يدفعان الأفراد للانضمام إلى جماعة معينة والاستمرار فيها:

1. **دافع الإغراء والجاذبية:** حيث يشعر الأفراد بأن الجماعة نفسها تمتلك خصائص جذابة تجعلهم يرغبون في الانتماء إليها، سواء من خلال العلاقات الاجتماعية، القيم المشتركة، أو الأهداف الجماعية التي يشعرون أنها تتماشى مع تطلعاتهم الشخصية.
2. **دافع المصالح والأهداف المشتركة:** حيث يُدرك الأفراد أن الجماعة توفر لهم فرصًا لتحقيق مصالحهم الشخصية والمهنية، سواء من خلال الدعم الاجتماعي، الموارد، أو المكانة التي يحصلون عليها عبر العضوية فيها(محمود، 2009 : 5).

ويستعمل اصطلاح التماسك الاجتماعي عادة من قبل علماء الاجتماع في حالة الجماعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة خصوصًا عندما تتوفر في هذه الجماعات الصفات التالية (محمود، 2009 : 5 -6) :

1. اعتماد الفرد على المقاييس والقيم المشتركة .
2. تماسك أفراد الجماعة بسبب المصالح المشتركة .
3. التزام الفرد بأخلاقية وسلوكية جماعته

خامسًا: أهمية التماسك الاجتماعي في المدرسة

إن التربية الحديثة تتضمن الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي كجزء متكامل لا يتجزأ منها، جزء مندمج وليس مضافا، أي أن الاثنين يمثلان سلسلة من النشاطات المتكاملة، إذ يرى علماء الاجتماع منهم (دوركايم) إن التماسك الاجتماعي في التربية يسهم في تحقيق الانسجام داخل الجماعات، ويزيد من مستوى التعاون والتفاهم بين أفراد المجتمع، وهو ما يمكن أن ينعكس بشكل إيجابي على الأداء الأكاديمي والتفاعل بين الطلاب، لأن التماسك الاجتماعي يعد من العوامل الأساسية التي تساهم في تحسين بيئة التعلم وتعزز من تطوير شخصية الطلاب. فهو يشير إلى الروابط والعلاقات التي تنشأ بين الطلاب والتي تؤثر بشكل كبير في

طريقة تعاملهم مع بعضهم البعض ومع المعلمين والإدارة المدرسية. يعد هذا التماسك أداة هامة لخلق جو من التعاون والتفاهم بين الطلاب، ما يسهم في تحقيق التوازن النفسي لهم، ويحد من السلوكيات العدوانية أو العزلة الاجتماعية (الحيالي، 2024: 207). كما أشار علماء النفس كذلك منهم (جان بياجيه) إلى أن التفاعلات الاجتماعية أو التماسك الاجتماعي بين الطلاب تعتبر جزءًا أساسيًا من عملية نموهم العقلي والاجتماعي. عندما ينجح الطلاب في بناء علاقات اجتماعية سليمة، فإن ذلك يعزز من قدرتهم على حل المشكلات، ويشجع على التفكير النقدي والتعاون الجماعي. بالإضافة إلى ذلك، فإن التماسك الاجتماعي في المدارس يساهم في تعزيز ثقة الطلاب بأنفسهم، مما يساعدهم على النجاح في الحياة الأكاديمية والاجتماعية من جهة أخرى، يمكن للمعلمين والإدارة المدرسية أن يلعبوا دورًا هامًا في تعزيز التماسك الاجتماعي من خلال خلق بيئة مدرسية تدعم قيم الاحترام والمساواة والتعاون، وتشجع الطلاب على الانخراط في الأنشطة الاجتماعية التي تعزز من تواصلهم وتعاونهم مع بعضهم البعض (Hollander,1976 70). ويرى الباحث أن للتماسك الاجتماعي في المدرسة يعزز بيئة تعليمية إيجابية، حيث يساهم في بناء علاقات صحية بين الطلاب والمعلمين، مما يخلق جوًا من التعاون والدعم المتبادل. هذا بدوره يساهم في تحسين الأداء الأكاديمي للطلاب ويقلل من السلوكيات السلبية مثل التنمر والعزلة.

سادسًا: مقومات تحقيق التماسك الاجتماعي في المدرسة

ذكر (إبراهيم، 2019 : 925-928) أن هناك عدة مقومات لتحقيق التماسك الاجتماعي هي على النحو الآتي:

1. **التكامل الاجتماعي**: يعد التكامل الاجتماعي مقومًا لبناء الطالب وفق ما يمكن أن يساعد في تحقيق الانسجام بين جميع أطراف العملية التعليمية، بما في ذلك الطلاب والمعلمين والإداريين، لذلك يساهم برنامج الإرشاد الجمعي في دعم هذا التكامل من خلال جلسات تعاونية تهدف إلى تعزيز روح الفريق والتعاون بين الطلاب، مما يؤدي إلى إزالة الحواجز الاجتماعية بينهم مما يساعد في تعزيز مبدأ تكافؤ الفرص، مما يمنح جميع الطلاب الإحساس بالمساواة والانتماء للبيئة المدرسية.
2. **النظام الاجتماعي**: يعرف النظام الاجتماعي على أنه مجموعة القواعد والقيم التي تنظم العلاقات داخل المدرسة، فمن خلال الإرشاد الجمعي، يتم توعية الطلاب بأهمية الالتزام بهذه القواعد واحترام النظم

الاجتماعية، مما يعزز بيئة مدرسية منضبطة، كما يركز البرنامج على تعزيز روح المسؤولية لدى الطلاب، مما يساعد في تقليل السلوكيات غير المرغوبة مثل العنف والتنمر.

3. **التفاعل الاجتماعي**: يعد التفاعل الاجتماعي من أهم العوامل المؤثرة في تنمية العلاقات بين الأفراد داخل المدرسة، لأن برنامج الإرشاد الجمعي يساعد في تعزيز التفاعل الإيجابي بين الطلاب من خلال أنشطة جماعية تشجع على الحوار والتعاون، كما يسهم في تعليم الطلاب مهارات التواصل الفعّال، مما يمكنهم من بناء علاقات صحية قائمة على التفاهم والاحترام ومن أشكال التفاعل في المدرس هي التعاون والتنافس والتوافق والصراع، كما يتضمن التأثير المتبادل لسلوك الأفراد والجماعات الذي يتم عادة عن طريق الاتصال الذي يتضمن بدوره العديد من الرموز.
4. **التضامن الاجتماعي**: يهدف التضامن الاجتماعي إلى تعزيز الروابط بين الطلاب ومساعدتهم على تجاوز الخلافات الاجتماعية التي قد تنشأ نتيجة التغيرات الاقتصادية والثقافية، كما يساعد الإرشاد الجمعي في نشر ثقافة المساعدة المتبادلة والتعاون، مما يؤدي إلى خلق بيئة مدرسية أكثر دعمًا واستقرارًا ويتم ذلك من خلال أنشطة تعاونية تعزز القيم الإنسانية مثل التسامح، التعاطف، وحل النزاعات بطريقة بناءة.
5. **الضبط الاجتماعي**: يُعد الضبط الاجتماعي من المقومات الأساسية لتحقيق التماسك الاجتماعي داخل البيئة المدرسية، حيث يهدف إلى توجيه سلوك الأفراد وفقًا لمعايير اجتماعية محددة تضمن الاستقرار والتناغم بين الطلاب والمعلمين. يتمثل الضبط الاجتماعي في تطبيق القواعد والقوانين المدرسية التي تهدف إلى تعزيز بيئة تعليمية آمنة ومنظمة، مما يسهم في بناء شخصية الطالب الاجتماعية وتنمية إحساسه بالمسؤولية الجماعية.

سابعًا: دور الإرشاد الجمعي في تعزيز التماسك الاجتماعي

يُعد الإرشاد الجمعي من الأساليب الفعالة في دعم الضبط الاجتماعي وتعزيز التماسك بين الطلاب في المرحلة الإعدادية، حيث يعتمد على جلسات إرشادية جماعية تركز على تنمية المهارات الاجتماعية، وتعزيز القيم الإيجابية، وتشجيع التعاون بين الطلاب. ويمكن توضيح دوره في النقاط التالية (الشمري، 2020 : 566):

1. **تعزيز القيم الاجتماعية المشتركة:** يعمل الإرشاد الجمعي على غرس القيم الأخلاقية مثل الاحترام، المسؤولية، والتعاون، مما يساعد الطلاب على فهم أهمية الالتزام بالأنظمة المدرسية.
2. **تنمية مهارات حل المشكلات والتكيف الاجتماعي:** يتيح التفاعل الجماعي للطلاب فرصة تعلم استراتيجيات لحل النزاعات بشكل سلمي، مما يقلل من حالات العنف أو السلوكيات السلبية.
3. **تحسين العلاقات بين الطلاب:** يسهم في بناء الثقة المتبادلة والتفاعل الإيجابي بينهم، مما يقلل من العزلة والانطواء ويزيد من شعورهم بالانتماء للمدرسة.
4. **تعزيز الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:** يجعل الطلاب أكثر وعيًا بتأثير سلوكياتهم على زملائهم، فيصبحون أكثر التزامًا بالسلوكيات الإيجابية.
5. **الحد من المشكلات السلوكية:** من خلال مناقشة القضايا التي تواجه الطلاب بشكل جماعي، يتمكن المستشارون من التدخل المبكر ومعالجة السلوكيات غير المرغوبة.

المحور الثاني: الدراسات السابقة

أجرى (عبد الله، 2011) دراسة استهدفت التعرف على مدى التماسك الاجتماعي لطلبة الكليات في جامعة بغداد، ولتحقيق ذلك قام الباحث ببناء مقياس التماسك الاجتماعي لطلبة الجامعة وقد طبق على عينة مكونة من (500) طالبًا وطالبة موزعين على معظم الكليات في جامعة بغداد، وأظهرت النتائج وجود مستوى منخفض من التماسك الاجتماعي في كليات جامعة بغداد. كما أجرى (إيغوي، Igwe,2013) دراسة عن أثر الإرشاد الفردي والجماعي على سلوك التغيب عن مدرسة طلاب المرحلة الثانوية في ولاية أبيا، إذ ركزت الدراسة على دراسة تأثيرات الإرشاد الفردي والجماعي على سلوك التغيب عن المدرسة لدى طلاب المدارس الثانوية في ولاية أبيا. تم صياغة ثلاثة أسئلة بحثية وثلاث فرضيات للإجابة عليها. شملت عينة الدراسة 80 طالبًا من طلاب السنة الدراسية الثانية (SS2) في العام الأكاديمي 2010/2009 من أصل 875 طالبًا، وتم اختيار العينة باستخدام تقنية العينة العشوائية البسيطة. ولتجميع البيانات، تم تطوير استبيان مشفر مقياس عادات التغيب عن المدرسة (THS) من قبل الباحث، وتم التحقق من صحة المقياس من خلال خبراء ومتخصصين في القياس والتقييم. كما تم اختبار موثوقية الأداة باستخدام طريقة إعادة الاختبار، وحققت درجة معامل الارتباط 0.87. ومن تم تحليل البيانات باستخدام المتوسط والانحراف المعياري للإجابة على أسئلة البحث، بينما تم اختبار الفرضيات باستخدام اختبار t و ANOVA عند

مستوى دلالة 0.05. أظهرت نتائج الدراسة أنه لا يوجد فرق كبير في تأثيرات الإرشاد الفردي والجماعي على سلوك التغيب عن المدرسة. كما تبين أنه لا يوجد اختلاف ملحوظ في تأثيرات الإرشاد على التغيب حسب نوع الجنس، لكن تأثيرات الإرشاد الفردي والجماعي كانت متفاوتة بشكل كبير بين الطلاب والطالبات. واستنادًا إلى النتائج، أوصى الباحث باستخدام الإرشاد الفردي والجماعي معًا لمعالجة سلوك التغيب عن المدرسة، مع التأكيد على أن مستشاري مدارس البنات يجب أن يميلوا إلى الإرشاد الفردي بشكل أكبر، بينما ينبغي على مستشاري مدارس البنين التركيز أكثر على الإرشاد الجماعي.

وقد عرض الباحث دراستين في البحث الحالي، لأن الدراسات التي تضمنت الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي كدراسة مشتركة قليلة حسب علم الباحث، لذا وظف الباحث الدراسات التي تتضمن الجانب التربوي والمدرسي والتي تتقارب بنوع العينة وأدوات القياس تعد متقاربة مع الدراسة الحالية.

المبحث الثالث: إجراءات البحث

1. **منهج البحث:** اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي، إذ يعد أنسب المناهج التي تتلاءم طبيعة أهداف البحث ومشكلته.
2. **مجتمع البحث:** يشمل مجتمع البحث الحالي طلبة الدراسة الصباحية في المدارس الثانوية في مركز قضاء الهندية التابعة إلى المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة للعام (2023-2-2024) والبالغ عددها (24) مدرسة ثانوية للبنين والبنات ويبلغ عدد طلبة الدراسة الصباحية ما يقارب (29870) طالبًا يمثلون مجتمع البحث الحالي.
3. **عينة البحث:** تم تحيد عينة قصدية بلغ عددها (120) طالب وطلبة في من مجتمع البحث، بواقع (60) طالب من ثانوية المتفوقين للبنين، و(60) طالبة من ثانوية الرقيم للبنات.
4. **أداتي البحث:** لتحقيق أهداف البحث، وبعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة، تم بناء أداتي البحث الحالي أحدهما مقياس الإرشاد الجمعي، والآخر مقياس التماسك الاجتماعي المكونان من (20) فقرة، ولهما خمسة بدائل وأوزانهما (1 = لا أوافق بشدة ، 2 = لا أوافق، 3 = محايد ، 4 = أوافق ، 5 = أوافق بشدة) وكانت أعلى درجة للمقياس (100) وأقل درجة (20) وأما الوسط الفرضي فيبلغ (60).

أ) **الصدق الظاهري**: الصدق هو الخاصية السايكومترية التي تكشف عن مدى أداء المقياس للغرض الذي أعد من أجله، وهو دليل على قياس الفقرات لما يفترض أن تقيسه ولأجل تحقيق من صدق أداتي البحث قام الباحث باستخراج الصدق الظاهري الذي يعد من مستلزمات بناء المقياس، وذلك بعرض فقرات أداتي البحث على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية، وفي ضوء آرائهم تم الإبقاء على جميع الفقرات التي نالت نسبة اتفاق قدرها (90%) فأعلى وهي تمثل نسبة قبول عالية وبذلك عدل الخبراء بعض الفقرات.

ب) **مؤشرات الثبات**: تم استخراج قيمة معامل الثبات من خلال أسلوب معادلة (ألفا –كرونباخ) فكانت قيمة معامل الثبات الكلية (0,85) وتعد أداتي البحث ذات ثبات عالٍ جدًا. والجدول (1) يوضح معامل ثبات لأداتي البحث

جدول (1) يوضح معامل الثبات

المقياس	معامل الثبات
الإرشاد الجمعي	**0,79**
التماسك الاجتماعي	**0,77**
الدرجة الكلية	**0,85**

5. **الوسائل الإحصائية**: استخدم البحث عدد من الأساليب الوسائل الإحصائية منها: النسبة المئوية، والوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل ارتباط بيرسون، واختبار التائي (t-test) لعينة واحدة، واختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين.

المبحث الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

الهدف الأول: معرفة مستوى الإرشاد الجمعي في المدرسة لدى طلاب المرحلة الثانوية.

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات الطلبة لمقياس الإرشاد الجمعي، فبلغ (3,904)، وبانحراف معياري قدره (0,686)، وعند مطابقة هذه القيمة مع الوسط الفرضي البالغ (60) باستخدام الاختبار التائي وجد أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (895,875) درجة وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,658)، وعند مستوى دلالة معنوية (0,05)، وهي دالة إحصائية والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والمتوسط الفرضي والقيمة التائية لمقياس الإرشاد الجمعي.

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
120	3,904	0,686	60	895,875	1,658

يعزى الباحث تفسير هذه النتيجة أن للإرشاد الجمعي يلعب دورًا أساسيًا في تعزيز الثقة بالنفس لدى طلبة المدرس، فضلًا على أنه يساهم في تنمية وتعزيز ثقافة التعاون والتماسك الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية الإيجابية بين الطلاب من خلال خطوات ومحاضرات وجلسات تربوية توعوية، وهذه التنجية تتفق مع دراسة الباحثة (إيغوي، 2013).

الهدف الثاني: معرفة مستوى التماسك الاجتماعي بين الطلاب في المدارس الثانوية.

لتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات الطلبة لمقياس التماسك الاجتماعي، فبلغ (3,385)، وبانحراف معياري بلغ قدره (0,665)، وعند مطابقة هذه القيمة مع الوسط الفرضي البالغ (60) باستخدام الاختبار التائي وجد أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (944,781)، وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,658)، وعند مستوى دلالة معنوية (0,05)، وهي دالة إحصائية والجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والمتوسط الفرضي والقيمة التائية لمقياس التماسك الاجتماعي

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
120	3,385	0,665	60	933,781	1,658

يعزى الباحث تفسير هذه النتيجة إلى أن التماسك الاجتماعي المعزز من قبل المرشد المدرسي يلعب دورًا أساسيًا في بناء العلاقات الاجتماعية الإيجابية وهذه النتيجة تتفق مع دراسة الباحث (عبد الله، 2009).

الهدف الثالث: معرفة مستوى الإرشاد الجمعي في المدرسة لدى طلاب المرحلة الثانوية وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث).

كشف التحليل الإحصائي على وجود فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الأداة بين الذكور والإناث، إذ وجد أن الوسط الحسابي للذكور بلغ (4,137)، وبانحراف معياري قدره (0,691)، والوسط الحساب للإناث بلغ (3,672) وبانحراف معياري بلغ (0,601)، وأظهرت نتائج استخدام الاختبار التائي أن الفروق بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث داحل إحصائيًا عن مستوى معنوية (0,05)، حيث كانت القيمة التائية المحوسبة (3,932) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية البالغة (2,368)، والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (4) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس الإرشاد الجمعي وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
ذكور	60	4,137	0,691	3,932	2,368
إناث	60	3,672	0,601		

يرجح الباحث تفسير هذه النتيجة أن الفروق دالة إحصائيًا لصالح الطلاب الذكور، أي أن دور الإرشاد الجمعي فعال في تعزيز التماسك الاجتماعي والتعايش السلمي لدى الطلاب أكبر من الطالبات، وهذا يدل على أن نظريات علم النفس التي تهتم بالعلاقات الاجتماعية أن الطلاب يتمتعون بعلاقات اجتماعية متنوعة ومتعددة سواء مع أقرانهم ونوع جنسهم، مما يتعرضون لخبرات متعددة ومتنوعة فيبحثون عن التماسك والأمن والتوافق الاجتماعي.

الهدف الرابع: معرفة مستوى التماسك الاجتماعي بين الطلاب في المدارس الثانوية وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث).

كشف التحليل الإحصائي على وجود فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الأداة بين الذكور والإناث، إذ وجد أن الوسط الحسابي للذكور بلغ (3,550)، وبانحراف معياري قدره (0,654)، والوسط الحساب للإناث بلغ (3,220)، وبانحراف معياري بلغ (0,538)، وأظهرت نتائج استخدام الاختبار

التائي أن الفروق بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث داحل إحصائيًا عن مستوى معنوية (0,05)، حيث كانت القيمة التائية المحوسبة (2,798) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية البالغة (2,368)، والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (5) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس التماسك الاجتماعي وفقًا لمتغير الجنس (ذكور، إناث)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
ذكور	60	3,550	0,654	2,798	2,368
إناث	60	3,220	0,638		

يرجح الباحث تفسير هذه النتيجة أن الفروق دالة إحصائيًا لصالح الطلاب الذكور، مما يشير إلى أن مستوى التماسك الاجتماعي لديهم أعلى مقارنة بالطالبات. قد يعود ذلك إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الذكور، والتي قد تتسم بروابط أكثر تماسكًا نتيجة للعوامل الثقافية والاجتماعية التي تشجع على العمل الجماعي والتعاون. كما يمكن تفسير ذلك من خلال تأثير الأنشطة الاجتماعية والرياضية التي يشارك فيها الذكور بشكل أكبر، مما يعزز لديهم الإحساس بالانتماء والتكامل داخل المجموعة. علاوة على ذلك، قد يكون للبيئة التعليمية والممارسات التربوية دور في تعزيز هذه الفروق، حيث قد يتلقى الذكور فرصًا أكبر للتفاعل الاجتماعي في بعض السياقات مقارنة بالإناث.

الهدف الخامس: معرفة العلاقة الارتباطية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي لدى طلاب المدارس الثانوية.

لغرض التعرف على طبيعة العلاقة بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي، استعمال الباحث معامل ارتباط بيرسون لعينة البحث الكلية البالغة (120) طالب وطالبة، كما استعمل الاختبار التائي الخاص بمعامل ارتباط بيرسون للتعرف على دلالة معامل الدرجات كل من الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي، وكانت النتائج كما مبينة في جدول (6).

جدول (6) يوضح معامل الارتباط للعلاقة بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي

العلاقة	نوع الارتباط	الوسط الحسابي	انحراف معياري	قيمة معامل الارتباط	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
					المحسوبة	الجدولية			
الإرشاد الجمعي	**بسيط**	**3,904**	**0,686**	**0,541**	**7,302**	**2,368**	**118**	**0,05**	**دالة**
التماسك الاجتماعي		3,385	0,665						

يشير الجدول أعلاه إلى أن العلاقة الارتباطية طردية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي دالة إحصائيًا، لأن القيمة معامل ارتباط بيرسون بلغت (0,541)، بالإضافة بينما بلغت القيمة التائية المحسوبة البالغة (7,302) هي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (2,368)، عند مستوى دلالة (0,05)، ودرجة حرية (118)، وهذا يدل على وجود علاقة طردية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي أي أن الطلاب الذين يستفيدون من برامج الإرشاد الجمعي يظهرون مستوى أعلى من التماسك الاجتماعي، حيث تساهم هذه البرامج في تعزيز التواصل الفعال بين الطلاب، وتنمية مهارات التفاعل الاجتماعي، وتعزيز الشعور بالانتماء إلى المجموعة. كما أن المشاركة في الإرشاد الجمعي توفر بيئة داعمة تساعد الطلاب على بناء علاقات إيجابية، مما يؤدي إلى زيادة التماسك الاجتماعي بينهم.

المبحث الخامس : الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

أولًا: الاستنتاجات

1. هناك مستوى عالٍ في مستوى الإرشاد الجمعي لدى طلاب المرحلة الثانوية.
2. وجود فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الأداة بين الذكور والإناث لصالح الذكور في مقياس الإرشاد الجمعي.
3. هناك مستوى عالٍ في مستوى التماسك لدى طلاب المرحلة الثانوية.

4. وجود فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الأداة بين الذكور والإناث لصالح الذكور في مقياس التماسك الاجتماعي.
5. وجود علاقة طردية بين الإرشاد الجمعي والتماسك الاجتماعي لدى الطلاب في المرحلة الثانوية في المدارس.

ثانيًا: التوصيات

1. العمل على تطوير دور الإرشاد الجمعي في المداس وتوفير السبل التي تساهم في نجاح العملية الإرشادية لأنها تتعامل مع الجوانب النفسية والفكرية والاجتماعية.
2. ضرورة توظيف الأنشطة المدرسية المتنوعة في تنمية مفهوم التماسك الاجتماعي وتحقيق التفاعل والتعاون والتكامل بين المدرسة والبيت في تذويب الأفكار السلبية التي يكتسبها الطالب.
3. على وزارة الإعلام ضرورة توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة التماسك والتسامح الاجتماعي في المجتمع، إذ أن أكثر الطلبة على احتكاك وتأثير متواصل معها.
4. ضرورة تعزيز دور المرشدين التربويين من خلال تقديم برامج تدريبية متخصصة لهم في مجال الإرشاد الجمعي، لضمان فاعليتهم في توجيه الطلاب ودعمهم نفسياً واجتماعياً.
5. إدماج مفاهيم التماسك الاجتماعي في المناهج الدراسية، بحيث تتضمن مواد تعليمية وأنشطة تعزز روح التعاون والتفاعل الإيجابي بين الطلاب.
6. تشجيع أولياء الأمور على المشاركة في العملية الإرشادية من خلال عقد ورش عمل ودورات تثقيفية تساعدهم على دعم أبنائهم في بناء علاقات اجتماعية صحية.

ثالثًا: المقترحات

1. إجراء دراسة بعنوان دور المرشد النفسي في تعزيز ثقافة التعايش السلمي بين الطلاب.
2. إجراء دراسة بعنوان عن أزمة الهوية وعلاقتها بالتماسك الاجتماعي لدى الطلاب.
3. إقامة دراسة تجريبية بعنوان أثر الإرشاد الفردي والجماعي في تنمية الوعي الصحي لدى طلبة الدراسة الإعدادية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

1. إبراهيم، أبو النور مصباح أبو النور (2019): متطلبات التعليم الجامعي لبناء الإنسان في ضوء مقومات التماسك الاجتماعي، مجلة بحوث في التربية النوعية، المجلد(1)، العدد(35)، جامعة القاهرة، مصر.
2. إبراهيم، عبد الستار، وإبراهيم، رضوى (2003): علم النفس أسسه ومعالم دراساته، دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية.
3. حداد، يزن سمير ساير وآخرون (2023): دور وسائل التواصل الاجتماعي في التماسك الاجتماعي لدى لاعبي كرة السلة في الأردن، مجلة تطبيقات علوم الرياضة، العدد(105)، الأردن.
4. الحيالي، بيداء عبد السلام مهدي (2024): التماسك الاجتماعي وعلاقته بالوعي الصحي لدى طالبات قسم رياض الأطفال، مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد(21)، العدد(82)، جامعة بغداد، العراق،
5. زهران، حامد (2005): التوجيه والإرشاد النفسي، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة، مصر.
6. زيدان، حسين (2018): دور الإرشاد التربوي في تعزيز ثقافة التعايش السلمين المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، العدد(2)، المركز الديمقراطية العربين ألمانيا، برلين..
7. الشمري، محمد (2020): الإرشاد التربوي والنفسي ودوره في تحقيق أهداف العملية التربوية: دراسة تحليلية، المجلة الدولية للعلوم التربوية والنفسية، القاهرة، المجلد(6)،العدد 25، المؤسسة العربية للبحث العلمي والتنمية البشرية، مصر
8. عبد الخالق، أحمد (1983): علم النفس العام، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.
9. عبد الله، فيصل نوافق (2011) التماسك الاجتماعي لطلبة جامعة بغداد دراسة مقارنة، مركز المعرفة الرقمي، العراق.
10. العزة، سعيد حسن (2008): دليل المرشد التربوي في المدرسة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
11. القرعان، أحمد خليل (2009): التوجيه الإرشاد النفسي والمهني، دار حمورابي، عمان، الأردن.

12. محمود، لطيفة ماجد (2009): التماسك الاجتماعي بين طلبة جامعة ديالى، مجلة ديالى، العدد(41)، العراق.
13. المشابقة، محمد حسن (2008): مبادئ الإرشاد النفسي للمرشدين والأخصائيين النفسيين، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
14. موسى، ياسمين نبيل، وشاهين، محمد أحمد (2023): الإرشاد الجمعي في المدارس الحكومية الفلسطينية بين الواقع والمأمول مدارس مديرية التربية والتعليم قباطية أنموذجًا دراسة نوعية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد(14)، العدد(42)، فلسطين، غزة.
15. الهادي، مروة السيد علي (2009): الأمن النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية دراسة سيكومترية كلينيكيه، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة الزقازيق، كلية التربية، قسم الصحة النفسية، مصر.
16. هول، كالفين، سبنجر ولندزي، جاردير(1971): نظريات الشخصية، ترجمة: فرج احمد فرج وأخرون ،مراجعة لويس كامل ملكية، الهيئة المصرية، القاهرة، مصر.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

1. Hollander, E. (1976). Principles and Methods of Social Psychology, New York: Oxford University Press
2. Igwe, E. U. (2013). Effect of Individual and Group Counselling on Secondary School Students' Truant Behaviour in Abia State. African Research Review, 7(2): 277-293.

School climate and violence prevention: A theoretical study of the mechanisms of interaction between the school environment and aggressive behaviors

Khadija Boumeshouli
Researcher in Social Psychology, Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammed V University, Rabat
kboumeshouli@gmail.com

Abstract :

School violence is a complex phenomenon encompassing educational, psychological, and social dimensions. Advances in educational psychology have produced numerous theoretical models for analyzing and understanding aggressive behavior as influenced by the prevailing school climate in educational institutions. This paper provides a theoretical review of the model proposed by Janosz and colleagues (Janosz et al., 1998) to examine the mechanisms through which the quality of the school climate interacts with students' aggressive behaviors. We begin We begin by examining the historical development of the school climate concept, Following this, we discuss its practical application through the School Climate Scale developed by Janosz et al. (2007), which has been employed in numerous empirical studies in Canada and Europe to assess school climate quality, enhance school life, and prevent violent behaviors

Keywords: School violence, school climate, Janosz's model, school life

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المناخ المدرسي والوقاية من العنف: دراسة نظرية في آليات التفاعل بين البيئة المدرسية والسلوكيات العدوانية

خديجة بومسهولي
باحثة بسلك الدكتوراه، تخصص علم النفس الاجتماعي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط
kboumeshouli@gmail.com

ملخص:

يشكل العنف المدرسي، ظاهرة مركبة تتداخل فيها أبعاد تربوية ونفسية واجتماعية. ويُتيح تطور البحث في علم النفس التربوي، العديد من النماذج النظرية لتحليل وفهم السلوك العدواني، كنتاج للتفاعل بين التلاميذ و المناخ المدرسي السائد بالمؤسسة التعليمية. وتهدف هذه الورقة، إلى تقديم مراجعة نظرية للنموذج النظري لجانوز وشركاؤه (Janosz and al,1998)، وذلك لفهم آليات التفاعل بين جودة المناخ المدرسي السائد بالمؤسسة التعليمية، والسلوكيات العدوانية للتلاميذ. بحيث انطلقنا من الوقوف على السياق التارخي لتطور مفهوم المناخ المدرسي، ثم انتلقنا لعرض النموذج النظري لجانوز وشركاؤه (1998)، وكيفية استثماره عمليًا في تقييم جودة المناخ المدرسي، بالاعتماد على مقياس المناخ المدرسي لجانوز وشركاؤه (Janosz and al,2007)، الذي تم تطبيقه في العديد من الدراسات الامبريقية في كندا و أوروبا لتجويد الحياة المدرسية والوقاية من السلوكيات العنيفة.

الكلمات المفتاحية: العنف المدرسي، المناخ المدرسي، نموذج جانوز، الحياة المدرسية

مقدمة:

يشـــكل العنف المدرســـي، أحد التحديات الكبرى، التي تواجه الأنظمة التربوية في مختلف أنحاء العالم. حيث تتعدد مظاهره بين الجســـدي واللفظي والنفســـي، ويتزايد تأثيره الســـلبي على مناخ التعلم، والصحة النفسية للتلاميذ. وتؤكد تقارير اليونسكو (UNESCO, 2021)، أن ما لا يقل عن 30% من التلاميذ على الصعيد العالمي، تعرضوا لشكل من أشكال العنف داخل الفضاء المدرسي، سواء من طرف زملائهم أو من الأطر التربوية للمؤسسة التعليمية. و أمام هذا الوضع المقلق لم يعد يُنظر إليه كظاهرة فردية معزولة، بل كظاهرة اجتماعية مركبة، تتقاطع في تشـكيلها عوامل فردية ونفسـية واجتماعية ومؤسـساتية. وتتطلب مقاربة متعددة الأبعاد لفهم أسبابها والسعي نحو الوقاية منها داخل المؤسسات التعليمية.

و يُعتبر المناخ المدرسـي، من بين أهم العوامل البنيوية التي أكدت العديد الدراسـات، أنه يلعب دورا كبيرا في ضـبط أو تفشـي العنف بالمؤسـسـات التعليمية.و يُعرف في الأدبيات، بأنه النسـق الكلي للتفاعلات النفســية والاجتماعية والتنظيمية الســائدة داخل المؤســســة التربوية، كما يدركها المتعلمون والمدرســون والإداريون (Cohen et al., 2009). وقد شــكل هذا المفهوم، محور اهتمام العديد من الحقول المعرفية، من بينها علم النفس التربوي. حيث تمت مقاربته من زوايا متعددة؛ تشـــمل البعد الانفعالي، والإدراكي، والتنظيمي. وتؤكد نتائج العديد من الدراســات أن جودة المناخ المدرســي تؤثر بشــكل مباشــر في التوافق النفسي الاجتماعي للتلاميذ، وشعورهم بالانتماء، ومستوى اندماجهم السلوكي داخل المدرسة (Thapa et al., 2013؛ Wang & Degol, 2016). فعلى سـبيل المثال، توصـلت دراسـة Way et al. (2007) إلى أن التلاميذ، الذين يدركون مناخاً مدرســياً داعماً وعادلاً، يميلون إلى إظهار مســتويات أقل من السلوكيات العدوانية، ومستويات أعلى من الشعور بالأمان والرضا المدرسي. وفي نفس السياق، بينت نتائج دراسـة Durlak et al.(2011) أن تحسـين الأبعاد الاجتماعية للمناخ المدرسـي يسـهم في تقليص معدلات السلوك العدواني بنسبة ملحوظة لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية.

وفي هذا السياق، يتموضع نموذج جانوز وشركاؤه (Janosz et al,1998)، الذي يُعتبر من أهم النماذج التي حاولت تفكيك العلاقة بين المناخ المدرسي وسلوكيات التلاميذ، حيث قدم تصنيفاً دقيقاً لأبعاد المناخ تشــمل البعد الأكاديمي، الاجتماعي، التنظيمي، والســلوكي. ويفترض هذا النموذج أن الطريقة التي يُدرك بها التلميذ بيئته المدرســية – من حيث جودة التفاعلات العلائقية بينه وبين زملائه و المدرســين، ســيادة

الامن والإنصاف، الدعم، الشعور بالانتماء والمناخ التربوي، تُعد محدِّداً حاسماً في التزامه السلوكي، وانخراطه في أنشطة الحياة المدرسية. وفي هذا الصدد، يهدف هذ المقال إلى الوقوف على السياق التاريخي لتطور مفهوم المناخ المدرسي، و سنعرض، الأبعاد التي يقترحها النموذج النظري لـ جانوز وشركاؤه (Janosz et al 1998) كأساس للمناخ المدرسي. ثم سنقف، على أهمية استثمار هذا النموذج عمليا في أجراة مفهوم المناخ المدرسي، بالاعتماد على مقياس المناخ المدرسي، الذي قام بتصميمه جانوز وشركاؤه(Janosz et al2007)، لتقييم جودة المناخ المدرسي، بهدف تحسين الحياة المدرسية للتلاميذ، وتعزيز انضباطهم السلوكي وتحصيلهم الدراسي بالمدرسة.

1.مفهوم المناخ المدرسي: السياق التاريخي والتحديد المفاهيمي

يشير مفهوم المناخ المدرسي، إلى مجمل الخصائص الاجتماعية والتنظيمية والنفسية، التي تميز الحياة اليومية داخل المدرسة. كما يعكس إدراك الأفراد – من تلاميذ وأطر تربوية وإدارية – لجودة التفاعلات العلائقية، والشعور بالأمان، ومدى سيادة مناخ تربوي مُنصف ومحفز للتعلم والشعور بالانتماء للمدرسة. ورغم تعدد تعريفات المناخ المدرسي، يُجمع أغلب الباحثين على كونه مفهوما متعدد الأبعاد يشمل التفاعلات بين أفراد المدرسة، والإجراءات التنظيمية، وجودة الممارسات التربوية، كما يُنظر إليه كمؤشر مركب، يعكس جودة الحياة المدرسية، والحالة العامة للمدرسة من حيث بيئتها الاجتماعية، والنفسية، والأخلاقية. (Debarbieux,1996;Janosz,1998 ;Astor et al ,2009 ;Thapa et al,2013)

و يُعدّ مفهوم "المناخ"، من المفاهيم التي ظهرت أولًا في حقل علم النفس الصناعي والاجتماعي، إذ ركّز الباحثون في هذا المجال على أثر البيئة التنظيمية، وظروف العمل، على مشاعر العاملين ودافعيتهم وإنتاجيتهم. (Litwin & Stringer, 1968). وقد عرّف الباحثون "المناخ التنظيمي" كمنظومة من الإدراكات المشتركة التي يتقاسمها العاملون داخل المؤسسة، حول السياسات والممارسات المتبعة فيها. كما شكّلت أبحاث(Lewin, Lippitt, & White,1939) أحد المنطلقات الأساسية، في إبراز أهمية أنماط القيادة والمناخات التي تفرزها في التأثير على سلوك الأفراد، وهو ما مهّد الطريق لفكرة أن للبيئة دورًا نفسيًا واجتماعيًا في تشكيل السلوك.

و في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، بدأ الاهتمام بالمناخ، ينتقل تدريجيًا نحو مجال التربية وعلم النفس التربوي. حيث عمل الباحثون على تكييف المفهوم مع السياق المدرسي، وأصبح يُتداول مصطلح "المناخ المدرسي" (School Climate). و يعتبر(1982) Anderson من أوائل من تناولوا هذا المفهوم

في السياق التربوي، حيث أكّد أن المناخ المدرسي هو مفهوم مركب، يشمل جملة من الأبعاد المتداخلة مثل العلاقات الاجتماعية، وأنماط القيادة، والتوقعات المدرسية، والدعم النفسي للتلاميذ. كما اعتبره (Fraser 1986)، عنصـــراً بنيوياً مؤثراً في تجارب التلاميذ وتحصـــيلهم، مبرزًا أهمية إدراك التلاميذ للعلاقات داخل المدرسـة كأرضـية أسـاسـية تعكس المناخ العام السـائد بالمدرسـة. وقد شـكلت أعمال (Rutter et al. 1979)، نقطة تحول في الربط بين جودة المناخ المدرسـي، وتراجع معدلات الانحراف والمشـاكل السـلوكية والعنف داخل المدارس.

و منذ التسـعينيات، تطور مفهوم المناخ المدرسـي، ليُدرس في ارتباطه بجملة من الظواهر التربوية والسـلوكية، مثل العنف المدرسي، والتسرب، والتعثر الدراسي، والصحة النفسية للتلاميذ.(Janosz et al,1998)، إلا أن الاهتمام الأكاديمي بالمناخ المدرســي، كعامل وقائي في مواجهة الســلوكيات العنيفة داخل المدارس عرف تصـــاعدا منذ بداية الألفية الثالثة، حيث أكدت نتائج العديد من الدراســـات مثل(Haynie et al.2001 ;Bradshaw et al. 2009)، العلاقة بين إدراك التلاميذ لدعم المعلمين، والعدالة داخل المدرســة، وبين تراجع مظاهر العنف والتنمر. و في هذا الســياق أنتج العديد من الباحثين في علم النفس التربوي، نماذج نظرية، لفهم كيف يؤثر المناخ المدرســي، على أبعاد مختلفة من الحياة المدرســية للتلاميذ، كالتحصـيل الدراسـي، والالتزام السـلوكي لدى التلاميذ. من بينها النموذج النظري الذي اقترحه ميشـال جانوز وشـــركاؤه (Janosz,et al 1998)، والذي قدم فيه تصـــورًا متكاملاً لكيفية تأثير أبعاد المناخ المدرسي في سلوك التلاميذ، خصوصًا السلوك العدواني.

2.كيف نفهم العنف المدرسي في ضوء النموذج النظري لجانوز(1998)Janosz؟

يُعد العنف المدرســي من الظواهر الاجتماعية المقلقة، التي حظيت باهتمام متزايد في العقود الأخيرة، نظرًا لتداعياتها السلبية على مناخ التعليم، و التحصيل الدراسي و الانخراط السلوكي داخل المؤسسات التعليمية التي يُفترض أن تكون امنة ومحصـــنة من العنف. و بعدما كانت تتم مقاربة العنف المدرســي في الســابق بوصـفه سـلوكًا فرديًا ناتجًا عن عوامل خارجية، كالوضـعية الأسـرية والهشـاشـة الاقتصـادية أو الاضـطرابات النفســية الذاتية للتلميذ، باتت الأبحاث التربوية المعاصــرة تُجمع على ضــرورة ربطه بالســياقات التنظيمية والتربوية الداخلية للمؤسـسـات التعليمية، خصـوصًـا ما يتعلق بالمناخ المدرسـي (Astor, Guerra, et Van Acker, 2010).

على اعتبار أن العنف في الوسط المدرسي، لا يُعزى فقط إلى السياقات الأسرية أو المجتمعية، بل يمكن أن يكون نتيجة مباشرة لاختلالات في البيئة الداخلية للمدرسة. بما في ذلك ضعف العلاقات التربوية، غياب آليات الإنصات، تدني الشعور بالانتماء، وتوتر العلاقة بين التلاميذ والمدرسين (Benbenishty et Astor, 2005). وقد برز اهتمام علم النفس التربوي في هذا السياق بتحليل التفاعلات القائمة داخل المؤسسة التعليمية، باعتبارها بيئة ديناميكية تؤثر في تشكيل سلوكيات المتعلمين، سلبًا أو إيجابًا (Eccles et Roeser, 2011).

حيث أكدت العديد من الدراسات الميدانية، في الولايات المتحدة، وكندا وأوروبا، أن المدارس التي تتسم بمناخ مدرسي إيجابي، تُسجّل أدنى المعدلات في السلوكيات العدوانية والمخالفات التأديبية، مقارنة بالمؤسسات التي تشهد اضطرابًا في بنيتها الداخلية وضعفًا في آليات التواصل والتوجيه (Thapa et al, 2013). و أن العوامل التنظيمية داخل المدرسة، مثل أساليب التدبير والقيادة التربوية، تلعب دورًا مهمًا، في تقليل أو تفاقم مظاهر العنف المدرسي.(Rutter et al,1979)

ويُعدّ النموذج النظري الذي قدمه جانوز وشركاؤه (Janosz et al, 1998)، من بين النماذج التفسيرية التي قاربت العنف المدرسي، باعتباره نتيجة للتفاعل بين التلميذ والمناخ المدرسي السائد بمؤسسته التعليمية. فالمناخ المدرسي ليس فقط إطارًا ماديًا أو إداريًا، بل هو نتاج لشبكة معقدة من التفاعلات الاجتماعية، والمعايير القيمية التي تميز كل مؤسسة على حدة. وقد استند جانوز وشركاؤه في إرسائه لنموذجه النظري على أعمال و Gottfredson(1984) وMoos(1979) في تقييم البيئات التعليمية، وبمراجعة لأدبيات المناخ المدرسي(Roeser,Migdely et al,1996; Goodenow,1993; Eccles and Migdely,1989). وينبني المناخ المدرسي، حسب هذا النموذج على ست أبعاد تتفاعل فيما بينها، وتؤثر جودتها في انخراط التلاميذ في الحياة المدرسية لمؤسستهم التعليمية وفي أدائهم المدرسي. وتتحدد هذه الأبعاد كما يلي:

أولا- البعد العلائقي: قمنا بدمج البعدين (علاقة التلاميذ بالمدرسين والعلاقة التلاميذ في بُعد واحد وهو البثعد العلائقي)، حيث تشكل كل من العلاقات الأفقية "بين التلاميذ أنفسهم"، والعلاقات العمودية "بين التلاميذ والمدرسين" دعامة أساسية في بنية المناخ المدرسي، كما حددها جانوز ورغم اختلاف طبيعة هذين النوعين من العلاقات، فإنهما يتداخلان بشكل وثيق في التأثير على التجربة المدرسية للتلميذ وسلوكياته داخل الجماعة.فمن جهة، تؤثر علاقات التلاميذ فيما بينهم على تطور الشعور بالانتماء أو

العزلة، بالتقدير والقبول أو بالرفض والنبذ. فالتفاعل الإيجابي بين الأقران يغذي مناخًا من الدعم والتضامن، ويقلل من فرص تنامي العنف المدرسي، بينما يؤدي تفشي الصراعات أو الهيمنة أو التنمر إلى بيئة مشحونة تولّد سلوكيات عدوانية وردود فعل دفاعية. ومن جهة أخرى، فإن علاقة التلميذ بالمدرس تظل مرجعًا حاسمًا في تأطير هذه العلاقات الأفقية، إذ تلعب دورًا تنظيميًا ونموذجيًا في الوقت ذاته. فعندما يُظهر المدرسون سلوكًا قائمًا على الاحترام والعدالة والإنصات، فإنهم لا يؤسسون لعلاقة صحية مع التلميذ فحسب، بل يقدمون نموذجًا يحتذى به في كيفية إدارة التفاعلات الاجتماعية والنزاعات، مما ينعكس على أسلوب التلاميذ في تعاملهم مع بعضهم البعض. فسلوك التلاميذ ليس نتاجا فقط لدوافع داخلية وإنما ينتج أيضا عن طريق التعلم من الاخرين الذين يعتبرهم نماذج وقدوة في بيئته" جماعة الاقران المدرسية ومُدرسيه". (Bandura,1977)

كما أن التلميذ الذي يشعر بأنه محترم ومسموع من طرف مدرسيه، يكون أقل ميلًا للتعبير عن الإحباط بالعنف أو العدوان، ويكون أكثر قدرة على التحكم في مشاعره والانخراط في علاقات سوية مع زملائه. وفي المقابل، عندما تكون علاقة التلميذ بالمدرس متوترة أو قائمة على السلطة الصرفة دون دعم أو عدالة، فإن ذلك يزيد من احتمالات نشوء علاقات عدوانية بين التلاميذ أنفسهم، في نوع من الإسقاط أو التفريغ الانفعالي. و التفاعل بين هذين البعدين يعكس دينامية دقيقة، إذ أن تحسين العلاقة بين التلميذ والمدرس يهيئ الأرضية لتطور علاقات إيجابية بين التلاميذ، والعكس صحيح فبيئة القسم التي يسودها التعاون والاحترام بين الأقران تتيح للمدرس فرصًا أفضل لبناء علاقة قائمة على الثقة والدعم مع المتعلمين.

فجودة البعد العلائقي بين التلاميذ، وبينهم وبين المدرسين، تعتبر مرآة للجو العام الذي يسود الحياة المدرسية. وتلعب تؤدي دورًا مهما في تشكيل تجاربهم النفسية والسلوكية. ذلك أن المناخ العلائقي الإيجابي الذي يسوده الاحترام المتبادل بين التلاميذ. و تشجع فيه المدرسة على العمل الجماعي والتعاون بدل التنافس غير الصحي. و يتم فيه التصدي الفعّال للتنمر والأفعال العدوانية، يخلق جوًا من الأمان النفسي والاجتماعي، و يعزز شعور التلاميذ بالانتماء، ويحد من التوتر، ويقلل من إقبال التلاميذ على السلوكيات العدوانية. (reddy et al,2003) أما عندما يسود التمييز، أو التنمر، أو الإقصاء الاجتماعي بين التلاميذ، يزداد خطر التوترات النفسية والانفعالات العدوانية بينهم كرد فعل دفاعي أو هجومي. حيث أكدت دراسة لـ(Espelage & Swearer (2004 أن ضعف العلاقات بين التلاميذ داخل البيئة المدرسية يرتبط مباشرة بارتفاع معدلات السلوك العدواني، سواء اللفظي أو الجسدي.

ثانيا–المناخ التربوي: يُعتبر المناخ التربوي أحد الأبعاد المركزية في نموذج جانوز للمناخ المدرسي، ويُقصد به مجموع الخصائص المتعلقة بكيفية تنظيم العملية التعليمية داخل المدرسة، من حيث استراتيجيات التدريس، تنظيم الأنشطة الصفية، وضوح التوقعات ،تحفيز المتعلمين، مدى الاستفادة من القدرات الفردية، وتوفر الدعم الأكاديمي. و يؤكد جانوز أن المناخ التربوي لا يقتصر فقط على جودة المعارف التي تُنقل داخل الفصل الدراسي، بل يشمل الكيفية التي يتم بها نقل هذه المعارف، والسياق الذي يعيش فيه التلميذ تجربة التعلم. ويشمل ذلك الطريقة التي يُنظَّم بها الصف، كيف يتم التعامل مع أخطاء التلاميذ، مستوى التحدي والتمكين، ومدى إتاحة المجال للتعبير والمشاركة.(Bear et al,2013)

فعندما تكون القواعد الصفية واضحة، ويُفهم منها ما هو مقبول وما هو مرفوض، يقل الغموض والقلق لدى التلاميذ، ويزداد شعورهم بالاستقرار والانضباط الذاتي. و على العكس من ذلك، غموض المعايير أو تباينها بين الأقسام يولد التوتر ويفتح المجال لسلوكيات عدوانية كرد فعل على الشعور باللاعدالة أو التهميش. حيث يؤكد جانوز على أهمية أن يشعر كل تلميذ بأن جهوده معترف بها، وأن لديه فرصة للنجاح الأكاديمي. و في غياب هذا التحفيز، قد يلجأ بعض التلاميذ إلى التعبير عن الإحباط من خلال سلوكيات عدوانية أو انسحابية، باعتبارهم "فاشلين" في النظام المدرسي. فالتفاعل الايجابي بين المدرس والتلاميذ بالفصل الدراسي التفاعل الإيجابي داخل القسم ،حيث تُشجع النقاشات، وتُحترم الآراء، ويُعامل التلميذ كشريك في التعلم لا كمجرد متلقٍ فقط. فإن هذه التفاعلات، تقلص من مشاعر القهر والانفعال التي غالبًا ما تتحول إلى رد فعل عدواني. فالمناخ التربوي، كما حدده جانوز، هو مرآة حقيقية لروح المؤسسة المدرسية. ليس فقط لأنه يضبط دينامية التعلم، بل لأنه يشكل ساحة يتفاعل فيها التلميذ مع ذاته، ومع الآخر، ومع السلطة الرمزية للمدرسة. وكلما كان هذا المناخ قائمًا على العدل، الاحترام، والتحفيز، كلما ضعُف احتمال لجوء التلميذ إلى السلوك العدواني، وكلما ازدادت فاعلية المؤسسة في تحقيق أدوارها التربوية والوقائية في آن واحد. (Janosz et al,1998;Thapa et al,2013 ;Cohen et,2009)

ثالثا–الشعور بالامان: يُعتبر "الشعور بالأمان" أحد الأبعاد المحورية في نموذج جانوز للمناخ المدرسي، ويرتبط بمدى إدراك التلميذ للاستقرار، الحماية، والأمن داخل الوسط المدرسي. وهذا الأخير لا يُفهم فقط من خلال غياب العنف الجسدي، بل يُقاس أيضًا بمدى شعور التلميذ بأنه محمي من الإهانة، التهميش، التنمر، أو التمييز، سواء من قبل الأقران أو الكبار داخل المؤسسة. و يتألف هذا البعد من عدة عناصر

متداخلة، من أبرزها شعور التلميذ بالأمان الجسدي الذي يتحدد بغياب التهديدات أو الاعتداءات البدنية داخل الفضاء المدرسي (الفصول، الساحات، الممرات...). و يشير أيضًا إلى توفر آليات الحماية، مثل يقظة الطاقم الإداري، وجود قواعد صارمة ضد العنف، وآليات التدخل السريع في حال وقوع أحداث عنف. ثم الأمان النفسي والعاطفي، و يُقصد به شعور التلميذ بالقبول غير المشروط، وقدرته على التعبير عن ذاته دون الخوف من السخرية أو النبذ. كما تلعب الثقة في البالغين "المدرسين، الإدارة، المراقبين" دورا أساسيا في استقرار شعوره الداخلي بالأمان. حيث يشعر التلميذ أن الكبار في المدرسة قادرون على حمايته. و في المقابل، فإن ضعف ثقة التلميذ، في قدرة أو رغبة البالغين على التدخل لصالحه، يعمّق لديه الإحساس بالخطر أو الإهمال، مما يُنتج إما انسحابًا اجتماعيًا أو انخراطًا في سلوكيات دفاعية عدوانية، ذلك أن جزءا كبيرا من الشعور بالأمان ينبع من وضوح القواعد المدرسية وثباتها، فحين يدرك التلميذ أن القوانين تُطبق على الجميع بنفس الطريقة، يشعر بأن النظام المدرسي يحميه. أما عندما تسود الفوضى و التمييز، فإن الغموض يخلق شعورًا بالخوف ويفتح المجال للاضطراب.(Debarbieux,1996;Janosz,1998 ;Astor et al ,2009 ;Thapa et al,2013)

ويعتبر جانوز الشعور بالأمان من أهم العوامل الوقائية من العنف. حيث يرى أن عدم شعور التلميذ بالأمان داخل المدرسة يُعد من أقوى المحددات لانفجار السلوكيات العدوانية أو الدفاعية، كالعدوان، التهديد، أو الانتماء إلى مجموعات منحرفة توفر له نوعًا من "الحماية".و بالمقابل يزيد الشعور بالأمان من احتمال التزام التلميذ بالقواعد المدرسية، ويعزز ثقته في المدرسين، مما يُسهم في الحد من النزاعات والصراعات اليومية.(Janosz et al,1998)

رابعا– الشعور بالإنصاف: ويتحدد بمدى إدراك التلميذ، لعدالة المؤسسة التعليمية في تعاملها مع التلاميذ. سواء من حيث التقييم، الانضباط، أو توزيع الفرص والمسؤوليات. و لا يرتبط هذا البعد فقط بالقوانين أو اللوائح، بل بأسلوب تطبيقها وبالطريقة التي يُعامَل بها التلميذ من طرف المدرسين و الأطر الإدارية للمؤسسة التعليمية. و يمكن تفكيك الشعور بالإنصاف حسب جانوز إلى ثلاث مكونات أساسية، تتحدد بإدراك التلميذ للإنصاف، في التعامل مع قواعد الانضباط. عندما تُطبّق بشكل متساوٍ على الجميع دون تمييز أو تفضيل. وبسيادة الإنصاف في التقييم الدراسي حيث يدرك التلميذ أن تقويم مجهوداته يتم بموضوعية وشفافية، بناءً على معايير واضحة ومعلنة. فالغموض أو التحيز في التنقيط أو

المقارنة بين التلاميذ يزرع الإحباط، ويُنتج شـــعورًا بالإقصـــاء الذي يُغذي الســـلوكيات العدوانية أو الانسحابية. ثم الإنصاف في العلاقات الإنسانية داخل المدرسة والذي يشمل طريقة تعامل الطاقم التربوي مع التلاميذ على مستوى الاحترام، الإصغاء، توزيع الاهتمام والدعم. كما أن غياب التكافؤ في العلاقات بين التلاميذ أنفسهم، وتغاضي المدرسة عن التمييز أو التنمر، يُقوّض الإحساس بالعدالة ويشجع على العنف كتعبير عن الرفض.(cornell et al,2016)

خامسا–الشعور بالإنتماء: اعتبر ميشال جانوز (Janosz,1998) أن الشعور بالانتماء هو البعد المحوري الأكثر تأثيرًا ضمن أبعاد المناخ المدرسي، لأنه يؤثر في باقي الابعاد ويعتبر نتاجا لها في نفس الوقت. فإدراك التلميذ للمدرسة كبيئة محفزة للتعلم و ذات معنى، وله فيها دور ومكانة، ويشعر فيها بالتقدير والاحترام والإنصاف والاعتراف، يؤسس لشعوره بالانتماء. وهذا الشعور يؤثر في انخراطه في الانشطة المدرسية وخضوعه لقيم ومعايير المدرسة، وتفاعله مع أفرادها. و يتطور شعور التلميذ بالانتماء للمدرسة كجماعة سيكولوجية تلعب دورا كبيرا في تنشئته الاجتماعية، انطلاقا من شعوره بأنه مقبول وغير منبوذ. فغياب هذا القبول، يخلق عزلة اجتماعية تُغذي مشاعر الرفض والغضب، يُمكن أن تتحول إلى سلوكيات عدوانية. ويتمظهر شعور التلميذ بالانتماء بتعبيره عن حبه للمدرسة، وارتباطه بها وجدانيًا، واستعداده للمشاركة في أنشطتها، والانخراط في مشروعها التربوي. حيث أكدت العديد من الدراسات أن التلاميذ الذين لديهم شعور قوي بالانتماء يُظهرون التزامًا أكبر بالقوانين وخضوعا أكبر للسلطة التربوية.(Osterman,2000) كما يتمظهر الشعور بالانتماء، في إحساس التلميذ بالهوية المشتركة، التي تتجلى في مدى إدراكه لاشتراكه مع أفراد المدرسة في قيم وسلوكيات وأهداف تنتمي إلى ثقافة المدرسة، ما يُعزز تماسك المجموعة وتضامنها. و ضعف الشعور بالانتماء يُعتبر من أبرز العوامل المهيّئة لتبني سلوكيات عنيفة داخل المدرسة. فالانتماء حاجة نفسية أساسية، و المدرسة ليست فقط فضاء للتعلم، بل هي أيضًا جماعة سيكولوجية ذات أهمية بالنسبة للتلميذ لاتقل عن اهمية الأسرة، يحتاج للشعور بالانتماء لها والارتباط بأفرادها. وعندما يُحرم التلميذ من هذا الشعور، فإنه يعبر عن حاجته للتقدير والاعتراف أحيانًا عبر العنف، إما كوسيلة للفت الانتباه أو لفرض الذات.(Janosz et al,1998 ; Osterman,2000)

3.استثمار النموذج النظري لجانوز في الوقاية من العنف وتجويد الحياة المدرسية

يشكل النموذج النظري الذي اقترحه جانوز وشركاؤه (Janosz,1998) حول المناخ المدرسي مرجعًا نظريًا وتطبيقيًا غنيًا، أتاح للباحثين والممارسين التربويين فرصة لفهم أعمق لطبيعة البيئة المدرسية وآثارها على سلوكيات التلاميذ وانخراطهم المدرسي. يقوم هذا النموذج على خمسة أبعاد مركزية: البعد العلائقي الذي يتأسس على جودة العلاقات بين التلاميذ، وجودة العلاقة مع المدرسين، وبُعد الشعور بالأمان، و بُعد الشعور بالإنصاف، ثم بُعد الشعور بالانتماء، وهي أبعاد تتفاعل فيما بينها لتنتج مناخًا مدرسيًا قد يكون محفزًا أو مثبطًا، آمناً أو مهددًا، عادلاً أو مجحفًا.

حيث أكد جانوز وشركاؤه في العديد من الدراسات الميدانية(Janosz et vezeau,2007; Janosz et al,1993;Janosz et al,1996; al,2010 ;Janosz et al,2007) أن هذه الأبعاد، ليست فقط مؤشرات على جودة الحياة المدرسية، بل تشكل كذلك عوامل وقاية أساسية من السلوكيات العنيفة، والانحرافات السلوكية. فمثلاً، يُظهر البعد المتعلق بالشعور بالانتماء مدى اندماج التلميذ في الحياة المدرسية، حيث يؤدي ضعفه إلى انخراطه في سلوكيات عدوانية كرد فعل على الشعور بالرفض أو التهميش. كما أن غياب الشعور بالأمان يولّد مناخًا من التوتر والعنف الدفاعي، فيما يُسهم الشعور بالإنصاف في بناء ثقافة مدرسية تقوم على العدالة والمساواة.

وفي إطار استثمار هذا النموذج، قام جانوز وفريقه (Janosz et al., 2007)، بتطوير مقياس للمناخ المدرسي، يهدف إلى تقييم جودة المناخ السائد بالمؤسسة التعليمية، من خلال قياس إدراكات التلاميذ لأبعاد المناخ الستة المشار إليها. ويتميز هذا المقياس بكونه لايرتكز فقط على تقييم البيئة المادية أو البيداغوجية للمدرسة، بل يستهدف إدراك التلاميذ لهذه البيئة، مما يجعل منه أداة فعالة في تشخيص المشكلات وتوجيه التدخلات التربوية. و قد أثبت المقياس فعاليته من خلال عدة دراسات، حيث استُخدم في دراسة Janosz et al. (2008)، لفحص العلاقة بين أبعاد المناخ المدرسي ومستوى الانضباط والسلوكيات العدوانية في المدارس الثانوية الكندية. وتوصلت النتائج إلى أن المدارس التي سجلت إدراكا إيجابيا لأبعاد المناخ الستة، كانت أقل عرضة لظهور العنف المدرسي، كما تميزت بانخراط مدرسي أعلى. كما تم اعتماده على نطاق واسع في العديد من الدراسات من بينها دراسة (Brault,2004) التي أكد من خلالها تأثير جودة المناخ المدرسي على التحصيل الدراسي للتلاميذ، كما تم اعتماد المقياس في

المقارنة بين جودة المناخ المدرسي المدرك من التلاميذ في سياقات تعليمية مختلفة كالمقارنة بين المدارس النظامية والمدارس البديلة(Deslandes,2021). إن النموذج الذي اقترحه جانوز لا يُمثل فقط أداة لتقييم المناخ المدرسي، بل يوفر إطارًا عمليًا للإصلاح والتقويم، يقوم على التفاعل بين أفراد المدرسة و المكونات النفسية والاجتماعية والتربوية للمناخ المدرسي. مما يجعله أحد أكثر النماذج نجاعة في مقاربة ظاهرة العنف في السياقات المدرسية الحديثة. حيث يمكن استثمار هذا النموذج النظري ومقياس المناخ المدرسي (Janosz et al,2007)، في بناء تدخلات وقائية ترتكز على تقييم المناخ المدرسي، و الوقوف على مواطن الضعف والخلل في البيئة المدرسية، لتجويد الحياة المدرسية من خلال الحرص على تعزيز العلاقات الإيجابية بين التلاميذ والمدرسين، و بناء آليات مدرسية تكفل الشعور بالعدالة والإنصاف في المعاملة. وتطوير بيئة مدرسية يشعر فيها التلاميذ بالأمان والاحترام. بالعمل على إدماج أنشطة مدرسية، تهدف إلى تقوية الشعور بالانتماء والهوية الجماعية داخل المؤسسة. كما يمكن استخدام نتائج مقياس جانوز بشكل دوري لتقييم ولتقويم المناخ المدرسي، وتوجيه السياسات المدرسية بما يعزز البعد الوقائي من السلوكيات المعادية لقيم المدرسة.

خاتمة:

خلاصة القول، يُظهر التحليل النظري، لنموذج ميشال جانوز (1998)، حول المناخ المدرسي أن البيئة المدرسية، لا تُعد فقط عاملاً مساعداً في تشجيع التعلم والتحصيل الدراسي، بل تُشكّل مكوناً حاسماً في الوقاية من السلوكيات العنيفة وتجويد الحياة المدرسية. فقد بيّن النموذج أن أبعاد المناخ المدرسي؛ العلاقات بين التلاميذ، علاقة التلاميذ بالمدرسين، المناخ التربوي، الشعور بالأمان، الشعور بالإنصاف، ثم الشعور بالانتماء. تعتبر محددات غاية في الأهمية لضمان الانضباط، والاندماج والصحة النفسية، والتفاعل الاجتماعي للتلاميذ داخل المدرسة. و يتجلى تميز هذا النموذج في كونه لا يكتفي بتقييم المناخ المدرسي، بل يقدم آلية تفسيرية لظهور السلوك العدواني في سياق اختلال أبعاده. كما يتيح أدوات عملية للتشخيص والتدخل، أبرزها مقياس المناخ المدرسي الذي طوّره جانوز وشركاؤه سنة 2007، والذي تم اعتماده، في دراسات متعددة بمختلف السياقات التربوية. وعليه، فإن استثمار هذا النموذج، يمثّل مدخلاً استراتيجياً لكل الفاعلين التربويين الراغبين في بناء مدرسة دامجة، عادلة، وآمنة، تشجع على النجاح في بيئة مدرسية

امنة وخالية من العنف، مما يفرض مواصلة البحث في سبل تكييف وتطبيق هذا النموذج داخل المنظومات التربوية العربية.

لائحة المراجع

- Anderson, C. S. (1982). The search for school climate: A review of the research. Review of Educational Research, 52(3), 368–420.
- Astor, R. A., Guerra, N. G., & Van Acker, R. (2010). How can we improve school safety research? Educational Researcher, 39(1), 69–78. https://doi.org/10.3102/0013189X09357619
- Bandura, A. (1977). *Social Learning Theory*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Bear, G. G., Yang, C., & Pasipanodya, E. (2015). School climate predictors of school suspensions and student engagement: A longitudinal study. School Psychology Quarterly, 30(1), 1–16.
- Benbenishty, R., & Astor, R. A. (2005). School violence in context: Culture, neighborhood, family, school, and gender. Oxford University Press. https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780195157802.001.0001
- Bradshaw, C. P., Sawyer, A. L., & O'Brennan, L. M. (2009). A social disorganization perspective on bullying-related attitudes and behaviors: The influence of school context. American Journal of Community Psychology, 43(3-4), 204–220.
- Brault, M. C. (2004). L'influence du climat scolaire sur les résultats des élèves: effet-établissement ou perception individuelle?.
- Cohen, J., McCabe, E. M., Michelli, N. M., & Pickeral, T. (2009). School climate: Research, policy, teacher education and practice. Teachers College Record, 111(1), 180–213.
- Chouinard, R., Bergeron, J., Vezeau, C., & Janosz, M. (2010). Motivation et adaptation psychosociale des élèves du secondaire selon la localisation socioéconomique de leur école. Revue des sciences de l'éducation, 36(2), 321-342.
- Deslandes Martineau, M. (2021). Comparaison de l'environnement socioéducatif d'une école alternative et d'une école régulière: une étude exploratoire.

- Durlak et al., 2011 Durlak, J. A., Weissberg, R. P., Dymnicki, A. B., Taylor, R. D., & Schellinger, K. B. (2011). The impact of enhancing students' social and emotional learning: A meta-analysis of school-based universal interventions. Child Development, 82(1), 405–432. https://doi.org/10.1111/j.1467-8624.2010.01564.x
- Eccles, J.S., & Midgley, C. (1989). Stage environment fit: Developmentally appropriate classrooms for young adolescents. In C. Ames & R.Ames (Eds.), Research on motivation in education (Vol 3, pp. 139-186). San Diego : Academic Press.
- Eccles, J. S., & Roeser, R. W. (2011). Schools as developmental contexts during adolescence. *Journal of Research on Adolescence, 21*(1), 225–241. https://doi.org/10.1111/j.1532-7795.2010.00725.x
- Fraser, B. J. (1986). Classroom environment. London: Croom Helm.
- Gottfredson, D.C. (1984). The effective school battery: Users manual. JohnHopkins University:
- Psychological Assesment Resources.
- Haynie, D. L., Nansel, T., Eitel, P., Crump, A. D., Saylor, K., Yu, K., & Simons-Morton, B. (2001). Bullies, victims, and bully/victims: Distinct groups of at-risk youth. The Journal of Early Adolescence, 21(1), 29–49.
- Janosz, M., Archambault, I., Morizot, J., & Pagani, L. S. (2008). School engagement trajectories and their differential predictive relations to dropout. Journal of social Issues, 64(1), 21-40.
- Janosz, M., & Bouthillier, C. (2007). Rapport de validation du Questionnaire sur l'Environnement Socioéducatif des écoles secondaires (QES-secondaire). Montréal: Université de Montréal.
- Janosz, M., Georges, P., & Parent, S. (1998). L'environnement socioéducatif à l'école secondaire: un modèle théorique pour guider l'évaluation du milieu. Revue canadienne de psycho-éducation, 27(2), 285-306.
- Janosz, M., & Le Blanc, M. (1996). Pour une vision intégrative des facteurs reliés à l'abandon scolaire. Revue Canadienne de Psycho-éducation, 25(1), 61-88.
- Janosz, M., & Leclerc, D. (1993). L'intervention psychoéducative à l'adolesecondaire: intervenir sur l'individu ou sur son milieu? Revue Canadienne de Psycho-éducation, 22(1), 33-55.

- Lewin, K., Lippitt, R., & White, R. K. (1939). Patterns of aggressive behavior in experimentally created social climates. The Journal of Social Psychology, 10(2), 271–299.
- Litwin, G. H., & Stringer, R. A. (1968). Motivation and organizational climate. Boston: Harvard University Press.
- Moos, R.H. (1979). Evaluating educational environnements. San Francisco : Jossey Bass.
- Reddy, R., Rhodes, J. E., & Mulhall, P. (2003).The influence of teacher support on student adjustment in the middle school years: A latent growth curve study. Development and Psychopathology, 15(1), 119–138.
- Rutter, M., Maughan, B., Mortimore, P., & Ouston, J. (1979). Fifteen thousand hours: Secondary schools and their effects on children. Harvard University Press.
- Thapa, A., Cohen, J., Guffey, S., & Higgins-D'Alessandro, A. (2013). A review of school climate research. Review of Educational Research, 83(3), 357–385. https://doi.org/10.3102/0034654313483907
- Osterman, K. F. (2000). Students' need for belonging in the school community. Review of Educational Research, 70(3), 323–367. https://doi.org/10.3102/00346543070003323
- Wang & Degol, 2016 Wang, M. T., & Degol, J. L. (2016). School climate: A review of the construct, measurement, and impact on student outcomes. Educational Psychology Review, 28(2), 315–352. https://doi.org/10.1007/s10648-015-9319-1
- Way et al., 2007 Way, N., Reddy, R., & Rhodes, J. (2007). Students' perceptions of school climate during the middle school years: Associations with trajectories of psychological and behavioral adjustment. American Journal of Community Psychology, 40(3-4), 194–213. https://doi.org/10.1007/s10464-007-9143-y

New Training and its Relationship to Digital Communication for Newly Hired Professors at Algerian Universities A Field Study on a Sample of Newly Hired Professors

Dr. Hank Fatiha1
University Mohamed El Bachir El Ibrahimi of Bordj Bou Arreridj –Algérie-
fatiha.hank@univ-bba.dz
Dr.Messouaka hanan [2]
University Mohamed El Bachir El Ibrahimi of Bordj Bou Arreridj –Algérie-
hanan.messouka@univ-bba.dz
Dr. Maadadi Slimane[3]
University Abbas Laghrour, Khenchela–Algérie-
slimmad8340@gmail.com

Abstract:

Educational institutions are experiencing radical changes in their structures, performance standards, and functional structures, particularly in light of the new reforms taking place in Algerian higher education institutions. This has resulted in distance and hybrid learning, which requires university professors to master the use of technological tools and media. The latter requires specialized and intensive training to enable them to perform their teaching and research duties. Therefore, it has become imperative for Algerian universities to impose specific training for newly hired professors, in line with the requirements of the era characterized by information technology, digitization, and digital communication. This training should encompass a variety of levels and advantages that allow for the development of the skills and performance of newly hired professors in their teaching and scientific research tasks.

The refore, our study aims to know the relationship between the new training and digital communication of newly hired professors in the Algerian university by relying on the qualitative approach and the electronic interview as a research tool to collect data through social networking sites Facebook. Our sample is a number of new professors who have the characteristics of our study community.

Keywords: Algerian university, new training, digital communication, new professors.

التكوين الجديد وعلاقته بالاتصال الرقمي للأساتذة حديثي التوظيف بالجامعة الجزائرية
دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة الجدد

د. حنك فتيحة[1]

جامعة: محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج –الجزائر–

fatiha.hank@univ-bba.dz

د. مسواكة حنان[2]

جامعة: محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج –الجزائر–

hanan.messouaka@univ-bba.dz

د. معضادي سليمان[3]

جامعة: عباس لغرور خنشلة –الجزائر–

slimmad8340@gmail.com

ملخص:

تشهد مؤسسات التعليم تغيرات جذرية على مستوى هياكلها ومعايير أدائها وبنائها الوظيفي، خاصة في ظل الإصلاحات الجديدة التي عرفتها مؤسسات التعليم العالي الجزائرية، نتج عنها التعليم عن بعد والمدمج الذي يتطلب امتلاك الأستاذ الجامعي لمهارات التحكم في استخدام الوسائل والوسائط التكنولوجية، هذا الأخير يتطلب تكوينا خاصا ومكثفا من أجل تمكينهم من أداء مهامهم التدريسية والبحثية، مما أصبح لزاما على الجامعة الجزائرية فرض تكوين خاص للأساتذة حديثي التوظيف بما يتماشى ومتطلبات العصر الذي أصبح يتسم بالمعلوماتية و الرقمنة والاتصال الرقمي ليشمل العديد من المستويات والمزايا التي تسمح بتطوير مهارات وأداء الأستاذ حديث التوظيف في أداء مهام التدريس والبحث العلمي.

وعليه فإن دراستنا تهدف لمعرفة العلاقة بين التكوين الجديد والاتصال الرقمي للأساتذة حديثي التوظيف في الجامعة الجزائرية من خلال الاعتماد على المنهج الكيفي، والمقابلة الإلكترونية كأداة بحث لجمع البيانات عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك و عينتنا عبارة عن عدد من الأساتذة الجديد الذين تتميز فيهم خصائص مجتمع دراستنا.

الكلمات المفتاحية: ، التكوين الجديد، الاتصال الرقمي ، الأساتذة الجدد.

مقدمة:

يشهد النسق الجامعي تحولات و تغيرات رقمية على مستوى بناءها ووظائفها، وذلك بفعل الإصلاحات الجديدة التي تتسم بالرقمنة، والتعليم عن بعد هو من بين الممارسات الجديدة انتهجتها الجامعة الجزائرية كأسلوب جديد في بيئة التعليم الجامعي، فالاتصال الرقمي هذا يتميز بسمة تكنولوجية متطورة تدفع الى ضرورة امتلاك الأستاذ الجامعي لمهارة التحكم في استخدام هذه الوسائل التكنولوجية والتمكن من الأساليب المتطورة التي أضحت ضرورة في نجاح البيئة التعليمية.

وعليه النمط وبيئة التعليم الجديد، في ظل عملية الاتصال بين الأستاذ والطالب في تقديم المادة البيداغوجية أضحى يقدم بالأساليب التكنولوجية الجديدة ، أي ان مضمون عملية التدريس في ظل الإصلاحات الجديدة تقدم بأشكال جديدة في متناول الأساتذة والطلبة" روابط واب، يوتيوب...ّإلخ الأمر الذي يساهم في تشجيع الطلبة على الاقبال على التعليم والتواصل والانخراط في ندوات الدردشة والمناقشات للتعبير عن رأي ، بدل الطرق التقليدية للتواصل في تقديم العروض والبحوث

وعليه نسعى من خلال دراستنا هذه تشجيع الممارسات الاتصالية الرقمية بين الأساتذة والطلبة من أجل ترقية التعليم الجامعي في الجامعة الجزائرية و اكتساب معارف جديدة من خلال التكوين عن بعد الذي اعتمدته خلية التكوين عن بعد بجامعة قسنطينة في تكوينها للأساتذة حديثي التوظيف ، حيث يرتكز هذا التكوين على الممارسات البيداغوجية الحديثة التي تعزز التفاعل بين الطلاب وتعزز الفهم العميق والتطبيق العملي في عملية التعلم. من خلال استخدام أحدث الطرق والأساليب التدريسية، يمكن للأساتذة الجامعيين تحسين جودة تعليمهم وتقديمهم للدروس

ومن هذا المنطلق فإن دراستنا تلقي الضوء عن واقع **فعالية التكوين الجديد للأساتذة حديثي التوظيف في ظل الاتصال الرقمي بالجامعة الجزائرية**، ومن هنا تتمحور الإشكالية بالسؤال الرئيسي:

كيف يؤثر فعالية التكوين الجديد للأساتذة حديثي التوظيف في ظل الاتصال الرقمي بالجامعة الجزائرية؟

أهداف الدراسة: نسعى من خلال هذه الدراسة الى تحقيق مايلي:

- محاولة الكشف عن العلاقة بين التكوين الجديد وعلاقته بالاتصال الرقمي للأساتذة الجدد
- محاولة التعرف على البرامج و أساليب التكوين الجديدة وأثرها على الأداء الوظيفي الأساتذة الجدد

- معرفة فعالية هذه البرامج في الرفع من مهارات التدريسية ، الاتصالية لدى ا الأساتذة الجدد
- معرفة كيف يؤثر هذا التكوين في مضمون عملية التدريس بالأساليب وطرق الرقمية الحديثة

أهمية الدراسة:

تركز الدراسة على أهمية تكوين الأساتذة حديثي التوظيف في تقنيات تكنولوجيات الحديثة و الاتصال الرقمي الفعال لنجاح الوسط الأكاديمي.

فرضيات الدراسة:

1. تؤثر برامج و أساليب التكوين الجديدة في رفع مهارات الاتصال لدى الأستاذ الجامعي حديثي التوظيف

2. تؤثر برامج التكوين والتعليم الجديدة على مضمون عملية التدريس بالأساليب وطرق الرقمية الحديثة

أولا: الإطار المفاهيمي للدراسة:

تتضمن هذه الدراسة مجموعة من المفاهيم الإجرائية وفق ميدان الدراسة أهمها:

1. التعريف الإجرائي للتكوين الجديد

فهو التكوين الذي أقرته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2016 الذي يقر بإخضاع جميع الأساتذة الناجحين في مسابقة التوظيف أستاذ مساعد ب لدورات تكوينية حضورية ورقمية عن بعد طول السنة الأولى من التوظيف التي يكون فيها الأستاذ متربصا.

2. التعريف الإجرائي الإتصال الرقمي

هو استخدام الوسائل والأدوات التقنية لضمان اتصال الاساتذة بالطلبة من خلال استخدام منصات التعليمية الالكترونية وبرامج وتطبيقات التواصل الأخرى مثل **zoom**، **meet**، **chat**، **forum**، ...إلخ.

3. التعريف الإجرائي للأساتذة حديثي التوظيف

هم الأساتذة المساعدون صنف (ب) الحاملون لشهادتي الماجيستير والدكتوراه بمختلف التخصصات العلمية والأدبية تفوقوا في مسابقة التوظيف ويخضعون لقرار للتكوين الجديد ويدرسون بالجامعة الجزائرية.

ثانيا: الإطار الإجرائي للدراسة:

1. المنهج:

استدعت الضرورة المنهجية لاستخدام المنهج الكيفي: ويعرف بأنه " مجموعة الاجراءات التي تسمح بتحديد الظاهرة" (**موريس أنجرس، 2006، صفحة 306**)بالاستعانة بتقنية تحليل المحتوى وذلك لعدد من مؤشرات المقابلة وحاجتنا خاصة الى التحليل لفئوي :" من خلال تقسيم المحتوى الى منظومة من الافكار التي لها علاقة بالإشكالية واهداف الدراسة" (**يوسف تمار، 2007، صفحة 24**)أي للمعطيات الميدانية، حيث تنوعت الفئات في موضوعنا من فئات **الهدف والوسائل والموقف والاتجاه** الا ان الغالبية فيها **لفئة الموقف والوسائل** والتي لها أهمية في التحليل.

2. عينة وأدوات الدراسة

مجتمع الدراسة هو الاساتذة حديثي التوظيف 2023، في كل التخصصات الذين يجرون تكوينا بيداغوجيا عن بعد للموسم الجامعي 2024/2023 وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على العينة القصدية و أداة المقابلة الالكترونية كأداة رئيسية وهي "هي الشكل غير المباشر للمقابلة حيث تم الاستعانة بالأنترنيت داخل مجموعات". حيث تم توزيعها إلكترونيا على مجموعة من الأساتذة من مختلف الجامعات الجزائرية، على المجموعات الخاصة بتكوين قسنطينة TIC ، في مواقع التواصل الاجتماعي على الفايسبوك و ماسنجير و تم تحصيل آليا 28 مقابلة.

ثالثا: عرض وتحليل بيانات

1. عرض نتائج خصوصية العينة:

الجدول رقم 1: يوضح جنس المبحوثين

الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	انثى	24	%85.71
02	ذكر	4	%14.29
المجموع		28	%100

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن أعلى نسبة كانت للأساتذة الإناث والتي قدرت بـ **85.71%**، تقابلها نسبة **14.29**% للأساتذة الذكور، وهدا يفسر سيطرة واقبال الاناث على وظيفة التدريس

الجدول رقم 2: يوضح سن المبحوثين

الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	33-29	15	%53.57
02	39-34	11	%39.29
03	40 فما فوق	2	%7.14
المجموع		28	%100

يتضح من الجدول اعلاه أن أعلى نسبة في فئة الاساتذة الذين تتراوح أعمارهم بين **[29-33]** حيث قدرت بـ**53.57%**ثم تليها نسبة **39.29%** لفئة السن **[34-39]**، واخيرا فئة السن [40 فما فوق بنسبة **7.14%**، ونستنتج مما سبق أن أغلبية الأستاذة المتربصين شباب ويمكن تفسير دلك لقدرة الشباب علة استخدام التكنولوجيات الحديثة وولوجهم للعالم الرقمي

الجدول رقم 3: يوضح الحالة العائلية للمبحوثين

الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	اعزب(اء)	12	%42.86
02	متزوج (ة)	15	%53.57
03	مطلق(ة)	1	%3.57
المجموع		28	100%

نلاحظ من خلال نتائج هذا الجدول أن أعلى نسبة كانت لفئة الأساتذة العزاب قدرت ب **53.57%** ثم تليها مباشرة فئة الأساتذة المتزوجين بنسبة **42.86%**، آخر نسبة في المجموع **3.57%** لفئة المطلقين. ونستنتج مما سبق أن أغلبية الأستاذة الذين تم توظيفهم متزوجون ونسبة اقل منهم عزاب

الجدول رقم 4: يوضح سكن المبحوثين

الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	ريفي	7	25
02	شبه حضري	9	%32.14
03	حضري	12	%42.86
المجموع		28	%100

يتضح من الجدول اعلاه أن أعلى نسبة في فئة الاساتذة الذين يقطنون في الحضر بنسبة **42.86%**، ثم تليها فئة الشبه حضري بنسبة **32.14%**، واخيرا فئة الاساتذة الذين يقطنون في الريف بنسبة **25%** ونستنتج مما سبق أن أغلبية الأستاذة الذين تم توظيفهم يقطنون الحضر

2. عرض تحليل نتائج فرضية الأولى

الجدول رقم5: يوضح تعامل المبحوثين مع البرامج التعليمية opale_vue....إلخ

فئة وسائل			
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**برامج ينقصها التلائم مع اللغة العربية**	**3**	**%08.57**
02	**برامج تحسن من مستوى التعليم الرقمي للأستاذ**	**20**	**%57.14**
03	**برامج سهلة الاستخدام تحتاج الى الوقت الكافي لتطبيق الدروس**	**12**	**%34.29**
	المجموع	***35**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

يتضح من خلال نتائج الجدول أن أعلى **نسبة 57.14%** كانت لوحدة التحليل رقم 2" برامج تحسن من مستوى التعليم الرقمي للأستاذ، ثم يليها وحدة 3 " برامج سهلة الاستخدام تحتاج الى الوقت الكافي لتطبيق الدروس " **بنسبة قدرت ب 34.29%**،**وآخر نسبة 08.57%** برامج ينقصها التلائم مع اللغة العربية، حيث يتضح تجربة الأساتذة الجدد، نحو قدرتهم في استخدام برامج _opale_ vue _ canva_LibreOffice _.....إلخ كانت فعالة في تحسين أداءه، وتجاوز كامل المعوقات والمشاكل التي كانت تصادفهم، وعليه فكل ما وفرته هذه البرامج ساعدا الاستاذ حديث التوظيف في تطوير مهاراته وممارساته التقنية في التدريس وعديد من الاساتذة يرغبون في زيادة معارفهم نحو البرامج التي قد تزيد من جودة أداءهم التعليمي، بشرط توفر الوقت الكافي للتكيف مع هذه البرامج لتطبيقها على المحتوى التعليمي بكل كفاءة

الجدول رقم 6: يوضح توفيق المبحوثين بين مهامكم التدريسية وانشطة الورشات

الرقم	الوحدات	فئة هدف التكرار	النسبة
01	وفقت بشكل جيد	5	%17.86
02	لم أوفق	3	%10.71
03	ووفقت بشكل مرضي	20	%71.43
	المجموع	28	%100

نلاحظ من خلال نتائج الجدول ان اعلى نسبة كانت في مؤشر وفقت بشكل مرضي بين المهام التدريسية و انشطة الورشات والتي قدرت ب **71.43% ثم تليها نسبة 17.86%** لمؤشر وفقت بشكل جيد واخيرا مؤشر لم اوفق بين المهام التدريسية وانشطة الورشات والتي قدرت بنسبة 10.71% وهذا يفسر أن مشاركة الاساتذة المتربصين في ورشات انشطة التكوين عن بعد، يأخذ أوقات كبيرة في انجازها بنجاح الأمر الذي زاد من صعوبة تنظيم الوقت للتدريس بكل كفاءة و إيجاد أنجع الطرق في التوازن و التوفيق بين مهامهم التدريسية وانشطة الورشات

الجدول رقم 7: يوضح تقييم الباحثين بعد الانتهاء من انجاز الورشات نحو تكنولوجيا الاتصال

الرقم	الوحدات	فئة هدف التكرار	النسبة
01	أصبحت أتحكم فيها بشكل جيد	7	%25
02	تحسن ملحوظ وأحاول التحكم قدر المستطاع	15	%53.57
03	لي خبرات سابقة في هذا المجال	6	%21.43
	المجموع	28	%100

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه ان اعلى نسبة كانت في مؤشر تحسن ملحوظ وأحاول التحكم قدر المستطاع نحو تكنولوجيات الاتصال والتي قدرت **بـ 53.57%ثم تليها نسبة 25%** لمؤشر أصبحت أتحكم فيها بشكل جيد" واخيرا مؤشر لي خبرات سابقة في تكنولوجيا الاتصال " والتي قدرت بنسبة

21.43% وعليه تبرز النتائج أن غالبية الاساتذة الجدد الذين شاركوا في انجاز الورشات عن بعد قد اكتسبوا مهارة التحكم في مختلف التكنولوجيات ، الأمر الذي يعكس بالإيجاب على عملية التعليم بالتقنيات الحديثة والتي تزيد من قدرة التحكم في مختلف البرامج واستخدامها بشكل واحترافي في الوسط الأكاديمي

الجدول رقم 8: يوضح أفضل ورشة في الورشات المنجزة لها نجاعة أكثر في تعاملك مع الطالب

	فئة وسائل		
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**الورشة الأولى تخطيط الدرس والخريطة الذهنية**	**4**	**%14.28**
02	**الورشة الخاصة بالتحكم في تصميم وانشاء الدروس على منصة مودل وEDX**	**19**	**%67.86**
03	**كل الورشات**	**5**	**%17.86**
	المجموع	**28**	**%100**

حيث نلاحظ من خلال نتائج الجدول أن أعلى نسبة **67.86%** كانت لمؤشر الورشة الخاصة بالتحكم في تصميم وانشاء الدروس على منصة مودل و ، ثم يليها مؤشر"كل الورشات" بنسبة قدرت **ب 17.86% وآخر نسبة 14.28%** لمؤشر الورشة الأولى تخطيط الدرس والخريطة الذهنية وعليه فالورشات الخاصة بتصميم وانشاء الدرس في برنامج الأوبال ووضعه على المنصات مودل وEDX يحترم الهيكل البيداغوجي للدرس المصمم المناسب للطلبة، بعدها يتم إطلاق الدرس عبر الخط بصفة رسمية وعليه فهي ورشات ممتازة تستخدم أحدث تكنولوجيات التعليم عن بعد حسب راي أغلبية الاساتذة ، ساهمت في تطوير مهاراتهم في تصميم الدروس عبر الخط "درس على الخط" بشكل فعال وجيدّ، يجذب الطلبة ويدفعهم نحو التعلم داخل فضاء تواصلي تفاعلي.

الجدول رقم 9: يوضح أهم المهارات الاتصالية التي اكتسبها المبحوثين من خلال مشاركتكم في برامج الورشات التكوينية عن بعد

	فئة هدف		
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**التواصل والدردشة مع الأساتذة وتبادل الخبرات**	**12**	**%26.09**
02	**التحسين في وضع الدروس التفاعلية عبر المنصات**	**12**	**%26.09**
03	**تحسن مهاراتي في تخطيط محتوى بيداغوجي هجين**	**22**	**%47.82**
	المجموع	***46**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه ان اعلى نسبة كانت في مؤشر تحسن مهاراتي في تخطيط محتوى بيداغوجي هجين " قدرت **بـ 47.82%**ثم تليها نسبتان متساويتان تقدران **بـ 26.09%** لكل من مؤشر التواصل والدردشة مع الأساتذة وتبادل الخبرات" و " التحسين في وضع الدروس التفاعلية عبر المنصات" وعليه فمهارة تخطيط الدرس بمحتوى بيداغوجي يعتمد على منهجية تعليمية. سواء كان تقديم الدرس للطلبة عن بعد أو حضوريا. من خلال استخدم وسائل تقنية متنوعة في تقديم المحتوى التعليمي، هذه التقنيات الحديثة تخلق بيئة تعليمية محفزة للطلبة كإنتاج فيديوهات بيداغوجية، صور ، خرائط ذهنية ...ألخ ،كما سهلت **كل /FORUM/CHAT** و غيرها من أدوات التواصل الى تشجيع عملية تواصل الاستاذ داخل المنصة، بالإضافة اتاحة عدة لغات للاتصال والتفاعل بين المرافقين والأعضاء المتدربين داخل فضاء تواصلي تفاعلي، هذه المهارات تفتح مجال للنقاش الجماعي خلال عملية التكوين عن بعد، ما يسهل تبادل المعارف والخبرات بين الاساتذة المتربصين التي كانت الفضاء الذي يلتقي فيه الأساتذة المعنيين بهذا التكوين من مختلف الجامعات .

الجدول رقم 10: يوضح أهم النقائص التي تداركها المبحوثين في مشاركتهم في التكوين عن بعد

فئة موضوع			
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**تداركت تحكمي في المنصات الرقمية والبرامج وأتقنتها بشكل كبير**	**10**	**%27.78**
02	**التحكم في الدرس من خلال تصميمه وفق الكفاءات البيداغوجية والأهداف العامة والخاصة بالدرس**	**10**	**%27.78**
03	**تحسنت مهاراتي في الاتصال وتصميم وانشاء درس تفاعلي: فيديوهات...إلخ**	**14**	**%38.88**
04	**توجد اضافات على مهاراتي السابقة**	**2**	**%05.56**
	المجموع	***36**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

نلاحظ من خلال الجدول، ان آراء أفراد العينة في ما يخص أهم النقائص التي تداركوها من خلال مشاركتهم في التكوين عن بعد، حيث نجد وحدة التحليل رقم 3 " تحسنت مهاراتي في الاتصال وتصميم وانشاء درس تفاعلي: فيديوهات...إلخ" أخذت أكبر نسبة **بـ 38.88%، مقابل ذلك نجد وحدتي التحليل رقم 1و2 التي تخص "تداركت تحكمي في المنصات الرقمية والبرامج وأتقنتها بشكل كبير" و "التحكم في الدرس من خلال تصميمه وفق الكفاءات البيداغوجية والأهداف العامة والخاصة بالدرس" ت بـ27.78%، وآخر نسبة هي05.56%** تعبر عن الأساتذة الذين لم يكن عنهم نقائص يتداركوها من خلال مشاركتهم في التكوين عن بعد بل " توجد مهارات اضافية على مهاراتهم السابقة " حسب أراء غالبية الاساتذة الجدد كانوا يجدون صعوبة في اعداد فيديو بيداغوجي، لكن خلال هذا التكوين اصبحت لديهم القدرة التحكم في تقنيات إنتاج الفيديوهات البيداغوجية، ذو مستوى رفيع، بالإضافة على التحكم في أدوات وبرامج تكنولوجية تسمح لهم بتصميم و إطلاق الدروس عبر الخط ما الأمر الذي يسمح بوصول وفهم المادة بشكل فعال للطلبة، هذه التجربة أكسبت الأساتذة مهارات تعليمية في بيئة حديثة وتفاعلية، الأمر الذي يحقق أهداف التعليم وفق استراتيجية ممنهجة.

الجدول رقم 11: يوضح موقف المبحوثين اتجاه دورة التكوين وتكنولوجيا الإعلام والاتصال

فئة موقف			
الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	دورة ممتازة ومفيدة في رفع مهارات الاتصال عن الاستاذ	12	%42.86
02	دورة جيدة ومكثفة بالرغم من صعوبتها وتعقدها	16	%57.14
	المجموع	28	%100

يوضح الجدول موقف الأساتذة الجدد اتجاه دورة التكوين وتكنولوجيا الإعلام والاتصال حيث أغلب الأساتذة أقرو بأنها " دورة جيدة ومكثفة بالرغم من صعوبتها وتعقدها " وقدرت بـ **57.14% ثم تليها نسبة 42.86%**" من الأساتذة الذين أقرو بانها دورة ممتازة ومفيدة في رفع مهارات الاتصال عن الاستاذ، فموقف الاساتذة الجدد نحو هذه الدورة التكوينية، التي اكسبتهم كفاءات عديدة و أكملت نقائص كثيرة كان يعاني منها الأساتذة سابقا خاصة مهارات استخدام التكنولوجيات ودمجها في ممارساته البيداغوجية داخل النسق الجامعي، فمن خلال البرنامج تكويني مكثف يحتوي على ورشات و تحتوي كل واحدة منها مجموعة من الأنشطة المتنوعة، وحسب رأي غالبية الأساتذة كانت صعبة في تنظيم و إيجاد أنجع الطرق في التوازن و التوفيق بين مهامهم التدريسية وانشطة الورشات فيه نهاية هذه الورشات ووفقوا اكتسبوا كفاءات تؤهلهم وتساعدهم لممارسة مهنتهم بكفاءة في ظل متطلبات عصر الرقمنة

3. عرض تحليل نتائج فرضية الثانية

الجدول رقم 12: يوضح موقف المبحوثين من التعليم بالأساليب الجديدة وعلاقتها بالمستوى التدريسي مقارنة بالتعليم الحضوري

	فئة الموقف		
الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	تحسن جيد	9	%32.14
02	تحسن مقبول	18	%64.29
03	لم أتحسن بسبب ظروف خاصة	1	%03.57
	المجموع	28	%100

نلاحظ من خلال الجدول، ان موقف أفراد العينة من التعليم بالأساليب الجديدة، حيث نجد وحدة التحليل رقم 2 " تحسن مقبول " أخذت أكبر نسبة بـ **64.29%**، مقابل ذلك نجد وحدة التحليل رقم 1 التي تخص "تحسن جيد" بـ32.14%، وآخر نسبة 03.57% تعبر عن حالة واحدة لم تتحسن لظروف خاصة،إذا التكيف مع الاساليب التعليمية الجديدة التي يحاكيها الواقع الرقمي الجديد أصبحت ضرورية، حيث استخدام مجموعة متنوعة من البرامج و الأساليب التعليمية لتقديم الدروس له علاقة مع اهتمامات الطلبة لخلق بيئة تعليمية محفزة لهم، من جهة وتحسن الأداء الوظيفي من جهة اخرى، فالإصلاحات التي أقرتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تحاول تحسين النقائص التي كان يعاني منها الأساتذة في ظل التعليم التقليدي وتلبية كافة الاحتياجات التعليمية التي يفرضها الوسط الأكاديمي الجديد

الجدول رقم 13: يوضح الطريقة التي يفضلها المبحوث في تقديم المادة للطالب

	فئة الوسائل		
الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	عن بعد في المنصة	1	%03.57
02	حضوري أفضل	11	%39.29
03	كليهما	16	%57.14
	المجموع	28	%100

نلاحظ من خلال الجدول، ان الطريقة التي يفضلها المبحوث في تقديم المادة للطالب، حيث نجد وحدة التحليل رقم 3 "كليهما" أخذت أكبر **نسبة بـ 57.14%**، أي أن غالبية أفراد العينة يفضلون التعليم بالطريقة الحضورية وعن بعد ، مقابل ذلك نجد وحدتي التحليل رقم 2 التي تخص " التعليم الحضوري أفضل" بنسبة **39.29%**، وآخر نسبة **هي03.57%** تعبر عن تفضيل افراد العينة "التعليم عن بعد" يمكن تفسير غالبية الأساتذة الذين يفضلون التعليم الهجين "المدمج " أي استخدام التقنيات الحديثة في التدريس دون التخلي عن الطريقة التقليدية المعتادة أي الحضورية، الامر الذي يجعل من المبحوثين التحكم في الطلاب للحصول المادة بدون عوائق مكانية أو زمانية، و دفع الطلبة للتعلم الذاتي، بالإضافة التحكم وتسهيل عملية التقييم الجيد لهم وعليه فالاشتراك ودمج الطريقة التقليدية مع طريقة الحديثة يساعد في التخلص من العديد من المظاهر السلبية للتعليم التقليدي، والسعي لإعداد جيل تقني من خلال تطوير معارفهم كما ونوعا.

الجدول رقم 14: يوضح أهم المعوقات التي واجهتك في التكيف مع بيئة التعليم الحديث

	فئة الوسائل		
الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	صعوبة التعامل مع المنصات التعليمية	8	%21.05
02	عدم قدرة الطلبة في التكيف مع هذا النوع من المحاضرات	18	%47.37
03	ضعف الانترنيت وقلة الوسائل التقنية وضيق الوقت	12	%31.58
	المجموع	*38	%100

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

يوضح الجدول أعلاه، يوضح أهم المعوقات التي واجهت الأساتذة الجدد في التكيف مع بيئة التعليم الحديث، حيث نجد أكبر نسبة لوحدة التحليل رقم **2 بـ 47.37%**" عدم قدرة الطلبة في التكيف مع هذا النوع من المحاضرات"، تليها وحدة التحليل رقم 3 التي تخص " ضعف الانترنيت وقلة الوسائل التقنية وضيق الوقت" **بنسبة 31.58%**، وآخر نسبة **هي21.05%** لوحدة التحليل رقم 1 "صعوبة التعامل مع المنصات التعليمية"، وعليه يمكن تفسير أن بداية تطبيق التعليم عن بعد صاحبتها العديد من المشاكل والمظاهر خاصة المشاكل التي تخص الطلبة لعدم قدرتهم في التكيف مع هذا النوع من المحاضرات والتقييم فالغياب الشبه تام للطلبة خاصة في المحاضرات التي تخص المقررات الدراسية التي تدرس عن بعد و حضوري وهي المقررات الاستكشافية ويرجعون الأمر لعوامل تقنية تعيق تفاعلهم مع منصة التعليم بالإضافة لعدم تكيف العديد من الأساتذة مع التعليم عن بعد بصورته الحقيقية، يرجع الأمر حسب ما صرحوا به صعوبة التعامل مع المنصات التعليمية، وضعف الانترنيت وقلة الوسائل التقنية وضيق الوقت مع المهام التدريسية والانشطة التكوينية المفروضة عليهم

الجدول رقم 15: يوضح أهم مقترحاتك التي تقدمها للجامعة لتحسين بيئة التعليم عن بعد

فئة هدف			
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**توعية الطلبة بأهمية تعليم عن بعد**	**15**	**%31.25**
02	**تأطير ندوات علمية تدريبية للمنصة**	**9**	**%18.75**
03	**حل مشكلات التي تعترض تطبيق التعليم عن بعد**	**11**	**%22.92**
04	**زيادة الوعي والتحفيز الأساتذة لاستخدام المكثف لهذا النوع من التعليم**	**13**	**%27.08**
	المجموع	***48**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

نلاحظ من خلال الجدول، الذي يوضح أهم مقترحاتك لتحسين بيئة التعليم عن بعد، حيث نجد أكبر نسبة في وحدة التحليل رقم **1 بنسبة 31.25%**" توعية الطلبة بأهمية تعليم عن بعد " تليها وحدة التحليل

رقم4 التي تخص " زيادة الوعي والتحفيز لاستخدام هذا النوع من التعليم " **بـ27.08 %**، ثم تليها نسبة **22.92%** لوحدة التخليل رقم 3 "حل مشكلات التي تعترض تطبيق التعليم عن بعد"، وآخر نسبة **هي18.75%** لوحدة التحليل رقم 2 " تأطير ندوات علمية تدريبية للمنصة" يمكن تفسير أراء أفراد العينة نحو تحسين بيئة التعليم نظرا للمشاكل والصعوبات التي صادفتهم في تطبيق التعليم عن بعد، حيث يحتاج هذا النوع من التعليم، إلى تكثيف التوعية بأهمية تعليم عن بعد للطلبة وتحفيزهم له و زيادة الوعي والتحفيز للأساتذة لاستخدام المكثف لهذا النوع من التعليم، من خلال تأطير ندوات علمية للطلبة وورشات تدريبية للمنصة سواء داخل الجامعة، وخارجها وهذا تسعى اليه دورة تكوين الأساتذة حديثي التوظيف، بالإضافة إلى تطوير البرامج الدراسية من قبل فرق متخصصة لتحقيق الأهداف التعليمية في ظل ثورة المعلومات الجديدة. الامر الذي يسهل من عملية التغذية الراجعة بين الطلاب والأساتذة.

الجدول رقم 16: يوضح الطريقة أو الوسيلة التي تفضلها في تقديم الدرس عن بعد

فئة الوسائل			
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**وضع الدروس PDF وورد**	**22**	**%32.35**
03	**محاضرات مسجلة ومن يوتيوب من خلال نسخ الرابط**	**15**	**%22.06**
04	**محاضرة تفاعلية: قوقل ميت /كلاس روم**	**22**	**%32.35**
05	**ندوات: مجموعات للمناقشة والدردشة**	**9**	**%13.24**
	المجموع	***68**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

يوضح الجدول أعلاه، الوسيلة التي يفضلها أفراد العينة في تقديم الدرس عن بعد ، حيث نجد وحدتي التحليل رقم 1و3 التي تخص " وضع الدروس **PDF وورد " و " محاضرة تفاعلية: قوقل ميت /كلاس روم** " أخذتا نسبتان متساويتان تقدران **بـ32.35%**، تليها نسبة**22.06%** لوحدة التحليل رقم 2 التي تخص " محاضرات مسجلة ومن يوتيوب من خلال نسخ الرابط " ، وآخر نسبة هي**13.24%**تعبر عن ندوات: مجموعات للمناقشة والدردشة"، نظرا لتكرار الاجابة بين المبحوثين في الوحدات الخمس كما هو موضح في الجدول فهو يوضح استخدام الأساتذة الجدد لأكثر تقنية، بحيث يتلقى الطالب المحتوى التعليمي

بطرق مختلفة و أحسنها هي محاضرة تفاعلية: قوقل ميت /كلاس روم و وضع الدروس على شكل PDF /وورد، حيث أن استخدام المحاضرات التفاعلية اسلوب تعليمي يضمن التفاعل بين الطالب والأستاذ وفرصة لطرح الاسئلة والمناقشات مما تخلق فضاء تعليمي محفز للطلبة، يطرحون ويعبرون عن آرائهم وأفكارهم، تزيد من فهمهم للدرس، اذن تغيير اسلوب وطرق تقديم الدرس يجعل من المحتوى العلمي أكثر إثارة وتدفع الطلبة لتنمية قدرتهم الإبداعية " تغذية راجعة فورية"

الجدول رقم 17: يوضح موقف المبحوثين اتجاه تعدد الطرق تقديم الدرس عن بعد

فئة الموقف			
الرقم	**الوحدات**	**التكرار**	**النسبة**
01	**أصبح ضرورة في ظل الاصلاحات الجديدة للتعليم عن بعد**	**15**	**%37.50**
02	**زاد من أعباء الأستاذ**	**10**	**%25**
03	**يحتاج إلى كثير من الوقت والاهتمام**	**15**	**%37.50**
	المجموع	***40**	**%100**

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

من خلال الجدول أعلاه، الذي يعبر عن موقف أفراد العينة في ما يخص تعدد الطرق تقديم الدرس عن بعد ، حيث نجد وحدتي التحليل رقم 1و3 التي تخص " أصبح ضرورة في ظل الاصلاحات الجديدة للتعليم عن بعد " و " يحتاج إلى كثير من الوقت والاهتمام " أخذتا نسبتان متساويتان تقدران **بـ37.50%**، وآخر نسبة هي**25%** تعبر على أن تعدد طرق تقديم الدرس عن بعد "زاد من أعباء الأستاذ" إن التطور في استخدام الوسائط الإلكترونية في العملية التعليمية اصبح ضرورة في إيصال المعلومات واكتساب المهارات والتفاعل بين الطالب، الاستاذ والفضاء الجامعي، حيث هذا التطور يجعل من الأستاذ والطالب ان يتسم بثقافة الالكترونية وكيفية استخدامه للوسائط الالكترونية بشتى أنواعها، والرغم من تفضيل الطريقة التقليدية للتعليم. إلا أن الاصلاحات الجديدة تؤكد على ممارسة التعليم عن بعد بالرغم من المعوقات والمشاكل التي صادفتها الجامعة الجزائرية على مستوى البنى التقنية والهياكل، وعليه فتغيير اسلوب وطرق تقديم الدرس في بداية يحتاج لوقت أطول في التحضير للمحتوى التعليمي على الخط، على اعتقاد بعض الاساتذة زاد من

مسؤولياتهم وأعبائهم التدريسية وللمواجهة هذه المشاكل وفرت الجامعة الجزائرية برامج تدريبية لتطبيق معارفهم ومهارتهم في عملية التعليم عن بعد.

الجدول رقم 18: يوضح رأي المبحوثين اتجاه التقييم الرقمي لمستوى تحصيل الطالب في ظل الاتصال الرقمي بين الأستاذ والطالب

	فئة الاتجاه		
الرقم	الوحدات	التكرار	النسبة
01	بداية تطبيقه كانت صعبة بالنسبة للطلبة	16	%38.10
02	مناسب جدا مع التخصص	3	%07.14
03	لا يتناسب مع طبيعة التخصص	7	%16.66
04	الامتحان عن بعد ساهم في عملية الغش الجماعي	16	%38.10
	المجموع	*42	%100

***تضخم العينة راجع لإجابة المبحوثين على أكثر من خيار.**

نلاحظ من خلال نتائج الجدول، نجد وحدة التحليل رقم **1 و4** " بداية تطبيقه كانت صعبة بالنسبة للطلبة" و"الامتحان عن بعد ساهم في عملية الغش الجماعي" أخذتا أكبر نسبة تقدران **بـ38.10%**، مقابل وحدة التحليل رقم 3 " لا يتناسب مع طبيعة التخصص " بنسبة **16.66%**، وآخر نسبة هي**07.14%** تعبر عن وحدة "مناسب جدا مع التخصص" تساعد الاختبارات عن بعد التجكم في عملية التقييم الشامل والسريع للطلبة في وقت قصير وجهد أقل، دون الحاجة للطريقة التقليدية في اعداد الاختبار لكن بداية تطبيقه كانت صعبة بالنسبة للطلبة السبب قد يعود الى صعوبة أغلبية الطلبة في التعامل مع المنصات الرقمية، أيضا يجدون صعوبة في الاتصال بالأنترنيت مما يصعب عليهم ارسال الاجابات في الوقت المحدد لكن الممارسات السلبية التي يتظاهرون بيها قد تعيق عملية التقييم أهمها ان الامتحان عن بعد ساهم في عملية الغش الجماعي للطلبة الأمر الذي يشكك من مصداقية الطلبة اتجاه الامتحان، إذن يختلف اتجاهات وثقة الاساتذة نحو جودة التقييم الرقمي للطلاب، بالإضافة البعض من المبحوثين يرى أن التقييم الرقمي مناسب جدا مع التخصص، والبعض الآخر يرونه انه لا يتناسب مع طبيعة التخصص .

رابعا: نتائج الدراسة:

من خلال تفكيك المتغيرات تم استخلاص النتائج وفق فئات ووحدات وتوصلنا الى مايلي:

✓ حيث نلاحظ أن برامج و أساليب التكوين الجديدة تؤثر على رفع مهارات الاتصال لدى الأستاذ الجامعي حديثي التوظيف حيث خلصنا الى:

– أن اتجاه الأساتذة نحو البرامج الموجودة في دورة التكوين هي برامج تحسن من مستوى التعليم الرقمي للأستاذ، بالإضافة أنها سهلة الاستخدام وتحتاج الى الوقت الكافي لتطبيق الدروس وأن مستوى استخدام وتطبيق تكنولوجيات الاتصال داخل هذه الدورة انتجت تحسن ملحوظ ويحاولون التحكم قدر المستطاع ن مقابل منهم أصبحوا يتحكموا فيها بشكل جيد، وفي ضوء المهام التدريسية للأساتذة الجدد الغالبية الكبرى منهم وفقوا بشكل مرضي بين المهام التدريسية و انشطة ورشات الدورة التكوينية، و وحسب اتجاهاتهم أفضل ورشة من بين الورشات المنجزة لها نجاعة أكثر في تعاملهم مع الطالب الآن ومستقبلا،كانت الورشة الخاصة بالتحكم في تصميم وانشاء الدروس على منصة مودل و EDX ، أي تحسن مهاراتهم في تخطيط محتوى بيداغوجي هجين "

– وأهم النقائص التي تداركوها من خلال مشاركتهم في التكوين عن بعد، هي تصميم وانشاء درس تفاعلي: فيديوهات...إلخ" الذي قد يحسن مهاراتهم الاتصالية

– وفي الأخير ان موقف الأساتذة الجدد اتجاه دورة التكوين وتكنولوجيا الإعلام والاتصال حيث غالبيتهم أقرو بأنها دورة جيدة ومكثفة بالرغم من صعوبتها وتعقدها " وبعضهم الآخر دورة ممتازة ومفيدة في رفع مهارات الاتصال عن الاستاذ

✓ كما خلصت الدراسة من خلال متغيرات برامج التكوين والتعليم الجديدة وتأثيرها على مضمون عملية التدريس بالأساليب وطرق الرقمية الحديثة:

– أن غالبية الأساتذة الجدد الذين يفضلون التعليم الهجين "المدمج " أي استخدام التقنيات الحديثة في التدريس دون التخلي عن الطريقة التقليدية المعتادة أي الحضورية، وان أهم المعوقات التي واجهتهم في التكيف مع بيئة التعليم الحديث، هي عدم قدرة الطلبة في التكيف مع هذا النوع من المحاضرات

– ان الوسيلة أو الطريقة التي يفضلها الأساتذة الجدد في تقديم الدرس عن بعد " وضع الدروس PDF وورد " و " محاضرة تفاعلية: قوقل ميت /كلاس روم ، محاضرات مسجلة ومن يوتيوب من خلال

نسخ الرابط " ، ندوات...إلخ، فتغيير اسلوب وطرق تقديم الدرس يجعل من المحتوى العلمي أكثر إثارة وتدفع الطلبة لتنمية قدرتهم الإبداعية " تغذية راجعة فورية" أما موقفهم من تعدد الطرق تقديم الدرس عن بعد ، أنه أصبح ضرورة في ظل الاصلاحات الجديدة للتعليم عن بعد " و " يحتاج إلى كثير من الوقت والاهتمام "

– و أهم المقترحات لتحسين بيئة التعليم عن بعد، توعية الطلبة بأهمية تعليم عن بعد و زيادة الوعي والتحفيز لاستخدام هذا النوع من التعليم عن بعد لأن جودة التعليم يقع على عاتق الهيئة التدريسية استخدام المنصات الرقمية بكفاءة و اعداد محتوى تعليمي وفق الأهداف العامة والخاصة للدرس،

– في الأخير عملية التقييم الرقمي للطالب في ظل الاتصال الرقمي بين الأستاذ والطالب، بداية تطبيقه كانت صعبة بالنسبة للطلبة" و"الامتحان عن بعد ساهم في عملية الغش الجماعي" وفئة منهم يرون أنه لا يتناسب وطبيعة محتوى التخصص.

خاتمة:

بناءا على نتائج الدراسة توصلنا الى أن برامج و أساليب التكوين الجديدة تؤثر على مضمون عملية التدريس بالأساليب وطرق الرقمية الحديثة الأمر الذي يؤدي الى رفع مهارات الاتصال لدى الأستاذ الجامعي، وعليه فتكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتغيرات الجديدة في ثورة المعلومات ، تفرض على النسق الجامعي التحرك بسرعة نحو هذا التحديث الجديد من خلال تفعيل جودة الهياكل والرأسمال البشري حيث أن التعامل الجيد والتكيف مع هذه التحولات الجديدة التي تتميز بالرقمنة والاتصال تجعل من الأساتذة سواء القدماء او الجدد نحو فرص جيدة لتبادل الخبرات و الأفكار والمشاركة و التفاعل الفعال ، وهذا يتحقق بتوفير بيئة تعليمية مناسبة لهذه المتغيرات ووسائل أيضا تُساهم في تسهيل ونجاح عملية التعليم الجامعي والتعامل مع المشاكل المصادفة بكل كفاءة وجودة

قائمة المراجع:

1. موريس أنجرس. (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، تدريبات عملية* (الإصدار ط2). (بوزيد صحراوي، المترجمون) الجزائر: دار القصبة.

2. يوسف تمار. (2007). *تحليل المحتوي للباحثين و الطلبة الجامعيين* (الإصدار ط1). الجزائر: مؤسسة الفسيلة.

الملاحق:

مقابلة الكترونية

عنوان المداخلة:

التكوين الجديد وعلاقته بالاتصال الرقمي للأساتذة حديثي التوظيف بالجامعة الجزائرية

دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة الجدد

المحور الأول: البيانات الشخصية

1. الجنس: أنثى ☐ ذكر ☐

2. السن:.....

3. الحالة العائلية: اعزب(اء)☐ متزوج (ة) ☐ مطلق(ة) ☐

4. السكن : ريفي ☐ شبه حضري ☐ حضري ☐

المحور الثاني : تؤثر برامج و أساليب التكوين الجديدة في رفع مهارات الاتصال لدى الأستاذ الجامعي حديثي التوظيف

5. ماهو تقييمك لبرامج التعليمية ... vue. Opale؟

– .....

6. هل استطعتم التوفيق والتنسيق بين مهامك التدريسية وأنشطة الورشات؟

– .....

7. بعد إنهائك لجميع ورشاتك كيف تقيم آدائك نحو تكنولوجيات الاتصال :

– .....

8. ماهي أفضل ورشة من بين الورشات المنجزة لها نجاعة أكثر في تعاملك مع الطالب الآن ومستقبلا؟

– .....

9. أذكر أهم المهارات الاتصالية التي اكتسبتها من خلال مشاركتكم في برامج الورشات التكوينية عن بعد؟:

– .....

10. ماهي أهم نقائص التي تداركتها من خلال ممارستك لعملية التكوين عن بعد؟

– .....

11. قدم رأيك اتجاه دورة تكوين تكنولوجيا الإعلام والاتصال لفائدة الأساتذة الجامعيين الجدد؟

– .....

المحور الثالث : تؤثر برامج التكوين والتعليم الجديدة على مضمون عملية التدريس بالأساليب وطرق الرقمية الحديثة

12. هل ترون بأن التعليم بالأساليب الجديدة ساعدكم في تحسين مستواكم التدريسي مقارنة بالتعليم الحضوري

.....

13. ماهي الطريقة التي تفضلها أنت في تقديم المادة للطالب؟

– .....

14. أذكر أهم المعوقات التي واجهتك في التكيف مع بيئة التعليم الحديث:

– .....

15. ماهي أهم مقترحاتك التي تقدمها للجامعة لتحسين بيئة التعليم عن بعد؟ :

– .....

16. ما هي الطريقة التي تفضلها في تقديم الدرس عن بعد ؟

– .....

17. يوضح رأي المبحوثين اتجاه تعدد الطرق تقديم الدرس عن بعد ؟

– .....

18. قدم رأيك اتجاه التقييم الرقمي لمستوى تحصيل الطالب في ظل الاتصال الرقمي بين الأستاذ والطالب ؟

.....

The Reality of Using Websites in Higher Education : A Field Study of Students at Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou, Algeria.

HENANE ALDJIA
Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou, Algeria
Research Laboratory on Society. Education. Work.
aldjia.henane@ummto.dz

Abstract:

. This study aims to analyze the reality of the use of websites in higher education by students, especially since these sites provide numerous services and information and allow interaction between students and professors, as well as among students themselves. They are also an excellent source of scientific information that students need in their academic journey. Therefore, this study seeks to explore how students exploit these modern technologies and to identify the obstacles and challenges that hinder achieving the desired results. It also aims to evaluate the gains made and identify shortcomings. The study concluded that there is an increasing reliance on the use of websites by students or resorting to e-learning. However, this field still faces challenges related to infrastructure, training, and technical support. Based on this, it is evident that it is essential to strengthen certain aspects to ensure the effective use of these sites by students.

Keywords : websites, educational process, usage, university students.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

واقع استخدام المواقع الالكترونية في التعليم الجامعي
دراسة ميدانية للطلبة جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.

حنان علجية
جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر
مخبر مجتمع تربية .عمل.
aldjia.henane@ummto.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى تحليل واقع استخدام المواقع الالكترونية في التعليم الجامعي من طرف الطلبة، خاصة وان هذه المواقع تقدم خدمات ومعلومات كثيرة وتتيح التفاعل بين الطالب والأستاذ وبين الطلبة فيما بينهم. كما تعتبر مصدرا بامتياز للمعلومات العلمية التي يحتاجها الطالب في مساره الدراسي، لذلك تسعى هذه الدراسة الى استكشاف كيفية استغلال هذه التقنيات الحديثة من طرف الطالب، وتحديد العقبات والمعوقات التي تحول دون تحقيق النتائج المرجوة. كما تهدف الى تثمين المكاسب المحققة وتحديد النقائص. وبالتالي توصلت الدراسة الى ان هناك اعتمادا متزايدا على استخدام لمواقع الالكترونية من طرف الطلاب او اللجوء للتعليم الالكتروني، ولكن يبقى هذا المجال يواجه تحديات تتعلق بالبنية التحتية والتدريب والدعم الفني وبناء على هذا يتجلى انه من الضروري تعزيز بعض الجوانب لضمان الاستغلال الجيد لهذه المواقع من طرف الطلبة.

الكلمات المفتاحية: المواقع الالكترونية، العملية التعليمية التعلمية، الاستخدام، الطلبة الجامعيين.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

تشكل المعرفة ومن ورائها العقل البشري أحد القطاعات الحساسة التي تستأثر بالاهتمام باعتبارها عوامل قوة وتفوق في العصر الحالي. لذلك حظي قطاع التعليم العالي والبحث العلمي باهتمام كبير من طرف المختصين وأصحاب السلطة والقرار باعتباره أحد اهم اليات انتاج واستثمار المعرفة العلمية، واستغلال هذه المعرفة في تحقيق نهضة المجتمعات.

وتعتبر الانترنت اهم اختراعات القرن العشرين التي كسرت كل حواجز العالم الموجودة سابقا وجعلته نافذة مفتوحة على كل الثقافات والمعلومات وبالتالي امدت كل سكان العالم بثقافة دون حواجز. ويشهد الاستخدام العالمي للشبكة العنكبوتية تزايدا متسارعا في كل مجالات وميادين حياة الفرد في المجتمع. ومن بين ما حملته التكنولوجيا الحديثة أنواع جديدة من وسائل الاعلام والاتصال التي سهلت وفرضت أنماط جديدة من التعليم، كالتعليم الافتراضي والتعليم عن بعد والتعليم الالكتروني وغيرها، وكان ذلك نتيجة لتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال والاقتصاد العالمي والعولمة حيث توجه العالم نحو شكل جديد من التعليم متمثلا في التعليم الالكتروني، خدمة تسهيلا لإيصال المعلومات للمتعلمين عبر مختلف ربوع العالم، فبكبسة زر أصبح يتلقى الطالب وفي جو يحاكي ما يقدم من خلال حجرة الدرس العادية، و قد تكون افضل من خلال غزارة المعلومات و تنوعها و سهولة الوصول اليها، اذن بفضل التعليم الالكتروني ، اصبح من السهل بناء شبكات تعليمية عديدة و تحقيق اهداف التعليم بسرعة و باقل التكاليف كما أتاح أيضا التعليم الالكتروني من تحقيق التكامل الالكتروني بين برامج التعليم و التدريب على المستوى العالمي، متجسدا في بناء شبكات معلومات دولية و شبكات معلوماتية محلية، و ذلك لسهولة لوصول الى المعلومات و تبادل و المشاركة في قواعد البيانات بما حقق التفاعل التعليمي. وقد شهد التعليم الإلكتروني اهتماما متزايدا في دول العالم المختلفة، لكونه فتح افاقا واسعة لنصر التعليم بأنواعه بتكاليف مالية مناسبة وبصرف النظر عن الزمان المكان ودون الحاجة للسفر الى المواقع الدراسية ودون شروط تحديد العمر او المدة الزمنية للدراسة. ولكون الجزائر جزء من هذا العالم، هي بدورها اهتمت برقمنة الجامعة والتعليم العالي وبإنشاء مواقع الكترونية ليستفيد منها الطلبة والأساتذة معا، في محاولة لإضفاء فعالية وجودة عالية للتعليم العالي وتحسين قدرات الطلبة وزيادة من رصيدهم المعرفي واثرائه من خلال المعارف الغزيرة التي تتوفر على مستوى ذه المواقع الالكترونية. ورغم وجود إرادة سياسية كبيرة لرفع هذا التحدي من طرف السلطات المحلية الا انه ما يزال الاستغلال العربي

بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة لهذه التكنولوجيا الحديثة والاستفادة من خدماتها المعلوماتية الهائلة في تحقيق التنمية العلمية والمجتمعية بطيئا وخاصة في تنمية رصيد البحث العلمي حيث تواجه جملة من التحديات بدءا بالتكنولوجيا المستخدمة والبنية التحتية مرورا بالمضمون والجانب الفني وانتهاء بالأهداف.

مشكلة الدراسة:

يعتبر تطوير التعليم العالي من القضايا الملحة نظرا للتحديات التي يفرضها هذا العصر، عصر المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، لقد صار التعليم والإدارة وكل ما يتعلق بشؤون ومصالح الفرد والمجتمع متعلقا بتكنولوجيا المعلومات خاصة ونحن في عصر العولمة، حيث أصبحت المعلومات والمعارف تصل الانسان في زمن قصير جدا، رغم بعد المسافات وذلك بفضل الأقمار الصناعية وغيرها. فقد صار العالم بفعل هذه التطورات اشبه بالقرية الكونية.

لذلك نجد اهتمام المشرفين على التعليم بتكنولوجيا المعلومات كبيرا، وخاصة في مجال التعليم العالي فقد ظهرت ا يسمى الجامعة الافتراضية التي تقدم التعليم عن بعد مفهومه الحديث الا وهو التعليم الالكتروني كنمط جديد من التعليم وهو نظام تفاعلي يقدم للمتعلم جملة من الخدمات التعليمية باستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على بيئة الكترونية رقمية متكاملة تعرض المقررات الدراسية عبر الشبكات الالكترونية. حيث يطبق في مختلف المستويات التعليمية. وتعتبر المواقع الالكترونية الأكثر استخداما مع اختلافها في شبكة الانترنت خلال عملية التعليم والتعلم كونها فرضت نفسها في المحيط التعليمي وذلك لتسهيلها في عملية لتعليم والتعلم. وهي عبارة عن صفحات الكترونية يمكننا تصفحها عن طريق استخدام جهاز الحاسوب مع الاتصال بالأنترنت، وتختلف المواقع الالكترونية باختلاف الهدف والمحتوى والتقنيات المستخدمة لإنشاء الموقع.

لقد تأثرت الجزائر كغيرها من المجتمعات الراهنة بالثورة التكنولوجية الحديثة في مختلف المجالات والميادين حيث بتنا نتحدث عن وقوع تغيرات لم تمس فقط القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، بل مست بدرجة كبيرة قطاع التربية والتعليم العالي في جميع اطواره، وبالتالي فلقد مست فئة حساسة هي فئة الطلبة الجامعيين، ذلك انها تمثل مرحلة عمرية عنوانها العريض هو التعلم المرونة في استقبال وتطبيق كل ما هو جديد. فقد أصبح للمواقع الالكترونية استخدام معتبر في العملية التعليمية بعد ان ثبتت جدواها وفعاليتها وفوائدها المتعددة، ما جعلنا نلمس اقبالا متزايدا وكبيرا لاستخدامها من طرف الفاعلين في العملية التعليمية سواء بالمدارس او

الجامعة عبر العالم وهنا جاءت ضرورة التعرف على واقع استخدام المواقع الالكترونية في العملية التعليمية لدى طلبة الجامعيين الجزائريين وبالخصوص لدى طلبة جامعة مولود معمري لما تؤديه هذه المواقع من دور هام في رفع مستوى جودة العملية التعليمية. وجاءت تساؤلات الدراسة على النحو التالي:

التساؤل العام:

ما هو واقع استخدام طلبة فسم العلوم الاجتماعية ب جامعة مولود معمري تيزي وزو للمواقع الالكترونية في اغراضهم التعلمية وما مدى تأثير ذلك الاستخدام على تحصيلهم الدراسي والمعرفي؟

التساؤلات الجزئية للدراسة:

1-هل يستخدم الطلبة المواقع الالكترونية للاستفادة منها في العملية التعلمية؟

2-ما مدى فعالية المواقع الالكترونية في رفع المستوى العلمي للطلاب؟

3-هل صعوبة التواصل والتفاعل بين الطالب والأستاذ عبر الموقع الالكتروني للجامعة يؤثر على العملية التعلمية لدى الطالب؟

أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الورقة البحثية أهمية بالغة تتمثل في ابراز واقع التعليم الالكتروني كتوجه حديث في الجامعات الجزائرية والذي يعتبر السبيل الانجع لتطوير وتنمية الجامعة والطالب معا.

-ان معرفة مستوى استخدام المواقع الالكترونية لدى فئة الطلبة الجامعيين، يكشف عن مواكبة الطلبة من عدمه لكل ما هو جديد في ميدان تكنولوجيا التعليم والتعلم.

-يستفيد من الدراسة كل العاملين بالجامعة الجزائرية من اداريين وذلك للوقوف عند النقائص التي تجعل استعمال الطلبة لهذه المواقع الالكترونية تقل، وذلك يمنح لهم السبل لتصحيح العيوب وتدارك النقائص وتحسين محتواها وبالنسبة للأساتذة والطلبة بتعريفهم بأهمية وفائدة استخدام المواقع الالكترونية في الميان التعليمي من اجل رفع مستوى جودته وتحقيق أهدافه وتعزيز قدرات ومستوى استيعاب الطلبة للمعلومات والمعارف العلمية خلال مسارهم الدراسي.

-انطلاقا من أهمية التعليم ومكانة التكنولوجيا الحديثة في الوقت الحالي، والتي أصبحت توظف ي التعليم كضرورة وليس اختيار، وعلى اعتبار ان التكنولوجيا هي الأدوات التي تتيح الفعالية في العملية التعلمية برمتها بما في ذلك الطالب الذي يعتبر المحور الأساسي فيها، كما يعتبر الطالب الجامعي أكثر الافراد معرفة بهذه

التطبيقات والمواقع الالكترونية الجديدة وتحكما بها، وأكثر قابلية لتقبل التغيير والمستجدات منها. فهو بطبيعة الحال سوف يوظفها لأغراض تعلمية قبل كل شيء وهنا يجدر الإشارة الى ان الجمهور الذي تستقبله المؤسسات التعلمية اليوم هم من أطلق عليهم مارك برنسكي " اسم المواطنون الرقميون" الجيل Y الذين كبروا وسط المحيط الرقمي (نصيرة هجرسي، 2011، الصفحات 56-57) وبذلك لا يمكننا سوى افتراض ان علاقاتهم بالمعرفة قد تحولت أيضا من الطريقة الكلاسيكية المعتمدة على الكتب وما يقال داخل حجرات الدرس فقط الى ما ينشر عبر المواقع الالكترونية باختلاف أنواعها واصنافها.

اهداف الدراسة:

تهتم هذه الدراسة بجانب مهم من حياة الطالب وهو التعليم وتربطه بالمواقع الالكترونية الذي يعتبر كمصدر أساسي للمعلومات لكل طالب ولذلك تسعى هذه الدراسة الى الكشف عن دوافع الاستخدامات التعليمية لهذه المواقع الالكترونية من طرف طلبة قسم العلوم الاجتماعية لجامعة مولود معمري يزي وزو، إضافة الى تحديد الأهداف التي يحققها الطالب من خلال تعلمه عبر الموقع. وفي الأخير تلقي الضوء هذه الدراسة على اتجاهات الطلبة واراءهم حول ما تقدمه تلك المواقع الالكترونية وأثرها على تحصيلهم المعرفي كما تسلط الضوء على جل المعوقات والصعوبات التي تجعلهم ينفرون من هذه المواقع ويرفضون استعمالها.

أولا الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة:

1-الموقع الالكتروني:

الموقع الالكتروني هو مجموعة من الصفحات المتصلة على الشبكة العالمية، والتي تعتبر كيانا واحدا يمتلكه عادة شخص واحد او منظمة واحدة، ويكرس لموضوع واحد او لعدة مواضيع وثيقة الصلة. وتتعدد تعريفات موقع الويب وفقا لخلفيات المعرفين، الخلفيات التقنية من مطوري الشبكات، والمبرمجين يركزون على الوصف التقني للموقع، مثل طبيعة اللغة البرمجية المستخدمة في كتابة الوثائق والبروتوكولات التي تنظم التواصل بينما يركز مستخدمو الويب عن تعريف موقع الويب باستخدام محرك البحث GOOGLEابرزها ذللك الذي يعرف الموقع انه: مجموعة من الملفات الويب المرتبطة فيما بينهما و المتضمنة لملف افتتاحي يسمى الصفحة الرئيسية HOMR PAGE التي يمكن الولوج من خلالها الى بقية الوثائق المتضمنة في الموقع و يتم الوصول الى الموقع عبر كتابة الموقع على المتصفح. (صونية عبديش، 2015، صفحة ص58).

ويمكن تعريفه أيضا على انه عبارة عن مجمع لصفحة ويب واحد او أكثر أعدها شخص او مؤسسة، ويتألف موقع الويب في ابسط اشكاله من صفحة واحدة، اما المواقع التابعة للمؤسسات الكبرى، فتتكون من مئات الصفحات مترابطة فيما بينها. (منتصر، 2012، صفحة 45).

ويعرف أيضا بانه مجموعة من صفحات الويب المرابطة التي قد تحتوي على نصوص وصور وأفلام، فيديو، تسجيلات صوتية، و الموقع الالكتروني مستضاف في خادم (SERVER) واحد على الأقل، و يمكن استعراض هذا الموقع من خلال جهاز الحاسوب يتضمن متصفح انترنت مثل MOZILLA FIREFOX EXPLORER ..او غيرها من المتصفحات مع التطور الحديث اصبح امكان تصفح المواقع من خلال أجهزة الهاتف النقال و تؤكد دومنيك قاني بقولها، ان المستخدم لا يقوم فقط بتحميل المحتوى عبر مختلف انحاء الويب، بل يقوم أيضا بتكوين محتواه الخاص به كما يشاء و هذا عبر عدة وسائل اتصال على غرار الشبكات الاجتماعية. (DOMINIQUE GANY, 200, p. 11).

1-1: مكونات وعناصر المواقع الالكترونية التعليمية:

مكونات المواقع الالكترونية: (نوفل خالد محمود، 2010، الصفحات 57-63)

لكل موقع الكتروني عنوان يتكون من: (زهير مصطفى دولة ، عماد محمد اشتيوي ، 2006، الصفحات 23-24)

-بروتوكول نقل النص التشعبي وهي عبارة عن مجموعة المقاييس المتفق عليها المستخدمة بين الحاسبات التي تتم بها عملية الاتصال والمشاركة بالملفات.

-اسم فريد لكل موقع او عنوان فريد يسمر URL وهي اختصار Uniform Resource Locator k ويعطى هذا الاسم من قبل مركز معلومات الشبكة وكل العناوين عادة تنتهي بثلاثة حروف توضح نوع نشاط الموقع مثلا

-الكليات والجامعات والمعاهد أعطيت لها edu gov.

-الوصلات والروابط التشعبية وهي عبارة عن كلمة او صورة او رسم او جرافيكس يتم تظليلها او تعيينها بطريقة ما من قبل صاحب الموقع بوضع تحتها خط او بنط كبير او اظهارها بحروف سوداء عريضة او مرقمة هي تمثل اتصال لمحتوى ملفين مختلفين وقد تصل الروابط التشعبية المستخدم بصفة أخرى او بجزاء من نفس

الموقع. حيث تعد هذه الروابط عنصر أساسيا من عناصر المواقع الانترنت وتنقسم صفحات الويب الى صفحة البدء وصفحة المحتوى.

-**النص**: النص في المجال الالكتروني يختلف عن النص في المجال المطبوع حيث انه يتيح مادته وفقا لاحتياجات القراء واختياراتهم وذلك من خلال ربطهم بجميع وحدات التخزين المتصلة بشبكة الانترنت وباستخدام التقنيات المرئية والمسموعة المختلفة وهذه الصفة التي يختص بها النص في المواقع الالكترونية تدعى: التشعب.

- **العناصر البنائية المساعدة**: من العناصر البنائية المساعدة في بناء صفحة الموقع الالكتروني الحدود والفواصل، هي تلعب دورا بارزا في ابراز المضمون بشكل متناسق ومنظم لما لها من دور في فصل الكلمات عن بعضها لبعض وكذا وضع الفراغات والأطر في شكل يريح عين المتصفح.
- **المادة المرئية**: -**الصورة**: تتميز الصورة بدلالاتها السيميائية التي تضفي معنا عميقا ومتميزا للنص المكتوب، وهي بذلك تشترك مع اهداف استخدامها في المجال المطبوع، الا انها تختلف في المجال الالكتروني من حيث طبيعتها التقنية والتكوينية (ممسوحة ضوئيا او مركبة بأحد برامج المونتاج) وهي تستخدم بأحد الاشكال التالية: تابعة للنص قصد الاستزادة في الشرح والتوضيح وتقديم التفاصيل. بمفردها لتقديم اعلان او ملصق اشهاري او إضفاء صبغة جمالية على المحتوى. (سمية ثنيو، 2017، ص32).

- **المادة المسموعة**: **-الصوت**: و تتخذ ملفات الصوت احدى الصيغ التالية: wave, snd, unix aif mp3...
- **المادة المسموعة والمرئية**: **مثل** الفيديو ومن التحديات التي تتميز بها المواد المسموعة والمرئية في المجال الالكتروني، والتي يجب اخذها بعين الاعتبار من طرف مصممي المواقع الالكترونية ضعف سرعة تحميل الملفات وكذا جودة الصورة والصوت والفيديو. (سمية بورقعة، 2015، صفحة 58).
- **عناصر مواقع التعليم الالكترونية**: تتطلب الأسس العامة لمواقع التعليم الالكترونية العناصر الاتية:

- **الموضوع**: بعد اختيار عنوان يناسب موضوع التعلم ويعكس مضمونه، يتطلب موضوع تعليمي صالح للتقديم في صورة واقع افتراضي. وضع المحتوى في تصميم مناسب وتحتاج هذه الخطوة الى معظم الوقت، علما بان وجود المعلومات والصور والنصوص المؤلفة مسبقا يساعد وبشكل كبير على تنفيذ هذه الخطوة، يمكن الاستفادة من منتجات وعناصر تم تصميمها مسبقا في منتجات متشابهة، ويمكن تكوين قاعدة بيانات للعناصر المستخدمة تساعد في عمل منتجات أخرى لاحقة.
- **الأهداف**: لكل موضوع تعليمي هدف، وعليه توضيح الهدف التعليمي العام ثم الأهداف الإجرائية وارتباطها بالموضوع والمحتوى التعليمي. والهدف أيضا الى الوصول بالمتعلم الى مستوى من التحصيل والإنجاز لمعارف وتطبيقات في مجال علمي معين وتقدمها مؤسسة تعليمية تقدم خدمتها عبر الموقع الالكتروني، مع اتاحة الإفادة من صور المحتوى ذات العلاقة بالمقررات والمناهج المقدمة للمتعلم.
- **المحتوى**: الدروس ومضامينها التعليمية ومدى ارتباطها بالموضوع وتحقيقها للأهداف. ويتطلب هذا العنصر عدد من المتطلبات تتركز مجموعها في اهداف تحقيق السهولة واليسر في مراجعة هذا المحتوى، والجاذبية والتشويق والثقة في المحتوى والمصدر، ثم ملائمة المحتوى لخصائص المتعلم وسماته وارتباطه بخصائص العملية التعليمية ومتطلباتها بجانب ملائمته لطرق التدريس الالكتروني، وقابلية لتصميم الاختبارات الالكترونية وتقويم العملية التعليمية بكاملها.
- **الرجع**: تقديم الدعم المناسب تعزيز ردود الأفعال.

- **الاستخدام**: التميز بسهولة الاستخدام مع الفعالية والكفاءة في الاستجابة السريعة لردود أفعال المستخدمين.
- **الواجهة**: البساطة والخلو من التعقيد مع التضمين لمعايير الجمالية الفنية من ألوان وأصوات واشكال وأدوات تدعم عمليات الإبحار وتسمح بالتفاعل وردود الأفعال.

- **التفاعل**: التحفيز والمشاركة الفعالة في احداث التعلم، والاستمرارية في الأداء وتطوير المهارات التعلمية.
- **التحكم**: التحكم في الزمن والوسائط ومكونات البيئة بواسطة علامات ارشادية وتوضيحية للإبحار والتفاعل.
- **الإبحار**: توفير عنصر مرونة الانتقال بين مكونات البرنامج عناصر النظام من غير ضياع في البيئة التعليمية.
- **المهام**: تحديد مهام تعليمية واضحة تحقق الأهداف وترتبط بالموضوع مع ضبط وقت الإنجاز الاستخدام.
- **الأدوات**: تتميز الأدوات بالمرونة والتعدد والجاذبية بالإضافة الى السلامة والاشتغال.
- **الإدارة**: نظام إدارة المحتوى، وتدبير التعلم، وطرق إدارة الاتصال والتقييمات والاختبارات.

1-2مميزات المواقع الالكترونية:

يستخدم الطلاب المواقع الالكترونية على نطاق واسع لأغراض ترفيهية او تعليمية وشخصية مع تباين في الأسباب والدوافع. وتتمثل اهم مميزات الاستخدامات العلمية فيما يلي:

-البحث عن المعلومات بحيث يعتمد الطالب على المواقع الالكترونية للحصول على المعلومات المتعلقة بمجالات دراستهم و مواكبة اخر التطورات في تخصصاتهم كما تساعد المواقع الإلكترونية الطلبة علي رفع قدراتهم من التعليم الذاتي لما توفره المواقع التعليمية من مقاطع فيديو و محتوى تعليمي متنوع يمكن الطلاب من التعلم الذاتي في مختلف المجالات هذا و يتيح لهم التواصل مع الزملاء و الأساتذة و تبادل الأفكار و المناقشات ،تسهل المواقع الالكترونية الوصول الى المصادر التعليمية وذلك لما يجده الطالب من السهولة و السرعة في الوصول الى الكتب و المقالات و المواد الدراسية و تساهم المواقع الالكترونية في تحسين التحصيل من خلال توفير مصادر تعليمية متنوعة و سهولة الوصول اليها. وكما تساهم في تنمية وتطوير مهارات الطلاب في مجالات متعددة مثل مهارات البحث والتعامل مع التكنولوجيا وساعد على تنشيط المهارات لدى لطلاب وتزيد من قدرتهم وتحفزهم على التفكير الإبداعي وبأنماط مختلفة وذلك لان التواصل والتفاعل يتم بين اشخاص مثقفين ومن بيئات مختلفة. وتوفر خدمات تعليمية أفضل حيث تساعد على التعلم عن

طريق تبادل المعلومات مع الاخرين والمناقشة البناءة للوصول الى اتفاق حول نقطة النقاش. واهم من ذلك تسعى المواقع الالكترونية الى تكفل للطلاب الحصول على وسيلة تعليمية قوية وفورية، كما تساعد في تعزيز الأساليب التربوية للتعلم، فعملية التعلم تتطلب بيئة تعاونية يكون المتعلم فيها محورا لعملية التعلم. (خنتوش احمد كاظم، 2017، الصفحات 210-212)

2-العملية التعليمية التعلمية:

هي نشاط ذاتي يقوم به الفرد بإشراف هيئة التدريس او بدونها، بهدف اكتساب معرفة او مهارة او تغير سلوك والتعلم هو كل ما يكسبه الانسان ن طريق الممارسة والخبرة وهو الوجه الاخر لعملية التعليم ونتاج لها ويقترن بها، بحيث يمكن فصل أحدهما عن الاخر. ويختلف التعليم عن التعلم في كون التعليم يقوم به شخص مؤهل لتسهيل اكتساب المتعلم للمعارف والمهارات المطلوبة اما التعلم فهو الجهود الذاتية التي يقوم بها المتعلم لاكتساب ما يسعى اليه من معارف ومهارات. (فاطمة بنت محمد العبودي، 2015، صفحة 13).

3-الاستخدام:

يشير الى عملية استعمال شيء ما او الاستفادة منه لتحقيق غرض معين، يشمل الاستخدام استخدام الأشياء لمادية واستخدام المعارف والمعلومات وحتى استخدام الأشخاص في سياقات مختلفة، كما يضم أيضا عملية اشباع حاجة ورغبة معينة. وكما يشير الاستخدام الى جملة من العادات القائمة او طرق ملموسة في الفعل حيث لا يغطي السلوك الا جزء من الممارسة. وبصفة عامة يمكن القول ان الاستخدام هو مجموعة من الممارسات التي يقوم بها الطلبة الجامعيون المتمدرسين من اجل اكتساب المعلومات ومن اجل تحسين تحصيلهم العلمي والدراسي. (فيفي سهام، 2018، الصفحات 88-104).

4-الطلبة الجامعيون:

يعرف محمد علي محمد الطلبة بأنهم " يمثلون جمهورا ضخما محتشدا في كليات ومعاهد ومدن بأكملها، كما يعرفهم بأنهم شريحة من المثقفين في المجتمع نجدهم متمركزين في المعاهد والجامعات لتلقي العلوم والمعارف" (محمد علي محمد، 1987، صفحة 92). وعرف المعجم الفرنسي le petit robert الطالب على انه" الفرد الذي يزاول دراسته ويتابع دروسه بجامعة او مدرسة عليا كقولنا طالب طب، او طالب فلسفة "

(le petit robert, 1992, p. 368). ويعرفه تركي رابح كما يلي الطلبة هم نخبة ممتازة من الشباب والشابات الممتازين في ذكائهم ومعارفهم العلمية" (تركي رابح، 1990، صفحة 20).

5-التعليم الإلكتروني:

التعليم الالكتروني هو الوسائل الحديثة التي تدعم العملية التعليمية وتحولها من طور التلقين الى طور الابداع والتفاعل وتنمية المهارات، وهو يجمع اشكال التعليم والتعلم الالكترونية حيث تستخدم أحدث الطرق في مجالات التعليم والنشر باعتماد الحواسب ووسائطها التخزينية وشبكاتها. ولقد عملت النقلات السريعة في مجال التقنية الى ظهور أنماط جديدة للتعلم والتعليم. مما زاد في ترسيخ مفهوم التعليم الفردي او الذاتي، حيث يتابع المتعلم تعلمه حسب طاقته وقدرته وسرعة تعلمه ووفقا لما لديه من خبرات ومهارات سابقة. والتعليم الالكتروني أحد الأنماط

المتطورة لما يسعى بالتعلم عن بعد عامة، والتعليم المعتمد على الحاسوب خاصة. حيث يعتمد التعليم الالكتروني على الحاسوب والشبكات في نقل المعارف والمهارات بصفة اساسية. وتضم تطبيقات التعلم عبر الويب والتعلم بالحاسوب وغرف التدريس الافتراضية، والتعاون الرقمي. ويتم تقديم محتوى الدروس عبر الانترنت والأشرطة السمعية والفيديو والأقراص المدمجة.

ويعرف التعليم الالكتروني على انه" نظام تفاعلي للتعليم يقدم للمتعلم باستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ويعتمد على بيئة الكترونية رقمية متكاملة تعرض المقررات الدراسية عبر الشبكات الالكرونية، وتوفر سبل الارشاد وتنظيم الاختبارات وكذلك إدارة المصادر والعمليات وتقويمها. (**موقع امعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، منشور بتاريخ 2024/08/25 https://units.imamu.edu.sa/deanships.**

ويعرف أيضا: " وسيلة للتعلم تتضمن اليات اتصال جديدة شبكات الحواسيب، منافذ المحتويات، أدوات البحث، المكتبات الالكترونية، التعلم عن بعد، وفصول تعليمية عبر الويب. ان التعليم الالكتروني، يتميز بالسرعة، والتحولات التكنولوجية، وتفاعلات إنسانية وسائطية. (رحومة علي محمد، 2005، صفحة 193).

5-1 اهداف استخدام التعليم الالكتروني:

يوجد العديد من الأهداف التي يسعى التعليم الالكتروني الى بلوغها ومن أبرزها:

-تهدف الى المساعدة في توفير بيئة متنوعة وتفاعلية التي تشمل مختلف المصادر التعليمية.

-يعزز خلق قنوات تواصل فعالة بين مختلف عناصر المنظومة التعليمية.

-يفيد في توسيع فرص القبول في التعليم كما يساعد في حصول الراغبين بالتعلم على فرصة الالتحاق بالمؤسسات التعليمية دون اضطرارهم للتخلي عن وظائفهم.

-يضمن العملية التعليمية والتعلمية في كل زمان وفي أي مكان.

-يشجع ويسهل عملية التواصل بين المتعلمين ويسهل تنقل المعلومات والمعارف العلمية بين المعلمين وبين الطلاب. (محمد عبد الله العالم محمد عبد الله و اخرون، 2021، صفحة 171)

5-2 معوقات وتحديات التعليم الالكتروني:

ان استخدام التعليم الالكتروني وتطبيقه يواجه العديد من التحديات والمعيقات عدم وجود الأنترنت السريعة التدفق، عدم إمكانية توفير المناهج التعليمية المحسوبة بجودة مرتفعة لان ذلك امرا شديد التعقيد، افتقار الطلاب لما يلزم من مهارات ضرورية للتعامل مع الوسائل التقنية الحديثة. عدم وجود البنية التحتية التقنية الضرورية لتطبيق عملية التعليم (المرقطن محمد موسى محمود، 2023، صفحة 314)

5-3 مميزات المنصات التعليمية الالكترونية:

تتمثل الميزة الأولى في سهولة استعمال هذه المنصات والتعامل معها وتشجيعها لخلق لبيئة تفاعلية بين الطالب والأستاذ. تتضمن وحدات نشاط داعمة للعملية التعليمية كالمنتديات. القدرة الكبير التي يتمتع بها هذا النظام في التعامل مع شرائح كبيرة ن أدوات التعلم الالكتروني ومع الوسائط المتعددة.

5-4 تحديات استخدام المنصات التعليمية الالكترونية:

من بين هذه التحديات نجد غياب التفاعل المباشر او الفعلي وجها لوجه بين الأستاذ والطالب. للوصول الى هذه المنصات واستخدامها بنجاح يحتاج الى سرعة عالية في تدفق الانترنت والتي لا يمكن توفيرها في كل المناطق او الأوقات. يمكن ان تتحول هذه المنصات الى مواقع للتواصل الاجتماعي أكثر منها كوسيلة للتعليم.

ثانيا: نوع الدراسة والمنهج المستخدم:

1- منهج الدراسة:

حسب طبيعة موضوع الدراسة، فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي باعتباره الأنسب لهذه الدراسة المتمثلة في الوقوف على واقع استخدام المواقع الالكترونية لطلبة قسم العلوم الاجتماعية بجامعة مولود معمري بتيزي وزو وتم اختيار هذا المنهج لقدرته على وصف الواقع من خلال جمع البيانات حول الظاهرة المدروسة كما انه يحلل ويفسر ويقارن من اجل الوصول الى نتائج حول الظاهرة المدروسة.

2-مجالات الدراسة:

المجال البشري: لقد وقع اختيارنا على طلبة العلوم الاجتماعية في جامعة مولود معمري بولاية تيزي وزو بمستوياته الثلاث (ليسانس، ماستر، دكتوراه). وذلك راجع الى اعتبارين: كوني انتمى الى نفس التخصص من جهة ومن جهة أخرى ادرس في نفس القسم منذ مدة وهذا اما جعالي اعتقد انني على دراية كافية باستخدامات وممارسات هؤلاء الطلبة للمواقع الالكترونية للأغراض التعليمية بحكمي احتكاكي بهم يوميا. وهو ما يجعل الولوج الى مجتمع البحث سهلا نوعا ما.

المجال المكاني: جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الحرم الجامعي تامدة.

المجال الزماني: أجريت الدراسة خلال السنة الجامعية (2024-2025).

3-عينة لدراسة:

اعتمدنا العينة القصدية، وسحب عينة من مجتمع البحث حسبما يليق بالباحث. (انجرس موريس ترجمة بوزي صحراوي و اخرون، 2004، صفحة 315). قصدنا من توظيفنا لهذا لنوع من المعاينات ان يجتمع بين مفردات العينة عامل التمدرس في أحد الاطوار الجامعية (الليسانس، الماستر والدكتوراه) حيث تمثلت في فئة الطلبة الجامعيين المتمدرسين فالمرحلة الجامعية التي يمرون بها تحتم من جهة رفع قدرتهم في استقبال وتعلم ما هو جديد تكنولوجيا كما ان طبيعة سلوكيات الطلبة وممارساتهم يجب ان تتميز بالمرونة واستوعاب ما هو جديد خصوصا فيما يخص الميدان التعليمي وقد بلغ حجم العينة 65 مفردة.

4-أدوات جمع البيانات:

بغية الإجابة على تساؤلات الدراسة قمنا بصياغة استبيان يتضمن مجوعة من الأسئلة موزعة على اربعة محاور قصد الحصول على المعلومات الضرورية من طرف طلبة افراد العينة. وتتمثل المحاور الاربع فيما يلي: المحور

الأول مخصص للبيانات الأولية فيما خصصنا المحور الثاني للتعرف على أنماط ودوافع واهداف استعمال او استخدام المواقع الالكترونية في الأغراض التعلمية وتطرقنا في المحور الثالث الى مدى صعوبة استخدام الطلبة للموقع الالكتروني للجامعة يؤثر على العملية التعليمية وخصص المحور الرابع للاطلاع على اراء الطلبة بخصوص فعالية المواقع الالكترونية في تلبية أغراض التعلم.

ثالثا: نتائج الدراسة:

المحور الأول البيانات الأولية:

1- جدول رقم (1): توزيع افراد العينة حسب متغيرات الدراسة.

المتغيرات		العدد	النسبة المئوية
الجنس	اناث	41	58.57%
	ذكور	29	41.42%
الطور الجامعي	مستوى التدرج (الليسانس)	54	77.14%
	مستوى ما بعد التدرج (ماستر، دكتوراه)	16	22.85%
مدة التواصل اليومية للمواقع الالكترونية	من ساعتين الى 3ساعات	13	20%
	من 3ساعات الى 6 ساعات	27	41%
	من 6 ساعات الى ما فوق	25	38%

المصدر: من اعداد الباحثة

يتبين من خلال قراءتنا للجدول رقم (1) ان عينة دراستنا تتكون من 70 طالب وطالبة، تنقسم الى نسب متفاوتة نسبيا حيث بلغ عدد الاناث 58.57% مقابل نسبة 41.42% تمثل الذكور، اما بالنسبة للمستوى التعليمي، بلغ عدد طلبة الليسانس 77.14%فيما بلغ نسبة فئة طلبة مستوى الماستر والدكتوراه ب 22.85%، وهذا التقسيم منطقي يعكس واقع قسم العلوم الاجتماعية بجامعة مولود معمري تيزي وزو لان في الواقع طلبة الليسانس أكثر وبكثير من طلبة الماستر وطلبة الدكتوراه، مع العلم ان الوصول الى ما بعد التدرج ترفقه شروط التفوق. اما بخصوص مدة التواصل اليومية للمواقع الالكترونية ومنصات التعليم الالكترونية فجاءت النسب كما يلي: سجلت نسبة 41%من فئة الطلبة الذين يتواصلون يوميا ولمدة تتراوح بين 3الى6ساعات تليها الفئة الثانية من الطلبة الذين يتواصلون يوميا بالمواقع الالكترونية لمدة تتراوح ما بين

6ساعات وما فوق بنسبة تقدر ب 38% وفي الأخير سجلنا نسبة 20% التي تمثل الطلبة الذين يتواصلون يوميا بالمواقع الالكترونية ولمدة 3ساعات فقط.

المحور الثاني: واقع ومستوى استخدام الطلبة للمواقع الالكترونية في العملية التعليمية:

قصد التعرف على واقع ومستوى استخدام الطلبة للمواقع الالكترونية في العملية التعليمية، قمنا بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية انطلاقا من البيانات التي قمنا بجمعها في الميدان وبالاعتماد على أجوبة افراد عينة البحث. والجدول رقم (2) يفصل في ذلك.

2-جدول رقم (2) يمثل المتوسطات الحسابية لمستوى استخدام الطلبة للمواقع الالكترونية في العملية التعليمية:

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	درجة الاستخدام
1	تبادل المعلومات القيمة والمواد التعليمية عبر المواقع الالكترونية	3.98	مرتفعة
2	تساعدني لمواقع الالكترونية على الاطلاع على الآراء العلمية والفكرية للعلماء والأساتذة خارج حدود الوطن.	4.08	مرتفعة
3	استفيد من الدراسات والمقالات البحثية المنشورة لأعضاء هيئة التدريس عبر المواقع الالكترونية	4.02	مرتفعة
4	استخدام المواقع الالكترونية في عملية التواصل الاجتماعي مع زملائي واصدقائي	3.23	متوسط
5	اعمل على رفع كفاءتي في مجال استخدام شبكة الانترنت من خلال المواقع الالكترونية	3.77	مرتفعة
6	استخدام المواقع الالكترونية في اثراء بحوثي ومتطلبات الدراسة	4.17	مرتفع
7	اثق بصحة المعلومات العلمية المتاحة على المواقع الالكترونية	2.54	متوسط
8	اعتمد في ابحاثي العلمية على المصادر الالكترونية المتاحة على مستوى المواقع الالكترونية واعتمدها كمراجع علمية موثوقة	3.09	متوسط
9	أفضل التعليم في أي وقت ومن أي مكان من خلال المواقع الالكترونية	3.63	متوسط

10	تساعدني المواقع الالكترونية لتجديد معلوماتي وابقائي مطلعا على كل جديد علمي خاصة في تخصصي.	4.61	مرتفع
11	تساهم المواقع الالكترونية في الهائي عن الدراسة وتشتت تركيزي وتفكيري.	2.89	متوسط

المصدر من اعداد الباحثة

الشرح: من خلال نتائج هذا الجدول، يتجلى ان استخدام الطلبة للمواقع الالكترونية في العملية التعليمية مرتفعة جدا، وبناء على هذه النتائج يمكنا القول ان الطلبة يعتمدون ثيرا على المواقع الالكترونية في العملية التعليمية معتبرين هذه المواقع مصدرا مهما للحصول على متطلبات المواد العلمية، وسبيلا لتنمية ثقافتهم، وتعزيز تحصيلهم الدراسي وتنمية قدراتهم المعرفية والعلمية. كما تساعدهم على التعلم الذاتي من خلال الاستفادة بما هو منشور على هذه المواقع من مقالات بحثية لأعضاء التدريس ودروس منشورة ومجهزة، يمكن الولوج اليها في أي وقت وفي أي مكان ويمكن تحميلها ونسخها وبالتالي استخدامها كمصادر لإعداد بحوث الطلبة العلمية. هذا وذكر بعض افراد العينة ان المواقع الالكترونية تزيد من دافعيتهم وتحفزهم وتساعدهم في تنمية قدراتهم في مجال استخدام الانترنت. اذن بالفعل فجل المواقع الالكترونية تساعد في عملية التعلم واكتساب مهارات ومعارف علمية جديدة سواء منها الرسمية التابعة للجامعات كالمنصات التعليمية مثلا مودل، بروقرس .... الخ او المواقع الخارجية كمواقع التواصل الاجتماعي شرط ان يكون استخدامها بالطريقة السليمة والصحيحة والجيدة أي يكون الاستخدام بالاتجاه الإيجابي لها والابتعاد عن كل ما هو سلبي فيها بمعنى اخر وجب على الطالب إذا أراد الاستفادة منها استعمالها بطريقة ذكية ومعتدلة كي تكون ذات قيمة إضافية لرصيده العلمي والمعرفي. فالمواقع الالكترونية تعتبر كوسيلة مكملة للدروس التي تقدم داخل الجامعات، مما يتيح للطالب فرص الاستفادة من الدروس لأنه يمكنه الولوج اليها ومراجعتها في أي وقت وفي أي مكان. فما لم يستوعبه داخل حجرة الدرس يمكن له تداركه من خلال الدروس المنشورة عبر المواقع الالكترونية وفي بعض الأحيان المعلومات المتواجدة والمنشورة على هذه المواقع تكون اكر غزارة مما يعود بالمنفعة على الطالب وينمي من كفاءاته وقدراته ويمهد له الطريق نحو الابداع والتميز.

المحور الرابع: اراء الطلبة حول فاعلية المواقع الالكترونية والصعوبات والمعوقات التي تصادفهم عند مصافحتهم لهذه المواقع الالكترونية:

من خلال نتائج دراستنا اتضح جليا تحول وجهة الطلبة نحو كل ما هو رقمي لاستعماله في العملية التعليمية والتعلمية لان حتى الكتب والمصادر يفضلون البحث عنه على صفحات نلك المواقع الالكترونية، اذن فالتحول الرقمي لعملية التعليمية والتعلمية واقع متجسد، الا انه ومن خلال دراستنا توصلنا الى وجود معوقات كثيرة تمنع هذا الاتجاه الجديد من النمو والتقدم وتتمثل تلك العوائق والصعوبات فيما يلي:

–تبين كمعوق أساسي إشكالية سرعة تدفق الانترنت، فجل الطلبة وبنسبة 98% أقروا ضعف تدفق الانترنت خاصة للقاطنين في الاقامات الجامعية وبما ان الشرط الأساسي للولوج لهذه المواقع هو وجود الانترنت فبطئ تدفقها يجعل عملية التصفح تكون ثقيلة وتستغرق مدة طويلة وحسب إجابات افراد العينة في غالبية الأحيان لا تخرج البيانات كلها حتى بعد انتظار طويل.

–يأتي في المرتبة الثانية إشكالية التكوين والتوجيه حيث ان معظم افراد العينة وبنسبة 94.5% يشتكون من عدم وجود حجرات الدراسة تدريبية مجهزة لاستخدام المواقع الإلكترونية او منصات التعليم الالكتروني الخاصة بالجامعة لفائدة الطلبة خاصة وان طلبة هذا الاختصاص العلوم الاجتماعية تكوينهم في الثانوي كان ادبي او لغات اجنبية بعيدة كل البعد عن التقنية لذلك وجب على الجامعة توجيههم و تدريبهم للتعامل مع هذه التقنية الجديدة .و اكد معظم افراد العينة انهم حتى للتسجيل على منصة البروقرس يلجؤون الى زملائهم من الشعب التقنية او البحث عن المساعدة ارج الجامعة. لذلك فهم بحاجة الى التوجيه والتدريب قصد رفع كفئاتهم في استخدام الانترنت وبالتالي التحكم في عملية التصفح والولوج لهذه المواقع الالكترونية والمنصات التعليمية والاستفادة من المادة العلمية المنشورة فيها.

– يتمثل الاشكال الثالث في المنصات التعليمية الرسمية الخاصة بالجامعة، او المواقع الالكترونية الخاصة بالجامعة والمتمثل في وجود دائما ضغط كبير عليها مما يجعل الولوج اليها صعبا وفي غالب الأوقات غير متاح وتقدر نسبة هذه الفئة من افراد العينة ب 83.6% مقابل 16.4% فقط من افراد العينة الذين يرون عكس ذلك أي الولوج وتصفح تلك المنصات متاح وسهل. و يعود ذلك لعدة عوامل أهمها ضعف البنية التحتية الالكترونية للجامعة خاصة و ان هذه العملية تعتبر حديثة بالنسبة للجامعة نسبيا لذلك فان رقمنتها يجري بخطى متثاقلة .بالإضافة الى تصميم تلك المواقع اين بعضها لم يرتقي للهدف المنشود المتمثل في

جذب انتباه الطلبة تحفيزهم لاستخدامها .ذكر من طرف الطلبة وجود نقص في الجانب الفني أي لا يوجد هناك الوان او حركة او صور او صوت خاصة بالنسبة للدروس المجهزة و المتواجدة علي منصة E-learning مما جعلها تفتقد لعنصر التشويق لذلك وجب على الأساتذة ارفاق نصوصهم بصور و فيديوهات للشرح اكثر.

-ثم في الأخير يأتي اشكال الوثوق في هذه المواقع نجد ان نسبة 63.6% يثقون في محتوى تلك المواقع الالكترونية مقابل نسبة 36.4% من افراد العينة الذين صرحوا بان بعض الواقع تدعوا للشك والتأكد من المعلومات في جهات أخرى.

الخاتمة والتوصيات:

ان تكنولوجيا العصر أحدثت افاقا جديدة كما أحدثت تغيرات او طفرة في جميع نواحي الحياة الاجتماعية، ومن بين مخرجات هذه التكنولوجيا التي ساهمت في هذا التغير المواقع الالكترونية التي عرفت انتشارا سريعا بين مختلف نظم المجتمع وانساقه، وقد أدى هذا الانتشار الى الاستخدام المتزايد لهذه المواقع، وهو ما ترك اثرا واضحا على افراد المجتمع عموما وطلبة الجامعة خصوصا. ومن خلال هذه الدراسة توصلنا الى ان ناك توجه جديد للعملية التعليمية التعلمية نحو هذه المواقع الالكترونية من طرف الطلبة و حتى الجامعات لكن هذه العملية لا تخلو من جملة من الصعوبات و المعوقات : تتمثل في نقص البنية التحتية الرقمية او الالكترونية المصاحبة لهذه العملية و على راسها حداثة التكنولوجيا المستعملة و خاصة تحسين تدفق الانترنت بالإضافة الى نقص التكوين و التدريب سواء عند الطالب او حتى بعض الأساتذة لكي يتمكنوا من الاستفادة من المادة العلمية المنشورة على صفحات هذه المواقع الالكترونية و عليه خلصت الدراسة الى جملة من التوصيات المتمثلة في:

-أهمية التواصل الالكتروني مع الطلاب بشكل فعال وسريع.

-ضرورة توفير الوسائل التقنية المتطورة والتي تجعل من عملية الحصول على المعلومات امرا مفيدا وسهلا.

-ضرورة الاعتناء بتدريب وتوجيه الطلاب لتطوير مهاراتهم في التصفح الالكتروني.

-العمل على تحسين البنية التحتية الالكترونية للجامعات من خلال توفير أجهزة الحواسيب الضرورية والزامية تطويرها باستمرار لتفعيل دور لمواقع الالكترونية كأداة للعملية التعليمية والتعلمية.

المصادر والمراجع:

الكتب بالة العربية:

1–انجرس موريس ترجمة بوزيد صحراوي واخرون، 2004، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة، الجزائر.

2–تركي رابح، 1990، أصول التربية والتعليم ط1، دار القصبة، الجزائر.

3–رحومة علي محمد، 2005، القنية للأنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

4–زهير مصطفى دولة، عماد محمد اشتيوي، 2006، القائم بالاتصال في المواقع الالكترونية الإخبارية، منشورة كلية الاداب قسم الصحافة والاعلام الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين.

5–سمية بورقعة، 2015، الصحافة الالكترونية في الجزائر، مطبوعات جامعة قسنطينة، الجزائر.

6–صونية عبديش، 2015، الشبكات الاجتماعية على الانترنت، دراسة مسحية لمستخدمي الفايس بوك، أطروحة دكتوراه، علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3.

7–محمد علي محمد، 1987، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

8–منتصر، 2012، المسائل النظرية والتطبيقية بتكنولوجيا الاتصال الحديثة، دار الالمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر.

9–نوفل خالد، 2010، برمجيات الواقع الافتراضي التعليمية، دار المناهج، عمان.

المقالات:

10–المرقطنمحمد موسى،2023، أثر استخدام التعليم عن بعد في تحصيل طلاب الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية التربوية والنفسية في المملكة الأردنية الهاشمية. المجلد رقم5 العدد 4، ص314.

11–خنتوش احمد كاظم، 2017، مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في قطاع التعليم الجامعي كلية الطب جامعة القاسم أنموذج، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 5، ص210-212.

12–قنيفي سهام، 2018، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية ومدى فعاليتها لدى الطلبة، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، العدد 3 و4 ص88-104.

13-محمد عبد الله العالم محمد عبد الله واخرون، 2010، جودة التعليم الالكتروني وأثره في رضا الطلبة، مجلة الاقتصادي الخليجي الجامعة السعودية، بدون عدد، ص171.

14-نصيرة هجرسي، 2011، تكنولوجيا الاعلام والاتصال في خدمة التربية والتكوين المعلمين، مجلة بحوث وتربية ص56-57.

المراجع باللغة الأجنبية:

Dominique gay, 2009, Nouveaux Media (mode d'emploi), Edition edi pro. Belgique.

School Dropout in Iraq: A New Vision for Education and Infrastructure to Achieve Sustainability

Murtadha Azeez Yasir
Directorate General of Dhi Qar Education
murtadhaazeez@utq.edu.iq

Abstract:

This study aims to provide a new vision for addressing the phenomenon of school dropout by focusing on the influencing factors, particularly curricula, traditional teaching methods, and modern education strategies, as well as the role of school infrastructure in ensuring student retention. The research is divided into four main axes. The first focuses on the role of curricula in attracting or repelling students. The second examines traditional education and its impact on the desire to learn. The third examines educational modernization, through which we work to encourage students to continue their studies. The fourth examines school infrastructure and its impact on student dropout. Finally, the research presents a set of practical recommendations aimed at reforming the education system in Iraq by developing curricula, modernizing teaching methods, and updating school infrastructure. These recommendations can help achieve educational sustainability and reduce school dropout rates.

Keywords: school dropout, sustainable education, curricula, traditional education, educational modernization, infrastructure..

التسرب المدرسي في العراق: رؤية جديدة للتعليم والبنية التحتية لتحقيق الاستدامة

م.م. مرتضى عزيز ياسر الزيدي
مديرية تربية ذي قار– قسم تربية النصر
murtadhaazeez@utq.edu.iq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية جديدة لمعالجة ظاهرة التسرب المدرسي من خلال التركيز على العوامل المؤثرة، وخاصة المناهج الدراسية وأساليب التعليم التقليدية واستراتيجيات التعليم الحديثة بالإضافة إلى دور البنية التحتية للمدارس في الحفاظ على استمرارية الطلاب في التعليم، وينقسم البحث إلى أربعة محاور رئيسية، حيث يركز المحور الأول على دور المناهج الدراسية في جذب الطلبة أو نفورهم، أما المحور الثاني يتناول التعليم التقليدية وأثر5 على الرغبة في التعلم، أما في المحور الثالث فيتناول تحديث التعليم الذي من خلاله نعمل على تشجيع الطلبة على الاستمرار في الدراسة، والمحور الرابع فيتناول البنية التحتية للمدارس ومدى تأثيرها على تسرب الطلاب، وفي الختام يقدم البحث مجموعة من التوصيات العملية التي تهدف إلى إصلاح النظام التعليمي في العراق من خلال تطوير المناهج وتحديث أساليب التعليم والبنية التحتية للمدارس والتي من خلالها نستطيع تحقيق الاستدامة في التعليم والتقليل من معدلات التسرب المدرسي.

الكلمات المفتاحية: التسرب المدرسي، التعليم المستدام، المناهج الدراسية، التعليم التقليدي، تحديث التعليم، البنية التحتية.

المقدمة:

أن التسرب المدرسي ظاهرة معقدة تتداخل فيها عوامل اجتماعية، اقتصادية، ونفسية، بالإضافة إلى أسباب مرتبطة بالمنظومة التربوية ذاتها، وهي من المشكلات التي تعيق تقدم العملية التعليمية وتؤدي إلى تفاقم الأمية وضعف المشاركة المجتمعية والإنتاجية في العراق، مثلها مثل بقية البلدان النامية، تؤثر هذه الظاهرة سلبًا على الجهود المبذولة لتحقيق التنمية المستدامة وبناء مجتمع متعلم ومنتج، وللقضاء على هذه الظاهرة، ينبغي التركيز على معالجة جذورها من خلال تبني سياسات تربوية شاملة تهدف إلى تحسين البيئة المدرسية من خلال دعم العائلات ذات الدخل المحدود وتوفير حوافز مالية وتعليمية وإطلاق برامج لتأهيل المعلمين، بالإضافة إلى تعزيز ثقافة التعليم من خلال حملات توعوية تُبرز أهمية التعليم في المناطق الريفية والنائية التي تشهد نسب تسرب مرتفعة، وتُعد ظاهرة التسرب المدرسي من أبرز التحديات التي تعاني منها دول العالم، وخاصة الدول العربية. فهي لا تؤثر فقط في تقدم المجتمع وتطوره، بل تقف حائلًا أمام تحسين مستوى التعليم، مما يؤدي إلى تفشي الأمية وضعف الاندماج المجتمعي، كما أن التسرب يساهم في تشكيل مجتمع يفتقر إلى الكوادر المتعلمة والمنتجة، حيث تزداد أعداد المتسربين عامًا بعد عام، حيث تعتبر ظاهرة التسرب المدرسي مشكلة تربوية بامتياز، حيث يمثل المتسربون فئة محدودة التعليم تفتقر إلى النضج الشخصي وصعوبة التكيف مع مطالب الحياة، حيث تترتب على هذه الظاهرة الكثير من الآثار السلبية ليست فقط على المستوى النفسي والتربوي بل تمتد إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي حيث تؤدي إلى تأخر المجتمع في تحقيق التنمية المستدامة، وفي هذا البحث سنسلط الضوء على ظاهرة التسرب المدرسي في العراق من خلال دراسة تأثير العوامل التعليمية والبنى التحتية تحقيق بيئة تعليمية شاملة تخلو من التسرب وتفتح آفاق المستقبل أمام الأجيال القادمة.

هدف الدراسة :يهدف البحث الى التعرف على التسرب المدرسي في العراق برؤية جديدة للتعليم والبنية التحتية لتحقيق الاستدامة

أهمية الدراسة: التسرب المدرسي من أخطر الظواهر التي تواجه التعليم وتضعف كفاءة النظام التربوي والتعليمي، فأضرارها ليس على المتسرب فقط، بل يمتد ضررها إلى جسم النظام التربوي والتعليمي، العديد من العوامل أسهمت وبشكل كبير في زيادة حالات التسرب المدرسي، وهنا أصبح من الضروري ألقاء الضوء على هذه الظاهرة ودراستها دراسة عميقة ووضع الحلول للقضاء عليها، فالتسرب المدرسي يعمل على هدر

الطاقات البشرية والمادية، كما يؤثر في تقدم المجتمع وتأثيره وبشكل أكبر على الطالب المتسرب نفسه اجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، أن فهم أسباب التسرب المدرسي وتأثيراته العميقة على المجتمع كان لرغبة الباحث في دراسة هذه الظاهرة لما لها من تأثير كبير على الاسرة والمجتمع خاصة بعد ملاحظته لتزايد الظاهرة في المؤسسات التعليمية، ويطرح البحث تساؤلات على الأسباب المتعلقة بالجانب التعليمي والتربوي ودراستها ومحاولة أيجاد الحلول والمقترحات المناسبة لها، كما يهدف البحث إلى الكشف عن مدى فاعلية الإدارة المدرسية في التصدي لهذه الظاهرة، وتفعيل الأساليب والاستراتيجيات التي يمكن أن تسهم في الحد من التسرب وتعزيز استمرارية الطلاب في التعليم، وتفيد الدراسة الباحثين والدارسين وخاصة في مجال التربية والتعليم.

فرضيات البحث :

1. عدم ملاءمة المناهج الدراسية الحالية لاحتياجات الطلاب ومتطلبات العصر الحديث يؤدي إلى نقص الدافعية والاهتمام بالتعلم، مما يعزز من احتمالات التسرب المدرسي.
2. عدم ملائمة أساليب التعليم التقليدية التي تركز على التلقين وتفتقر للتفاعل مما يسهم في تقليص رغبة الطلاب في الاستمرار بالتعليم وبالتالي زيادة التسرب المدرسي.
3. عدم الاعتماد على استراتيجيات تعليمية مبتكرة تركز على التفاعل والمشاركة الفعّالة مثل التعليم القائم على المشروعات والتعلم التفاعلي والذي يعمل على تحفيز الطلاب ويحد من ظاهرة التسرب المدرسي.
4. عدم توفير بيئة مدرسية ملائمة من خلال تحسين البنية التحتية للمدارس كتحديث المباني والمرافق وتوفير التكنولوجيا الحديثة مما يسهم في تقليل التسرب المدرسي ويعزز من استمرارية الطلاب في التعليم.

اولاً: التسرب المدرسي

التسرب ظاهرة لها عوامل عديدة وتختلف من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، غير أنه اغلب الباحثين والدارسين يعزي الأسباب عوامل خارجية وعوامل أخرى شخصية وعوامل اقتصادية واجتماعية (الغامدي، 2005: 40)، وقد عرفت منظمة اليونيسف التسرب بأنه ترك التلميذ الدراسة دون إكمال المرحلة التعليمية التي يدرس بها بنجاح، سواء كان ذلك برغبتهم أو نتيجة لعوامل أخرى، وكذلك عدم المواظبة على الدوام لعام أو أكثر (من هل الثقافة التربوية، بدون سنة)، وعرف أيضا هو أن يترك التلميذ المدرسة ويؤدي ذلك الى حرمان التلميذ من المعارف والمهارات التي توفرها له المدرسة (طريخ، 2013).

العوامل الدافعة للتسرب المدرسي: هنالك عدة عوامل لها تأثير كبير في ظاهرة التسرب المدرسي وهي:

1. عوامل داخلية:

أ- المنهاج الدراسي: العلاقة بين التسرب المدرسي والمناهج الدراسية تكون غير مباشرة، حيث إذا كانت هذه المناهج المادة دراسية تشكل عبء على التلميذ سواء في كمها الكثير ومواضيعها المعقدة، أو أن الأمور ترتبط بمسألة الفروق الفردية لدى التلميذ أو ربما بكون الموضوعات التي تتضمنها المناهج باتت سهلة أو ليست ذات فائدة للتلميذ مما ينتج عنها إحباط للتلميذ وتسربه من الدراسة (مجلة التربية،1991: 108).

ب- النظام التعليمي: إن سوء التخطيط من طرف النظام التعليمي جعله ينحرف عن الأهداف المسطرة مسبقا من طرفه، كما أن الميزانية المخصصة للنظام التربوي ضئيلة جدا بالمقارنة مع المجالات الأخرى هذا ما جعل النظام التربوي يفتقد إلى الوسائل التعليمية لتقديم أحسن تربية وتعليم وتقديم أحسن الخدمات للعاملين بقطاع التعليم والاحتفاظ بالتلاميذ وجذبهم للدراسة (رضوان وآخرون،1993: 169).

ج- الكتاب المدرسي: هو من بين الوسائل التعليمية التي لا غنى عنها لكل من المدرسيين والتلاميذ، والكتاب المدرسي لا يتوافق مع ما يوجد في الواقع فعند قراءة التلميذ للكتاب يشك، لأن ما يلاحظه في ال كتب غير ما هو موجود في الواقع (رضوان وآخرون،1993: 170).

د- المعلم: عدم توافر الاستقرار المادي والنفسي عند المعلم، الأمر الذي يقلل من رغبته في التدريس، وحماسته في العمل والتزامه بالسلوك التربوي المناسب مع الطلبة والزملاء، وهذا بدوره ينعكس سلبا على الطلبة وعلى تحصيلهم الدراسي، إضافة إلى النقص أحيانا في المعلمين وتغيبهم أحيانا أخرى ونقلهم أثناء العام الدراسي لابد أن ينعكس بنفسه على انتظام التلاميذ، كما أن الصفات السلوكية والأخلاقية للمعلم تؤثر بصورة مباشرة في التلاميذ، فالعامل الخلقي للمعلم يؤدي إلى جذب التلميذ للمدرسة ومن ثم بقاءه فيها(الدويك وآخرون،1998: 269).

هـ- أساليب التقويم: لأساليب التقويم التربوية أهمية كبيرة، فهي التي تحدد نسب النجاح والفشل، وتساهم في تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في المنظومة التربوية، أن أساليب التقويم في مختلف المواد تعتمد على الأساليب التقليدية التي لا تعكس المستوى الحقيقي للتلاميذ، ولا تعبر بموضوعية عن المستوى التحصيلي الحقيقي والأداء العلمي للمتعلمين، وعدم استغلال نتائج التقويم في إعادة بناء الإستراتيجيات المتعلقة بتفعيل الفعل التربوي (حسن، 1992: 89)

و- التوجيه المدرسي: إن التوجيه عملية مصيرية، يتحدد وفقها المجال الدراسي أو المهني الذي يتبعه التلميذ، ولذا فإن أي خطأ في عملية التوجيه يؤدي إلى صعوبات يواجها التلميذ في دراسته بعد توجيهه، ويظهر التوجيه غير السليم في عدة أشكال من أهمها التوجيه الذي لا يهتم أساسا بميول التلميذ وقدراته، وإنما يهدف قبل كل شيء إلى تحقيق متطلبات الخريطة المدرسية (حسن،1992: 92).

ز- الإدارة المدرسية: تعتبر الإدارة المدرسية القيادة التربوية، تحتل موقعا هاما من مواقع المسؤولية اتجاه المجتمع والمتعلم، فالمؤسسة التعليمية، هي المسؤولة عن تنظيم فعاليات العملية التعليمية والتربوية ومتابعة مسيرتها، ونلاحظ كذلك غياب الدور البيداغوجي للإدارة بحيث لا تهتم بمشكل التلاميذ وأصبح دورها منصبا على توفير الجانب المادي فقط، فتخلي الإدارة المدرسية عن الدور التربوي يجعلها مسؤولة بصفة مباشرة عن تفشي ظاهرة التسرب (مجلة التربية، 1995: 89).

ح- المرشد التربوي: وجود المرشد في المدرسة مهم جدا، ويساعد على حل الكثير من المشاكل التي من الصعب على مدير المدرسة أو المعلم، والتوصل إلى أسبابها لعدم الثقة بينهما وبين التلاميذ، الثقة التي من دونها يصعب معرفة الأسباب الحقيقية ووضع حلول مقبولة وإيجابية لها، من وظائف المستشار التربوي مساعدة مدير المدرسة، والمعلم بالتركيز على التلاميذ الذين توجد مؤشرات معينة تشير إلى أنهم معرضون للتسرب أو المتسربون فعلا الذين قاموا بزيارته ولاحظ عليهم إشارة خاصة تدل على المعاناة التي يمرون بها تتطلب التدخل السريع من جانبه وجانب المسؤولين الآخرين (نصرالله،2004: 496).

2. عوامل خارجية :

أ- المستوى الثقافي: المستوى الثقافي للوالدين يؤثر تأثيراً سلبياً على الطالب وخاصة في المراحل الأولى وخاصة في تحضير المواد الدراسية والمتابعة فالطالب عند انتقاله من البيئة الأسرية إلى البيئة المدرسية يصدم به لجهله له، وهذا يؤثر سلبا على استعداد الطالب لاكتساب المادة التعليمية، وهذا ما يجعل الابن يتهاون في أداء واجباته المدرسية وهذا لانعدام المتابعة من الأسرة، وهذا ما يدفع الطالب الى الغياب وترك المدرسة (أسعد، 1993:185).

ب- جماعة الرفاق: الرفاق والاصدقاء لهم دور هام في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي النمو النفسي والاجتماعي للفرد فهي تؤثر في معاييره الاجتماعية، وفي قيمه وعاداته، وهي المجال الذي يسمح له بالقيام بأدوار متعددة لا تسير له خارجها، وكلما كان ارتباط الفرد بهذه الجماعة أكبر كلما كان التأثير أقوى، أن

مصاحبة الطالب لرفاق فاشلين يشعرون بالملل اتجاه المدرسة يجعله يتأثر بهم، وتدريجيا يشعر بشعورهم، فيصبح مثل أصدقائه فتتأخر نتائجه الدراسية ويتغيب ثم يتسرب (أسعد،1993: 49).

ج- عدم التنسيق بين المدرسة والأسرة: إن التعاون بين المدرسة والاسرة ضروري وهام من أجل تحقيق الأهداف التربوية، والعلاقة بينهما هي تكاملية، فلا تحقق للمدرسة أهدافها مع تخلي وتجاهل الأسرة لدورها، لاعتقادها أن المدرسة هي التي ستتولى مهمة التربية والتعليم، فلا تتصل بالمدرسة، وهنا يكمن الخلل لأن المدرسة تحتاج لأداء دورها إلى معرفة خصائص الطلبة ومشاكلهم مثل الخوف، العدوان، الخجل وإلى معرفة خصائص أسرهم وما تسودها من علاقات حتى تتعامل مع التلاميذ وفق حالاتهم (العناني،2000: 93).

د- العوامل الاجتماعية: إن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، بداية من الأسرة إلى المجتمع ومؤسساته، وبما أن الإنسان ابن بيئته فإنه سيتأثر بأفكار وقيم ذلك الوسط، وهذه القاعدة تحكم علاقة الفرد بالمجتمع، فالمجتمع الذي يهتم بالعلم ويرى أنه أساس الحضارة، سيعمل ويشجع كل ما يكرس هذه الفكرة، فتنشأ الأجيال مهتمة بالعلم.

هـ- الاسرة: إن وجود المشاكل الاجتماعية في الأسرة تؤدي إلى إهمال الأبناء، وعدم رعايتهم، وتوفير الضروري من الناحية المادية والمعنوية بسبب الخلافات، أو غياب الأب لفترة زمنية طويلة ومتكررة عن الأسرة لسبب من الأسباب، بالإضافة إلى كون الرعاية الزائدة التي يراعي فيها الابناء تسبب نوعا من التساهل في الذهاب إلى المدرسة، والالتزام بالانضباط المدرسي، مما يساهم على التسرب كليا أو جزئيا (الدويك وآخرون،1998 :270).

و- العوامل الاقتصادية: يؤثر المستوى المعاشي تأثيرات سلبية على مستوى الطالب، قد يدفع بعضهم الى ترك المدرسة لأعاله أسرهم، والاسر الفقيرة تعطي أولوية لعمل أبنائها على حساب تعلمهم من اجل تخفيف الأعباء الاقتصادية عنها، وهذه من اهم أسباب التسرب المدرسي(حرحور، 2021: 8) .

3. عوامل ذاتية :

أ- العوامل الفيزيولوجية: يتضمن المشكلات الجسمية والحسية والحركية مثلا مشكلات صحية كصعوبة النطق أو ضعف بصري أو مشكلات سمعية، أو ضعف البدني أو قصور في القدرات العقلية وهذه المشكلات تعتبر من المشكلات التي تعرقل التلميذ من مواصلة التعليم (الشيخ، 2007: 33)

ب- العوامل النفسية: وتؤثر بشكل كبير على التحصيل العلمي، فإذا اضطربت الصحة النفسية للتلميذ فنتوقع منه أن يكون تحصيله الدراسي ضعيف، إذ عُرفت الصحة النفسية بأنها الحالة الدائمة نسبيا يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا وانفعال يا واجتماعيا ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، قادرا على تحقيق ذاته والقدرة على توظيف قدراته وإمكانياته في المواقف الحياتية وتكون شخصيته متكاملة سوية، والتلميذ المضطرب نفسيا قد يتولد له الشعور بالنقص وضعف الثقة، فيكره المدرسة وتكثر غياباته وهذا يؤثر سلبا على تحصيله الدراسي وقد يؤدي به إلى التأخر دراسي وممكن التسرب ، مما يجعله فردا يصعب عليه حل مشكلاته نتيجة لضعفه الفكري (الشيخ، 2007: 36)

الآثار المترتبة على ظاهرة التسرب: يترتب على التسرب آثاراً منها:

1. زيادة كلفة التعليم
2. يقف عائقا في سبيل توفير القوى البشرية المدربة.
3. زيادة عدد المتعطلين بسبب عجزهم عن العمل.
4. يضعف كيان التماسك الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع.
5. يقلل من قدرة الفرد على التكيف مع الظروف المحيطة.
6. العجز عن المساهمة بفاعلية في مجالات التنمية.(أحمد،2016: 495)

ثانياً: المناهج الدراسية

وتعد عملية تطوير المناهج عملية التغيير الكيفي المنظم والمقصود الذي يجريه المتخصصون في مكونات المنهج المختلفة، بهدف تحديثه ورفع كفاءته لتحقيق أهداف النظام التعليمي(سعادة، وإبراهيم، 2001: 392)، وتعد أيضاً عملية اتخاذ قرارات منهجية ومراجعتها باستمرار بناءً على تقويم منهجي مستمر، وترجمة المواصفات التخطيطية للأهداف والمعرفة والأنشطة التعليمية إلى وثيقة مكتوبة تعرف بالمنهج، أو تعتبر عملية تحسين مستمرة تهدف إلى معالجة نقاط الضعف التي يكشفها تقويم المنهج، ورفع كفاءته لتحقيق الأهداف التعليمية بأفضل صورة ممكنة وبأقل تكلفة وجهد ووقت(علي، 2011: 24).

مبررات تطوير المناهج:

1 .غياب فلسفة تربوية واضحة ومحددة: المناهج الحالية قد تفتقر إلى فلسفة شاملة توجه عملية صياغة الأهداف والمحتوى، حيث يؤدي ذلك إلى أهداف غامضة ومنفصلة عن بقية عناصر المنهج، مما يستدعي إعادة النظر في الأساس الذي تُبنى عليه المناهج.

2 .الخلط في تحديد وصياغة الأهداف: وجود تداخل بين مصادر الأهداف ومجالاتها ومستوياتها، حيث أن الخلط بين الأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية يؤثر على كفاءة العملية التعليمية.

3 .محتوى المقررات الدراسية: قد يكون المحتوى غير مترابط مع الأهداف المحددة مثل استخدام مصطلحات غامضة أو عبارات غير دقيقة أو أخطاء في التوثيق العلمي.

4 .قصور تكنولوجيا التعليم: مثل ضعف استخدام الوسائل التعليمية الحديثة مثل الصور التوضيحية الخرائط الإحصائية أو الرسوم البيانية أو نقص الدقة في الأدوات المستخدمة أو عدم استغلال الإمكانات التكنولوجية المتاحة.

5 .ضعف النشاطات التعليمية: ويعني اقتصار النشاطات على ما يحدث داخل الفصل الدراسي وإهمال الأنشطة اللاصفية مثل المكتبات والتجارب العلمية والمعارض والرحلات الميدانية مما يضعف خبرات التعلم الشاملة.

6 .قصور في برامج التقويم: أن تركيز التقويم على الامتحانات النهائية دون الاهتمام بالتقويم المستمر، مما يؤدي إلى ضعف القدرة على قياس التفكير الإبداعي والتحليل، وكذلك قلة التغذية الراجعة التي تساعد في تحسين الأداء التعليمي. (حسبو،2023: 10)

ويرى الباحث أن بناء المناهج عندما تدخل حيز التنفيذ تظهر عوامل جديدة مؤثرة تستوجب تطويرها منها التغيرات المتسارعة في شتى جوانب الحياة بسبب التطور المتسارع في التكنولوجيا والعلوم المختلفة، كذلك سوء المناهج الحالية وقصورها في تلبية احتياجات المتعلمين والمجتمع، كذلك التغيرات الطارئة حيث أن لها تأثير في المجتمع والمعرفة والبيئة على المناهج، ومن الأسباب الأخرى عدم تلبية احتياجات المستقبل فمن الضروري تصميم المناهج لتواكب احتياجات المستقبل، وايضاً كثافة البرامج الدراسية والتي لا تتلاءم مع القدرات العقلية للمتعلمين والتي قد تسبب حالات التلكؤ الدراسي والتسرب المدرسي، وهنا نذكر سبب رئيسي هو عدم الاطلاع والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في تطوير المناهج لمعالجة هذه الاسباب.

علاقة المناهج الدراسية بالتسرب المدرسي:

ان لطبيعة المنهاج علاقة بالتسرب المدرسي، من حيث صعوبة استيعاب التلميذ للمنهج، وكذا من ناحية طول المنهاج وكثافته. مقارنه بالحجم الساعي، كما أن لطبيعة المتعلم علاقة بالتسرب المدرسي ولكن بشكل نسبي من ناحية عدم وجود تفاعل ومتعه للمتعلمين اثناء فتره التعلم، أن للمنهاج علاقة بالتسرب من ناحية صعوبة المنهاج والبرنامج وبعض المواد ومن ناحية المعلم وطرق تدريسه ومن ناحية النظرة العامة التي يمتلها التلميذ حول المنهاج والذي له تأثير كبير من الناحية المحتوى وأساليب عرضهما على تحصيل الطالب وكذا نفوره من الوسط المدرسي، وكي يؤدي المنهج دوره لابد ان يكون صالحا، فنيا، نفسيا وتربويا وان يتوافق مع ما يمتلكه المتعلمون من معرفه سابقه وفي نفس الوقت يربي لديهم سلوكا ومعرفه جيده بما يتناسب مع احتياجاتهم في هذه المرحلة العمرية فقد يكون المنهج أحد اهم الاسباب التي تساهم في تزايد او تناقص ظاهره التسرب (خلدون،2023 :69)، بالنسبة لارتباط المناهج الدراسية بظاهرة التسرب فالعلاقة هنا غير مباشرة إلا إذا كانت هذه المناهج لمادة دراسية تشكل عبء على التلميذ سواء في كمها ال كثير ومواضيعها المعقدة، أو أن الأمور ترتبط بمسألة الفروق الفردية لدى التلميذ أو ربما بكون الموضوعات التي تتضمنها المناهج باتت سهلة أو لبست ذات فائدة للتلميذ عملية تطوير المناهج عملية مما ينتج عنها إحباط للتلميذ وتسربه من الدراسة، لذلك تبقى مستمرة لابد وأن يعاد النظر في أمرها والعمل على تطويرها ، ولكي لا تكون المناهج أحد العوامل المؤدية لتسرب التلاميذ يجب أن تكون البرامج الدراسية متدرجة من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، لكي تلبي احتجاجات التلاميذ وتناسب استعداداتهم وقدراتهم وميولهم وتفكيرهم، وأن تكون من واقع بيئتهم، وتساعدهم على حل مشاكلهم أو أي عوائق قد تؤدي إلى تسربهم من الدراسة(سليماني، 2021: 8)، ويرى الباحث أن المنهاج الدراسي ذو أهمية كبيرة سواء من حيث محتواه أو أساليبه، إلا أنه قد يسهم في تراجع تحصيل التلاميذ وارتفاع معدلات التسرب المدرسي، حيث يعود ذلك إلى عدة عوامل منها طول المنهاج وكثافته، وضخامة المواد الدراسية المطلوبة، فضلاً عن صعوبة المحتوى وعدم توافقه مع احتياجات التلاميذ الخاصة، كما أن افتقار المنهاج إلى تلبية رغبات التلاميذ وميولهم، وعدم ارتباطه ببيئتهم وثقافتهم، يزيد من حدة هذه المشكلة.

ثالثاً: التعليم التقليدي

يقوم التعليم التقليدي على ثلاثة ركائز أساسية الاولى أن المعلم المصدر الرئيسي للمعرفة، والثانية أن المتعلم الذي يتلقى المعلومات بطريقة سلبية، والثالثة هي المعلومة التي تُقدَّم دون مشاركة فعالة من

الطلاب(المرشد، 2016: 34)، وهنا يُنظر إلى الطالب في هذا النظام كعنصر سلبي يعتمد فقط على تلقي المعلومات من المعلم دون أي جهد في البحث أو الاستقصاء، وذلك بسبب اعتماد التعليم التقليدي على أسلوب المحاضرات والإلقاء، لذا فإن التعليم التقليدي يُعد نظامًا مفروضًا، حيث يتوقع من الطلاب الالتزام بالطاعة والإخلاص أثناء تلقيهم للمعلومات الثابتة، مع تصديقهم الكامل لما يتم تقديمه لهم، حيث يُعتبر المعلم المصدر الأساسي للمعلومات، حيث يمتلك المعرفة وينقلها إلى الطلاب الذين يُتوقع منهم الاستماع والالتزام، حيث يُنظر إلى المدرسين على أنهم الأدوات الرئيسية لنقل المعرفة وغرس المعايير السلوكية في نفوس الطلاب، كما أن التعليم التقليدي يرتبط بعناصر من القهر والضغط والإجبار، وهي سمات لم تعد مقبولة بشكل كبير في معظم الثقافات الحديثة، ويختلف هذا النظام التعليمي باختلاف الأزمنة والأمكنة، وكان في بعض الأحيان يتضمن استخدام العقوبات البدنية للحفاظ على الانضباط داخل الفصول الدراسية أو لمعاقبة الأخطاء، كما أنه يركز على ترسيخ الدين واللغة السائدة في أذهان الطلاب، إلى جانب الفصل بين الطلاب بناءً على النوع والعرق أو الطبقة الاجتماعية، وعلى الرغم من هذه الاختلافات، ظل التعليم التقليدي يحتفظ باهتمام كبير بالمعرفة الأكاديمية.

علاقة التعليم التقليدي بالتسرب المدرسي:

إن سوء التخطيط الذي تبناه النظام التعليمي أدى إلى انحرافه عن الأهداف التي تم تحديدها مسبقًا بالإضافة إلى ذلك فإن الميزانية المخصصة للتعليم ضئيلة جدًا مقارنةً مع المجالات الأخرى، مما جعل النظام التعليمي يفتقر إلى الوسائل الضرورية لتقديم تعليم عالي الجودة كما أثر ذلك على تقديم أفضل الخدمات للعاملين في القطاع التعليمي وأدى إلى ضعف قدرة النظام على جذب التلاميذ واستبقائهم في العملية الدراسية حيث يزداد الاعتماد على الكتاب المدرسي في البلدان التي تعاني من اكتظاظ الفصول الدراسية بالطلاب حيث تكون مستويات المعلمين وإعدادهم غير كافية لتحقيق الأهداف التعليمية المرجوة(مجلة التربية، 1992: 128)، أن أساليب التقييم التربوي لها أهمية كبيرة، حيث تحدد نسب النجاح والفشل وتساهم في تحديد نقاط القوة والضعف في النظام التعليمي لكن للأسف التقييم في نظامنا التعليمي لا يسير كما يجب وبالتالي لا يؤدي الدور المنتظر منه، فلا يزال يعتمد على الامتحانات كوسيلة رئيسية ويجعلها هدفًا في حد ذاتها، بدلاً من أن تكون وسيلة لتحفيز الارتقاء وتنمية الجوانب المختلفة من شخصية الطالب، ويركز التقييم حاليًا على المستوى الأول من مستويات المعرفة، مثل الحفظ والتذكر والاسترجاع، متجاهلاً

مستويات أخرى مثل الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والنقد والتقييم والتفاعل(حسن،1992 :67)، قد يكون هناك طلاب يعانون من ضعف في الذاكرة لكنهم يتفوقون في مجالات أخرى، وعليه فالاعتماد على جانب الحفظ فقط يعد خللاً في النظام، فقد يتم توجيه الناجحين إلى تخصصات لا تتناسب مع قدراتهم وميولهم مما يعرضهم للمعاناة، ومن ناحية أخرى قد يشعر الطالب الذي لم يحقق نتائج جيدة بالإحباط النفسي، مما قد يدفعه إلى التسرب، على الرغم من امتلاكه مؤهلات وقدرات في جوانب أخرى من شخصيته(خلدون،2023 :71).

تعد الإدارة المدرسية جزءًا أساسيًا من القيادة التربوية، وهي تتحمل مسؤولية كبيرة تجاه المجتمع والمتعلم، إذ تقع على عاتق المؤسسة التعليمية مسؤولية تنظيم فعاليات العملية التعليمية والتربوية ومتابعة سيرها بشكل مستمر، لكن من الملاحظ في الوقت الحالي وجود بعض المشكلات في الإدارة المدرسية، مثل سوء التنظيم والتخطيط، خاصة فيما يتعلق بتوزيع الأوقات الدراسية، في كثير من الأحيان لا تساعد هذه الأوقات التلاميذ، ولا تخدمهم بشكل جيد، خصوصًا أولئك الذين يسكنون في المناطق البعيدة عن المدرسة، فبعد المسافة يجعل التلاميذ يتأخرون عن مواعيد الدراسة، وبالتالي يفوتهم ما تم شرحه في بداية الحصة أو الدرس (مجلة التربية، 1995: 89)، كما يلاحظ أيضًا غياب الدور البيداغوجي للإدارة المدرسية، التي تقتصر مهامها غالبًا على الجوانب المادية فقط، مع غياب العنصر التربوي الذي يجب أن يتكفل به المرشد النفسي أو المرشد التربوي، وعندما تتخلى الإدارة المدرسية عن دورها التربوي، فإنها تصبح مسؤولة بشكل مباشر عن تفشي ظاهرة التسرب الدراسي لعب المدير دورًا هامًا في الوقاية من التسرب الدراسي، إذا قام بواجبه بشكل صحيح، من خلال تفقد دوام التلاميذ ومتابعة غيابهم، والتعاون مع أولياء الأمور بعد بناء علاقة ثقة معهم، كما ينبغي أن يراقب المدير أيضًا استعداد المعلمين لدروسهم، وطريقة تعاملهم مع التلاميذ، وأن يساهم في مساعدتهم لحل مشكلاتهم التعليمية، مع توفير بيئة دراسية مناسبة داخل الصف والمدرسة بشكل عام(الدويك وآخرون، 1998: 270)

رابعاً: تحديث التعليم.

التحديث كلمة مشتقة من الحداثة حدث الشيء أي جعلهُ حديثاً، ومعناها تجديد، والتحديث ظاهرة تاريخية متطورة تناولها العلماء من منطلقات مختلفة، والتحديث يعني أيضا إحلال طرق حديثة بدلاً من طرق قديمة للحياة وادخال العديد من المستحدثات لنمط الحياة التقليدية وهو بذلك أعم من المستحدثات إذ يعد انه تحسين أنماط التدبير وأساليبهُ وتحديد المعارف والوسائل الموضوعة رهن اشارة المؤسسة التربوية والقائمين على التعليم (الخطاب، 1999: 58)، وهنا يُقصد بـ تحديث التعليم هو العمل على تحسين منظومة التربية والتعليم بحيث تنتقل من وضعها الحالي إلى مستوى أكثر كفاءة وحداثة، ويتحقق ذلك من خلال تحليل الواقع ورسم رؤية مستقبلية والاعتماد على نهج تدريجي قائم على خطط متجددة تتناسب مع الإمكانات والظروف المتاحة مع الاستفادة من أبحاث المختصين، لذا اصبح من الضروري وفي ظل التطورات العلمية والتكنولوجية المتسارعة تحديث وتطوير المنظومة التربوية والتعليمية لمواكبة هذه التغييرات، لتعزيز التنمية وتحقيق حياة أكثر ديناميكية من خلالها يتمكن المجتمع من مواكبة المستجدات بمرونة وإيجابية بعيدًا عن الجمود والانغلاق.

علاقة تحديث التعليم بالتسرب المدرسي:

أن النظام التربوي هو الأساس الذي تقوم عليه بقية نظم المجتمع الأخرى، في إطار تخطيط تربوي سليم مرتبط بالتخطيط العام للتنمية الوطنية الشاملة ويعتبر مطلبا رئيسيا وضروريا لحل المشاكل التربوية بوجه عام، ومن بين المشكلات التربوية التي نسعى لمواجهتها وإيجاد آليات للتصدي لها ظاهرة التسرب المدرسي وتعمل المؤسسات الحكومية كذلك للتقليل من ظاهرة التسرب المدرسي وذلك من خلال تحديث التعليم وتطويره ومعالجة الخلل ويمكن اجمالها بالآتي:

1. بناء المناهج على أسس علمية بحيث تغذي حاجات المتعلم في اكتساب المعرفة.
2. إعادة النظر في أساليب التقويم بإتباع الآليات المستحدثة في هذا الميدان.
3. إعداد كتب قيمة شكلا ومضمونا لتناسب ميول المتعلم ومتطلباته.
4. تزويد المدارس بكل الوسائل التي من شأنها أن تحبب الدارسة إلى نفوس التلاميذ.
5. اعتماد طريقة ناجعة في ميدان تكوين الهيئات التدريسية بالتركيز على المستجدات في حقول التربية والتعليم كدراسة مختلف المقاربات وأدوات القياس والتقويم.

6. توفير وسائل النقل للتلاميذ القاطنين ي أماكن بعيدة.
7. العودة إلى النظام الداخلي لتمكين التلاميذ بالمناطق النائية من متابعة مسارهم التعليمي بشكل مستقر.
8. توسيع انتشار مراكز التعليم المهني، وتقديم تسهيلات للملتحقين بها.
9. تنويع برامج التعليم المهني لتواكب حاجات سوق العمل.
10. تشجيع القطاع الخاص على تنويع برامجها لتواكب سوق العمل التي يقدمها للمتخرجين.
11. توسيع مراكز محو الأمية للمتسربين اللذين ارتدوا إلى الأمية (جميلة،2023: 19)

وحتى لا نضيع هذه الطاقات البشرية المتخلية عن المدرسة عمدت الدولة إلى اقتراح سياسات تربوية تقلل من ضرر التخلي عن المدرسة عن طريق التحديث المستمر والمتواصل للعملية التعليمية، لأن التعليم كمجال يخضع للتغير والتحديث وفقاً لمتغيرات التكنولوجية والمعرفة الكبيرة، فأن لم نستطيع فسيكون هناك تأخير كبير غي مستوى تقدمنا.

خامساً: البنية التحتية للمدارس

البنية التحتية هي كل الامكانات المادية والبشرية والفكرية والمعرفية والمعلوماتية المتاحة في المدرسة والتي من شأنها ان تحقق جودة في مخرجاتها، كما تمثل مجموعة العوامل التي تكسب كل مدرسة شخصيتها المستقلة، والسمات التي تميزها عن غيرها من المدارس، وتشمل عناصر مادية وغير مادية (أبو الرب،2016: 7)، وهي تضم عدة عناصر منها :

1. العناصر الفيزيائية (الجغرافية) وتتضمن المرافق والتجهيزات والمكتبة والملاعب والحديقة ونظافة المدرسة وموقع المدرسة والجو الصحي، وهي تمثل جميع الامكانات والظروف المتوفرة في البيئة المدرسية سواء من حيث الموقع والنواحي الجمالية، وهي من أهم العوامل التي تساهم بشكل كبير في تحقيق أهداف المدرسة. (موالي وعبو، ،12:2019).
2. العناصر التربوية وتتضمن الكتب المدرسية والمراجع والوسائل التعليمية (الخليفة،2009: 22)
3. العناصر المادية وتضم عددا من المدخلات منها المباني، والتجهيزات، والمدات العلمية والمعملية، وهذه بدورها تساعد على مواكبة التغيرات، والتطورات الحادثة في المجتمع الخارجي (أبو الرب،2016 :12).

وتؤثر البنية التحتية للمدرسة على أنشطة التدريس والتعلم فعلى سبيل المثال الصف الذي يمثل جزأً من المدرسة عندما يكون بحالة جيدة سيدعم استمرارية التعليم، بحيث يشعر الطلبة بالراحة والاثارة والتيسير في

عملية التعلم(Wandberg & Rohwer, 2009: 172)، لذا في هذه الحالة، فإن آلية التحكم في المرافق والبنية التحتية للتعلم ضرورية للغاية من أجل الحكم على تحسين إدارة البنية التحتية الحالية(Pearson& Thomas, 2010: 52)، ويمكن القول إن تأثير المرافق والبنية التحتية في التعلم في القرن الحادي والعشرين كبير جدا، خاصة وأن مرافق البنية التحتية للتعلم بدأت الآن في التنوع معت طور وظائفها بما يتناسب مع الأساليب والاستراتيجيات المستخدمة، إن التعلم سوف يسير على نحو أفضل إذا كان مدعوًما بتوفر البنية الأساسية أو المرافق المدرسية. إن توفر المرافق يؤثر على كفاءة الإنتاجية (عملية التعلم)، وبالتالي يمكن للطلاب التعلم بسهولة وتحسين الأداء الأكاديمي العام(Owoeye,2012:12)، ويمكن ان نستنتج أن هذه العوامل تساعد في زيادة النشاط الطلابي وتقليل حالات التسرب الطلابي.

منهجية البحث وأجراءاته:

استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتلاءم مع طبيعة اجراءات البحث الحالي، إذ ان المنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا من خلال التعبير النوعي الذي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، او التعبير الكمي الذي يعطي وصفا رقميا يوضح مقدار وحجم الظاهرة

مجتمع البحث وعينته: يتكون مجتمع البحث الحالي من المعلمين والمدرسين والمرشدين التربويين والمشرفين من مديرية تربية ذي قار، وتم اختيار العينة بصورة عشوائية .

أداة البحث: فام الباحث ببناء استبيان وقد حدد الاستبيان بأربعة محاور، حيث يمثل المحور الأول دور المناهج وأثرها في جذب الطلبة والمحور الثاني التعليم التقليدي وأثره في رغبة الطلبة في التعلم، والمحور الثالث يمثل تحديث التعليم وأثره في الاستمرار بالدراسة، والمحور الرابع البنية التحتية وأثرها في تسرب الطلبة، وكل محور يتكون من (10) فقرات يتناسب كع المحور الخاص به، كما تم تحديد ثلاث استجابات لكل فقرة وهي (أؤيد ، أؤيد الى حد ما ، لا أؤيد)، وتكونت الاستبانة من (40 فقرة) ، وكانت الاستبانات الموزعة والمعادة فالاستبانات التي أعُيدت بعد تعبئتها كامل بنسبة(90%) من استبانات لم يتم إعادتها(10%) حيث تم توزيع (110) استبانة، والاستبانات المسترجعة والكاملة كانت (100) استبانة، وتم عرض الاستبانة على الخبراء والمختصين في مجال التربية وعلم النفس، حيث تم تقديم المعلومات اللازمة للتحكيم وإبداء الراي حولها، وقد قام الباحث بالتعديل والحذف وإعادة الصياغة لعدد منها بما يتفق مع آراء المحكمين والخبراء.

ثبات الاستبانة: يقصد بالثبات هو أن الأداة تعطي النتائج نفسها إذا أعيد استخدامها وتم حساب ثبات الأداة بطريقة التجزئة النصفية بتقسيم الفقرات الى (فردية وزوجية) حيث بلغ (0.79) وبعد تصحيحه بمعامل(اسبيرمان) بلغ (0,83)، وتعد قيمة الثبات عالية وبذلك تحقق ثبات الاختبار

الوسائل الإحصائية: استخدم الباحث برنامج (spss)وبرنامج (Excel) في العمليات الإحصائية واستخراج الانحراف المعياري والمتوسط الحسابي والثبات والنسب المئوية والتكرارات.

عرض النتائج: يتم عرض النتائج حسب محاور الاستبانة حيث تضمنت أربعة محاور وهي:

المحور الأول: دور المناهج في جذب الطلبة واستمرارهم بالدراسة

وكانت نتائج المحور كما مبينة في الجدول :

جدول (1): يوضح التحليل الإحصائي للمحور الاول

ت	الفقرة	موافق	محايد	غير موافق	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	هل تعتقد أن المناهج الدراسية الحالية تلبي احتياجات الطلاب وتثير اهتمامهم؟	4	17	79	0,520	2,75	3
2	هل ترى أن المناهج الحالية مرتبطة بحياة الطلاب اليومية وواقعهم؟	1	14	85	0,395	2,84	3
3	هل تجد أن المناهج الدراسية مرنة بما يكفي لتتناسب مع الفروق الفردية بين الطلاب؟	13	80	7	0,445	1,94	2
4	هل تسهم المناهج الدراسية في تعزيز مهارات التفكير الإبداعي والنقدي لدى الطلاب؟	16	75	9	0,498	1,93	2
5	هل توفر المناهج الحالية أنشطة تفاعلية كافية لجذب انتباه الطلاب؟	20	78	2	0,435	1,82	2
6	هل ترى أن كثافة محتوى المناهج الدراسية تؤثر سلبًا على قدرة الطلاب على الفهم والمتابعة؟	16	78	6	0,461	1,90	2
7	هل يتم مراعاة الفروق الثقافية والاجتماعية بين الطلاب في تصميم المناهج الدراسية؟	3	19	78	0,500	2,75	3
8	هل ترى أن طريقة عرض المناهج الحالية تجعل الطلاب أكثر انخراطًا وتحفيزًا للدراسة؟	15	76	9	0,489	1,94	2

9	هل ترى أن التحديثات التي تطرأ على المناهج الدراسية كافية لمواكبة التطورات التربوية الحديثة؟	0	25	75	0,435	1,25	1
10	هل تؤيد إدخال تعديلات على المناهج الدراسية لتشمل المزيد من المهارات العملية والتطبيقية؟	82	18	0	1,18	1,49	1

ويبين الجدول (1) أن نتائج الأسباب جاءت بشكل عام على النحو التالي: أن الفقرة " هل ترى أن المناهج الحالية مرتبطة بحياة الطلاب اليومية وواقعهم؟" وكانت الإجابة (لا أؤيد ذلك) حصلت على أعلى تكرار 85 بنسبة 85 %، وأن الفقرة " هل ترى أن التحديثات التي تطرأ على المناهج الدراسية كافية لمواكبة التطورات التربوية الحديثة؟" وكانت الإجابة (لا أؤيد ذلك) حصلت على اقل تكرار (75) بنسبة 75 %، نلاحظ من إجابات فقرات المحور ان المناهج لا تسهم في تعزيز بناء التفكير، كما انها تؤثر سلبا على الفهم والمتابعة ولا تراعي الفروق الفردية بين الطلبة وعدم مواكبتها للتطورات العلمية، وان طريقة عرضها تساهم في عدم انخراط الطلبة في الدراسة، فلابد من تعديلات عليها لكي تساهم في استمرار الطلبة في الدراسة.

المحور الثاني: التعليم التقليدي وأثره على الرغبة في التعليم

وكانت نتائج المحور كما مبينة في الجدول :

جدول (2): يوضح التحليل الإحصائي للمحور الثاني

ت	الفقرة	أؤيد	أحيانا	لا أؤيد	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	هل ترى أن المعلم في التعليم التقليدي يستطيع إيصال المعلومات الى الطالب	2	26	72	0,503	2,70	3
2	هل تعتقد بأن التعليم التقليدي يوفر بيئة صفية مناسبة لتحفيز الطلبة	2	20	78	0,474	2,76	3
3	هل ترى بأن أساليب التعليم التقليدي مثل التلقين والحاضرات تساعد على الفهم العميق للمادة	6	16	78	0,570	2,72	3
4	هل يمنح التعليم التقليدي للطالب فرصة المشاركة الفعلية في العملية التعليمية	4	22	74	0,541	2,70	3
5	هل تعتقد بأن طرق التقييم التقليدية تقيس الفهم الحقيقي للطلبة	1	24	75	0,463	2,74	3

6	هل ترى بأن التعليم التقليدي يأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية	5	91	4	0,301	1,99	2
7	هل ترى أن التعليم التقليدي يزيد من التفاعل بين الطالب والمعلم	0	6	94	0,239	2,94	3
8	هل تعتقد بأن الاعتماد على الكتاب المدرسي كمصدر أساسي لجودة التعليم	0	5	95	0,219	2,95	3
9	هل ترى بأن استخدام التكنولوجيا يساهم في تحسين التعليم	95	5	0	0,219	1,05	1
10	هل تعتقد بأنه يجب ادخال تحسينات للتعليم التقليدي لتطوير التعليم	94	6	0	0,239	1,06	1

ويبين الجدول (2) أن نتائج الأسباب جاءت بشكل عام على النحو التالي: أن الفقرتين " هل تعتقد بأن الاعتماد على الكتاب المدرسي كمصدر أساسي لجودة التعليم " وكانت الإجابة هي (لا أؤيد ذلك) فحصلت على أعلى تكرار 95 بنسبة 95 %، و الفقرة "هل ترى بأن استخدام التكنولوجيا يساهم في تحسين التعليم" وكانت الإجابة (أؤيد ذلك) حصلت على تكرار 95 بنسبة 95% ، وأن الفقرة " هل ترى أن المعلم في التعليم التقليدي يستطيع إيصال المعلومات الى الطالب " وكانت الإجابة (لا أؤيد ذلك) حصلت على اقل تكرار (72) بنسبة 72.%

نلاحظ من إجابات فقرات المحور أن التعليم التقليدي والاعتماد على الكتاب المدرسي فقط يقلل من الدافعية للطلبة والمشاركة الفعلية للطلبة والفهم لديهم، كذلك يقلل من جودة التعليم وبالتالي يكون عاملاً رئيسياً في التسرب المدرسي.

المحور الثالث: تحديث التعليم ومساهمته في تشجيع الطلبة بالاستمرار بالدراسة

وكانت نتائج المحور كما مبينة في الجدول(3):

جدول (3): يوضح التحليل الإحصائي للمحور الثالث

ت	الفقرة	أؤيد	لا أجد ما أؤيد	لا أؤيد	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	هل ترى هنالك حاجة لتحديث المناهج الدراسية	88	12	0	0,327	1,12	1
2	هل تعتقد بأنه يجب تحديث أساليب التعليم التقليدية	88	12	0	0,327	1,12	1
3	هل توافق على أن استخدام التكنولوجيا في التعليم يعزز من تفاعل الطلاب داخل الفصول؟	94	6	0	0,239	1,06	1
4	هل تتوافر لدى المعلمين التدريبات اللازمة لتطبيق استراتيجيات التعليم الحديثة؟	0	13	87	0,338	2,87	3
5	هل تتوافر في المدرسة الوسائل اللازمة لتحديث التعليم؟	0	9	91	0,288	2,91	3
6	هل توافق على أن توفير بيئة تعليمية مرنة يساعد الطلاب على الاستمرار في الدراسة؟	90	10	0	0,302	1,10	1
7	هل ترى أن التعلم القائم بربط المحتوى التعليمي بواقع الطلاب يساعد الطالب بشكل افضل؟	91	9	0	0,288	1,09	1
8	هل تعتقد ان مشاركة أولياء أمور الطلبة له تأثير فعال في عملية التعليم؟	89	11	0	0,314	1,11	1
9	هل تعتقد بأن هنالك تحديات تواجه تحديث التعليم وتطويره؟	93	7	0	0,256	1,07	1
10	هل ترى بأن تحديث الصفوف الدراسية له تأثير في عملية التعليم بشكل افضل؟	89	11	0	0,314	1,11	1

ويبين الجدول (3) أن نتائج الأسباب جاءت بشكل عام على النحو التالي: أن الفقرة " هل توافق على أن استخدام التكنولوجيا في التعليم يعزز من تفاعل الطلاب داخل الفصول؟" وكانت الإجابة (أؤيد ذلك) حصلت على أعلى تكرار 94 بنسبة 94%، وأن الفقرة " هل تتوافر لدى المعلمين التدريبات اللازمة لتطبيق استراتيجيات التعليم الحديثة؟" وكانت الإجابة (لا أؤيد ذلك) حصلت على اقل تكرار (87) بنسبة 87 %، نلاحظ من الإجابات على فقرات المحور هي أن عملية التحديث للتعليم وإدخال التكنولوجيا في عملية التعليم له تأثير فعال في الاستمرار بالدراسة وزيادة الدافعية، كذلك يجب ان يتميز التعليم بالمرونة.

المحور الرابع: البنية التحتية للمدارس وتأثيرها على تسرب الطلاب

وكانت نتائج المحور كما مبينة في الجدول (4)

جدول (4): يوضح التحليل الإحصائي للمحور الرابع

ت	الفقرة	أوافق	إلى حد ما	لا أوافق	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	هل تعتقد أن المباني المدرسية الحالية في العراق كافية لاستيعاب الطلاب بشكل مناسب؟	88	12	0	0,327	1,12	1
2	هل ترى أن حالة المباني المدرسية تؤثر على رغبة الطلاب في الحضور إلى المدرسة؟	4	90	6	0,317	2,02	2
3	هل تتوفر في مدرستكم المرافق الأساسية (مثل دورات المياه، مياه الشرب، الكهرباء) بشكل كافٍ؟	91	9	0	0,288	1,09	1
4	هل تعتقد أن غياب بيئة مدرسية نظيفة وآمنة يؤثر على انتظام الطلاب في الدراسة؟	82	18	0	0,273	1,08	1
5	هل ترى أن نقص وسائل التكنولوجيا (أجهزة الحاسوب، الإنترنت) في المدرسة يؤثر على دافعية الطلاب للتعلم؟	91	9	0	0,288	1,09	1
6	هل تعتقد أن كثافة الفصول الدراسية المرتفعة تؤثر على جودة التعليم ورغبة الطلاب في الاستمرار بالدراسة؟	91	9	0	0,288	1,09	1
7	هل توافق على أن توفير مساحات مخصصة للأنشطة اللاصفية (الملاعب والمكتبات) يقلل من تسرب الطلاب؟	90	10	0	0,302	1,10	1
8	هل ترى أن البيئة المدرسية الحالية تدعم الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل كافٍ؟	0	12	88	0,327	2,88	3
9	هل تعتقد أن تحسين البنية التحتية للمدارس يساهم في تقليل معدلات التسرب المدرسي؟	86	14	0	0,349	1,14	1
10	هل توافق على أهمية توفير خطط صيانة دورية للمرافق المدرسية لتحسين بيئة التعلم؟	13	84	3	0,389	1,90	2

ويبين الجدول (4) أن نتائج الاستبيان جاءت بشكل عام على النحو التالي: أن الفقرة " هل تعتقد أن كثافة الفصول الدراسية المرتفعة تؤثر على جودة التعليم ورغبة الطلاب في الاستمرار بالدراسة؟" وكذلك الفقرة " هل تتوفر في مدرستكم المرافق الأساسية (مثل دورات المياه، مياه الشرب، الكهرباء) بشكل كافٍ؟ " والفقرة " هل ترى أن نقص وسائل التكنولوجيا (مثل أجهزة الحاسوب، الإنترنت) في المدرسة يؤثر على

دافعية الطلاب للتعلم؟" وكانت الإجابة (أؤيد ذلك) حصلت هذه الفقرات على أعلى تكرار 91 بنسبة 91%، وأن الفقرة " هل تعتقد أن غياب بيئة مدرسية نظيفة وآمنة يؤثر على انتظام الطلاب في الدراسة؟" وكانت الإجابة (أؤيد ذلك) حصلت على اقل تكرار (82) بنسبة 82 %، حيث نلاحظ كثافة الفصول تؤثر سلبيا على جودة التعليم وبالتاي على رغبة الطلاب في الاستمرار بالدراسة، كذلك عدم وجود المرافق الأساسية في المدرسة، بالإضافة الى ذلك ما يؤثر سلباً على الدافعية لدى الطلبة هو عدم توفر وسائل تكنولوجية في المدرسة.

تفسير النتائج: ومن خلال ما سبق يتضح الآتي :

1. أن عدم ملائمة المناهج الدراسية الحالية لاحتياجات الطلاب ومتطلبات العصر الحديث أدت إلى نقص الدافعية والاهتمام بالتعلم، مما عزز من احتمالات التسرب المدرسي.
2. أن عدم ملائمة أساليب التعليم التقليدية التي تركز على التلقين وتفتقر للتفاعل اسهمت في تقليص رغبة الطلاب في الاستمرار بالتعليم وبالتالي زيادة التسرب المدرسي.
3. الاعتماد على استراتيجيات تعليمية مبتكرة تركز على التفاعل والمشاركة الفعّالة مثل التعليم القائم على المشروعات والتعلم التفاعلي تعمل على تحفيز الطلاب وتحد من ظاهرة التسرب المدرسي.
4. أن عدم توفير بيئة مدرسية ملائمة من خلال تحسين البنية التحتية للمدارس كتحديث المباني والمرافق وتوفير التكنولوجيا الحديثة أسهم في زيادة التسرب المدرسي.

الاستنتاجات:

1. 1ن تحديث المناهج وبشكل دوري لمواكبة التطورات التربوية بحيث تتضمن محتويات علمية تساعد الطلبة في اكتساب المهارات الحياتية والمهنية ومواجهة تحديات الحياة والعمل مستقبلاً، وان أعادة التصميم للمناهج بحيث تعكس واقع الطلاب وتتماشى مع حياتهم اليومية يزيد من جذب الطلبة وتفاعلهم.
2. أن المناهج إذا احتوت على أنشطة تفاعلية وأساليب تعمل على تحفز المشاركة الفعالة وتعمل على تعزيز مهارات التفكير ضمن المحتوى الدراسي.
3. تقليص المحتوى العلمي يجعل المناهج أكثر سهولة في الفهم والاستيعاب مما يساهم برفع مستوى التحصيل الدراسي للطلبة المتدنية مستويات تحصيلهم وبالتالي التقليل من ظاهرة التسرب المدرسي

4. دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية والعمل على أجراء تحسينات جوهرية على أساليب التعليم التقليدي يعزز التفاعل ويحسن جودة التعليم مما يسهم في زيادة الدافعية والفهم لدى الطلبة.
5. أن تطوير البيئة الصفية والمدرسية بحيث تكون محفزة وتعتمد على الأنشطة التفاعلية بدلًا من التلقين تجعل البيئة التعليمية أكثر راحة للطلبة وتسهم في عملية جذب الطلبة.
6. مصادر التعلم المتنوعة وعدم الاعتماد فقط على الكتاب المدرسي واستخدام أساليب تدريس حديثة تعتمد على التفاعل والمشاركة الفعالة للطلبة، وتحسين طرق واساليب التقييم بحيث تقيس مستويات الفهم الحقيقي بدلاً من الحفظ والاسترجاع يسهم في الحد من ظاهرة التسرب.
7. الدورات المكثفة لتدريب المعلمين على استراتيجيات التعليم الحديثة واستخدام التكنولوجيا بفعالية تساهم في تحديث التعليم والذي من خلاله يتم احتواء ظاهرة التسرب.
8. توفير الموارد والبنية التحتية اللازمة داخل المدارس لدعم التحديث التعليمي يسهم في جذب واستمرار الطلبة ويمكن أن يقلل معدلات التسرب ويزيد دافعية الطلاب للتعلم مع التخطيط لصيانة دورية وتحسين التجهيزات يرفع من جودة التعليم
9. التكنولوجيا والتفاعل داخل الصفوف عناصر رئيسية في تطوير التعليم وتساهم في زيادة الدافعية للطلبة.

التوصيات والمقترحات :

1. يجب تحديث المناهج بشكل دوري ومحاولة تقليصها.
2. منح المدارس إضافة محتوى دراسي من خارج المنهج، تتضمن أفكار ونشاطات لا يتضمنها المنهج من خلالها يتم تنمية التفكير بكل انواعه.
3. اقامة الدورات التدريبية للهيئات التدريسية ومواكبة للتطورات العلمية والتكنولوجية .
4. الانفتاح على القطاع الخاص وبشراكة مع وزارة التربية ببناء مدارس نموذجية تتضمن كل البنى التحتية الضرورية.
5. تفعيل وزيادة المنصات التعليمية التفاعلية الالكترونية، والأفضل ان تكون لكل مدرسة منصة تعليمية خاصة بها.

قائمة المراجع:

1. أبو الرب. مناهل محمد جميل (2016): واقع البيئة المدرسية في المدارس الخاصة في محافظة رام الله والبيرة في ضوء معايير الجودة والبيئة من وجية نظر المعلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، فلسطين.
2. احمد، زكريا عبد(2016): ظاهرة التسرب الدراسي في المدارس الابتدائية، مجلة الفراهيدي، العدد 24.
3. احمد، سمية عبد الحميد (2008): تحديث التعليم وتطويره ضرورة للتنمية ومواجهة متطلبات العصر، مجلة رعاية وتنمية الطفولة، جامعة المنصورة، العدد6، الجزء3.
4. أسعد، وطفة علي (1993): علم الاجتماع التربوي. مطبعة الإتحاد، جامعة دمشق
5. جميلة، يونس (2023): التخلي عن المدرسة وعدم التأهيل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، الجزائر
6. حرحور، وحيد(2021): التسرب المدرسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية أكلي محند البويرة، الجزائر.
7. حسبو، إبراهيم محمد علي (2023): رؤى حول أسباب وآليات وأساليب تطوير المناهج الدراسية بكلية التربية جامعة النيل الأزرق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع عشر، الجزء الثاني.
8. حسن، محمد صديق (1992): التسرب والتنمية: الأسباب والدوافع، مجلة التربية، العدد 100.
9. الخطاب، مصطفى محسن (1999): الإصلاح التربوي بين أسئلة لازمة وتحديات التحولات الحضارية (رؤية سوسيولوجية نقدية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
10. خلدون، زرقان (2023): المنهاج الدراسي وعلاقته بالتسرب المدرسي من وجهة نظر المعلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر.
11. الخليفة، مدثر أحمد عثمان (2009): البيئة المدرسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لطالب مرحلة الاساس بمحلية المتمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة شندي، السودان.
12. الدويك، تيسير، وأخرون(2009):، اسس الادارة التربوية والمدرسية والاشراف التربوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
13. رحموني، دليلة، وبرو، محمد (2015): المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 2015، العدد 31 ، الجزائر.
14. زيتون، كمال عبد الحميد (2003): التدريس نماذجه ومهاراته، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.
15. سعادة، جودت أحمد، وإبراهيم، عبد الله محمد (2001): تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، دار الشروق، عمان.
16. سليماني، إسماعيل(2021): ظاهرة التسرب المدرسي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محند اكلي، الجزائر.

17. الشيخ، يوسف (2007): مشكلات تربوية معاصرة ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة
18. علي، محمد السيد (2011): اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
19. العماس، عمر محمد(د.ت): التعليم عن بعد والتعليم التقليدي في الميزان، المكتبة الوطنية، الخرطوم.
20. العناني، حنان عبد الحميد (2000): الطفل والأسرة والمجتمع. دار صفاء، الأردن
21. مجلة التربية(1991): التسرب والتنمية بين الأسباب والدوافع، العدد التاسع والتسعون.
22. مجلة التربية(1995): مقال بعنوان التسرب والتنمية: المشكلة وسيلة العلاج.
23. محمد منير مرسي (1999): الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، مطبوعات عالم لكتب، القاهرة.
24. موالي، محمد. وعبو، محمد (2019): دور البيئة المدرسية في تفوق التلاميذ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة احمد دراية، أدرار، الجزائر.
25. نصرالله، عبد الرحيم (2004): تدني مستوى التحصيل والإنجاز المدرسي أسبابه وعلاجه، دار وائل للنشر والتوزيع.
26. العثمان، باسم عبد العزيز، والسلمان، محمد خضير(2019): ظاهرة تسرب تلاميذ المدارس الابتدائية وآثارها على عمالة الاطفال في مدينة أبي الخصيب، مجلة الخليج العربي المجلد 74 ، العدد1.
27. سليمان، شه وبؤ شمس الدين، واحمد، عمر حمه(2021): أسباب التسرب الدراسي وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة قەڵای زانست العلمية، المجلد 6، العدد1.
28. Owoeye, J. S., & Yara, P. O. (2011). School facilities and academic achievement of secondary school agricultural science in Ekiti State, Nigeria. Asian Social Science, 7,(7)
29. Pearson, M. & Thomas, K. (2010). Creating quality faculty development programs to impact teaching and learning. A Collection of Papers on Self-Study and Institutional Improvement 26th Edition. The Higher Learning Commission.
30. Wandberg, R., & Rohwer, J. (2009). Active teaching strategies and learning activities. Teaching health education in language diverse classrooms, 162-186.
31. Vaz ,Adelaine & Others (1997) : " Alternative Conceptions in Biology "An Example from Plant Nutrition " , Paper Presented at The Annual Meeting of National Associathon for Research in Science Teaching , Oak Brook , (21-24) March

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

The Reality of Scientific Research in the Digital Age: A Reading and Analysis of Opportunities and Challenges

Dr.Lamia Reggane
Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou/Algeria
lamia.reggane@ummto.dz

Abstract:

The current era is widely recognized as the Digital Age, representing a revolution across all sectors. Various fields, either partially or fully, have transitioned into this era, with scientific research being one of the domains that have experienced fundamental transformations affecting all its facets and stages—from knowledge production to dissemination. Digitization has introduced unprecedented capabilities for accessing, analyzing, processing, and sharing data, thereby accelerating the pace of research and opening new frontiers for cross-border scientific inquiry. Nevertheless, this transformation presents several challenges, particularly concerning credibility, publication ethics, and information security, as well as the digital and technological divide between societies—where resources available in developed countries are often lacking in developing ones.

This presentation aims to critically analyze the state of scientific research in the digital era, highlighting the opportunities afforded by digitization and modern technology on one hand, alongside the risks and challenges that require careful attention on the other. The objective is to pursue a robust scientific renaissance that leverages digital transformation while upholding academic standards and scientific ethics.

Keywords : Digital Age, scientific renaissance, digitization, scientific research, technology, Digital environment.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

واقع البحث العلمي في العصر الرقمي: قراءة وتحليل للفرص والتحديات

د.لامية رقان

أستاذة محاضرة قسم –ب–

جامعة مولود معمري تيزي–وزو/الجزائر

lamia.reggane@ummto.dz

الملخص:

يعرف العصر الحالي على أنه عصر الرقمنة، الذي يعتبر ثورة على جميع الأصعدة، فقد شهدت مختلف الميادين وبكل فروعها الدخول في هذا العصر سواء جزئيا أو كليا، وما البحث العلمي إلا أحد الميادين التي شهدت في العصر الرقمي تحولات جذرية مست جميع جوانبه ومراحله، من إنتاج المعرفة إلى نشرها، فقد أتاحت الرقمنة إمكانيات غير مسبوقة في كيفية الوصول إلى البيانات وتحليلها ومعالجتها ومشاركتها، مما ساهم في تسريع وتيرة البحث وفتح آفاق جديدة للبحث العلمي العابر للحدود، ومع كل هذا فإن هذا التحول له عدة تحديات خاصة تلك المتعلقة بالمصداقية وأخلاقيات النشر وأمن المعلومات، ناهيك عن الفجوة الرقمية والتكنولوجية الموجودة بين المجتمعات، فما هو موجود في الدول المتقدمة غير موجود في الدول المتخلفة.

نروم من خلال هذه المداخلة إلى تحليل واقع البحث العلمي في ظل العصر الرقمي، مع تسليط الضوء على الفرص التي تتيحها الرقمنة والتكنولوجيا الحديثة من جهة، والمخاطر والتحديات التي ينبغي التنبيه لها من جهة أخرى، وذلك في سياق السعي إلى تحقيق نهضة علمية رصينة تستفيد من التحول الرقمي دون نسيان المعايير الأكاديمية والأخلاق العلمية.

الكلمات المفتاحية: العصر الرقمي، النهضة العلمية، الرقمنة، البحث العلمي، التكنولوجيا، البيئة الرقمية.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

يشكل البحث العلمي أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدول، ويعتبر أداة رئيسية في تقدم الأمم والمجتمعات. وقد ارتبط منذ بداياته الأولى بالفضول المعرفي، والسعي لاكتشاف وفهم الطبيعة والإنسان والمجتمع، وتقديم تحليلات وتفسيرات عقلانية علمية لمختلف الظواهر، ومع تطور البشرية، أصبح البحث العلمي ليس فقط أداة لاكتساب المعرفة، بل أداة استراتيجية في تنمية الدول في مختلف المجالات الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية والثقافية.

في القرن الحادي والعشرين يشهد العالم تحولات هيكلية متسارعة، فرضتها الثورة التكنولوجية خاصة الرقمية منها، ما أدى إلى إعادة رسم خريطة المعرفة والإنتاج العلمي، فالثورة الرقمية أحدثت تحولات عميقة في البيئة الأكاديمية والبحثية، وهذا عن طريق ما حملته من تقنيات الاتصال والمعلومات، ففي عصرنا الحالي قد تغيرت طرق الوصول إلى المعلومة، الشيء الذي أثر في منهجية الكتابة والتحليل، كما ظهرت أنماط جديدة من التواصل العلمي والتعاون البحثي العابر للقارات، وهو ما يدفعنا إلى إعادة النظر والتفكير في واقع البحث العلمي في العصر الرقمي.

إن العصر الرقمي الذي نعيشه اليوم أدى إلى عدم إمكانية دراسة البحث العلمي بعيدا عن البيئة الرقمية التي أصبحت الإطار الأساسي، إن لم نقل العام والأول لمعظم الأعمال الأكاديمية سواء تعلق الأمر بإعداد البحوث، أو نشرها، أو تقييمها أو حتى حوكمتها، كما أنه لم تعد المؤسسات الجامعية بمعزل عن الثورة الرقمية بل أصبحت مطالبة بإعادة النظر في بنيتها التحتية وهياكلها البيداغوجية، وفي خططها البحثية بما يتماشى مع متطلبات العصر.

في هذا الإطار تبرز أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى تقديم قراءة وتحليل لواقع البحث العلمي في العصر الرقمي، وذلك بالتطرق إلى الفرص التي يتيحها التحول الرقمي في تعزيز الإنتاج العلمي، وتسهيل التفاعل المعرفي، وتحسين نوعية المخرجات الأكاديمية، وفي نفس الوقت تسليط الضوء على التحديات التي تعيق البحث العلمي والباحثين من قبيل فجوة الوصول الرقمي ومخاطر التبعية التكنولوجية، وعليه وبناء على ما تم التطرق إليه نطرح الإشكالية التالية:

كيف أثر العصر الرقمي على البحث العلمي وما هي أبرز الفرص والتحديات التي يفرضها العصر الرقمي على البحث العلمي والباحثين؟ وتنبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

1-ما هي أبرز التحولات التي أحدثها العصر الرقمي في بنية البحث العلمي؟

2-كيف تساهم الرقمنة في الإنتاجية العلمية ؟

3-ما هو مستقبل البحث العلمي في ظل البيئة الرقمية؟

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحليل واقع البحث العلمي في ظل العصر الرقمي، ورصد أبرز الفرص التي أتاحتها الرقمنة للبحث العلمي والباحثين، إضافة إلى الكشف عن التحديات التي تهدد نوعية البحث العلمي الرقمي.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي أساسه القراءة والتحليل، وهذا من خلال تتبع لمسار التحولات التي عرفتها البيئة العلمية والأكاديمية بفعل الرقمنة، وتحليل أثر ذلك على الإنتاج العلمي والمعرفي.

أولا-لمحة عامة عن العصر الرقمي:

1-تعريف العصر الرقمي:

يحظى العصر الرقمي، بما ينطوي عليه من مزايا وتحديات، باهتمام متزايد من قبل الباحثين في الآونة الأخيرة، وذلك بالنظر إلى تأثيره العميق والمباشر على أنماط الحياة اليومية. ويعرف هذا العصر، الذي يطلق عليه أيضا "عصر المعلومات"، بالسهولة والسرعة غير المسبوقتين في نقل المعلومات عبر الوسائط الرقمية. ورغم صعوبة تحديد بداية دقيقة لهذا التحول، يرى بعض الباحثين أن انطلاقته تعود إلى سبعينيات القرن الماضي، مع ظهور الحواسيب الشخصية، في حين يرجعها آخرون إلى ثمانينياته، مع بروز شبكة الإنترنت. ومهما اختلفت التأريخات، فإن التسارع اللافت في وتيرة الرقمنة قد طال مختلف جوانب الحياة المعاصرة، بل يكاد يشملها جميعا. فقد أصبحت تقنيات لم تكن مألوفة حتى وقت قريب، مثل "تويتر"، و"سناب شات"، و"إنستغرام"، و"فيسبوك"، و"ماسنجر"، عناصر أساسية في الحياة اليومية لجيل كامل (راوية عبد الحميد إبراهيم وآخرون، 2023، ص ص 124-125).

يرى بعض الباحثين أن "العصر الرقمي" يطلق على المرحلة التي أعقبت العصر الصناعي، حيث ينظر إليه بوصفه الفترة التي أصبحت فيها المعلومات المحور المركزي الذي يوجه السياسات الاقتصادية والاجتماعية، بل ويؤثر في موازين القوة السياسية كذلك. ووفقا لتعريفات أخرى، يعد العصر الرقمي تحولا في مصادر

القوة، حيث انتقلت من الأفراد الذين يملكون رؤوس الأموال ويوجهونها نحو إنشاء المصانع وتشغيل العمال، إلى أولئك الذين يتحكمون في تقنيات الاتصال والمعلومات، لا سيما من يمتلكون المعرفة التقنية والبرمجية. كما يعرف العصر الرقمي بكونه المرحلة التي أصبح فيها بالإمكان تحويل جميع أشكال المعلومات بما في ذلك النصوص، والصور الثابتة والمتحركة، والرسومات، والأصوات إلى صيغ رقمية. ويتم نقل هذه المعلومات عبر شبكة الإنترنت من خلال أجهزة إلكترونية وسيطة مثل الحاسوب والهاتف الذكي. وقد أتاح هذا العصر إمكانيات غير مسبوقة في إنشاء شبكات معلوماتية متطورة، قادرة على تخزين وتوزيع كميات ضخمة من البيانات الرقمية التي تشهد نموا متسارعا ومستمرا. ويعرف باحثون آخرون العصر الرقمي بوصفه مرحلة تاريخية تتسم بتطورات تكنولوجية متسارعة وشاملة في مجالات الاتصالات وتقنية المعلومات، تميزت بظهور حواسيب متقدمة، ووسائط متعددة، وشبكات رقمية، وعلى رأسها شبكة الإنترنت. ويعد هذا العصر نقطة تحول نوعية، إذ لم تعد الحواسيب وشبكات الاتصال مجرد أدوات تقنية ذات طابع صناعي تقليدي، بل أصبحت تمثل بنية تحتية لعالم جديد يعرف بعالم الأعمال الإلكترونية. (راوية عبد الحميد إبراهيم وآخرون، 2023، ص 125).

ونحن نعرف العصر الرقمي على أنه ذلك العصر الذي يعتمد على الانترنت والمعلومات بمختلف أبعادها، وتكنولوجيا الاتصالات، وهو العصر الذي صارت فيه البحوث الأكاديمية عابرة للقارات.

2-خصائص العصر الرقمي: هناك عدة خصائص يتميز بها العصر الرقمي يمكن اجمالها في (ولاء محمود عبد الله محمود، 2018، ص 14):

- ✓ اعتبار المعلومات موردا اقتصاديا ذا قيمة متنامية، حيث تسعى المؤسسات إلى توظيفها بفعالية من أجل تعزيز كفاءتها التشغيلية ورفع مستوى أدائها، بما يسهم في تعزيز موقعها التنافسي مقارنة بالمؤسسات النظيرة. ويتجلى ذلك من خلال تحسين جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين، وتنمية القدرة المؤسسية على الابتكار والتجديد، باعتبار المعلومات ركيزة أساسية لاتخاذ القرار وتحقيق التنمية المستدامة داخل المنظمات؛
- ✓ الانفجار المعرفي والتكنولوجي، وانتشار نظم الاتصالات، والاستعمال المتزايد للحاسوب والتوسع في استخدام شبكة الإنترنت، الأمر الذي جعل العالم قرية كونية إلكترونية، وبدأ الاهتمام المتزايد

بالتربية المعلوماتية ومحو الأمية الخاصة باستخدام الحاسوب ونظم الاتصال الحديثة، حيث يعد توظيف تقنية المعلومات والإنترنت في التدريب والتعليم من أهم مؤشرات التحول للعصر الرقمي؛

- ✓ تنامى النشر الإلكتروني والذي يعتمد على إنتاج المعلومات ونقلها بواسطة الحواسيب والاتصالات عن بعد من المؤلف أو الناشر إلى المستفيد النهائي مباشرة، وذلك من خلال شبكة الاتصالات؛
- ✓ تركز بيئة التعلم في العصر الرقمي على تكوين شبكات مجتمع المعلومات والتي يتم من خلالها تشارك الاهتمامات والممارسات والمعلومات بين أكبر عدد ممكن من المتشاركين.

إن الخصائص المميزة للعصر الرقمي تركت آثارا عميقة في مختلف قطاعات المجتمع، ويعتبر التعليم الجامعي إحداها. فقد أسهمت الثورة الرقمية، لاسيما في مجال نظم الاتصال، في إحداث تحول واضح في الممارسات التعليمية داخل الجامعات. وقد وفرت شبكة الإنترنت إمكانيات غير مسبوقة للوصول إلى مصادر المعلومات دون قيود زمانية أو مكانية، مما أتاح فرصا واسعة لنشر المعرفة وتوظيفها في دعم جهود التطوير الأكاديمي، وتحسين جودة العملية التعليمية والبحثية.

ثانيا- مظاهر تأثير العصر الرقمي على منهجية البحث العلمي:

يشهد العالم في الوقت الراهن تحولات عميقة بفعل الثورة الرقمية، التي لم تقتصر آثارها على الجوانب التقنية فحسب، بل امتدت لتطال المفاهيم والنظريات والأساليب العلمية التقليدية، وفي مقدمتها مناهج البحث العلمي. فقد أدى التطور التكنولوجي، وما رافقه من ظهور أدوات جديدة كتحليل البيانات الضخمة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، إلى فتح آفاق جديدة أمام الباحثين تتجاوز القيود المنهجية الكلاسيكية، نحو نماذج أكثر شمولا ودقة. ولم يعد جمع البيانات وتحليلها حكرا على الوسائل التقليدية مثل العينات، إذ أضحت البيئة الرقمية تنتج كما هائلا من البيانات الفورية التي قد تغني أحيانا عن الحاجة إلى التقنيات السابقة. وفي ضوء هذه المستجدات، تبرز الحاجة الملحة إلى مساءلة عن مستقبل المناهج والأدوات البحثية، ففي العصر الرقمي تظهر تحولات في أدوات ومناهج البحث العلمي وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

1-مصادر البحث في العصر الرقمي: وهي متنوعة منها (فاطمة قرزي،2022، ص 38):

- ✓ الفهارس المتاحة على الخط: تشير الفهارس المتاحة على الخط إلى قواعد بيانات ببليوغرافية تتضمن تسجيلات تصف محتويات مكتبة معينة أو مجموعة من المكتبات، وتشمل الكتب وغيرها من

المواد المكتبية. تتاح هذه الفهارس عبر واجهات استخدام مخصصة، غالبا ما تكون متوفرة من خلال محطات عمل قريبة من مكاتب المراجع، أو من خلال الوصول العام عبر الإنترنت. وتمكن هذه الفهارس المستخدمين من البحث باستخدام عدة مداخل، مثل اسم المؤلف، أو عنوان الدراسة، أو الموضوع، أو الكلمات المفتاحية. كما توفر خيارات إضافية تشمل الطباعة، وتنزيل التسجيلات، أو تصديرها إلى بريد إلكتروني شخصي، بما ييسر للمستفيدين التعامل مع المعلومات الببليوغرافية بمرونة وفعالية.

- ✓ قواعد البيانات: تعد قواعد البيانات ملفات رقمية منظمة وفق هيكل معين، تتيح إمكانية الإضافة والحذف والاسترجاع الفوري للمعلومات، وهو ما يجعلها قادرة على استيعاب كم هائل من البيانات ضمن مساحة رقمية محدودة، قد تكون مخزنة في ملف إلكتروني على جهاز حاسوب. وتمثل هذه القواعد وسيلة فعالة لتنظيم المعلومات وتيسير الوصول إليها. ويمكن تصنيف قواعد البيانات وفقا لطبيعة محتواها إلى ثلاثة أنواع رئيسة: قواعد بيانات ببليوغرافية، وقواعد بيانات نصية رقمية، وقواعد بيانات مرجعية، حيث يخدم كل نوع منها غايات بحثية ومعلوماتية مختلفة.
- ✓ أدلة البحث: تعرف أدلة البحث بأنها قوائم منظمة لمجموعة من مواقع الإنترنت، يتم تصنيفها وترتيبها وفق موضوعات عامة أو قطاعات معرفية واسعة، بالاعتماد على التدخل البشري والخبرة المتخصصة في الفهرسة والتصنيف، وليس فقط على الخوارزميات الآلية. وتعد هذه الأدلة من الوسائل المفيدة لتوجيه المستخدمين نحو مصادر معلومات موثوقة ضمن مجالات اهتمامهم.
- ✓ البوابات: تعرف البوابات الإلكترونية بأنها نقاط دخول أساسية إلى جزء من شبكة الويب، وتعد بمثابة واجهات موحدة توفر للمستخدمين باقة متنوعة من الخدمات والمحتويات في مكان واحد. وغالبا ما تجمع هذه البوابات بين عدد من الوظائف مثل البريد الإلكتروني، وخدمات المحادثة، والأخبار، والألعاب الإلكترونية، والتسوق عبر الإنترنت، إضافة إلى محركات البحث وأدوات إنشاء الصفحات الشخصية، ما يجعلها منصات متعددة الاستخدامات تسهل التفاعل مع محتوى الإنترنت.
- ✓ محركات البحث: تعرف محركات البحث بأنها أدوات إلكترونية تعتمد على استراتيجيات بحث محددة، مثل البحث البولينيBoolean Search)) ، أو استراتيجيات أكثر انفتاحا. وتستخدم

هذه الأدوات لاستكشاف محتويات مختلفة ضمن بيئة الإنترنت، بما في ذلك النصوص، الصور، الرسومات، الخرائط، والملفات الصوتية. وتتيح محركات البحث الوصول إلى النتائج التي تتضمن جميع المصطلحات المدخلة أو بعضها، سواء داخل شبكة الويب بشكل عام، أو ضمن مواقع محددة مسبقا من خلال ما يعرف بأدلة أو قوائم البحث. وتتنوع محركات البحث وفق نوع المحتوى الذي تستهدفه، فمنها ما يركز على الصور فقط، أو الفيديوهات، أو الملفات الصوتية، وغيرها من أشكال المحتوى الرقمي.

2-التحول في أدوات جمع البيانات وتحليلها: يشير التحول في أدوات جمع البيانات وتحليلها إلى تغير جوهري في الطرق التي يعتمدها الباحثون لاستخلاص المعرفة والمعلومات من مصادر متعددة. وقد جاء هذا التغير مدفوعا بالتطور السريع للتكنولوجيا، وبروز مفاهيم مثل البيانات الضخمة، إلى جانب الحاجة المتنامية إلى قرارات مبنية على معطيات دقيقة. فأصبح التركيز اليوم منصبا على أدوات ذكية ومتقدمة تتيح الوصول إلى كم هائل من البيانات وتحليلها بطرق أكثر فاعلية وعمقا من الأساليب التقليدية ومن هذه الأدوات نذكر:

- ✓ استخدام الاستبيانات الالكترونية: يعد الاستبيان الإلكتروني شكلا حديثا من أدوات جمع البيانات، يتم تصميمه رقميا وينشر عبر رابط إلكتروني يتاح للمستجيبين عبر الإنترنت. ويتميز هذا النوع من الاستبيانات بسهولة الوصول إليه، حيث يمكن للأفراد الذين يمتلكون اتصالا بالشبكة تعبئته من أي مكان. كما يسترجع بطريقة إلكترونية تحافظ على طبيعته الرقمية، مما يسهل جمع البيانات وتحليلها بكفاءة (صباح غربي، محمود تيشوش، 2023، ص44).
- ✓ استخدام الذكاء الاصطناعي: ازدادت مكانة الذكاء الاصطناعي في ميدان البحث العلمي بشكل لافت، مدفوعة بالتطور المتسارع في التكنولوجيا وأساليب المعالجة الفعالة للبيانات. ويشمل الذكاء الاصطناعي طيفا واسعا من الأدوات والتقنيات التي تمكن الباحثين من تحليل المعطيات بسرعة ودقة تفوق الطرائق التقليدية. فعلى سبيل المثال، تستخدم خوارزميات التعلم الآلي في التعامل مع كميات هائلة من البيانات، مما يتيح إجراء تحليلات معمقة والكشف عن أنماط يصعب رصدها بوسائل أخرى. ويساهم ذلك في تسريع وتيرة البحث وتحسين جودة النتائج. وإضافة إلى ذلك، يوفر الذكاء الاصطناعي إمكانيات لمحاكاة التجارب وتوقع المخرجات، مما يقلل من الوقت والموارد

المطلوبة لتنفيذ الدراسات الميدانية. كما يقدم دعما ملحوظا للباحثين عبر أدوات مثل المساعدات الرقمية وتقنيات الدردشة الذكية، التي تيسر المهام الفنية والإدارية، وتتيح تفاعلا آنيا مع البيانات، واستفسارات دقيقة تسهم في تعزيز فعالية العملية البحثية (علاء عبد الخالق المندلاوي، إسراء نجم عبد، 2025، ص ص 15-14).

ثالثا- الفرص التي يتيحها العصر الرقمي للبحث العلمي:

لقد أسهمت التقنيات الرقمية، حتى الوقت الراهن، في تحسين جوانب متعددة من حياة الإنسان، ومن المرجح أن تتزايد هذه المكاسب مع استمرار التقدم في العالم الرقمي. فقد أدت هذه التقنيات إلى تقليص ملموس في التكاليف المرتبطة بالعمليات الاقتصادية، كما أسهم تطورها في بروز ابتكارات متنوعة ذات انعكاسات عميقة على البنية الاجتماعية. ويتوقع أن تفضي هذه التحولات إلى رفع مستويات الإنتاجية، نتيجة لتيسير عمليات الإنتاج والتجارة، وتحسين كفاءة التنظيم والإدارة؛ كما أن البيئة الرقمية تتيح فرصا متزايدة في مجال الأعمال، بما في ذلك توسيع نطاق التجارة الدولية، وهو ما يمكن أن تستفيد منه حتى المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. وفي المجال التربوي، أصبح التعلم أكثر تفاعلا وتعاونا، خاصة مع التطوير المستمر لتطبيقات التعليم الرقمي. وعلى الصعيد الصحي، ساعد استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تشخيص الأمراض بشكل أكثر دقة وسرعة، ما من شأنه أن يساهم في رفع متوسط العمر المتوقع في السنوات القادمة (Alwi Alatas, 2023, p8) .

أما فيما يخص الخدمات العامة، فقد أصبحت أكثر سهولة وانفتاحا، مع إمكانية تقليص البيروقراطية المعقدة بشكل ملحوظ. كما أتاح الانتشار الواسع لمنصات التواصل الاجتماعي للناس التعبير عن آرائهم والمشاركة في الحياة العامة، وأصبحت هذه المنصات تمثل أحيانا أدوات رقابة اجتماعية فعالة. ومن جهة أخرى، أدت التحولات الرقمية المتسارعة إلى نشوء مجالات وأساليب عمل جديدة لم تكن متصورة في السابق. ومع التوجه العالمي نحو اقتصاد أكثر استدامة، تشير التقديرات إلى إمكانية خلق نحو 24 مليون وظيفة جديدة على مستوى العالم بحلول عام 2030.ومن الجدير بالذكر أن التقنيات الرقمية لا تتيح فقط إمكانية نسخ البيانات ومسحها وإعادة إنتاجها بسهولة، بل تمكن أيضا من تحويل هذه البيانات إلى أشكال مادية قابلة للطباعة

والتعديل بدرجة مرونة عالية، وهو ما يمكن تشبيهه بلعبة تركيب مرنة، كتلك التي توفرها مكعبات "ليغو (Alwi Alatas, 2023, p8)".

رابعا–التحديات والمخاطر التي تواجه البحث العلمي في البيئة الرقمية:

رغم ما أتاحه العصر الرقمي من فرص وإمكانات هائلة للبحث العلمي، فإن هذا التحول لم يخل من تحديات ومعيقات جدية ومعقدة. إذ أن الرقمنة، في ذاتها، ليست عملية حيادية، بل تترافق مع إشكالات معرفية وتقنية وأخلاقية وقيمية، تجعل من الضروري التعامل معها بوعي نقدي واستراتيجي. وفيما يلي أبرز التحديات التي تواجه الباحثين والمؤسسات العلمية في البيئة الرقمية:

1–قضايا حقوق الملكية الفكرية: تعد قضايا حقوق الملكية الفكرية من أبرز التحديات التي تواجه البحث العلمي في البيئة الرقمية، إذ أن التطور المتسارع في تقنيات الشبكة العنكبوتية أتاح إمكانيات واسعة لانتهاك تلك الحقوق، سواء من خلال النسخ غير القانوني، أو عبر أشكال السرقات العلمية والأدبية، أو حتى بتحريف المحتوى والمعلومات الأصلية. كما أسهم تنوع وتعدد وسائل إرسال واستقبال المعلومات في الشبكة الرقمية في تسهيل الوصول إلى المحتوى، مما شجع بعض المستخدمين على تبني ممارسات غير مشروعة في تداول المعرفة والمعلومات. هذا الواقع يعرض العديد من الأفراد والمؤسسات لاحقا لمساءلات قانونية، قد تترتب عنها عقوبات جنائية أو مدنية، ويقوض في الآن ذاته ثقة الباحثين في النظام الرقمي كفضاء آمن للإنتاج العلمي (ناجي بولمناخر، 2021، ص 118).

2–الانفجار المعلوماتي وانتشار المجلات المفترسة والانتحال العلمي: يعد الانفجار المعلوماتي وانتشار المجلات المفترسة وظاهرة الانتحال العلمي من أبرز التحديات التي تواجه البحث العلمي في البيئة الرقمية. فقد ساهمت إتاحة الوصول الحر إلى البيانات في خلق صعوبة بالغة في السيطرة على الكم المتزايد من مصادر المعلومات، وتتبعها، وتقييم مدى موثوقيتها. هذا الوضع أتاح المجال لظهور مجلات مفترسة تفتقر إلى المعايير العلمية الصارمة، حيث تصدر عن جهات نشر لا تلتزم بأخلاقيات البحث العلمي، وتمارس خروقات للضوابط الأكاديمية، إذ ينصب اهتمامها الأساسي على تحقيق المكاسب المادية على حساب جودة المحتوى

ورصانته العلمية. هذه الممارسات أضحت تمثل تهديدا حقيقيا لمصداقية البحث العلمي وأمانته (فاروق سلطاني، ياسين حمدي بباشا، 2024، ص ص 427-428).

3-تحدي نقص الخبرات والجهل الرقمي بين مختلف الفئات العمرية: يعد نقص الخبرات والجهل الرقمي من التحديات البارزة في بيئة البحث العلمي الرقمية، إذ يحظى هذا المجال باهتمام أكبر من قبل فئة الشباب مقارنة ببقية الفئات العمرية. وتشير الإحصاءات إلى أن الباحثين من كبار السن غالبا ما يفتقرون إلى الإلمام الكافي بمهارات استخدام التقنيات الحديثة، في حين يمتلك الشباب خبرة أكبر وتأهيلا أفضل للتعامل مع أدوات البحث الرقمي. هذا التباين في القدرات الرقمية يفرض على المؤسسات البحثية ضرورة استثمار كفاءات الجيل الشاب لنقل المعرفة وتبادل الخبرات، بما يحقق تنسيقا فعالا بين الأجيال ويسهم في تعزيز كفاءة المنظومة البحثية (ناجي بولمناخر، 2021، ص 119).

4- تحدي تكييف التخصصات والمجالات مع الأدوات الرقمية الحديثة: يعد تكييف التخصصات العلمية مع الأدوات الرقمية الحديثة من التحديات الجوهرية في البيئة البحثية المعاصرة، إذ بات من غير الممكن فصل ميدان البحث والدراسة عن التطورات المستمرة في تقنيات البحث والابتكارات الرقمية. ويستلزم هذا الواقع من الباحثين امتلاك مهارات متقدمة ومجموعات متكاملة من الأدوات الرقمية التي تتيح لهم دمج تخصصاتهم مع الوسائط التفاعلية عبر شبكة الإنترنت، إلى جانب الاستفادة من مختلف المنصات والأدوات الرقمية الأخرى التي تدعم الإنتاج المعرفي وتطويره (ناجي بولمناخر، 2021، ص 119).

5- اتساع الفجوة الرقمية بين العالم المتقدم والعالم الثالث: تشير الفجوة الرقمية إلى التفاوت في القدرة على الوصول إلى موارد الإنترنت والتقنيات المرتبطة بها بين الدول المتقدمة ودول العالم النامي. ويعزى هذا التباين إلى محدودية موارد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تمكن الأفراد والمؤسسات من التفاعل بكفاءة في البيئة الرقمية. ومع مرور الوقت، تتسع هذه الفجوة بين الدول النامية والدول المتقدمة بشكل ملحوظ. وتعود أسبابها إلى ضعف البنية التحتية للاتصالات، وقلة مزودي خدمات الإنترنت، وانخفاض معدلات استخدام الحواسيب الشخصية، إلى جانب النقص الواضح في موارد الشبكة. كما يلاحظ وجود فجوة داخلية في

الدول نفسها، إذ تختلف إمكانية الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بين المناطق الحضرية والريفية، ما يعمق من التفاوت الرقمي.

(Ahmed Al Tawalbeh Serhan, Afaf Abu Sirhan, 2022, p675)

6- تحديات الأمن الرقمي وحماية البيانات: تشكل التهديدات الإلكترونية أحد أبرز المخاطر في البيئة الرقمية، حيث تتعدد أنواعها وتتنوع أساليبها في التأثير على الأنظمة المعلوماتية. ومن أبرز هذه التهديدات البرمجيات الخبيثة، التي تشمل الفيروسات وأحصنة طروادة وبرامج التجسس، والتي تزرع بقصد تعطيل الأنظمة أو سرقة البيانات الحساسة. كما تبرز الهجمات الموجهة، التي تصمم خصيصا لاختراق أنظمة محددة أو استهداف مؤسسات بعينها، باستخدام تقنيات متطورة وخداع موجه. ويضاف إلى ذلك برامج الفدية، التي تعمل على تشفير البيانات والمطالبة بدفع مبالغ مالية مقابل استرجاعها، مما يجعلها من أخطر التهديدات التي تواجه المؤسسات. كذلك، يعد التصيد الإلكتروني من أكثر أساليب الاحتيال شيوعا، إذ يخدع الأفراد للحصول على معلومات حساسة ككلمات المرور والبيانات البنكية من خلال رسائل إلكترونية مزيفة. ولا تقل خطورة هجمات الحرمان من الخدمة عن غيرها، إذ تعتمد على إغراق الخوادم بكم هائل من الطلبات، ما يؤدي إلى تعطيل النظام وحرمان المستخدمين من خدماته الأساسية. هذه التهديدات مجتمعة تشكل تحديا حقيقيا يتطلب تطوير آليات حماية فعالة واستراتيجيات أمنية متقدمة لضمان سلامة البيانات واستمرارية العمل في البيئة الرقمية (مصطفى قطب، 2024).

7- غياب الحوكمة الرقمية في المؤسسات الأكاديمية: أضحى التحول الرقمي عنصرا محوريا في مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك قطاع التعليم، حيث يتطلب هذا التحول اعتماد تقنيات مبتكرة لتعزيز عملية التعليم وتحسين جودة المخرجات التعليمية. غير أن هذه العملية تواجه جملة من التحديات التي تقوض فعاليتها واستدامتها، يأتي في مقدمتها غياب استراتيجيات واضحة للحوكمة الرقمية داخل المؤسسات الأكاديمية، وضعف في التشريعات اللازمة في تفعيل وتطبيق الحوكمة بشكل عام وحوكمة التحول الرقمي على وجه الخصوص، إلى جانب ضعف البنية التحتية التقنية اللازمة لدعم هذا التحول. كما يشكل النقص في الكفاءات الرقمية لدى كل من المعلمين والطلاب عائقا إضافيا أمام تحقيق الأهداف المرجوة. وإلى جانب ذلك، تبرز صعوبات أخرى تتعلق بإدارة البيانات وضمان أمنها وحماية خصوصيتها، وهو ما يجعل الحاجة

ملحة لوضع سياسات حوكمة متكاملة تعزز كفاءة التحول الرقمي في المنظومة التعليمية (عمر حسين الصديق بوشعالة، 2024، ص 441).

خاتمة:

لقد بينت هذه الدراسة أن العصر الرقمي لم يحدث مجرد تغييرات تقنية في مجال البحث العلمي، بل شكل تحولا معرفيا ومنهجيا عميقا، أعاد تشكيل منظومة الإنتاج العلمي بأكملها. فالرقمنة وفرت فرصا غير مسبوقة، أبرزها سهولة الوصول إلى مصادر المعلومات، وسرعة تحليل البيانات، وتوسيع دائرة التعاون بين الباحثين على المستوى العالمي، ما أسهم في تسريع وتيرة البحث وتوسيع نطاقه.

في المقابل، أفرز هذا الواقع الجديد تحديات حقيقية تمس بجوهر العملية البحثية، من بينها تزايد مشكلات الموثوقية والمصداقية في بيئة رقمية يغلب عليها التدفق السريع وغير المنضبط للمعلومات، إضافة إلى صعوبات تتعلق بالفجوة الرقمية بين المؤسسات والباحثين، وتضاؤل فرص بعض الفئات في مواكبة التطورات التكنولوجية. كما أن غياب إطار قانوني وأخلاقي واضح لضبط البحث العلمي الرقمي قد يفتح الباب أمام انتهاكات متعددة، من سرقات علمية إلى نشر محتوى غير دقيق أو مضلل.

إن النهوض بالبحث العلمي في ظل التحول الرقمي لا يتطلب فقط موارد مالية أو أدوات تقنية، بل يحتاج إلى رؤية استراتيجية، ومراجعة شاملة للسياسات الأكاديمية، وإرادة حقيقية في تحويل المعرفة إلى قوة مجتمعية تساهم في التنمية والاستقلال المعرفي. وهو ما يجب أن يكون في صلب اهتمامات الدول والمؤسسات الأكاديمية.

انطلاقا مما سبق نوصي بالتالي:

1. تعزيز البنية التحتية الرقمية في الجامعات ومراكز البحث، لتسهيل الوصول إلى قواعد البيانات والأدوات التقنية.

2. تكوين مستمر للباحثين في مهارات البحث الرقمي، وأخلاقيات النشر العلمي، واستخدام البرمجيات المتخصصة.
3. إرساء سياسات وطنية واضحة لدعم البحث العلمي الرقمي، تشمل التمويل، والتشجيع على التعاون الدولي، وتحفيز النشر المفتوح.
4. الحد من الفجوة الرقمية من خلال تمكين الباحثين في الدول النامية من الوصول المجاني أو المدعوم إلى المحتوى العلمي العالمي.
5. الرقابة والتشريع الأكاديمي للحد من السرقة العلمية والانتحال، عبر آليات التحقق والمراجعة الإلكترونية.
6. تشجيع الدراسات البينية التي تستفيد من التكامل بين العلوم الرقمية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، لإنتاج معرفة أكثر شمولا وواقعية.
7. بناء شراكات دولية لدعم مشاريع بحثية رقمية مشتركة، تستجيب للتحديات العالمية وتثري رصيد المعرفة الإنسانية.

قائمة المراجع:

أولا- الكتب:

1-المندلاوي علاء عبد الخالق، نجم عبد إسراء، 2025 ، منهجية البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي الأدوات والتقنيات المبتكرة، العراق، دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانيا-المقالات باللغة العربية:

2-بولمناخر ناجي، ديسمبر 2021، البحث العلمي في ظل البيئة الرقمية: تحديات الواقع وآفاق المستقبل، مجلة دفاتر المتوسط، المجلد 6، العدد 2.

3-بوشعالة عمر حسين الصديق، أكتوبر-ديسمبر 2024، التحديات التي تواجه تطبيق حوكمة التحول الرقمي في العملية التعليمية التقنية في ليبيا، المجلد 2، العدد 4.

4-محمود عبد الله محمود ولاء، 2018، مقومات تنمية الموارد البشرية الأكاديمية بجامعة بنها في العصر الرقمي "الواقع وسيناريوهات المستقبل"، مجلة كلية التربية، المجلد 2، السنة 18، العدد 90.

5-سلطاني فاروق، حمدي باشا ياسين، 2024، ظاهرة الافتراس في النشر الالكتروني المجلات المفترسة نموذجا، مجلة القانون والعلوم البينية، المجلد 3، العدد 2.

6-عبد إبراهيم راوية وآخرون، أفريل 2023، العصر الرقمي: مفهومه وخصائصه ومتطلباته وتأثيره على قيم المواطنة، مجلة العلوم التربوية، العدد 55.

7-قرزي فاطمة وآخرون، 2022، استخدام أدوات البحث في البيئة الرقمية لدى عينة من طلبة الدراسات العليا بجامعتي قسنطينة 2/الجزائر وبابل العراق، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 1.

8-غربي صباح، تيشوش محمود، 2023، الاستبيان الإلكتروني كأداة لجمع البيانات من المجتمع الافتراضي، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 11، العدد 3.

ثالثا-مواقع الأنترنت:

9-قطب مصطفى، 2024/11/08، الأمن السيبراني: أهمية حماية البيانات في العصر الرقمي، أكاديمية مهارات التخطيط الاستراتيجي، الرابط:

https://spskills.com/articles/الأمن-السيبراني-أهمية-حماية-البيانات/ , 2025/08/06.

رابعا- المقالات باللغة الإنجليزية:

7-Alatas Alwi, September 2023, Civilization and the Digital Era Opportunities and Challenges for the World and Indonesia, The Journal of History and Islamic Civilization, Volume 7, Issue 1.

8- Serhan Ahmed Al Tawalbeh, Abu Sirhan Afaf, 25 December 2022, TheDigital Divide Between The Developed World And The Third World, Kurdish Studies, Volume10, No 2.

Content Analysis in the Digital Environment: Application Methods and Methodological Challenges

Dr. Lemmouchi Mohammed[1]
University of continuig education Tebessa - center
m.lemmouchi@univ-skikda.dz

Dr. Dhib Youcef[2]
University of Oum El Bouaghi - Algeria
Youcefdib2020@gmail.com

Abstract:

This paper examines the application of content analysis in the digital environment, with a focus on the methodologies employed and the methodological challenges researchers encounter in this field. It explores the distinctions between content analysis in traditional and digital contexts, particularly in terms of analysis categories, measurement units, and the unique characteristics of digital content, such as multimedia integration and interactivity. The study also highlights key challenges faced by researchers, including the vast volume of data, the complexity of content classification, and difficulties in defining analytical categories, as well as issues related to sample selection and representativeness in the digital context. Additionally, the paper discusses the adaptation of content analysis tools to the nature of digital content and proposes methodological solutions to address these challenges. The study concludes that technological advancements necessitate a reassessment of content analysis methodologies, requiring the integration of advanced techniques such as data mining, software-assisted text analysis, and artificial intelligence to enhance accuracy and objectivity. Furthermore**.**

Keywords: Content Analysis, Digital Environment, Application Methods, Methodological Challenges.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تحليل المضمون في البيئة الرقمية: أساليب التطبيق والتحديات المنهجية.

د.لموشي محمد[1]
جامعة التكوين المتواصل مركز تبسة/ الجزائر
m.lemmouchi@univ-skikda.dz
د.يوسف ذيب[2]
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي/الجزائر
Youcefdib2020@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة تطبيقات تحليل المضمون في البيئة الرقمية، مع التركيز على الأساليب المستخدمة والتحديات المنهجية التي تواجه الباحثين في هذا المجال، تناولنا الفروق بين تحليل المضمون في البيئة التقليدية ونظيره في البيئة الرقمية، خاصة فيما يتعلق بفئات التحليل، ووحدات القياس، والخصائص الجديدة للمحتوى الرقمي، مثل الوسائط المتعددة والتفاعلية. كما تستعرض الورقة البحثية أهم الصعوبات التي تواجه الباحثين، بما في ذلك ضخامة البيانات، وتعقيد تصنيف المحتوى، وصعوبة ضبط الفئات التحليلية، إضافة إلى الإشكالات المرتبطة باختيار العينات ومدى تمثيلها في السياق الرقمي.

تطرقت الورقية البحثية كذلك إلى كيفية تكييف أدوات تحليل المضمون مع طبيعة المحتوى الرقمي، واقتراح حلول منهجية للتغلب على التحديات المطروحة. وخلصت الدراسة إلى أن التطورات التقنية تستدعي إعادة النظر في أداة تحليل المضمون، وتكييفها وفق طبيعة المحتوى الرقمي الديناميكي، مما يستلزم توظيف تقنيات متقدمة مثل التنقيب في البيانات وتحليل النصوص بمساعدة البرمجيات وحتى الذكاء الاصطناعي، لضمان دقة النتائج وموضوعيتها..

الكلمات المفتاحية: تحليل المضمون، البيئة الرقمية، أساليب التطبيق، التحديات المنهجية

مقدمة:

تُعتبر أداة تحليل المضمون واحدة من أبرز الأدوات الكمية المستخدمة من طرف الباحثين لفهم وتحليل المضامين الإعلامية والاتصالية منذ عقود، وتتميّز هذه الأداة بقدرتها على كشف الأنماط المتكررة وتفسير الرسائل الاتصالية في إطار المحتوى الظاهر، مما يجعلها إحدى الركائز المنهجية في الدراسات الإعلامية التقليدية، سواء في الصحافة المكتوبة أو التلفزيون أو الإذاعة مما ساهم في تقديم رؤى كمية دقيقة حول كيفية معالجة القضايا المختلفة إعلاميًا، مع الالتزام بأساليب محددة تضمن تمثيلية العينات ودقة التعميم على ظواهر إعلامية أوسع.

غير أن التحوّل الذي شهدته وسائل الإعلام في العصر الرقمي أعاد تشكيل ملامح البيئة الاتصالية كاملة وبكل تفاصيلها، فقد أصبحت وسائل الإعلام الحديثة أكثر تعقيدًا وتفاعلية، مما أدى إلى ظهور مضامين إعلامية جديدة تعتمد على تقنيات الوسائط المتعددة مثل النصوص، الصور، الفيديوهات، والرسوم البيانية التفاعلية، ولم تعد الوسائل الإعلامية تقتصر على الشكل التقليدي الذي يُنتج فيه المحتوى ويُستهلك فقط، بل أصبحت الديناميكية الرقمية تتحكم في طبيعة هذا المحتوى وانتشاره. وفي ظل كل هذا التطور، باتت أداة تحليل المضمون تواجه تحديات جديدة ترتبط بتطبيقها على البيئة الرقمية وما تتميز به من خصائص تختلف عن البيئة التقليدية.

تتمثل أبرز التحديات التي نحن بصدد الحديث عنها، في كيفية التعامل مع تدفق المعلومات الهائل وتعدد صيغ المحتوى الذي يُنتج وينشر عبر الإنترنت. إلى جانب ذلك، تبرز إشكاليات أخرى مثل صعوبة تحديد العينات في فضاء رقمي مفتوح وغير محدود، وضرورة التعامل مع البيانات الضخمة باستخدام أدوات تقنية متقدمة لتحليل النصوص الرقمية. كما يواجه الباحثون تحديات منهجية تتعلق بمدى قدرتهم على تكييف القواعد التقليدية لتحليل المضمون ومنها فئات ووحدات التحليل مع السمات الفريدة للإعلام الرقمي، كالوسائط المتعددة، السرعة في التحديث، التفاعلية، والانتشار السريع للمحتوى.

على الرغم من هذه التحديات، يظل تحليل المضمون أداة مهمة للباحثين في ميدان علوم الإعلام والاتصال نظرًا لما يوفره من إمكانيات لفهم الرسائل الإعلامية وكيفية تأثيرها على الجمهور. ومع ذلك، فإن

الانتقال من البيئة التقليدية إلى البيئة الرقمية يتطلب تطوير منهجيات جديدة أو تكييف المناهج القائمة لاستيعاب التغيرات التي طرأت على أنماط إنتاج واستهلاك المحتوى الإعلامي.

وبناءً على ما سبق، تطرح هذه الدراسة التساؤل التالي: كيف يمكن تطبيق أداة تحليل المضمون في البيئة الرقمية؟ وما هي أبرز التحديات المنهجية التي تواجه الباحثين عند استخدام هذه الأداة في هذا السياق؟

أولا/ تحليل المضمون كأداة للبحث العلمي.

لأدوات البحث العلمي دور هام في جمع المعلومات والبيانات المستهدفة أي دراسة بحيث "تقاس القيمة العلمية لأي بحث بالنتائج التي توصل اليها وفق خطوات المنهج العلمي المستخدم في البحث، وأيضا بالوسائل والأدوات التي تم استخدامها في جمع البيانات. (زيدان، 1974، صفحة 103)

وأدوات جمع البيانات تمثّل نقطة التلاقي بين البناء المفهومي لمشكلة البحث من جهة والواقع المراد دراسته من جهة أخرى، وهي تستمدّ وجودها من كونها تسمح للباحث بالتوجه نحو الواقع لجمع المعلومات الضرورية للإجابة عن مشكلة بحثه. (انجرس، 2004، صفحة 234)

وتعتبر أداة تحليل المحتوى من بين الأدوات المضبوطة علميا ومنهجيا لجمع المعلومات والبيانات التي تخص البحوث التي تعنى بدراسة عنصر الرسالة في العملية الاتصالية.

تشير كلمة "تحليل" من الناحية الاصطلاحية إلى تفكيك مكونات الشيء إلى مكوناته الأساسية، في حين تدل كلمة مضمون على ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيل الصوتي أو الفيلم أو الكلامي أو الايمائي من معاني مختلفة، يعبر عنها الفرد في نظام معين من الرموز لتوصيلها للآخرين. (لارمي و فالي، 2004، صفحة 241)

وقد وضع بيرلسون Burleson أوّل تعريف لهذه التقنية بأنه "الوصف الموضوعي، المنظم، والكمي، للمضمون الظاهر للاتصال" (الجوهر، 1992، صفحة 12)

ويعرّف تحليل المحتوى كذلك بأنه مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي الموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى. (عبد الحميد، 2010، صفحة 55)

وحسب محمد منير حجاب فإن تحليل المحتوى هو "وسيلة بحث يستخدمها الباحث لوصف المحتوى الظاهر للرسالة الإعلامية وصفا موضوعيا وكميا ومنهجيا. (حجاب، 2003، صفحة 152)

ومن بين التعريفات الحديثة لتحليل المحتوى ذلك الذي أورده كلود كريندوف، حيث يرى بأن تحليل المحتوى هو "أحد الأساليب البحثية التي تستخدم في تحليل المواعد الإعلامية بهدف التوصل الى الاستدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة في حالة إعادة البحث والتحليل. (تمار، 2007، صفحة 09)

وإجمالا لما سبق، يمكن القول أن تحليل المحتوى هو أداة من أدوات جمع البيانات في البحث العلمي تستخدم من طرف الباحثين في عديد المجالات والحقول البحثية ومنها بحوث الإعلام والاتصال، وهذا من أجل وصف المحتوى الظاهر والصريح للمادة الإعلامية من ناحيتي الشكل والمضمون، بهدف تلبية احتياجات البحث التي تتم صياغتها في تساؤلات البحث وفروضه الأساسية.

كما يتم استخدامه في وصف المواد الإعلامية التي تعكس الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تنبع منها الرسالة الإعلامية أو التعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية شكلا ومضمونا والتي يعبّر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم، وذلك بشرط أن تتم عملية التحليل بصفة منظمة، ووفق منهجية ومعايير موضوعية، وأن يستند الباحث في عملية جمع البيانات وتبويبها وتحليلها على الأسلوب الكمي بصفة أساسية. (تمار، 2007، صفحة 11).

ثانيا/ مميزات وخصائص تحليل المضمون.

لخص يوسف تمار مميزات وخصائص أداة تحليل المضمون في النقاط التالية:

- تحليل المحتوى يخص المواد اللّغوية وغير اللّغوية أي الصّور التعبيرية المكتوبة، المسموعة، والمرئية.

- تحليل المحتوى يهتم بالمحتوى الظّاهر أي ما كتب أو قيل بصراحة من خلال هذا المضمون.

- يمكن أن يتناول الرموز الساكنة مثل النصوص المكتوبة أو النصوص المتحركة مثل الأفلام والموسيقى.

- هو تقنية بحث تؤكد ما لا تستطيع مناهج وتقنيات أخرى الوصول إليه يخص بتحليل وسائط – مهما كان شكلها–تحمل رسائل يمكن ملاحظة محتواها ومنه تحليلها. (تمار، 2007، صفحة 12)

ثالثا/ فئات ووحدات تحليل المحتوى.

1– فئات التحليل:

تهدف هذه العملية إلى تقسيم المحتوى إلى منظومة من الأفكار التي لها علاقة مباشرة بإشكالية وأهداف الدراسة، ومنه تجنب باقي الأفكار التي تخدم تلك التوجيهات، بل يتوقف اختيارها على اشكالية البحث وأهدافه. (تمار، 2007، صفحة 07).

ولهذا فإن عملية تحديد فئات ووحدات التحليل وإعدادها تعتبر "أهم خطوة يجب أن يوليها الباحث اهتماما كبيرا، نظرا لما كشفت عنه بعض الدراسات التي اجريت في مجال تحليل المضمون والتي وضح منها أن الإعداد الجيّد الواضح لفئات التحليل أدّى إلى التوصّل إلى نتائج عملية وبحثيّة مثمرة، في نفس الوقت الذي فشلت فيه نتائج تحليلية أخرى في التوصل إلى نتائج ذات دلالة نظرا لعدم التدقيق في اعداد فئات التحليل ووحداته منذ البداية. (حسين، 1999، صفحة 264)

ولهذا ففترة اختيار الفئات مهمة جدا قبل تناول الدراسة الشاملة، فكلما كان عملنا جيدا أثناء أخذ المعلومات، كلما كان استخراج كل ثراء الوثائق المنتقاة والإجابة على مشكلة البحث، وتعتبر هذه الفئات بمثابة الدلائل شأنها في ذلك شأن الأسئلة عند استجواب الأشخاص. (انجرس، 2004، صفحة 277).

وفئات تحليل المحتوى هي عبارة عن أجزاء أصغر تجتمع فيها وحدة الصفات أو الخصائص أو الأوزان، وتعتبر بعد ذلك جيوبا أو أماكن يضع فيها الباحث كل ما يقابله من وحدات تجتمع فيها هذه الصفات أو الخصائص أو الأوزان، ومن خلال الإطار النظري لمشكلة البحث، يبدأ الباحث في هذه المرحلة بصياغة معايير التصنيف، وتيسر عليه عملية التنصيف وتحديد الفئات. (عبد الحميد، 2010، صفحة 113)

كما نرى أن اختيار فئات تحليل المحتوى يكون وفقا لإشكالية الدراسة التي يرغب الباحث في الإجابة عنها وتساؤلها الرئيسي والتساؤلات الفرعية.

وعلى هذا فإنه لا توجد فئات نمطية صالحة لكل أنواع البحوث، بل يتوقف اختيارها على اشكالية البحث وأهدافه، كما يتوقف على طبيعة المحتوى المراد تحليله وطبيعة الدراسة وكميتها. (تمار، 2007، صفحة 42)

2- **وحدات التحليل.**

تُعرّف وحدات تحليل المحتوى بأنها وحدات المحتوى التي يمكن اخضاعها للعدّ والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أو غيابها وتكرارها أو ابرازها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية. (حسين، 1999، صفحة 266) ووحدة التحليل هي مقطع محدد من رسالة أو مجموعة من الرسائل ممثلة لنفس خصائص وطبيعة الفئة؛ وبمعنى آخر الوحدة هي الشيء الذي نقوم بحسابه فعلا، واختيار إحداها أو مجموعة منها لا يكون اعتباطيا بل تتحكم فيه الإشكالية والفرضيات وطبيعة المضمون، كما ترتبط الوحدة بالفئة أو الفئات المختارة. (تمار، 2007، صفحة 83)

رابعا/ البيئة الرقمية وأنواع مضامينها.

إن النقلة التكنولوجية التي حدثت مؤخرا على مستوى مجالات الحياة المختلفة كان لها امداد خاص واستثنائي على مستوى مجال الاعلام والاتصال، وبصورة أدق بخصوص تداول المعلومات داخل سياق عمليات الاعلام والاتصال في عصر الرقمنة، ضمن بيئة رقمية تتداخل فيها الأدوار والوظائف بين أطراف العملية الاتصالية، وأصبح البحث فيها ووضعها ضمن إطار معرفي وابتسمولوجي ضرورة قصوى للباحثين

في مجال علوم الاعلام والاتصال لا سيما وأن البيئة الرقمية منذ عقد من الزمن باتت تخضع لعديد البحوث التي تختص بفهم الظواهر الاتصالية داخلها، ما يجعلنا نوجه الأضواء نحو استيعاب البناء المفاهيمي للبيئة الرقمية التي يدرسها ويبحث فيها المختصون في هذا المجال.

وتتكون **البيئة الرقمية** من كامل الكيان الذي يشمل الجوانب الملموسة لأجهزة الحوسبة، وبرمجياتها ونظام المعلومات، وتقنيات الشبكات التي تربط بينها، ومنتج التفاعل بين الأشخاص بعضهم البعض ومن الأشخاص مع الواجهة الرقمية عن طريق عمليات الاتصال والتفاعل الحاصل داخل هذا الفضاء. (Masrani & Nik Rosmawati Nik Husain, 2022, p. 02)

ويُفسَّر مفهوم **البيئة الرقمية** ضمن مجال علوم الاعلام والاتصال على أنها بيئة ثقافية واتصالية تشكّل الرسائل الإعلامية والنشاط الاتصالي؛ وهي بيئة يُعدّ فيها الاتصال الشكل السائد للتواصل في القرن الحادي والعشرين، الذي نفهم من خلاله العالم ونتفاعل معه في الوقت الحاضر. فهي سياق اجتماعي أُنتج بواسطة التكنولوجيا. كما يُنظر إليها أيضا أنها **اندماج جميع المستجدات التقنية والوقائع والحقائق في تجربة ملموسة تعبّر عن طريقة جديدة لنشر وتبادل المعلومات**. (Ngoaketsi, Salawu, , & Tella, Adeyinka, 2021, p. 181)

أما **المحتوى الرقمي** فنقصد به المحتوى الموجود على شبكة الانترنت والمتمثل في الكم الهائل من المعلومات التي يحتاجها الإنسان في حقول المعرفة المختلفة، منظّم في بنوك معلومات ومواقع للويب وغيرها، كما أنه يوجد بلغات عدّة بعدد لغات مستخدمي شبكة الأنترنت عبر دول المعمورة ولو أن الحصة الأكبر من نصيب اللغة الإنجليزية.

وتتمثل أنواع المحتوى الرقمي في مواقع الويب، منصات التواصل الاجتماعي سواء كانت منشورات أو تغريدات أو تعليقات وغيرها، الصور والرسوم المتحركة، التطبيقات الرقمية وما تتضمنه، محتويات الألعاب الرقمية، الإعلانات الرقمية، الى اخره من المحتويات التي يصعب عدّها أو حصرها، أو بعبارة أخرى يشير المحتوى الرقمي إلى كافة ما يتم انشاؤه أو توزيعه رقميا ومن ذلك محتوى الويب.

فالمحتوى في الويب يُعرض بعدة أساليب تشمل النصوص والصور والفيديو والروابط وحتى الرموز التعبيرية. (مبارك، 2020، صفحة 81) .ناهيك عن الفرق في الوسيلة ذاتها بين الجديدة والتقليدية. خاصة مع المتغيرات الجديدة التي فرضتها طبيعة الوسيلة الاتصالية كالتفاعلية، والسرعة في تداول المعلومات، والتحديث المستمر للمحتوى (مبارك، 2020، صفحة 79).

كما يتنوع محتوى الويب بين المؤسساتي أو ما تنتجه المؤسسات على اختلاف أنواعها للتواصل مع جماهيرها، على خلاف المحتوى الشخصي، وأيضا المحتوى الإعلامي المنتج من طرف المؤسسات الإعلامية مثل الصحافة الإلكترونية والمواقع الإخبارية والتي تخضع للتشريعات الإعلامية والضوابط الأخلاقية المنظمة لمهنة الصحافة.

خامسا/ تطبيق تحليل المضمون في البيئة الرقمية.

إن السمات الاتصالية الجديد الذي فرضتها البيئة الرقمية فيما يخص أشكال الاتصال الحديثة وأيضا ديناميكية العمليات الاتصالية، إضافة إلى عناصر أخرى هامة أبرزها المعلومات والبيانات التي أخذت أشكالا جديدة هي الأخرى على المنصات الرقمية، كلها عوامل عبّدت الطريق وفتحت أبواب علمية وبحثية جديدة لمن يخوضون غمار الدراسات الاتصالية في عصر الرقمنة، خاصة عندما يتعلق الأمر ببحوث تحليل المحتوى التي أخذت بشكل جبري توجها آخر مغايرا لذلك التحليل المعتمد سابقا في البحوث الإنسانية والاجتماعية، من حيث القالب الذي سيتخذه تحليل المحتوى أو العوامل التي من شأنها أن تؤثر على هذه العملية ضمن بيئة رقمية معقّدة، والصعوبات المرتبطة بإنجاز هذا النوع من البحوث.

فاستخدام الباحثين لتحليل المضمون كأداة لجمع البيانات ضمن البيئة التقليدية يختلف عن استخدامها في تحليل محتويات وسائل الإعلام الرقمية، أو كما سماه البعض بتحليل محتوى الويب أو تحليل محتوى مواقع الويب للإشارة الى التعامل مع محتوى مواقع الانترنت أو حتى تحليل المحتوى الإلكتروني كمفهوم عام، وإن كانت السمة المشتركة بينه وبين تحليل محتوى وسائل الإعلام التقليدية هي اتصال هذه الأداة اتصالا دائما ومحوريا بالرسالة والتي قد تكون لفظية وهي الكلمات المكتوبة أو المنطوقة، أو غير لفظية مثل

الاشارات والإيماءات والأشكال والرسوم وغيرها، وهنا يظهر الفرق باعتبار الاختلاف الشكلي أولا بين محتويات الوسائط الإعلامية الجديدة ونظيرتها التقليدية.

وفضلا عن ذلك فان هذه التغيرات والتقلبات ألحق بدورها تغييرات منهجية في البحث العلمي في مجال علوم الاعلام والاتصال انطلاقا من وفرة وضخامة المعلومات والبيانات التي سيكون على الباحث معالجتها عن طريق تحليل المحتوى، إضافة إلى مجموع العلاقات التي يمكن إقامتها وربطها وتفسيرها من خلال تلك البيانات والمعلومات.

فالبيئة الرقمية تتميز بضخامة علاقاتها الاجتماعية التقنية التي تساهم أيضا في بناء علاقات حتى خارج هذا الفضاء الالكتروني الاجتماعي، وهي الضخامة التي أدت بدورها إلى تعقيد عملية الباحث في التعامل مع المضامين الاتصالية المراد دراستها وتحليلها، ما استوجب إعادة النظر في الطرق والأساليب المعتمدة من قبل في تحليل المحتوى، ولكن لن يكون هذا على شاكلة قطيعة منهجية في عمليات تطوير البحث العلمي وإنما في صورة إعادة التكيف لتلك المناهج البحثية الحالية مع البيئة الرقمية، وهو اسقاط منطقي لتحليل المحتوى.

وفرق "**نورتجي ماريس**" بين 04 طرق مستخدمة في التعامل مع البيئة الرقمية بالنسبة للدراسات التي تعتمد على تحليل المحتوى وهي:

-المناهج التقليدية: تطبيق الطرق والأساليب التقليدية المعهودة والمعتمدة في دراسات المحتوى قبل ظهور الفضاء الرقمي.

-المناهج المستمدة من علوم الحاسوب والرياضيات: وهذا من أجل استغلال ما تقدمه الوسائط الحديثة في عملية التحليل الآلي من اجل استخراج البيانات وإدارتها وتحليلها وحتى تصويرها بصريا في مجموعة ضخمة من البيانات.

-المناهج الافتراضية: وتشير بشكل خاص إلى الأبحاث التي تعتمد منظورا اثنوغرافيا لراسة الظواهر السوسيولوجية والثقافية في سياقات رقمية، ومنها اثنوغرافيا الويب والسيبراثوغرافيا، لكم هذه المناهج ترتبط أكثر بالأبحاث الكيفية.

-المناهج الرقمية: باعتبار ما تمكنت التكنولوجيا من تطويره، ونقصد بذلك تقنيات النمذجة بفضل آليات تقترب إلى حد كبير من الواقع في التعامل مع البيانات عند عمليات التفريغ والحصر ضمن وحدات وفئات، بل أنها تقدم أيضا إمكانيات تنبؤية جديدة، وهي معايير كانت نادرة وصعبة التطبيق في السابق، وهذه الأساليب الرقمية تعتمد على مزيج بين استراتيجيات البحث الافتراضية التي تقدمها التكنولوجيا وتطبيقاتها والأساليب الحسابية الرقمية التي تعتني بحوصلة الدلالات الإحصائية الخاصة بمجموع ما تم تكميمه وقياسته (Millette, Florence Millerand, David Myles, & Guillaume Latzko-Toth, 2020, pp. 27-32).

وقد حاول الباحث **ماريس** في هذا السياق تقديم ما يمكن أن يتعامل معه الباحث في الدراسات التي تعتمد على تحليل المحتوى في البيئة الرقمية من خلال اعتماد مفرزات هذا الفضاء الرقمي في طريقة جمع وحصر البيانات والمعلومات والرسائل الاتصالية وحصر معانيها، وأيضا في طريقة اعتماد التكنولوجيا التي تعمل بها البيئة الرقمية في عمليات فهم المعنى وتحليل الأفكار والعبارات والرسائل إلى غير ذلك. ورغم أن عديد البحوث والدراسات في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية تعتمد على واحدة من هذه الأساليب بطريقة أو بأخرى، إلا أنها لا تزال محاصرة من جوانب قصور قد تؤثر على سيرورة تطوير البحوث العلمية الخاصة بتحليل المحتوى، لا سيما وأن التكنولوجيا لن تكون قادرة على قراءة أفكار الانسان وفهم التعقيد الذي يعمل من خلاله العقل البشري في سبيل استيعاب المعلومات والأفكار والكلمات حتى وأيضا طريقة تحليلها والتعامل معها وفهمها بالطريق الواجب استخدامها في عملية تحليل المضمون، وهو نقطة جوهرية تفسح المجال لنقد الكيفية التي نعتمد عليها في تحليل محتوى البيئة الرقمية.

وهو سياق نقدي قدمه **كريبيندورف** عبّر فيه أن " على النقيض من البشر، فإن أجهزة الكمبيوتر حتمية؛ فهي عاجزة عن معالجة النصوص بشكل موثوق لأنها تفتقر إلى أي إحساس بما تفعله، أو بمستخدميها، أو بما قد تعنيه سلاسل الأحرف التي تقوم بمعالجتها للقراء البشر. علاوة على ذلك، فهي غير قادرة على إدراك السياقات الثقافية التي نفسّر من خلالها النصوص.، إن القول بأن أجهزة الكمبيوتر "تقرأ" النصوص أو البيانات هو في الواقع مجاز لما يفعله البشر مع النصوص.، ولهذا سيكون من المفيد للباحثين التفكير في استخدام طريقة تحليل المحتوى الرقمي و التأمل في هذا الأمر وعدم الانخداع بفكرة أن أجهزة الكمبيوتر يمكنها قراءة النصوص مثل البشر، فإنتاج هذه البرمجيات لتقليد الطريقة التي يستوعب بها البشر النصوص بسهولة ويفهمونها ويفسرونها لا يزال مسعى مليئًا بالتحديات، بل هو أمر صعب بشكل كبير". (Krippendorff, 2019, p. 256)

في المقابل يبقى هذا النهج والطريقة التي قدمها **ماريس** أكثر الأساليب المعتمدة في تحليل محتوى البيئة الرقمية إلا أنه بالمقابل يقدم صورة واضحة حول التغييرات التي مست البحوث الإنسانية والاجتماعية المعتمدة على تحليل المحتوى في الفضاء الرقمي.

سادسا/ فئات ووحدات تحليل المحتوى الرقمي.

في ظل التطور الذي طرأ على طبيعة المحتوى الرقمي المتغيرة وتعدد وسائطه التفاعلية، يطرح العديد من الباحثين تساؤلات حول مدى تلاؤم الفئات والوحدات البحثية التقليدية في دراسات تحليل المضمون، وهل هي كافية لاستيعاب خصائص المحتوى الرقمي، فهناك من يرى أنه من الضروري إعادة النظر في أسس التصنيف والتحليل بما يتماشى مع طبيعة النصوص الرقمية، التي تجمع بين النص والصورة والفيديو والوسائط المتعددة. هذا الواقع يفرض على الباحثين تحديات منهجية تتعلق بكيفية اختيار الفئات المناسبة، وتحديد الوحدات القابلة للقياس، بما يضمن دقة النتائج العلمية.

فبظهور الويب 2.0 الذي جمع بين المطبوع والسمعي البصري من خلال صفحات HTML التي تجمع بين عناصر الصوت والصورة والنص بالإضافة الى الروابط التشعبية التي تحيل الى مواقع ونصوص أخرى متنوعة، أصبح من الضروري استحداث طرق جديدة لعملية التفيئة واختيار وحدات البحث بما تفرضه خصوصية دراسات الإعلام الجديد. (كشرود، 2020، صفحة 266).

في هذا الإطار ذكر كل من عبد الرحمان قدي وسلمى مساعدي أن أغلب الفئات والوحدات التقليدية غير مناسبة للاستخدام في دراسة المواد الاتصالية الرقمية، ومن الممكن تعويضها بفئات ووحدات مستحدثة من البيئة الرقمية، وأن التغيير يكون غالبا في وحدات الشكل على خلاف وحداث المضمون التي مازال الكثر منها ملائما لدراسة المحتوى الرقمية، واقترحت —على سبيل المثال–استخدام وحدة "البيكسل pixel" لقياس المساحة في الصحافة الإلكترونية عوضا عن وحدة السنتمر. (قدي و مساعدي، 2024، صفحة 313)

ومن بين الفئات التي نقترحها —على سبيل المثال أيضا–والتي نراها تتلاءم مع محتوى الويب فئة طبيعة المواد المنشورة والمقصود بها الطريقة أو الشكل الذي ظهرت وعرضت به المضامين الرقمية ومدى استخدام الوسائط المتعددة كعناصر مرفقة (صور، فيديوهات، روابط...الخ)، كما يمكن إضافة فئات خاصة بالتفاعلية مثل فئة التعليقات وتجزئتها بدورها إلى فئات فرعية (لغة التعليق، اتجاه التعليق ...الخ).

ومن المهم كذلك التأكيد بأن الفئات والوحدات التي يمكن للدارسين استحداثها حسب نوع الفضاء الرقمي محل البحث، لا يمكن حصرها نظرا لاستمرار تطور الفضاءات الرقمية والخدمات التي تتيح نشر مختلف الرسائل الاتصالية والإعلامية ضمنها. (قدي و مساعدي، 2024، صفحة 314)

سابعا/ صعوبات تحليل المحتوى في البيئة الرقمية.

لا يمكن أن يخلو أي بحث علمي من مجموعة من جوانب القصور والتي تعتبر صعوبات وعراقيل تواجه الباحث وتؤثر بدورها على سلامة ودقة النتائج التي يتم التوصل إليها، وهو ما يحدث للباحثين المعتمدين على تحليل المحتوى في فهم الواقع والظواهر الاجتماعية في البيئة الرقمية، وهي بذلك تمثل نقاط

ضعف في حال ما تم اعتماد هذه الأداة في البحث العلمي، بداية بامتداد لمواطن القصور في تحليل المحتوى بمعناه التقليدي، في حال ما تعلق الأمر بموثوقية تطوير الفئات والترميز وصلاحية هذه الفئات لقياس ما أنشأت له حقا، إضافة إلى ضخامة المضامين الاتصالية الرقمية الموجودة اليوم في هذا العالم الالكتروني، هذا بالإضافة إلى إشكالية جديدة تتمثل فيما إذا كانت الفضاءات الرقمية التي يتم التعامل معها والبحث فيها تمثل الواقع فعلا.

من بين المخاطر التي من شأنها المساس والتأثير على النتائج المتحصل عليها فإن بحوث تحليل المحتوى الخاصة بمواقع التواصل الاجتماعي والتي نالت اهتمام عدد كبير الباحثين في مضامين البيئة الرقمية، والتي لا تعكس في نظرنا الواقع بشكل كامل في صورة الآراء المباشرة حول المضامين المتمثلة في ردود الأفعال كالإعجاب، عدم الاعجاب، الضحك، الدهشة، والغضب...الخ.

فانتشار البوتات (Bots) والترول (Trolls) والتي تلعب دورا كبير في تعزيز آراء القائم بالاتصال أو النفور منها وتوجيه الأفراد نحو مسارات معينة تغلب عليها دوافع مختلفة، من شانها تقديم بيانات ومعلومات مزيفة للقائم بالبحث والتحليل في هذا الشأن بما أنها تقدم واقع مغاير للآراء الفعلية وردود الأفعال الحقيقية (Guédé، 2022، صفحة 243) في هذه النقطة فقد وجب التنويه أن تحليل المحتوى الذي يمس الظواهر الاتصالية والاجتماعية في البيئة الرقمية وبالتحديد عبر مواقع التواصل الاجتماعي في بعض الأحيان ما تكون المادة المراد تحليلها هي مجموعة البيانات المتعلقة أساسا بردود الأفعال والتعليقات، وفي حال كان المستخدمون الذي تم تحليل أفعالهم وسلوكاتهم على تلك المواقع عبارة عن بوتات او ترول (أو نسبة منهم) فهنا يصبح من الصعب بما كان أن نستطيع الحصول على النتائج العلمية السليمة التي من شأنها ان تقدم الإضافة المعرفية لميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وإضافة لما سبق، فالبيئة الرقمية وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي لا يمكن وصفها بأنها محايدة وهو تصوّر يرتبط بين الأتمتة والموضوعية، باعتبارها أنظمة تقنية اجتماعية تعتمد بدرجة أكبر على الخوارزميات

في معالجة البيانات والمعلومات التي يتم تداولها داخل المنصات الرقمية، وتناول كلير ريتشارد هذه النقطة من الناحية المتغيرات التقنية التي تحكم ما يظهر وما يتم تداولها داخل شبكات التواصل الاجتماعي" في هذا العصر الحالي هناك كيانات رياضية ذات تعقيد هائل، تعتمد هذه الخوارزميات على عدد هائل من المتغيرات التي يمكن ان تتغير في كل لحظة..." (Richard, 2018, p. 78). وتتمثل الوظيفة الأساسية لهذه الخوارزميات في اختيار المحتوى وتقديمه او اقتراحه للمستخدمين بناء على قاعدة بياناتهم والتي تتأسس على استخداماتهم السابقة، وهدفها هو نشر بعض المضامين أو إيصال رسائل إلى اعداد كبيرة من المستخدمين او ابقائهم لأطول فترة ممكنة إلى غير ذلك من الدوافع، فهذه الخوارزميات تقوم بتوجيه استخدام وتناول المستخدمين لمحتوى المضامين الاتصالية بما يتماشى وسياسات معينة لها أهداف مختلفة قد تكون سياسية، اجتماعية، تجارية...الخ، وهنا يصبح الباحث أمام حتمية الاعتماد على المضامين الاتصالية في البيئة الرقمية ومع ردود أفعال وسلوكيات المستخدمين التي هي في الأصل تتداخل فيها الخوارزميات بطريقة مباشرة، ومن هنا يصبح المحتوى المراد تحليله والظاهرة او الموقف المراد البحث فيه نابع من بيانات ومعلومات ليست محايدة ولن تكون موضوعية بالقدر الذي يريده الباحث، وهي بذلك إحدى أهم العوائق التي سيواجهها الباحث في حال ما اعتمد على تقنية تحليل المحتوى.

ومن أمثلة ذلك أن الفيديوهات التي يتم عرضها عبر الشاشات للمستخدمين على منصات مثل يوتيوب أو تيك توك هي في الحقيقة مضامين تظهر نتيجة توصيات الخوارزميات، وعمليات التفاعل التي تحصل داخلها من طرف المستخدم وتخضع لمتغيرات كميولات واتجاهات المستخدم لمحتوى الرسالة، رغباته في التواصل والتفاعل، الحالة النفسية للمستخدم وعديد المعايير التي تجعل من الصعب الوصول إلى البيانات والمعلومات الدقيقة حول جودة ونوع التفاعل الحاصل وبين ما يريد الباحث الوصول له من خلال تلك البيانات.

من بين الصعوبات التي من شأنها أيضا ان تؤثر على تحليل المحتوى في البيئة الرقمية تلك التي تكون مرتبطة بالنسق العام للعمليات الاتصالية، والمقصود هنا هو السياق الثقافي والاجتماعي والديني والجغرافي وغيره، والتي تؤثر على العمليات الاتصالية والتفاعلية داخل البيئة الرقمية، وتجعل الباحث أمام حتمية إيلاء اهتمام كبير لها بما أن نفس تلك السياقات هي من تحكم منطق الاعتماد والاستخدام وحتى الممارسات الاتصالية للأفراد داخلها، فهي تختلف من نطاق إلى آخر حسب المرجعيات المختلفة التي تحكمها هذه السياقات السابق ذكرها، ورغم أنه من الصعب على البحث الفهم الدقيق لهذه السياقات إلا أنه بالمقابل فإن اهمالها يؤثر على نتائج التحليل وقد يؤدي إلى نتائج منحازة.

وإضافة لما سبق، فيمكن أن نوجز الصعوبات التي تواجه الباحثين أثناء تحليل محتوى الوسائط الرقمية في النقاط التالية:

- **ضخامة البيانات وتعدد مصادرها**: والمقصود بذلك –كما ذكرنا آنفا– أن البيئة الرقمية تتسم بالإنتاج المتزايد والتحديث المستمر والكثيف للبيانات، مما يجعل تحليل المحتوى عملية صعبة وتأخذ حيزا زمنيا كبيرا، مما يضطر الباحثين إلى اللجوء إلى برامج معالجة البيانات الضخمة (Big Data) وهو الأمر الذي يطرح بدوره إشكالات منهجية.
- **قلة مراجع وأدبيات تصنيف المحتوى الرقمي**: لا تزال البيئة الرقمية تفتقر إلى مراجع كافية وأطر نظرية ترشد الباحثين في تصنيف المحتوى ضمن فئات واضحة مثلما هو الحال في البيئة التقليدية، اذ تغيب الدراسات المعيارية التي توضح بدقة كيفية التعامل مع المحتويات بأنماطها الجديدة.
- **صعوبة ضبط الفئات وتداخلها**: وتعقيبا للعنصر السابق، فإن الصعوبة تكمن كذلك في تداخل فئات التحليل خاصة منها فئات الشكل (مثلا يصعب الفصل بين أنواع الوسائط المتعددة وأساليب العرض) ويتطلب ذلك أن يكون الباحث دقيقا ومتمرسا.
- **إشكالية قياس التفاعل**: بما أن العملية التفاعلية في البيئة الرقمية ليست خطية مثلما هو الحال عليه في البيئة التقليدية، بل لها أشكال متعددة (التعليق، الإعجاب، المشاركة، الإرسال، رد الفعل اللحظي...الخ)، فإن

ذلك يطرح صعوبات في كيفية قياسه والتعامل معه وتفيئته، خاصة مع التحولات المستمرة في أشكال هذا التفاعل وظهور منصات جديدة بوسائل تعبيرية مستجدة وتختلف من منصة إلى أخرى.

- **إشكالية الموضوعية ومدى صحة البيانات:** سبق وأن ذكرنا أن المحتوى الرقمي ليس موثوقا دائما، بل قد يكون عرضة للتلاعب والتضليل الإعلامي بشكل عمدي أو غيره، مما يجعل الباحث أمام تحدي التأكيد من صدق البيانات التي يحللها كي لا يمس ذلك بموضوعية نتائج دراسته.
- **إشكالية اختيار العينات الممثلة:** معروف أن البحوث الكمية تستخدم العينات الاحتمالية ومنها بحوث تحليل المحتوى، لكن ذلك يصعب تحقيقه بسبب عدم إمكانية تحديد مجتمع الدراسة الأصلي وحتى المتاح بسبب التغير المستمر والضخم كما أن بعض البيانات قد تختفي ولا يمكن الوصول إليها مرة ثانية، في حين أن اختيار العينات غير الاحتمالية يطرح إشكالات ايبستمولوجية تتعارض مع المسلمات المنهجية، خاصة في مسألة تعميم النتائج المتوصل إليها.

خاتمة:

ختاما، وتتويجا لكل ما سبق، نؤكد أنه مع التطور السريع للبيئة الرقمية وتزايد حجم المحتوى المنشور عبر المنصات الإلكترونية، أصبح تحليل المضمون أداة أساسية لفهم الأنماط الاتصالية ودراسة تأثير الرسائل الإعلامية، غير أن تطبيق هذه الأداة في السياق الرقمي يواجه العديد من التحديات المنهجية المرتبطة بطبيعة البيانات الضخمة، وتحديد الفئات التحليلية المناسبة، ومعايير اختيار العينات، فضلًا عن محدودية الأدبيات المتخصصة في هذا المجال. بناءً على ذلك، تهدف التوصيات التالية إلى تقديم حلول علمية ومنهجية تسهم في تحسين دقة وفعالية تحليل المضمون في البيئة الرقمية.

- تطوير معايير واضحة لاختيار العينات تأخذ بعين الاعتبار تكرار المحتوى، التفاعل، وتنوع المنصات، ولا بأس في استخدام أدوات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة مع الحرص أن تكون البيانات المستخرجة أكثر تمثيلًا.

- ضرورة تكييف الفئات المخصصة لوسائل الإعلام التقليدية مع المحتويات الرقمية، وتطوير فئات تستجيب للعناصر المستحدثة مثل الوسائط المتعددة والتفاعلية والوصلات وضبط آليات يتجنب من خلالها الباحثون تداخل الفئات، والأمر نفسه بالنسبة لوحدات التحليل.
- استخدام تقنيات استخراج البيانات خاصة البرمجيات المتخصصة في تحليل البيانات الضخمة مع مراعاة كل ما من شأنه أن يفقد البحوث دقتها ومصداقيتها.
- تصميم نماذج تحليل آلية تتيح التعامل مع كميات هائلة من البيانات دون فقدان الدقة العلمية.
- تشجيع إنتاج أدبيات علمية حديثة حول أساليب تحليل المضمون في البيئة الرقمية وتعزيز البحوث التطبيقية التي تختبر الأداة من أجل اكتشاف مواطن خلل أخرى والعمل على تلافيها وتعزيز التعاون الأكاديمي من خلال التنظيم المكثف للملتقيات العلمية والأيام الدراسية من أجل توحيد الرؤى وتبادل الخبرات بين الباحثين.
- تعزيز الدقة والأخلاقيات في تحليل المحتوى الرقمي من خلال الالتزام بالمعايير الأخلاقية لاستخدام منصات التواصل الاجتماعي والتأكد من صحة البيانات الواردة فيها.

هذه التوصيات تهدف إلى تطوير إطار بحثي أكثر صلابة لتحليل المحتوى في البيئة الرقمية، مع مراعاة التحديات المنهجية الحديثة.

قائمة المراجع:

The Norwegian National Research Ethics Committees. (2021, December). GUIDELINES FOR RESEARCH ETHICS IN THE SOCIAL SCIENCES, LAW AND THE HUMANITIES. *The National Committee for Research Ethics in the Social Sciences and the Humanities*, p. 05.

Amundsen, D. (2021). Using Digital Content Analysis for Online Research: Online News Media Depictions of Older Adults. *SAGE Publications Ltd*, 63.

Guédé, B. J.-Y. (2022). From Content Analysis to Content Analysis of Digital Social Networks: Specificities and Limits of a Particular Content. *International Conference on International Studies in Social Sciences and Humanities (CISOC 2022)* (p. 243). Cuenca - Ecuador: Advances in Social Science, Education and Humanities Research.

Krippendorff, K. (2019). *Content Analysis: An Introduction to Its Methodology.* Thousand Oaks, UK: SAGE Publications.

Masrani, A. S., & Nik Rosmawati Nik Husain. (2022, 06). Digital environment: An evolutionary. *Journal of Public Health Research, 11*(02), p. 02.

Millette, M., Florence Millerand, David Myles, & Guillaume Latzko-Toth. (2020). *Méthodes de recherche en contexte numérique.* Québec - Canada: Les Presses de l'Université de Montréal.

Ngoaketsi, J., Salawu, , Y., & Tella, Adeyinka. (2021). Digital Environment in Academic Libraries: Leveraging onAdvanced Information Communication Technologies for BetterService Delivery. *Accra Bespoke Multidisciplinary Innovations Conference (ABMIC)*, (p. 181). ACCRA - GHANA.

Richard, C. (2018). Dans la boîte noire des algorithmes. Comment nous nous sommes rendus calculables. *Revue du Crieur, 11*, p. 78.

UK Research and innovation. (2022, January 28). *Research organisations and research ethics committees*. Récupéré sur https://www.ukri.org/.

الجوهر ,م .ن .(1992) .*تحليل مضمون الإعلام :المنهج والتطبيقات العربية* .أربد :قدسية للنشر.

انجرس ,م .(2004) .*منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية*) .ب .ا .صحراوي (.Trad ,الجزائر :دار القصبة للنشر.

تمار ,ي .(2007) .*تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين* .(éd. 01)الجزائر :طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع.

حجاب ,م .م .(2003) .*الموسوعة الإعلامية* .القاهرة :دار الفجر للنشر والتوزيع.

حسين ,س .م .(1999) .*دراسات في مناهج البحث العلمي بحوث الإعلام* .مصر :عالم الكتب.

زيدان ,ع .ا .(1974) .*وسائل وأساليب الاتصال* .القاهرة :المكتبة الأنجلو مصرية.

عبد الحميد ,م .(2010) .*تحليل المحتوى في بحوث الإعلام* .بيروت :دار مكتبة هلال بيروت للبطاعة والنشر.

قدي ,ع & ,.مساعدي ,س .(2024) .الأساليب المنهجية لتحليل المضامين الرقمية :من التّكييف إلى التّآلية . *مجلة الإنسان والمجال*.332-307 ,(02)*10* ,

كشرود ,ف .(2020) .إشكالية تطبيق أداة تحليل المحتوى في الإعلام الجديد .*مجلة الدراسات الإعلامية* , *22*(01), 78-91.

لارمي ,أ & ,.فالي ,ب .(2004) .*البحث في الاتصال :عناصر منهجية*) .ف .دليو & ,اخرون (.Trads , الجزائر :مخبر علم اتصال الاجتماع للبحث والترجمة.

مبارك ,ر ,2020) .أوت .(الإشكاليات المنهجية في تحليل محتوى الويب .*المجلة الجزائرية للاتصال* , *22*(01), 78-91.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

The Algerian University Facing the Challenge of the Fourth Generation: Between Reformist Ambitions and Institutional Realities

Dr. MEKKI Amaria [1]
STRATEV Laboratoiry, University of Mostaganem
Mekkiamaria@gmal.com
Dr. ZEGGANE Asmaa [2]
STRATEV Laboratoiry, University of Mostaganem
Asmaa.zeggane.az@gmail.com

Abstract:

This study examines the transition of Algerian universities toward the fourth-generation university (U4G) model, defined by the integration of innovation, entrepreneurship, and digitalization. Despite reforms such as the LMD system and partial digital transformation, major challenges remain: centralized governance, limited infrastructure, weak entrepreneurial culture, and insufficient university-industry partnerships. Algeria nevertheless has opportunities tied to globalization, emerging technologies, and international cooperation. The report recommends investing in digital infrastructure, training faculty, strengthening institutional autonomy, and fostering an innovation ecosystem. Success will require a coherent, inclusive strategy adapted to local realities.

Keywords: Algerian university; fourth-generation university; innovation; university governance; digital transformation.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

L'université algérienne face au défi du quatrième génération : entre ambitions réformatrices et réalités institutionnelle

Dr. MEKKI Amaria [1]
Laboratoire STRATEV, Université de Mostaganem
Mekkiamaria@gmal.com
Dr. ZEGGANE Asmaa [2]
Laboratoire STRATEV, Université de Mostaganem
Asmaa.zeggane.az@gmail.com

Résumé:

L'étude analyse la transition des universités algériennes vers le modèle de quatrième génération (U4G), caractérisé par l'intégration de l'innovation, de l'entrepreneuriat et du numérique. Malgré des réformes telles que le système LMD et la numérisation partielle, des obstacles persistent : gouvernance centralisée, infrastructures limitées, faible culture entrepreneuriale et partenariats université-industrie insuffisants. L'Algérie dispose toutefois d'opportunités liées à la mondialisation, aux technologies émergentes et aux coopérations internationales. Le rapport recommande d'investir dans les infrastructures numériques, de former les enseignants, de renforcer l'autonomie universitaire et de développer un écosystème d'innovation. La réussite dépend d'une stratégie cohérente, inclusive et adaptée aux réalités locales.

Mots clés: Université algérienne; université de quatrième génération; innovation; gouvernance universitaire; transformation numérique.

Introduction :

Au cours des dernières décennies, l'université a connu des mutations profondes, passant d'un rôle purement académique à un acteur stratégique du développement économique, social et technologique. Ce glissement conceptuel et fonctionnel a donné naissance au paradigme des universités de quatrième génération (U4G), caractérisées par l'intégration de l'innovation, de la digitalisation, de l'entrepreneuriat et du partenariat actif avec les sphères économique et gouvernementale. Ces universités se distinguent par leur capacité à créer de la valeur, à transformer le savoir en solutions concrètes et à jouer un rôle moteur dans les écosystèmes d'innovation.

Dans ce contexte mondial en constante évolution, l'Algérie n'est pas en marge de ces transformations. À travers diverses réformes, notamment l'introduction du système LMD, la numérisation progressive des services universitaires, et le soutien à la recherche scientifique, le pays tente d'aligner son enseignement supérieur sur les standards internationaux. Toutefois, plusieurs obstacles persistent, rendant difficile l'opérationnalisation effective du modèle U4G : infrastructures numériques insuffisantes, faibles interactions université-industrie, gouvernance rigide, et financement limité de la recherche. Ainsi se pose une problématique centrale :

Dans quelle mesure l'Algérie est-elle engagée dans une dynamique de transition vers les universités de quatrième génération, et quels en sont les principaux défis et leviers ?

À partir de cette interrogation, notre contribution vise à :

- Définir le cadre conceptuel des universités de 4e génération ;
- Évaluer la situation actuelle du système universitaire algérien à l'aune de ce modèle ;
- Identifier les freins institutionnels, technologiques et culturels à cette transition ;
- Proposer des orientations concrètes à partir d'enseignements tirés d'expériences internationales.

Pour répondre à ces objectifs, nous adoptons une approche analytique et comparative, combinant une revue de littérature internationale, l'analyse de données nationales et l'étude de cas d'universités algériennes représentatives.

I. Cadre conceptuel et théorique des universités de quatrième génération

Cet axe nous permis de tracer les contours conceptuels des universités de quatrième génération, en mettant l'accent sur leurs origines, leurs spécificités, ainsi que les modèles théoriques qui les fondent. Il constitue une base de référence pour analyser dans les axes suivants dans quelle mesure les universités algériennes s'alignent — ou non — sur ces standards internationaux.

1. Évolution des modèles universitaires : de la 1e à la 4e génération :

L'université contemporaine s'est construite par étapes, à travers une succession de modèles historiquement situés, chacun répondant aux exigences spécifiques de son époque. Cette évolution est marquée par une complexification des missions universitaires, en lien avec les transformations économiques, technologiques et sociétales.

a. Universités de 1re génération :

Ces universités, issues du modèle médiéval européen (comme Bologne ou Paris), ont pour mission principale l'enseignement élitiste et la reproduction du savoir. Elles forment les élites intellectuelles et administratives sur la base d'un enseignement théorique, souvent déconnecté des besoins socio-économiques **(Neave & Van Vught, 1991, 122).**

b. Universités de 2e génération :

Au XIXe siècle, sous l'influence du modèle humboldtien (Allemagne), l'université intègre la recherche scientifique comme mission fondatrice. Ce modèle promeut l'unité entre enseignement et recherche, mettant l'accent sur l'autonomie académique et la quête de vérité **(Etzkowitz & Leydesdorff, 2000, 115).**

c. Universités de 3e génération :

À partir des années 1980, avec la montée de l'économie de la connaissance, les universités deviennent des acteurs clés de l'innovation. Elles participent activement au transfert technologique, à la valorisation de la recherche (brevets, spin-offs), et à la collaboration avec l'industrie **(Clark, B. R. 1998, 154).**

d. Universités de 4e génération (U4G) :

L'université de quatrième génération (U4G) incarne un modèle intégré où formation, recherche et innovation entrepreneuriale sont étroitement liées aux besoins de la société **(Davey & al., 2016, 32).** Elle agit comme un acteur du développement territorial, en co-création avec les milieux économiques, sociaux et politiques **(Güney, 2018, 29).** Ce modèle favorise une gouvernance ouverte et une forte implication dans les écosystèmes d'innovation.

2. Définition des universités de quatrième génération :

Les universités de quatrième génération, ou universités 4.0, représentent une nouvelle étape dans l'évolution de l'enseignement supérieur, centrée sur l'impact territorial, la co-innovation et l'agilité institutionnelle. Selon **(Wissema, 2009)** et **(Etzkowitz & Leydesdorff, 2000)**, ces universités se caractérisent par quatre traits fondamentaux :

- **a.** Orientation vers la création de valeur socio-économique, au-delà de la seule production de savoir théorique ;
- **b.** Intégration dans un écosystème d'innovation, en étroite collaboration avec les entreprises, les start-ups, les collectivités locales et les citoyens ;
- **c.** Gouvernance partenariale et flexible, reposant sur des logiques de co-décision avec les parties prenantes ;
- **d.** Usage intensif des technologies numériques, tant pour l'enseignement que pour la recherche, la gestion administrative et la communication.

Contrairement aux modèles précédents, l'université de quatrième génération ne se limite plus à transmettre le savoir, mais agit comme un acteur de la co-production des connaissances, au service de la résolution de problèmes complexes dans son environnement.

3. Les caractéristiques clés d'une U4G :

Les universités de quatrième génération se distinguent par une transformation profonde de leurs missions traditionnelles, répondant aux impératifs de la société contemporaine. Elles sont conçues pour être intégrées dans des écosystèmes d'innovation régionaux, où elles agissent comme des catalyseurs de co-développement avec les entreprises, les collectivités et la société civile **(Mau, 2024)**. Elles s'orientent résolument vers l'impact sociétal et le développement durable, en s'engageant dans la résolution de problèmes concrets, sociaux et environnementaux, aux côtés des acteurs du territoire **(Oztel, 2019)**.

Ce rôle élargi s'appuie sur une gouvernance agile et collaborative, qui associe les parties prenantes aux décisions stratégiques, renforçant ainsi l'ancrage territorial de l'institution **(Thanaa & Fauzi, 2023)**. Les U4G se caractérisent également par une intégration massive du numérique, tant dans les pratiques pédagogiques que dans les outils de gestion, ce qui permet de personnaliser l'apprentissage, de développer la science ouverte et de faciliter la transformation administrative **(Understanding the 4th Generation University, 2024)**.

Par ailleurs, elles développent une culture entrepreneuriale forte, soutenant la création de start-ups académiques, le transfert technologique et l'innovation interdisciplinaire **(Salehi & al., 2021)**. Enfin, leur engagement sociétal est marqué par une attention particulière à l'inclusion, à la diversité, et à la responsabilité sociale envers les communautés locales **(Oztel, 2019)**.

II. L'université algérienne face aux exigences de la quatrième génération :

L'évolution vers le modèle des universités de quatrième génération (U4G) exige une transformation systémique des institutions universitaires, intégrant à la fois l'enseignement, la recherche, l'innovation et le partenariat avec les milieux socio-économiques **(Wissema, 2009 ; Dzwigol, 2021).**

Cette section dresse un état des lieux du système universitaire algérien à la lumière de ces exigences. Bien que plusieurs réformes aient été engagées, de nombreux verrous structurels, technologiques et culturels entravent encore la transition. La réussite de cette mutation nécessite une gouvernance plus agile, des infrastructures numériques solides, et une intégration accrue avec le tissu socio-économique **(Bayuo, Chaminade & Göransson, 2020).**

1. Expansion du système et défis persistants :

Depuis l'indépendance, l'Algérie a élargi son réseau universitaire à plus de 80 établissements publics, couvrant toutes les régions du pays. Cette démocratisation de l'accès est notable, mais elle n'a pas toujours été accompagnée d'une amélioration qualitative. Le système reste fortement centralisé, avec des processus de gouvernance rigides, freinant l'innovation pédagogique et organisationnelle **(Bouzidi, 2019).** Les universités périphériques souffrent notamment d'un déficit d'infrastructures et de ressources humaines qualifiées.

2. Les réformes du LMD et la numérisation : entre volonté et limites :

Les réformes du LMD et la numérisation représentent des avancées majeures pour moderniser l'enseignement supérieur en Algérie. Cependant, leur mise en œuvre reste confrontée à des limites structurelles et technologiques importantes.

a. Le système LMD : une intégration inachevée :

Adopté en 2004, le système Licence-Master-Doctorat (LMD) visait à rapprocher l'Algérie des standards européens. S'il a permis une certaine harmonisation, sa mise en œuvre reste hétérogène, avec des programmes peu professionnalisants, une faible orientation vers le marché du travail, et des approches pédagogiques encore dominées par la transmission magistrale **(Ait-Lahcen et al., 2023).**

b. La numérisation : une avancée lente :

Le numérique constitue un pilier central des U4G **(Cai & Etzkowitz, 2020).** L'Algérie a lancé plusieurs initiatives (plateformes e-learning, bases de données électroniques), mais celles-ci restent limitées en couverture, en interopérabilité et en accessibilité, particulièrement dans les zones rurales. L'insuffisance des équipements, la faible culture numérique et le manque de formation continue des enseignants en sont les principaux obstacles **(Benabbou & Zeroual, 2022).**

3. La recherche scientifique : entre potentiel et fragmentation.

La recherche scientifique en Algérie présente un potentiel prometteur, mais souffre encore d'une fragmentation institutionnelle et d'un manque de synergies avec le secteur socio-économique.

a. Gouvernance centralisée et sous-financement :

La centralisation de la politique de recherche entrave l'autonomie des universités à développer des projets collaboratifs. Les mécanismes de financement sont perçus comme opaques, avec peu d'incitations à l'innovation et à l'interdisciplinarité **(Benyoucef, 2021).**

b. Faibles partenariats avec l'industrie :

La collaboration université-entreprise, pierre angulaire du modèle U4G, reste embryonnaire en Algérie. L'absence de structures d'interface **(incubateurs, TTO)** et le manque de confiance mutuelle limitent le transfert de technologies et la valorisation des résultats de la recherche **(Djelti & Belasri, 2021).**

4. Infrastructures numériques et l'intégration dans l'écosystème socio-économique.

Les technologies numériques transforment les fonctions pédagogiques, scientifiques et administratives des universités. En Algérie, malgré quelques progrès, l'inégalité d'accès à Internet, les équipements obsolètes et la faible adoption des outils collaboratifs freinent l'émergence d'un écosystème numérique performant **(UNESCO, 2023).**

La transition vers une université entrepreneuriale nécessite une interaction dynamique avec les acteurs économiques et sociaux. Or, les partenariats entre les universités algériennes et le secteur privé sont peu structurés.

Les démarches entrepreneuriales restent marginales, avec peu de dispositifs de soutien à l'innovation étudiante ou à la création de start-ups universitaires **(World Bank, 2022).** Le manque de culture de l'innovation au sein des établissements et l'absence d'un cadre incitatif freinent cette transformation.

III. Les défis et obstacles à la transition vers les universités de quatrième génération en Algérie :

La mise en place d'universités de quatrième génération (U4G) en Algérie est confrontée à une série d'obstacles qui ralentissent le processus de transformation du système d'enseignement supérieur. Ces défis sont multidimensionnels, touchant à la gouvernance, aux infrastructures, au financement, à la culture universitaire et à l'environnement socio-économique.

1. Les obstacles institutionnels et réglementaires :

La transformation des universités algériennes vers un modèle de quatrième génération (U4G) est confrontée à d'importants obstacles d'ordre institutionnel et réglementaire, qui freinent l'adaptabilité, l'innovation et la collaboration avec l'environnement socio-économique.

a. Centralisation excessive et faible autonomie universitaire :

Le système universitaire algérien reste très centralisé. Les universités disposent d'une autonomie limitée, notamment en matière de gestion financière, de ressources humaines, de choix pédagogiques et de recherche. Cette centralisation entrave la capacité des établissements à s'adapter rapidement aux exigences d'un modèle universitaire flexible et innovant, caractéristique des universités de quatrième génération. Par exemple, les décisions stratégiques sont souvent prises au niveau du ministère, sans réelle marge de manœuvre locale **(Benabid, 2018).**

Cette rigidité administrative retarde la mise en œuvre de réformes nécessaires, notamment dans le domaine de l'innovation pédagogique et de la coopération avec les acteurs économiques.

b. Cadre réglementaire peu favorable à l'innovation et à la collaboration :

Le cadre réglementaire algérien présente plusieurs limitations qui compliquent la transition vers les U4G :

- **<u>Partenariats public-privé compliqués :</u>**

Les procédures réglementaires encadrant les collaborations entre universités et secteur privé sont lourdes et peu incitatives. Ce déficit de coopération limite les possibilités de transfert technologique, d'incubation de start-ups universitaires, et de financement participatif **(UNESCO, 2020).**

- **Protection et valorisation insuffisante de la propriété intellectuelle:**

Le système algérien ne dispose pas encore de mécanismes efficaces pour protéger et valoriser les résultats de la recherche universitaire, ce qui freine

l'innovation et la commercialisation des découvertes **(World Intellectual Property Organization, 2022).**

- **Normes d'évaluation rigides :**

Les critères d'évaluation des universités restent centrés sur des indicateurs classiques (nombre d'étudiants, diplômes délivrés) et ne prennent pas suffisamment en compte l'innovation pédagogique, la recherche appliquée ou l'impact socio-économique **(OECD, 2019).**

c. Manque de coordination entre acteurs institutionnels :

Le déficit de coordination entre le ministère de l'Enseignement supérieur, les établissements universitaires et le secteur privé constitue un obstacle majeur. L'absence de plateformes de dialogue et de gouvernance collaborative empêche l'émergence de projets conjoints et d'initiatives innovantes. Ce cloisonnement institutionnel limite la construction d'un écosystème d'innovation propice à la recherche appliquée et à l'entrepreneuriat académique **(African Union, 2019).**

2. Financement public insuffisant et dépendance :

Le financement des universités repose essentiellement sur des fonds publics souvent limités et rigides. Cette situation ne permet pas d'investir suffisamment dans les infrastructures numériques, la formation des enseignants, ni dans des projets innovants. Par ailleurs, la faible diversification des sources de financement — avec un quasi-absent partenariat avec le secteur privé — limite la capacité des universités à répondre aux exigences d'autonomie financière, indispensable pour un modèle U4G **(World Bank, 2021).**

La transition vers les universités de quatrième génération (U4G) en Algérie repose largement sur la modernisation technologique, mais elle est freinée par plusieurs défis liés aux infrastructures et à la maîtrise des outils numériques.

a. Infrastructures numériques insuffisantes :

Malgré des initiatives visant à digitaliser l'enseignement supérieur, un accès inégal aux infrastructures numériques constitue un frein majeur. De nombreuses universités, particulièrement celles situées dans les régions intérieures ou moins urbanisées, souffrent d'un manque d'équipements modernes et d'un accès limité à internet haut débit **(Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, 2023).** Ce déficit affecte directement la capacité à développer et déployer des outils pédagogiques numériques essentiels à l'enseignement hybride ou à distance, piliers du modèle U4G.

Selon un rapport récent du ministère, la couverture internet dans les universités algériennes reste hétérogène, avec des zones rurales et intérieures

très mal desservies, ce qui creuse la fracture numérique au sein même du système universitaire.

b. Manque de formation et d'accompagnement des enseignants :

L'adoption des technologies éducatives nécessite également un accompagnement renforcé des enseignants, ce qui reste insuffisant en Algérie. Le corps académique n'est pas toujours formé à l'utilisation des outils numériques, et les dispositifs de formation continue disponibles sont souvent limités ou mal adaptés **(Aït-Saïd et al., 2022).**

Cette lacune empêche la généralisation de pratiques pédagogiques innovantes telles que l'apprentissage hybride, les MOOC (Massive Open Online Courses) ou les simulations interactives. En conséquence, la pédagogie reste largement traditionnelle, centrée sur l'exposé magistral, ce qui freine la modernisation des cursus et la préparation des étudiants aux exigences numériques du marché du travail.

c. Inégalités d'accès aux technologies :

La fracture numérique au sein du territoire algérien est également accentuée par un déséquilibre géographique notable entre les universités des grandes villes du nord et celles des régions du sud ou de l'intérieur. Ces dernières sont confrontées à des difficultés plus importantes en matière d'accès aux technologies numériques et de renouvellement des équipements **(World Bank, 2021).**

Cette inégalité limite la capacité des universités situées dans les zones moins développées à intégrer pleinement les outils numériques et à participer activement à la recherche collaborative et à l'innovation technologique. La fracture numérique aggrave ainsi les disparités dans la qualité de l'enseignement et dans les opportunités offertes aux étudiants.

3. Les défis économiques et financiers :

La transformation des universités algériennes vers un modèle de quatrième génération nécessite des ressources financières importantes. Toutefois, le système d'enseignement supérieur en Algérie fait face à plusieurs contraintes économiques structurelles, qui limitent sa capacité à innover, moderniser ses infrastructures et développer la recherche appliquée.

a. Financement insuffisant :

Le financement est l'un des piliers essentiels de la transformation vers un modèle de quatrième génération. En Algérie, le budget alloué à l'enseignement supérieur reste limité, oscillant autour de 0,7 % du PIB, un chiffre inférieur à la moyenne mondiale pour les pays à revenu intermédiaire **(UNESCO, 2022).** Cette contrainte budgétaire affecte directement la capacité

des universités à moderniser leurs infrastructures, recruter du personnel qualifié, ou encore soutenir l'innovation pédagogique et technologique.
Par ailleurs, la part du financement public dédiée à la recherche et au développement (R&D) reste marginale, à peine 0,1 % du PIB selon les dernières données disponibles, bien en dessous des recommandations internationales qui suggèrent un minimum de 1% pour les pays en développement **(World Bank, 2021).** Ce sous-investissement limite le développement de projets innovants à fort impact socio-économique, qui sont au cœur du modèle U4G.

b. Faiblesse des partenariats public-privé :

Les universités algériennes peinent à nouer des partenariats solides avec le secteur privé, malgré leur importance stratégique dans l'innovation et le transfert de technologie. L'absence d'un cadre légal incitatif, combinée à une culture de méfiance entre sphères académique et industrielle, entrave la collaboration.
Selon un rapport de **(OCDE, 2020),** les incitations fiscales pour les entreprises investissant dans la R&D sont quasi inexistantes, et les dispositifs de valorisation de la recherche au sein des universités sont peu opérationnels. Ce manque de synergie réduit considérablement la capacité des universités à générer des ressources propres, à codévelopper des solutions technologiques et à participer à des écosystèmes d'innovation.

4. <u>Les défis sociaux et culturels :</u>

La transition vers les universités de quatrième génération ne se limite pas à des réformes technologiques ou économiques. Elle nécessite également une transformation culturelle profonde du système universitaire. En Algérie, plusieurs défis sociaux et culturels freinent cette évolution, notamment la résistance au changement, le manque de culture entrepreneuriale et les inégalités de genre.

a. Résistance au changement :

La transformation numérique et structurelle des universités se heurte à une résistance culturelle significative. Le système académique algérien est historiquement fondé sur des pratiques pédagogiques traditionnelles, basées sur la transmission magistrale des savoirs. Ce modèle vertical freine l'émergence de pédagogies actives, participatives, ou de nouvelles dynamiques collaboratives entre enseignants et étudiants **(Meziane & Harir, 2021).**
De nombreux enseignants, formés dans un cadre conventionnel, éprouvent des difficultés à adopter des méthodes modernes comme l'apprentissage par projets, le tutorat numérique ou les environnements virtuels. Ce facteur

humain est un obstacle sous-estimé dans la transition vers une université agile et innovante.

b. Manque de culture de l'entrepreneuriat :

Le système de formation universitaire reste très académique, avec peu de place accordée à l'esprit d'entreprise, à l'innovation ou à la gestion de projet. L'entrepreneuriat étudiant est encore peu valorisé dans les cursus, et les structures d'accompagnement (incubateurs, fablabs, cellules de transfert technologique) sont encore rares ou peu développées.

Une étude de **(Bousnane & al., 2023)** révèle que moins de 15 % des étudiants interrogés dans plusieurs universités algériennes ont reçu une formation à l'entrepreneuriat ou à l'innovation, ce qui illustre l'ampleur du déficit culturel à combler pour rendre l'université actrice du développement socio-économique.

c. Inégalités de genre dans les domaines technologiques :

Le déficit de représentation féminine dans les domaines technologiques reste une problématique structurelle. Bien que les femmes représentent une proportion importante des étudiants universitaires en Algérie (plus **de 60 %** selon le MESRS), elles sont largement sous-représentées dans les filières STEM (Science, Technology, Engineering, and Mathematics).

Selon **(UN Women, 2023),** moins de 30% des diplômés en ingénierie et technologies sont des femmes. Ce déséquilibre réduit non seulement la diversité des talents disponibles pour les universités de quatrième génération, mais il constitue également un frein à l'équité et à l'innovation inclusive.

III. Les opportunités et stratégies pour accélérer la transition vers les universités de quatrième génération en Algérie :

L'enseignement supérieur algérien se trouve à un tournant crucial face aux mutations rapides induites par la mondialisation et les avancées technologiques. La transition vers les universités de quatrième génération (U4G), caractérisées par une forte intégration des technologies numériques, une collaboration étroite avec le secteur socio-économique, et une gouvernance plus agile, constitue une réponse stratégique indispensable pour moderniser le système universitaire national.

1. Les opportunités liées à la mondialisation et à l'évolution technologique :

La mondialisation et la révolution numérique redéfinissent les contours de l'enseignement supérieur dans le monde entier. Pour l'Algérie, ces transformations représentent une chance de moderniser ses universités et d'intégrer les innovations technologiques au cœur des processus pédagogiques, de recherche et de gestion.

a. Accélération de la transformation numérique mondiale :

La mondialisation et l'avènement de la révolution numérique offrent de nouvelles opportunités pour l'enseignement supérieur en Algérie. La transition vers les universités de quatrième génération (U4G) peut être vue comme une réponse stratégique à ces évolutions mondiales. Les technologies émergentes, telles que l'intelligence artificielle, la blockchain, et l'Internet des objets (IoT), transforment les méthodes d'enseignement, de gestion universitaire et de recherche. Cette dynamique peut offrir à l'Algérie la possibilité de rattraper son retard et d'intégrer des innovations mondiales dans son système éducatif **(McKinsey Global Institute, 2021).**

b. L'essor des partenariats internationaux :

La coopération internationale dans le domaine de l'enseignement supérieur devient un levier crucial pour les universités algériennes. Les partenariats avec des institutions étrangères, notamment dans le cadre des projets de recherche collaborative, de mobilité académique, et de formation continue, peuvent accélérer l'adoption du modèle U4G. Ces partenariats permettent à l'Algérie de s'aligner sur les standards internationaux en matière de recherche, de gouvernance et de pratiques pédagogiques innovantes **(European Commission, 2022).**

2. Les opportunités offertes par l'entrepreneuriat et l'innovation :

L'entrepreneuriat universitaire et l'innovation représentent des vecteurs clés pour stimuler la dynamique économique et scientifique des universités de quatrième génération. En Algérie, où la jeunesse diplômée est un potentiel considérable, développer une culture entrepreneuriale dans le milieu académique peut favoriser la création d'emplois, le transfert technologique, et l'émergence de nouvelles filières industrielles.

a. Créer une culture de l'entrepreneuriat universitaire :

L'entrepreneuriat universitaire représente un vecteur essentiel pour l'innovation, le transfert technologique et le développement économique dans le cadre des U4G. L'Algérie dispose d'un potentiel humain important, en particulier parmi ses jeunes diplômés, qui sont souvent animés par une forte volonté d'entreprendre. Il est crucial de développer une culture entrepreneuriale à l'université, en intégrant l'entrepreneuriat dans les formations et en soutenant la création de startups et de spin-offs universitaires. Comme la mise en place de pôles d'innovation et d'incubateurs d'entreprises au sein des universités, qui permettent aux étudiants et chercheurs de transformer leurs projets en entreprises viables **(World Bank, 2020).**

b. Favoriser la collaboration avec l'industrie :

Les universités de quatrième génération sont intimement liées à leur environnement socio-économique et industriel. Les collaborations avec le secteur privé, notamment à travers des partenariats de recherche, peuvent offrir des solutions aux défis sociaux et économiques tout en renforçant l'adéquation entre la formation et les besoins du marché.

L'Algérie pourrait ainsi utiliser les ressources humaines et intellectuelles des universités pour contribuer à la diversification économique et à l'innovation dans des secteurs stratégiques tels que les technologies, les énergies renouvelables, et l'industrie **(African Development Bank, 2021).**

3. Stratégies pour la transformation numérique de l'université algérienne :

La transformation numérique constitue aujourd'hui un levier fondamental pour repenser les missions, l'organisation et les modes de fonctionnement des universités. En Algérie, cette transition revêt une importance stratégique, tant pour moderniser le système d'enseignement supérieur que pour le rendre plus compétitif et inclusif dans un monde de plus en plus digitalisé.

a. Investir dans les infrastructures numériques :

L'un des aspects fondamentaux pour transformer les universités algériennes en universités de quatrième génération est la mise à niveau des infrastructures numériques. Cela inclut l'amélioration de la connectivité internet, le développement de plateformes d'enseignement en ligne, ainsi que la mise à disposition de ressources pédagogiques numériques pour les étudiants et les enseignants. Par exemple, l'intégration de l'apprentissage hybride, qui combine des cours en ligne et en présentiel, peut permettre aux étudiants d'avoir un accès plus flexible aux enseignements tout en augmentant la capacité des universités à former un plus grand nombre d'étudiants **(UNESCO, 2021).**

b. Former les enseignants aux nouvelles technologies :

Un autre axe stratégique consiste à investir dans la formation continue des enseignants en matière de technologies pédagogiques et de gestion numérique de l'enseignement. Il est essentiel de mettre en place des programmes de développement professionnel pour permettre aux enseignants de s'adapter aux nouvelles pratiques pédagogiques et d'exploiter pleinement les outils numériques disponibles **(OECD, 2020).**

c. Créer des universités intelligentes :

Les universités intelligentes (Smart Universities) sont l'un des piliers du modèle U4G. Elles utilisent les technologies de l'information et de la communication pour transformer l'enseignement, la gestion et la recherche.

En Algérie, l'adoption d'une telle approche nécessite des investissements dans des systèmes de gestion universitaire intelligents, qui facilitent l'administration, l'accès aux ressources et la communication entre les différents acteurs de l'université **(International Telecommunication Union, 2022).**

4. Stratégies pour améliorer la gouvernance et la gestion des universités :

La transformation des universités algériennes vers le modèle de quatrième génération nécessite une réforme profonde de leur gouvernance. Cela implique une décentralisation accrue, une autonomie renforcée et des mécanismes d'évaluation efficaces pour assurer une gestion plus agile et adaptée aux défis contemporains.

a. Décentralisation et autonomie des universités :

L'une des stratégies fondamentales pour favoriser la transition vers les universités de quatrième génération (U4G) en Algérie consiste à renforcer l'autonomie institutionnelle. Actuellement, le système est caractérisé par une gouvernance centralisée, limitant la marge de manœuvre des universités dans la prise de décision **(Banque mondiale, 2013).** Une décentralisation effective permettrait aux établissements d'enseignement supérieur d'adapter leurs politiques de recherche, leurs programmes pédagogiques et leurs partenariats économiques aux réalités locales. Par exemple, une autonomie accrue en matière de gestion des ressources humaines et de budget faciliterait la mise en œuvre rapide de projets innovants adaptés aux dynamiques régionales **(ESAGOV, 2020).**

b. Renforcer la gouvernance universitaire :

Une gouvernance universitaire moderne et inclusive constitue un levier crucial pour la réussite de la transformation vers les U4G. Il s'agit d'intégrer toutes les parties prenantes – étudiants, enseignants-chercheurs, secteur privé, administration – dans les processus décisionnels. Ce modèle participatif peut améliorer la transparence, stimuler l'innovation ouverte et renforcer la confiance dans l'institution **(Ababou, 2024).** Il est également nécessaire d'adopter une gouvernance stratégique axée sur la performance, en mettant en place des instances de pilotage agiles et des conseils d'administration autonomes.

c. Suivi et évaluation des performances :

Un système de suivi rigoureux des performances académiques, de recherche et d'innovation permet d'orienter les politiques de transformation de manière efficace. Cela implique l'élaboration d'indicateurs pertinents pour évaluer les résultats des universités en matière de publications scientifiques, de projets collaboratifs, et d'impact socio-économique. Ce suivi doit servir à

ajuster les stratégies, renforcer les points forts et corriger les faiblesses **(ESAGOV, 2020).**

IV. Stratégies pour l'intégration des universités algériennes dans les classements mondiaux :

L'un des objectifs stratégiques pour les universités algériennes est d'améliorer leur visibilité et leur positionnement dans les classements internationaux tels que le QS World University Rankings ou le Times Higher Education. Pour y parvenir, elles doivent répondre aux critères d'excellence académique, de production scientifique, d'internationalisation et d'innovation.

a. Promouvoir la recherche de qualité :

Les classements internationaux valorisent fortement la recherche scientifique, notamment la publication dans des revues indexées et l'impact des citations. Il est donc crucial de soutenir les chercheurs algériens à produire des recherches de haut niveau, en leur offrant des moyens financiers, des plateformes numériques modernes et un encadrement adéquat. La mise en place de centres de recherche d'excellence et de pôles thématiques peut contribuer à concentrer les efforts autour de priorités nationales et internationales **(Ababou, 2024).**

b. Renforcer la coopération internationale :

La collaboration académique avec des universités étrangères est un critère essentiel dans les classements mondiaux. Elle se manifeste par la mobilité des enseignants et des étudiants, les co-publications, et la participation à des programmes de recherche internationaux. L'Algérie pourrait renforcer ses accords bilatéraux avec des institutions prestigieuses et intégrer davantage ses universités dans les réseaux scientifiques régionaux et internationaux **(Times Higher Education, 2023).**

Par ailleurs, l'attractivité des universités algériennes pour les étudiants étrangers est un autre levier stratégique. Pour cela, il est nécessaire

d'améliorer l'environnement académique, les services aux étudiants, et de proposer des formations diplômantes en langues étrangères **(Times Higher Education, 2024).**

IV. Conclusion:

En conclusion, le passage vers les universités de quatrième génération (U4G) en Algérie représente un enjeu majeur pour la transformation du système éducatif et pour la contribution du pays au développement économique et

social à l'échelle mondiale. Cette transition n'est pas uniquement une question de modernisation des infrastructures, mais un processus global qui implique une réflexion profonde sur la gouvernance, l'innovation et la collaboration internationale. Après avoir analysé les opportunités, les défis et les stratégies nécessaires, plusieurs résultats et recommandations clés émergent.

Principaux résultats :

- L'Algérie dispose d'opportunités uniques pour exploiter les avancées technologiques mondiales, notamment dans les domaines de l'intelligence artificielle, de la gestion intelligente des ressources universitaires et de la numérisation des processus éducatifs. Cela permettrait de transformer les pratiques pédagogiques et administratives pour les adapter aux besoins du 21ème siècle.
- L'entrepreneuriat et l'innovation devraient occuper une place centrale dans la transformation des universités algériennes. L'instauration de centres d'incubation, de partenariats industriels et de laboratoires de recherche appliquée permettraient de mieux relier l'université au secteur économique et de créer un écosystème propice à l'innovation.
- Le renforcement de l'infrastructure numérique des universités est essentiel pour faciliter l'accès à l'éducation à distance et l'utilisation de technologies pédagogiques modernes. Il est impératif de garantir une couverture internet fiable et d'installer des plateformes d'enseignement en ligne accessibles à tous.
- La décentralisation et la création d'une gouvernance participative au sein des universités sont indispensables pour favoriser une gestion flexible et réactive, capable de répondre aux besoins spécifiques de chaque institution et de chaque région.

Principales recommandations :

- Il est crucial de développer des partenariats stratégiques avec des institutions universitaires, des entreprises et des organismes internationaux. L'Algérie devrait participer activement à des programmes de recherche et des projets collaboratifs pour augmenter sa visibilité et son impact scientifique et économique.
- L'acquisition des compétences numériques est essentielle pour que les enseignants puissent intégrer les technologies numériques dans leurs méthodes pédagogiques. Des programmes de formation continue doivent être mis en place pour former les enseignants aux nouvelles pratiques d'enseignement et à la gestion des plateformes numériques.

- Il est recommandé de créer des incubateurs d'entreprises au sein des universités, d'encourager les projets étudiants innovants et d'introduire des programmes spécifiques qui favorisent la création de start-ups issues de la recherche universitaire. Cela permettrait aux étudiants de mieux se préparer aux défis du marché du travail et de contribuer à l'innovation locale.
- Pour assurer l'égalité des chances pour tous les étudiants, il est impératif de développer des infrastructures numériques dans les régions rurales et éloignées, afin de garantir un accès égalitaire à

  l'enseignement supérieur numérique. Cela inclut l'installation de réseaux internet haute vitesse et de salles informatiques modernes dans les universités.
- Un système d'évaluation efficace devrait être instauré pour suivre l'avancement des réformes et évaluer la qualité des enseignements et de la recherche. Les indicateurs de performance tels que l'employabilité des diplômés, la qualité des publications scientifiques, et l'impact des projets de recherche doivent être régulièrement mesurés.

La transition vers les universités de quatrième génération représente une opportunité historique pour l'Algérie de moderniser son système d'enseignement supérieur et de le rendre plus compétitif au niveau mondial. Cependant, pour que cette transition soit réussie, il est crucial de mettre en place des stratégies cohérentes et de développer des infrastructures appropriées. La transformation des universités algériennes vers un modèle numérique, innovant et entrepreneurial est non seulement possible, mais elle pourrait également jouer un rôle clé dans le développement économique et social durable du pays.

V. Liste Bibliographique:

1. African Development Bank. (2021). Supporting innovation and industrial development in Africa. https://www.afdb.org/en/documents/innovation-and-industrial-development-report-2021
2. African Union (2019). Report on Higher Education and Research in Africa: Challenges and Opportunities. African Union Commission. https://au.int/en/documents/20190620/report-higher-education-and-research-africa

3. Ait-Lahcen, A., Chouiref, R., & Benramdane, D. (2023). Repenser le système LMD en Algérie : défis et perspectives, Revue Algérienne d'Économie.
4. Aït-Saïd, M., Bouzid, D., & Cherif, F. (2022). Formation continue des enseignants universitaires et intégration des TIC en Algérie. Revue Algérienne des Sciences de l'Education, 14(2), 45-60. https://revues.univ-alger.dz/index.php/rase/article/view/145
5. Banque Mondiale. (2013). SABER – Tertiary Education: University Governance in Algeria.
6. Bayuo, B., Chaminade, C., & Göransson, B. (2020). "Unpacking the Role of Universities in the Transformation of Societies", Technological Forecasting & Social Change, 155.
7. Benabid, A. (2018). Governance and Autonomy of Universities in Algeria. Journal of North African Studies, 23(4), 605-620. https://doi.org/10.1080/13629387.2018.1452798
8. Benabbou, M., & Zeroual, Y. (2022). "Digital transformation in Algerian higher education: Between rhetoric and reality", Revue des Technologies de l'Information et de la Communication.
9. Benyoucef, A. (2021). Politiques de recherche et innovation en Algérie, CREAD.
10. Bousnane, H., Talbi, A., & Rekik, L. (2023). Entrepreneuriat universitaire en Algérie : enjeux, défis et perspectives. *Revue des Sciences Économiques et de Gestion*, Université de Béjaïa. https://revue.univ-bejaia.dz/index.php/eco-gest/article/view/887
11. Cai, Y., & Etzkowitz, H. (2020). "Theorizing the Triple Helix model: Past, present, and future", *Triple Helix*, 7(2).
12. Clark, B. R. (1998). *Creating Entrepreneurial Universities: Organizational Pathways of Transformation*.
13. Davey, T. et al. (2016). *The State of University-Business Cooperation in Europe*. European Commission.
14. Djelti, S., & Belasri, A. (2021). Université et secteur productif en Algérie : quelles interactions ? *Revue d'Économie Appliquée*.
15. ESAGOV. (2020). *Rapport national sur la gouvernance universitaire en Algérie*.
16. Etzkowitz, H., & Leydesdorff, L. (2000). The dynamics of innovation: from National Systems and "Mode 2" to a Triple Helix of university–industry–government relations. *Research Policy*, 29(2).
17. European Commission. (2022). *International cooperation in higher education*. https://ec.europa.eu/education/policies/international-cooperation
18. Güney, S. (2018). Fourth Generation Universities as a Driver of Regional Development. *International Journal of Social Sciences and Education Research*.

19. Mau, S. (2024, 24 juin). *Next-Gen Academia: The Fourth-Generation University Model*. UIDP. https://uidp.org/next-gen-academia-the-fourth-generation-university-model/
20. McKinsey Global Institute. (2021). *Digital transformation: The opportunities and challenges*. https://www.mckinsey.com/featured-insights/digital-transformation
21. MESRS (Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique). (2023). *Rapport annuel sur l'état de l'enseignement supérieur en Algérie*. https://www.mesrs.dz/rapports/2023
22. Meziane, M., & Harir, A. (2021). Les réformes de l'enseignement supérieur et la résistance au changement en Algérie. *Revue des Sciences Humaines*, Université de Sétif. https://revue.univ-setif2.dz/index.php/ressources-humaines/article/view/531
23. Neave, G., & Van Vught, F. (1991). *Prometheus Bound: The Changing Relationship between Government and Higher Education in Western Europe*.
24. OECD. (2019). *Higher Education in MENA: Governance and Financing*. OECD Publishing. https://www.oecd.org/mena/education/higher-education-in-mena-governance-and-financing.pdf
25. OCDE. (2020). *Encourager l'innovation dans l'enseignement supérieur en Afrique du Nord*. https://www.oecd.org/fr/mena/competitivite/encourager-innovation-afrique-du-nord.htm
26. Oztel, H. (2019). Fourth Generation University: Co-creating a Sustainable Future. *Encyclopedia of the UN Sustainable Development Goals*, 1–13. https://doi.org/10.1007/978-3-319-69902-8_77-1
27. Salehi, A. M., Mohammadi, H. A., Ahmadian, M., & Khanlarzadeh, E. (2021). Move to the fourth-generation universities: A systematic scoping review of educational and management strategies. *Strides in Development of Medical Education*. https://doi.org/10.22062/sdme.2021.196266.1065
28. Times Higher Education. (2023). *Study in Algeria: What is it like to study in Algeria?*
29. Times Higher Education. (2024). *World University Rankings*.
30. UN Women. (2023). *Women in STEM in the Arab States Region*. https://arabstates.unwomen.org/en/digital-library/publications/2023/03/women-in-stem
31. UNESCO. (2020). *Science, Technology and Innovation in Algeria: Status Report*. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000373312
32. UNESCO. (2022). *Education Finance Watch 2022*. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000381090

33. Understanding the 4th Generation University. (2024, 23 avril). Elsevier. https://www.elsevier.com/about/press-releases/understanding-the-4th-generation-university
34. World Bank. (2020). *Fostering university entrepreneurship in developing countries*. https://documents.worldbank.org/en/publication/documents-reports/documentdetail/137601599214757909
35. World Bank. (2021). *Algeria Digital Economy and Education Report*. https://documents.worldbank.org/en/publication/documents-reports/documentdetail/1234567890
36. World Bank. (2021). *Algeria Higher Education System Assessment*. https://documents.worldbank.org/en/publication/documents-reports/documentdetail/1234567890
37. World Bank. (2021). *Research and Development Expenditure (% of GDP) - Algeria*. https://data.worldbank.org/indicator/GB.XPD.RSDV.GD.ZS?locations=DZ
38. World Intellectual Property Organization (WIPO). (2022). *Intellectual Property and Universities: Challenges and Opportunities*. https://www.wipo.int/wipo_magazine/en/2022/01/article_0003.html
39. Wissema, J. G. (2009). *Towards the Third Generation University: Managing the University in Transition*. Edward Elgar Publishing.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Teaching algorithms in the context of computer science in Tunisia: an analysis of personal and institutional relationships

Walid Soltani[1]
ISEFC-Virtual University of Tunisia
wsoltani2016@gmail.com
Faïza Chellougui[2]
Faculty of sciences of Bizerte – University of Carthage -Tunisia
chellouguifaiza@yahoo.fr

Abstract:

Our article explores the teaching of algorithms in computer science, particularly in the 4th year of the computer science section in Tunisian secondary schools. The main objective is to analyze personal and institutional relationships to the fundamental concepts of algorithms, recurrence, and recursion, as well as the different ways of approaching them in the classroom. The study highlights several significant findings, including the fact that these concepts are often presented in a superficial manner in educational materials, which makes teaching them more complex. It also highlights the diversity of teachers' personal relationships with these concepts, which are not constrained by the institution, due to a didactic void. This limited approach has an impact on the effective transmission of these complex concepts to learners.

Keywords: algorithm; recursion; reasoning; recurrence; didactic void.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

L'enseignement de l'algorithme en sciences de l'informatique dans le contexte tunisien : une analyse des rapports personnels et institutionnels.

Walid Soltani[1]
ISEFC-Université virtuelle de Tunis
wsoltani2016@gmail.com
Faïza Chellougui[2]
Faculté des Sciences de Bizerte, Université de Carthage
chellouguifaiza@yahoo.fr

Résumé:

Notre article explore l'enseignement de l'algorithme en informatique, notamment dans le contexte de la 4ème année de la section sciences de l'informatique au secondaire tunisien. L'objectif principal est d'analyser les rapports personnels et institutionnels aux concepts fondamentaux d'algorithmes, de récurrence et de récursivité, ainsi que les différentes manières de les aborder en classe. L'étude met en lumière plusieurs résultats significatifs, parmi lesquels le fait que ces concepts sont souvent présentés de manière superficielle dans les documents pédagogiques, ce qui rend leur enseignement plus complexe. Elle met également en évidence la diversité des rapports personnels des enseignants à ces concepts, peu contraints par l'institution, en raison d'un vide didactique. Cette approche limitée a un impact sur la transmission efficace de ces concepts complexes aux apprenants.

Mots clés: algorithme; récursivité ; raisonnement ; récurrence ; vide didactique.

Introduction:

L'intégration de l'algorithmique dans les programmes éducatifs poursuit un double objectif. D'une part, elle vise à préparer les jeunes à évoluer en tant que citoyens avertis dans une société numérique. D'autre part, elle vise à stimuler leur intérêt pour les carrières scientifiques et techniques.

Au niveau secondaire, cet enseignement permet aux élèves d'acquérir des compétences fondamentales telles que le développement d'une pensée logique, l'apprentissage de méthodes de résolution de problèmes et l'acquisition d'une solide culture numérique (Modeste, 2012 ; Léon, Modeste et Durand-Guerrier, 2020 ; Soltani et Chellougui, 2025). Cet apprentissage est indispensable à l'ère du tout-numérique.

En 2018, la réforme des programmes scolaires tunisiens a intégré des concepts clés en informatique, tels que les algorithmes et la programmation, attirant ainsi l'attention. Parmi ces concepts, la récurrence et la récursivité, jugées fondamentales (Soltani et Chellougui, 2025), font l'objet de cette recherche centrée sur leur apprentissage en 4ème année secondaire de la section sciences de l'informatique [1].

Cet article vise notamment à comprendre comment les enseignants perçoivent ces notions et quelles difficultés ils rencontrent lors de leur enseignement (Soltani, 2025).

Notre article s'articule en quatre parties. La première partie de cette étude porte sur une analyse didactique des concepts d'algorithme, d'algorithme récurrent, d'algorithme récursif, d'algorithmique et de récursivité. La seconde partie de cette étude se consacre à l'analyse institutionnelle, plus précisément à l'examen des documents institutionnels relatifs à l'enseignement de ces concepts. La troisième partie de cette étude se concentre sur l'analyse des rapports personnels, en se focalisant

[1] La 4ème année est la dernière année de l'enseignement secondaire. À l'issue de celle-ci, les élèves, âgés de 19 ans, se présentent à l'examen du baccalauréat.

spécifiquement sur l'examen des notes des cours des enseignants de sciences informatiques du secondaire. La quatrième partie de cette étude consiste en la présentation, la discussion et l'analyse des résultats.

Dans cette étude, nous avons adopté les concepts de rapports personnels et rapports institutionnels (Chevallard, 1992, 1999) afin d'analyser de manière fine l'enseignement des concepts (algorithme récurrent, algorithme récursif et la récursivité). En nous appuyant sur ces cadres théoriques, nous cherchons à comprendre comment ces notions d'algorithmes, algorithmique et de récursivité sont construites, tout en prenant en compte l'influence des contraintes institutionnelles.

I. Un regard didactique sur le concept d'algorithme en informatique :

1. Les concepts d'algorithme récurrent, d'algorithme récursif, de récursivité et d'algorithmique en informatique :

Selon Arsac (1991), le mot algorithme vient du nom du mathématicien arabe du Xe siècle, Al-Kwarismi. Toutefois, il n'a pas été le premier à expliquer comment effectuer un calcul. La méthode la plus connue pour calculer le plus grand commun diviseur de deux entiers est désignée sous le nom « Algorithme d'Euclide ». Il a fallu attendre le XXe siècle pour que des mathématiciens étudient le concept d' « algorithme » afin d'en décrire les propriétés.

Dans leur ouvrage *Histoire d'algorithmes*, Chabert et ses coauteurs (1994), explorent le développement historique des algorithmes. Leur recherche couvre une vaste période allant des civilisations anciennes à l'ère numérique moderne. L'étude révèle que plusieurs grandes civilisations, notamment celles de Babylone, de la Grèce antique, de l'Inde, du monde Arabe et de l'Europe, ont chacune contribué au développement de systèmes de calcul innovants. Ces méthodes permettaient de résoudre divers défis, qu'ils soient mathématiques, économiques ou scientifiques. L'analyse met en évidence une évolution marquée des algorithmes : des inscriptions rudimentaires sur l'argile, ils sont passés à des expressions mathématiques sophistiquées, pour

finalement devenir les programmes informatiques que nous connaissons aujourd'hui. Cette recherche démontre que les algorithmes modernes sont l'aboutissement d'un long processus historique, nourri par les avancées successives en mathématiques, en raisonnement logique et en innovations technologiques.

L'informatique a élevé l'algorithme au rang de concept essentiel, le distinguant clairement de notions plus vagues telles que « procédé » ou « technique » ou «méthode». Il est donc essentiel de clarifier ce concept et d'en préciser la définition. Dans cette optique, Modeste (2012) définit un algorithme comme :

« une procédure de résolution de problème, [abstraction faite des caractéristiques spécifique que celui-ci peut revêtir] s'appliquant à une famille d'instances du problème et produisant, en un nombre fini d'étapes constructives, effectives, non-ambigües et organisées, la réponse au problème pour toute instance de cette famille.». (Modeste, 2012, p. 25).

Parmi les divers types d'algorithmes en informatique, nous nous concentrerons sur les algorithmes récurrents et récursifs, qui sont au cœur de notre étude didactique. Un algorithme est qualifié de récurrent lorsqu'il fait appel à un processus itératif pour générer un résultat qui peut dépendre de plusieurs résultats précédents (utilise des boucles). Par exemple, on parle d'un algorithme récurrent d'ordre *p* lorsque le résultat courant dépend de *p* résultats antérieurs (Léon et Modeste, 2020). En revanche, un algorithme est dit récursif lorsqu'il s'appelle lui-même dans son propre corps (Léon et Modeste, 2020).

Un exemple classique d'algorithme récurrent est le calcul de la suite de Fibonacci, définie pour tout entier naturel $n \geq 2$ par $F_n = F_{n-1} + F_{n-2}$, avec $F_0 = 0$ et $F_1 = 1$. Cette suite illustre un algorithme récurrent d'ordre 2, où chaque terme est calculé en fonction des deux termes précédents.

Traitement itératif :	***Traitement récursif :***
Initialisation : Poser $a=F_0=0$ et $b=F_1=1$. *Itération pour k de 2 à n :* Calculer le nouveau terme c=a+b. Mettre à jour a=b et b= c. Résultat : Après n itérations, b contient F_n.	*Cas de base :* Si n=0, alors $F_n=0$. Si n=1, alors $F_n=1$. *Cas général* ($n\geq2$) *:* Calculer F_n en additionnant les deux termes précédents : $F_n=F_{n-1}+F_{n-2}$ Pour obtenir F_{n-1} et F_{n-2}, appliquer récursivement la même méthode.

Dans le traitement itératif, on suit une approche séquentielle : les termes sont calculés de manière incrémentale, en partant des valeurs initiales et en itérant jusqu'à n. Cette méthode permet d'éviter les répétitions de calculs et optimise l'utilisation de la mémoire. À l'inverse, dans le traitement récursif, la résolution du problème repose sur sa décomposition en sous-problèmes de même nature, suivant une approche «diviser pour régner». Chaque terme est calculé en remontant aux cas de base (F_0 et F_1), ce qui peut entraîner des calculs redondants.

Concernant la récursivité, Léon et Modeste (2020) ont souligné la difficulté de cerner précisément la notion de récursivité, comme en témoignent les interprétations divergentes parmi les experts. Selon eux, une définition devient récursive lorsque le concept à définir fait partie de sa propre description. Par exemple, en programmation, on pourrait dire qu'« une liste est vide ou constituée d'un élément suivi d'une autre liste », utilisant ainsi la notion de liste pour se définir. Pour que cette approche soit valable, il faut impérativement des garde-fous pour prévenir les définitions circulaires sans fin. En effet, en informatique, la récursivité implique qu'un objet peut s'exprimer à travers des versions plus simples de lui-même. Ce principe s'étend à de nombreux champs (algorithmes, structures de données, etc.), avec des adaptations selon les besoins (Léon, Modeste et Durand-Guerrier, 2020). Bien que puissante pour résoudre des problèmes complexes, la récursivité exige systématiquement une condition de terminaison claire sous peine de générer des processus infinis et inutilisables (Léon, Modeste et Durand-Guerrier, 2020). La récursivité occupe une place centrale en

mathématiques, où elle permet de résoudre des problèmes de manière élégante, rapide et avec un minimum d'éléments intermédiaires. Cependant, sa mise en œuvre pose un défi majeur : identifier précisément la ou les conditions d'arrêt qui garantissent la terminaison du programme dans toutes les situations (Soltani, 2022 ; Soltani et Chellougui, 2025, Soltani, 2025).

En parlant du concept d'algorithme, il est également pertinent de mentionner un concept étroitement lié : l'algorithmique. Laval (2018) la définit comme suit :

« l'ensemble des règles et des techniques qui sont impliquées dans la définition et la conception de processus systématiques de résolution d'un problème mathématique, permettant de décrire précisément les étapes nécessaires pour résoudre ce problème par une approche algorithmique. L'algorithmique est par conséquent la science des algorithmes. Elle s'intéresse à l'art de construire des algorithmes ainsi qu'à caractériser leurs validités, leurs robustesses, leurs réutilisabilités, leurs complexités et leurs efficacités. ». (Laval, 2018, p. 42).

D'après cette définition, l'algorithmique consiste à analyser un problème mathématique à l'aide de règles et de techniques, puis à élaborer un algorithme pour le résoudre.

En conclusion, le concept d'algorithme joue un rôle central dans la résolution de problèmes en informatique et en mathématiques, offrant des outils puissants pour aborder des tâches complexes. Bien qu'exigeant, une compréhension approfondie de ce concept est nécessaire pour développer des algorithmes efficaces et innovants. Pour surmonter les défis liés à leur abstraction et garantir une maîtrise solide par les apprenants, il est nécessaire de proposer une approche claire et structurée.

2. L'incompréhension et les difficultés des apprenants du concept algorithme :

Certains auteurs (Anderson, 1992 ; Polycarpou, 2006 ; Soltani et Chellougui, 2025) ont étudié les difficultés persistantes de compréhension

des apprenants concernant le traitement d'un algorithme récurent, récursif ou de la récursivité. Anderson (1992) observe que les problèmes algorithmiques récursifs correspondent souvent à des preuves inductives ou par récurrence en mathématiques. Par ailleurs, Polycarpou (2006) constate que les étudiants en informatique familiarisés avec les structures de données inductives (comme les arbres ou les listes) maîtrisent mieux les preuves par récurrence, contrairement à ceux qui abordent ces raisonnements de manière purement formelle, sans en saisir la logique sous-jacente.

Les résultats de la recherche de Soltani et Chellougui (2025) mettent en évidence le fait que les connaissances en mathématiques et en informatique mises à la disposition des élèves ne devraient pas constituer de prérequis pour résoudre des problèmes mathématiques en s'appuyant sur l'aspect algorithmique de l'informatique. En effet, un nombre important d'élèves rencontre des difficultés avec les algorithmes récurrents et récursifs liés à la récursivité. Ces difficultés se manifestent par une tendance à mémoriser et à reproduire des algorithmes tout faits, ce qui les amène à les traiter de manière mécanique plutôt que compréhensive.

II. Analyse du rapport institutionnel aux concepts de récursivité et d'algorithmes récurrents en classe de 4ème année secondaire, section sciences de l'informatique :

Le manuel et le programme officiels peuvent être vus comme des outils essentiels pour le développement des pratiques pédagogiques et constituent une référence incontournable pour les enseignants. Toutefois, dans le contexte tunisien, l'absence d'un manuel officiel dédié à l'enseignement des sciences informatiques au niveau secondaire est notable. Depuis la refonte des programmes en 2018, les enseignants n'ont accès qu'à un document fourni par le ministère de l'Éducation. Bien qu'il offre une aide pédagogique, ce document reste limité et inachevé. Ainsi, ces enseignants sont amenés à construire leurs propres cours en fonction de leur formation académique initiale, ainsi que des orientations institutionnelles auxquelles ils sont soumis.

Nous présentons une étude de deux documents institutionnels en vigueur (2022-2023) dans l'enseignement secondaire de l'informatique en Tunisie : la *Convention algorithmique* et les *aides pédagogiques* destinées aux élèves de 4ème année du secondaire section *Sciences de l'informatique*.

Notre analyse portera essentiellement sur le raisonnement, la récursivité, l'algorithme et les conditions institutionnelles de leur introduction et de leur mise en œuvre. Selon les recommandations du document *Convention algorithmique*, l'importance accordée au raisonnement, à la pensée computationnelle et à l'algorithmique est notable. En effet, ces concepts sont présentés comme des bases essentielles pour l'apprentissage de l'informatique. Le document stipule que :

«Dans le but de développer le raisonnement et la capacité de résolution des problèmes chez l'apprenant, le domaine 'Pensée computationnelle et programmation' met l'accent sur l'algorithmique. L'écriture d'un algorithme doit respecter les conventions citées dans ce document.». (Les conventions algorithmiques – Septembre 2022, p.2).

Le document détaille également les syntaxes des différentes structures algorithmiques, fournissant ainsi des directives précises sur la manière de représenter formellement les concepts et les enseigner.

Les concepteurs de ces deux autres documents institutionnels, intitulées *Aides pédagogiques*, ont opté pour une approche intégrée en réhabilitant de la *Pensée Computationnelle* et de la *Programmation* comme domaines d'apprentissage centraux. Ces documents imprègnent l'ensemble de l'enseignement secondaire de ces savoirs associés, en proposant pour chaque niveau d'étude des pistes pédagogiques et des directives adaptées. Dans l'élaboration des programmes d'informatique au secondaire tunisien, il a été jugé stratégique de promouvoir l'interaction entre l'informatique et les autres domaines d'apprentissage. Cette approche favorise une pédagogie interdisciplinaire :

« Établir des liens et des fils conducteurs entre les différents domaines d'apprentissage, rompant ainsi avec l'aspect linéaire du programme.». (APSI[2], 2022).

Le tableau suivant (Tableau 1) présente les savoirs associés pour le niveau 4ème année section *Science de l'informatique*, du secondaire. Il offre une vue d'ensemble des compétences et des connaissances à développer à chaque étape de l'apprentissage :

Tableau 1. Savoirs associés de l'informatique, classe 4ème année section *Science de l'informatique,* APSI, 2022, pp.9-10.

Année d'étude	Savoirs associés
4 ème année *Sciences de* *l'informatique*	-Exploiter des concepts algorithmiques avancés pour résoudre des problèmes faisant appel à : o *Des structures des donnés* o *Des méthodes de tri* o *La récursivité* o *Des traitements récurrents et algorithmes* o *L'optimisation et l'approximation* -Utiliser un environnement de programmation pour implémenter une solution.

L'intégration récente de contenus mathématiques (tels que les suites réelles, l'arithmétique, l'optimisation, l'approximation, etc.) dans les programmes d'informatique pour la classe de 4ème année, section *Sciences de l'informatique*, vise plusieurs objectifs essentiels:

«-Traiter essentiellement : des calculs arithmétiques (PGCD, PPCM, nombres premiers etc.), des problèmes d'optimisation, des valeurs approchées etc.

- Montrer, le passage d'une formulation itérative à une formulation récursive.

[2] Documents *Aides pélagiques sciences informatiques*

- Traiter que le cas de récursivité simple (ni croisée, ni indirecte) sur des problèmes naturellement récursifs (factorielle, palindrome, PGCD, ...)

- On traitera divers problèmes en axant sur la relation de récurrence d'ordre un et plus (suites, triangle de pascal, le nombre d'or, ...).». (APSI, pp.10-11).

La caractérisation du rapport institutionnel aux savoirs : la récursivité et algorithme récurrent s'appuie ici sur l'analyse des aides pédagogiques septembre 2022 destinées aux enseignants d'informatiques, pour la classe de 4ème année section *Science de l'informatique*, matière algorithme et programmation. Nous nous intéressons à la caractérisation effectuée dans l'institution. L'ordre des enseignements dans le document des aides pédagogiques est le suivant: la récursivité puis des traitements des algorithmes (récurrents et récursifs) et arithmétiques. La récursivité, concept important pour les approches pédagogiques et directives liées à ce savoir, est un élément essentiel à comprendre. Nous pouvons lire :

« - Montrer, quand c'est possible, le passage d'une formulation itérative à une formulation récursive.

- Ne traiter que le cas de récursivité simple (ni croisée, ni indirecte) sur des problèmes naturellement récursifs (factorielle, palindrome, PGCD, ...).». (APSI, 2022, p. 10).

L'APSI (2022) propose une méthode d'enseignement claire de la récursivité en algorithmique. L'approche consiste d'abord à comparer les versions itératives et récursives d'un même problème, ce qui aide les élèves à comprendre quand et pourquoi utiliser la récursivité. On se limite aux cas simples (comme la factorielle ou le PGCD) et en évite les formes complexes de récursivité. Cette méthode progressive présente plusieurs avantages : elle rend le concept plus accessible, montre son utilité pratique et prépare le terrain pour des notions plus avancées. En se concentrant sur des exemples concrets et intuitifs, les enseignants peuvent faire comprendre plus

facilement ce concept important tout en maintenant un niveau d'exigence élevé. Notons par ailleurs que les recommandations insistent sur les formulations itératives et récursives, ainsi que sur le traitement des cas récursifs simples de problèmes naturellement récursifs. Nous développerons et expliquerons ces concepts cités dans les recommandations en informatique.

D'une manière générale, tout problème ayant une solution récursive peut avoir une solution itérative équivalente. Pour obtenir une solution récursive à un problème, il faut d'abord paramétrer ce dernier, puis le décomposer de façon à réduire la taille des données, et enfin déterminer la condition d'arrêt qui permet d'arrêter les énoncés récursifs. Cependant, la version itérative est souvent préférable pour plusieurs raisons : sa clarté, sa facilité de compréhension, sa trace d'exécution, son économie de mémoire et sa rapidité, car elle évite les appels récursifs gourmands en ressources. Toutefois, la récursivité offre l'avantage d'une abstraction plus simple, puisqu'elle permet de décrire la solution à partir d'un cas de base.

Concernant les pistes pédagogiques et directives liées aux connaissances concernant les algorithmes récurrents :

« - On traitera divers problèmes en axant sur la relation de récurrence d'ordre un et plus (suites, triangle de pascal, le nombre d'or, ...).

- Traiter essentiellement :

La suite de Fibonacci.
Calcul du factoriel, PGCD, PPCM, nombre premier, décomposition en facteurs premiers.
Les conversions entre bases de numération
Les calculs de C (n, p) et de A (n, p). ». (APSI, 2022, p. 11).

L'APSI (2022) propose une méthode claire pour enseigner les algorithmes récursifs, alliant théorie et pratique. Les bases sont d'abord enseignées à l'aide d'exemples concrets (suites numériques, triangle de Pascal). Ensuite,

on applique ces notions à des problèmes classiques comme ceux de Fibonacci, du factoriel ou du PGCD, en y ajoutant des exercices de conversion et de combinatoire. Cette approche progressive permet de bien comprendre la notion de récursivité, ses avantages et ses limites, tout en couvrant l'essentiel des besoins pédagogiques. Il vise principalement à établir des liens entre les démarches mathématiques et algorithmiques. Les directives pédagogiques mettent l'accent sur l'application de méthodes algorithmiques et d'une pensée logique pour résoudre des problèmes mathématiques, favorisant ainsi une approche scientifique et structurée chez les élèves.

Ces recommandations mettent en évidence la nécessité de formaliser des concepts mathématiques avancés à l'aide d'algorithmes. Les enseignants d'informatique doivent donc posséder une maîtrise approfondie de ces notions mathématiques avancées. Le véritable enjeu pédagogique réside dans cette transposition exigeante : convertir la précision mathématique en solutions algorithmiques opérationnelles, ce qui requiert à la fois expertise technique et pédagogique.

III. Analyse du rapport personnel aux concepts de récursivité et d'algorithmes récurrents en classe de 4ème année secondaire, section *sciences de l'informatique* :

À la suite de la réforme des programmes de 2018, les enseignants ne reçoivent qu'un seul support du ministère de l'Éducation, jugé insuffisant. Ils doivent donc élaborer leurs propres supports, s'appuyant sur leur expertise académique et les consignes officielles. Cette partie, s'intéresse aux supports pédagogiques conçus par des enseignants d'informatique chevronnés (20 ans d'expérience (annexe1)) pour enseigner la récursivité et les algorithmes récurrents en classe de 4ème année secondaire, section sciences de l'informatique . L'objectif est d'étudier comment ils adaptent ces notions abstraites aux attentes institutionnelles tout en tenant compte des particularités de la discipline. Il s'agit d'une étude à portée macroscopique

visant à identifier et à caractériser les aspects les plus significatifs des pratiques didactiques mises en œuvre par ces enseignants.

1. La récursivité :

Le tableau d'organisation du cours (annexe 2) sur la récursivité révèle que les quatre enseignants abordent ce concept avec des approches pédagogiques variées.

Un seul enseignant (E1) évoque dans son cours le lien entre la récurrence en mathématiques et la récursivité en informatique.


Le *concept de récursivité* est spécialement mis en valeur dans les définitions mathématiques.
Les mathématiciens utilisent plutôt le mot *récurrence*.

Figure 1. Extrait du cours, Récursivité de l'enseignant E1.

Seuls deux enseignants (E1 et E2) mentionnent que la récursivité est un élément essentiel de la résolution des problèmes, un point de vue que les autres professeurs ne défendent pas.

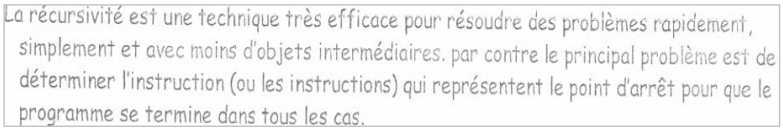
La récursivité est une technique très efficace pour résoudre des problèmes rapidement, simplement et avec moins d'objets intermédiaires. par contre le principal problème est de déterminer l'instruction (ou les instructions) qui représentent le point d'arrêt pour que le programme se termine dans tous les cas.

Figure 2. Extrait du cours Récursivité de l'enseignant E1.

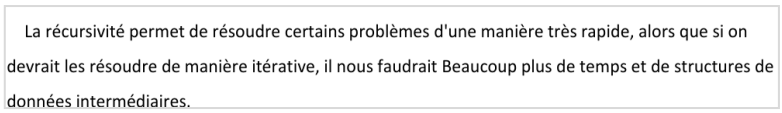
La récursivité permet de résoudre certains problèmes d'une manière très rapide, alors que si on devrait les résoudre de manière itérative, il nous faudrait Beaucoup plus de temps et de structures de données intermédiaires.

Figure 3. Extrait du cours Récursivité de l'enseignant E2.

Deux enseignants (E1 et E4) se concentrent entièrement sur les types d'algorithmes utilisés dans cette leçon et visent à motiver les élèves à les maîtriser mécaniquement. Il y a aussi ceux qui se concentrent sur les concepts liés à la récursivité, car ils sont importants pour comprendre ce concept en général, mais aussi pour différencier les types de traitement d'algorithmes. En effet, deux enseignants (E2 et E3) parmi les quatre

indiquent le passage d'une formulation itérative à une formulation récursive (figures 4 et 5).

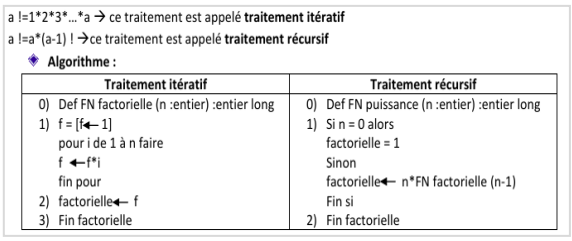
a !=1*2*3*...*a → ce traitement est appelé **traitement itératif**

a !=a*(a-1) ! →ce traitement est appelé **traitement récursif**

Algorithme :

Traitement itératif	Traitement récursif
0) Def FN factorielle (n :entier) :entier long	0) Def FN puissance (n :entier) :entier long
1) f = [f← 1]	1) Si n = 0 alors
pour i de 1 à n faire	factorielle = 1
f ←f*i	Sinon
fin pour	factorielle← n*FN factorielle (n-1)
2) factorielle← f	Fin si
3) Fin factorielle	2) Fin factorielle

Figure 4. Extrait du cours Récursivité de l'enseignant E3.

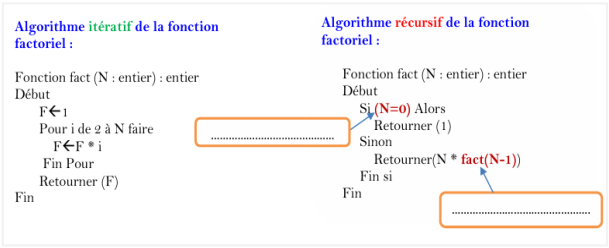

Figure 5. Extrait du cours Récursivité de l'enseignant E3.

Les recommandations des *aides pédagogiques* insistent sur le fait de ne traiter que les cas récursifs simples (ni croisée, ni indirecte). Un seul enseignant (E2) parmi quatre a mentionné les types de fonctions récursives et leur signification.

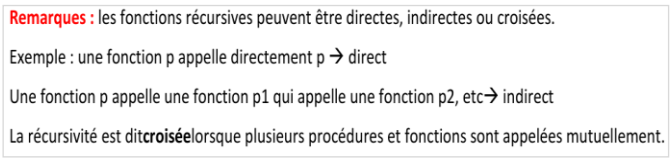
Remarques : les fonctions récursives peuvent être directes, indirectes ou croisées.

Exemple : une fonction p appelle directement p → direct

Une fonction p appelle une fonction p1 qui appelle une fonction p2, etc→ indirect

La récursivité est dit**croisée**lorsque plusieurs procédures et fonctions sont appelées mutuellement.

Figure 6. Extrait du cours Récursivité de l'enseignant E2.

Malgré les recommandations, deux enseignants (E2 et E4) proposent dans leurs cours des suites récursives indirectes et croisées (suite récurrente d'ordre 1 et suite de Fibonacci). Parmi les cas récursifs que les recommandations pédagogiques insistent à traiter, on trouve la chaîne

palindrome. Seuls deux enseignants (E2 et E4) ont analysé ce type de problème avant de créer leur algorithme.

Les quatre cours abordent la récursivité de façon superficielle, en se focalisant sur les algorithmes récursifs plutôt que sur le concept lui-même, ses implications et les notions connexes. Cette approche mécanique révèle une complexité didactique (Léon et Modeste, 2020).

2. Algorithme récurrent :

Le tableau d'organisation (annexe 3) du cours d'algorithmes récurrents pour les quatre enseignants montre qu'ils proposent des structures similaires pour les connaissances enseignées sur ce concept, et qu'ils sont relativement en accord avec les recommandations du document Aides pédagogiques.

L'algorithmique étant un élément d'intersection entre les mathématiques et l'informatique, les textes officiels des aides pédagogiques auraient gagné à expliciter le rapport entre ces deux disciplines, à clarifier les contours de l'une et de l'autre relativement à cette science et à ses concepts en œuvre (variables, constantes, boucles, complexité, etc.) (Haspekian et Nijimbéré, 2019). Par ailleurs, on peut relever un glissement de termes entre algorithmique générale et algorithmique implicitement informatisée, ce qui amène à un glissement entre « algorithme » mathématique (indépendant de toute programmation et faisant indiscutablement partie des mathématiques pour les enseignants) et algorithme informatique. Il s'agit d'une première transposition de la résolution mathématique à l'algorithme informatique (Haspekian et Nijimbéré, 2019). Cette transposition est nécessaire pour permettre aux enseignants de contrôler et piloter leur action dans le cadre des apprentissages visés. Pour l'objet « Suite récurrente d'ordre 1», deux enseignants parmi les quatre ont traité la question de manière récursive (E1 et E2). L'un d'entre eux (E1) a transmis directement son algorithme récursif, tandis que l'autre (E2) a fourni une analyse à ce propos, puis a traité la question de manière récursive.

Nous citons deux traitements d'algorithme récurrent. Le premier est traité par l'enseignant E1 et le deuxième par E2.

Traitement1 : algorithme d'une suite récurrente d'ordre 1 (U_0=5 et $U_{n+1} = 2.U_{n-1} + 1,5$) par l'enseignant E_1

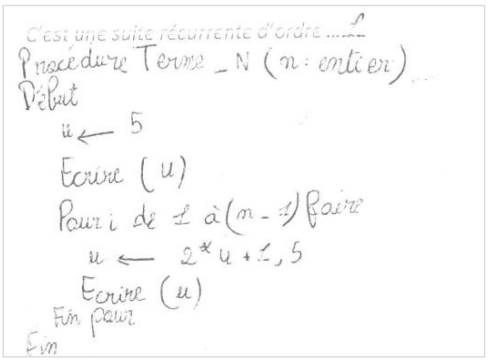

Figure 7. Extrait du cours algorithme récurrent de l'enseignant E1.

Traitement2 : algorithme d'une suite récurrente d'ordre1 par l'enseignant E2

Activité 1 :Ecrire une analyse d'un programme qui permet de calculer le N^{ème} terme d'une suite dans les deux cas suivants :

Cas 1 :

$U_0 = 1$
$U_n = 2*U_{n-1} +2$ pour n>0

Cas 2 :

$U_0 = 1$
$U_1 = 1$
$U_n = 3*U_{n-1}-U_{n-2}$ pour n>1

1) Analyse cas 1 :

DEF FN suite (n : entier) : entier
Résultat = suite ← U
U=[U0 ← 1] pour i de 1 à n faire
U ← 2 * U0 +2
U0← U
Fin pour
Fin suite

O	T/N	Rôle
i	Entier	Compteur
U0	Entier	Premier terme
U	Entier	Suite

2) Analyse cas 2 :

DEF FN suite (n : entier) : entier
Résultat = suite ← U
U=[U0 ← 1, U1← 1] pour i de 1 à n faire
U ←3 * U1 – U0
U0← U1
U1 ← U
Fin pour
Fin suite

O	T/N	Rôle
i	Entier	Compteur
U0	Entier	Premier terme
U1	Entier	Deuxième terme
U	Entier	Suite

Figure 8. Extrait du cours algorithme récurrent de l'enseignant E2.

Il est clair qu'il existe une différence significative entre les deux enseignants concernant la manière de présenter l'analyse algorithmique de ce concept mathématique aux élèves. Cela permet d'évaluer quelle mesure ils suivent les recommandations des documents pédagogiques approuvés et quelle est leur contribution à l'orientation des enseignants pour faciliter l'enseignement

des algorithmes et leur application pour résoudre des problèmes mathématiques. La question qui se pose dans ce cas est la suivante : les élèves sont-ils capables de comprendre l'aspect algorithmique d'un objet mathématique sans maîtriser ce concept en profondeur ?

Aucune analyse mathématique et informatique de ce concept n'est présente dans les cours des trois enseignants. Cela prouve que l'algorithme est traité de manière mécanique, ce qui peut poser des difficultés d'apprentissage aux élèves. Cependant, l'algorithmique s'intéresse à la preuve des algorithmes, et les recommandations des aides pédagogiques insistent sur le fait que :

«*Exploiter des concepts algorithmiques avancés pour résoudre des problèmes : - Lire et comprendre l'énoncé d'un problème afin de dégager les tâches à réaliser. - Dégager les éléments essentiels pour la résolution d'un problème (structures et types de données, traitements). - Distinguer les usages et les particularités de chaque type de données, afin d'utiliser le plus adapté pour déclarer un objet nécessaire dans la résolution d'un problème donné. - Utiliser des structures de données avancées pour résoudre un problème*». (APSI, 2022, p. 2).

Haspekian et Nijimbéré (2019) ont souligné à ce propos : «*Il nous semble que pour un enseignant non expert de l'algorithmique, ou qui situerait d'emblée celle-ci uniquement dans un contexte informatique et technique, les programmes et documents d'accompagnement ne constituent pas un appui, ils contribuent au contraire à entretenir l'amalgame.».*

Si la résolution des problèmes mathématiques est enseignée de manière algorithmique en informatique, domaine plus proche des technologies informatiques que des mathématiques, il en résulte une distance entre ces

deux disciplines, et l'absence d'interaction et de corrélation entre elles. Cela conduit alors à enseigner aux élèves à résoudre ces problèmes de manière mécanique, par l'accoutumance et la pratique. De son côté, Modeste (2012) a mentionné à ce propos :

« *Les algorithmes proposés sont des mises en œuvre propres à la programmation d'objets mathématiques qui ne permettent globalement pas de faire vivre le concept d'algorithme comme un objet des mathématiques* ». (Modeste, 2012, p. 199).

IV. Résultats et discussion :

L'analyse porte sur le rapport institutionnel et le rapport personnel des enseignants d'informatique à l'égard des objets de la récursivité et des algorithmes récurrents. Il montre notamment que les relations personnelles des enseignants avec ces deux objets, même dans leur dimension institutionnelle, ne sont pas entièrement contraintes par le rapport de l'institution : des variations existent en raison de l'absence de textes de programme officiel détaillés et de manuels scolaires. L'un des effets de ce vide est l'absence de textes de programme officiel détaillés et de manuels scolaires. Ainsi, les documents d'accompagnement pédagogique ne fournissent pas d'indications sur l'ensemble de référence de la récursivité et des algorithmes récurrents.

Les auteurs de ces documents d'accompagnement pédagogique laissent volontairement flotter un flou sur ces objets. De plus, les experts enseignants en informatique jouissent d'une plus grande liberté sur le plan didactique, même si celle-ci reste sous contrainte et pourrait potentiellement être amplifiée par le vide didactique institutionnel. Cela se reflète dans leurs différentes méthodologies d'enseignement de l'algorithmique, de la récursivité et des algorithmes récurrents. En outre, les notes des cours d'informatique, dispensés par ces enseignants en informatique, ont été centrés sur la manière de traiter les algorithmes de manière mécanique et non sur la notion en elle-même, sa signification et ses conséquences. Du fait

de l'absence de la première transposition de l'analyse mathématique vers l'algorithme informatisé (Briant, 2013), cela montre leur complexité didactique (Léon et Modeste, 2020).

L'algorithmique, qui est au cœur des nouveaux programmes informatiques du secondaire, est présentée comme un outil mathématique, mais son articulation avec la résolution de problèmes reste implicite (Modeste, 2012). Les concepts complexes tels que la récursivité, pourtant ancrés dans les raisonnements par récurrence, sont abordés de manière superficielle, alors qu'ils posent de grands enjeux d'apprentissage (Léon et al., 2020).

Les nouveaux programmes d'informatique insistent ainsi sur la rédaction de programmes et l'articulation entre raisonnement, formalisation et logique, et intègrent des notions mathématiques, telles que la récurrence et la récursivité (particulièrement en classe de 4ème année, section *Sciences de l'informatique*) (Chellougui, 2009, Soltani et Chellougui, 2025).

V. Conclusion :

Les programmes d'informatique au secondaire tunisien privilégient une approche algorithmique et de programmation, mais l'enseignement tend à mettre l'accent sur l'application systématique des algorithmes plutôt que sur une compréhension approfondie de leur fondement logique et mathématique.

Les pratiques enseignantes varient selon les ressources disponibles et la complexité de la transposition didactique entre formalisation mathématique et implémentation algorithmique.

L'absence de transposition entre analyse mathématique et algorithmique complique l'enseignement et entraîne des pratiques hétérogènes, limitant l'assimilation des concepts.

À l'issue de cette étude, certaines perspectives prometteuses peuvent être explorées pour renforcer l'enseignement de l'algorithmique en informatique:

Premièrement, une approche interdisciplinaire intégrant mathématiques et informatique s'impose. Il s'agirait de structurer les contenus pédagogiques en ancrant systématiquement les concepts algorithmiques dans les fondements mathématiques. Cette synergie permettrait aux élèves de consolider simultanément leur logique algorithmique et leur compréhension des abstractions mathématiques.

Par ailleurs, le développement du raisonnement heuristique mériterait une attention particulière. Nous proposons de favoriser la découverte guidée à travers des situations-problèmes stimulantes. Cette méthode active encouragerait les apprenants à explorer par eux-mêmes les mécanismes de l'algorithmique, cultivant ainsi une intuition opérationnelle précieuse.

Enfin, l'usage de représentations multiples constituerait un levier essentiel. En présentant chaque notion via des registres complémentaires (symbolique, graphique, formel et concret (implémentation)) , on faciliterait non seulement l'assimilation des concepts, mais aussi les transferts de compétences entre mathématiques et programmation.

VI. Bibliographie :

1. Arsac, J (1991). Algorithmique et langages de programmation. Bulletin de l'EPI (Enseignement Public et Informatique), 64, pp.115-124.

2. Briant, N. (2013). *Étude didactique de la reprise de l'algèbre par l'introduction de l'algorithmique au niveau de la classe de seconde du lycée français.* Thèse de doctorat, université Montpellier 2, Montpellier, France.

3. Chabert, J.-L. (Éd.), Barbin, É., Guillemot, M., Michel-Pajus, A., Borowczyk, J., Djebbar, A., & Martzloff, J.-C. (1994). *Histoire d'algorithmes : Du caillou à la puce*. Belin.

4. Chellougui, F. (2009). L'utilisation des quantificateurs universel et existentiel en première année universitaire entre l'explicite et l'implicite. *Recherches en didactique des mathématiques (RDM)*, Vol.29, n°2, pp.123-154. La Pensée Sauvage Editions.

5. Chevallard, Y. (1992). Concepts fondamentaux de la didactique : perspectives apportées par une approche anthropologique in Recherche en didactique des mathématiques, N° 12/1, Edition La Pensée Sauvage, Grenoble pp. 75–111.

6. Chevallard, Y. (1999), L'analyse des pratiques enseignantes en théorie anthropologique du didactique, *Recherches en Didactique des Mathématiques,* 19(2), La Pensée Sauvage, Grenoble, 221–266.

7. Haspekian, M., & Claver Nijimbéré, C. (2019). Favoriser l'enseignement de l'algorithmique en mathématiques : une question de distance aux mathématiques ? Éducation et didactique. URL:http://journals.openedition.org/educationdidactique/2609;DOI: 10.4000/educationdidactique.2609

8. Laval, D. (2018). *L'algorithmique au lycée entre développement de savoirs spécifiques et usage dans différents domaines mathématiques*. Education. Université Sorbonne Paris. Français. https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-01943971.

9. Léon, N., & Modeste, S. (2020). Récurrence et récursivité á l'interface des mathématiques et de l'informatique. Repères-IREM, $N^0$119, pp. 45-63.

10. Léon, N., Modeste, S., & Durand-Guerrier. V (2020). Récurrence et récursivité: analyses de preuves de chercheurs dans une perspective didactique à l'interface mathématiques-informatique. INDRUM2020, Université de Carthage, Université de Montpellier,

Sep 2020, Cyberspace (virtually from Bizerte), Tunisia. hal-03113854

11. Soltani, W. (2022). Le raisonnement inductif dans l'enseignement secondaire tunisien : Interaction entre les mathématiques et informatique, In C. A. Adihou & F. Chellougui (Eds), *Actes du 3ème colloque de L'Association de Didacticiens des Mathématiques Africains (ADiMA3),* pp. 260-270, Hammamet 15-20 août 2022.https://adima3.sciencesconf.org/resource/page/id/27.

12. Soltani, W. (2025). *Le raisonnement inductif en mathématiques dans l'enseignement tunisien*. Thèse de doctorat en didactique des mathématiques, soutenue le 28 avril 2025 à l'ISEFC, Université Virtuelle de Tunis.

13. Soltani, W., & Chellougui, F. (2024). Inductive reasoning: Problems, methods of justification and interaction between mathematics and computer science. The International Innovations Journal of Applied Science (IIJAS) Vol. 1, N^0.2. https://doi.org/10.61856/095nzv52

14. Soltani, W., & Chellougui, F. (2025). The contribution of mathematical reasoning to the teaching-learning of recurrent algorithms and recursion. The International Innovations Journal of Applied Science (IIJAS) Vol. 2, N^{0}1. https://doi.org/10.61856/xa3tkc02

15. *Aides pédagogiques d'informatiques spécifiques (2022)*, sections : Sciences de l'informatique. République Tunisienne Ministère de l'Education.

16. *Les conventions algorithmiques* (2022), Ministère de l'Éducation Direction Générale des Programmes et de la Formation Continue.

VII. Annexes :

Annexe 1 : Diversité des expériences des quatre enseignants nommés E1, E2, E3 et E4 et leur établissement.

Tableau 2. Répartition des quatre enseignants suivant leurs ancienneté et établissement

Enseignants	Régions	Ancienneté	Etablissement	Année Scolaire
E1	Ariana	20 ans	Lycée Cité Ennasr	2022/2023
E2	Tunis2	20 ans	Lycée Bardo	2023/2024
E3	Tunis2	22 ans	Lycée Khaznadar	2023/2024
E4	Jendouba	18 ans	Lycée Ghardimaou	2023/2024

Annexe 2 : Organisation des cours du chapitre sur *la récursivité* des quatre enseignants.

Tableau 3. Organisation du cours, *Récursivité* proposés par les quatre enseignants.

Enseignants	Organisation didactique du cours *La Récursivité*
E1	I. Introduction Activité : algorithme de calcul factoriel d'un entier naturel n. II. Définitions et principes III. Applications : 8 exercices.
E2	I. Introduction Activité1 : algorithme de calcul a^n Activite2 : algorithme factoriel d'un entier naturel n. (Traitement itératif et récursif) II. Définition III. Applications : 2 applications.
E3	1. Définition : 2. Itératif VS Récursif 3. Applications de la récursivité : 7applications.
E4	I. Définition et principes II. Applications : 12 applications.

Annexe 3 : Organisation didactique du cours *Algorithme récurrent*

Tableau 4. Organisation du cours Algorithme récurrent proposés par les quatre enseignants.

Enseignants	Organisation didactique du cours *Algorithme récurrent*
E1	I. Introduction Définition II. Calcul de la somme des éléments d'une matrice III. Calcul sur les suites : -Suite récurrente. - Suite de Fibonacci V. Algorithmes récurrents sur les chaines
E2	I. Introduction Activité1 : algorithme de calcul des termes d'une suite récurrente. (Traitement itératif et récursif) Définition II. Calcul de somme : somme des éléments d'une matrice III. Algorithme récurrent sur les chaines
E3	1. Définition 2. Exemples de traitements récurrents 2.1. Somme Matrice 2.2. Traitement récurrent sur les chaines (Suite de Thue-Morse) 2.3. Triangle de Pascal. 2.4. Suite de Fibonacci.
E4	1. Définition 2. Exemples 2.1. Calcul de la somme (Matrice) 2.2. Algorithme récurrent sur les chaines (Suite de Thue-Morse) 2.3. Triangle de Pascal. 2.4. Suite de Fibonacci 2.5. Le nombre d'or .

Flipped Classroom in FLE: A New Pedagogy to Optimize Foreign Language Learning

Doc. Okeil Fatima
Information and communication technologies in the teaching of foreign languages and translation
University Hassiba Benboualai-Chlef

f.okeil@univ-chlef.dz

Abstract:

A study conducted with high school teachers in Algeria assessed their perception of the flipped classroom in FLE, particularly for listening comprehension. 60% of the teachers found this method effective in promoting student autonomy and improving listening comprehension. However, 40% noted that students in rural areas lacked access to the necessary technology. They emphasized the need to adapt the method based on the social and economic realities to ensure its effectiveness for all.

Keywords: Flipped classroom ; Listening comprehension ; Teachers ; Technologies; Effectiveness.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

La Classe Inversée en FLE : Une Nouvelle Pédagogie pour Optimiser l'Apprentissage des Langues.

Doc. Okeil Fatima
Technologies de l'information et de la communication dans l'enseignement des langues étrangères et traduction
Université Hassiba Benboualai -Chlef

f.okeil@univ-chlef.dz

Résumé:

Une étude menée auprès d'enseignants de lycée en Algérie a évalué leur perception de la classe inversée en FLE, surtout pour la compréhension orale. 60 % des enseignants ont trouvé cette méthode efficace pour favoriser l'autonomie des élèves et améliorer leur compréhension orale. Cependant, 40 % ont noté que les élèves des zones rurales manquaient d'accès aux technologies nécessaires. Ils ont souligné la nécessité d'adapter la méthode en fonction des réalités sociales et économiques pour garantir son efficacité pour tous.

Mots clés : Classe inversée - Compréhension de l'oral - Enseignants - Technologies- efficacité.

Introduction:

L'enseignement du Français Langue Étrangère (FLE) au niveau secondaire en Algérie s'oriente de plus en plus vers des approches pédagogiques modernes, telle que l'approche par compétences. Depuis 2008, le système éducatif algérien a pris un tournant significatif en adoptant l'approche par compétences comme cadre pédagogique central. Cette approche, qui met l'accent sur le développement de compétences pratiques et mesurables, a été introduite pour répondre aux besoins d'une société de plus en plus globalisée et exigeante en termes de compétences en communication.

L'approche par compétences est fondée sur l'idée que l'objectif de l'éducation n'est pas simplement d'acquérir des connaissances théoriques, mais de permettre aux élèves de mobiliser ces connaissances dans des situations réelles. Cela inclut le développement de compétences orales, en particulier la compréhension orale, qui devient une priorité dans l'enseignement du FLE. Depuis l'adoption de cette approche, l'école secondaire algérienne a cherché à mettre en place des méthodes pédagogiques permettant aux élèves de progresser activement, en développant leur autonomie et leur capacité à utiliser la langue dans des contextes pratiques.

Les enseignants de FLE encouragent ainsi les élèves à participer activement à des échanges oraux en organisant des jeux de rôle, des débats, des simulations de situations réelles, et des discussions de groupe. Ces activités permettent non seulement d'améliorer la compréhension orale, mais aussi de renforcer l'engagement des élèves en les rendant acteurs de leur apprentissage.

Dans ce cadre, l'écoute de dialogues, de chansons, de conférences ou de podcasts devient essentielle. Ces ressources multimédia exposent les élèves à une variété de registres de langue et d'accents, contribuant à leur capacité à saisir les nuances de la langue parlée et à comprendre les messages dans des situations variées. Cela permet d'adapter l'enseignement à des contextes authentiques et de renforcer l'adaptabilité des élèves, les préparant ainsi à une communication plus fluide dans des environnements différents.

L'approche par compétences, qui reste au cœur du système éducatif algérien, vise à ce que les élèves ne se contentent pas de comprendre des informations, mais qu'ils puissent aussi les utiliser de manière fonctionnelle dans des situations réelles. Pour la compréhension orale, cela signifie que les élèves

sont formés à réagir de manière appropriée lors de conversations, à poser des questions pour clarifier des propos, à reformuler des idées ou encore à résoudre des problèmes en utilisant la langue. Cela permet de passer de la simple reconnaissance de mots à une véritable maîtrise communicative.

Cependant, bien que cette approche soit efficace, il est essentiel de recourir à des méthodes pédagogiques innovantes, telles que la classe inversée, pour répondre aux défis modernes. Lors des crises sanitaires comme la pandémie de COVID-19, où les établissements scolaires ont été fermés, l'adoption de la classe inversée s'est avérée indispensable. Cette méthode permet de maintenir une continuité pédagogique en ligne, en offrant aux élèves des ressources à consulter à distance (vidéos, exercices interactifs, lectures), tout en optimisant le temps en classe pour des activités pratiques, des échanges oraux et des travaux de groupe. (A., 2014)

Dans le cadre de cette recherche, nous cherchons à :

Évaluer l'efficacité de la classe inversée par rapport aux méthodes pédagogiques traditionnelles ;

Explorer les perceptions des enseignants vis-à-vis de la classe inversée ;

Identifier les facteurs influençant la réussite de la classe inversée dans l'enseignement du FLE.

Cette étude s’appuie sur les travaux des pionniers du concept moderne de la classe inversée, Jonathan Bergmann et Aaron Sams. Leur approche, qui consiste à déplacer les contenus théoriques hors de la classe, permet d’articuler les moments de présentiel et de distanciel (Bélanger, 2013). Ainsi, cette méthode libère du temps pendant les cours pour des interactions plus enrichissantes entre les élèves et leur professeur. De plus, Marcel Lebrun, spécialiste belge en pédagogie, a beaucoup contribué à la diffusion de la classe inversée en Europe francophone notamment dans le contexte universitaire et secondaire (Lebrun M. , 2022). Il a souligné l'importance de consacrer davantage de temps à des activités interactives en classe. Cela favorise un apprentissage plus collaboratif et centré sur l'élève, en permettant à ce dernier de s'engager activement dans son apprentissage et d’appliquer ses compétences dans des situations réelles. L'accompagnement du professeur

dans ces échanges constructifs est essentiel pour maximiser l'impact de cette méthode. Cette approche devient d'autant plus cruciale dans le contexte actuel, où la flexibilité et l'autonomie des élèves sont des atouts majeurs pour garantir une éducation de qualité, même à distance.

Cette réflexion nous amène à poser la question suivante : Dans quelle mesure les enseignants de FLE au lycée algérien perçoivent-ils la classe inversée comme un dispositif efficace sur le plan pédagogique ?

Il semble plausible que La classe inversée pourrait être perçue positivement par les enseignants, mais son impact réel reste limité par des contraintes structurelles (temps, inégalités, motivation des élèves).

Dans la partie théorique de cet article, il sera question de définir ce qu'est la classe inversée, de présenter les différents types inhérents à cette approche et d'expliquer comment mettre en pratique cette pédagogie hybride dans le contexte du secondaire algérien. En ce qui concerne la partie pratique, nous adoptons une approche quantitative en analysant les réponses des enseignants de français du secondaire en Algérie concernant l'impact de la classe inversée sur l'apprentissage autonome des lycéens.

1. Définition de la classe inversée

La classe inversée, un modèle pédagogique innovant, a émergé comme une réponse aux limites des méthodes traditionnelles d'enseignement. Dans ce système, la dynamique de l'apprentissage est inversée : les apprenants découvrent de nouveaux contenus en dehors de la salle de classe, généralement à travers des vidéos ou des supports numériques, tandis que le temps en classe est consacré à des activités interactives et collaboratives (Lison, 2014). Ce modèle offre une plus grande flexibilité et personnalisation de l'apprentissage, permettant aux étudiants de progresser à leur propre rythme et de s'engager plus activement avec le contenu (Gérard, 2020)

Le concept de la classe inversée repose sur l'idée que l'enseignement ne doit pas se limiter à la transmission d'informations, mais doit aussi inclure des moments de discussion, de réflexion et d'application des connaissances

acquises. En utilisant des outils numériques comme des vidéos éducatives, des forums de discussion en ligne et des quiz interactifs, la classe inversée permet aux étudiants de prendre une part plus active dans leur processus d'apprentissage. Ainsi, l'enseignant adopte un rôle de facilitateur, guidant les élèves dans des exercices pratiques, des projets collaboratifs et des résolutions de problèmes.

Ce modèle est particulièrement pertinent dans le contexte actuel, où l'intégration des technologies dans l'éducation devient incontournable. De nombreuses études ont mis en évidence les avantages de la classe inversée, notamment en termes de motivation des étudiants, de meilleure rétention des connaissances et d'un développement plus poussé des compétences critiques telles que la collaboration et la résolution de problèmes. Cependant, sa mise en œuvre présente également des défis, notamment en ce qui concerne l'égalité d'accès aux technologies, l'adaptation des enseignants à ce nouveau mode de pédagogie et la gestion du temps en classe.

En classe de Français Langue Étrangère (FLE), l'importance de la classe inversée se révèle d'autant plus cruciale (Peraya, 2015). Apprendre une langue vivante nécessite une interaction constante avec celle-ci, et le modèle de la classe inversée permet précisément d'augmenter cette interaction. En offrant aux apprenants l'opportunité de se familiariser avec la grammaire, le vocabulaire, les structures et la phonétique en dehors du temps de classe, ils peuvent consacrer ces moments en classe à des activités pratiques telles que des débats, des jeux de rôle, des discussions sur des sujets culturels, et des exercices d'écoute active. Cette approche permet non seulement de renforcer l'acquisition des connaissances linguistiques, mais aussi d'améliorer la fluidité et la confiance des étudiants dans l'utilisation de la langue dans des contextes réels.

De plus, en FLE, la classe inversée favorise l'autonomie des apprenants en leur permettant d'avancer à leur rythme et de revoir les contenus selon leurs besoins. Elle encourage également une approche plus personnalisée de l'apprentissage, où les apprenants peuvent s'auto-évaluer et recevoir des retours instantanés lors des sessions interactives en classe. Ce modèle est particulièrement efficace dans l'enseignement des compétences communicatives, car il permet aux étudiants de se concentrer sur l'expression orale et la compréhension en profondeur, deux éléments essentiels de l'apprentissage des langues. Jean-Michel Le Jeune souligne que l'application

rigide de la classe inversée peut réduire l'enseignant à un simple guide et l'élève à un apprenant autonome sans médiation. Il met en garde contre une inversion mécanique des rôles traditionnels, qui pourrait déséquilibrer le triangle pédagogique en marginalisant le savoir, essentiel à la construction des connaissances. Le Jeune plaide pour une approche nuancée de la classe inversée, intégrant le savoir de manière significative et évitant une instrumentalisation excessive des outils numériques. (Le jeune, 2016)

Ainsi, la classe inversée représente une révolution dans la manière dont l'enseignement et l'apprentissage sont perçus, offrant de nouvelles perspectives pour une éducation plus interactive, plus engageante et plus centrée sur l'apprenant, en particulier dans le cadre de l'enseignement du FLE.

2. Types de la classe inversée

Il existe plusieurs variantes de la classe inversée, que l'on peut regrouper en quelques catégories principales :

a. **Classe inversée traditionnelle** : Ce modèle classique consiste à ce que l'enseignant fournisse des ressources (vidéos, lectures, podcasts) permettant aux élèves de découvrir le contenu avant le cours. Le temps en classe est alors réservé à des activités pratiques, des discussions et des approfondissements
b. **Classe inversée orientée discussion** : Dans ce modèle, les élèves étudient le contenu à domicile, tandis que le temps en classe est principalement consacré à des discussions, des débats et à l'exploration du sujet abordé.
c. **Classe inversée axée sur les démonstrations** : Ce modèle est particulièrement adapté aux matières pratiques, telles que les sciences ou les mathématiques. Les élèves visionnent des démonstrations en vidéo avant le cours, et le temps en classe est utilisé pour répéter ces démonstrations ou pour résoudre des problèmes similaires.
d. **Classe inversée pour l'enseignement à distance** : Bien que similaire aux autres modèles, cette approche utilise des supports et des activités adaptés à l'apprentissage à distance, souvent via des outils numériques et des plateformes en ligne. (Lison, 2014)

e. **Classe inversée avec apprentissage par les pairs** : Les élèves travaillent en petits groupes pendant les cours, s'entraidant et partageant leurs connaissances. L'enseignant agit alors comme facilitateur et guide.

En somme, la classe inversée peut être modifiée pour s'adapter aux différents contextes et matières, en fonction des besoins des élèves et des objectifs pédagogiques des enseignants (Lebrun M. G., 2017).

II. Méthode

Ce travail s'inscrit dans le champ de la didactique du français langue étrangère (FLE) et vise à examiner l'impact du modèle de la classe inversée sur le développement de la compétence de compréhension orale chez les apprenants du lycée algérien. Introduite par Bergmann et Sams (2012), la classe inversée repose sur le principe de l'externalisation des contenus magistraux au profit d'un apprentissage actif en présentiel, centré sur la résolution de problèmes, les échanges et la collaboration (Faillet, 2023). Dans cette optique, Lebrun , pédagogue universitaire belge, défend une approche fondée sur le développement de l'autonomie de l'apprenant, l'évaluation formative et l'usage réfléchi des outils numériques (Lebrun M. , 2015). Par ailleurs, les recherches de Lachance (2019), spécialiste canadien en didactique des langues, confirment la pertinence de ce dispositif pour renforcer la compréhension orale et la production écrite dans l'enseignement du FLE.

1.Description du public

Une enquête a été menée via Google Forms, diffusée dans plusieurs groupes Facebook regroupant des professeurs de français au lycée en Algérie. Elle a permis de recueillir les réponses de 100 enseignants et d'évaluer leur perception, leur usage et les difficultés rencontrées autour de l'intégration de la classe inversée dans l'enseignement de la compréhension orale.

2.Analyse et discussion des résultats

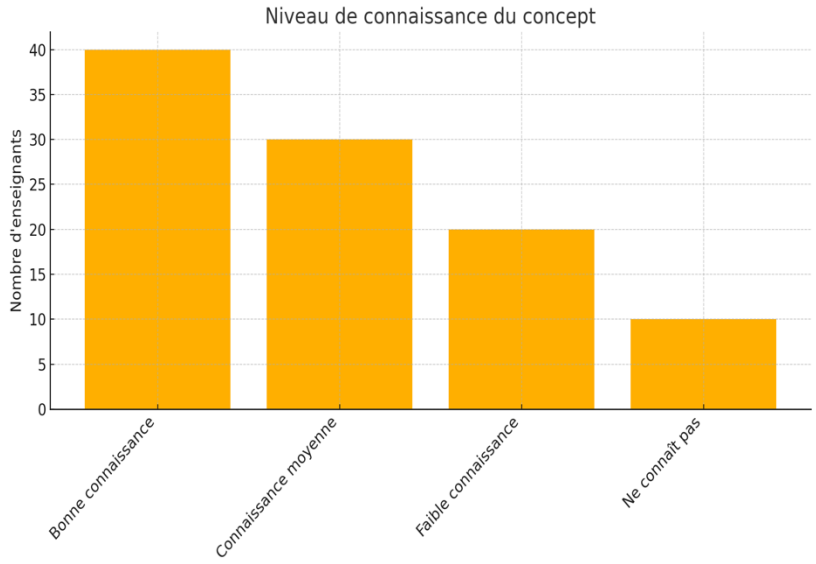

Figure 1 : Niveau de connaissance du concept

Le graphique montre que la majorité des personnes possède une connaissance avancée du concept, ce qui témoigne de l'efficacité des efforts éducatifs déployés. Cependant, la présence de certains individus avec une connaissance moyenne ou faible souligne la nécessité d'améliorer la compréhension de ces derniers. Cela suggère la mise en place de stratégies pédagogiques adaptées, comme des explications supplémentaires, des exemples pratiques ou des activités interactives. Une approche différenciée pourrait ainsi permettre de soutenir ceux qui maîtrisent déjà bien le concept tout en renforçant la compréhension de ceux qui en ont une connaissance plus limitée.

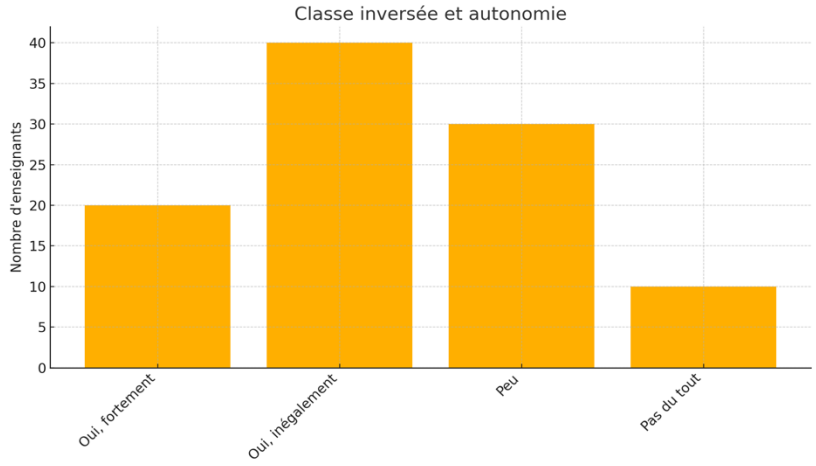

Figure 2 : Classe inversée et autonomie

La majorité des participants exprime une opinion favorable, voire très favorable, envers la classe inversée et l'autonomie, suggérant que ces méthodes sont perçues positivement, notamment en raison de leur aspect interactif et personnalisé. Bien que quelques participants montrent une réticence marginale, leur nombre reste faible, ce qui pourrait être dû à une moindre aisance avec l'autonomie ou à une mise en œuvre imparfaite de la méthode. Cette tendance positive encourage les enseignants à poursuivre l'expérimentation de ces approches, tout en prenant en compte les préoccupations des réticents pour mieux adapter l'enseignement à tous les élèves.

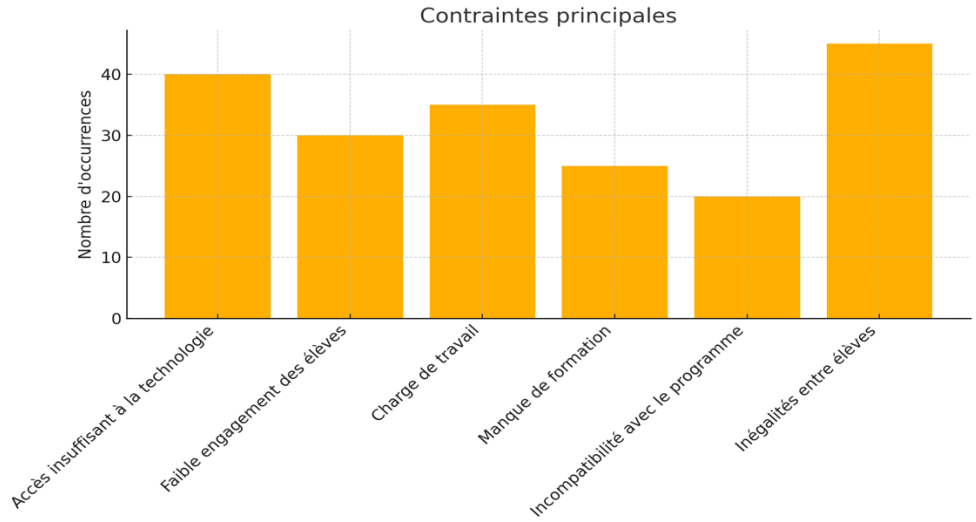

Figure 3 : Contraintes principales

Le graphique montre les principales contraintes rencontrées dans un contexte éducatif. L'accès limité à la technologie est la contrainte la plus fréquemment mentionnée, suivi du faible engagement des élèves, probablement dû à des méthodes pédagogiques inadaptées. La charge de travail semble également poser problème, suggérant un déséquilibre entre attentes et ressources. Un besoin de formation accrue pour enseignants et élèves est également reconnu. Bien que l'incompatibilité avec le programme soit moins fréquente, elle demeure un obstacle, tout comme l'inégalité entre élèves, qui peut affecter l'équité et l'efficacité de l'enseignement.

IV. Conclusion:

Cette étude a permis d'explorer l'impact de la classe inversée dans l'enseignement du Français Langue Étrangère (FLE) dans le système éducatif algérien, en particulier sur le développement de la compétence de compréhension orale. L'analyse des résultats montre une perception globalement positive de cette méthode par les enseignants, qui reconnaissent ses avantages en termes d'autonomie et d'interactivité. La classe inversée semble répondre aux besoins de flexibilité et de personnalisation de l'apprentissage, permettant aux élèves de progresser à leur propre rythme tout en renforçant leur engagement et leur participation active en classe.

Cependant, plusieurs contraintes ont été identifiées, notamment l'accès limité à la technologie, qui reste un obstacle majeur à l'efficacité de cette approche. D'autres défis incluent un faible engagement des élèves, souvent dû à des méthodes pédagogiques traditionnelles qui ne stimulent pas suffisamment l'interaction, ainsi qu'une charge de travail perçue comme déséquilibrée. De plus, bien que la classe inversée présente un potentiel évident pour améliorer l'enseignement du FLE, la mise en œuvre de cette méthode nécessite une formation adéquate des enseignants et des élèves, ainsi qu'une gestion plus efficace des ressources disponibles.

En somme, bien que l'approche par classe inversée soit perçue comme un progrès dans la pédagogie du FLE, sa réussite dépend largement de la capacité à surmonter les contraintes liées à la technologie, à l'engagement des élèves et à la formation continue des acteurs éducatifs. Pour maximiser son efficacité, il serait essentiel de continuer à adapter cette méthode en fonction des réalités du terrain, en prenant en compte les besoins spécifiques des élèves et en renforçant les compétences des enseignants dans l'utilisation des outils numériques.

V. Liste Bibliographique:

1.A., B. J. (2014). *La Classe inversée.* Reynald Goulet.

2.Bélanger, C. A. (2013). *La classe inversée* (Vol. 42). Repentigny, Québec: Éditions Raynald Goulet .Revue des sciences de l'éducation.

3.Faillet, V. (2023, juin 23). Le travail scolaire lycéen hors de la classe: une analyse de pratiques au croisement des cultures scolaires et juvéniles. *Thèse de doctorat en sciences de l'éducation et de la formation.Dirigée par le professeur Éric Bruillard,*. Paris: Université Paris Cité,EDA.

4.Gérard, L. &. (2020). Sources d'influence de l'engagement des étudiants dans un dispositif de classe inversée à l'université: le cas de Pedaglnnov. *Revue internationale de pédagogie de l'enseignement supérieur, 36 (1)*.

5.Le jeune, J. (2016). La classe inversée:le triangle pédagogique sens dessus dessous. *Synergies Turquie, 9*, pp. 161-172.

6.Lebrun, M. (2015). L'école de demain:entre Mooc et classe inversée. *Économie et management, 155(1)*, pp. 41-47.

7.Lebrun, M. (2022). *Chapitre1-La classe inversée au confluant de différentes tendances dans un contexte mouvant.In La pédagogie des classes inversées* (Vol. Vol.2). (D. B. Supérieur, Éd.) Belgique.

8.Lebrun, M. G. (2017). Vers une typologie des classes inversées. *Education & Formation*, pp. pp.126-146.

9.Lison, C. T. (2014, avril 07 consulté le 08 mai 2024). De l'innovation à un modèle de dynamique innovationnelle en enseignement supérieur. *Revue internationale de pédagogie de l'enseignement supérieur (en ligne), 30*.

10.Peraya, D. (2015). La classe inversée peut-elle changer l'école? . *Résonances Mensuel de l'école Valaisanne*, pp. 6,8-9.

VI. Annexes :

Questionnaire

1. Quel est votre niveau de connaissance du concept de la classe inversée (Flipped Classroom) ?

☐ Bonne connaissance
☐ Connaissance moyenne
☐ Faible connaissance
☐ Je ne connais pas ce concept

2. Avez-vous déjà utilisé la méthode de la classe inversée pour enseigner la compréhension orale ?

☐ Oui
☐ Non

3. Si oui, comment évalueriez-vous l'efficacité de cette méthode pour améliorer les compétences de compréhension orale chez vos élèves ?

☐ Très efficace
☐ Efficace
☐ Moyennement efficace
☐ Peu efficace

4. Quelles sont les difficultés que vous rencontrez lors de la mise en œuvre de la classe inversée pour enseigner la compréhension orale ?

☐ Manque d'équipements technologiques
☐ Résistance des élèves à l'apprentissage autonome
☐ Manque de temps pour la préparation
☐ Difficulté à créer ou trouver des supports audio adaptés
☐ Faible participation des élèves à domicile
☐ Difficulté à évaluer les apprentissages hors classe
☐ Autres (veuillez préciser) : _____

5. Quels outils ou ressources utilisez-vous généralement dans la classe inversée pour enseigner la compréhension orale ?

☐ Vidéos éducatives
☐ Enregistrements audio
☐ Plateformes pédagogiques en ligne
☐ Applications éducatives
☐ Peu ou pas d'outils utilisés (par manque de moyens ou de temps)
☐ Autres (veuillez préciser) : _____

6. Dans quelle mesure estimez-vous que vos élèves participent activement aux activités de la classe inversée liées à la compréhension orale ?

☐ Très activement
☐ Moyennement activement
☐ Peu activement (manque de motivation ou d'accès)
☐ Pas du tout (travail à domicile rarement effectué)

7. Pensez-vous que la classe inversée favorise réellement l'autonomie des élèves dans leur apprentissage ?

☐ Oui, fortement
☐ Oui, mais de façon inégale selon les élèves
☐ Peu, car beaucoup d'élèves ont besoin d'un encadrement constant
☐ Pas du tout

8. Quel est l'impact de la classe inversée sur les compétences d'écoute et de compréhension orale des élèves, en comparaison avec les méthodes traditionnelles, malgré les éventuels obstacles ?

☐ Impact très positif
☐ Impact positif mais limité par certains freins
☐ Pas d'impact notable
☐ Impact négatif ou contre-productif

9. Bénéficiez-vous d'un soutien suffisant de la part de votre établissement pour utiliser la classe inversée (formation, ressources, équipements) ?

☐ Oui, suffisant
☐ Moyennement suffisant
☐ Insuffisant
☐ Aucun soutien

10. Quelles contraintes principales freinent l'intégration de la classe inversée dans votre enseignement de la compréhension orale ?

☐ Accès insuffisant à la technologie pour les élèves
☐ Faible engagement ou motivation des élèves hors classe
☐ Charge de travail supplémentaire pour l'enseignant
☐ Manque de formation ou d'accompagnement professionnel
☐ Incompatibilité avec le programme ou les exigences institutionnelles
☐ Inégalités entre élèves (autonomie, environnement familial, etc.)
☐ Autres (veuillez préciser) : _____

11. Quelles sont vos suggestions ou recommandations pour améliorer l'utilisation de la classe inversée dans l'enseignement de la compréhension orale au secondaire ?

Réponse ouverte :

Dialectology: Concept and Semantics

Professor Mazin Muhammed Husain
Babylon Center for Historical and Civilizational Studies, University of Babylon
maabmh@yahoo.com

Abstract:

The emergence of dialectology stemmed from the human need for a science concerned with the development of languages and their branches, and with different languages. It is the science concerned with the study of languages, the environmental conditions, and the factors surrounding them that lead to the emergence of different dialects from a single language or within a single linguistic group, such as the Semitic language group and its branches. It is defined as the scientific and objective study of dialects and the causes of their emergence. It is considered a branch of sociolinguistics. Through dialectology, we study the linguistic differences between a language and its dialects, or a linguistic group and its dialects, based on the geographical distribution of languages and dialects, the common origins of these dialects, the reasons for their emergence, the factors influencing them, and their strengths and weaknesses. There are those who believe that a dialect is a language, and the group of dialects within a single language with common origins are nothing but different languages, and the concepts of language and dialect are confused, and there arises a need to differentiate between them. The truth of the matter is that language is one, and due to factors of time, place, and event, different dialects have been formed from it. Here comes the concept and significance of this science, its branches, and our need for... Study it objectively, clarify the meaning and concept of dialect and the reasons for its emergence, as there is a need to clarify the mixed concepts between language and dialect, so that there is a mutual understanding between them, and study the dialect and define it scientifically and clarify its concept and meaning in order to differentiate between the common concepts between

it and the general concept of language in a scientific way that does not confuse the researcher in linguistic studies, but rather facilitates the matter for him by clarifying those linguistic concepts. The research deals with the study of those concepts and the differentiation between them through an academic scientific study based on the scientific understanding of those linguistic commonalities and the reasons for their emergence in the language and its dialects.
Keywords: (language , dialect , colloquial, linguistic environment)

علم اللهجات المفهوم والدلالة

البروفسور مازن محمد حسين
مركز بابل للدراسات التاريخية والحضارية جامعة بابل
maabmh@yahoo.com

ملخص:

نشاء علم اللهجات من حاجة الانسان لنشوء هكذا علم يعنى بتطور اللغات وتفرعاتها وبمختلف اللغات ، فهو العلم الذي يعنى بدراسة اللغات والظروف البيئية والعوامل المحيطة بها التي تؤدي الى نشوء لهجات مختلفة من لغة واحدة او ضمن مجموعة لغوية واحدة مثل مجموعة اللغات السامية وتفرعاتها ، ويعرف بانه الدراسة العلمية والموضوعية للهجات ومسببات نشؤها ،ويعد فرعا من فروع علم اللغة الاجتماعي ، وندرس من خلال علم اللهجات(رمزي , منيربلبكي, 2008.ص340) الاختلافات اللغوية للغة ولهجاتها او المجموعة اللغوية ولهجاتها وذلك بالاعتماد على التوزيع الجغرافي للغات ولهجاتها والاصول المشتركة لتلك اللهجات واسباب نشوئها والعوامل المؤثرة فيها وعناصر قوتها وضعفها ، هنالك من يعتقد ان اللهجة لغة ومجموع اللهجات ضمن اللغة الواحدة ذات الاصول المشتركة ماهي الا لغات مختلفة ويختلط عليهم مفهوم اللغة واللهجة وتاتي الحاجة الى التفريق بينهما ، حقيقة الامر ان اللغة واحدة وبفعل عوامل الزمان والمكان والحدث قد تشكلت منها لهجات مختلفة وهنا يا تي المفهوم والدلالة لمعنى هذا العلم وفروعه وحاجتنا الى

دراسته بموضوعية ، وتوضيح المعنى و مفهوم اللهجة واسباب نشوئها ، حيث هنالك حاجة لتوضيح المفاهيم المختلطة بين اللغة واللهجة ، ليكون هنالك فهم متبادل بينهما ، ودراسة اللهجة وتعريفها علميا وتوضيح مفهومها ودلالتها من اجل التفريق بين المفاهيم المشتركة بينها وبين مفهوم اللغة العام بشكل علمي لا يربك الباحث في الدراسات اللغوية وانما نيسر الامر له من خلال توضيح تلك المفاهيم اللغوية . البحث يتناول دراسة تلك المفاهيم والتفريق بينها من خلال دراسة علمية اكاديمية مبنية على الفهم العلمي لتلك المشتركات اللغوية واسباب نشوئها في اللغة ولهجاتها .

الكلمات المفتاحية: (اللغة ، اللهجة ،العامية ، البيئة اللغوية)

مقدمة:

تعد اللغة من اهم العناصر في اية حياة اجتماعية قديمة وحديثة ومنذ نشأة البشرية فهي وسيلة تواصل الافراد في المجتمع ووسيلة التواصل الحضاري في البيئات الحضارية المختلفة ولهذا فان البحث محاولة جادة للخوض في موضوع اللهجات والبيئات اللغوية الحاضنة لها ، واسباب تعدد اللهجات في البيئات اللغوية المختلفة ، نستهل بحثنا بعدد من التعريفات لعلم اللهجات وللغة واللهجة والبيئة اللغوية لغة واصطلاحا من خلال المعاجم اللغوية وما جاء به اهل اللغة من الاختصاص ، ان البيئة اللغوية وهو مصطلح حديث نسبيا ، يشكل واحدا من المواضيع المهمة التي ندرس من خلالها اسباب نشوء وتعدد اللهجات في اللغة الواحدة ، ان الخوض في هكذا موضوع اوجب علينا جلب الامثلة واستسقاء الادلة الموضوعية لهذا التعدد اللغوي واللهجي الذي يحدث في بيئة لغوية واحدة ، ان ما جاء من اسباب لتعدد اللهجة في اللغة الواحدة هو ذاته ينطبق على اللغات الاخرى ، لقد نشات ظاهرة التعدد اللهجي في اللغات السامية في البيئة اللغوية الواحدة على سبيل المثال وهي ظاهرة واضحة وجلية في هذه اللغات على الرغم من ان هذه اللغات تقع في بيئة واحدة ، ان اللغة عموما واية لغة من اللغات تميل للانشطار والتفرع في الاعم الاغلب وهذا التوسع في اللغة الواحدة هو ما نسميه باللهجة وهي نتيجة طبيعية بسبب العوامل المؤدية لهذا الانشطار والتفرع ، اوجب

علينا البحث في هذا الموضوع دراسة الاسباب المؤدية لتكون اللهجات في اللغة الواحدة ، كما ويتطرق البحث في متنه الى موضوع التداخل اللغوي بصفته احد عوامل نشوء اللهجات المتعددة كما في اللغات السامية ، في نفس الوقت الذي تنتشر فيه ظاهر التعدد اللهجي في اية لغة من اللغات قد تنحسر لهجة من اللهجات او عدة لهجات وتاخذ بالانقراض وتنشاء لهجات اخر ، وهذا بحسب عوامل الزمان والمكان ،ومثال ذلك ماجرى على اللغة الاكدية ولهجاتها ومن ثم اللغة الارامية ولهجاتها ، لقد اصبحت البيئات اللغوية مادة للدراسة في مجال الدرس النحوي في اللغة العربية لعلماء اللغة ، وتوسعت دراسة هذا الموضوع لما له من اهمية في دراسة التعدد اللهجي . ان من دواعي البحث هو دراسة مشكلة التعدد اللهجي في اللغة الواحدة واسبابها ومعطياته على اللغة وتاثيرها على التنوع اللغوي في البيئة اللغوية الواحدة او البيئات اللغوية المتجاورة لما تحدثه من تاثير كبير ومهم على مسيرة اية لغة من اللغات سواء كانت في مجموعة اللغات السامية او غيرها من اللغات الاخرى .

علم اللهجات:

علم اللهجات أو اللهجاتيَّات هو فرع عن علم اللغات ، يهتم بالدراسة علمية للهجات اللغوية. ويُسمَّى العالم بها لهجاتيّ أو عالم اللهجات. و يدرس الاختلافات في اللغة في المقام الأول على أساس التوزيع الجغرافي وما يرتبط بها من سمات (و ليس الاختلافات على أساس العوامل الاجتماعية، التي يدرسها علم اللغة الاجتماعي) . يعالج علم اللهجات مواضيع من قبيل اختلاف اثنتين من اللهجات المحلية ذات أصل مشترك وتباين زمني

يهتم علماء اللهجات أساساً بالسمات النحوية المتوافقة مع المناطق الإقليمية. و بالتالي هم يتعاملون عادة مع سكان يعيشون في مناطقهم لعدة أجيال دون أن ينتقلوا، وأيضاً مع جماعات المهاجرين الحاملة للغاتها إلى مستوطنات جديدة. ويعضد علم اللهجات مجموعة من العلوم والمفاهيم، منها: علم اللغة الجغرافي والخرائط اللغوية والأطلس اللغوي، و الجزيرة اللغوية.

ويعد وليام لابوف هو واحد من أبرز الباحثين في هذا الميدان. أما أبرز الباحثين العرب في مجال علم اللهجات فهم: حفني ناصف ، و إبراهيم أنيس وهادي العلوي(wikipedia.org/wiki)

ان علم اللهجات : (من اليونانية διάλεκτος، dialektos ، "حديث، لهجة"؛ و- λογία، -logia) هو الدراسة العلمية للهجات : مجموعات فرعية من اللغات. على الرغم من أن علم اللهجات

كان في القرن التاسع عشر فرعًا من اللغويات التاريخية، إلا أنه يُعتبر الآن غالبًا فرعًا من علم اللغة الاجتماعي ، أو مُدرجًا فيه يدرس علم اللهجات الاختلافات اللغوية بالاعتماد بشكل أساسي على التوزيع الجغرافي وسماته المرتبطة به. يتناول علم اللهجات مواضيع مثل تباعد لهجتين محليتين عن أصل مشترك، والتباين المتزامن .وتضمن المفاهيم التي تتم دراستها بشكل شائع في علم اللهجات مشكلة الفهم المتبادل في تعريف اللغات واللهجات؛ ومواقف ازدواجية اللغة ، حيث تُستخدم لهجتان لوظائف مختلفة؛ واستمرارية اللهجات التي تشمل عددًا من اللهجات ذات الفهم المتفاوت؛ والتعددية المركزية ، حيث تحتوي لغة

تعريف اللغة:

تُعد اللغة الصفة التي تُميز الجنس البشري عن باقي المخلوقات ، وقد تعددت اللغات بين أفراد الجنس البشري وتفرعت الى لهجات ولكل لغة لهجاتها ولكل شعب عبر التاريخ لغته ولهجاته ، وكتب كل شعب تاريخه وحضارته بتلك اللغة التي أتقنها وتحدث بها

تعرف اللغة بانها :

(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(**ابن جني(1952م)ج1، ص 23**)

وهذا التعريف، يجب أن يشار إليه للأمانة العلمية، في دائرة المعارف **البريطانية** حيث (تعرف اللغة بأنها نظام من الرموز الصوتية) (عبده الراجحي ، (د ت) ص 16)

وفي دائرة المعارف **الأمريكية:** إن اللغة يمكن تحديدها بأنها نظام من المعلومات الصوتية الاصطلاحية) (محمد توفيق شاهين ،(دت) ص 16.) وعلى ضوء تعريف **ابن جني**، قامت دراسات اللغة على أنها أصوات منطوقة وليست حروفًا مكتوبة واللغة في رأي بعض علماء الغرب؛ ومنهم **دوسيسير** هي (كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي؛ من رمز صوتي، أو كتابي، أو إشارة؛ أي أن اللغة تعني الكيان العام الذي يضم النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافية؛ منطوقة، أو مكتوبة، معاصرة أو متوارثة) .

أصل اللغة::

يعد التحقق في أصل اللغة من أكثر الأصول إثارة للاهتمام وأقدمها أسئلة في فهمنا للطبيعة البشرية. وان العديد من الاستفسارات ليست اكثر من قصص وتخمينات و منذ أواخر التسعينيات، زاد الاهتمام بأصل اللغة بشكل كبير، وتنضم مجموعة واسعة من التخصصات في هذا المسعى لبناء صورة معقولة عن متى وأين وكيف نشات وتطورت اللغ(JINYUN KE and JOHN H., 2006 , p691).

لازال موضع بحث ونقاش منذ قرون وإلى الآن الآراء غير متفقة حول الأصل الفعلي أو عمره، فانعدام الدليل الواضح والمباشر سبب صعوبة دراسة هذا الموضوع، حيث يستحيل العثور على اللغات في شكل أحافير كما هو حال الأشياء الملموسة الأخرى، وبناءً على ذلك يجب على كل من ينوي دراسة أصل اللغة أن يستخلص الاستنتاجات من أنواع أخرى من الأدلة كسجل الأحافير والأدلة الأثرية وأيضا من التنوع اللغوي المعاصر ومن دراسات اكتساب اللغة أو المقارنات بين لغات البشر ونظم التواصل بين الحيوانات، خصوصاً الرئيسيات.

ولكن ثمة اتفاق عام بأن أصل اللغة متصل بشكل قوي بأصل سلوك الإنسان الحديث، وقد أدت محدودية الأدلة التجريبية بالباحثين لتصنيف كامل للموضوع بأنه غير صالح للدراسة الجادة. في عام 1866م حظرت جمعية باريس اللغوية (Linguistic Society of Paris) المناقشة في هذا الموضوع فتأثر العالم الغربي بهذا الموضوع حتى نهايات القرن العشرين.(Stam , J. H., 1976 , P255,)

و في الوقت الحالي، يوجد عدد هائل من الفرضيات عن كيف، لماذا، متى، وأين ظهرت اللغات لأول مرة . **Kathleen (2011)33)**

قد يبدو في بادئ الأمر أن هناك اتفاقاً أكثر مما كان عليه الموضوع قبل مئة عام، عندما أثيرت موجة من التكهنات حول موضوع اللغة بعد أن نشر تشارلز داروين نظريته حول التطور بواسطة الانتقاء الطبيعي (Müller, F. M. 1996 s, pp. 7-41)

مع ذلك ومنذ بداية التسعينيات حاول العديد من اللغويين وعلماء الآثار وعلماء النفس وعلماء الإنسان (الأنثروبولوجيا) استخدام أساليب جديدة لما قد يكون (أصعب مشكلة في العلم) (Christiansen, M. H. and S. Kirby, 2003, pp. 1- 15)

علم اللغة البيئي:

ظهر علم اللغة البيئي، أو اللغويات البيئية، في التسعينيات كنموذج جديد للبحث اللغوي، مما وسَّع نطاق علم اللغة الاجتماعي ليأخذ في الاعتبار ليس فقط السِّياق الاجتماعي الذي تندمج فيه اللغة، ولكن أيضًا السياق البيئي .

علم البيئة اللغوي: هو دراسة تفاعل اللغات مع بعضها والأماكن التي تنتمي لها، والذي كثيراً ما يدافع عن الحفاظ على اللغات المهددة بالانقراض كتشبيه للحفاظ على الأنواع البيولوجية .

استخدم المصطلح لأول مرة في مقال عن «حالة اللغة» في أريزونا (فوغلين، فوغلين وشوتز، 1967). تم تناوله من قبل إينار هاوغن، الذي كان رائداً لشكل من أشكال علم اللغة الذي استخدم استعارة النظام البيئي لوصف العلاقات بين الأشكال المتنوعة للغة الموجودة في العالم، ومجموعات الأشخاص الذين يتحدثون بها

البيئة اللغوية :

كلمة البيئة عربية أصيلة من كلام الأجداد والأسلاف، فقد جاء في تاج العروس للزبيدي مانصه "وبوأه منزلا" نزل بو إلى سند جبل ...وبوأ فيه ...أنزله ومكن لو فيه فأباءه إياه قال أو زيد أبات القوم منزلا وبوأتهم منزلا إذا نزلت بهم إبى سند جبل أو قبل نهر والايم البيئة بالكسر وبوأ الدكان :حلو وأقام فيه ...والدباءة أي نزل ..... كالبية (السرطاوي ، 1999م ، ص24 .)

يعود الاصل اللغوي لكلمة (البيئة) في العربية، إلى لفظ (بوّأ)، الذي اخذ من الفعل الماضي (باء) و(أباء) والاسم (البيئة)، والمباءة بمعنى (المنزل).

قال ابن منظور في مجمعه (لسان العرب) : (اباءه منزلا) أي هيأه له وانزله فيه.باء إلى الشيء يبوء بوءاً، أي : راجع، وبوا بتضعيف الواو أي سدد، ومنه قولهم بوا الرمح نحوه، أي سدده نحوه وقابله به وتبوأ نزل واقام.تقول : تبوا فلان بيتا، أي اتخذ منزلا، وذلك اذ نظر إلى اسهل ما يراه واكثره استواء وافضله لمبيته فاتخذه منزلا(ابن منظور ، 1411هـ , 232)

وتعرف البيئة في اللغة العربية : هي حالة الاستقرار والنزول ، فيقول تبوأ مكانا أو منزلة ، بمعنى حل ونزل وأقام (الفيروز ابادي ، ، 1987 ، ص 43)

[1] – القران الكريم .

وفي القرآن الكريم:{...أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا...}[يونس: 87] ،أي اتخذا، ويقال : اباءه منزلا، أي هيأه له وانزله فيه. وقال تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}[يوسف: 56] والاسم : البيئة، والمباءة، بمعنى المنزل، ويقال : انه لحسن البيئة اي هيأة استقصاء مكان النزول وموضعه.

وذكر ابن منظور لكلمة (تبوا) معنيين قريبين من بعضهما :

المعنى الاول : بمعنى اصلاح المكان، وتهيئته للمبيت فيه. قيل : تبوأه اصله وهيأه، وجعله لمبيته، ثم اتخذه محلا له(https://www.almerja.com/reading.php?idm=34840)

والمعنى الثاني : بمعنى النزول والاقامة، كان تقول : تبوا المكان أي حله، ونزل فيه، واقام به.وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ} [الحشر: 9] أي الذين سكنوا المدينة من الانصار، واستقرت قلوبهم على الايمان بالله ورسوله.

تعريف البيئة في اللغة الإنجليزية : ويراد بكلمة «Environment » الظروف والأشياء المحيطة بالإنسان والمؤثرة في نمو وتطور الحياة ، كما يستخدم للتعبير عن حالة الهواء والماء والأرض والنبات والحيوان والظروف المحيطة بالإنسان كافة . (**أحمد لكحل، ، 2014 ، ص 16**).كما يدل على الوسط أو المحيط أو المكان الذي يحيط بالشخص ويؤثر في مشاعره و أخلاقه وأفكاره

البيئة لفظ شائعة الاستخدام ويرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبتُ مستخدمها .والبيت بيئة والمدرسة بيئة والحي بيئة والقطر بيئة والكرة بيئة والكون كلو بيئة .والبيئة نفسها نوعان وهي البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية .والبيئة الطبيعية تتكون من الماء والهواء والمعادن وما أشبه ذلك . وأما البيئة الاجتماعية تتكون من البنية الأساسية والبيئة المشيدة وما فيها من النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها. ومن هذا نضع معاني البيئة

أما لفظ **البيئة** فقد أعطاها مؤتمر ستوكهولم في عام 1991م فهما متسعا، بحيث اصبحت تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية (ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونباتات وحيوانات) ....بل هي رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته (**رشيد الحميد ومحمد سعيد ، 1979م ، ص24**)

اللهجة dialect :

اللهجة :

اللهجة ، يقال : لَهَج بالأمر لهجاً : أولع بع واعتاده ، واللهجة واللهَجة : طرف اللسان .. وجرس الكلام ، ويقال : فلان فصيح اللهجة ، وهي لغته جُبل عليها ، فاعتادها ونشأ عليها ، واللهجة (**ابن منظور ، لسان العرب ،183 : 3**)

واللهجة في المفهوم اللغوي : اللهْجَة واللهَجَة : اللسان . واللهْجَة واللهَجَة : جرس الكلام ، ويقال فلان فصيح اللهْجَة واللهَجَة ، وهي لغته التي جُبل عليها (ابن منظور ، لسان العرب2 ، / 359)
واللام والهاء والجيم : أصل يدل على المثابرة على الشيء وملازمته ، وسمى اللسان لهجة ، لأن كلاّ يلهج بلغته وكلامه .

اصطلاحاً اللهجة هي " مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وتميزها عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة ، ولكن يجب ان تبقى تلك الخصائص من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها ، عسيرة الفهم على أبناء اللغة لأنه عندما تكثر هذه الصفات الخاصة على مر الزمن لا تلبث هذه اللهجة ان تستقل ، وتصبح لغة قائمة بذاتها ، كما حدث للغة اللاتينية التي اندثرت وتفرع عنها لغات لها كيانها وخصائصها منها : الايطالية والفرنسية والاسبانية . وكما حدث للغة السامية الأم التي استقلت عنها لغات كالعربية والعبرية والآرامية وغيرها . (محمد شفيع الدين ، ، 2007، ، ص 76)

– وهي اللغة عند علماء اللغة العربية القدماء فلغة تميم ولغة هذيل ولغة طي التي جاءت في المعجمات العربية لايريدون بها سوى ماتعنيه كلمة (لهجة) .كما اطلق على مصطلح (اللهجة) لفظ (اللحن) .حيث قال احد الاعراب :ليس هذا لحني ولا لحن قومي .اما اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث :فهي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي الى بيئة خاصة ,ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . (الضامن 1985,ص23- 33)

واللهجة :ضرب لغة . يُستعمل كوسيلة معاشرة أفراد متصلين في وحدة إقليميّة ؛ وتتسم اللهجات باختلاف في البنية الصوتيّة و الصرفيّة ، والاشتقاق من متن اللُّغَة . و يمكن أن تكون التمايزات ضئيلة ، تسمح لمتكلميّ مختلف لهجات لغة معيّنة من التفاهم (مثلاً : اللُّغَة الروسية) . و ثمّة لهجات تتمايز بعضها عن بعض بحيث تؤدي هذه التمايزات إلى جعل التفاهم بين متكلّمي مختلف اللهجات معقداً أو مستحيلاً أحياناً (مثلاً : لهجات اللُّغَة الألمانية ، و الصينية) وتمارس اللهجات الأخرى تأثيراً في اللُّغَة (اللهجة) الفصحى (الموسوعة الفيلولوجية ،1998: 171 ، 111 ، 132 ، 133 .)
وتستعمل العبارة "علم اللهجات" في العربية ترجمة للمصطلحDialectology ، وهذا المصطلح الاجنبي مركب من Dialect ويترجم بـ "لهجة"، و Logy ويترجم ب (علم). وقد استعارت اللغة الإنجليزية كلمة

Dialect من اليونانية،واستعملت كمصطلح علمي فيها في عصر النهضة. وقد كانت دلالات الكلمتين اليونانيتين، اللتين ترجمتا إلى "لغة" language و "لهجة" dialect بالإنجليزية، مختلفتين تماما عن دالالتهما في الإنجليزية الان. ولعل الاستعمال الفرنسي للكلمتين langue و dialecte (أقرب إلى الاصلين اليونانيين لان الكلمة الفرنسية dialecte تستخدم لتدل فقط على نوعية إقليمية من النظام اللغوي – مكتوبة، بعكس نوعيات إقليمية غير مكتوبة، يطَلق عليها مصطلح (patois) (مالكي خرشوف ،2020-2021م ، 5-6)

عوامل نشاءت اللهجات :

العوامل الاجتماعية:

من اهم العوامل المؤدية لنشوء اللهجات في اية لغة من اللغات ،ان وجود طبقات اقتصادية او مهنية او حرفية او اختلاف الاصول يؤدي الى نشوء صفات خاصة بلهجة كل طبقة وقيل انه يمكن معرفة الحي الذي يسكنه الشخص من لهجته واللغات الحالية كانت يوما من الايام لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، فاللغات السامية على سبيل المثال كانت في الاصل لهجات للغة السامية الأم، فتشعبت واستقلت كل لهجة عن غيرها لما تميزت به من خصائص وصفات، فصارت لغة تفرعت فيما بعد الى لهجات ولولا **القرآن والتمسك بالفصحى** لأصبحت اللغة العربية لغات متعددة متباينة ومع ذلك تطورت اللغة العربية، وان بقيت ثابتة الاصول، فالتغيرات التي إصابت اللغة العربية الفصحى لم تصب اصول التركيب اللغوي، ولكن نطقها في كل بلد عربي يختلف ويغاير نطقها فى البلد الاخر.

اذ يوجد في الوطن العربي لهجات كبرى: **مصرية، ومغربية وشامية وعراقية ولهجة الجزيرة العربية**، وضمن كل لهجة من هذه اللهجات يوجد لهجات فرعية يتكلمها الناس، واذا كان من السهل تمييز اللهجات الكبرى، فإن بعض اللهجات الفرعية تحتاج الى اذن خبيرة، والى بصيرة حساسة لتمييز اللهجات الفرعية داخل اللهجة الكبرى، وحتى في قراءة القرآن الكريم قد تلحظ بعض الفروق الصوتية التي **تميز الشامي عن المصري عن العراقي** ...الخ وقسم جونستون لهجات الجزيرة العربية الى: **لهجة شمال الجزيرة العربية، واللهجة الحجازية، واللهرجة العمانية، ولهجة الجنوب العربي للجزيرة (اليمن وحضرموت وظفا.(وقسم لهجة شمال الجزيرة العربية الى: لهجة سورية عراقية، ولهجة شمرية، ولهجة عنزية ولهجات شرق الجزيرة العربية.**

ويقول بان اللهجات العربية لشرق الجزيرة العربية فرع حديث نسبيا من مجموعة اللهجة العنزية، وانه بدء استقلال اللهجة البحرينية والكويتية عن الاصل العنزي الأم منذ (١٠٠) مائة سنة فقط، كما تأثرت واثرت وتؤثر اللهجات على كتابة الاسماء الجغرافية، من ناحيتين، .اللهجة الكويتية باللهجة **العراقية** الاولى: التبدلات الصوتية، اي لفظ الحرف بصوت حرف اخر، والثانية :بناء الاسم .(ابراهيم موسى الزقرطي ، ،2022م ، ج ص 15-17) وعلى المستوى الزمني يشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنَّ اللهجات كان يطلق عليها قديماً اللغة ، ولم تستعمل اللهجة بمعناها الاصطلاحي إلا حديثاً ، فكان يُقال لغة القبيلة بدلاً من لهجة القبيلة .

ومن علماء اللغة من يرى أنَّ اللهجات بمجموعها هي اللغة : اللُّغَة .كقاعدة . هي مجموع اللهجات ؛ و لهذا يرى البعض أنَّ وجود الألفاظ المترادفة راجع إلى التنوع اللهجوي .
وتغير اللُّغَة لا يرتبط بالعوامل اللغويّة المحض و حسب ، بل بالمتغيرات الاجتماعية (الوعي اللغوي لحامل اللُّغَة ، وجود أو غياب الكتابة المشتركة ، وتأثير اللهجات الأُخَر ، و هلم جرّا) . إنّ اللُّغَة تتعرض لتغيّر دائم في جميع حلقاتها البنيوية وتمشي سيرورة تطورها قدماً . وأسباب هذه السيرورة الملموسة لم تُكتَنْه كلياً بعد .
لكن مما لا شك فيه أن هذا التطور ثاوٍ في أسس اللُّغَة نفسها . و في آلية استعمالاتها الوظيفية ، و ما يميز اللُّغَة هو التطور العفوي منذ بدء تشكلها (فاطمة حسن عبدالرحيم شحاده,1999 ، ص 6)

الجغرافيا :

للجغرافيا دور مهم في التداخل اللغوي وتعدد اللهجات وذلك بحكم التجاور البيئي لبيئتين متجاورتين مختلفتين ، فيحدث التداخل اللغوي بين تلك اللغتين ويحدث التاثير والتاثر بينهما

عوامل جسمية فيزيولوجية

تتمثل في الذي بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق، والتي ترجع إلى عوامل، منها: جغرافية المكان والشعبية، مما يحول دون محافظة اللغة على وحدتها الأولى.

. عوامل شعبية:

تتمثل في وجود سكان للمناطق المتخلفة بينهم فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها، والأصول التي انحدروا منها، ولهذه الفروق آثار بليغة في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات

أسباب فردية:

ترجع إلى اختلاف الأفراد في النطق، ويضاف إليه ما يسمى بـ (خطأ الأطفال)، حيث إن بعض الأطفال يخطئون فيستعملون مقلوب الكلمة، فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عمّن يقوّم لهم ألسنتهم، أصبحت هذه الأخطاء بعد مرور الزمن عادات لهجية (الضامن ، 1990م،ص46)

صراعات سياسية :

ينتج عن الصراعات السياسية صراعات عسكرية وحروب ونتيجة لهذه الصراعات تتولد البيئات المختلفة ويحدث التداخل البيئي وتظهر البيئات المتجاورة وبذلك تنشاء اللهجات نتيجة الانتقال اللهجي بين الشعوب السامية في البيئة الواحدة .

عوامل اخرى:

بالإضافة إلى هذه العوامل يمكننا إضافة أثر الاحتكاك بالأمم الأخرى سواءً أكان بالهجرة أم بالاستعمار، كذلك عامل المهن والصناعات.... كل هذه وأكثر تؤدي إلى ظهور اللهجات سواءً أكانت لهجات محلية، أم كانت لهجات اجتماعية (**علي عبد الواحد وافي ، 2021م ، ص110**)

التجاور البيئي :

تنشاء احيانا لهجة معينة نتيجة لتجاور بيئتين مختلفتين فتنشاء نتيجة لهذا التجاور لهجة وسطية من لغتين متجاورتين حيث تاخذ احدهما من الاخرى الفاظا مستعارة وبتقادم الزمن تصبح لهجة متداولة لدى شعوب تلك البيئة الوسطية وتصبح لدينا لهجة جديدة نتيجة لهذا التجاور البيئي .

التداخل اللغوي:

ان احد اسباب التعدد اللهجي هو التداخل اللغوي ، ويحصل التداخل اللغوي بين اللغات المختلفة في المجموعة اللغوية الواحدة او المجاميع المختلفة ونتيجة لنفس الاسباب الموضوعية التي تم ذكرها لتعدد اللهجات اعلاه ، وهذا بدور يسبب التعدد اللهجي في اللغة الواحدة وسناتي على ذكر التداخل اللغوي واسبابه وموجباته .

مفهوم التداخل اللغوي :

هناك تعريفات حديثة لظاهرة التداخل اللغوي، ومن بينها :تعريف "وليام فسكاي الذي يقول (استعمال عناصر أو وحدات تنتمي إلى لغتنا أثناء حديثنا أو كتابتنا للغة اخرى)

ويعرفه كذلك اوريا ل وينريش بقوله (ادخال لعناصر لغوية ما من لغة اخرى ،وتكون هذه العناصر دخيلة تمس البنية العليا لتلك اللغة) .

كما يعرفهاخرون هودخول ويعرفه عبد الرحمن حاج صالح بقوله : دخول الجمل في بعضها البعض أو التفرع جملة عن جملة أخرى، أيلغة ونحن نتحدث بلغة اخرى جملة أصلية داخل جملة فرعية

وهناك من يعرفه بقوله هو أو نكتب بها ، وهي خاصية الخطاب وليس خاصية اللسان، وتختلف نوعيا نوعيًا وكميًا من مزدوج لغة الى اخر ومن وقت لاخر ويتغير عند الفرد نفسه .

– ورد في كتاب التعريفات للجرجاني:''التداخل عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم و مقدار .

– فالتداخل هو تطبيق نظام لغوي للغة معينة أثناء استخدام لغة أخرى،و غالبًا ما يكون في العامية المحكية،و يكون على مستويات عدَة .

– يتضح لنا أن التداخل هو ظاهرة اجتماعية، وتكون نتيجة احتكاك اللغات وازدواجيتها وتعدديتها.

– التداخل اللغوي لا يحدث إلا بعد صراع طويل و احتكاك شديد، إذ أنه قد ظهر في لغتنا العربية مثلا بعض المصطلحات نتيجة لهذا الإحتكاك .

– يشير التداخل اللغوي إلى تأثير لغة واحدة على لغة أخرى عندما يتعلم المتحدث أو يستخدم أكثر من لغة واحدة. يمكن أن يؤثر هذا على المفردات والقواعد والنطق. ويمكن أن يؤثر أيضًا على العمليات المعرفية مثل الانتباه والذاكرة وحل المشكلات. يمكن أن يكون التدخل إيجابيًا (لتسهيل التعلم)، أو سلبيًا (يعيق التعلم)، أو محايدًا، اعتمادًا على كفاءة الفرد وتعرضه للغات المعنية

الاستنتاجات :

1_ ان مصطلح البيئات اللغوية مصطلح حديث نسبيا .

2_ يرتبط تعدد اللهجات ارتباطا وثيقا بتعدد البيئات .

3_ تعدد اللهجات من الموضوعات القديمة حيث برز التعدد اللهجي في اللغة الاكدية واللغة الارامية .

4_ ظاهرة تعدد اللهجات هي ظاهرة واضحة في كل البيئات اللغوية وليس في اللغات السامية فقط .

5_ تشترك عوامل عدة في تشكيل لهجة معينة في اية بيئة لغوية وهذه العوامل قد تم ذكرها في متن البحث

6_ يعد التداخل اللغوي بين البيئات المختلفة من اهم اسباب التعدد اللهجي في اللغة الواحدة

7- ان علم اللهجات هو فرع من فروع علم اللغة ، ولا يمكن دراسته بدون التطرق لعلم اللغة وتعريفاته .

8- قد تشهد اللغة انحسارا واضحة في لهجة من لهجاتها او اكثر في ذات الوقت الذي نشهد فيه ظهور لهجات جديدة في لغة من اللغات في البيئة اللغوية الواحدة .

قائمة المصادر:

_ القران الكريم .

_ ابن جني ، ، (**1952**) **الخصائص** بتحقيق محمد علي النجار.

_ ابن منظور ، لسان العرب .

_ ابراهيم موسى الزقرطي ،اسس الاسماء الجغرافية ،(عوامل نشوء اللهجات عوامل اجتماعية) ،2022م .

_ الضامن ,حاتم ، علم اللغة ,كلية الاداب ,جامعة بغداد,وزارة التعليم العالي والبحث العلمي,العراق .

_ الضامن ، فقه اللغة ، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق،1990م .

_ الفيروز ابادي ، القا مومس المحيط ، القاهرة ، مؤسسة الرسالة ، 1987 ، ص 43 . نقلا عن د/ عارف صالح مخلف ، الإدارة البيئية (الحماية الإدارية للبيئة) ، عمان ، الأردن ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، 2007.

_ الموسوعة الفيلولوجية ، 1998م:

مالك مسلماني 1932م: هادي العلوي معجمياً ، بغداد ، . دمشق 6 / أيلول.

_ رشيد الحميد ومحمد سعيد صباريني ، 1979م .البيئة ومشكلاتها (الكويت ، عالم المعرفة ،

_ عارف صالح مخلف: 2014 .، الإدارة البيئية (الحماية الإدارية للبيئة) ، عمان ، الأردن ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، 2007 ، ، ص 31 . وكذا أحمد لكحل، دور الجماعات المحلية في حماية البيئة ، الجزائر ، دار هومة ،

_ عبده الراجحي ، (د: ت) فقه اللغة ،ط.، دار المعرفة الجامعية .

_ علي عبد الواحد وافي ،2021م نشأة اللغة عند الإنسان والطفل .

_ فاطمة حسن عبدالرحيم شحاده ، 1995م ، إبراز صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها .جامعة ام القرى السعودية

_ فؤاد عبد اللطيف السرطاوي ،(1999م) .البيئة والبعد الاسلامي ، عمان دار الميسرة

_ مالكي خرشوف ،(2021) علم اللهجات ،كلية الاداب واللغات ، جامعة الاخوة منتوري بقسطنطينة .

_ محمد توفيق شاهين ،علم اللغة العام ، ط1 .
_ محمد شفيع الدين ، 2007، اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى ، دراسات الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ ، المجلد الرابع ، ، ص 76.
_ منير البعلبكي؛ رمزي البعلبكي (2008). المورد الحديث: قاموس إنكليزي عربي (بالعربية والإنجليزية) (ط. 1). بيروت: دار العلم للملايين .

المصادر الاجنبية :

_ Shorrocks ،1**–Graham** (**1998**). A Grammar of the Dialect of the Bolton Area. Pt. 1: Introduction; phonology. Bamberger Beiträge zur englischen Sprachwissenschaft; Bd. 41. Frankfurt am Main: Peter Lang. 46–41 .ص. ISBN:3-631-33066-9.
2_ **Pluricentric languages**(**–2010**) : differing norms in different nations. Clyne, Michael G.,. Berlin. ISBN:3110128551. OCLC:858282330.
3_ JINYUN KE and JOHN H. **HOLLAND 2006**, Language Origin from an Emergentist Perspective , University of Michigan, USA , Oxford University Press , Applied Linguistics 27/4: 691–716 University doi:10.1093/applin/aml033 , p691 .
4_ **Stam**, **J**. **H**., **1976**. Inquiries into the origins of language. New York: Harper and Row, P255.
_ Tallerman ،Maggie؛ Gibson ،4-**Kathleen** (**2011**). The Oxford Handbook of Language Evolution. Oxford: Oxford University Press .
6_ Müller, F. M. 1996 [1861]. The theoretical stage, and the origin of language. Lecture 9 from Lectures on the Science of Language. Reprinted in R. Harris (ed.), The Origin of Language. Bristol: Thoemmes Press, p7-41.-

- 7-Christiansen, M. H. and S. Kirby, 2003. Language evolution: the hardest problem in scienceIn M. H. Christiansen and S. Kirby (eds), Language Evolution. Oxford: Oxford University Press, pp. 1- 15.

المصادر الالكترونية :

- _https://ar.wikipedia.org/wiki/
_https://www.almerja.com/reading.php?idm=34840
_https://ana-mardelli.ahlamontada.com/t2877-topic

The Efforts of Arab Linguists in Attending to Islamic Terminology: Al-Kulliyat by al-Kafawi (d. 1094 AH) as a Model

Dr. Salwa Elboujaoudi
Sultan Moulay Slimane University, Faculty of Arts and Humanities Beni Mellal, Morocco
Salwa.elboujaoudi93@gmail.com

Abstract

Indeed, the greatest thing God has ordained for His servants is the knowledge of His law and religion. For this knowledge to be complete, it is necessary to define the boundaries of the terms brought forth by this tolerant law, which is an obligation for anyone engaged with the Book of God and the Sunnah of His Prophet, peace be upon him.

Consequently, knowing the boundaries of legal terminology, whether from the Qur'an or the Sunnah, and defining their semantic meanings is a gateway to understanding the intentions of the Lawgiver and proving the miraculous nature of the Holy Qur'an, which represents the starting point and incubator for the Islamic sciences.

In this context, this article aims to examine the terminological efforts of Arab linguists in establishing boundaries and definitions for Islamic terms. The book **"Al-Kulliyat"** by Abu al-Baqa' al-Kafawi (d. 1094 AH) serves as a model for this. What is al-Kafawi's methodology for grounding Islamic terminology? And what are his contributions to clarifying the legal meanings and intents from the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah?

Keywords: Terminology, Juridical Discourse, Linguistic Grounding

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

جهود اللغوين العرب في العناية بالمصطلح الشرعي كتاب الكليات للكفوي (1094هـ) نموذجا

الدكتورة سلوى البوجعودي
جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال/ المغرب
Salwa.elboujaoudi93@gmail.com

ملخص.

إنّ أعظم ما فرضه الله تعالى على عباده، معرفة شرعه ودينه، ولتتم هذه المعرفة كان لابد من ضبط حدود الألفاظ التي جاءت بها هذه الشريعة السمحاء، وذلك واجب على كلّ مشتغل بكتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلّم. وبالتالي فمعرفة حدود المصطلحات الشرعية سواء من القرآن أو السنة، وضبط معانيهما الدلالية مدخل من مداخل فهم مقاصد الشارع، وإثبات إعجاز القرآن الكريم الذي يمثل منطلق العلوم الإسلامية وحاضنها.

وفي هذا السياق، يأتي هذا المقال لرصد الجهود الاصطلاحية للغويين العرب في وضع حدود وتعريفات للمصطلحات الشرعية، ويعد كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكفوي (1094هـ) أنموذجا لذلك. فما هو منهج الكفوي في تأصيل المصطلح الشرعي؟ وماهي إسهاماته في تجلية المغازي والمقاصد الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية؟

الكلمات المفاتيح: المصطلح، الخطاب الشرعي، التأصيل اللغوي.

مقدمة:

إن أعظم ما فرضه الله تعالى على عباده، معرفة شرعه ودينه، ولتتم هذه المعرفة كان لابد من ضبط حدود الألفاظ التي جاءت بها هذه الشريعة السمحاء، ولم يغفل هذا عن علمائنا الأوائل، فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول: "وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،ثم قد تكون معرفتها فرض عين وقد تكون فرض كفاية، ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله:{الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم }"التوبة 79"، (ابن تيمية، 1995، ج7، ص 146). فمعرفة حدود الألفاظ عند ابن تيمية خاصة الغريبة كلفظ ضيزى في قوله تعالى {تلك إذا قسمة ضيزى}، وعسعس في قوله تعالى {والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس}. تسعف في فهم مقاصد الشارع ومراده عز وجل، ومن ثمة الوقوف على مواطن الجلال والجمال في الشريعة المحمدية.

وقد ارتأينا أن نقف في هذا العرض على جهود علمائنا العرب، في وضعهم حدودا وتعريفات للمصطلحات الشرعية، فكان كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكفوي أنموذجا لذلك. وبعد تصفحنا لما جاء في الكتاب حاولنا أن نضع إشكالية للعرض لتكون أسا نبني عليه ما سيأتي بين طياته. وهذه الإشكالية هي كالآتي: ما هو المنهج الذي اتبعه الامام الكفوي في عنايته بالمصطلح الشرعي؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية ارتأينا أن يكون تصميم العرض كما هو ماثل أمامكم.

I. المصطلح الشرعي وعلاقته بقضية الوضع عند الامام الكفوي.

1. تعريف المصطلح الشرعي لغة واصطلاحا.

تعريف المصطلح لغة.

مادة "ص،ل،ح" في اللغة مدارها على معنيين:

الأول: الصلح.

الثاني: الصلاح

جاء في تهذيب اللغة "الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلاح نقيض الفساد، والاصلاح نقيض الافساد...وتصالح القوم واصّالحوا واصطلحوا بمعنى واحد" (الأزهري، 2001، ج1، ص،142). وبين المعنيين الصلح والصلاح تقارب في دلالتهما ذلك أن اصلاح الفساد لا يكون إلاّ باتفاق بين القوم.

تعريف المصطلح اصطلاحا.

جاء في التعريفات للشريف الجرجاني: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وقيل الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى أخر لمناسبة بينهما، والاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ ازاء المعنى، وهو إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى أخر لبيان المراد" (الشريف الجرجاني، 1983، ص20).

ويعرف الشاهد البوشيخي المصطلح قائلا: "المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤيا، والرؤيا نظارة الأبصار التي تريك الأشياء كما هي" (البوشيخي، 2006، ع 4، ص13).

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أن المصطلح يكون في البداية مفهوما في ذهن المتكلم، ولا يرتقي إلى درجة المصطلح إلا باتفاق عشيرة لسانية على وضع لفظ مخصوص إزاء معنى مخصوص. وبهذا يمكن القول إنّ المصطلح الشرعي هو المعنى المطابق لما أراده الشارع.

علاقة المصطلح بقضية الوضع عند الإمام الكفوي.

تتصل قضية الوضع بقضية المصطلح، والوضع كما عرفه العلماء. "جعل اللفظ بإزاء المعنى وهذا قد يكون في مجال اللغة، فيسمى لغويا، أو العرف فيسمى عرفيا، والعرف إما عرف الشرع، أو عرف الناس، أو طائفة معينة منهم، فيقال: معنى تلك اللفظة شرعا، أو عرفا أو اصطلاحا." (العوني، 1996، ص 211).

وقد اختلف العلماء في واضع اللغة أي واضع الألفاظ بإزاء المعاني فمنهم من قال: "أنّ الألفاظ توقيفية ومنهم من رأى أن الألفاظ اصطلاحية، وهي ما تسمى بالألفاظ الوضعية، ولم يقتصر الأمر على الوضع اللغوي، وجعل الألفاظ بإزاء المعاني في اللغة التي تعارف عليها الناس، والتي نقلت الأفكار من ذهن إلى ذهن، ومن شخص إلى أخر حيث "جاء الشرع الشريف بوضع الفاظ جديدة، وبألفاظ جديدة بإزاء معاني لم تكن معهودة أمام هذه الألفاظ في اللغة، فأصبحت عندنا حقائق شرعية، وحقائق لغوية. والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع أولا في اصطلاح التخاطب، فإذا أطلقت الصلاة في لغة الشرع، أو عند علماء الشرع انصرفت إلى الأقوال، والأفعال المبتدئة بالتكبير، المختتمة بالتسليم ذات الشروط الخاصة المعروفة عند أهل الشرع، على أنها في اللغة كانت أولا تعني العطف كما نص على ذلك ابن هشام وغيره من أئمة اللغة، وفرعوا من العطف الدعاء، والصلة وما إلى ذلك من معاني أخرى، وكذلك الصيام والزكاة والحج والنية"(العوني، 1996، ص 212).

فكل هذه الألفاظ لها في الشرع معان، ولها في اللغة معان أخرى و"معانيها في الشرع لها علاقة في اللغة، ولكن ليس هي نفسها. وهذا الوضع الجديد لتلك الألفاظ بإزاء معانيها التي حددها الشرع هو ما يسمى بالوضع الشرعي." (العوني، 1996، ص 213). ونجد الإمام الكفوي كان على وعي بحقيقة الألفاظ بحيث يوظف مصطلحات من قبيل "الدلالة الوضعية"، وهي الْمعَنِي الأول الَّتِي هِيَ الْوَسَائِل إِلَى الْمعَانِي الثواني" (الكفوي، 1998، ج1، ص153)، ومصطلح "الحقيقة الشرعية" وهي: "كل لفظ وضع لِمَعْنى فِي اللُّغَة ثمَّ اسْتعْمل فِي الشَّرْع لِمَعْنى آخر مَعَ هجران الِاسْم اللّغَوِيّ عَن الْمُسَمّى بِحَيْثُ لَا يسْبق إِلَى أفهام السامعين الْوَضع الأول فَهُوَ حَقِيقَة شَرْعِيَّة لَا يقبل النَّفْي أصلا كَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا وضعت للدُّعَاء ثمَّ صَارَت فِي الشَّرْع عبارَة عَن الْأَرْكان الْمَعْلُومَة "(الكفوي، 1998، ج1، ص361)، و الحقيقة العرفية." هِيَ اللَّفْظ الَّذِي نقل عَن مَوْضُوعه الْأَصْلِيّ إِلَى غَيره لغَلَبَة الِاسْتِعْمَال وَصَارَ الْوَضع الْأَصْلِيّ مَهْجُورًا، كاسم الْعدْل فَإِنَّهُ فِي صنع اللُّغَة مصدر كالعدالة، ثمَّ فِي عرف الِاسْتِعْمَال صَار عبارَة عَن الْعَادِل، فَصَارَ حَقِيقَة عرفية حَتَّى لَا يَسْتَقِيم نَفْيه فِي الشَّاهِد وَالْغَائِب جَمِيعًا"(الكفوي، 1998، ج1، ص18). وهكذا يتبين لنا أن المصطلح لا يخرج عن مدار هذه الحقائق الثلاث: الحقيقة الوضعية والحقيقة العرفية والحقيقة الشرعية.

دواعي تأليف كتاب "الكليات".

غايتنا من إدراج هذا المحور في متن العرض، تكمن في الوقوف على الخلفية المعرفية التي اعتمدها الكفوي لإنماء حسه الاصطلاحي، فقد ألفت "الكليات" على شاكلة المعاجم العربية مرتبا ترتيبا ألف بائيا، مصدرا بمقدمة بدأ فيها الكفوي بحمد الله والثناء عليه، مفصحا عن إعجابه الشديد بما تركه علماؤنا العرب من علم بلغوا فيه قاصية المقاصد، وملكوا فيه ناصية المراصد، فسار على نهجهم بعدما أتاه الله حظا من العلم، فما رأى فنا إلا وكان فيه خطيبا، وما ألفى غصنا إلا وصار فيه عندليبا، مثنّيا عنان القلم بعد ذلك إلى الإفصاح عن سبب تأليفه للكتاب، مرجعا ذلك إلى رغبته في التقرب من حاكم زمانه، يقول: "ولّما رأيت فضلاء الأقطار، وعلماء الأمصار يجلبون إلى حضرته الرفيعة، وساحته المنيعة مازلت ملجأ للأفاضل، وملاذا للأواخر والأوائل ... فلم أدر أي شيء أجعله ذريعة للوصول إلى ذلك الجناب، وأتشرف بتقبيل أنامله...استعنت بالنون والقلم في تبيين المعارف ...فجرى منه كتاب بديع المثال، منيع المنال...جمعت فيه ما في تصانيف الأسلاف من القواعد منقولة بأقصر عبارة وأتمها، وأجزى إشارة وأعمها...ورتبتها على ترتيب كتب اللغات وسميتها بالكليات." (الكفوي، 1998، ج1، ص18). هكذا فإن كتاب "الكليات" ألفه الكفوي للسير

على نهج شيوخه ،وقد سمي بالكليات لأنه جاء جامعا لكل العلوم، ففيه حظ من مفردات اللغة وحظ من مفردات البلاغة والنحو والصرف ... وغير ذلك من العلوم التي لها علاقة باللغة.

وبعد هذه الوقفة التي حاولنا من خلالها أن نبين الدواعي والأسباب التي دفعت الكفوي لتأليف كتاب "الكليات"، مبينين في ذلك الخلفية المعرفية التي اعتمدها الإمام الكفوي في تأليفه للكتاب، سننتقل إلى المحور الثاني لنحاول وضع اليد على منهجية الإمام الكفوي في تناوله تعريف المصطلح.

منهج الكفوي في التعريف بالمصطلح الشرعي.

دراسة إحصائية لنوعية المصطلحات المستعملة في الكتاب.

حاولنا في هذا المحور أن نستقصي أنواع المصطلحات التي تناولها الكفوي بالحد والتعريف، ممثلين ذلك في مبيان ذي نسبية مئوية تقريبية، معززين بأمثلة عن كل نموذج من هذه المصطلحات.

أ. نسب المصطلحات وأنواعها في كتاب "الكليات".

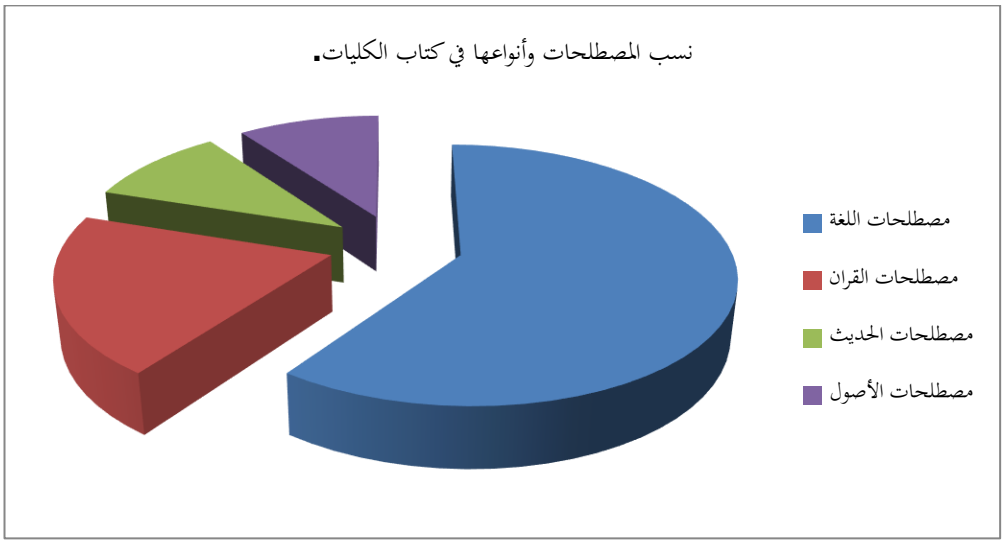

فنسبة المصطلحات القرآنية لا تتجاوز عشرون في المئة، وكل من مصطلحات الحديث ومصطلحات الأصول، لا تتجاوز نسبة عشرة في المئة، في حين أن مصطلحات اللغة تقارب نسبة ستين من المئة.

وفيما يلي جدول يحتوي على أمثلة عن كل نوع من أنواع المصطلحات المستعملة في الكتاب.

نماذج من المصطلحات المستعملة في الكتاب.

اللغة	القرآن.	الحديث.	الأصول.
أبلج. برع.	الضلال زنيم البث، الحزن. تذر.	الرواية، الدراية. المحدث، الحديث	القياس. الواجب. الخاص.
الإبداع. الإبط. ركيك.	سكرةالموت، عذاب، الزور. اجتباه، الاخدود	الإسناد، السند، حسن، صحيح، علم الحديث	الحرام، الصدقة العام،
السرور سلف.	طوبى القسطاس.	الضعيف، الغريب	الواجب القطعي
الكفة. الضد.	الرجعى، الجحيم.	المنقطع، المقطوع	الصلوات الخمس

الدراسة النصية للمصطلح الشرعي في الكليات.

أ. الدراسة الداخلية للمصطلح الشرعي.

علمنا مما سبق ذكره في العروض السابقة، أن إشكال الكلمة وهو الذي يحدد طريقة تعريفها. ونجد هذا واضحا بشكل جلي عند الامام الكفوي، فقد يعرف الكلمة إما عن طريق اللغة أي ما تحمله من دلالات في المعاجم اللغوية، وإما عن طريق ما تحتمله من وجوه إعرابية ونحوية، وإما عن طريق البلاغة بما يحمله المصطلح من مجاز أو استعارة...ولا يتأتى هذا عند الامام الكفوي، إلاّ من خلال دراسة المصطلح داخل النص الذي ورد فيه، ولهذا ارتأينا أن نسمي هذا المبحث ب"الدراسة النصية للمصطلح الشرعي عند الامام الكفوي"، وقسمناه إلى مبحثين، الأول يمثل الدراسة النصية الدّاخلية، والثاني فيمثل الدّراسة النصية الخارجية.

الدراسة النصية الدّاخلية.

أ . الدراسة المعجمية للمصطلح الشرعي عند الامام الكفوي.

تكمن جهود الكفوي المعجمية في التعريف بالمصطلح الشرعي، في كونه يأخذ المصطلح مجردا عن الآية التي ذكر فيها بداية، فيذكر تعريفه كما جاء في المعاجم العربية، وبعد ذلك يعيد ذكره داخل الآية، فيعطيه معنى شبيها بالمعنى اللغوي، كما قد يختلف عنه جزئيا أو كليا. ومثال ذلك تعريفه مصطلح "الأب" فقد صاغ له تعريفا من المعاجم اللغوية بأنه "إنسان يولد من نطفته إنسان أخر"، ففي هذا التعريف جعل الأب مرتبطا بالابن، أي أن تعريف الأب يقتضي وجود الأب، وهذا يدل على أن مفردة "الأب"، في اللغة لا تعرف إلا بقرينة مصاحبة وهي قرينة الابن وهذا ما يسمى بالحقيقة اللغوية. أمّا في الحقيقة الشرعية فإن الكفوي لا يعرف مصطلح الأب مجردا عن الآية التي ورد فيها كما أنه لا يعرف هذا المصطلح بقرينة الابن فقط، وإنما يعرّف بقرينة "العم"، وما علاه من جهة الأبوة، و"الخال"، من جهة الامومة وما علاها. يقول الكفوي: "لم يرد "الأب"، في القرآن ولا في السنة مفردا، وإنما ورد ضمن الجمع بطريق التغليب بالقرينة الواضحة. قال الله تعالى حكاية عن بني يعقوب بالقرينة الواضحة:{نعبد إلهك وإله أباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق.}،ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {واتبعت ملة أبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب.} وكان إسحاق جده و إبراهيم جد أبيه." (الكفوي، 1998، ص26). وبهذا فإن مصطلح الأب في الوضع اللغوي يختلف عن الوضع الشرعي، باعتبار أن قرينة الأول تقتصر على "الابن" في تعريف مصطلح "الاب"، بينما الثاني يضيف قرينة "الجد" و "العم" من جهة الأب، والخال من جهة الأم. على طريق الجمع والتغليب، وبهذا فإن الكفوي أضاف سمة جديدة يعرف بها مصطلح "الأب" في الحقيقة الشرعية، ويتميز بها عن الحقيقة اللغوية.

إضافة الى هذا فإن الكفوي، يعرف المصطلح الشرعي في اللغة ويتتبع دلالاته في المعاجم العربية، ثم يبين ما أل إليه حينما أصبح حقيقة شرعية. ومثال ذلك مصطلح "الطهارة" فهي تحمل في اللغة دلالات عدّة كالتّنزه عن الأدناس، وقد تعني الاغتسال، أما في الشرع فلها معنى مخصوص فيه بعض من المعنى اللغوي، "وهو نظافة مخصوصة متنوعة من وضوء وغسل وتيمم، وغسل البدن والثوب" (الكفوي، 1998، ج1، ص579). ومصطلح الطهارة يأتي بصيغ مختلفة، من بينها صيغة الطهور وهو الشيء الذي يقع به التطهير، مثل قوله تعالى:{وشرابا طهورا}،" (الكفوي، 1998، ج1، ص582)؛ أي شرابا طاهرا نقيا. فهذا

المصطلح فيه بعض من المعنى اللغوي رغم انتقاله من الحقيقة اللغوية إلى الحقيقة الشرعية. وهذا يفضي بنا إلى أن المصطلح الشرعي عند الإمام الكفوي قد يبقى حاملا لدلالته اللغوية حينما يصبح حقيقة شرعية، كما في مصطلح "الطهارة" وقد يتغير كليا كما في مصطلح "الأب". ولتوضيح ذلك أكثر عرّف الإمام الكفوي، في فصل "الطاء" نجد الكفوي يعطي معنيين لمصطلح "الطاعة"، الأول لغوي، والثاني شرعي. يقول "الطاعة: طاع له يطوع ويطاع، إنقاد، وشرعا فعل المأمورات ولو نذبا، وترك المنهيات كراهة، فقضاء الدين، والإنفاق على الزوجة والمحارم، ونحو ذلك إطاعة الله وليس بعباده، وقد تأتي الطاعة بمعنى الامتثال في قوله تعالى: {فطوعت له نفسه}. تابعته وشجعته وأعانته على فعل ذلك"(الكفوي، 1998، ج1، ص583). فمصطلح الطاعة حينما ارتقى إلى درجة الحقيقة الشرعية، بقي حاملا لدلاته اللغوية ولو بشكل ضمني غير واضح إذ في عمومية هذا المصطلح وهو الامتثال والانقياد.

هكذا فقد حاول الإمام الكفوي أن يضع حدودا للمصطلحات في وضعها الشرعي تميزه عن وضعه اللغوي في المعاجم اللغوية. وقد اعتمد الامام الكفوي على مدخل المعجم في تعريفه للمصطلح الشرعي مدخلا أساسا للتميز بين المصطلح في حقيقته اللغوية وما يؤول إليه حينما يصبح حقيقة شرعية.

جهود الكفوي النحوية في التعريف بالمصطلح الشرعي.

تتجلى جهود الكفوي النحوية في كونه يذكر الحالة الإعرابية كمدخل من مداخل تعريف المصطلح الشرعي، ومثال ذلك تعريفه لمصطلح: "الاتباع" أنه يرد عل وجهين بالتخفيف والتشديد، فإذا ورد بالتخفيف فإنه يتعدّى إلى مفعولين، وبالتشديد إلى واحد تبع وَاتبع بِمَعْنى وَاحِد وَهُوَ اللحوق "فأتبعهم فِرْعَوْن": أَي لحقهم أَو كَاد" (الكفوي، 1998، ج1، ص35).

الجهود البلاغية.

أما الجهود البلاغية فتكمن في كون الكفوي يعرف المصطلح الشرعي إما من باب المجاز. ومثال ذلك مصطلح " الخلق" على طريق الجمع في قوله تعالى {أحسن الخالقين}." (الكفوي، 1998، ج1، ص35)، أَي: المقدرين يقول: "جمع بطرِيق عُمُوم الْمجَاز، إِذْ لَا مُؤثر فِي الْحَقِيقَة إِلَّا الله تَعَالَى"، وتعريفه لمصطلح "الرحمة" يقول: "لَا جرم حمل الرحمة على الْمجَاز وَهُوَ الإنعام على عباده." (الكفوي، 1998، ج1، ص471).

الترجيح بين اللهجات.

اعتمد الكفوي على لهجات القبائل العربية للوصول إلى حقيقة المصطلح الشرعي، فيذكر أوجه استعمال القبائل العربية للمصطلح، ثم يحدد دلالاته اللغوية ثم الشرعية. ومثال ذلك تعريفه لمصطلح "القرية" لا ينصرف "عند أهل الحجاز في قوله تعالى {واسأل الْقَرْيَة}، إِن الْقَرْيَة هُنَا الْقَوْم أنفسهم وعَلى هَذَا {قَرْيَة كَانَت آمِنَة مطمئنة}، وَأما الَّتِي فِي قَوْله تَعَالَى: {وَمَا كَانَ رَبك ليهلك الْقرى}، و {من هَذِه الْقَرْيَة الظَّالِم أَهلهَا} فَهِيَ اسْم للمدينة، والقرية والبلدة كِلَاهُمَا اسْم لما هُوَ دَاخل الربض وقول الْحجاز لَا تَنْصَرِف" (الكفوي، 1998، ج1، ص474) ، فالكفوي هنا نظر إلى مصطلح "القرية" واستعمالاتها عند أهل الحجاز فتوصل إلى أنها تعني مرادفة للبلدة وكلاهما تعني الربض، وكذلك حينما عرف مصطلح " عسى" ذكر بأن مصدره من الأصول المرفوضة، عند بني تميم قال:" الْأُصُول المرفوضة مِنْهَا مصدر (عَسى) لِأَنَّهُ لَا يسْتَعْمل، وَإِن كَانَ الأَصْل، لِأَنَّهُ أصل مرفوض، فَإِن بني تَمِيم لَا يجيزون ظُهُوره وَيَقُولُونَ: هُوَ من الْأُصُول المرفوضة؛ و (سُبْحَانَ الله) فَإِنَّهُ إِذا نظرت إِلَى مَعْنَاهُ وجدته صَحِيحا لَكِن الْعَرَب رفضت ذَلِك، إِذَ الْأَصْل فِي الألفاظ أَن لَا تجْعَل خَارِجَة عَن مَعَانِيهَا الْأَصْلِيَّة بِالْكُلِّيَّةِ" (الكفوي، 1998، ج1، ص128)، فالكفوي جوز أصل "عسى" رغم أن بني تميم اعتبرته أصلا مرفوضا.

ب . الجهود النصية الخارجية للتعريف بالمصطلح الشرعي.

اعتمد الامام الكفوي على السياق الخارجي لتحديد دلالة المصطلح الشرعي، بما في ذلك السياق المقامي، وأسباب النزول، وحين تداخل معنيين أو أكثر للمصطلح الواحد فإن الكفوي يلجأ الى باب الترادف أو الاشتراك أو باب العموم أو الخصوص. وسنعزز لكل هذه المباحث بأمثلة من كتاب "الكليات".

الجهود النصية الخارجية.

1. السياق المقامي.

يعتبر السياق عند الإمام الكفوي من القرائن "الدَّالَّة على مُرَاد الْمُتَكَلّم فَهِيَ المرشد لبَيَان المجملات وَتَعْيِين المحتملات" (الكفوي، 1998، ج1، ص609)، وقد استعمل الكفوي سياق الاستعمال للتعريف بالمصطلح الشرعي حينما يذكر المصطلح مقترنا بألفاظ أخرى يقتضي تعريفه وجودها، ومثال ذلك تعريفه مصطلح "الصلاة" فهذا المصطلح تارة يستعمل بمعنى الفريضة وتارة بمعنها اللغوي الأصلي وهو الدعاء حسب سياق ورودها، في مثل قوله تعالى: { إنّ الله وملائكته يصلون على النّبي} لِأَن سِيَاق الْآيَة إِيجَاب

اقْتِدَاء الْمُؤمنِينَ بِاللَّه وَمَلَائِكَته فِي الصَّلَاة على النَّبِي، فَلَا بُد من اتِّحَاد معنى الصَّلَاة فِي الْجَمِيع، سَوَاء كَانَ معنى حَقِيقِيًّا أَو معنى مجازيا" (الكفوي، 1998، ج1، ص119).

أسباب النزول.

عند تعارض أراء بعض الائمة كالشافعي وأبي حنيفة، حول دلالة بعض المصطلحات الفقهية، التي يترتب عنها حكما شرعيا، يلجأ الإمام الكفوي إلى أسباب النزول، ليتوصل الى الدلالة المرغب بها من المصطلح، ومثال ذلك اختلاف الفقهاء حول مصطلح الطهارة هل ينقض الوضوء من إلى عدم نقض الوضوء، استنادا إلى قوله تعالى: {فِيهِ رجال يحبونَ أَن يَتَطَهَّرُوا} يقول الكفوي: "فَإِنَّهَا نزلت فِي قوم يستنجون بِالْمَاءِ بعد الْحجر فقد مدحهم الله بذلك وسمى فعلهم تَطْهِيرا والاستنجاء بِالْمَاءِ لَا يكون إِلَّا بِمَسّ الذّكر" (الكفوي، 1998، ج1، ص416)، وبالتالي فمصطلح الطهارة أو التطهير من المصطلحات التي تحدد مفهومها انطلاقا من أسباب النزول، وكذلك حينما عرف مصطلح "الطائفة" بأنها جماعة أقل من ثلاثة في قوله تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ من الْمُؤمنِينَ اقْتَتَلُوا} "أَن المرَاد بِهِ رجلَانِ وَإِن كَانَ الصَّحِيح مَا ذكره صَاحب " الْكَشَّاف " أَن المرَاد بهما الْأَوْس والخزرج، قَالَ بَعضهم الطَّائِفَة قد تقل وَقد تكْثر قَالَ الله تَعَالَى: {يغشى طَائِفَة مِنْكُم وَطَائِفَة قد أهمتهم أنفسهم}. وَمَعْلُوم أَن أحد الفريقين كَانَ أَكثر من الآخر، وَقد سماهما جَمِيعًا الطَّائِفَة، فَعلم أَن اسْم الطَّائِفَة قد يَقع على الْقَلِيل، وَقد يَقع على الْكثير، كَذَا فِي " الْعمادِيَّة " وَفِي " الْكَشَّاف ": هِيَ الْفرْقَة الَّتِي يُمكن أَن تكون حَلقَة، وَلم يقل أحد بِالزِّيَادَةِ على الْعشْرَة والرهط الْعِصَابَة، بِالْكَسْر"(الكفوي، 1998، ج1، ص685).

الترادف.

عرف الامام الكفوي الترادف بـ :"الِاتِّحَاد فِي الْمَفْهُوم، لَا الِاتِّحَاد فِي الذَّات، كالإنسان والبشر وَحقّ المترادفين صِحَة حُلُول كل مِنْهُمَا محَل الآخر." (الكفوي، 1998، ج1، ص315)، ومما أدرجه الكفوي من مصطلحات تحت باب الترادف،" البث و الحزن" في قوله تعالى: {بثي وحزني}و "السر والنجوى"، في قوله تعالى: {سرهم ونجواهم}، و الشرعة والمنهاج في قوله تعالى: {شرعة ومنهاجا}، و الدعاء و النداء في قوله تعالى: {إِلَّا دُعَاء ونداء} و"السادة و الكبراء" {أَطعْنَا سادتنا وكبراءنا}،و"الصلاة والرحمة"، في قوله تعالى: {صلوَات من رَبهم وَرَحْمَة}، و"العذر والانذار "في قوله تعالى: {عذرا أَو نذرا}.فالمصطلحات المترادفة

عند الامام الكفوي هي التي تفيد فائدة تامة من غير تفاوت وَالتَّابِع لَا يُفِيد وَحده شَيْئا، بل بِشَرْط كَونه مُقَيّدا بتقدم الأول عَلَيْهِ، كما هو مبين في الآيات السابقة.

الاشتراك اللفظي.

استعمل الكفوي الاشتراك اللفظي ليحدد المعنى الدقيق للمصطلح في سياق معين، إذ لا يتحقق الاشتراك عند الكفوي إلا بقرائن مصاحبة تعين عن إدراك المعنى المنشود من المصطلح، مثل مصطلح الصلاة في قوله تعالى":{إِن الله وَمَلَائِكَته يصلونَ على النَّبِي}. فيمنع كون الصلاة هنا " مشْتَرَكَة بَين الرَّحْمَة وَالِاسْتِغْفَار، لِأَنَّهُ لم يثبت عَن أهل اللُّغَة، بل هِيَ حَقِيقَة فِي الدُّعَاء." (الكفوي، 1998، ج1، ص119).

العام والخاص.

تناول الإمام الكفوي، مبحث "العام والخاص" حينما درس الفرق بين مصطلحي: " الولد" و"الابن"، باعتبارهما مصطلحين واردان في القران الكريم، فبينهما عموم وخصوص، فالمعنى الحقيقي للابن هو" الصلبي"، وكذلك" الولد" لَكِن فِي الْعرف اسْم الْوَلَد حَقِيقَة فِي ولد الصلب وَاسْتِعْمَال الابْن وَالْولد فِي ابْن الابْن مجَاز... غير أن لفظة "الابن" أخص مطلقا من الولد، لِأَن الْأَوْلَاد تطلق عرفا على أَوْلَاد الْأَبْنَاء، بِخِلَاف الْأَبْنَاء فَإِنَّهَا تطلق عَلَيْهَا بِدَلِيل دُخُول الحفدة فِي الْمُسْتَأْمن على أبنائه، فبينهما عُمُوم وخصوص). وقد يطلق الخاص على العام. على سبيل التعظيم. "ومنه قوله تعالى: { وَحسن أُولَئِكَ رَفِيقًا} أَي: رُفَقَاء {إِنَّا رَسُول رب الْعَالمين} أَي: رسله. " (الكفوي، 1998، ج1، ص27.

فقد استعمل الكفوي مبحث العام والخاص، وهو من المباحث الدلالية التي يتوصل بها إلى إدراك الفروق الدقيقة، بين مصطلحين مترادفين.

خلاصة.

من كل ما تقدم يمكن أن نستقرئ معالم المنهج الكفوي، في الدراسة المصطلحية للمصطلح الشرعي.

- جرد المصطلح من الآية القرآنية.
- التعريف اللغوي.
- الدراسة النصية الداخلية للمصطلح.{والمقصود هنا دراسة المصطلح داخل التركيب. إما من الناحية النحوية، أو البلاغية...}.

- الدراسة النصية الخارجية.{والمقصود هنا دراسة المصطلح من جانبه الدلالي، ويتعلق الأمر إما بالسياق المقامي أو أسباب النزول، والترادف والاشتراك...}

لكن الامام الكفوي لم لكن يثبت المعنى القار للمصطلح الشرعي، واكتفى بما جاءت به مصنفات سابقيه من أراء وجهود في تعريف المصطلح الشرعي. إلا أن فضل الإمام الكفوي يرجع إلى كوننا أصبحنا نتلمس معالم منهج في الدراسة المصطلحية. رغم كونه قد غيب الجانب الاحصائي في دراسته للمصطلح، وربما ذلك راجع إلى تأليفه الكتاب على شاكلة المعاجم العربية.

لائحة المصادر والمراجع.

- ابن تيمية، (1995)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- أبو البقاء الكفوي، (1998)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت.
- الأزهري، (2001)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار التراث العربي.
- حاتم بن عارف الشريف العوني، (1996)، المنهج المقترح في فهم المصطلح، دار الهجرة للنشر.
- الشاهد البوشيخي،(2006)، نحو التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية، مجلة التسامح، العدد 4.
- الشريف الجرجاني، (1983)، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

An Analytical Process In An English Foreign Language (EFL) Science Classroom

Yaseen Rabeea Ahmed
University of Kirkuk / College of basic education
yassenrabeea@uokirkuk.edu.iq

Abstract:

The findings section of the report includes a portion of the lesson transcript, serving as the basis for further analysis. The outcomes help determine whether effective classroom engagement was present. It also highlights common strategies and models utilized in classroom discourse analysis. The students showed interest in the lesson, which significantly influenced the teacher's use of paralanguage. Through these non-verbal cues, the teacher managed to maintain the students' attention and minimize distractions. Vocal inflection was frequently used to emphasize key or new concepts, such as boiling, molecular energy, and attractive forces. These vocal techniques were reinforced with gestures and facial expressions to enhance verbal communication. This approach enabled the teacher to offer multiple cues that helped students grasp the impact of heat on intermolecular forces.

Keywords: English Foreign Language, Classroom, English Language, English Foreign Language (EFL) grammar, vocabulary

عملية تحليلية في فصل دراسي للعلوم باللغة الإنجليزية كلغة أجنبية

ياسين ربيع احمد

جامعة كركوك كلية التربية الأساسية

yassenrabeea@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يشمل قسم النتائج في التقرير جزءًا من نص الدرس، الذي يُعد أساسًا لمزيد من التحليل. تساعد النتائج في تحديد ما إذا كان هناك تفاعل فعال في الفصل الدراسي. كما يسلط الضوء على الاستراتيجيات والنماذج الشائعة المستخدمة في تحليل الخطاب الصفي. أظهر الطلاب اهتمامًا بالدرس، مما أثر بشكل كبير على استخدام المعلم للغة الموازية (paralanguage). من خلال هذه الإشارات غير اللفظية، تمكن المعلم من الحفاظ على انتباه الطلاب وتقليل عوامل التشتيت. تم استخدام التنغيم الصوتي بشكل متكرر للتأكيد على المفاهيم الرئيسية أو الجديدة. تم تعزيز هذه التقنيات الصوتية بالإيماءات وتعبيرات الوجه لتحسين التواصل اللفظي. وقد مكن هذا النهج المعلم من تقديم إشارات متعددة ساعدت الطلاب على فهم تأثير الحرارة على القوى بين الجزيئات.

الكلمات المفتاحية: اللغة الإنجليزية، الفصل الدراسي، قواعد اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، المفردات

1-Introduction

The study offers several effective approaches for analyzing the English language. Discourse, whether spoken or written, can be explored to understand how meaning is constructed and exchanged in communication. This analysis not only helps interpret meaning in written texts but also examines how dialogue and oral communication convey meaning. Common materials used for such analysis include interview transcripts, sample conversations, and focus group discussions. Additionally, various instruments can be analyzed to uncover the processes and relationships involved in meaning transfer. This type of analysis can also be applied in the classroom to support both teaching and learning objectives. This study has been chosen by the science field of a synchronic linguistics faculty square measure due to the type of choices. The science realm expects the educator to pass on categorical instructions about the notions of science to the class. The teacher is also expected to pique the interest of the students as well as motivate the students to investigate the environment and witness scientific phenomena. The teacher, therefore, should rely on completely different discourse modes to create a major mood at the time of giving directions and a mood at the time of indicating prospects and unexplored areas of science. Moreover, the field science engages intelligent work and activities to a greater extent compared with other faculty rooms. Asking questions and misunderstandings in case there are some questions to clarify in oral form. Other styles of the discourse that cannot be possible also exist such as use of tone and loudness by teachers and students to achieve some desired effects. The oral conversation use is also complemented with other forms of non-

verbal cues such as facial expressions and body gestures. Other than fulfilling the education goals of the room atmosphere, lecturers and students collectively employ the discourse modes in accomplishing some of the social purposes such as determining the magnitude of teacher authority and the amount of freedom the learners can enjoy. In this study, the methods of discourse analysis are utilized as a way of verifying the strategies the lecturers and students adopt in the use of discourse so as to achieve both the education and social goals in the room. The science room in one of the grammar schools is selected as an object of the study as it offers a range of choices. The science room requires the teacher to indicate express directions to the scholars on the scientific ideas. The teacher will also be required at the same time to trigger the interest of the students, as well as to push them to experience the surrounding environment and to witness the scientific phenomena. In this respect the teacher must employ altogether different modes of rhetoric, to establish a certain mood, when giving directions, and a certain mood, when indicating prospects and the unknown spheres of science. Moreover, science room engages in reasonable work and activities to greater magnitude as compared to other school rooms.

2- Importance of The Study

We will figure out as a researcher that the students will be able to speak English fluently; beside that, the learners will communicate with their teacher well depending on the target language so that it is very fundamental for them to be independent learners.

3-Hypotheses

1.Learners will be able to analyze the target language easily compared to those who did not attend into the classroom.

2.Learners will be more able to comprehend the language through analysis than injection into the whole language directly.

4-Research Questions

1.Will learners be able to analyses the target language easily compared to those who did not attend into the classroom? 2.Will learners be more able to comprehend the language through analysis than injection into the whole language directly?

5-Study Orientation

Gee (1999) has indicated that discourse can have all manners of functions in the classroom such as social activities in the classroom and identity formation social identities in the classroom. Discourse analysis can be a study methodology that attaches significance to the fact where recordings on verbal and non-verbal discourse have to be sought out (Wood and Kroger, 2000). Crucial discourse analysis can be a method whereby it is necessary to identify the connection between language and social structure that comprises of components such as power, identity and social roles (Fairclough, 1992). Basic discourse analysis focuses on the policies and contexts in which discourse is employed to shape power relations among participants. As Zebenbergen (2000) notes, fundamental discourse analysis can be effectively applied in classroom settings to examine how interactions construct meaning. Similarly,

Fairclough (1992) emphasizes that discourse plays a central role in forming relationships of identity and power between teachers and students. Discourse analysis involves interpreting texts by analyzing vocabulary and linguistic features to uncover their intended effects. This approach views discourse as a structured text, exploring elements such as cohesion and organization to understand how it conveys meaning and shapes the identities and perspectives of its audience. Two key components often examined are coherence and intertextuality. Coherence refers to the audience's ability to perceive the discourse as a unified whole, allowing them to derive meaning from it. In contrast, intertextuality refers to the way a text connects with previous texts, contexts, or discourses, contributing to its meaning and relevance. All these attributes of (discourse) are important in analyzing the discourse in the room where every lesson must be based on the previous lessons. Wells (1992) has reported that language is an important element in teaching and learning of science during the classroom. One can then say that language comes between the way through which scientific concepts and data are conceptualized in the classroom. Hackling, Peers & Prain (2007) reasons that science education may be one of the ways through which the students square measure polished and conditioned to think in certain ways that will enable them to view the world through a scientific prism. Therefore, it can be said that language is very important in the development of the knowledge field which is open to the scholars and that it also constructs their perceptions into one particular way of seeing the globe scientifically. According to Hackling, Smith and Murcia (2010), science discourse should start by engaging in the already existing assumptions of the scholars and consequently, subjecting them to involvements so that they experience wherever they are to observe

and associate with the scientific phenomenon. This should be followed by presenting scientific explanations and so giving them a chance to use the knowledge domain in follow. Christie (2002) studies, however, practical descriptive linguistics used in discourse analysis to investigate language decisions influence which means that built within the room. Practical descriptive linguistics analysis conjointly helps the research worker to check tutorial and regulatory registers square measure utilized by academics to direct abstract learning and room behavior severally (Christie, 2002). Dame Agatha Mary Clarissa Christie (2002) conjointly notes that mood is studied to see the manner during which data is changed on the idea of social relationship. Modality conjointly helps to clarify the manner during which power is used to realize the goals of the teacher within the room) Abdullah, & Hussein, 2015). According to Lemke (1990), science is normally imparted in a manner that delivers excessively abstract and impersonal content to the researchers where the teacher presumes an authoritarian position in the classroom. This aspect of presentation of science renders the subject contentious to most learners (Taylor, 1996). According to Lemke (1990), science tutored as associate degree moralist subject in colleges and the conventions which are applied by academics in the discourse of instructing science also do not have the ability of interacting majority of the learners. They have been examined however; discourse analysis and Mortimer & Scott (2000); and Chin (2006) have studied and assured that there is no way that it will be analyzed in the science classroom. Noble and Scott (2000) employ the flow of discourse framework to investigate science discourse in the terms of both schoolrooms speak as well as the language utilization to achieve the projected goals of the teacher. Language is mutual between the teacher and

the student in the form of utterance that enables them to exchange abstract topics and content in the classroom setting. Mortimer and Scott (2000) argue that there is a need to teach narrative that will enhance the building of the knowledge base and the abstract line among the students. Besides, it is the process of teaching that determines the shaping also known as creation of method within the students through creating a uniform meaning and assessing whether the students have comprehended what is being taught to them. It along plays part in sustaining the story in the hands of the teacher. Scott (1997) has studied however academics. He has used queries within the discourse to guide students through evidence of the lesson. On the opposite hand, Holliday (1994) employs a unique framework of discourse analysis known as the general practical linguistic (SFL) model that studies the link between aspects of synchronic linguistics and the means achieved by it. In specific terms, the SFL framework considers experiential met function as matter met function and social met function by analyzing the clauses utilized in the discourse for every of the 3 met functions of such means. Kouretas-Manitou and Scaife (2000) argue that the classroom speaking that enables one to interact with science should be that momentum of the teacher speaking which is constituted by means such as questioning and wait time. Variety of responses should be invited by the teacher and clarity should be given. Mohammed Amin Kitabchy, S. (2017) The teacher should also ask scholars to substantiate or support their statements because they will be taught to make valid statements based on scientific knowledge or phenomena that have been derived. According to Hackling, Smith and Murcia (2010), the social level of the discourse plays an important role in the science schoolroom due to the facilitation it grants to the interaction of the professional individual, as well

as that of the understudy. Thus, in this way the information and knowledge about science is constructed both by the teacher and student in a two-way discourse that is altered. Conceptualized in other words, so as to have a positive effect on the scholars, the school room speaking should be pegged on the information of students.

6- Data Collection

6.1. Method

The learners have been given some instructions and primary rules that are familiar to them to analyses the target language and the lesson is based on listening and writing for forty-five minutes and through the texts the teacher was able to observe the analysis of the learners and discuss with them the way of analysis and recognize the extent of the learners' comprehension. In this fixed lesson the teacher takes two methods (quantitative and qualitative) to describe the learners according to their analysis, so the learners who can analyses the text or the listening material from the first time, means that we have enrolled them under qualitative method and the others enrolled the under quantitative

6.2. Participants

The study is launched in Al Hanin secondary school in Kirkuk province and the learners at 10th class have come through certain hours of teaching that reach up to 3 hours per week. All the 25 learners are not native speakers, 13 of them are males and 12 are females. They are at the age of 19-years-old.

The teacher who is teaching them also is a non-native speaker and has 10 years of experience in English language Teaching.

6.3. Procedures

The procedures are recording, transcription of the interaction and noting down the number of interactions started or the teacher to gather quantitative and qualitative information required for the analysis. The forty minutes of lesson are ascertained and recorded. Then, it'll be turned into a script so as to be worked on simply.

7- Data Analysis

The objectives of this analysis are going to see, however, the teacher forms power, roles and identity inside the science room through the employment of language, verbal furthermore as nonverbal. Additionally, the analysis also will look for to handle whether or not the knowledge domain is being created accessibly to the school within the classroom or being withheld from them. This analysis employs discourse analysis by recording a 15-minute discourse within the room. The discourse analyzed in this study is drawn from a university classroom lesson focused on changes in states of matter in space. The lesson was delivered at a university in a province of the Republic of Iraq. Although English is the official language of instruction, both the teacher and students occasionally switch to Arabic, their native language. The use of English throughout the lesson is intended to support the development of students' language fluency. With the teacher’s consent, the lesson was audio-recorded, and a researcher was present to observe classroom interactions. The analysis primarily concentrates on the teacher’s use of comprehensive

language and functional grammar. A lexical chain analysis is applied to trace the repetition of key and functional terms, helping to evaluate how scientific concepts are emphasized and made understandable for students. The study also investigates the teacher's pacing and the use of paralinguistic and non-verbal cues—such as tone, facial expressions, and voice inflection—that enhance the effectiveness of instruction. Gestures are especially valuable in illustrating abstract ideas and are thus included in the analysis. Moreover, the discourse is examined to identify the teacher's verbal and non-verbal strategies for actively engaging students and fostering collaborative classroom interaction.

8. Results and discussion

8 .1. Expected results

The discourse study of the college course presented to the tutor appeared to be following a technique and a style of learning of fashion that were being contributed by people involved in delivery of the lesson. Provided with the fact that scientific knowledge might not be something that a person can acquire or even has within the household natural surroundings of the people, it is the quality of participation inside the college lesson that generally influences their own knowledge and fluency in the whole range of scientific concepts as well as terminology.

8.2. Discussion

The conversation that was performed in the course of fifteen minutes of the lesson will be presented and analyzed here: Teacher: Come sit down, class.

The lesson will begin with the following introductory exercises. [The students are a bit noisy to take their positions] Teacher: How are the students? Students: Teacher hello Teacher: How many have a mind of what molecular arrangement is? Put up your hands? Students: [The majority of the students bring up the hand and create feeble sounds to gain the attention of the teacher.] Teacher: Tarek. How is solid arranged at the molecular? Tarek Student: Teacher, molecular arrangement refers to how particles are organized in solids, liquids, and gases. In solids, they are packed closely together. Teacher: That's correct, Tarek. Well remembered. Now, who would like to come up and draw the molecular structure of a solid on the board? Students: [Most of the students raise their hands eagerly, making soft sounds to attract the teacher's attention.] Teacher: Holy, please come up and draw. [The student takes a piece of chalk and walks to the board to illustrate the structure.] The students begin to applaud when he makes the right diagram.] Teacher: Good Hassan. [He holds out hand to take the chalk and motions the student back into his place]. Teacher: Which likes ice cream eh? [Students put their hand in the air and shout me! me!] Teacher: Alright, so who in the house prepares tea? [Some of the students rise their hand.] Teacher: What then happens when you use ice cream at hot temperature? [The students speak out loud saying that it melts and make movements with their hands.] Teacher: How does it melt? [The pitch raised and wide eyed] There are students who will give their explanations and are heard by the teacher. Teacher: When the ice cream is at the freezer, what is its state? Students: Solid. Teacher: What occurs when it gets hot temperature? Student inhabitants: It melts! Teacher: The molecules steal energy to the heat and this makes it melt. He proceeds to bring his explanation on the board. The teacher also adjusted her pace at different

intervals throughout the discussion and this made the students more interested with the lesson being discussed and taught. The teacher continuously varied her vocal delivery, adjusting elements such as loudness, pitch, intensity, and pacing throughout the lesson. These paralinguistic features captured the students' attention and sustained their interest in the topic. By modulating her tone, the teacher was able to maintain student focus and minimize distractions, enhancing the effectiveness of classroom communication. Vocal inflection was strategically used to emphasize key concepts or introduce new ideas—such as boiling, molecular energy, and intermolecular forces of attraction. These verbal cues were reinforced through complementary gestures and expressive facial movements, which helped to clarify and emphasize scientific explanations. In addition to non-verbal strategies, the teacher utilized both cognitive and oral techniques to actively engage students in the learning process. She incorporated relatable, everyday examples from the students' lives to demonstrate that scientific principles are present in daily experiences. Phrases like "When you eat ice cream" or "When you make tea in the kitchen" helped bridge abstract scientific ideas with familiar contexts, fostering deeper understanding. The use of inclusive pronouns such as you and we further contributed to shaping the students' identities—not merely as passive recipients of knowledge, but as active participants in the learning experience. Classroom power dynamics were shared, as both the teacher and students contributed personal examples and observations, creating a collaborative learning environment. The frequent use of inclusive language in the classroom served as an indicator of reduced power distance between the teacher and students. By acknowledging and validating students' contributions—through affirming responses like "Really? That is very good,"

or "That is excellent,"—the teacher demonstrated respect for their ideas and fostered an interactive learning environment. She would often restate students' responses to the entire class, ensuring that each contribution was heard and appreciated. This inclusive approach extended beyond individual interactions, as the teacher regularly referred to previous lessons and weekly classwork. Concepts introduced in earlier sessions—such as molecules, force, and energy—were revisited and expanded upon in the current lesson, which focused on how heat affects states of matter. This continuity helped anchor new content in familiar knowledge, reinforcing learning. A clear example of this occurred when the teacher posed a question about molecular arrangement in solids. Students eagerly engaged by raising their hands and leaning forward in anticipation of answering. The teacher responded with a smile and thoughtfully scanned the room before selecting a student to answer, signaling her appreciation for their enthusiasm and participation. When a student accurately drew a diagram on the board, the teacher praised him for recalling information from a prior lesson. She then elaborated on the concept of heat-induced state changes, during which a lexical chain emerged—highlighting repeated and thematically connected terms such as heat, molecules, and energy. This lexical cohesion contributed to the fluency and coherence of the lesson, aiding student comprehension by reinforcing key terms. The lexical chain used to explain the process of changing states can be illustrated through the teacher's discourse: "When a solid body gets hot, energy is transferred to the molecules. What happens to the molecules? They gain energy. They move more freely. What is this? When molecules in a solid move apart, what is it called? What is the process of ice turning into water?" This progression not only introduced scientific terminology but also relied on the definite article

the, indicating shared understanding of prior knowledge—such as the definition of a solid as a state of matter with tightly packed molecules. Additionally, the teacher employed extensive gestures to visually reinforce scientific explanations. For instance, she used dynamic hand movements to mimic the increased motion of energized molecules, visually illustrating how they overcome intermolecular forces. Her physical expressiveness—through gestures, body language, and sustained eye contact—added vibrancy to the lesson and underscored her commitment to engaging the students actively in the learning process. After guiding the students through a structured activity, the teacher transferred some authority to the learners by inviting them to conclude the explanation. She asked the class to identify the name of the process being discussed. One student correctly responded with melting, prompting the teacher to express delight through a joyful gesture—smiling and exclaiming, “Oh my God!” She then repeated the term aloud, wrote it on the board, and proceeded to define it for the class. The teacher welcomed student talk, particularly during transitions between instructional segments or when responding to questions she posed. She believed that such exchanges encouraged scientific curiosity and nurtured collaborative skills among students. These moments also served as informal breaks, helping students relax and re-engage, especially after prolonged periods of teacher-led instruction. The teacher later reflected in an interview that young learners often struggle with sustained attention, and these brief, interactive pauses allow them to release energy and maintain focus throughout the lesson. Despite the interactive elements, the lesson remained predominantly teacher-centered, as the teacher was regarded as the expert and primary source of knowledge in the classroom. She valued the observations and personal notes

gathered by researchers, using that feedback to fine-tune her lesson delivery and select examples that would resonate with students. While she held the traditional authority of an educator, she also acknowledged the importance of student contributions, effectively sharing power and creating a more inclusive learning environment. In the lesson, the teacher made extensive use of questioning, not primarily as a means of assessing student knowledge, but rather as a strategy to engage learners in reflective thinking and maintain their active involvement with the content. These interrogatives served to guide and clarify explanations, making the lesson more interactive and accessible. Classroom discourse revealed that the teacher intentionally shared some authority with the students, especially at the beginning of the lesson, in order to foster their cooperation and sustain their engagement. However, there was minimal pedagogical intervention in the form of open discussions or student-led dialogue. The teacher-maintained control over the classroom's focus and was quick to redirect attention if the discussion began to stray, using strategies such as clapping or tapping on the board to recenter the students' attention. All questions originated from the teacher, with students only participating when prompted. Typically, the teacher would ask a question, students would raise their hands, and she would select one to respond—demonstrating her role in managing the flow of dialogue. While the teacher-maintained control over classroom interaction, she also allowed space for student participation, thereby fostering a balance between authority and learner autonomy. This controlled yet inclusive approach enabled students to develop interest in the lesson and connect scientific concepts to real-life experiences. The teacher's method highlighted a structured use of power: not to dominate, but to maintain order while nurturing curiosity and relevance in science learning.

The quality of classroom discourse is also reflected in the selection and use of the textbook. The textbook adopted in the lesson is highly simplified, containing minimal explanation and written in basic English with short, accessible sentences. It makes extensive use of illustrations and photographs, which help convey meaning visually and compensate for the lack of detailed written content. While the text may appear overly basic, it aligns well with the students' limited fluency in English, making it an appropriate resource for their level. However, the simplicity of the textbook is balanced by the teacher's active role in enriching the discourse. She supplements the material with clear oral explanations and actively involves students in classroom discussions. Rather than relying solely on textbook examples, the teacher draws on real-life scenarios familiar to the students—such as eating ice cream, observing clothes drying on a line, or making tea at home. Although these examples may be briefly mentioned in the book, the teacher expands on them and encourages students to share their own stories, observations, and even humor related to concepts like melting and evaporation. This pedagogical approach reflects the teacher's belief that science education should be rooted in everyday experiences and observable phenomena, rather than being limited to textbook definitions and abstract descriptions. It also illustrates how the teacher acknowledges and values the students' contributions in shaping the learning process, positioning them as active participants in the construction of classroom discourse. Throughout the lesson, the teacher adopts the role of moderator, regulator, and facilitator of classroom discourse, ensuring that discussions remain focused and relevant to the intended learning outcomes. Rather than removing or abstracting students' anecdotes, the teacher integrates them meaningfully into the lesson,

using them to enhance the discourse and foster engagement. The instructor demonstrates a clear commitment to creating a knowledge domain that is accessible to all students, regardless of their language proficiency or academic background. To reinforce understanding, she revisits key concepts introduced in previous lessons, helping students recall terminology and develop fluency in using scientific language. One of the ongoing challenges in the science classroom is the disconnect between the technical terms used in lessons and the students' ability to apply these terms in everyday contexts. Often, students are more comfortable using common or colloquial language—or even Arabic equivalents—when referring to the same phenomena. To bridge this gap, the teacher consistently emphasizes scientific vocabulary, encouraging students to internalize and use the correct terms. This approach not only supports vocabulary acquisition but also helps reduce confusion when students encounter new or unfamiliar terminology in science lessons. By embedding technical terms into everyday classroom interactions and allowing space for students' linguistic transitions, the teacher plays a pivotal role in helping students make the language of science part of their active vocabulary.

References

Abdullah, A., & Hussein, G. (2015). The Impact of Cooperative Learning on Learning English a a Forgien Language on the Students' Achievement of the College of Education. *University of Kirkuk Journal of Humanity Studies*, *10*(3), 1-26.

Chin, C. (2006). Classroom Interaction in Science: Teacher Questioning and Feedback to Students 'Responses. International Journal of Science Education, 28(11), pp. 1315-1346.

Christie, F. (2002). A theoretical framework. In F. Christie (Ed.), Classroom discourse : A functional perspective (pp. 1-27). New York : Continuum International Publishing Group.

Fairclough, N. (1992). Discourse and Social change. Cambridge, UK : Polity Press.

Gee, J. P. (1999). Introduction. In J. P. Gee (Ed.), An introduction to discourse analysis : Theory and Method (pp. 1-9). New York : Routledge Publishing.

Hackling, M., Peers, S. &Prain, V. (2007). Primary Connections : Reforming Science Teaching in Australian Primary Schools. Teaching Science, 53(3), pp. 12-16.

Hackling, M., Smith, P. & Murcia, K. (2010). Talking Science : Developing a Discourse of Inquiry. Teaching Science, 56(1), pp. 17-22.

Halliday, M. A. K. (1994). An introduction to Functional Grammar (2nd ed.). London : Edward Arnold.

Koufetta-Menicou, C. &Scaife, J. (2000). Teachers' Questions—Types and Significance in Science Education. School Science Review, 81(296), pp. 79-84.

Lemke, J. L. (1990). Talking Science : Language, Learning, and Values. Norwood, NJ : Ablex.

Mortimer, E., & Scott, P. (2000). Analyzing Discourse in the Science Classroom. In R. Millar, J.

Mohammed Amin Kitabchy, S. (2017). The Effect of Teaching Practice on Student-Teachers' Conception of Lesson Planning. *University of Kirkuk Journal of Humanity Studies*, 12(2), 52-71.

Leach & J. Osborne (Eds.), Improving Science Education : The Contribution of Research (pp. 126- 142). Buckingham : Open University Press.

Scott, P. H. (1997). Developing Science Concepts in Secondary Classrooms : An Analysis of Pedagogical Interactions from a Vygotskian Perspective. Unpublished PhD thesis, University of Leeds, UK.

Taylor, P. C. (1996). Mythmaking and Myth Breaking in the Mathematics Classroom. Educational Studies in Mathematics : Special Issue on Sociocultural Approaches to Mathematics learning, 31, pp. 151-173.

Wells, G. (1992). The Centrality of Talk in Education. In K. Norman (Ed.), Thinking Voices : The Work of the National Oracy Project (pp. 283-310). London : Hodder & Stoughton.

Wood, L. A., & Kroger, R. O. (2000). Doing Discourse Analysis : Methods for Studying Action in Talk and Text / by Linda A. Wood. Thousand Oaks, CA : Sage Publications.

Zevengergen, R. (2000). “Cracking the Code” of Mathematics Classrooms : School Success as a Function of Linguistic, Social, and Cultural Background. In J. Boaler (Ed.), Multiple perspectives on Mathematics Teaching and Learning (pp. 201-224). Westport, CT : Ablex.

Language and Identity in Salim Bakkatha's Requiem of the Cardinal: A Dialectical Approach to Reference and Expression

Haithem ben ammar
University of El Bachir El Ibrahimi, Bordj Bou Arréridj (Algeria)
haithem.benammar@univ-bba.dz

Abstract:

The new writing undertaken by contemporary Algerian narrative has opened a wide creative horizon, changing the reader's relationship with the text. The reader is no longer a passive recipient, adapting to what the text offers, but has gained critical agency that contributes to producing a text open to multiple possibilities. Thus, the study of contemporary Algerian narrative, in terms of the diversity of forms and readings, imposes a series of issues. In this intervention, we attempt to answer the extent of novelist Salim Betka's awareness of the achievements of contemporary narrative and his representation of the concepts of (language – reference), considering them as an integrated system of material, psychological, moral, and social data that involves a pattern of cognitive integration processes. They are also distinguished by their unity, which is embodied in the internal spirit that encompasses the characteristic of feeling and sensing identity.

Keywords: Novel, Reference, Language, Levels, Identity, Openness.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الهوية و اللغة في قداس الكاردينال لسليم بتقة
جدلية المرجع والتعبير

هيثم بن عمار
جامعة البشير الإبراهيمي برج بوعريريج (الجزائر)
haithem.benammar@univ-bba.dz

ملخص:

أدركت الكتابة الجديدة التي أقدمت عليها السردية الجزائرية المعاصرة حين فتحت أفقا إبداعيا واسعا تغيرت من خلاله علاقة القارئ بالنص ، فلم يعد قارئا منفعلا متكيفا بما يمنحه ذلك النص بل أصـــبح يمتلك الفاعلية النقدية التي تسـهم في إنتاج نص مفتوح على أكثر من احتمال ، فالبحث إذن في السـردية الجزائرية المعاصرة من حيث تنوع الأشكال و القراءات يفرض جملة من الإشكالات ، التي من خلال هذه المداخلة نحاول الإجابة عن مدى وعي الروائي سليم بتقة بمنجزات السردية المعاصرة وتمثله لمقولات (اللغة – المرجعية) ، باعتبارها منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نســـق من عمليات التكامل المعرفي ، كذلك تميزها بوحدتها التي تتجســـد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها .

الكلمات المفتاحية: رواية، مرجعية ،لغة ،مستويات ،هوية ،انفتاح .

مقدمة:

العمل الإبداعي السردي في جوهره مكتنز بقدرته الدائمة على الانفتاح المتجدد ،لذلك فهو يرفض الوقوع أسير التصور الواحد المفرد ، الذي يحجب اقتراحات الانتقال من الوضع السكوني إلى وضع آخر مفعم بحركة لا تعرف الثبات أو الانقطاع ، إنها إذن السيرورة الإبداعية اللامتناهية وما تفرضه من حتمية النزوع نحو الانفتاح الذي به يُكون العمل الروائي وبه يتحول ، هكذا تحتضن السردية الجزائرية المعاصرة بكافة أشكالها وشتى تنويعاتها المتعددة والمختلفة ، التي تجمع بين الوعي الفكري والثقافي والحضاري من جهة ، وكذا الوعي الذاتي من جهة أخرى . والتي لا يمكن الانفصال عنها .

فالرواية العربية عامة والجزائرية خاصة شهدت تطورا ملحوظا من الجانب اللغوي ، لذلك فالناظر إلى روايات الكاتب سليم بتقة يلاحظ أن الكاتب قد تردد في بعض رواياته بين مستويات وأنماط لغوية مختلفة من اللغة ، ومن هذا المنطلق نحاول أن نقف على أهم المستويات اللغوية التي اعتمدها الكاتب في روايته . فما هي أهم المستويات التي اعتمدها الكاتب ؟ وما تجلياتها في روايته ؟

أولا : الإطار النظري

1_ الرواية الجزائرية المعاصرة في مرآة اللغة والهوية :

إن واقع التجارب الأدبية الفنية في المجتمعات الإنسانية هي إبداعات متعددة خرجت من رحم الحياة ومكوناتها المختلفة ، وعبر إيمان عميق لدى المبدعات والمبدعين بأهمية إبراز هذه المنجزات التي تهم الإنسانية ، فمنها وإليها ، وهذا يعني أن الإبداع أيا كان نوعه وتاريخه وزمنه ومكانه فهو يتكئ على مجموعة من العناصر الموجودة في الحياة والمجتمع ، وفي بطون الكتب حيث تتعدد الموضوعات وتتنوع القضايا ، وطالما هناك الخبرة والأصالة لدى المبدع فإن هذا يسهم في تناول ما هو قديم وموجود بشكل جديد وبطريقة متجددة تختلف عما كان في السابق ، وهذا ما يعود بنا إلى مقولة إن الإبداع في العمل الروائي ليس في التناول للموضوعات والقضايا فحسب ، وإنما في كيفية هذا التناول وآلية توظيف اللغة التي تحكي عن الموضوع .(حسين فهد ، 2016، ص 14.)

فالرواية التي تعتمد على المرجعيات إذن قد تأخذ مرجعيات من الواقع المعيش ، أو من التراث والفلكلور والتاريخ أو من الفكر والثقافة والمعارف ، أو من الفكر الإيديولوجي ، أو في سياقات اللغة

وجمالياتها ، وهذه المرجعيات وغيرها ذات علاقة ليست بالنص وحده ، بل بكاتب النص وقارئه أيضا ، وأيا كانت هذه المرجعيات الثقافية فإن كاتب النص الروائي لا يمكنه الابتعاد بلغته عن مستويات الفهم والتلقي عند القارئ ، وإنما يجعل النص الحامل للمرجعيات مكتوبا بلغة يمكن للمتلقي فهمه ومعرفته ، أي أن المرجعيات أساسا يمكن لنا معرفتها في النص حين نتأمل العلامة اللغوية ، ومدى تجاوزها من كونها علامة لغوية إلى كونها واقع كلامي ، والانتقال من تلك الدلالة اللغوية إلى الدلالة التركيبية للغة ، وإن كانت بعض الأحيان يخرج الكاتب عن مألوف تلقي النص لغويا . (حسين فهد ، 2016، ص 29.)

لقد ارتكزت إذن الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة على مرجعيات مختلفة ، لذلك يجب علينا الوقوف متأملين في دلالة المرجعية ، وقبل هذا نشير إلى أن المرجعية هي كيانات معرفية مؤطرة تمنح الخطاب انتسابه إلى معرفة وتخصص موقعه فيها وقدرته على توظيفها ، يشير شعيب حليفي إلى" أن الرواية هي مرآة صوفية للمعرفة والإضاءة والتفكيك والمتعة من خلال إمكاناتها التخيلية واللغوية من جهة وقدرتها من جهة أخرى على الانفتاح على سجلات وعلامات وحقول من أجل تشكيل الرومانيسك من الذات والمجتمع والتاريخ عبر توظيف بنيات وأساليب ولغات من خطابات وأشكال أخرى ". (شعيب حليفي ، 2005، ص 232.)

تطرح إذن علاقة اللغة دائما بالهوية علاقة جدلية تفاعلية ، كعلاقتها بالوجود والفكر لتحسم هذه الجدلية بكونهما وجهان لعملة واحدة ، إذ اللغة هي التفكير وهي التخييل ، بل لعلها المعرفة نفسها ، إذ لا يعقل أن يفكر الإنسان خارج إطار اللغة فهو لا يفكر إذن إلا داخلها أو بواسطتها ، فهي التي تتيح له أن يُعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه ، ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه ، وهذا ما يجعل اللغة ليست أداة للتواصل فقط ، بل هي أكبر من ذلك ، باعتبارها مكونا هاما من مكونات الهوية ، والأمن القومي والسيادة الوطنية ، والاستقرار الاجتماعي والنفسي ، حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد أو وطن أو أمة، فاللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية .(مجموعة مؤلفين ، 2013، ص 29.)

فالمتأمل الواعي لمعظم الكتاب المشتغلين باللغة يرى أنه لا وجود لاختلاف بينهم ، وخاصة أن حالة المجتمع السياسية والاجتماعية ، وتطوره على مجموعة من الأصعدة ذات علاقة وطيدة بحالة اللغة

الموظفة في النص الإبداعي ، بل حتى اللغة المحكية تتأثر في أحيان كثيرة بالأحداث المحيطة بالمجتمع ، فنأخذ على سبيل المثال أن المد القومي وكاريزما شخصيات الثورة الجزائرية منذ قيامها نجد العديد من الأسر تسمي أبناءها (جهاد ، نضال ، ناصر ....) أي أن الذاكرة المجتمعية تستلهم هذه الحال لتكون حالة طبيعية في المجتمع بعد تكرارها وشيوعها ، وهو ما ينطبق على عالم النص الروائي إذ نجد حالة المجتمع تسهم بشكل كبير ومباشر في حالة اللغة إن كانت مكتوبة أم محكية ، وهي مرجعية لغوية في الكتابة إذ يقول بوالو " يجب أن تحمل اللغة انتماء تاريخيا واجتماعيا وإيديولوجيا " .(فيليب دوفو ،2013، ص176.)

فالمرجعية اللغوية تهتم بحضور الضمائر الثلاثة (المتكلم ، الغائب ، المخاطب)والأسلوب والربط بين الفقرات والجمل والمفردات ، وحضور الدوال والدلالات وتأويلاتها ، وهو ما يستدعي من كاتب النص أن يكون على دراية في مجال اللغة من حيث المفردات وأهميتها وقبولها في مجتمع دون آخر وترتيبها النحوي والصرفي في النص الإبداعي ، وكذلك دلالات هذه المفردات المعجمية والاصطلاحية ، أو مدى قابلية هذه المفردة أو تلك والنحت الدلالي لها .

إن المرجعية اللغوية إذن ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى كاتب النص قبل النص نفسه ، حيث تمثله اللغة في النص يعني أن تكون لديه القدرة على نسج العلاقة الثقافية والمعرفية واللغوية بين النص وكاتبه ومتلقيه ، فالنص المحمل بالرموز والدلالات هو بحاجة ماسة إلى قدرات وكفاءات سواء قبل القراءة أي من الكاتب الذي عليه أن يكون قادرا على نسج اللغة وتركيب المفردات وعارفا بقواعد الكتابة المعمقة ، وذات الأبعاد الدلالية التي تعطي القارئ مساحة لكي يستنطق النص ويكشف تلك البؤر الموجودة داخل النص ومدى اتكاءه على مرجعية لغوية حاضنة لعناصر جمالية تركيبية.(حسين فهد ، 2016، ص 131).

وهذا ما أشار إليه باختين في يقول" إذا فقد الروائي الأرض اللسانية لأسلوب النثر ، وإذا لم يعرف كيف يرتقي باللغة إلى مستوى الوعي ، وإذا لم يستمع إلى الثنائية الصوتية العفوية وإلى الحوار الداخلي للكلمة الحية المتحولة ، فإنه لن يفهم ولن يحقق أبدا الإمكانات والمعظلات الحقيقية للرواية " (ميخائيل باختين ، 1987، ص 16)، بخاصة أن النص الروائي حينما يتشكل في فضاء معين فإنه في الوقت

ذاته يتصف ببعض الثقوب وبعض الفجوات التي يتمكن من خلالها القارئ أن ينسل ليكشف بعضا من إشارات النص ودلالاته .

إن التعدد اللغوي المدرج داخل الرواية ومهما تكن أشكال إدراجه هو خطاب الآخرين ، وهو يفيد في تكسير التعبير عن نوايا الكاتب ، وهذا الخطاب يقدم التفرد في أن يكون ثنائي الصوت ، إنه يخدم ويعبر عن نيتين مختلفتين ، نية مباشرة ؛ وهي نية الشخصية التي تتكلم ، ونية مكسرة ؛ وهي نية الكاتب ، ومثل هذا الخطاب يشتمل على صوتين وعلى معنيين وعلى تعبيرين ، فضلا عن ذلك ، فإن الصوتين مترابطان حواريا وكأنهما كانا يتعارفان ، (ميخائيل باختين ، 1987، ص 91) فاللغة إذن كما يتضح عند القدماء تشكل بعدين رئيسيين : بعد التواصل مع الغير أو الآخر وهنا تأكيد على أن الإنسان لا يستطيع العيش في عزلة لغوية ، ويتمثل البعد الثاني في تمثل الكون نفسه للناس وفي عقولهم من أجل التصنيف تجاه الأشياء والكائنات ووضع الرموز والإشارات التي هي حلقة أيضا من حلقات التواصل اللغوي الاجتماعي ، لهذا فإن المرجعية اللغوية ذات أهمية قصوى ، وقد أشار إليها الروائي الطاهر وطار في قوله " أنا أكتب اللغة باستمرار عن وعي تام ، هناك مقاطع ينبغي أن نرتفع فيها باللغة ، ومقاطع ينبغي أن ننزل فيها ، وهناك شخصيات لها منطق وشخصيات لها لغة وأسلوب ، هذا أكتبه بذكاء ووعي " .(الداوود عبد الله ناصر ، 2010، ص 90.)

أما فيما يخص المرجعيات الأخرى فهي مرجعيات جمالية ، إذ يكون الاهتمام في هذا الحال بالجوانب التي تضفي على الرواية أبعادا جمالية بعد توظيف المكونات السردية ، أي الاهتمام بتقنية الكتابة للنص الروائي من توظيف اللغة وجمالياتها وشعرية المفردة واستنطاق الأجناس الأخرى للنص الروائي وكيفية رسم الزمن بحرفية تقنية في سياق بناء الزمن أفقيا وعموديا ، وكذلك المكان وجماليات جزئياته وكيفية توظيفه خدمة للموقف السردي أو الوصفي أو الحواري ، مع التأمل في أهمية تعدد الرواة في النص الروائي الواحد ، بالإضافة إلى عنصر المتخيل الذي يعتبر من الأمور الرئيسية في أي عمل إبداعي ، حيث الحوارية في الخطاب الروائي " ظاهرة متعددة الأسلوب متعددة الألسن والأصوات ، والتفاعل اللغوي هو ظاهرة اجتماعية ثقافية يشتغل بحسب أنواع الخطاب " .(بعلي حفناوي ، 2007، ص175)

2_النص الروائي الجزائري بين مركزية اللغة وانفتاحها :

لقد عرفت الرواية الجزائرية إذن نقلة نوعية خاصة صاحبتها في مسيرتها الإبداعية ، أين تمكنت من الخروج من التجربة التقليدية بسبب ما آل إليه الوضع العالمي الجديد ، لينعكس ذلك على إعادة النظر في مختلف المقولات السابقة ، فهُجرت اللغة الواحدة ، والنظام الذي سيطر على الفن الروائي طويلا ، لتُعوض بمجموعة من المقومات الجديدة ، أين أصبحت اللغة سيدة المقام الروائي الجديد وباعتبارها :" هي أساس الجمال في العمل الإبداعي من حيث هو ، ومن ذلك الرواية التي ينهض تشـــكيلها على اللغة بعد أن فقدت الشخصية كثيرا من الامتيازات الفنية التي كانت تتمتع بها طول القرن التاسع عشر وطول النصف الأول من القرن العشرين ، إذ لم يبق للرواية شيء غير جمال لغتها وأناقة أسلوبها .(عبد المالك مرتاض ، 1998، ص 101.100)

والرواية بوصفها تشكيلا لغويا بالدرجة الأولى كان لابد من تشكل وجود تتصارع فيه الشخصيات أو الأفكار وتتحاور ،كل هذا داخل إطار اللغة ، لذا فالروائي بوصفه مشكلا لهذه اللغة يسعى لاستثمار كل الطاقات التعبيرية التي يتوفر عليها من أجل إعطاء النص الســـردي بلاغته وجماليته ومنحه كذلك تواصليته وواقعيته من خلال الاشتغال على اللغة ، لأنها هي المعيار الأساسي المعول عليه وذلك لما تحمله من طاقات وإمكانات ، فهي التي تبعث على الإدهاش أو عدمه والغرابة أو الوضوح ، فالمادة الأساسية التي تشكل الإغراء ليس الموضوع التي تتحدث عنه لغة النص فقط ، بل اللغة نفسها . (ربابعة موسى ،2008 ، ص 87)

لذلك يعد الاهتمام باللغة مسألة أساسية في نقد العمل الأدبي مهما يكن نوعه ، فاللغة مادة الأديب والكاتب في مجال الرواية وغيرها من الأنواع الأدبية حتى وإن أغفلت نظرية الرواية ونقد الســـرديات ، هذا البعد الحيوي لم يول العناية اللائقة به ، وإذا كانت الصورة الأدبية صورة لغوية فإن لغة الأدب لابد أن تقوم على دعامتين ، الصـــحة التي ينبغي أن تؤدي إلى الإفادة ، والجمال الذي لابد منه كوســـيلة تســـتخدم للوصول إلى غاية فنية .(تمام حسان ، 2006، ص 233)

لقد أولى إذن باختين البعد اللغوي اهتماما عميقا ولقد دعا في كتابه " شعرية دوستويفسكي " إلى علم سماه " ما بعد علم اللغة " ، وقصد به تلك الدراسة التي تعنى بالبعد اللغوي ، لكنها لا تقف بدراسة اللغة عند الحدود التي يقف عندها علماء اللغة ، بل تتجاوز ذلك إلى ما يعني النقد الأدبي والأعمال

الأدبية ، فاللغة عند باختين ذات منبع اجتماعي تتلون باختلاف الشخصيات والطبقات والمهن والطبائع والأفكار ، وتكون مهمة التعبير عن التنوع والتعدد من أبرز اهتمامات الروائي الذي ينبغي أن يمثل هذا النوع دون أن يوحده في لغته الخاصة ، لذلك فقد تلقف باختين من فن الموسيقى مصطلح " البوليفونية " polyphone لشرح مبدأ تعدد الأصوات (اللغات) في الرواية تبعا لتنوع الشخصيات والبيئات التي تعبر عنها الكتابة الروائية . (عبيد الله محمد ، 2013،ص 41.40)

ينشأ إذن عن استقلال الشخصيات واكتمالها مبدأ ديمقراطية الرواية ، بحيث تمتلك كل شخصية لغتها ومنطقها ووعيها ، ويتجلى ذلك كله في أسلوب الرواية وطريقة صياغتها مما يعلي من شأن اللغة ، فلا تغدو مجرد ناقل لمكونات البنية السردية ووقائع الحكاية ، بل تتوسع قيمتها ووظيفتها وتنتج عن هذا المبدأ ضرورة أن تنعكس طبائع الشخصيات واختلافها في اللغة ، فاللغة هي المادة الأساسية التي ينبغي أن يتجلى فيها ذلك التعدد والتنوع ، ومن هنا تتولد ظاهرة " تعدد الأصوات واللغات " وفق فهم باختين ، فليس الأمر مجرد تزايد عددي في الشخصيات ، وإنما ينبغي أن يكون مصحوبا بتعدد مستويات اللغة وتنوعها ، وكأن كل مستوى وكل نبرة وكل خط أسلوبي هو الصيغة التي تتجلى فيها الشخصية وتتكشف طبائعها ويعلن عن دورها فاعليتها في العمل الروائي ، وامتدادا لذلك قد يكون التعدد ظاهريا وذلك عندما تتوحد اللغة وتعبر تعبيرا صريحا عن لغة المؤلف ومواقفه الموزعة في عدة شخصيات .(عبيد الله محمد، 2013 ، ص 43)

لذلك فإن أول ما يثير انتباه المطلع على حوارات معظم الروائيين وأحاديثهم ذلك الوعي اللغوي الذي عبروا عنه ، فهم مشغولين بلغتهم يطيلون التفكير فيها ، ويعوا متاعبهم معها ، ويتكشف عبر ذلك كله تقديرهم للغة ودورها في العمل الإبداعي الروائي ، فقد شكل حوار الروائيين مع اللغة صراعا يظهر في معظم أعمالهم ما جعلتهم يتمتعون بوعي فكري ذاتي أسهم أكثر في توجيه تجربتهم والتحكم في مسارات تحولاتها المختلفة ، إن توظيف الفصيح والعامي الجزائري خاصة في الروايات الجزائرية مؤشرا ودليلا على علاقة المثاقفة بين اللغة الفصحية والعامية ، ولأنها :" تعطي مبررا للمتلقي حتى يترك الأحداث ويفكر في فعل الكتابة وعملية الإبداع ذاتها ، وهذا من شأنه أن يعطي النص الروائي حركة ، فيصبح نصا متحركا على الدوام "،(كمال الرياحي ، 2009، ص 79) ، فالتعدد اللغوي في الرواية يتصل إذن بحقيقة التصور الحقيقي للغة الإنسان وبيئته ، إذ يؤكد باختين Bakhtine على ذلك حين يقول :" ما

يتصف به الجنس الروائي ويتميز به ، ليس صورة الإنسان بحد ذاته ، بل صورة اللغة ، ولكن على اللغة كي تصبح صورة فنية أن تصبح كلاما على شفاه متكلمة ، وتقترن بصورة الإنسان المتكلم ." (ميخائيل باختين ، 1987 ، ص 80.79.

فالروائي إذن حين يعمد إلى التعدد اللغوي في الكثير من حواراته ، فهو يسمح لنفسه وهو في لحظة الكتابة بأن يجعل شخصياته تفكر وتتحدث بمختلف اللغات التي وظفها الكاتب ، لتظهر بذلك على صورتها الحقيقية وقد أكد باختين Bakhtine على :" أن العلاقات الحوارية ممكنة حتى بين الأساليب اللغوية وبين اللهجات الاجتماعية ، وذلك بشرط أن يجري استيعابها بوصفها مواقف ما ذات معنى محدد ، بوصفها وجهات نظر لغوية من نوعها ."(ميخائيل باختين ،1987 ، ص 270)

3_ مستويات اللغة ومرجعيات الهوية في رواية قداس الكاردينال :

قد تختلف الأحداث الماضية عن ما هي عليه اليوم بسب ما نعيش في الوقت الراهن من انفتاح كل بلدان العالم على بعضها البعض ، فالتعدد اللغوي مصطلح يشير إلى اختلاف الألسنة وتعددها في مجتمع بعينه ، ويمكن تعريفه بأنه استعمال مجموعة ألسن متباينة أو متقاربة في مجتمع واحد .

فالرواية العربية عامة والجزائرية خاصة شهدت تطورا ملحوظا من الجانب اللغوي ، لذلك فالناظر إلى روايات الكاتب سليم بتقة يلاحظ أن الكاتب قد تردد في بعض رواياته بين مستويات وأنماط لغوية مختلفة من اللغة ، ولعل من أهم تلك الأنماط التي تظهر عليها رواياته الفصحى التي اعتمد عليها كمستوى رئيس قامت عليه ، خاصة في إظهاره للطابع الثقافي والفكري لشخصياته كذلك إظهار واقعية حكايته من ناحية أخرى ، كما نراه يسارع كذلك للمستوى العامي من اللغة فيستثمر المستويات المتعددة للغة فتأتي العبارة رصينة متماسكة وحينا تأتي بألفاظ محكية بسيطة ولكنها فصيحة ودالة .

1_ اللغة الفصحى :

من المعلوم أن اللغة العربية تتمايز من مستوى لآخر ، لذلك لا يمكننا الحكم بالأسبقية الفنية الجمالية لأي مستوى على غيره ،لذلك حين يعمد الكاتب إلى استخدام لغة ما تكون محملة بدلالتها الخاصة ومرتبطة بالسياق الذي اندرجت فيه ، " فاللغة الفصحى إذن تتميز بالجزالة والقوة ، فهذا النمط

اللغوي يوظف في المواقف التي تبدوا فيها الذات الساردة في موقف استعلائي ، لذلك انفردت لغة الحوار بالجمع بين اللغتين وهذا أمر مشروع في الكتابة الروائية التي تريد أن تنتصر لواقعية الفن وتريد أن تنطق الشخصيات باللغة التي تتلاءم مع مستواها الاجتماعي والثقافي والفكري ، وهذا التوظيف للغتين يجعل الرواية أكثر تعبيرا وأكثر انفتاحا كما تعطي للراوي مجالا أوسع للخلق والإبداع ،لأنه بهذا يبتعد كثيرا عن اللغة المعيارية ويستطيع أن يتوارى خلف الشخصيات ويتركها تتجابه فيما بينها وتنسجم مع ما يصدر عنها وتعبر فعلا عن جوهرها فتتميز وتتحدد وتتباين ، ومن ناحية يتجلى الدور الفعال لهذا البناء القائم على التقابل بين اللغات ، والذي يُعد بعدا أساسيا في تحقيق بلاغة الرواية وشعريتها ." (نور السادات جودي ، 2013، ص 146)

ولعنا ندرك أن روايات سليم بتقة في أساسها تقوم على اللغة الفصحى ، والغرض منها من طرف الكاتب هو المحافظة على الإطار التاريخي للأحداث الروائية ، كذلك خلق التقارب الفكري بينها وبين القارئ والمتلقي ، لذلك حمَّل الكاتب اللغة الفصحى العديد من الدلالات التي من شأنها أن توضح جمالية اللغة ، ومن ذلك قول الكاتب في روايته في مقطع بناه على أسلوب الحوار يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 09.08)

مرحبا سيد دانيال

مرحبا ...

لم هذه الإجراءات ؟

إنها إجراءات يومية ليس إلا ...يمكنك الدخول .

هل وصلت الطائرة القادمة من العاصمة ؟

منذ لحظات فقط ؟

شكرا .

لقد حاول الروائي إذن الابتعاد عن اللغة اليومية وعمد إلى اللغة الفصحى لإظهار جمالية اللغة من جهة ، ولإظهار فنية النص الروائي من ناحية أخرى وأبعاده المختلفة التي تظهر في العديد من مستوياته ، فقد أخضع الكاتب لغته الفصحى وطوعها لتجربته ، رغم الازدواج اللغوي الذي تميز به ، إلا أنه لم

ينحرف لغويا في معظم مقاطع الرواية ، وبقدر ما تحقق هذا المبدأ بقدر ما أكسب لغته الفصحى جوانب فنية ترقى بها إلى الإبداع الفني المتميز الذي يلقى القبول لدى المتلقي .

ويستمر الكاتب في إيراد نصوصه السردية باللغة الفصحى ، لكنه في بعض الأحيان يعمد إلى قطع السرد ببعض الألفاظ العامية اليومية ، وربما كان توظيف الكلمة العامية داخل النص السردي ما هو إلا خاصية فنية اعتمد عليها الكاتب حتى يقطع الفعل السردي القائم على اللغة الفصحى وليتمكن الروائي استرداد أنفاسه ليواصل الفعل السردي الفصيح الذي ربما كان قد أرهقه ،يقول مثلا على لسان العيد الذي كان يسأل عم موعد القطار القادم من تقرت اتجاه قسنطينة وبعد أن تم طرده يقول في صوت مخفيا غضبه يقول :(سليم بتقة ، 2014، ص 25.24)

_ خفض القطار سرعته .. أدرك أنه دخل المدينة .. وقف يرى من خلال الشباك صف العمائر ... وصف الأشجار المقصوصة في الشارع المؤدي للمحطة وقد خلا تماما من المارة ...

_كانت الشمس تميل عن كبد السماء حينما دخل القطار المحطة ...

_كانت المحطة صاخبة مزدحمة وصاخبة عش نمل حقيقي ، يعج بالمسافرين ... وبين صراخ الباعة وزعيقهم يتوزع المتسولون يعرضون عاهاتهم ويتوسلون بالأولياء :

_آآآرجال بسكرة ...اعطوني ... حنو علي على وجه ربي

_صوردي ... بركة سيدي عبد القادر شايلة بيه...

ويستمر الكاتب أيضا في تصوير مشاهده الروائية التي تظهر جملة من الدلالات التي قصد من ورائها الإشارة إلى المدينة ، خاصة بعد ربطه بين ثنائية (الحلم والألم) ، فجاء الفعل السردي لديه مبني على أسلوب التضاد الذي له فعاليته في إظهار دلالة النص وجماليته يقول كذلك في مقطع سردي يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 07)

_ عند الاقتراب من واحة بسكرة وأنت قادم مساء من مرتفع بومنقوش ، يصادفك أول مشهد رائع بعد تجاوز المرتفعات ، تلك الأشعة الأخيرة من الشمس وهي تغرب ... بساتين النخيل الخضراء تظهر على خلفية حمراء ....

_ بسكرة في هذا المحيط القاسي من الصحراء ، جزيرة الخضرة ، حيث يبدوا كل شيء أكثر حيوية من أي مكان آخر ، سهوبا مغطاة بالأعشاب ، وبقعا مشجرة وحقولا مزروعة ....

ثم يستمر الكاتب في رسم فعله السردي لينقل لنا صورة أخرى عن مدينة بسكرة وهي الصورة التي تعبر عن الألم والخوف يقول في موضع آخر يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 167)

_ظلت بسكرة مدينة ميتة ، أشباح القناصة السينغاليين المدعمين بالجنود الفرنسيين لا تزال تطوف بالمدينة ...

ويقول كذلك : (سليم بتقة ، 2014، ص 168.163)

_ بسكرة في هذا اليوم أضحت مقبرة جماعية مفتوحة ، وساحة لتفعيل الجرم الاستعماري ... يحاول القناصة السينغاليون إضرام النار في بعض الأحياء .

_تنام مدينة بسكرة كل ليلة على جمر ناري ... وألسنة الغضب ترتفع فوق الأرض عاليا جدا ...لدرجة أنها أخفت النجوم ...تلك النجوم التي ظلت بريقها يضيئ الأمكنة والزوايا في خجل .

إن اعتماد الكاتب على اللغة الفصحى أظهر إذن جملة من الدلالات التي قصد منها الإشارة إلى نوعين من الدلالات ، ليكون النوع الأول دلالات تقترن بالشخصية الساردة ، والنوع الثاني دلالات تقترن بالحدث وتحيل إلى دلالات لصيقة بشخصية الحدث التاريخي ، فعلى الرغم من أن سليم بتقة قد تكلم باللغة الفصحى إلا أن ذلك لم يمنعه من تخليلها باللغة العامية أو لهجة أهل مدينة بسكرة ، والتي استعملها في أغلب حوارات الشخصيات التي تعيش حياة عادية مثل شخصية " العيد " و " مسعود " و " نانا هنية " و " بو لخراص " وغيرهم .

2_اللغة العامية :

على الرغم من اختيار الكاتب للغة العربية الفصـــحى في روايته ، إلا أنها قد تضـــمنت في مواقع عديدة على مقاطع من اللغة العامية ، بحكم ارتباطها باللهجات وبمختلف لغات الفئات الاجتماعية الموجودة في الواقع حتى تلك التي لا يُعترف بها على المستوى الرسمي .

تحضـر العامية إذن كشـكل لغوي أخضـعه الروائي للإفصـاح في أغلب الأحيان ، ودسـه بأشـكال متنوعة بين مضامين الفصحى ، في محاولة منه بالارتقاء بالعامي إلى مستوى اللغة الفصيحة ، ما جعل كل منهما يجاور الآخر ويتفاعل معه تفاعلا بناء.

تأسيسـا على ما سبق لقد شـكلت اللغة العامية لدى الروائي الجزائري سـليم بتقة معادلا موضـوعيا ضد محاولات اندثار الشخصية الجزائرية ، وكانت تعبيرا على تأكيد الهوية الوطنية ،كما عملت هي الأخيرة على تأدية دلالتها الوظيفية والموضـوعية داخل الرواية ،بحيث اسـتطاع الروائي أن يقدم لنا نموذجا يبدوا أثر اللغة العامية ومبرراتها النفسية وما ترمز إليه من التضحية والخلود_ فيه واضحا يقول في مقطع حواري دار بين شخصية " سي بوبكر " وشخصية " العيد " يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 72)

_السـلام عليكم عمي بوبكر ، السـيد سـيمون يسـلم عليك ، وقالي نخبرك بلي كون جيت لهيه في فرنسـا راك خدمت ساعة وين تلحق ساعة بيج بغ بن

_كاش ما جبت حاجة من عندي ؟ بصح شكون اللي يستعرف ؟

فالروائي سـليم بتقة إذن بتوظيفه للغة العامية على لسـان هذه الشـخصـيات نحى بها منحى دلاليا ، يظهر فنية النص وجماليته ، ففي نص آخر كذلك أجراه على لسان "مسعود " وشخصية " العيد " ، فيه تعبير عن عفويته وبســـاطته ،كما أنها حملت العديد من الدلالات التي صـــورت لنا تلك الروح التضامنية المشتركة بين الناس يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 64)

تعشيت خويا العيد ؟

بربوشة بالحليب ... الحمد لله .

راك عاطيها غير برابش بالحليب خويا العيد !!!

كون تخطينا المعيزة ... ملايكة الرحمن هذو يضيعو بالشر ...

الله غالب

_ هههههه فكرتني بصاحبنا اللي يكفر بنسيبو...

_ واش قصتو هذا ثاني ؟؟

فإذا كانت وظيفة اللغة العامية هي الكشف عن مكونات النظام الاجتماعي الواقعي الذي يعيشه الشعب ، ذلك المجتمع الذي أصبح يعيش فترة من فترات الصراع بين القيم القديمة الراسخة من ناحية والتطور الحضاري الذي يعززه ويفرض عليه تغيير بعض المفاهيم من ناحية أخرى ، فالروائي سليم بتقة ومن خلال هذا التوظيف يستمر في توظيف اللغة العامية في شكلها الحواري ، ليظهر مدى قدرتها على التعبير وعن وعيها الذاتي والحضاري ، يقول في موضع آخر خاصة بعدما أن تجلى اللفظ العامي في الرواية باعتباره الفاعل الدلالي الذي تنبثق منه الرؤيا الروائية يقول على لسان " العيد " بعد أن تعرض للضرب على وجهه من طرف أحد الجنود الأفارقة يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 129)

_ واش بيك البارح تعيط أنا تخلعت ؟

_نفس الحلم راه يجيني ... هذاك الكلب انتاع السينغالي الكف راه مازال يحرق فيا

_استهدى يا راجل...وكل ربي راه يجيبهالو ... بركة الأولياء والصالحين

_الجمرة هذي ما تطفاش حتى نجيبو الكلب بن الكلب .

لقد ضمن الروائي روايته هذه المقاطع العامية لما تضمنته من مواضيع مختلفة لها أبعاد نفسية واجتماعية ووطنية وحتى دينية ، يمكن اعتبارها مصادر ومراجع تاريخية ، فهي إذن تعتبر أغنى المصادر لاستكمال الصورة التاريخية ، وهي كفيلة بإلقاء الضوء على الأشخاص والأحداث التاريخية السائدة في ذلك الوقت .

لقد جعل الروائي العامية في أشـكالها المتعددة جسـر تواصـل على غرار ما قدمه على لسـان بعض الشـخصيات انعكاسا لحالة نفسية آلت إليها شـخصية من الشـخصيات التي وظفها في نصه الروائي ، فيقدم لنا سـليم بتقة نموذجا شـعبيا عكس صـراعا قويا الهدف منه تجسـيد الواقع المرير بسـبب همومه ومشاكله التي تعانيها بعض الشخصيات أمثال شخصية " مختار " يقول : (سليم بتقة ، 2014، ص 92)

يا صباح الخير يللي معانا ....
الكروان غنى وصحانا...
والشمس طالعة وضحاها ...
والطير اهي سارحة في سماها ...
يلا معاها يلا معاها .....

لقد جاء توظيف هذه المقطوعة تعبيرا كما قلنا سـابقا عن ظرف نفسـي لبطل الرواية ، فقد حافظ الكاتب على ألفاظ الأغنية حتى يحافظ على دلالتها وطاقتها التعبيرية واللغة الخاصة بها ، خاصة أن الرواية لها ارتباطا وثيقا بالذاكرة الشعبية ، فالروائي إذن ومن خلال الأغنية السابقة استطاع أن يحولها إلى صدى حقيقي تستقرئ الانكسارات المريرة تحت وطأت الاستعمار المستبد ، فحاول أن يرسم لنا صورة مخالفة لما عاشـته الذات الجمعية من قهر واسـتبداد ، فاسـتطاع الروائي باحترافية أن يُقيم نصـه على النقيض لكي تتماشى وتنسجم ومواقف الشخصيات ، وهكذا فقد جاءت معظم توظيفاته للعامية على شكل مقاطع تتنوع من ناحية الطول والقصر تماشيا مع ما يخدم أحداث الرواية وما يعكس بوضوح حضور التراث .

خاتمة :

وأخيرا يمكننا القول أن ما توصلنا إليه من خلال بحثنا هذا :

_ الكاتب سليم بتقة استطاع من خلال روايته التي استطاعت أن تتجاوز الشكل المألوف وتحررت من مركزيته ، ومارست خاصية الانفتاح على كل ما هو جيد .

_ استطاع الكاتب توظيف مختلف معارفه الثقافية والتاريخية والموروث الشعبي ليعكس الهوية الوطنية من خلال لغته وهذا ما زاد جمالا وروعة في معظم أعماله .

_ اعتمد الكاتب على اللغة الفصحى واللغة العامية في بناء نصه الروائي .

_الغرض من توظيف الذاكرة والتاريخ هو فهم الواقع ومحاورته في ضوء الماضي من أجل حضور الجديد في الرواية .

_ الذاكرة والهوية واللغة بمستوياتها المختلفة جزء مهم في الرواية ، حيث أحسن الروائي سليم بتقة استخدامها من خلال شخصيات روايته .

المراجع :

1. _باختين ميخائيل :1987، الخطاب الروائي ، ترجمة : محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، (دط) ، القاهرة ، مصر .
2. بتقةسليم: 2014 ،قداس الكاردينال، دار خيال للنشر والتوزيع ، (ط1) ، برج بوعريريج ، الجزائر ، .
3. بعلي حفناوي :2007 ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ،منشورات الاختلاف ، (دط) ، (دب) ، الجزائر .
4. تمام حسان ، 2006، مقالات في اللغة والأدب ،عالم الكتب ، (ط1) ، القاهرة ، مصر .
5. جودي نور السادات:2013 ، بلاغة التقابل في روايات عز الدين جلاوجي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث ، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي ،جامعة باتنة .

6. حسين فهد : 2016 ، مرجيات ثقافية في الرواية الخليجية ، بيت الغشام للنشر ، (دط) ، مسقط ، عمان .
7. حليفي شعيب : 2005 ، المتخيل والمرجع " سيرورة الخطابات" ، مجلة فصول، العدد 66، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .
8. الداوود عبد الله ناصـــر:2010 ، طقوس الروائيين" أين ومتى وكيف يكتب الروائيون" ،الملك فهد للنشر ، (ط1) ، الرياض ، السعودية .
9. دوفو فيليب: 2012 ،فكر اللغة الروائي ، ترجمة : هدى مقنص ، المنظمة العربية للترجمة ، (ط1)، بيروت ، لبنان .
10. ربابعة موسى :2008 ، جماليات الأسلوب والتلقي ، دار جرير للنشر ، (دط) ، عمان ،
11. الرياحي كمال : الكتابة الروائية عند واســـيني الأعرج ، المغاربية للطبع والإشـــهار،(دط)، تونس ،2009.

11_عبيد الله محمد ناصـر : 2013 ،الرواية العربية واللغة" تأملات في لغة السـرد عند نجيب محفوظ " ، دار أزمنة للنشر ،(دط) ، الأردن .

12_مرتاض، عبد الملك. (1990). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. عالم المعرفة.

13_مجموعة مؤلفين: 2013 ،اللغة والهوية في الوطن العربي ، المركز العربي للســـياســـات والأبحاث ، (ط1)، بيروت ، لبنان.

14_مجموعة مؤلفين : 2013 ،اللغة والهوية في الوطن العربي "إشـكاليات التعليم والترجمة والمصـطلح" ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،(ط1)، الدوحة ، قطر.

Religious Intertextuality in Sayyid Haidar al-Hilli

Omer faisel
Babylon Center for Studies
art.omer.faisel@uobabylon.edu.iq

Abstract:

The study included the effect of the values stored in religious intertextuality , and its spatiotemporal dimension , and also included an interconnected relationship in the text and its dimension in the context, and the extent of its effect on the poetry of Sayyid Haidar al-Hilli , as well as the union of the text and its dimensions; so that we can reach aesthetic values and their influential dimension due to the beauty of the style of the language and the text The study included the impact of intertextuality in Sayyid Haidar al-Hilli from several aspects; including grammatical, linguistic and rhetorical aspects in the diversity of strange vocabulary, and grammatical styles in the poet, as well as the impact of music, comma, and poetic meters inspired by his imagination and thought , which the poet gave new meanings, and included the image (metaphor) in, and the beauty of the style, as it possesses beautiful pictorial values. The aim of the study was to reach the impact of religious intertextuality with its various mechanisms in poetry, and to reveal its manifestations, and the extent to which it adds content, beauty, and suggestive images to poetry. The study adopted a descriptive and analytical approa The study concluded that the poet Sayyid Haidar al-Hilli benefited from intertextuality and communication with it, in various ways, including: Quranic and historical intertextuality , as well as the artistic phenomenon and subjective vision, so that his poetry acquired the characteristic of honesty, frankness and boldness .

The results reached by the study are: interest in the role of intertextuality ; as it is It is considered one of the important linguistic and stylistic phenomena in modern literary studies , and it is a primary means employed by the poet Sayyid al -Hilli to evoke religious and historical symbols , thus giving depth to his texts . The D Lali And after Intellectual , and this is what we wanted to highlight in the poetry of Sayyid Haidar al - Hilli , who is skilled in employing religious intertextuality to serve the intellectual and emotional issues of the nation , especially within the framework of expressing the religious and historical feelings associated with the Ahl al-Bayt, peace be upon them.

.Keywords:. intertextuality , poetry, Sayyid Haider al - Hilli

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

التناص الديني عند السيد حيدر الحلي
م.م عمر فيصل غازي
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
art.omer.faisel@uobabylon.edu.iq

ملخص:

احتوتِ الدّراسةُ أثرَ القيمِ المدّخرةِ في التّناصّ الدّيني، وبُعدها الزّماني، واحتوتْ أيضًا على علاقةٍ متداخلةٍ في النَّصّ وبُعده في السّياق، ومدى أثرُهُ في شعرِ السيّد حيدر الحلّي، وكذلكَ اتّحادُ النّصّ وأبعادهُ؛ لنتمكّن منَ الوصولِ إلى قيمٍ جماليّةٍ وبُعدها التّأثيري بسبب جمالِ أسلوبِ اللّغةِ والنّص تضمّنتِ الدّراسةُ أثرَ التّناص لدى السيّد حيدر الحلّي من عدّةِ جوانبٍ؛ منها النّحويّةِ واللّغويّةِ والبلاغيّة في تنوّعِ المفرداتِ الغريبةِ، والأساليبِ النّحويّةِ عندَ الشّاعرِ، وكذلكَ أثرَ الموسيقى، والفاصلةِ، والأوزانِ الشّعريّةِ المستوحاةِ منْ خياله وفكره، والّتي منحها الشّاعرُ دلالاتٍ جديدةً، وتضمّنتِ الصُّورة(المجاز) في، وجمال الأسلوب، كونهُ يمتلكُ القيمَ التَّصويريَّة الجميلةَ، وكانَ هدفُ الدّراسةِ هو الوصولُ إلى أثرِ التّناص الديني بمختلفِ آليّاتهِ في الشِّعر، والكشفِ عنْ تجلّياتهِ، ومدَى إضَافتهِ للشِّعرِ مضْمونًا، وجمَاليًّا، وصوَرًا موحِيةً، واتَّخذتِ الدّراسةُ منهجًا وصفيًّا تحليليًّا وتوصَّلَتِ الدّراسَةُ إلى إفادةِ الشّاعرِ السيّد حيدر الحلّي منَ التّناصّ، والتَّواصِلِ مَعهُ، وبأسَاليبَ متنوّعةٍ، منها: التَّناصُّ القرآنيُّ والتَّاريخيُّ، وكَذلكَ الظَّاهرةُ الفنيّةُ، والرُّؤيَةُ الذَّاتيّةُ، ليكتسبَ شِعرُهُ سِمةَ الصَّدقِ والصَّراحةِ والجُرأةِ.إنَّ النَّتائجَ الَّتي توصّلتْ إليهَا الدّراسةُ هيَ: الاهتمامُ بدورِ التُّناصّ؛ كونهُ يُعَدُّ من الظواهرِ اللغويَّةِ والأسلوبيَّةِ المهمَّةِ في دراسات الأدبِ الحديثِ، وهو وسيلةٌ رئيسةٌ يوظِّفها الشاعرُ السيّد الحلّي لاستحضار الرموز الدينيَّة والتَّاريخيَّة، فيضفي على نصوصهم العمقَ الدلالي والبعدَ الفكري، وهذا ما أردنا إبرازه في شعر السيّد حيدر الحلّي البارع في توظيف التناص الديني لخدمة قضايا الأمّةِ الفكريَّة والعاطفيَّة، لا سيما في إطار التعبير عن المشاعر الدينية والتاريخية المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام.

الكلمات المفتاحية: التَّناص، الشعر، السيد حيدر الحلّي

مقدمة:

لقد لعب التناص الديني دورًا جوهريًا في الشعر العربي على مر العصور، حيث كان وسيلة فعالة للتعبير عن المعاني الروحية، والتأكيد على المبادئ الدينية، وإبراز المواقف الفكرية والسياسية. وكان الشعراء يستخدمون النصوص الدينية كمصادر غنية للاستلهام، سواء من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو النصوص الدينية الأخرى، بهدف توجيه رسائلهم وتعزيز مضمون قصائدهم. وهذا ما يظهر جليًا في شعر السيد حيدر الحلي، حيث استطاع أن يستلهم من هذه النصوص ليجعلها جزءًا لا يتجزأ من نسيج قصائده، مما منحها قوة تعبيرية وجمالية خاصة.

يُعَدُّ السيد حيدر الحلي من أبرز شعراء القرن التاسع عشر الذين اهتموا بالشعر الحسيني، وقد تميزت قصائده بالحسّ العاطفي العميق والأسلوب البلاغي المتقن، حيث اعتمد بشكل كبير على التناص الديني كأداة فنية لتجسيد مواقفه الفكرية. لم يكن التناص في شعره مجرد استعارة للألفاظ أو العبارات، بل كان عنصرًا جوهريًا يساهم في بناء النصوص وتوجيه دلالاتها، مما جعله نموذجًا فريدًا في استخدام هذا الأسلوب الأدبي. فقد استخدم آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأحداثًا تاريخية ليعزز بها معاني قصائده، ويضفي عليها مزيدًا من العمق والثراء الدلالي.

المبحث الأول:

مفهوم التناص الديني وخصائصه

أولًا: تعريف التناص الديني

يُعَدُّ التناص من المفاهيم النقدية الحديثة التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الأدبية، حيث يشير إلى تفاعل النصوص الأدبية مع غيرها من النصوص السابقة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وقد طوّرت الناقدة جوليا كريستيفا هذا المفهوم في ستينيات القرن العشرين، مستندة إلى أفكار الناقد الروسي ميخائيل باختين حول الحوارية في النصوص الأدبية، حيث ترى أن أي نص هو في جوهره إعادة إنتاج لنصوص أخرى سابقة، مما يجعله كيانًا ديناميكيًا يتفاعل مع التراث الأدبي والفكري القائم .في سياق الأدب العربي، برز مفهوم التناص الديني باعتباره نوعًا خاصًا من التفاعل النصي، حيث يتجلى في استلهام الشاعر أو الكاتب للنصوص الدينية، مثل القرآن الكريم، والحديث النبوي، والأدعية، والسير الدينية، والتفاسير، وإعادة توظيفها في بناء النص الأدبي. ويظهر هذا التناص في أشكال متعددة، منها الاقتباس المباشر أو غير المباشر، أو

التلميح إلى أحداث دينية كبرى، أو محاكاة الأسلوب الديني لإضفاء دلالات روحية على النص(الجرجاني عبد القاهر. (2006), ص 112)

ثانيًا: خصائص التناص الديني

يتسم التناص الديني بعدد من الخصائص التي تجعله عنصرًا بارزًا في البناء الشعري، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

1.التفاعل النصي المباشر وغير المباشر

يتخذ التناص الديني في الشعر العربي شكلين رئيسيين: التفاعل المباشر، حيث يتم إدراج النص الديني داخل النص الشعري كما هو، مثل الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث نبوي دون تغيير، والتفاعل غير المباشر، حيث يتم توظيف مضمون النص الديني أو الإشارة إليه دون اقتباسه حرفيًا. في شعر السيد حيدر الحلي، نجد كلا الشكلين حاضرين بوضوح، إذ يعمد أحيانًا إلى الاقتباس المباشر من القرآن الكريم، كما في استخدامه للآيات التي تتحدث عن الظلم والجهاد، بينما يستلهم أحيانًا أخرى المضمون الديني بأسلوب غير مباشر من خلال الإيحاء بمعانٍ قرآنية أو تصوير أحداث مستوحاة من السيرة النبوية والتاريخ الإسلام(مبارك، محمد. (2013).,ص 92).

2. تعزيز المعاني الفكرية والعقائدية

يُعَدُّ التناص الديني وسيلة فنية فعالة للتأكيد على القيم الدينية وترسيخها في الوجدان الجمعي. ففي شعر الحلي، يتجلى التناص كأداة لبيان المظلومية التاريخية لأهل البيت عليهم السلام، وتعزيز الفكرة الحسينية القائمة على التضحية من أجل المبادئ. فعندما يستعين الشاعر بآية قرآنية تتحدث عن الصبر أو الابتلاء، فإنه لا يستشهد بها فقط كتأكيد ديني، بل يجعلها جزءًا من سياق شعري أوسع يعكس معاناة الإمام الحسين وأصحابه في كربلا(البستاني (2015, ص 55.).

3.لإثراء الجمالي والإيقاعي

يؤدي التناص الديني دورًا مهمًا في إضفاء جماليات خاصة على النصوص الشعرية، سواء من خلال جمالية الألفاظ المستمدة من النصوص المقدسة، أو من خلال التناسب الإيقاعي الذي تحدثه هذه الاستعارات

الدينية داخل بنية القصيدة. ويظهر ذلك بوضوح في شعر السيد حيدر الحلي، حيث يوظف العبارات القرآنية والحديثية بطريقة تتناغم مع الوزن والقافية، مما يمنح قصائده طابعًا موسيقيًا مميزًا يعزز التأثير العاطفي للنص.(العلوي، حسن. (2008)ص 130) .

المبحث الثاني

التناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي

أولًا: القرآن الكريم كمصدر أساسي للتناص

يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر الأول والأهم للتناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي، حيث شكّل حجر الأساس الذي استمد منه الشاعر معانيه وصوره واستعاراته. ولأن القرآن الكريم يمثل النص المقدس في الإسلام، فإن تضمينه في الشعر يمنحه بعدًا روحيًا ودلاليًا عميقًا، كما يضفي عليه شرعية دينية تعزز من وقع الرسالة التي يسعى الشاعر إلى إيصالها .اعتمد السيد حيدر الحلي على القرآن الكريم في قصائده الحسينية بشكل واضح، فاستلهم العديد من الآيات القرآنية التي تخدم موضوعاته المختلفة، خاصة في سياق رثاء الإمام الحسين ومظلوميته في واقعة كربلاء. وكان التناص القرآني في شعره يأخذ أشكالًا متعددة، منها:

1. الاقتباس المباشر: حيث يورد الشاعر آيات قرآنية بصيغتها الأصلية داخل القصيدة، إما في سياق التعليق على الحدث أو تأكيد فكرة معينة. ومثال ذلك اقتباسه من الآيات التي تتحدث عن الظلم وعاقبة الظالمين، ليؤكد من خلالها موقفه من واقعة كربلاء ويبرز الشرعية الإلهية لثورة الإمام الحسين(الزركشي، (2006) (ص 215).

2. التلميح والإشارة: في بعض الأحيان، لا يقتبس الشاعر الآية القرآنية بحرفيتها، بل يكتفي بالتلميح إلى معناها أو توظيف جزء منها ضمن سياق شعري أوسع. ومن أمثلة ذلك، استخدامه للمفاهيم القرآنية التي تتعلق بالصبر، والجهاد، والثبات على المبدأ، وإسقاطها على مأساة كربلاء.

3. المحاكاة والتضمين: أحيانًا، يقوم السيد حيدر الحلي بمحاكاة التراكيب اللغوية والأسلوبية للقرآن الكريم، بحيث يعيد إنتاجها شعريًا بأسلوبه الخاص، مما يجعل النص يبدو وكأنه امتداد للنص القرآني. وهذا النوع من التناص يمنح قصائده طابعًا جماليًا خاصًا، حيث يشعر القارئ أن النص الشعري يتماهى مع الخطاب القرآني.(الطاهر عبد الفتاح. (2014) ص 143).

إن توظيف السيد حيدر الحلي للقرآن الكريم لم يكن مجرد استدعاء لنص مقدس، بل كان وسيلة لإعادة قراءة الحدث الحسيني من منظور ديني، حيث يقدم كربلاء بوصفها امتدادًا للمبادئ القرآنية في مقاومة الظلم ونصرة الحق. وهكذا، أصبح التناص مع القرآن الكريم في شعره أداةً لتعزيز الرسالة العقائدية، وإضفاء قداسة على مضمون القصيدة، مما جعلها أكثر تأثيرًا في وجدان المتلقي. (الطاهر عبد الفتاح. (2014) ص 143).

ثانيًا: الحديث النبوي كمصدر للتناص في شعر الحلي

إلى جانب القرآن الكريم، كان الحديث النبوي الشريف من أهم المصادر التي اعتمد عليها السيد حيدر الحلي في شعره، حيث كان يستعين بكلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإضفاء مشروعية دينية على معانيه، ولتأكيد أحقية الإمام الحسين في ثورته. وقد كان الحديث النبوي حاضرًا في شعر الحلي بأشكال متنوعة، منها:

1. الاستشهاد المباشر بالأحاديث: حيث يورد الشاعر نصوص الأحاديث النبوية التي تتعلق بمكانة الإمام الحسين ومظلوميته، مثل الحديث الشهير: ''حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا''، والذي استخدمه الشاعر لترسيخ الارتباط بين النبي والإمام الحسين، وللتأكيد على شرعية قضيته.(جابر، عبد العزيز. (2017) ص 98).

2. التلميح إلى الأحاديث: في بعض الأحيان، لا يذكر السيد حيدر الحلي نص الحديث حرفيًا، لكنه يستلهم مضمونه ويعيد صياغته ضمن سياق شعري جديد، مما يجعل القارئ يستشعر العلاقة بين النص الشعري والنص النبوي. فمثلًا، عندما يتحدث عن التضحية في سبيل الله، فإنه يوظف معاني الأحاديث التي تتحدث عن الجهاد والاستشهاد دون أن يذكرها صراحة. (العلوي (2015) ص 165).

3. استخدام الأحاديث لتفسير الأحداث التاريخية: من أبرز أساليب الحلي في التناص مع الحديث النبوي، أنه كان يستخدمه لإعادة قراءة الأحداث التاريخية، وخاصة واقعة كربلاء. فكان يستعين بالأحاديث النبوية التي تتحدث عن الظلم والعدالة، ليبين أن ما حدث للإمام الحسين كان تحقيقًا لنبوءة النبي محمد عن مصيره، وأنه يمثل الامتداد الحقيقي للرسالة المحمدية .إن استخدام السيد حيدر الحلي للحديث النبوي لم يكن مجرد إضافة جمالية لقصائده، بل كان استراتيجية واعية تهدف إلى تعزيز قضيته وإقناع المتلقي بشرعية موقفه. فحينما يربط بين مأساة كربلاء وكلام النبي، فإنه يخلق إحساسًا بأن هذه الأحداث ليست مجرد وقائع

تاريخية، بل هي امتداد للرسالة الإسلامية، مما يجعل القضية الحسينية تتجاوز حدود الزمن لتصبح قضية أبدية تتكرر عبر العصور. (الأمين، (2003). ,ص 342).

ثالثًا: استلهام السير الدينية والتراث الإسلامي

بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي، كان التراث الإسلامي، وخاصة السير الدينية والأحداث التاريخية، مصدرًا مهمًا للتناص في شعر السيد حيدر الحلي. فقد استلهم العديد من المواقف التاريخية، لا سيما تلك التي تتعلق بحياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وأعاد توظيفها داخل سياق شعره الحسيني.

1 .التناص مع السيرة النبوية: استخدم الحلي أحداث السيرة النبوية لإبراز العلاقة بين الإمام الحسين وجده النبي محمد، حيث كان يستدعي مشاهد من حياة الرسول ليعقد مقارنات بين معاناته ومعاناة الإمام الحسين. كما كان يوظف قصص المواجهات التي خاضها النبي ضد أعدائه لتأكيد استمرارية النضال في خط أهل البيت.(الكرباسي، جواد. (2012),ص 121).

2. التناص مع قصص الأنبياء: في بعض قصائده، يستلهم السيد حيدر الحلي قصص الأنبياء التي وردت في القرآن والسنة، حيث يعقد مقارنات بين معاناة الإمام الحسين ومعاناة الأنبياء السابقين. فمثلًا، يستحضر قصة النبي يوسف ليربط بينها وبين مأساة الحسين، أو يوظف قصة النبي إبراهيم وابنه إسماعيل لتأكيد فكرة التضحية في سبيل الله. (كاظم،(2019). ص 88).

3. التناص مع الأحداث التاريخية الإسلامية: كان الحلي يستدعي بعض الوقائع الإسلامية، مثل معركة بدر، وصلح الحديبية، وفتح مكة، ليوظفها في سياق شعري يخدم قضيته. فمثلاً، قد يشير إلى عدالة النبي محمد في فتح مكة ليبرز التناقض بين سماحة الإسلام وما حدث في كربلاء إن استلهام الحلي للسير الدينية والتراث الإسلامي لم يكن مجرد عنصر زخرفي في قصائده، بل كان وسيلة لربط الحاضر بالماضي، ولإبراز استمرارية النضال في سبيل القيم الإسلامية. ومن خلال هذا التوظيف، نجح في تقديم صورة متكاملة عن مأساة كربلاء، حيث جعلها تتجاوز كونها مجرد حادثة تاريخية، لتصبح جزءًا من الصراع الأزلي بين الحق والباطل. (الصغير، (2016). ص 156).

الأساليب الفنية للتناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي

يتميز شعر السيد حيدر الحلي بأسلوبه الفني المتقن، حيث اعتمد بشكل كبير على التناص الديني كأداة تعبيرية تُثري المعنى وتعمّق الأثر العاطفي والفكري. وكان هذا التناص يتمظهر في بنيته الشعرية من خلال أساليب متعددة، مثل التوظيف المباشر وغير المباشر للنصوص الدينية، وأثر التناص على الصور الشعرية، ودوره في تشكيل الإيقاع الداخلي للقصيدة. وسنتناول فيما يلي هذه الأساليب بالتفصيل.

أولًا: التوظيف المباشر وغير المباشر للنصوص الدينية

1. التوظيف المباشر للنصوص الدينية

يُقصد بالتوظيف المباشر إدراج النصوص الدينية بشكل صريح في القصيدة، سواء من خلال اقتباس آيات قرآنية، أو الاستشهاد بالأحاديث النبوية، أو استخدام العبارات الدينية المأثورة. وقد كان السيد حيدر الحلي يوظف هذه الطريقة لتعزيز البعد الديني والشرعي لقصائده، وإضفاء قداسة على المضامين التي يطرحها.

أمثلة على التوظيف المباشر

• الاقتباس من القرآن الكريم: كان الحلي يستخدم الآيات القرآنية بشكل حرفي أو معدّل قليلًا داخل أبياته، خاصة عندما يريد التأكيد على فكرة مركزية مثل الصبر على الظلم أو عاقبة الظالمين. فمثلًا، عند الحديث عن واقعة كربلاء، كان يستعين بالآيات التي تتحدث عن عاقبة الطغاة أو عن الصبر في سبيل الله.(الأسدي، (2015)ص 132).

• الاستشهاد بالأحاديث النبوية: كان الشاعر يستعين بالأحاديث الواردة عن النبي محمد (ﷺ) التي تتعلق بمكانة الحسين، مثل حديث ''حسين مني وأنا من حسين''. وكان هذا التوظيف يخدم غرضين: الأول، تأكيد العلاقة القوية بين النبي والحسين، والثاني، إضفاء مصداقية دينية على ثورة الإمام الحسين.

• التضمين لعبارات دينية مأثورة: كان الحلي يقتبس عبارات مشهورة من الموروث الإسلامي، مثل الأدعية والزيارات، ويوظفها داخل سياقه الشعري لتعزيز الانفعال العاطفي لدى القارئ أو المستمع. (الأمين، (2009)ص 211).

2. التوظيف غير المباشر للنصوص الدينية

إلى جانب الاقتباس المباشر، كان الحلي يوظف التناص الديني بطريقة غير مباشرة، من خلال الإيحاء بمعاني قرآنية أو نبوية دون الاستعانة بالنص حرفيًا. وكان هذا النوع من التناص يتجلى في عدة أشكال، مثل:

• استخدام الصور والمفاهيم المستمدة من القرآن: كان الشاعر يعتمد على الرموز والمفاهيم القرآنية، مثل النور والظلام، والحق والباطل، والجنة والنار، ويوظفها في سياق شعري يعكس معاني مأساة كربلاء.

• إعادة إنتاج المعاني الدينية في أسلوب جديد: كان الحلي يستلهم المعاني الدينية الموجودة في النصوص المقدسة، لكنه يصوغها بأسلوب شعري مبدع، مما يجعلها تبدو وكأنها جزء من نسيج القصيدة.(البستاني، (2014)ص 76).

• استدعاء الشخصيات الدينية من دون ذكر النصوص: كان الشاعر يشير إلى الأنبياء أو الشخصيات الدينية المرتبطة بالإسلام، مثل النبي إبراهيم والنبي موسى، ليعقد مقارنات ضمنية بين مواقفهم وموقف الإمام الحسين.

أهمية الجمع بين التوظيف المباشر وغير المباشر

لقد أضفى هذا الأسلوب المزدوج على شعر الحلي عمقًا دلاليًا وجماليات لغوية، حيث جعل التناص الديني جزءًا أصيلًا من بنية قصائده وليس مجرد عنصر زائف مضاف. كما أن الجمع بين الاقتباس المباشر والتلميح غير المباشر ساعد في إحداث توازن بين الوظيفة الخطابية والوظيفة الجمالية للقصيدة، حيث تظل القصيدة محتفظة بقيمتها الأدبية رغم الطابع الديني القوي الذي يحكمها. (الجبوري، (2018). ص 145).

ثانيًا: أثر التناص الديني على الصور الشعرية في شعر الحلي

1. التفاعل بين التناص الديني والصورة الفنية

يتميز شعر السيد حيدر الحلي بقدرته على دمج الصور الشعرية التقليدية بالتناص الديني، مما أدى إلى تشكيل لوحات شعرية ذات بعد ديني وفني في الوقت نفسه. فالصور في شعره لم تكن مجرد أدوات بلاغية، بل كانت تحمل أبعادًا عقائدية تعكس مواقفه الفكر(حيدر الحلي، (2005). ص 88).

أنواع الصور المتأثرة بالتناص الديني

• الصور المستوحاة من القرآن: كان الحلي يستلهم بعض الصور القرآنية ويعيد توظيفها في سياقات حسينية، مثل تصوير الإمام الحسين على هيئة النبي يوسف في محنته، أو تشبيهه بالنور الذي يقهر الظلام.

• الصور الرمزية الدينية: كانت بعض الصور الشعرية مستوحاة من الرموز الدينية، مثل السيف، والكأس، والدم، والجنة، والنار، حيث كان يوظفها بأسلوب يجعلها تتجاوز معناها الحسي لتصبح رموزًا للصراع بين الحق والباطل.

• الصورة الحسية مقابل الصورة التجريدية: من خلال التناص الديني، كان الحلي يعمد إلى المزج بين الصور الحسية (مثل مشاهد العطش والسيوف) والصور التجريدية (مثل النور والظلام) لإحداث تأثير نفسي عميق على المتلقي(الدروبي، (2012)ص 94).

2.أثر الصور الدينية على التأثير العاطفي

كان التناص الديني في الصور الشعرية يزيد من التأثير العاطفي، حيث يجعل المتلقي يتفاعل مع القصيدة باعتبارها ليست مجرد عمل أدبي، بل تجربة وجدانية ودينية. وعندما يصوّر الحلي مأساة الحسين بأسلوب قرآني أو نبوي، فإنه لا يقدم مجرد وصف للأحداث، بل يجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش التجربة الدينية بكل تفاصيلها.(الزركشي، (2006)ص 253)

ثالثًا: دور التناص الديني في تشكيل الإيقاع الداخلي للقصيدة

1.تأثير التناص الديني على الإيقاع

يؤدي التناص الديني دورًا أساسيًا في خلق الإيقاع الداخلي في شعر الحلي، حيث تساهم الآيات القرآنية، والأحاديث، والعبارات الدينية المأثورة في إثراء الإيقاع الموسيقي للقصيدة. ويتمثل ذلك في:

• التكرار: كان الحلي يستخدم بعض الآيات القرآنية بشكل متكرر في قصائده، مما يخلق نوعًا من الإيقاع المتكرر الذي يعزز التفاعل العاطفي مع النص.

• التنغيم اللغوي المستوحى من القرآن: كان الشاعر يوظف التراكيب اللغوية ذات الإيقاع القرآني، مما يجعل النص الشعري يبدو وكأنه يتناغم مع الصوت القرآني.

• المراوحة بين الجمل القصيرة والطويلة: كان يستلهم الأساليب الخطابية في القرآن، حيث يوازن بين الجمل القصيرة الحادة والجمل الطويلة ذات الإيقاع الممتد، مما يخلق تفاعلًا صوتيًا داخل القصيدة.(السامرائي، (2017). ص 102).

2.أثر الإيقاع الداخلي على تجربة التلقي

عندما يقرأ المتلقي قصائد الحلي، فإنه لا يشعر فقط بجمالية النص، بل يستشعر تأثيرًا إيقاعيًا يذكّره بالخطاب الديني. وهذا ما يجعل شعره مؤثرًا ليس فقط على المستوى اللغوي، بل أيضًا على المستوى الروحي، حيث يتحول إلى نوع من الخطاب التعبوي الذي يخاطب العاطفة والعقل معًا(السعدي، (2013)ص 187).

رابعاً : تحليل نموذج شعري للحلي يبين آلية التناص في قصائده

1.اختيار القصيدة وتحليل مضمونها

من أبرز القصائد التي تجلّى فيها التناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي قصيدته المشهورة ''الله أكبر إن دين محمد''، وهي قصيدة رثائية كتبها في وصف مأساة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين وأصحابه. تتسم هذه القصيدة بغناها بالتناص الديني، حيث يستحضر فيها الشاعر القرآن الكريم، والحديث النبوي، وأحداث السيرة النبوية، مما يجعلها نموذجًا مثاليًا لتحليل كيفية توظيفه لهذا الأسلوب الفني. ويقول الحلي في القصيدة:

اللهُ أَكْبَرُ إنَّ دينَ مُحَمَّدٍ قَدْ صَارَ يُعْبَدُ عِنْدَ قَومٍ صَنَما
شَرَعُوا الظُبى فِي مَهْدِهِ وَكَبَّرُوا فَكأنَّهُمْ فِي ذَاكَ أَحْكَمُ مَنْ حَكَمْ
سَكَتُوا عَلَى كُفْرِ الطُّغَاةِ وَفِجْرِهِمْ وَعَلَى دِيَانَةِ آلِ أَحْمَدَ أَهْجُمَا
هُوَ دِينُهُ أَمْ قَدْ تَشَكَّلَ لِلطُّغَاةِ بِصُوَرَةِ الْإِسْلَامِ وَانْتَسَبُوا زُعَمْا؟
حَتَّى مَتَى هَذَا التَّحَلُّلُ فِي الَّذِي يُقْضَى بِحُكْمِ الدِّينِ صَرْفًا مُحْكَمَا
فَكَأَنَّمَا الْقُرْآنُ فِيهِمْ مُحْكَمٌ نُسِخَتْ شَرِيعَتُهُ وَأُحْكِمَتْ مَنْظُومَا
وَإِذَا الرَّسُولُ يَرَى مَجَالِسَ قَوْمِهِ فَإِذَا هُمُ قَدْ أَحْدَثُوا فِيهَا مَأْثَمَا
وَلَقَدْ رَأَى وَلَدَ الْوَصِيِّ مُجَدَّلًا بِالطَّفِّ مُعْتَفِرَ النَّجِيعِ مُخَضَّبَا
لَوْ كَانَ فِيهِمْ مُسْلِمٌ مَا أَقْدَمُوا عَلَى الْحُسَيْنِ بِحَيْثُ حَتَّى يُهْزَمَا
مَا ذَنْبُ آلِ مُحَمَّدٍ وَكِتَابِهِمْ إِنْ صَحَّ أَنْ يَجْنِي الْوَصِيُّ وَيُعْتَمَا؟
أَحَسِبْتَهُ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَحُكْمَهُ وَهُوَ الْوَرَعُ الْمُتَنَسِّكُ الْمُتَقَدِّمَا
مَا الدِّينُ إِلَّا عِزُّ نَفْسٍ أَوْ غَدًا تَبْكِي الْمَنَابِرُ وَالسُّيُوفُ وَتُلْطِمَا

تحليل التناص الديني في القصيدة

أ. التناص القرآني: يتجلّى التناص مع القرآن الكريم في هذه القصيدة بعدة أشكال:

1. استلهام التوحيد القرآني:

• بدأ الحلي قصيدته بـ ''الله أكبر''، وهو تعبير ديني قرآني متكرر في النصوص الإسلامية، حيث يشير إلى التكبير الذي يعبر عن عظمة الله، وهو من العبارات التي وردت في سياقات قرآنية متعددة.

• يتناص هذا المقطع مع الآية الكريمة:

'' فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ'' (محمد: 19)

حيث يعزز الشاعر مفهوم التوحيد، لكنه في ذات الوقت يعكس مفارقة مأساوية، وهي أن أمة النبي محمد تركت تعاليم الإسلام وعبدت السلطة والقوة كما يُعبد الصنم.(الطاهر، (2018) (ص 166).

2. الاستعارة من تصوير القرآن للصراع بين الحق والباطل:

• في وصفه لحال الأمة التي قتلت الإمام الحسين، يستخدم الحلي ألفاظًا تتقاطع مع آيات قرآنية تتحدث عن الذين استبدلوا الإيمان بالكفر، والذين يقدّمون أهواءهم على طاعة الله.

• على سبيل المثال، نجد تلميحًا إلى الآية الكريمة:

'' أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ'' (الجاثية: 23).

• حيث يُبرز الشاعر أن الظالمين لم يعودوا يتبعون دين محمد، بل أصبحوا يعبدون أهواءهم وسلطتهم كما يُعبد الصنم، في إشارة إلى بني أمية وسياستهم الظالمة. .(الطاهر، (2018) (ص 166).

ب. التناص مع الحديث النبوي

تظهر في القصيدة عدة إشارات للأحاديث النبوية المتعلقة بالإمام الحسين، ومن أبرزها:

1. حديث ''حسين مني وأنا من حسين:''

• يوظّف الحلي هذا الحديث ضمنيًا في عدة أبيات، حيث يستلهم فكرة أن الحسين يمثل امتداد الرسالة المحمدية، وأن قتله هو بمثابة طعن في قلب الإسلام نفسه.

• عندما يقول الحلي : دينُ النبيّ مُمَزَّقٌ بيدِ العِدى''

فهو يشير ضمنيًا إلى هذا الحديث، حيث يؤكد أن مقتل الحسين هو تدمير لرسالة الإسلام نفسها، تمامًا كما تنبأ النبي محمد.(العلوي، حسن. (2015)ص 135).

2. التناص مع الأحاديث التي تحذر من الفتن:

• يوظف الشاعر مضمون الأحاديث النبوية التي تحذّر من فساد الأمة بعد وفاة النبي، وانتشار الظلم، ليبين أن واقعة كربلاء لم تكن مجرد حدث عابر، بل كانت تحقيقًا لنبوءة النبي عن الفتن التي ستجتاح الأمة الإسلامية.

• يذكّرنا ذلك بحديث النبي:

" سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ"

• حيث يُسقط الحلي هذا المفهوم على مجريات كربلاء، ليجعل من الحسين نموذجًا للمقاومة في وجه هذه الفتن. (الكرباسي، (2012)ص 152)

ج. التناص مع السيرة النبوية

في القصيدة، يستدعي الحلي بعض المواقف التاريخية من حياة النبي محمد ليعقد مقارنات بينها وبين ما حدث في كربلاء، ومنها:

1. التناص مع هجرة النبي إلى المدينة:

• يشير الحلي إلى كيفية استقبال أهل المدينة للنبي محمد عندما هاجر إليهم، مقابل كيف طُرد الحسين من الكوفة وخذله أهلها.

• هنا، يقارن الحلي بين نصرة الأنصار للنبي محمد، وخذلان أهل الكوفة للحسين، مما يعمّق الجانب المأساوي للقصيدة (كاظم، (2019) ص 98).

2. استحضار موقف النبي مع الظلم:

• يشير الحلي إلى مواقف النبي محمد في مواجهة الطغاة والمستبدين، حيث يستدعي هذه المواقف ليؤكد أن الحسين سار على نفس الطريق، وأن قتاله ضد يزيد لم يكن إلا استمرارًا للجهاد النبوي ضد الظلم(المبارك، (2013) ص 174).

3.أثر التناص الديني على بنية القصيدة

• التناص أعطى القصيدة طابعًا خطابيًا ودعويًا، حيث جعلها أشبه بخطبة دينية تعبّر عن رؤية الشاعر لعلاقة كربلاء بالإسلام.

• التكرار لعب دورًا في تعزيز الأثر العاطفي، حيث ساهمت العبارات القرآنية والأحاديث النبوية في زيادة تأثير الأبيات على المتلقي.

• الإيقاع الداخلي تأثر بالتراكيب الدينية، حيث حافظ الحلي على نمط التراكيب الخطابية المستوحاة من أسلوب القرآن والحديث.(الناصري، سعيد. (2010). التناص: المفهوم والآليات والتجليات. دار الفكر العربي. (ص 142) .

الخاتمة

بعد استعراض ظاهرة التناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي، وتحليل مظاهره المختلفة وأثره في تشكيل بنية النصوص الشعرية، تتضح عدة نتائج أساسية تساهم في تعميق فهمنا لهذا الأسلوب الأدبي في الشعر العربي.

أولًا، أظهرت الدراسة أن التناص الديني ليس مجرد تقنية أسلوبية عابرة، بل هو عنصر جوهري يشكل نسيج القصيدة ويعكس رؤية الشاعر الفكرية والعاطفية. فالسيد حيدر الحلي لم يكتفِ باستحضار النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي والتاريخ الإسلامي، بل أعاد تشكيلها وإدماجها في سياق شعري جديد يحمل رؤيته الخاصة. وقد استخدم التناص الديني بأشكاله المختلفة، سواء كان اقتباسًا مباشرًا أو تلميحًا أو تضمينًا أو محاكاة للأسلوب القرآني والحديثي. وكان لهذا الاستخدام أثر واضح في تعزيز البعد الدلالي والرمزي للقصائد، مما أضفى عليها عمقًا فكريًا وروحانيًا.

ثانيًا، أكدت الدراسة أن التناص الديني في شعر الحلي لم يكن مجرد أداة تعبيرية، بل كان وسيلة لتأصيل مواقفه الفكرية والاجتماعية والسياسية. فقد وظف النصوص الدينية لإبراز مظلومية الإمام الحسين وأهل البيت، وإضفاء الشرعية الدينية على ثورته ضد الظلم والطغيان. وبهذا، أصبحت قصائده تحمل بُعدًا خطابياً يتجاوز الجانب الفني، لتمثل رؤية سياسية ذات صدى قوي في عصره. كما أن استلهامه للقرآن الكريم والأحاديث النبوية والمرويات التاريخية جعله قادرًا على خلق تفاعل مع المتلقي، حيث يستدعي مفاهيم دينية مألوفة ويعيد توظيفها في سياق معاصر يخدم أغراضه الشعرية.

ثالثًا، بينت الدراسة أن التناص الديني أثر بشكل واضح على البنية الإيقاعية للقصيدة، إذ ساعد على خلق إيقاع داخلي متماسك يتناغم مع الخطاب الديني الموجه للجمهور. فاعتماد الحلي على التكرار والاستشهاد

بالنصوص المقدسة أضفى على قصائده بُعدًا إنشاديًا، مما جعلها أكثر تأثيرًا في المتلقي، خاصة في إطار الشعر الحسيني الذي يهدف إلى استثارة العاطفة وتحفيز المشاعر الدينية.

أما على مستوى الصور الشعرية، فقد تبين أن التناص الديني عزز من جمالياتها وساهم في تشكيل صور رمزية تحمل دلالات عميقة. فقد استلهم الشاعر صورًا من القرآن والسنة والموروث الديني، ودمجها في سياقات تعكس معاني الفداء والتضحية والصبر والعدل، مما أكسب نصوصه طابعًا تراجيديًا يمتزج بالروحانية والوعظ.

وفيما يخص انعكاسات الدراسة على فهم التناص في الشعر العربي، فإن البحث يوضح أن التناص ليس مجرد استدعاء للنصوص السابقة، بل هو عملية تفاعل ديناميكي تُعيد تشكيل المعنى وتمنحه أبعادًا جديدة. فشعر الحلي يمثل نموذجًا متقدمًا لكيفية توظيف الموروث الديني في بناء خطاب شعري متماسك، حيث لم يقتصر على الاقتباس السطحي، بل انخرط في عملية إعادة إنتاج للنصوص الدينية ضمن سياق شعري متميز. وهذا يفتح المجال لدراسات مستقبلية حول دور التناص في تشكيل الهوية الأدبية للشعراء، ومدى تأثيره على وعي المتلقي وتفاعله مع النص.

كما أن هذه الدراسة تُسهم في توسيع فهمنا لآليات التناص في الشعر العربي الحديث، حيث يُمكن الاستفادة من نتائجها في تحليل تجارب شعراء آخرين وظّفوا التناص الديني بطرق مختلفة. فبينما نجد أن بعض الشعراء اعتمدوا التناص لإضفاء بعد روحاني على قصائدهم، استخدمه آخرون كأداة احتجاج سياسي أو كوسيلة لإعادة قراءة التاريخ من منظور نقدي.

في الختام، يثبت البحث أن التناص الديني في شعر السيد حيدر الحلي لم يكن مجرد أسلوب فني، بل كان ركيزة أساسية في تشكيل رؤيته الفكرية والجمالية. فقد نجح في خلق نصوص شعرية تفاعلت مع الموروث الديني بأسلوب إبداعي، مما جعله من أبرز شعراء الرثاء الحسيني في القرن التاسع عشر. ويوفر هذا البحث قاعدة علمية يمكن الانطلاق منها لدراسة أشكال أخرى من التناص في الأدب العربي، سواء أكان دينيًا أو أدبيًا أو أسطوريًا، مما يثري مجال الدراسات الأدبية والنقدية حول هذه الظاهرة.

المصادر والمراجع :

1. الجرجاني، عبد القاهر. (2006). دلائل الإعجاز في علم المعاني (تحقيق: محمود شاكر). دار المدن

2. الزركشي، بدر الدين. (2006). البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار المعرفة .
3. الحلّي، حيدر. (2005). ديوان السيد حيدر الحلّي (تحقيق: حسن الأمين). دار الأندلس .
4. الأمين، حسن. (2009). معجم الشعراء الحسينيين. دار التعارف
5. حمادة، فاطمة. (2017). المرجعية الدينية في الأدب العربي: دراسة في التناص. دار النهضة العربية
6. حجازي، عبد الرحمن. (2012). التناص في النقد الأدبي العربي الحديث. دار المعرفة الجامعية .
7. حسن، ناصر. (2014). التناص في الشعر العربي القديم: دراسة في التفاعل النصي. دار اليمامة .
8. زيدان، يوسف. (2009). جذور التناص في الأدب العربي: دراسة نقدية تحليلية. دار النهضة العربية
9. الطاهر، أحمد. (2018). التناص الديني في الشعر العباسي: دراسة نقدية. دار ابن رشد .
10. الكرباسي، جواد. (2012). التناص الديني في الشعر الحسيني: دراسة تحليلية. دار الأمل .
11. الناصري، سعيد. (2010). التناص: المفهوم والآليات والتجليات. دار الفكر العربي .
12. المبارك، محمد. (2013). التناص في الشعر العربي القديم والحديث. دار الروافد الثقافية .
13. الأسدي، عبد الهادي. (2015). جماليات التناص في الشعر العربي. دار الفكر العربي .
14. السعدي، محمد. (2013). التأثيرات الدينية في الشعر العربي عبر العصور. دار الجيل
15. الجبوري، خليل. (2018). التوظيف الفني للنصوص الدينية في الشعر العربي. دار الروافد
16. السامرائي، محمود. (2017). التناص في الشعر العربي الحديث والقديم. دار النهضة العربية

Temporality in the Poetry of Al-Sharif Al-Bayadhi - A Semantic Study

Furat Hussain Mahdi
General Directorate of Education in Najaf
sdgtgjh@gmail.com

Abstract :

The Importance of Poetry is deeply connected to time and place, reaching the point of complete intertwining between the poet's innermost thoughts and the outside world. It demonstrates the extensive use of time images within a single text, as the past, present, and future blend into a single, cohesive structure, expressing poetry's transcendence of the structures of time to integrate them together. As for place, in terms of its importance in poetry, it is considered a space of artistic connotations common in Arabic literature, both ancient and modern, because it possesses tools that influence and inspire the poet's psyche. Through it, psychological or intellectual concerns can be expressed. These connotations are not merely a geometry the poet uses to construct his text, but rather an aesthetic characteristic stemming from a personal experience in which place is a necessary element.

Keywords:. For the poetic text, with the words of place and time, long and simple poetry.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الزمكانية في شعر الشريف البياضيّ – دراسة دلالية

م. د. فرات حسين مهدي
المديرية العامة لتربية النجف الأشرف
sdgtgjh@gmail.com

ملخص:

يرتبط الشعر بالزمان والمكان ارتباطا عميقاً ، يصل لحد التشابك الكامل بين مكنونات الشاعر والعالم الخارجي، فهو يظهر الاستعمال المكثف لصور الزمن في النص الواحد، إذْ يتلاحم الماضي مع الحاضر والمستقبل في بنية واحدة متماسكة، تعبر عن اجتياز الشعر لبنى الزمان لدمجها معاً ، , أما المكان من حيث أهميته في الشعر فيعَدُ فضاءً من الدلالات الفنية الشائعة في الأدب العربي قديمه وحديثه ؛ لأنهُ يملك من الأدوات ذي التاثير والإيحاء في نفس الشاعر ، فمن خلاله يمكن التعبير عن هواجس نفسية أو فكرية ، وهذه الدلالات ليستْ

هندسةً يستعين بها الشاعر في بناء نصه ، بل سمةً جمالية تنبع من تجربة ذاتية يكون المكانُ فيها عنصراً لازماً من عناصرها .

الكلمات المفتاحية: النص الشعري , ابلفاظ المكان والزمان , الشعر الطويل والبسيط .

مقدمة:

النص الشعري كما وصفه باختين بأنهُ بنيةٌ قائمةٌ على التداخل والتفاعل بين أصوات وأساليب وخطابات، وهذا التفاعل بين هذه العناصر يجعل الشاعر رهينةً لذاكرة مكتظة بالقلق حيال الزمن فيظهر الصراع الدينامي بين دلالة النص والزمن بأشكاله المتنوعة.(ينظر: يوسف المطلبي,1986 :13)

ويرى (**هانز جادمير**) أنّ دلالة النص أكثر توهجاً وعمقاً كلما ارتبط الزمن بالنص , بحيث ترتبط حركية الدلالة مع حركية الزمن، ويغدو النص الشعري منطلقا للخارج ، والنص الأكثر دهشة الذي تكون دلالته مفتوحة ومتصلة مع العلاقات الزمنية (.نفسه: 27)

وهنا يتبين فاعلية الزمان في تحريك فضاء النص ودلالته ، ويصبح فيها عنصراً بارزاً من عناصر الكشف عن المعاني الخفية والجديدة ، وكشفه عن علاقة الشاعر بزمنه الذاتي والشعوري الذي لايمكن أنْ نجده مستقلاً عن تجربة الشاعر، أي النظر إلى العالم من خلال الذات **الشاعرة (ينظر : عبد الرحمن بدوي ، 1955: 97)**, من ذلك قوله (**الشريف االبياضي,2019م : 57**) : [البسيط].

آهاً على ليلة جاد الزمانُ بها فعادلتْ كلما أفنيتُ من عمري
كأن الحبيبَ نديمي في دجنتِها إلى الصباح بلا خوفٍ ولاحذرِ
كلامهٌ الدرُ يغني عن كواكبِها ووجُههُ عوضٌ فيها عن القمرِ
فبينما أنا أرعى في محاسنهِ سمعي وطرفي إذ أنذرت بالسحر
فلم يكنْ عيبُها إلا تقاصرُها وأيُّ عيبٍ لها أشنى من القصرِ ج

تدور الأبيات حول سياق الزمن المتحور(بالليل) فجاء متناثراً في أبيات القصيدة ، الذي وضح قصدية الشاعر الدالة على الحسرة والتوجع ، من خلال لفظة (آهاً) التي ردت على امتناع الوصال أو انعدامه كلياً ، فالشاعر يحاول من خلال خطابه أنْ يستذكر لحظات الوصال التي انعدمت ، فيرتكز على الزمن الماضي الذي جسده أنسياً نديماً، ومخبراً عن تجربته ، وهذا الاتكاء على الزمن الماضي ، يريد به استنطاق التجربة التي يشعر بها كموقف شعوري ، الذي بدا به مضطرباً ، فاتضح بالضدين (الطول والقصر) ، وهنا يظهر

الليل أشد ارتباطاً بمشاعر الألم والحسرة ، ونحن نعلم بأنّ الليل هو سمةُ من سمات الوجع الدائم ، الذي يسكبُ به الشاعر لوعته وعزلته التي تتجول في أخاديده ، فالتماثل في أجزاء الليل غيرت في انفعالات الشاعر الذاتية ، وزادتْ من تعكر وتوجع شعوره النفسي المكتئب ، فأصبحت أجزاء الليل الزمن كلها جزءاً من مخيلة الشاعر وحدثاً وجدانياً حزيناً .

فالأديب قادر على أن يسقطَ تجربته من خلال الزمن ، ليكونَ المقصود أوضح للمتلقي وأرسخ في ذهنه ، فضلا عن إعطائه طابعاً إيحائياً ، يدرك تفاصيل الصورة المنتقاة ، والملازمة لحركة الزمن, ومثلها شاكيا (**ينظر : الديوان : 35**) [البسيط].

ياليلةً نبهتْ عينُ الحبيب لنا
وقد سقاني بها من خمرِ ريقته
ونحنُ نبكي حذاراً من تفرقنا من نومها وأنامتْ أعينَ الرُقبا
إنْ ردكَ الدهرُ لي لمْ أشكُه أبداً كأساً أدار لها من ثغره حبُبا
وخيفةَ أن يكونَ الصبحُ مُقتربا
مما ينوبُ ولو أعرى بي النُوبا

المتأمل في الأبيات يراها تتوشح بلواعج الذكرى والألم من خلال حزمة من الانفعالات التي اختزنها الشاعر، بأسلوب شفاف تفوح منها رائحة الشجن والشوق ، فالشاعر في أبياته يحاول نقل تجربته التي يشعرُ بها نقلاً حياً أكثر إيحاءً وتأثيراً , تأنس به نفوس السامعين لأنّ جمال الصورة وحسيتها يكمنُ في تداعيها في ذهن المتلقي بتأثيرها الوجداني ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي (جابر عصفور , 1992م : 31)فيحشدها الشاعر بقوله: (الليل سقاني بكأسِ الخمر) الذي أعانه في ديمومة الانفعال في صورته فيشرك الليل معه مستأنساً بنشوى السهر ولذته ، ليلُ لم يغب عنه فشاركه في همهِ وإنفعاله , وهنا يبتغي تهويل الحدث الخيالي فيتخذ من الليل أنيساً ، ليبث شكواه وبيان ذاته المتقهقرة من الداخل ، ثم يستعين بعد ذلك بالاستعارة المكنية ، عندما عمد الشاعر إلى تجسيم المحسوسات (الدهر) واستعار لها لغة وحديثاً ، وهي من صفات الإنسان التي تتمتع بها النفوس وتأنس ، فالصورة التي شكلها الشاعر وإنْ

كانت صورة تراثية مألوفة كثيرة التداول عند الشعراء، إلا إنَّه حاول أن يسقطَ مشاعرَهُ ، بإدخاله عامل الزمان من خلال دلالة (الليل الصبح ، الدهر) المتفاعل مع تجربته ، فأسهمت في إبداعها وميزت ملامحها التامة الدقيقة. . ومثلها أيضاً قوله(**ينظر : الديوان : 50**) [الطويل]

وقد ركدتْ في بحر حندسها غَرقى
أقول لصحبي والنجومُ كأنها فهلْ أرينَ للصبح في ذيله فُتقا
أرى ثوبَ هذا الليل لايعرفُ البلى

علاقة الشاعر البياضي بالزمن علاقة وطيدة لها أبعادها النفسية في وجدان الشاعروفي هذه الأبيات يستند على قافية الألف الممدودة ، ليعطي لنفسه الحرية الكاملة في الكشف عن تجربته فقافية المد الطويلة تهب النص طاقة صوتية للتعبير عن حالة الانفعال ،مخاطباً فيها صحبه وجاعلاً من نجوم الليل شاهداً على ذلك الإحساس بعد ان غرقت في ظلمة الليل الدامس , وبذلك شكلت القافية المدّية دورها الأنيق في رفد النص بإيقاع منسجم مع التجربة الشعورية .

لقد أتاحت لنا الصورة بلونيها(التجسيم والتشبيه) متمثلاً ب(ثوب الليل)والتشبيه وغرق النجوم ببحر من الظلمة أنْ نفهم تجربة الشاعر , وندخل إلى عالمهم الخاص ورؤية لحظات تجاربهم التي عاشوها ، فكانت بمثابة الطرف المكمل للتجربة الإبداعية ؛ لأنَّ بث الحياة في عناصرها الطبيعية ومنحها صفات البشر يؤدي إلى التوهج الانفعالي لدى الشاعر والمتلقي ، الذي بدوره يذيب الفوارق والحواجز بينهما ومثلها أيضاً قولها (**الديوان : 57**): [مجزوء الكامل]

إنَّ الذين عشيةً رحلوا فعلوا بهذا القلب مافعلوا
حتى لقد أصبحتُ بعدهم أحدوثة بصرتْ بها المُثل
ويغردُ الحادي بذكرهم فتحن عند سماعه الأبلُ

يختص الزمن هنا بالعشية فيذهب الشاعر إلى دمج تجربته معه , لبث شكواه فيستند على مجموعة الأفعال الماضية والمضارعة (فعلوا – رحلوا – يغرد) ، فهو راضٍ بما كسب من الدنيا من خلال فعل الماضي (رحلوا , فعلوا) الذي حمل معنى التضاالهجر والأسى الذي تركوه فعل الأحبه حتى صار احدوثة بألسن الناس والمتحدثين ، فأعانه في إيصال تجربته فضلاً عن حمله معانٍ فنية تعمل على شد المعنى وجذب المتلقي ، فاختياره لهذا اللون من الأفعال كان يريد إيضاح الحالة النفسية الخاصة به لاغير ، ، فالشاعر يستنجد بالزمن مع دلالة الفعل الماضي والمضارع الذي يدل على عظم الأسى والشوق المستمرين ، والغوص بالأفكار والتراكيب اللغوية يهدف في إيصال تجربته إلى المتلقي ، فالشاعر بخياله قادر على ربط الحركة الوجدانية ولحظات الزمن ، مشكلاً حدثاً إبداعياً يتكشف من خلالهما العناصر النفسية والوجدانية للشاعر؛ لأنَّ الزمان بكل أبعاده يعدُ السبيل الذي نلج به إلى النص الشعري، والكشف عن أسراره ومدلولاته.

ومن هذا يتبين أَنَّ ألفاظ الزمان التي استعملها الشاعر شكلت فضاءً في جوهر الرؤية الشعرية ومحركاتها ضمن القصيدة ، وحققت التحاماً وجدانياً ،كشفت من خلالها الألفة الإبداعية التي تجمع بينهما ، والزمن النفسي الذي شهدناه في أبيات الشاعر لم يردْ عبثاً في تجربته بل كان أداةً مؤثرةً وضحت بها حالات الشجن والحزن والسعادة ، التي يمر بها الشاعر ، فشكلَ الزمنُ باعثاً وإيقاعاً نفسياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتجربة الشاعر النفسية .ومنها قوله : (**الديوان : 98**)

[الطويل]

ولذ سهاد الـليل عندي وأنه لمرُّ وطاب الدمع لي وهو مالحُ

وطال عليّ الليلُ حتى لقد بكت على الفجر أطيار الصباح الصوادحُ

تدور الأبيات حول سياق الزمن المتحور(بالليل) فجاء متناثراً في أبيات القصيدة ، الذي وضح قصدية الشاعر الدالة على الحسرة والتوجع ، الممزوج كاياً مع دمع العين وهو دليل على كثرة البكاء التي ردت على امتناع الوصال أو انعدامه كلياً ، فالشاعر يحاول من خلال خطابه أنْ يستذكر لحظات الوصال التي انعدمت ، فيرتكز على الزمن الماضي

(طال – بكت) الذي جسده أنسياً نديماً، ومخبراً عن تجربته ، وهذا الاتكاء على الزمن الماضي ، يريد به استنطاق التجربة التي يشعر بها كموقف شعوري ، الذي بدا به مضطرباً ، فاتضح بالضدين (المر والطيب) ، وهنا يظهر الليل أشد ارتباطاً بمشاعر الألم والحسرة ، ونحن نعلم بأنّ الليل هو سمةُ من سمات الوجع الدائم

، الذي يسكبُ به الشاعر لوعته وعزلته التي تتجول في أخاديده ، فالتماثل في أجزاء الليل غيرت في انفعالات الشاعر الذاتية ، وزادتْ من تعكر وتوجع شعوره النفسي المكتئب ، فأصبحت أجزاء الليل الزمن كلها جزءاً من مخيلة الشاعر وحدثاً وجدانياً حزيناً .

فالأديب قادر على أن يسقطَ تجربته من خلال الزمن ، ليكونَ المقصود أوضح للمتلقي وأرسخ في ذهنه ، فضلا عن إعطائه طابعاً إيحائياً ، يدرك تفاصيل الصورة المنتقاة ، والملازمة لحركة الزمن ومنها قوله(**الديوان : 49**)[الرمل]

حبذا الليلُ الذي أسهرني في هوى منْ هُنَّ عن ليلي رقودُ

الشاعر في بيته يحاول عن يثني على الممدوح (الليل) من خلال استعمال فعل المدح (حبذا) ، وهنا الشاعر يحاول أن يستند في تجربته على إيراد الزمن الماضي (اسهرني) ، وهذا يعني أن الشاعر قد ركن إلى الواقع الحضوري، باستعماله الزمن الماضي ، ثم يعمد إلى إشراك الصور البديعية في تجربته، ممثلا بالثنائية (السهر – الرقود) ، وكل هذه الضدّيات شكلت صوراً معنوية لألفاظ الزمان الممزوجة بالتجربة الشعورية ، التي يكنها لممدوحه وبهذا يأخذ المجاز دوراً إيحائياً في مزجه مع لحظات الزمن. **ومنها قوله شاكياً**(**المصدر نفسه : 54**) : **[الطويل]**.

شكا القلب ظلمته في الحشا إليَّ فأسكنتَ فيه بـدورا

فأضرمت النار عند النزول وقالت أزيد على النار نورا

الشاعر قادر على تطويع اللغة وجعل ألفاظها تسير بما تريد تجربتُهُ ، من خلال الشكوى التي يبثها المنسجمة مع تجربته ، ثم يتكأ على المجاز(التشخيص) (القلب) فبادله الشكوى والأنين ، فالليل باقٍ على حاله , لكنَّ الشاعرَ أطالة زمنه من خلال تجربته الحزينة ، ثم يحاول زيادة التأثير فيركن إلى صورة رائعة مصوراً حالته النفسية ، فذلك الشعور بدا جلياً من خلال النار المشتعله بقلبه ، فأخرج بالمعنى من نطاقه الضيق إلى نطاق أوسع للتأثير في المشاعر والعواطف **ومثلها أيضاً قوله شاكياً** (**الديوان : 56**):**[البسيط]**.

لا أنزلَ الدهرُ يوماً ثوب عافية منه ولاغيرتْ أيامهُ الغيرُ

كثف الشاعر دلالة البيت من خلال الابتداء بالدهر لتأكيد أهميته ، فيؤطره بقالب فني استعاري مشخصاً إياه ، فيحول دلالته المعنوية غير الفاعلة إلى فاعلة من خلال نثره للأعمار أي أَنَّ له سلطةً مطلقةً في إحداث الأثر ، فالشاعر يبتغي زيادةَ فاعلية الصورة وحركتها , باستعماله للفعل الماضي (انزل) وألصقها

بالدهر ، فأعطى للنص جمالية أخرى بدلالة حركية مثلت استمرار الدهر في حركته وحيويته ، ولاينفك الشاعر في الحديث عن الدهر إلا أن يحقق ما يريده ويبتغيه من خلال صيغة الدعاء المرتبط بالنفي (**لا أنزل**) فكان وراءهُ بواعث خفية تمّكنت في نفسيته الكئيبة , جاعلاً منه مفتاحاً لتجربته، فينوع في دلالته ويربطه بالزمن الماضي فمرة يأتي ب(الدهر) وأخرى (الأيام) وهذا يؤكد رغبته في إحياء الذكرى واسترجاع الماضي ، فالزمن يحيي به شعوراً باطنياً دائماً فنجده في النص يستحضر الزمن الشعري الوجداني بغية الاقتراب من عالمه الداخلي.

فالشاعر يشعرُنا من خلال تقنية الزمن الممزوج مع التجربة النفسية ، أنهُ حاضرُ مع مَنْ يحب ، حتى وأنْ بعُدتْ المسافاتُ بينهما ، فأكسب النص بعُداً وجدانياً وفنياً مؤثراً ومثمراً على مستوى البناء والتركيب لإيصال الحالة الحسية والنفسية.ومثلها أيضاً قوله شاكياًك: [الطويل]

تخافيتُ عني حيث جئتكك زائراً تخافي منْ لايستحب حضوري
فما الليلُ إنْ طللتَ فيه بمظلمٍ ولا البدرُ إن قابلتهُ بمنيرِ

الشاعر في أبياته يبرز صفات الممدوح من خلال الألفاظ النائبة عن الزمان (الليل) ، وهنا الشاعر يحاول أن يستند في تجربته على إيراد الزمن الماضي (طللتَ) وفيها ابتعاد عن أقرانه من الشعراء المعاصرين ، الذي يتكأ على الفعل المسند إلى الزمن الماضي ، وهذا يعني أن الشاعر قد ركن إلى الواقع الحضوري، باستعماله الزمن الماضي عوضاً عن الحاضر ، ثم يعمد إلى إشراك الصور البديعية في تجربته، ممثلا بالثنائية (الظلمة والنور ، وكل هذه الضدّيات شكلت صوراً معنوية لألفاظ الزمان الممزوجة بالتجربة الشعورية ، وبهذا يأخذ المجاز دوراً إيحائياً في مزجه مع لحظات الزمن ، فيتشكل زخماً دلالياً وتعانقاً شعورياً لايمكن الإفلات منها ، فالزمن الممزوج بالعاطفة والشعور، زمن منفتح على رؤى جديدة محتدمة تكشفها دلالة النص، سواء أكانت مدلولات يشوبها الحزن أم السرور

ومن هذا يتبين أَنَّ ألفاظ الزمان التي استعملها الشاعر البياضي شكلت فضاءً في جوهر الرؤية الشعرية ومحركاتها ضمن القصيدة ، وحققت التحاماً وجدانياً ، كشفت من خلالها الألفة الإبداعية التي تجمع بينهما ، والزمن النفسي الذي شهدناه في قصائد الشاعر لم يردْ عبثاً في تجربتهم بل كان أداةً مؤثرةً وضحت بها

حالات الشجن والحزن والسعادة ، التي يمر بها الشاعر ، فشكلَ الزمنُ باعثاً وإيقاعاً نفسياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتجربتة .

ثانياً / ألفاظ المكان

يعد إفلاطون أول مَنْ صرح بمفهوم المكان إذ عده : ((حاوياً وقابلاً للشيء ، الذي يمكن أن ندركه عن طريق الحركة والتنقل من مكان إلى آخر)) (**غاستون بلاشير ، 2000م: 115**)،كما أتفق على هذا المفهوم عند أرسطو بقوله :((المكان موجود مادمنا نشغله ونتحيز به))(**ينظر : نفسه : 123**) والمكان من حيث أهميته في الشعر فيعَدُ فضاءً من الدلالات الفنية الشائعة في الأدب العربي قديمه وحديثه ؛لأنه يملك من الأدوات ذي التاثير والإيحاء في نفس الشاعر ، فمن خلاله يمكن التعبير عن هواجس نفسية أو فكرية ، وهذه الدلالات ليستْ هندسةً يستعين بها الشاعر في بناء نصه ، بل سمةً جمالية تنبع من تجربة ذاتية يكون المكانُ فيها عنصراً لازماً من عناصرها .

والشعراء عامة يلجأون إلى عنصر المكان ، للإفادة من دلالته بتوضيح الفكرة وإبراز المعنى **(ينظر: صادق حسين كنيح ، 2008 : 207**) والشعر كما نعلم عبارة عن تشكيل فنيّ من عناصر مختلفة ، يكون المكان أحد تلك العناصر المشكلة لبنيته ، أي أنهُ تشكيلُ قائمُ على تلاحم العلاقات بين عناصر مختلفة في سياق فنيّ واحدٍ بحيث لايبدو أحداً نشازاً .(**ينظر: فتحية كلحوش ، ، 2008 :61**)

وإذا تتبعنا دلالة المكان في الشعر العربي ، نجد له جذوراً عميقةً في تجارب الشعراء ووجدانهم ، فصيروها مفتاحاً لقصائدهم بوقوفهم على الطلل والدمن وديار الأحبة ، بل كانَ عنصراً ذاتياً ينطلق منه للكشف عن تجاربهم ؛ لأنّ الشاعرَ يحس بوجود كيانه وانتمائه إلى بيئته بل يعدهُ السلطة التي لايمكن الإفلات من قيدها ومن قول **أمرىء القيس (ديوان أمرىء القيس, 1984 : 47)** :[الطويل].

ترى بُعرَ الأَرآم في عرصـاتها وقيعانِها كأنَّهُ حَبُ فلُفــُلِ

فالشاعر يرى في دلالة المكان (الأطلال) سبيلاً لذكرى الأحبة ، فهو يشعر بكيانه وذاته من خلالها ، ومنهم من يراها في خياله بعد أنْ غادرها عنوةً ، محاولاً الانجذاب إليها بذكرياته كقول **النابغة الذبياني(ديوان النابغة الذبياني,2019م : 89)** [البسيط].

يادارَ ميةَ بالعلياء فالسند أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبد
وقفتُ فيها أُصيلاناً أُسائلها عيتْ جواباً وما بالربع من أحد

وقول **طرفة بن العبد (ديوان طرفة بن العبد : 33)**. : [الكامل].

لخولةَ أطلالُ ببُرقةَ ثهـمدِ تلوحُ كباقي الوشـم في ظاهر اليد

الشاعران كابدا جراح المكان والبعد عنه ، بعد أن غادراه ، فوجدا في الخيال وسيلة تذكرهم بالأحبة والخلان ، ومن الشعراء من يطيل وقوفه على أعتاب تلك الديار واصفاً إياها من ذلك قول(**زهير بن أبي سلمى** ديوان زهير بن أبي سلمى : 47): [الطويل].

وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفتَ الدارَ بعد توهمِ
ودارُ لها بالرقمتين كأنَّها مراجيعُ وشمٍ في نواشرِ معصمِ

الشاعر في ذلك العصر يرى في الأمكنة المشهورة جزءاً من تجربته وثقافته ، وفضاءً لبث همومه ، بل شاهداً على مكابدته وأشجانه ، ويعده آخرون الصلة التي تربط ذاته بذات الجماعة فضلاً عن كونها بُعداً جمالياً يكشف من خلالها الشاعر قدرته في تحويل دلالات المكان إلى وسيلةً تقريب للمتلقي لمعرفة خلجاته والعيش مع لحظاته .

وإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي والأموي ، فإنّنا نجد تغيراً فكرياً وحضارياً في تعاطي الشعراء مع المكان ، ونجمَ هذا التغيّر من دخول الشعراء إلى الإسلام وتحول البيئة البدوية إلى الحضرية , مما أدى إلى تحول في

التجربة الشعرية ، فبرزت ملامح التغيير في الملامح الشكلية والبنائية ، وما ينسجم مع التعاليم الدينية الإسلامية ، فهَجرَ كثيرُ من الشعراء بعضَ القواعد والمضامين الشعرية التي وروثوها من أسلافهم ، لكنَ الأمر اختلف في العصر الأموي فإنا نجد لها صدىً في نتاج الشعراء العذريين ، ولاسيما عند جميل بثينة وعمرو بن أبي ربيعة ، محاولين الرجوع إلى طلل المكان والدمن وأثره في محاكاة التجربة الشعرية . ومنها قول **جميل بثينة:**(ديوان جميل بثينة : 177) [الطويل].

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَ ليلةً بوادي القُرى أنيّ إذن لسعيدُ

وعلى هذا النهج يسير الشاعر البياضي متغزلاً (خريدة القصر, 1971م: 2/ 86): [الوافر] .

إذا هبتْ لهُ نسماتُ وجدٍ يعيشُ لقربها ميت البعاد
أحبُ القربَ من سكانِ نجدٍ وإنْ طابوا نفوساً بالبـــــــعاد

الشاعر وظف الأسلوبي الشرطي المتحقق ب(إذا) مع الفعل الماضي , الذي كما نعلم هو يحمل ماتوقع حصوله في المستقبل من الزمان خدمةً لتجربته وإحساسه ، وهذا دليل على تجسيد مشاعر الحب التي يقابلها الصد والهجر من الحبيب ، وهنا حققت أداة الشرط وفعلها الشرط تقابلاً في إيضاح ملامح التجربة الشعورية ، فجاء جوابها مقروناً بالإجابة المتحقق بصورة التضاد في شطري البيت (قربها – البعاد)، وهذه التقنية في إيضاح التجربة لاتحقق إلا من خلال الشرط كونه أداة لربط الجملتين (الشرط وجوابه) ، وهنا يتعلق الحدث الوجداني في ذهن المخاطب من دون انفصال

ومثل ذلك الشعور نلحظه بقوله(**الشريف االبياضي,2019م :298**) :[البسيط].

دعِ الوقوف على الأطلال والدمنِ فليس ينفعُ مسكونُ بلا سكنِ
أما ترانيَ لا أثني على طللٍ بعد الفراقِ ولا آوي إلى وطن
وكيفّ يأنسُ قلبي بالديار وقد أصابَ فيها الردى مَنْ كانَ يؤنسني
لله مَنْ لعبتْ أيدي المنونِ بهِ ضناً بما فيه أنْ يبقى على الزمن

إنّ نقطةَ التحول في الأبيات تتميز من خلال التحول الذي صنعه الشاعر بوقوفه على الأطلال والأمكنة واسترجاع الذكريات إلى الابتعاد والنفور عنها ، من خلال استعمال الفعل (دع) وفي رأيّ الباحث أن الشاعر يسعى لكسر المألوف والنزوع إلى ذاته ، فهو لايريد اللجوء للبكاء والإكثار منه؛ لأنهُ في رأيي سئِمَ من انهزامه أمام الطلل البالية ،كأنه يريد أنْ يوصل تجربته الوجدانية بمعزل عن الطلل والديار ، ولاريب في أن مشاركة الشاعر للصورة التشخيصية
(يد المنون) ، قد أفاده في تصوير مشاعره بعيداً عن ذلك الطلل ، لذلك نرى في تشخيص المعنويات يفضي إلى خلق علاقات جديدة ، ترتقي إلى مستوى التأثير والإيحاء , ومنه قوله في موقف آخر (**الشريف االبياضي,2019م :299**) [الطويل].

خليليّ مرّا بالعراق منادياً ألاَ مَنْ رأى قلباً من الوجد خاليا
فإنْ أنتما أعييتما في ابتغائه ولمْ تجداه فأبغيا ليّ ناعيا

أبيات الشاعر تقوم على المكان المفتوح (العراق)، فالشاعر متعلق بذلك المكان وباقٍ بوجدانه من خلال ندائه (خليلي) المحذوف حرف ندائه ، وهي سمة طالما رسخت في خيال الشعراء ألفِناها في قصائدهم ، فالنص يحمل شعوريّن متناقضّين ، عاطفة مشحونة ببصيص أملٍ يترقب به لقاءً، وعاطفة الضياع والبعد وفقدان الأمل باللقاء ، وكلا العاطفتين (الأمل والضياع) ارتبطت بالمكان ، فأفرزت حزناً وأسى في وجدان الشاعر.

لذلك نرى من الطبيعي أن تحرك الرغبة النفسية التي يمتلكها الشاعر أمام (المكان) إلى طاقة تعبيرية يكون فيها الطلل (المكان) فضاءً واسعاً لإيقاظ تجربته ، وهذا التحرك بائن من خلال عاطفة الحزن والأسى أو اللقاء التي لامناصَ في الانفصال عنها ، فهي باقية راسخة في وجدانه فيقول متغزلاً (الديوان: 258).
: [الكامل].

عيّ الفؤادَ بها عن الصدر
دارُ برحبة جامع القصرِ مكحولةَ اللحظاتِ بالسحر
لحظتْ بها عيناي جاريةً ويريكَ مَلمَسها سنا الفجر

صقراً يُحلى السمن بارعه

الصورة الحسية هي طريقة خاصة من طرق التعبير, تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير **(ينظر : جابر عصفور,1992 : 323)**. ،فالشاعر في حالة شجن ومشاعر مرهفة ، وهو يقف على أطلال المعشوقة ، فيعتمد على الصورة البصرية (لحظت بها عيناي)(يريك ملمسها سنا الفجر) فيحاول أن يشرك الطبيعة في مغازلة الحبيبة(السحر ، الفجر) , وهذا دليل على إثارتة مناخاً يشعرك بالتئام نفسي وروحي مع الحبيب بإطار موحد ، القصد منها لفت الانتباه إلى طبيعة المعنى في عرضه وأسلوبه ، من خلال استناده على الصورة التشبيهية ، عندما شبه مرة بعيني الصقر وأخرى بضوء الفجر ، فكل هذه العلاقات والوشائج التي اختارها الشاعر لرسم ملامح المحبوبة التي انسجمت مع التجربة النفسية للشاعر .ومنها قوله (الديوان: 97): [الكامل].

ولقد ذكرتُكَ في السفينة والردى متوقعٌ بتلاطم الأمواجِ
وعلى السواحل للأعادي عسكرٌ يتوقعون لغارة وهياجِ
وعلتْ لإصحاب السفينةِ ضجةٌ وأنا وذكرك في ألذ نتاجِ

المتأمل في الأبيات تتوشح بلواعج الذكرى والألم من خلال حزمة من الانفعالات التي اختزنها الشاعر بأسلوب شيق شفاف ، تفوح منها رائحة الشجن والشوق ، فالشاعر في أبياته يحاول نقل تجربته التي يشعرُ بها نقلاً حياً أكثر إيحاءً ، وتأثيراً تأنس به نفوس السامعين معتمداً على توكيد بالتقديم ، فاستعمل في البيت الثاني تقديم الجار والمجرور(على السواحل) على المبتدأ (عسكر)، محققاً الانسجام والتشويق في الحدث ، ويخصص المشهد الوصفي بعناصره التذكارية فقط ، فأسهمت في إبداعها , وميزت ملامحها التامة الدقيقة المتفاعلة مع المكان الذي اختاره (السفينة والسواحل).ومنها قوله ايضاً. [الوافر]

إذا ذهبتْ له نسماتُ وجد يعيش لمرها ميتَ البعاد
أحبُّ القرب من سكان نجدٍ وإن طابوا نفوساً بالبعاد

الشاعر يرى في الأمكنة المشهورة جزءاً من تجربته وثقافته ، وفضاءً لبث همومه ، بل شاهداً على مكابدته وأشجانه ، , فضلاً عن كونها بُعداً جمالياً يكشف من خلالها الشاعر قدرته في تحويل دلالات المكان إلى وسيلةً تقريب للمتلقي لمعرفة خلجاته والعيش مع لحظاته , فالمكان يترك أثراً حزيناً في تجربة الشاعر ، فيحاول التعبير عن عاطفته بكلّ ما تحمله خلجاته من عاطفة الحنين إليه ، فيعتريه الأسى والوجد كلما حام على بَعُد أو قُرب منه ، والشاعر يحثُّ الخطى إلى نجد ممتدحاً المحبوبة وساكن الديار مستحضراً بعض المشاهد التي سكنتْ وجدانه فغابتْ فتشوق إليها ، فكانت تلك الأمكنة خير وسيلة يستعملها الشاعر لتمنحه القول الرقيق الحزين، ويؤكد ذلك الأسى في نفسه فيحاول استعمال التضاد (القرب – الباعاد) في القصيدة ، بغية إظهار عاطفة الحزن والتأثير المختزن في وجدانه لتلك الديار التي لم يعد يراها ، وهذا التكرار حمل امتداداً في الزمن واستمراره في نفس الشاعر وعاطفته الحزينة ومثلها أيضاً قوله (المصدر نفسه : 110) **[البسيط]**

مالي أعللُ نفسي بالوقوف على منازلٍ أقفرت منكم وأطلال
قد بدلت صامتاً من ناطق لسنٍ ونافرٍ عاطلاً من أنسكم حالي

يحاول الشاعر الركون إلى الجمادات فيذهب بالمكان المقفر ليجعله شخصاً يخاطبه لتحقيق غاية نفسية مخاطباً إياه ، ومستفهماً بالاداة (ما) التي خرجت للتعجب ، في معانقة شعورية مع تجربة الشاعر، الذي يبدأ متسائلاً عن تلك الديار ، لكن لم يبقَ فيها ما يسعدني ويفرحني سوى الحجرِ والترابِ ، حتى أن نحيبي الشديد وبكائي بدا غيرُ نافعٍ على الأحبة وديارهم . فالشاعر قادر على أن يفرغ عاطفته النفسية وربطها بالمكان ، فيزيح الغموض والضبابية التي تكتنف تلك الرسوم ، ومحدداً إطارها الفني في مخيلته **ومثلها أيضاً قوله(المصدر نفسه : 78): [الوافر]**.

سروراً للعراق فتى يباري قضيب البان قامته اعتدالاً
يقابل شمسها فترى قميراً ويلحظ بدرها فترى هلالا
رمى عن قوس حاجبيه فؤادي بألحاظ تزين له نصالاً

الشاعر فبدا مهموساً بمكان الحبيب (العراق) الذي عده متنفساً للتعبير عما يشعر به من ألم ولوعة ، ، وهو دليل على الارتباط الروحي بذلك المكان ،)، لكنَّ الشاعر أسقط شعوره عليها , ثم يعمق ارتباطه النفسي بالمكان ، فيقف مُتحسراً بعد أن فقد فيه الأحبة والشباب، فعنصر المكان يؤكد حضوره

النشط في تجربة الشاعر النفسية ، فضلاً عن تحركه الحُر بما يتلاءم ولحظات وخلجات الأسى والحزن التي يشعر بها الأديب.

لذلك يتضح لنا من خلال المقاطع الشعرية أَنَّ المكان بكلّ ألوانه ضرورة فنية ملازمة في عملية إنتاج النص ، فاختيار المكان وربطة بالعملية الوجدانية , يظلُّ جزءً من تقنية فنيةٍ في بناء النص ، فضلا عن كشفه عن المضمرات الفنية والتحولات الدلالية التي يصعب الولوج إلى دلالتها إلا من خلال عناصره ، فالشعور بالمكان كان ولم يزل ترجمةً للبواطن الشعورية العميقة التي طالما بقي المكان فيها عنصراً أساسياً في تشكيلها وإيضاح جمالها الفني .

خاتمة البحث

1- يأتي البحث لإيضاح ألفاظ الزمان ، الذي ارتبط بالحنين إلى الماضي

2- ، فحاول الشاعر أن لا يصف الزمن في ثباته أي في لحظة معينة، بل يصفه من حيث هو تحول زمني أو تحول الإنسان وصيرورته من حالة إلى أخرى، حيث يستحضر الشاعر الماضي عبر الاستذكار والحلم، ويعيد معايشته من جديد ، على المستوى الشعري،

3- تداخل الزمن الماضي والحاضر والحلم والواقع ، بالحنين والشوق المهيمن على قصائد الشعراء,

4- وأما المكان فكان كاشفاً عن الخطاب والرؤية النفسية ، التي تنصهر في تجربة المكان والحنين إليه ، فهذه الرؤية التي لا تعترف بغير مكان الألفة والحبيب والأهل، يظل به الشاعر دائماً متصلاً بالمكان الأول اتصالا وجدانياً وعاطفياً ,

فجاء التعبير عن الأمكنة عفوياً له بعده النفسي الذي يحاكي التجربة والوجدان المرتبط بالزمن الماضي المعتمد على الذكريات ، كما لمسنا استعمال بعض الشعراء المكان الرمزي في محاكاة تجاربهم مثل الديار الخربة والصحراء والقبور.

المصادر والمراجع

- ✓ فتحية كلحوش ،(2008م) بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري مؤسسة الانشار العربي ، بيروت ، ط 1،.
- ✓ غاستون بلاشير ، 2000م . جماليات المكان ، ترجمة ، غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ط5 ،

عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله (ت ٥٩٧هـ) (1971م) خريدة القصر **وجريدة العصر. تحقيق: آذرتاش آذرنوش.**

- ✓ ديوان الشريف االبياضي , جمع وتحقيق ودراسة , فهد نعيمة البضاني ,دار الأمل , سوريا , دمشق , ط1 , 2019
- ✓ ديوان النابغة الذبياني 1963م, تحقيق كريم البستاني دار صادر بيروت.
- ✓ أَمْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت ٥٤٥ م) (2002م), ديوان أمرىء القيس , لناشر: دار المعرفة – بيروت.
- ✓ ديوان جميل بثينة : د ت , دار صادر بيروت .
- ✓ زهير بن أبي سلمى, ديوان زهير بن أبي سلمى
- ✓ طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت ٥٦٤ م) ٢٠٠٢ م,ديوان طرفة بن العبد المحقق: مهدي محمد ناصر الدين
الناشر: دار الكتب العلمية
الطبعة: الثالثة -
- ✓ الزمن الوجودي ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط2 ، 1955م .
- ✓ الزمن واللغة ، يوسف المطلبي .
- ✓ ، جابر عصفور (1992م) الصورة الفنية,المركز الثقافي العربي
- ✓ لغة الشعر الاندلسي في عصر الخلافة ، د صادق حسين كنيح ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، بغداد ، ط2 ، 2008م .

Cognitive Metaphor and Artificial Intelligence

Prof Chenene Kouider.

Univ msila/ Algeria

kouider.chenene@univ-msila.dz

Abstract:

If generative AI can understand the metaphorical intent behind a prompt or produce outputs that effectively utilize metaphors, this could lead to more creative and expressive AI applications. The focus on AI's ability to learn from data, and thus the possibility of training AI models on data containing metaphorical language and its underlying cognitive structures, suggests a viable approach to incorporating cognitive metaphor. By exposing AI systems to large datasets of metaphorical language, they may be able to learn patterns and mappings that reflect human metaphorical thinking.

Keywords: cognitive . metaphor; artificial intelligence; generative AI; big data for language…..

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي

الأستاذ؛ د: شنان قويدر.
كلية اللغات والآداب جامعة المسيلة/ الجزائر
kouider.chenene@univ-msila.dz

ملخص:

إذا كان بإمكان الذكاء الاصطناعي التوليدي فهم النية الاستعارية وراء المطالبة أو إنتاج مخرجات تستخدم الاستعارات بشكل فعال، فقد يؤدي ذلك إلى تطبيقات ذكاء اصطناعي أكثر إبداعاً وتعبيرًا, كما يشير التركيز على قدرة الذكاء الاصطناعي على التعلم من البيانات ومن ثمة إمكانية تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي على بيانات تتضمن لغة استعارية وهياكلها المعرفية الأساسية ليكون نهجاً قابلاً للتطبيق لدمج الاستعارة الإدراكية. من خلال تعريض أنظمة الذكاء الاصطناعي لمجموعات بيانات كبيرة من اللغة الاستعارية، قد تمكنه من تعلم الأنماط والتعيينات التي تعكس التفكير الاستعاري البشري.

كلمات مفتاحية: الاستعارة؛ الإدراكية؛ الذكاء الاصطناعي؛ التوليدي؛ بيانات ضخمة للغة....

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي

أولا. مقدمة:

يحتل المجاز اللغوي مكانة جوهرية في ثراء اللغات الإنسانية وقدراتها التعبيرية, فقد أدرك الإنسان منذ القدم أهمية المجاز لما يضفيه على الكلام من اتساع في المعاني ودقة في التعبير، وتتجلى أهميته في كونه من صميم علم الجمال اللغوي البلاغي والعلوم اللغوية على حد سواء. يصنف المجاز(فارس, 1973: 50/2) ضمن علم البيان في البلاغة العربية، مما يؤكد مكانته التقليدية في الدراسات البلاغية.

إن التقدير المبكر للمجاز(الفيروز أبادي,2005: 221/3) من قبل البحاثة العرب يشير إلى فهم عميق للغة التصويرية كجزء لا يتجزأ من التواصل الفعال، وهو موضوع لا يزال يتردد صداه في النظريات اللسانية الحديثة. كما أن تصنيفه ضمن علم البيان يؤكد أهميته في الدراسة التقليدية للبلاغة.

المجاز في اللغة (الفيومي,1987: 143/1) يعني التجاوز والتعدي, وتتضح هذه الدلالة اللغوية في الجذر "جاز " الذي يشير إلى السير والعبور وتجاوز المكان, يرتبط المجاز بفكرة" الجواز والتعدية"، مما يدل على انحراف عن المعنى الأصلي للكلمة, يكشف التحليل اللغوي أن الفكرة الأساسية للمجاز تنطوي على خروج عن الاستخدام القياسي أو الحرفي، وهو مفهوم أساسي لفهم جميع أشكال اللغة التصويرية (الزناد,2010: 202) .

ثانيا. **تحولات في المنظور**: شهدت البلاغة الحديثة تحولًا في نظرتها إلى الاستعارة. فقد رأى أرسطو أن الاستعارة هي إعطاء اسم يدل على شيء لشيء آخر عن طريق النقل، مع التركيز بشكل أساسي على الأسماء (ارسطو, فن الشعر:187). بينما أكد الجرجاني على أن المعنى اللغوي الأصلي معروف ثم يستخدم في سياق غير أصلي، على غرار الاستعارة (الجرجاني,2014: 27), ويشير أبو هلال العسكري إلى أن البلاغة هي كل ما يبلغ به المعنى قلب السامع بشكل فعال ومقبول (العسكري,1984: 15, إدريس,2011: 187-198), وهو مفهوم أوسع يشمل الاستعارة. وقد اتسع نطاق البلاغة في العصر الحديث ليشمل

اللسانيات، والتداولية، والحجاج، ودراسات الإعلام (شوكت,2021: 8-21) ، مما يوفر سياقًا أوسع لفهم الاستعارة (عطية,2023: 7-12, الزناد,2024: 146) .

ثالثا. تأثير اللسانيات الإدراكية: أثرت اللسانيات الإدراكية بشكل كبير على فهم الاستعارة. فقد أكدت على المكانة الهامة للاستعارة في الفكر اللغوي المعاصر، حيث تعتبر ضرورية للغة والإدراك (احرابيا,2025: 43-53), وقد قدم لايكوف وجونسون نظرية مفادها أن وظيفة الاستعارة تتجاوز الجماليات اللغوية لتشمل التفكير والإدراك (لايكوف وزملاؤه,2009: 21, وينظر, عزيزي,2021: 2101-2114), وتناقش الدراسات الحديثة قراءة الاستعارة في ضوء الإدراك المعرفي (صابر: 1-28)، مما يشير إلى تأثير اللسانيات الإدراكية. كما يعتبر كتاب" الاستعارات التي نحيا بها "للايكوف وجونسون حجر الزاوية في نظرية الاستعارة التصورية.

1.3 الاستعارة أساسية للفكر واللغة: تؤكد نظرية الاستعارة التصورية للايكوف وجونسون (الزناد,2010: 85-136) أن الاستعارة ليست مجرد أداة لغوية بل هي جانب أساسي من الفكر الإنساني، تشكل الطريقة التي نفهم بها المفاهيم المجردة من خلال الخبرات الملموسة.

2.3 العلاقة بين المجاز اللغوي والاستعارة (الفيروز أبادي, 2005: 221/3): تعتبر الاستعارة نوعًا محددًا من المجاز اللغوي، حيث تقوم العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي على المشابهة, والمجاز ينقسم إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي، وينقسم المجاز اللغوي بدوره إلى استعارة ومجاز مرسل, يتميز المجاز المرسل بأن العلاقة بين المعنيين ليست علاقة مشابهة, إن التمييز الواضح بين الاستعارة والمجاز المرسل، بناءً على طبيعة العلاقة، يسلط الضوء على الطبيعة المحددة للغة الاستعارية ضمن الفئة الأوسع للغة التصورية (لايكوف وزملاؤه,2009: 25) .

رابعا. الربط والتجسير بين الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي: يشهد العصر الراهن اهتماماً متصاعداً بالذكاء الاصطناعي وقدرته على محاكاة جوانب من الذكاء البشري. في هذا السياق، يظهر مجال الاستعارة الإدراكية، بوصفها أداة قيمة يمكن أن تثري فهمنا وتطويرنا لأنظمة الذكاء الاصطناعي، خاصة في المجالات التي تتطلب فهماً للغة الطبيعية والتفاعل الشبيه بالبشر. تسعى هذا الورقة إلى استكشاف العلاقة

المعقدة بين هذين المجالين، مع التركيز على كيف يمكن لمبادئ الاستعارة الإدراكية أن تعزز قدرات الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة، وفهم المفاهيم المجردة، وتحسين التفاعل بين الإنسان والآلة. إن فهم الطريقة التي يستخدم بها البشر الاستعارات لتشكيل أفكارهم والتعبير عنها يمكن أن يوفر رؤى حاسمة لتصميم أنظمة ذكاء اصطناعي أكثر ذكاءً وبديهية.

خامسا. المفاهيم والمبادئ الأساسية للاستعارة الإدراكية: تقوم الاستعارة الإدراكية على فكرة أن فهمنا للمفاهيم المجردة أو المعقدة غالباً ما يتم من خلال ربطها بمفاهيم أكثر واقعية أو محسوسية, هذه العملية، المعروفة باسم الاستعارة المفاهيمية (بونوفا,2013: 215) أو الإدراكية، ليست مجرد أداة لغوية تستخدم لأغراض بلاغية أو شعرية، بل هي آلية معرفية أساسية تشكل طريقة تفكيرنا وإدراكنا للعالم, على سبيل المثال، فهمنا لمفهوم الوقت غالباً ما يتم من خلال استعارة المكان، حيث نتحدث عن "الأيام القادمة" أو "تجاوزنا أصعب الأوقات" .

تعتبر نظرية الاستعارة الإدراكية، التي وضعها جورج لايكوف وزملاؤه (لايكوف وزملاؤه,2009), أن نظامنا المفاهيمي متجذر في التفكير الاستعاري، حيث يتم فهم الأفكار المجردة أو المعقدة وهيكلتها من خلال تجارب أكثر واقعية وتجسيدًا (السابق: 25, والزناد,2017: 15-70), هذه النظرية لا تقتصر على الظاهرة اللغوية فحسب، بل تمتد لتشمل الفكر والفعل، مما يشير إلى أننا لا نستخدم الاستعارات في اللغة فحسب، بل ندرك ونتصرف وفقاً لها, يتضمن النموذج الأساسي للاستعارة الإدراكية مجالين مفاهيميين رئيسيين (بونوفا,2013: 41-43, والزناد,2017: 301):

أ- المجال المصدر؛ وهو المجال المفاهيمي الذي نستمد منه التعبيرات الاستعارية مثل ("الحروب رحلة في المجهول").

ب- والمجال الهدف؛ وهو المجال المفاهيمي الذي نحاول فهمه مثل ("الحرب").

إن عملية الربط بين المجال المصدر, والمجال الهدف تسمى "**التعيين**"، وهي الطريقة التي يتتبع بها المجال المصدر جوانب المجال الهدف ويصفها, تُعد هذه التعيينات ضرورية لفهم كيفية تنظيم المعلومات في المجالات

وكيفية ظهور الاستخدام الاستعاري في اللغة. ترتبط الاستعارات الإدراكية ارتباطًا وثيقًا بما يسمى "مخططات الصور" (الزناد,2010: 95-136), وهي تمثيلات ذهنية تستخدم في التفكير من خلال توسيع القوانين المكانية والفيزيائية لتشمل مواقف أكثر تعقيدًا.

تؤكد النظرية على أن الاستعارات هي في الأساس مسألة فكر وليست مجرد مسألة لغة, قد تبدو الاستعارة وكأنها تتكون من كلمات أو تعبيرات لغوية أخرى تأتي من مصطلحات المجال المفاهيمي الأكثر واقعية، لكن الاستعارات الإدراكية تكمن وراء نظام من التعبيرات الاستعارية ذات الصلة التي تظهر على السطح اللغوي. غالباً ما تستخدم الاستعارات الإدراكية مفهوماً أكثر تجريداً كمجال هدف ومفهوماً أكثر واقعية أو مادية كمصدر له, يشير مبدأ الاتجاه الواحد إلى أن العملية الاستعارية تنتقل عادةً من الأكثر واقعية إلى الأكثر تجريدًا (لايكوف,2009: 33), وليس العكس.

إننا نؤكد على عمل لاكوف وجونسون "الاستعارات التي نحيا بها" فهذا يدل في تصورنا على الأهمية التأسيسية لهذا العمل في مجال نظرية الاستعارة الإدراكية. فالاستعارة ليست مجرد أداة لغوية بل هي جانب أساسي من الفكر البشري وأنظمة المفاهيم. فعلى الرغم من القبول الواسع للمفهوم العام للاستعارة الإدراكية، فإن مبدأ الاتجاه الواحد، الذي ينص على أن الاستعارات تنتقل عادة من الملموس إلى المجرد، له آثار على كيفية تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي لفهم وإنتاج لغة استعارية (عبد الخالق, 2024: 32-36), إذا تمكنت أنظمة الذكاء الاصطناعي من ربط المفاهيم الملموسة بالمفاهيم المجردة بشكل فعال، فقد يحسن ذلك بشكل كبير قدرتها على معالجة وإنتاج لغة شبيهة بالبشر تعتمد بشكل كبير على التفكير الاستعاري, كما يشير الارتباط بين الاستعارات الإدراكية ومخططات الصور (الزناد,2024: 171-182) إلى أن تزويد الذكاء الاصطناعي بتجارب مجسدة حتى لو كانت محاكاة، قد يكون مفيداً لفهم الاستعارة. ومخططات الصور هي تمثيلات ذهنية قبل لغوية تستند إلى التجربة الجسدية. إذا أمكن جعل الذكاء الاصطناعي على دراية بهذه المخططات فقد يكون مجهزاً بشكل أفضل لفهم المعنى الضمني للاستعارات.

سادسا. الذكاء الاصطناعي؛ نظرة عامة تأسيسية على الفروع والتطبيقات: الذكاء الاصطناعي (عبد الخالق,2024: 18, مدحت,2020: 131-133), هو مجموعة من التقنيات التي تمكن أجهزة الكمبيوتر من أداء مجموعة متنوعة من الوظائف المتقدمة، بما في ذلك القدرة على الرؤية والفهم وترجمة اللغة المنطوقة والمكتوبة، وتحليل البيانات، وتقديم التوصيات، وغير ذلك الكثير (صلاح العزب,2021: 2-72 , زين,2000: 27-39), يُعرّف الذكاء الاصطناعي بأنه مجال علمي يهتم ببناء أجهزة كمبيوتر وآلات يمكنها التفكير والتعلم والتصرف بطريقة تتطلب عادةً ذكاءً بشريًا أو تتضمن بيانات يتجاوز حجمها ما يمكن للبشر تحليله. كما يعد الذكاء الاصطناعي مجموعة من التقنيات التي تعتمد بشكل أساسي على التعلم الآلي والتعلم العميق، وتستخدم لتحليل البيانات، والتنبؤ والتكهن، وتصنيف الكائنات، ومعالجة اللغة الطبيعية، والتوصيات، واسترجاع البيانات الذكي، وغير ذلك الكثير.

تعمل أنظمة الذكاء الاصطناعي (عبد الخالق,2024: 18-30, مدحت,2020: 140-142) من خلال التعلم والتحسين من خلال التعرض لكميات هائلة من البيانات، وتحديد الأنماط والعلاقات التي قد يغفل عنها البشر, تتضمن عملية التعلم هذه غالباً خوارزميات، وهي مجموعة من القواعد أو التعليمات التي توجه تحليل الذكاء الاصطناعي واتخاذ القرارات, أما بالنسبة للتعلم الآلي (عبد الخالق,2024: 18,وينظر, احمد,2021:التعلم الآلي..) ؛ وهو فرع شائع من فروع الذكاء الاصطناعي، يتم تدريب الخوارزميات على بيانات لتقديم تنبؤات أو تصنيف المعلومات. وهناك فروع رئيسية للذكاء الاصطناعي (مدحت,2020: 147-152) تشمل الرؤية الحاسوبية، والمنطق الضبابي، وأنظمة الخبراء، والروبوتات كما يلي:

أ/ **الرؤية الحاسوبية** (عبد الخالق,2024: 37-41), تهدف إلى تطوير تقنيات تساعد أجهزة الكمبيوتر على رؤية وفهم الصور ومقاطع الفيديو الرقمية.

ب/ المنطق الضبابي؛ يساعد في حل المشكلات أو العبارات التي يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة، ويحاكي القرارات البشرية من خلال النظر في جميع الاحتمالات الموجودة بين القيم الرقمية لـ "نعم" و "لا".

ج/ أنظمة الخبراء(الوكلاء), (السابق: 20وما بعدها) هي برامج متخصصة في مهمة واحدة، تماماً مثل الخبير البشري، وهي مصممة لحل المشكلات المعقدة بقدرات صنع القرار الشبيهة بالبشر.

د/ الروبوتات؛ هي آلات مبرمجة يمكنها تنفيذ سلسلة معقدة من الإجراءات تلقائياً، وتستخدم في مهام متنوعة تتراوح من التصنيع إلى استكشاف الفضاء.

هـ/ معالجة اللغة الطبيعية؛ (السابق: 36وما بعدها) والتي تركز على تمكين الآلات من فهم وتفسير وإنتاج اللغة البشرية.

تتعدد تطبيقات (صلاح العزب,2021: 10-12, وعقوني,2023: 5-6) الذكاء الاصطناعي في حياتنا اليومية وتشمل الوكلاء الرقميين، ومحركات البحث، ووسائل التواصل الاجتماعي، والتسوق عبر الإنترنت، والروبوتات، والنقل والملاحة، وتحرير النصوص والتصحيح التلقائي، ومنع الاحتيال، والتنبؤات، والألعاب، والرعاية الصحية، والإعلان، والتحليلات, تُستخدم أنظمة التوصية التي تعمل بالذكاء الاصطناعي في التجارة الإلكترونية لتحليل سلوك العملاء وتفضيلاتهم واقتراح المنتجات. في مجال النقل، تعمل الخوارزميات المتقدمة على معالجة بيانات المرور في الوقت الفعلي وظروف الطقس والأنماط التاريخية لتقديم اقتراحات لطرق دقيقة وفي الوقت المناسب، كما أنها تدعم المركبات ذاتية القيادة, وفي الرعاية الصحية، يمكن لخوارزميات الذكاء الاصطناعي تحليل الصور الطبية والتنبؤ بتفشي الأمراض والمساعدة في اكتشاف الأدوية.

1.6 / معالجة اللغة الطبيعية (عقوني,2023: 15-16), كفرع رئيسي من فروع الذكاء الاصطناعي تؤكد أهميتها للتفاعل بين الإنسان والآلة وتجعلها مجالاً رئيسياً لتطبيق نظرية الاستعارة الإدراكية. نظرًا لأن الاستعارة الإدراكية تتعامل مع كيفية فهم البشر واستخدامهم للغة، فإن دمج مبادئها في أنظمة معالجة اللغة الطبيعية يمكن أن يعزز بشكل كبير قدرتها على معالجة وإنتاج لغة طبيعية بطريقة شبيهة بالبشر. بالإضافة إلى ذلك، فإن ظهور الذكاء الاصطناعي التوليدي (الخليفة,2023: 19, اسعد كشميري,2024: 514-534), كنوع متميز وتطبيقاته في إنشاء النصوص والصور يشير إلى حاجة متزايدة لهذه الأنظمة لفهم واستخدام الاستعارات بشكل فعال لإنشاء محتوى أكثر دقة وملاءمة للسياق. إذا كان بإمكان الذكاء الاصطناعي التوليدي فهم

النية الاستعارية وراء المطالبة أو إنتاج مخرجات تستخدم الاستعارات بشكل فعال، فقد يؤدي ذلك إلى تطبيقات ذكاء اصطناعي أكثر إبداعاً وتعبيرًا. ويشير التركيز على قدرة الذكاء الاصطناعي على التعلم من البيانات إلى أن تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي على بيانات تتضمن لغة استعارية وهياكلها المعرفية الأساسية يمكن أن يكون نهجاً قابلاً للتطبيق لدمج الاستعارة الإدراكية. من خلال تعريض أنظمة الذكاء الاصطناعي لمجموعات بيانات كبيرة من اللغة الاستعارية، قد تتمكن من تعلم الأنماط والتعيينات التي تعكس التفكير الاستعاري البشري.

2.6 / إثراء الاستعارة الإدراكية للذكاء الاصطناعي؟ : تكمن العلاقة الأساسية بين الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي في أن فهم كيفية استخدام البشر للاستعارات في تصور المفاهيم المجردة والتعبير عنها يمكن أن يوفر رؤى قيمة لتصميم أنظمة ذكاء اصطناعي أكثر ذكاءً وبديهية, ويمكن لدمج التفكير الاستعاري أن يساعد الذكاء الاصطناعي في تجاوز الفجوة بين اللغة الحرفية والمجازية، وفهم المفاهيم المجردة، وتحسين التفاعل بين الإنسان والحاسوب (.Oliver Kramer.2025: 1-6), تساعد الاستعارات في فهم الذكاء الاصطناعي التوليدي، الذي يعمل بطرق مألوفة وغريبة في آن واحد، حيث تشكل الاستعارات المختلفة (أداة، نظام، بيولوجي، حيواني، شبيه بالإنسان، إلهي) تصورنا للذكاء الاصطناعي, توفر التعيينات الاستعارية تفسيرات جديدة وتنقل أفكاراً مبتكرة، مما يشير إلى وجود صلة بالأخلاق المنطقية,تلعب الاستعارات دوراً مهماً في تفاعل أولي للمستخدمين مع حلول الذكاء الاصطناعي وفهمها، حيث يمكن للاستعارات المجسمة أن تشكل التوقعات, ومع ذلك، ينبغي التساؤل حول ما إذا كان الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون استعارة للوعي، مع أن الذكاء الاصطناعي يفتقر إلى الفهم الحقيقي للغة.

نسعى في ما يلي إلى البحث في قدرة نماذج اللغة الضخمة (LLMs) (الخليفة,2023: 19 وما بعدها), على التعرف على الاستعارات المفاهيمية والعصبية وفهمها، مشيرًا إلى صعوبة تواجه معالجة اللغة الطبيعية والذكاء الاصطناعي، والناتجة عن الحاجة للمعرفة العالمية والمعايير الثقافية. تقدم نظرية الاستعارة المفاهيمية (CMT)كأداة لتحسين نماذج اللغة الضخمة (yang.2023: 77-85). من خلال استخدام التفكير المعقد القائم على التعيينات الاستعارية لهيكلة الفكر المجرد. فبالنظر إلى استخدام الذكاء الاصطناعي ChatGPT للاستعارات، فقد كان قادرا على استخدام الاستعارات، لكن مع اختلافات عن الاستخدام

البشري، مما يؤكد الحاجة لآليات متقدمة لتحديد الاستعارات (Nguyen.2024: 128-141), تفحص دراسة الاستعارات المستخدمة لوصف الذكاء الاصطناعي (ككائن مادي، عملية، أداة)، وتوضح أن اللغة تشكل فهمنا(AI), وبتحري الاستعارات المفاهيمية التي تمثل الذكاء الاصطناعي وتطوره مثل :الذكاء الاصطناعي كإنسان، الذكاء الاصطناعي كحيوان، والذكاء الاصطناعي كقوة طبيعية (Edward.J: AI), تشير إلى الانتشار المتكرر للاستعارات المجسدنة المستخدمة لوصف الذكاء الاصطناعي وإلى ميل بشري لفهم التقنيات الجديدة من خلال ربطها بالخصائص والأدوار البشرية المألوفة, قد يؤثر هذا الميل على توقعات المستخدمين وتفاعلاتهم مع الذكاء الاصطناعي بفعل الاختلافات الثقافية، مما يخلق فرصًا وتحديات في تصميم الذكاء الاصطناعي, يشير الفرق بين قدرة الذكاء الاصطناعي على توليد الاستعارات والتساؤلات حول فهمه الحقيقي للغة والوعي (Bambini.2019: 462-476), إلى وجود فجوة أساسية بين القدرات التركيبية للذكاء الاصطناعي والفهم الدلالي البشري، خاصة فيما يتعلق باللغة المجازية. على الرغم من أن الذكاء الاصطناعي قادر على إنتاج تعبيرات استعارية، إلا أن قدرته على فهم التعيينات المفاهيمية الأساسية ودقائق الفكر الاستعاري البشري لا تزال محل تساؤل, إن اقتراح استخدام CMT لتعزيز LLMs ودراسة قدرة LLMs على تحديد الاستعارات(Brigitte: 1/2025), يعكس اعترافًا متزايدًا داخل مجتمع الذكاء الاصطناعي بفوائد دمج نظرية الاستعارة الإدراكية في أنظمة معالجة اللغة الطبيعية, من خلال دمج التفكير الاستعاري بشكل صريح في نماذج الذكاء الاصطناعي، قد يحسن قدرتها على التعامل مع المفاهيم المجردة ومهام التفكير المعقدة. ويوضح تحليل استعارات الذكاء الاصطناعي في الإعلام (بومدين,2023: 607-623), كيف يتشكل تصور الجمهور للذكاء الاصطناعي من خلال اللغة المستخدمة لوصفه، مما يؤكد أهمية التفكير النقدي في الاستعارات المستخدمة في الاتصال وتصميم الذكاء الاصطناعي. يمكن للاستعارات المستخدمة لتأطير الذكاء الاصطناعي أن تؤثر على الرأي العام والاعتبارات الأخلاقية وقرارات السياسة المتعلقة بتطوير ونشر الذكاء الاصطناعي.

3.6 الاستعارات الإدراكية قيد الاستخدام في أنظمة الذكاء الاصطناعي: يمكن استخدام الاستعارات الإدراكية أو يتم استخدامها فعليًا في تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجالات مثل فهم اللغة الطبيعية، والتفاعل بين الإنسان والكمبيوتر، وقابلية تفسير الذكاء الاصطناعي (Ameer: 4/2025). تقدم هذه

الأمثلة العملية توضيحًا لكيفية تطبيق مبادئ الاستعارة الإدراكية في أنظمة الذكاء الاصطناعي. وفي ما يلي أمثلة على استخدام الاستعارة الإدراكية في تطبيقات الذكاء الاصطناعي المحددة:

مجالات تطبيق الذكاء الاصطناعي:

أ/ البيئات الذكية كجهاز وربوت وصديق: تصور البيئات الذكية كأجهزة يتم التحكم فيها, أو روبوتات تقوم بمهام أو مساعدين ودودين.

ب/ مساعدو الذكاء الاصطناعي, رفيق: تصميم مساعدين للذكاء الاصطناعي مثل ChatGPT للانخراط في محادثات متعددة الأدوار تشبه المحادثات البشرية.

ج/ برامج الذكاء الاصطناعي الإبداعية؛ مجموعة أدوات: تقديم ميزات الذكاء الاصطناعي في البرامج الإبداعية (مثل التعبئة التوليدية في فوتوشوب) كأدوات مألوفة.

د/ التفكير المعقد فيLLMs, المجرد ملموس: استخدام مطالبات تربط المفاهيم المجردة بتجارب ملموسة لتوجيه تفكيرLLM .

تقدم النقاط أعلاه نظرة عامة واضحة وموجزة عن كيفية تطبيق الاستعارات الإدراكية في عدة مجالات, إن الاستعارات المفاهيمية للجهاز والروبوت والصديق يمكن أن تفتح مجالات تصميم جديدة لتصميم التفاعل في البيئات الذكية، مع التركيز على التفاعل بدلاً من أتمتة المباني (Device.et all 2020: 1-16). ومن نافلة القول التأكيد على الدور الحاسم للاستعارات في تصميم واجهة المستخدم، حيث تعمل كجسر بين المفاهيم المألوفة وغير المألوفة في أنظمة الذكاء الاصطناعي، مع أمثلة مثل الرفيق ومجموعة الأدوات. وينبعي على المهتمين بتحليل القيود المعرفية لواجهات الذكاء الاصطناعي النصية بالمقارنة بواجهات المستخدم الرسومية، نظرا للحاجة إلى دمج الذكاء الاصطناعي في مسارات العمل المرئية والتفاعلية (James L.et all.1999: 307-321). مع تحليل دور الاستعارة في تصميم الواجهة، مع التركيز على أهمية المناهج الرسمية والإشارة إلى المزالق المحتملة. كما ينبغي مراعات الآثار الثقافية لمساحة تصميم الذكاء الاصطناعي المجازية

للتكامل السلس للتجارب الخوارزمية الذكية، مع التركيز على إدارة توقعات المستخدم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن اعتبار استخدام CMT لتعزيز LLMs تطبيقًا عمليًا للاستعارة الإدراكية في تحسين قدرات الذكاء الاصطناعي. يصف هذا النهج استخدام LLMs للتفكير الاستعاري المنظم لشرح المفاهيم المجردة من خلال ربطها بتجارب مادية مألوفة.

إن انتشار استعارة "الرفيق أو الوكيل"(Antonio.2024: 1-9), للمساعدين الذين يعملون بالذكاء الاصطناعي مثل ChatGPT و Alexa يؤكد على الاتجاه نحو تصميم الذكاء الاصطناعي الذي يتفاعل مع البشر بطريقة اجتماعية وتفاعلية أكثر, تشكل هذه الاستعارة توقعات المستخدمين لقدرات الذكاء الاصطناعي وطبيعته، مما يؤثر على كيفية تفاعلهم مع هذه الأنظمة, وينبغي لأبي نقاش أن يشير إلى طرق مختلفة لتصور دور الذكاء الاصطناعي – كأداة لمهام محددة مقابل كيان أكثر غموضًا وقوة– يمكن لهذه الاستعارات المختلفة أن تؤدي إلى سلوكيات وتوقعات مختلفة للمستخدمين فيما يتعلق بوظائف وقيود الذكاء الاصطناعي, كما ينبغي أن يؤكد التركيز على إدارة توقعات المستخدمين من خلال التصميم الاستعاري (David et all.1991: 64-79) على أهمية اختيار الاستعارات بعناية لتمثيل قدرات الذكاء الاصطناعي بدقة وتجنب تضليل المستخدمين. يمكن للاستعارات غير الدقيقة أو الطموحة بشكل مفرط أن تؤدي إلى إحباط المستخدمين وفقدان الثقة في أنظمة الذكاء الاصطناعي.

4.6 / فوائد دمج الاستعارة الإدراكية في تصميم وتطوير الذكاء الاصطناعي : قد يوفر دمج نظرية الاستعارة الإدراكية في تصميم وتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي العديد من المزايا. (Barnden.2012: chap 18) تؤدي الاستعارات دوراً محورياً في تشكيل نظرية الذكاء الاصطناعي، وتوجيه البحث، وتحديد المفاهيم، مما يوفر قيمة إرشادية ويدعو إلى طرق محتملة للاستكشاف. قد يساهم بحث الذكاء الاصطناعي بشكل خاص في فهم الاستعارة عن طريق إنشاء آليات مفصلة للتفكير ضمن شروط المجال المصدر في الاستعارة، وذلك لتوسيع أهمية التعيينات المعروفة بين المصدر والهدف (Leonie.2023: 119-139), إضافةً إلى ذلك، تسهل الاستعارات في الذكاء الاصطناعي التواصل بين الخبراء والجمهور، وكذلك بين العلماء والمهندسين، مما يوفر توجيهاً معرفياً (Pynia : 3/2025), من نافلة القول أن تطوير الذكاء

الاصطناعي الحالي المعتمد على الإدراك الدماغي يواجه قيوداً، ويدعو إلى أن الجمع بين الذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي يشكل اتجاهاً بحثياً حاسماً لتحقيق حوار وتعاطف مع البشر.

وينبغي التركيز على دور الاستعارة في التواصل لأن استعمال الاستعارات المناسبة في واجهات الذكاء الاصطناعي وتفسيراته قد يحسن بشكل كبير فهم المستخدم وثقته في هذه الأنظمة. يمكن للاستعارات الواضحة والقابلة للفهم أن تزيل الغموض عن وظائف الذكاء الاصطناعي المعقدة وتجعلها في متناول جمهور أوسع. كما أن فكرة أن الاستعارات توفر قيمة إرشادية وتوجه البحث في الذكاء الاصطناعي, تعني أن التفكير في الذكاء الاصطناعي من خلال عدسات استعارية متباينة يمكن أن يقود إلى مناهج وابتكارات جديدة في هذا المجال. عن طريق تأطير مشاكل وحلول الذكاء الاصطناعي باستعمال الاستعارات، قد يكتشف الباحثون وجهات نظر واتجاهات تطوير جديدة قد لا تتضح من خلال المناهج التقنية البحتة . وعلاوة على ذلك، فإن الدعوة إلى دمج علم النفس الإدراكي مع الذكاء الاصطناعي (Mimir.2024: 1-38), تعزز أهمية فهم العمليات المعرفية البشرية، بما في ذلك التفكير الاستعاري، لابتكار ذكاء اصطناعي أكثر تقدماً وشبيهًا بالبشر. قد تؤدي محاكاة أو دمج جوانب من الإدراك البشري، مثل القدرة على فهم واستعمال الاستعارات، إلى أنظمة ذكاء اصطناعي أفضل في المهام التي تتطلب التعاطف والإبداع والفهم الدقيق للغة.

سابعا. تخطي تعقيدات الاستعارة في الذكاء الاصطناعي : رغم المزايا المحتملة، فإن استعمال الاستعارات الإدراكية في الذكاء الاصطناعي يطرح أيضاً تحديات واعتبارات مهمة (مارك,2011: 11-25). فإذا كان الذكاء الاصطناعي قادرا على توليد وتحليل اللغة الطبيعية، فإن قدرته على تفسير اللغة البشرية حقاً وبشكل خاص الاستعارات، لا تزال سؤالاً مفتوحاً بسبب عدم وجود جسم مادي، وعدم القدرة على التفكير بالقياس والاستنتاج بناءً على الحس السليم. ومن الملاحظ أن أنظمة الذكاء الاصطناعي الحالية تفتقر إلى العمق المعرفي والمرونة الكامنة في الذكاء البشري (عبد الخالق,2024: 22 وما بعدها), لا سيما في فهم التفكير الاستعاري والإدراك المتجسد، بسبب نقص المعرفة التجريبية والوعي السياقي (Lakoff.1993: 202-251). من المهم أيضاً الإشارة إلى أن الاستعارات، بالرغم من أنها تساعدنا على الفهم، يمكن أن تحدّ أيضاً من فهمنا وتقود إلى طرق مسدودة، مما يبرز غموض الإدراك البشري والاصطناعي على حد

سواء, بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تعطي الاستعارات وهماً بالفهم للذكاء الاصطناعي دون معرفة فعلية بكيفية عمله، وقد نقع في فخ استعارات الذكاء الاصطناعي، خاصة وأن هناك ما يسمى بـ "الصندوق الأسود" في قلب الذكاء الاصطناعي حيث يتبخر الفهم.

نشير ابتداء ونركز باستمرار على افتقار الذكاء الاصطناعي إلى التجربة المجسدة, وإلى قيود أساسية في قدرته على فهم الاستعارات المتجذرة بعمق في التجارب الجسدية والحسية البشرية, تعتمد العديد من الاستعارات الإدراكية على تفاعلاتنا مع العالم المادي. قد يواجه الذكاء الاصطناعي، الذي يفتقر إلى هذه التجارب المجسدة، صعوبة في استيعاب المعنى الكامل وتداعيات هذه الاستعارات. كما أن التحذير من أن الاستعارات قد تؤدي إلى وهم الفهم, يلقي الضوء على ضرورة الحذر عند استخدام الاستعارات لشرح الذكاء الاصطناعي، مع التأكد من عدم تبسيطها المفرط أو تحريف التعقيدات الكامنة. على الرغم من أن الاستعارات قد تكون مفيدة للفهم الأولي، فإن الاعتماد عليها بشكل كبير دون فهم أعمق لكيفية عمل الذكاء الاصطناعي فعلياً يمكن أن يؤدي إلى مفاهيم خاطئة وتوقعات غير واقعية, وتشير الإشارة إلى الاختلافات الثقافية في التفسير الاستعاري إلى أن أنظمة الذكاء الاصطناعي المصممة باستعمال الاستعارات قد تواجه تحديات في التواصل والتفاعل بين الثقافات. غالبًا ما تكون الاستعارات خاصة بثقافة معينة. قد لا يعمل نظام ذكاء اصطناعي تم تدريبه على استعارات شائعة في ثقافة ما بشكل فعال أو يُفهم على النحو المنشود في سياق ثقافي آخر.

1.7 / **أنظار حول الاستعارة الإدراكية في الذكاء الاصطناعي** (طعمة,2019: 57-92 وينظر, عطية,2023: 7-14 ,وينظر Matthjjs.2025: 37-143): نعتقد أن الاستعارات شكل من أشكال الابتكار, وتوجه دراسة تأثيرات الذكاء الاصطناعي، وتحدد جدول الأعمال التنظيمي، وتؤطر عملية صنع السياسات، وتصوغ الاستجابة التشريعية والقضائية للتكنولوجيا (رمضاني,2024: 14-15). ونتصور أن التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي يمثل اندماجاً قوياً للقدرات المعرفية البشرية مع القوة الحسابية للذكاء الاصطناعي، حيث يجلب البشر صفات لا يمكن الاستغناء عنها مثل الذكاء العاطفي والحكم الأخلاقي وحل المشكلات الإبداعية، بينما يتفوق الذكاء الاصطناعي في معالجة كميات هائلة من البيانات وتحديد الأنماط. ومن الملاحظ أن الأبحاث المعرفية المبكرة، بما في ذلك الشبكات العصبية (الشرقاوي,

الذكاء.. والشبكات العصبية: 250-257, مارك,2011: 21-25, عبد الخالق,2024: 19-20), مهدت الطريق للاختراقات الحالية في مجال الذكاء الاصطناعي، ويواصل الباحثون استلهام الأفكار من كل من الذكاء الاصطناعي والعقل البشري (The Cognitive..2025). هناك تحول في معالجة اللغة الطبيعية نحو تخصص "هندسي" أكثر، ولكن هناك أيضاً أنشطة حديثة تدمج البيانات المعرفية كإشراف في مهام معالجة اللغة الطبيعية (Shamay. Et all.2022: 148-159).

نستشعر أن الاستعارات تشكل إدارة الذكاء الاصطناعي, ومع تزايد اندماج الذكاء الاصطناعي في المجتمع، فإن الطريقة التي تسعى بها البشرية من خلال الاستعارات ستكون لها آثارا كبيرة على تنظيمها والاعتبارات الأخلاقية المتعلقة بها. يحتاج واضعو السياسات والجهات التنظيمية إلى أن يكونوا على دراية بالاستعارات الأساسية التي تؤثر على الفهم العام ويجب على خبراء الذكاء الاصطناعي إنشاء أطر حوكمة فعالة ومسؤولة. كما أن التركيز على التعاون بين الإنسان والذكاء الاصطناعي. يعني أن أنظمة الذكاء الاصطناعي المستقبلية قد تُصمم لتكمل القدرات المعرفية البشرية (كنيش,2023: 26, 35-73), وربما نستفيد من الاستعارات لتسهيل شراكات أكثر بديهية وفعالية, وعن طريق فهم كيف يستخدم البشر الاستعارات في التواصل والتفكير، يمكن تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي لفهم المقاصد البشرية بشكل أفضل والتعاون بسلاسة أكبر. كما يشير الاستمرار في استلهام الأفكار من الأبحاث المعرفية لتطوير الذكاء الاصطناعي. إلى أن مبادئ نظرية الاستعارة الإدراكية من المرجح أن تلعب دوراً متزايد الأهمية في تشكيل نماذج وهياكل الذكاء الاصطناعي المستقبلية. مع سعي الذكاء الاصطناعي لتحقيق ذكاء أكثر شبيهًا بالبشر، سيكون فهم ودمج الجوانب الأساسية للإدراك البشري، مثل التفكير الاستعاري، أمرًا بالغ الأهمية.

2.7 استكشاف حدود الذكاء الاصطناعي المجازي: هناك العديد من دراسات الحالة ومبادرات البحث التي تستكشف بنشاط دمج الاستعارة الإدراكية في أنظمة الذكاء الاصطناعي (Bambini. Et all.2019: 462-476)[1]. على سبيل المثال، تبحث دراسة فيما إذا كانت نماذج اللغة الكبيرة (LLMs) قادرة على تحديد وتفسير الاستعارات المفاهيمية بدقة. تقدم دراسة أخرى نظرية الاستعارة المفاهيمية (CMT)كإطار لتعزيز LLMs من خلال المطالبة المعرفية باستخدام التعيينات الاستعارية. إضافةً إلى ذلك، يقدم تحليل يعتمد على المدونة دراسة للاستعارة المفاهيمية في خطابات كتبت بواسطة (ChatGPT)

(عقوني,2024: 2-23) تحقق دراسة في الاستعارات المفاهيمية التي تمثل الذكاء الاصطناعي وتطوره (المرياني,2024: 3-27).

النتائج الرئيسية من دراسات الحالة والأبحاث الحديثة بالنظر إلى محور البحث ووصفه:

- LLMs وتحديد الاستعارة المفاهيمية: تواجه LLMs تحديات في تحديد وتفسير الاستعارات المفاهيمية بدقة بسبب الحاجة إلى معرفة العالم والمعايير الثقافية.
- تعزيز تفكيرLLM : يمكن أن يؤدي استخدام التعيينات الاستعارية في المطالبات إلى تحسين قدرة LLMsعلى التعامل مع مهام التفكير المعقدة.
- الاستعارات في اللغة التي يولدها ChatGPT : يمكن للذكاء الاصطناعي استخدام الاستعارات في توليد اللغة، لكن استخدامه يختلف عن استخدام البشر.
- الاستعارات المتعلقة بالطهي لفهم الذكاء الاصطناعي: تسلط الاستعارات المختلفة المتعلقة بالطعام (مثل الذكاء الاصطناعي كأكل وهضم وطبخ) الضوء على جوانب وتداعيات مختلفة للذكاء الاصطناعي.
- الاستعارات في وثائق سياسة الذكاء الاصطناعي: يستخدم قانون الاتحاد الأوروبي للذكاء الاصطناعي استعارات مثل الرحلة والإنسان والحرب والشيء، مما يعكس تطلعات ومخاوف بشأن الذكاء الاصطناعي.
- استعارات الذكاء الاصطناعي في وسائل الإعلام: غالبًا ما تستخدم التمثيلات الإعلامية للذكاء الاصطناعي استعارات مثل الذكاء الاصطناعي كإنسان أو حيوان أو قوة طبيعية.

تقدم النقاط السابقة نظرة عامة على أهم نتائج دراسات الحالة ومبادرات البحث التي تمت مراجعتها . إنه بمثابة دليل موجز للمشهد البحثي الحالي، مع تسليط الضوء على التنوع في المجالات المستكشفة عند تقاطع الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي, وهذا يمكّن القارئ من فهم الجهود والنتائج الجارية بسرعة.

ثامنا. الذكاء الاصطناعي القائم على الاستعارة الإدراكية مقابل الأساليب التقليدية في معالجة اللغة:
هناك تباين بين الأنظمة التي تستخدم الذكاء الاصطناعي التي تدمج مبادئ الاستعارة الإدراكية والأساليب التقليدية في الذكاء الاصطناعي في مجالات مثل معالجة وفهم اللغة الطبيعية, يهدف الذكاء الاصطناعي الإدراكي إلى إنشاء أنظمة قادرة على التعلم والتفكير والتفاعل مع البشر بطريقة طبيعية وذات مغزى، في حين تركز معالجة اللغة الطبيعية على تمكين الآلات من فهم وإنتاج اللغة البشرية. من الملاحظ أن التعلم الآلي لا يكشف عن أي شيء عن اللغة البشرية، وأن الذكاء الاصطناعي هو مجرد أداة لا توفر تفسيرًا للغة، مشيرًا إلى أن بناء الجملة اللغوية مستقل عن العالم الخارجي ويتم التحكم فيه بواسطة الدماغ (Shamay. Et all.2022: 148-159), من ناحية أخرى، تؤكد نظرية الإدراك المتجسد لجورج لاكوف أن الفهم البشري متجذر بعمق في تجاربنا الحسية والحركية، بينما اعتمد الذكاء الاصطناعي التقليدي بشكل كبير على التلاعب الرمزي، خاليًا من أي مدخلات حسية واقعية ومع ذلك، من خلال دمج رؤية الكمبيوتر ومعالجة اللغة الطبيعية والنماذج التوليدية، أصبحت أنظمة الذكاء الاصطناعي الآن قادرة على "الرؤية" و "السمع"، ويمكنها معالجة البيانات المرئية لتحديد الكائنات وتفسير المشاهد وإنشاء صور واقعية من النصوص.

يشار في الأدبيات المعرفية إلى وجود اختلاف جوهري في كيفية معالجة البشر وأنظمة الذكاء الاصطناعي الحالية للغة (Orynbay. Et all.2024: 1-17), حيث يعتمد البشر على هياكل نحوية فطرية بينما يعتمد الذكاء الاصطناعي على مجموعات كبيرة من البيانات الخارجية. يشكل هذا التباين تحديًا كبيرًا للذكاء الاصطناعي الذي يهدف إلى تحقيق فهم لغوي على مستوى الإنسان، خاصة في مجالات مثل الاستعارة حيث غالبًا ما يكون المعنى ضمنيًا, كما أن مناقشة الإدراك المتجسد (الزناد,2017: 15-70, وينظر,2010: 186-197), تشير إلى أن الذكاء الاصطناعي التقليدي، والذي غالبًا ما يفتقر إلى المدخلات الحسية الواقعية، قد يكون محدودًا بطبيعته في قدرته على فهم الاستعارات المتجذرة في التجربة المادية، قد يكون دمج جوانب التجسيد، حتى في بيئة محاكاة، أمرًا بالغ الأهمية لكي يفهم الذكاء الاصطناعي حقًا معنى العديد من الاستعارات الإدراكية. كما يشار إلى دمج البيانات المعرفية في معالجة اللغة الطبيعية (الزناد,2010: 224-238) إلى اعتراف متزايد داخل مجال الذكاء الاصطناعي بقيمة الرؤى المستمدة من العلوم المعرفية، بما في ذلك دراسة الاستعارة، لتحسين قدرات معالجة اللغة. هذا التصور يسعى إلى تقارب

محتمل بين الذكاء الاصطناعي التقليدي والمناهج الأكثر استلهامًا من الإدراك، حيث يمكن لمبادئ الاستعارة الإدراكية أن تلعب دورًا أكثر بروزًا في أنظمة معالجة اللغة الطبيعية المستقبلية.

1.8 / الذكاء الاصطناعي المعزز بالاستعارة: يمثل دمج الاستعارة الإدراكية في الذكاء الاصطناعي مجالًا واعدًا يحمل إمكانات كبيرة لتعزيز قدرات أنظمة الذكاء الاصطناعي، خاصة في فهم اللغة الطبيعية والتفاعل مع البشر. إن فهم كيفية تشكيل البشر لأفكارهم والتعبير عنها من خلال الاستعارات يوفر رؤى قيمة لتصميم أنظمة ذكاء اصطناعي أكثر ذكاءً وبديهية. ومع ذلك، هناك تحديات كبيرة يجب معالجتها، بما في ذلك صعوبة محاكاة الفهم الاستعاري البشري بدقة في الأتمتة والمخاطر المحتملة من التبسيط المفرط أو التحريف من خلال الاستعارات.

9. خلاصة: إن أهمية مبادئ الاستعارة الإدراكية في تشكيل مستقبل تطور الذكاء الاصطناعي.لا مندوحة عنها, فيمكن للاستعارات:

أ- أن تلعب دورًا حاسمًا في إدارة توقعات المستخدمين.

ب- تسهيل التعاون بين (Orynbay. Et all.2024: 1-17) الإنسان والذكاء الاصطناعي.

ج- توجيه تطوير نماذج وهياكل جديدة للذكاء الاصطناعي.

د- يجب على الباحثين والمطورين توخي الحذر عند استخدام الاستعارات نظرا لاختلاف الثقافات.

هـ- التأكد من عدم تضليل المستخدمين أو إعاقة فهمهم للقدرات والقيود الحقيقية لأنظمة الذكاء الاصطناعي.

إن الاتجاهات المحتملة مستقبلا في هذا المجال ينبغي عليها تطوير نماذج حسابية لفهم الاستعارة المتجسدة، واستكشاف الاختلافات الثقافية في المعالجة الاستعارية للذكاء الاصطناعي، والتحقيق في الآثار الأخلاقية لاستخدام الاستعارات لتشكيل التفاعل بين الإنسان والذكاء الاصطناعي. من خلال مواصلة استكشاف

العلاقة المعقدة بين الاستعارة الإدراكية والذكاء الاصطناعي، ويمكن لهذه الجهود البحثية أن تمهد الطريق لإنشاء أنظمة ذكاء اصطناعي ليست أكثر فعالية فحسب، بل وأيضًا أكثر توافقًا مع العمليات المعرفية البشرية.

المـــــراجـــــع

1. ابن فارس,(1973), معجم مقاييس اللغة, (تح: عبد السلام هارون), دار الفكر, ط2, بيروت .
2. أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
3. بونوفا رينايدا (2013), اللسانيات الإدراكية, (تر: تحسين رزاق عزيز), بيت الحكمة العراقي, بغداد.
4. الجرجاني، عبد القاهر،(2014) أسرار البلاغة، (تح: محمد الفاضلي)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
5. الجواهري (1987) الصحاح, دار العلم للملايين, ط4.بيروت.
6. رمضاني مراد (2024), الذكاء الاصطناعي وعملية صنع القرار, دار العيون للنشر الالكتروني, وهران الجزائر.
7. الزناد الأزهر(2010), نظريات لسانية عرفنية, منشورات دار الكتاب , ط1, الجزائر.
8. الزناد الأزهر(2017), اللغة والجسد, مركز النشر الجامعي تونس.
9. الزناد الأزهر(2024), مدخل في اللسانيات الإدراكية, دار الكتاب , ط2 تونس.
10. شوكت الأحمد محمد،(2021)، "أثر أرسطو في مفهوم الاستعارة عند العرب"، مجلة عالم الفكر، العدد:183، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
11. صابر عبد العزيز, الاستعارات الإدراكية ودورها في الخطاب السياسي, مجلة الدراسات العربية جامعة المنيا,مصر.
12. صلاح العزب عماد,(2021) الذكاء الاصطناعي في أعمال الانترنت, الفصل الثامن.
13. طعمة محمد عبد الرحمان (2019), دراسات في اللسانيات العرفانية؛ الذهن واللغة والواقع, تحرير صابر الحباشة, مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية, ط1, الرياض.
14. عبد الخالق عماد, وزملاؤه... (2024), الذكاء الاصطناعي, مفاهيم وتقنيات.. دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع. بغداد, العراق.
15. العسكري أبو هلال (1984), الصناعتين, (تح: مفيد قمحة), دار الكتب العلمية, بيروت, ط2, لبنان.
16. عطية, احمد سليمان,(2023), نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي, مكتبة الآداب, ط1, القاهرة.

17. الفيروز أبادي (2005), القاموس المحيط, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع,بيروت لبنان.
18. الفيومي أبو العباس, المصباح المنير, المكتبة العلمية, بيروت.
19. لايكوف , جونسون,(2009), الاستعارات التي نحيا بها, (تر: عبد الحميد جحفة),دار توبقال للنشر,ط2.
20. مارك تورنر (2011), مدخل في نظرية المزج, (تر: الازهر الزناد), جامعة منوبة, تونس.
21. مدحت محمد ابو النصر (2020), الذكاء الاصطناعي في المنظمات الذكية, دار الكتب المصرية, ط1.القاهرة.

الدوريات والمو اقع باللغة العربية

1) أحمد زيد (2021), التعلم الآلي الذكاء الاصطناعي, في تعليم اللغة, المجلة العربية لأصول تدريس اللغة.
2) إدريس سامية (2011), أنماط اشتغال الاستعارة في البلاغة الجديدة, مجلة الخطاب, مج 6,ع8 .
3) المرياني زيد: علم الذكاء الاصطناعي, ماذا حدث في سنة 2024 من ذكاء اصطناعي ,ص ص 3-27.
4) بومدين كريمة (2023), تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الإعلامية, المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي, مج10,ع4.
5) زين عبد الهادي(2000), الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة في المكتبات, المكتبة الأكاديمية.
6) عزيزي راضية؛(2021), الاستعارة بين البلاغة العربية واللسانيات المعرفية, مجلة المدونة, مج8,ع2.
7) عقوني محمد (2023), الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري والبحث العلمي.
8) كنيش مطلوب عادل (2023), القدرات المستقبلية الخارقة للذكاء الاصطناعي, مجلة الثقافة الجديدة, العدد 439.
9) احرابيا شرف الدين,(4/ 2025) الاستعارة والنظرية المعرفية , مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية؛ جامعة الفيوم مج10,ع2.
10) أسعد كشميري ابتهال& ,احمد الفراني لينا (2024). النزاهة الأكاديمية في عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي, مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع, (99). *https://doi.org/10.33193/JALHSS.99.2024.989*
11) الخليفة هند بنت سليمان (2023/6) كتاب مقدمة في الذكاء الاصطناعي التوليدي, مجموعة ايوان البحثية. https://www.edu-technology1.com/2024/02/introduction-to-artificial-intelligence.html
12) عقوني محمد, الذكاء الاصطناعي Chat Gpt, 2024 ص ص 2-23. *http://aggouni.blogspot.com*
13) عمر سليم , الذكاء الاصطناعي, ص ص 27-33. *https://bimarabia.com/OmarSelim/*

الدوريات باللغات الاجنبية

1. António Correia (2024). On the Human-AI Metaphorical Interplay for Culturally Sensitive Generative AI Design in Music Co-Creation. March 2024. Conference: ACM International Conference on Intelligent User Interfaces (IUI). Pp 1-9.
2. Bambini, V., Resta, D., & Grimaldi, M. (2019). Neural correlates of novel metaphor processing: The role of the right anterior temporal lobe. *Journal of Cognitive Neuroscience*, 31(3), 462–476
3. David M. West and Larry E. (1991).*Metaphor and Artificial Travis The Computational Metaphor and Artificial Intelligence*: A Reflective Examination of a Theoretical Falsework AI Magazine Volume 12 Number 1 .Pp 64-79.
4. Device, Robot, and Friend. Kim J.(2020). *Conceptual Metaphors for Designing Smart*. Front Psychol. 11:198. doi: 10.3389/fpsyg.2020.00198 . Pp 1-16
5. George Lakoff.(1993) The contemporary theory of metaphor. In Metaphor and Thought, Cambridge University Press, Cambridge. pp202–251 nd edition,
6. James L. Alty and Roger P. Knott.(1999). *Metaphor and Human-Computer Interaction* : Model Based ApproachIn in book: Computation for Metaphors, Analogy, and Agents (pp.307-321)
7. John A. Barnden (**2012**). Metaphor and Artificial Intelligence (CHAPTER 18) Edited by Raymond W. Gibbs, Jr Published online by Cambridge University Press
8. Leonie A. Möck.(2023) Prediction Promises: *Towards a Metaphorology of Artificial Intelligence* Pages 119-139 | Published online
9. Maas, Matthijs, and Villalobos, José Jaime.(2023) 'International AI institutions: A literature
10. Matthijs Maas (2023) AI is like… A literature review of AI metaphors and why they matter for policy Institute for Law & AI – AI Foundations Report 2 October 2023.
11. Mr. Mímir Másson.(2024) Minds, Machines & Metaphors Limits of AI Understanding. Umeå University Bachelor of Arts in Philosophy Supervisor: Dr. Christian Löw Submission pdf Pp 1-38
12. Nguyen Tuan Minh (2024). *CONCEPTUAL METAPHORS OF ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND AI DEVELOPMENT IN THE GUARDIAN NEWSPAPER* - VNU Journal of Foreign Studies, VNU JOURNAL OF FOREIGN STUDIES, VOL. 40, NO. 4 .Pp 128-141

13. Oliver Kramer.(2025) Conceptual Metaphor Theory as a Prompting Paradigm for Large Language Models. DOI:10.48550/arXiv.2502.01901. Pp 1-6 .
14. review of models, examples, and proposals.' Institute for Law & AI, AI Foundations Report 1. Pp 1-32
15. Shamay-Tsoory, S. G., Tomer, R., Berger, B. D., & Aharon-Peretz, J. (2022). Emotional metaphors: Neural correlates of metaphor comprehension in emotional contexts. *Social Cognitive and Affective Neuroscience*, 17(2), 148–159
16. Yang Yang (2023). Corpus-Driven Analysis of Conceptual Metaphor in Artificial Intelligence Language : A Sample of ChatGPT-Written Speeches.. Journal of Contemporary Educational, Volume 7, Issue 12. Pp 77-85 .

المو اقع باللغات الاجنبية

1) Ameer Omidvar .(2025/4) *Cognitive and Computational Limitations of Text-Based AI Interfaces* 2025/4/6 تم الاسترجاع بتاريخ ، https://ameeromidvar.medium.com/cognitive-and-computational-limitations-of-text-based-ai-interfaces-0c76490dc4d4

2) Artificial intelligence (AI) as a metaphor for consciousness? - ResearchGate, تم الاسترجاع 6,أفريل, 2025، بتاريخ https://www.researchgate.net/post/Artificial_intelligence_AI_as_a_metaphor_for_consciousness

3) Brigitte Nerlich.(1/2025). *Food for thought: AI and culinary metaphors* -Making Science Public - University of Nottingham Blogs. 2025 جانفي, 30 تم الاسترجاع بتاريخ https://blogs.nottingham.ac.uk/makingsciencepublic/2025/01/03/food-for-thought-ai-and-culinary-metaphors/

4) **Edward J Tehovnik**. *Artificial intelligence (AI) as a metaphor for consciousness?* ResearchGate, تم الاسترجاع بتاريخ 2025، 2مارس , https://www.researchgate.net/post/Artificial_intelligence_AI_as_a_metaphor_for_consciousness

5) Orynbay Laura et all (2024). *The role of cognitive computing in NLP*. DOI 10.3389/fcomp.2024.1486581 . Pp 1-17 https://www.frontiersin.org/journals/computer-science/articles/10.3389/fcomp.2024.1486581/full

6) The cognitive research behind AI's rise | Stanford Report, أبريل 6, 2025، تم الوصول بتاريخ https://news.stanford.edu/stories/2024/11/from-brain-to-machine-the-unexpected-journey-of-neural-networks

ملتقى دولي:

*-Punya Mishra (2025). The Mirror and the Machine: Navigating the Metaphors of Gen AI. Thursday, March 13, 2025. the Education after the algorithm: Co-designing critical and creative futures conference being held in Dublin

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

Fantasy of Power
Penetrating the Other Through the Realm of the Self
(Dick al-Hikayah" by the Novelist and Short Story Writer Nahidh Al-Ramadhani)

Dr. Mohammed Abd Al-Mawjood Hassan Al-Badrani
Northern Technical University / Technical Engineering College in Mosul
Email address: dr.mohmmed67@ntu.edu.iq

Abstract

This paper will discuss the effect of power fantasy in the text of Nahidh Al-Ramadhani Dick al-Hikayah. The author also uses a metaphoric game of the symbolic concealing to keep the meanings at a concealed level with a surface of rich meaning of implication, allusion, and metaphor. Political fear has created ambiguous levels of deliberateness in his discourse that opposes the authority. The story Al-Ramadhani tells reminds a game of hide-and-seek, with revelations being kept a secret and the reader getting the right to seek the truth. In his surrealistic vision of confronting oppressive political reality, he uses his supernatural creative imagination. The rest of the fantasy as a literary genre is based on supernatural aspects of the plot development that are impossible in the real world. In discussing this theme, the work cogitates on its two main axes : theoretical and practical

Keywords : Power Fantasy ; Self and the Other; Hide-and-Seek Game ; Irony Technique ; Symbolism; The Rooster as a Fantastical Symbol.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

فانتازيا السلطة

إختراق الآخر عالم الذات

(ديك الحكاية) للروائي القاص ناهض الرمضاني (كاتارا للرواية. (2025))

د. محمد عبد الموجود حسن البدراني

الجامعة التقنية الشمالية /الكلية التقنية الهندسية في الموصل

Email address: dr.mohmmed67@ntu.edu.iq

المستخلص

سيحاول هذا البحث أن يدرس ظاهرة فانتازيا السلطة في (ديك الحكاية)،للروائي القاص المسرحي ناهض الرمضاني، إذ لعب القاص لعبة "التغميض" السلطوية في خطابه بشكل مجازي إذ عمد الرمضاني الى هذا الاسلوب لإخفاء المعنى أو الحقيقة إذ أنه كان "ضد" وليس "مع" السلطة" في خطابه التحتاني اللائذ بتقاناته الرمزية التي تجعل منه ذا بعد دلالي ايحائي (الغموض المقصود)؛ خوفاً من السلطة السياسية؛ لذا فهو يلجأ الى الجمالية الأدبية البلاغية، (إيحاء وإشارة وكناية) في البنية السطحية لنصه السردي لكنه يخفي الكثير في تلابيبه بحيث يُشبه لعبة "الغميضة" التي يُخفي فيها شخص نفسه ويبحث عنه الآخرون وهي تقنية أدبية عمد اليها الرّمضاني. إذ يعمد القاص الى تناول الواقع من خلال رؤية غير مألوفة معتمداً على خياله الابداعي الخارق للطبيعة وهي معالجة ابداعية للواقع السلطوي السياسي أو الرقابي المخيف (إذ تعد الفانتازيا نوعاً أدبياً يعتمد على الأشياء الخارقة للطبيعة والتي تعد عنصراً أساسياً للحبكة الروائية والتي لا يمكن ان تحدث في وقد تناولنا في البحث هذه الظاهرة من محورين رئيسين هما: النظري والعملي.

الكلمات المفتاحية: فانتازيا السلطة، عالم الذات والآخر، لعبة التغميض، تقنية التورية، الرمزية، الديك رمزاً فانتازياً.

المقدمة:

تُعدّ القصة القصيرة ديك الحكاية للكاتب العراقي ناهض الرمضاني نموذجًا سرديًا مكثفًا يعكس اشتغال الأدب المعاصر على تقنيات الترميز والفانتازيا بوصفهما أدوات فنية لاستنطاق الواقع، وتحويل اليومي المألوف إلى بنى دلالية تتجاوز معناه الظاهري .ينتمي هذا النص إلى أدب ما بعد الحرب، حيث تختلط الوقائع المادية بالعناصر الغرائبية، ويتحوّل الكائن الحي، تحديدًا" الديك"، إلى رمز مركب يحمل دلالات متشابكة تتصل بـ" السلطة"، و"الفحولة"، و"الوجود المهتز "في زمن الخراب.

إنّ فنية النص تقوم على لعبة سردية ذكية تتأسس على الاختزال والتكثيف، حيث تتوارى الوقائع خلف ستارٍ فانتازي شفاف، يتيح للكاتب مساءلة الواقع بلغة الرمز والتورية .ويشكّل" الديك "محورًا بصريًا ودلاليًا داخل الحكاية، فهو كائن مألوف، لكنه يتجاوز وظيفته الطبيعية ليغدو تمثيلًا استعارياً للسلطة الغائبة/الحاضرة، وللرجولة المعطوبة في زمن الحرب .فالحرب، في هذا السياق، لا تُروى كحدث مباشر، بل تُستدعى من خلال آثارها وتشوهاتها النفسية والرمزية، حيث تتسرب عبر الأشياء، والكائنات، والذاكرة الممزقة .

ويكتسب النص عمقه التأويلي من خلال ما يُمكن تسميته بـ" لعبة التغميضة الرمزية "، حيث يتكرر ظهور الديك دون تفسير مباشر، ويترك أثره في كل مشهد، وكأنه يطارد البطل أو يعكس ظلًا خفيًا من ماضيه أو وعيه المنكسر .هذه التقنية – القائمة على الإزاحة والإيهام – تُمكّن النص من تجاوز الحدود الواقعية نحو فضاءٍ سردي مفتوح، تُسهم فيه الفانتازيا في بناء خطاب موازٍ للواقع، لا يكرّره، بل يُفكّكه ويعيد تأويله .

من هنا، تسعى هذه الورقة إلى تحليل البنية الرمزية في ديك الحكاية، وقراءة توظيف الفانتازيا كأداة سردية قادرة على فضح هشاشة الواقع، وتعرية المفاهيم الكبرى كالسلطة والفحولة والبطولة، في سياق ما بعد الحرب، الذي يُنتج كائنات رمزية تحمل في ظاهرها البساطة، لكنها في باطنها تنطوي على توتر وجودي عميق.

الإطار النظري والمنهجي:

تنطلق هذه الدراسة من مقاربة **رمزية–فانتازية** لنص *ديك الحكاية*، إذ تُستثمر مفاهيم الرمز والتكثيف الدلالي لتفكيك شخصية "الديك" بوصفها علامة سردية متحوّلة، تنتج دلالات تتعدى سطح الحكاية إلى فضاء تأويلي أوسع يتصل بسلطة الحرب والفقدان. ويُعتمد في تحليل النص على **المنهج التأويلي** بالدرجة الأولى، مدعومًا بأدوات **السيميائيات** لفهم شبكة العلامات الرمزية، بالإضافة إلى توظيف بعض مبادئ **نظرية الفانتازيا** كما حددها تودوروف، و**مفاهيم أدب ما بعد الحرب** لفهم السياق الوجودي الذي يحرّك الرمز داخل النص.

أولاً: فانتازيا في اللغةِ والاصطلاح:

1 فانتازيا لُغةً:

أ في المعاجم العربية والآثار اللغوية:

لم ترد لفظة الفانتازيا(phantasia) في معاجم العرب الأَوائل؛ وذلك لأن كلمة "**فانتازيا** " ليست عربية الأصل، بل هي معرّبة عن اللغات الأوروبية مثل:(fantasy) بالإنجليزية، تحديداً من اللاتينية واليونانية(phantasia)، ودخلت إلى العربية عبر الترجمة الحديثة، لكنها دخلت الاستخدام الأدبي والثقافي العربي، وتجدها أحياناً في المعاجم الحديثة أو الموسوعية، ففي المعاجم اللغوية والمعاني تُترجم الفانتازيا :(Fantasy) عادة إلى الخيال و الخيال الجامح، وهي تشير إلى كل ما هو متحرر من الواقع، غير مقيّد بالقوانين الطبيعية أو العقلية (عمر، أ. م. ع. ص3 ط1.(2008) و المعاني. كوم. (2025)).

ب في الترجمة :

يعاني مصطلح الفانتازيا تعدداً في الترجمات العربية التي تحيل اليه مصطلح " LeFantastique /the fantasy " الذي يتردد في الترجمات العربية بأسم العجائبي أحياناً و"الفانتازيا" أو" الفانتاستك"، أحياناً ثانية، والسحرية أحياناً ثالثة، و"الخيال الخارق"، أحياناً رابعة، والخيال الحر" أحياناً خامسة ، وفي نهاية هذا العرض؛ أي عبر كل هذه المفاهيم وما انتهى اليه الباحثون الغربيون وعليه ان عملية التعدد في قراءة المصطلح ماهي إلاّ اختلافاً واضحاً في التسميات والمتبنيات، وسوف يتبنى البحث مفهوماً اجرائياً عملياً "الفانتازيا" المصطلح الاكثر تداولاً وشيوعاً

وهذا ما يتبناه بشكل واضح كل من تود وروف وايتر، وستكون دراستنا التطبيقية على ضوئه. وتكون نصوص الفانتازيا حالة من الانفصال عن الواقع لدى الذات الغارقة في رؤيا انسانية تعاني من صراعات وجودية، إذ مثلت تقانة العجائبي متنفساً تعبيرياً في خطاب الذات والآخر معاً وتقوم الفانتازيا على تشكيل تخيلات لا تمتلك وجوداً فعلياً، ويستحيل تحقيقها (علوش، س.ص170,ط1, (1985)).

2 فانتازيا اصطلاحاً :

أ-في النقد الغربي:

يشير مصطلح الفانتازيا"Fantasy " إلى "عملية تشكيل تخيلات، لا تملك وجوداً فعلياً، ويستحيل تحقيقها" أما الفانتازيا الأدبية فهي" عمل أدبي، يتحرر من منطق الواقع والحقيقة في سرده، مبالغاً في افتتان خيال القراء، والفانتازيا القصصية هي " هدهدة للاوعي القارئ، ومكبوتاته المبهمة" (علوش، س.ص170,ط1, (1985)).

ويرى ت.ي .ابتر أنه" يمكن اعتبار الأجواء الفانتازية أجواء وسيلة عملية وناجحة للكشف عن اهتمامات الشخصيات وعواطفها التي يمكن أن تستتر أو تتبدل في بيئات يتحكم بها العرف أو المواصفات الاجتماعية، من هذا المنطلق يمكن النظر اليها على انها تحمل الغرض ذاته الذي تحمله حبكة الكاتب الواقعي وبالمقابل يمكن قراءة الحكاية الفانتازية في أغلب الأحوال بوصفها قصة رمزيةallegory لتكون القصة الحرفية مجرد حرف هيرو غليفي يدون معلومة سلفاً" أبتر، ت. ي.ص12, (1989))، أما الكشف فيشير معناه اللغوي الى" كشف : الكشف : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه ... قال ابن الأثير : الكشف جمع أكشف : وهو الذي لا ترس معه كأنه منكشف غير مستور (ابن منظور. (د. ت): 13/ 73) أي: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: "هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً (الجرجاني، ع. ب. م. باب الكاف مع الشين:154-155,(2004)) ومنهم من يقول أن الفانتازيا: " لفظ لاتيني يرجع الى كلمة (phantasia)، استعمله أرسطو وعنه انتقل إلى فلسفة القرون الوسطى للدلالة على الصورة الحسية في الذهن (وهبة، م., & المهندس، ك. ص166,

(1979)) وقد تأتي بمعنى المخيلة تارة، والخيال المبدع أخرى، كما تأتي للدلالة على الهلوسة والصورة المتخيلة (علاوي، الخامسة.(2005)) .

تعد الفانتازيا فن قصصي من أقدم أنواع الحكي الذي عرفه البشر منذ فجر التاريخ، فهي الحكايات التاريخية، قصص الآلهة والسحر والمخلوقات الأسطورية، فلا توجد حضارة بشرية قديمة تخلو من الميثولوجياMythology وقصص الخلق والحكايات الشعبية عن الساحرات والغيلان والجنيات، التي أدت دوراً في تفسير الظاهر الغامضة التي وقف الإنسان البدائي حائراً أمامها (تودوروف، ت. ص11,ط1, (1992).

والفانتازيا " جنس أدبي ولد في نهاية القرن الثامن عشر، يقوم على اقحام ظواهر خارقة للطبيعة في الواقع، ويستند الى القلق الناتج عن ظواهر غامضة تصدم بقوة خيال الشخصيات وكذلك المتلقي، ويعتمد على العجائبي والغرائبي، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Fantasticus المشتقة من اليونانية Phantastikos التي تعني القدرة على خلق الصور(السعيد، ر. ح. م6, ع294 ,(2020)).

يعرف (جيمس بن) James Gun الفانتازيا "فرع من فروع الأدب والفن، تعتمد على الخيال اللاواقعي غير الممكن، يستخدمها المبدع بصورة غير مألوفة في تشكيلات خيالية يستحيل تحقيقها في الواقع وتعتمد على الخوارق." (صقر، أ. (2025)).

ب. في النقد العربي :

يمكننا الإشارة الى أن اغلب الدارسين والنقاد العرب تعاملوا مع مصطلحات: الفانتازيا، والغرائبي، والعجائبي، والاستيهامي على أنها تؤدي مفهوماً واحداً، رغم وجود فوارق دقيقة بينها(الصمادي، امتنان عثمان محمد. مج7، ع1، (2023)).

مصطلحات مقاربة (أبتر، ت. ي.ص15-17, (1989))و (نصار، ن. ص 248-249(2011)):

هناك عدة مصطلحات مقاربة لمصطلح "الفانتازيا "في المعنى أو الاستخدام، لكنها تختلف في بعض الجوانب بحسب السياق (أدبي، فلسفي، نفسي، فني). إليك أبرزها مع الفروق الدقيقة:

الطابع الفني/الأدبي	العناصر السحرية	العلاقة بالواقع	المصطلح
سردي، تخييلي	أساسية ومحورية	غير واقعي كلياً	**الفانتازيا**
سيميائي، رمزي	عارض ومندمج	واقعي	**واقعية سحرية**
عام(أدب، فن)	غير ضروري	متدرج (واقعي/غير)	**الخيال**
جماعي ميثولوجي	غالباً موجودة	رمزي وثقافي	**اسطورة**
شعري/سردي	يمتزج الواقع مع الخيال	غير واقعي/منفتح على التخييل	**العجائبية**

والفانتازيا بمعنى آخر هي" احتمال تقديم الاسطورة والميثولوجيا والفلكلور والقصص الطوبوية ورؤى الأحلام ومقاطع السريالية والخيال العلمي وقصص الرعب، وكل ما يقارب هذه الأنواع وله علاقة بالبشر" (قاسم، م. ص150, (1993)) ، ومن هذا الإحتمال يصدر شعيب حليفي إذ يقول "العجائبي والغرائبي هما عنصران يندرجان تحت معاطف "الفنتاستيك" الذي يعد اختراقاً لكل حدود الأزمنة والأمكنة وهي المقاييس التي اعتادها الإنسان في حياته الأرضية"(حليفي، ش. ص52, (2009))

ثانياً: فانتازيا السلطة/اختراق الآخر عالم الذات في (ديك الحكاية):

يرى "ليون سرميليان " أن فهم مدلول القصة يختلف من متلقي لآخر وليس بالضرورة أن يتركز المدلول في القصة نفسها ويمكن القول أنه قد لا يتفق متلقيان في الوصول كليا إلى مدلول واحد لأن كل واحد منهم له رؤية تعتمد على ما يستطيع رؤيته هو، ولهذه الخاصية ميزة جيدة إذ قد تكون القصة عابرة لمتلقي ما، في الوقت الذي تكون فيه مميزة وجذابة لآخر ووفق هذه الرؤية سيكون فهمنا ل"ديك الحكاية" للقاص ناهض

الرمضاني "وتظل عملية (القراءة) هي عملية أخذ وعطاء: أخذ من النصّ، وعطاء من قبل المخزون الأدبي والثقافي للقارئ. وهكذا يتفاعل النصّان: الغائب والماثل، من أجل إنتاج (نصّ)جديد هو أيضاً (تناصّ) مركب من نصوص عديدة متداخلة، وهذه هي القراءة المعمقة التي تستبطن أعماق النصّ الماثل، في عملية التفكيك له، من أجل إعادة (تركيب) له، مقترنة بنصوص غائبة عديدة، بخلاف القراءة (الأفقية) التي لا يملك فيها النصّ الماثل من عناصر (الأدبية) ما يسمح للقارئ بالانطلاق في سماء الذاكرة"(عزام، م. ص54, (2001)).

لعب القاص لعبة "التغميض" السلطوية في خطابه إذ أنه كان "ضد" وليس "مع" السلطة" في خطابه التحتاني اللائذ بتقاناته الرمزية التي تجعل منه ذا بعد دلالي ايحائي ... خوفا من السلطة السياسية؛ لذا فهو يلجأ الى الجمالية الأدبية البلاغية،(إيحاء وإشارة وكناية) في البنية السطحية لنصه السردي لكنه يخفي الكثير في تلابيبه.

إذ يرى بعض من نَظَّروا للعنوان أن العنوان باتَ واضحاً أنَّه أول شيفرة رمزية(Symbolical code)، وأن رمزية العنوان " تكون بمثابة شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ فهو أول ما يشد انتباهه، وما يجب التركيز عليه وفحصه وتحليله بوصفه نصاً أولياً يشير أو يخبر أو يوحي بما سيأتي " (فطوس، ب. ص54, (2001)).

كما يرى بسام فطوس أن " سيميائية العنوان تنبع من أنه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أعلى فعالية تلق ممكنة".((فطوس، ب. ص39, (2001)) ،واذا كان العنوان يساهم في بناء الدلالة العامة للعمل الإبداعي– عنوان/نص– فلابد من اتباع استراتيجية عنوانية توجه خيط التأويل بمساعدة كفاءة المتلقي، فالعنوان الذي يعتمد بناءه على الإقتصاد اللغوي يعمل على تثبيت الدلالة ويفتح النص على احتمالات عديدة قد تصرف النص إلى ما لم يوضع له أصلاً، أو يجعل المتلقي في نقطة ما من النص يعمل على تغيير مسار قراءته عن طريق تعديل أفق توقعه، في حين يعمل العنوان الكامل بناءً وتركيباً على توجيه مسار القراءة منذ لحظة تلقيه وفي هذا الحال يكون لزاماً على المتلقي أن يلتفت الى النداءات المصاحبة للعنوان ونعني بها كل ما يحيط بالنص من أيقونات ومؤشرات ورموز (مختاري، زهرة. ص 26, (2012)).

ويقدم **كلود دوشي** تعريفاً للعنوان على أنه " دراسة سننيه في حالة التسويق، ينتج عن التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري، وفيه أساساً تتقاطع الأدبية والاجتماعية، إنه يتكلم/يحكي الأثر الادبي في عبارات الخطاب الاجتماعي، ولكن الخطاب الاجتماعي في عبارات روائية."(بلعا بد، ع. ح. ص67-68, (2008)) ولأهمية العنوان فهو يمثل " بطاقة النص التعريفية، وهويته" (حسين، خ. ح. ح. ص303, (2007)).

وعلى القراءة باعتبارها تلقياً منهجياً، أن تلتفت إلى العنوان محاولة ربطه بجسد النص، وهنا تبدأ عملية العنوان وبناء نصيته، وهنا تعانقك الدهشة من الإطلالة الأولى للعنوان "ديك الحكاية" إذ تتوجه قراءتنا توجهاً سيميائياً في محاولة للكشف عن الإيحاء الدلالي الذي يتضمنه ثريا النص/السرد أو كما يسميه جيرار جينيت (عتبة النص) (بلعا بد، ع. ح. ص19, (2008)).

والذي نستطيع من خلاله كشف دروب المتن النصي ومتاهاته إذ اعتمد النص الحكائي للرمضاني في العنوان على(تقنية التورية) " ويقال لها: الإيهام، والتوجيه، والتخييل. والتورية أولى في التسمية لأنها من وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر" (ابن حجة الحموي، ت. الد. أ. ب. ص52, (2011)).

وهي في الاصطلاح: أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد، فتذكر لفظاً يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد" (ابن حجة الحموي، ت. الد. أ. ب. ص52, (2011)) .

والتي تجعل لكلمتي "ديك " و " الحكاية " أكثر من معنى. إذ يأتي العنوان "ديك الحكاية" من اسمين اثنين ،الأول (نكرة) والثاني (معرفة) ولكل واحد منهما دلالة مقصودة؛ إذ أن لفظة "ديك" بالتنكير تحيل إلى الإطلاق ؛والإطلاق هنا-تكثير وتراكم- وهو مالا يشير لوكان معرفاً، وقد انعكس جمالياً على متن القصة ومتاهاته ،فهو "ديك" قد يطلق على **السلطة المشخص** في العذاب والخوف والقلق، وقد يطلق على **المحتل** —وهذا ما نرجحه- المتواجد في كل مكان وزمان وهو المشخص بالإرهاب والقتل ؛انه يستمتع بتهديدي يمشي مختالاً متبختراً بعرفه البراق وألوانه الزاهية رغم انفجار الألغام وتساقط المخلوقات وصوت الحيوانات الجريحة يصرخ بنشوة (كو كو كو كو) ويحمل في منقاره قطعة دامية من قدم المخلوقات وسط حقل الألغام وقد يطلق على البطل السلطوي أو الآخر الخصم أواو ومدلول "ديك" وضِّع هنا بشكل يناقض المفهوم اللغوي للفظة "ديك"؛ إذ أن الديك في كلام أهل اليمن الرجَّالُ المشفِقُ، الرَّؤُومُ، ومنه سُمِّيَ الدِّيكُ ديكاً أما لفظة "الحكاية" فقد استغلها الرمضاني في إطلاقها على قصته مستفيداً من بنية التورية التي تجعل لها أكثر من معنى فهي قد تعني نصوصا شبيهة بحكايات ألف ليلة وليلة أوقد تعني أيضا نصوصا شبيهة بحكايات شهرزاد وشهريار.فالإيغال نحو الأعماق يعني الكشف عن الأسرار التي تتشكل بترتيب لا ينقطع حتى السر النهائي فكلما اكتشف سرّ، فانه يشير إلى سرّ أخر في حركة تتقدم صوب السَّرَّ النهائي كما يرى إيكو فالرمضاني بهذا العنوان استطاع أن يجعله والنص بنية معادلة كبرى :العنوان :النص كما يرى جيرار جينيه

فالعنونة هنا تخفي وراءها خبايا أضمرها الرمضاني خوفاً من الواقع المحكوم بالسلطة/الإرهاب الذي عاشه. ذلك أن الموضوع المقلق هو تهديد السلطة وهذا الذي علَّق عليه السارد الحوادث السلطوية لكن هذه الحوادث قد اختفت من الوعي خلال عملية الكبت وحلَّ محلها (السلطة)، ديك قاد على إحداث القلق فمدلول القصة يبدأ بمشهد استباقي رجل محارب سابق ندخل معه في مونولوج منطوق يبدأ بعبارة ينفي فيها روي الحكاية (**لا ..لن أروي هذه الحكاية لأحد...وينتهي بنفس العبارة**)، ومن ثم يبدأ بتسلق سلالم عيادة الدكتور(مراد نزال)؛ أشهر طبيب نفسي في أبو ظبي، **فالنفسية** أو **الرمزية الغرائبية** هي تأكيد على وجود هاجس داخلي أو تهديد دائم، ويترك ريشاته

ومن ثم ينتقل بنا إلى وصف العيادة من الداخل والشخصيات الموجودة داخل العيادة ومن ثم ينتقل بنا إلى شارع حمدان(**موجات من السيارات الحديثة تزمجر..شارع حمدان .أطنان من الذهب تملا الفاترينات...**)، وأخيراً يسترجع بنا إلى ذكريات مؤلمة حدثت له ولجنوده في بدرة الصغيرة على الحدود العراقية الإيرانية لينقل لنا مشهد الصَّبية البدوية التي تُقطع رجلها في حقول الألغام وهي تصرخ ومع كل انفجار لغم وصوت طلقة جراح وثغاء وعواء وألم وموت، وفي زخم هذه الحوادث يصرخ الديك بنشوة وسط الحقل وهو يحمل في منقاره قطعة دامية من قدم المخلوقات" **كو كو كو كو**...." ، ورغم إطلاق الرصاص المتلاحق صوبه، لم يصب ولم يضطرب ..اختفى رغم أنه لم يذهب بعيدا، انه قريب قريب جداً في نومه ويقظته وفي كل مكان يذهب إليه...ثم يختم قصته بنفس العبارة التي بدأها(**لا. لا. لن أروي هذه الحكاية لأحد.**)، فالمتلقي لا يجد مشقة في الإحساس بقسوة العالم ورهبته وعنفه وقيود الحروب وإفرازاتها التي تكبل المجتمع بالرعب والإرهاب والهلاك وخلط الأوراق وتشتت السلطات لذا فانك لا تكاد تلحظ الفرق بين عالم ابوظبي /حرب البورصة/الخوف/الخسارة/الفزع/ وعالم بدرة/الوحشي/ المرعب/ الموت/وهذان المكانان يمثلان الفضاء القصصي" لديك الحكاية" والذي أثر على الشخصيات وكشف القيم الأيديولوجية التي يعبر عنها، باعتبار أن المكان كما يرى بعض النقاد هو "الذي يعطي للمتخيل مظهر الحقيقة" وحقيقة المكان هنا وألوانه تستحق دراسة بحد ذاتها فقد كان الرمضاني دقيقاً بكامرته التي لم تترك شيئا إلا وصورته بدقة رغم بشاعة المشهد- والذي يتماثل مع الواقع العراقي المعاصر في (ديك الحكاية)، يتعرف القارئ /المتلقي على سارد ذاتي مشارك في الأحداث يتحول تدريجيا الى شخصية رئيسة تدور حولها الأحداث ، فهو سارد يشخص تجربته الذاتية/الأنا القلقة الخائفة المرهقة والآخر الديك الهاجس/داخلياً من جهة ويتفحص ما يدور حوله في عيادة

الدكتور في(أبو ظبي)، وملجأ القتال في (بدرة)، والديك الخصم/خارجياً من جهة أخرى، فهو يعتمد السرد بضمير المتكلم(**لا..لن أروي هذه الحكاية لأحد...نجحت أخيرا في تسلق سلالم العيادة...هل كان علي أن أحمي نفسي؟ أم أحمي جنودي؟...لالا. لن أروي هذه الحكاية لأحد**)، فهو سارد عليم بتفاصيل دقيقة عن شخصياته ،إنه يعرف الأحداث والصور أثناء حركتها. **فلعبة التغميضة** تمثل **التمويه** أو **التخفي**، وهي فكرة قد استخدمها الرَّمضاني في **التلاعب الرمزي** للأحداث والشخصيات، إذ يمكننا اعتبار أن **الفانتازيا** والرمزية السلطوية **يخفيان الحقيقة** أو يُقدمان **معنى مزدوجاً** يتطلب التفسير في بنى النص الثاوية في تلابيب جمالياته غير البلاغية.

فالرمز: " هو ما أُخفيَ من الكلام ، واصله الصوت الخفي ، وإنما استعمله المتكلم في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم " (ابن وهب الكاتب، أ. إ. ص112, ط1, (1967))، فثمة مسافة دلالية مخفي عنها لا يمكن الكشف عنها إلا بعد إعمال الذهن بغية الوصول إلى البنية التحتانية التي يسجلها النسيج اللغوي في النص ، بوصفه مجموعة من الصور المتناقلة يطغى فيها المجاز على الحقيقة والتلميح على التصريح ، والمعاني الرمزية فيها صور تباين الحقيقة ، ولكنها قد تعكس شيئاً من ظلالها ، فالمعاني الرمزية أشباح أشياء محسوسة تستعصي على التعبير الصريح"، ويرى بعض النقاد المعاصرين أن الرمز لغة الرؤيا فإذا اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة وصار الرمز هو الوسيلة الوحيدة للرؤيا المركبة التي تصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، ومن هنا كان الرمز من التقنيات التي استخدمها القاص وهي سمة أسلوبية للتعبير عن رؤيته في(ديك الحكاية)، إذ كان لاستخدام الرمز أهمية خاصة في العنوان شَّخَصَ المخاوف الجمعية في صورة طائر يهدد الكل ويطاردهم في نومهم ويقظتهم انه موجود... موجود ويترك ريشاته في كل مكان يذهبون إليه وهذه المخاوف ليست سوى صور ذهنية مقموعة في اللاوعي من قهر الاحتلال وجور السلطة وهيمنة القيود السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإحباط الفردي والجمعي، وهذا الرمز يتناصص مع رمز رواية (روح محبات)، لفؤاد قنديل(Katara Novels. (2025). فؤاد قنديل)، إذ أن كلاهما يتخذ من الديك رمزاً فانتازياً له وهذه **الرمزية** التي استخدمها القاص ناهض التي ذكرتها تتميز **بعمقها الرمزي** و**التلاعب الدلالي** بالأشياء في ظل **ظروف الحرب القاسية**، وهذا الاستخدام كيف يمكن أن يتحوّل عنصر عادي أو مادي، مثل **الديك**، إلى **رمز متعدد الدلالات** في سياق الأدب؟ فالرمزية التي تم تقديمها مع التأكيد على كيفية استخدام **الفانتازيا** كوسيلة لتوصيل معاني أعمق في السياق الأدبي:

1. **الفانتازيا والرمز الساخر في زمن الحرب/ الديك كرمز:**

البطل/ ديك 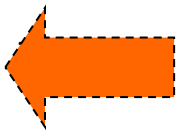 نص غ.....رمز للرجولة المفتقدة أو الغائبة/عقم .

الديك هنا يحمل معاني متعددة، فهو **رمز للحياة، والخصوبة، والسلطة** في وقت الأزمات؛ لأن الرجال أصبحوا حالة سلبية يجامع نساؤهم ديك... في ظل **فقدان الفحولة عند الرجال** بسبب تداعيات الحرب، يصبح الديك **رمزًا للمقاومة الحيوية** والطبيعية في مواجهة **الضعف البشر**، وفي تلك الحالة، قد تكون النساء هن من يبحثن عن **إعادة هذه الفحولة** أو رمزها في الديك، إذ يمثل **التأكيد على الاستمرارية الجنسية والنزاع على السلطة** في وسط ما بعد الحرب.في سياق **الحرب**، قد يُعبّر عن صراع الحياة والموت. قد يكون رمزًا لقوة البقاء في ظل التدمير، ولكن أيضًا قد يكون **رمزًا للفقدان**، إذ **يأكل فتافيت اللحم المتناثر جراء المعركة**، مما يرمز إلى **الدمار** والموت الذي يرافق الحروب... كما أن **مشية الديك خلفه الدواب** قد تمثل **استمرار الحياة رغم الخراب**، فحتى في فترات العنف والحروب، تبقى الحياة تمشي في دورتها الخاصة، وإن كانت **شوهاء أو مكسورة**، فاستخدام **الفانتازيا** هنا لا يتوقف عند مجرد عرض عوالم غير واقعية أو سحرية، بل يظهر **عنصر السخرية** :كيف يتحول شيء مثل **الديك**، الذي يمكن أن يكون رمزاً بسيطاً في الحياة اليومية، إلى **رمز للسلطة والفحولة** في زمن تكون فيه هذه القيم مشوهة، وهذا الأسلوب قد يكون جزءاً من محاولة السخرية أو **النقد الاجتماعي** حول **الفراغ والفوضى** الناتجة عن الحروب، التي تجعل الأشياء البسيطة تكتسب معاني جديدة وغريبة.

2. **الديك كرمز للفحولة والسلطة:**

في النص الحاضر التي تشير إليها، عندما يظهر الديك كرمز للسلطة والفحولة، يصبح له **دلالة سلوكية** تتعلق بتأكيد القوة الجنسية والفكرية في المجتمعات التي فقدت فيها هذه القوى بشكلٍ أو بآخر.

البطل/ ديك 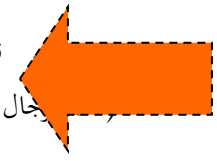 نص ح ..... رمز للرجولة الغائبة/عقم
رجال أصبحوا دون تفكير كالخراف يقودهم ديك إلى الموت)

فالديك في النصين أعلاه أصبح **رمزاً فانتازياً للسلطة** التي لا تملكها الشخصيات البشرية التقليدية، وفي هذه الحالة، يمكن للديك أن يكون **تمثيلاً فانتازياً لما فقدته الإنسانية** في الحرب من خصائص مثل الفحولة، القوة، والقدرة على الإبداع، وقد ظهر هذا التناقض بين **الحقيقة المجردة**، فالحرب وتدميرها/ الموت، و**الرمزية الفانتازية** /الديك كرمز للحياة والقوة.

و جيء هذا المتناص هنا مقارباً لدلالته الأولى، على الرغم من تحويله وتوظيفه توظيفاً مناقضاً ومعارضاً له فالواضح أن كلاهما يتحدث بألم عن الواقع العربي المعاصر في ظل فقدان المكان والزمان والإنسان وإيصال ما في النفس في بعض مراحل الشدة أو القهر والجور، فالرمضاني يعمد إشاريا إلى استدعاء الديك /الرمز الفانتازي والتناصص معه، وقد عمد الرّمضاني لهذا الأسلوب ليكون جزءاً من محاولة السخرية أو **النقد الاجتماعي** حول **الفراغ والفوضى** الناتجة عن الحروب، التي تجعل الأشياء البسيطة تكتسب معاني جديدة وغريبة.

تغميض السلطوية	ل الغائب	ل الحاضر	دات الدلالية	
السلطة والفحولة			فانتازية	
طة	/الزعيم	/سلطوي	القصة الفانتازي	
ع ألأنا	ة خطرة من حياة مصر	ة الاحتلال	لة التاريخية	

فالوحدات الدلالية 1+2+3 تقترب إلى حد كبير بين النص الحاضر والغائب ،فالخطاب القصصي يكون مفتوحا على تذوق لانهائي ،إنه بجملة(إمبرتو إيكو)،"يتحدد في ذاته بوصفه مصدراً لا ينفد من التجارب ،كلما تم تسليط الضوء عليه بكيفية متنوعة إلا وأعطى في كل مرة جانبا جديدا". انه صراع بين الحياة والموت وبين الكلام والصمت وبين المكشوف والمخفي عنه، فاللغة (الكلمات) – كما يحدثنا هادغر- "ليست وسيلة يفصح بها الإنسان عن نفسه ....وليس بإمكاننا أن نتمثّل ماهيتها ونتملّك تلك الماهية إذا اكتفينا بالنظر إليها على إنها مجموعه من الدوال أو اقتصرنا على وظيفتها الدلالية ؛إن اللغة هي الكيفية التي يكشف فيها الوجود عن ذاته ويحجبها في الآن نفسه ،إنها مأوى حقيقة الوجود" بل إن اللغة هي ملاذ لعبة التغميض ومأوى السلطة ،إنها إعلان النفوذ عن نفسه كما يعبّربارت.

استخدام القاص للديك كرمز فانتازي في سياق الحرب يعكس **حالة تدمير الواقع** والبحث عن **تفسير خارق** للضعف البشري والسلطة المفقودة، إذ لا يعد هذا **انعكاساً للواقع** فقط بل أيضاً **استعارة فانتازية**

جسدت الصراع الدائر بين **الواقع المعاصر المظلم** و**العناصر الرمزية** التي تتطلع للانبعاث في ظل الخراب، فالفانتازيا هنا أدت دوراً كبيراً في **إعادة خلق وانبثاق الأمل** أو إعادة **تشكيل رمزية السلطة**، حتى لو كانت في شكل **سخري أو غريب**.

ناهض الرمضاني كان جريئا في انتهاكه للمقدس السياسي الذي لم يجرؤ احد على الاقتراب منه بحسب علمي إلا إذا كان هذا –المنجز منشور– بعيدا عن أسنان الرقيب وسلطته ... ناهض الرمضاني شبكة تلتقي وتتقاطع فيه النصوص الثرية فهو مدماك لقراءات متعددة .

الخاتمة:

توصل البحث من خلال قراءة مصطلح "الفانتازيا" في "ديك الحكاية الى النتائج الآتية:"

1 التحرّر من الواقع المباشر:

الفانتازيا تتيح للكاتب كسر قيود الواقع والزمن، مما يجعل الحكاية قادرة على التسلل إلى القارئ بعيدًا عن مقص الرقيب أو عنف السلطة، وخاصة في السياقات السياسية والاجتماعية الحساسة.

2 قناع رمزي للقول المخفي:

"ديك الحكاية" يوظّف الفانتازيا كأداة لتمرير الخطاب السياسي أو الاجتماعي، عبر صور رمزية وتورية وحكايات متخيلة. فهي تسمح بالتلميح دون التصريح، والهروب من الصراحة التي قد تكون مُدانة.

3 بناء عوالم موازية:

الفانتازيا تخلق عوالم متخيلة بديلة، لكنها غالبًا ما تكون إسقاطًا أو انعكاسًا للعالم الواقعي، تعيد فيه الشخصيات والهياكل والأحداث إنتاج النظام المرفوض أو المسكوت عنه.

4 فضاء لتفكيك السلطة والنظام:

من خلال المفارقة والسخرية والرمز، يستخدم "ديك الحكاية" الفانتازيا لنزع هالة القداسة عن السلطة، وكشف هشاشتها، وتصويرها ككائن قابل للرفض أو العبث أو التحوير.

5 الفانتازيا كجمالية سردية:

ليست الفانتازيا أداة للهروب من الواقع فحسب، بل جماليات فنية تدخل في اللغة والبنية والسرد، فتصبح الحكاية مشغولة بتقنيات المجاز والتكرار والتدوير، لا مجرد حكاية خيالية.

6 الفانتازيا كنوع أدبي هجين:

في "ديك الحكاية"، تظهر الفانتازيا كجنس متداخل مع الحكاية الشعبية، والرمزية، وأحيانًا الكوميديا السوداء، مما يجعلها أكثر قدرة على التحول والتلون لتتناسب مع مقاصد الكاتب.

7 القارئ شريك في التفكيك:

الخطاب الفانتازي يحمّل القارئ مسؤولية تأويل ما يُخفى خلف القناع، فليست الفانتازيا مجرد سرد غريب، بل دعوة للتأمل، والتأويل، وربما للمقاومة.

خلاصة:

مصطلح الفانتازيا في ديك الحكاية لا يعني الهروب من الواقع، بل إعادة تشكيله بخيال ناقد وساخر، أحيانًا متفجر، وأحيانًا حالم، لكنه دومًا مشحون بدلالات الحرية والمقاومة والمعرفة.

قائمة المراجع

الكتب:

أبتر، ت. ي. (1989). أدب الفانتازيا: مدخل إلى الواقع (ص. س. السعدون، ترجمة). (د. ط) بغداد: دار المأمون.

ابن حجة الحموي، ت. الد. أ. ب. (2011). كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام (م. ن. بن عمر، تحقيق), دار الكتب العلمية, بيروت.

ابن منظور. (د. ت). لسان العرب المحيط (ع. العلايلي، تقديم؛ ي. الخياط، إعداد وتصنيف) (د. ط) بيروت: دار الجيل.

ابن وهب الكاتب، أ. إ. (1967). البرهان في وجوه البيان (تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ط.1). بغداد: مطبعة العاني. صـ 112.

الجرجاني، ع. ب. م. (2004). كتاب التعريفات (م. ص. المنشاوي، تحقيق ودراسة) (د. ط) القاهرة: دار الفضيلة.

بلعا بد، ع. ح. (2008). عتبات (ج. جينيت من النص إلى المناص) (س. يقطين تقديم)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر.

تودوروف، ت. (1992). طرائق تحليل السرد الأدبي ط1. الرباط: اتحاد كتاب المغرب.

حسين، خ. ح. ح. (2007). في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية (ط. 1), دار التوين, دمشق.

حليفي، ش. (2009). شعرية الرواية الفانتاستيكية, الدار العربية ناشروت , ط3, لبنان.

عزام، م. (2001). النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق.

علوش، س. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: عرض وتقديم وترجمة بيروت: مطبعة دار الكتاب اللبناني؛ ط1؛ الدار البيضاء: سوشبريس.

عمر، أ. م. ع. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة (ط. 1). عالم الكتب.

فطوس، ب. (2001). سيمياء العنوان, مكتبة عكانة ,ط1, عمان الاردن.

قاسم، م. (1993). الخيال العلمي: أدب القرن العشرين، ط1 الدار العربية للكتاب.

نصار، ن. (2011). معجم المصطلحات الأدبية (عربي–إنكليزي)، ط1 عمان: دار المعتز للنشر والتوزيع.

وهبة، م., & المهندس، ك. (1979). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ط. 1). بيروت: مكتبة لبنان.

الرسائل والدوريات

السعيد، ر. ح. (2020). توظيف الفانتازيا لتقليص الفجوة بين الواقع والمأمول في مسرح الطفل – حلم الأراجوز. مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية مج 6, ع 629.

الصمادي، امتنان عثمان محمد. (2023), فانتازيا التاريخ في رواية "ماء الورد " للكاتبة القطرية نورة فرج. مجلة أنساق، مج 7,ع1، دار نشر جامعة قطر.
. 2023.0174/Ansaq.10.29117https://doi.org/

علاوي، الخامسة .(2005) .العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجاً) رسالة ماجستير غير منشورة بإشراف عبد الله حمادي). جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

مختاري، زهرة. (2012). خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة: مقاربة سيمائية (رسالة ماجستير غير منشورة). تحت إشراف عبد الوهاب مراوي، كلية اللغات والآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران – سانيا، الجزائر.

المصادر الالكترونية والمواقع

https://kataranovels.com/novelist/ناهض-الرمضاني.

المعاني. كوم. فانتازيا – تعريف ومعاني اطّلع عليه في 3 يوليو، 2025، من:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/فانتازيا

صقر، أ. قراءة تحليلية في مسرح الخيال العلمي. الحوار المتمدن. اطّلع عليه في 3 يوليو، 2025، من:https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=258278

كاتارا للرواية. فؤاد قنديل، اطّلع عليه في 3 يوليو، 2025، من:
https://kataranovels.com/novelist/فؤاد-قنديل/

كاتارا للرواية. ناهض الرمضاني, اطّلع عليه في 3 يوليو، 2025

The Reader and the Abrupt Presence of the Text: A Study on the Formation of Meaning—The Example of *Journeys of Love and Death* by Mauritanian Poet Bady El-Morabity

Ethmane Abderrahmane El-Yedali
École Normale Supérieure – Assia Djebar – Constantine
ethmaneyedali4@gmail.com

Conference Title
Eighth Conference of Islamic and Social, Literary and Linguistic and Sports Sciences

Abstract:

Deconstruction aims to highlight the multiplicity of meanings by acknowledging the influence of language and the reader on their formation. This is achieved by framing a new critical understanding that challenges traditional assumptions about meaning. It focuses on the reader's role in formulating and interpreting meanings, based on their perspectives and the cultural background enriched by their experiences.

Building on this, the present study seeks to apply these procedures and mechanisms—which view the reader as a creative force generating meanings no less significant than the original text—starting with the immanence of the title and its relation to the unspoken. This proceeds through the text's widening gap between the signifier and the signified, in addition to the effectiveness of rhythm on the recipient's psyche. The study aims to reveal the reader's agency in disrupting the text's presence and its role in crystallizing meaning within (Journeys of Love and Death), the work under examination.

Keywords:

Reader – Disruption of text's presence – Formation of meaning – Journeys of Love and Death.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

القارئ ومباغتة حضورية النص دراسة في تشكل المعنى: (أسفار العشق والموت) للشاعر الموريتاني بدي المرابطي–أنموذجا–.

عثمان عبد الرحمن اليدالي

المدرسة العليا للأساتذة –الكاتبة: آسيا جبار– بقسنطينة

ethmaneyedali4@gmail.com

عنوان المؤتمر: المؤتمر الثامن للعلوم الإسلامية والاجتماعية، الأدبية واللغوية وعلوم الرياضة.

الملخص:

يسعى المنهج التفكيكي إلى إبراز تعددية المعاني، بناء على ما للغة والقارئ من أثر في تشكلها، عبر تأطيره لفهم نقدي جديد يقوم على نقض الفرضيات التقليدية حول المعنى، مشتغلا على دور القارئ في صياغة وتفسير المعاني، بناء على رؤاه وما يمتلك من خلفية ثقافية تذكيها التجارب.

وتأسيسا لما سبق تروم هذه الدراسة تطبيق تلك الإجراءات والآليات –التي تعتبر القارئ حالة إبداعية تنتج معان لا تقل أهمية عن النّص الأصلي– بدءا من محايثة العنوان وعلاقته بالمسكوت عنه، مرورا بما تضمنه النص من اتّساع الهُوة بين الدّال والمدلول، إضافة إلى ما للإيقاع من فاعلية في نفس المتلقي، سعيا إلى كشف فاعلية القارئ في مباغتة حضورية النّص وما تنطوي عليه من بلورة المعنى في: (أسفار العشق والموت) الذي تشتغل عليه الدراسة.

. الكلمات المفتاحية:

القارئ – مباغتة حضورية النص – تشكل المعنى – أسفار العشق والموت.

مقدمة:

تسعى الدراسة إلى توظيف أدوات النقد الما بعد حداثي وخاصة تلك التي يقوم عليها المنهج التفكيكي الذي يخترق النص بما يتيح للقارئ من فاعلية في التحليل؛ لكونه يقرأ النّص ليعيد بناءه لا أن يثبت معناه، وهو ما يؤدي في النهاية إلى ظهور دلالات ومعان جديدة، وهو بذلك يتماشى مع النّص الذي اختارته الدراسة، انطلاقا من خلفيته الفلسفية دون أن تغفل عن الاستعانة بما تسعف به المناهج النّقدية الأخرى، وخاصة المنهج السميائي الذي يُمكننا من كشف اشتغال العلامات وما توحي به من دلالات، وما ينتج عن ذلك من قدرة على التأثير.

ولتكون الدراسة مرسومة المعالم علينا أن نسلط الضوء -ولو بشكل خاطف- على الشعر الموريتاني، الذي لا يعدو كونه صورة مصغرة عمّا يمرّ به الشعر العربي المعاصر من دينامية شعرية، كان لها أثرها البالغ في بناء القصيدة العربية الحداثية شكلا ومضمونا، وكثيرا ما يتلقف بعضا من مظاهر الشّعر العربي المعاصر "كالتداخل والتمازج بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، إضافة إلى تأثره بالأسطورة وبمكونات السرد القصصي وكافة أنواع الإيقاع الشعري. (بومالي، حنان، 2015م، ص:1).

والمدونة التي بصدد دراستها ليست بدعا مما سبق؛ بل هي جزء من تلك البيئة، فالشاعر الموريتاني رغم تأثره بالشّعر العربي في حداثته، إلا أنه يبقى أسير بيئته الصحراوية التقليدية التي نشأ فيها، متأثرا بشعرائها وثقافتها المحلية؛ غير أن "**بدي أبنو المرابطي**" -لكثرة اطّلاعه- كان يرفض الانزواء والتستر خلف تلك التقليدية؛ بل هو في سعي دؤوب إلى مجاراة روح العصر بما يتطلبه من قوالب ومضامين شعرية، تعزز قدرته على إبداع نصوص شعرية حداثية تساير القصيدة العربية المعاصرة لغة وبناء وإبداعا، ما جعل قصائده ميدانا ينافح فيه عن قيمه ومبادئه، وهو ما يظهر من خلال نص "**أسفار العشق والموت**" إذا ما نظرنا إلى العنوان نظرة سيميائية خاطفة.

ولأجل أن تبنى الدراسة على أساس علمي لا بد من صوغ إشكالية تتوخى الدراسة الإجابة عنها، وعليه فإن الأسئلة المحورية لبحث إشكاليتنا تتمثل في التساؤلات الآتية:

ما الأدوات الإجرائية لتفكيك النص؟ هل لجدلية الحضور والغياب إسهام في إنتاج المعنى؟

وهل يسعفنا التحليل السيميائي في الوقوف على معان من شأنها أن تسهم في تأويل جديد للنّص؟ وهل لتحيين النّص من لدن قارئه دور في تشكل المعنى؟

ثم إنّ المنهجية العلمية تقتضي تحديد الدراسة بإطار محدّد وهو ما جعلها تقتصر على أجزاء من النص السالف الذكر، سعيا إلى قراءته وتفسيره وفق آليات تحليلية، تعتمد القراءة المنفتحة؛ لتكشف عن دور القارئ وما يمكن أن ينتج من معان حول النّص، بالإضافة إلى ما يمكن أن يستجلى منه من ظواهر معرفية، انطلاقا من إرجاء المعنى وعلاقة الدال بالمدلول، والاختلاف وغيرهما من الظّواهر؛ حيث ستقف الدراسة مع دلالاتها اللغوية والصوتية وتأثيرها في الجانب النّفسي.

واعتبارا لما تقدم من خطوات تؤسس للمنهجية العلمية جاءت خطة الدّراسة مشتملة على:

مقدمة تستعرض الدراسة فيها واقع الشعر الموريتاني، ونبذة يسيرة عن الشاعر وديوانه.

على أن يكون صلب الدراسة مكونا من ثلاثة مباحث موزعة على النحو الآتي:

المبحث الأوّل: البعد الدلالي والجمالي للعنوان، **المبحث الثاني**: التفكيك النصي وتشكل المعنى

المبحث الثالث: القارئ ومباغتة حضور النص.

على أن تكون الخاتمة متمثلة في نقاط تعدد أبرز ما خلصت إليه الدراسة من نتائج.

وتنطلق الدراسة في منهجيتها وفق منهجين هما:

المنهج التفكيكي: الذي له ارتباط وثيق بقراءة النّصوص وكيفية إنتاجها للمعاني وما تحمله من تناقض، إضافة إلى ما له من قدرة على تحليل النّصوص والكشف عن معانيها، ومواطن القلق فيها. (بكاي، محمد، 2023م، ص:66).

المنهج السيميائي: الذي له اهتمام بالعلاقات اللغوية التي يبنى عليها النّص؛ بل إنه يتجاوزها إلى العلاقات غير اللّغوية، مستثمرا الإشارية والنّظم التي تساعد على قراءة النّص وتحليله تحليلا يتسم بمستوى عال من الجمالية يعرض العلامات النّصية، التي تعكس التماس وجوه التشاكل والتباين في لغة النّص الشّعري0 (مرتاض عبد الملك، 2001م، ص:22).

توطئة: التجربة الشعرية لدى الشاعر:

لقد كتبت قصائد الشعر الموريتاني المعاصرة بلغة مطواع، تلتحم بدلالات النص وترفده بأريحية دقائقها وتموجاتها المختلفة، لغة حافظت في غالبها على بلاغة الشّعرية العربية في نسختها الرومانسية، ويحتفي هذا الاتجاه بفصاحة اللغة ومجاراة عمود القصيدة العربية القديمة، والانفتاح باعتدال على الأسلوب الرمزي. (الشعر في مواكبة النضال، 2011م، ص11-12).

وبصفة عامة يمكن القول إنّ النص الشعري الموريتاني يشكل صورة نموذجية للشعر العربي المعاصر عبر انفتاحه المعتدل -غالبا-على تيارات الحداثة مع وجود نصوص تتسم بملامح تيار ما بعد الحداثة، الذي استهوى بعض الشعراء واتخذوه نموذجا ينبغي النسج على منواله، حتى تتحرر القصيدة من حيث الشكل والبناء والموضوع لتكون تشخيصا للواقع وميدانا لتحرير فكره من سلطة التبعية الثقافية، التي تؤسس لها النصوص التابعة المؤسسة، وممن خاض غمار هذا الاتجاه: **بدي أبنو المرابطي**، الذي تسير أغلب دواوينه في هذا الاتجاه، حيث التحرر من الوزن ومزج القصيدة العمودية بالقصيدة النثرية، وتتكسر فيها البنية اللغوية لتعطي صورا تعبر عن واقع تتشظى فيه الذات؛ كي تعبر عن ذاتها انطلاقا من قضاياها الوطنية والقومية متشبثة في أغلب الأحايين بفصاحة اللغة وجزالتها.

بدي المرابطي شاعر يرقى بالفنّ والشّك عاليا؛ ليصل بالرفض إلى حد التقديس، ومثقف ثائر يتأجج بركانا دائم الغليان، يبين عن تمرس في إبداع القصيدة وإمساكه بأزمّة سلطة الدّلالة واللغة والإيقاع، ليصنع بركانا يجمع "الأنا" والـ نحن في اصطفاف وجودي لـ "الأنا" و "الأنت" عبر الشعر.

إن إحدى ميزات الشاعر **بدي أبنو المرابطي** قدرته على جذب جمهوره إلى عالمه الشعري الخاص، ذلك أن من وقف على نصوصه، "سيقف على تجربة طويلة حنكتها سنوات شديدة المراس، تجربة تنم — في عمقها الحقيقي— عن موهبة متفجرة ومشعة، تخترق كل عوالم اللغة؛ لتبدع ألفاظها من جديد، وتعيد صياغة مضامينها حتى تحولها إلى طاقات وهاجة توحد الشاعر والقارئ في ذات واحدة، هي الذات الشاعرة المبدعة". (المرابطي بدي أبنو، نسخة word، ص:4)0

إذن فالتجربة الشعرية لدي **بدي أبنو المرابطي** تعتبر جامعة بين الألم والشوق، مما يجعله يمثل نبضا صادقا من الحياة الثقافية في المجتمع العربي، حيث تتداخل التقاليد والحنين مع التغيرات العصرية.

المبحث الأوّل: البعد الدلالي والجمالي للعنوان:

يحمل النّص عنوانا موغلا في الفلسفة الوجودية "**أسفار/العشق /الموت**" حيث يمثل السّفر البحث عن الذات، أو أنه مساحة للتفكر في الهوية والصراع الإنساني، أما الموت فيمثل في بعده الدّلالي البسيط تلك الحقيقة الحتمية، التي بها يفتى الإنسان ويندثر، غير أنّ النّص لم يكن يرمي إلى تلك الدلالة، وإنما يؤسس لمعنى آخر يقوم على أن الموت جزء من دورة الحياة، ومحطة من محطاتها التي تعبر عن التقلبات بين اليسر والعسر، وعن حاضر يطغى على الماضي (بن عروسة نعيمة، خديم أسماء، 2021م، ص:7) ، فينتج عن صراعهما مستقبلا يمثله العشق الذي ليس إلا أملا يجعله يتشبث بالحياة مكافحا طغيانها متغلبا على عثراتها.

هكذا يختزل العنوان رحلة المؤلف عبر ملحمته التي أراد السفر من خلالها إلى عوالمه، موظفا لغة شاعرية يعول على تأثيرها السياسي والاجتماعي بعيدا عن تأثيرها اللغوي؛ ليصبح **الموت** رمزا للقمع، و**العشق** تعبيرا عن التوق للحرية، بينما تمثل الأسفار الجسر الذي يربط بينهما عبر رحلة من التّمرد والتأمل وإعادة البناء، وبذلك يكون العنوان يعكس رؤية فلسفية تتعالى على الزمن، وتجعل النّص كيانا مقاوما للنسيان والجمود عبر ما تحمله دلالة "**الأسفار**" من حركة عبر الزمان والمكان؛ غير أنها تتمدد في مفهومها لتحيل إلى مفهوم معنوي يتمثل في:

صراع الذات مع الثنائيات الفلسفية:

الوجود/ العدم الحياة/ الموت الحب/ الفقد

ثم يأتي العشق الذي يخرج من كونه مجرد حالة عاطفية؛ ليمثل قوة فلسفية تواجه الموت وتعلي من قيمة الوجود، عبر رؤية منتفضة تسعى إلى بناء الذات عن طريق الانزياح عن المباشرة إلى المجاز الشعري، تأكيدا على التشبث بالحياة ومحاولة للخروج من عباءة تلك الأوضاع إلى فضاء لا يحده زمان ولا مكان. إنها رحلة في عالم اللغة تشحن دلالاتها لتخلق فضاء زمنيا ومكانيا يسمح له بالحركة والولوج إلى عوالمه ليلفت القارئ إلى رمزية العشق والموت، ذلك الموت الذي ليس إلا بعثا لواقع مغاير يمثل البداية والنهاية في الآن نفسه؛ إذ لا يوجد ارتقاء إلا ويقابله هبوط، فكذلك لا تغيير للواقع إلا بزوال واقع آخر، تلك هي نظرته للموت فحيثما وُجد موت بدأت حياة جديدة (بسام موسى قطوس، 2019م، ص16.)، ولعل

فلسفته في ذلك ترجع لاعتقاده الديني فالموت بالنسبة للمؤمن قد يكون بداية خلاص مما يعانيه من تعب العيش الدنيوي ليبدأ حياة برزخية قد يكون عيشه فيها أرغد.

بما تقدّم يمكن القول إنّ العنوان كان انعكاسا دقيقا لرؤية فلسفية تعكس صراع الإنسان مع الوجود والعدم، في قالب لغوي بني على الهدم وإعادة البناء؛ حيث إن: "**أسفار العشق والموت**" التي اتخذها النص عنوانا له تتألف من كلمات لا ترابط بينها في الظّاهر؛ لكنها اتخذت شكلا من التضايف والترابط منحها تيمة جديدة مكنتها من إعطاء مدلولات مغايرة تقدح في ذهن القارئ التساؤل عن العلاقة بين مفرداتها؟

ولعل ما يفسّر التّرابط بين هذه المفردات هو ذاك المعنى البعيد الذي يعبّر عنه النص ويجعل عتبته مدخلا إليه؛ إذ إن العلاقة كامنة بين العشق والسفر لترتب الأخير على الأول، ذلك أنّ العشق وإن كان يشي بالمحبّة والوله إلاّ أنّه يحيلنا إلى التّمسك بالشيء وبذل كل ما بوسع المرء من جهد، سعيا إلى تحقيق الرغبة والطموح، وهو ما يعكس عشق المؤلف لموطنه وتمسكه بموقفه الدّاعي إلى الإصلاح ونشر الوعي بضرورة العدالة الاجتماعية، وهنا تبدأ العلاقة الرابطة بين العشق والموت حيث يفضي موت تلك المسلكيات التي تعيق تنمية الوطن إلى بدء حياة جديدة وواقع مغاير لذلك الواقع، وبهذا نستشف من عتبة النص أنها كانت تعبيرا صارخا ينشد الأمل بدل الألم والحياة بدل الموت.

المبحث الثاني: التفكيك النّصي وتشكل المعنى:

التفكيك هو تلك الإستيراتيجية القرائية الرّامية إلى استكناه معنى النّص عن طريق كشف الثّنائيات، التي تتشكل منها البنى اللغوية، منطلقة من رؤية تعتمد عدم ثبات النّص أي: أحادية معناه؛ بل إنها تعتبره في سيرورة دائمة تجعل معناه متجددا إما بالإرجاء، أو عبر ثنائية الحضور والغياب، والاختلاف ... وغيرها من مفاهيم يستند عليها التفكيكي في تفسير النصوص (تروش حسين، 2016م، ص:6) (العزري أحمد، 2012م، ص:12.).

وتحاول الدّراسة توظيف تلك الإجراءات كي تستبين معالم النّص دون إغفال ما للسياق من فاعلية في تأويل النص، وذلك لكونه لم يعد –من منظور سيميوطيقا التأويل– معطى جاهزا نرد إليه النص، وإنما هو نتاج تفاعل بين إستيراتيجية النص وإستيراتيجية القارئ، (سعد، لخذاري، 2020م، ص:314).

وإذا ما حاولنا الخروج عن النظرة التقليدية التي بنيت على أنّ الشـعر في عمومه ليس إلا أغراضـا تسمى شعرية وتختزل كل أغراضه في المديح، أي: أنه مديح ل: "لـــ أنت" في غرضي المدح والرثاء، ومديح ل: "لـــــ أنتِ" في غرض الغزل، ومديح "ذاتي" في غرض الفخر، ومديح سلبي في غرض الهجاء، وما عدا ذلك تنويع لتلك "الأغراض" وامتداد لها، (المرابطي، بدي أبنو ، 2023م، 28-29)، فإن النص الذي بين أيدينا يمثل اندفاعا إبداعيا ملحميا، به وعبره يتكشف الفعل النضالي، كتجربة تغييرية مرحلية، وكتجربة إنسانية أبدية، يشعل نفسه، كي يضيء لغيره ومن شواهد ذلك في النص ما يلي:

النص:

وأمشي أمامي رحيل وراء..
ويمضغني الرمل في ذكريات الشقاء
وألتحف الشوق حين تحلجت شعبا،
وحين امتطاني المساء
و "أم الرحارح" في القصر تقرأ سفر اللواء
وصدر على الصدر يصلب
حين يموت الضياء
وحين أسافر والبحر،
حين أفتش عن نجمة قد تطاول فيها الغياب
وأعلن عن عرسها في مساء المساء! (المرابطي، بدي أبنو، 2020م، ص:4).

من أول نظرة يمثل النّص جملة من المشـاعر الإنسـانيّة التي ترمز للفقد والحنين، والشّـوق إلى ماضٍ قد يكون مؤلما، وهو ما يعكسـه التّصـوير اللغوي الذي اعتمد لغة شـاعرية غنية بالصـور البلاغية، مثل: "**ويمضغني الرمل في ذكريات الشقاء**" فهنا شبّه الرّمل بالإنسـان في أسلوب استعاري جعل الجماد يتسم بالحياة والحركية المتمثلة في عملية المضـغ، مشيرا بذلك إلى معنى بعيد يرمي من خلاله إلى حالة من تقلبات الدهر وصروفه جعلته يعيش قلِقا محتارا وهو ما يمثله التضاد حيث وسم الذكريات بالشقاء مع أن الإنسان غالبا ما يجد سلوته في الماضي مهما كان لذلك الماضي من بؤس وتعاسة، ولعل فيها تعبيرا عن ندمه على

تلك التضـحيات التي قدمها حيث وقف وحيدا مجابها تلك الظروف العصـيبة، التي جعلته يتفكك تحت وطأتها، حتى بقي مطمورا بين تلك الرّمال في أعتى أنواع البؤس والشـقاء؛ إذ لم يعد يملك من ماضـيه إلاّ ذكريات الشّقاء.

ثمّ إنّ قوّة الصّـورة تتجلّى في إيحاءاتها العميقة؛ حيث ينوب الرّمل عن الزمن؛ لأنّ الذكريات تتفاعل مع الزمن عبر محوه لها، أو عن طريق إذكائها، ولعل المعنى الأخير هو ما جعله يسـتعيض عن تلك الذّكريات والأحزان –التي تطحن الإنسـان– الرمل، مظهرا شـدة معانته؛ لما لقي من تواطئ الزمان والمكان في جعله مشـردا، فالزمن فاعل فيه بما يثير من ذكريات البؤس والتهميش، أما المكان فقد خذله بعدم المؤازة على الرغم من كون الأرض بطبيعتها الجغرافية تقف في صـف صـاحبها فكيف بما يكون من دعم معنوي حيث المجتمع والأصدقاء.

ولعل هذه الاستعارة المخاتلة تخفي نسقا ثقافيا يتمثل في: "**صناعة الطاغية** " لأنّها كشفت عن عمق اضطهاد المناضل المكافح للظلم بما يؤول إليه من اندثار حتّى كأن الرّمل يلتهمه، ولم يبق من له فاعلية سوى ذكريات أقل ما يعبر عنها: "**ذكريات الشـقاء**" وهو وصـف يشـي بتبريه منها تجسـيدا لاعتبار آخر يقوم على أنّ السّـاعي في توعية المجتمع بحقوقه معارض للسّـلطة مجابه لها، وكأنّه يفتح على نفسـه جبهات من النّبذ والاضـطهاد دون أن يجد نصـيرا حتّى من مجتمعه الذي يكابد الشـقاء والعناء، سـعيا إلى النهوض به.

لقد كان المقطع من حيث الموضوع منصبا على البحث عن الهوية والانتماء، حيث يبدو الشاعر في رحلة ذاتية يتنقل فيها بين الذكريات والمشـاعر يبرز الشـوق كحالة مستمرة، تجذب الشـاعر إلى الماضـي وتخنقه بمرارتها في نفس الآن.

أما من حيث الدلائل اللغوية فإنّ اعتماده على الألفاظ المتضـادة من مثل: **الليل –النهار: أمام – وراء**.. يوحي بحالة من الصـراع الداخلي يكاد يفقده الأمل كما في تعبيره: "**وألتحف الشـوق حين تحلجت شعبا– حين امتطاني المساء– حين يموت الضياء** " ففي هذه الصور الجمالية ما يشي بيأسه أو عدم إيمانه بتحقيق غاياته وأهدافه، ويعود ذلك إلى البعد الدلالي الذي اسـتعمله ففي: "**ألتحف الشـوق**" من الدّلالة على الحزن ما يعمق الصورة ويكشف عن فاعليتها في المتلقي، لتكشف عن معنى يكمن وراءها أسست له دلالة ألتحف الدالة على التغطية التي قد تحجب عنه الأمل، وكأنه لفقره لا يكاد يصل صوته،

أو يجد من يؤمن بفكره حتى كأنّ مجتمعه يتقاطع مع قوم نوح الذين رفضـــوا الإيمان به؛ لكون من آمن به ليسوا علية القوم؛ بل أراذل المجتمع تبعا لنظرتهم.

"**امتطاني المســاء**" انطوت على تصــوير اليأس والحيرة طوال بحثه عن حل لمعاناة ذلك الوطن؛ حيث يُرمز المساء إلى العتمة والاغتراب، الذي جعله يمشي وأمامه رحيل وراء" أي: رحيل يتمثل في العودة والتغيير ونشــر روح المســاواة وتنقية صــورة المثقف مما شــابها من الضــبابية، التي ترســخت في ذهن المجتمع والمتمثلة في صورة نمطية تقوم على أنه شخص يوظف مقدرته المعرفية في تبرئة السلطة وتبرير تقاعسها.

أما جملة "**حين يموت الضــياء**" فقد جعلها صــرخة اســتنكار ممزوجة بالعشــق المتدفق للمجهول، ذلك الغياب الذي يصبح فيه الموت تقصيا لإمكانيات اللقاء، "إنه البحث عن أقاليم عذراء، فرحيل الثائر الرافض رحيل توحد مع الآخر، وســفره اكتناه لإشــراقات الخلوة واختراق للمقامات" (المرابطي بدي أبنو، نسخة word، ص:4)0

ذلك أنها في الظاهر تشي بانهزامه وانطفائه؛ لكن إذا ما أنعمنا النظر نلحظ أنّ الموت في فلسفته مؤذن بنهاية حياة، وميلاد لواقع مغاير، وهو ما يجعلها تمثل أملا جديدا حتّى وإن بدا بعيد المنال، ولا يزال متلاعبا باللغة ومدلولاتها عبر الانزياح اللغوي؛ حيث أســند الموت إلى الضّــياء محاولا بذلك إخراجه عن سياقه اللغوي إلى سياق آخر، يمثل أفول وضع اجتماعي معين وإحلال آخر مكانه إشارة إلى تغير الأزمان وما ينتج عنه من تجاذبات على مختلف الأصعدة، "مما يوضح عمق هذه الصورة ويبرز قدرتها على الإحالة إلى أكثر من معنى بطريقة جميلة ومؤثرة" (نفس المرجع السابق، ص:8.)

ولا شــك أن الواقع الاجتماعي يعكس ما أشــارت إليه من تغير المنظومة المجتمعية في ظل العولمة وخاصــة عن تلك القيم التي كانت ســائدة فترة وجوده وعايش أوضــاعها المختلفة، حيث تغيرت القيم والمفاهيم فما كان يمثل قيمة اجتماعية وعرفا أخلاقيا لم يعد كذلك؛ إذ لم تعد القيم مبنية إلا على البعد المادي المحض، وهو ما ينبئ عن تناقض بينه وبين حاضنته الاجتماعية، فهو يمشي قدما لكن وطنه ومجتمعه يجعلان رحيله وراء نتيجة لعدم وضــع الأمور في نصــابها عبر تحكم ثلة لا تعطي أهمية للرؤية العلمية ولا تسعى لنشر ثقافة الوعي المبني على أسس علمية تسهم في التنمية.

"و **''أم الرحارح''** في **القصر تقرأ سفر اللواء**" هنا يوظف شخصية "أم الرحارح" بما تحيل إليه في ذاكرة الشعب من إمعان المكر والغدر والحربائية؛ ليصور معاناته الخاصة مع ثعالب السياسة، تلك المعاناة التي كانت وراء مكوثه ردحا من الزمن في ردهات السجن والمنافي.

كما تتكشف قوة لغته بكشف قوة حدسه المبكر عبر علاقته مع اللغة من جهة، وعن علاقته من جهة أخرى مع التاريخ، تعبيرا عن تلك الإرادة القادمة من أعماق الصحراء والتي ترفض أن تطمر خلف وديان الرمل، كما ترفض أن تكون شعلة مطمورة تحت ركام المعاجم المتهالكة والقوافي المكررة والصور منتهية الصلاحية منذ قرون.

لذلك لجأ إلى صهر لغته حتى يتسنى له تشكيلها وتحويرها لتعبر عنه بعيدا عن الارتكاز على الصور المعهودة والمفردات الممجوجة متجاوزا بذلك حصر شعرية الحدث (حصر المعنى) إلى اكتناه الحدث واختراقه، ليصير الحدث وإن كان مباشرا ضمن سياقه مهما كان "عاديا" أو "بسيطا" –يصير– "متى اخترقته اللغة/الشعرية– تعبيرا عن إمكانات لا متناهية وعوالم تفجر آليات وقدرات المواكبة والاكتناه لدى قارئ قد يتحول هو ذاته إلى مبدع ثان للنص"، (نفس المرجع السابق، ص:8.).

إن إشارية **"أم الرحارح"** التي خرجت بها من السّعة إلى اكتساب دلالة معنوية ذات مجال ضيق، يمثله المجال الموريتاني الذي ترمز فيه للحربائية، جعلتنا نستشف من سياقها اللغوي أنها صارت رمزا للمحاباة، فكأنها تشير إلى تلك الطبقة التي تحيط بأصحاب النفوذ وتزين لهم أعمالهم مهما كان انحدارها وتمجد كل خطوة وإن قادت إلى الهاوية، ذلك أن الوطن يعاني من نقص الطواقم البشرية ذات الكفاءة العالية، ويعود السبب في ذلك إلى هجرة النخبة، التي تمتلك حسّا وطنيا وكفاءة علمية؛ إذ لا يمكنها تقمص شخصية **"أم الرحارح"** ما يجعلها في صدام مباشر مع الفئة الأخرى، فيكون مصيرها التهميش أو الاغتراب بعيدا عن الوطن كما هو حال المؤلف.

ثم إننا إذا ما حاولنا ربط البيت السابق بلاحقه نجدهما ركبا من أفعال غير متآلفة هي فعل القراءة وفعل الصلب وكأن فعل القراءة هو الذي مهد للصلب، فكأن نتيجة المعرفة والاطلاع تؤدّي إلى الصلب؛ لما لها من دور في إذكاء المواجهة بين السلطة على اعتبار أن النخبة القارئة المثقفة تصنع فكرا يناهض

السلطة القائمة على مبدأ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، لذلك كان مصيره الصلب وجعله كبش فداء عن السلطة، وإرسال رسالة إلى كل حالم بالتغيير أن لا مكان لك بيننا، ولا أمان.

هكذا إذن يفتح لنا المنهج التفكيكي أبواب النّص حيث خاض بنا غمار تجربة شعرية إنسانية تحاورنا عن قرب وتسائلنا عن ذواتنا وعن الشعر. بدا فيها النص متشابكا أفقيا وعموديا، وهو ما مكن الدراسة من الوقوف على مدى التناغم بين الرؤية والصورة، ما جعل اللغة فاعلة حيث لامست كيان القارئ وألهبته وهو ما يشي بتصاعد درامي في النّص، حيث يبدأ الشاعر من حالة الشوق والحزن، ويمر بتجارب متعددة تنتهي بالبحث عن الأمل، مما يجعل القارئ يتعاطف مع هذه الحالة الإنسانية.

المبحث الثالث: القارئ ومباغتة حضور النّص:

لعل أبرز مظاهر التّفاعل مع النّص من حيث القراءة التأويلية، هي ظاهرة **"المباغتة"** التي تعزز دور القارئ من خلال تفاعله مع النّص القائم على المساءلة والتحليل، سعيا إلى الوقوف على معان لا تأتّى إلا بتقليب الفكر في تراكيبه والوقوف مع سردياته؛ بل تتجاوز ذلك إلى التّشكيك في رؤاه الفلسفية؛ إذ كل تلك الخطوات ليست إلا محاولة اندماج بينه وبين عناصر النص، تسهم في تأويل وإعادة بناء النص، مما يخلق تفاعلا بينه وبين النص ينتج فهما جديدا، (سعد، لخذاري، 2020م، ص: 318).

وسنحاول قدر الجهد تمثّل تلك المباغتة عبر اختراق النّص، انطلاقا من اعتباره نسيجا لغويا يتألّف من بنية أفقية وأخرى رأسية تتقاطعان فيما بينهما محاولين الربط بين البنيتين في الآتي من مقاطع:

النص:

وأمشي أمامي رحيلٌ وراءْ
أسافرُ، والبحرُ أيضا صديقي يسافرُ،
نحن نسافرُ،
نعلنُ عن دولة من غروب السماءْ،
عن الشيح والريح
والزمن المتكسر في الغيب

والألم/الشعب
في الأرضِ والعرضِ
والهلع المحضِ
نَنشدُ سفر الغباء (المرابطي، بدي أبنو، 2020م، ص:5)

لا تزال فكرة الرحيل مسيطرة على النص؛ لكنه ليس سفرا قاصدا ولا عرضا قريبا ،وإنما هو رؤية شعرية مكثفة محملة بالرموز والدلالات، التي تجعل السفر حالة وجودية وقلقا معرفيا، يعبر عن مدى الضياع والتيه الذي يعيشه بحثا عن هويته في محيط مليء بالتناقضات، وهو ما يؤسس له النص في: "**أمامي رحيل وراء**" ذلك أن لديه طموحا ورؤية مستقبلية؛ لكن تأثير الزمن الماضي لا يزال حاضرا في ذهنه ما جعله يدرع بهويتين متناقضين، ولعل في هذه الجملة نقدا ضمنيا لوضع اجتماعي ما كان ليرضى العيش تحت وطأته، فاتخذ من البحر سبيلا إلى الخروج منه، آملا أن يعود يوما وتكون له بصمة في تغييره وبذلك يكون أمامه "**رحيل وراء**".

اعتمد النّص على الرمزية لتكثيف المعاني، فألبسها غطاء جماليا يمنع هتك أستارها إلاّ بعد تحوير وتدوير ومن الأدلة على ذلك تدويره لكلمة البحر، حيث جعله رفيق دربه؛ ليعبر عن اتّساع الرحلة وصعوبة أهوالها فهي رحلة وجودية تأملية، ذلك أنّ البحر رمز للعطاء ورمز للغموض بما له من غور واتّساع، إضافة إلى ما له من مساهمة في توليد الأفكار والتأمل لما يثير من عاطفة وشجون.

وإذا ما أردنا الكشف عن جانب من المعنى الذي يرمز إليه البحر، فلا بد أن نتساءل عن العلاقة الرابطة بينهما، حتى تسنى له أن يتخذه رفيق رحلته؛ إذ يمكننا القول أنها تعود إلى التّمرد ذلك أن البحر بعتو أمواجه يحافظ على بيئته فيلفظ كل ما لا يشاكل بيئته ولا يمازج مكوناتها الطبيعية، فهو كالبحر يتخذ من أسلوب الكتابة أمواجا عاتية يرمي من خلالها إلى تفكيك التسلط السياسي عبر كتابة متمردة "تتجاوز كل تصنيف وتقعيد تتمرد على النموذج الإيقاعي والبلاغي والمعجمي والتركيبي فهي تراهن على منطق التحويل لا على منطق المحاكاة والمجاراة والنسخ" (أولاد بوهدة، ومجموعة مؤلفين، 2021م، ص: 8).

وقد يكون من ضمن الروابط بينهما أن كلاهما يحوي كنزا دفينا فأفكاره المشرقة تعتبر كنزا ثمينا خاصة إذا ما هيئت له الظروف ولا أدل على ذلك من عطائه الفكري المتمثل في القصائد والروايات التي

تعالج أوضاعا سياسية واجتماعية وتحتوي على ثراء ثقافي كبير ما جعله محلّ بحث ودراسة من طرف بعض الباحثين العرب وخاصة حاضنته المغاربية (الجزائر تونس المغرب موريتانيا) (مثل المرجع السابق وكذا تقديم أحد دواوينه من قبل الشاعر المغربي يحي الشيخ وقد سبق ذكره كمرجع.)

نحن نسافرُ،

نعلنُ عن دولة من غروب السماءْ

هنا تتضخم الأنا وليست الأنا العالية، وإنما هي "أنا" استدعائية اندماجية؛ حيث تعبر عن انصهاره مع الوطن، فسفره والوطن لا يدخل في إطار الحركة عبر المسافات وإنما هو السفر عبر الرؤية والاستشراف والتطلع إلى واقع يمكن من بناء وعي ثقافي، خلق تنمية، تشكيل هوية؛ إذ باندماج تلك المكونات يتمكن من الإعلان عن دولة وطنية مؤذنة بغروب الظلم والتهميش ولعل في إضافة نسبة الغروب للسماء ما يجعل سقف الطموح عاليا فيكون وطنه المرتجى وحلمه الذي يسعى إلى ضرورة الوعي به، متمثلا في أمته الإسلامية التي تردت أوضاعها ومزقت أوصالها.

عن الشيح والريح

والزمن المتكسر في الغيب

هنا يتكئ النّص على العناصر الطبيعية التي تنبئ عن القسوة **الشيح، الريح، الزمن المتكسر،** فالشيح يعبر عن قسوة الصحراء وكأنه بسفره يخرج من تلك البيئة الرملية التي قد تطمر مستقبله كما تطمر مظاهر الحياة الطبيعية، وليس ذاك إلا دلالة على أنه يدرك خطر تغير قادم على مجتمعه ولبيئته التي ألفها، كما يتغير وجه الصحراء بسبب الرياح وتغير اتجاه هبوبها تبعا للفترات الزمنية، فالزمن المتكسر يشي برتابة الأوضاع، ما جعله يفقد الإحساس بالزمن حتى كأن ماضيه يتلاشي بسبب خوفه من المجهول.

والألم/الشعب
في الأرضِ والعرضِ
والهلع المحضِ
نَنشدُ سفر الغباءْ

هنا ينقلنا من العنصر الطبعي البحت إلى المزاوجة بين الطبيعي والمعنوي ك: (الألم /الشعب، الأرض، الهلع) ليصور تشابك تلك العناصر ذلك أن الألم والشعب لهما ارتباط بالأرض ما يعني أن مصدر ذلك الألم هو الظلم أو الاحتلال الفكري الذي يسيطر على الأمة فيجعلها غير قادرة على الخروج من عباءة الاستعمار رغم ما لديها من مقدرات بشرية لديها الإمكانات المعرفية التي بإمكانها بناؤها لو قدر أن توضع في مكانها المناسب.

أما عن إيراده "**نَنشدُ سفر الغباءْ**" فيستشف منه الحسرة لكون الأمة لم تستفد من تجربة التبعية التي لم تجن منها إلا العبثية والضياع فكأنها أمة تعيش دون هدف وبذلك تنشد سفر الغباء.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه ندرك فاعلية القارئ في المقاربة؛ حيث استطاعت الدراسة أن تكشف عن وجه من وجوه يحتملها النص، والتي يختزلها العنوان الذي عبر عن رحلة ملحمية إلى عوالم الذات المبدعة، موظفا لغة شاعرية يعول على تأثيرها السياسي والاجتماعي بعيدا عن تأثيرها اللغوي؛ ليصبح الموت رمزا للقمع، والعشق تعبيرا عن التوق للحرية، بينما تمثل الأسفار الجسر الذي يربط بينهما عبر رحلة من التّمرد والتأمل وإعادة البناء، ما يعكس رؤية فلسفية تتعالى على الزمن، وتجعل النّص كيانا مقاوما للنسيان والجمود عبر ما تحمله دلالة "**الأسفار**" من حركة عبر الزمان والمكان؛ لتتمدد في مفهومها لتحيل إلى مفهوم معنوي يتمثل في:

صراع الذات مع الثنائيات الفلسفية:

الوجود/ العدم الحياة/ الموت الحب/ الفقد

ولا يزال القارئ فاعلا في النّص عبر اتكائه على الإجراءات التفكيكية متجاوزا ما يوحي به النص من فقد وحنين إلى ما وراءهما من رمزية الرفض والخروج على وضع اجتماعي وسياسي كاد أن يغيب المؤلف؛ لكنه لم يرضخ لذلك، ما جعله في مجابهة مباشرة لا تسعى إلى الرفض فقط؛ بل تتجاوزه إلى التغيير كما في: **وأمشي أمامي رحيلٌ وراءْ.**

وفي إطار المقاربة التأويلية الناتجة عن تفاعل القارئ مع النص عبر تغييب النص أحيانا وإثبات معنى يضاهيه حاولت الدراسة تحوير العناصر الطبيعية **البحر، الشيح، الريح، الزمن المتكسر**، لتشكل معنى

جديدا يتمثل في الرفض والمقاومة لوضع يراه تسلطيا يغزو بيئته فتتغير العادات والقيم، كما تعبث الريح بتلك الصحراء؛ إذ تغير شكلها من حين لآخر، ما جعله يفقد الإحساس بالزمن حتى كأن ماضيه يتلاشي بسبب خوفه من المجهول.

المصادر والمراجع:

1- أولاد بوهدة، ومجموعة مؤلفين، 2021م، بدي المرابطي والإسراء إلى مساكن الضباب: قراءات في أشعاره وقصصه، تقديم: أصيل الشابي، مؤسسة GLD، ط: 1.

2- بسام موسى قطوس، 2019م، درويش على تخوم الفلسفة، أسئلة الفلسفة في شعر درويش، عمان الأردن، دار فضاءات.

3- بكاي، محمد، 2023م، النص ومناورات التفكيك؛ تأملات في قراءات جاك دريدا الأدب بفلسفة، مجلة إحالات، ع: 01، جوان.

4- بن عروسة نعيمة، خديم أسماء، 2021م، سؤال الموت وقلق الوجود في الشعر العربي المعاصر، الحوار الثقافي، ع:01.

5- بومالي، حنان، 2015م، بنية النص الشعري العربي المعاصر وتحولاته، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، ع:35.

6- تروش حسين، 2016م، القارئ في المناهج النقدية المعاصرة، مجلة العلوم الاجتماعية، ع: 23

7- أمين، فاضل، 2011م، ديوان الشعر في مواكبة النضال، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين.

8- سعد، لخذاري، نظرية التأويل في النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع:1، 2020م.

9- العزري أحمد، تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي -علي حرب أنموذجا- مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري -تيزي وزو، 2012م.

10- مرتاض عبد الملك، 2001م، التحليل السميائي للخطاب الشعري، دار الكتاب العربي، الجزائر.

11- المرابطي، بدي أبنو، مدائن الإشراقات الكبرى (مجموعة شعرية) تقديم الباحث: يحي الشيخ، نسخة word، *على أنني اطلعت على نسخة تجارية مطبوعة لكن لم تتح لي فرصة اقتنائها لعدم توفرها pdf*.

12- المرابطي، بدي أبن2023م، الشعر تجربة في الحياة والرفض عن: منجز فاضل أمين، دار الحكمة، ط: 1.

13- المرابطي، بدي أبنو، 2020م، أسفار العشق والموت، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ط: 1.

The Formation of Time in the Poetic Stories of Elia Abu Madi

Dr. Ahmad Bakr Muhammad Al-Zabat
Former Faculty Member at Imam Muhammad bin Saud Islamic University
ahmad.hmza.ah@gmail.com

Abstract :

This research aims to explore the key narrative techniques that contribute to the establishment of a cohesive narrative structure, focusing specifically on the element of time. Time is entrusted with guiding events that carry a dramatic essence, marked by conflict and continuous movement.

The study examines the element of time and its associated techniques in Elia Abu Madi's poetic stories, utilizing the frameworks established by critics regarding time in literary works. It presents a model of the interplay between literary genres, blending narrative and poetry, along with their respective divisions and interpretations of time.

The study is organized into an introduction and three main sections:

The first section addresses the concept of traditional narrative time, distinguishing between external and internal time. The primary focus here is on internal time, given its pronounced role in narrative poetry in particular.

The second section investigates narrative time—a parallel to story time—through two narrative techniques: flashback and foreshadowing. Flashback serves to recount past events, reaching back beyond the current point in the story's timeline, while foreshadowing projects into the future, offering a speculative, almost prophetic view of what is to come.

The final section examines two techniques that influence the pacing of narrative time: summary and the descriptive pause. These methods either compress or expand the flow of the narrative, respectively, shaping the reader's temporal experience.

Ultimately, the research arrives at a series of findings, chief among them the centrality of time as a narrative force in Abu Madi's poetic works, and its active role in shaping the rhythm and progression of his stories.

Keywords: internal time, foreshadowing, flashback, summary, descriptive pause, Elia Abu Madi.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تشكيل الزمن في قصص (إيليا أبوماضي) الشعرية

د/ أحمد بكر محمد الزبط
عضو هيئة تدريس سابق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
ahmad.hmza.ah@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث للنظر في أهم التقنيات السردية التي من شأنها أن تُقيم بناءً سرديًا متكامل الأركان، فيختار من هذه التقنيات عنصر الزمن، والذي يُوكل له تسيير الأحداث التي تحمل في طياتها طابعا دراميا ذا صراع وحركة مطردتين.

وقد نحى هذا البحث لتتبع عنصر الزمن والتقنيات المصاحبة له في قصص إيليا أبو ماضي الشعرية، من خلال الضوابط التي وضعها النقاد لعنصر الزمن في الأعمال الأدبية، جاعلا منه أنموذجا لتداخل الأجناس الأدبية؛ إذ مزج بين القصة والقصيدة، وما فيهما من تقسيمات وتأويلات في الوقت عينه.

وبُني البحث على مقدمة وثلاث محاور: المحور الأول: فقد تحدثت فيه عن زمن القصة التقليدي، وعرضت لمفهوم القصة الخارجي والداخلي، وقد خصص الحديث في هذا البحث عن زمن القصة الداخلي لبروزه جليا في القصص بوجه عام، والقصص الشعرية خاصة. وأما المحور الثاني فكان الحديث فيه عن زمن السرد المرادف لزمن القصة من خلال تقنيتي الاسترجاع والاستباق، أما الاسترجاع فيميل لإيراد أحداث وقعت في الماضي متخطيا من ذلك النقطة التي وصل إليها زمن القصة، وأما الاستباق فهو يخبر بأحداث ستحدث في المستقبل، فهو يحمل طابعا تنبؤي لا يقينيّ، وأما المحور الأخير، فقد استؤثر الحديث فيه عن تقنيتن تسرع زمن السرد وتبطئه، وهما التلخيص والوقفة الوصفية، ليخلص البحث من ذلك كله لنتائج من أهما حلول عنصر الزمن في قصائد إيليا أبو ماضي الشعرية وأدائه الفاعل في تسيير أحداثها.

الكلمات المفتاحية: الزمن الداخلي، الاستباق، الاسترجاع، التلخيص، الوقفة الوصفية، إيليا أبوماضي.

الزمن

يعد الزمن عنصراً أساسياً في بناء العمل القصصي، يكمن ذلك من تأثيره على الأحداث التي تتصاعد حركتها وتتوقف وفق منظور زماني منظم لمسيرها، فهو بمثابة الأوردة والشرايين للإيقاع القصصي. (ياغي، 1987، ص 21).

وقد قسم الدارسون الزمان لخارجي وداخلي، ويعنى بالخارجي زمن الكتابة التي تحدد فيه التواريخ بدقة، ويقسم إلى فقرات، كما أنه يهتم بزمن تلقي النص من لدن القارئ، فينشأ مدة زمنية تطول أو تقصر، ويتسبب في بعض الأحيان بتغير في المفهوم تبعاً لتطور النظريات وتبدل الأجيال، وهذا الزمن لا نكاد نلمسه في القصة القصيرة والأقصوصة، لذا لن يكون لي وقفة عنده. (النعيمي، ص 21)؛ (يقطين، 1989، ص 424)

وأما الزمن الداخلي فيعني مدة زمنية، أي ما مر من الزمن الذي وقعت خلاله أحداث القصة (مندولا، 1997، ص 76)، ويُقسم إلى ماض وحاضر ومستقبل، وقد ربط بعض الباحثين بين الضمائر والزمن، فربط ضمير المتكلم مع الزمن الماضي، والغائب مع المستقبل ثم جعل ضمير المخاطب في منطقة ضمير المتكلم مع الزمن الماضي، والغائب وسطى (قاصد، 2003، ص 175). وهذا في حقيقة الأمر ليس مطرداً في القصص بوجه عام؛ لأن عملية الإبداع أسمى من أن تحكم بقانون يقيدها.

ويتجلى عنصر الزمن عند شاعر من الشعراء وهو (إيليا أبوماضي)، الذي تميز عن أقرانه من شعراء بجزالة نظمه ومتانة سبكه للقصص الشعرية، وكيف لا؟ وقد وجد في دواوينه أكثر من أربعين قصة شعرية ما بين قصة طويلة وقصيرة وأقصوصة ذات موقف بسيط، ولم يغفل جانبا عن جانب؛ إذ أعطى القصيدة حقها من الوزن والقافية، والقصة أركانها وعناصرها التي تُبنى عليها، وكانت العاطفة والخيال في كل منهما المنهل الذي يرِد من خلالهما جماليات قصصه الشعرية.

وقد تمثلت حركة الزمن في الماضي والحاضر والمستقبل في العديد من قصص إيليا أبو ماضي الشعرية، ووردت على شكلها التقليدي، ومنها قصة (العاشق المخدوع)، فبعد أن أتى على وصف الفتاة نراه يعطي الملمح الأول للزمن، يجسد من خلاله الحدث، يقول:

شاهدتها يوما وقد جلســـت ... في الرّوض بين الماء والـــــزهـر

ويد الفتــى هنـــري تطوقها ... فحسدت ذاك الطّوق في الخصر

وحسدت مـــقـلـته ومسمعه ... لـجمـالـــها وكـلامها الدرّي

أغمضت أجفاني على مضض ... وطويت أحشائي عـــلى الجمر

وخشيت أنّ الوجـــد يسلبني ... حلمي، ويغلبني عـــلـى أمري

فرجـــعـــت أدراجـي أغالبه ... بالـــيـأس آونـــة وبالـــصبر

ثـــم انقضى عـــــام وأعقبه ... ثان وذاك االـــســـر في صدري

فعجبت، منّي كـيـف أذكرها ... وقد انقضى حولان مـــن عمري

خلت اللّيالي فـــي تـتـابعها ... تزري بـــهـا عـنـــدي فلم تزر

زادت ملاحتها فـــزدت بـها ... كلفا، وموجدة عـــلى هنري (37)

ويمثل هذا المقطع الركيزة الأولى في حركة الزمن، إذ كانت مشاهدة الحبيبة في يوم من الأيام حين قال" شاهدتها يوما"، وقد أوحى تنكير يوم المشاهدة دلالة على أن اللقاء كان مصادفة، حيث لم يكن بين العاشق ومن يهواها موعد مسبق، وبهذا نجد الزمن أعطى بعداً لأحداث القصة التي بدأت بالنظر فالإعجاب وأخيراً الهيام .

وتتمثل حركة الزمن الماضي من خلال ما وردت في الأبيات، فنرى الفعل الماضي قد ارتبط مع ضمير المتكلم، ورسم الحدث الأول للقصة والأفعال هي (شاهدتها، حسدت، اغمضت طوبت، خشيت، رجعت) وكلها تحيل الزمن للماضي، وقد أكد من خلال إيراد قول العاشق أنه مرّ عامان من العمر ولم ينس المحبوبة، يقول:

ثم انقضى عام وأعقبه ثان وذاك السر في صدري (37)

يوضح هذا البيت أن المشاهدة الأولى للفتاة قد مضى عليها عامان، وبالرغم من ذلك لم تفارق طلعة الفتاة ذلك العاشق المتيم، ومن هنا نجد أن الزمن قد سير أحداث القصة للتصاعد حين زادت من شغف العاشق لتلك الفتاة.

ويستمر مسلسل الزمن الماضي في أحداث القصة، فبعد عامين من انقضائها والحال لم يتغير، نرى الزمن يسرد حدثاً في الماضي – أيضا – إذ يشاهد الفتى تجمع قوم عند دار محبوبته فيهيم على وجهه ويرشد إلى الاعتزال بالكنيسة ويقضي بها شهران يقول:

لازمتها بدرين ما التفتْ عيني إلى شمس ولا بـــدر

أتلو أناشيد النبي ضُحى وأطالع الإنجيل في العصر (376)

وكل ما مر إنما يعبر عن الزمن الماضي فما العامان وبعدهما الشهران اللذان انقضيا على ذلك الفتى إلى من الماضي، كما نلحظ أن الزمن في البيتين السابقين كان يُنظم حياة العاشق في الكنيسة ففي وقت (الضحى) يتلو أناشيد الإنجيل، وفي (العصر) يطالع الإنجيل حتى صارت نفسه معتادة على هذا الأمر.

وهنا نرى أن الزمن بدأ يطور الأحداث وفي الوقت نفسه يهيؤها لتنتقل إلى الزمن الحاضر في أحداث القصة، ويظهر هذا عندما نادى رئيس" الكنيسة" التي يترهبن فيها العاشق بالقول كي يباركوا زواج أحدهم، وهنا كانت المفاجأة للعاشق بأن يرى محبوبته مع (هنري) ليخرج على أثرها من الكنيسة كي ينسى المشهد حيث يقول:

وخرجت لا ألوي على أحدٍ ورضيت بعد الزّهد بالـــكفر

أشفقت من همّي على كبدي وخشيت من دمعي على نحري

فكلفت بالصهباء أشربها في منزلي، في الحان، في القفر

أبغي الشفاء من الهموم بها فـــتـــــزيدني وقرا على وقر (377)

ففي هذا المقطع نرى لحظات الزمن الحاضر لأحداث القصة والشخصية على حد سواء، فبعد محاولته مداواة جراحه من العشق نرى الآلم تعاوده ليحيا في واقع جديد ممثلاً بتجدد جرح الماضي، لذلك خرج من الكنيسة. كما نلحظ في هذا مقطع إكثار (إيليا أبو ماضي) من الأفعال المضارعة الدالة على الزمن الحاضر، فنقرأ (أشفقت، أبغي، وتزيدني)، وعلى الرغم من استخدام صيغة الفعل الماضي، إلا أن هذا الماضي هو الحاضر في القصة، والقاص يستخدمها وفقا لغايات جمالية، لينطلق من خلالها إلى المستقبل. (القواسمة، 1998، ص 72)

وما تلبث الصدفة الذي هيأها الزمن، أن يجتمع العاشق بمن يهواها، فقد مات (هنري) حبيبها الأول، وسنحت الفرصة للعاشق أن يلتقي بها فيخطبها ويتزوجها ظنا منه أن الهم قد زال والجرح برى لكن المفاجأة هي ما أرشدنا إليها الزمن، وجاءت على لسان العاشق في نهاية القصة، إذ يقول:

من بـــعـــد شهر مرلي معها أبصرتُ وضح الشيب في شعري

ما كنت أدري قبل صحبتها أن المشيب يكـــون فـــي شهر (

(378)

ومثل هذا المقطع الحدث الأخير في القصة، والذي كان الزمن بدوره هو اللاعب الأبرز فيه، فتحديد مدة الشهر من لم شمل العاشق بمن يهواها، شكلت مفاجأة غير متوقعة للأحداث والشخصية والقارئ على حد سواء، فمُضي سنتين وبعدها شهران ومن ثم خروجه من الكنيسة مدة لم تحدد، فبعد هذا كله يتكشف كل ما خفي عن العاشق خلال شهر واحد من الإقامة مع معشوقته، إذ اشتعل الشيب في رأسه بسببها، وحتى أنه تعجب كيف يخرج الشيب في شهر واحد، وكل هذا إنما كان الزمن هو اللاعب الأبرز في إيضاحه.

وفي هذه القصة نلحظ أن الزمن الماضي والحاضر قد ظهر بوضوح، وأما المستقبل فإننا نلمحه من خلال إحالة الزمن الحاضر للمستقبل، فالحاضر بيّن أن الشيب قد اشتعل بشهر في رأس العاشق حينما

سنحت الفرصة له أن يقيم معها، وأما المستقبل فإن مرت سنة أو سنتان مع هذه الفتاة، فكيف سيكون الحال، ولهذا نرى العاشق يتذكر عشيقها الأول (هنري)، ويتمنى أن يلقى المصير الذي لاقاه، يقول:

فكرت في هنري وكيف قضى فوجدت هنري واضحَ العذر

يـــا طالما قــد كنت احسده واليوم أحْسدُه على القبر

(379)

ومن هذه القصص التي سارت بالاتجاه التقليدي في زمنها حكاية (حال)، التي تروي قصة فقير أعيته الحاجة، وقد بدأت بالزمن الماضي، يقول:

فتى من سُراة الناس كل جدوده سري كريم النبعتين نبيل

قضى في ابتناء المكرمات زمانه ينال ويرجُوه السوى فيُنيل (487)

فالزمن الماضي وضح حال هذا الفقير الذي كان هو وأجداده من أشراف الناس، ليسير على ما ساروا عليه في ابتغاء المكرمات. وكان لاقتران الفعل الماضي "قضى" بلفظة "زمانه" دليلا على أن كل هذا من ماضي الشخصية، والتي من المنتظر في القصة أن تنظر إلى واقع هذا الفتى، وهو ما بدأ يتكشف في الأبيات التي تلت هذان البيتان، يقول:

فدك مباني عزه الدهر بغتة وقلم منه الظفر فهو كليل

ففي هذا البيت يطالعنا الزمن بحاضر الشخصية لما أزيل عنها المجد بغته؛ فصار حاله كحال الأسد الذي قلمت جميع أظفاره ليحيا ضعيفاً في حياته، وهنا نرى أن الزمن قد صور بأنه العدو اللدود للفقير، حينما ذكر فدك مباني عزة الدهر بغتة والدهر عبارة عن فترة زمنية فعلت بالفقير الماسي حتى صار على هذه الحال.

ويستمر الزمن الحاضر برسم أحداث القصة لهذا الفقير، فيتخلى عنه الصحاب وينكره أقرب الأقرباء، فيشعر باليأس والقنوط، وفي ليلة من الليالي، وعندما غفا الناس، أخذ الفقير يتأمل في واقعه،

وخلص في نهاية الأمر أن لا فائدة من العيش، ويمسك سكينة ويقربها من صدره، فيأتي الزمن الحاضر مرة أخرى منقذا الفقير ممثلاً بالمرأة، حيث يقول:

وإذا شبح يستعجل الخطو نحوه وصوت لطيف في الظلام يقول:

رويدك فالضنك الذي أنت حاملُ متى زال هذا الليل سوف يزول

(485)

فالزمن الحاضر أنقذ الشخصية من الانتحار وفي الوقت ذاته أعطى بعداً للزمن المستقبل والشخصية على حدٍّ سواء، من خلال قوله" متى" زال" هذا الليل سوف يزول". وهنا نلحظ أن زمن التي المستقبل قد جاء مجرد إشارة إليه بالتحديد في قوله سوف" "يزول" ومثل هذه العبارات هي تدل على زمن القصة في المستقبل لا سيما بالقصص القصيرة فضلا عن القصص الشعرية كما نلمحها من خلال القصتين الماضيتين.

وتجدر الإشارة إلى أن كل ما مر معنا من دراسة للزمن يدخل فيما يسمى (زمن القصة الذي يخضع" بالضرورة للتابع المنطقي للأحداث" (الحميداني، 1993، ص 73)، وهذا ما لمسناه في قصتي (العاشق المخدوع) و(حكاية حال)، فوجدنا أن الزمن يسير بالماضي والحاضر وأخيرا المستقبل، ومن المعلوم أن (زمن القصة يقابله (زمن السرد) الذي لا يتقيد بهذا التتابع المنطقي في عرض الأحداث، فيضع الراوي إسقاطاته وتغيراته على زمن القصة والتي غالباً ما تكون مبررة. (المحادين، 1997، ص 61)؛ (الحميداني، 1993، ص 73) ففي أثناء الزمن المنطقي للقصة قد يتذكر المبدع حادثة ما، فيعود من خلالها إلى الوراء، وقد يستبق هذه الأحداث بالتنبؤ، فينشأ عن ذلك حركة للزمن في الماضي أو المستقبل، وتسمى الأولى بتقنية (الاسترجاع)، والثانية (الاستباق) وسأتناول كلا التقنيتين كما يلي:

أ. الاسترجاع

استرجاع الأحداث الماضية أو استذكارها من تقنيات الزمن في القصة التي تميل للماضي الخاص، فتذكرنا من خلاله بأحداث سابقة ومتخطية النقطة التي وصلتها القصة، فتكرر بذلك التتابع المنطقي

لأحداث القصة(البحراوي، 1990، ص 119-121)، فهي: "آلة زمن أدبية ذات مصابيح قوية تضيء خلفية الأحداث وتجعل الحاضر الخيالي أكثر وضوحاً وإثارة". (مجموعة من المؤلفين، 1995، ص 152)

وقد وجدت تقنية الاسترجاع في قصص إيليا أبو ماضي، فأسهمت في تطوير الحدث وملأت فجوات أغفلها زمن القصة، ففي قصة (الشاعر والأمة) نجد الاسترجاع للماضي هو المسيطر على المرحلة الثانية والثالثة من أحداث القصة، التي تحكي بالأساس قصة أمة كان فيها ملك عادل ومات فخلفه ملك طائش لا يعرف من العدل شيئاً، وهذا ما جعل بعض رعيته يبكون عند قبر الملك العادل، فمرّ عليهم شاعر وسألهم عن سبب البكاء، فردّ عليه شيخ منهم، كان حديثه استرجاعا لأحداث مضت يقول:

إنّ من نبكيه لو أبصره — قيصر أبصر فيه قيصره

كيف يا جاهل لا تعرفه — وحداة العيس تروي خبره؟

هو ملك كان فينا ومضى — فمضت أيّامنا المزدهرة (273)

ثم جاء رد الشاعر وقد أتى بعبارة استهزاء في البداية وما لبثت أن ذكر الأسباب التي وصلت إليه الأمة وهي استرجاع للماضي"، يقول:

هزأ الشاعر منهم قائلاً — بلغ السُوس أصول الشجرة

رحمة الله على أسلافكم — إنهم كـــــانوا تقاة بررة

رحمة الله عـــليهـم إنهم — لم يكونوا أمة منشطره (274)

وقد كشف حديث الشاعر استرجاعاً للزمن الماضي، الذي من خلاله وضح أسباب الهوان التي وصلت إليه الأمة، كما مثل حديثه استرجاع فإنه – أيضاً – عمل توازنا للأحداث في مراحلها الأخيرة، فيكون بذلك الاسترجاع قد عمل عملين خدمته للأحداث، والزمن في وقت واحد.

وقد يكون (الاسترجاع) المنطلق الذي تتكئ عليه أحداث القصة، كما في قصة قتل نفسه

حيث يقول في استهلالها:

تأمل في أمسه الدابر فكاد يُجن من الحاضر

أهاج التذكر أشجانه وكم للسعادة من ذاكر

فتىً كان أنعم من جاهل فأصبح أتعس من شاعر (121)

فهذا التأمل والتفكر في الماضي من قبل بطل القصة، ما هو إلا استرجاع للزمن الماضي، فزاد من عناء المتفكر حتى كاد يجد من الحاضر الذي يحياه ماضيه وبهذا يكون الاسترجاع المنطلق

الأول لأحداث القصة.

وقد يمثل الاسترجاع مدخلاً لإبراز نفسية الشخصية، كما في قصة (حكاية قديمة) فبعد أن هجرته محبوبته بسبب ظهور الشيب على رأسه، استذكر العاشق الأيام التي مضت، يقول:

وإن تعرضي عن مفرقي وهو أبيض فيا طالما قبّلتهِ وهو مسوّد (453)

وقد كان هذا الاسترجاع المنطلق للشخصية كي تعبر عما تخبيه نفسه من سخط تجاه تلك الفتاة، يقول:

شفى الله نفسي لا شفى الله نفسها ولا غاب عن أجفانها الدمع والسهدُ

فلا ثــغرها در ولا أقـــحـــوانة ولا دمعها طلٌ ولا ريقها شهدُ (453)

وفي هذا المقطع يتضح أثر الاسترجاع الزمني على الشخصية، فقد حداها إلى أن تعبر عما تكنه في نفسها، وبذا يتضح لنا دور الاسترجاع على أحداث القصة وشخصياتها بوجه عام.

ب. الاستباق

تتميز هذه التقنية بأنها ذات طابع تنبؤي لا يقيني عند عرضها للأحداث؛ لأنها تخبر عما سيحدث مستقبلا، وكل مقطع قصصي يروي أحداثاً قبل أوانها سواء وقعت أم لم تقع يسمى استباقا. (بوطيب، 1997، ص 131)؛ (البحراوي، 1990، ص 121-122) وأفضل طريقة لاستخدام الاستباق - حسب رأي جرار جنيت- (جنيت، 1997، ص 76) هو ما جاء على ضمير المتكلم، وذلك بسبب الطابع الاستعدادي الممكن له حين يأتي بتلميحات المستقبل، ومع ذلك يمكن القول إن الاستباق أقل بكثير من الاستذكار في قصص إيليا أبو ماضي بل وفي القصص القصيرة عموماً؛ لأنها تجنح للتنبؤ والافتراض أكثر من الواقع، فقد يتحقق بعضها وقد ينمحي أكثرها. (قاسم، 1984، ص 34-44)

وقد وحدت تقنية (الاستباق) في قصص (إيليا أبو ماضي) ففي قصة (أنت والكأس) كان الاستباق عاملاً مهماً في رسم الأحداث أن لم نقل إنه يمثل الأحداث بعينها، وبرز من خلال الحوار الذي دار بين الرجل ومعشوقته التي لم يتثبت من حبها له، فكان يطرح عليها الأسئلة التي تمثل استباقا لأحداث الزمن المستقبلي، يقول:

حسنا... قلت ضاحكا — يا ملاكي وفرقدي

إنّما هل يدوم لي — حبّك المشرق الندى

إن حتى الدهر قامتي — ومحا الشيب أسودي

وانضوى رونق الصبا — مثل برقٍ يفدفدِ؟ (776)

وكل هذه الاستفسارات والأسئلة من قبل الرجل، إنما كان يعبر عن استباقات لما قد تؤول إليه الأمور ونطالعها في موضع آخر من القصة، يقول:

قلت والشك رائحٌ في ضميري مغتدِ

وإذا غالني الحما م وأصبحتُ في عدِ

جثة لفها الثــرى بالظلام المؤبدِ (776)

ويستمر الاستباق على هذه الشاكلة من قبل الرجل، ولكي يكون هناك توازن – نرى – أيضاً – المعشوقة، ترد عليه باستباقات للزمن، منها:

سوف أحيا كما ترى للهوى والتوجّد

فأناجيك في الضحى وهو أمراسُ عسجد

وأناجيك في المسا والأصيل المورَّد (778)

وبمقارنة الاستباقين اللذين صدرا من شخصيتي الرجل والمرأة في هذه القصة، نرى أن الأول قد تحقق ما تنبأ به، لذا أخذ حديثه الطابع اليقيني وأما الثاني فقد كان له دور في بناء النص وتشويق القارئ على حد سواء.

وهكذا نرى أن إيليا أبو ماضي (استعان بزمن السرد ووظف تقنيتي (الاستباق) و(الاسترجاع)، وإن كان الاستباق أقل وجوداً في قصصه فهذا لا ينفي وجودها في قصصه الشعرية.

وبما أن القاص يعرف نهايات أحداث القصة كما يعرف بدايتها، فإنه يصنع في النص ما يشاء، فيختصر أحداثاً في أسطر، أو يقف عند بعضها بالتفصيل هارباً بذلك من النمط التقليدي في تسلسل الزمن، ومعينه على ذلك تقنيات تساعد على تسريع الزمن وتبطيئه فأما تسريعه فيتمثل بتقنية (التلخيص)، وتبطيئه يتمثل بتقنية (الوقفة الوصفية) (القواسمة، ص 70–71). وسأقف عند كلا التقنيتين في قصص إيليا أبو ماضي.

1. التلخيص

يُعد التلخيص من أول التقنيات التي تُسَرّع حركة الزمن في الرواية، فيروي فيها القاص عبارة أو أكثر توحي في مضمونها ما مدته من الزمن أسابيع أو أشهر وربما سنوات، فهو لا يتطرق للتفاصيل (قاسم، 1984، ص 109)؛ (جنيت، 1997، ص 109)، وإن كانت هذه التقنية مهمة في الرواية فأهميتها تتجدد في القصة القصيرة التي لا تحتمل الإسهاب في العبارات.

والتلخيص أكثر ارتباطاً بالأحداث الماضية وهي السمة الغالبة في القصة، ومع ذلك لا ينفي وجوده بالحاضر والمستقبل؛ (قاسم، 1984، ص 56)؛ (البحراوي، 1990، ص 145-146)، وله وظائف متعددة، منها مروره السريع على فترات زمنية طويلة وتقديم عام للمشاهد والشخصيات الرئيسة والثانوية.

ويقدم تُقنية (التلخيص) بإحدى صورتين: الأولى تستند إلى عبارة زمنية، فتكون عنصراً مساعداً يسهل تقدير المدة، والثانية تغيب القرينة الزمنية المباشرة وتفهم من خلال الأحداث والعبارات اللتين يدلان عليه. (الحبراوي، 1990، ص 150)

ومن أمثلة النمط الأول للتلخيص قوله في قصة (العاشق المخدوع):

ثم انقضى عام واعقبه ثان وذاك السر في صدري

فعجبت مني كيف أذكرها وقد انقضى حولان من عمري (273)

فهذان البيتان قد لخصا أحداث مضت في سنتين ولم يؤثرا على البناء الهرمي لأحداث القصة، فدلت تلك العبارة على الزمن الذي ترك للقارئ أن يبحر في مدلولاته.

ونجد التلخيص – أيضا – في موضع آخر من هذه القصة، فبعد أن يقرر العاشق الاعتزال بالكنيسة، تطالعنا عبارة أن المدة التي قضاها كانت شهرين يقول:

لازمتها بدرين ما التفت عيني إلى شمس ولا بدر(275)

وهناك موضع ثالث للتلخيص في القصة نفسها لما التقى العاشق بمحبوبته، فتحدد بشهر واحد، حدثت له أحداث كبيرة لخصها بعبارة بسيطة، يقول:

من بعد شهر مر لي معها أبصرتُ وضح الشيب في شعري

مـا كنت أدري قبل صحبتها أن المشيب يكون في شهر(278)

وهذه ثلاثة أمثلة لتقنية التلخيص لجأ إليها (إيليا أبو ماضي) لتلخيص أحداث القصة، فاتضح من خلالها البراعة في تسريع أحداث القصة الشعرية.

ومثلما وجد النمط الأول للتخليص، نرى الثاني قد سُطر في بعض قصصه، منها (حكاية قديمة) التي تروي أن أحدهم أحب فتاة فحدث بينما وفاق، عاهد المحب نفسه أن يخلص في حبها، يقول:

أمرت فؤادي أن يطيع فؤادها فيبكي كما تبكي ويشدو كما تشدو (253)

وبعد هجر المحبوبة له، يقول:

وما زالت تستخفي علي عيوبها إلى أن تولى الغي واتضح الرشد (453)

فالبيت الأول يوحي بمدة زمنية أمضاها العاشق بطاعة محبوبته، فيفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، وأما البيت الثاني فيوحي أن الفتاة كانت تخفي عيوبها على العاشق في فترات زمنية لم تحدد بوقت، حتى اتضح الأمر وأنجلى من خلال الأيام والليالي.

ومن خلال ما مضى يتضح لنا كيفية توظيف تقنية التلخيص في قصص (إيليا أبو ماضي) الشعرية، والتي جاءت بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

2. الوقفة الوصفية

وهي على النقيض من التلخيص تأتي لتبطئ عملية السرد، فتعطل حركة الزمن، وتوقف استمراريته "فيترتب عنه خلل في الإيقاع الزمني للسرد، ويحمله على مكانه، وانتظار أر يفرغ الوصف مهمته كي يستأنف مساره المعتاد". (البحراوي، 1990، ص 176-177)

وتأتي الوقفة الوصفية على شكلين، الأول تكون لوصف الشخصيات، والثاني لوصف المكان، ومن أمثلة النمط الأول، قوله في قصة (مصرع حبيبين):

كتب الضنا في وجهه هذا الذي — كاد الغرام به يؤول إلى الفنا

دنفٌ تروعه الغصون إذا انثنت — طرباً ويقلقه النسيم إذا جرى

حيران يقعده الهوى ويقيمه — فكأنه علمٌ يداعبه الهوا

(126)

ومثال للنمط الثاني للوقفة الوصفية، ما ورد في قصة (حكاية حال) حيث وقف الزمن عند وصف المكان الذي يقيم فيه الفقير، يقول:

بدار أناخ البؤس فيها كآبة — وجرّت عليها للخراب ذيولُ

مهدمةُ الجدران مثل ضلوعه — بها اليأس صمتٌ والسقام يجولُ

تمرُّ عليها الريح ولهى حزينة — ويرنو إليها النجمُ وهو ضئيل (485)

ونخلص مما مضى إلى أن تقنية الوقفة الوصفية قد عطلت الزمن المعتاد في القصة، فنراه في قصة (مصرع حبيبين) و(العاشق المخدوع) قد ورد في بداية القصة، فجاء ليمهد الطريق لأحداث المرحلة الأولى، ونراه في (حكاية حال) قد جاء مساهما لإبراز الأسباب التي لجأ إليها الفقير كي يفكر بالانتحار، فلا أحد

يعينه ولا دار تدعو إلى الهدوء والأنس، إنما حاله من سيء إلى أسوء .كل هذا وغيره كانت (الوقفة الوصفية) هي اللاعب الأبرز في إيضاحه.

الخاتمة

بعد ما عُرض من بروز عنصر الزمن في قصص إيليا أبو ماضي الشعرية، يخلصُ البحث إلى أهم النتائج: _ إنّ عنصر الزمن من المصطلحات الأدبيّة التي ترتبط في النثر أكثر منها بالشعر ومع هذا لا يمكن اعتبار السرد مقتصرا على الأعمال النثرية دون غيرها من الأعمال الأدبية، إنما قد توجد عناصر السرد بها إذا حوت على دراما وصراع، وهذا ما لُمس في قصص إيليا أبو ماضي الشعرية.

_ ظهر عنصر الزمن جليا في كثير من قصائد إيليا أبو ماضي ولاسيما تلك التي تحمل في طياتها تجانس مابين القصة والقصيدة، فقد ظهر الزمن التقليدي الذي يعتمد على الماضي والحاضر والمستقبل، وزمن السرد الذي لا يتقيد بالتتابع المنطقي في عرض الحداث.

_ برزت تقنيتي الاسترجاع والاستباق في قصص إيليا أبو ماضي الشعرية، فعند استذكار الأحداث الماضية نرى أن تقنية الاسترجاع ، وهذا ما وجد في قصيدتي (الشاعر والأمة) وقصيدة (قتل نفسه)، وعندما يريد الشاعر أن يتخطى الأحداث نراه يستخدم تقنية الاستباق، إذ ظهرت في قصيدة (أنت والكأس).

_ تجلّت تقنيتان من تقنيات عنصر الزمن: الأولى تسرع الزمن وتسمى بالتلخيص والثانية تُبطئ الزمن وتُسمى بالوقفة الوصفية، أما الوقفة الوصفية قد عطلت الزمن المعتاد في القصة، فنراها في قصة (مصرع حبيبين) و(العاشق المخدوع)، وأما تقنية التلخيص فقد وجدت بارزة في قصيدتي (العاشق المخدوع) و(حكاية قديمة).

قائمة المصادر والمراجع

1. البحراوي، حسن (1990)، بنية الشكل الراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1.
2. بوطيب، عبدالعالي (1997)، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، ع2، مج12، مصر.
3. جنيت، جرار (1997)، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخران، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2.
4. الحميداني، حميد (1993)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط3.
5. الديوان، أبوماضي، إيليا (2008)، الأعمال الكاملة، جمع عبدالكريم الأشتر، جائزة عبدالعزيز بابطين، الكويت، ط1.
6. قاسم، سيزأ (1984)، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثيات نجيب محفوظ، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
7. قاصد، سليمان، (2003)، عالم النص، دراسة بنيوية في الادب القصصي: فؤاد التكرلي نموذجا دار الكندي، اربد.
8. القواسمة، محمد (1998)، البنية الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) لعبدالرحمن منيف، دار الينابيع للنشر والتوزيع.
9. القواسمة، محمد، البنية الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) عبد الرحمن منيف.
10. مجموعة من المؤلفين (1995)، تقنيات الكتابة "القضية القصيرة والرواية"، ترجمة: عبدالجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1.
11. المحادين، عبد الحميد (1997)، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
12. مندولا (1997)، الزمن والرواية، ترجمة بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1.
13. النعيمي، أحمد(2004)، إيقاع الزمن في الرواية العربية، دار الفارس، عمان، ط1.
14. ياغي، عبد الرحمن (1987)، مع غسان كنفاني في حياته وقصصه ورواياته، عمان، الأردن ط2.
15. يقطين سعيد (1989)، انفتاح النص الروائي (النص – السياق)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1.

Arabic Prose Poetry and Postmodernism: Writing Off-Center, Outside the Genre

Amal Tarfaya Professor Lecturer b[1]
University of Mohamed Khider Biskra - Algeria-
amel.tarfaya@univ-biskra.dz
sana boukhtache Professor Lecturer b[2]
University of Mohamed Khider Biskra - Algeria-
sana.boukhtache@univ-biskra.dz

Abstract:

Since the mid-twentieth century, Arabic poetry has undergone a qualitative transformation with the emergence of the prose poem, which broke the centrality of traditional forms and opened up to marginal and alternative spaces. In the context of postmodern transformations, this poem has become a form of writing "outside the center" in its origins and dissemination, and "outside the genre" in its crossing of boundaries and blending of discourses. It has drawn on the openness of the text to incorporate narrative, philosophy, and visual arts into a new poetic structure. With the digital revolution and the rise of artificial intelligence, the prose poem has found new horizons for experimentation and for redefining poetry itself. In this way, it continues to serve as an aesthetic and intellectual laboratory that reshapes the relationship between self and world.

Keywords: Prose Poem; Postmodernism; Outside the Center; Outside the Genre; Cross-Genre Writing.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

قصيدة النثر العربية وما بعد الحداثة :كتابة خارج المركز ، خارج النوع

أمال طرفاية أستاذ محاضر– ب –[1]
جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر–
amel.tarfaya@univ-biskra.dz
سناء بوختاش أستاذ محاضر – ب–[2]
محمد خيضر بسكرة – الجزائر–
sana.boukhtache@univ-biskra.dz

ملخص:

شهدت القصيدة العربية منذ منتصف القرن العشرين تحوّلًا نوعيًا بظهور قصيدة النثر، التي كسرت مركزية الأشكال التقليدية وانفتحت على فضاءات هامشية ومغايرة، ومع تحولات ما بعد الحداثة، غدت هذه القصيدة كتابة "خارج المركز" من حيث النشأة والانتشار، و"خارج النوع" من حيث عبور الأجناس وتداخل الخطابات، واستفادت من الطبيعة المفتوحة للنص لتستوعب السرد، والفلسفة، والفنون البصرية في بنية شعرية جديدة.

ومع الثورة الرقمية وصعود الذكاء الاصطناعي، وجدت قصيدة النثر آفاقًا جديدة للتجريب وإعادة تعريف الشعر. وبذلك، تواصل لعب دورها كمختبر جمالي وفكري يعيد صياغة العلاقة بين الذات والعالم.

الكلمات المفتاحية: قصيدة النثر.، ما بعد الحداثة،.خارج المركز، خارج النوع.، عبور الأجناس.

مقدمة:

شهدت القصيدة العربية، منذ منتصف القرن العشرين، تحوّلات بنيوية وجمالية عميقة، تمثّلت في انتقالها من القوالب العروضية الصارمة للقصيدة العمودية، مرورًا بالتجريب الوزني في قصيدة التفعيلة، وصولًا إلى قصيدة النثر التي مثّلت انزياحًا عن الموروث الشعري، وإعادة تعريف لمفهوم الشعر ذاته.

وفي ظل تحوّلات الفكر الجمالي والأدبي التي أفرزها خطاب ما بعد الحداثة، غدت قصيدة النثر فضاءً للتفكيك وإعادة التشكيل، حيث انفتحت على النصوصية المفتوحة، وتحرّرت من سلطة المركزيات الشكلية والموضوعية، كما تجاوزت الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية.

بهذا المعنى، يمكن النظر إلى قصيدة النثر المعاصرة باعتبارها كتابة "خارج المركز، خارج النوع"؛ فهي تنأى عن قيود "المركز" بوصفه فضاءً جماليًا مهيمنًا، وعن "النوع" بوصفه تصنيفًا أدبيًا مغلقًا، لتتموضع في منطقة الهجنة النصية والانفلات من القوالب.

وانطلاقًا من هذا التصور، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة قصيدة النثر العربية في ضوء تحولات ما بعد الحداثة، من خلال تحليل بنيتها الجمالية وآليات اشتغالها النصي، ورصد علاقتها بالمركز والهامش، وبمفهوم النوع الأدبي، وصولًا إلى تحديد موقعها ضمن الخريطة الشعرية العربية المعاصرة.

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب أن تحتوي المقدمة على تمهيد مع تحديد أهداف البحث و إشكاليته وفرضياته، ومنهجيته، واذا كان نظريا فيمكن الاكتفاء بالتمهيد للموضوع فقط.

الإشكالية:

تطرح قصيدة النثر العربية، في سياق تحولات ما بعد الحداثة، أسئلة جمالية ومعرفية معقّدة تتصل بطبيعة انتمائها إلى الشعر من جهة، وبمدى قدرتها على تفكيك البنى المركزية في الخطاب الشعري العربي من جهة أخرى، فهي كتابة تسعى إلى خلخلة القوالب الشكلية، وكسر الحدود الفاصلة بين الأجناس، واستعادة الهامش بوصفه فضاءً إبداعيًا منتجًا للمعنى.

وانطلاقًا من هذا المعطى، تتمحور إشكالية الدراسة في السؤال الرئيس:

كيف تجسّد قصيدة النثر العربية، في سياق ما بعد الحداثة، مفهوم "الكتابة خارج المركز، خارج النوع"، على مستوى البنية النصية، واللغة الشعرية، والرؤية الجمالية؟

ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الجزئية:

1.ما المحددات النظرية لقصيدة النثر في ضوء مفهوم المركز والهامش في الثقافة؟

2.كيف تمارس قصيدة النثر فعل التفكيك للحدود النوعية بين الشعر والنثر؟

3.ما أبرز الخصائص الأسلوبية والجمالية التي تجعل من قصيدة النثر كتابة ما بعد حداثية؟

4. إلى أي مدى استطاعت قصيدة النثر العربية أن تؤسس لموقعها خارج سلطة المركز الشعري المهيمن؟

أولا: قصيدة النثر: التعريف والتحولات

مثّلت قصيدة النثر أحد أبرز التحولات في المشهد الشعري العربي المعاصر، إذ جاءت كاستجابة لحاجة داخلية لدى الشعراء إلى كسر الأطر الوزنية والقوالب الموروثة، وفتح أفق أوسع للتجريب اللغوي والجمالي، هذا الشكل، الذي تبلور عربيًا منذ خمسينيات القرن الماضي، لم يكن مجرد انزياح تقني، بل هو أيضًا تحوّل في فلسفة الكتابة الشعرية ورؤيتها للعالم.

1. التعريف

قصيدة النثر هي نص شعري مكتوب بلغة نثرية، يعتمد النثر وسيطًا للتعبير، وهذا ما وضحه أدونيس حين عرفها بقوله" هي نوع متميز قائم بذاته ليست خليطا، هي شعر خاص يستخدم النثر لغايات شعرية خالصة..." (أدونيس، 1960، صفحة 81) لكنه يحافظ على جوهر الشعرية عبر عناصر أخرى غير الوزن العروضي، من أبرزها:

الإيقاع الداخلي: القائم على تكرار المفردات، والتنغيم، وتوزيع الجمل، والتوازي النصي.

الصورة المكثفة: التي تحلّ محل البنية الخطية التقليدية، وتخلق انزياحات دلالية.

وهذا ما عمد إلى توضيحه محمد علي الشوابكة حين أكد أن قصيدة النثر هي " الكتابة التي لا تتقيد بوزن أو قافية ، وإنما تعتمد على الإيقاع والكلمة الموحية ، والصورة الشعرية ، وغالبا ما تكون الجمل قصيرة محكمة البناء مكثفة الخيال" (محمد علي الشوابكة، أنور أبو سليم، 1991، صفحة 209) كما تعتمد قصيدة النثر على الانفتاح على السرد واليوميات:أي إدماج مشاهد حياتية، وتوظيف تفاصيل يومية ذات بعد جمالي.

اللغة الهجينة: التداخل بين الفصحى والمحكية، والمفردة التراثية والحديثة.

كما تعرف سوزان برنار قصيدة النثر على أنها " قطعة نثر موجزة من غير إخلال ، موحدة ومضغوطة كقطعة من البلور ، تتراءى فيها الانعكاسات المختلفة ، إنها خلق حر، ليس له من ضرورة أخرى غير رغبة المؤلف في البناء خارجا عن كل تحديد ، وشيء مضطرب إيحاءاته لا نهائية" (سوزان برنار، 1999، صفحة 37)

2. النشأة والتحولات

رغم أن جذور قصيدة النثر في الأدب الغربي تعود إلى القرن التاسع عشر مع بودلير ورامبو، فإن حضورها العربي بدأ يتبلور مع أنسي الحاج في ديوانه لن الذي شكّل بيانًا شعريًا معلنًا لمشروعية هذا النمط.

صدر ديوان لن عام 1960 عن دار النهار في بيروت، وهو العمل الشعري الأول لأنسي الحاج، وأحد النصوص التأسيسية لقصيدة النثر العربية، جاء الديوان في مناخ ثقافي لبناني وعربي يهيمن عليه الصراع بين القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، بينما كان تيار مجلة شعر (يوسف الخال، أدونيس، أنسي الحاج، شوقي أبي شقرا) يدفع باتجاه تحديث جريء للشعر العربي.

"لن" لم يكن مجرد مجموعة شعرية، بل أرفقه أنسي الحاج بمقدمة تنظيرية تُعدّ بمثابة بيان شعري يبرّر شرعية قصيدة النثر، ويحدد أسسها، ويواجه الانتقادات الموجهة إليها، وقد حمل عنوان المقدمة "ليس الشعر ما نظن"، وفيها يرفض الحاج حصر الشعر في الوزن، ويرى أن الشعر هو "الكلمة في حالة حب"، أي لحظة التوهج الجمالي التي قد تتحقق في أي شكل كتابي.

وتعد هذه المقدمة التي بدأ بها أنسي الحاج ديوانه" بمثابة مرجعية في تعريف قصيدة النثر وأهميتها في إثراء اللغة وتطور الأدب ،كما حدد شروطها وهي الإيجاز ، التوهج، والمجانية ، في محاولة لتعريفها وشرح مفرداتها للشعراء والمتلقين" (عبد الرحمان حبيب، 2021)

يتشكل الديوان من نصوص قصيرة نسبيًا، بلا التزام بأوزان الخليل، وتقوم بنيته على:

الإيقاع الداخلي: يتحقق من خلال التكرار الصوتي، والتنغيم، وإيقاع الجملة النثرية. مثال:

"أنا لم أعد لي، لا جسدي جسدي، ولا صوتي صوتي". (أنسي الحاج)

التكرار هنا يخلق نغمة متوترة، بديلة عن الإيقاع الوزني.

الصورة المكثفة والانزياح الدلالي:

"المساء يجيء بطيئًا كدمعة نائمة". (أنسي الحاج)

الصورة تحوّل المساء إلى كائن حسي، وتكثّف المعنى في استعارة مبتكرة.

الهجنة النصية: انفتاح النصوص على مفردات الحياة اليومية، والعاطفة الجسدية، والمشهد المسرحي، والحوار الداخلي.

المسافة البيضاء: الاستفادة من الفراغات الطباعية لإحداث إيقاع بصري.

التمرّد على السلطة: سواء سلطة اللغة أو القيم التقليدية. كلمة "لن" نفسها فعل رفض مطلق.

الجسد والرغبة: حضور الجسد الأنثوي كعنصر مركزي في التجربة الشعرية، بلغة جريئة وغير مسبوقة آنذاك.

القلق الوجودي: تأمل الموت، الزمن، والعبث الإنساني.

الانفصال عن الموروث الشعري: نفي الانتماء إلى القصيدة الموروثة إلا من حيث الجوهر الشعري.

يُعدّ تقديم أنسي الحاج لـ لن وثيقة تأسيسية، حيث وضع معايير لقصيدة النثر:

التحرر من الوزن والقافية.

التكثيف اللغوي والصوري.

وحدة النص كوحدة شعورية لا شكلية.

اللغة كطاقة إيحائية قبل أن تكون وسيلة إخبارية.

وخير دليل على ذلك مقطع من قصيدة أخاف أن أعرف لأنسي الحاج

"أجمْلُه ما بين الجهل والمعرفة. أكثرُه ألَماً وأشدُّه اعتصاراً.

.لا أعرف ما ستقرّرين. عيناكِ اللتان في لون ثيابكِ ثابتتان في دوختي ثباتَ الحَيرة المنقِذة في العذاب

كذابٌ هذا الصقيع، كذابٌ ذلك البحر التافه، كذابٌ أيُّ انهماكٍ كان: سوف أنساك. كذابٌ أنا، لو

!كان لي أنْ أنساكِ لما فعلتُ لأنّكِ، أنتِ أيضاً، لستِ لي. وكيف أنسى من ليست لي

كان يكون مريحاً لو". (أنسي الحاج)

رسّخ ديوان "لن" فكرة أن قصيدة النثر ليست تمرينًا نثريًا، بل جنسًا شعريًا قائمًا بذاته.

فتح الباب أمام أجيال لاحقة للتجريب اللغوي وتفكيك المركزيات الشعرية.

أسس لعلاقة جديدة بين الشعر والقارئ، تقوم على الدهشة والمفاجأة لا على التوقع المسبق.

يُحسب لـ ديوان لن جرأته التأسيسية، لكنه ظلّ موضع جدل نقدي حتى اليوم:

يرى بعض النقاد أن النصوص انشغلت بالصدمة الجمالية أكثر من انشغالها بعمق التجربة.

بينما يرى آخرون أن الحاج نجح في تحرير الشعر العربي من عقدة الوزن، وأنه أعاد تعريف الشعر انطلاقًا من الحرية المطلقة في اللغة.

يمثل ديوان لن علامة فارقة في تاريخ الشعر العربي الحديث، ليس فقط كديوان شعري، بل كـ مانيفستو لميلاد قصيدة النثر العربية. لقد جاء ليقول "لن" لكل سلطة أدبية مغلقة، وليؤسس لفكرة الكتابة خارج المركز، خارج النوع، التي أصبحت لاحقًا سمة رئيسة في الشعر العربي ما بعد الحداثة.

وأدونيس في أغاني مهيار الدمشقي، حيث انصهرت الأسطورة مع المشهد السردي والصورة الحداثية.

صدر الديوان عام 1961 عن دار الآداب، ويعدّ محطة مفصلية في مشروع أدونيس الشعري، حيث يتبنى صوتًا شعريًا جديدًا باسم مهيار الدمشقي، الذي يشكّل قناعًا شعريًا وذاتًا أسطورية تعيد صياغة علاقة الشاعر بالتاريخ والتراث.

في هذا العمل، تنصهر الأسطورة مع المشهد السردي والصورة الحداثية، ضمن إطار قصيدة النثر أو النص الشعري المفتوح، بما يعكس تحولات الشعر العربي نحو أفق ما بعد الحداثة وسنورد مثالا على ذلك بقصيدة لأدونبس المعنونةبـــ : أحلم وأطيع آية الشمس (أدونيس، 2008، صفحة 33)

إزيس /القاهرة

أكتبك فجرا يوقظ النائمة أثينا

أكتبك إكسيرا ضدّ الزمن ، تحرّزه خناجر الفتك

واللغة حوله حراب

من الناحية الشكلية نجد الديوان يتميز ب:

تفكيك الإطار الوزني: الديوان يتخلى عن الوزن الخليلي نهائيًا، ويعتمد الإيقاع الداخلي الناتج عن التكرار اللفظي، وتوزيع الجمل، وتقطيع المقاطع الشعرية.

الوحدة المقطعية: النصوص تتألف من مقاطع شبه مستقلة، ما يخلق بنية فسيفسائية تتماشى مع التشظي ما بعد الحداثي.

القناع الشعري :(Persona) مهيار ليس مجرد متكلم شعري، بل هو بناء أسطوري يتيح لأدونيس التحرك بين الأزمنة، وتجاوز الذات الفردية إلى ذات كونية.

المزج بين السرد والشعر: مقاطع سردية متخيلة تحكي عن رحلة مهيار، تتخللها انقطاعات شعرية مكثفة.

ولتوضيح أكثر يمكن الاستدلال بقصيدة " ليس نجما" لأدونيس

"ليس نجمًا ليس إيحاءَ نبيّ
ليس وجهًا خاشعًا للقمرِ
هُوَذا يأتي كرمحٍ(...)
غازيًا أرض الحروفْ
نازفًا يرفع للشمس نزيفهْ;
هُوَذا يلبس عُرْيَ الحجَرِ
ويصلّي للكهوفْ
هوذا يحتضنُ الأرض الخفيفَهْ ". (أدونيس، صفحة 135)

أما بالنسبة للبنية اللغوية نجد:

اللغة الأسطورية: استدعاء رموز أسطورية (جلجامش، تموز، عشتار) وصهرها في السياق الشعري العربي الحديث.

الهجنة المعجمية: الجمع بين المفردة التراثية ("السراب"، "الطوفان") والمفردة الحداثية ("الضوء الكهربائي"، "المدينة").

البنية التناصية: حوار مستمر مع النصوص الدينية (القرآن، التوراة) والأساطير القديمة، في إطار إعادة كتابة نقدية.

التكثيف والانزياح: الجملة الشعرية قصيرة غالبًا، محملة بانزياحات دلالية تفتح النص على تعدد المعاني.

أما البنية الدلالية نلمس فيها:

الرحلة والتحوّل: مهيار كشخصية أسطورية يعيش رحلة وجودية، من الانتماء إلى التمرد، ومن الماضي إلى المستقبل.

تفكيك المركزيات: رفض السلطة الدينية والسياسية، والسعي إلى إعادة كتابة التاريخ من منظور الهامش.

ازدواجية المقدّس والمدنس: النص يضع الأسطورة في حوار مع اليومي، ويمزج الرموز المقدسة بتجربة الحسّ الإنساني المباشر.

جدلية الحياة والموت: حضور ثيمات الفناء والبعث، كامتداد لرمزية تموز–عشتار.

في حين البعد الثقافي لما بعد الحداثة يظهر:

تفكيك السردية الكبرى: الديوان لا يقدّم تاريخًا جاهزًا، بل يعيد كتابته بمنظور ذاتي/أسطوري متشظي.

تعدد الأصوات: مهيار ليس صوتًا أحاديًا، بل يتداخل مع أصوات رمزية وتاريخية مختلفة.

عبر–النوعية: تجاوز الحدود بين القصيدة، والحكاية، والأسطورة، والنص الفلسفي.

الاحتفاء بالاختلاف: النص يحتفي بالهجنة، ويضع المتناقضات جنبًا إلى جنب دون محاولة لتسويتها.

يمكن النظر إلى أغاني مهيار الدمشقي كبنية نصية متعددة المستويات:

شكليًا: نص مفتوح يتخلى عن الوزن لصالح الإيقاع الداخلي، ويستخدم القناع الشعري كمحرك بنائي.

لغويًا: خطاب شعري–أسطوري قائم على التناص والهجنة المعجمية، وتكثيف الصور.

دلاليًا: رحلة تمرد ثقافي وجمالي ضد المركزيات، في أفق ما بعد الحداثة الذي يحتفي بالتشظي وتعدد المعاني.

يمثل هذا الديوان خطوة مركزية في تثبيت قصيدة النثر العربية كفضاء للتجريب الجمالي، وكنص ما بعد حداثي بامتياز، إذ يدمج الأسطورة بالمشهد السردي والصورة الحداثية، ويعيد بناء العلاقة بين التراث والحداثة، بين الصوت الفردي والجماعي، وبين المركز والهامش. لقد حوّل أدونيس في أغاني مهيار الدمشقي القصيدة إلى مختبر أسطوري–ثقافي يختبر حدود الشعر وقدرته على إعادة اختراع العالم.

توسّعت التجربة في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين مع جيل جديد من الشعراء الذين رأوا في قصيدة النثر فضاءً للتجريب خارج سلطة الإيقاع التقليدي، مثل وديع سعادة، سركون بولص، ومحمد الماغوط، حيث اتجهوا إلى البساطة الموحية، وتكثيف الصورة، واستلهام اليومي والعابر.

3 .تحولات ما بعد الحداثة

يمثّل خطاب ما بعد الحداثة تحوّلًا نوعيًا في الفكر الغربي المعاصر، إذ جاء في النصف الثاني من القرن العشرين كردّ فعل نقدي على المسلّمات الكبرى التي بشّرت بها الحداثة، ولا سيما الإيمان بالعقلانية المطلقة، والتقدّم الخطي، والمشاريع الشمولية لتفسير العالم.

فقد أعلن منظرو ما بعد الحداثة، مثل جان فرانسوا ليوتار وجاك دريدا وميشيل فوكو، عن القطيعة مع ما أسماه ليوتار بـ"السرديات الكبرى" (les grands récits)، داعين إلى الاحتفاء بالتعدد، والاختلاف، والتشظي، واللامركزية في إنتاج المعرفة والمعنى.

من أبرز خصائص ما بعد الحداثة:

1.رفض مركزية الحقيقة المطلقة: الحقيقة تُرى بوصفها بناءً لغويًا وثقافيًا، متغيرًا بحسب السياقات، لا كيانًا ثابتًا ونهائيًا.

2.التشظي النصي والمعرفي: تفكيك البنية الكلية للعمل الفني أو الخطاب، وفتح النص على التعددية والتأويلات المتعارضة .

3.تفكيك السلطة النصية: زعزعة صورة المؤلف كمصدر وحيد للمعنى، وتأكيد دور القارئ في إنتاج الدلالة (نظرية موت المؤلف لرولان بارت).

4.تداخل الأجناس الأدبية: تجاوز الحدود الفاصلة بين الشعر والسرد والمسرح والفنون البصرية، لصالح النص الهجين أو المتعدد الوسائط.

5.الكتابة من الهوامش: تمكين الأصوات المهمشة (ثقافيًا، جندريًا، عرقيًا) من الحضور في النصوص، وتفكيك المركزيات المهيمنة. ومن خلال هذه المميزات ورغم" اختلاف الفنون الأدبية ما بعد الحداثية على أكثر من مستوى ، فإن هذه الفنون تتفق في المبدأ العام المتمثل في الغيرية وهو مبدأ قائم على عنصر التشظي والمزج والتعدد والتهجين ومناقض لمبدأ النقاء المميز لعلم الجمال الحداثي" (عمارة بوجمعة، 2017، صفحة 268)

في هذا الإطار، تصبح قصيدة النثر العربية نموذجًا بارزًا للكتابة ما بعد الحداثية، إذ تجسّد هذه الخصائص من خلال كسرها للأطر الوزنية التقليدية، وانفتاحها على الهجنة النصية، وتمركزها حول التجربة الفردية المتشظية بدل النموذج الكلي المغلق.

إذن قصيدة النثر العربية ليست مجرّد تقنية كتابية، بل هي مشروع جمالي متكامل يعيد تعريف ماهية الشعر. ومن خلال اعتمادها على الإيقاع الداخلي، والصورة المكثفة، والانفتاح على السرد واللغة اليومية، استطاعت أن تؤسس لنفسها مكانة خارج سلطة المركز، وأن تتحوّل إلى مختبر حي للتجريب ما بعد الحداثي.

ثانيا: الكتابة خارج المركز

1 . مفهوم المركز والهامش في الثقافة

في الدراسات الثقافية والنقد ما بعد الكولونيالي، يُعرَّف المركز بأنه الموقع الذي يحتكر السلطة الرمزية والمعيار الجمالي، ويشكّل مرجعية قياسية تحدد ما هو مقبول أو رفيع في الإنتاج الثقافي. يتجسد هذا المركز في

العاصمة الثقافية التي تسيطر على حركة النشر والتوزيع، وفي المدرسة النقدية المهيمنة التي ترسم معايير التقييم، وفي الشكل الشعري المكرّس الذي يُعترف به بوصفه النموذج الأرقى للتعبير الأدبي.

أما الهامش، في المقابل، فهو فضاء بديل للإنتاج، يتسم بقدر أكبر من الحرية، إذ يتحرر من كثير من القيود التي يفرضها المركز، سواء كانت مؤسساتية أو جمالية، الهامش قد يكون جغرافيًا (أقاليم بعيدة عن العواصم الثقافية)، أو اجتماعيًا (أصوات المهمشين والفئات غير الممثلة)، أو جماليًا (أشكال أدبية غير مكرّسة).

ويُنظر إلى العلاقة بين المركز والهامش على أنها علاقة جدلية؛ فالهامش ليس مجرد منطقة تابعة أو سلبية، بل هو موقع فاعل قادر على إنتاج خطابات نقدية وجمالية تنافس المركز وتعيد تعريف المعايير. . وهذا ما سعت التفكيكية إلى ترسيخه فقد أرست هذه الأخيرة " ملامح خاصة على جماليات على ما بعد الحداثة منها الحركة والسرعة والتلقائية والتشتت والاختلاف والتمرد والعبث ثم الانفتاح على الهامش بدل المركز ، أي وفق صور وأشكال مفككة ومتشظية" (رمضان جودت زيادة، 2003، صفحة 92)

وفي هذا السياق، تشكّل قصيدة النثر العربية مثالًا نموذجيًا لكتابة خرجت من الهامش الجمالي الذي كان مرفوضًا في ظل سلطة الوزن والقافية، لتصبح مع الوقت مركزًا بديلًا يفرض رؤيته الخاصة للشعرية.

2. قصيدة النثر كتجربة هامشية

من حيث النشأة، وُوجهت قصيدة النثر العربية في بداياتها برفض نقدي صريح، إذ عُدّت خروجًا على قوانين الشعر العربي الموروثة، التي كانت تقوم على سلطة الوزن والقافية بوصفهما الضامنين للشعرية، وقد نظر إليها كثير من النقاد والشعراء التقليديين باعتبارها نصوصًا نثرية فاقدة للشرعية، مما حصرها في موقع الهامش الجمالي، وأجّل اعتراف المؤسسات النقدية بها.

يبدي بعض النقاد موقفهم الرافض لقصيدة النثر فقد اعتبروها تجاوزًا لفن الشّعر ؛لأنّها كلام نثري أقرب إلى الأسلوب الحكائي أو القصصي، لأنهم يرون أن" الشّعر في الحقيقة _مهما تختلف الآراء_ إلا كلامًا موسيقيًا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب والموسيقى الشّعرية، وهي أكبر ميزة تميز الفن عن النثر، فإذا جرّدنا التجربة الشّعرية من إيقاعها، فقد جردناها من أهم عناصرها وأبرز مميزاتها" (محمد صالح ناصر، 1999، صفحة 236)

أما من حيث الانتشار، فقد ازدهرت قصيدة النثر في فضاءات خارج المركز الثقافي الرسمي؛ إذ وجدت متنفسًا في مناطق الأطراف، وفي المنابر المستقلة، والمجلات البديلة التي لم تكن خاضعة لرقابة الأطر الكلاسيكية،

هذا الانتماء إلى فضاء "الهامش" أتاح لها أن تتجاوز الاشتراطات الصارمة للشعر المكرّس، وأن تنفتح على التجريب واللغة اليومية، وعلى ثيمات لم يكن الشعر المهيمن يجرؤ على مقاربتها.

ويبرز في السياق الجزائري مثال دالّ، حيث كتب عبد القادر رابحي نصوصًا شعرية نثرية استندت إلى الذاكرة المحلية، وأعادت إنتاج المشهد الشعري من منظور بعيد عن منطق "العاصمة كمركز". هذه النصوص انطلقت من الهوامش الجغرافية والثقافية لتؤسس مركزًا بديلًا، يحتفي بالخصوصيات المحلية، ويتحرر من المعايير الجمالية التي كانت تفرضها المؤسسات الثقافية المركزية.

لقد اختار رابحي منذ بداياته أن يكتب خارج سلطة الوزن الخليلي والقافية، معتمدًا على الإيقاع الداخلي، والبناء المقطعي، والتكثيف الصوري، ما جعل نصوصه تندرج في صلب التجربة الشعرية الحداثية العربية، وفي الآن ذاته تعبّر عن هوية محلية مغايرة.

تقوم بنية نصوصه على التشظي المقطعي، حيث تتوالى الجمل القصيرة أو المكرّرة لتشكّل إيقاعًا داخليًا نابضًا، كما في قصيدة "نواة" التي تبدأ بتكرار الضمير "هو"، في ما يشبه التعويذة الإيقاعية التي تعمّق أثر النص حيث يقول في قصيدة نواة :

"هُوَ مَا لَمْ يَقُلْهُ الرُّوَاةْ..
هُوَ هَذَا الذِي أَخْرَجَتْهُ الرِّمَالُ الحَزِينَةُ
مِنْ ضَيْقِ هَذِي الفَلاَةْ..
هُوَ هَذَا الذِي أَسْكَنَتْهُ الجِرَاحَاتُ
فِي سِعَةِ السَّوْسَنَهْ..
كُلُّهُ يَتَغَاضَى عَنِ البَوْحِ
لِلمُدُنِ المسْتَفِيقَاتِ فِي كُلِّهِ
لاَ بَيَاضَاتَ فِي جُلِّه
لاَ تَصَانِيفَ
لاَ أَمْكِنَهْ..
هُوَ هَذَا الذِّي يَتَبَقّى مِنَ الشَكِّ
فِي دَاخِلِ العَنْعَنَهْ..

هُوَ هَذِي النَّوَاةْ.." (عبد القادر رابحي)

هذا البناء التفكيكي يتعزز في قصيدة "رياح"، حيث تتحول الجغرافيا إلى استعارة وجودية مكثفة: "هذه الأرض زنزانتي... الريح عسكري"، في صورة تمزج بين الحسّ المادي للمكان وحالة الحصار النفسي والاجتماعي

"هَا أَنَا فِي خَرِيفِ الخَرِيفِ
عَطَشِي يَرْتَوِي مِنْ مَدَاهَا
وَ أَوْرَادُهَا تَرْتَوِي مِنْ نَزِيفِي
مِنْ جَدِيدٍ
أُهَاجِرُ فِي مُنْتَهَى مُنْتَهَاهَا..
هَذِهِ الأَرْضُ زِنْزَانَتِي
وَ الصَّدَى عَسْكَرِي
وَ سُيُوفِي..
لَنْ أُغَادِرَ ذَاكِرَةَ الرِّيحِ
حَتَّى أَرَاهَا..
نَكْسَتِي فِي خُطَاهَا
وَ أَسْرَارُهَا فِي حُرُوفِي..
مِنْ جَدِيدٍ أُهَاجِرُ
فِي مُنْتَهَى مُنْتَهَاهَا.." (عبد القادر رابحي)

على المستوى اللغوي، تنفتح قصيدة النثر عند رابحي على معجم مزدوج يجمع بين المفردات التراثية (الرمال، الطوفان، النافورة) والمفردات الحديثة أو اليوميّة، في ما يشكّل هجينة لغوية تنسجم مع طبيعة النص المفتوح. كما تتسم لغته بكثافة الاستعارة والانزياح، بحيث تتحول العناصر الطبيعية أو المكانية إلى رموز دلالية مشحونة بالبعد الثقافي، كما في قصيدة "الطائر الضرير" حيث يقول: " مَنْ يُفَسِّرُ أُسْطُورَةَ الطِّينِ غَيْرِي وَ يَعْرِفُ كَيْفَ تَكَوَّنَتِ الطِّينُ.." (عبد القادر رابحي)

في إحالة إلى قدرة الشاعر على إعادة تشكيل مادة الهامش (الطين) في صيغة فنية مقاومة.

أما دلاليًا، فإن نصوصه تنسج خطابًا شعريًا مناهضًا للمركزيات، إذ يعيد من خلالها كتابة الذاكرة من منظور الأطراف، محتفيًا بالخصوصيات المحلية، ومقدّمًا الذات الشعرية بوصفها شاهدًا ومؤرخًا لتجارب المهمشين. هذا الوعي بالهامش يلتقي مع روح ما بعد الحداثة التي تفكك السرديات الكبرى، وتمنح الصوت للأصوات المغيبة، وتحتفي بالاختلاف وتعدد المعاني.

إن تجربة عبد القادر رابحي في قصيدة النثر الجزائرية تكشف عن قدرة النص الهامشي على التحول إلى مركز بديل، من خلال استثمار إمكانات اللغة والصورة، وتفكيك البنية الكلاسيكية للشعر، والاشتغال على الذاكرة والمكان بوصفهما مصدرين جماليًا ومعرفيًا في آن واحد، وهكذا، يغدو نصه الشعري مختبرًا لتجريب جمالي وثقافي ينتمي إلى فضاء الكتابة "خارج المركز" و"خارج النوع"، في أفق ما بعد حداثي يحتفي بالهجنة والتشظي.

ثالثًا: الكتابة خارج النوع

1. تفكيك مفهوم النوع الأدبي

يشكّل مفهوم النوع الأدبي أحد أعمدة النظرية الأدبية الكلاسيكية، حيث كان يُنظر إليه بوصفه نسقًا مغلقًا تحكمه قواعد شكلية ودلالية صارمة، تحدّد أطر الإبداع وتضبط حدوده، غير أنّ تحولات الفكر الجمالي في النصف الثاني من القرن العشرين، ولا سيما مع بروز خطاب ما بعد الحداثة، أفضت إلى إعادة النظر في هذا التصوّر المغلق، لصالح رؤية تجعل من النوع فضاءً ديناميًا مفتوحًا، تتقاطع داخله أنماط تعبيرية متعددة، وتتفاعل فيه أصوات وخطابات متباينة.

في هذا الإطار، لم يعد "النوع" بمثابة الحدود الفاصلة التي تحرس نقاء النص وانتماءه، بل صار مجالًا تفاعليًا يسمح بالتجاور النصي وتبادل العناصر الشكلية والموضوعية بين الأجناس الأدبية والفنية، فيما يعرف بالتداخل النصي(intertextualité) ، كما بلورته جوليا كريستيفا انطلاقًا من مفاهيم ميخائيل باختين حول الحوارية وتعدد الأصوات. وفق هذا المنظور، تُلغى فكرة الصفاء النوعي، ليحل محلها مفهوم "الهجنة" أو "العبور النوعي" الذي يتيح للنصوص التحرّر من التماثل القسري مع النماذج الموروثة.

وبفضل هذا الانفتاح، أصبح ممكنًا أن تتعالق البنية السردية بالبنية الشعرية في نص واحد، وأن تتجاور اليوميات مع التأملات الفلسفية، أو أن تنصهر الحكاية القصيرة مع اللوحة البصرية. ولعل قصيدة النثر تمثل في السياق العربي أوضح تجسيد لهذه التحولات، إذ نجحت في التموقع خارج الأطر النوعية التقليدية، لتكون

فضاءً رحبًا للتجريب والانفتاح على مختلف أشكال الخطاب. "فدوافع قصيدة النثر كانت بالدرجة الأولى ، بحثا عن حركية فنية تشبع المتعة النصية المفقودة ؛فقد أرهقت القواعد الكلاسيكية اذواق المتلقي كما أن القوالب الموسيقية الثابتة لم تعد مطلبا جماليا لأن ((جمهور القرن الثامن عشر الفرنسي ، قد بحث ، في اغلب الاحيان ، في التراجم عن أرضاء طموحاته الشعرية التي ما عادت تجد غذاء عن الممارسات الشكلية البحتة لناظمي الشعر" (سوزان برنار، 1993، صفحة 33)

2. قصيدة النثر كنص عابر للأجناس

تمثّل قصيدة النثر العربية، في سياق تحوّلات الكتابة المعاصرة، تجسيدًا حيًّا لفكرة عبور الأجناس الأدبية، إذ تنفتح بنيتها على استيعاب مكوّنات سردية من خلال إدماج الحكاية القصيرة أو المشهد الحياتي الجزئي، كما تستثمر تقنيات مأخوذة من الكتابة المسرحية والسينمائية، مثل المونتاج، واللقطة، والتقطيع البصري، وعليه فقصيدة النثر استفادت من تقنيات الفنون المجاورة " لاسيما عناصر الحكاية وتقنيات القص والسرد والإخراج والتوليف والمونتاج وغيرها " (صابر عبيد محمد، 2006)وبهذا التداخل، يتحوّل النص الشعري إلى فضاء رحب لتعدد اللغات والخطابات، حيث يمكن أن يبدأ بوصف مشهد واقعي محدّد، ثم ينزاح إلى تأمل فلسفي عميق، أو ينفجر في انفعال شعوري صرف.

ويقدّم الشاعر وديع سعادة مثالًا بارزًا لهذا العبور النوعي، إذ تمزج نصوصه بين السيرة الذاتية والتأملات الوجودية ذات الطابع الفلسفي، فهو يستعير من السرد بنية الحكي المتدرّج، بما تحمله من تسلسل مشهدي ووقائعي، ومن الفلسفة عمق السؤال الإنساني، ومن السينما قدرة المشهد المكثّف على أسر اللحظة البصرية، لأن الشعر النثري " ينزع نحو الخروج على المفهوم المتوارث للقصيدة الغنائية أو إلغاء الحدود بين الأجناس الأدبية في النص الواحد" (حاتم الصكر، صفحة 15)

وفي كثير من نصوصه، تتجاور الجملة الشعرية المقتضبة مع الحوار الداخلي، وهذه القصيدة التي بين أيدينا خير دليل على ذلك (وديع سعادة)

في هذه الأيام
أحاول أن أجدَ لصّاً
يأخذ كلَّ شيء دون أن يوقظني
أبحثُ عن ضمانٍ أكيد للآخرةِ

كأتونٍ جديد مثلاً
يبدّد فحمَ ماضيَّ أو
امرأة
أرشو بها من يعاند تدلّي جسدي،
في هذه الأيام
الخاليةِ من مشنقةٍ عشيقة
أريد أن أعرف فقط
كيف ألوك ألسنةَ الساعات كلَّها
لحظةٌ لحظة
ومع ذلك تفتح فمي في الصباح كلمةٌ لطيفة
ورمح
يدأب في تشطيب هوائي.
لصّ
أليس بينكم لصٌّ محترم
يا سادة؟

هذا الحوار يفتح النص على تعددية الأصوات، وينقل القارئ من البنية الغنائية المغلقة إلى فضاء حواري يلتقي فيه الذاتي بالكوني، بذلك، تتحقّق في شعر وديع سعادة معالم الكتابة "خارج النوع"، حيث تتلاقح البنية الشعرية مع السردية، ويتعانق المشهدي مع الفلسفي، في نصوص لا تحدّها قوالب مسبقة، بل تبتكر شكلها الجمالي مع كل تجربة جديدة.

رابعا: قصيدة النثر في ظل التحولات العالمية

شهد العالم في العقود الأخيرة تحوّلًا جذريًا بفعل الثورة الرقمية وتطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، وهو تحوّل لم يقتصر أثره على الاقتصاد أو العلم، بل امتد ليطال مجالات الإبداع الأدبي والفني، بما في ذلك قصيدة النثر، فقد وجدت هذه الأخيرة في البيئة الرقمية فضاءً جديدًا للتعبير، وأفقًا رحبًا للتجريب، ووسائل مبتكرة للتفاعل مع القارئ.

من الناحية الجمالية، سمحت الوسائط الرقمية لقصيدة النثر بالانفتاح على أشكال تفاعلية لم تكن ممكنة في السابق، مثل إدماج الصورة والصوت والفيديو داخل النص الشعري، مما خلق ما يمكن تسميته بـ"القصيدة متعددة الوسائط .(Multimodal Poem) " هذا التهجين بين النص والوسائط يعمّق من طبيعة قصيدة النثر ككتابة "خارج النوع"، ويجعلها أكثر انسجامًا مع روح العصر.لأنها تحاول " النزوع نحو الاستقلالية وإثبات وجود الذات من خلال ابتداع شكل تتجسد فيه هذه الاستقلالية الذاتية التي غزاها العصر الحديث بقيمه وتوجهاته" (عبود شراد شلتاغ، 1998، صفحة 234)

أما الذكاء الاصطناعي، فهو يقدّم للشعراء إمكانات جديدة في عملية الكتابة، من خلال برامج قادرة على توليد نصوص شعرية، أو اقتراح استعارات وصور، أو حتى محاكاة أساليب شعراء بعينهم، غير أن هذا يطرح في الوقت نفسه أسئلة فلسفية وجمالية حول حدود الإبداع البشري، وأصالة النص، ودور الشاعر في زمن تستطيع فيه الخوارزميات إنتاج نصوص "شبيهة بالشعر."

في هذا السياق، يمكن أن تتحول قصيدة النثر إلى فضاء للتأمل النقدي في التكنولوجيا ذاتها، بحيث تتناول في موضوعاتها أثر الرقمنة على الذاكرة، وعلاقة الإنسان بالآلة، وإمكانات أو مخاطر العيش في عالم تحكمه البيانات والخوارزميات، فكما كانت قصيدة النثر في بداياتها فعل تمرّد على مركزية الشكل الشعري التقليدي، يمكنها اليوم أن تكون أداة لمساءلة مركزية التكنولوجيا في الحياة المعاصرة.

وهكذا، فإن آفاق العالم أمام قصيدة النثر في زمن التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي ليست مجرد توسع جغرافي أو ثقافي، بل هي توسع في وسائط التعبير، وأدوات الإنتاج، ومجالات التلقي، مع ما يرافق ذلك من تحديات تتعلق بالهوية الإبداعية، والحدود بين الإنسان والآلة في صناعة المعنى الشعري.

خاتمة:

يتضح من خلال هذه القراءة أنّ قصيدة النثر العربية، في تفاعلها مع خطاب ما بعد الحداثة، قد مثّلت تحوّلًا جوهريًا في مفهوم الكتابة الشعرية، سواء على مستوى علاقتها بالمركز والهامش، أو على مستوى موقعها من البنية النوعية للأجناس الأدبية، فهي، من جهة أولى، كتابة خارج المركز، إذ نشأت في فضاءات بعيدة عن الهيمنة المؤسسية، ووجدت في الهوامش الجغرافية والثقافية بيئة حاضنة للتجريب والتمرّد على المعايير الجمالية المكرّسة، ومن جهة ثانية، هي كتابة خارج النوع، بما تنطوي عليه من عبور للأجناس وتداخل للخطابات، يمكّنها من إعادة تشكيل الحدود الفاصلة بين الشعر والسرد والفلسفة والفنون البصرية.

هذا التموقع المزدوج مكّن قصيدة النثر من أن تكون، في السياق العربي، مختبرًا مفتوحًا لابتكار أشكال تعبيرية جديدة، تزاوج بين اللغة الشعرية المكثفة، والمشهد السردي، والبعد التأملي الفلسفي، في إطار جمالي يحتفي بالتعدد والاختلاف، وهي بذلك تتماهى مع الروح الما بعد حداثية التي ترفض النماذج المطلقة والسرديات الكبرى، وتمنح الأولوية للصوت الفردي، وللنص بوصفه مساحة حرة لتعدد الأصوات والمعاني.

إن قصيدة النثر، بهذا المعنى، ليست مجرّد شكل شعري بديل، بل هي مشروع ثقافي وجمالي يسعى إلى إعادة تعريف الشعر في ضوء تحولات الحساسية المعاصرة، وإلى بناء خطاب إبداعي ينهض من الأطراف، ويعيد تشكيل خرائط الأدب العربي على أسس أكثر انفتاحًا، وثراءً، وتنوعًا.

أما بالنسبة للتحولات التكنولوجية المتسارعة، وفي مقدمتها تطورات الذكاء الاصطناعي، لم تغيّر فقط بيئة إنتاج النصوص الشعرية وتلقيها، بل يمكنها أيضًا تشكيل أفق قصيدة النثر العربية على المستويات الجمالية والدلالية. فقد وفّرت الوسائط الرقمية والبرمجيات الإبداعية إمكانات غير مسبوقة للتجريب النصي، من التداخل مع الوسائط السمعية والبصرية، إلى استلهام لغة التقنية والخوارزميات في صياغة الصور الشعرية، وفي الوقت نفسه، فتحت هذه التحولات بابًا واسعًا للأسئلة الفلسفية حول طبيعة الإبداع، وحدود الأصالة، ودور الشاعر في زمن تستطيع فيه الآلة محاكاة النص البشري.

قصيدة النثر، بما تمتلكه من مرونة شكلية وانفتاح نوعي، لها قدرة خاصة على استيعاب هذه التغيرات التي ستحولها إلى فضاء نقدي يواجه مركزية التكنولوجيا عبر مساءلة حضورها في الوعي الفردي والجمعي.

وبهذا، فإن علاقتها بالتكنولوجيا لا تتوقف عند حدود التوظيف الشكلي أو المعجمي، بل تمتد إلى إعادة التفكير في موقع الإنسان في عالم تزداد فيه سلطة الخوارزميات، وفي معنى الشعر ذاته في زمن تتقاطع فيه الإنسانيات مع الذكاء الاصطناعي.

التوثيق:

قائمة المراجع:

الكتب:

أدونيس، الديوان(أغاني مهيار الدمشقي)، ص144.

أدونيس،2008، أبجدية ثانية، طبعة جديدة خاصة، سوريا.

رمضان جودت زيادة،2003 ، صدى الحداثة/ ما بعد الحداثة في زمنها، المركز الثقافي العربي، ط1.

سوزان برنار ،1993، قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا : ترجمة زهير مجيد مغامر ، دار المأمون للترجمة ، بغداد .

عبود شراد شلتاغ ،1998،تطور الشعر العربي، دار المجدلاوي، الأردن.
عبيد محمد صابر، 2006، مرايا التخييل الشعري، جدار الكتاب العالمي، الأردن.
محمد علي الشوابكة وأنور أبو سليم، 1991، معجم مصطلحات العروض والقافية، دار البشير، الأردن.
محمّد ناصر،1999، الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنّية، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان.
المقالات:
أدونيس، 1960، في قصيدة النثر، مجلة الشعر، العدد 14 .
حاتم الصكر، وجه نرسيس في مياه الشعر، مجلة فصول.
عمارة بوجمعة، جماليات ما بعد الحداثة في الأدب والفن ، مجلة النص، 2017.
مواقع الانترنيت:
أنسي الحاج ،الديوان ، https://www.aldiwan.net/cat-poet-Ounsi-El-Haj06-07-2025 يوم الأربعاء.

عبد الرحمان حبيب، 2021، الإبداع الأول ...أنسي الحاج يفتح طريق قصيدة النثر بديوان لن، مجلة الثقافة، https://www.youm7.com/story/2021/11/22/ا/5546298. 2025-07-06 يوم الأربعاء.
عبد القادر رابحي، http://sh6r.com/poem/169306-07-2025 يوم الأربعاء.
وديع سعادة،https://www.aldiwan.net/poem114272.html يوم الأربعاء. 06-07-2025

The rhythmic structure in the collection of Ibn Jinan Al-Ansari –its artistic manifestations and expressive connotations

Bouafia Imane [1]
Mohamed Khider University - Biskra
imane.bouafia@univ-biskra.dz
Guerbaz Nourelhouda [2]
Mohamed Khider University - Biskra
nourelhouda.guerbaz@univ-biskra.dz

Abstract:

Ibn Jinan Al-Ansari paid great special attention to the rhythmic structure in his poetry because it embodies the entity of his poetry and is considered the basic component of his poems. His use of meters varied and multiplied to show the important role of them. He also played and excelled in using rhymes with all strength and intelligence to show the importance of combining ancient and modern usage and diversifying between this and the same for what serves his poetic purposes. For our poet, rhythm is not just an artistic decoration that gives poetry beauty and joy Rather, it is a fabric that brings out the poet's psychological innermost thoughts and their expressive dimensions in systems for various purposes.

Thus, rhythm is the basic pillar of Ibn Jinan Al-Ansari's poetry, as he used it with all artistry to give an aesthetic that contributes to spreading an artistic impact in the same forum.

Keywords: structure, rhythm, aesthetics, Ibn Jinan Al-Ansari.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

البنية الايقاعية في ديوان ابن جنان الأنصاري –تجلياتها الفنية ودلالاتها التعبيرية

بوعافية إيمان[1]
جامعة محمد خيضر-بسكرة
imane.bouafia@univ-biskra.dz
قرباز نور الهدى [2]
جامعة محمد خيضر-بسكرة
nourelhouda.guerbaz@univ-biskra.dz

ملخص:

أولى ابن جنان الأنصاري اهتماما كبيرا خاصا بالبنية الإيقاعية في شعره لأنها تجسد كيان شعره كما تعتبر المكون الأساسي لقصائده فاختلف استعماله للبحور وتعدد ليظهر الدور المهم لها كما تلاعب فبرع في استعمال القوافي بكل بقوة وذكاء ليبين أهمية المزاوجة بين الاستعمال القديم ولها والحديث والتنويع بين هذا وذات لما يخدم أغراضه الشعرية، فالإيقاع بالنسبة لشاعرنا ليس مجرد زخرف فني يعطي للشعر جمالا وطربا، بل هو نسيج يخرج مكنونات الشاعر النفسية و أبعادها التعبيرية في النظم للمختلف الأغراض.

بهذا يعد الإيقاع الركيزة الأساسية في شعر ابن جنان الانصاري فقد استعمله بكل فنية ليعطي جمالية تسهم في بث أثر فني في نفس الملتقي.

الكلمات المفتاحية: البنية، الإيقاع، الجمالية، ابن جنان الأنصاري.

مقدمة:

البنية الإيقاعية إحدى مكونات التجربة الشعرية في الادب العربي بشكل عام والأدب الأندلسي بشكل خاص، فالإيقاع ليس مجرد تكرار صوتي متوالي ومنظم، بل هو نسيج جمالي يسهم في إعطاء التجربة الشعرية نغم فني و انسجام لإظهار الدلالات الفنية داخل النص الشعري، اهتم شعراء الاندلس بالإيقاع لما يحمله من تأثيرية جمالية في بنية النص ومعناه، لهذا يسعى المقال إلى تتبّع هذه الظاهرة في شعر ابن جنان الأنصاري من أجل تحليلها للكشف عن ما تضفيه هذه الموسيقى في شعره وكيفية توظيف آلياتها؟

الفرضيات:

يُعدُّ الإيقاع قلباً نابضاً للشعر الأندلسي، حيث يشتبك مع النَّغم الفني والدلالات المعنوية ليُثري تجربة الشعر لدى ابن جنان الأنصاري في أفق إبداعه، يتجاوز الإيقاع الحدود التقليدية كتكرار صوتي، ليتحوَّل إلى أداة جمالية وتعبيرية تُعمِّق المعاني وتبرز التوازن بين الشكل والمضمون.

ابن جنان الأنصاري يعتمد على آليات إيقاعية متعددة، مثل الوزن، القافية، التكرار، الجناس، والتوازن الصوتي، لإضفاء تأثير عاطفي وفكري مميز في إنتاجه الشعري .

ما يُميز إيقاعه هو انسجامه مع البيئة الثقافية الأندلسية، مما يمنح نصوصه بُعداً فريداً يُبرز عمق الشخصية الأدبية الأندلسية في أعماله.

المنهج المتبع: بداية بالمنهج الوصفي التحليلي وهذا من أجل التركيز على وصف خصائص الإيقاع في شعر ابن جنان الأنصاري، بما يشمل الأوزان العروضية، القافية، والتفعيلات، تحليل الأنماط الصوتية كالتكرار والجناس والسجع لفهم دورها في تعزيز جماليات النص ومستوى دلالاته، بالاضافة إلى المنهج الأسلوبي من أجل الكشف عن تقنيات التوظيف الفني للإيقاع ومدى تعبيره عن الأحاسيس النفسية والعاطفية، مع التركيز على العلاقة بين البنية الإيقاعية والمضمون الشعري، وكيفية استخدام الإيقاع للتعبير عن حالات متنوعة مثل الفرح أو الحزن أو الحنين.

تمهيد: إنّ التشكيل الإيقاعي من العناصر التي لها أهمية بالغة في الشعر الأندلسي عامة، إذ يعد ابن جنان الأنصاري من اللذين زخرت نصوصوهم الشعرية بفنية إيقاعية جمالية، فقد تحملت قصائده بزخرف موسيقي غزير وضف فيه الجانب الإيقاعي بكل جمالية و فنية . ابن جنان لأنصاري أحد شعراء الأندلس الذين لم يلقوا الحظ من الظهور والعناية بالدراسة والتحليل فهو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، يكنى أيا عبد الله ويعرف بابن الجنان الأنصاري الأندلسي (الخطيب، 1973، صفحة 900)

أولا: الإيقاع الخارجي:

1/ الوزن: إن الإيقاع الخارجي أحد الركائز الأساسية في البنية الشعرية، و هو يعنى بانتظام الوزن والقافية في البناء العروضي للنص الشعري ، لما يمنحانه للقصيدة من تناغم موسيقى مميز، فقد ربطوا مفهوم الشعر بالوزن و القافية بقولهم " هو الكلام الموزون المقفى" (حركات، 1998،، صفحة 06)حيث جعلوا من الوزن و القافية " أعظم أركان حد الشعر، وأولاها بخصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها" (القيرواني، 1955، صفحة 120) لهذا يقاس جمالية الشعر بمدى تمكن الشاعر من ناصية الإيقاع و من خلال تصفح لشعر ابن جنان الأنصاري نجده أنه نوع في أوزانه فقد إعتمد على النظام العروضي للخليل في التراواح بين الأوزان الطويلة و كذا القصيرة حسب ما يتماشى مع تجربته الشعورية تعدد استعمال ابن جنان الأنصاري للبحور الشعرية فقد استعمل ست بحور شعرية تنوعت بين القصيرة وطويلة بتعدد الغرض الذي نظم فيه فقد نظم على منوال ست بحور من 16 عشر بحرا من بحور الخليل ابن أحمد الفراهيدي و الجدول الآتي يوضح ذلك :

البحور	عدد القصائد	نسبتها
الطويل	16	28.57%
الكامل	15	%26.78
البسيط	9	%16.07
الوافر	2	%3.57
الخفيف	2	%3.57
مجزوء الكامل	5	%8.92
مجزوء الوافر	1	%1.78
مجزوء الرمل	1	%1.78
مخلع البسيط	1	%1.78
المجموع	56	%100

غير أنّ الغالب فيها استعمال البحور الطويلة خاصة لما يلائم غرض المدح منها بحر الطويل قائلا على منواله مودعا الشهر الفضيل وليلة القدر: (جنان، 1990، صفحة 113)

مضى رمضان أو كأني به مضى وغاب سناه بعد ما كان أو مضا

مضى رمضان أو كأنني به مضى وغاب سناه ما كان أو مضا

0////0/0//0/0/0/// 0// **0//0//0/0//0//0///0//**

فعول/ مفاعيلن/ فعولن / مفعلن **فعول/ مفاعلن/ فعولن/ مفاعلن**

ويقول على نفس البحر راثيا شيخه سهل بن محمد: (جنان، 1990، صفحة 117)

فكل أسى لا تذهب النفس عنده **فما هو إلا من قبيل التصنع**

فكلل أسى لا تذهب ننفس عندهو **فما هو إللا من قبيل تتصننعي**

0//0// 0/0 // 0/ 0/ 0// /0// **0//0//0 /0// 0/ 0/0/ // 0// /0//**

فعول مفاعيـــلن فعــولن مفاعلن **فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن**

يظهر من خلال تقطيع هذ الأبيات أن شاعرنا قد استعمل البحر الطويل ذلك لأنه من أكثر البحور الشعرية العربية قدرةً على حمل الدلالات الشعورية العميقة، فتفعيلاته الأصلية متكونة من فعولن والتي تتكون من (//0 /0)(وتد مجموع +سبب خفيف) أما تفعيلة (مفاعيلن) فتتكون من (//0/0/0) (وتد مجموع+ سبب خفيف+ سبب خفيف)غير أن تلاعب الشاعر في ترتيب وتكرارا هذه الوحدات الإيقاعية وذلك بتنوع الزحافات الداخلة على الأبيات بتغيير تفعيلة فعولن ب فعول و مفاعيلن ب مفاعلن بحذف الخامس الساكن و المتمثل في زحاف القبض فهذا التنويع الإيقاعي في المقاطع الصوتية فالمقاطع القصيرة مثل (مضى ، غاب) و المتكونة من حركتين وسكون أي صائت قصير مع صائت طويل (//0)(ح ح ص) إنزلقت بالنص إلى الحزن الشديد الذي سارع الزمن، ليذهب إلى المقاطع الطويلة التي تمثلت في (سناه، تصنّع) و المتكنوة من (//0/0) و (//0//0) أي من (ح ح ح ص) فالكلمة الأولى من وتد مجموع وسبب خفيف والكلمة الثانية من وتدان مجموعان فالجدول الآتي يبين التقطيع ورموزه :

الكلمة	التقطيع الصوتي	رموز المقاطع
مضى	مضى	ح ح ص
رمضان	رمضان	ح ح ح ص ح
كأني	كأأني	ح ص ح ح ص
به	به	ح ح
مضى	مضى	ح ح ص
و	و	ح
غاب	غاب	ح ص ح
ما	ما	ح ص
كان	كان	ح ص ح
أو	أو	ح ص
مضا	مضا	ح ح ص

فالملاحظ من خلال الجدول أن المقاطع تراوحت بين استعمال المد الطويل لبين طول زمن الحزن فهو امتداد زمني و كذا دلالي على شيء مضى لكي يواكب معنى الفقدان وكذا الرثاء فقد منح الأبيات حيوية موسيقية وكسر الرتابة النغمية وذلك من أجل إيصال ما يختلج في نفسه ليدل على ثبات الشعور الذي يعكسه للمتلقي بعمق عاطفي ومدى حزنه وألمه على فراق الشهر الفضيل والمد القصير لتُعبّر عن **الدهشة أو**

الاضطراب الداخلي من توتر و اضطراب، أما في رثائه قد إنزاح من الحزن فأتت مشاعره موازية كذا لفقدان شيخه إلى الى الإدراك العقلي فتكراره للانغام أضفى على تجربته جمالية وفنية محافظ في الوقت نفسه على تماسك الإيقاع العام للوزن.

يُعَدّ البحر الكامل من أهم البحور في الشعر العربي و أكثرها استعمالا و شهرتا من قبل الشعراء وسمي الكامل لكمال أجزائه و المتكونة من ثلاثون حركة في البيت، ويبنى هذا البحر من تكرار تفعيلة متفاعلن ست مرات في البيت التام، فتساهم في ادخال القصيدة في إيقاعا نغميا متوازنا يعبر من خلاله الشاعر عن مكنوناته بمختلف درجات خلجاتها الشعورية فيوجد التام الكامل و مجزوء الكامل فقد نوع ابن جنان الأنصاري بين أنواعه فله أبيات من الكامل.

قوله: من تام الكامل (جنان، 1990، صفحة 164)

شوقي إلى ذاك السناء محرّكٌ	**قلبي، فلي لذراه أي حنين**
شوقي إلى ذاك محركن	**قلبي ،فلي لذاك أي حنيني**
0///0//0//0/0/0/	**0/0//0//0//0//0/0/**
متفاعل مفاعلن فعلن	**متفاعلن مفاعلن مفاعل**
لكن في تصحيفه ما صدّني	**وقضى لجسمي فيه بالتسكين**
لكنن في تصحيفه ما صددني	**وقضى لجسمي فيه بتتسكيني**
0//0/0///0/0/0//0//	**0/0/0/0//0/0/0//0///**
مفاعلن متفاعل متفاعلن	**متفاعلن متفاعلن متفاعل**

تعددت الإيقاعات الموسيقية في هذه الأبيات و تأرجحت بين متفاعلن، مفاعلن و*فعلن*، فقد دخلت عليه تغييرات جعلته يتزحلق عن التفعيلة الأصلية والتي هي متفاعلين المتكررة ست مرات فقط سكن الحرف الثاني من متفاعلن على سبيل زحاف الإضمار وكذا زحاف الخبن ليغيرها إلى مفاعلن و فعلن وذلك بحذف الثاني متحرك. ابن جنان الأنصاري بهذه المقاطع الصوتية بين (القصيرة والطويلة) في أبياته بما يخدم **الجانب الإيقاعي وكذا الدلالي** ويمنح القصيدة **طاقة صوتية** تنقل حالات الشاعر الشعورية من الشوق إلى السكون. والرموز (ح، ص، ح ح) تكشف كيف يشتغل النسيج الصوتي لصالح المعنى وليس فقط الوزن فتراوحت الكلمات بين القصيرة مثل (يلائم "شوقي، قلبي)التي دلت على الحركة والتوتر، وقد استعمل الكلمات ذات المقطع الطويل و الدالة على الاستمرار وليعبر عن شدة حزنه استعمل التشديد ليضهر الضغط النفسي الذي يجتاحه، والتسكين في نهاية الكلمة الذي يوافق التسكين العروضي ، فتوحي معنوياً وجمالياً بحالة السكون أو الجمود من شدّة الحزن أو الفراق، إذ جاء وقعها الصوتي منسجمًا مع معناها في البيت و الجدول الآتي يوضح ذلك:

الكلمة	المقاطع	التمثيل الصوتي	الرمز
شوقي	شو+ قي	ح ص ح	طويل+ قصير
إلى	إ + لا	ح ح ص	قصير+ طويل
السناء	سس + نا + ئي	ص ح ح ح ح ص	قصير+ طويل+ قصير
محرّك	م+ ح+ رر + ك	ح ح ص ح ح ص	متنوعة
قلبي	قل + بي	ح ص ح ص	طويل+ قصير
لذراه	ل+ ذ + را+ ه	ح ح ح ص ح ص	متنوعة

تصحيفه	ت+ ص+ حي+ ف+ ه	ح ص ح ص ح ح ص	طويلة+ وقصيرة
بالتسكين	ب+ ت+ س+ كي+ ن	ح ص ح ح ص ح ص	مشددة+ طويلة

فالملاحظ أن ابن جنان الأنصاري قد نوع في مقاطعه لكي يكسر المألوف ويخرج عن تلك النمطية من أجل إطلاق العنان لتجربته الشعرية بالتدفق والتي تدل على تأرجح الشاعر بين السكون مرة وعلى الحيرة مرة أخرى، هذا ما منح القصيدة موسيقى غزيرة ومتنوعة مع ما يوازي تجربة الحنين والشوق .

غير أنّ اعتماد ابن جنان الأنصاري على مجزوء الكامل والمتمثل في حذف تفعيلة من كل شطر ليبقى البيت مكون من تفعيلتين فقط فهذا النقص في التفعيلات ما يمنح القصيدة نشاطا وحيويتا لأن الإيجاز يزيد التركيز والثبات على التجربة.

الرَّوي:

وهو آخر حرف صحيح في البيت و الذي ترتكز عليه القافية وهذا الحرف يُعدُّ عنوانا لبعضٍ من القصائد القديمة (عتيق، 1987، صفحة 136)على غرار سينية البحتري و غيرها من القصائد العربية القديمة، وهو كذلك «النّبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت، و تبنى بها القصيدة » (يعقوب، 1991، صفحة 247).

من خلال هذين التعريفين نجد أنّ الرَّوي وهو الحرف الصحيح الموجود في آخر البيت الشّعري من القصيدة والذي نجده بالضرورة يتكرر على طول الأبيات من القصيدة، ممّا يترك إيقاعاً موسيقيّاً خاصّاً يميّز القصيدة.

إثر تفحصنا الدِّيوان كاملاً توصلنا إلى النتائج الآتية، كما هي مبينة في الجدول أدناه حسب تواتر النّسب:

علق رجاءك بالإله فانه ما خاب في فضل الإله رجاء (جنان، 1990، صفحة 71).

البيت يُلهم الروح التعلق برحمة الله وفضله، إذ لا ينسى الله من استعان به واستظل برِجائه الواسع .امتداد حرف الرويّ "الألف الممدودة "يضفي على النص جاذبية ونعومة، وكأنه شريان يغذي القلب بالأمل ويُسكِن النفس طُمأنينة عميقة. فاللجوء إلى الخالق هو الحصن الأعظم، ورجاؤه هو السبيل الأجمل إلى النجاة والسكينة.

الغيث في الغيب لا يدري به أحد إلا الاله الذي يمني به السحبا (جنان، 1990، صفحة 73)

هذا البيت يعكس جوهر القدرة الإلهية التي تدير الكون بحكمة تتجاوز إدراك البشر .المطر، بصفته ظاهرة غيبية مباركة، يبقى مجهولًا في توقيته وموقع نزوله إلا لدى الله سبحانه وتعالى، الذي يوجّه السحب وفق مشيئته المطلقة .الحرف الروي في كلمة السحبا يضفي إيقاعًا ختاميًا يبعث السكينة والطمأنينة، كأنّه يذكّر بأن الله هو الرزاق الكريم، وأن الخير يأتي دائمًا في وقته المقدر .هذا النص يجمع بين جمال التصوير وإجلال المعنى، مبرزًا عظمة الخالق ووحدانيته في إدارة شؤون الكون بإتقان لا يُضاهى.

يا من تقدس عن أن يحيط وصف بذاته (جنان، 1990، صفحة 74)

هذا البيت يعكس تنزه الله سبحانه وتعالى وعظمته التي تعلو فوق كل وصف قد يحيط بجوهر ذاته، حيث يستحيل على العقل إدراك كنهه، كما يعجز اللسان عن الإحاطة بسر عظمته .اختيار الهاء في كلمة "ذاته "

كحرف روي يَضْفي إيقاعًا ختاميًا مُحكمًا، ليُجسد نوعًا من ختم التجريد والتنزيه لقداسة الله جل وعلا . فكرة البيت تتجاوز حدود التشبيه والتحديد، مُرسخة حقيقة أن الله أعظم من أن يُحاط به فكرًا أو يُسبر غوره وصفًا.

بالنظر في جميع الديوان نجد أن الشاعر كتب على جميع حروف الروي بداية بالهمزة وانتهاء بالياء وهذا ما يعكس فنية وبراعة لغوية بالإضافة إلى شاعرية مضمخة لا يستطيعها إلى كل ضليع في لغة الشعر والأدب، ولأن شاعرنا ابن جنان شاعر فحل لا يشق له غبار نراه يمازح اللغة الشعرية ويكتب بكل أحرفية وعلى أي روي كان وهذا الشأن لا يتأتى إلا لكل شاعر متمرس .

القافية:

يعرّفها إبراهيم أنيس بالقول: « ليست القافية إلاّ عدّة أصواتٍ تتكرّرُ في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، و تكرارها هذا يكون جزءاً هامّاً بين الموسيقى الشّعرية » (أنيس، 1952، صفحة 426). كما أنها «كلّ ما يلزم الشّاعر إعادته في سائر الأبيات من حرف و حركة و المفهوم من تسميتها قافية لأنّ الشّاعر يقْفُوها، أي يتْبعها فتكون قافية مقْفُوَّة » (عقيّل، 1999، صفحة 22).

وعلى هذا الأساس تكون القافية كلمة أو مجموعة من الحروف في الكلمة الأخيرة من البيت، وللقافية أنواعٌ وألقابٌ، كما أنّ لها حروفاً ترتكز عليها.

وهذا ما يزخر به ديوان الشّاعر **" ابن جنان الأندلسي"** ، وفيما يلي توضيح لأهم أنواع القوافي التي جاءت في ديوانه:

أ–القافية المتواترة: وهي القافية التي تتكون من (/0/0) (تبرماسين، 2005، صفحة 36) أي حرفان ساكنان بينهما حرف متحرّك

و نلمح هذا النوع كثيراً في قصائد الشّاعر، قوله:

ابدأ مقالك بالثناء على النبي جملت محامده عن الإحصاء
/0/0/ //0// /0//0/ //0 //0/0 ///0 //0 0/// 0// 0//// 0/ /0/0/

فالقافية في هذا البيت متكون من حرفان ساكنان يتوسطهما حرف متحرك (/0/0)

ب–القافية المتداركة: وهي التي تتكون من حرفان متحرّكان بين ساكنين (اليازجي، صفحة 136) كهذا الشّكل(/0//0) ،

في هذا البيت يتوضَّح لنا أن قافيته قافية متداركة لأنّها تحتوي على ساكنين يتوسطهما حرفان متحرّكان (/0//0).

ومن هذا النوع في قصيدته التي يقول فيها (جنان، 1990، صفحة 74):

يا من تقدس عن آن يحيط وصف بذاته

0/0///0// 0/ 0/ 0//0// 0/0//0//

ج–القافية المتراكبة : وهي القافية التي تضمّ ثلاثة أحرفٍ متحركة بين ساكنين (اليازجي، صفحة 139) وهي

على هذا الشَّكل (/0///0) في التقطيع العروضي.

يقول ابن جنان (جنان، 1990، صفحة 73):

الغيث في الغيب لا يدري به أحدا إلا الإله الذي يمني به السحبا
/0/0/ /0/ 0/ /0/ 0/0/ 0/ 0/// 0// /0/0/ //0/0 /0// 0/0/ 0/0/ 0// 0///

يتسم شعر ابن جنان الأندلسي بتنوعٍ بارز في استخدام القوافي، بين المطلقة والمقيدة، ما يعكس قدرته الفائقة على توظيف الإيقاع الموسيقي لتعزيز المعنى وتقديم تجربة جمالية مميزة .هذا التناغم الفريد يضفي على قصائده جاذبية خاصة، حيث يتجلى خلالها ثراء لغوي وفن شعري يمزج بين القوة التعبيرية وعمق الفكرة، ليبرز مكانته كواحد من أبرز شعراء الأندلس الذين تركوا بصمة واضحة في فنون الشعر العربي.

ثانيا: الإيقاع الداخلي:

يقصد به الإيقاع الذي يرتكز على المحسّنات البديعية لتشكيل الموسيقى الداخلية للقصيدة وللأبيات بشكل أدقّ، وله فاعلية في الربط بين أجزاء النّص الشّعري، بالإضافة إلى دور التحسين وإضافة المسحة الجمالية على النّص الأدبي بشكل يجعل من القصيدة تتزيّن بحُليٍّ من البديع اللّفظي، كما أنّ البعض يعرّفه بأنّه الإيقاع الخفي الذي تتداخل فيه القواعد من نظم و غيرها مع أحاسيسه و انفعالاته. (معاش، 2011، صفحة 34)

لقد تتبعنا في دراستنا هذه مجموعة من المكونات التي يرتكز عليها الإيقاع الداخلي كالتكرار والتصريع والجناس والطّباق.

التكرار: تُعدُّ ظاهرة التكرار ميزة فنّية أسلوبية عرفها العرب القدماء و اهتم بها الدّارسون المحدثون في اللّغة و القدماء كـ**"الجاحظ"** حيث يقول عنه : « ليس التّكرار عيبا مادام لحكمة كتقرير المعنى، أو خطاب الغبي أو الساهي، كما أنَّ ترداد الألفاظ ليس بعيٍّ ما لم يجاوز مقدار الحاجة، و يخرج إلى العبث » (الجاحظ، 1998، صفحة 172). وتنقسم إلى عدة أقسام نلاحظها ظاهرة متجلية في ديوان "ابن جنان"؛ فيما يلي:

1-تكرار الحرف:

ويقول ابن جنان مكررا حرف الفاء (جنان، 1990، صفحة 74):

فـلـلـه ركـب يمـمـوا نحـو مـكـة لقـد كرموا قصـــدا وجلوا منـاســجـا.

فبشـــرى لهم كم خولوا من كرامـة فـكـانـت لمـا قـد قـدمـوه نـتـائـجـا.

تُبرز الأبيات جمال الانزياح الصوتي من خلال التكرار البديع لحرف الفاء، الذي يُضفي على النص إيقاعًا متناغمًا أشبه بخُطى الحجاج المتوجهين نحو مكة .في كلمات مثل "**فلله**" و"**فبشرى**" و"فكانت، يلوح للنفس صوتٌ تسبيحي يَستَحضر هيبة الفعل الإلهي في تكريم القادمين. كذلك يتكرر أثر التناسق في "**كرموا**" و"**كرامة**" ليُجسِّد فكرة أن ما يُقدَّم بإخلاص يَرُدُّه الله بالرحمة والعطاء، حيث تنعكس أعمالهم في مكانتهم ومقامهم بين البشر والملكوت .هذا التكرار المتقن يُماثل تكبيرات الحج، حيث تتداخل المعاني والصوت بانسجام مُدهش يعزز روحانية النص وموسيقاه.

2-تكرار الكلمة:

يقول ابن جنان في ديوانه (جنان، 1990، صفحة 74):

محـــمـــد خـــير هـــاد بحـــلـــمـــه واناتـــه

محمد خيـــــــــــــــــــر داع بالصـــــدق مـــن كـــلـــمـــاتـــه

محـــمـــد خـــير مـــبـــد ســـنـــا مـــعـــجـــزاتـــه.

تَتَجَلَّى هذه الأبيات في صورة مديح نبوي مُتقَن، حيث يُعاد فيها ذكر اسم "محمد" ﷺ بأسلوب تكراري ساحر يماثل وقْع التَّكبير أو التَّهليل، مما يُعمِّق في الذِّهن الإيمان بأنه ﷺ أسمى القادة هدايةً بحِلمٍ يفيض

حكمةً، وأعظم الدُّعاة تأثيرًا بصدق كلماته، وأبهر المبدعين عطاءً بجلال معجزاته .في كل سطر من النص، يتجلى اسم النبي ﷺ كنبضٍ يُعانق الفخر والكمال، ليُظهر ارتباطه الوثيق بمصادر الفضائل الكونية .هذا التَّكرار اللفظي ليس مجرد زخرف أسلوبي، بل هو توكيد راسخ لعُمق العقيدة وصدق الانتماء الروحي . الشاعر يُوجِد إيقاعًا داخليًّا يتردد فيه اسم محمد ﷺ كخاتمة لكل بيت، وكأنها بصمة تذكر القلب بأنّه سرّ الوجود ورمز الاقتداء الأسمى.

3-تكرار العبارة:

يقول ابن جنان (جنان، 1990، صفحة 80):

سـلام علـى من جـاء بالحق والهـدى ومـن لم يـزل بالمـعـجـزات مـؤيـدا

سـلام عـلـى خـير الـبريـة شـيـمـة وأكرمها نفسا وبيتـاً ومحتـدا

هذان البيتان يشكلان تحيةً مشرقةً موجهة لرسول الله ﷺ، حيث يتكرر عبارة "**سلام على** " في مطلع كل بيت، ليضفي إيقاعًا ينسجم مع صدى التحية الملائكية، مما يشدد على مكانته ﷺ كمبعوثٍ يحمل رسالة الحق والهداية، ومدعومٍ بآياتٍ ومعجزات تثبت صدق دعوته .ويتكرر أيضًا وصفه بعبارات مثل "خير البرية " و"أكرمها"، في تعبير يستحضر سموّ أخلاقه ﷺ وكمال نسبه، ليعكس تلازم التبجيل مع أرقى صفات الإنسانية التي تتجلى فيه .وهذا التكرار لا يقتصر على كونه زخرفة لفظية، بل هو بمثابة توثيق حي للعلاقة الفريدة بين الأمة ونبيها عبر استمرارية الثناء والتضرع الممزوجين بالإجلال.

يُعتبر التكرار في شعر ابن جنّان الأندلسي وسيلة فنية تحمل دلالات عميقة تتنوع بين تعزيز البعد العاطفي وإقامة صلة رمزية مع القارئ .استخدامه للألفاظ المتكررة مثل "محمد" أو "سلام – "كما جاء في النصوص السابقة –ليس مجرد تجميل لغوي أو حشو لفظي، بل يخلق إيقاعاً داخلياً يستحضر روح الذكر أو الصلاة

على النبي ﷺ، مما يضفي أبعاداً روحية وشعورية تُعمِّق تأثير النص وتجعل منه تجربة وجدانية تتماهى مع النفس والوجدان.

التصريع :

المقصود به « ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصانه، وتزيد بزيادته» (علي، 1997، صفحة 18)يُعرَّف عبد الرضا علي مفهومه بالبيت الشعري الذي يتم تعديل بنائه العروضي ليصبح متوافقًا مع الوزن والقافية الخاصة بضربه. ويتم هذا التعديل عمومًا من خلال إضافة أو حذف في البنية الأصلية، مما يؤدي إلى تغير جوهري في تركيبة البيت الشعري لتحقيق الانسجام المطلوب بين عناصره الفنية (القيرواني، 1955، صفحة 184).

ونجده في مطلع القصيدة في قوله (جنان، 1990، الصفحات 118-120):

لا اَمْنَعُ الـدَّمْعَ اَن يَـهْـمِي وَاَن يَـكِـفـا ولا اَزال بـرنـعِ الحُـزْنِ مُـعْـتَـكِـفـا

في نص مثل (يكفا، معتكفا)، (عاصفة، عصفا)، (أسفاء، أأسفا)، (خلفا، خلفا) وما شابه ذلك من نماذج لغوية، يتجلى عنصر التوازن الدقيق بين شطري البيت الشعري، مما يولّد إيقاعًا مميزًا يؤثر في المتلقي .من خلال هذه التركيبات، نجح الشاعر في التعبير بعمق عن أحزانه وألم المشاعر التي تعتمل في داخله؛ إذ استخدم مفردات ذات دلالة غنية ومتزنة لتصوير المأساة التي ألمت به .وقد استطاعت هذه الألفاظ أن تجسد بواقعية ملموسة ما يعيشه الشاعر من حالة حزنية قاسية إثر فقدانه لوالده، حيث وظّف قدراته الشعرية لتقديم صورة شعرية مفعمة بالمشاعر والأسى.

الطباق:

هو « الجمع في الكلام بين متضادين إما اسمين نحو النهار والليل أو فعلين نحو: يبكي ويضحك» (يعقوب، 1991، صفحة 784) اعتمد ابن الجنان بشكل واسع على هذا الأسلوب في قصيدته المرثية، حيث اتسم تناوله بالطابع العفوي البعيد عن التصنع أو المبالغة (جنان، 1990، صفحة 54):

وَكـلُّ فـاقـد شـــخص يَـرْتَجِي خَـلفـا مِـنّـهُ، وَلا يَـرْتَجِي ابـن مِـنْ اَبٍ خَـلـفـا

شـــريعـة الشـــرع فِينَـا بَعْـدَهُمْ كبِرَتْ وَكـمْ خـلا ورْدُهَـا قِـدَمـاً بِهِـمْ وَصَـــفـا

تبدو مرثية الشاعر كلوحة متناقضة تجسد كل تفاصيل الألم والتشتت العاطفي الناتج عن الصدمة التي ألمت به؛ فهو ينتقل بين الكثير من الثنائيات المتضادة مثل الأمل واليأس، الصفاء والكدر، النهار والليل، الوصل والهجر، الضحك والبكاء، الإقامة والترحال، والسرور والحزن هذا التوظيف للأضداد يعكس حالته النفسية المضطربة ويبرز حجم المعاناة التي يعيشها استخدام الشاعر للطباق في أبياته لا يظهر تكلفًا، بل يكشف عن براعة لغوية مميزة الطباق هنا ليس مجرد أسلوب بلاغي، بل أداة لجذب انتباه المستمع، حيث يدفعه إلى مقارنة الأضداد التي تتجاور في بيت واحد .هذه المقارنة تمكن القارئ أو المستمع من استشعار قوة الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر : حزن شديد، انفعال مؤلم، وألم دفين يتجلى في كل كلمة.

الجناس:

يُعد من المحسنات اللفظية، ويُصنَّف ضمن أشكال التكرار البديع والجناس هو «أن يتشابه اللفظان لان في النطق ويختلفان في في المعنى» (الجارم، 1999، صفحة 265).

مثال ذلك في قوله: (جنان، 1990، صفحة 121)

آقَـامَ تِســـــعُ لـيـالٍ مَـا وَجَـدّتُ لـهُ فيها شِـــفَاءٌ وَلا صَـــدّرَ المشـــوق شـــفا

عَـــالجْـتُـــهُ رَاجِـيـــاَ إِبْـــرَاء عِـــلـــيْـــهِ وكَـيْـفَ يَـبْرَاَ مُشْـــــفِ وَاقِـفٌ بِشَـــــفَـا

يبرز في النص جناس ناقص يجمع بين كلمتي "شفا "و"بشفا"، ما يعكس تأثيرًا موسيقيًا ملفتًا يتولد من تشابه اللفظ واختلاف المعنى في البيت الأول، تأتي كلمة "شفا "بمعنى التعافي من المرض، بينما في البيت الثاني تدل على المكان المرتفع؛ هذا التباين المعنوي لم يُضف فقط بُعدًا دلاليًا قويًا وجذابًا إلى الأبيات، بل ساهم أيضًا في جماليات النص من خلال تكرار حرف الشين؛ حيث ظهر هذا الحرف خمس مرات في البيتَين المذكورَين، وبلغ مجموع تكراره على مستوى القصيدة سبعة وستين مرة .حرف الشين يتميز بكونه مهموسًا رخوًا، مما يمنحه إيقاعًا قويًا يُنسجم مع الكلمات ويُضفي عليها توازنًا ملحوظًا، كما أن هذا الحرف يرتبط بأربعة مصادر تعبر عن المشاعر الإنسانية، تتجلى في الكلمات "جاشت نفسه "التي تعني اهتزاز النفس من حزن أو خوف، "جهشت نفسه "التي تُظهر اقتراب البكاء، "حاش حيشا "التي تحمل معنى الفزع، و"دهشة" التي ترتبط بالحيرة .هذه الانفعالات التي تصاحب حرف الشين تتفق إلى حد كبير مع الأحاسيس المضطربة والحزن المرير الذي يعيشه الشاعر نتيجة فقدان والده، مما يجعل استخدام الشين مناسبًا تمامًا للتعبير عن عمق تلك المشاعر والانفعالات النفسية.

الخاتمة:

يمثل شعر ابن جنان الأندلسي نموذجًا مميزًا لفن شعري يجمع بين البراعة الإيقاعية وجماليات التعبير، حيث أبدع في استخدام البحور والقوافي بشكلٍ يُعبر عن أحاسيسه وأفكاره بأسلوب يلامس الروح ويرتقي بالوجدان .تميزت أعماله بالتنوع في الوسائل البلاغية مثل التكرار والطباق والجناس، وهو ما أبرز رؤيته الفنية التي دمجت بين عمق البلاغة ورقة الموسيقى .من خلال هذا التناسق الإيقاعي، نجح ابن جنان في بناء عالم

شعري يمزج بين روعة اللغة وعمق المعاني، ليُحافظ على مكانته كأحد أبرز شعراء الأندلس الذين أغنوا الأدب العربي بإرثٍ خالدٍ وعابرٍ للزمن

- .يتميز شعر ابن جنان الأندلسي بثراء إيقاعي فريد يعكس إبداع الشاعر في توظيف البحور العروضية والقوافي بشكل يخدم المعاني والعواطف المتجلية في النصوص، هذا النهج جعل أعماله نموذجاً يحتذى به لدى شعراء الأجيال اللاحقة
- استطاع الشاعر أن يحقق انسجاماً استثنائياً بين الجمال الفني والدلالة العميقة في أشعاره، فقد برزت مهارته في استخدام المحسنات البديعية، مثل التكرار والجناس والطباق، لتتمكن نصوصه من الجمع بين الجاذبية السمعية والاستبطان الفكري في آن واحد
- يمثل شعر ابن جنان انعكاساً حيًّا لروح الحضارة الأندلسية، حيث تداخلت الأصالة العربية مع التأثيرات المحلية، مما أضفى بعداً ثقافياً عالمياً على إنتاجه الشعري
- لقد أثرت قصائد ابن جنان في القارئ على مستويات وجدانية ونفسية عميقة، من خلال قدرتها على استحضار مشاعر الإنسان الأساسية كالحزن والشوق والروحانية، عبر أنماط إيقاعية تعزز التجربة العاطفية للنصوص، مما يجعلها تمتد بصلاحيتها إلى كافة الأزمنة والأماكن
- تتمثل أهمية ابن جنان في سجله الأدبي الذي شكّل إرثاً خالداً في الشعر العربي؛ إذ تعدّ أعماله مرجعاً أساسياً لفهم مسار تطور الفن الشعري في الأندلس، كما أنها تحمل دروساً عميقة للإبداع اللغوي

التوصيات:

يستلزم العمل على توثيق أعمال ابن جنان رقمياً، وذلك من خلال إنشاء منصة رقمية شاملة تجمع بين نصوصه وشروحها الصوتية والمرئية، هذه المبادرة ستسهم في تسهيل وصول الباحثين والطلاب إلى إرثه الأدبي وترسيخه كقيمة عالمية في المجال الثقافي.

الهوامش:

الجاحظ .(1998) .*البيان و التبيّن* ، .لبنان.
الجارم ,ع .(1999) .*البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع* .مصر :دار المعارف.

القيرواني ,ب .ر) .د-ت .(، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* .Vol)ط .(1لبنان :دار المعرفة.

الموقع الرسمي حمود بوعلام. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 08 07, 2017، من HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q.

اليازجي ,ن .(.s.d) .*دليل الطالب في البلاغة و العروض*.

أنيس ,إ .(1952) .*موسيقى الشّعر*، .مصر :مكتبة الانجلو مصرية.

تبرماسين ,ع .ا .(2005) .*العروض و ايقاع الشّعر العربي* .الجزائر.

جنان ,ا .(1990) .*الديوان* .(Vol. 1)العراق :د-د.

حركات ,ص1998) .، .(*أوزان الشعر*، .مصر :دار الثقافة للنشر.

دعاء خضر. (05 03, 2017). *بين الثقافة والهوية*. تم الاسترداد من .academia.adu.

رابح أوكيل. (بلا تاريخ). التغليف المتميز للمنتج وتأثيره على قرار الشراء.(دراسة مقارنة بين مؤسسات المشروبات الغازية: كوكاكولا، بيبسي، حمود بوعلام. *أطروحة دكتوراة*. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بومرداس، الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة.

زكرياء أحمد عزام. (2008). *مبادئ التسويق الحديث*. عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

ص ,.136ي-.: .ب .(1987) .*علم العروض و القافية* .العراق :دار النهضة العربية.

عتيق ,ع .ا .(1987) .*علم العروض و القافية* .العراق :دار النهضة العربية.

عقيّل ,س .م .(1999) .*التّليل في العروض* .لبنان :عالم الكتب.

علي ,ع .ا .(1997) .*موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه* .الجزائر :دار الشروق.

عمر صخري. (2003). *إقتصاد المؤسسة* (الإصدار ط 3). ديوان المطبوعات الجامعية.

فضيل دليو. (2003). *اتصال المؤسسة إشهار، علاقات عامة، علاقات مع الصحافة*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

لسان الدين الخطيب. (د-ت). *الإحاطة في أخبار غرناطة*، (المجلد 900). (لسان الدين بن الخطيب، المحرر) الجزائر.

معاش ,ح .(2011) .*الأشكال الشّعرية في ديوان الششتري –دراسة أسلوبية* .باتنة ,جامعة باتنة.

يعقوب ,إ .(s.d.) .*المعجم المفصل في علم العروض و القوافي و فنون الشّعر*.

Stylistics and literary text : the poem France came as a model

Dr. Abdurazzaq Idris Mega
Yambo Ouoleguem University of Bamako
razakmaiga3@gmail.com

Abstract:

Conclude by saying that the poet was able, in this poem ; to use most of the arabic styles that help in characterzing and embodying meaning. He is a talented poet with a literary skill in making words dance and harmonize on the strings. His style is not complex, but rather a calm compnion, depicting events and presenting them to the reader as if he were experiencing them.

He was able to express the meanings in a style that contains a king of rebuke for the people's disbelief in his prsdictions, then follows it with a kind of incitement to resist colonialim and not surrender.

Finally, the poem is consistent and coherent in terms of linguistic styles and rhetorical figures such as grammar, morphology, rhetoric, semantics, syntax, ideas, meanings, and others**.**

Keywords: Stylistics – Literary Text – Poem France Came – Sounds – Grammar and Morphology – Poetic images.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الأسلوبية والنص الأدبي قصيدة "أتتْ فرنسا" نموذجا

د. عبد الرزاق إدريس ميغا
جامعة يامبو ولوغيم بماكو
razakmaiga3@gmail.com

ملخص:

نستخص إلى القول بأن الشاعر استطاع في هذه القصيدة أن يستعمل جلَّ الأساليب العربية التي تساعد في تشخيص المعاني وتجسيدها، وهو شاعر موهوب له مهارة أدبية في جعل الكلمات تتراقص وتتناغم على الأوتار، وأسلوبه ليس معقّدا بل كان رقيقا هادئا يصوّر الأحداث ويظهرها للقارئ وكأنّه يعايشها. وقد استطاع أن يعبّر عن المعاني بأسلوب فيه نوع من التأنيب بعدم تصديق الشعب لتنبؤاته، ثم يعقّبه بنوع من التحريض على مقاومة الاستعمار وعدم الاستلام.

أخيرا، القصيدة متناسقة ومترابطة من حيث الأساليب اللغوية والصور البلاغية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالي والتركيبي والأفكار والمعاني وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية – النص الأدبي – قصيدة أتتْ فرنسا – النحو والصرف – الصور الشعرية.

مقدمة:

النص الأدبي بنية لغوية ترتبط بسياقها الثقافي والمعرفي والجمالي، وأصبحت الحاجة ملحّة إلى منهج نقدي لقراءتها، ومن هذا المنطلق تبلورت الأسلوبية بمثابة منهج نقدي يهدف إلى تحليل الظاهرة الأدبية، واستكشاف البنية العميقة للنص، وطريقة تشكيله، ثم أثره في المتلقي.

وتعتبر الأسلوبيةَ الدراساتُ الحديثة بأنها أثر لغوي ينبع من تفاعل الكاتب مع اللغة، وأنها تلتقي مع البلاغة الكلاسيكية من جهة، إذ تنقل التركيز من الوظيفة الإقناعية إلى الوظيفة الجمالية والتعبيرية للنص، معتمدة على مفاهيم التحليل اللساني، كالبنية، والانزياح، والتكرار، والإيقاع، والتوازي، وغيرها من العناصر التي تفكّك النص الأدبي وتعيد بناء معناه.

وهي من فروع الدراسات الأدبية واللغوية، التي تُدرس في محيط النصوص الأدبية، لمعرفة ما فيها من جمال وبراعة تركيب وبلاغة معان وغيرها، كما أنها مدخل مهمّ لفهم الأدب وتحليل النصوص بعمق.

وإن دراستنا هذه تسلّط الضوء على قصيدة "أتت فرنسا" ودراستها أسلوبيا من خلال الأصوات المتكررة وما ينتج عنها من التأثير على المتلقي، وفي مستوى المعجمي ندرس قاموس الشاعر ومعجمه اللغوي، كما لا نتغافل عن دراسة المستويات النحوية والبلاغية وغيرها من الأساليب والصور التجسيدية.

الأهداف: من أهداف هذه الدراسة ما يأتي:

- تحليل البنية الأسلوبية للقصيدة، اعتمادا على مستويات اللغة (الصوتية، والتركيبية، والدلالية وغيرها).
- إبراز الخصوصية الفنية للنص من خلال أدوات التعبير البلاغي.
- فهم كيفية توظيف الشاعر الظواهر اللغوية لمقاومة الهيمنة الاستعمارية، وبناء موقف فكري جمالي.

أما إشكالية الموضوع فتظهر في سؤالين مهمين والإجابة عنهما:

- كيف تسهم الأدوات الأسلوبية في الكشف عن الأبعاد الفنية والدلالية في قصيدة أتت فرنسا؟
- ما أبرز الظواهر اللغوية التي استعملها الشاعر لإنتاج خطاب مقاوم للاستعمار؟

المنهج: يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي مع الاعتماد على الأسلوبية، التي تنطلق من اللغة بوصفها بنية مركزية في إنتاج المعنى، وتركز على دراسة الأسلوب باعتباره انعكاسا لتجربة المبدع وموقفه من العالم. كما يستعين التحليل بالجانب البلاغي والتداولي لتوسعة الأفق.

أما خطتنا في هذه الورقة فتتمثّل في مقدمة ثم نبذة عن الشاعر وتمهيد عن مفهوم الأسلوبية، وبعد دراسة أسلوبية تحليلية للقصيدة، وفي الخاتمة ومستخلص البحث وأبرز نتائجه ثم الاقتراحات، وأخيرا المراجع والمصادر.

أولا: نبذة عن الشاعر وتمهيد عن مفهوم الأسلوبية:

1- الشاعر وقصيدته:

اسمه وحياته التعليمية: هو عبد الله محمد درامي، من مواليد مدينة بواكي بساحل العاج عام 1974م، وهو من أصل قرية غوري جافونو محافظة يلماني إقليم كاي بجمهورية مالي. (جابي، صفحة 63).

واصل مراحله الدراسية من الابتدائية إلى الإعدادية في مدارس الهلال الإسلامية ببماكو مالي بين عاميْ 1983-1990م بدءا من الثالث الابتدائي إلى الإعدادي عند الشيخ المرحوم سفيان درامي.

أما الثانوية والجامعية ففي معهد العلوم الإسلامية والعربية بموريتانيا التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهناك بدأ نجمه يتلألأ في قرض الشعر، حيث درس خلال إقامته بموريتانيا كثيرا من الكتب الأدبية واللغوية بمختلف فنونها وأنواعها وأصنافها. (جابي، الصفحات 63-65).

الشاعر المالي عبد الله درامي له القدرة في اصطياد القلوب بشعره وتسخيرها، وله حضور في كثير من الملتقيات الشعرية في مالي وخارجها، قال فيه محقّق ديوانه الأديب حسين يوسف تراوري: «وجه من ألمع وجوه الشعر العربي في مالي، شهد بذلك الداني والقاصي، وتشهد على ذلك الأنشطة التي شارك فيها من الأمسيات الشعرية والمناسبات الثقافية». (طيور حائرة، ديوان الشاعر عبد الله درامي، صفحة 2)

وفاته: توفي الشاعر يوم الأربعاء 27 نوفمبر 2024م، بعد معاناة مع المرض عن عمر ناهز خمسين عاما، وشارك في مراسيم جنازته التي أقيمت في جامعة طوبى أسرتُه وأحبابُه وزملاؤه من كل أنحاء بماكو، وتمّ دفنه في مقبرة حومة سوتيبا ببماكو، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته! (جابي، صفحة 63)

قصيدته: بعنوان "أتتْ فرنسا"

ألمْ أقلْ لكِ مرّاتٍ ومرّاتٍ	إنّ البلادَ ستهوي في المتاهات
ألمْ أقلْ لكِ إنّ الحربَ قادمةٌ	ولا مناصَ عن استعمارنا الآتي
ألمْ أقل لكِ إنّ السُّحبَ ماطرةٌ	فالبرقُ والرعدُ من كبرى العلامات
عمَّ البلاءُ وساد الخوفُ وانقلبتْ	سكينةُ القلبِ ذُعْرا في المحلَّات
يَتَمُّ كلَّ صباحٍ زَرعُ قُنبلةٍ	تشريدُ عائلَةٍ نشرُ المجاعاتِ
أتتْ فرنسا بِدعوى أنْ تساعدنا	وأن تساهم في فضِّ الخلافاتِ
فها هي الحربُ ما خفَّتْ وما وضعتْ	أوْزَارَها بلْ غرقنا في النزاعاتِ
كلُّ البلادِ بلا استثناءِ منطقةٍ	ذاقتْ وَبالا شديدا بل وويلاتِ
هذا شمال بلادي حوّلُوه إلى	فوضى وبؤرَةِ عنفٍ واشتباكات
فشعب (مالي) فقيرٌ رغم ثروته	وشعب (مالي) مُحاطٌ بالمعاناة
دعاةَ رابطةٍ للشّمل جامعةٍ	للعبء حاملةٍ رغمَ المشقّات
أرى الجهالةَ في (مالي) تُبارزُنا	جُيوشُها في مَيادينٍ وساحان
وأغلبُ المسلمين اليومَ قد غفلوا	لما يُخطَّطُ من كبرى الخيانات
وأمّةُ الخير قد صارت مُقسَّمةً	إلى مذاهبَ شتّى أو كيانات
وأنتمُ قدوةٌ للنشء صالحةٌ	فكم رفعتم للمّ الشمل رايات
وكم تحقَّقتِ الأهدافُ وانقلبتْ	قُرى تُصدِّقُ أقوال النّبوّات
وأعلنتْ مدنٌ إسلامَها وغدَتْ	تتلو وتحفظ آياتٍ كريمات
زِيدوا بقوة إيمانٍ عزيمَتَكم	فالله يحفظ من فوق السماوات

(طيور حائرة، ديوان الشاعر عبد الله درامي، الصفحات 19-20)

2- مفهوم الأسلوبية:

بادئ ذي بدء لا بدّ من التفرقة بين الأسلوبية والأسلوب.

فالأسلوبية تعني الدراسة العلمية للأسلوب الأدبي، أما الأسلوب فهو الشيء المدروس، ولعلّ هذا ما دفع عبد السلام المسدي إلى عنْونةِ كتابه بـ (الأسلوبية والأسلوب)، وإن شئت فقل: الأسلوب هو ميدان الدراسة بينما الأسلوبية هي طريقة الدراسة. (الخيل، شوال 1441هـ، صفحة 115)

أ) مفهوم الأسلوب:

مفهومه لغويا: هو الطريق، والوجه والمذهب وغيرها من التعريفات اللغوية. (منظور، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا، صفحة مادة (سلب))

وفي الاصطلاح له تعريفات عديدة ومتنوعة وذلك بالنظر إلى أركان النص الأدبي (المرسل أو المبدع) و(المستقبل أو المتلقّي) و(الرسالة أو النص)، وقد عرّفه البعض بالنظر إلى المرسل في حين يعرّفه الآخرون بالنظر إلى المستقل وحينا آخر يُعرّف بالنظر إلى الرسالة، ونحن في هذه الوقفة اليسيرة سنشير إلى بعض التعريفات فقط مع التعليق عليها. (الخيل، شوال 1441هـ، صفحة 115)

الأسلوب هو: «انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين». (مصلوح، الطبعة الثالثة، 1412 هـ - 1992م، الصفحات 37-38)

وتلاحظ في هذا التعريف أنه تعريف ناقص، حيث يعتمد على المرسل دون المستقبل والرسالة.

هو: «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان». (العمري، مطبعة النجاح 1991م، العدد الخامس، صفحة 8)

والمراد من هذا التعريف هو: البحث عن الوسائل الممكنة لإقناع المخاطب، ولا شكّ أنه تعريف ناقص كسابقه؛ لاعتماده على المستقبل على حساب المرسل والرسالة.

هو: «الكشف عن الوقائع التعبيرية داخل الأوساط التي تختصّ بها، والمناسبات التي تصلح لها، والأغراض التي تدعو إلى اختيارها». (محسب، مطابع السلمان بريدة، الطبعة الأولى 1418هـ، صفحة 21)

إن فحوى هذا التعريف يشير إلى الوسائل التعبيرية الضرورية في النص وتفاعل أجزاء النص بعضها ببعض.

هو: «طريقةُ الكاتب أو الشاعر في اختيار كلماته وتراكيبه للتعبير الجيد عن أفكاره ومعانيه؛ بهدف تحقيق التأثير (الإقناعي أو الوجداني) في المخاطب والاستجابة للموضوع» (ميغا ا.، ط1، 1444هـ / 2022م، صفحة 9).

أنواع الأسلوب: للأسلوب نوعان كبيران، وهما الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي. ثم يتفرّع عنهما الأسلوب العلمي المتأدّب والأسلوب الخطابي. (ميغا ا.، الأسلوب والأسلوبية، ط1، 1444هـ / 2022م، صفحة 10)، وهذه الأنواع هي:

1- الأسلوب العلمي: هو «منهج يُخاطب العقل، ويناجي الفكر، ويشرح الحقائق العلمية، بطريقة تبعُد عن الخيال، ويتوقف على صحة العبارة عقليا ولغويا وواقعيا وعلى صدق النتائج» (لاشين، صفحة 10). موضوعه: الحقائق العلمية الثابتة أو المحتملة.

2- الأسلوب الأدبي: «أبرز صفاته مخاطبة الوجدان (العاطفة)، والجمال. ومنشأ جماله ما فيه من الخيال الرائع، وإثارة العواطف، وتحريك المشاعر، والتصوير الدقيق، وإبراز المعنوي في صورة المحسوس، والمحسوس في صورة المعنوي، والوضوح غير المكشوف، وقوة التصوير بلا تكلُّف .. وموطنُه أو ميدانه الشعر والنثر الفني بأنواعه» (ميغا ا.، الأسلوب والأسلوبية، صفحة 11).

3- الأسلوب العلمي المتأدب: هو الكتابة العلمية بأسلوب أدبي؛ فيُجمع بين خصائص الأسلوبين: العلمي والأدبي. موضوعه: الحقائق العلمية. وطريقة التعبير عنها الجمع بين خصائص الأسلوب الأدبي والعلمي. غايتها التأثير بالإمتاع ولإقناع معا. (ميغا ا.، الأسلوب والأسلوبية، بتصرف، صفحة 14).

4- الأسلوب الخطابي: «هنا تُبرز قوة المعاني والألفاظ، وزيادةُ الحجة والبرهان، والعقل الخصيب، وكثرة التكرار، واستعمال المترادفات من غير تكلُّف، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة، والجمل القصيرة، والسجع غير المتكلَّف بين الألفاظ والجمل، والتنقّل بين أنواع الكلام من خبر وإنشاء». (ميغا ا.، الأسلوب والأسلوبية، صفحة 14)

ب) مفهوم الأسلوبية:

الأسلوبية هي: «الدراسة العلمية لأسلوب الابداع الأدبي في ضوء اللسانيات المعاصرة». (الخيل، شوال 1441هـ، صفحة 121)

وقال آخر هي: «دراسة النصوص سواء كانت أدبية أم غيرها عن طريق تحليلها لغويا بهدف الكشف عن الأبعاد (الجوانب) النفسية والقِيَم الجمالية، والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصّه» (سليمان، صفحة 37).

أو: «دراسة مجموعةٍ من الوسائل التعبيرية التي ترتبط في آن واحد بالتفكير، يُضيف الكاتب إليها عناصر تعكس – جزئيا – شخصيَّته، والعادات اللغوية العامة، والقوى الاجتماعية، للمجتمع الذي يرتبط به أو يعيش فيه» (سليمان، صفحة 37).

في حين يراها باحث آخر بأنها: «علم لغوي مهمّته الكشف عن خصائص الأسلوب، وظواهره اللغوية، ووظائفها الفنيّة، التي تعكس ذات المبدع، وتؤثّر في المتلقّي». (اللويمي، صفحة 37).

يقول الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا: «وأيًّا كان فقد توسَّع مفهومُ الأسلوبية فتداخل وما يتعلّق باللغة، والأدب، كالنحو، والصرف، والأصوات، والصيغ، والكلمات، والتراكيب، والدلالات، والبلاغة، والنقد، وتحليل النصوص..إلخ» (ميغا ا.، ط1، 1444هـ / 2022م، صفحة 38)

إن دراستنا هذه تدخل ضمن الدراسات الأسلوبية التي هي طريقة لتناول النص الأدبي ودراسته في ضوء علم اللسانيات.

أما النص الأدبي فهو: بنية معرفية، مترابطة الأجزاء ومتناسقة، وفيها يعبّر الشاعر عن المشاعر والأحاسيس بكل وضوح ودقّة.

ثانيا: دراسة أسلوبية تحليلية من خلال أبيات القصيدة:

1- مستوى الأصوات:

- الإيقاع بنوعيه (الداخلي والخارجي):

الإيقاع الداخلي: ويقصد به انتظام الكلمات وتفاعلها مع بعضها؛ لإحداث نغم موسيقي هادئ، تلتقطه الأذان المرهفة، وترسله إلى دقات القلوب، فيتفاعل القارئ أو السامع مع النص الأدبي. (توري، العام الجامعي 1445-1446هـ / 2023-2024م، صفحة 256)

يقول الباحث معاوية: «إن لتنظيم الإيقاع الداخلي دواع كثيرة منها انتظام الأصوات، ثم انتظام الكلمات، ثم انتظام الجمل المشكّلة للعبارة الشعرية». (توري، العام الجامعي 1445-1446هـ / 2023-2024م، الصفحات 256-257)، كما أنّ الإيقاع قد يحدث بتجانس الكلمات وتكرارها.

قال الشاعر:

ألمْ أقلْ لكِ مرّاتٍ ومرّاتٍ	إنّ البلادَ ستهوي في المتاهات
ألمْ أقلْ لكِ إنّ الحربَ قادمةٌ	ولا مناصَ عن استعمارنا الآتي
ألمْ أقل لكِ إنّ السُّحبَ ماطرةٌ	فالبرقُ والرعدُ من كبرى العلامات

انظر كيف يكرر الشاعر عبارة (ألم أقل لكِ) في الأبيات السابقة، وذلك لهول المقام وعظَمته، ثم تأمّل الإيقاعَ الآتيَ من انتظام الحروف ثم الكلمات فالعبارات وما يتبع ذلك من استحسان عند السامع.

الإيقاع الخارجي: في هذا الموقف نشير إلى أنّ الأوزان الشعرية تُعتبر من مظاهر الإيقاع النغميّ الخارجي للشعر، بسبب إمكان ملاحظتها وتحديد أبعادها. (توري، العام الجامعي 1445-1446هـ / 2023-2024م، صفحة 262 بتصرف)

فوزن هذه القصيدة يأتي على:

مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن

أي بحر البسيط، الذي من خواصه السباطة والطلاوة، كما قال حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

وهو بحر يتركّب من تفعلتين وهما: (مستفلن) و(فاعلن)، وعند النظر في أبيات القصيدة نجد أن الزحاف دخل في كامل أجزاء القصيدة مما يعطينا نغمة وموسيقا رنّانا ومطربا.

أخيرا، القصيدة تائية مما يستدعي القول بأن حرف القافية موحدة من مطلع القصيدة إلى نهايتها.

تكررت في القصيدة أصوات كصوت (ص، ق، ك) التي تخلق نوعا من التوتر، مما يعكس نفسية الشاعر الغاضبة من الاحتلال، ويمنح الإيقاع نبرة مقاومة.

2- مستوى النحوي: بالنسبة للأفعال وأزمنتها فقد تم استعمال حوالي واحد ثلاثين فعلا، وتأتي في الرتبة الأولى

من حيث كثرة الاستعمال الأفعال الماضية وعددها ستة عشر فعلا، وهي: (عمّ، سادَ، انقلب، أتى، خفّ وضع، غرق، ذاق، حوّل، غفل، صار، رفع، تحقّق، انقلب، أعلن، غدَى).

وفي الرتبة الثانية نتقابل بأفعال المضارع، وعددها أربعة عشر فعلا، هي (أقل، ستهوي، أقل، أقل، يتمّ، تساعد، تساهم، أرى، تبارز، يُخطّط، تُصدِّق، تتلو، تحفظ، ويحفظ).

أما فعل الأمر فلم يستعمله إلا في موضع واحد وفي مرة واحدة، وذلك في آخر بيت من القصيدة، وهذا الفعل هو (زِيدوا).

فتركيز الشاعر على الماضي يدلّ على تحقّق الأمر وأنه لا مجال للإنكار، في حين يوحي المضارع إلى استمرارية الوضع المؤلم، الذي يعايشه الشعب المالي تحت ضغوطات فرنسا.

3- المستوى الصرفي: ستناول بعض الأوزان ودلالتها التي تنطبق على معاني القصيدة:

الفعل (حفّ) فعل مضعّف على وزن (فعَّل)، الذي يستعمل لثمانية معان، والتي منها التكثير، (الحملاوي، 1428-1429هـ / 2008م، صفحة 29) وإسناده هنا إلى الحرب يوحي إلى كثرتها والفتن التي يعاني منها الشعب المالي.

انقلب على وزن (انفعل)، الذي يدل على المطاوعة، (الحملاوي، 1428-1429هـ / 2008م، صفحة 30) وإسناده إلى السكينة في قوله: "وانقلبتْ سكينةُ القلبِ ذُعرا" دلالة على مطاوعة الفعل لتأثير الخوف والذعر، فلم يَعُدْ يطيق المقاومة، وهذا المعنى بالكاد ينطبق على مقاومة الشعب.

تحفَّق على وزن (تَفَعَّل)، ويدلّ في هذا السياق على معنى المطاوعة، (الحملاوي، 1428-1429هـ / 2008م، صفحة 31) وبمعنى آخر إن الأهداف تُطاع وتخضع لإرادة الشعب المالي. وغيرها من الأوزان الدالة على معاني القصيدة، وتسهم في إبراز نفسية الشاعر بصورة جلية وواضحة للمتلقي.

4- المستوى التركيبي: اعتمد الشاعر على الجمل القصيرة، والالتفات بين الضمائر، وتكرار بعض الصيغ الإنشائية

كالاستفهام في إبراز البعد الخطابي والتحريضي للقصيدة ثم إثارة تشويق المتلقين إلى التفاعل مع القصيدة الرنانة.

5- مستوى الصور الشعرية: لقد تم توظيف صور بلاغية عديدة في هذه القصيدة الشعرية، ولذا، سنشير إلى بعضها:

أ) **علم المعاني**:

الخبر: أسلوب الخبري من أكثر الأساليب البلاغية الواردة في القصيدة، كقوله:

عمَّ البلاءُ وساد الخوفُ وانقلبتْ سكينةُ القلبِ ذُعْرا في المحلَّات
يَتمُّ كلَّ صباحٍ زَرعُ قُنبلةٍ تشريدُ عائلَةٍ نشرُ المجاعاتِ
أتتْ فرنسا بِدعوى أنْ تساعدنا وأن تساهم في فضِّ الخلافاتِ
فها هي الحربُ ما خفَّتْ وما وضعتْ أوْزَارَها بلْ غرقنا في النزاعاتِ
كلُّ البلادِ بلا استثناءِ منطقةٍ ذاقتْ وَبالا شديدا بل وويلاتِ

هذه الأبيات السالفة وغيرها تدخل في الأسلوب الخبري الذي هو قسيم الإنشائي، والغرض منها هو: الحث والتحريض على القيام للدفاع عن القيم الإنسانية وحقوقها.

الإنشاء: إنشاء الطلبي:

من أبرز موضوعات الإنشاء الطلبي الواردة في القصيدة ما يأتي ذكرها:

الأمر في قوله:

زيدُوا بقوةِ إيمانٍ عزيمَتَكم فالله يحفظ من فوق السماوات

إنشاء طلبي أمر، خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجاز؛ إذ الخطاب موجّه إلى الماليين قاطبة دون تخصيص، وعليه الغرض من هذا الأسلوب هو الرجاء والنصح والإرشاد. (المراغي، الطبعة الثالثة 1414هـ / 1993م، صفحة 75)

الاستفهام، وذلك في قوله:

ألمْ أقلْ لكِ مرّاتٍ ومرّاتٍ إنّ البلادَ ستهوي في المتاهات
ألمْ أقلْ لكِ إنّ الحربَ قادمةٌ ولا مناصَ عن استعمارنا الآتي
ألمْ أقل لكِ إنّ السُّحبَ ماطرةٌ فالبرقُ والرعدُ من كبرى العلامات

واضح أنّ الأسلوب الإنشائي في هذه الأبيات هو الاستفهام، والغرض منه هو: التوبيخ، أي: أنه أسلوب استفهامي انكاري توبيخي؛ لأن الشاعر حذّر قومه ونبّههم للاحتياط قبل وقوع الحادثة فلم يتّعظوا. (المراغي، الطبعة الثالثة 1414هـ / 1993م، صفحة 69)

ب) علم البيان: من موضوعات علم البيان الواردة في القصيدة قوله:

أتتْ فرنسا بدعوى أنْ تساعدنا وأنْ تساهم في فضّ الخلافاتِ

يستعمل هذا الشاعر الموهوب في هذا البيت السابق مجازا مرسلا علاقته المحلية، فتجسيده لفرنسا بأنها أتتْ وهي في الحقيقة من الجمادات التي لا تتحرّك، أسلوب بلاغي لجأ إليه، لأن المقام يتطلّب ذلك، وكأنه يريد أن يقول: إن فرنسا ومن فيها رجالا ونساءً، صغارا وكبارا حتى الجمادات مستعدة للدخول في حرب معكم – أيها الماليون، فكونوا رجلا واحدا للدفاع عن كرامتكم وحريتكم، وبهذا يتّضح أن الشاعر استعمل مجازا مرسلا علاقته المحلية، والقرينة لفظية وهي "أتت". (المراغي، الطبعة الثالثة 1414هـ / 1993م، صفحة 252)

وقل مثل ذلك في الأبيات الآتية:

ألمْ أقلْ لكِ مرّاتٍ ومرّاتٍ إنّ البلادَ ستهوي في المتاهاتِ
ألم أقلْ لكِ إنّ الحربَ قادمةٌ ولا مناصَ عن استعمارنا الآتي

وكذا قوله:

عمّ البلاءُ وساد الخوفُ وانقلبتْ سكينةُ القلب ذُعرا في المحلَّات

في هذا البيت يستعمل مجازا عقليا، أي أنه يسند الأفعال إلى غير فاعله الحقيقي، والعلاقة المفعولية، إذ لا شك أن الفاعل الحقيقي لتلك الحوادث هو الله سبحانه وتعالى. (عتيق، 1405هـ / 1985م، صفحة 153)

وفي قوله:

يَتمُّ كلَّ صباحٍ زَرعُ قُنبلةٍ تشريدُ عائلَةٍ نشرُ المجاعاتِ

في هذا البيت الشعري نتقابل بصورة بلاغية تجسيدية، وهي الاستعارة؛ حيث شبّه حفر القنبلات في الطرقات وانفجاراتها بالأشجار حين تنبت وتُشقّ الأرض، ثم حذف المشبه به أو المستعار منه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "زرع" على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هي "زرع". (عتيق، 1405هـ / 1985م، صفحة 176)

ج) علم البديع: من شواهده من أبيات القصيدة قوله:

عمّ البلاءُ وساد الخوفُ وانقلبتْ سكينةُ القلب ذعرا في المحلاّتِ

في هذه العبارة يستعمل أسلوبا من أساليب البديع وهو الطباق الإيجابي بين السكينة والذعر، وليس هناك أدنى شك بأن استعمال مثل هذا الأسلوب يظهر جمالية النص ويساعد على توضيح المعنى وبيانه.

6- مستوى اللغة والأسلوب: سنتناول في هذه النقطة المفردات وكيفية بناء الجمل ثم لغة الشاعر.

المفردات: على مستوى المفردات يمكن القول: إن الشاعر وُفّق —كثيرا – في اختيار الألفاظ والمفردات التي تدلّ على مضمون القصيدة، وعلى متانة الكاتب وامتلاكه لناصية اللغة، ومن هذه المفردات (عمّ، ساد، غرق، ذاق، حوّل، انقلب، ستهوي، تُبارز، ويخطّط)، فهذه الألفاظ وغيرها من ألفاظ القصيدة ومفرداتها تُخيف الإنسان وتجسّد مدى الخطر – المحاط بالشعب المالي – أمام المتلقي.

بناء الجمل: جلُّ الجمل والعبارات جاءت على أسلوب الخبري، ودون التأكيد مما يوحي إلى أن الشاعر يستحضر الماضي أمام أعين المخاطبين (الشعب المالي).

لغته: كانت لغة الشاعر عربية فصيحة إن لم نقل الفصحى، ولم يستعمل الكلمات العربية القديمة أو النادرة الاستعمال في يوم الناس.

7- مستوى الأفكار والمعاني: بدأ الشاعر بطرح أسئلة تمهيدا للفكرة والمعاني التي يريد إظهارها، ثم دخل في تفاصيل الموضوع شيئا فشيئا، فتنساب إليه المعاني وينسجها، حتى وصل إلى الحبكة أو العقدة ثم اتّجه بالقارئ وجهة الاختتام، بالتذكير بأمجاد السلف وما حقّقوه من نجاحات، آمرا شعبه بزيادة الإيمان والصبر على المقاومة، والله في علاه يحفظهم ويحفظ البلاد.

8- المستوى الدلالي: القصيدة مشعبة بصور رمزية، ترمز لاستعمار فرنسا، بوصفها كيانا غربيا، شرسا، دخيلا على المناطق الساحلية بغرب أفريقيا، فنتج من تلك الصور خطاب سياسي وثقافي يدعو للتحرر والكرامة الإنسانية.

خاتمة:

وفيها مستخلص البحث وأبرز نتائجه ثم الاقتراحات.

الخلاصة: نستخص إلى القول بأن الشاعر استطاع في هذه القصيدة أن يستعمل جلَّ الأساليب العربية التي تساعد في تشخيص المعاني وتجسيدها، وهو شاعر موهوب له مهارة أدبية في جعل الكلمات تتراقص وتتناغم على الأوتار، وأسلوبه ليس معقّدا بل كان رقيقا هادئا يصوّر الأحداث ويظهرها للقارئ وكأنّه يعايشها.

وقد استطاع أن يعبّر عن المعاني بأسلوب فيه نوع من التأنيب بعدم تصديق الشعب لتنبؤاته، ثم يعقّبه بنوع من التحريض على مقاومة الاستعمار وعدم الاستلام.

أخيرا، القصيدة متناسقة ومترابطة من حيث الأساليب اللغوية والصور البلاغية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالي والتركيبي والأفكار والمعاني وغيرها.

أبرز النتائج: توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- الشاعر موهوب وتشهد على ذلك قصائده الشعرية، المليئة بالصور الشعرية وبالأساليب العرب الأقحاح.
- مالي تعاني من شتى الويلات ومن صنوف التعذيب تحت وطأة أقدام الاستعمار.
- الشعب المالي يتجاهل عما يجري في مالي، ويكاد يستسلم لأوامر فرنسا وطلباتها المتكررة.
- يعيد الشاعر للشعب المالي مجده ويحرّضه على المقاومة تخليدا لذكرى الأجداد وحفاظا على إرثهم التليد.
- القصيدة متناسقة ومترابطة من حيث الأساليب اللغوية والصور البلاغية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالي والتركيبي والأفكار والمعاني وغيرها.
- أسلوب الشاعر أسلوب عربي فصيح وسليم، ولغته واضحة لا يحتاج القارئ إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معاني المفردات.

الاقتراحات: يقترح الباحث على:

- الجامعات العربية والإسلامية بتوجيه العناية في مجاليْ الأدب واللغة إلى الدراسات الأسلوبية وتطبيقها على النصوص الأدبية.
- الطلبة وبخاصة الماليين بدراسة ديوان الشاعر الراحل عبد الله درامي، إذ هو مادة دسمة وفيه كثير من القضايا الأدبية والنقدية واللغوية والتربوية وغيرها من الموضوعات التي يمكن للطالب دراستها.

المصادر والمراجع:

1. *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*، د. سعد مصلوح. (الطبعة الثالثة، 1412 هـ - 1992م). القاهرة: عالم الكتب.
2. *الأسلوب والأسلوبية*، الأستاذ الدكتور هارن المهدي ميغا. (ط1، 1444هـ / 2022م). بماكو - مالي.

3. *الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، أسسها ونقدها*، د. محي الدين محسب. (مطابع السلمان بريدة، الطبعة الأولى 1418هـ). إصدار نادي القصيم الأدبي.
4. *الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية*، د. فتح الله أحمد سليمان. (بلا تاريخ). *نقلا من الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا، الأسلوب والأسلوبية.*
5. ديوان الشاعر المرتضى محمد الإدريسي السُّوقي "دراسة وتحقيقا"، معاوية إدريس توري. (العام الجامعي 1445-1446هـ / 2023-2024م). أطروحة مقدّمة إلى عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي لنيل درجة التخصص الدقيق (الدكتوراه) في الأدب العربي، إشراف يوسو منكيلا، الجامعة الإسلامية بالنيجر.
6. *شذ العرف في فن الصرف*، الأستاذ أحمد الحملاوي. (1428-1429هـ / 2008م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7. *طيور حائرة، ديوان الشاعر عبد الله درامي.* (بلا تاريخ). سلسلة كتب ثقافية يصدرها نادي الأدب والثقافة.
8. *علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع*، أحمد مصطفى المراغي. (الطبعة الثالثة 1414هـ / 1993م). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
9. *في الأسلوب والأسلوبية*، محمد اللويمي. (بلا تاريخ). *نقلا من الأسلوب والأسلوبية، الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا.*
10. *في البلاغة العربية علم البيان*، الدكتور عبد العزيز عتيق. (1405هـ / 1985م). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
11. *لسان العرب*.ابن منظور، (طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا). دار المعارف.
12. *مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية*، محمد العمري. (مطبعة النجاح 1991م، العدد الخامس). المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي.
13. *مجلة العلوم العربية، العدد السابع والخمسون*، منصور التركي وأبا الخيل. (شوال 1441هـ). الأسلوبية مفهومها وموقف الدارسين العرب منها.

14. *مجلة نهر جوليبا، العدد الثالث*، سليمان مختار جابي. (بلا تاريخ). سيرة موجزة ونبذة يسيرة عن ترجمة شاعرنا الراحل عبد الله درامي.

15. *معاني التراكيب*، د. عبد الفتاح لاشين. (بلا تاريخ). *نقلا من الأسلوب والأسلوبية الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا*.

THE SEMANTIC FIELDS FROM AL–MUSTAFADE FI MANAQIBI AL –IBADI BI MADINATI FASA WA MA YALIHA MINA AL–BILADI

FATIMA TAOURI
DOCTORAL STUDENT
IBEN TOFAIL UNIVERSITY MOROCCO
LABORATORY OF LANGUAGE AND SOCIETY
fatima.taouri@uit.ac.ma

Abstract:

This research seeks to identify the most prominent semantic fields present in *Al-Mustafāde fī Manāqibi al-ʿIbādi*, in order to develop a general and clear understanding of its content and the language it uses to convey deeper meanings and embedded messages to its audience. This abstract explores the concept of semantic fields as groups of lexically and semantically related terms that reflect specific thematic domains. These fields vary depending on context and communicative purpose, and every literary work contains unique semantic fields that express its central ideas and discourse. In hagiographic literature (manāqib), semantic fields often stem from religious, scholarly, or political themes, creating layered and meaningful narratives. This study focuses on identifying the main semantic fields in *Al-Mustafād fī Manāqib al-ʿIbād* to gain clearer insight into its content, language, and the messages it seeks to convey.

Keywords:
Semantic Fields – *Al-Mustafād fī Manāqib al-ʿIbād* – *Manāqib* (Hagiographies) – Spatial Expression – Semantic Cohesion

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الحقول الدلالية المستفادة من "المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد" لأبي عبد الله محمد التميمي الفاسي (ت603 أو604هـ)

الطالبة فاطمة التوري
جامعة ابن طفيل – المغرب
مختبر اللغة والمجتمع
fatima.taouri@uit.ac.ma

الملخص:

تعد الحقول الدلالية مجموعة من الكلمات أو المصطلحات التي تتماسك فيما بينها تماسكا دلاليا، أو إنها مجموعة من الوحدات المعجمية التي تحوي المفاهيم التي تصب في مفهوم عام يحدد حقلا معينا، إذ يمكن اعتبارها قطاعا متكاملا من المادة اللغوية الذي يعبر عن مجال بعينه، لكونها المرآة الصادقة التي تعكس مضامين الإنتاج الإبداعي ويختلف توظيفها باختلاف المواضيع والمواقف والخطابات التي تنشد الطريق لتحقيقها. لذا فإن كل إنتاج أدبي يحمل حقولا دلالية تدور في فلكه، حتى تفسح عن أفكاره بل عن خطاباته التي يتغيا إيصالها صاحبه. ولا غرابة إذا ألفينا كل جنس من الأجناس الأدبية يحتمي تحت لواء حقل دلالي واحد أو حقول دلالية متنوعة، وكذلك المناقب؛ باعتبارها جنسا يمتح من سير المترجم لهم العلمية أو الأدبية أو الدينية أو السياسية...فإننا نجدها حبلى بمجموعة من الحقول الدلالية، والتي تتشابك فيما بينما لتنسج منها خطابات متنوعة.

ترى ما أهم الحقول الدلالية التي يمكننا استخراجها من "*المستفاد في مناقب العباد*" والتي تسمح لنا بنسج تصور عام وواضح عن محتواه، وكذا لغته الموظفة للتعبير عن المعاني والخطابات الثاوية خلفها بغرض إيصالها إلى المتلقي؟

الكلمات المفتاحية:

الحقول الدلالية – المستفاد في مناقب العباد – المناقب – التعبير المجالي – التماسك الدلالي.

مقدمة:

يرى أحمد عزوز أن «ترتيب الكلمات في مجموعات يرتبط بفطرة الإنسان، ومن خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكون أجزاء هذه المجموعة أو تلك، حتى يتسنى لنا فهمها ووضع قوانينها ثم الحكم عليها والاستنتاج» (أحمد عزوز، 2002، ص: 13). والكلمة لا تحمل دلالة إلا بالسياق الذي يربطها بغيرها من الكلمات، ولهذا فإن أقرب تعريف للحقل الدلالي هو تعريف جورج مونان الذي بين أنه: «مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل» (المرجع نفسه، ص:13).

فباطلاعنا على "المستفاد في مناقب العباد"، ونظرا لتنوع الأجناس الأدبية المتوارية فيه، إذ شكلت بؤرة اتسعت للخبر والحكاية والرحلة والقصة والشعر، وما تحمله من سرود تناولت خطابات متواشجة ومتنوعة كالدينية والسياسية والاجتماعية والتعليمية، أمكننا الوقوف على الحقول الدلالية التالية؟

1- حقل الذات:

لكون التميمي الفاسي السارد الرئيس الذي يهيمن بشكل واضح على سرد محكيات تراجمه، سواء أ تعلقت بسرد أخبار عباد متصوفة عن أفواه رواة ثقات أم تكفل سردها بنفسه عمن عايشهم وخالطهم، فإننا نعتبره الوسيط الأساس بين المتلقي وبين تراجم شيوخه؛ على اعتبار أنه تلقى الخبر بنفسه مباشرة أو عاينه فتكفل بأمانة نقله؛ وهذا ما يبرز من خلال ترديديه للازمة: "أخبرني" والتي تكررت في جل التراجم، ملازمة إياه عند الانتقال من محكي لآخر، وكذلك الجملة الفعلية: "سمعت الشيخ" أو "قال لي" أو "حدثني"؛ لذلك نجد ذاته مسيطرة على سرد مجريات الوقائع والأخبار سواء بطريقته الخاصة، أو بالمحافظة على أمانة المسرود.

فذات التميمي الفاسي تظل حاضرة ومصاحبة لسروده حين حديثه عن شيوخ فاس وما جاورها من البلاد، من خلال توظيفه لضمير المتكلم، خصوصا عندما يكون في معرض الحديث عن الذين صاحبهم وأدركهم، فتبدو ذاته مشاركة للحدث، مما يزيد من ظهورها بشكل جلي كحديثه عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم، والذي أفرد له ترجمة طويلة دون غيره، قائلا عنه: ("أدركته واختلفت إليه". أو كحديثه عن أبي يعزى يلنور الذي يقول فيه: " وإنما أذكر له في هذا الباب ما شاهدت أنا منه إلا حكايتين عن غيري". أو كحديثه عن أبي مدين شعيب، الذي يقول عنه: "أدركته وصحبته طول إقامته بفاس...وفي أول

اتصالي به، أتيته في منزله، فوجدته وحده، فأدخلني في البيت، فأخرجت كتاب "الرسالة" للقشيري فقلت له: يا سيدي! أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب. فقال لي: أنت صغير، ويطول عليك الكتاب، لكن اعمل بحديث واحد، وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به. فقلت له: وما ذاك؟ فقال لي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حب الدنيا رأس كل خطيئة، فازهد فيها، واتركها تنل فضيلة" هذا الحديث إن عملت به كفاك. فقمت". أو كحديثه عن أبي عبد الله محمد بن يبقى الذي ورد فيه": ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن يبقى، مؤدبي، رحمه الله". أو كحديثه عن أبي سعيد الحبشي حينما قال عنه:" أدركته مقيما في الرابطة التي بخارج باب الجيسة"، وكذلك قوله عن أبي العباس أحمد بن لب السلاوي: "كان رحمه الله تعالى، من أهل الزهد والتقلل من الدنيا. صحبته مدة". أو كقوله عن أبي عامر الناسخ: "صحبته مرة وانتفعت به...أنشدني لنفسه". وأيضا قوله عن أبي جعفر أحمد بن علي الفنكي: "وفي عام دخولي مكة، وجدته بها وأخذني بها شهر رمضان...وما رأيته في الحرم إلا طائفا أو تاليا للقرآن". أو كقوله عن ابن هران: "أخبرني صاحبه"، وكذا قوله عن أبي علي الخراط: "رأيته وأنا إذ ذاك صغير"، ضف إلى ذلك قوله في أبي الربيع سليمان بن عبد الرحمان: "أدركته وخالطته وانتفعت به") (انظر محمد التميمي، 2002).

من خلال محكيات التميمي الفاسي السالفة عن الشيوخ المتصوفة؛ يبدو جليا أن ذاته حاضرة بشكل بائن على مجريات أخبارها وأحداثها، كتلك التي كان فيها عنصرا فاعلا ومتفاعلا، أو التي نقلها من الرواة الثقات، ويؤكد ذلك بالقول المقرون بضمير المتكلم "تُ"، ساعيا إلى إضفاء المصداقية في المنقول الذي يتغيا إيصاله إلى المتلقي، ملتمسا منه التقبل والتفاعل.

2- حقل الآخر:

يعد هذا الحقل الموضوع الرئيس لكتاب "*المستفاد في مناقب العباد*"، كونه يهتم بتدوين تراجم متصوفة مدينة فاس وما جاورها من البلاد خلال العصر الموحدي، إذ تكلف التميمي الفاسي بنقل أخبارهم وحكايات عنهم، فجعله أرضية لذكر مكانتهم الدينية والعلمية والاجتماعية، مركزا على تبيين محاسن أخلاقهم التي تبلورت من خلال معاملتهم المباشرة مع السالكين، أو مع أفراد المجتمع الذين انصهروا فيه بالمخالطة والتوجيه والإرشاد.

فحضور المتصوفة (الآخر) كان حضورا رئيسا وطبيعيا، إذ يعد الخيط الناظم لتشكيل السرود، والتي كانوا أبطالا لها، وذلك بالوقوف على أفعالهم وأقوالهم ودورهم الفعّال في الأحداث المسرودة. فهم الشخصيات الرئيسة التي دار فلكها في سماء" *المستفاد في مناقب العباد*" سواء أ نقل عنها الكثير أم القليل.

فبدءا بالترجمة الأولى لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم وحتى ترجمة أبي بكر عثمان ابن مالك نجد ذواتهم حاضرة بالفعل والقول، تتفاعل في تجاذب تام مع شخصيات ثانوية مصاحبة كالسالكين لطرقهم أو التابعين من أفراد المجتمع، على أرض فاس وما ولاها من البلاد حيث عاشوا وتعايشوا معهم، أو على أرض المشرق، خاصة مكة المكرمة أثناء القيام بمناسك الحج أو للاستزادة من علم المتبحرين في الدين والعلوم والآداب.

3- *حقل الطبيعة:*

تعد الطبيعة مصدر إلهام للشعراء منذ القدم، يستمدون منها الكلمة المعبرة والفكرة الصارخة المشكلة بآليات بلاغية، في حين أن الصوفية جعلوا منها رمزا للتعبير عن أحوالهم. يقول إبراهيم محمد منصور: «رمز آخر عني به الصوفية هو رمز الطبيعة، فقد نظروا إلى المخلوقات جميعا على أنها مجلى من مجال الحق، والجمال الإلهي، ولابد أن يكون الشجر والأنهار والورد وكل مظاهر الجمال، في الطبيعة مصدرا من مصادر الإعجاب، ورمزا من رموز الصوفية الشعرية الجميلة» (إبراهيم منصور، 1996، ص: 27). ولقد شكلت الطبيعة حقلا ماتعا في "*المستفاد في مناقب العباد*"؛ إذ تعد فضاء رحبا دارت فيه مجريات الأحداث التي التصقت بالمتصوفة المترجم لهم، والمرتبطة خاصة بالفضاء الطبيعي لفاس كفضاء رئيس وفضاء المشرق كفضاء ثانوي، والذي شكل الوجهة المفضلة لأداء مناسك التعبد بعيدا عن مخالطة الناس للتقرب من الله تعالى. ويمكن ربط هذه الأفضية المفضلة بالأفضية الطبيعية المفتوحة غالبا كالجبل والعين والنهر والجنان والسماء والأرض.

فمن الأمثلة الأساسية والشاهدة على حب المتصوفة التعبد في الجبل ما يلي: "وكان الشيخ، رحمه الله يصعد في أعلى الجبل يدخل في الشعراء، وكنت أنا مع أصحابي نرقد في الطريق الذي يمشي فيه الشيخ إذا نزل من الجبل» (المرجع السابق، ص: 30). أو كما جاء في ترجمة حجاج بن يوسف الكندري: «وقال أيضا الشيخ الورع الزاهد، فقيه وقته، وعارف عصره، الشيخ أبو عمران الجنياري، قال: مررت يوما لأزوره بالكندريين، فلم أجده في دار، فسألت عنه، فقال لي ولده: هو في الجبل له أيام، وكان في ذلك الجبل موضع مرتفع على

تلك الجبال، وكنت متعبدا معه فيه...» (المرجع السابق، ص: 115)، وكانت هذه عادة بعض الشيوخ المتصوفة، كي ينصهروا في عبادتهم دون تشويش أو تضييق، مركزين على التقرب من الله تعالى ومبتعدين عن شهوات الدنيا الفانية كهدف أسمى. أو كذكره للعين كما في قوله: «مشيت مع الشيخ أبي إسحاق سحرا من الأسحار، للعين التي كانت بقرب المسجد» (المرجع نفسه، ص: 124)؛ قصد الوضوء استعدادا لأداء فريضة الصلاة للإقبال على وجه الله تعالى وهم على طهارة. كما كان الشيوخ المتصوفة يستهوون الخروج إلى البحر مثلما ورد في المحكي التالي من ترجمة أبي عبد الله محمد بن حامد الفاسي: «قال الكتاني: أخبرني الشيخ المذكور، قال: أخبرني الشيخ أبو عبد الله السائح، قال: كنت يوما من الأيام على ساحل البحر بقرب الشعراء...» (المرجع نفسه، ص:199).

إضافة إلى ذلك، نجد الوادي والجنان فقد كان حاضران أيضا؛ حيث وردا فيما يلي: «جاء ابن عبود للشيخ أبي الحسن فقال له: يا فقيه وصل من المشرق رجل من أهل العلم والفضل لم ير مثله، وقد أخرجته للجنان اليوم، وأحب أن تحضر معه، فقال له: نعمة وكرامة، فمشى معه إلى الجنان، وكان الجنان خارج باب بني مسافر من عدوة الأندلس، وكان ابن عبود لما وصل إلى الجنان مع الرجل المشرقي أعلمه أنه يمشي للفقيه أبي الحسن، ويرغب إليه أن يصل إلى الجنان ويجتمعا فيه» (المرجع نفسه، ص: 19).

فغالبا ما كانت الطبيعة بجمالية مكوناتها مأوى للشيوخ المتصوفة، وفضاء للتعبد والانصهار مع حب الذات الإلهية، إذ كانت شاهدة على ولادة كرامات مختلفة حسب ما حظوا به، كما كان التنقل في الفضاء الطبيعي لابد منه للتأمل الهادئ في عظمة الخالق بالانزواء بعيدا عن الناس وعن مشاغل الدنيا الفانية، إذ ارتبط هذا الفضاء بكل ما هو عظيم ومقدس كالبحار والأنهار والعيون والجبال، والتي شكلت فرصة سانحة لهم لنيل حظوة الكرامات الربانية، أو دعوة لتزيين المعاملات الدينية والاجتماعية مع الخالق والمخلوق.

4- *حقل الحيوانات:*

إذا كان الشيوخ المتصوفة قد شكلوا الشخصيات الرئيسة في "المستفاد في مناقب العباد"، ولعبوا أدوارا بائنة وكبيرة، فإن السرد لم يتوقف عليهم كذوات فاعلة وحسب؛ وإنما شاركتهم شخصيات ثانوية من أفراد المجتمع سواء من الساسة أو العامة تجاذبوا معها الوقائع بشكل متفاعل أو متنافر، فكان طبيعيا أن يكون لها دور في السرد بحكم التفاعل والتصادم الاجتماعي المعيش، وإلى جانبها نجد الحيوانات، حيث ظلت حاضرة في بعض السرود خاصة تلك التي دارت رحاها حول الكرامة، مثل الأسد الذي برز بدور المؤنس

لا الموحش، بل وأحيانا كشخصية فاعلة تتفاعل مع الشيخ؛ وهذا ما يتضح فيما يلي: «وكان الأسد لا يفارق ذلك الجنان. فإذا وصل الشيخ للجنان فر الأسد منه. فيتصرف الشيخ في الجنان فيما يصلحه، فإذا انصرف الشيخ من الجنان، رجع إليه الأسد فكان الأسد حارس الجنان» (المرجع السابق، ص:117). في السياق ذاته، تكثر السرود التي تروي عن علاقة الأولياء بالسباع، فقد ذكر النبهاني أن: «كثيرا من السباع كانت تأتي إلى أبي سهيل التستري، فكان يطعمها حتى سمي بيته بدار السباع.» (النبهاني، د ت، جامع الكرامات، ص: 110).

أيضا تم حضور الحمار كوسيلة للتنقل وذلك في ترجمة أبي عبد الله القصري (انظر المرجع السابق، ص: 158)، أو وسيلة للحرث مع الثيران كما ورد في ترجمة الشيخ أبي علي المنصور ابن فوقة: «قد وهبته تلك الأرض، ووهبته ثورين وحمارا وألة حرث» (المرجع نفسه، ص: 56). وفي أحيان أخرى لا يتم الإفصاح عن نوع الحيوان مثلما جاء في ترجمة طلحة بن مالك الحلبي: «.. وركبت دابة، ومشيت إلى فاس» (المرجع نفسه، ص: 199)، وكذلك تم ذكر الهر فيما يلي: «إذ رأيت هرا مقبلا يمشي على جنبه» (المرجع نفسه، ص: 104).

فالحيوانات المذكورة في "*المستفاد في مناقب العباد*" شكلت حقلا إضافيا لباقي حقوله، حتى كان لها دور واضح، اعتمد عليها الشيوخ المتصوفة كمساعد في التنقل مثل الخيل، أو في الحرث كالحمار والثور، أو في الحراسة كالأسد، أو في الأكل كالسمك؛ فأغنت بذلك حقوله ونوعت منها من خلال الدور الذي قامت به في مصاحبة الشيوخ وما أبانوا عنه من معاملات معها.

5- *حقل المأكولات:*

مما عرف عن الشيوخ المتصوفة زهدهم في الأكل، والذي يعد أحد أركان الطريقة الصوفية للتقرب من الله تعالى. ومن الآثار الواردة في كتب الزهد والتصوف ما جاء عن «مجاهد بن جبر رحمه الله، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيها الناس، إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، وأن الله تبارك تعالى يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أدنى من الصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله جل جلاله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه» (انظر أبا بكر البهيقي 1996، ص:324). ومما جاء عن الجنيد البغدادي (ت 293هـ -910م) أنه قال: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع

المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله التعزف عن الدنيا» (أبو عبد الرحمان السلمي 1988، ص:143-144). فكانوا يقتصرون على أكل البسيط منه، فظلت عادتهم المتوارثة، بل الطريقة التي انتهجوها للزهد بالتقليل من كل ما يلهيهم عن العبادة. وخير مثال نستحضره في هذا المقام الإفطار على العسل بعد صيام طويل كقول التميمي الفاسي في الشيخ ابن هران الذي: «كان يواصل ستين يوما، منها أربعون يوما لا يفطر بشيء. ومنها عشرون يوما يفطر كل ليلة على لعقة من عسل» (محمد التميمي، 2002، ص:160)، وفي المقابل نجدهم في غير ما مرة يشتهون بعض الأكلات المميزة كالثريد الذي ذكر في تراجم شتى، خاصة ثريد بازن (انظر تعريف التميمي، المرجع نفسه، ص:53)، على اعتبار أنه كان أكلة مميزة في ذاك العهد. ويمكننا الاستدلال عليه فيما يلي: «أخبرني الشيخ أبو عبد الله، محمد بن الفرج، أن قوما من الصالحين من أهل البادية وصلوا إلى فاس. قال: فصنعت لهم طعاما، وكلمتهم أن يصلوا إلى منزلي ليفطروا عندي. فوعدوا بذلك. فصنعت لهم ثريد بازن» *(المرجع نفسه، ص: 52-53)*. كما كانوا يتغذون على اللبن الذي ورد في قول التميمي الفاسي عندما كان ضيفا لأهل الشيخ أبي يعزى يلّنور: «وإن كان في أول النهار، أسقونا اللبن» (المرجع نفسه، ص:29). وأيضا السمك الذي غالبا ما شكل طبقا شهيا استهوى الشيوخ المتصوفة على اعتبار إقامتهم بجانب وادي سبو الذي يمر من فاس، خاصة سمك الشابل؛ والذي تم ذكره في ترجمة أبي عبد الله، محمد الأندلسي؛ إذ جاء فيها: «أخبرني أبو عبد الله، محمد السدراتي – وكان يخدمه – قال: أعطاني يوما درهما وقال: اشتر منه شابلا واطبخه، لعلي آكل منه، لأني اشتهيته» (المرجع نفسه: ص: 126). كما كانوا قليلا ما يأكلون اللحم، الأمر الذي استقيناه مما ورد في ترجمة أبي العباس أحمد بن لب السلاوي: «...وكان لا يأكل اللحم إلا من أضحيته أو من وجه طيب. وكانت أضحيته تأتيه من موضع يعرف طيبه» (المرجع نفسه، ص: 144). وكذلك الرائب في قوله: «أهدي لي قدح ملْءُ من رائب» (المرجع نفسه، ص:75). إضافة إلى التمر فقد كان له حضور طاغي تيمنا بما عرف عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبرز ذلك من خلال ما يلي: «...ثم أخرج له تميرات يسيرة من جيبه؛ وذلك من التمر المجلوب من مدينة الرسول، عليه السلام» (المرجع السابق، ص: 168).

من الأكلات التي عرفت في ذاك العصر، والتي كثيرا ما تم ذكرها، أكلة اللبلاب. يقول التميمي الفاسي عن تقشف الشيخ أبي يعزى يلنور الذي كان: «يطعم الناس اللحم والعسل وينفرد هو بأكل ما تعود أكله.

شاهدت معيشته، ورأيت الخادم تصنع له ذلك؛ كانت تأخذ قديرة صغيرة مثل التي تصنع للأطفال الصغار، فتجعل فيها قليلا من اللبلاب، فإذا طبخ ذلك، حفّنت بيدها حفنة من دقيق البلوط الشعري، وتخلط ذلك. فإذا جاء بعد صلاة المغرب، قدمت إليه ذلك، فأخذ بيده ملعقة ولعق بها ما في القديرة، فكان يكتفي بذلك» (المرجع نفسه، ص: 34) وأيضا أكل الخبز المصنوع من دقيق البلوط في قوله: «وكان وصل معه بأقراص مطبوخة من دقيق البلوط كان يتقوت بها، وهي سود مثل الأقراص التي تحرق لعمل الموري» (المرجع نفسه، ص:35). كما ضمت أكلاتهم الخضر المحلية كالكرنب والباذنجان، والمستقاة من حوار الشيخ مع خادمه: «ما هذا الذي في طعامك؟ فقال: ما أعرف في طعامي شيئا إلا الخضرة» (المرجع نفسه، ص:55). أما عن الباذنجان فقد ورد في المحكي التالي: «...فلما أكلوا، وقع عليهم النوم من حال السماع. فقال الشيخ الشيرازي لصاحب الدعوة: ما أطعمتنا؟ فقال: اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان، فلم أسأل عنه. فلما أصبحوا، سألوا بائع الباذنجان فقال: لم يكن لي شيء، فسرقت الباذنجان من الموضع الفلاني وبعته.» (المرجع نفسه، ص: 56)

أما فيما يخص الفواكه، فقد تمت الإشارة إلى الرمان؛ كما روي عن أبي الحجاج يوسف الجزولي الذي «أهديت له رمانة، فأقامت عنده في الطاق مدة، فدخل عليه بعض إخوانه، فقال له: أصلحك الله. لهذه الرمانة عندك مدة، فما منعك الانتفاع بها؟ فقال له: ومن يتفرغ لتحبيبها؟» (المرجع نفسه، ص:123). وكذلك تم ذكر العنب فيما روي عن الشيخ الذي طلب من ابنه وصديقه زبر العنب وأكله (انظر المرجع نفسه، ص: 116).

إذا كان أكلُ الشيوخ المتصوفة اقتصر على القليل والمتداول منه، فإنه من الغريب أن نجدهم يأكلون غير ما اعتاده بنو البشر من قبيل الحشيش، كقول التميمي الفاسي عن الشيخ أبي يعزى يلنور: «كان لا يأكل شيئا مما يأكله الناس، كان أكله أشياء من الحشيش تعود أكلها» (المرجع نفسه، ص: 28-29). أو كأكلهم أوراق الدفلى؛ التي تمت الإشارة إليها في ترجمة أبي الحسن علي بن إسماعيل قائلا عنه: «إذ جاءه رجل بأغصان من الدفلى الخضراء، فأخذها الشيخ من يده، ووضعها بإزائه. فلما سمع آذان عشاء المغرب، أخذ قضيبا منه، وجعل يأكل أوراقه وأنا أنظر إليه ولا يمعر من ذلك وجها» (المرجع السابق، ص:32).

يتضح مما ذكر أن الشيخين تعودا أكل غير المعتاد عن أفراد مجتمعهم، لربما كان هذا بدافع التفرد عنهم باعتبارهم الشيوخ المتصوفة، أو إقهارا للنفس وإرضاخها لأكل القليل والمتيسر من الأكل، إكراما لله تعالى الذي أنعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى.

فحقل الأكل في *"المستفاد في مناقب العباد"*، تنوع فيما بين ما اعتاده بنو البشر كالعسل والثريد والسمك واللبن والتمر واللبلاب والخضر واللحم والأكلات المعروفة أنذاك كاللبلاب، والخبز المصنوع من دقيق البلوط، والتي كانت معروفة ومعتادة بين الشيوخ المتصوفة وأفراد مجتمع فاس وما جاورها من البلاد، وبين أكل غير المعتاد كأكل الحشيش وأوراق الدفلى، ولعلهم بتصرفهم هذا يترجمون قمة التقشف والتواضع الذي انبنت عليه حياتهم الصوفية؛ حتى لا يبقوا مشدوهين بما يشغلهم عن ممارسة الحياة الدينية التي أولوها العناية الخاصة والأساسية.

6- حقل المرأة:

إذا كانت المرأة تشكل نصف المجتمع، وبرهنت منذ الأزل عن قدرتها وكفاءتها في ممارسة وتحمل المهام في شتى الميادين، وأن التاريخ الإسلامي يحفظ لها المكانة الخاصة في ذلك، فإن الحديث عن المرأة ظل محتشما في *"المستفاد في مناقب العباد"* اللهم في بعض سروده، وإن كان لها دور أساس في المجتمع، تعهدت بتربية وتعليم النشء وتقديم الخدمات الاجتماعية بما فيها خدمة الشيوخ المتصوفة، غير أن الاعتراف والبوح بما قدمته لم يلق الواجب والمفروض الذي تستحقه- وكأنها تحتاج إلى صنيع المستشرقة آنا ماري شيمل في كتابها "روحي أنثى" حينما أعطتها مكانة كبيرة، وأسهمت بدور كبير في تصحيح صورة المرأة في الإسلام في عيون الغربيين- بل تم الحديث عنها في محكيات قليلة وفي حالات دعتها الضرورة، في حين اهتمت كتب التراث وكتب الطبقات والتراجم بأسماء عديدة، فقد كانت لهن مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي المدون إلى جوار المتصوفين من الرجال (انظر محمد أرزازي 2025/07/27 http ://sufirfan.org)؛ إذ تم الاقتصار على ذكرها كمريضة مقعودة ترجو العافية أو كأم اشتهت أكل السمك أو كمضيفة للشيخ، أو كامرأة توجهت للشيخ قصد فك أسر ولدها المسجون، أو كامرأة قبيحة الصورة (ابنة صديق الشيخ) في القصة التي دعا عليها الشيخ فماتت، أو كصبية صغيرة طلبت والدتها من الشيخ عدم الدعاء عليها عساها تنفعها عندما تشيخ، أو كحامل تعاني آلام الطلق، فيتدخل الشيخ في التهوين مما لاقته بفضل دعائه وبركته حتى تتمكن من الوضع.

غير أنه لا يمكننا إغفال ذكرها كراوية وحيدة في محكي واحد، فتم الاعتراف بها في ترجمة أبي عبد الله محمد والتي جاء فيها: «أخبرني محل الابن البر، الصالح الخطيب، أبو محمد، عبد الله ابن الشيخ الفقيه الخطيب أبي عمران، رحمه الله تعالى، عن والدته، صانها الله، عن زوجة أبي عبد الله بن معبد...» (المرجع السابق، ص: 136-137). فمن خلال هذا الخبر استند السارد على رواية الأم التي نقلته بدورها عن زوجة الشيخ أبي عبد الله بن معبد، ولربما حظيت بهذا الاعتراف كونها زوجة الشيخ المبجل. فكانت هذه هي الإشارة الوحيدة التي تم الاعتراف فيها بالمرأة كراوية للخبر ليتم النقل عنها ما وقع من أحداث ومعلومات.

هذا دون أن ننسى الإشارة إليها كولية وحيدة غير مصرح بها ضمن قائمة التراجم؛ رغم اعتراف الشيخ الراوي بما شاهده منها من حسن عبادة واستجابة دعاء وشرف كرامة، ساعدته في تخطي محن حالت دون وصوله إلى مكة، حتى تمكن من تحقيق مراده في الوصول إليها، وذلك من خلال ما ورد في ترجمة أبي العباس بن رُشيد (انظر المرجع نفسه، ص: 118).

هكذا كان الحديث عن المرأة، الذي شغل حيزا ثانويا ومحتشما، استشف من بين ثنايا السرود، ولعل هذا الأمر عائد إلى المكانة غير المتواضعة التي حظيت بها في العهد الموحدي، سواء اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا، دون الوقوف على ما قدمته لمجتمعها من أعمال، كخدمة العباد المتصوفة مثلا أو ما عبرت عنه من تصرفات ومواقف أبانت عن كرامتها، والتي كان لها الأثر البين الذي أوجب الاعتراف للحديث عنها.

في هذا الإطار، أثار انتباهنا ذكر شيخ واحد منسوب إلى والدته وهو أبو علي منصور ابن عزيزة مع العلم أن الانتساب يكون من جدر الأب. وهذا لدليل قاطع – رغم أنه واحد- على دور الأم في رعاية وتنشئة وتحضير الشيخ الطفل حتى يصير شيخا مبجلا، يلتزم بما تلقنه من الشعائر الدينية، حتى يلقى مرضاة الله تعالى بقلب مطمئن، وينال الدور العظيم والتقدير الخاص في مجتمعه الذي يتفاعل معه بتقديم النصيحة الدينية والمساعدة الاجتماعية.

7- حقل اللباس:

لقد تميز الشيوخ المتصوفة بسلوك باب التفاني وإخلاص العمل في المجال الديني، وحرصهم المطلق على التمسك بالمبادئ الدينية والاجتماعية التي شكلت لهم الهدف الأسمى في مسيرتهم الدينية والدنيوية، وعلى ضوئه نالوا شرف الحب الإلهي وكسبوا التقدير البشري، غير أنهم تكبدوا الصعاب بإدلال النفس وإرضاحها

للوصول إلى درجات من التصوف العالية، فكان ما ميز حياتهم الدينية اقترانها بالتقشف في المأكل وكذلك الملبس، إذ يعكس جانبا من الجوانب الروحية والأخلاقية للمتصوف، لذا عمدوا إلى ارتداء ملابس خاصة ومميزة عن الغير، وغالبا ما كانت منسوجة من الصوف أو القطن، وعلى شكل دراعات ومآزر وجبات بالية وأحيانا مرقعة، إعلانا منهم على أن الهدف الأهم هو التقرب من الله تعالى دون الانشغال بفتن الدنيا؛ وهذا ما اتضح من خلال الحقل الدلالي الذي استعمله التميمي الفاسي لإبراز نوع اللباس الذي اختص به شيوخ *"المستفاد في مناقب العباد"*؛ وفي هذا الباب يقول عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم مثلا؛ واصفا لباسه المعتاد فيما يلي: «وكان، رحمه الله، خشن الملبس. يلبس في الصيف دراعة قطن مصبوغة وطاقية، ومئزرا قصيرا على رأسه، ويزيد في الشتاء دراعة ثانية من قطن» (المرجع السابق، ص:17). كما التزم الشيوخ المتصوفة بارتداء ملابس من الصوف، خاصة المنسوج من غزل زوجاتهم، مثل ما أورده التميمي الفاسي عن الشيخ أبي العباس أحمد بن لب السلاوي، الذي كان «لا يلبس إلا من غزل زوجته، من الصوف من أضحيته، ومن الموضع الذي يرضاه. فكانت زوجته تدبر له ذلك. وما رأيته يلبس كتانا ولا قطنا، إنما كان لباسه جبة صوف، وإحرام صوف، وسراويل صوف، وغفارة صوف» (المرجع نفسه، ص: 144). وأيضا تميزوا بارتداء اللباس القديم والمرقع؛ مثلما يتضح من قوله التالي في لباس الشيخ أبي يعزى يلنور: «وكان عليه برنس أسود خلق مرقع يصل إلى تحت ركبتيه، وعلى رأسه شاشية من عزف، وجبة من تليس مُطرق» (المرجع نفسه، ص: 33-34). وكذلك ارتداؤهم اللباس الخشن كقوله في أبي موسى عيسى الأزدي: «وكان يلبس الخشن من الثياب» (المرجع نفسه، ص: 79).

لقد حرص التميمي الفاسي على تقديم الوصف الدقيق للباس الذي سار على دربه الشيوخ المتصوفة، والذي غالبا ما نسج من الصوف أو القطن مع الاكتفاء بما هو خشن بالي. هذا دون أن ينسى تقديم وصف دقيق لأحذيتهم والتي اقتصرت على النعال في الحر والقر، الشيء الذي ورد في قول الشيخ أبي يعزى يلنور: «...ونزعنا ما كان بأرجلنا من النعال والأقراق بجري الماء» (المرجع السابق، ص: 33).

من خلال هذه الأوصاف أمكننا التعرف على اللباس المتفرد والخاص بالشيوخ المتصوفة، دون غيرهم، والمقتصر على المنسوج من الصوف والقطن والخشن والبالي منه تواضعا وإذلالا لأنفسهم؛ حتى ترضخ وتقنع بما تيسر من اللباس لتتفرغ لما هو أهم، والأكيد أنه كان التوجه لعبادة الله تعالى وحده دون الانشغال بملذات الدنيا الفانية.

8- *حقل المسكن والفراش:*

يبدو أن الإقرار بإقامة شيوخ "*المستفاد في مناقب العباد*" كان مبين منذ البداية من خلال عتبته؛ فالمسكن العام كان بمدينة فاس وأزقتها كحومة جراوة (انظر المرجع نفسه، ص: 194). وما ولاها من البلاد كبني بسيل (انظر المرجع نفسه، ص:55-56). وأما الخاص فكان السكن ببيوتها ومساجدها وزواياها ورابطاتها، وغالبا ما كان الإفصاح عن مسكنهم، نظرا لارتباطهم الوثيق به كمأوى للمعيش اليومي أو مكانا طاهرا للعبادة. يقول التميمي الفاسي عن الشيخ سعيد الحبشي: «أدركته مقيما بفاس في الرابطة التي بخارج الجيسة» (المرجع نفسه، ص: 168). كما نجده أحيانا يعمد إلى الوصف الدقيق لمكونات ذلك المسكن، مثلما فعل مع مسكن الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم قائلا: «وكنت أدخل عليه في بيته الذي كان يستريح فيه ويدخل إليه فيه الطلبة ومن له حاجة في سؤال، وكان في وسط البيت حصير ولا غير، وفي ناحية منه سجادة، وعليها حصير حلفاء، وفوق الحصير عباءة خشنة جدا كان ينام فيها» (المرجع نفسه، ص: 17). أيضا، أشار إلى فراشهم الذي كان عبارة عن اللحاف، كما ورد في ترجمة أبي عبد الله محمد التاودي: «أخبرني الشيخ أبو إسحاق المؤذن الخراز، أنه بات عنده أبو عبد الله التاودي، مع بعض الفقهاء، وكان ذلك في بعض ليالي الشتاء. قال أبو إسحاق: وغطينا عند النوم بلحاف كان لختني. قال: فلما أصبحنا، وخرجنا عن المنزل، أخذ اللحاف، وجعل على حائط...» (المرجع نفسه، ص:138-139). فبالوصف الدقيق، عمد التميمي الفاسي إلى إبلاغ المتلقي الحياة البسيطة التي اقتنع بها المتصوف دون تكلف، الأمر الذي نتبينه مما قيل عن أبي عمران موسى بن إبراهيم: «وكان يسكن في خيمة صغيرة من قصب ابتناها في رحبة الحوت تحت سقف من البروز الخارجة هناك» (المرجع السابق، ص: 176). وهذا لمثال واضح لاستنتاج مكونات البناء البسيط لمساكن الشيوخ المتصوفة التي اقتصرت على القصب. بالإضافة إلى ذلك كانوا يسكنون الجبال، وتلك عادة غالبيته تجنبا لمخالطة العامة والابتعاد عنهم، وتركيزا منهم في التعبد والإخلاص لوجه الله تعالى، وهذا ما يبدو من خلال ترجمة «عيسى السائح. يكنى أبا موسى، الشيخ الصالح، الولي العابد. كان يسكن الجبال، لا يأوي إلى عمارة إلا في شهر رمضان» (المرجع نفسه، ص: 209).

كثيرا ما كان الشيوخ المتصوفة الذين لا مأوى لهم يسكنون المساجد، مثلما جاء عن أبي العباس أحمد الخشاب الذي قال: «كنت في بداية إقامتي بفاس ليس لي مأوى إلا في جامع عدوة الأندلس...فأتيت الجامع. فقلت: قد يأتي من يطلبني، فيجدني في الجامع، لأنه عرف أني آوي إليه.» (المرجع نفسه، ص:48).

هكذا كان مسكن وفراش الشيوخ المتصوفة، مكتفيين بالبسيط والقليل، يفترشون الحصائر والعباءات الخشنة، ويسكنون المساجد أو خيام من قصب أو البيوت البسيطة أو الجبال البعيدة عن العامة، كيف لا وقد كان همهم التركيز على عبادة لله تعالى وحده، فالراحة والاطمئنان تكتسب بحسن التعبد والإخلاص في حب الله تعالى؛ وليس بما طاب من اللباس والفراش الذي سيلهيهم عن تحقيق الهدف المنشود.

9- حقل التداوي:

كثيرا ما كان العامة يتوسلون إلى الشيوخ المتصوفة من أجل التداوي، بعدما يعوزهم الشفاء ولو التمسوه من الطبيب لاعتقادهم في جدواه بما لهم من تصريف وكرامات، لذا نجد التميمي الفاسي قدم لنا حقلا خاصا، ارتبط بالتداوي بوسائل متنوعة كدعاء الرقية أو بالاستعانة بالأعشاب؛ الأمر الذي اكتشفناه من بعض السرود، والتي سنسوق منها بعض الأمثلة:

9-1 التداوي برقية الدعاء:

ورد في "المستفاد في مناقب العباد": «أخبرنا الشيخ أبو محمد، عبد الله ابن الفقيه الحاج أبي مروان، عبد الملك بن نموي، أنه كان لأبي محمد، عبد الله بن معلى، صاحب يسمى بحجاج. فضربته سكين في عينه الواحدة. وكان الحكيم ابن عمار يعالجها. فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينيك، فقد فسدت ولا تنتفع بها، قال حجاج: فانصرفت عنه وأنا باك، على فقد عيني، فلما قربت من مسجد ابن محمود – وهو بالقرب من حانوت ابن عمار – لقيت عبد الله بن معلى، فسألني عن حالي. فأعلمته بما ذكر الحكيم ابن عمار، فقال لي: اطلع بنا إلى المسجد حتى ننظر عينيك، قال: فصعدت إلى المسجد، فأخذ عيني ففتحها، ونظر إليها، ورقاها، ودعا لي، وقال: أرجو أن يعافيك الله. فانصرفت وأنا مسرور بدعائه. ولكن غلب علي قول الحكيم ابن عمار، فأتيت منزلي، وأعلمت أهلي بقول الحكيم، وبكيت وبكى من معي من الأهل، وارتفع عني الوجع الذي كنت أجده. ولكن بقيت خائفا من قول الحكيم. فلما جن الليل قال لي بعض أهلي: أرني نرى عينيك. ففتحها، فأبصرت البيت وأبصرت أهلي، فقلت لهم: نرى كذا وكذا، وأعلمتهم بدعاء الشيخ أبي محمد. ففرح أهلي بذلك وأصبحت وقد أبصرت.» (المرجع السابق،

ص:74-75)، فمن خلال ما حكي، يتضح لنا جليا دور الشيخ المتصوف في تحقيق التشافي بفضل كرامة الدعاء مقابل التداوي بطب الأطباء الذين عجزوا عن تحقيقه.

2-9 التداوي برقية الزيت أو الأعشاب:

لقد كان التداوي بالرقية مطلبا شائعا في تلك الحقبة، إيمانا من التبعية بفضل دعاء الشيوخ المتصوفة في ذلك، نظرا لمرتبتهم الدينية والعلمية. ونجد الأمر بائنا كذلك من خلال ما ورد في ترجمة أبي يعزى يلنور: «...فرأيت فيهم من جاءه بإناء فيه زيت يرقيه له، ففعل، ومنهم من سأله عقد خيط، ففعل ذلك لجماعة. ثم جاء بعضهم بعشب من أعشاب الأرض يرقيها له، ففعل. ثم أخذ بعضهم من الطعام بقية فسأله أن يرقيها له، ففعل...» (المرجع نفسه، ص: 38).

كذلك ما ورد في الترجمة نفسها عن أحد المرضى الذي أصيب بقرحة: «ورأيت في بيته رجلا قد أخذته في وجهه أكلة – عافانا الله من ذلك– وذهبت بأحد خديه، فسألته عن حاله، فقال لي: إنه لما أصابني ما ترى، دللت على الشيخ، فأتيت إليه، ولي عنده مدة يرقيني في غداة كل يوم، ويمضغ ورق الزيتون ويتفل ذلك على موضع العلة، فلقد توقفت زيادة العلة، وأرجو إن شاء الله العافية.» (المرجع نفسه، ص:39). يتضح إذن أن الشيوخ كانوا يستعينون في التداوي برقية الدعاء أو بورق الزيتون أو الزيت أو الأعشاب، إيمانا منهم بتقديم الخدمة الاجتماعية لأبناء مجتمعهم، ومساعدة المتضررين والمحبطين من أجل تجاوز المصاب، والذين يلتجئون إليهم بعدما يعجزون عن تحقيق التعافي من الأطباء، وهذا إنما يدل على ترسيخ التبجيل والتقدير الذي منح لهم.

3-9 التداوي بالتمائم:

إلى جانب هذا وذاك نجد التداوي بالتمائم؛ والتي اتخذها الشيوخ المتصوفة وسيلة أخرى، علّها تسهم في التخلص من أمراض أو أوجاع التابعين خاصة أوجاع الطلق. وهذا ما استقيناه مما ورد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن معبد عن قصة طلق الحامل التي لم تتحمل الألم، إذ يقول: «...ثم كتب لي أبو العباس "براءة" وقال لي: قل لها تعلقها على وركيها. قالت: فلما فعلت ذلك وضعت الجنين في الحال» (المرجع السابق، ص: 137). هذا دون أن ننسى التداوي بفضل كرامة الولي، والذي كان بائنا ولو بمصاحبته؛ الأمر الذي اكتشفناه من خلال ما ورد في ترجمة أبي العباس بن رُشيد الذي تعذرت رجله بسبب المشي «فلما كان

العشي، قالت له (الولية) قم خذ في المشي. فقال: فقمت أمشي وليس برجلي ألم مما كنت أجد. فمشيت معها إلى مكة مشيا رفيقا...» (المرجع نفسه، ص: 120).

هكذا كان حقل التداوي المستفاد من " *المستفاد في مناقب العباد*" والذي رجته التبعية من الشيوخ المتصوفة، والمقتصر على الرقية بالدعاء والأعشاب وتعليق التمائم، لالتماس بركتهم التي نالوها من الله تعالى، فكانت لهم المعين على تحقيق التشافي، والذي عجز الطب عن تحقيقه أحيانا.

10- *حقل العمل*:

من عادة العباد المتصوفة الانزواء والانقطاع لعبادة الله تعالى بعيدا عن عامة الناس، وعما يشغلهم في الدنيا الفانية عن تحقيق الرضا الرباني وبلوغ درجات التصوف المضنية، غير أن هذا الفعل المقدس لم يمنع البعض منهم من الاشتغال ببعض الحرف والأعمال التي استعانوا بها على كسب قوتهم اليومي والتخفيف من إعالة أسرهم، كأنشطة موازية لتحقيق ما هو اقتصادي دون أن تضر بتوجههم الديني، وهذا ما سنقف عليه من خلال الأمثلة التالية:

10-1 في الحرف:

من الأمثلة على الحرف والأعمال التي كانت سائدة في ذاك العصر، والتي احترفها الشيوخ المتصوفة، وكان يعتمد في صناعتها على مواد طبيعية متوفرة في بيئتهم، ما ورد عن الشيخ أبي الربيع سليمان الذي «كان يعمل المراوح من العزف ويتقوت من ثمنها على قلته» (المرجع السابق، ص: 176).

وأيضا ما قيل عن الشيخ ابن شبة: «الرجل الصالح. كان ذا أوصاف جميلة، بلغ من العبادة مبلغا عظيما حتى صار كالشن البالي، وكان يتحرف بصناعة الخزازة ويتقوت منها» (المرجع نفسه:194). يتضح من خلال ما ورد، أن الشيوخ المتصوفة كانوا يزاولون أنشطة تجارية، يحققون من خلالها ما يعينهم على متطلبات الحياة، حتى لا يبقوا عالة على مجتمعهم، بل ساهموا بأعمالهم هاته بتقديم الدعم للتابعين.

10-2 في التجارة:

أما فيما يخص التجارة؛ فما عرف عن بعض الشيوخ المتصوفة بيع المواد الطبيعية المتوفرة في بيئتهم كالسمن، والذي ورد في الترجمة ذاتها من خلال الحديث عما وقع للشيخ مع السمان الذي ابتاع منه السمن مقابل رهن غزل زوجته (انظر المرجع نفسه، ص: 191). كما كان منهم من يهتم ببيع الملح، الشيء الذي استقيناه مما ورد في ترجمة أبي القاسم الملاح الذي: «كان يبيع الملح بالقرب من منزل سكناه

بالأرض دون حانوت...(و) أن رأس ماله ستة دراهم؛ يؤدي منها الكراء في الموضع الذي يسكنه مع أهله، وينفق على عياله وعلى ابنة له، ويتصدق. كل ذلك من فضل الله. ومع هذا كان أنزه الناس نفسا، صابرا على القلة، مقبلا على ما يعنيه، طيب النفس بحاله» (المرجع نفسه، ص:64).

فكذلك كان منهم من يبيع العسل مثلما ورد عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن كانون: «وقال لي الشيخ أبو الحسن: كان أبو إسحاق لا يحرث ولا يحصد، ولا يشتغل بشيء، إنما كان قوته ومؤونته من نحل كانت عنده؛ يبيع ما يفتح الله فيها من عسل، ويدبر من ذلك عيشه» (المرجع نفسه، ص:124).

فاعتماد الشيوخ المتصوفة على مثل هذه الحرف والبيع والشراء فيما تيسر من المؤهلات الطبيعية المحلية للبلاد، إنما كان لكسب القوت وإعالة أسرهم خير من أن يبقوا عالة على مجتمعهم الذي كان يتخبط في أزمات اقتصادية كان لها الأثر البين على مدى نهضته وتقدمه.

10-3 في الفلاحة:

إلى جانب التجارة، كان من بين الشيوخ المتصوفة من يعمل في الفلاحة، والتي تم ذكرها في ترجمة حجاج بن يوسف الكندري، حينما دار حوار بين حجاج بن يوسف وأبي يعقوب وولده، من خلال المقطع التالي: «فقلت لولده: أدخل نزبر معه. فدخلنا فزبرنا. فلما فرغنا، قال: لكل أجير أجرة. قال: نعم...» (المرجع السابق، ص: 116).

أيضا، وجدنا البعض منهم من اهتم بالعمل في الحصاد كما قيل عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمان الخراز «فإذا جاء الصيف خرج للحصاد؛ يحصد بيده عند من يرضى حاله، ولا يأخذ زائدا على إجارته المعلومة، فيتقوت بذلك، ويتفرغ لعبادة مولاه، والتلذذ به في الخلوة ومناجاته.» (المرجع نفسه، ص: 136).

10-4 في طحن الطحين:

من بين الشيوخ المتصوفة من كان يعمل بطحن الحبوب؛ والذي كان من بين الأعمال التي لا يستحبها البعض في المتصوف، كما ورد فيما حكاه التميمي الفاسي عن الشيخ أبي العباس أحمد الأريني: «وجلست معه يوما في الحرم ومعه بعض أهل فاس، ممن كان أيضا عاملا، فقال له ذلك الرجل: يا هذا! قد أدخلت معرة على أهل فاس. قال له: بماذا؟ قال له: إذا جاء أحد يسأل عنك يقال له: تراه في اسطوان الدار الفلاني يطحن، لأنه كان لا يعيش إلا من الطحين؛ يطحن للناس بالإجارة، لا غير ذلك.» (المرجع نفسه، ص: 84).

10-5 في الأستاذية:

إذا كانت الأعمال والحرف ارتبطت غالبا بما هو متوفر في بيئة الشيوخ المتصوفة نجد منهم من امتهن الأستاذية، وكان أمرا طبيعيا ما دام مسارهم الصوفي ينبني على العلم للوصول إلى حقيقة الوجود والتقرب إلى الله تعالى، ومساهمة منهم في بناء مجتمع متعلم ينأى عن الجهل الذي يؤدي إلى الشرك والظلمة وتقهقر المجتمع، وهذا ما تبين من خلال حديث التميمي الفاسي عن سيرة الشيخ أبي العباس أحمد بن لب السلاوي، والذي قال عنه: «كان رحمه الله تعالى من أهل الزهد والتقلل في الدنيا. صحبته مدة، وكان أستاذا في النحو، يقرئه الناس، ويقبل الإجارة على ذلك ممن أعطاه من غير مسألة» (المرجع نفسه، ص:144).

أيضا، كان منهم من اشتغل بتدريس الكمياء؛ مثلما ورد عن الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم الذي أتاه فقيه من المشرق ليتعلم منه الكمياء: «... فقام الرجل المشرقي ومشى إلى الفقيه، وسلم عليه، وقبله برأسه ويديه. فنظر إليه وتفرس فيه، فقال له: أنت رجل حلال. فقال له: نعم. فقال: بأي شيء أردت أن تتحلل عليه؟ فقال له: بعمل الكمياء. فقال ابن عبود: كم نويت أن تعطيه في ضيافته؟ فقال: عشرة دنانير. قال له: أضعفها له، ففعل ذلك، وأعطاها له، وانصرف الرجل بعد اعترافه على نفسه بما تفرس فيه الفقيه» (المرجع السابق، ص: 20).

10-6 في القضاء:

بما أن الشيوخ المتصوفة اهتموا بالعلم والانكباب على طلب التفقه في الدين حتى أدركوا المراتب العليا، الأمر الذي ساهم في تقديرهم وتبجيلهم، انكبوا على تعليم وتدريس أبناء مجتمعهم كمهنة أساسية حتّمها الواقع، كما اهتم البعض منهم بالقضاء للنظر في قضايا التابعين، والفصل بينهم فيما أشكل بينهم؛ كالشيخ أبي محمد عبد الله بن محسود الهواري، إذ «كان قاضيا بها (فاس) على سنن قضاة العدل والفضل» (المرجع نفسه، ص: 191).

10-7 في النساخة:

فمن الشيوخ المتصوفة من عكف على النسخ، وهو ما جاء عن أبي عامر الناسخ، والذي قيل عنه: «وكان عابدا فاضلا حسن الخلق، متقشفا متقللا من الدنيا. كان يتقوت من نسخه» *(المرجع نفسه، ص: 146-147)*.

هكذا تنوع حقل العمل المستفاد من "*المستفاد في مناقب العباد*" والذي اختلف من عابد لآخر، وتنوع ما بين العمل في الحقول أو طحن الحبوب أو بيع السمن أو بيع الملح، أو الاشتغال بتعليم الصبيان آداب اللغة كالنحو والعلوم خاصة الكمياء أو امتهان القضاء، وقد كانت حرفا ومهنا ذات نفس اجتماعي خلقت ونمت في مجتمعهم، تقارب بشكل واضح وسطهم المعيش، غير أنه من الملاحظ، ابتعادهم عما تعلق بالسياسية، حيث تبرؤوا منها وتركوها للحكام الموحدين وجهازهم السلطوي.

11- *حقل الميراث والتركة:*

من المسائل التي تم طرحها بين ثنايا "*المستفاد في مناقب العباد*"، والتي شكلت حقلا دلاليا إضافيا: الميراث والتركة، وهي من المسائل الطبيعية التي ناقشها الشيوخ المتصوفة من خلال ما ورثه البعض منهم، وما اعترضهم بخصوصه، كما حدث في المحكي التالي من ترجمة أبي الربيع سليمان بن عبد الرحمان؛ إذ قال فيه: «...لما مات والد زوجتي، ووصلت تركته إلى مدينة فاس من بلا د السودان. وجاءنا في تركته صرة تبر عليها مكتوب:" الفقيه أبو الربيع"، فوصلنا بها إليه، وقيل له: وجدنا هذه الصرة في تركة فلان...» (*المرجع السابق، ص: 166-167*).

كذلك ما ورد في ترجمة الشيخ أبي القاسم عبد الرحمان الأصولي؛ إذ «قال الفقيه أبو محمد القاسم: ولما توفي ابن عمي ترك زوجته، وكنت أنا وأخي عاصبيه، فادعت زوجته أنها حامل، وأقامت أشهرا، ومنعتنا من الميراث، وتبدد أكثر التركة. فرأيت الفقيه المذكور في المنام، فقال لي: لا تخف، ينفش الحمل، وتأخذ حظك من التركة. فكان كما قال.» (*المرجع نفسه، ص: 207*).

أيضا ما ورد في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم التي جاء فيها أنه: «لما توفي والده، رحمه الله، ورثه هو والفقيه أبو القاسم المذكور، وأنهما اتفقا على قسمة التركة المذكورة ورثاها عن أبيهما، رحمه الله...» (*المرجع نفسه، ص: 17*).

12- حقل الزكاة:

تعد الزكاة ركنا من أركان الدين الإسلامي، يرجى من خلالها تحقيق التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الإسلامي، لذا نجد الشيوخ المتصوفة حريصين على تطبيق دفعها، إيمانا منهم في مساعدة أفراد مجتمعهم، وخلق روح التضامن فيما بينهم، فتمت الإشارة إليها في بعض المحكيات؛ كالتي تم تناولها في ترجمة أبي حفص الهسكوري؛ إذ قيل فيها: «...مررت به يوما في المسجد الجامع بعد صلاة العصر، فإذا بالشيخ أبي حفص

وحده، وكان عندي شيء من الزكاة، فقلت في نفسي" لعله يأخذها مني، فسلمت عليه، وأخذت الدراهم ووضعتها بين يديه، وقلت له: هذه من مال الله، فخذها، فنظر إلي، ثم مد يده وأخذ منها درهما واحدا، فعزمت عليه أن يأخذ أكثر من ذلك، فامتنع من ذلك» (*المرجع نفسه، ص: 66*).

أيضا ما ورد في ترجمة الشيخ أبي القاسم عبد الرحمان الملاح؛ والتي قال فيها التميمي الفاسي: «كنت معه يوما جالسا بموضع قعوده للبيع إذ أرسل فيه بعض التجار من جيرانه، فقام إليه، ثم عاد ومعه جملة دراهم، فقال لي: هذا الرجل جاري. إذا حضرته زكاة ماله دفعها إلي، ويقول لي: فرقها على مستحقيها» (*المرجع السابق، ص: 64*).

هكذا تم استنباط المعجم الدلالي لحقل الزكاة من *"المستفاد في مناقب العباد"*، والذي استقينا منه عفاف الشيوخ في أخذ الزكاة رغم حاجتهم إليها، وتوزيعها على المحتاجين من التابعين، فبعملهم هذا كانوا يرومون تحقيق التكافل الاجتماعي على اعتبار أنهم حملوا على عاتقهم توجيه مجتمعهم والنهوض به لتخطي الأزمات التي مسته إبان العصر الموحدي.

13- حقل الموعظة:

قام مسلك الشيوخ المتصوفة على الأخذ والتمسك بالتعاليم الدينية، لتحقيق الارتباط الدائم بالله تعالى ونيل مرضاته، لذا حرصوا على الأخذ بالمبادئ التي تقوم عليها ومن بينها الموعظة والنصيحة، حتى تكون نبراسا ينير الطريق لكل عابد سالك، كما التمسوا نهج تقديمهما للتابعين حتى يأخذوا بها للتخلص من رعونات الدنيا ومتاعبها وضوائقها، علّهم يغيروا عقلية ونفوس الناس الحائرة المتعبة؛ باعتبارهم رجالا تشربوا معاني الدين الإسلامي وراكموا التجارب عبر مسيرة حافلة، وواجهوا الصعاب والمحن بحسن التدبر ورجاحة العقل، الأمر الذي تم تأكيده من خلال ما جاء في ترجمة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم ابن يغمر إذ: «قال محمد: وصلت إليه يوما زائرا، فوجدته خاليا فسلمت عليه وقلت له: أوصيني يا سيدي. فقال لي: يا محمد! العمر ثلاث ساعات: فساعة مضت عنك، لا تنجبر، وساعة تنتظرها، لا تعلم هل تدركها، والساعة التي أنت فيها، فاحفظها، واعمرها بالطاعات تربحها» (المرجع نفسه، ص: 100). فالعمر عند الشيخ ثلاث ساعات: الأولى فاتت ولا يمكن إدراك إصلاحها، والثانية ننتظرها مستقبلا دون علم إدراكها، وأما الثالثة فهي التي نعيشها في الحاضر وعلينا الحفاظ عليها بفعل الطاعات. وهذه حتما نصائح لا يجود بها إلا من راكم التجارب وسلك الطريق الحق طويلا إلى الله تعالى بالعلم والمثابرة والجد والإخلاص.

كذلك ما ورد في ترجمة الشيخ أبي موسى عيسى ابن الحداد عن الموعظة التي كتبها: «الحسن بن أبي الحسن، إلى رجل من الزهاد كان مجاورا بمكة، وأراد الخروج منها رسالة، قائلا فيها: " فيا عجبا من عقلك وأدبك! إذ نويت ذلك بعد إذ جعلك الله من أهله، ولو حمدت الله على ما أولاك من حرمه وأمنه، إذ صيرك الله من أهله، كان الواجب عليك شكره أبدا ما بقيت، ولكنت في عبادة الله أضعافا عما كنت. فإياك وإياك والظعن منها» (المرجع السابق، ص: 110). فالشيخ استفتح الموعظة بالتعجب من تصرف الرجل مخبرا إياه أنه من الأجدر حمد الله على كل النعم التي حباه بها حتى جعله من أهله، محذرا إياه من السقوط في الضغينة.

من بين ما صادفنا أيضا في هذا الباب من أقوال شيوخ "*المستفاد في مناقب العباد*" الوعظية صياغتها في قصيدة شعرية على لسان أحدهم، علّها تكون أقرب وقعا في النفوس والأذهان لتحقيق المراد: (الخفيف)

«الزم الحزن والبكا والعويلا وابك يا نفس ثم نوحي طويلا
أسفا منك وانتحابا على ما أسلفته يداك فعلا وقـــيلا
من ذنوب كثيرة موبقات صيرت ناظر اليقين كليلا» (*المرجع نفسه، ص: 60*)

أيضا ما ورد في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن حامد الفاسي عن الرجل الذي طلب من الشيخ الموعظة، فقال له منشدا:

«ما قر لي جنب على مضجع كم يلبث الجنب على الجمر
سألته الإنصاف في حـــبه فأخـــر الأمر إلى الحشر
والله لا زلت له عاشـــــقا أذكره ما عشت في الدهر» *(المرجع نفسه، ص: 200)*

يتضح إذن، أن الموعظة كانت من المشاغل التي أولاها الشيوخ المتصوفة عناية من أجل مساعدة الناس وتوجيههم نحو الصواب دينا ودنيا.

14- *حقل الرثاء*:

شغل الرثاء نصيبا من "*المستفاد في مناقب العباد*"، بكاء على الشيوخ الذين تركوا بصمات واضحة في مجال التصوف، وما عرف عنهم من معاملات مع الله ومع العباد، والتي قامت على المبادئ والتعاليم الدينية،

ولعلنا نستشهد في هذا المقام بما ورد عن رثاء الأستاذ أبي عبد الله محمد الجراوي للشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم بمرثية عنه أنشدها التميمي الفاسي: (الوافر)

«ألا من للقياس على الأصول وترتيب المقاصد والفصول
ألا من لاحتياج بالدليل من القرآن أو لفظ الرسول
ومن ذا يبتغي تأويل رؤيا تحاماها أخو الذهن الصقيل
ألا يا طالبين العلم نوحوا فما لكم إليه من سبيل
فعنصره أبو الحسن المعلى تعذر منه تبريد الغليل
أتت لوفاته أرسال ربي بحظ من كرامته جزيل
فيالك من سراج غيبته عن الأبصار لمحة عزرائيل
فمات بموته فهم المعاني وآذنت الغواية بالنزول
وهد به من الإسلام ركن ثبات للعواصف والسيول
وبدر الدين بادره أفول وليس بطالع بعد الأفول
حكى البصري في ورع وزهد وفي الإخلاص والصبر الجميل
مخافته الرّيا والشر يُبدي ويُخفي الخير حرصا في القبول
ولكن شرُّه البادي صلاح يلوح لكل ذي فهم نبيل» (*المرجع السابق، ص: 27- 28*)

حقل الدعاء:

يفيد الدعاء التوجه إلى الله فيما يحتاجه العبد لإصلاح دينه ودنياه، يقول تعالى: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» (سورة البقرة، الآية: 186). ويعد بريق الأمل الذي ينشده الشيوخ المتصوفة في تقوية أواصر العلاقة الإلهية، ضمانا لاستمرار الحياة الدينية التي تقوم على الإخلاص في العمل بغية تحقيق الأمل المنشود من الله تعالى، والذي يتجلى في الحصول على الرضا والعطف الإلهي، حتى يشعروا بمنزلة التقرب منه تعالى. كما يعد صلة وصل بينهم وبين العباد الذين يلتمسون منهم البركة من أجل تخطي المعيقات التي تعوزهم في تحقيق التعايش الآمن والهادئ في المجتمع. وسرود *"المستفاد في مناقب العباد"* لا تخلو منه، حيث دار محور مسيرة الشيوخ

المتصوفة في فلك الدعاء، لذا نجده قد بسط على شكلين، أحدهما يتمثل في دعاء الشيوخ المتصوفة المقصود إلى الله تعالى، وثانيهما دعاء التابعين الموجه إليهم، على اعتبارهم الواسطة المستجابة الدعاء والتي تنوب عنهم في التوجه إلى الله تعالى، مع الإيمان الراسخ بالاستجابة.

15-1 دعاء الشيوخ الله تعالى:

ظل الدعاء البغية المنشودة لعباد مدينة فاس وما ولاها من البلاد في نيل الكرامة والحظوة بالحب والعطف الإلهي، يتضرعون في تودد إلى الله تعالى، ملتمسين الطريق إليه بالتعبد والانزواء عن الناس، والتقشف في الملبس والمأكل، وقد وردت أمثلة كثيرة في هذا الباب، نذكر منها ما ورد في ترجمة أبي عمران موسى ابن تاندلست، الذي رغب في الحصول على كرامة، ونصحه بعض الصالحين بالصيام بمكة أربعة أسابيع، ويفطر كل ليلة على ماء زمزم، ولابد أن يحظى بكرامة، ففعل وحصل على المراد، ليختم بقوله بالدعاء: «دعوت الله تعالى أن يرزقني ولدا ذكرا، فرزقه الله تعالى ذلك على كبر سنه، وإياسه من الولد.» (*المرجع السابق، ص: 148*).

نظرا لارتباط الشيوخ المتصوفة بفضاءين أساسين، ألا وهما فاس وما ولاها من البلاد، ومكة المكرمة، اقترن ذكرهما بالدعاء من أجل أن يحفظهما الله من كل مكروه، وذلك بتكرار العبارة: (حرسها الله) كلما تمت الإشارة إليهما.

15-2- دعاء الشيوخ للعباد:

15-2-1 دعاء بالخير

كثيرا ما صورت سرود "*المستفاد في مناقب العباد*" جوانب من الدعاء الذي يلتمسه العباد من كرامة الشيوخ المتصوفة، إيمانا منهم في تخطي ما يعوزهم سواء أكان ماديا أو معنويا، ولعلنا استقينا صور سابقة في هذا الباب، وأحيانا يتم بعث الأطفال إليهم لبركة دعائهم قصد التفقه في الدين وحتى يباركوا مسيرتهم مثلما «حكي عن أبي عبد الله بن الفقيه أبي القاسم بن عبد الرحمان ابن حرزهم، عن أبيه القاسم، أنه قال: أرسلني أبي مع أخي، أبي الحسن علي للفقيه أبي بكر، بن عثمان بن مالك، ليدعو لنا. فوصلنا إليه في مسجد زقاق الماء من عدوة القرويين، فوجدناه قاعدا في مجلسه يدرس. فقعدنا حتى فرغ من تدريسه، ثم قمنا إليه وقبلنا يده، فقال لنا: من أنتما؟ فقلنا: ابنا إسماعيل بن حرزهم، وجهنا إليك والدنا لبركة دعائك. فقال: ومثل إسماعيل ابن حرزهم يرسل إلي في الدعاء؟ فقلنا له: ادع لنا. فوضع يده اليمنى على

رأس أخي، ووضع يده اليسرى على رأسي، ودعا، فكان من دعائه أن قال: فقهكما الله تعالى في الدين، وعلمكما التأويل.» (*المرجع نفسه، ص: 212-213*).

من الدعاء الذي استقيناه أيضا للخروج من مآزق اجتماعية معيقة كالتي بنيت بين السلطة وأفراد المجتمع وما نتج عنها من تسلط وتجبر، كف الله تعالى عمن يؤذي؛ ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمة الشيخ أبي الربيع سليمان بن عبد الرحمان الذي «جاءه بعض الفقهاء من أصحابه، فقال له: فلان من أصحابنا؛ بغي عليه وسجن، ويخاف من الباغي عليه، أن يضربه. فقال لهم الفقيه أبو الربيع: الله يكفي شره، ويأخذ من بغى عليه. قال أبو علي: فلم يأت على الباغي إلا نحو ثلاثة أيام حتى توفي من غير مرض ولا حدث عليه» (*المرجع السابق، ص: 167*)، أو كما ورد في ترجمة أبي محمد عبد الله بن معلى في المحكي الذي حكي عن الرجل الأسمر الذي طلب من الشيخ الدعاء له قائلا: «...قال أبو محمد: من أين أنت؟ قال لي: من تونس، ولي خمسة عشر عاما أسيح في الأرض. فقلت: ادع الله لي، فدعا بثلاث دعوات، واحده: (كفاك الله من يؤذيك). فلما وصلنا مدينة تلمسان، دخلنا الحمام. فبينما أنا في الحمام مع جماعة، إذ أغلق بابه، وأخرج جميع من فيه، وضرب كل واحد منهم بالسوط. فلما وصلت النوية إليّ، قال الذي تولى أمرهم: أطلقوا هذا. وعافاني الله من ذلك بدعاء ذلك الرجل» (*المرجع السابق، ص: 72-73* . أو كالدعاء الذي تم التماسه من الشيخ كي لا يتم تسجيل ابن أحدهم في العسكر في إطار التجنيد الإجباري خدمة للسلطة الموحدية (*انظر المرجع نفسه، ص: 128*).

2-2-15 دعاء بالشر:

من مظاهر دعاء بعض الشيوخ المتصوفة على العباد بالشر، ونادرا ما صادفنا مثالا على ذلك مثلما ورد في ترجمة الشيخ تصالي الفقيه: «حكي أنه كان جالسا مع صاحبه أبي الحسن الصنهاجي في العرصة التي لابن خرباش بخارج باب إصليتن، إذ جاء صبي فوقف فوق الجرف، وجعل برميهما بالحجارة، وكان ذلك من عادته بهما، فقال له أبو الحسن: سر عنا يا صبي! أو فيبتليك الله بوقعة من ذلك الجرف، فقال له الشيخ تصالي: لا تفعل، الله ينجيه. فما تم كلامهما حتى سقط الصبي» (*المرجع نفسه، ص: 196*)

أيضا ما ورد في الخبر التالي الذي قيل فيه: «أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد، قاسم بن علي، عن حجاج المعلم، أنه قال له: ما ضرّني في أولادي إلا دعاء الشيخ مفرج، فإني كنت كثير السفر، فقال لي: أبو الخليل: ما أظنك تسافر إلا لأجل أولادك، الله يريحك منهم. فماتوا بعد ذلك» (*المرجع نفسه، ص: 61*). كما

ورد عن أبي الحسن الغزي أنه «دعا على رجل – وكان يسكن في قرية – فاحترقت القرية. وكذلك دعا لامرأة كانت مقعدة فوقفت» *(انظر المرجع السابق، ص: 92)*.

إضافة إلى ما ورد في ترجمة أبي عمران موسى ابن تاندلست عن الدعاء التالي الذي دار في حوار بين شيخين: «لا سقاك الله! فقال لي: ولا أنت، لا سقاك الله! ثم خرجت، ثم ندمت على قولي، فرجعت أعتذر إليه، فقال لي: نحن ممن لا ندعو على أحد» (المرجع نفسه، ص: 150). فالقول الأخير يدل على أن الشيوخ المتصوفة لا يدعون بالشر، خوفا من إلحاق الأذى ببعضهم البعض.

فحقل الدعاء شغل مساحة مهمة في "المستفاد في مناقب العباد"، ارتباطا بطبيعة التوجه الديني والاجتماعي الذي سرى على نهجه الشيوخ المتصوفة، فكان مثارا في العديد من المحكيات، خاصة تلك التي أبانت عن تودهم إلى الله تعالى قصد بلوغ المراقي المنشودة من العباد، أو توسل العامة إليهم لقضاء أغراضهم.

15- حقل المدح:

المدح أسلوب يستخدم لاستحباب الشيء، وأفعال المدح هي: نعم، حبذا. وغالبا ما ركبه التميمي الفاسي في التقديم لمترجميه، للكشف عن مناقبهم وخصالهم الحميدة في استرسال، والتي تظل رجاءه في الاستفادة منها واتباعها، وهذا ما تبيناه من عتبة الكتاب.

لعل المقدمة الاستهلالية التي نهجها التميمي الفاسي في التقديم لمترجميه مليئة بعبارات المدح والثناء، بل نجده يسترسل فيه أحيانا دون عطف والأمثلة كثيرة. وسنقتصر على المثال التالي عن الشيخ أبي عمران موسى الطراز، الذي: «كان عابدا متبتلا صواما قواما قليل الكلام، متصونا في خدمته في نهاره، قائما ليله» (المرجع نفسه، ص: 174)؛ إذ نجده يصبغ عل الشيخ أوصافا كثيرة بغرض مدحه، مستعينا بالاسترسال في ذكر خصاله الحميدة، وما تميز به من مواصفات كشيخ متصوف.

بدا هذا الحقل مثارا بشكل لافت للنظر من خلال ما روي عن الشيوخ المتصوفة من صفات وردود أفعال وأقوال حيال بعض المواقف التي اعترضتهم، أو من خلال ما اعترض أفراد مجتمعهم متصرفين فيها بما أوتوا من خصال حميدة وحكم رصينة.

16- حقل النقود:

لقد نقل "*المستفاد في مناقب العباد*" صورا من المعاملات التجارية التي سادت مجتمع شيوخه، وغالبا ما كانت القطع النقدية الحاضرة في معاملات البيع والشراء الدرهم والخروبة، وهو ما استقيناه مما ورد في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد الأندلسي، إذ قيل فيها: «أخبرني أبو عبد الله، محمد السدراتي- وكان يخدمه – قال: أعطاني: يوما درهما وقال لي: اشتر منه شابلا واطبخه، لعلي آكل منه، لأني اشتهيته. قال: فاشتريت له شابلا وما يصلح له، وبقي من الدرهم خروبة فاشتريت بها نصف قرصة» (المرجع السابق، ص: 126)

في أحيان أخرى كان لا يُفصح عن القطعة النقدية التي يتم التعامل بها في البيع والشراء، كالإشارة إليها بالقطعة كما ورد في الخبر التالي: «أخبرني أبو العباس المذكور، أنه جاء للفقيه ضيف، فبعثني وأعطاني قطعة، وقال لي: اشتر بها لحما لعشاء الضيف...» (*المرجع نفسه، ص: 98*)

فحقل النقود إذن، عرف تنوعا ماب ين الدرهم والخروبة والقطعة الشيء الذي كشف عن العملة النقدية التي تعامل بها المغاربة في عصر الموحدين.

جملة القول، ألفينا في "المستفاد في مناقب العباد" حقولا متنوعة، ارتبطت بالمسار الديني للشيوخ المتصوفة، والذي ينافح النص الديني من قرآن وسنة. فانجلت من خلال حقل الطبيعة، الذي ارتبط بالوديان والجبال والجنان والصحراء، والتي غالبا ما كانت تستهويهم كفضاءات طبيعية إلى جانب الزوايا والرباطات لممارسة اعتكافاهم. وكذلك حقل العَمل حيث تم استنباط مجموعة من الأعمال والمهن التي مارسوها كالفلاحة والتجارة من قبيل بيع الملح ومراوح العزف والعسل، وطحن الطحين والتدريس الذي ارتبط بالفقه والنحو والكمياء، وكذا امتهان النساخة والقضاء، إضافة إلى حقل التداوي بالدعاء والتمائم والرقية بالزيت أو الأعشاب. وأيضا حقل الموعظة إذ شكل حقلا ماتعا لكونه يمتح من التوجه الديني والاجتماعي لهم، هذا بالإضافة إلى حقل الأكل إذ أمكننا الوقوف على أنواع منه كالمألوف من قبيل الثريد واللبن والتمر والعسل والسمك خاصة الشابل منه وأكل الغريب كأكل أوراق الدفلى والحشيش، حيث ارتكزت على البسيط لقهر النفس وإخضاعها لعبادة الله تعالى، دون أن ننسى حقل اللباس، والذي اقتصر أساسا على الصوف والبالي والمرقع، إلى جانب حقل المدح والرثاء تبيانا للمناقب التي تحلوا بها، وكذا حقلي الميراث والزكاة في المعاملات الاجتماعية، والنقود المستعملة في المعاملات التجارية.

تأسيسا على ما سبق، يمكننا القول: إن الحقل الدلالي الذي وظفه التميمي الفاسي في "المستفاد في مناقب العباد" عرف تنوعا واختلافا بحسب المواضيع والأحداث المثارة، فامتزج امتزاجا متناغما ليشكل

حقلا خاصا، كشف عن مجموعة من الجوانب والقضايا والخطابات المتوارية بين السرود، فالتصق بما هو ديني واجتماعي وجغرافي وسياسي واقتصادي وتعليمي، أمكننا بواسطته التعرف على الحياة التي عاشها الشيوخ المتصوفة في ذاك العصر من مناحي مختلفة؛ بالوقوف على سيرهم المتعددة والمتنوعة وما استقيناه من معاملاتهم الخاصة مع الله تعالى ومع العباد.

بيبليوغرافيا:

- سورة البقرة، الآية: 186.

- أرزازي محمد (2025/07/27)، صورة المرأة في الخطاب الصوفي – ابن عربي نموذجا .2025/08/01، http ://sufirfan.org

- البهبيقي أبو بكر (1996)، الزهد الكبير، تح عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط 3، ص:324.

- التميمي الفاسي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم (2002م)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ط1، ص:30- 115- 124- 199- 19- 117- 158- 56- 199- 104- 160- 53- 52- 29- 126- 144- 75- 168- 34- 35- 55- 56- 123- 116- 28 -29- 32- 136- 137- 118- 17- 144- 34-33- 33-79- 194- 56-55- 168- 16- -138 139- 176- 209- 48- 35-74- 39-38- 137- 120- 176- 194- 191- 64- 124- 116- 136- 84- 144- 20- 191- 146- 147- 166-167- 17-207- 66- 64- 100- 110- 60- 200- 27- 28- 186- 148- 212- 213- 167- 72- 73- 128- 196- 61- 92- 150- 174- 126- 98.

- السلمي أبو عبد الرحمان (1998) طبقات الصوفية، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، ص:143-144.

- عزوز أحمد (2002)، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، ص: 13.

- منصور إبراهيم محمد (1996)، الشعر والتصوف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص: 27.
- النبهاني يوسف بن إسماعيل (د. ت)، جامع كرامات الأولياء، تح عبد المطلب الأمين الزائدي، دار صادر، بيروت، ص:110.

Cultural criticism, concept and function, its characteristics, criticisms, Al-Ghadami as a model

MOHAMED EL BAGGAR
PhD student, Laboratory of Didactics, Languages, Media and Dramaturgy.
Faculty of Arts, Languages and Humanities, Ibn Tofail University, Kenitra, Kingdom of Morocco
simohamedelbaggar2022@gmail.com

Abstract:

Cultural criticism constituted a new path in the study of literary phenomena that accompanied postmodernism, and it came as an alternative to literary criticism, which was concerned only with the study of aesthetics in literary works, to study the implicit cultural patterns that hide behind literary and cultural discourses. It is a criticism that does not concern the study of literary criticism. Rather, it is a new approach that has its intellectual foundations and distinctive characteristics, in addition to its spread among scholars and researchers, leaving supporters among the West and the Arabs. Perhaps the most important view of this new cultural project in our Arab opinion is that we find Abd al-Ghadami in his book "The Cultural Criticism - A Reading in Arab Cultural Patterns" - which is one of the books in which al-Ghadami tried to expand his cultural project by revealing the implicit patterns in Arab culture. In this article, we will try to stand at the concept of cultural criticism, its function, then its characteristics, and its most prominent pioneers in the Arab and Western worlds, and then study the Al-Ghadami project as an applied model.

Keywords: Cultural criticism, hidden formatsK, Alghadami, Function.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

النقد الثقافي المفهوم والوظيفة، خصائصه، انتقاداته الغذامي نموذجا

محمد البكار

طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الديداكتيك واللغات والوسائط والدراماتورجيا.

كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية.

simohamedelbaggar2022@gmail.com

ملخص:

شكل النقد الثقافي مسارا جديدا في دراسة الظواهر الأدبية التي صاحبت ما بعد الحداثة، وقد جاء كبديل للنقد الأدبي الذي اهتم فقط بدراسة الجماليات في الأعمال الأدبية، ليهتم بدراسة الأنساق الثقافية المضمرة التي تتوارى خلف الخطابات الأدبية والثقافية، إنه نقد لا يعنى بدراسة النقد الأدبي، بل هو منهج جديد له أسسه الفكرية وخصائصه المميزة، بالإضافة إلى انتشاره بين الدارسين والباحثين مخلفا أنصارا بين الغرب والعرب. ولعل أهم منظر لهذا المشروع الثقافي الجديد في وطننا العربي نجد عبد الله الغذامي في كتابه "النقد الثقافي – قراءة في الأنساق العربية الثقافية – وهو يعد من الكتب التي حاول فيها الغذامي بسط مشروعه الثقافي بكشف ما يعتري الثقافة العربية من أنساق مضمرة. وسنحاول في هذا المقال الوقوف عند مفهوم النقد الثقافي، ووظيفته، ثم خصائصه، وأبرز رواده في العالمين العربي والغربي، ثم دراسة مشروع الغذامي كنموذج تطبيقي.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الأنساق المضمرة، الغذامي، الوظيفة.

مقدمة:

يعتبر النقد الثقافي من أهم التوجهات النقدية والمعرفية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد. فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة والنقد معا، من أجل بناء بديل منهجي جديد، يتجلى في المنهج الثقافي، الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة، والقيام بدراستها في سياقها الثقافي، والاجتماعي والسياسي والتاريخي، والمؤسساتي فهما وتفسيراً.

يهدف النقد الثقافي إلى كشف العيوب النسقية، التي توجد في الثقافة والسلوك، مبتعدا بذلك عن الخصائص الجمالية والفنية، فالنقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني، والجمالي، باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، أي غير معلنة، مخفية.

كما يعمل النقد الثقافي على ربط الأدب بسياقه الثقافي الغير المعلن، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص، والخطابات الجمالية، والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية.

ويعتبر الناقد عبد الله الغذامي من النقاد العرب الذين تبنوا النقد الثقافي، والاشتغال على آلياته ومبادئه في الثقافة العربية وتجلى ذلك من خلال كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" الذي طرح فكرة النقد الثقافي نظريا وتطبيقيا.

أولا: النقد الثقافي: المفهوم، الوظيفة، الخصائص

1.1 تعريف النقد الثقافي

عرف الدكتور عبد الله الغذامي النقد الثقافي قائلا: "والنقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام. ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء" (الغذامي, عبد الله، 2005، الصفحات 58-59)

إن ما يعيبه الغذامي على النقد الأدبي هو ارتباطه بالجمالي والمؤسساتي، ومن ثم ظل يدور في النسقية ولم يكشف عن تلك العيوب الموجودة في الخطاب، وهذا ما جعل الناقد مهتما فقط بما هو جمالي وبلاغي، في هذا الصدد يقول الغذامي: "وليس بعجيب أن الأوائل لم يستخدموا مصطلح (ناقد) استخداما تصنيفيا، ولم يتسم به أحد منهم. كما أن المتأخرين حينما اتخذوا هذا المسمى لم يعطوه بعدا نقديا متجاوزا للشرط الجمالي المؤسساتي، ومن ثم ظل الفعل النقدي يدور حول دوائره النسقية ولم يتجه إلى كشف عيوب الخطاب، بما في ذلك عيوب المؤسسة النقدية ذاتها ودورها في تنميط أفعال الاستقبال والتذوق والتأويل، وإخضاع فعل القراءة لشروط المؤسسة وأحكامها، وما كان جميلا في نظر الناقد القديم ظل جميلا لدى الناقد الحديث، وليس من فارق إلا من حيث وجوه معالجة ذلك الجميل واستخراج تأويلات مختلفة له" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 8).

وقد أعلن الغذامي موت النقد الأدبي مفسحا المجال للنقد الثقافي: "بما إن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه، وكان ذلك في تونس في ندوة عن الشعر عقدت في 1997/9/22، وكررت ذلك في مقالة في جريدة الحياة (أكتوبر 1998)" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 08).

وعلل الغذامي طرحه بقوله "وليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، وإنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة

في نقد الخطاب وكشف أنساقه، وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحي" (الغذامي ع.، 2005، صفحة 08).

وإذا انتقلنا إلى تعريف آخر فنجد الدكتور صلاح قنصوة يعرف النقد الثقافي: "النقد الثقافي مصطلح حديث جدا، ولم يقدر له الذيوع أخيرا إلا بمقدم المتغيرات والعوامل التي أدت إلى العولمة وما بعد الحداثة، فلا يعد نتيجة لهما بقدر ما هو شريك ينبع من نفس المصادر، وينتسب إلى ذات المناخ" (قنصوة, صلاح، 2007، صفحة 5).

أما الناقد العراقي محسن جاسم الموسوي، فيرى بأن "النقد الثقافي عبارة عن فاعلية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحضة من المساس به أو الخوض فيه، إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المبتذل والعادي والوضيع واليومي والسوقي بعدما تمهر كثيراً في قراءة النصوص المنتقاة والمنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب على مر العصور ..." (الموسوي, محسن جاسم;، 2005، صفحة 12).

خصائص النقد الثقافي:

ذهب عبد الله الغذامي إلى تحديد خصائص النقد الثقافي عند ليتش في ثلاث خصائص هي:

أ- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطابا أو ظاهرة.

ب-من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

ت-إن الذي يميز النقد الثقافي المابعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو، خاصة في مقولة ديريدا أن لا شيء خارج النص،

وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البرتوكول للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند بارت، وحفريات فوكو" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 32).

1.3 وظيفة النقد الثقافي

تأتي وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي (وليست في نقد الثقافة هكذا بإطلاق، أو مجرد دراستها ورصد تجلياتها وظواهرها)، وحينما نقول ذلك فإننا نعني أن لحظة هذا الفعل هي في عملية الاستهلاك، أي الاستقبال الجماهيري والقبول القرائي لخطاب ما، مما يجعله مستهلكا عموميا في حين أنه لا يتناسق مع ما نتصوره عن أنفسنا وعن وظيفتنا في الوجود " (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 82).

وقدم الغذامي مثالا لذلك حيث قال أن "الذي يؤمن أن المرأة ليست جسدا فحسب ولكنها أيضا عقل ووجدان، إلا أنه ومع حضور هذا المعتقد المعلن يظل هناك حس طروب يهش لأي نكتة أو خطاب يصور الجسد المؤنث على أنه معطي شبقي فحسب، تشير إلى ذلك الخطابات الشائعة في لغة الأفلام والأزياء وأغلفة المجلات والمعطى الإعلامي عموما، مما هو ليس من إنتاج الرجل وحده بل إن النساء أنفسهن يشاركن في إنتاج هذه الصورة واستهلاكها وتمثيلها والتجاوب معها" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 82).

2. الأسس الفكرية والفلسفية:

"إن مصطلح الدراسات الثقافية ليس مصطلحا جديدا، حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في عام 1971 في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية working papers in cultural studies والتي تناولت وسائل الإعلام Media والثقافة الشعبية popular cultural، والثقافات الدنيا sub culture والمسائل الإيديولوجية ideological matters، والأدب literature، وعلم العلامات semiotic، والمسائل المرتبطة بالجنوسة grnder releted issues،

والحركات الاجتماعية social movements، والحياة اليومية evrey day life، وموضوعات أخرى متنوعة" (أرثر ايزابرجر،، 2003، صفحة 31).

ومما جاء في كتاب تمارين في النقد الثقافي لصلاح قنصوة أن مصطلح الدراسات الثقافية ظهر عام 1971 عندما بدأ مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في برمنجهام في نشر صحيفة "أوراق عمل في الدراسات الثقافية" ولكنها لم تستمر طويلا. وهذا ما يؤكد على أن الإرهاصات الأولية للنقد الثقافي كانت بجامعة برمنجهام.

وهذا أيضا أكده الدكتور موسوي محسن جاسم في كتابه النظرية والنقد الثقافي " وظهر الاهتمام بالدراسات الثقافية، وبعدها بالنقد الثقافي، مزامنا للتغيرات التي نقرنها بما بعد البنيوية، وما بعد الحداثة، ولم يكن الاهتمام محض (موضة)، فله أسبابه وبواعثه وانشغالته" (الموسوي, محسن جاسم;، 2005، صفحة 10).

3: نظرة تاريخية على تطور النقد الثقافي

3.1 أتباع النقد الثقافي في العالم الغربي

وإذا حاولنا إلقاء نظرة تاريخية لتطور النقد الثقافي في العالم الغربي، فإننا نجد العديد من الدارسين المهتمين به–وذلك ما توضحه الخطاطات التالية –يقول آرثر ايزابرجر: " ويبدو لي أن من الممتع للقراء أن يتعرفوا على الأماكن التي جاء منها أغلب أهم مفكري النقد الثقافي، ولذلك فقد قدمت قائمة رقم 1/1 بوصفها تدريبا للتعرف بجغرافيا النقد الثقافي. حيث نرى فيها أن فرنسا وروسيا وألمانيا قد شاركوا بنصيب الأسد في تقديم عديد من نقاد النقد الثقافي ومنظريه، وبرغم انتقائية القائمة – غير المنكور–وعدم إدراجها لعديد من المفكرين المهمين، إلا أنه يجب أن نلاحظ أن عدد من المفكرين المدرجين في القائمتين 1/1 من غير المعاصرين كذلك" (أرثر ايزابرجر،، 2003، صفحة 34).

– **فرنسا**: رولا بارت، لويس التوسير، ميشيل فوكو، كلود ليفي ستراوس، جاك لاكان، بير بورديو، إميل دور كايم، جاك دريدا، أندريه بيزيه، ماكس فيبر، برتولد بريشت، كارل ماركس.

– **الولايات المتحدة الأمريكية**: ساندر شارل بيرس، رومان جاكبسون، نعوم تشومسكي، فيبر شارمان.

– **إنجلترا**: رايموند وليمز، سيتوارت هول، ريتشارد هوجارت، لودفيج فتجشنت تين.

– **سويسرا**: فرديناند دي سوسير، كارل يونغ.

– **النمسا**: سيجموند فرويد، هرتزج.

– **إيطاليا**: أنطونيو جرامشي، أمبرتو إيكو.

3.2 أتباع النقد الثقافي في العالم العربي:

من خلال استقرائنا للعديد من المؤلفات العربية، استخلصنا العديد من الكتاب الذين ساروا على درب النقد الثقافي ومن بينهم نذكر:

- **مالك بن نبي**: له مساهامات من بينها نشر كتابا في عام 1959م بعنوان''**مشكلة الثقافة تحت عنوان أشمل**.
- **زكي نجيب محفوظ**: من بين الكتب التي ألفها في هذا المجال: تحديث الثقافة العربية.
- **محمد عابد الجابري**: ومن بين مساهماته في النقد الثقافي: دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية **1985م**.
- **عبد الله الغدامي**: الذي يعتبر من الرواد الأوائل في العالم العربي الذين حاولوا المجيء بمشروع نقدي ثقافي جديد، وتمثل ذلك في كتابه النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية

العربية، حيث ذكر الغذامي البوادر الأولى لانطلاق مشروعه الثقافي، وعبر عن شكره وامتنانه للعديد من النقاد المغاربة يقول "في سبيل إثارة قضية النقد الثقافي كان لي شرف الالتقاء بعدد من العقول الفاعلة في الوطن العربي، ومن ذلك اللقاء الذي انتظم خصيصا لهذا الموضوع في جامعة محمد الخامس في الرباط مع أساتذة شعبة اللغة العربية، وأساتذة شعبة الفلسفة في كلية الآداب، في 1999/4/26، وأود هنا أن أسجل جليل تقديري للمناقشات المثيرة التي حظيت بها فكرة المشروع في ذلك اللقاء، وأسجل شكرا خاصا للدكتور إدريس بلمليح الذي تولى تنظيم ذلك اللقاء... ولقد كان للمناقشات التي دارت هناك أثر بالغ في تطور مشروع بحثي في هذا المجال. (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 6).

- الناقد الفلسطيني عز الدين المناصرة يعد من الأسماء النقدية الشامخة التي ساهم وكان له دور في انتشار النقد الثقافي في العالم العربي من خلال كتابه (النقد الثقافي المقارن) و(كتاب المثاقفة والنقد المقارن).

- الباحث الجزائري **حفناوي بعلي** في كتابه: **مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن**.

- **صلاح قنصوة** له أيضا مساهمة قيمة بكتابه: **تمارين في النقد الثقافي**.

4. المفاهيم الأساسية للنقد الثقافي:

ارتكز النقد الثقافي على مجموعة من الدعائم والمفاهيم النظرية والتطبيقية، وهي بمثابة مرتكزات فكرية ومنهجية، لابد أن ينطلق منها الباحث أو الدارس لمقاربة النصوص والخطابات فهما وتفسيرا وتأويلا. وتتمثل هذه المفاهيم والمرتكزات في العناصر التالية:

أ- الأنساق المضمرة:

ينبني النقد الثقافي على نظرية الأنساق الثقافية المضمرة، وهي أنساق ثقافية وتاريخية تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور سحري في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية.

نستشهد هنا بقول الغذامي: "ونحن في النقد الثقافي لم نعد معنيين بما هو في الوعي اللغوي، وإنما نحن معنيون بالمضمرات النسقية، وهي مضمرات لا تعين المصطلحات البلاغية أو النقدية الأدبية على كشفها أو التركيز عليها". (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 70).

وعليه فإن النقد الثقافي هو مشروع في نقد الأنساق، والنسق مرتبط بكل ما هو مضمر من جهة، كما أنه عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة، وتبعا لهذا فإن كل ظاهرة أو شيء ما يعتبر نسقا ديناميا، والنسق الدينامي له دينامية خارجية تحصل بتفاعله مع محيطه.

وهنا نلمس تحولا جذريا ونوعيا يفترق فيه النقد الثقافي عن النقد الأدبي، بما أن الأخير معني بنقد النصوص، وهو بحث في جماليات اللغة وتوظيف المجاز للكشف عن الجماليات.

ب- المجاز الكلي:

إن المجاز الكلي هو المفهوم البديل عن المجاز البلاغي، وفي المجاز الكلي تنشأ الجملة الثقافية وتنشأ الدلالة النسقية.

وقد ذهب الغذامي في كتابه إلى اعتبار المجاز البلاغي ظل مسيطرا على مفهوم المجاز وعلى فعله، حتى صار مؤسسة ذوقية ومصطلحية تتحكم بشروط إنتاج واستقبال النصوص. ومن ثم حاول الغذامي نقد المفهوم البلاغي للمجاز، واقترح مفهوم ثقافي للمجاز يوسع من مجاله ويهيئه لاستعمال نقدي أكثر وعيا بالفعل النسقي وتعقيداته.

الجملة الثقافية هي رديف مصطلحي للجملتين النحوية والأدبية، والفرق بين الجملة الثقافية يماثل – بل يفوق – الفرق بين الجملة الأدبية والجملة النحوية، وبين المعنى والدلالة، وبين الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية، فإن النقد الثقافي يميز بين ذلك كله، وبين الجملة الثقافية ومعها الدلالة النسقية ومفهوم المجاز الكلي كتطور نظري ومفاهيمي باتجاه نقد الأنساق، لا نقد النصوص، وباتجاه التأسيس لوعي نظري ونقدي مختلف نوعيا وإجرائيا.

ت– التاريخانية الجديدة:

تعتبر من الإفرازات النقدية لمرحلة ما بعد البنيوية، وفيها تجتمع العديد من العناصر التي هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى كالاتجاه الماركسي والتقويضي، إضافة إلى ما توصلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية وغيرها. وأخذ هذا الاتجاه في التنامي مطلع الثمانينيات. ومن أبرز أعلامه غرينبلات أستاذ جامعة كاليفورنيا بيركلي، والذي عرف بدراساته التاريخانية الجادة حول أدبيات عصر النهضة من خلال ما أسماه بشعرية الثقافة.

وتجتمع هذه العناصر لتدعم التاريخانية الجديدة في سعيها إلى قراءة النص الأدبي في إطاره التاريخي والثقافي، حيث تؤثر الايدولوجيا وصراع القوى الاجتماعية في تشكل النص، وحيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية.

ويقدم معجم التراث الأمريكي معاني ثلاثة لمصطلح "التاريخانية":

أ– الاعتقاد بأن الممارسات تكون بالعمل في إطار التاريخ حيث يتمكن المرء من عمل قليل بغية التغيير.

ب– النظرية التي تقول بأنه يجب على الناقد التاريخي أن يتجنب كل الأحكام القيمية في دراسته للفترات الزمنية الماضية أو الثقافات السالفة.

ت– تبجيل الماضي أو تبجيل العرف. (عليمات يوسف، 2004، صفحة 28).

والتاريخانية كما يعرفها سعيد علوش''نزعة ترمي إلى تفسير الأشياء في ضوء تصورها التاريخي، والتاريخانية في الأدب، دراسة لحركة أدبية باعتبارها وظيفة لتطوره الفني / السياسي / الاجتماعي / الديني، في مجتمع ما.

ث– النسقية الثقافية:

أثناء الحديث عن النسق الثقافي تساءل الغذامي قائلا: ما النسق الثقافي؟ وكيف نقرؤه؟ وكيف نميزه عن سائر الأنساق؟ والنسق يشكل مفهوما مركزيا في مشروع الغذامي إذ حدد سماته الاصطلاحية فيما يلي:

يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسق في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا وناسخا للظاهر" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 77)

فمشروع النقد حسب الغذامي يتجه نحو كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية، وأهم هاته الحيل هي الحيلة الجمالية التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكما فنيا، وكشف هاته الحيل يصبح مشروعا من خلال نقد الثقافة، ورفع الأغطية عنها.

ومن تم حدد الغذامي مواصفات الوظيفة النسقية فيما يلي:

- "نسقان يحدثان معا في آن، وفي نص واحد أو فيما هو بحكم النص الواحد.
- أن يكون المضمر منها نقيضا ومضادا للعلني. فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.
- لا بد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

لا بد من أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي" (الغذامي, عبد الله، 2005، الصفحات 77-78).

ويرى الغذامي أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي. ويعني هذا أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات، ويستقصي اللاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية إلى الدلالات النسقية. فالنص ليس فحسب نصا جماليا وأدبيا، ولكنه حادثة ثقافية.

فالنسق يتحرك في حبكة متقنة، يظهر ويخفي، مستخدما أقنعة كثيرة منها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجماليتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة.

ج- الجملة الثقافية:

ميز لنا الغذامي الجمل إلى ثلاثة أنواع هي:

"الجملة النحوية، المرتبطة بالدلالة الصريحة.

الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة.

الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 78).

يعتمد النقد الثقافي على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والإيحائي، والجملة الثقافية التي هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة، ثم عبر تصور مقولة الدلالة

النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية. والجملة الثقافية ليست عددا كميا، إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية. أي: إن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف.

ونفهم من كل هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف والمرمى، وأنها تعنى باستكشاف المنطوق الثقافي، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي.

ح- المؤلف المزدوج:

يمكن الحديث في إطار المقاربة الثقافية -بشكل من الأشكال-عن مؤلف مزدوج، الكاتب الجمالي والأدبي الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق الرمزية والإيحائية، وهناك في المقابل المبدع الثقافي الذي يتمثل في الثقافة نفسها التي تتوارى وراء الظاهر في شكل أنساق مضمرة غير واعية: " هناك مؤلفين اثنين، أحدهما المؤلف المعهود، مهم تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي. والآخر هو الثقافة ذاتها، أو ما أرى تسميته هنا المؤلف المضمر، وهو ليس صيغة أخرى للمؤلف الضمني، وإنما هو نوع من المؤلف النسقي" (الغذامي, عبد الله، 2005، صفحة 75).

إن مفهوم المؤلف المزدوج يدل على أن هناك مؤلفا آخر بإزاء المؤلف المعهود، وذلك هو أن الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، وتشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف، ويكون المؤلف في حالة إبداع كامل الإبداعية حسب شرط الجميل الإبداعي، غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية وفي مضمر النص سنجد نسقا كامنا وفاعلا ليس في وعي صاحب النص، ولكنه نسق له وجود حقيقي، وإن كان مضمرا، إننا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل ومؤثر، والمبدع يبدع نصا جميلا فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا.

5. نموذج تطبيقي للنقد الثقافي

5.1 .الناقد السعودي عبد الله الغذامي نموذجا

يعد الناقد السعودي عبد الله الغذامي من بين النقاد العرب الذين حاولوا تطبيق النقد الثقافي من خلال كتابه النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ومن مؤلفاته:

الخطيئة والتكفير – من البنيوية إلى التشريعية حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية – تشريح النص – الموقف من الحداثة –نقد ثقافي أم نقد أدبي.

يعد كتاب النقد الثقافي من الكتب التي أصلت نظريا وتطبيقيا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي بصفته ديوان العرب.

هنا نجد الغذامي "المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم؟"أم هو الاثنان معا...؟ وهل في ثقافتنا علة أو علل نسقية تجعلها خطابا منافقا ومزيفا، غير واقعي وغير حقيقي وغير عقلاني...؟ وهل الشعراء مسؤولون عن ذلك...؟

وهل صورة (الأنا) الطاغية صيغة متجذرة وأصيلة أم أنها اختراع شعري تسرب إلى سائر الخطابات والسلوكيات.

يذهب الغذامي في هذا الفصل إلى أن الشعر العربي له جمال، وأيضا له عيوب نسقية خطيرة جدا، وهي التي كانت السبب وراء عيوب الشخصية العربية ذاتها، فشخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول ذي الأنا المتضخمة النافية للآخر، من جهة ثانية، هي من السمات المترسخة في الخطاب الشعري، ومنه تسربت إلى الخطابات الأخرى، ومن ثم صارت نموذجا سلوكيا ثقافيا يعاد إنتاجه بما إنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي، مما ربى صورة الطاغية الأوحد.

ويضيف الغذامي أن الاختراع الشعري الأخطر في لعبة المادح والممدوح جلبت معها منطومة من القيم النسقية، انغرست مع مرور الزمن لتشكل صورة للعلاقة الاجتماعية فيما بين فئات المجتمع، فثقافة المديح حسب الغذامي تقوم على الكذب، ومع قبول الأطراف كلها من ممدوح ومادح ومن الوسط الثقافي المزامن واللاحق ل، كلهم قبلوا ويقبلون لعبة التكاذب والمنافقة ودخلوا مشاركين في هذه اللعبة واستمتعوا بها حتى صارت ديدنا ثقافيا واجتماعيا مطلوبا ومنتظرا. وهي اللعبة الجمالية الأكثر فاعلية في الشعر العربي أيام عزه مما غرس هذا الخطاب المدائحي في الذهن الاجتماعي، مع ما فيه من قيم أخطرها صورة الثقافة الشحاذة المنافقة، وصورة الممدوح المصطفى من خلاصة الصفات المخترعة شعريا وأنانيا مترفعا بذلك عن شروط الواقع والحقيقة.

ذكر الغذامي رأيا لأبي حيان التوحيدي الذي يكشف فيه عن موقف مضاد لأخلاقيات الارتزاق المرتبط عضويا بالشعر، حيث يقول: لا ترى شاعرا إلا قائما بين يدي خليفة أو وزير أو أمير باسط اليد، ممدود الكف، يستعطف طالبا، ويسترحم سائلا، هذا مع الذلة والهوان، والخوف من الخيبة والحرمان.

ويقدم الغذامي صور ثقافية تمثلت فيما يلي:

أ- شخصية الشحاذ البليغ (الشاعر المداح)
ب-شخصية المنافق المثقف (الشاعر المداح أيضا).
ت-شخصية الطاغية (الأنا الفحولية).

فقد ترسخ في الثقافة العربية أن الشاعر الذي لا يمدح ولا يهجو ولا يفاخر لا يعد إلا ربع شاعر. إن النسق المضمر الذي ترسخ في الثقافة العربية تمثل في كون الشعراء يقولون مالا يفعلون، فإن اللافاعلية هنا هي إحدى عيوب الخطاب، لأنها تسلب من اللغة قيمتها العملية إذ تفصل بين القول والفعل، كما أنها ترفع عن الذات مسؤوليتها عما تقول. فالشعراء يكسبون المال والجاه ومعهما السلطة والصيت لمجرد يقولوا قولا بليغا غير مرتبط بجهد عملي ولا بصدق منطقي، ويجري وصفهم بأمراء الكلام، ويصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، وتتولى الثقافة الترويج لهذا الفعل وتجميله وتحبيبه لنا.

5.2 الانتقادات الموجهة للنقد الثقافي:

نستطيع أن نقول إن من أسباب النفور النقد الثقافي ترجع لأسباب وحقائق مختلفة تمثل العقلية العربية وطريقة التعامل مع الآخر بالإضافة إلى أسباب إنسانية ترتبط بالتشكيل النفسي.

فمن الأسباب التي تدعو إلى نفور كثير من العرب نستطيع أن نحصرها فيما يأتي:

يقول الدكتور اصطيف في كتابه المشترك مع الدكتور عبد الله الغذامي " وحقيقة الأمر أن دعاة النقد الثقافي في المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة إنما هم قوم فتنوا بما حققه "النقد الثقافي" في الغرب، بوصفه جزءا مما بات يشار إليه في الأوساط الجامعية الغربية والأمريكية ب "الدراسات الثقافية cultural studies)، فرأوا فيه الحل السحري لجميع مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، صفحة 69).

وذهب الدكتور عبد النبي اصطيف إلى التأكيد على دور النقد الأدبي على حساب النقد الثقافي مبرزا أهميته في المجتمعات الغربية قائلا: " إن النقد الأدبي قد شهد في هذه المجتمعات ازدهارا مماثلا، وهو لايزال يقوم بالكثير من الوظائف التي يود دعاة النقد الثقافي في الوطن العربي أن يسندوها إلى النقد الثقافي" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، صفحة 69).

وذهب الدكتور عبد النبي اصطيف إلى تحليل مشروع النقد الثقافي الذي جاء به الغذامي مستخرجا العديد من العيوب التي يتضمنها دفاع عن هذا النقد ودحض النقد الأدبي، حيث يرى أن أهم ما يضعف موقف الغذامي في دعوته للنقد الثقافي " تصوره الخاص جدا للنقد الأدبي، وهو تصور محفوز بغرضه، ولا يكاد يشركه فيه الكثيرون من النقاد العرب المعاصرين الذين يزالون يؤمنون بالنقد الأدبي وبقدرته على ممارسة وظائفه الحيوية في المجتمعات العربية الحديثة" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، صفحة 176).

ويضيف الدكتور عبد النبي اصطيف معلقا على مشروع الغذامي " فإن ممارسته ذاتها للنقد الثقافي لا تعطي انطباعا بالاطمئنان، نتيجة ما يعتريها من انتقائية مغرضة، ومواقف متكافئة الضدين، وما تنطوي عليه من أحكام ناجزة تحتاج إلى كثير من الجهود للتدليل على صحتها" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، صفحة 176).

ودعا قائلا " إن لكل من النقد الأدبي والنقد الثقافي وظائف خاصة به، زقد يستعين أحدهما بأدوات الآخر التحليلية، أو باستبصاراته، ولكنه لا يفكر لحظة في التنحي وإفساح المجال له ليأخذ مكانه ويؤدي وظائفه الخاصة به، وبالتالي فليس ثمة من حاجة إلى خلق هذا التنافس الجذري بين هذين النشاطين المهمين، بل الحيويين، لتدبر الإنتاج الأدبي والثقافي في المجتمعات الحديثة، الغربية والعربية على حد سواء" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، الصفحات 178-179).

وعاب الدكتور عبد النبي اصطيف على الغذامي وظيفة النقد الأدبي التي غابت عنه في غمرة حماسه للنقد الثقافي " وهي تحديد طبيعة الأدب، بوصفه واحدا من الفنون الجميلة، هو الوظيفة الجمالية المهيمنة والناظمة لسائر الوظائف الأخرى في الإنشاء الأدبي، ولذلك فإن من الطبيعي أن يعنى النقد الأدبي بالكشف عنها والتأكد من فاعليته في النص الأدبي" (عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، 2004، صفحة 183).

من خلال ما سبق اتضح لنا أنه من بين الانتقادات التي وجهت للنقد الثقافي كونه أراد طمس النقد الأدبي الذي ظل مسايرا للأدب والعمل الأدبي وهذا ما لم يتقبله النقاد خاصة وأن حجتهم كانت في كون هاته الدراسات الثقافية برزت على أنقاض الدراسات النقدية، ورأوا أن الأدب باعتباره فنا جميلا لم يعد قادرا على الإحاطة بالنص الأدبي الجديد أو التعامل على نحو مرض مع ما تنطوي عليه وجوهه المختلفة من غنى في التقنيات والدلالات.

ولذا ذهب أنصار النقد الثقافي إلى الإعلان عن موت النقد الثقافي الذي غدا مجرد نشاط فكري غير مجد ولا فعال في معالجة الإنتاج الأدبي العربي الحديث، وتبني نقد آخر هو النقد الثقافي الذي يرى أنصاره أنه يستجيب للظروف التي باتت تحكم هذا الإنتاج الجديد.

خاتمة:

ختاما، فإن النقد الثقافي مقاربة جديدة متعددة الاختصاصات، تهتم أساسا بدراسة النص لا من الناحية الجمالية، بل من حيث علاقته بالإيديولوجيات والمؤثرات الفكرية والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية ويقوم بالكشف عنها والقيام بتحليليها عقب عملية التشريح النصية.

أيضا فالنقد الثقافي هو الذي يدرس الخطاب أو النص وذلك بغض النظر عن كونه كلاما شعبيا أو نخبويا أو شعرا، أو غير ذلك فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية، وغير العقلية بتعقيداتها وتعارضها.

على الرغم من أهمية النقد الثقافي في التعامل مع النص أو الخطاب الأدبي، إلا أنه يقصي من حسابه الفن والجمال والوظيفة الشعرية، وبالتالي لا يعترف بالبنيات الشعرية، واللسانية والسيميائية، لأنه يتعامل مع النص تعاملا ثقافيا.

قائمة المراجع:

- أيزابرجز أرثر، 2003 ترجمة : وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، المجلس الأعلى للثقافة.
- عليمات يوسف، 2004. جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الغدامي عبد الله،2005 النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء.
- الغذامي عبد الله، اصطيف عبد النبي، 2004 نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر.
- قنصوة صلاح، 2007 تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، الطبعة الأولى.
- الموسوي محسن جاسم 2005 النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

Verbal Fluency and Its Relationship to Intellectual Stimulation among Arabic Language Teachers

Researcher: Asst. Dr. Tameem Khalaf Abd Nida
Ministry of Education / College of Open Education / Karbala Study Center
aliubeis1979@gmail.com

Abstract:

Language is a tool for thought and expression. It is a system composed of symbols and signs that people use to express their ideas. Arabic is the best tool for expression and creativity. It is the language of the Holy Quran, the language of thought, and strong connections. If the function of language is based on understanding and judgment, then teachers must master the skills that help them achieve sound understanding and good judgment. Among these skills are verbal fluency and intellectual stimulation. Given the importance of oral expression in general, and verbal fluency in particular, linguists have considered it a branch of the Arabic language. Intellectual fluency, in essence, is establishing a relationship between language and thought. During teaching, teachers use a variety of mental processes to express their thoughts and how they can communicate this to learners. Therefore, intellectual stimulation skills are an important step in developing oral expression skills, particularly verbal fluency. Hence, the research aims to identify:

1. The level of verbal fluency among Arabic language teachers.
2. The level of intellectual stimulation among Arabic language teachers.
3. The correlation between verbal fluency and intellectual stimulation.

To achieve the research objectives, the researcher used the descriptive correlational approach, as it is the appropriate method for describing the phenomenon and clarifying its characteristics. In accordance with this approach, the researcher applied this research to a sample of (200) teachers, selected intentionally from a research community of approximately (28466)

male and female teachers. A verbal fluency measurement tool was constructed based on the cognitive theory represented by William Jordan. The scale consisted of (30) objective items. Face and factor validity were obtained, and its reliability was verified. An intellectual stimulation tool was also constructed based on the cognitive theory represented by Jean Piaget. The scale consisted of (30) objective items. Its reliability and reliability were verified. Using statistical methods, the results showed the following:

1. Arabic language teachers are distinguished by their verbal fluency skills.
2. Arabic language teachers possess intellectual stimulation skills.
3. There is a correlation between verbal fluency and intellectual stimulation.

In light of these findings, the researcher makes several recommendations, including:

1. Emphasis should be placed on developing the vocabulary of Arabic language teachers.
2. The need to adopt intellectual stimulation and verbal fluency skills in teaching expression at the elementary level.
3. Providing diverse intellectual activities that help teachers utilize their various intelligences to develop intellectual stimulation skills.

The researcher proposed several proposals, including:

1. Conducting a study similar to the current study on Arabic language teachers at the secondary and preparatory levels.
2. Conducting a similar study on the relationship between verbal fluency and other variables, such as linguistic intelligence, literary awareness, and attitudes toward the subject.

Keywords: Verbal fluency, intellectual stimulation, teachers, Arabic language, creative expression, cognitive skills.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية

م.د. تأميم خلف عبد ندة
وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة / مركز كربلاء الدراسي
aliubeis1979@gmail.com

ملخص:

تعد اللغة أداة التفكير والتعبير، فهي نظام مكون من رموز وعلامات يستعملها الناس في التعبير عن أفكارهم. وتُعد العربية خير أداة للتعبير والإبداع، وهي لغة القرآن الكريم، ولغة الفكر والترابط القوي، وإذا كانت وظيفية اللغة قائمة على الفهم والأحكام، فإنه لا بد للمعلم أن يتقن المهارات التي تساعده على الفهم السليم والأحكام الجيد، ومن بين هذهِ المهارات التي تساعده على ذلك مهارات الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية. ولأهمية التعبير الشفوي بنحو عام والطلاقة اللفظية بنحو خاص، فقد جعله اللغوين غاية فروع اللغة العربية، والطلاقة الفكرية في حقيقتها إيجاد علاقة بين اللغة والفكر، إذ إنَّ المعلم يستعمل في أثناء التدريس عمليات ذهنية عدة للتعبير عما في نفسه وكيف يمكن أن يوصل ذلك للمتعلمين، لذ تعد مهارات الاستثارة الفكرية من الخطوات المهمة في تنمية مهارات التعبير الشفوي ولا سيما الطلاقة اللفظية.

ومن هنا هدف البحث إلى التعرف على:

1. مستوى الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية.
2. مستوى الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية.
3. العلاقة الارتباطية بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية.

وتحقيقًا لأهداف البحث استعمل الباحث المنهج الوصفي الارتباطي كونه المنهج المناسب في وصف الظاهرة وتوضيح خصائصها، ووفقًا لهذا المنهج طبق الباحث هذا البحث على عينة مكون من (200) معلمًا اختيروا بالطريقة العشوائية البسيطة من مجتمع البحث الذي يتكون من (2000) معلم ومعلمة وقد تم بناء أداة لقياس الطلاقة اللفظية على وفق النظرية المعرفية المتمثلة بآراء (وليام جوردن) وتكون المقياس من (30) فقرة موضوعية، وقد استخرج الصدق الظاهري والعاملي، ومن ثم تم التحقق من ثباته، كما تم بناء أداة

للاستثارة الفكرية على وفق النظرية المعرفية المتمثلة بآراء (جان بياجيه) وتكون المقياس من (30) فقرة موضوعية وتم التحقق من صدقه وثباته وباستعمال الوسائل الإحصائية أظهرت النتائج ما يلي:

1. إن معلمي اللغة العربية يتميزون بامتلاكهم مهارات الطلاقة اللفظية.
2. إن معلمي اللغة العربية يمتلكون مهارات الاستثارة الفكرية.
3. وجود علاقة ترابطية بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية.

وفي ضوء هذه النتائج يوصي الباحث بعددٍ من التوصيات منها

1. الاهتمام بتنمية المفردات اللغوية لدى معلمي اللغة العربية.
2. ضرورة اعتماد مهارات الاستثارة الفكرية والطلاقة اللفظية في تدريس مادة التعبير في المرحلة الابتدائية.
3. توفير أنشطة فكرية متنوعة تساعد المعلمين على توظيف ذكاءاتهم المختلفة في تنمية مهارات الاستثارة الفكرية.

واقترح الباحث مقترحات عدة منها

1. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مدرسي اللغة العربية في المراحل الثانوية والإعدادية.
2. إجراء دراسة مماثلة في علاقة الطلاقة اللفظية بالمتغيرات الأخرى مثل الذكاء اللغوي والوعي الأدبي والاتجاه نحو المادة.

الكلمات المفتاحية: الطلاقة اللفظية، الاستثارة الفكرية، المعلون، اللغة العربية، التعبير الإبداعي، المهارات المعرفية.

المبحث الأول: التعريف بالبحث

أولًا: مشكلة البحث

إنَّ التعبير الشفوي بنحو عام والطلاقة اللفظية بنحو خاص لا يلقى من الدراسات عناية كبيرة، بل يعامل من التلاميذ على أنه مهمة مفروضة عليهم، يعالجون قضاياه بمرارةٍ وشقاء، فإن تحدثوا نجده مليئًا بالأخطاء اللغوية، والسبب في ذلك يعود إلى إنَّ أغلبهم يعانون من قلة الثروة الفكرية والنحوية (الخفاف وتأميم، 2021، ص20).

ويرى (عبد عون) أن مِن أهم الأسباب الكامنة وراء الصعف في التعبير الشفوي هو قسمًا من المعلمين يتحدثون أمام تلاميذهم باللهجة العامية، ولا يخفى ما للعامية من أثر سيء في تعير التلاميذ عما يدور في ذهنهم من أفكار ومشاعر (عبد عون، 2013، ص45). كما تتجلى مشكلة الضعف في الطلاقة اللفظية في القصور في عملية التعبير اللغوي فعندما يتقدم أحدنا إلى مؤسسة يود مطلبًا معينًا ، تجد ارتباكه باديًا ويتضح هذا الارتباك في أثناء إلقاء الكلمات في المناسبات الارتجالية أو المناقشات الأدبية، ومن هذا المنطق أشار (الشمري،2018) إلى أنَّ الكثير من معلمي اللغة العربية لا يمتلكون مهارات الطلاقة اللفظية التي تؤهلهم لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية المرجوة، ولا سيما وأن أكثر هؤلاء المعلمين يمثلون خط التماس المباشر بين كل الجهود التربوية المعدة والمهيئة من جهة، وبين التلميذ من جهة أخرى، فضعفهم في تلك المهارات يُعد مؤشرًا خطيرًا في فساد تعلم اللغة العربية (الشمري، 2018، ص73).

وبوصف الباحث معلمًا جامعيًا في مديرية تربية كربلاء المقدسية ولديه خبرة في مجال التدريس لأكثر من عشر سنوات، فقط لحظ أن الكثير من المعلمين والمعلمات يفتقرون للمعرفة والدراية والإحاطة بأغلب مهارات الأداء اللغوي وبالخصوص الطلاقة اللفظية، مما يُبنى بأن عملية التدريس التي يؤودنها بنحو مستمر لا تأخذ طريقها التقويمي الصحيح مما يجعلهم جزءًا مهمًا من المشاكل، زيادة على ملاحظة أن كثير أو أغلب المعلمين يركزون على مهارة واحدة ولا سيما مهارة القراءة دون باقي المهارات مثل مهارة التحدث التي تشكل نسبة (25%) من المهارات الأربع. وما زاد تأثير وجود هذه الضعف اطلاع الباحث على عديد من الدراسات التي تناولت الطلاقة اللفظية بشكل أو آخر مثل (دراسة الجبلي، 2013) و (دراسة الطائي، 2022) و (دراسة حمزه، 2019) إذ أن هناك شبه إجماع بينها على تأكيد ضعف المعلمين في توظيف مهارات الطلاقة اللفظية داخل الصفوف الدراسية وما يلازم من استعمال التكنولوجيا التعليم.

إلا أن الباحث على قدر اطلاعه لم يجد دراسة تناولت معرفة أثر المتغيرات المعرفية أو العقلية في القدرة على الأداء اللغوي (الطلاقة اللفظية) على الرغم من وجود تداخل واضح بين الكثير من هذهِ المتغيرات وبين (الطلاقة اللفظية)؛ لأن الطلاقة اللفظية هي عملية ذهنية أدائية تحول الأفكار والمعاني إلى رموز منطوقة غير مألوفة في صورة من صور التعبير الشفوي المؤثرة، إذ أن مشكلات (الطلاقة اللفظية) المتراكمة ما لبثت أن تعاج حتى أضيفت إليها مشكلات معاصرة فرضتها طبيعة التغيرات الحاصلة في مختلفة مجالات الحياة، وهذا يتطلب الفهم والاستيعاب للتعبير عن المشاعر والإحساس في هذا تقول (الخفاف،2021) : نحن بحاجة إلى تعليم مهارات التفكير من خلال فن التعامل الذين يساعدنا في الحصول على الكم الهائل من المعارف بفعالية واقتدار (الخفاف، 2021، ص45).

وعليه يرى الباحث أن الطلاقة اللفظية تتطلب أن يمتلك المعلم مهارات التفكير وبالخصوص مهارة (الاستثارة الفكرية) التي تمكنه من التفكير بمرونة وموضوعية تجعله قادرًا على إصدار الأحكام غيرُ ما تقدم لم تؤكده دراسات علمية ميدانية تناولت تأثير علاقة الطلاقة اللفظية التي تعد نشاطًا فكريًا لغويًا، وبذلك فأن الاستثارة الفكرية بوصفها متغير معرفي ولا سيما عن معلمي اللغة العربية، واستنادًا إلى ما تقدم يمكن تحديد مشكلة البحث من طريق الإجابة عن السؤال الآتي:

ما علاقة الطلاقة اللفظية بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية؟

ثانيًا: أهمية البحث

تعد التربية أداة المجتمع ومرآته التي تعكس صورته، وهي الأساس الحضاري في العصر الحديث، وأساس تفاعله المستمر؛ إذ تتضمن مختلف أنواع النشاطات المؤثرة سلبًا وإيجابًا وتعمل على توجيه الوجه الذي تحدد بواسطته أساليب معيشة وطرائق تكيفه مع البيئة ومواكبة التقدم المعرفي (جاب وآخرون، 2011، ص109)، وعليه أن المجتمع لا يستطيع تحقيق أهدافه إلى بوجود وسيلة اتصال التي يمكن خلال تطبيق النظم التربوية والتعليمية العملية والعلمية إلا وهي اللغة (زاير وسماء، 2013، ص19). ويترتب على ذلك سؤال مهم هو لماذا نتعلم اللغة؟ وللإجابة وببساطة نحن نتعلم اللغة لنستخدمها في التفكير والتواصل مع الآخرين، وذلك بما تحتويه من مهارات كالتحدث والاستماع والقراءة والكتابة، وعلى هذا المنطلق فأنَّ اللغة تعد وسيلة اتصال تفاعلية عند الإنسان الذي يولد وله استعداد فطري لاكتساب لغة المحيط الذي يعيش فيه، ويتفاعل معه (الخفاف وتأميم، 2023، ص27).

لذا يرى الباحث بأن اللغة ليست هي الوسيلة الوحيدة للتعبير فحسب، بل هناك مجموعة من الوسائل منها الإشارات، والأصوات المبهمة، والحركات، ولكن الكلام هو أرقى أنواع التعبيرات الصوتية، وعليه فقد تصدرت اللغة العربية الميداني التعليمي وصار النجاح فيها أساسًا للنجاح في المواد الأخرى؛ وذلك لأنها لغة الدرس والتحصيل مما يلزمنا العناية بها؛ لأنها طريق نجاح الطالب في العلم والمعرفة.

ومن خلال هذه الرؤية لجأ التربويين إلى عد اللغة وسيلة أساسية في تطوير مهارات الطلاقة اللفظية لدى معلم اللغة العربية، ومن هنا تقع مسؤولية كبيرة عليه؛ لأنه يقوم بمهنة التعليم وأن يكون متقنًا اللغة العربية وتعليمها، ولا يمكن أن يقوم المعلم بهذه المهمة إلا من خلال ما يمتلكه من مهارات الأداء اللغوي بنحو عام والتعبير الشفوي المتمثل بالطلاقة اللفظية على وجه الخصوص أمر في غاية الأهمية من أجل تنمية الأنماط اللغوية عند المتعلمين، فلا يمكن إعداد المتعلم في المرحلة الدراسة إعدادًا لغوي من دون امتلاك المعلم لهذ المهارات (الطائي، 2022، ص10).

وتماشيا مع ذلك ترجح الدراسات أن تنمية الطلاقة اللفظية لدى المعلم عن طريق المحتوى الدراسي، يمكن أن يسهم في إثارة الأفكار والابتكار، وطرح المعاني والمعلومات بشكل منتظم؛ إذ أن هذه الطلاقة تساعد المعلم داخل الصف الدراسي على مواجهة المشكلات التربوية التي تعيق المحتوى الدراسي، وعلى هذا الأساس أصبحت الطلاقة تحتل مكانة لغوية في التفكير بنحو عام والاستثارة الفكرية بنحو خاص؛ لأنها تسهم في إيجاد حلول مناسبة للمشكلات النظرية والعلمية الملحة التي يواجها المعلم أو المجتمع، لذا تعد الاستثارة الفكرية من المتغيرات المهمة التي يسعى معلم اللغة العربية دائمًا فيها إلى النمو الفكري في مجال الاطلاع على خبرات المهنة الحديثة والمتطورة، وكما يجدر به أن يعي بأهمية الأساليب والأدوات الحديثة ليقوم بنقل هذه المهارات إلى التلاميذ بشكل فعال وإيجابي، لذا يجب أن يكون المعلم مواكب لتغييرات العصر الحالي في أساليبه ومهاراته وطرائق تعليمية أو تدريسه، لكي يستطيع المساهمة الفعالة لتحقيق الأهداف السلوكية والتربوية للتلاميذ(Bass,1994,p34).

وعليه يرى الباحث أن الاستثارة الفكرية لدى المعلم تمثل أداة رئيسية في التدريس؛ لأنها تعمل على بناء الأفكار السابقة وترتيبها بشكل متسلسل وسهل الحفظ، لأن المعلم لما يمتلكه من خبرات سابقة في تدريس اللغة العربية يستطيع أن يربط بين المفاهيم الجديد والمعارف السابقة لدى التلاميذ، الأمر الذي يؤدي إلى تعزيز قدراتهم التحليلية من خلال طرح الأسئلة وتقديم حلول مناسبة للمشكلات، كما أن المعلم الذي يتمتع

بمهارة الاستثارة الفكرية يكون أكثر قدرة على إثارة التفكير المعرفي والابتكار وحل المشكلات لدى التلاميذ، فضلًا عن مساعدته على تجاوز أساليب التدريس القديمة القائمة على التلقين والحفظ، وهذا بدوره يسهم في بناء شخصية تربوية قادرة على فهم المعارف وتطبيقها في الحياة الدراسية والعملية. وعلى هذا الأساس أن المعلم لا يتقيد دوره في تقديم المواد الدراسية والمعارف فحسب، بل يمتد إلى تحفيز التلاميذ وموجها للفكر مما يسهم في تعزيز فعالية العملية التعليمية ويحقق أهدافها التربوية. بناءً على ما تقدم أن أهمية البحث تتمثل في جانبين هما:

1) **الأهمية النظرية:** يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

أ) أهمية اللغة إذ تعد إحدى مظاهر التواصل الاجتماعي.

ب) أهمية اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ج) أهمية الطلاقة اللفظية كونها الهدف الأساس والغاية من تعليم التعبير الشفوي.

د) أهمية الاستثارة الفكرية بوصفها إحدى الطرق الرئيسية للتفكير الفاعل وضرورة الحاجة لتفعيلها.

هـ) أهمية معلمي اللغة العربية كونهم قادة ورسل العلم والمعرفة.

2) **الأهمية التطبيقية:**

أ) إن المقاييس التي يستخدمها الباحث سوف تكون بيد الباحثين للإفادة منها في بحوثهم النظرية والتطبيقية.

ب) إن نتائج البحث يمكن أن تعطي مؤشرات لمدى تأثير مهارات الاستثارة الفكرية في الطلاقة اللفظية، كي يمكن الاستفادة منها في تطوير قدرات المعلم على الطلاقة اللفظية عبر الأنشطة والبرامج التربوية.

ج) إن الكشف عن مستوى الطلاقة اللفظية ومهارات الاستثارة الفكرية عند معلمي اللغة العربية سيعطي رؤية لصانعي القرار في المواد الدراسية بغية إعداد البرامج التي يمكن أن تؤدي إلى الارتقاء بالعملية التربوية.

د) يوفر هذا البحث للباحثين والمنظرين في هذا المجال رؤية عن اتجاه وعلاقة الطلاقة اللفظية بمهارات الاستثارة الفكرية.

هـ) لم يجد الباحث على قدر اطلاعه في الأدبيات التربوية أي دراسات سابقة حاولت الكشف عن علاقة الطلاقة اللفظية بمهارات الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية، لهذا جاءت الحاجة إلى البحث الحالي ليكشف عن طبيعة هذه العلاقة.

ثالثًا: أهداف البحث

يهدف البحث الحالي التعرف على:

1. درجة الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية.
2. التعرف على مستوى درجة الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية وفق متغير الجنس.
3. درجة الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية.
4. التعرف على مستوى درجة الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية وفق متغير الجنس.
5. العلاقة الارتباطية بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية.

رابعًا: حدود البحث

يتحدد البحث الحالي في مجالات عدة وهي:

1. **الحد البشري:** اشتمل معلمي ومعلمات اللغة العربية لمديرية تربية محافظة كربلاء المقدسة.
2. **الحد الزماني:** العام الدراسي (2024-2025)
3. **الحد الموضوعية:** تمثل بمهارات الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية.

خامسًا: مفاهيم البحث

1. الطلاقة اللفظية:

عرفها (العفون ومنتهى، 2012) على أنها القدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الكلمات أو الألفاظ أو المعاني التي تستوفي شروطًا معينة (العفون ومنتهى، 2012، ص30).

عرفها (القواسمة ومحمد، 2013) على أنها القدرة السريعة على إنتاج الكلمات أو الوحدات التعبيرية المنطوقة واستحضارها بصورة تتناسب مع للوصف التعلمي (القواسمة ومحمد، 2013، ص227).

وعرفت الطلاقة نظريًا بأنها مجموعة من المهارات اللغوية التي ترتبط ارتباطًا بالأنشطة العقلية معتمدة الدلالة والبراهين المعرفية.

فيما عرفت الطلاقة اللفظية إجرائيًا: هي الدرجة الكلية التي يحصل عليها معلمي اللغة العربية من مقياس الطلاقة اللفظية

2. الاستثارة الفكرية:

عرفها (**سكارلة ، 2006**) هي إثارة وتحفيز المعلمين على رفع مستوى وعيهم بالمشكلات التي تعيق تحقيق أدائهم بهدف تجاوز التوقعات، مما يتم ذلك من خلال طرح التعاطف والإنصات الجاد لأفكارهم واقتراحاتهم ومشاركتهم مشاعرهم وتجاربهم بهدف تطوير روح التعاون والابتكار والتفكير بطرق جديدة تساهم في تنمية وتشكيل بيئة تعليمية قائم على التعبير الحر وتحسين الأداء (**سكارلة ، 2006، ص241**).

وعرفها (**الطنطاوي، 2017**) على أنها النشاط العقلي المتسارع والمكثف لبحث عن الطريق السليم نحو الفهم، واكتشاف المجهول والبحث عن الحقيقة لأجل الوصول إلى حل مرضي للمشاكل التي تعيق قدرة المعلمين على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم اتجاه تلاميذهم (**الطنطاوي، 2017، ص321**).

الاستثارة الفكرية نظريًا: اعتمد الباحث تعريف (سكارلة، 2006) تعريفًا نظريًا.

أما تعريف الاستثارة الفكرية إجرائيًا: بأنها الدرجة التي يحصل عليها المعلمين من مقياس الاستثارة الفكرية المستخدم في البحث الحالي.

3. المعلمون

عرفهم (صوفي) بأنهم الأفراد الذين اتخذوا من مهنة التعليم عملًا لهم مقابل أجر نظير قيامهم بهذه المهنة والذي ينوب عن تربية الأفراد وتعليمهم(صوفي، 2010، ص73).

وعرفهم (عليمات، 1997) على أنهم محور العملية التربوية في المدرسة وعصبها الرئيس الذي يتوقف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها وغاياتها (عليمات، 1997، ص88).

4. اللغة العربية

عرفت بأنها الكلام المصطلح عليه بين القوم، كونها من أوسع اللغات وأكثرها انتشارًا بين القوم، وهي اللغة التي وجه الله بها خطابه لأهل الأرض (درداش، 2008، ص17).

المبحث الثاني: الإطار النظري

أولًا: النظريات المفسرة لموضوع البحث

1) نظرية وليام جوردن في الطلاقة اللفظية

إن نظرية وليام جوردن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة التفكير الابتكاري، وهي أحد مكونات الابتكار، إذ تمثل الطلاقة اللفظية أجد أهم مؤشرات هذه النوع من التفكير (أبو صالح، 2017، ص847)، لذا فأن يرى (جوردن) أن الطلاقة اللفظية تمثل القدرة على بناء عدد كبير من الكلمات أو الأفكار ذات الصلة بموضوع معين وفي وقت محدد (السرور، 2000، ص65-66). ومن خلال هذا الاتجاه يرى الباحث أن تطبيق هذه النظرية في المجال التربوي يمكن تحديدها في النقاط التالية:

أ) **تنمية اللغة التعبيرية:** إن المعلم التربوي الذي يمتلك طلاقة لفظية عالية يكون أكثر قدة على توصيل المعلومات والمعارف وشرحها بصورة واضحة وسهله مما يسهل فهم التلاميذ.

ب) **تشجيع التفكير الابتكاري:** تأتي هذه الخطوة من خلال قيام المعلم بطرح أسئلة مفتوحة ومغلقة متنوعة مما ينعكس أثرها في تحفيز التلاميذ في البحث عن الإجابات التقاربية للأسئلة.

ج) **تحسين التواصل الصفي:** الطلاقة اللفظية الجيدة للمعلم تساعده على إدارة الحوار والنقاش بصورة فاعلة مما يؤدي هذا إلى تحفيز قدرة التلاميذ على طرح الأفكار بجرأة دون قلق وخوف.

د) **بناء الثقة:** تؤكد الأدبيات التربوية أن المعلم الذي يمتلك طلاقة لفظية عالية ينظر إليه على أنه أكثر كفاءة وسيطرة على المادة العلمية، وهذا الدور ينعكس أثره في تنمية المهارات المعرفية المختلفة للتلاميذ.

2) نظرية جان بياجيه في الاستثارة الفكرية

يعد بياجيه المؤسس الحقيق للنظرية البنائية المعرفية إذ يقول أن ذكاء وتفكير للإنسان له عمليتان هما: الأولى التنظيم ونعني به تكوين المعلومات المعرفية في نسق وأنظمة مترابطة ومتكاملة مع بعضها، الثانية التكيف وهي عملية توافق المعلومات الحديثة والقديمة مع الواقع التربوي داخل الصف (غباري، 2009، ص81)، وهذه العملية تتألف من خطوتين أحداهما التمثيل هو عملية عقلية مسؤولة عن استقبال المعلومات ووضعها في تراكيب معرفية موجودة عند الفرد، والثانية هي المواءمة بأنها العملية المسؤولية عن تعديل الأنماط والأفكار المعرفية وإثرائها وجعلها أكثر قدرة على التعميم والانتشار (النواسة وإيمان، 2015، ص84). ويرى الباحث

في ضوء هذا الطرح المعرفي لنظرية بياجيه أن المعلم التربوي لا يقتصر دوره على نقل المعرفة فحسب، بل ليشمل إثارة التفكير وتحفيز التركيز والتعلم النشط للتلاميذ من خلال تهيئة المنافسة المعرفية عبر طرح الأسئلة التعليمية والمعرفية التي تتحدى أفكار التلاميذ الحالية مما يشجعهم لإعادة التفكير وإعادة تركيب وتنظيم معلوماته، فضلًا عن مراعاة مراحل النمو المعرفي للتلاميذ، لأن المرحلة العمرية للتلميذ تتألف من سمات تفكيرية مختلفة منها الحسية والحركية والمعرفية والصورية، وهذا الأمر يدفع المعلم على أن يصمم استثارته الفكرية بما يناسب المرحلة التي يمر بها التلميذ. فضلًا عن ذلك يرى (بياجيه) أن الاستثارة الفكرية للمعلم تساعد التلميذ على تطوير تفكيره الذاتي والتحليل مما يؤدي إلى تعلم أكثر عمقًا وديمومة مستمرة للمعلومات والمعارف التي يطرحها المعلم داخل الصف الدراسي.

ثانيًا: الطلاقة اللفظية

1) أهمية الطلاقة اللفظية

تمثل الطلاقة اللفظية أساس في بناء المعلم الناجح، وفي تكوين الروابط الاجتماعية القوية، وفي إظهار القدرات الإبداعية والفكرية، ولا وجود للطلاقة اللغوية دون وجود الطلاقة اللفظية، بل أن الطلاقة اللغوية والطلاقة اللفظية معًا قائمتان على خبرة لغوية وافرة لدى المعلم، إذ أن اللغة وعاء الفكر، وأداة الإرسال والاستقبال، والأخذ والعطاء، وهذا ما يجعل الانتاج أو الإبداع الفكري والفني المدون للإنسان مرهونًا بوجودها، وقائم في نموه وارتقائه ووفرته واتساعه على نموها واتساعها وعلى ما يكتسب من مهارات عالية فيها (عبد الرحيم، 2025، ص15). وهذا ما أكدته بعض الدراسات إلى أن الطلاقة اللفظية تكون ذات مستوى عالٍ لدى الأفراد الذين لا يعانون من أي مشكلات معرفية، وذلك على العكس الأفراد الذين يعانون من مشكلات لفظية، ومن الاتجاه نفسه أكدت الدراسات أيضًا أن العمر في بعض الأحيان يلعب دورًا في الطلاقة اللفظية، حيث أن زيادة العمر تؤثر سلبًا على بعض العمليات المعرفية وليس كلها، كما أن للتعليم دورًا واضحًا في بناء الطلاقة اللفظية حيث أن استمرار المعلم في القراءة والكتابة والمطالعة لمواضيع غير الدراسية تجعله يمتلك مهارات لفظية كثير منها الكلام والتعبير وغيرها (معوض، 2023، ص72).

2) أهداف مهارة الطلاقة اللفظية

حدد (أبو العدوس، 2010، ص116) مجموعة من الأهداف نذكر أبرزها ما يأتي:

أ) إنها تساعد المعلمين على مواجهة صعوبات التدريس المختلفة التي تتطلب فصاحة اللسان والقدرة على الارتجال والثقة بالنفس.

ب) تعمل الطلاقة اللفظية على بناء شخصية المعلم من ناحية الأداء الصوتي، واللغة، والمعاني.

ج) تدرب المعلم على اختيار الكلمات والمعلومات الجيدة والأفكار الجميلة داخل الصف.

د) تنمي قدرة المعلم على ترتيب الأفكار والمعلومات بشكل متسلسل في طرحها والربط بينها وبين المادة الدراسية.

هـ) تمكن المعلم من السرعة في التعبير الكلامي والجرأة في مواجهة المتلقين.

و) تساعد المعلم على إظهار عدد من الأفكار ذات الصلة بالمواقف في إثناء الكلام مع الآخرين.

ز) إنها تعد وسائل لتعلم التعبير الكتابي والمطالعة المستمر لكون المعلم يتحدث بها قبل أن يكتب.

3) علاقة الطلاقة اللفظية بالتعبير الشفهي

دلت نتائج الدراسات أن الطلاقة اللفظية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمهارتي الكتابة والتحدث، وذلك لأن التعبير الشفهي يمثل أداة أساسية للمعلم في الصف الدراسي مما يؤدي دورًا مهمًا في تعليم فن التواصل وتنمية مهارات الحديث والاستماع، وقد وصفه التربويين بأنه الطريق الأول للتدريب على الطلاقة اللفظية، فضلًا عن دوره في بناء الثقة بالنفس للمعلم، إلى جانب زيادة القدرة على اختيار المعلومات والمعاني المناسب للتلاميذ (الدليمي وسعاد، 2005، ص138)، ومن الطريق نفسه أشارت الدراسات أن التعبير الشفهي هو فن التأثير في المستمع ليجذب إليه المتلقي بكل حواسه السمعية والبصرية والشعورية عن طريق اللفظ والعبارة فضلًا عن الأصوات والحروف، وذلك لأن التعبير الشفهي يتضمن أربعة عناصر مترابطة ولها علاقة إيجابية بالطلاقة اللفظية وهي (الفكرة، واللغة، والكلام و معني الواضع) (صومان، 2014، ص1616).

ثالثًا: الاستثارة الفكرية

1) أهمية الاستثارة الفكرية

أكدت الأدبيات التربوية أن الاستثارة الفكرية تمثل عاملًا مهمًا في بناء وتكامل شخصية المعلم، إذ تساهم في إتاحة الفرصة لطاقته العقلية بالظهور والنمو، وهناك علاقة بين الاستثارة الفكرية والتفكير الإبداعي كونها تعد محركات ودوافع تدفع المعلم للمشاركة بشكل فعال لمواجهة المواقف في حياته اليومية والدراسية، ويشر (دابروكسي) إلى أن الأفراد الذين يتميزون باستجابة عالية للمحفزات عن طريق امتلاكهم أنماط الاستثارة

الفكرية يكونون من حيث صلة ذلك بالأداء أكثر قدرة لتكوين شخصية متكاملة أكثر من أقرانهم الذين لا يمتلكون هذه الصفات (اللهيبي، 2022، ص54). ويرى (savovic,2017) أن الاستثارة الفكرية تجعل من المعلم داخل الصف يمارس سلوك القائد الذين يطور قدرة التلاميذ وميلهم على التفكير في المشكلات بطريقة جديدة وواضحة للمستقبل، فضلًا عن تزويدهم بالمعلومات والمعارف الفكرية والمعرفية في مواجه تحديات النظام التربوي المتغير ، وبالتالي زيادة قدرة تمسك التلاميذ بتطبيق المهام بشكل أكثر دقة وكفاءة لأجل الوصول إلى الأهداف التربوية الجيدة (savovic,2017, p98).

2) أهداف الاستثارة الفكرية

حدد (عبد الرحمن وآخرون، 2024، 876) أهداف الاستثارة الفكرية فيما يأتي:

أ) تعمل الاستثارة الفكرية للمعلم على تحفيز التفكير وتنمية مهارات التحليل وحل المشكلات لدى التلاميذ وتشجيعهم على طرح الأسئلة المتنوعة لموضوع معين.

ب) تسهم الاستثارة الفكرية على جذب وإثارة انتباه التلاميذ، كما تعمل على إثراء الكفاءة اللغوية والاستعداد للقراءة لديهم، وتشجيعهم على المشاركة الفاعلة داخل الصف وتحفيز النقاشات الهادفة.

ج) الاستثارة الفكرية هي الطريقة الأولى للمعلم لاكتشاف العالم المحيط به، واستخدام وإظهار مجموعة من المعلومات المخفية للتلاميذ لأجل تنمية المهارات اللغوية، وتشجيع التلاميذ على التعلم النشط والقدرة على مواجهة تحديات المستقبل.

د) تساعد الاستثارة الفكرية المعلم على توسيع آفاق التلاميذ وتنمية وعيهم بالقضايا الاجتماعية والثقافية.

هـ) تساعد المعلم على إعداد وتعزيز الأبداع والابتكار في التفكير وتقديم حلول حديثة للمشكلات.

و) تساعد المعلم على تطوير قدرات التلاميذ الفكرية والعقلية من أجل اتخاذ قرارات سليمة وواضحة بناءً على تحليل المعلومات والأفكار.

3) علاقة الاستثارة الفكرية والتفكير الإبداعي

تعد الاستثارة الفكرية من الخطوات التربوية المستخدمة حديثًا في تنمية مهارات التفكير الإبداعي من خلال توظيف الحواس سواء سمعية أو بصرية أو لمسية لتحسين النمو اللغوي وزيادة المحصلة اللغوية، إذ أكد الباحثون على أهمية الاستثارة الفكرية في إكساب التلاميذ الخبرات التعليمية والمهارات اللغوية والتعبيرية، وعلى ضرورة الابتعاد عن تدريب التلاميذ على الحفظ والتلقين، وذلك لأن مثل هذه الطرق تعوق تقدم وتعلم التلاميذ وتهمل قدراته واستعداداته الخاصة (صالح، 2017، ص27).

ومن الخطوات والنماذج التربوية التي اقترحها (أدوار دوي بونو) على استثارة وتحفيز التفكير الابداعي التي يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

أ) **تكوين معلومات بديلة عن السابقة:** هذه الخطوة أو الطريقة تتمثل بتأمل المعلم بالمعلومات والمعارف الحديثة وربطها بالسابقة من استثارة أنماط جديدة للأفكار تلاءم موضوع الدرس داخل الصف.

ب) **تحديد المقترحات والفرضيات:** وهي الخطوة الثانية الغاية منها إعادة ترتيب وتنظيم المعلومات بشكل سلسل بهدف تنمية وتطوير مهارات التعبير الإبداعي والقدرات العقلية والفكرية للتلاميذ وتسمى عادة بطريقة تركيب المعلومات.

ج) **البناء وتصميم الأفكار:** ما دام تصميم الأفكار والمعلومات ليس نسخًا أو تقليدًا فأن يتطلب درجة من الإبداع والتفكير ويكون التركيز على الوسائل المختلفة لعمل الأفكار والتحرر من الأفكار المتكررة والغير مفيدة.

د) **الطريقة العكسية أو التبديلية:** نعني بها تبديل أو انعكاس المعلومات داخليًا قبل خروجها عن طريق مهارتي التحدث والكتابة أي أن يعكسها من الداخل إلى الخارج أو من الأعلى إلى الأسفل وهذه طريقة الاستثارة إعادة ترتيب وتركيب المعلومات والمعارف (بوزان، 2001، ص167).

المبحث الثالث: منهجية البحث وإجراءاته

يسلط هذا الفصل على خطوات منهجية منظمة يعمل الباحث على عرضها بهدف تحقيق أهداف بحثه، والتي تتمثل بالآتي:

أولًا: منهج البحث:

اعتمدنا على المنهج الوصفي الارتباطي كونه المنهج المناسب في وصف الظاهرة وتحديد خصائصها وصفاتها والعوامل المؤثرة فيها فضلًا عن دراسة درجة العلاقة الارتباطية بينها وبين الظواهر الأخرى (عدس وآخرون، 2016، 221). ومما لا شك فيه أن الدراسات الارتباطية تسأل أسئلة عديدة منها: هل هناك علاقة بين متغيرين أو أكثر؟ أو ما درجة هذه العلاقة بين هذين المتغيرين؟ (الجابري، 2011، 287).

ثانيًا: مجتمع البحث:

ونعني به جميع الأفراد أو العناصر الذين يشكلون موضوع مشكلة البحث التي يسعى الباحث من خلاله إلى أن يصل لنتائج مفيدة ومناسبة (السلطاني وآخرون، 2016، ص33). ومن طريق هذا التعريف للمجتمع تكون مجتمع البحث الحالي من معلمي المدارس الصباحية والمسائية في محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي (2024-2025) وقد بلغ عددهم ما يقارب (2000) معلمًا ومعلمة.

ثالثًا: عينة البحث:

نقصد بالعينة على أنها جزء من المجتمع يجري اختيارها على وفق قواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلًا صحيحًا (العجرش، 2015، ص15)، وعلى ضوء هذا التعريف وغيره لجأ الباحث إلى اعتماد أسلوب المسح بالعينة بدل أسلوب المسح الشامل لاختيار مفردات المجتمع وذلك من أجل تحقيق فوائد عدة منها:

1. اختصار الوقت والجهد وكلفة أقل.
2. سرعة الوصول إلى النتائج بما يحقق أهداف الدراسة.
3. دقة كبيرة في النتائج خصوصًا في حالة التجانس النسبي بين الأفراد (**عليان وعثمان، 2013، ص154**).

وقد وجد الباحث أنه من المناسب أن يكون حجم عينة بحثة (200) وبنسبة (10%) وذلك في ضوء أحجام عينات الدراسات السابقة التي جاء فيها الكثير من الباحثين في مناهج البحث والقياس والتقويم، فضلًا عما جاء في الأدب التربوي الذي يؤكد على أنَّ حجم العينة ينبغي أن لا يقل عن (200) فرد كي

تعكس صدق البيانات للمجتمع الإحصائي بدلالة لا تقل عن (90%) (التميمي، 2015، ص177)، وبالتالي اخترت هذه العينة من مجتمع البحث بالأسلوب العشوائي البسيط من المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة.

رابعًا: أدوات البحث:

وجد الباحث أن طبيعة البحث الحالي وأهدافه تتطلب توافر أدوات أساسية لجمع المعلومات المطلوبة له من عينته، وبالتالي قام الباحث بإعداد مقياس لمهارات الاستثارة الفكرية، وآخر لقياس الطلاقة اللفظية. ويرى الباحث أن المقاييس من أكثر أدوات التقويم شيوعًا في النظام التربوي والتعليمي في العالم، إذ أنها تستخدم لمعرفة القدرات المعرفية والمهارية للمعلمين. وعليه تشير الدراسات في مجال إعداد المقياس وتصميمه إلى أنَّ تفسير النتائج تمكننا من التعرف على مستوى أفراد المجتمع من حيث قدرتهم وضعفهم ووضع خطة علاجية لهم (عبد الهادي، 2002، ص51).

1) مقياس الطلاقة اللفظية

من خلال البحث والاطلاع على المقاييس في الأدبيات التربوية والنفسية، والاستعانة بذوي الاختصاص في طرائق تدريس اللغة العربية وعلم النفس والقياس والتقويم، قام الباحث بإعداد مقياس للطلاقة اللفظية مؤلف من (30) فقرة واتبع عدة خطوات لبناء هذا المقياس منها:

أ) تحديد الهدف من المقياس: إن الغاية الأساسية من تحديد هدف المقياس هو معرفة مستوى وعي عينة البحث بمتغيراته ، فضلًا عن تحديد اتجاهاتهم والفروقات المحتملة بناءً على صفاتهم الديموغرافية، بالإضافة إلى فهم مضمون موضوع البحث، واتخاذ قرارات علمية أو تربوية أو اجتماعية بناءً على النتائج، لذا راعى الباحث تصميم مقياس الطلاقة اللفظية من خلال الاطلاع على الأدبيات الإنسانية والنفسية، وبالتالي اعتمد الباحث على نسبة (80% فأكثر) كمعيار لقبول مهارات الطلاقة اللفظية وإدراجها ضمن مهارات المقياس.

ب) مصادر مقياس الاختبار: توجد عدة مصادر لمقياس البحث، منها مقاييس الأدبيات السابقة كالبحوث والرسائل والأطاريح، فضلًا عن كتاب اللغة العربية للعام الدراسي (2023-2024). إلى جانب مصادر القياس والتقويم في كيفية صياغة فقرات المقياس.

ج) تحديد نوع الفقرات: بينت الدراسات النفسية والتربوية أن تحديد نوع الفقرات في المقياس يتوقف على طبيعة الدراسة وأهدافها، وغالبًا ما تكون الفقرات المستخدمة في المقاييس النفسية والاجتماعية من النوع الموضوعية أو المغلقة، وبالتالي لجأ الباحث بتحديد (30) فقرة لمقياس الطلاقة اللفظية.

د) طريقة القياس: اعتمد الباحث طريقة ليكرت الرباعية كونها تمتاز بسهولة عملية التصحيح وتسمح للمستجيب أن يعبر عن درجة مشاعره بصورة دقيقة (عودة، 2002، ص408)، إذ وضع الباحث أربع بدائل أمام كل فقرة من فقرات المقياس وهي (دائمًا، غالبًا، أحيانًا، أبداً) ويطلب من المفحوص أن يختار واحدة من بين البدائل الأربعة.

هـ) تصحيح المقياس وحساب الدرجة الكلية: إن عملية تصحيح المقياس يتطلب من الباحث أن يضع درجته عند إجابة المستجيب على كل فقرة من فقرات المقياس ثم يقوم بحساب الدرجة الكلية للمقياس من خلال جمع درجات الفقرات المقياس البالغة (30) فقرة، إذ أعطي الباحث (4) بدائل أمام كل فقرة يقابلها سلم درجات التصحيح وتتراوح (4،3،2،1) ولأجل الحصول على الدرجة الكلية لكل مفحوص تجمع الدراجات التي يحصل عليها من خلال إجابته على جميع الفقرات، علمًا أن أقل درجة تتراوح بين (30-120) درجة، وأن قيمة الوسط الفرضي للمقياس هي (75) درجة.

و) صدق المقياس: ونقصد به هو الاختبار الذي يقيس السلوك أو السمة التي وضعها الباحث لقياسها (عبد الهادي، 2002، ص121)، وللتأكد من صدق المقياس اعتمد الباحث على نوعين من الصدق هما:

- **الصدق الظاهري:** ويعني المظهر العام للمقياس من حيث المفردات وكيفية صياغتها وتعليمات المقياس ودقتها ودرجة فهمها ووضوحها وموضوعيتها ومدة ملائمة المقياس للغرض الذي وضع من أجله (العزاوي، 2007، ص93). وجد الباحث أن من وسائل التحقق من الصدق الظاهري للمقياس هو عرضه على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم النفسية والتربوية، لأبداء رأيهم من طريق اتفاقهم من أن المقياس يقيس ما وضع لقياس، لذلك قام الباحث بعرض المقياس على مجموعة من الخبراء والمتخصصون لمعرفة أراءهم وملاحظاتهم في مدى صلاحية الفقرات وسلامة صياغتها ومناسبتها لتحقيق هدف البحث، وبعد أن تم تعديل صياغة بعض الفقرات والتي نالت

رضى الخبراء بنسبة (80% فأكثر) لذلك فقد عدة فقرات المقياس صادقة وظاهرة للغرض الذي أعدت من أجله. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (1) يوضح آراء المحكمين بمدى صلاحية فقرات مقياس الطلاقة اللفظية

أرقام الفقرات	المحكمين		النسبة المئوية	قيمة مربع كاي المحسوبة	الجدولية	مستوى دلالة 0,05
	الموافقون	غير الموافقين				
3-5-6-8-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-30	8	0	%100	8	3,84	دالة
1- 7- 29- 2- 4-9- 27- 28	7	1	%88	4,50	3,84	دالة

- **الصدق العاملي**: يشير هذا النوع من الصدق إلى مدى قدرة فقرات المقياس على قياس السمة التي صمم لقياسها، وهذا النوع من الصدق يستخدم لتحديد العوامل الكامنة وراء مجموعة من الفقرات، أي أنه يشكل عاما إذا كانت الفقرات تتجمع في عوامل تمثل المفاهيم النظرية المستهدفة، لذا قام الباحث بتطبيقه على عينة التجربة الاستطلاعية الثانية والبالغة عددها (110) فردًا، وتم التحقق منه باستخدام معامل ارتباط (بيرسون) والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2) قيم معاملات ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الطلاقة اللفظية

ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط
1	0,684	11	0,775	21	0,398
2	0,345	12	0,450	22	0,362
3	0,655	13	0,662	23	0,367
4	0,520	14	0,741	24	0,369
5	0,554	15	0,630	25	0,485
6	0,679	16	0,286	26	0,632
7	0,595	17	0,493	27	0,244
8	0,526	18	0,462	28	0,524
9	0,788	19	0,542	39	0,252
10	0,531	20	0,539	30	0,333

وبينت المعالجة الإحصائية أن فقرات مقياس الطلاقة اللفظية جميعها دالة إحصائيًا، إذ يشير (أبيل) أن الفقرة تكون مقبولة إذا كانت قيمة معامل الارتباط (0,19) فأكثر.

ز) **التجربة الاستطلاعية**: لغرض معرفة المدة التي استغرقها معلمي اللغة العربية للإجابة على فقرات المقياس ووضوحه، أجرى الباحث تطبيق المقياس على عينة من معلمي اللغة العربية من مجتمع البحث نفسه ولها مواصفاته كان عددها (35) معلمًا ومعلمة، فأتضح أن المواقف والفقرات كانت واضحة وغير غامضة لدى المعلمين وأن متوسط الوقت المستغرق في الإجابة هو (45) دقيقة.

ح) **التحليل الإحصائي**: إن التحليل الإحصائي للمقياس يتضمن مجموعة من الخطوات التي تهدف إلى التحقق من صدق وثبات المقياس، وقوته التمييزية، وصولًا إلى نتائج البحث التي جمعها الباحث باستخدام ذلك المقياس، لذلك نفذ الباحث المقياس على العينة الاستطلاعية الثانية تكونت من (110) معلمًا ومعلمة، ولتسهيل الإجراءات الإحصائية رتب الدرجات تنازليا من أعلى درجة إلى أدنى درجة، ثم اختار

الباحث المجموعتين المتطرفتين العليا والدنيا بنسبة (27%) بوصفها مجموعتين لتمثيل العينة، وبعد ذلك تم تطبيق الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين من أجل استخراج القوة التمييزية للفقرات، وقد تبين أن جميع فقرات المقياس الـ(30) مميزة، وعند مستوى دلالة (0,05) والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (3) يوضح القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات مقياس الطلاقة اللفظية

تسلسل الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		قيمة (ت) المحسوبة
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
1	3.367	0.809	1.500	0.777	9,118
2	2.600	1.303	1.500	0.974	3,705
3	3.500	0.974	1.533	0.776	8,651
4	3.367	0.765	2.000	1.174	5,341
5	3.200	1.095	1.367	0.615	7,993
6	3.500	0.731	1.600	0.855	9,251
7	3.800	0.664	1.833	1.117	8,290
8	3.333	1.028	1.533	0.860	7,353
9	3.767	0.430	1.433	0.774	14,435
10	3.233	1.194	1.500	0.974	6,161
11	3.833	0.379	1.333	0.606	19,146
12	2.967	1.033	1.733	0.868	5,005
13	3.500	0.777	1.533	0.730	10,103
14	3.800	0.610	1.533	0.776	12,575
15	3.500	0.731	1.567	0.858	9,392
16	3.200	0.887	2.300	1.179	3,342
17	3.767	0.626	2.400	1.192	5,560

18	3.700	0.535	2.567	1.165	4,842
19	3.600	0.675	2.333	1.093	5,400
20	3.800	0.551	2.333	1.124	6,416
21	3.533	0.681	2.400	1.248	4,364
22	3.367	0.765	2.533	1.137	3,332
23	3.400	0.855	2.500	1.196	3,352
24	3.700	0.466	2.767	1.331	3,625
25	3.933	0.254	2.367	1.245	6,752
26	3.667	0.547	1.967	1.066	7,771
27	3.233	0.898	2.567	1.278	10,338
28	3.633	0.669	2.300	1.291	5,024
29	3.567	0.774	2.800	1.243	4,868
30	3.267	0.828	2.467	1.106	3,172

ط) ثبات الاختبار: يعرف الثبات بأنه درجة الاستقرار أو الاتساق في الدرجات المتحققة على مقياس البحث مع الزمن (البطش وفريد، 2007، ص134). لذلك اعتمد الباحث لحساب ثبات المقياس على معادلة معامل ارتباط بيرسون فبلغ (0,72%) وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان – براون صار (0,84%) وهو معامل ثبات جيد بالنسبة إلى مثل هكذا مقياس.

ي) المقياس في صورته النهائية: بعد الانتهاء من الإجراءات التي تحققت في الخطوات السابقة بقي المقياس في صورته النهائية مكون من (30) فقرة وبهذا أصبح المقياس جاهز للتطبيق على عينة البحث الحالية وهم معلمي اللغة العربية في محافظة كربلاء.

2) مقياس مهارات الاستثارة الفكرية

لغرض تحقيق أهداف البحث قام الباحث بإجراء الخطوات الآتية:

أ) **تحديد هدف البحث**: يهدف المقياس الحالي إلى قياس مهارات الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية.

ب) **تحديد المجالات**: تألف المقياس من ثلاث مجالات الأول: إثارة التفكير المعرفي، والثاني إثارة الابتكار، والأخير حل المشكلات ولكل مجال من هذه المجلات (10) فقرات.

ج) **إعداد فقرات المقياس**: أعد الباحث فقرات مقياس الاستثارة الفكرية الذي بلغ عددها (30) فقرة موزعة على ثلاث مجالات. وقد أعتمد الباحث في جمع الفقرات وصياغتها على مجموعة من الأدبيات والدراسات والمقاييس التي تناولت الاستثارة الفكرية، فضلًا عن بعض المقاييس الخاص بالاستثارة الحسية، وبالتالي صيغت فقرات المقياس بشكل موضوعي (اختيار من متعدد).

د) **طريقة القياس**: اعتمد الباحث طريقة ليكرت الرباعية كونها تمتاز بسهولة عملية التصحيح وتسمح للمستجيب أن يعبر عن درجة مشاعره بصورة دقيقة (عودة، 2002، ص408)، إذ وضع الباحث أربع بدائل أمام كل فقرة من فقرات المقياس وهي (دائمًا، غالبًا، أحيانًا، أبداً) ويطلب من المفحوص أن يختار واحدة من بين البدائل الأربعة.

هـ) **تصحيح المقياس وحساب الدرجة الكلية**: إن عملية تصحيح المقياس يتطلب من الباحث أن يضع درجته عند إجابة المستجيب على كل فقرة من فقرات المقياس ثم يقوم بحساب الدرجة الكلية للمقياس من خلال جمع درجات الفقرات المقياس البالغة (30) فقرة، إذ أعطي الباحث (4) بدائل أما كل فقرة يقابلها سلم درجات التصحيح وتتراوح (1،2،3،4) ولأجل الحصول على الدرجة الكلية لكل مفحوص تجمع الدراجات التي يحصل عليها من خلال إجابته على جميع الفقرات، علمًا أن أقل درجة تتراوح بين (30-120) درجة، وأن قيمة الوسط الفرضي للمقياس هي (75) درجة.

و) **صدق المقياس**: تعتمد درجة الثقة بالمقياس إذ كان المقياس يحمل مؤشرًا للصدق، لأن الصدق يعني جودة المقياس، ويعتمد على قياس السمة المراد قياسها (الظاهر وآخرون، 1999، ص132). وقد تحقق الباحث من صدق المقياس بطريقتين:

– **الصدق الظاهري**: عرض الباحث فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء والمحكمين المتخصصين في طرائق التدريس والعلوم النفسية والتربوية، والقياس والتقويم، وقد طلب من كل محكم فحص فقرات المقياس وتقدير صلاحيتها لقياس ما أعدت له، وقد اعتمد الباحث نسبة (80% فأكثر) كمعيار لقبول الفقرة،

وقد أبدى الخبراء موافقتهم على عدد الفقرات وأوزانها مع إجراء بعض التعديلات اللغوية وإعادة صياغتها من جديد بحيث لا تؤثر في محتوى مضمون الفقرة، ولتحليل آراء الخبراء تم استعمال النسبة المئوية، ومربع كاي وكانت جميع الفقرات دالة إحصائيًا عن مستوى دلالة معنوية (0,05) وجدول (4) يوضح ذلك

جدول (4) يوضح آراء المحكمين بمدى صلاحية فقرات مقياس الاستثارة الفكرية

أرقام الفقرات	المحكمين		النسبة المئوية	قيمة مربع كاي المحسوبة	الجدولية	مستوى دلالة 0,05
	الموافقون	غير الموافقين				
3-5-6-8-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-1-7-26-30-23	8	0	%100	8	3,84	دالة
29-2-4-9-27-28-24-25-26	7	1	%88	4,50	3,84	دالة

- **الصدق العاملي**: ونعني به صدق البناء الذي يعمل على قياس قوة الفقرة وتأثيرها من خلال حساب درجة تشبع المقياس بالظاهرة المعروضة، لذا قام الباحث بتطبيقه على العينة الاستطلاعية الثانية البالغ حجمها (110) فردًا، وبعد تحليل إجابات هذه العينة على المجالات الفرعية الثلاثة لمقياس الاستثارة الفكرية وباستعمال معامل ارتباط (بيرسون) حسب مصفوفة الارتباطات الداخلة بين المجالات الفرعية كما هي في الجدول (5)

جدول (5) يوضح مصفوفة الارتباطات الداخلة بين المجالات الفرعية الثلاثة لمقياس الاستثارة الفكرية

المجالات	الدرجة الكلية	التفكير المعرفي	إثارة الابتكار	حل المشكلات
الدرجة الكلية	1	0,854	0,870	0,773
التفكير المعرفي	0,854	1	0,578	0,467
إثارة الابتكار	0,870	0,578	1	0,594
حل المشكلات	0,773	0,467	0,594	1

ز) **إعداد تعليمات المقياس:** إنَّ كتابة تعليمات المقياس شيء ضروري يساعد المستجيب على معرفة ما مطلوب منه، وتنفيذ ما يراد منه بصورة دقيقة، لذا راعى الباحث الوضوح وسهولة فهم المعلومات وطلب من كل مستجيب أن يضع علامة (✓) أمام البديل الذي يراه مناسبًا، مع التأكيد على الدقة عند الإجابة ولكي يجيب المعلم بصورة مطمئنة ويبتعد عن المرغوبية الاجتماعية ذكر الباحث أن الإجابة هي لأغراض البحث الحالي، ولا تؤخذ بنظر الاعتبار الإجابة الصحيحة من الإجابة الخاطئة، بل أن جميع الإجابات محترمة، ولن يطلع عليه سوى الباحث.

ح) **التجربة الاستطلاعية الأولى:** طبق الباحث على عينة عشوائية تألفت من (100) معلمًا ومعلمة من معلمي اللغة العربية، وكان الهدف من هذا الإجراء معرفة مدى وضع تعليمات المقياس ومدى فهم أفراد العينة لفقراتِهِ، وحساب الوقت المستغرق للإجابة عنه، وقد تبين للباحث أن فقرات المقياس كانت واضحة وأن البدائل كانت مفهومه، أما الوقت المستغرق للإجابة كان بين (20-50) دقيقة بمتوسط فرضي قدره (35) دقيقة.

ي) **التحليل الإحصائي لفقرات المقياس:** ويقصد به تفسير العلاقات التي يحصل عليها المعلمون بعد تطبيق المقياس، بحيث توضع درجاته بصورة كلية، ويتمثل ذلك بتحليل علاقة كل فقرة من فقرات المقياس، وتعد عمية التحليل الإحصائي للفقرات خطوة أساسية في بناء أي مقياس، وذلك لأنها تكشف عن الخصائص السايكومترية لفقراته التي تساعد معهده في اختبار الفقرات ذات الخصائص الجيدة مما يؤدي إلى زيادة صدقه (الطائي، 2021، ص73). وقد قام الباحث بالإجراءات الآتية بغية لتحليل فقرات المقياس إحصائيا.

- **تطبيق المقياس على العينة الاستطلاعية الثانية:**

تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية عشوائية ثانية مماثلة لعينة البحث الأساسية المكونة من (110) معلمًا من معلمي اللغة العربية، لغرض إيجاد قوة تمييز الفقرات، ويعد حجم هذه العينة مناسبًا لتحليل فقرات المقياس إحصائيًا، ونقلًا عن يقترح (ننلي، 1981) أن يكون حجم عينة التحليل الإحصائي بما لا يقل عن خمسة أفراد مقابل كل فقرة من مجموع فقرات الاختبار والمطابقة (الطائي، 2021، ص128). وبعد إتمام عملية التصحيح بالاعتماد على مفتاح الإجابة النموذجية للمقياس، تم تحليل فقرات المقياس بترتيب درجات المعلمين للعينة ترتيبًا تنازليًا ثم اخُتيرت العينتان المتطرفتان العليا والدنيا بنسبة (27%) بوصفها مجموعتين منفصلتين لتمثيل العينة كلها، إذ تم أخذ أوراق إجابة أعلى (27%)، وأدنى (27%) من مجموع درجة المعلمين الكلية، وبعد ذلك تم تطبيق الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين من أجل استخراج القوة التمييزية للفقرات، ولقد تبين أن جميع فقرات المقياس الـ(30) مميزة، وعند مستوى دلالة (0,05). وجدول (6) يوضح ذلك.

جدول (6) يوضح القوة التمييزية لفقرات مقياس الاستثارة الفكرية

تسلسل الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		قيمة (ت) المحسوبة
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
1	3.333	0.884	1.567	0.898	7,680
2	2.867	1.224	1.500	0.974	4,785
3	3.400	1.070	1.567	0.817	7,458
4	3.433	0.774	1.967	1.189	5,664
5	2.900	1.242	1.433	0.774	5,491
6	3.500	0.731	1.667	0.959	8,328
7	3.733	0.740	1.833	1.117	7,769
8	3.133	1.106	1.500	0.861	6,383
9	3.733	0.450	1.500	0.900	12,156
10	3.233	1.165	1.400	0.855	6,948

15,631	0.596	1.300	0.626	3.767	11
4,498	0.868	1.733	1.020	2.833	12
9,541	0.731	1.500	0.860	3.467	13
10,335	0.894	1.600	0.691	3.733	14
9,063	0.860	1.533	0.820	3.500	15
3,427	1.202	2.267	0.971	3.233	16
5,766	1.217	2.367	0.610	3.800	17
5,676	1.196	2.533	0.379	3.833	18
5,196	1.070	2.400	0.675	3.600	19
6.067	1.129	2.367	0.568	3.767	20
4,372	1.279	2.467	0.814	3.400	21
3,332	1.137	2.533	0.765	3.367	22
3,724	1.223	2.433	0.817	3.433	23
3,951	1.311	2.733	0.450	3.733	24
5,869	1.269	2.333	0.592	3.833	25
7,771	1.066	1.967	0.547	3.667	26
3,364	1.306	2.500	0.961	3.200	27
5,080	1.291	2.300	0.711	3.667	28
2,239	1.262	2.833	0.900	3.467	29
3,489	1.104	2.433	0.794	3.300	30

ك) ثبات المقياس

تم التأكد من ثبات مقياس الاستثارة الفكرية باستعمال معادلة ألفا كرونباخ وهي من أكثر والوسائل الإحصائية استعمالًا في الإحصاء، إذ أنها تمتاز بتنسيقها وإمكانية الوثوق بنتائجها وتعتمد هذه الطريقة على حساب الارتباط بين درجات جميع فقرات المقياس على اعتبار أن كل فقرة عبارة عن مقياس بذاته، فتين أن ثبات مقياس الاستثارة الفكرية الكلية بلغت (0,90) وهي قيمة اتساق جيدة في المقاييس النفسية والتربوية كما موضع في جدول الآتي:

جدول (7) يوضح ثبات مقياس الاستثارة الفكرية والمجالات الفرين

ت	المجالات	معدل الثبات
1	التفكير المعرفي	0,87
2	إثارة الابتكار	0,85
3	حل المشكلات	0,75
الدرجة الكلية		0,90

ل) الصورة النهائية لمقياس الاستثارة الفكرية: بعد أن تعرض المقياس للإجراءات الإحصائية اللازمة أصبح جاهزًا للتطبيق بصورته النهائية، إذ تكون من (30) فقرة، من نوع الاختيار من متعدد ذ البدائل الأربعة، وملحق (1) يعرض مقياس الاستثارة بصورته النهائية.

خامسًا: التطبيق النهائي للبحث

بعد أن أكمل الباحث من بناء مقاييس البحث كمقياس الطلاقة اللفظية ومقياس الاستثارة الفكرية، وبعد التحقق من الخصائص السايكومترية المتمثلة بالصدق والثبات قام الباحث بتطبيق المقياسين على عينة البحث النهاية والبالغة (200) معلم ومعلمة للعام الدراسي (2024-2025) إذ أن مدة التطبيق استمرت من (2024/10/25 لغاية 2024/12/25م) وبعد الانتهاء من مدة التطبيق قام الباحث بتفريغ وتصحيح معلومات المقياسين وحساب الدرجات على وفق المعيار أو المفتاح المحدد لكل مقياس.

سادسًا: الوسائل الإحصائية.

استعمل الباحث عددٍ من وسائل إحصائية في إجراءات البحث منها النسبة المئوية، اختبار مربع كاي، معامل ارتباط بيرسون، معامل ارتباط سبيرمان، معادلة ألفا كرونباخ، إلى جانب اختبار التائي لعينة واحدة والاختبار التائي لعينتين مستقلتين، بالإضافة إلى الوسط الحسابي والانحراف المعياري.

المبحث الرابع عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها

أولًا: عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها

الهدف الأول: التعرف على درجة الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية.

لتأكيد من صحة هذا الهدف لجأ الباحث إلى تطبيق مقياس الطلاقة اللفظية على عينة البحث المؤلفة من (200) معلمًا ومعلمة في تخصص اللغة العربية، وبعد حصوله إلى الاستمارات الموزعة عليهم قام بتصحيح درجات إجاباتهم، وعلى هذا المنوال حصلت عينة البحث على متوسط حسابي قدره (87,740)، وبانحراف معياري بلغ (15,810) بينما كان الوسط الفرضي (75)، ولمعرفة دلالة الفروق عند موازنة المتوسط الحسابي مع الوسط الفرضي استعمل الباحث الاختبار التائي لعينة واحدة، تبين أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (10,443) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,960) عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (119) وهذا يدل على أن عينة البحث تتصف بمقدار عالي من مهارة الطلاقة اللفظية والجدول (8) يوضح ذلك.

جدول (8) يوضح نتائج اختبار التائي لعينة واحدة لمقياس الطلاقة اللفظية

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة	النتيجة
200	87,740	15,810	75	10,443	1,960	119	0.05	دالة

ويفسر الباحث هذه التنجية إلى أن الطلاقة اللفظية لمعلمي اللغة العربية تمثل أهم المهارات الكلامية التي تميز أداءهم داخل الصف، إذ أنها تمكن المعلم من التعبير الواضح والدقيق باستخدام اللغة الفصحى مما يساعد في إيصال المعلومات والأفكار بشكل سليم وواضح، وهذا ما أكدته نظرية (وليام جوردن) أن مهارة الطلاقة

اللفظية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرة المعلم على التفاعل الإيجابي مع التلاميذ، وإداء الحوار فضلًا عن طرح الأسئلة بشكل متسلسل ومفهوم، الأمر الذي يعكس أثرًا إيجابيًا على مخرجات التعلم داخل الصف.

الهدف الثاني: التعرف على مستوى درجة الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية وفقًا لمتغير الجنس.

لغرض التعرف على الفروق في مستوى الطلاقة اللفظية لدى عينة البحث اعتمد الباحث على تطبيق مقياس الطلاقة اللفظية على العينة البالغة (200) فردًا، حيث كان الوسط الحسابي للذكور قدره (92,02)، وبانحراف معياري بلغ (11,210)، فيما كان الوسط الحسابي للإناث قدره (81,46) وبانحراف معياري بلغ (18,057)، ولمعرفة دلالة الفروق استعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (4,969) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,960) وعند مستوى دلالة معنوية (0,05) ودرجة حرية (198) وهذا يدل على أن هناك فروق معنوية في الطلاقة اللفظية لدى معلمي اللغة العربية ولصالح الذكور. والجدول الآتي يوضح ذلك

جدول (9) يوضح نتائج اختبار التائي لعينتين مستقلتين لمقياس الطلاقة اللفظية وفق متغير الجنس

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية		
ذكور	100	92,02	11,210	4,969	1,960	198	دالة
إناث	100	81,46	18,057				

ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن الذكور في عينة البحث قد يكونون أكثر انخراطًا في مواقف تدريسية تحفز استخدام اللغة العربية بشكل مرن ومتنوع من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تكون هناك عوامل بيئية أو اجتماعية تؤثر على تطوير الطلاقة اللفظية لدى الإناث، كقلة الفرص في التفاعل اللفظي الذي يحد من قدرت تفاعلهن في الأنشطة اللغوية الفكرية المكثفة.

الهدف الثالث: التعرف على درجة الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية.

ولتأكيد من صحة هذا الهدف لجأ الباحث إلى تطبيق مقياس الاستثارة الفكرية على عينة البحث المؤلفة من (200) معلمًا ومعلمة في تخصص اللغة العربية، وبعد حصوله إلى الاستمارات الموزعة عليهم قام بتصحيح درجات إجاباتهم، وعلى هذا المنوال حصلت عينة البحث على متوسط حسابي قدره (85,970)، وبانحراف معياري بلغ (12,024) بينما كان الوسط الفرضي (75)، ولمعرفة دلالة الفروق

عند موازنة المتوسط الحسابي مع الوسط الفرضي استعمل الباحث الاختبار التائي لعينة واحدة، تبين أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (12,902) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,960) عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (119) وهذا يدل على أن عينة البحث تتصف بمقادر عالي من مهارة الاستثارة الفكرية والجدول (9) يوضح ذلك.

جدول (10) يوضح نتائج اختبار التائي لعينة واحدة لمقياس الاستثارة الفكرية

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة	النتيجة
200	85,970	12.024	75	12,902	1,960	119	0.05	دالة

ويؤكد الباحث أن هذه النتيجة تفسر على أن مهارة الاستثارة الفكرية ومجالاتها الثلاثة (التفكير المعرفي، والإثارة الابتكارية، وحل المشكلات) تُعد المكونات الرئيسية في العملية التربوية والتعليمية، وهذا ما ذهب إليه (جان بياجيه) في نظريته التعلم المعرفي أن مهارة الاستثارة الفكرية تعكس قدرة المعلم على تشجيع التلاميذ نحو التفكير العميق، فضلًا عن إشراكهم في مواقف تعليمية تتطلب التحليل والتأمل والابتكار، كما تسهم هذه المهارة في بناء بيئة صفية ديناميكية تحفز التلاميذ على التعبير عن آرائهم، وتطوير حلول إبداعية للمشكلات مما يعزز من بناء مهارات التفكير المعرفي لديهم من أجل مواجهة تحديات التعلم.

الهدف الرابع: التعرف على مستوى درجة الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية وفقًا لمتغير الجنس

لغرض التعرف على الفروق في مستوى الطلاقة اللفظية لدى عينة البحث اعتمد الباحث على تطبيق مقياس الاستثارة الفكرية على العينة البالغة (200) فردًا، حيث كان الوسط الحسابي للذكور قدره (92,13)، وبانحراف معياري بلغ (8,276)، فيما كان الوسط الحسابي للإناث قدره (79,81) وبانحراف معياري بلغ (12,061)، ولمعرفة دلالة الفروق استعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (8,422) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,960) وعند مستوى دلالة معنوية (0,05) ودرجة حرية (198) وهذا يدل على أن هناك فروق معنوية في الاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية ولصالح الذكور. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (11) يوضح نتائج اختبار التائي لعينتين مستقلتين لمقياس الاستثارة الفكرية وفق متغير الجنس

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية		
ذكور	100	92,13	8,276	8,422	1,960	198	دالة
إناث	100	79,81	12,061				

ويرجح الباحث تفسير هذه النتيجة إلى مجموعة من العوامل منها اختلاف أساليب التفكير أو مستوى الثقة بالنفس، فضلًا عن تباين في فرص التدريس والمشاركة التعليمية، إضافة إلى تأثير بعض الأدوار الاجتماعية والثقافية التي قد تعيق من تفاعل الإناث في بيئة التعليم التي تتطلب قدرًا عالٍ من المبادرة والتحليل.

الهدف الخامس: التعرف على العلاقة الارتباطية بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية

لغرض التأكد من صحة الهدف أعلاه، لجأ الباحث إلى استعمال معامل ارتباط بيرسون لعينة البحث البالغة (200) فردًا، كما استعمال الاختبار التائي الخاص بمعامل الارتباط للتعرف على دلالة معامل الارتباط لدرجات كل من الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية، وكانت النتائج كما هي موضح في الجدول (12).

جدول (12) يوضح معامل الارتباط للعلاقة بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية

العلاقة	نوع الارتباط	الوسط الحسابي	انحراف معياري	قيمة معامل	القيمة التائية		درجة	مستوى	الدلالة
					المحسوبة	الجدولية			

			الارتباط			الحرية	الدلالة	
الطلاقة اللفظية	بسيط	87,740	15,810	0,325	6,454	1.96	198	0.05	دالة
الاستثارة الفكرية		85,970	12.024						

إذ تشير نتائج الجدول أعلاه إلى أن العلاقة الارتباطية طردية بين الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية دالة إحصائيًا، لأن القيمة التائية المحسوبة بلغت (6,454) وهي أكبر من القيمة الجدولية (1,96) عند مستوى دلالة (0,05)، ودرجة حرية (219)، كما أن قيمة الارتباط البسيط المحسوبة بلغت (0,325) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (0,178) وعند مستوى معنوية (0,05)، ودرجة حرية (198)، وهذا يدل على وجود علاقة طردية بين مهارة الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية، ويرجح الباحث هذه العلاقة الارتباطية إلى أن معلمي اللغة العربية الذين يمتلكون مهارة الطلاقة اللفظية عالية يكونون أكثر قدرة على التعبير عن أفكارهم ومعلوماتهم بشكل متسلسل ومنظم، مما يساعدهم على إثارة تفكير التلاميذ وتشجيعهم نحو التفاعل المعرفي والعقلي داخل الصف، وبالتالي فالمعلم الذي يمتلك طلاقة لغوية يستطيع تكوين وبناء أسئلة بطرق متنوعة ومفهومة، فضلًا عن استخدام الأساليب البلاغية واللغوية التي تثير الفضول المعرفي للتلاميذ، كما أن الطلاقة اللفظية تمكن المعلم من معالجة موضوعات معقدة داخل الصف بطريقة بسيطة ومنظومة، الأمر الذي يمكن أن يسهم في بناء بيئة صفية تفاعلية بين التلاميذ تساعد في تنمية المهارات المعرفية والفكرية لدى التلاميذ.

ثانيًا: الاستنتاجات

في ضوء النتائج توصل الباحث إلى عدة استنتاجات من أبرزها ما يأتي:

1. إن معلمي اللغة العربية يتمتعون بمستوى مرتفع من مهارات الطلاقة اللفظية وهو ما يشير إلى قدرتهم الفائقة على استخدام اللغة بشكل مرن ومتنوع سواء في التعبير الشفهي أو في القدرة على توصيل المفاهيم العلمية للتلاميذ.

2. إن معلمي اللغة العربية يمتلكون كذلك مهارات جيدة في الاستثارة الفكرية والتي تشمل قدرتهم على إثارة التفكير المعرفي والابتكار وحل المشكلات لدى التلاميذ.
3. هناك فروق ذات دلالة إحصائية لمستوى درجة الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية لصالح الذكور.
4. وجود علاقة ارتباطية موجبة عند مستوى (0,05) بين مهارات الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية، مما يدل على أن ارتفاع مستوى الطلاقة للفظية لدى المعلم يسهم بشكل مباشر في تعزيز قدرته على تشجيع التفكير لدى التلاميذ، فضلًا عن امتلاكهم ثراء لغوي وقدرة على التعبير الشفهي المنظم الذي يحفز ويطور القدرات المعرفية والذهنية للتلاميذ.

ثالثًا: التوصيات

1. ضرورة إدخال طرائق تدريس حديثة تمنح المعلمين حرية التعبير عن آرائهم من غير تردد حتى يصلو إلى مستوى الإبداع.
2. ضرورة تدريب المعلمين على مهارات التفكير المعرفي، وذلك لمواكبة التغييرات العالمية الحديثة من ناحية العلم والأدب.
3. يجب الاهتمام والعناية بمفردات اللغة العربية لدى معلمي اللغة العربية لما لها من أهمية في زيادة القدرة المعرفية السابقة وربطها بالمواقف الجيدة.
4. ضرورة توفير أسس وأدوات فكرية متنوعة تساعد المعلمين على تطبيق أفكارهم المختلفة في البيئة الصفية لأجل تعزيز مهارات الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية.
5. ضرورة اعتماد مهارات الطلاقة اللفظية والاستثارة الفكرية في تدريس مادة التعبير في المرحل الابتدائي لأنها حققت نتائج جيدة.

رابعًا: المقترحات

في ضوء توصيات البحث اقترح الباحث مجموعة من المقترحات ومن أبرزها:

1. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مدرسي اللغة العربية في المراحل الثانوية والإعدادية.
2. إجراء دراسة مماثلة في علاقة الطلاقة اللفظية بالمتغيرات الأخرى مثل الذكاء اللغوي والوعي الأدبي والاتجاه نحو المادة.

3. إجراء دراسة عن العلاقة بين الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالتفكير التأملي لدى معلمي اللغة العربية في المرحل الابتدائية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

1. أبو العدوس، يوسف مسلم (2010): المهارات اللغوي وفن الإلقاء، ط3، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. أبو صالح، هدى عثمان (2017): أثر طريقة منتسوري في تحسين مهارتي الاستماع والمحادثة لدى طفل الروضة، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
3. البطش ، محمد وليد وفريد كامل ابو زينة (2007م) مناهج البحث العلمي تصميم البحث والتحليل الاحصائي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، الأردن.
4. بوزان، توني (2001): قوة الذكاء الاجتماعي، دار حرير، السعودية.
5. التميمي، فاطمة مجيد محمد حسين (2015): التعبير التحريري وعلاقته بالذكاء اللغوي والتفكير الإبداعي عند طلبة الصف السادس الإعدادي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.
6. جاب الله وآخرون (2000): تعليم القراءة والكتابة وأسسها وإجراءاتها التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
7. الجابري، كاظم كريم رضا (2011): مناهج البحث العلمي في التربية وعلم النفس، ط1، مكتب الأمير للطباعة والاستنساخ، بغداد، العراق.
8. الجبلي، سوسن، شاكر (2004): آثار العنف وإساءة معاملة الأطفال على الشخصية المستقبلية، مقال منشورة في موقع الحوار المتمدن في تاريخ 2004/5/16م، رابط المقال: (https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=18331).
9. حمزة، سالم ناظم ناصر (2019): أثر تدريس المطالعة بإستراتيجية سكامبر في تنمية الطلاقة اللفظية والتعبيرية عند طلاب الصف الرابع الأدبي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بابل، العراق.

10. الخفاف، إيمان عباس، وعبد ندة، تأميم خلف (2023): التعبير الإبداعي والتفكير، ط1، دار الإنشاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
11. درداش، معمر (2008): تقويم الكتاب المدرسي في اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط دراسة تقويمية، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، الجزائر.
12. زاير، سعيد علي، داخل، سماء تركي (2011)، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربة، ج1، ط1، دار المرتضى للطبع والنشر، بغداد، العراق.
13. سكارلة، بلال خلف (2009): أخلاقيات العمل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
14. السلطاني، حمزة مجيد وآخرون (2016): مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط1، دار رضوان للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
15. الشمري، دموع فخري (2018): تقويم أداء معلمي القراءة للمرحلة الأولى في ضوء مهاراته الاتصال اللفظي، رسالة ماجستير (منشورة)، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
16. صوفي نعيمة (2010): الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الأستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور المتوسط، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة منتوري، كلية الدراسات العليا، القسطنطينية.
17. الطائي، أحمد كاظم يحيى (2022): مهارات الأداء اللغوي اللازمة لمشرفي اللغة العربية ومشرفاتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد، العراق.
18. الطائي، تأميم خلف عبد نده (2021): التعبير الإبداعي وعلاقته بمهارات التفكير الاستدلالي والناقد والتأملي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.
19. الطنطاوي، محمود محمد (2017): أنماط الاستثارة الفائقة لدى المتفوقين عقليا وعلاقتها بمستوى الكمالية، مجلة التربية الخاصة، المجلد (5)، العدد(20)، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
20. الظاهر وآخرون (2007): مبادئ القياس والتقويم في التربية، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن.

21.عبد الرحمن، محمد السيد وآخرون (2024): فاعلية برنامج تدريبي قائم على الاستثارة النطقية في تنمية مهارات اللغة الاستقبالية والتعبيرية لدى الأطفال ذوي اضطراب اللغة النمائي، مجلة كلية التربية بتفهنا الأشراف، المجلد (2)، العدد (3) ، جامعة الأزهر، مصر.

22.عبد الرحيم، محمود عبد الجبار محمد (2025): فاعلية التدريب على الاسترخاء وفنيات تعديل السلوك في خفض اضطراب الطلاقة اللفظية لدى أطفال الروضة، المجلة الدولية للبحوث والدراسات في العلوم التربية الخاصة، المجلد(5)، العدد(9)، مصر.

23.عبد الهادي، نبيل (2001): القياس والتقويم التربية في مجال التدريس الصفي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

24.عبد عون، فاضل ناهي (2013): طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبها، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

25.العجوش، حيدر حاتم فالح (2015): أسس البحث في التربية وعلم النفس، ط1، دار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

26.عدس، عبد الرحمن وآخرون (2011): البحث العلمي "مفهومه – أدواته – أساليبه"، ط1، مكتب أحمد الدباغ للطباعة، بغداد، العراق.

27.العزاوي ، وحيد يونس (2007م) القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط1 ، دار دجلة ، الأردن.

28.العزاوي،

29.العفون، نادية حسين (2012): التفكير أنماطه ونظرياته وأساليب تعليميه وتعلمه، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

30.علام، صلاح الدين محمود (2000): القياس والتقويم التربوي والنفسي " أساساته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة"، ط1، دار الفكر العربي، مصر.

31.عليان، ربحي مصطفى، وغنيم، عثمان محمد (2013): أساليب البحث العلمي "النظرية والتطبيق"، ط1، دار صفاء النشر والتوزيع، عمان، الأردن.

32.عليمات، محمد مقبل (1997): الكفايات الضرورية لمعلمي التعليم المهني في المرحلة الثانوية في الأردن من وجهة نظر معلمي المدارس المهنية ومديريها "، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، المجلد (13)، العدد (3)، سوريا.

33.عودة ، احمد سليمان (2000) القياس والتقويم في العملية التدريسية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

34.عودة، أحمد داخل (1993): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط3، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن.

35.غباري ،ثائر احمد وخالد ابو شعيرة، (2009): علم النفس التربوي وتطبيقاته الصفية ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان.

36.القواسمة، أحمد حسن، وأبو غزالة، محمد أحمد (2013): تنمية مهارات التعلم والتفكير والبحث، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

37.اللهيبي، زهراء عبد المحمد (2022): العلاقة بين الاستثارة العقلية الفائقة وإدارة الانطباع لدى طلبة المرحلة الإعدادية المتميزين والعاديين) في محافظة النجف الأشرف، مجلة تسنيم الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية، العدد (2)، بيروت، لبنان.

38.معوض، ربى عبد المطلوب (2023): علاقة الطلاقة اللفظية بالإدراك البصري لدى طالبات الجامعة دراسة تنبؤية، مجلة العلوم التربوية، الجزء(5)، العدد(1)، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

39.النوايسة ، أديب عبدالله محمد وإيمان طه طايع القطاونة (2015): النمو اللغوي والمعرفي للطفل ، دار الإعصار العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

1. Bass, B. M., & Avolio, B. J. (Eds.) (1994). Improving organizational effectiveness through transformational leadership. Thousand Oaks, CA: Sage Publication , London.
2. Sladjana Savovic (2017): The Impact Of The Dimensions Of Transformational Leader ship on The Post-Acquisition Preformance of Acquired company, Economic Hori, volum 19 ;number2.

الملاحق

ملحق (1)

أسماء الخبراء وأماكن عملهم وتخصصهم العلمي

ت	اللقب العلمي والاسم	التخصص	مكان العمل
1.	أ.د. ابتسام صاحب موسى الزويني	طرائق تدريس العربية	جامعة بابل– كلية التربية الأساسية
2.	أ.د. ضياء عويد حربي العرنوسي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل– كلية التربية الأساسية
3.	أ.د. ضياء عبد الله أحمد التيمي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
4.	أ.د. عبد السلام جودة الزبيدي	قياس وتقويم	جامعة بابل– كلية التربية الأساسية
5.	أ.د. عماد حسين المرشدي	علم النفس التربوي	جامعة بابل –كلية التربية الأساسية
6.	أ.د. عمران صكب كضيب	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية
7.	أ. د. سيف طارق حسين العيساوي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية
8.	أ.د. إيمان عباس علي الخفاف	علم النفس التربوي	الجامعة المستنصرية– كلية التربية الأساسية

ملحق (2) مقياس الطلاقة اللفظية

عزيزي المعلم 00000 عزيزتي المعلمة.

يود الباحث أن يلفت عنايتكم إلى أنه بصدد إجراء بحث علمي الموسوم بعنوان (الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية)، ومن أجل إكمال خطوات هذه البحث وتحقيق أهداف بدقة وموضوعية، يرجى من جنابكم الكريم التفضل بالإجابة الصادقة والموضوعية على فقرات

المقياس المرفق، علمان أن جميع الإجابات ستعامل بسرية تامة وتستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

فلكم منا بالغ الشكر والتقدير على تعاونكم وجهودكم المباركة

الباحث: م.د تأميم خلف عبد ندة

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة/ مركز كربلاء الدراسي

الجنس: ذكر ( ) أنثى ( )

ت	الفقرات/ الأوزان	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	أبداً
1	أجيد استعمال اللغة في إمتاع الآخرين				
2	أتمكن من استرجاع أكبر عدد من الألفاظ بسرعة مناسبة				
3	مهاراتي اللغوية تساعدني في حل المشكلات المعرفية				
4	لغتي العالية تساعدني على توصيل أفكاري للآخرين				
5	أستطيع تحليل أحداث القصص المعقدة للتلاميذ				
6	أتمكن من استنباط المعنى من وراء الكلمات				
7	لدي القدرة العالية على توصيل معلومات الدرس للتلاميذ بشكل جيد				
8	أتكلم بجراءة وطلاقة أمام الآخرين				
9	أستطيع الارتجال عندما أتلف بإلقاء كلمة				
10	أمتلك السرعة البديهية بالإجابة عن تساؤلات التلاميذ				
11	أمتلك خزينًا من الكلمات والمعاني				
12	تساعدني مرونتي اللغوية في التعبير عن مشاعري بدقه				
13	لدي قدرة لغوية تمكنني من الحديث عن أي موضوع بصورة مفاجئة				
14	أستطيع فهم وتوضيح الرسوم والجداول البيانية				

15	أستطيع سرد القصص والحكايات بأسلوب مشوق				
16	أتخيل شكل العبارات في عقلي قبل أن أقراها أو أكتبها				
17	لدي القدرة على إعادة ترتيب حروف الكلمات وأشكل منها كلمات جديدة				
18	أتمكن من تشخيص الكثير من الأخطاء اللغوية في أحادي الآخرين				
19	استعمل في كتاباتي وحديثي عبارات يصعب على التلاميذ فهمها فيطلبوا مني تفسيرها لهم				
20	لدي القدرة على ذكر الكلمات المترادفة بالمعنى				
21	مهاراتي اللغوي تساعدني على إضافة أبعادًا لمفهوم بسيط				
22	استعمل أدوات الربط استعمالًا مناسباً				
23	أبين رأي النقدي في القول الذي أمامي محادثة				
24	أرى أن ممارسة المزيد من القراء تسعفني في طرح الأفكار الابتكارية والإبداعية				
25	أذكر نصوصًا قرآنية أو أحاديث نبوي عن الموضوع محور النقاش				
26	استعمل علامات الترقيم استعمالًا صحيحًا				
27	أجد أن الاستماع لحوارات الآخرين يسهم في إبداع الأفكار				
28	أتمكن من إدارة الحوار مع زملائي المعلمين بصورة عالية				
29	أجد المتعة في حل الكلمات المتقاطعة				
30	أدي القدرة على ذكر أكبر عدد من الكلمات التي تعبر عن أكثر من معنى				

ملحق (3) مقياس الاستثارة الفكرية

عزيزي المعلم 00000 عزيزتي المعلمة.

يود الباحث أن يلفت عنايتكم إلى أنه بصدد إجراء بحث علمي الموسوم بعنوان (الطلاقة اللفظية وعلاقتها بالاستثارة الفكرية لدى معلمي اللغة العربية)، ومن أجل إكمال خطوات هذه البحث وتحقيق أهداف بدقة وموضوعية، يرجى من جنابكم الكريم التفضل بالإجابة الصادقة والموضوعية على فقرات المقياس المرفق، علمان أن جميع الإجابات ستعامل بسرية تامة وتستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

فلكم منا بالغ الشكر والتقدير على تعاونكم وجهودكم المباركة

الباحث: م.د تأميم خلف عبد ندة

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة/ مركز كربلاء الدراسي

الجنس: ذكر ( ) أنثى ( )

ت	الفقرات/ الأوزان	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	أبداً
أولًا: مجال التفكير المعرفي					
1	أمتلك خبرات معرفية تساعدني على أداء درسي				
2	أسعى إلى تنمية خبراتي المعرفية لتساعدني في تطوير الأداء المهني				
3	أحرص على بقاي بيئة تعليمية لغوية داخل المدرسة تنمي التفكير المنطقي				
4	استفاد من الأفكار الجديدة وأناقشها مع معلمي اللغة العربية				
5	أطرح أفكار أدبية تزيد من الإثراء اللغوي لدى التلاميذ				
6	أشارك معلمي اللغة العربية أفكارهم وأستمع لوجهات نظرهم				
7	أقوم بأداء برامج تدريبية نموذجية بين حين وآخر				
8	أعزز مهارات التذكر والفهم لدى تلاميذ عن طريق معلومات هائلة في الذاكرة				
9	أراي الطلاقة اللغوية عند طرح معلوماتي وأفكاري				
10	أنقد المواقف السلبية بشكل بناء موضوعي وعلمي				
ثانيًا: إثارة الابتكار		دائمًا	غالبًا	أحيانًا	أبداً
11	أشجع التلاميذ الذين يتمتعون بقدرات عالية في الابتكار فيما يخص مادة اللغة العربية				
12	امتلك القدرة على تقويم إبداعات وابتكارات جديدة بوسائل حديثة				
13	اهتم بصياغة الأهداف السلوكية (المعرفية، الوجدانية، المهارية) التي تشجع مواهب الإبداع				

14	أشجع على الزيارات المتبادلة بين معلمي اللغة العربية لتعزيز مهارات الابتكار لديهم				
15	أراعي الفروق الفردية بين تلاميذ وأحلهم في نشاطات تسهم بالإبداع والابتكار				
16	أشعر التلاميذ بأن تدريس اللغة العربية ينمي مهاراتهم الإبداعية				
17	أمنح المجال أمام التلاميذ ليعبروا عما يدور في أذهانهم من أفكار غير مألوفة				
18	استخدم الطرق الحديث التي تعطي للتلميذ الدور الأكبر في الرأي والابتكار				
19	استخرج جهودي لتحديد الجوانب الابتكارية لدى التلاميذ				
20	أتناقش مع المشرفين التربويين حول تطوير دورس اللغة العربية خصوصًا التعبير بما يسهم في تطوير القدرات الابتكارية لدى التلاميذ				
ثالثًا: حل المشكلات		دائمًا	غالبًا	أحيانًا	أبداً
21	أعلج مشكلة التصاميم القديمة عند كتابة الخطة				
22	اعتمد الطرق والأساليب الهادفة والحديثة في حل المشكلات				
23	أناقش نقص الإمكانيات المادية بدر اللغة العربية				
24	أركز على الحلول دون البحث عن أخطاء الآخرين				
25	اهتم بسجلاتي الخاصة حتى لا أخلق مشكلة مع الإدارة والمشرف التربوي				
26	امتلك الثقافة التنظيمية في مجال عملي كمعلم لغة عربية				
27	استطيع تحليل المشكلة لمعرفة أسبابها ونتائجها				

28	قادر على فهم وحل ما أتعرض إليه من مشكلات داخل المدرسة				
29	أناقش مع الإدارة المشاكل الخاصة المنظومة التعليمية وأضع الحلول المناسبة لها				
30	احكم عملي عند إصدار الأحكام والابتعاد عن العواطف والمصالح الشخصية.				

Sociolinguistic aspects of the language practices of sub-Saharan immigrants in Morocco

Rachid OUAZIZ[1]
PhD candidate in language sciences, laboratory: Language and Society
CNRST-URAC56, FLLA-Ibn Tofail University-Kenitra, Morocco.
rachidouaziz2017@gmail.com
Hafida EL AMRANI[2]
Professor of language sciences, Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco.
helaamrani21@gmail.com

Abstract:

Due to its geographical location, Morocco has become, since the late 1990s, a transit country for thousands of migrants dreaming of reaching Europe. Gradually, Morocco has transformed from a transit country to a default settlement country. The research work we are conducting seeks to provide answers regarding the issue of Sub-Saharan immigration in Morocco and the integration challenge it poses. Our main objective is to understand how the migratory process of Sub-Saharan immigrants is articulated with fundamental language questions. How do these immigrants construct a new belonging to a new social group and the role that language plays in this process? Through our study, we aimed to contribute to the deepening of knowledge about the migratory phenomenon in Morocco.

Keywords: immigration, integration, identity, representations, multilingualism.

Aspects sociolinguistiques des pratiques langagières des immigrés subsahariens au Maroc

Rachid OUAZIZ[1]
Doctorant en sciences du langage, laboratoire : langage et société CNRST-URAC56, FLLA-Université Ibn Tofail-Kenitra, Maroc
rachidouaziz2017@gmail.com
Hafida EL AMRANI[2]
Professeur en sciences du langage, Université Ibn Tofail, kenitra, Maroc
helaamrani21@gmail.com

Résumé:

De par sa localisation géographique, le Maroc est devenu, depuis la fin des années 90, un pays de transit pour des milliers de personnes migrantes rêvant de rejoindre l'Europe. Progressivement, le Maroc s'est transformé d'un pays de transit à un pays d'installation par défaut. Le travail de recherche que nous menons tente d'apporter des éléments de réponses quant à la question de l'immigration subsaharienne au Maroc et le défi d'intégration qu'elle pose. Notre objectif principal est de comprendre comment s'articule le processus migratoire des immigrés subsahariens avec les questions fondamentales de la langue. Comment ces immigrés construisent-ils une nouvelle appartenance à un nouveau groupe social et le rôle que joue la langue dans ce processus.

Mots-clés –immigration, intégration, identité, représentations, plurilinguisme, variation.

Introduction

La politique européenne d'immigration qui traduit la volonté des pays à limiter la réception des migrants a transformé la région de l'Afrique méditerranéenne à des pays d'installation temporaire en attente d'occasion de tenter l'immigration irrégulière. Le Maroc de par sa localisation géographique a reçu depuis les années 90 du siècle précédent des flux d'immigrants de plus en plus importants. Progressivement, et suite aux restrictions appliquées à l'accès aux territoires européens, le Maroc est devenu un pays de résidence et de stabilité pour ces migrants en attente de l'occasion pour faire la croisée.

Dans cet état de fait, et à l'instar des autres pays de destination, le Maroc s'est investi dans une politique irréversible d'intégration des migrants subsahariens dans le tissu socio-économique. En exécution des directives du discours royal de SM le Roi Mohammed VI[*], le Royaume est devenu un modèle des pays qui œuvrent pour faciliter l'intégration et la régularisation de la situation des migrants, à travers des dispositifs juridiques et sociaux et en mettant en place une série de mesures d'accompagnement.

La réception de ces immigrés dans le contexte langagier marocain purement plurilingue rend davantage la situation linguistique dans le pays sujette à d'autres formes d'interaction sociolangagières.

Cette nouvelle réalité nous amène à nous interroger sur les conséquences sociolinguistiques de ce contact de langues sur le comportement langagiers des migrants ainsi que sur leur parcours d'intégration, sachant que toute intégration passe essentiellement par la l'appropriation/acquisition des langues du pays d'accueil et leurs cultures adjacentes. Il s'agit, dans le cadre de cette exploration, de cerner, d'une part, les rapports qu'entretiennent les immigrés subsahariens avec les langues ou variétés constituant le paysage linguistique marocain et, d'autre part, d'apporter des éléments de réponse à ce que l'on baptise communément « le problème de l'intégration ».

I. Le paysage linguistique marocain : diversité et foncions.

Le paysage linguistique actuel du Maroc présente une situation complexe résultant d'un long processus de causalités historiques sur tous niveaux : social, politique, économique et culturel. Cette diversité linguistique est garnie essentiellement par l'Amazighe, langue d'origine des habitants du Maghreb ; l'arabe mis en place à l'avènement de l'Islam et le français, langue de l'ancien colonisateur (Messaoudi, 2002), (Boukous, 1979). Ce

[*] Discours royal du 6 novembre 2013 à l'occasion de la fête de la marche verte

patrimoine linguistique riche et varié consolide, certes, l'identité marocaine mais ne va pas sans présenter une certaine problématique liée à l'aménagement des différentes langues en présence, manifestant d'ailleurs, une certaine rivalité sur le marché linguistique marocain (Boukouss, 2005).

L'amazighe, langue maternelle d'une partie non négligeable des Marocains[†] est la langue de la population autochtone. Elle est pratiquée plus en milieux ruraux qu'en milieux urbains, et il est destiné essentiellement à la communication orale. La langue amazighe englobe trois variétés couvrant différentes régions du pays. Tarifit, parlée dans la région rifaine au nord ; tamazight, propre aux habitants des régions de l'Atlas central et tachelhit parlé dans les hautes montagnes de l'Atlas, de l'Anti-Atlas dans le Sud et la vallée du Souss. Cette langue a été si longtemps marginalisée sur le plan politique. Cette marginalisation se manifeste dans le coté législatif (Boukouss, 2009 : 16-18) qui ne reconnait la langue amazighe comme langue nationale qu'à l'avènement de la nouvelle constitution en 2011.
L'arabe marocain ou Darija constitue la langue maternelle des arabophones au Maroc (Benítez-Fernandéz, de Ruiter et Tamer, 2010). Tout comme la langue amazighe, il abrite différentes variétés régionales regroupées selon les trois parlers : citadins, montagnards et bédouins. Ceci lui vaut le statut de la première langue nationale[‡]. la Darija constitue par ce fait la langue de communication dans les contextes informels tout en jouant le rôle de langue véhiculaire entre arabophones et amazighrophones.

A l'instar de l'Amazighe, l'arabe marocain reste une langue de communication orale qui n'a aucun statut clair et précis dans les textes officiels. Moatassim(1974 : 642) parlant de l'arabe marocain écrit : « *apparenté de l'arabe classique, l'arabe dialectal est une variante au vrai sens du mot. Mais comme l'amazighe, il reste la langue de l'authenticité pour beaucoup de Marocains* ». Pourtant, la Darija a gagné dernièrement du terrain sur tous les plans : éducatif, religieux, artistique, culturel et même politique, et va même au-delà du territoire national à travers la production artistique, devenant ainsi de plus en plus familière dans le monde arabe. Tout ce, lui vaut le passage à l'écrit et lui ouvre les portes pour reconquérir ses lettres de noblesse de langue autonome et officialisée.

Environ 28% de la population [†]

La langue officielle du Maroc est sans conteste l'arabe standard dite fusḥa. Elle a toujours joui du prestige dont sont dépourvues les langues nationales ci- haut citées. Ce prestige est lui dû d'abord grâce à son caractère de « langue écrite » standardisée, s'appuyant sur le principe de « langues écrites versus langues orales » (Miller, 2011 : 60), puis parce qu'elle constitue le fondement même de la civilisation islamique ; c'est la langue noble du coran. Ces facteurs lui confèrent aujourd'hui la domination sociale et politique, étant la langue des discours officiels, celle de l'élite, et qui représente la norme.

Toutefois, l'arabe standard « n'est la langue naturelle d'aucun Marocain » (Aboulkacem, 2005 : 241). Le premier contact avec cette langue s'effectue à l'école. Elle se réduit généralement aux échanges écrits et aux textes officiels. L'arabe standard est fortement présent dans tous domaines : l'enseignement, l'administration, la presse, les médias, et surtout dans le domaine religieux. Après l'indépendance, l'Etat s'est inscrit dans le processus de l'arabisation, instaurant cette langue dans tous les secteurs de la vie active comme mentionné plus haut et s'appuyant sur l'argument de l'unification de « la communauté arabo-musulmane ».

Paradoxalement, le français, langue étrangère, semble joindre les deux bouts de la pratique linguistique : l'oral et l'écrit. Introduite au Maroc essentiellement pendant le Protectorat français, il reste même après des décennies de l'indépendance une langue imposante dans le paysage linguistique marocain. Le français représente la langue du savoir et de la science, celle de l'élite (Messaoudi, 2010 : 58). Or, officiellement parlant, le français garde un statut ambigu et opaque (Benzakour, 2010 : 34). Il en reste tout de même que le français est selon la nouvelle constitution(2011) « la langue de communication, d'intégration et d'interaction avec la société du savoir et d'ouverture sur les différentes cultures et sur les civilisations contemporaines » (article 5).

Le français reste fortement présent dans l'enseignement surtout supérieur, dans le domaine économique, la presse et les médias ainsi que dans les échanges langagiers de la haute société. Il a, par ailleurs, contribué par son

contact avec les langues locales, à leur processus de changement par le procédé de l'emprunt et de mélange de langues.

C'est dans cette diversité et cette répartition fonctionnelle que réside La complexité de la situation sociolinguistique au Maroc, et c'est dans cet environnement linguistique pluriel que les migrants subsahariens doivent

évoluer. Si la présence du Français est avantageuse pour le migrant francophone, l'acquisition des langues locales, en l'occurrence, l'Arabe dialectal reste une condition sine qua non pour une intégration souple. Les questionnements que nous soulevons autour de la question de l'intégration des immigrés subsahariens au Maroc sont abordés dans le cadre de la sociolinguistique (Calvet, 1996) (Bulot, 1999) (Messaoudi, 2010, 2013) (Blanchet, 2016)

II. Méthodologie

Nous avons basé les données qui ont servi pour la rédaction de cet article sur l'enquête que nous avons réalisée auprès d'une population migrante installée dans 3 régions du grand Agadir : Agadir Idaoutanane, Inezgane ait-Melloul et Chtouka Ait Baha. Nous avons ciblé les quartiers populaires : Khemis ait Aamira, Adouar Ogourram, Inezgane, Tarraste, Tilila et Lekhyam. L'échantillon retenu est composé de 200 immigrés subsahariens et nous avons veillé à ce qu'il soit hétérogène. Nous avons procédé au sondage stratifié qui consiste à administrer les questionnaires aux différentes
tranches constitutives de la population des immigrés subsahariens (jeunes, adultes, salariés, étudiants, hommes, femmes etc.)

L'enquête a été entamée par une observation participante pour mieux se familiariser avec la population. Nous avons choisi d'utiliser le questionnaire comme méthode dans le but d'obtenir des éléments de réponses à nos questionnements de départ. Dans ce sens, ABRIC (1994) affirme que « *Le questionnaire reste à l'heure actuelle la technique la plus utilisée dans l'étude des représentations (…) le questionnaire permet d'introduire les aspects quantitatifs fondamentaux dans l'aspect social d'une représentation.* ». Nous avons aussi mené des entretiens semi-directifs a fin de faire produire des discours de la part de nos interviewés qui ont complété et approfondi l'information recueillie par les questionnaires. Il s'agit de mettre en place, comme le souligne Philipe BLANCHET (2007) : « *un dispositif d'interlocution à des fins de recherches (…) pour favoriser l'expression et l'élaboration du discours d'une personne concernée, sur un problème ou une situation donnée* ». Il est ainsi un médiateur, compte tenu du fait qu'il contribue pertinemment à mettre en relief les représentations sociolinguistiques subjectives.

1. L'échantillon

Graphique 2 : Distribution des informateurs selon le pays d'origine en %

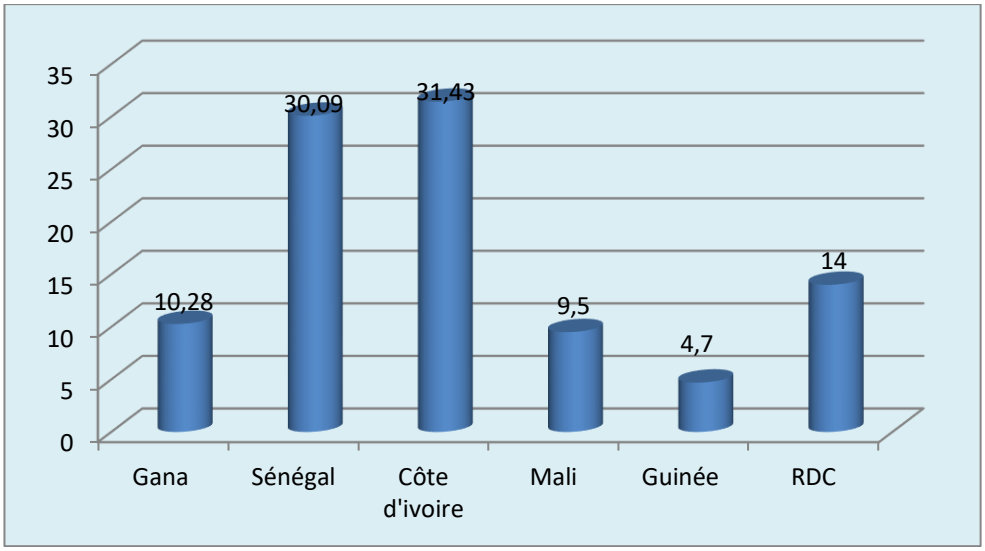

Notre échantillon est constitué d'individus originaires de 6 pays africains subsahariens : le Gana, le Sénégal, la Côte d'ivoire, le Mali, la Guinée et la république démocratique du Congo. La majorité de ces pays sont francophones. Ce constat est significatif dans la mesure où le Français est une langue en forte présence au Maroc. Sachant que la langue est de première importance pour toute intégration, nous examinerons le degré d'implication de la langue française et des autres langues en présence au Maroc dans les pratiques langagières de nos informateurs.

III. Aspects sociolinguistiques

1. Les langues comme facteur d'intégration sociale

Les langues parlées dans une communauté représentent la clé pour y accéder. Dès son arrivée au Maroc, l'immigré subsaharien devrait faire face à une langue et une culture qui sont à une distance variable des siennes. Parler une langue commune sera donc le premier coup de main tendu à l'immigré. Le français comme langue commune joue un rôle déterminant dans les échanges quotidiens des immigrés avec les membres de la société d'accueil. A partir des données recueillies de l'enquête, surtout dans les discours de nos interviewés, nous avons constaté qu'une bonne partie trouvent du mal à apprendre l'Arabe marocain.

Ce fait, comme nous l'avons constaté, ne dépend pas de la durée de séjour mais surtout du degré d'implication dans la vie active et d'interaction avec la communauté d'accueil. Nous illustrons nos propos par le cas des informateurs qui vivent en groupe dans une sorte de mini diaspora dans un des quartiers de la commune Ait Aamira. Par opposition, les individus résident à Inezgane, essentiellement des commerçants, montrent un degré de maitrise assez bon de l'Arabe dialectal marocain (ADM). Le graphique ci-après illustre le degré de maitrise de l'ADM par nos informateurs.

2. L'alternance codique : stratégie privilégiée pour faire face au déficit langagier

Les situations de contact de deux ou plusieurs langues au sein de la même communauté conduit à un usage mixte ou alterné de ces langues en contact dans les discours des usagers. L'alternance codique est, donc, un phénomène linguistique observable au passage d'une langue à une autre, au sein d'un discours ou d'une même conversation. Gumperz (1989) définit l'alternance codique comme : « *la juxtaposition, à l'intérieur d'un même échange verbal, de passages où le discours appartient à deux systèmes ou sous-systèmes grammaticaux différents* ».

Le recours à l'alternance codique est tributaire du registre linguistique, du contexte culturel et de la stratégie de communication des locuteurs. Ainsi, les immigrés subsahariens qui ont déclaré avoir recours à l'alternance codique ont expliqué leur choix soit par la contrainte du déficit langagier soit par une stratégie de communication volontaire. En fait, les immigrés qui ne maitrisent pas encore l'ADM se trouvent contraints d'alterner cette langue avec le Français pour assurer la communication, alors que ceux qui ont un degré de maitrise plus approfondi recourent à l'alternance pour des raisons diversifiées. Le tableau suivant illustre les réponses de 4 informateurs quant à cette question.

Miedoume, Sénégalais, 43 ans commercant	Quand le client ne maitrise pas le Français, je suis obligé de souffler des mots et parfois des phrases en arabe, même si mon arabe n'est pas assez clair mais on arrive à s'entendre.
Diop Ivoirien, 26 ans Marchand de bijoux ambulent	Les marocains aiment beaucoup qu'on leur parle Arabe. Moi je ne suis pas doué en arabe mais je dis des mots en Arabe qui accrochent leur attention et qui peuvent les inciter à acheter le produit.
Koné Ivoirien, 32 ans Mendiant	C'est difficile de convaincre les gens à nous aider si on ne prononce pas quelques mots en arabe.
Daouda Sénégalais, 35 ans pompiste	Les gens sont plus sympas quand ils voient un étranger parler Arabe.

3. Le choix de langue comme stratégie de communication.

Le recours à l'alternance codique pour nos informateurs n'est pas aléatoire mais répond à un besoin conversationnel imposé par la situation de communication. Pour Miedoume, l'usage de l'Arabe marocain est une obligation dans les cas où l'interlocuteur ne maitrise pas le français. Souffler quelques mots-clés ou des phrases courtes, parfois incomplètes, en arabe peut assurer l'intercompréhension essentielle dans les cas de commerce.

Pour Diop, alterner l'Arabe et le Français fait partie d'une stratégie de persuasion. En tant que marchand ambulent, Diop passe sa journée à se déplacer d'un lieu à un autre. Rue, cafés marchés…sont des lieux où il peut rencontrer des clients potentiels. Par contre aux échoppes, c'est le vendeur amblent qui devrait engager la conversation. Les premiers mots sont déterminants et doivent être choisis soigneusement, et c'est en ces moments que l'alternance joue son rôle selon Diop qui a déclareré : « engager la conversation par des mots en arabe est important pour attier l'attention du client. ».

Pour Koné, la situation est plus complexe dans la mesure où il n'a pas de produit à présenter. En revanche il devra fournir un double effort pour persuader les gens de l'aider. Koné a déclaré avoir appris des mots arabes spécifiquement pour en faire usage en situation de charité. Pour Daouda, l'alternance codique instaure un climat de convivialité entre lui et ses clients. Les gents sont plus sympas quant ils me voient parler Arabe a-t-il déclaré.

4. La langue maternelle : refuge identitaire

L'immigré est un individu qui laissé derrière lui son pays, son foyer, sa langue maternelle et sa culture. Dans la société d'accueil, il doit procéder à l'adaptation à une nouvelle culture tout en gardant ses valeurs d'origine. Cette reconfiguration identitaire ne passe pas une certaine difficulté. Berry (1997 :296) distingue 4 cas de figure : l'intégration, l'assimilation, la séparation et la marginalisation. Ces cas sont tributaires de deux facteurs : le maintien de la culture d'origine et le contact et participation avec l'environnement socioculturel. Dans ce sens, la langue maternelle joue un rôle primordial dans le maintien de l'identité d'origine. Elle crée un équilibre entre l'appartenance à une culture d'origine et l'investissement dans une nouvelle sphère culturelle. Nos informateurs se sont exprimés autour de ce que leur représente l'usage de la langue maternelle dans leur espace d'accueil. Le tableau ci-dessus illustre les réponses les plus fréquentes.

Réponse	Taux en %
Fierté	36
identité	28
Good feeling	6
liberté	10
Je me sens chez moi	5
intimité	15

La langue maternelle joue le rôle de refuge identitaire. C'est la langue de la fierté, de l'identité et de l'intimité. Les réponses obtenues traduisent un sentiment positif quant à l'usage de la langue maternelle dans l'espace d'accueil, comme certains de nos informateurs l'ont affirmé : « c'est le seul lien que nous avons dans ces terres avec les nôtres et avec notre culture ». 36% des informateurs ont exprimé qu'ils sentent une certaine fierté lors de l'usage de la langue maternelle et 28% y voient une affirmation de leur identité. S'il est vrai que le contact de langue fait que la langue minoritaire se trouve écrasée par la langue de la communauté dominante, il n'est pas moins vrai que cette langue minoritaire se transforme en refuge identitaire. Ces usages sont réservés aux échanges familiaux, amicaux et dans des cas au milieu professionnel pour prononcer des discours à part.

Notre questionnement de départ a été de comprendre l'articulation du processus d'intégration des immigrés subsahariens avec les questions fondamentales du langage du point de vue sociolinguistique. Cette articulation se dédouble dans le contexte marocain qui a cumulé une charge historique et culturelle importante et qui se traduit par la florescence de différents parlers ayant chacun un statut particulier. Cette situation s'accentue sous l'effet de la pluriculturalité des origines des immigrés installés au Maroc. L'enjeu est donc de comprendre les mécanismes adoptés tant par les immigrés que par la population locale pour se familiariser avec la nouvelle réalité.

D'emblée, partant du projet migratoire des immigrés qui considère le Maroc comme simple pays de transition vers la rive européenne, la réalité est toute autre. En effet, un nombre important des immigrés décident de s'intégrer dans la nouvelle sphère sociale au lieu d'attendre le passage à l'Europe. Ceci pose des soucis d'ordre culturel pour les deux parties comme quoi la population d'accueil doit s'adapter au premier flux migratoire, le temps que les immigrés subsahariens doivent redoubler d'efforts pour s'intégrer.

La population d'accueil dans notre espace de recherche se trouve confrontée à cette nouvelle réalité qui lui impose l'emploi des codes langagiers dont l'usage leur est peu familier. De l'autre coté, rare sont les subsahariens qui comprennent les langues locales, d'où les rapports diglossiques parfois conflictuels qui se renforcent dans l'espace plurilingue marocain sous l'effet de l'immigration. Car, en effet, elle est *[…] un phénomène interactif parmi d'autres, de nature diverse, [qui] trouve une expression langagière dans la communication. […] Les conflits microsociolinguistiques se répercutent alors tout naturellement sur les représentations et les attitudes du groupe minoré, aboutissant à ce qu'on entend habituellement par l'idée de conflit diglossique.* (De Pietro et Matthey, 1997 : 172). Les Marocains se trouvent dans l'obligation d'interagir avec les immigrés en employant davantage le français et l'anglais au détriment de l'arabe marocain ou de l'amazighe. De son côté, l'immigré, face à cette situation, ne double pas d'effort pour apprendre les langues locales. Peut-on donc, considérer Le plurilinguisme marocain comme une diversité culturelle ou une situation qui favorise le retrait du rôle des langues locales ?

La réponse à ce questionnement est à nuancer. Notre protocole d'enquête tout au long de ce travail de recherche montre que la raison pour laquelle les immigrés subsahariens emploient le français ou l'anglais est innocente car elle provient de leur méconnaissance des langues locales. De leur part, les membres la société d'accueil, quoiqu'ils interagissent en langues étrangères

avec leurs interlocuteurs subsahariens, tentent souvent d'introduire des mots en arabe marocain ou en amazighe.

Au fil du temps, cette stratégie fait que les immigrés s'approprient en douceur l'usage des langues locales. Ce qui parait au départ comme une diglossie en faveur du français n'est en réalité que le renforcement à moyen terme de l'usage de l'arabe marocain par ces immigrés. Déjà au départ, c'est à dire avant l'arrivée des immigrés au Maroc, la situation diglossique au
Maroc était toujours en faveur des langues étrangères. L'immigration et les processus d'intégration des subsahariens redonnent un élan pour la promotion des langues locales notamment l'arabe marocain et l'amazighe dan une moindre mesure.

4. La diversité et la diglossie

La diversité linguistique au Maroc se double d'une diglossie interne (arabe standard et darija) et d'un plurilinguisme de contact (amazighe, français, anglais). Les immigrés subsahariens, majoritairement francophones, perçoivent le français comme langue-passerelle, mais se trouvent rapidement confrontés à la nécessité d'apprendre le darija ou même le tachelhit pour interagir efficacement dans les espaces quotidiens. Ceci implique une certaine forme d'acculturation linguistique souvent non formalisée mais essentielle à la socialisation.

L'appropriation langagière est perçue comme une clé d'accès aux cœurs des Marocains, aux associations d'aide, au marché du travail et aux autres différentes structures. Toutefois, nous avons remarqué que parfois les pratiques linguistiques se heurtent aux frontières symboliques : Les immigrés subsahariens se sentent parfois objets de moqueries liées à l'accent ou aux références culturelles. La langue devient dans ce sens un lieu de tension voire de négociation identitaire.

5. La religion

La dimension religieuse constitue un autre enjeu non moins important. Si certains immigrés partagent l'islam avec les Marocains (majoritairement les maliens, le Sénégalais et ivoiriens), d'autres adoptent des cultes chrétiens ou autres. Les pratiques religieuses et culturelles donnent parfois lieu à des malentendus, voire à des discriminations, mais elles peuvent aussi favoriser des formes de rapprochement et d'échange. La cohabitation religieuse reste donc éclectique, se traduisant soit par une tolérance totale ou pragmatique, soit par un rejet systématique favorisant d'autres voies de discrimination.

6. Le rôle des médias

Le discours médiatique des deux parties (Maroc et pays d'origine des immigrés), les conversations ordinaires et les attitudes donnent naissance à des représentations de différents ordres : hospitalité marocaine proclamée d'un côté, stéréotypes raciaux de l'autre. L'image des immigrés est souvent réduite à la pauvreté, irrégularité, danger, etc. Pourtant, dans certains quartiers (comme Hay Mohammadi ou Dakhla), de véritables formes de coexistence quotidienne émergent sous l'effet du cosmopolitisme des deux quartiers.

L'intégration des immigrés subsahariens à Agadir ne peut être pensée sans une approche plurilingue et interculturelle. Les langues ne sont pas de simples outils de communication, mais des vecteurs d'inclusion ou d'exclusion, selon les contextes. Une politique d'accompagnement linguistique et culturel, ancrée dans la réalité locale, s'avère essentielle pour favoriser une intégration constructive. L'interculturalité doit être comprise
comme un processus dynamique où le plurilinguisme joue un rôle crucial. Il permet non seulement la communication entre différentes communautés, mais aussi la reconnaissance mutuelle et la construction d'un espace social inclusif dans lequel les migrants peuvent s'épanouir (Ingrid Piller, 2016). La sociolinguistique peut ici jouer un rôle en éclairant les logiques de domination et de résistance à l'œuvre dans les flux migratoires.

7. Le changement linguistique

L'installation progressive des immigrés subsahariens au Maroc en général et dans la ville d'Agadir en particulier participe à des dynamiques de mutation linguistique observables à plusieurs niveaux. Si la migration est souvent analysée sous l'angle de l'intégration ou de l'adaptation des migrants à la langue du pays d'accueil, il importe également de souligner que ces flux migratoires influencent les pratiques langagières locales, notamment dans l'espace urbain plurilingue comme celui d'Agadir :

- **Introduction de nouveaux répertoires linguistiques** : Les subsahariens apportent avec eux différentes langues africaines (wolof, dioula, etc.) en plus du français utilisé comme langue de communication intercommunautaire. Ce multilinguisme enrichit la sphère linguistique d'Agadir, notamment dans certains quartiers populaires, les marchés, les lieux de culte, ou les espaces associatifs où l'on observe des situations de code-switching (alternance codique) ou de traduction spontanée entre darija, français, tachelhit et langues africaines, des transferts et des interférences.
- **Diffusion du français dans les interactions quotidiennes :** Le français, historiquement langue de l'enseignement et de l'élite, tend à

se diffuser davantage dans les interactions orales informelles, sous l'effet de son usage fréquent par les immigrés subsahariens. Les commerçants, fonctionnaires, transporteurs et autres, en contact quotidien avec cette population, développent une compétence fonctionnelle en français oral au-delà des cercles traditionnels (comme l'école, médias etc.)

- **Création d'une variété de "langues de la rue" propres aux subsahariens** : Les interactions quotidiennes entre jeunes Marocains et Subsahariens permettent parfois la création des formes de langue mixte, notamment chez les jeunes issus de milieux populaires. Ce phénomène est observable à travers l'émergence d'un français teinté de darija et d'expressions africaines, utilisé comme stratégie de distinction dans certains milieux urbains. La présence visible du français oral et de langues africaines dans l'espace public (graffiti, documents associatifs, réseaux sociaux) contribue à une revalorisation implicite de ces langues dans l'imaginaire collectif local. Ce processus s'accompagne aussi de résistances, parfois exprimées par des manifestations identitaires autour de la darija ou
du tachelhit comme langues authentiques face à une présence perçue comme étrangère.

La réalité du terrain d'enquête suggère la nécessité de revoir les politiques d'éducation linguistique à l'échelle locale ou nationale. L'offre en apprentissage du darija pour les immigrés subsahariens, tout comme l'accès des Marocains à un français oral utile, pourrait contribuer à une meilleure construction linguistique et sociale. Les migrations deviennent alors un vecteur d'innovation linguistique, plutôt qu'un simple défi d'intégration ou une source probable de tensions. On ne pourrait considérer le changement linguistique à Agadir comme un phénomène d'acculturation, mais un processus d'évolution des pratiques langagières. Les immigrés subsahariens, loin d'être de simples "récepteurs" linguistiques, sont aussi de véritables acteurs du changement, contribuant à redéfinir les usages, les normes, et les représentations sociales des langues dans la ville plurilingue.

Conclusion

La question de l'intégration des immigrés dans leur espace d'accueil est multifactorielle. Elle se concrétise à travers un long processus d'adaptation et d'apprentissage. L'intégration linguistique est un élément déterminant dans ce processus. Cette intégration nécessite, certes, l'implication de l'immigré

mais aussi la mise en place des dispositifs d'accueil et d'aide à aux immigrés. Nous avons porté notre intérêt sur les pratiques langagières
des immigrés subsahariens résident au grand Agadir. Nous avons conclu à partir des données de l'enquête qui ont servi pour la rédaction de cet article que, pour les immigrés subsahariens, chacune des langues en contact assume une fonction distincte et que leur usage obéit à des stratégies de communication. La distribution des langues selon les contextes sociaux est assez significative. La langue maternelle est unique dans les échanges en foyer, ainsi qu'entre amis sauf quand les immigrés sont d'origines différentes. Le Français est la principale langue de communication au contexte social et professionnel à coté de l'Arabe marocain qui est aussi en usage dans une moindre mesure. L'arabe standard, étant une langue essentiellement écrite dans l'ensemble des pays arabes, est absent dans les échanges quotidiens. Par opposition à l'arabe marocain qui représente la langue véhiculaire dans l'ensemble du pays, nous remarquons une absence significative de l'amazighe dans les échanges entre les citoyens marocains et les immigrés subsahariens.

Bibliographie

-ABOUKACEM , E. (2005), *Nationalisme et construction culturelle de la nation au Maroc : processus et réactions*, thèse de doctorat en anthropologie sociale, EHESS.
-ABRIC, J-C. (1994), *Pratiques Sociales et Représentations*, Paris : PUF.
-BENITEZ-FERNANDEZ, M., De RUITER J.J., TAMER Y. (2010), *Développement du plurilinguisme : le cas de la ville d'Agadir*, Paris, l'Harmattan.
- BENZAKOUR, F. (2010) , *Le français au Maroc : enjeux et réalité*. Le Français en Afrique, (25), 33–41
- BERRY, J. W., & SAM, D. L. (1997). *Acculturation and adaptation*. In J. W. Berry, M. H. Segall, & C. Kagitçibasi (Eds.), Handbook of cross-cultural psychology: *Social behavior and applications* (2nd ed., Vol. 3, pp. 291–326). Boston, MA: Allyn & Bacon.
-BLANCHET, A. GOTMAN, A. (2007), Série « L'enquête et ses méthodes » : L'entretien (2e éd. refondue), éd. Armand Colin, Paris.
- BOUKOUS, A. (2009), *Le poids de l'amazighe : de la métaphore au paramétrage* , in Le poids des langues, dynamiques, représentations, contacts, conflits, M. Gasquet-Cyrus et C. Petit-Jean (Dir.), Paris, l'Harmattan.
-BOUKOUS, A. (1979), *Le profil sociolinguistique du Maroc.* in : Bulletin économique et Social, n°140, Rabat, (p.5-31).

-BULOT, T. (Dir.) et TSEKOS, N. (1999), *Langue urbaine et identité. Langue et urbanisation linguistique à Rouen*, Venise, Berlin, Athènes et Mons, éd. L'Harmattan, Paris.
-CALVET, L.J. (1996), *Sociolinguistique du Maghreb*, Bulletin du laboratoire de sociolinguistique, René Descartes, Paris.
- DE PIETRO, J-F et MATTHEY, M.(1997), cités par SIMONIN, J., et Wharton, S. (2013). Diglossie. In J. Simonin & S. Wharton (éds.), Sociolinguistique du contact (1-). ENS Éditions. https://doi.org/10.4000/books.enseditions.12444
-GUMPERZ, J-J. (1989), *engager la conversation. Introduction à la sociolinguistique interactionnelle*, Minuit, Paris,
-MILLER, C. (2011), *Marges et normes linguistiques au Maroc : un terrain mouvant*, dans C. Aufauvre, K. Benafla, M. Emperador (éd.), *Marges et marginalités au Maroc*, Tunis, Maghreb et sciences sociales, IRMC, p. 57-70.
-MESSAOUDI, L. (2010), *La langue française au Maroc, fonction élitaire ou utilitaire ?*, dans P. Blanchet, P. Martinez (éd.), *Pratiques innovantes du plurilinguisme, émergence et prise en compte en situations francophones*, Éditions des archives contemporaines, Paris, AUF, p. 51-63.
-MOATASSIM, A. (1974), *Le bilinguisme sauvage, blocage linguistique, sous-développement et coopération hypothécaire l'exemple maghrébin (cas du Maroc) « Tiers Monde »,* Education et développement, Tome, X 59-60, Paris.
- Piller, I. (2016). *Linguistic diversity and social justice: An introduction to applied sociolinguistics*. Oxford University Press.

**Actes du programme de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

From morality to machines: a discursive study of the verb *respect* in school computer science textbooks.

Fatima Zahra BOUHAFNA
Languages, Cultures and Communication Laboratory
Mohamed Premier University
Oujda, Morocco
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Abstract:

This study is based on a linguistic and discursive analysis of a corpus composed of Moroccan computer science textbooks, in order to examine the uses of the verb 'respect.' It combines the observation of syntactic regularities (impersonal, passive, and infinitive forms) with the interpretation of enunciative effects. The results show that respecter no longer conveys voluntary adherence, but rather a technical constraint presented as objective. The verb functions as a strategic marker of normativity, erasing the speaker in order to naturalise the rule. Thus, computer science discourse establishes an implicit injunction to conformity, revealing a linguistic power of behavioural and cognitive regulation.

Keywords: Computer discourse; depersonalization; performativity; normativity; hybridisation.

De la morale à la machine : étude discursive du verbe respecter dans les manuels d'informatique scolaire.

Fatima Zahra BOUHAFNA
Laboratoire Langues, Cultures et Communication
Université Mohamed Premier
Oujda, Maroc
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Résumé:

Cette étude s'appuie sur une analyse linguistique et discursive d'un corpus composé de manuels scolaires d'informatique marocains, afin d'examiner les usages du verbe *respecter*. Elle combine l'observation des régularités syntaxiques (formes impersonnelles, passives, infinitives) et l'interprétation des effets énonciatifs. Les résultats montrent que *respecter* ne traduit plus une adhésion volontaire, mais une contrainte technique présentée comme objective. Le verbe fonctionne comme un marqueur stratégique de normativité, effaçant le locuteur pour naturaliser la règle. Ainsi, le discours informatique instaure une injonction implicite à la conformité, révélant un pouvoir langagier de régulation comportementale et cognitive.

Mots clés: Discours informatique ; dépersonnalisation ; performativité ; normativité ; hybridation.

Introduction:

Dans les manuels scolaires d'informatique, certains verbes apparaissent de manière récurrente et jouent un rôle stratégique dans la structuration du discours. Parmi eux, le verbe « respecter » occupe une place particulière, tant par sa fréquence que par sa charge discursive. En effet, contrairement à d'autres verbes techniques comme *saisir*, *taper*, ou *configurer*, le verbe *respecter*, dans ce corpus, ne se contente pas de désigner une action ; il prescrit une attitude, impose une conformité et occupe une place pivot dans le rapport que le discours entretient avec la norme. Si, dans son sens premier, *respecter* évoque la volonté, le choix, la reconnaissance libre d'une règle ou d'une personne, son emploi dans le discours informatique se départit de cette dimension subjective, en effet, il n'est plus question de respect volontaire, mais d'obéissance impérative à une règle technique. L'acte de *respecter* devient ainsi dépourvu de subjectivité, transformé en indice de conformité indispensable au bon fonctionnement du système.

Cette mutation sémantico-discursive du verbe *respecter* n'est ni anodine ni neutre. Elle témoigne d'un glissement rhétorique. D'ailleurs, le verbe, tout en conservant une apparence morale, est entièrement réinvesti dans un registre d'obligation technique impersonnelle. De là se pose une question centrale : *comment l'usage du verbe respecter dans les manuels scolaires d'informatique contribue-t-il à la construction d'un discours à la fois normatif, pédagogique et technique, où la subjectivité s'efface au profit d'une injonction à la conformité ?*

Cette étude vise à mettre en lumière la spécificité discursive du verbe *respecter* dans le corpus scolaire analysé. Dans un premier temps, nous proposerons une analyse linguistique des constructions lexico-syntaxiques dans lesquelles ce verbe s'insère, afin d'en dégager les régularités formelles et les implications sémantiques. Dans un second temps, notre réflexion s'orientera vers une approche discursive, centrée sur le rôle de la dépersonnalisation énonciative en tant que stratégie d'autorité, sur la performativité des énoncés prescriptifs, ainsi que sur les formes d'hybridation entre registre technique et registre éthique. Ces éléments permettront d'interroger les mécanismes par lesquels ce discours pédagogique institue une normativité implicite, à la fois comportementale et cognitive.

I. Le verbe *respecter* comme pivot sémantique et stratégique dans les manuels scolaires d'informatique

Le verbe *respecter* occupe une place centrale dans les manuels scolaires, notamment dans le domaine de l'informatique. Sa richesse sémantique et sa polyvalence fonctionnelle en font un véritable pivot discursif, en effet, il articule des exigences techniques, des normes implicites et des stratégies d'adhésion.

1. L'ambiguïté stratégique du verbe *respecter*

Le verbe respecter occupe une place stratégique dans le discours informatique scolaire car il combine trois fonctions essentielles : une fonction technique, une fonction normative, et une fonction rhétorique. Contrairement à d'autres verbes comme *appliquer*, *suivre*, *utiliser* ou *exécuter*, *respecter* porte une charge sémantique double : à la fois morale (respect des règles, des personnes, des normes) et technique (respect de la syntaxe, des formats, des protocoles). Cette *polyvalence sémantique* (Dassi 2003 :148) permet au discours d'opérer un glissement subtil entre une adhésion volontaire et une obligation incontournable, entre une éthique du comportement et une contrainte du système.

L'intérêt d'étudier *respecter* réside donc dans sa capacité à naturaliser l'obligation : on ne dit pas simplement *il faut suivre*, mais *il faut respecter*, ce qui renforce l'idée que la règle est légitime, nécessaire et non négociable. Ce verbe est particulièrement révélateur du fonctionnement normatif du savoir informatique, où l'élève n'est pas invité à expérimenter, mais à se conformer. Analyser *respecter*, c'est ainsi mettre en lumière les mécanismes d'autorité, d'effacement du sujet (Béchade 1993:134) et de légitimation du discours, là où d'autres verbes similaires restent strictement opérationnels ou techniques sans cette profondeur discursive.

2. La reconfiguration du verbe *respecter* dans le discours informatique scolaire

Le verbe *respecter*, tel qu'il se manifeste dans notre corpus, ne se laisse pas aisément classer dans l'un des trois pôles proposés par le schéma des verbes de positionnement selon (Tutin 2010 : 25) : opinions et points de vue, intentions et choix, apports scientifiques. Sémantiquement polymorphe,

ce verbe tende à échapper à cette classification canonique en glissant d'une catégorie à l'autre, il navigue entre les univers psychologique, sociologique et normatif. Selon les données lexicales issues de la classification sémantico-syntaxique (Dubois et Dubois-Charlier 1997), *respecter* peut relever de la sphère psychologique (*vénérer* une personne ou *satisfaire* une attente), mais aussi de la sphère sociale (*suivre* ou *se conformer à une règle*).

Le tableau ci-après précise l'opérateur sémantique dominant, les constructions syntaxiques typiques, ainsi que des exemples concrets illustrant la variation d'interprétation. Il permet de mieux comprendre le glissement sémantique du verbe selon les domaines et les effets de sens qu'il produit dans les manuels informatiques ou autres discours auctoriaux (Maingueneau 2013 : 83).

N°	Domaine	Opérateur	Sens	Phrases	Construction
Respecter 01	Psychologie	Prédicat: sent, complément: respect pour = (#) [sent] respect pour.	Vénérer	On respecte un adversaire, les convictions de P.	Schème: type: transitif direct, sujet: humain, objet: humain ou chose = T1900.
Respecter 02	Sociologie	Prédicat: dat.val(donner validité à), complément: à règle = (#) [dat.val] à règle.	Suivre	On respecte la constitution, l'ordre.	Schème : type : transitif direct, sujet : humain, objet : chose = T1300.
Respecter 03	Psychologie	Prédicat: f.sent (induire tel sentiment chez qn), complément: satisfait abstrait = (#) [f.sent] satisfait abstrait.	Satisfaire	On doit respecter la tranquillité, le repos de P.	Schème: type: transitif direct, sujet: humain, objet: chose, circonstant: instrumental, moyen = T1308.

Tableau 1 : - Les emplois du verbe *respecter* répertoriés dans LVF.

Ainsi, dans le discours informatique (Bouhafna 2023), c'est cette deuxième acception qui domine : *respecter* y signifie essentiellement se conformer à une norme impersonnelle, rattachée à une logique procédurale. Cela place le verbe à la marge de la catégorie « intentions et choix », où il aurait pu traduire un engagement volontaire (comme *vouloir* ou *choisir*), pour mieux glisser vers une forme de prescription implicite, proche des apports scientifiques : non pas prouver ou démontrer, mais garantir le bon fonctionnement par la conformité. De ce fait, *respecter* ne suppose ni opinion ni désir, mais un alignement silencieux sur une règle préexistante. Ce déplacement du champ subjectif au champ opératoire fait de *respecter* un verbe hybride, révélateur d'une tension entre posture discursive pédagogique (forme scolaire) et contrainte fonctionnelle (discours de la machine).

II. La méthodologie d'analyse : le verbe *respecter* comme objet d'étude

La présente étude s'ancre dans une démarche d'analyse linguistique appliquée à un corpus scolaire représentatif, composé de quatre manuels marocains d'informatique homologués par le ministère de l'Éducation nationale et destinés au niveau du tronc commun. Il s'agit de *Découverte de l'informatique* (2005), *Espace de l'informatique* (2005), *Le chemin de la réussite en informatique* (2006) et *L'informatique au lycée* (2007). Conçus par des équipes pédagogiques réunissant enseignants, inspecteurs et formateurs, ces ouvrages témoignent à la fois de la diversité des pratiques didactiques et de la volonté de standardisation des savoirs informatiques au sein du système éducatif marocain.

Ce travail vise à recenser les occurrences du verbe *respecter* dans ce corpus, afin d'en analyser les mécanismes syntaxiques, les implications énonciatives et les effets discursifs. D'autant plus, l'analyse s'appuie sur deux cadres méthodologiques complémentaires : la linguistique du corpus (Zufferey 2020) et l'analyse du discours (Maingueneau 1979). La première permet une observation systématique des régularités lexicales, syntaxiques et sémantiques à partir d'un corpus authentique ; la seconde replace ces phénomènes dans leur contexte discursif, en tenant compte des enjeux de pouvoir, des intentions communicatives et des effets de sens produits. En croisant ces deux approches, l'étude entend montrer comment *respecter* opère comme un marqueur stratégique dans les manuels scolaires, révélateur d'une

normativité latente façonnant le rapport au savoir et à la règle dans l'enseignement de l'informatique.

III. L'analyse discursive du verbe *respecter* dans le discours informatique

En examinant les constructions syntaxiques les plus fréquentes et leurs effets discursifs, cette section met en évidence comment le langage des manuels participe à une pédagogie implicite de la conformité. Il s'agira donc d'analyser comment *respecter* devient un outil d'effacement du sujet énonciateur, de performativité, et d'hybridation entre registre technique et moral.

1. Les constructions syntaxiques du verbe *respecter*

Afin d'analyser le fonctionnement syntaxique de ce verbe *respecter* dans le discours informatique scolaire, nous avons relevé l'ensemble de ses occurrences (33 occurrences). Ce relevé met en lumière la diversité des constructions syntaxiques dans lesquelles s'insère le verbe, ainsi que leur fréquence respective. Le tableau suivant classe ces structures selon leur forme grammaticale, tout en fournissant pour chaque cas un exemple type représentatif du corpus.

Structure syntaxique	Nombre d'occurrences	Exemple type tiré du corpus
1. Infinitif introduit par « à » (*à respecter*)	7	« Les règles <u>à respecter</u> dans chaque exemple constituent un protocole. » (Découverte de l'informatique, p :191).
2. Infinitif après « de » (*de respecter*)	5	« Il s'avère nécessaire <u>de respecter</u> les règles de saisie suivantes. » (Espace de l'informatique, p :77).
3. Infinitif après « pour » (*pour respecter*)	4	« <u>Pour respecter</u> sa mise en forme habituelle quel moyen permet-il de réaliser cela ?» (Espace de l'informatique, p :99).

4. Infinitif après « afin de »	1	«Afin qu'il puisse recevoir ou transmettre des données sur un réseau, un appareil (ordinateur ou périphérique) doit respecter un certain nombre de règles regroupées sous le terme de protocoles.» (Espace de l'informatique, p :175).
5. Infinitif avec « faut-il respecter » (forme interrogative)	2	« Quelles règles faut-il respecter pour assurer le déplacement dans les deux sens sur une telle voie ? » (Découverte de l'informatique, p :184).
6. Verbe conjugué à la forme active (présent, futur)	4	« Tout au long de votre apprentissage, vous vivrez avec vos professeurs qui vous respecteront et désireront vous aider à réussir. ». (Espace de l'informatique, p :80).
7. Forme négative au passé composé (2e personne)	1	«Si certains mots du texte sont soulignés en rouge, cela signifie que Word s'interroge sur leur orthographe. En vert, cela signifie qu'il y a une erreur de grammaire ou que vous n'avez pas respecté les règles de saisie. » (Espace de l'informatique, p :81).
8. Forme passive conjuguée (présent/passé) (*est respecté*)	3	« L'ordre des instructions est respecté. » (L'informatique au lycée, p :141).
9. Subordonnée relative avec « que doivent respecter »	2	«Selon la masse des données à traiter, la complexité des calculs à effectuer, les règles que doivent respecter les données à traiter ainsi que les moyens financiers disponibles, un système informatique est fondé sur l'une des trois configurations suivantes.» (Découverte de l'informatique, p :36).

10. Gérondif introduit par « en » (*en respectant*)	3	«Deux ordinateurs équipés chacun d'un modem peuvent donc s'échanger des messages en respectant cependant certaines conditions.» (Espace de l'informatique, p :169).
11. Coordination avec un autre verbe (*reconnaître et respecter*)	1	« Reconnaître et respecter la propriété intellectuelle. » (L'informatique au lycée, p : 219).

Tableau 2 : - Les structures syntaxiques du verbe *respecter* dans les manuels scolaires d'informatique

Le tableau ci-haut révèle une nette prédominance des formes à l'infinitif (avec « à », « de », « pour », etc.), qui représentent à elles seules plus de la moitié des occurrences. Ces structures, souvent introduites par des tournures impersonnelles, participent à l'effacement du sujet énonciateur et renforcent le caractère prescriptif et normatif du discours. Les formes passives et les gérondifs confirment cette tendance à présenter la règle comme une nécessité technique autonome, tandis que les formes conjuguées actives, plus rares, n'attribuent qu'exceptionnellement l'action à un sujet humain identifiable. Cette répartition souligne une stratégie discursive visant à naturaliser l'obligation et à imposer la conformité comme une évidence fonctionnelle.

2. Une énonciation sans énonciateur : la norme scolaire sous couvert d'impersonnalité

L'effacement du sujet énonciateur constitue l'un des procédés discursifs les plus marquants dans les manuels scolaires d'informatique, notamment à travers l'usage massif de structures impersonnelles telles que *« il faut respecter »*, *« doivent être respectées »* ou *« est respecté »*. Ces tournures grammaticales neutralisent l'origine de l'énonciation en gommant la présence du locuteur prescripteur, qu'il s'agisse de l'auteur du manuel, de l'enseignant ou de l'institution scolaire. En occultant le sujet qui impose la règle, le discours installe une forme d'autorité anonyme et diffuse, présentée comme intrinsèque au fonctionnement du système. Ainsi, les règles ne semblent plus émaner d'un choix humain ou pédagogique, mais apparaissent comme des nécessités objectives, indépendantes de toute décision ou

responsabilité identifiable. Cette stratégie syntaxique renforce l'idée d'une norme impersonnelle, quasi naturelle, qui s'impose d'elle-même, sans discussion ni justification. L'élève n'est plus face à un énonciateur avec lequel il pourrait dialoguer ou négocier, mais face à un discours qui s'auto-légitime en se présentant comme neutre, technique et incontestable. Cette dépersonnalisation syntaxique participe pleinement à la construction d'un pouvoir éducatif invisible mais puissant, qui façonne les comportements sans jamais se nommer.

3. Les effets rhétoriques des constructions syntaxiques

Les constructions syntaxiques mobilisées dans notre corpus recourent largement à l'infinitif, au passif et à l'interrogatif, renforçant ainsi la portée prescriptive du discours tout en évacuant le locuteur. L'usage massif de l'infinitif (« à respecter », « pour respecter », « de respecter ») participe à la neutralisation énonciative et installe une injonction implicite. Par exemple, l'énoncé : « Les règles à respecter dans chaque exemple constituent un protocole » (*Découverte de l'informatique*, p. 191) n'invite pas à réfléchir, mais impose une conduite à suivre, sans agent identifié. De même, les formes passives comme « l'ordre des instructions est respecté » (*L'informatique au lycée*, p. 141) instaurent une norme validée, sans débat ni alternative, où seule compte la conformité. L'interrogatif prescriptif « Quelles règles faut-il respecter… ? » (Découverte de l'informatique, p :184)) simule une ouverture, tout en guidant vers une réponse attendue et normée.

Selon leur construction, ces formulations remplissent des fonctions discursives distinctes : définir, évaluer ou contraindre. Les infinitifs introduits par « pour » ou « afin de » orientent l'action dans une logique finalisée, souvent évaluative « Pour respecter sa mise en forme habituelle… », (*Espace de l'informatique*, p. 99). Ils présentent la règle comme condition de réussite. À l'inverse, les passifs ou les modaux (« doivent être respectées », « est respecté ») inscrivent l'énoncé dans un registre de contrainte impersonnelle, où la norme est déjà installée et ne se discute pas. Ces choix syntaxiques, loin d'être neutres, organisent une rhétorique subtile qui déplace la contrainte pédagogique vers une nécessité technique, et transforme ainsi le langage en instrument de régulation comportementale.

4. La performativité du discours : le verbe *respecter* comme acte de langage

Le verbe *respecter* dans les manuels scolaires d'informatique ne se contente pas de désigner une action, il agit sur le comportement de l'élève en tant qu'acte de langage performatif. Son emploi transforme l'énoncé en prescription, implicite ou explicite, et engage l'apprenant dans une posture d'exécution. En fait, lorsqu'un manuel énonce : « Il faut respecter les règles de saisie », il ne s'agit pas seulement d'une description normative, mais d'une injonction à agir, dans laquelle *respecter* équivaut à *faire*. De même, dans l'exemple : « Un protocole est l'ensemble des règles qui doivent être respectées pour réaliser un échange d'informations entre ordinateurs » (L'informatique au lycée, p : 193), le discours informatique ne se contente pas d'enseigner ce qu'est un protocole informatique, il oriente activement la conduite de l'élève vers l'obéissance technique. La modalité « doivent être respectées » renforce une posture d'obligation. Elle produit un effet performatif au sens où elle transforme immédiatement l'énoncé en une règle d'action à exécuter. Ces énoncés créent un cadre stabilisé, routinisé et évaluatif, où l'acte de respecter devient un indicateur de réussite ou d'échec.

Ainsi, apprendre l'informatique ne revient pas seulement à comprendre comment un système fonctionne, mais à intérioriser un ensemble de règles à appliquer. Cette performativité est une « *intervention active dans les discours et les pratiques* » (Spicer , Alvesson et Kärreman 2009 : 543), elle repose sur une rhétorique indirecte : au lieu d'ordonner, le discours installe une nécessité présentée comme évidente. Le langage devient alors l'instrument d'une action pédagogique qui vise moins à faire comprendre qu'à faire faire, naturalisant l'obéissance comme condition de réussite.

5. Les formes d'hybridation discursive

Au-delà de son usage strictement technique, le verbe *respecter* devient alors un outil pédagogique de normalisation comportementale. Il ne s'agit pas uniquement de suivre des règles d'écriture ou de syntaxe informatique (ex. : « respecter les règles de saisie » ou « respecter les consignes pour le mot de passe »), mais d'apprendre à se conformer à des normes de comportement attendues dans l'espace scolaire. Ainsi, à côté des prescriptions purement techniques, surgissent des injonctions portant sur le respect de soi (« avoir une tenue soignée », « apporter son matériel »), des autres (« être calme et

poli »), et de l'environnement (« conserver propre le lycée »). Ces formulations montrent que l'apprentissage de l'informatique devient également un vecteur de diffusion d'une morale scolaire codifiée, où l'élève est appelé à devenir un sujet discipliné, propre, organisé et respectueux.

Cette pédagogie incitant au respect ne se contente pas d'énoncer des normes, elle les inscrit dans une routine éducative visant à formater les conduites. Le verbe *respecter* revient dans des contextes qui relèvent de la vie collective (protocoles, échanges d'informations, chartes scolaires), faisant ainsi écho à une logique d'ordre et de conformité, valorisée à la fois dans le langage de la machine et dans celui de l'école. Le corpus montre aussi que cette rhétorique de la conformité s'appuie sur un lexique récurrent (propreté, politesse, calme, valeurs, charte) qui révèle une entreprise plus large d'encadrement des comportements par le langage technique. L'enseignement de l'informatique devient ainsi un espace hybride, où la régulation technique se double d'une régulation morale, orientée vers la fabrication de l'élève-citoyen respectueux, autocentré et auto-discipliné.

IV. Conclusion:

L'analyse des occurrences du verbe respecter dans les manuels scolaires d'informatique révèle bien plus qu'un simple choix lexical. Derrière sa répétition apparemment anodine se dessine une stratégie discursive puissante, fondée sur l'effacement du sujet, la naturalisation de la règle, et la construction d'un savoir normatif présenté comme objectif. Qu'il s'agisse de syntaxe, de format, de protocole ou même de comportement, respecter devient le pivot d'un discours où la réussite ne passe pas par la créativité ni par l'interprétation, mais par la conformité à un système préétabli. Ce glissement transforme l'élève en exécutant discipliné, plus qu'en apprenant autonome.

Ainsi, étudier respecter dans ce contexte, c'est dévoiler une pédagogie implicite de la rigueur, de la répétition et de l'obéissance, qui dépasse le seul cadre informatique. C'est aussi interroger les effets à long terme de cette rhétorique : en formatant les gestes et les pensées à travers un verbe qui lie technique et morale, le discours ne transmet pas seulement des compétences, mais une vision du savoir comme ordre à suivre, un savoir qui se respecte plus qu'il ne se questionne. Cette conclusion invite à une réflexion critique

sur les formes langagières qui façonnent, parfois silencieusement, les rapports au savoir et à l'apprentissage.

Pour prolonger cette analyse du verbe respecter dans le discours scolaire, plusieurs perspectives de recherche s'ouvrent. Une étude comparative interdisciplinaire permettrait d'évaluer si la charge normative du verbe varie selon les disciplines (informatique, mathématiques, sciences, éducation civique), mettant ainsi en lumière des différences dans la manière dont chaque domaine encode l'autorité et la conformité. Un corpus multilingue pourrait également enrichir la réflexion en comparant les équivalents discursifs du verbe respecter dans d'autres langues (arabe, anglais, etc.), soulignant ainsi les effets culturels et pédagogiques des choix lexicaux dans la formulation de la norme.

V. Liste bibliographique:

1. Livres:

1- Béchade, H.-D. (1993), *Syntaxe du français moderne et contemporain*, Presses Universitaires de France, Paris.
2- Bouhafna, F. Z. (2023), La littératie informatique au secondaire qualifiant marocain : Cas du locuteur-auteur du manuel informatique, Thèse de doctorat, Université Mohamed Premier, Oujda.
3- Dassi, M. (2003), *De la morphosyntaxe à la sémantique des présentatifs en français contemporain : Une aperception fondée sur la prose romanesque de Mongo Beti*, Lincom Europa.
4- Dubois, J., & Dubois-Charlier, F. (1997), *Les verbes français : Dictionnaire sémantico-syntaxique*, Éditions du CNRS / ENS Éditions, Paris.
5- Zufferey, S. (2020), *Introduction à la linguistique de corpus*, ISTE Éditions, London.

2. Articles :

1- Maingueneau, D. (1979), L'analyse du discours, *Repères pour la rénovation de l'enseignement du français à l'école élémentaire*, n°51, pp. 3-27.
2- Maingueneau, D. (2013), Genres de discours et web : existe-t-il des genres web ? C. Barats (Dir.), *Manuel d'analyse du web en sciences humaines et sociales*, Paris, Armand Colin.pp. 74-98.
3- Spicer, A., Alvesson, M., & Kärreman, D. (2009), Critical performativity: The unfinished business of critical management studies. *Human Relations,* vol.62, n°4 , pp: 537-560.
4- Tutin, A. (2010), Dans cet article, nous souhaitons montrer que... Lexique verbal et positionnement de l'auteur dans les articles en sciences humaines, *Lidil,* n°41, pp : p. 15-40.

Dictation and teaching French as a foreign language

Mohamed BASLA[1]
Chercheur, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Fès
simonour008@gmail.com
Abdessamad ISSAM[2]
Chercheur, Université Abdelmalek Essaâdi, Tétouan
abdessamad.issam78@gmail.com

Abstract

All foreign language teaching aims, above all, to develop communication skills in students who benefit from this teaching. Thus, communicating well orally and in writing becomes a criterion that demonstrates the degree of success of this educational operation and the level of mastery of the studied language. Since communication involves producing sentences and texts to convey messages, the work of understanding and expressive skills of students becomes an essential activity that any serious teacher should not overlook. Being part of the exercises aimed at improving learners' writing through the enhancement of their spelling skills, a well-prepared and well-executed dictation lesson would undoubtedly transform into a pedagogical tool that helps develop students' comprehension and oral and written expression.

Keywords: dictation, teaching, comprehension, expression.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Dictée et enseignement du français langue étrangère

Mohamed BASLA[1]
Chercheur, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Fès
simonour008@gmail.com
Abdessamad ISSAM[2]
Chercheur, Université Abdelmalek Essaâdi, Tétouan
abdessamad.issam78@gmail.com

Résumé:

Tout enseignement des langues étrangères, vise, avant tout, à développer les compétences communicationnelles chez les élèves qui profitent de cet enseignement. Ainsi, bien communiquer oralement et par écrit devient un critère qui témoigne du degré de la réussite de cette opération éducative et du niveau de la maîtrise de la langue étudiée. Du moment que la communication consiste à produire des phrases et des textes afin de transmettre des messages, le travail de la compréhension et des compétences expressives des élèves devient une activité essentielle que tout enseignant sérieux ne doit pas négliger. Faisant partie des exercices dont le but est d'améliorer les écrits des apprenants par l'amélioration de leurs compétences orthographiques, une leçon de dictée bien préparée et bien travaillée ne manquerait pas de se transformer en un outil pédagogique aidant à développer la compréhension et l'expression orale et écrite des élèves.

Mots clés: dictée, enseignement, compréhension, expression.

Introduction

Étant un exercice scolaire traditionnel qui continue toujours à se réserver une place importante dans la plupart des programmes scolaires, la dictée consiste à donner une forme écrite aux mots, aux phrases ou aux textes dictés tout en respectant les règles de la grammaire, de la conjugaison et de l'orthographe. Il s'agit donc de donner une image graphique correcte aux formes sonores des mots tout en prenant en considération les règles et les conventions qui régissent l'écriture des mots de la langue.

Dans la plupart des cas, elle constitue un exercice visant à réemployer et à consolider une règle étudiée et présentée lors de la séance de l'orthographe. Autrement dit, elle peut être considérée comme la phase terminale d'une leçon d'orthographe. La découverte, la compréhension et la conceptualisation du phénomène orthographique étant des phases qui la précèdent.

Si la dictée a, depuis toujours, une place particulière au sein des programmes scolaires vu qu'elle connote le degré de maîtrise de la langue, elle ne manque pas de jouer un rôle prépondérant lors des recrutements car les entreprises y voient un miroir qui reflète leur image et les compétences communicationnelles de leurs employés. « Nombreux sont les dirigeants qui craignent que les fautes de français ne nuisent à l'image de leur entreprise auprès de leurs interlocuteurs », lit-on dans *Maîtriser l'orthographe* (Bruno Dewaele et Agnès Colomb, 2012, p. 10). Le degré de la maîtrise de l'orthographe, qui se manifeste dans les dictées, retient particulièrement l'attention des recruteurs dans le domaine des métiers qui pourraient nécessiter des correspondances avec des clients, fournisseurs et autres.

En fait, au sein de l'entreprise, la communication constitue un élément essentiel qui garantit le bon fonctionnement et également une meilleure performance de celle-ci. Ainsi, la transmission des messages ne doit présenter aucune ambiguïté. Leur compréhension et leur interprétation ne doivent absolument être affectées par aucune éventuelle mauvaise orthographe. Or la meilleure façon de maîtriser l'orthographe des mots c'est de s'exercer à la dictée.

Si la dictée est un moyen essentiel permettant l'amélioration et la maîtrise de l'orthographe, elle ne manquerait pas de se transformer –si elle est bien exploitée– en un outil pédagogique permettant le travail et la maîtrise des aspects les plus difficiles de la langue. Ainsi comment peut-on donc se servir de la dictée comme un outil pédagogique afin de travailler et maîtriser la langue ?

Du moment que tout enseignement de langue vise à développer chez les apprenants les compétences de base, nous allons nous focaliser dans cet essai sur quelques consignes à suivre afin de faire de la séance de la dictée une occasion de travailler la compréhension orale, la compréhension écrite, l'expression orale et l'expression écrite.

Pour mener à bien ce travail, nous allons adopter une approche analytique et décliner ce sujet en deux parties comprenant chacune deux sous-parties. La première sera consacrée à la manière dont la dictée pourrait améliorer la compréhension orale et écrite, la seconde à la façon dont elle pourrait développer l'expression orale et écrite.

I. Dictée : un outil efficace pour travailler la compréhension des textes

Dans la plupart des programmes scolaires consacrés à l'enseignement des langues, le déroulement de la séance de la dictée commence souvent par la lecture et la compréhension du texte support qui renferme les difficultés orthographiques que l'on veut surmonter et dompter. Constituant l'une des étapes de la séance de la dictée, la compréhension n'est pas seulement une phase que l'on ne peut pas sauter, si l'on veut mener à bien le déroulement de la leçon, mais elle peut également présenter une occasion à saisir afin d'améliorer la compréhension orale et écrite des élèves.

1. Dictée et travail de la compréhension orale

Se définissant comme la capacité de comprendre et d'interpréter les messages et les énoncés oraux, la compréhension orale est l'une des compétences que

l'élève doit maîtriser afin de dompter la communication en langue étrangère. Son importance se manifeste à différents niveaux.

Permettant la compréhension des messages et des intentions des autres, la compréhension orale est essentielle pour une communication efficace. Ainsi, sa maîtrise favorise la clarté et permet de dissiper les malentendus et de raccourcir les distances entre les êtres sociaux. Ce faisant, elle contribue à la création des liens et des relations entres les humains. Dans ce sens, elle peut être considérée comme un moyen efficace et une voie menant vers l'intégration sociale.

En fait, dès que l'on se trouve au sein d'un groupe humain différent du nôtre, ou d'une communauté étrangère, la nécessité de la compréhension orale émerge et se met en exergue. Vu qu'elle favorise la participation aux conversations, aux échanges langagiers et aux différentes activités sociales, elle est le moyen le plus efficace et la voie la plus courte qui permet de percer l'opacité de ce genre de communauté, de se faire accepter par les membres du groupe et enfin de se réserver une place au sein de cet ensemble.

Étant donné son importance, la compréhension orale peut trouver dans la dictée un outil pédagogique favorisant son travail et son développement. Ainsi, l'enseignant de la langue pourrait s'en servir pour développer la compréhension orale de ses élèves et l'exploiter afin d'améliorer leur capacité communicationnelle.

Étant la reproduction correcte d'un énoncé ou d'un petit texte en respectant les règles de l'orthographe et de la grammaire, la dictée a pour support un ensemble cohérent et signifiant. L'une des étapes qui constituent la démarche méthodologique de cette discipline et la compréhension du sens général du texte de la dictée. Cette étape pourrait être exploitée afin de développer la compréhension orale chez les apprenants.

L'enseignant pourrait, en fait, commencer par faire écouter, à ses élèves, le texte de la dictée soit en le lisant soit en le diffusant en usant d'un appareil électronique. Après la lecture ou la diffusion du support, il posera des

questions de compréhension qui permettront aux élèves de s'exprimer d'une part, et d'autre part de vérifier le degré de la compréhension du texte.

Le professeur pourrait également demander aux apprentis de préciser la signification d'un mot, d'une phrase ou d'une suite de phrases. Il serait aussi judicieux de leur demander de dégager l'idée générale du texte ainsi que les différentes idées contribuant à sa signification et permettant l'atteinte des différentes couches de sens participant à la formation de son univers significatif. Ainsi, l'enseignement de la dictée pourrait présenter une occasion pour travailler et améliorer la compréhension orale.

2. Dictée et travail de la compréhension écrite

La compréhension écrite est la capacité de mobiliser des ressources, des savoirs, des habiletés et de réagir à un texte afin de le comprendre et interpréter les intentions de son auteur. C'est un travail d'analyse et un processus visant la pénétration d'un texte écrit afin de saisir les différentes couches de sens qui le constituent en tant qu'un ensemble signifiant et cohérent.

Son importance se manifeste à divers niveaux. À titre d'exemple, elle est essentielle à l'apprentissage dans la mesure où elle permet la découverte, la compréhension et l'assimilation des informations et des connaissances contenues dans les livres et dans tout autre document. En fait, du moment que l'écrit est un excellent moyen de transmission du savoir et de la culture, sa compréhension est nécessaire pour enrichir et acquérir des connaissances et des savoirs.

Dans ce sens, la compréhension écrite est indispensable au développement personnel et à l'épanouissement de la personne. En effet, elle permet aux individus la découverte de nouvelles idées et l'ouverture de nouvelles voies et perspectives leur permettant de mieux s'adapter à la vie future et de mieux préparer leur avenir. C'est en comprenant et en exploitant les différents savoirs et expériences présentés dans les livres que l'on se donne les meilleures chances de réussir sa vie.

Dans la vie quotidienne, la compréhension écrite joue un rôle essentiel dans le développent de la capacité et de la compétence communicationnelles de tout individu désirant entrer en contact avec son entourage. Elle permet aux gens d'établir des relations saines avec d'autres individus surtout lorsqu'ils sont obligés de cohabiter avec eux, que se soit dans leur milieu de travail ou au sein d'une communauté. En témoigne, l'importance de la compréhension des messages écrits et de toute information écrite en provenance d'autres personnes.

Vu son importance, le développement de la compréhension écrite est donc une compétence à travailler et à développer constamment et régulièrement. Pour ce faire, l'apprenant doit lire attentivement afin de saisir le sens des textes et comprendre leur signification. La lecture attentive a prouvé son importance dans la mesure où elle permet de suivre l'enchaînement des idées et la logique des écrits objet de la lecture.

Pour mieux comprendre un texte et percer son opacité, le lecteur attentif doit essayer d'identifier et de dégager les mots clés sur lesquelles la signification a été brodée et composée. Ces mots conduisent à l'identification et à la saisie des idées principales et secondaires qui forment les différentes couches de sens reflétant les intentions de l'auteur du texte lu.

Afin d'aider les élèves dans leur travail et dans leur quête de sens et de signification, l'enseignant pourrait les orienter en leur posant des questions qui portent sur le sens du texte et qui permettent d'attirer l'attention sur les différentes idées et informations évoquées et véhiculées dans le texte.

Dans cette perspective, la dictée pourrait devenir un outil pédagogique permettant le travail et le développement de la compréhension écrite. En effet, le texte de la dictée doit d'abord être lu et compris avant de le dicter aux élèves. Au cours de cette étape nécessaire de la dictée, l'enseignant posera des questions, préparées à l'avance, permettant de guider les apprenants dans leur compréhension. Il leur demandera de chercher, de dégager et d'expliquer les mots clés. Il serait judicieux de leur demander également de dégager les idées principales et secondaires. Au terme de cette étape il posera des

questions permettant d'évaluer le degré de compréhension du texte de la dictée.

Loin d'être uniquement une étape parmi d'autres qui, ensemble, articulent et ponctuent le déroulement d'une leçon de dictée, la compréhension du texte support est un moment à exploiter afin d'améliorer deux compétences de base que tout enseignement des langues étrangère cherche à développer chez les apprenants.

II. Dictée : un outil efficace pour travailler la production et l'expression

Il va sans dire que tout enseignement des langues étrangères, vise, avant tout, à développer les compétences communicationnelles chez les élèves qui profitent de cet enseignement. Ainsi, bien communiquer oralement et par écrit devient un critère qui témoigne du degré de la réussite de cette opération éducative. Du moment que la communication consiste à produire des phrases et des textes afin de transmettre des messages, le travail des compétences expressives des élèves devient essentiel. Faisant partie des exercices dont le but est d'améliorer les écrits des apprenants, une leçon de dictée bien préparée et bien travaillée ne manquerait pas de se transformer en un outil pédagogique aidant à développer l'expression orale et écrite des élèves.

1. Dictée et expression orale

Étant la capacité de communiquer et de transmettre un message, une idée ou un sentiment en se servant de la parole, l'expression orale est l'une des quatre compétences essentielles que l'enseignement des langues étrangères cherche à développer chez les élèves. Elle consiste à mobiliser des ressources, des habiletés, des connaissances et des savoirs langagiers afin de s'exprimer clairement tout en respectant les règles de la langue. Son importance se manifeste à divers niveaux.

En fait, la maîtrise de l'expression orale favorise une communication efficace dans la mesure où elle permet à l'émetteur d'un message de transmettre clairement et efficacement ses idées et toutes sortes d'informations qu'il veut partager avec les autres ainsi que les sentiments qu'il souhaite extérioriser.

Au niveau des relations, elle est importante car elle joue un rôle essentiel dans les interactions sociales et professionnelles. Quant au partage des idées, il permet le développement et l'épanouissement des individus grâce au partage des nouvelles idées et informations.

Si l'objectif principal de tout individu désirant s'exprimer oralement est avant tout communicationnel, la communication orle doit immanquablement répondre à deux exigences : la clarté et la cohérence. En fait, une bonne réception du message par le destinataire est évidemment tributaire de la capacité de l'émetteur, concepteur de ce message, à transmettre des idées claires et cohérentes.

C'est donc, le destinateur qui aide son interlocuteur à comprendre le message émis. Pour ce faire, il doit lors de la conception et la composition chercher la simplicité et éviter tout ce qui pourrait nuire à la compréhension et à l'efficacité de son message de façon à ce que ce dernier soit facilement interprétable. Les idées doivent êtres enchaînées et suivre une logique permettant de guider le destinataire dans la recherche du sens et des intentions du destinateur.

Ce dernier doit également prendre en considération les compétences langagières de son interlocuteur. Ainsi, il doit s'assurer de l'utilisation d'un code que le destinateur comprend et maîtrise s'il veut garantir la transmission efficace de ses idées et éviter toute perte de sens ou tout malentendu pouvant survenir lors d'une communication formelle, d'un échange oral ou d'une conversation banale.

En plus de l'amélioration de la communication et des relations avec les autres, l'expression orale renforce la confiance en soi et l'estime de soi. En partageant ses idées et ses opinions avec les autres, l'individu se construit une bonne image de lui-même. En fait, l'impression d'être capable de participer aux discussions, d'animer les débats et de se faire écouter et entendre par les autres participe à la construction d'une meilleure image de soi-même.

Vu l'importance de l'expression orale, son amélioration devient nécessaire pour développer les compétences langagières des élèves. Pour ce faire, il faut

inciter ces derniers et les encourager à la prise de parole en public. On doit également les entraîner à écouter les autres, à s'assurer de bien comprendre leur message, à réfléchir avant d'intervenir puis à être attentifs à leurs feedbacks afin de réguler et adapter leurs messages en fonction de ces retours.

Dans le cadre scolaire, la dictée pourrait représenter une occasion et une opportunité à saisir afin de travailler et développer la compétence des élèves de s'exprimer oralement. Ainsi, l'enseignant pourrait leur demander de commenter oralement et de discuter les idées véhiculées dans le support écrit objet de la dictée. Dans ce sens, le texte de la dictée se transformerait en un prétexte à la discussion, au débat et à la pratique orale de la langue. Ces exercices entraîneront les apprenants à la prise de parole, à la pratique de la langue et au développement de l'expression orale.

2. Dictée et expression écrite

Étant la capacité d'extérioriser, de communiquer et de transmettre les idées, les sentiments et les pensées par écrit, l'expression écrite est l'une des compétences de base que l'enseignement du français langue étrangère vise à développer chez tout individu désirant communiquer clairement et efficacement dans cette langue. La clarté et l'efficacité étant deux caractéristiques sans lesquelles le message risque de se perdre et la communication d'échouer.

Il va sans dire que l'expression écrite est, avant tout, une activité de création, d'invention et de production des idées. En plus de la production de ces dernières, elle consiste à leur donner une forme écrite. Autrement dit, c'est un processus de production et de mise en forme dans lequel la pensée et l'information circulent et se transmettent à travers les mots qui les portent et les communiquent. Elle inclut des textes de différentes formes : longs, courts, des lettres, des rapports, des articles et toutes sortes d'écrits visant la communication ou l'information. D'où la nécessité de la travailler et de la développer chez les apprenants de la langue française.

Comme toute autre compétence, l'expression écrite est une activité qui se travaille et que l'on pourrait développer à travers la lecture, l'exercice et la

régularité. La lecture en effet, aide à l'amélioration de la compréhension de la langue et à l'acquisition du vocabulaire et de nouvelles idées. Au fil des lectures, le vocabulaire et les idées s'accumulent et constituent un bagage et un fond exploitable lors des productions écrites. L'individu trouverait dans ce fond une source intarissable dans laquelle il puiserait la matière dont il se servirait afin de composer des textes.

Toutefois, se contenter uniquement de la lecture afin de développer ses compétences en matière de l'expression écrite, c'est comme se fournir des briques et du ciment afin de construire un mur sans être formé et exercé à la construction. L'exercice et l'entraînement à la production écrite sont donc la meilleure voie à emprunter pour tout individu désirant développer et améliorer ses compétences dans ce domaine.

En effet, ce n'est pas pour rien qu'on demande aux apprenants de réaliser des exercices après la présentation d'une nouvelle règle ou d'un nouveau concept. « C'est à force de forger qu'on devient forgeron », affirme le dicton. Dans ce sens, l'exercice et l'entraînement à la production des textes écrits doivent être à intervalles fixes.

Ainsi, développer sa production écrite implique automatiquement de s'imposer un travail régulier qui consiste à produire fréquemment des textes touchant à des sujets variés et différents. Ce n'est qu'au pris d'un tel engagement que l'individu pourrait développer cette compétence et acquérir un style original, une facilité et une fluidité d'écriture, surtout lors d'un travail sous contrainte.

Quant aux avantages de la maîtrise de la production écrite, ils sont si évidents qu'ils ne peuvent pas passer inaperçus. En fait, la capacité d'exprimer par écrit ses idées, ses réflexions et ses sentiments, de les partager et de les transmettre aux autres permet de communiquer facilement et efficacement. Ceci permet et facilite l'intégration et l'insertion sociales et professionnelles. Ainsi, l'expression écrite est un moyen d'expression de soi, de réussite sociale et professionnelle à développer et à travailler constamment.

Dans cette perspective, la dictée peut être exploitée afin de travailler cette compétence ô combien nécessaire et indispensable à la maîtrise et à la domination de la langue étrangère.

En fait, si la dictée consiste à orthographier et à écrire correctement les mots selon les règles et les conventions qui régissent l'écriture des mots de la langue, sa maîtrise influe automatiquement sur la qualité de l'expression écrite.

Ainsi, l'enseignant de la langue française visant à développer la production écrite chez ses élèves pourrait faire de la séance de la dictée une occasion, à ne pas rater, afin de les entraîner à l'expression écrite. Ainsi, après la lecture et la compréhension du texte de la dictée, il pourrait leur demander de discuter et de commenter par écrit certaines idées véhiculées dans le texte objet de la dictée. Il pourrait également leur demander de faire des résumés reprenant les idées principales en usant de leurs propres mots et en composant selon leur propre style.

Dans ce sens, la dictée pourrait se transformer en un outil pédagogique très efficace permettant de développer et d'améliorer la compétence de l'expression écrite chez les étudiants et aussi de renforcer leur capacité discursive et communicationnelle, objectif ultime de tout apprentissage des langues étrangères.

Visant à améliorer les connaissances des élèves dans le domaine de l'orthographe (OUAL, Amel et ABADI, Dalila, 2022, p.836), la dictée ne participe pas uniquement au développement des compétences orthographiques des apprenants. Avec un peu d'effort, elle pourrait se transformer en une occasion permettant de travailler les compétences expressives, orles et écrites, de ces derniers.

CONCLUSION

Étant une discipline fondamentale des programmes scolaires s'intéressant à l'enseignement des langues, la dictée est un exercice qui vise essentiellement l'amélioration des écrits des élèves. En fait, un texte bien écrit est un texte qui

respecte l'écriture correcte des mots ainsi que les règles de l'orthographe. La dictée est donc l'un des exercices qui permet d'évaluer le degré de la maîtrise de la langue.

De nos jours les sociétés et les entreprises portent une attention particulière aux compétences orthographiques de leurs représentants de peur d'être mal jugées, d'après ces compétences, par leurs clients. L'orthographe est devenue donc un miroir qui reflète l'image de l'entreprise ou de la société et un critère qui permet leur évaluation. Ainsi les recruteurs exigent de plus en plus, de leurs futurs fonctionnaires, un certain niveau de maîtrise de l'orthographe pour ne pas altérer l'image de leurs entreprises.

Ainsi, l'orthographe est devenue un facteur qui permet au candidat qualifié de décrocher un poste de travail. C'est un facteur qui pourrait faire la différence entre des candidats ayant les mêmes compétences dans un domaine. Sa maîtrise exige l'exercice et l'entraînement réguliers. C'est une compétence qui s'acquis et s'améliores à force de la pratique constante.

Ayant conscience de l'importance de l'entraînement pour maîtriser l'orthographe, les didacticiens ont réservé, dans les différents programmes scolaires, une place importante à la dictée. Cette dernière étant l'exercice de prédilection qui permet de maîtriser les règles de l'orthographe et de dompter les différentes difficultés de la langue ayant un rapport avec sa transcription graphique.

Que la dictée soit un exercice permettant l'amélioration et la maîtrise du code écrit c'est évident, mais qu'elle se transforme en un support didactique permettant le travail et l'amélioration des quatre compétences de base visée par l'enseignement des langues, voilà ce que cet article cherche à démontrer.

En effet, faisant partie des étapes prescrites par la méthodologie de la dictée, la compréhension (orle et écrite) est une compétence que l'on pourrait travailler dans une séance consacrée à cette discipline. Comme on l'a évoqué plus haut, on pourrait également faire de la même séance une occasion pour travailler l'expression orale et écrite et pourquoi pas d'autres matières telles que la grammaire, la conjugaison et le lexique.

VI. Liste Bibliographique

1- DEWAELE, Bruno et COLOMB, Agnès (2012), Maîtriser l'orthographe, Eyrolles, Paris.

2- OUAL, Amel et ABADI, Dalila (2022), « La dictée, un exercice de production écrite par excellence », *Revue Sciences Humaines*, Algérie, Vol 33, n°1.

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

The Translation of Arab English Learners Between Equivalence and Literalism

Asst.Lectuer Baidaa Yassir Al-Noor
Tikrit University\ College of Arts\ Department of Translation
Iraqi Ministry of Education, Baghdad Education Directorate, Karkh II, Al-Khabir Preparatory School
baydaalnor@gmail.com

Abstract

The study (The Translation of Arab English Learners Between Equivalence and Literalism) explores how learners of English as a second language approach the process of translation. It focuses on two key strategies: equivalence, where the meaning is preserved while adapting to the target language's natural use, and literalism, where translations are more word-for-word and may ignore idiomatic or cultural differences. The paper analyzes the challenges learners face in choosing between these approaches and how their level of language proficiency, cultural awareness, and understanding of context affect their translation accuracy. It concludes that while literal translations can hinder communication, striving for equivalence helps learners produce more fluent and culturally appropriate texts.

Keywords: Arab English learners, Translation, Equivalence, literalism,

ترجمة متعلمي الإنجليزية العرب بين التكافؤ والحرفية

م.م بيداء ياسر النور

جامعة تكريت \ كلية الاداب \ قسم الترجمة

وزارة التربية العراقية\ مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية \مدرسة اعدادية الخبير للبنين

baydaalnor@gmail.com

الملخص

تستكشف الدراسة (ترجمة متعلمي اللغة الإنجليزية العرب بين التكافؤ والحرفية) كيفية تعامل متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية مع عملية الترجمة والتركز على استراتيجيتين رئيسيتين هما: التكافؤ، حيث يتم الحفاظ على المعنى مع التكيف والاستخدام الطبيعي للغة الهدف، والحرفية، حيث تكون الترجمات أكثر حرفية وقد تتجاهل الاختلافات الاصطلاحية أو الثقافية. وتسليط الضوء على التحديات التي يواجهها المتعلمون العرب في الاختيار بين هاتين الأستراتيجيتين وكيف يؤثر مستوى إتقانهم للغة ووعيهم الثقافي وفهمهم للسياق على دقة ترجمتهم وتوصلت الدراسة إلى أن الترجمات الحرفية يمكن أن تعيق التواصل، لذا من المهم السعي لتحقيق التكافؤ ليساعد متعلمي اللغة الأنكليزية على إنتاج نصوص أكثر طلاقة وملاءمة ثقافيًا.

الكلمات المفتاحية: متعلمو اللغة الإنجليزية العرب، الترجمة، التكافؤ، الحرفية.

INTRODUCTION

The primary purpose of translation is communication. Culture is involved in translation because it is an integral part of language and an important tool for communication: "Language is a manifestation of cultural identity."

Translating culture requires a translation of cultural equivalence so that it can be understood by the target language reader. It is therefore important to find a theory that allows us to study translation from this perspective and to find an approach that respects the interaction between language and culture.

Translation serves as a crucial bridge between diverse cultures, facilitating communication and understanding. However, it involves far more than simply converting words from one language to another; it demands a high level of linguistic expertise and cultural awareness. One of the most significant challenges faced by translators working from English into Arabic is insufficient language proficiency. This often results in inaccurate or misleading translations that fail to preserve the original text's meaning and intent.

I. THE CONCEPT OF TRANSLATION

According to the Concise Oxford English Dictionary, translation is defined as “a written or spoken rendering of the meaning of a word, speech, book, etc., in another language.”

Reiss (2000:160) describes it as "a bilingual, mediated process of communication that typically aims to produce a Target Language (TL) text functionally equivalent to a Source Language (SL) text." Similarly, Ghazala refers to translation as encompassing all processes and methods used to convey meaning from the source language to the target language.(Pym, 2019:153-176)

Hatem and Mason define translation succinctly as “the transfer of meaning from one language to another.”

Translation involves analyzing the vocabulary, grammatical structure, communicative context, and cultural background of the source text. This analysis helps in interpreting the meaning accurately, which is then re-

expressed in the target language using appropriate vocabulary, grammar, and cultural references. (Roberts, Roda and Pergnier, M., 2020 p. 392-402.)

For instance, when translating from Arabic to English, the Arabic phrase " أنا مسلم" serves as the source text, whose linguistic and contextual elements must be carefully considered for effective translation.

Skills Required in Translation

A common belief is that translation simply requires:

A reasonable command of a foreign language

Extensive and varied experience

Access to reliable dictionaries

In reality, distinguishing between a "good" and "bad" translation is often subjective and context-dependent. Every translation has its strengths and weaknesses and can always be refined further.

Nida 1964 outlines four essential criteria for a good translation:(Selescovitch, D. Lederer M. 2020 ,p.43)

1. It must make sense.

2. It should reflect the spirit and style of the original.

3. It must be naturally and fluently expressed.

4. It should elicit a similar response in the target audience as in the original

II. THE IMPORTANCE OF TRANSLATION DEPARTEMENTS

Translation can generally be categorized into two primary branches: written translation and oral translation (interpreting). Interpreting itself encompasses several forms, the most notable being simultaneous and consecutive interpretation. Written translation involves rendering texts of various kinds from one language into another.

The challenges involved differ depending on the nature and complexity of the content. Written translation is typically divided into two key types:

literary translation, which demands attention to artistic style and nuance, and scientific or specialized translation, which focuses on technical accuracy.

Additionally, translation can be classified according to method or approach. The most widely recognized types include literal translation, free translation, interpretative translation, semantic translation, and communicative translation. (Steiner, G. 2021, p. 71)

Roman Jakobson proposed a well-known classification of translation into three categories:

1. Intralingual translation: This refers to rewording a message using different expressions within the same language. It involves substituting verbal signs with alternative verbal signs in the same language. This type plays a crucial role in developing a deeper theory of meaning—for instance, various interpretations of the Quran fall under this category.

2. Interlingual translation: This is what is commonly understood as translation—transferring verbal signs from one language to another. In this case, accuracy involves more than just matching words; it requires preserving both the meaning and the syntactic structure of expressions across languages. The translator must comprehend the entire expression in context. (Vinay J.P., Darbelnet J. 2021, p. 26)

3. Intersemiotic translation: This form involves converting a message from one sign system to another—beyond linguistic signs. For example, in the U.S. Navy, spoken commands can be translated into visual signals using specific flag patterns to convey meaning universally without words.

Within the scope of interlingual translation, two principal forms can be identified:

1. Written translation: While often regarded as the simplest form due to its lack of strict time constraints, it can also be the most demanding. Literary translation, in particular, requires the translator to mirror the original style and tone precisely; any deviation may lead to significant criticism. (Arntz, R. 2021, p. 169)

2. Oral translation (interpreting): This form is inherently time-sensitive, requiring the interpreter to deliver the message either during or immediately

after the original speech. Unlike written translation, interpreters prioritize conveying the intended meaning over strict adherence to form, though maintaining the original tone and style is still important. The interpreter must faithfully transmit the speaker's message within the allotted time frame.

III. Types of Interpreting

Interpreting is divided into several types:

1. Sight Interpreting:

In this mode, the interpreter reads a written text in the source language, processes the meaning mentally, and then renders it orally in the target language. It is a blend of written and oral translation techniques.

2. Consecutive Interpreting:

This form takes place in settings like meetings between two groups who speak different languages. One person speaks first, and the interpreter then delivers the message in the other language. This continues as a back-and-forth exchange. One of the main challenges of consecutive interpreting lies in the interpreter's ability to listen attentively, fully understand the original message, and retain the information using memory recall. (Bagge, C. 1990, p. 70)

3. Simultaneous Interpreting:

Often used at local or international conferences, this method involves interpreting while the speaker is talking. The interpreter must deliver the translation in real-time. It demands quick thinking, deep focus, emotional composure, consistency, and a broad vocabulary. Remarkably, about one-third of the interpreter's effectiveness depends on self-confidence.

Translation Approaches: Literal, Free, and Imitation

Translation methods are generally divided into two major categories: literal translation and free translation. Some researchers introduce a third category—imitation—which involves translating with significant freedom, retaining only the core idea of the original text.

Although these methods are often compared for their strengths and limitations, most studies conclude that an effective translation usually combines elements of both literal and free translation to minimize loss of meaning or nuance during the transfer between languages. (Baker, M. 2021, pp. 233–250)

IV. Types of Translation

1. Word-for-Word Translation:

This is a subtype of literal translation where each word in the source language is matched as closely as possible with an equivalent word in the target language, preserving the original word order. This method is also referred to as concordance. (Ballard, M. 1992, p. 228)

However, word-for-word translation is often criticized, especially when translating between structurally and culturally distant languages like English and Arabic. It can result in ungrammatical or unnatural output, as

shown below:

I caught a small fish → أنا اصطدت سمكة صغيرة

Adel wanted to buy a new car → عادل أراد أن يشتري سيارة جديدة

While technically accurate word-for-word, such translations may sound awkward or incorrect in the target language.

2. Literal Translation:

This method aims to closely mirror the structure and meaning of the original text, even if the result is somewhat unnatural. Literal translation attempts to preserve both the wording and the author's stylistic features. It is considered the oldest form of translation. (Catford, J.C. 1965, p. 58)

Literal translation works best when there is a close structural and semantic correspondence between the two languages. Examples include:

Ahmed went to the library last week → ذهب أحمد إلى المكتبة الأسبوع الماضي

Hala is an old hard-hearted woman → هالة امرأة عجوز قاسية القلب

However, when applied to idioms, figures of speech, or multi-word expressions, literal translation often fails to convey the intended meaning:

What is your name? → ما اسمك؟

(Incorrect literal: What name yours?)

Where did you come from? → من أين جئت؟

(Incorrect literal: From where you come?)

3. Free Translation

Free translation preserves the overall meaning of the source text while using natural, idiomatic forms in the target language. It maintains the normal word order, grammar, and syntax of the target language to ensure that the translated text sounds fluent and is easily understood. This approach is also referred to as idiomatic translation. (Garnier, G.2020, p.168)

This method often involves adding supplementary or interpretative elements not explicitly found in the original text. While not always considered a fully acceptable or conventional form of translation, it is sometimes used to inject humor, cultural relevance, or emotional effect into the target version. It prioritizes the reaction of the target audience rather than strict fidelity to the original wording or structure.

In free translation, the translator is less concerned with retaining the form, style, or exact content of the source text and more focused on conveying the intended message in a way that resonates with the target readers or listeners. Interpretation and paraphrasing are key tools in this type of translation. (Language and Culture: Context in Translating, Shanghai International Language Education, p.14)

Examples:

The English proverb “Do or die” can be freely translated into Arabic as: "إما أربح أو أخسر كل شيء", which expresses the urgency and finality of taking decisive action.

In another instance, the original English text read:

"It was a glooming day, when the Nigerian got an independence from white men. And since then, the Nigerian has been liberated and lived in harmonious and luxurious life."

It was freely translated as:

"That day was a fantastic and laconic day for white men when the Nigerian sought for relievement in order to free himself from the bondage of white men."(Nida, E. 2000, p.55)

This translation diverges in tone and detail from the original but aims to deliver the broader contextual meaning.

4. Communicative Translation

Communicative translation places greater emphasis on the effectiveness of the message. It prioritizes clarity, naturalness, and functional equivalence, especially in practical texts where the meaning is more important than the form. It is often applied to advertisements, brochures, manuals, product descriptions, and instructions.

This approach ensures that the target text is not only understandable but also culturally appropriate and acceptable to the intended audience. Communicative translation focuses on the overall sense of the message rather than literal equivalence. (Van, D. H. 2010, pp.141–171)

Example:

A public sign such as "No Smoking" is translated into Arabic as " ممنوع التدخين". This rendering maintains both the meaning and the functional role of the original message while respecting the grammatical and cultural conventions of the target language.

5. Semantic Translation

Semantic translation aims for closeness to the original in both meaning and form. It is typically applied to texts of high cultural, intellectual, or institutional value—

Such as religious scripture, legal documents, literature, and official speeches. The goal is to reflect the original as faithfully as possible without

altering or omitting any information. (Zarate, G., Gohard-Radenkovic, A., Lussier, D., Penz, H. 2003, p.68)

Semantic translation assumes that the source and target texts must maintain equivalent meaning. It is based on a presumption of semantic identity and emphasizes literal accuracy, even at the expense of naturalness in the target language.

In this method, the translator may ignore typical language usage in the target culture in favor of remaining faithful to the source text.

Example:

The Arabic proverb "يوم لك ويوم عليك" could be translated semantically as “A day for you, a day against you.”

Although this is grammatically and semantically accurate, it is not idiomatic in English.

A more culturally equivalent (though less literal) translation would be: “You win some, you lose some.”

V. **Equivalence in translation**

Equivalence is a widespread notion in translation studies; it proves to be one of the key questions in translation studies. In certain cases, the divergence between the cultural contexts of the two languages forces the translator to choose this

notion or procedure so that the text is understandable to the recipient of the translation The hypothesis of a resemblance in human thought makes the notion of equivalence possible.(Pym, A. 2019 p. 153-176.)

The translator opts for this concept when respecting the form of the source text becomes impossible because each language has its own code. This is the most difficult process in the translation process.

According to Vinay and Darbelnet, equivalence is a translation concept by which the same situation found in the original text is transmitted to the target language, while using an entirely different wording and form.

In literary translation, to successfully produce a translated text, it is important to find a text equivalent to that of the source language.

Thus, the translated text must have the same effect on its recipient as the source text has on its reader. In the translation process, it is not a matter of seeking a static equivalence that is only concerned with signs and their meanings; rather, it is a pragmatic phenomenon that gives importance to extralinguistic factors Translation is about finding equivalences to signs inserted into a specific situation; the notion of equivalence in translation seeks to respect paralinguistic elements. (Roberts, Roda P. and Pergnier, M. 2020, p. 392-402.)

Pym states that "equivalence is crucial for translation because it constitutes the unique intertextual relationship that translated texts are supposed to exhibit, unlike other types of texts." To arrive at this equivalent text, the translator sometimes resorts to additions or omissions. "Text B was never equivalent to A before it appeared in the translation. By using inferences of an adductive nature, the translator makes the two elements equivalent."

Christine Bagge distinguishes between equivalence of meaning (the meaning given by a dictionary) and equivalence of meaning (the way the lexical unit is translated in context), which is useful in translation practice. In a given language, the number of words is definite while the number of sentences is indefinite. (Nida, E. 2000. P57)

The lexical unit has one or more determinate meanings, while the meaning of the lexical unit consists of a contribution it makes to the meaning of any sentence in which it is part adds that when a lexicographer establishes the linguistic meaning

of a lexeme, they seek to place it in as much context as possible to explain the various potential meanings.

This is therefore a difference between semantic equivalence and textual equivalence. Semantic equivalence is established at the lexical level where the word has a meaning semantics that is linked to the sign in a linguistic system.

While textual equivalence aims at the value that the linguistic sign acquires from the context, from the pragmatic situation. In a given situation where

the linguist can declare the non-equivalence of the two words or the two signs, the translator, working on the paralinguistic elements, could conclude that they are equivalent. In other words, what is not equivalent in linguistics can be equivalent in translation. (Van, D. H. 2010p. 141-171)

The importance of equivalence comes from the fact that the translator does not work with isolated words; translation concerns texts, so the choice of an equivalent word depends on the entire context and not on the isolated words. Roberts and Pergnier indicate that the vast majority of signs in the two languages are not equivalent because they are not semantically unambiguous. Given that the signs that can be compared in two different languages are almost never

polysemous in the same way, polysemy corresponds to an absolute non-equivalence from the point of view of translation.

The notion of equivalence, in fact, has many approaches and definitions. This notion is operational and has given rise to several studies. At the lexical level, Arntz cites four equivalences: a single equivalence, a multiple equivalence, a partial equivalence, and an empty equivalence.

Regarding the text, Baker speaks of an equivalence at the text level, which concerns the entire text and its cohesion in general. Lederer mentions that it is an interpretative equivalence that focuses on the interlinguistic aspect. Regarding the extralinguistic aspect, emphasizes the existence of cultural equivalences that respect the cultural constraints of each language(Zarate, G., Gohard-Radenkovic, A., Lussier, D., Penz, H. 2003p158)

As for Bassnett he distinguishes between three levels of equivalence, namely: Equivalence at the syntactic level, which is established between linguistic units; semantic equivalence, which is established at the level of linguistic units and their meanings; and pragmatic equivalence, which is the result of the relationship between units, their meaning, and those who use them. It is the nature of the text that dictates the level of equivalence the translator must choose.

Nida speaks of a dynamic equivalence of a formal nature, and Koller emphasizes pragmatic equivalence of a referential and connotative nature. These two types of equivalence are established at the level of phrases and sentences.

Catford also distinguishes between two types of equivalence: textual equivalence and formal equivalence. With regard to textual equivalence, any form of the target text reflects any form of the source text. He states that "a textual equivalence of

translation is also any form of the target language observed as equivalent to a given form of the source language" .(Zufferey, S. and Moeshler, J. 2012. P83)

In order to achieve a good translation, the translator seeks equivalence between the original text and the translated text without being confined by formal correspondences. For Catford the question of equation plays an important role in translation. According to him, translation is a process that concerns two languages; the translator substitutes one text in a source language for another text in a target language.

According to him, the central problem of translation practice is to find translation equivalents in the target language In this way, he places the notion of equivalence at the center of translation theory and practice.

Formal correspondence is more abstract and approximate It occurs when the different categories of the target language occupy the same place as those of the source language. He states that "a formal correspondence is any category of the target language that is likely to occupy the same place in the general economy of the target language as that occupied by the corresponding category in the source language."

Catford's formal correspondence can occur, in certain cases, between languages such as French and English. Since both languages are part of the Indo-European languages, it is an approximation between the two. The following example indicates this possibility.(Bassnett, S. 2014P127)

In this way, we can say that the notion of equivalence, according to Catford, is relative to the situations in which it can operate. "Elements of the source language and those of the target language are translation equivalents when they are interchangeable in a given situation" Catford's approach is based on a purely

linguistic theory of translation. He speaks of linguistic untranslatability and cultural untranslatability.

The former accepts the absence of equivalence in the two languages; the latter refers to the lack of cultural elements in the target language. His theory is not suitable for practice; moreover, it sometimes leads to the impossibility of translation.(Delisle, J. 2003p. 1-16)

The primary purpose of translation is communication. Culture is involved in translation because it is an integral part of language, an important tool of communication: "language is a manifestation of cultural identity.

The transmission of culture requires a translation of cultural equivalence so that it can be understood by the reader of the target language. It is therefore important to find a theory that allows the study of translation from this perspective and to find a method that respects the interaction between language and culture.

Establishing the equation between the source text and the target text, between the source language and the target language, is essential. To achieve these results, the meaning must be respected without impoverishing the source text and the source language. Similarly, when translating, the meaning is respected provided that nothing is added to the meaning of a text and nothing is taken away from it([Gorlée, D.L. 2021. P92).

Despite the divergence of points of view, linguists have agreed on one essential point: the clear distinction between the potential correspondence at the level of language, sign, and definition that a bilingual dictionary can present, and the true equivalence that concerns the level of the text and the discursive reality that the context carries. In other words, they have agreed that equivalence refers to the intertextual level and not the interlinguistic level.

To establish adequate equivalence, it is essential for the translator to begin by understanding the message of the source text. To do this, they must have an exhaustive list of all the potential meanings of the lexeme. Lexical equivalence is then at the center of the translation operation. Without understand the chosen word in the original text and its correct meaning, it will be impossible for the translator to convey the equivalent and understandable message for the reader of the target language.

However, it must be taken into consideration that lexical equivalence does not mean approving the notion of language-nomenclature which does not mean that

each word has a precise and determined equivalent in the target language since the translator will respect the textual constraints.(Gutu, A. 2007p. 26-27).

In other words, an isolated lexical unit has no meaning but it must have a function in a context that gives it a more precise meaning. Meaning is the linguistic value that the context gives to a word Equivalence focuses on the message as a whole.

The translator must fully understand the text, the culture, and the entire situation in the original language, and then search for the appropriate equivalent expression in the target language. Sometimes, the wording of the translated text differs completely from that of the source language.

VI. The relationship between translation and context

According to Fitch, context is a crucial factor in determining equivalency. This context is linked to external linguistic conditions that require the translation to be equivalent between discourse segments or between entire texts where semantics are impacted in order for the writer to reach their goal (Mariani, 2016:39). According to Fowler (1966:102), context is the interaction of the speaker, the listener, the outside world, and the conduct (both said and unspoken). According to Yule (1983: 27), the context dictates how the author or speaker used the speech

in that particular circumstance. The term "context" is used to explain what follows before or after another element in a phrase, according to Finch (2000:105). However, because it is used so frequently in linguistics and literary analysis, it is very hard to define. Leech (1974:92) asserts that context can be established in a number of ways that are connected to the reader's interpretation as well as the setting and background of the spoken language's intended meaning. When a document is ambiguous—that is, has multiple possible meanings—context plays one of the most crucial roles. For instance, the word "bank" may exist in a statute. A bank can mean different things. Both the land next to a river and a financial organization that takes deposits from clients are considered banks. When the

word "bank" appears in a statute or regulation, we can nearly always distinguish it based on context. The term "bank" almost certainly refers to the type of "bank"

that takes deposits if the act deals with the regulation of financial institutions. However, the "bank" is almost certainly the land next to a river if the regulation deals with navigation or water pollution (Shaheen, 2008:90).

The researcher added some phrases that clarify the relationship between context and equivalence in translation.

Reed the room / كن مدركا لما يحدث حولك

Reed the story / أقرا القصة

Keep your eye on the ball / حافظ على تركيزك

Keep your eyes healthy / حافظ على صحه عينك

He seasons the meat / هو يتبل اللحم

There are four seasons in a year / هناك اربع فصول بالسنة

VII. Common idiomatic translation pitfalls include:

To pay a visit → يقوم بزيارة

To take after → يشبه

To rain cats and dogs → تمطر بغزارة

Strong tea → شاي ثقيل

Yet, some expressions do translate literally with success:

To take a decision → يتخذ قراراً

Crocodile tears → دموع التماسيح

War and peace → الحرب و السلام

The cold war → الحرب الباردة

Day and night → ليل و نهار

VIII. The Impact of Limited Linguistic Proficiency on The Translation of Arab English Learners

Linguistic proficiency encompasses a person's command of vocabulary, grammar, idiomatic expressions, and rhetorical techniques in a particular language. The greater the depth and diversity of this knowledge, the more accurately and fluently an individual can articulate ideas. In the field of translation, linguistic proficiency is fundamental to producing high-quality work, particularly when handling complex literary, scientific, or culturally rich texts.(Arntz, R. 2021. P74)

When a translator lacks a strong command of English, several problems can occur:

Literal Translation: Without a wide range of expressive options, the translator may rely on word-for-word translation, resulting in texts that sound unnatural, awkward, or difficult to understand.

Loss of Meaning and Context: Inadequate understanding of subtle meanings, idioms, or cultural references can lead to mistranslations that dilute or alter the original message.

Stylistic Deficiencies: The translated text may appear clumsy or out of sync with the natural rhythm and style of Arabic, making it less engaging—or even confusing—for native readers.

Contributing factors to these issues include:

An overreliance on Arabic in educational and professional environments, which hampers English language development.

Limited exposure to authentic English texts through extensive reading.

A lack of specialized training in both translation techniques and advanced English language skills.

Inadequate Support for English Proficiency in Educational Curricula

One major factor contributing to translation difficulties is the failure of educational curricula to adequately support the development of English

language proficiency. Without a strong foundation in English, students and translators alike may struggle with essential linguistic skills, affecting both comprehension and production in translation tasks.(Steiner, G. 2021,p31)

Literal Translation vs. Word-for-Word Translation

It is important to distinguish between literal translation and word-for-word translation, as the two are often confused. A word-for-word translation replicates the exact grammatical structure, word order, and vocabulary of the source language without adapting to the grammatical and syntactic norms of the target language. While this approach may be acceptable for short or simple sentences, it often results in awkward or incorrect translations when applied to more complex texts.

Literal translation, by contrast, attempts to preserve both the form and content of the original text, but does not strictly follow the word order or syntax of the source language. It maintains the meaning more faithfully than a word-for-word approach, while adapting the structure to suit the target language. For example, translating “in the corner” as في الزاوية is a literal translation that retains both meaning and natural flow. However, this approach can also lead to errors when misapplied—such as translating "ladies' slipper" literally as نعال السيدات, which may not reflect the actual meaning or usage in Arabic.

IX. Common Causes of Literal Translation Errors

Several underlying causes contribute to literal translation errors, including: (Pym, A. 2019. p183)

1. Influence of the Source Text and Lack of Final Review

Translators often become so immersed in the original text that they inadvertently replicate its style and structure in the translation. Without an independent and critical review of the translated version, these issues can go unnoticed. Therefore, it is essential to treat the translated text as a standalone piece, detached from the source, to ensure clarity and naturalness in the target language.

2. Confusion Between Grammatical Systems

A frequent problem occurs when translators impose the grammar or sentence structure of English onto Arabic, leading to unnatural or incorrect phrasing. This often stems from a lack of awareness or recall of grammar rules in either language. Although grammar is generally taught in early stages of language education, translators may need to revisit and reinforce their understanding to apply these rules correctly in professional contexts.

3. Lack of Domain Awareness and Misuse of Terminology

Literal errors also arise when translators use incorrect or overly general terms without considering the specific field or context of the text. Relying on the first

dictionary entry without understanding the domain can lead to mistranslations. For example, technical, legal, or marketing texts each require specialized terminology and stylistic choices. Advertisements, in particular, demand creative and culturally adapted phrasing to appeal to the target audience, making literal translations inappropriate and ineffective.

X. conclusion

In navigating the complex terrain of translation, English language learners often find themselves balancing between the pursuit of equivalence and the tendency toward literalism. While striving for equivalent meaning ensures that the original intent and cultural context are preserved, literal translations may lead to miscommunication or awkward phrasing.

Developing effective translation skills requires not only linguistic competence but also cultural awareness and critical thinking ,Ultimately, empowering learners with these tools can lead to more accurate and meaningful translations, bridging the gap between languages and cultures.

A translator may commit literal translation errors for various reasons, including a failure to recognize grammatical differences between the source and target languages, lack of familiarity with the specialized field of the text, neglecting to review the final translation, or misunderstanding the original meaning. To avoid such errors, it is essential to conduct thorough

research to fully grasp the meaning of the source text before attempting to translate it. This should be followed by targeted research in the target language to ensure accurate and contextually appropriate translation.

Ensuring precision in translation requires a solid understanding of the grammar rules of both languages, identifying the type and purpose of the text, and reviewing similar texts within the same field. This helps the translator become familiar with domain-specific terminology and stylistic conventions. Rapid but

thoughtful research can also aid in understanding how meaning is best conveyed in the target language.

Additionally, language learners are encouraged to engage in continuous reading of authentic texts. This practice enhances their linguistic competence, expands vocabulary, and improves their ability to use contextually appropriate expressions—all of which are essential for producing accurate and natural translations.

XI. Bibliography List

1. Arntz, R. (2021). Terminology equivalence and translation. In L. Sonneveld & K. Loening (Eds.), Terminology applications in interdisciplinary communication. Amsterdam: John Benjamins.
2. Bagge, C. (1990). Lexical equivalence and translation. Meta: Journal of Translators, 35(1), 61–67.
3. Baker, M. (2021). Corpus linguistics and translation studies: Implications and applications. In M. Baker, G. Francis, & E. Tognini-Bonelli (Eds.), Text and technology in honor of John Sinclair (pp. 233–250). Amsterdam: John Benjamins.
4. Ballard, M. (1992). From Cicero to Benjamin: Translators, translations, reflections. Lille: Presses Universitaires du Septentrion.
5. Bassnett, S. (2014). Translation studies. London/New York: Routledge.
6. Delisle, J. (2003). The history of translation: Its importance in translation studies. Teaching by means of a multimedia and multilingual tutorial, 1(2), 1–16. Presses de la Sorbonne Nouvelle KSCI.
7. Finch, G. (2000). Linguistic terms and concepts. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

8. Forbes, K., Evans, M., Fisher, L., Gayton, A., Liu, Y., & Rutgers, D. (2021). Developing a multilingual identity in the languages classroom: The influence of an identity-based pedagogical intervention. The Language Learning Journal, 49(4), 433–451. https://doi.org/10.1080/09571736.2021.1906733
9. Fowler, R. (1966). Essays on style and language. London: Routledge.
10. Fuchs, C. (2020). Aspects of ambiguity and paraphrase in natural languages. Bern: Peter Lang.
11. Garnier, G. (2020). Linguistics and translation: Elements of comparative verbal systematics of French and English. Caen: Paradigme.
12. Gorlée, D. L. (2021). Semiotics and the problem of translation with special reference to the semiotics of Charles S. Peirce. Amsterdam: Academisch Proefschrift.
13. Gutu, A. (2007). Theory and practice of translation – Teaching material for undergraduate translation students (pp. 26–27). Chisinau: ULIM.
14. Jones, R. H., & Themistocleous, C. (2022). Introducing language and society. Cambridge: Cambridge University Press.
15. Leech, G. (1974). Semantics. London: Penguin Books/Routledge.
16. Mariani, J. (2016). Migration in translation: The role of terminology and transediting on tackling the crisis in the EU. The European Parliament Terminology Coordination Unit.
17. Nida, E. (2000). Language and culture: Context in translating. Shanghai: Shanghai International Language Education Press.
18. Pym, A. (2019). European translation studies, a disturbing science, and why equivalence needn't be a dirty word. Traduction, Terminologie, Rédaction (TTR), 8(1), 153–176.
19. Riley, K. L., & Parker, F. (2023). Linguistics for non-linguists: A primer with exercises (p. 132). Pearson.
20. Roberts, R. P., & Pergnier, M. (2020). Equivalence in translation. Meta: Journal of Translators, 32(4), 392–402.
21. Selescovitch, D., & Lederer, M. (2020). Interpreting to translate. Paris: Didier/Erudition.
22. Steiner, G. (2021). After Babel: Aspects of language and translation. London/New York: Oxford University Press.
23. Van, D. H. (2010). The theory of meaning and the translation of cultural factors. Synergies Pays Riverains du Mékong, 1(1), 141–171.
24. Vinay, J. P., & Darbelnet, J. (2021). Comparative stylistics of French and English: Method of translation. Paris: Didier.

25. Yule, G. (1983). Discourse analysis. Cambridge: Cambridge University Press.
26. Zarate, G., Gohard-Radenkovic, A., Lussier, D., & Penz, H. (2003). Cultural mediation and language didactics. Strasbourg: Council of Europe Publishing.
27. Zufferey, S., & Moeschler, J. (2012). Introduction to the study of meaning: Semantics and pragmatics. France: Editions Sciences Humaines..

Proposed Drills Using Fins to Improve Speed, Speed Endurance, and Endurance for 400m Freestyle Swimming

haddache abdellah[1]
université akli m'hand oulhadj bouira smaps 10 000
a.hadache@univ-bouira.dz
Dahmani djamel[2]
d.dahmani@univ-bouira.dz
université akli m'hand oulhadj bouira smaps 10 000

Abstract:
This study aimed to identify The Effect of proposed Training Program using fins To Improve of Special Fitness (Speed, Speed- Endurance, Endurance) in the free style Swimming 400 m, The sample of the study consisted of 24 swimmers who are currently the team of jil riadhi chabab kadiria. The researchers used the experimental method. The sample has been split into two equal groups, 12 swimmers in each group.
The statistical measures that were used included (T) Test, Wilcoxon Method Pairs Signed, The results showed statistically significant differences between the post measurement of the experimental group and the control group. This was for the experimental group. The researchers recommend the proposed training program is accredited as a way to improve the speed and speed-endurance, and endurance for swimmers, especially in the early age groups.
Keywords: Training Program**,** Fins, Special Fitness**,** Free Style**.**

تمرينات مقترحة باستخدام وسيلة مساعدة (الزعانف) في تحسين (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لـ 400م سباحة حرة.

حداش عبد الله[1]

مخبر العلوم الحديثة في الانشطة البدنية والرياضية جامعة آكلي محند اولحاج البويرة 10 000

a.hadache@univ-bouira.dz

دحماني جمال[2]

مخبر العلوم الحديثة في الانشطة البدنية والرياضية جامعة آكلي محند اولحاج البويرة 10 000

d.dahmani@univ-bouira.dz

ملخص:

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى أثر البرنامج التدريبي المقترح باستخدام الزعانف على تحسين بعض عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة 400م، وتكونت عينة الدراسة من (24) سباحا، تم تقسيمهم إلى عينتين متكافئتين، (12) سباحا في كل مجموعة، تم اختيارهم بالطريقة القصدية من جمعية الجيل الرياضي لشباب القادرية، واستخدم الباحثان المنهج التجريبي بطريقة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، حيث تم استخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة للكشف عن الفروق بين المجموعتين الضابطة والتجريبية في التطبيق البعدي وكذلك التطبيق القبلي واختبار ويلكوكسون (Wilcoxon) للعينات المرتبطة للكشف عن الفروق بين قياس الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية و المجموعة الضابطة، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 05.0$) في القياسات البعدية بين المجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وأوصي الباحث باعتماد البرنامج التدريبي المقترح كوسيلة للارتقاء في عناصر السرعة وتحمل السرعة والتحمل لسباحة الحرة.

الكلمات المفتاحية: برنامج تدريبي، الزعانف، القدرات البدنية، السباحة الحرة.

مقدمة:

يشهد العالم تطوراً كبيراً في كافة مجالات الحياة المختلفة والمتنوعة، ويعد المجال الرياضي من المجالات التي تطورت بشكل كبير حيث ساهم هذا التطور بتحقيق الإنجازات الكبيرة لمختلف الفعاليات الرياضية، وهذه الانجازات لم تأت من فراغ أو وليد الصدفة وإنما تحققت بفضل قدرة الباحثين والمختصين في المجالين الأكاديمي والتطبيقي على توظيف العلوم المختلفة وعبر التخطيط العلمي السليم لخدمة الانجاز في هذه الفعاليات وخاصة في عالم السباحة.

ويرى مصطفى (Mustafa, 2008) أن التدريب في مجال التربية الرياضية يعتبر من مجالات اهتمام البحث العلمي التي تهدف للارتقاء باللاعبين بدنياً ومهارياً وخططياً لأقصى ما تسمح به قدراتهم، لذا يجب على العاملين في مجال التدريب الإلمام بمختلف العلوم المرتبطة بطرق ووسائل التدريب.

ويشير رزق (Reziq, 2003) أن السباحة تعتبر من الرياضات المائية الأكثر أهمية والتي تشغل الوسط المائي كوسيلة للتحرك خلاله عن طريق حركات الذراعين والرجلين والجذع بغرض الارتقاء بكفاءة الإنسان ليس فقط من الناحية البدنية والمهارية، ولكن من الناحية النفسية والاجتماعية والعقلية، كما أنها تحتل مكانة بارزة في الدورات العالمية والأولمبية باعتبار أنها تستحوذ على اكبر عدد من الميداليات باستثناء العاب القوى، ولذلك نجد بعض الدول المتقدمة تحرص على محو أمية السباحة كما تحرص على محو أمية القراءة والكتابة كما هو الحال في كثير من الدول الغربية وبعض الدول العربية.

ومع زيادة وتيرة التقدم الرياضي في رياضة السباحة الحديثة تغيرت طرق ووسائل وتكنولوجيا التدريب، والقياس والتحليل والتقويم، وبرامج الإعداد البدني وتخطيط التدريب والتنظيم، فقد أصبح التطور العلمي لأساليب التدريب في عالم السباحة يسعى إليه مدربي المنتخبات والفرق العالمية للوصول إلى المستويات العليا وتحقيق الانجازات والبطولات.

حيث يؤكد الكردي (Al Kurdi, 2003) على انه يجب الاهتمام باستخدام طرق وأساليب البحث العلمي، والاستفادة من نتائج البحوث والدراسات العلمية التي تناولت الجوانب التطبيقية، للعمل على زيادة فاعلية الأداء والانجاز الرقمي للسباحين وكيفية تطويره وتحسينه للمساهمة في تسجيل أرقام جديدة، وذلك من خلال استخدام الطرق والأساليب التي تسهم في الارتقاء بمستوى الانجاز للسباحين.

ويضيف الموافي (Al Mowafi, 2000) أن العلماء قد اتفقوا في التدريب الرياضي على إن الصفات البدنية احد أهم العوامل المؤثرة في نجاح الأداء الرياضي للوصول إلى المستويات، وان تنمية وترقية تلك الصفات البدنية يرتبط ارتباط وثيقا بعملية الكفاءة الفسيولوجية إذ لا يستطيع الفرد الرياضي إتقان المهارات الحركية لنوع النشاط الذي يمارس في حالة افتقاره للصفات البدنية الخاصة والنواحي الفسيولوجية لذلك النشاط، والتي ساهمت في تحقيق الانجاز الرقمي في الألعاب الجماعية والفردية ورياضة السباحة بصفه خاصة.
ويضيف عبد الفتاح (Abed Alftah, 1994) إلى أهمية الإعداد البدني الخاص وضرورة الاختبار المناسب للتدريبات النوعية طبقا لمتطلبات الصفات البدنية الخاصة التي تحقق الهدف من الأداء.
ويؤكد عزيز (Aziz, 2009) على إن التطور في مجال رياضة السباحة لم يقتصر على التجهيزات والألبسة التي يرتديها السباح من حيث نوعية أغطية الرأس والمايوهات المستخدمة فحسب، بل يضاف إلى ذلك وسائل التدريب المتنوعة والمتعددة الأغراض والتي تسخر جميعها خلال مراحل تدريب السباح لمساعدته في تطوير مستوى أدائه وانجازاته خلال السباقات، فمن الملاحظ تركيز مدربو السباحة في العالم على استخدام ألواح الطفو الخاصة وزعانف الرجلين الثنائية والأحادية وكفوف المقاومة وغيرها من الأدوات والأجهزة المساعدة التي تعمل على زيادة المقاومات خلال التدريب، وبالتالي تطوير الصفات الأساسية التي تتطلبها كل فعالية من فعاليات رياضة السباحة.
ويرى كل من هال (Hall, 2002)، ومات (Mat, 2001) أن عملية الممارسة وحدها لا تكفي من أجل تحقيق أداء أفضل في زمن أقل، حيث اتجهوا إلى تقنيات وأدوات معينة منها ما يعمل على المساعدة في تعلم السباحة مثل لوح الطفو، وخرطوم الطفو، ومنها ما يعمل على تنمية اللياقة البدنية الخاصة التي تعمل على سرعة السباح مثل الاستك المطاط وزعانف السباحة.
ويشير القط (Al Get, 2002) إلى أن الأدوات المساعدة تمثل جزءا هاماً للارتقاء بالعملية التعليمية في مجال تعليم المهارات الحركية في السباحة فهي تساعد على اكتساب كامل وصحيح للحركة، كما تساعد على تنمية المهارات الحركية، وتساعد على تحقيق معدل أسرع لأداء الحركة ومن هذه الأدوات الطوافات والزعانف، ويضيف ويليامز (Williams, 2005) أن هناك العديد من الأجهزة التي تستخدم بهدف زيادة مستوى المقاومة التي يواجهها السباح، كجهاز السباحة ضد المقاومة والحبال المطاطية والسباحة بكفوف

اليدين وزعانف الرجلين، حيث يراعي عند استخدام هذه الأدوات أن تكون السباحة لمسافات قصيرة مع استخدام نفس الشدة في الأداء والمستهدفة في السباق.

ويؤكد الوديان (Al Wedian, 2013) على أن استخدام زعانف الرجلين خلال التدريب هدفه زيادة سرعة السباح ودفعه للأمام بدرجة كبيرة تفوق سرعته في المنافسة الحقيقية، بحيث يقوم السباح ببذل مجهود كبير في سرعته في حركات الذراعين ليصل إلى التوافق مع سرعة الرجلين المستخدمة للزعانف بحيث إن سرعة رياضة سباحة الزعانف في المنافسات تفوق سرعة السباحين لرياضات السباحة التنافسية. ولتحقيق المستويات العليا في السباحة ويتطلب التركيز على عناصر كثيرة من الصفات البدنية وفي مقدمتها السرعة وتحمل السرعة والتحمل والقوة العضلية والمرونة، والتي تعد من المتطلبات الأساسية للأداء والإنجاز الرياضي في اغلب الأنشطة البدنية والرياضية، ومن المؤكد أن القوه العضلية والسرعة والمرونة والتحمل كانت ولفترة طويلة من أهم مفردات برامج التدريب للسباحين سواء في التدريبات الأرضية أو في الماء.

وتعدّ السباحة الحرة (Freestyle) من أشهر أنواع السباحة وأكثرها استخداماً، وسبب تسميتها الحرة لأنك تستطيع استخدام أي طريقة للزحف على الماء، وهي من أسرع السباحات الموجود على الإطلاق (رزق، Rezq, 2003).

ولذلك نشاهد انتشار 9هذا النوع من السباحة في جميع دول العالم على المستوى الفردي أو التنافسي في البطولات الرياضية.

أولا: الجانب التمهيدي (مدخل عام)

1 الاشكالية

ومن خلال خبرة الباحثان العلمية والعملية في السباحة، ومراجعتهم للعديد من الدراسات والأبحاث العلمية، والتقائهم مع أصحاب الاختصاص في رياضة السباحة سواء الأكاديميين أو المدربين، لاحظ الباحثان أن مدة الدورة التدريبية الأساسية لسباحي 400م سباحة حرة لنادي الجيل الرياضي لشباب قادرية والتي تمتد لثلاث شهور وتستخدم الزعانف فيها لمدة شهر واحد لرفع مستويات الأداء المهاري والكفاءة البدنية هي مدة غير كافية للوصول بهم لأعلى مستويات اللياقة البدنية الخاصة في السباحة الحرة، حيث يرى الباحثان أن تمديد فترة استخدام الزعانف لمدة شهرين يعمل على الارتقاء بمستوى اللياقة البدنية الخاصة للسباحة

الحرة، كما يعمل على تحسين عنصري السرعة وتحمل السرعة والتي يحتاجها الغواص للوصول للغريق بأسرع وقت ممكن، وكذلك عنصر التحمل الذي يحتاجه لتحسين كفاءة السباحة للمسافات الطويلة والتي يحتاجها السباح لإنهاء السباق وتحسين الانجاز، كما أن علم التدريب الرياضي والبرامج التدريبية الحديثة هما قادران على معالجة مشكلة البطء والتعب السريع هذه والتي تظهر على سباحي نادي الجيل الرياضي خلال المنافسات التي تنظمها الرابطة الولائية للسباحة.ومن هذا كله يتبادر إلى أذهاننا طرح إشكالية بحثنا هذا والمتمثلة في السؤال التالي :

1-1 التساؤل العام:

هل للتمرينات المقترحة باستخدام وسيلة مساعدة (الزعانف) دور في تحسين (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لـ 400م سباحة حرة؟

1-1-1 التساؤلات الجزئية:

- هل توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية؟
- هل توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة؟
- هل توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين في القياس البعدي بين المجموعة التجريبية والضابطة؟

1-2 الفرضيات:

- للتمرينات المقترحة باستخدام وسيلة مساعدة (الزعانف) دور في تحسين (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لـ 400م سباحة حرة

1-2-1 الفرضيات الجزئية:

- توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية.

– توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة.

– توجد فروق في مستوى (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) لدى السباحين في القياس البعدي بين المجموعة التجريبية والضابطة.

1-3 أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى:

– أثر برنامج تدريبي مقترح باستخدام الزعانف على تحسين (السرعة) في السباحة الحرة 400م لدى سباحي نادي الجيل الرياضي لشباب قادرية.

– أثر برنامج تدريبي مقترح باستخدام الزعانف على تحسين بعض القدرات البدنية الخاصة (تحمل السرعة) في السباحة الحرة 400م لدى سباحي نادي الجيل الرياضي لشباب قادرية.

– أثر برنامج تدريبي مقترح باستخدام الزعانف على تحسين بعض القدرات البدنية الخاصة (التحمل) في السباحة الحرة 400م لدى سباحي نادي الجيل الرياضي لشباب قادرية.

2- تحديد المفاهيم والمصطلحات والدراسات المرتبطة بالبحث:

2-1 تحديد المفاهيم والمصطلحات:

2-1-1 البرنامج التدريبي:

هو أحد عناصر الخطة وبدونه يكون التخطيط ناقصا، فالبرنامج هو الخطوات التنفيذية في صورة أنشطة تفصيلية من الواجب القيام بها لتحقيق الهدف (علي البيك وعماد الدين عباس، 2003).

2-1-2 القدرات البدنية:

إختلف العلماء في تحديد القدرة البدنية وتصنيف مكوناتها، فمنهم من يستخدم مصطلح القدرات على أنها مرادف لمصطلحات أخرى مثل: اللياقة البدنية أو اللياقة الحركية ومنهم من يرى أن القدرات البدنية مصطلح عام يتضمن اللياقة البدنية واللياقة الحركية (محمد صبحي حسانين، 2001، صفحة 32،33).

2-1-3 السباحة: هي احد انواع الرياضات التي تمارس في الوسط المائي (الاحواض المائية والأنهر والبحيرات والبحار والمحيطات) التي يكون بها وضع الجسم افقي. (مصطفى حميد الكروي، ماهر احمد عاصي، صالح بشير سعيد، 2011، ص13).

2-2 الدراسات المرتبطة بالبحث:

2-2-1 الدراسة الأولى: دراسة الوديان (Al Wedian, 2013)، بدراسة هدفت للتعرف إلى اثر استخدام أسلوب التدريب بزيادة المقاومة وأسلوب التدريب بزيادة قوة الدفع، وأسلوب الدمج بين الطريقتين داخل الماء على تطوير السرعة لدى السباحين وأيهما أفضل تأثير على زمن أداء متغيرات الدراسة (100،50 ضربات رجلين، 50، 100 حركات ذراعين، 25، 50، 200م زحف على البطن)، تكونت عينة الدراسة من (30) سباحاً من جامعة اليرموك، تم اختيارهم بالطريقة العمدية، وتم استخدام الباحث المنهج التجريبي لثلاث مجموعات تجريبية (زيادة المقاومة، زيادة قوة الدفع، الدمج بين المقاومة وزيادة الدفع)، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا مابين القياس القبلي والبعدي ولصالح القياس ألبعدي في جميع متغيرات الدراسة وللمجموعات الثلاث، وأشارت النتائج أيضا إلى عدم وجود فروق داله إحصائيا في القياس ألبعدي لمعظم متغيرات الدراسة بين المجموعات الثلاث، وأوصت الدراسة باستخدام أسلوب الدمج بين الطريقتين عند تدريب السباحين لتطوير السرعة داخل الماء للخروج بأفضل النتائج من طول الشدة وترددها وانعكاسه على زمن الأداء.

2-2-2 الدراسة الثانية: دراسة عزيز (Aziz, 2009)، دراسة هدفت التعرف على "استخدام زعانف الرجلين الأحادية وكفوف السباحة وأثرهما في تطوير انجاز50م سباحة فراشة، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر استخدام زعانف الرجلين الأحادية وكفوف السباحة من قبل المدربين في تطوير انجاز سباحة الفراشة، وأي الوسيلتين المستخدمتين أفضل في تطوير50م فراشة، واعتمد الباحث المنهج التجريبي تم تقسيمها عشوائياً إلى ثلاث مجموعات (الزعانف، كفوف سباحة، الضابطة) على عينة مكونة من (12) سباحاً من الاتحاد العراقي للسباحة لفئة الناشئين(13- 14) سنة، ومن أهم النتائج وجود الفروق بين المجموعتين الأولى التي استخدمت

زعانف الرجلين كوسيلة مساعدة في تدريبها، والمجموعة الضابطة التي استخدمت تلك الوسيلة التدريبية ضمن المنهج ولصالح المجموعة الأولى، كما ظهر الفرق "معنوي" بين المجموعتين الأولى (زعانف الرجلين) والثانية التي استخدمه كفوف السباحة كوسيلة مساعدة لصالح المجوعة الأولى أيضا، وأوصى الباحث ضرورة تركيز المدربين على استخدام الزعانف خلال التدريب المائي لسباحة الفراشة.

2-2-3 الدراسة الثالثة: دراسة مصطفى (Mustafa, 2008)، بدراسة هدفت لوضع برنامج باستخدام الزعانف للتعرف إلى فاعليتها بالمستوى الرقمي للسباحين الناشئين وعلى بعض الصفات البدنية، استخدم الباحث المنهج التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (12) سباحاً مسجلين باتحاد الشرطة الرياضي، كانت مدة البرنامج 8 أسابيع، تم استخدام المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، واختبار (ت)، ونسب التحسن، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي لصالح القياس البعدي في المستوى الرقمي لمسافات السباحة المختلفة، وكذلك وجود فروق دالة إحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي لصالح القياس البعدي في اختبارات عناصر اللياقة البدني ة لناشئ السباحة، وأوصى الباحث بضرورة استخدام الزعانف ضمنت دريب المنتخبات القومية والأندية الرياضية في السباحة.

2-2-4 الدراسة الرابعة: دراسة سيبستين، ودايدر، وبينوت، وجين، وجيرجور (Sebestien, Didier, Benoit, Jean, & Gergior, 2006) بدراسة هدفت الدراسة الى مقارنة تأثير كل من تدريب الأرض الجاف وتدريبات السرعة المعاونة والسرعة والمقاومة على سرعة السباحين في سباق 50م حرة، وتكونت العينة من (21) سباحاً قسموا إلى ثلاث مجموعات عشوائية متساوية، واستخدم الباحثون المنهج التجريبي لملائمته للدراسة، استخدام برنامج الرزم الإحصائية (spss) لتحليل النتائج وبعد إجراء المعالجات الإحصائية اللازمة، وكانت أهم النتائج في الدراسة أنه بعد مرور 6 أسابيع من تطبيق البرنامج لم يحدث تغير في متغيرات البحث، لكن بعد انتهاء البرنامج 21 أسبوعا وجد تحسن في سرعة السباحين، وكذلك قوة المرفق لمجموعتي

البحث اللتان استخدمتا التدريب الأرضي الجاف وتدريبات السرعة المعاونة والسرعة المقاومة داخل الماء باستخدام الحبل المطاط، لكن حدث انخفاض في عمق الضربة لكلي هما، وحدوث زيادة في معدل الشدات لدى مجموعة السرعة المعاون ة والسرعة المقاوم ة ع ن المجموع ة التي استخدمت التدريب الأرضي الجاف.

2-2-5 الدراسة الخامسة: دراسة الوديان (Al Wedian, 2004) بدراسة هدفت للتعرف إلى اثر استخدام الحزام المثبت والزعانف في تطوير السرعة لدى السباحين، وأي من الأسلوبين أيضا أكثر اثر في تطوير السرعة، واستخدم الباحث المنهج التجريبي على عينه مكونه من (30) سباحاً من سباحين الجامعة، تم اختيارهم بالطريقة العمدية وتقسيمهم إلى ثلاث مجموعات متساوية (الحزام المثبت، الزعانف، ضابطة)، وقد استخدم الباحث في المعالجة الإحصائية المتوسطات الحسابية وتحليل التباين الأحادي واختبار (ت)، كما استخدم اختبار نيومن كولز لحساب مصادر الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة، حيث أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين القياس القبلي والبعدي في استخدام الحزام المثبت ولصالح القياس ألبعدي، كما أظهرت وجود فروق دالة إحصائياً بين القياس القبلي والبعدي لمجموعة الزعانف ولصالح القياس ألبعدي وتأثيرها على السرعة الحاسمة في السباق، وجود فروق ما بين مجموعة الزعانف وكل من مجموعة الحزام المثبت والمجموعة الضابطة ولصالح مجموعة الزعانف، وأوصى الباحث بان يتم استخدام هذين الأسلوبين لتأثيرهم الواضح على تحسين السرعة لدى السباحين.

2-2-6 الدراسة السادسة: دراسة الشاهد (Al Shahid, 2003) دراسة هدفت للتعرف إلى فاعلية استخدام الزعانف على تطوير مستوى الأداء المهاري للطالبات في سباحتي الزحف على البطن والظهر لمسافة 25م، وبعض المتغيرات البدنية المؤثرة، تكونت عينة الدراسة من (24) طالبة من السنة الثالثة بكلية التربية الرياضية للبنات، تم تقسيمهم إلى مجموعتين (تجريبية

ضابطة)، وخضعت المجموعة التجريبية للبرنامج التجريبي المقترح الذي وضعة الباحث، بينما خضعت المجموعة الضابطة للبرنامج التقليدي، استخدم الباحث المنهج التجريبي، واستخدم برنامج الرزم الإحصائية (spss) لتحليل النتائج وبعد إجراء المعالجات الإحصائية اللازمة، أظهرت نتائج الدراسة أن البرنامج التدريبي المقترح له تأثير ايجابي ذات دلالة إحصائية على تنمية وتطوير المتغيرات المهارية، حيث تفوق أفراد المجموعة التجريبية على أفراد المجموعة الضابطة في كافة متغيرات الدراسة المهارية والبدنية، وأوصت الباحثة بتطبيق نفس البحث على الناشئين والناشئات بالأندية المصرية لما قد تسفر عنه من تقدم المستوى الرقمي في سباحتي الزحف على البطن والظهر.

2-2-7 الدراسة السابعة: دراسة بالي، وفيفير، ودوري (Baly, Favier, Durey, 2002) دراسة هدفت التعرف الى تأثير استخدام الزعانف على تعليم سباحة الفراشة"، واستخدم الباحثون المنهج التجريبي لمدة 8 أسابيع، حيث شملت عينة الدراسة على (18) سباحاً ، وكانت أهم النتائج التدرج بأداء ضربات الرجلين لتصل إلى 1000 ضربة في كل وحدة تدريب مما يساهم بأثر ايجابي على قوة عضلات الرجلين، وأنة يمكن للمدرب عند الوصول إلى أداء مقنع للسباح أن يزيح الزعانف جانباً حتى يعتاد السباح الناشئ على طبيعة ضربات الرجلين بدون عوامل مساعدة.

ثانيا: الإجراءات المنهجية:

1 المنهج المتبع:

استخدم الباحثان المنهج التجريبي بطريقة المجموعتين التجريبية والضابطة وبقياسين القبلي والبعدي وذلك لملائمته لطبيعة وأهداف الدراسة.

2 مجتمع البحث:

تكون مجتمع الدراسة من السباحين الممارسين على مستوى نادي الجيل الرياضي لشباب قادرية (40) سباحاً .

3 عينة البحث:

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة القصدية، حيث تكونت العينة من (24) سباح متقدم الذين يشاركون في البطولة الولائية للسباحة من الفئة العمرية 13-14 سنة

4 مجالات البحث:

4-1 المجال البشري: يتمثل مجتمع الدراسة في السباحين (13-14) سنة على مستوى رابطة البويرة.

4-2 المجال المكاني: أجريت الدراسة على نادي الجيل الرياضي لبلدية قادرية.

4-3 المجال الزماني: إمتدت فترة البحث من 2024/02/10 إلى غاية 2024/04/10.

ثالثا: عرض وتحليل ومناقشة النتائج:

1 عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى والتي تنص:

"توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لأثر البرنامج التدريبي المقترح باستخدام الزعانف بين القياسين القبلي والبعدي لدى أفراد المجموعة التجريبية ولصالح القياس البعدي"

لاختبار صحة هذا الفرض قام الباحثان بتطبيق اختبارات عناصر اللياقة البدنية (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة على إفراد المجموعة التجريبية، وبعد ذلك قام الباحث باستخدام اختبار(Wilcoxon Method Pairs Signed) وهو أحد الاختبارات اللامعلمية الملائمة للكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التطبيقين القبلي والبعدي والجدول رقم (06) يوضح نتائج ذلك.

جدول (06): نتائج اختبار(Wilcoxon Method Pairs Signed) للعينات المرتبطة لفحص الفروق في درجة إفراد المجموعة التجريبية على اختبارات عناصر اللياقة البدنية قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة.

الاختبار	الاختبارات الفرعية	قياس اختبار	المتوسط	الانحراف المعياري	توزيع الرتب	ن للرتب	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة	حجم الأثر
السرعة	سباحة حرة 25م	قبلي	22.35	1.72	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.92
					موجبة	0	0				
		بعدي	17.89	1.06	تساوي	0					
	ضربات الرجلين	قبلي	28.31	1.41	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.93
					موجبة	0					
		بعدي	24.92	0.92	تساوي	0					
		قبلي	46.57	0.82	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.98
		بعدي	41.54	0.87	موجبة	0	0				
					تساوي	0					

*** دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).**

يتضح من الجدول رقم (6) وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية على اختبارات عناصر اللياقة البدنية الخاصة قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة ولصالح القياس ألبعدي، ومن خلال استعراض جدول رقم (5) نلاحظ أن المتوسط الحسابي لاختبار السباحة الحرة (25م) في القياس القبلي قد بلغ (22.35ثا) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (17.89ثا)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كان (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار السباحة الحرة (25م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.92) وهو كبير واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013) والوديان (Al Wedian, 2004) والشاهد (Al Shahid, 2003)، والتي أشارت جميعها إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى أفراد العينة التجريبية في اختبار السباحة الحرة (25م).

وفي اختبار ضربات الرجلين (25م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (28.31ثا) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (24.92ثا)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار ضربات الرجلين (25م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.93) وهو كبير واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (AlWedian 2013)، ومصطفى (Mustafضض2008)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى أفراد العينة التجريبية في اختبار ضربات الرجلين (25م).

وأما في اختبار سباحة حرة (50م) فنلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (46.57ثا) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (41.54ثا)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (50م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.98) وهو كبير، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013)،

سبيستيان وآخرون (Sebestien *et al*. 2007)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى افراد العينة التجريبية في اختبار سباحة حرة (50م).

وفي اختبار سباحة حرة (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (65.66ثا) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (61.53ثا)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (100م)، وقد بلغ حجم الأثر (0.83) وهو كبير, واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013)، ومصطفى (Mustafa, 2008)، وسبيستيان وآخرون (Sebastian *et al*. 7002)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى أفراد العينة التجريبية في اختبار سباحة حرة (100م).

وأما فيما يتعلق باختبار ضربات رجلين (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (2.41د) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (1.97)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار ضربات الرجلين (100م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.70) وهو كبير، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى أفراد العينة التجريبية في اختبار ضربات الرجلين (100م).

وأخيراً في اختبار سباحة حرة (200م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (4.12د) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (3.76د)، وأن قيمة (Z) قد بلغ ت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (200م)، وقد بلغ حجم الأثر (0.41) وهو كبير، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى أفراد العينة التجريبية في اختبار سباحة حرة (200م).

ويرى الباحثان وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($0.05\geq\alpha$) بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية على اختبارات عناصر اللياقة البدنية الخاصة قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة ولصالح القياس ألبعدي، يعود إلى فاعلية البرنامج التدريبي المقترح والذي استغرق تطبيقه (9) أسابيع، والذي كان يتضمن التمرينات والتدريبات باستخدام الزعانف والذي أدى إلى تحسن عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة، ومما يؤكد هذه النتيجة حجم الأثر المحسوب والذي تراوحت قيمه بين (41% – 98%) وهي تدل حسب تصنيف كوهين (Cohen) على وجود تأثيراً كبيراً للبرنامج في تحسين عناصر اللياقة البدنية الخاصة، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الوديان (Al Wedian, 2013) وعزيز (Aziz, 2009) ومصطفى (Mustafa, 2008) وسبيستيان وآخرون (Sebestien *et al*.2007)، وسبيستيان وآخرون (Sebestien *et al*. 2006)، والوديان (Al Wedian, 2004) والشاهد (Al Shahid, 2003)، وبالي (Bally, 2002)، والتي أشارت جميعها إلى وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($0.05\geq\alpha$) بين القياسين القبلي والبعدي لدى المجموعة التجريبية ولصالح القياس ألبعدي.

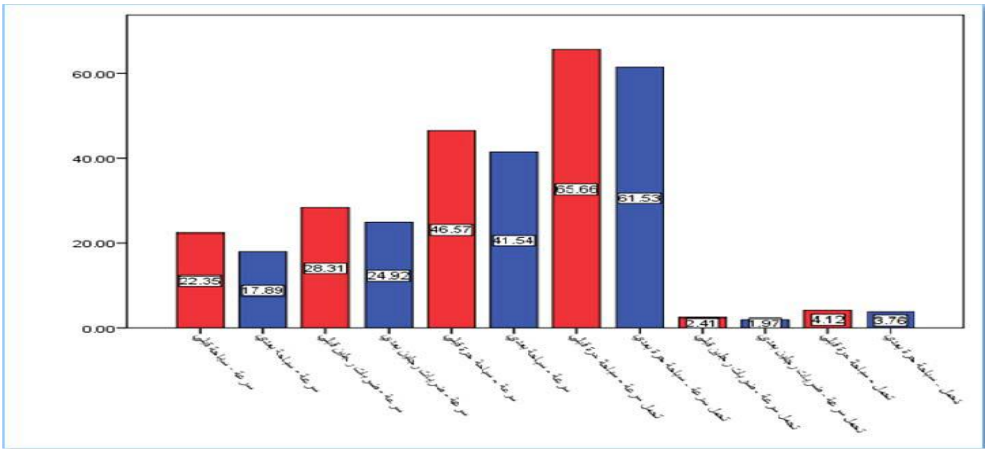

شكل :(1) يوضح الفروق في متوسطات اداء افراد المجموعة التجريبية على اختبارات اللياقة البدنية قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة.

2 عرض وتحليل نتائج توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة(a≤0.05) "لأثر البرنامج التدريبي " المقترح بين القياسين القبلي والبعدي لدى أفراد المجموعة الضابطة ولصالح القياس البعدي."

لاختبار صحة هذا الفرض قام الباحثان بتطبيق اختبارات عناصر اللياقة البدنية (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة على إفراد المجموعة الضابطة، وبعد ذلك قام الباحث باستخدام اختبار (Wilcoxon Method Pairs Signed) وهو احد الاختبارات اللامعلمية الملائمة للكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التطبيقين القبلي والبعدي والجدول رقم (7) يوضح نتائج ذلك.

جدول (7): نتائج اختبار (Wilcoxon Method Pairs Signed) للعينات المرتبطة لفحص الفروق في درجة أفراد المجموعة الضابطة على اختبارات عناصر اللياقة البدنية قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة.

الاختبار	الاختبارات الفرعية	قياس اختبار	المتوسط	الانحراف المعياري	توزيع الرتب	ن للرتب	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة	مستوى الدلالة	حجم الاثر
السرعة	سباحة حرة 25م	قبلي	21.94	1.73	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.80
					موجبة	0	0				
		بعدي	20.5	1.06	تساوي	0					
	ضربات الرجلين	قبلي	28.38	1.43	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.88
					موجبة	0					
		بعدي	26.99	1.13	تساوي	0					
		قبلي	46.07	0.98	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.63
					موجبةة	0	0				
		بعدي	44.25	0.76	تساوي	0					

الاختبار	الاختبارات الفرعية	قياس اختبار	المتوسط	الانحراف المعياري	توزيع الرتب	ن للرتب	متوسط الرتب	مجموع الرتب	الرتبة	مستوى الدلالة	حجم الاثر
تحمل السرعة	سباحة حرة 100م	قبلي	66.32	1.22	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.45
					موج	0	0				
		بعدي	64.38	0.93	تساوي	0					
	ضربات الرجلين 100م	قبلي	2.35	0.06	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.14
					موجبة	0					
		بعدي	2.15	0.07	تساوي	0					
		قبلي	4.23	0.09	سالبة	12	6.5	78	3.06	0.02*	0.58
					موجبةة	0	0				
		بعدي	3.99	0.05	تساوي	0					

– التحليل والمناقشة:

*دالة إحصائيا عند مستوى دلالة($0.05\geq\alpha$).

يتضح من الجدول رقم (7) وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($0.05\geq\alpha$) بين متوسطي درجات أفراد المجموعة الضابطة على اختبارات عناصر اللياقة البدنية قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة ولصالح القياس ألبعدي، ومن خلال استعراض جدول رقم (7) نلاحظ أن المتوسط الحسابي لاختبار السباحة الحرة (25 م) في القياس القبلي قد بلغ (21.94 ث) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (20.59 ث)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائي اً عند مستوى الدلالة($0.05\geq\alpha$) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار السباحة الحرة (25 م)، وقد بلغ حجم الأثر (0.80) وهو كبير، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة الشاهد (Al Shahid, 2003)، والتي أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى افراد العينة الضابطة في اختبار السباحة الحرة (25 م)، واختلفت معها دراسة الوديان(Al Wedian, 2004).

وفي اختبار ضربات الرجلين (25 م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (28.38ث) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (26.99 ث)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائي اً عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار ضربات الرجلين (25 م)، وقد بلغ حجم الأثر (0.88)وهو كبير.

وأما في اختبار سباحة حرة (50 م) ونلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ(46.07 ث) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (44.25 ث)، وأن قيمة(Z) قد بلغت 3.06) (ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (50 م))، وقد بلغ حجم الأثر (0.63) وهو كبير، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة عزيز (Aziz, 2009) والتي

أشارت إلى وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى افراد العينة الضابطة في اختبار سباحة حرة (50 م).

وفي اختبار سباحة حرة (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (66.32ث) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (64.38ث)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (100م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.45) وهو متوسط، واختلفت هذه النتيجة مع دراسة سبيستيان وآخرون (Sebestien . 2007 *et al*)، والتي أشارت إلى عدم وجود دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي لدى افراد العينة الضابطة في اختبار سباحة حرة (100م).

وأما فيما يتعلق باختبار ضربات الرجلين (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (2.35د) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (2.15د)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار ضربات الرجلين (100م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.14) وهو ضعيف.

وأخيراً في اختبار سباحة حرة (200م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي في القياس القبلي قد بلغ (4.23د) وقد انخفض المتوسط الحسابي في القياس البعدي إلى (3.99د)، وأن قيمة (Z) قد بلغت (3.06) ومستوى الدلالة كانت (*0.02) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي في اختبار سباحة حرة (200م)، وقد بلغ حجم الأثر(0.58) وهو كبير.

ويرى الباحثان أن هناك فاعلية للبرنامج التدريبي دون استخدام الزعانف في تحسين عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة، ومما يؤكد هذه النتيجة حجم الأثر المحسوب والذي تراوحت قيمه بين (14% 88%) وهي تدل حسب تصنيف كوهين (Cohen) على وجود تأثيراً كبيراً للبرنامج في تحسين عناصر اللياقة البدنية الخاصة، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة عزيز (Aziz,

2009)، والتي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين القياسين القبلي والبعدي لدى المجموعة الضابطة ولصالح القياس ألبعدي، واختلفت نتائج هذه الدراسة مع كل من سبيستيان وآخرون (Sebestien *et al.*، 2006) والشاهد (Al Shahid2003,) الوديان (Al Wedian, 2004)

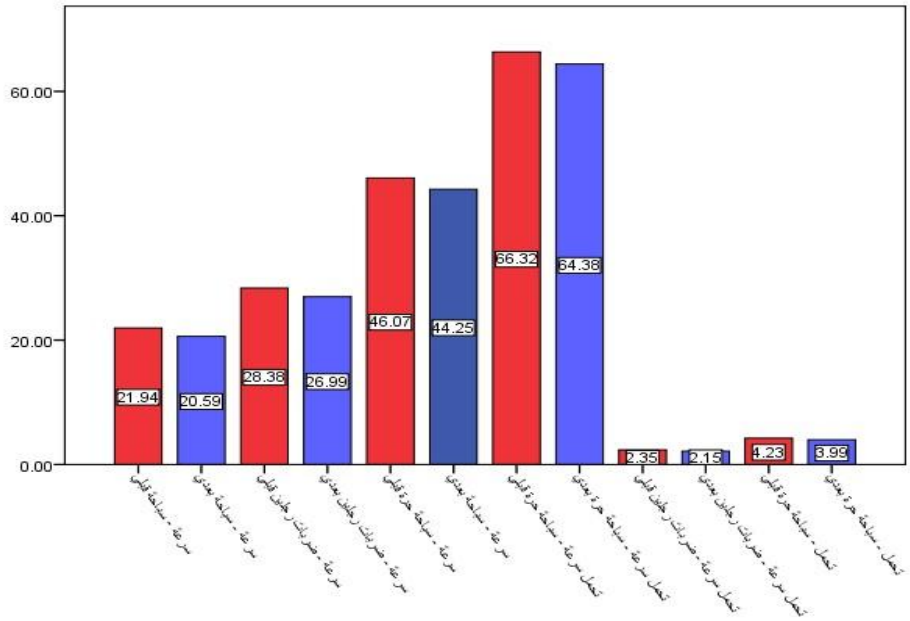

شكل (2): يوضح الفروق في متوسطات اداء افراد المجموعة الضابطة على اختبارات اللياقة البدنية قبل وبعد تنفيذ البرنامج مباشرة.

3 عرض وتحليل نتائج الفرض الثالث والذي نصه "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في القياسات البعدية بين المجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية".

لاختبار صحة هذا الفرض قام الباحثان بتطبيق اختبارات اللياقة البدنية (السرعة، التحمل، تحمل السرعة) على أفراد المجموعتان ثم استخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة للكشف عن وجود فروق بين أفراد المجموعتان، والجدول رقم (8) يوضح نتائج ذلك .

جدول (8): نتائج اختبار (ت) للعينات المستقلة لفحص الفروق بين المجموعات على اختبارات اللياقة البدنية في التطبيق البعدي.

الاختبار	الاختبارات الفرعية	المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	حجم الاثر
السرعة	سباحة حرة 25	تجريبية	17.89	1.06	22	4.80	*0.00	0.51
		ضابطة	20.59	1.64				
	ضربات رجلين 25	تجريبية	24.92	0.92	22	4.93	*0.00	0.53
		ضابطة	26.99	1.13				
	سباحة حرة 50	تجريبية	41.54	0.87	22	8.15	*0.00	0.75
		ضابطة	44.25	0.76				

تحمل السرعة	سباحة حرة 100	تجريبية	61.53	1.29	22	6.20	*0.00	0.64
		ضابطة	64.38	0.93				
	ضربات الرجلين 100	تجريبية	1.97	0.06	22	6.73	*0.00	0.67
		ضابطة	2.15	0.07				
التحمل	سباحة حرة 200	تجريبية	3.76	0.11	22	6.66	*0.00	0.66
		ضابطة	3.99	0.05				

* دالة احصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).

يتضح من الجدول رقم (8) وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعتين على اختبارات اللياقة البدنية في التطبيق البعدي، وعند الرجوع إلى المتوسطات الحسابية يلاحظ إن متوسطات أداء أفراد المجموعة التجريبية التي استخدمت الزعانف أقل من متوسط أداء أفراد المجموعة الضابطة (التي لم تستخدم الزعانف) وعلى مستوى كل اختبار من اختبارات اللياقة البدنية، ومن خلال استعراض جدول رقم (7) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية لاختبار السباحة الحرة (25م) قد بلغ (17.89ث) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (20.59ث)، وأن قيمة (ت) قد بلغت (4.80) ومستوى الدلالة كانت (*00.0) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(51.0) وهو كبير.

وفي اختبار ضربات الرجلين (25م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (24.92ث) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (26.99ث)، وأن قيمة (ت) قد بلغ ت (4.93) ومستوى

الدلالة كانت (*00.0) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α≥05.0) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(53.0) وهو كبير.

وأما في اختبار سباحة حرة (50م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (54.41ث) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (25.44ث)، وأن قيمة (ت) ق بلغت

(8.15) ومستوى الدلالة كانت (*0.00) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α≥0.05) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(0.75) وهو كبير.

وفي اختبار سباحة حرة (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (61.53ث) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (64.38ث)، وأن قيمة (ت) قد بلغت

(6.20) ومستوى الدلالة كانت (*0.00) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α≥0.05) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(0.64) وهو كبير.

وأما فيما يتعلق اختبار ضربات رجلين (100م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (97.1د) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (15.2د)، وأن قيمة (ت) قد بلغت (73.6) ومستوى الدلالة كانت (*00.0) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α≥05.0) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية ب ين المجموع ة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(67.0) وهو كبير.

وأخيراً في اختبار سباحة حرة (200م) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (3.76) والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة قد بلغ (3.99د)، وأن قيمة (ت) قد بلغت (6.66) ومستوى

الدلالة كانت (*0.00) وهذه القيمة تعتبر دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05≥α) مما يعني انه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، وقد بلغ حجم الأثر(0.66) وهو كبير.

ويرى الباحثان أن هذه النتيجة تشير إلى فاعلية البرنامج المقترح والذي تم استخدام الزعانف فيه والذي أدى إلى تحسن أداء أفراد المجموعة في كل من اختبارات (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة.

ويرى الباحثان أن الزعانف التي أصبح التدريب بها أكثر شيوعا والتي يستفاد منها من الناحية البدنية بزيادة السرعة والقوة العضلية والمرونة ومن الناحية المهارية التي تعمل على تحسين الانسيابية وترتقي بالتكنيك الخاص بسباحة الحرة، ويتفق هذا مع مصطفى (Mustafa, 2008) الذي أشار الى أن الزعانف تعزز الجسم بالانسيابية وتكسبه القوة الأساسية اللازمة للسباحة، كم ا أنها تعطي فرصة للسباحة بالسرعة العالية وتنمي المرونة لدى السباح وتفيد سباحي المسافات القصيرة والمتوسطة، ويضيف الوديان (Al Wedian, 2013)، إن السباحة بالزعانف عمدت إلى زيادة السرعة عن طريق التأثير على الذراعين لبذل مجهود كبير ليتم التوافق ما بين التقدم وحركة الذراعين وأخذ الشهيق وطرح الزفير، وكذلك ليتم الربط الإيقاعي مع ضربات الرجلين السريعة التي يبذل بها السباح جهدا كبير ليصل أكبر سرعة ويقطع المسافة بأقل زمن، ويشير مات (Mat, 2001) إلى أن الزعانف تساعد السباح على تشغيل العضلات الكبيرة في الفخذين والأرداف والبطن وتحسين نغمتهما العضلية وتقلل من كمية الدهن في هذه الأجزاء، كما تساعد على تنمية اللياقة النوعية المرتبطة في السباحة وخاصة قوة عضلات الرجلين ومرونة مفصلي الفخذ، هذا بالإضافة إلى فاعليتها في التحمل الدوري التنفسي، وزيادة السعه الحيوية، ويضيف بابلو (Pablo, 1999) أن الزعانف تعمل على الإقلال من مقاومة الماء للجسم المتحرك، وتساعد على أداء الركلة بطريقة انسيابية سواء في سباحة الزحف على البطن أو الظهر وبالتالي تعطي الجسم دفعات قوية وسريعة أثناء الحركة، كما أنها لا تحتاج إلى بذل جهد كبير في الاحتفاظ بالوضع الانسيابي للجسم على سطح الماء، الأمر الذي يمكن مستخدميها من

التركيز على استقامة واتزان واسترخاء وانسيابية جسمه على الماء، فتزداد سرعته مع بذل جهد اقل مقارنة بعدم استخدامها.

ويؤكد الباحثان على ضرورة وأهمية استخدام الزعانف في البرامج التدريبية من خلال التمارين والتدريبات الخاصة في السباحة لما لها من فاعلية وتأثير على التحسن والتطوير في الانجاز وهذا ما أكده حجم الأثر المحسوب والذي تراوحت قيمه ما بين (51% – 67%)، وحسب تصنيف كوهين يدل على وجود اثر كبير للبرنامج في تحسين مهارات اللياقة البدنية لدى الأفراد الذين يستخدمون الزعانف أثناء عملية السباحة، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة عزيز (Aziz, 2009) والوديان (Al Wedian, 2004) والشاهد (Al Shahid, 2003)، وسبيستيان وآخرون (Sebestien *et al*. 2006)، والتي أشارت جميعها بوجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) في القياسات البعدية بين المجموعتين ولصالح المجموعة التجريبية في الاختبارات الخاصة بالسمات البدنية قيد الدراسة.

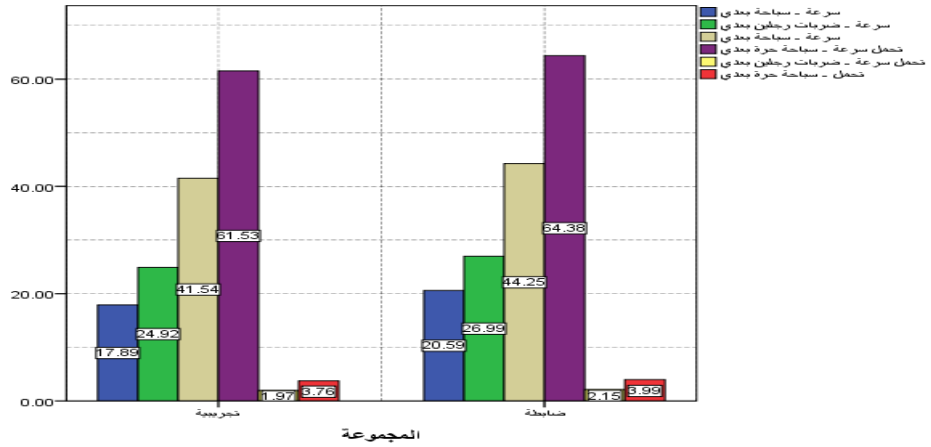

شكل (3): يوضح مستوى أداء أفراد المجموعتين في التطبيق ألبعدي لاختبارات اللياقة البدنية الخاصة.

3 ملخص نتائج البحث:

في ضوء أهداف الدراسة ومن خلال عرض النتائج ومناقشتها توصل الباحثان إلى الاستنتاجات التالية:

1- إن البرنامج التدريبي المقترح له تأثير ايجابي على تحسين عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة لدى مرتبات الدفاع المدني.

2- كان لاستخدام الزعانف تأثيراً كبيراً على تحسن مستوى عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، التحمل، تحمل السرعة) في السباحة الحرة، حيث جاء التأثير الأكبر على متغيرات السرعة، ومن ثم تحمل السرعة، وأخير التحمل.

4- إقتراحات:

بناءً على ما تم عرضة من نتائج واستنتاجات يوصي الباحثان بما يلي:

1- اعتماد البرنامج التدريبي المقترح كوسيلة للارتقاء في مستوى عناصر اللياقة البدنية الخاصة (السرعة، تحمل السرعة، التحمل) في السباحة الحرة.

2- وضع هذه الدراسة أمام العاملين في مجال تدريب السباحة للاستعانة بها لتطوير عناصر اللياقة البدنية الخاصة في السباحة الحرة، ووضعها من ضمن الوحدات التدريبية للسباحين.

خاتمة بالعربية:

إن هذه الدراسة ماهي إلا محاولة بسيطة محصورة في الإمكانيات المتوفرة، ورغم ذلك نود أن نعطي بها بداية لبحوث أخرى في هذا المجال والتي نفتقر إليها, حيث أوضحت النتائج المستخلصة من خلال هذا البحث مدى أهمية البرنامج التدريبي المقترح بإستخدام الزعانف له تأثير ايجابي في في تطوير القدرات البدنية الخاصة مثل السرعة تحمل السرعة والتحمل كما ان استعمال الزعانف كان له تأثيرا كبيرا في تحسين مستوى الانجاز للسباحة الحرة 400 م وتحقيق السباق في اقل فترة ممكنة.

قائمة المراجع:

1- غزيز مصطفى صلاح الدين: (2009)، استخدام الزعانف والقفازات للسباحة وتأثيرها على تطوير الإنجاز 50 متر سباحة فراشة ، مجلة كلية الرياضة، جامعة بغداد.

2- بالي وأخرون: (2002) تأثير مسافة السباق باستعمال الزعانف على الحركة التصويرية للسباح المستوى العالي.

3- الكردي عمر محمد: تطوير ديناميكية القوة المميزة بالسرعة للسباح وعلاقتها بالانجاز الرقمي للسباحة الحرة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة الزقازيق، مصر.

4- الموافي محمد إبراهيم: (2000)تأثير برنامج تتدريبي لتطوير تحمل القوة على الانجاز الرقمي ل 100م سباحة، المجلة العلمية للبحوث والدراسات في التربية الرياضية، جامعة قناة السويس، كلية التربية الرياضية، القاهرة.

5- مصطفى محمد محمود: (2008)، فعالية برنامج تدريبي في السباحة وعلاقته بالمستوى الرقمي للسباحين، مجلة التربية الرياضية، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة الزقازيق.

6- Baly, L. favier, D durey, E. (2002). *Influence de la distance de course sur les parameters cinématiques de nage chez nageurs avec Palmes de haut niveau.*

7- Mat, Mas (2001). *Swim Fins for Natural Swimming*. http:/www.mat.mans.society.italy.com

The role of analytical procedures in improving the external review process: Agro Nutrition Complex for the production of milk and its derivatives

Mohamed Lamine Alloune [1]
University of Blida 2 Lounici Ali, (Algeria)
m.alloune@univ-blida2.dz
Hadjira Bouzouina[2]
University of Blida 2 Lounici Ali, (Algeria)
h.bouzouina@univ-blida2.dz
Chahrazad Meghdouri [3]
University of Blida 2 Lounici Ali, (Algeria)
c.maghdouri@univ-blida2.dz

Abstract:

The study aims to identify the role of Simple quantitative analytical procedures in improving the performance of the external review process in the institution in circumstances where the need to exploit information technology has arisen within the Company. Algerian economy, and to achieve the objectives of this research, several models of the analytical procedures of the Agro Nutrition Foundation were used to produce milk and its products. Using financial documents and lists for three consecutive years 2022, 2023, 2024, these methods were: balance sheet and financial ratio indicators to detect fundamental errors, and the method of analyzing sales-related variances over the years of the study, The study concluded that Simple quantitative analytical procedures have important caveats about the existence of balance sheet manipulation and the detection of fundamental errors, and there is a clear indication of the role of analytical procedures in improving the external review process.

Keywords: External Audit; Analytical Audit; Financial balance indicators; Financial ratios; Deviations analysis.

دور الإجراءات التحليلية في تحسين عملية المراجعة الخارجية: دراسة حالة مجمع أقرو للتغذية لإنتاج الحليب ومشتقاته –البليدة–، الجزائر

محمد لمين علون[1]
جامعة على لونيسي البليدة 2
m.alloune@univ-blida2.dz
هجيرة بوزوينة [2]
جامعة على لونيسي البليدة 2
h.bouzouina@univ-blida2.dz
شهرزاد مغدوري [3]
جامعة على لونيسي البليدة 2
c.maghdouri@univ-blida2.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة في تحسين أداء عملية المراجعة الخارجية في المؤسسة في ظروف ظهرت فيها الحاجة إلى استغلال تكنولوجيا المعلومات في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، ولتحقيق أهداف هذا البحث تم استخدام عدة نماذج من أساليب الإجراءات التحليلية في مؤسسة أقرو للتغذية لإنتاج الحليب ومشتقاته، من خلال استخدام للوثائق وقوائم مالية للثلاث سنوات متتالية 2022، 2023، 2024، وتمثلت هذه الأساليب في: مؤشرات التوازن المالي والنسب المالية لاكتشاف الأخطاء الجوهرية، وأسلوب تحليل الإنحرافات المتعلق بالمبيعات خلال سنوات الدراسة، وخلصت الدراسة إلى أن أساليب الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة تساهم في إعطاء تحذيرات مهمة حول وجود التلاعب في القوائم المالية واكتشاف الأخطاء الجوهرية، كما أن هناك دلالة واضحة في الدور الذي تلعبه الإجراءات التحليلية في تحسين عملية المراجعة الخارجية.

الكلمات المفتاحية: مراجعة خارجية، مراجعة تحليلية، مؤشرات توازن مالي، نسب مالية، تحليل إنحرافات.

مقدمة:

شهدت السنوات الأخيرة من العقد الماضي تطورات وتغيرات عالمية كبيرة، وتزايد في حجم المسؤولية القانونية الملقاة على عاتق مراجعة الحسابات في ظل تزايد حوادث الغش والاحتيال بسبب ضخامة المشاريع الحديثة وتعقيدها، مما أدى إلى حدوث تغييرات جذرية في مهنة المراجعة وتطور طرق وإجراءاتها لتتناسب مع ضخامة وحجم المسؤولية وتعقيدها، ولم يعد الاعتماد على أنظمة الرقابة الداخلية كافيا لتقليل المخاطر الناتجة عن الغش والتلاعب والتي تنجم عن خلل في النظم الرقابة الداخلية او المراجعة الإختبارية كافيا، وانطلاقا من ذلك وحرصا على إبداء الرأي المحايد بدأ المختصون والممارسون لمهنة المراجعة بالبحث عن وسائل وأساليب أكثر جدوى وفعالية لزيادة سلامة ودقة النتائج التي سيتوصل لها المراجع الخارجي خلال قيامه بعملية المراجعة، ومن هذه الوسائل الإجراءات التحليلية أو ما يسمى (إجراءات الفحص التحليلي) والتي تعتبر من أهم الأدلة التي يلجأ إليها المراجع الخارجي عند اداء مهامه، للتعرف على المؤشرات الخاصة بالمؤسسة والتي يستطيع من خلالها اكتشاف مواطن الضعف والقوة فيها، والإجراءات التحليلية تعتمد على مقارنة النسب والقيم المالية وغير المالية الحالية مع النتائج والقيم المالية وغير المالية للفترات السابقة، ثم التنبؤ بعلاقات تلك النتائج وأسبابها حسب خبرة المراجع وحكمه الشخصي.

أولا: إشكالية الرئيسة والتساؤلات الفرعية للدراسة: يمكن صياغة التساؤل الرئيسي كالآتي:

كيف تساهم الإجراءات التحليلية في تحسين أداء عملية المراجعة الخارجية بمجمع أقرو للتغذية لإنتاج الحليب ومشتقاته؟

وللإجابة على هذا التساؤل الرئيسي يتطلب الإجابة على عدد من التساؤلات الفرعية التالية:

- هل يتم الاستعانة بالإجراءات التحليلية في جميع مراحل التدقيق؟
- هل للإجراءات التحليلية خاصة الكمية البسيطة منها دورا في تحسين عملية المراجعة الخارجية؟
- هل يقوم المراجع الخارجي لمؤسسة أقرو للتغذية باستخدام اساليب اجراءات المراجعة التحليلية الكمية البسيطة في مهمته؟

ثانيا: فرضيات الدراسة: للإجابة عن الأسئلة المطروحة تم صياغة الفرضيات التالية:

- استخدام الإجراءات التحليلية في الممارسة العملية يكون ضروريا في جميع مراحل المراجعة الخارجية لتحقيق أهداف هذه العملية.

– تستخدم الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة للرفع من كفاءة وفعالية المراجعة من خلال مساعدتها على تخفيض مخاطر المراجعة وتخفيض تكلفة أدائها.

– يهتم المراجع الخارجي "لمجمع أقرو للتغذية لاشيفا" بالمراجعة التحليلية خاصة الكمية البسيطة منها لضمان اداء جيد لعملية المراجعة الخارجية.

ثالثا: أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

— بيان أهمية الإجراءات التحليلية، وما ينتج من إيجابيات عديدة على مهنة المراجعة من خلال الاستخدام الأمثل لها.

— إلقاء الضوء على الإجراءات التحليلية خاصة الكمية البسيطة منها، والتعرف عليها وتقديم الاقتراحات اللازمة لتشجيع المراجع الخارجي على استخدام المراجعة التحليلية عند تأدية مهامه.

— إبراز أهمية الإجراءات التحليلية في التقليل من خطر المراجعة واكتشاف الغش في الوقت المناسب، والتعبير برأيه حول عدالة وصحة البيانات الموجودة في القوائم المالية المعدة من طرف المؤسسات.

— تشجيع واقع الاعتماد على الإجراءات التحليلية من طرف المراجعين الخارجين أثناء أداء مهامهم بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية خاصة المؤسسة محل الدراسة.

رابعا: المنهج المتبع في الدراسة: من أجل تحقيق الهدف من الدراسة تم الاستعانة بعدد من المناهج المعتمدة في الدراسات الاقتصادية، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي في دراسة الجوانب النظرية للمراجعة الخارجية، والمنهج الوصفي التحليلي في الجوانب المرتبطة بالإجراءات التحليلية، ولإسقاط الدراسة النظرية بالواقع العملي تم الاستعانة بأسلوب دراسة حالة على مستوى مؤسسة لاشيفا للتغذية.

خامسا: حدود الدراسة: وتتمثل في:

– **الإطار الموضوعي:** الغرض من هذه الدراسة هو تبيان دور الإجراءات التحليلية في تحسين أداء عملية المراجعة الخارجية.

– **الإطار المكاني:** ويتمثل في مجمع أقرو للتغذية لاشيفا لإنتاج الحليب ومشتقاته بولاية البليدة.

– **الإطار الزماني:** وتمثل في الفترة ما بين 2022 الى 2024 من خلال استخدام وثائق وقوائم مالية للمؤسسة محل الدراسة

أولا: الإجراءات التحليلية

1- مفهوم الإجراءات التحليلية: هناك العديد من التعاريف نذكر منها:

* "عبارة عن أساليب أو تقنيات يستخدمها مراجع الحسابات لتقييم وجمع البيانات، والمواد المختصة، والأدلة الكافية". (Onome, and ALL, 2012, p285)

* وهناك تعريف للإجراءات التحليلية يقول بأنها "مجموعة الإجراءات الإضافية التي يقوم بها مراجع الحسابات للحصول على درجة ثقة من خلال توفير أدلة إثبات مكملة للأدلة التي حصل عليها المراجع من الإجراءات الأخرى". وعُرّفت الإجراءات التحليلية أيضاً على أنها "عبارة عن دارسة تهدف إلى تحليل الاتجاهات والمؤشرات الجوهرية التي تهتم بتقريب فحص التقلبات والبنود غير العادية." (موسى، 2013، ص 314)

*كما عرّفها معيار المراجعة الدولي رقم (520) في الفقرة 3 منه بأنها تعني: "تحليل النسب والمؤشرات المهمة، وبحث التقلبات والعلاقات التي تكون مُتعارضة مع المعلومات الأخرى ذات العلاقة أو تلك التي تنحرف عن المبالغ المتنبأ بها، كما تتضمن الإجراءات التحليلية دراسة العلاقات بين عناصر المعلومات المالية والمعلومات غير المالية ذات العلاقة". (المطيري، 2011، ص 15)

وبالنظر والتمعُّن في هذه التعريفات السابقة يمكن ملاحظة أن الإجراءات التحليلية تهدف إلى مساعدة المراجع في إبداء الرأي المستند على أدلة قوية ومساعدته على ترشيد حكمه وتقديره الشخصي على بعض الأمور التي لم يصل فيها إلى درجة إقناع عالية، نلاحظ أن تعريف المعيار الدولي (520) للإجراءات التحليلية يُركّز على كل من طرق وأهداف المراجعة التحليلية.

2- أغراض الإجراءات التحليلية: تستخدم للأغراض الآتية (أبو سمهدانة، 2006، ص 29):

– تخطيط المراجعة بهدف المساعدة في تخطيط طبيعة وتوقيت ومدى نطاق إجراء المراجعة.

– كإجراءات تحقق جوهرية عندما يكون استعمالها ذا تأثير وفاعلية أكثر من الاختبارات التفصيلية لتخفيض مخاطر الاكتشاف لتأكيدات خاصة للقوائم المالية.

كما ورد أيضا في المعيار الدولي (520) للإجراءات التحليلية أن الأغراض منها تتمثل فيما يلي (SAS No. 122, 2012, p523):

– كإجراءات لتقييم الخطر والتوصل إلى فهم للمؤسسة ونشاطها وبيئتها.

– كفحص شامل للقوائم المالية في مرحلة الفحص الختامي للمراجعة.

– كإجراءات للتحقيق وذلك عندما يكون استخدامه أكثر فعالية أو كفاءة من استخدام التفاصيل في تخفيض خطر التحريف المهم والمؤثر على مستوى التأكيد الى مستوى منخفض مقبول.

3- أساليب الإجراءات التحليلية: هناك العديد من الطرق وقد تم تصنيف هذه الإجراءات إلى ثلاث مستويات (الكبيسي، 2008، ص 08):

ا- المستوى الأول: الإجراءات التحليلية غير الكمية (الوصفية): تشمل هذه الإجراءات:

- الاستفسار: وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة الموجّهة إلى شخص لديه معلومات حول طبيعة عمل المؤسسة، وتشمل النواحي المالية والمحاسبية والمراجعة.

- التوقعات من نتائج المراجعة السابقة: كالأخطاء التي اكتشفت في عملية المراجعة السابقة ومقابلة المراجع السابق وذلك لتحديد المواقع التي يمكن أن تسبب صعوبات وعراقيل لعملية المراجعة الحالية.

- مراجعة المعلومات الخارجية (غير الكمية): كالاطلاع على الكتب العلمية وأدلة المحاسبة والمراجعة الدولية، القوانين والتشريعات الحكومية، وأية تشريعات أخرى لها تأثير على عمل المؤسسة والتقارير السنوية، وما صدر من السوق المالي عن المؤسسة موضوع المراجعة والمؤسسات المماثلة لها. (نور، 1992، ص 36)

- مراجعة المعلومات الداخلية (غير الكمية): كمراجعة النظام الداخلي للمؤسسة، وعقد التأسيس، مراجعة محاضر جلسات مجلس الإدارة ووقائع اجتماع الهيئة العامة والاطلاع على ملفات الموظفين، وملفات المراسلات بالإضافة إلى سجلات الإنتاج، والتعرف على السياسات المتبعة في تسويق المنتجات وتوزيعها، وعلى العقود المهمة والتي يكون لها تأثير على عملية المراجعة مثل اتفاقيات القروض والعقود طويلة الأجل.

ب- المستوى الثاني: الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة: أهم هذه الإجراءات (الكبيسي، 2008، ص 09):

- التحليل المالي: وهو عبارة عن الرابط بين عنصرين أو أكثر من عناصر القوائم المالية، كنسب السيولة والملائمة والربحية وغيرها، ويساعد هذا الأسلوب في اكتشاف بنود غير عادية تستوجب البحث والاستفسار، وتتنوع أساليب التحليل المالي الممكن استخدامها من قبل المراجع، فعليه أن يختار الأسلوب الذي يساعده في التعرف على نشاط المؤسسة محل المراجعة، ومعرفة الصعوبات والمخاطر التي قد تعترضها في المستقبل.

- تحليل الاتجاه: ويعني: "حساب مجموعة من الأرقام القياسية لعدد من السنوات السابقة مقارنة بسنة الأساس، وبيان مقدار الزيادة أو النقص في بند معين وبيان أسباب الزيادة أو النقص غير العادي في ميل الاتجاه، ويهدف هذا النوع من التحليل إلى التعرف على سياسات الإدارة المختلفة بالإضافة إلى الأسباب التي أدت إلى التغيرات الناتجة خلال سنوات المقارنة." (لطفي، 2005، ص 48)

وعرف أيضا بأنه: "عبارة عن تحليل التغيرات في رصيد بند أو عنصر معين خلال فترة محاسبية سابقة، ويتركّز التحليل بوجه عام على مقارنة بين أرصدة السنة السابقة بأرصدة السنة الحالية". (العبدلي، 2011، ص 31)

– **تحليل انحراف الموازنة:** وهو القيام بالمقارنة بين النتائج الفعلية والموازنات التخطيطية لمعرفة الانحرافات إن وُجدت والاستفسارات عن أسبابها، وعلى المراجع الاهتمام بالانحرافات الجوهرية منها (غير معروف الأسباب) لأنها قد تسير إلى وجود أخطاء أو مخالفات معينة في المعلومات المالية.

ج– المستوى الثالث: الإجراءات التحليلية الكمية المتقدمة: تظهر أهمية الإجراءات التحليلية المتقدمة بدرجة كبيرة جداً في بناء المعادلات الرياضية والإحصائية عن طريق استخدام البيانات السابقة والاعتماد عليها في التنبؤ بالأرصدة المستقبلية (Montgomery, and ALL, 2002, p136)، وتشمل هذه الأساليب ما يلي (الكبيسي، 2008، ص 10):

– **تحليل الانحدار:** يُعد تحليل الانحدار أكثر الأساليب الإحصائية استخداماً في الإجراءات التحليلية، ويتم استخدام هذا التحليل في تقييم مدى منطقية الرصيد المسجل بالدفاتر من خلال علاقة هذا الرصيد مع معلومات أخرى مناسبة (أرينز، لوبك، 2002، ص 263)، ويستخدم تحليل الانحدار لبيان نوع العلاقة بين متغير مستقل أو أكثر، ومتغير تابع، وفي المراجعة يستخدم هذا الأسلوب في تحديد واضح لتوقعات المراجعين، مع إيجاد مقياس للثقة والدقّة؛ وينقسم إلى تحليل الانحدار البسيط، وتحليل الانحدار المتعدّد.

– **نموذج التخطيط المالي** يتم من خلال هذا النموذج البدء باختيار أحد بنود القوائم المالية باعتبارها المتغير الرئيس (المستقل) حيث يستخدم التنبؤ ببقية البنود، وبعد انتهاء كافة التنبؤات يتم إعداد قائمة الدخل التقديرية وقائمة المركز المالي التقديرية ومقارنتها مع القوائم المالية الفعلية لتحديد مدى معقولية الظاهرة في هذه القوائم، ويأخذ أي بند الشكل العام للانحدار، ويهدف التخطيط المالي إلى تحديد الاحتياجات التمويلية، وتأمين الأموال اللازمة بشكل متوازن من مصادر التمويل.

– **نموذج التدفق النقدي:** هو نموذجاً للتنبؤ بالقيم الحقيقية لبنود القوائم المالية، ويعتبر النموذج المقترح للتنبؤ امتداداً لنموذج التخطيط المالي، حيث يعتمد على متغير رئيس كأساس للتنبؤ، ويستخدم أسلوب الانحدار القائم على طريقة المربعات الصغرى، لتحديد معاملات الانحدار التي تربط قيمة البند المراد التنبؤ به (المتغير التابع)، وقيمة البند المستخدم في التنبؤ (المتغير المستقل)، ويختلف النموذج المقترح عن نموذج التخطيط المالي

في أن المتغير الرئيس للنموذج هو التدفقات النقدية (المتحصلات والمدفوعات النقدية)، وليس قيمة المبيعات الشهرية، كذلك لا يسعى نموذج التدفق النقدي إلى التنبؤ بعناصر القوائم المالية جميعها. (الطويل، 2008، ص ص 22-24)

د- تحليل السلاسل الزمنية السلاسل الزمنية عبارة عن مجموعة من البيانات المتعمقة بفترات زمنية معينة، عادة على فترات متساوية ومن ثم تحميل البيانات لتحديد مكونات سلوك السلاسل الزمنية، مثل الاتجاه بفترات طويلة الأجل، التغيرات الموسمية، والتغيرات العشوائية (شبيجل، 1992، ص 68)، فالسلاسل الزمنية تمكن المراجع من إخضاع عنصر أو أكثر من عناصر القوائم المالية للدراسة، ويمكن أيضاً للمراجع معرفة قيم بعض الحسابات من خلال العلاقات المرتبطة فيما بينهم ووضع المعادلات التي تبين مدى التقارب أو التباعد بين القيم. (الحيالي، 2007، ص 91)

ثانيا: المراجعة الخارجية

1- تعريف المراجعة الخارجية: تعددت صيغ التعاريف التي تناولت المراجعة الخارجية نذكر منها:

* تم تعريفها حسب جمعية المحاسبة الأمريكية بأنها: " عملية منتظمة وموضوعية للحصول على أدلة وتقويمها فيما يتعلق بحقائق حول وقائع وأحداث اقتصادية، وذلك للتحقق م درجة التطابق بين تلك الحقائق والمعايير المحددة، وإيصال النتائج إلى مستخدمي المعلومات المهتمين بذلك التحقق". (جمعة، 2019، ص 27)

* يقصد بالمراجعة الخارجية: "فحص أنظمة الرقابة الداخلية والبيانات والمستندات والحسابات والدفاتر الخاصة بالمؤسسة محل المراجعة فحصا انتقاديا منظما من قبل مراجع خارجي مستقل، وإبداء الرأي الفني المحايد في مدى عدالة الكشوف المالية للمؤسسة في نهاية فترة زمنية محددة، ومدى تعبيرها عن حقيقة نتائج أعماله من ربح أو خسارة عن تلك الفترة. (بوعبيدة، وآخرون، 2019، ص 122)

ومن التعاريف السابقة نستنتج أن المراجعة الخارجية: هي نشاط تقوم به جهة مستقلة عن المؤسسة وتتميز بالكفاءة وتهدف إلى فحص القوائم المالية وإبداء رأي فني محايد حول مصداقية وصحة القوائم المالية للمؤسسة.

2- خصائص المراجعة الخارجية: تتمثل خصائص المراجعة الخارجية (السيد، وآخرون، 2000، ص 07):

ا- المراجعة الخارجية عملية هادفة: تهدف المراجعة الخارجية بصفة عامة إلى لإبداء الرأي في القوائم المالية، وهذه الاخيرة هي مسؤولية الإدارة ويتم تقديمها للأطراف الخارجية ذوي المصلحة في المؤسسة، بحيث تعتبر تأكيد لمدى صدق القوائم المالية المقدمة لهم.

ب– المراجعة الخارجية عملية منظمة: يتم ممارسة المراجعة الخارجية وفق إطار منظم من الخطوات المنطقية المترابطة والمنظمة، حيث يبدأ المراجع الخارجي عملية المراجعة بجمع البيانات اللازمة المتعلقة بالمؤسسة لاستكشاف البيئة التي سيجري فيها الفحص، ثم يقوم بعملية تقييم نظام الرقابة الداخلية لدى العميل لتحديد نقاط القوة والضعف فيه، وعلى ضوء هذا التقييم يقوم بوضع برنامج للمراجعة النهائية، ويستكمل المراجع عملية المراجعة بعمليات الفحص الميداني وهذا مع تجميع وتقييم الأدلة التي تؤكد رأيه وتنتهي عملية المراجعة بإعداد تقرير المراجعة الذي يشمل على رأي مراجع الحسابات في القوائم المالية المعروضة عليه.

ج– المراجعة الخارجية يمارسها مراجع مستقل: إضافة لضرورة توافر اشتراطات التأهيل العلمي والعملي في المراجع الخارجي، لابد عليه أن يكون مستقلا عن، العميل حيث لا تكون له مصالح مباشرة أو غير مباشرة معه، وعليه القيام بعمله دون الخضوع لضغوط الغير.

د– المراجعة الخارجية عملية اتصال متكامل: فالرسالة المراد إيصالها من عملية المراجعة فتتمثل في الرأي المهني الذي يبديه مراجع الحسابات في تقريره، ويحمل في طياته معلومة جديدة حول صدق وسلامة القوائم المالية ويمكن أن يستفيد منها مستقبلي التقرير والمستخدمين الخارجين.

3– أهداف المراجعة الخارجية: تسعى المراجعة الخارجية إلى تحقيق عدة أهداف التالية:

ا– أهداف رئيسية: حيث تتمثل الأهداف في الآتي (جربوع، 2008، ص ص 07-08):

– إن الهدف الأساسي من عملية المراجعة الخارجية هو إبداء الرأي الفني المحايد على صدق تعبير القوائم المالية لنتيجة الأعمال والمركز المالي، وفقاً للمبادئ المحاسبية المتعارف عليها والمقبولة قبولا عاما.

– إمداد إدارة المؤسسة بالمعلومات عن نظام الرقابة الداخلية، وبيان أوجه القصور فيه، وذلك من خلال التوصيات التي يقدمها المراجع في تقريره من أجل تحسين أداء هذا النظام.

– إمداد مستخدمي القوائم المالية من المستثمرين والدائنين والبنوك والدوائر الحكومية المعنية وغيرهم بالبيانات المالية الموثوقة، لتساعدهم في اتخاذ القرارات المناسبة.

ب– أهداف خاصة: في سبيل تحقيق المراجع لتلك الأهداف الرئيسية للمراجعة الخارجية المذكورة، فإن هناك أهداف فرعية عليه أولا أن يحققها، وهي الستة الأهداف المتعلقة بفحص أرصدة حسابات القوائم المالية، هذه الأهداف تستخدم كأهداف وسيطة، وتعتبر حلقة وصل بين معايير المراجعة وإجراءاتها، وتتمثل هذه الأهداف الفرعية في الآتي (أبو سرعة، 2010، ص 54):

– **التحقق من الوجود:** أي أن الأصول والخصوم أو الالتزامات موجودة فعلا في تاريخ معين.

– **التحقق من الاكتمال:** يعني أن كافة الأصول والخصوم والمصروفات والإيرادات قد تم قيدها في الدفاتر والسجلات كاملة، وأنه لا يوجد عمليات غير مسجلة.

– **التحقق من الملكية:** يعني أن كافة الأصول والممتلكات مملوكة للمؤسسة في تاريخ معين، وأن الخصوم أو الالتزامات تمثل التزاماً حقيقياً على المؤسسة في تاريخ معين.

– **التحقق من التقييم:** أي أن الأصول والخصوم قد تم تقييمها وتقيدها بقيمتها الملائمة.

– **التحقق من عرض القوائم المالية بصدق وعدالة:** أي أن كافة مكونات القوائم المالية قد تم الإفصاح عنها وعرضها بصورة سليمة، وفقاً للمتطلبات القانونية والمهنية ذات الصلة.

– **التحقق من شرعية وصحة العمليات المالية:** أي أن كافة الأصول والخصوم والمصروفات والإيرادات قد تم احتساب قيمتها بدقة، وتم اعتمادها من السلطة المختصة قانوناً ووفقاً لمتطلبات القوانين واللوائح والنظم النافذة، وتمت في الأغراض والأعمال الرسمية التي تحقق أهدافها.

ثالثا: دراسة ميدانية لمجمع أقرو للتغذية لاشيفا لإنتاج الحليب ومشتقاته –البليدة–

1– تعريف بالمؤسسة محل الدراسة: " مجمع أقرو للتغذية لاشيفا " أو" SARL Complexe Agroalimentaire La Chiffa "، الإسم الاجتماعي المختصر "**CAAC** " هي مؤسسة خاصة ذات مسؤولية محدودة حيث يقدر رأس مالها 3.000.000،00دج مقسمة على 3.000 حصة اجتماعية عدد شركائها اثنان تتوزع حصصهم كما يلي: 90بالمئة و10 بالمئة. حيث يقع مقرها الإجتماعي الشركة بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01 الرابط بين ولاية البليدة وولاية المدية في حي سيدي المداني التابع إقليميا لبلدية شفة ولاية البليدة، تتربع الشركة على مساحة 20.000 متر مربع منها 4.000 متر مربع مبنية.

وتأسست الشركة عام 2002، أين تحصلت على امتيازات خاصة من الوكالة الوطنية لتدعيم الاستثمار ANDI ولقد مرت الشركة منذ نشأتها بعدة مراحل هامة ومتمثلة فيما يلي:

– **المرحلة الأولى:** فترة الإنجاز من 2002 إلى 2009.

– **المرحلة الثانية:** فترة الإنتاج منذ 2009 إلى يومنا هذا

2– عرض وتحليل نتائج استخدام الإجراءات التحليلية في مراحل عملية المراجعة للمؤسسة محل الدراسة: عند التواصل مع المراجع الخارجي للمؤسسة محل الدراسة أدركنا أنه لا يستعين بالإجراءات التحليلية عند أداء مهمته، لذلك وكمحاولة منا ومن أجل التأكد من النتائج التي توصل إليها، قمنا

باستخدام بعض أساليب الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة واستخدام أسلوب التحليل المالي من خلال النسب والمؤشرات المالية ومقارنة هذه النسب للسنوات 2022-2023-2024 ثم تحليل النتائج المتوصل اليها، بالإضافة أسلوب الدراسة التحليلية للمبيعات وذلك باستخدام تحليل وتفريغ بيانات المبيعات لـــ ثلاثة سنوات الأخيرة سابقة الذكر.

ا- **تحليل الميزانيات المختصرة للسنوات محل الدراسة:** في هذه المرحلة قام المراجع الخارجي بدراسة مجموعة من النسب وذلك للوقوف على احتمال وجود أخطاء للقوائم المالية موضع التدقيق وللقيام بعملية حساب وتحديد المؤشرات والنسب المالية من خلال الملحق رقم (01) كما يلي:

✓ **نسب التمويل (النسب الهيكلية):** تقيس نسب التمويل درجة اعتماد المؤسسة على أموال الغير في تمويل انشطتها، ويكتب المدى الذي تذهب اليه المؤسسة في الاقتراض أهمية خاصة من جوانب عديدة أهمها التأثير على كل من العائد والخطر وتتمثل أهم النسب في:

الجدول رقم (01): نسب التمويل للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
نسبة التمويل الدائم = (الاموال الدائمة / الاصول الثابتة)	الأموال الدائمة	65 675 025,75	73 659 742,74	68 730 225,02
	الاصول الثابتة	68 090 422,05	60 124 584,63	54 006 630,10
	نسبة التمويل الدائم	0,96	1,23	1,27
نسبة التمويل الخاص = (الاموال الخاصة / الاصول الثابتة)	الأموال الخاصة	37 446 688,91	46 235 224,11	48 333 379,95
	الاصول الثابتة	68 090 422,05	60 124 584,63	54 006 630,10
	نسبة التمويل الخاص	0,55	0,77	0,89

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (01) نلاحظ أن:

- **نسبة التمويل الدائم** لسنة 2022 هو أقل من الواحد وبالتالي فإن جزء من الاصول الثابتة قد مول عن طريق القروض قصيرة الأجل الأمر الذي يتطلب الحصول على تغطية اضافية، أما بالنسبة لسنتي 2023 و2024 فنلاحظ ثبات في النسبة وتجاوزت الواحد مما يدل على أن هناك تغطية كافية للأصول الثابتة من طرف الأموال الدائمة المتاحة لدى المؤسسة.

– **نسبة التمويل الخاص** للسنوات الثلاثة أقل من الواحد ومعنى ذلك أن المؤسسة لم تستطيع تمويل أصولها بواسطة أموالها الخاصة، الأمر الذي يتطلب ضرورة الحصول على قروض طويلة او قصيرة اضافية من أجل تمويلها.

✓ **نسب المديونية:** تبين لنا هذه النسب مدى اعتماد المؤسسة في تمويل استثماراتها على مواردها المالية الذاتية وعلى الاموال الأجنبية، من أهم هذه النسب ما يلي:

الجدول رقم (02): نسب التمويل للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
نسبة القدرة على التسديد = (الديون المتوسطة وطويلة الاجل / مجموع الاصول)	مجموع الديون	77 209 431،46	70 167 656،32	50 873 064،94
	مجموع الأصول	114 656 120،37	116 402 880،43	99 206 444،89
	نسبة القدرة على التسديد	0,67	0,60	0,51
نسبة الاستقلالية المالية = (الاموال الخاصة/مجموع الخصوم)	الاموال الخاصة	37 446 688,91	46 235 224,11	48 333 379,95
	مجموع الخصوم	114 656 120,37	116 402 880,43	99 206 444,89
	نسبة الاستقلالية المالية	0,33	0,40	0,49

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (02) نلاحظ أن

– **نسبة القدرة على التسديد** خلال السنوات الثلاث أكبر من النصف وهذا يدل ان المؤسسة محل الدراسة تعتمد على الدين في تمويل أصولها والتزاماتها وقد يؤدي هذا إلى تعرضها للخطر نتيجة الأعباء الواقعة عليها بسبب زيادة الاقتراض أو الديون الأخرى.

– **نسبة الاستقلالية المالية** تساوي 33% و40% للسنتين 2022 و2023 على التوالي يعني أن المؤسسة لا تتمتع باستقلالية مالية مرتاحة عكس ما نلاحظه في سنة 2024 حيث قاربت نسبة الاستقلالية المالية 50% وهذا نتيجة ارتفاع ملحوظ لمستوى الاموال الخاصة حيث تعبر هذه النسبة عن ارتياح مالي للمؤسسة.

✓ **نسب السيولة:** هي النسب التي تقيس العناصر السائلة والأقرب الى السيولة من أجل معرفة أن المؤسسة لا تعاني عسر مالي في مجال سداد التزاماتها أي معرفة مدى قدرة المؤسسة على مسايرة التزاماتها قصيرة الأجل، اذن هذه النسب تقيس وضعية المؤسسة من حيث توازنها المالي قصير الاجل، ويتم حساب هذه النسب للسنوات 2022، 2023، 2024 كما هو مبين في الجدول أدناه:

الجدول رقم (03): نسب السيولة للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
نسبة السيولة العامة = (الأصول المتداولة/ ديون قصيرة الأجل)	الاصول المتداولة	46 565 698,32	56 278 295,80	45 199 814,79
	ديون قصيرة الأجل	48 981 094,62	42 743 137,69	30 476 219,87
	نسبة السيولة العامة	0,95	1,32	1,48
نسبة السيولة السريعة = (الأصول المتداولة – المخزون / الديون قصيرة الأجل)	الاصول المتداولة	46 565 698,32	56 278 295,80	45 199 814,79
	المخزون	5 485 152,16	6 537 980,64	3 726 408,58
	ديون قصيرة الأجل	48 981 094,62	42 743 137,69	30 476 219,87
	نسبة السيولة السريعة	0,84	1,16	1,36
نسبة السيولة الجاهزة = (القيم الجاهزة /الديون قصيرة الأجل)	القيم الجاهزة	10 729 482,71	25 346 725,97	17 426 559,85
	ديون قصيرة الأجل	48 981 094,62	42 743 137,69	30 476 219,87
	نسبة السيولة الجاهزة	0,22	0,59	0,57

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (03) نلاحظ أن:

– **نسبة السيولة العامة** في سنة 2022 كانت أقل من الواحد وهذا يدل على أنه لا توجد تغطية تامة من الاصول المتداولة للديون قصيرة الأجل وهنا نستطيع القول أن المؤسسة كانت تعاني من عسر مالي في مجال سداد التزاماتها قصيرة الأجل، أما في سنة 2023 و2024 ارتفعت النسبة الى 1.32 ثم الى 1.48 وهذه دلالة على أنه توجد تغطية تامة من الاصول المتداولة للديون قصيرة الأجل وهي في ارتفاع مستمر وصل الى فائض بنصف قيمتها في السنة الأخيرة وعليه فأن المؤسسة صارت في حالة يسر في مجال سداد التزاماتها قصيرة الأجل وهذا راجع الى تغيير المؤسسة لسياستها المالية وعملية تحصيل للزبائن.

– **نسبة السيولة السريعة** في سنة 2022 كانت أقل من الواحد كذلك، وعليه كانت فإن المؤسسة غير قادرة على مواجهة التزاماتها القصيرة الاجل بدون اعتمادها على المخزون، أما في السنوات 2023 و2024 نلاحظ أن النسبة أكبر من الواحد وفي ارتفاع مستمر وعليه فإن المؤسسة قادرة على مواجهة إلتزاماتها قصيرة الأجل دون بيع مخزونتها وإن المخزون غير ممول عن طرق الديون قصيرة الاجل.

– **نسبة السيولة الجاهزة** كانت متقاربة ولا تتجاوز الواحد فإننا نستطيع القول أن المؤسسة لا توجد بها أموال معطلة أو سيولة غير مستغلة وبالتالي فهي في حالة مثلى من هذه الناحية، إلا أننا لحظنا أن النسبة السيولة الجاهزة ارتفعت من سنة 2022 الى سنة 2023 ثم استقرت نوعا ما في سنة 2024 وهذا يعود الى أن

القيم الجاهزة ارتفعت الى أكثر من الضعف خلال تلك السنة وهذا بسبب عملية تحصيل الزبائن لمستحقاتهم حينها.

✓ **نسب النشاط**: تستخدم هذه النسب لتقييم مدى نجاح المؤسسة في ادارة اصولها، وتقيس مدى كفاءتها في استخدام الموارد المتاحة لها في اقتناء الاصول، ومدى قدرتها على الاستخدام الامثل لهذه الاصول، وتحقيق أكبر حجم من المبيعات وبالتالي من الارباح، تتمثل أهم النسب فيما يلي:

الجدول رقم (04): نسب النشاط للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
نسبة دوران مجموع الأصول = رقم الأعمال/ مجموع الأصول	رقم الأعمال	175 921 866,80	200 452 919,72	180 792 779,54
	مجموع الأصول	114 656 120,37	116 402 880,43	99 206 444,89
	نسبة دوران مجموع الأصول	1,53	1,72	1,82
نسبة دوران الأصول المتداولة = رقم الأعمال / الأصول المتداولة	رقم الأعمال	175 921 866,80	200 452 919,72	180 792 779,54
	الأصول المتداولة	46 565 698,32	56 278 295,80	45 199 814,79
	نسبة دوران الأصول المتداولة	3,78	3,56	4,00
نسبة دوران الأصول غير المتداولة = رقم الأعمال / الأصول غير المتداولة	رقم الأعمال	175 921 866,80	200 452 919,72	180 792 779,54
	الأصول غير المتداولة	68 090 422,05	60 124 584,63	54 006 630,10
	نسبة دوران الأصول غير المتداولة	2,58	3,33	3,35

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (04) نلاحظ أن:

– **نسبة دوران مجموع الأصول** خلال هذه السنوات الثلاثة هو متقارب وفي ارتفاع منتظم وهو أكبر من الواحد مما يدل أن أصول المؤسسة قادرة على توليد المبيعات من خلال استخدام إجمالي الاصول بشكل مرة ونصف في سنة 2022 الى حدود مرتين في سنة 2024، كما نشير أن رقم الاعمال كان دائما أكبر من مجموع الاصول وهذا راجع لطبيعة نشاط المؤسسة التي تنشط في مجال انتاج الحليب.

– **نسبة دوران مجموع الأصول المتداولة** خلال هذه السنوات الثلاثة هو متقارب بحيث أن الأصول المتداولة للمؤسسة قادرة على توليد المبيعات بثلاثة مرات ونصف في سنة 2022 الى حدود أربع مرات تماما في سنة 2024، كما اننا نستطيع القول أن المؤسسة تستخدم مواردها المتاحة من الأصول المتداولة بكفاءة وهي تحقق اكبر حجم من المبيعات وبالتالي من الارباح.

– نسبة دوران الأصول غير المتداولة دائما في ارتفاع مستمر بحيث أن الأصول غير المتداولة للمؤسسة قادرة على توليد المبيعات بمرتين مرات ونصف في سنة 2022 الى أكثر من ثلاثة مرات في سنة 2024، كما اننا نستطيع القول أن المؤسسة تستخدم مواردها المتاحة من الأصول غير المتداولة بكفاءة وهي تحقق اكبر حجم من المبيعات وبالتالي من الارباح.

هـ– نسب المردودية (الربحية): تعكس المردودية نتائج النسب المشار اليها سابقا، حيث انها تقيس مدى تحقيق المؤسسة للمستويات المتعلقة بأداء الانشطة، كما أنها تعبر عن محصلة نتائج السياسات والقرارات التي اتخذتها ادارة المؤسسة فيما يتعلق بالسيولة والمديونية وتضم المؤشرات الآتية:

الجدول رقم (05): نسب المردودية للسنوات محل الدراسة **الوحدة (دج)**

البيان / السنة		2022	2023	2024
نسبة مردودية النشاط = (الربح الاجمالي/ رقم الاعمال)	الربح الإجمالي	–9 205 554,18	3 647 378,77	4 039 460,33
	رقم الأعمال	175 921 866,80	200 452 919,72	180 792 779,54
	نسبة مردودية النشاط	–0,05	0,02	0,02
نسبة مردودية الاقتصادية = (الربح الاجمالي / مجموع الاصول)	الربح الإجمالي	–9 205 554,18	3 647 378,77	4 039 460,33
	مجموع الأصول	114 656 120,37	116 402 880,43	99 206 444,89
	نسبة المردودية الاقتصادية	–0,08	0,03	0,04
نسبة المردودية المالية = (الربح الاجمالي/ الأموال الخاصة)	الربح الإجمالي	–9 205 554,18	3 647 378,77	4 039 460,33
	الأموال الخاصة	37 446 688,91	46 235 224,11	48 333 379,95
	نسبة المردودية المالية	–0,25	0,08	0,08

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (05) نلاحظ أن

– نسبة مردودية النشاط في سنة 2022 كانت سالبة بـ (0,05) وهذا راجع للخسارة المسجلة، أما بالنسبة لسنتين 2023 و2024 فنسجل ارتفاع بالإيجاب للنسبة واستقرارها في حدود الدرجة المثلى (0,02) للسنتين على التوالي أي أن 1 دينار من رقم الأعمال يحقق ربح اجمالي قدره 0,02 دج لكلا السنتين، وبالفحص والتدقيق عن سبب تلك القيم للسنوات محل الدراسة تبين انها تعود لتحسن في نشاط المؤسسة بعد اضطرابات في عملية التموين بالمواد الأولية في سنة 2022 ثم استقرارها بعد ذلك، حيث نشير للنسبة المتمثلة في 2% من الربحية التي تعتبر ضئيلة نوعا ما تعود الى ان نشاط المؤسسة انتاجي وأن المجال الذي تنشط فيه يتميز بهوامش ربح ضئيلة.

– نسبة المردودية الاقتصادية كانت سالبة في سنة 2022 بنسبة (0,08) وذلك لتسجيل المؤسسة لخسائر في النتيجة ويعني ذلك أن المؤسسة وبإستخدام جميع أصولها حققت مردودية سالبة، ثم ارتفعت بالإيجاب الى (0,03) في سنة 2023 ثم الى (0,04) في سنة 2024 أي أن 1 دينار من رقم الأعمال يحقق ربح اجمالي قدره 0,03 دج و0,04 دج لسنتي 2023 و2024 على التوالي، ويعود ذلك الى تحسن في فعالية استخدام مجموع الأصول.

– نسبة المردودية الاقتصادية كانت سالبة في سنة 2022 بنسبة (0,25) وذلك لتسجيل المؤسسة لخسائر في النتيجة، أما بالنسبة لسنتين 2023 و2024 فنسجل ارتفاع بالإيجاب للنسبة واستقرارها في حدود (0,08) للسنتين على التوالي أي أن 1 دينار من رقم الأعمال يحقق ربح اجمالي قدره 0,08دج لكلى السنتين، وهذا راجع للاستخدام الأمثل للمواد المالية للمؤسسة والمتمثلة في أموالها الخاصة التي ارتفعت بشكل ملحوظ.

3– حساب مؤشرات التوازن المالي: هناك ثلاثة مؤشرات للتوازن المالي نذكر منها رأس المال العامل، احتياجات رأس المال العامل، الخزينة.

ا – رأس المال العامل: يعتبر رأس المال العامل اداة من أدوات التحليلي المالي المستعملة في تقييم البنية المالية للمؤسسة والحكم على مدى توازنها المالي، خاصة على المدى القصير وذلك بتاريخ معين، ويمكن تقسيم رأس المال العامل الى:

الجدول رقم (06): مختلف رأس المال العامل للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
رأس المال العامل الإجمالي = مجموع الأصول المتداولة	قيم الاستغلال	5 485 152،16	6 537 980،64	3 726 408،58
	قيم محققة	30 351 063،45	24 393 589،19	24 046 846،36
	قيم جاهزة	10 729 482،71	25 346 725،97	17 426 559،85
	رأس المال العامل الإجمالي	46 565 698،32	56 278 295،80	45 199 814،79
رأس المال العامل الصافي (الدائم) = الأموال الدائمة – الأصول الثابتة	الأموال الدائمة	65 675 025,75	73 659 742,74	68 730 225,02
	الأصول الثابتة	68 090 422,05	60 124 584,63	54 006 630,10
	رأس المال العامل الدائم	–2 415 396,30	13 535 158,11	14 723 594,92
رأس المال العامل الخاص = الأموال الخاصة – الأصول الثابتة	الأموال الخاصة	37 446 688،91	46 235 224،11	48 333 379،95
	الأصول الثابتة	68 090 422,05	60 124 584,63	54 006 630,10
	رأس المال العامل الخاص	–30 643 733,14	–13 889 360,52	–5 673 250,15
رأس المال العامل الأجنبي = مجموع الديون	ديون طويلة ومتوسطة الأجل	28 228 336،84	27 424 518،63	20 396 845،07
	ديون قصيرة الأجل	48 981 094،62	42 743 137،69	30 476 219،87
	رأس المال العامل الأجنبي	28 228 336,84	27 424 518,63	20 396 845,07

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول رقم (06) نلاحظ ما يلي:

– **رأس المال العامل الإجمالي**: نلاحظ انه تزايد خلال سنة 2023 ثم عاد الى مكان عليه في سنة 2024 وهذا راجع للارتفاع في القيم الجاهزة نتيجة تحصيل الزبائن حينها.

– **رأس المال العامل الدائم**: رأس المال العامل سالب في دورة 2022 معناه أن الأموال الدائمة أقل من الأصول الثابتة أي في هذه الحالة الأموال الدائمة غير كافية لتمويل جميع الاحتياجات المالية الثابتة، مما يستدعي البحث عن موارد مالية أخرى (الديون قصيرة الأجل) لتغطية العجز في التمويل، أما بالنسبة للدورتين 2023 و2024 فكان رأس المال العامل موجب وهذا يدل على أن الأموال الدائمة أكبر من الاصول الثابتة أي أن رأس المال العامل يعبر عن فائض الأموال الدائمة المتبقي بعد تمويل كل الاصول الثابتة أي أن المؤسسة استطاعت تمويل جميع استثماراتها بواسطة مواردها المالية الدائمة، ما يدل على ان المؤسسة في وضع مالي جيد يسمح لها بتسديد التزاماتها قصيرة الاجل.

– رأس المال العامل الخاص: نلاحظ انه سالب في جميع السنوات محل الدراسة وهذا يعني أن جزء من اصول المؤسسة الثابتة غير ممول من أموالها الخاصة وخاصة في السنة الاولى ثم بدأ بالتحسن من سنة إلى أخرى وذلك نتيجة انتهاج المؤسسة استراتيجية خاصة في سياسة قروضها وذلك بالرفع من أموالها الخاصة وتقليصها للديون.

– رأس المال العامل الأجنبي: نلاحظ أنه في تناقص ملحوظ من سنة الى اخرى وهذا يعني أن إجمالي الديون في تناقص مستمر مما يعبر عن نجاعة وفاعلية في السياسة المتبعة من طرف المؤسسة من حيث تقليص اجمالي الديون.

ب – احتياجات رأس المال العامل: بمعنى رأس المال العامل الامثل أي ذلك الجزء من الاموال الدائمة الممول لجزء من الاصول المتداولة والذي يضمن للمؤسسة توازنها المالي الضروري ويتم حسابه وفقا للجدول الموالي:

الجدول رقم (07): مختلف رأس المال العامل للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
احتياجات رأس المال العامل = (الأصول المتداولة – القيم الجاهزة) – (الديون قصيرة الأجل– قروض مصرفية)	الاصول المتداولة	46 565 698,32	56 278 295,80	45 199 814,79
	القيم الجاهزة	10 729 482,71	25 346 725,97	17 426 559,85
	ديون قصيرة الأجل	48 981 094,62	42 743 137,69	30 476 219,87
	احتياجات رأس المال العامل	–13 144 879,01	–11 811 567,86	–2 702 964,93

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن احتياجات راس المال العامل سالبة لثلاثة دورات متتالية ما يعني أنه لا توجد تغطية لراس المال العامل لمواجهة احتياجات السيولة عند مواعيد استحقاق الديون قصيرة الأجل، وتضمن تسيير دورة الاستغلال بصفة عادية وبالتالي المؤسسة في حالة حرجة، عليها بإيجاد حالة تضمن لها توازنها المالي.

ج– الخزينـــة: خزينة المؤسسة هي مجموع الأموال التي تكون تحت تصرفها خلال دورة الاستغلال، وتشمل صافي القيم الجاهزة أي ما تستطيع التصرف فيه فعلا من مبالغ سائلة، ويمكن توضيحها من خلال الجدول الموالي:

الجدول رقم (08): الخزينة للسنوات محل الدراسة الوحدة (دج)

البيان / السنة		2022	2023	2024
رأس المال العامل – احتياجات رأس المال العامل	رأس المال العامل	**-2 415 396,30**	**13 535 158,11**	**14 723 594,92**
	احتياجات رأس المال العامل	**-13 144 879,01**	**-11 811 567,86**	**-2 702 964,93**
	الخزينـــة	**10 729 482,71**	**25 346 725,97**	**17 426 559,85**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن الخزينة موجبة للسنوات الثلاثة أي أن الموارد الدائمة تفوق الأصول الثابتة ويوجد فائض مكانه في شكل سيولة غير مستغلة، وهذا يعني أن المؤسسة تجمد جزء من أموالها وهذا ما يطرح مشكل المردودية وبالتالي عليها الموازنة بينهما.

3- دراسة تحليلية للمبيعات خلال السنوات محل الدراسة: بعد التطرق لحساب مختلف النسب والمؤشرات المالية للميزانيات السنوية الخاصة بثلاث سنوات الأخيرة 2022، 2023، 2024، ارتأينا أن نقوم بدراسة المبيعات وتحليلها من خلال تحليل المنتوجات ورقم الأعمال كذلك تحديد الانحرافات بين كل سنة والتي تليها ثم نستعرض بيانات تمثيلية لتطور مستوى المبيعات خلال كل فترة.

ا- تحليل المنتوجات ورقم الأعمال

✓ **حساب المبيعات لسنة 2022:** الجدول الموالي يوضح حجم المبيعات خلال سنة 2022:

الجدول رقم (09): جدول نسب كل منتوج مباع من اجمالي المبيعات لسنة 2022 الوحدة (دج)

المنتوجات المباعة	المبالغ بـ دج	نسبة كل منتوج
LAIT DE VACHE	33 787 221,00	19,21%
LAIT PASTEURISE SACHET	137 203 292,00	77,99%
LAIT FERMENTE SACHET	39 238,70	0,02%
RAIB SACHET	3 236 349,10	1,84%
CHERBET	131 481,90	0,07%
CAMEMBERT LA CHIFFA 250 GRS	670 933,62	0,38%
CAMEMBERT EL KALAA 125 GRS	853 350,48	0,49%
Ventes de produits finis	**175 921 866,80**	**100,00%**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ مختلف المنتوجات المباعة خلال سنة 2022 حيث أن رقم الأعمال مشكل بنسبة كبيرة من منتوج واحد والمتمثل في أكياس الحليب المبستر (LAIT PASTEURISE SACHET) والذي نسبته في حدود 80% وبشكل أقل منتوج حليب البقر بنسبة 19% من إجمالي

المنتوجات التي عددها الاجمالي 07 في تلك السنة حيث أن باقي المنتوجات نسبتها قليلة لأنها مشتقات من المنتوج الرئيسي المذكور أعلاه وهذا راجع لطبيعة نشاط المؤسسة، حيث بلغ رقم الأعمال الاجمالي السنوي بـ 175 921 866,80 دج.

✓ **حساب المبيعات لسنة 2023**: الجدول الموالي يوضح حجم المبيعات خلال سنة 2023:

الجدول رقم (10): جدول نسب كل منتوج مباع من اجمالي المبيعات لسنة 2023 **الوحدة (دج)**

المنتوجات المباعة	المبالغ بـ دج	نسبة كل منتوج
LAIT DE VACHE	25 295 892,00	12,63%
LAIT PASTEURISE SACHET	168 929 848,80	84,32%
LAIT FERMENTE SACHET	1 348 560,00	0,67%
RAIB SACHET	2 396 363,50	1,20%
CHERBET	104 310,00	0,05%
CAMEMBERT LA CHIFFA 250 GRS	397 660,44	0,20%
CAMEMBERT EL KALAA 125 GRS	263 845,32	0,13%
LAIT ECREME SACHET	1 359 728,00	0,68%
RAIB EN POT DE 0.6 L	236 715,78	0,12%
Ventes de produits finis	**200 332 923,84**	**100,00%**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ مختلف المنتوجات المباعة خلال سنة 2023 حيث أن رقم الأعمال لازال مشكل بنسبة كبيرة من نفس المنتوج السابق والذي ارتفعت نسبته الى حدود 84% وبشكل أقل منتوج حليب البقر الذي انخفضت نسبته الى 12% من إجمالي المنتوجات حيث زاد عددها بمنتوجين اضافيين مقارنة مع السنة السابقة بينما باقي المنتوجات نسبتها دائما قليلة، كما سجلنا ارتفع رقم الأعمال الاجمالي السنوي الى 200 33 923,84 دج ونفسر هذه الزيادة بقيام المؤسسة برفع من الطاقة الانتاجية وبالتالي زيادة في المنتوج الرئيسي والمتمثل في أكياس الحليب المبستر مما تطلب اشتقاق المؤسسة لمنتوجين اضافيين وارتفاع في مستوى استخراج منتوج الحليب المخمر (LAIT FERMENTE) كذلك، مما ساهم في ارتفاع رقم الاعمال.

✓ **حساب المبيعات لسنة 2024**: الجدول الموالي يوضح حجم المبيعات خلال سنة 2024:

الجدول رقم (11): جدول نسب كل منتوج مباع من اجمالي المبيعات لسنة 2024 الوحدة (دج)

المنتوجات المباعة	المبالغ بـ دج	نسبة كل منتوج
LAIT DE VACHE	9 687 636,00	5,36%
LAIT PASTEURISE SACHET	166 010 434,00	91,86%
LAIT FERMENTE SACHET	2 083 578,00	1,15%
RAIB SACHET	1 788 318,00	0,99%
CHERBET	112 124,70	0,06%
CAMEMBERT LA CHIFFA 250 GRS	457 585,56	0,25%
CAMEMBERT EL KALAA 125 GRS	271 581,66	0,15%
RAIB EN POT DE 0.6 L	305 034,62	0,17%
Ventes de produits finis	**180 716 292,54**	**100,00%**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ مختلف المنتوجات المباعة خلال سنة 2024 حيث أن رقم الأعمال لازال مشكل بنسبة كبيرة من نفس المنتوج السابق والذي ارتفعت نسبته الى حدود 92% وبشكل أقل منتوج حليب البقر الذي انخفضت نسبته الى 05% من إجمالي المنتوجات حيث نقص عددها بمنتوج واحد مقارنة مع السنة السابقة وهذا راجع لانخفاض في منتوج حليب البقر، كما سجلنا انخفاض في رقم الأعمال الاجمالي السنوي الى 180 716 292,54 دج ونفسر هذه الانخفاض بقيام المؤسسة بخفض انتاج حليب البقر ذو السعر الهام مما أثر على فقدان منتوج آخر أيضا وبالتالي على رقم الاعمال.

ب- تحديد الانحرافات المبيعات بين كل السنوات محل الدراسة

✓ **حساب الانحرافات بين 2022 و2023**: الجدول الموالي يوضح الانحرافات بين 2022 و2023:

الجدول رقم (12): جدول حساب الانحرافات بين 2022 و2023 الوحدة (دج)

المنتوجات المباعة	2022	2023	الانحرافات	نسبة الانحراف
LAIT DE VACHE	33 787 221,00	25 295 892,00	8 491 329,00	-25,13%
LAIT PASTEURISE SACHET	137 203 292,00	168 929 848,80	-31 726 556,80	23,12%
LAIT FERMENTE SACHET	39 238,70	1 348 560,00	-1 309 321,30	3336,81%
RAIB SACHET	3 236 349,10	2 396 363,50	839 985,60	-25,95%
CHERBET	131 481,90	104 310,00	27 171,90	-20,67%
CAMEMBERT LA CHIFFA 250 GRS	670 933,62	397 660,44	273 273,18	-40,73%
CAMEMBERT EL KALAA 125 GRS	853 350,48	263 845,32	589 505,16	-69,08%
LAIT ECREME SACHET	0	1 359 728,00	-1 359 728,00	/
RAIB EN POT DE 0.6 L	0	236 715,78	-236 715,78	/
Ventes de produits finis	**175 921 866,80**	**200 332 923,84**	**-24 411 057,04**	**13,88%**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

نلاحظ من خلال هذا الجدول مقارنة بين مبيعات عام 2022 و2023 حيث تم حساب الانحرافات لكل منتوج فوجدنا فوارق كبيرة بالنسبة لمنتوج واحد المتمثل في منتوج الحليب المخمر (LAIT FERMENTE) بحيث تضاعف 33 مرة مقارنة مع السنة الفارطة وهذا راجع لاهتمام المؤسسة باستغلال المنتجات المخزنة قبل تاريخ انتهاء صلاحيتها وتحويلها الى منتوج جديد قابل للاستهلاك مجددا وهذا نظرا لطبيعة المنتوجات الخاصة التي تنتجها المؤسسة كذلك نلاحظ فوارق معتبرة في انتاج الحليب المبستر وبالتالي يفسر ذلك الفرق في رقم الاعمال المسجل الذي ارتفع بنسبة 13.88% من قيمته بين السنتين محل الدراسة.

2- حساب الانحرافات بين 2023 و2024: الجدول الموالي يوضح الانحرافات بين 20223 و2024:

الجدول رقم (13): جدول حساب الانحرافات بين 2023 و2024 **الوحدة (دج)**

المنتوجات المباعة	2023	2024	الانحرافات	نسبة الانحراف
LAIT DE VACHE	25 295 892,00	9 687 636,00	15 608 256,00	-61,70%
LAIT PASTEURISE SACHET	168 929 848,80	166 010 434,00	2 919 414,80	-1,73%
LAIT FERMENTE SACHET	1 348 560,00	2 083 578,00	-735 018,00	54,50%
RAIB SACHET	2 396 363,50	1 788 318,00	608 045,50	-25,37%
CHERBET	104 310,00	112 124,70	-7 814,70	7,49%
CAMEMBERT LA CHIFFA 250 GRS	397 660,44	457 585,56	-59 925,12	15,07%
CAMEMBERT EL KALAA 125 GRS	263 845,32	271 581,66	-7 736,34	2,93%
LAIT ECREME SACHET	1 359 728,00	0	1 359 728,00	-100,00%
RAIB EN POT DE 0.6 L	236 715,78	305 034,62	-68 318,84	28,86%
Ventes de produits finis	**200 332 923,84**	**180 716 292,54**	**19 616 631,30**	**-9,79%**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

نلاحظ من خلال هذا الجدول مقارنة بين مبيعات عام 2023 و2024 حيث تم حساب الانحرافات لكل منتوج فوجدنا فوارق معتبرة بالنسبة لمنتوج واحد المتمثل في منتوج الحليب البقر (LAIT DE VACHE) بحيث انخفض بأكثر من 61,70 % مقارنة مع السنة الفارطة مما أثر على فقدان منتوج آخر

أيضا بنسبة كاملة وهو الحليب المنزوع الدسم (LAIT ECREME SACHET) بحكم انه مشتق من حليب البقر الذي انخفض بشكل حاد وبالتالي يفسر ذلك الفرق في رقم الاعمال الذي فقد ما نسبته 79 % من قيمته المسجلة بين السنتين محل الدراسة.

الخاتمة:

أصبح للمراجعة أهمية كبرى في الواقع الاقتصادي، حيث كانت هناك حاجة ملحة الى تبني نظام رقابي يضمن تسيير نشاط المؤسسة بفاعلية وكفاءة، ويساهم في تحقيق أهدافها ويعالج الانحرافات متى وقعت دون تأجيلها تفاديا لتأثيراتها السلبية، وتعد الإجراءات التحليلية من أهم الطرق المستخدمة في عملية المراجعة حيث تعمل على توجيه الاهتمام نحوى أرصدة الحسابات التي من المحتمل ان تحتوي على أخطاء جوهرية ومن بين العديد من أساليب المراجعة التحليلية التي تمت دراستها ومناقشتها نماذج التنبؤ البسيطة والنماذج المتكورة حيث تبين أن لهذه الأساليب تأثيرات متباينة على قدرتها على اكتشاف الأخطاء والتلاعب في محتوى القوائم المالية.

1- إختبار صحة الفرضيات: بالاعتماد على النتائج المتوصل اليها من خلال الفصول النظرية وتحليل نتائج الدراسة الميدانية نجد:

الفرضية الأولى: ونصت على: " استخدام الإجراءات التحليلية في الممارسة العملية يكون ضروريا في جميع مراحل المراجعة الخارجية لتحقيق أهداف هذه العملية."، حيث تم إثبات أنه لا يوجد وقت محدد من اجل تطبيق إجراءات الفحص التحليلي غير أنها تكون إلزامية في مرحلة التخطيط والمرحلة النهائية، في حين انها تكون اختيارية في مرحلة التنفيذ لكونها تعتمد على الاختبارات التفصيلية، وكذا في المرحلة الأولى أي مرحلة التخطيط يمكن تطبيق إجراءات التحليلية بناءا على الدراسة المبدئية لطبيعة الجهة من واقع تقسيمات العمل والنظم والعمليات والإجراءات التابعة، وبالنسبة للمرحلة الثانية يقوم المراجع بتحديد مدى استخدام الإجراءات التحليلية وفقا لتقديره المهني في مرحلة الفحص، وفي ضوء النتائج التي يتم التوصل إليها وفقا لأدلة الإثبات، فإذا كانت النتائج خلافا لما كان متوقعا، تطلب تحديد إجراءات مراجعة إضافية وتوسيع الفحص لإختبار بنود إضافية، والمرحلة الأخيرة ينبغي على المراجع تطبيق إجراءات التحليلية عند قرب نهاية مهمة التدقيق، ومن أهم النتائج التي يتم التوصل اليها في هذه المرحلة تحديد مدى معقولية العلاقات بين البيانات المالية والغير المالية،

وإذا تضمنت النتائج انحرافات ، كان لابد من إعادة تقييم إجراءات المراجعة المخطط لها ، وذلك إما بتمديد فترة المراجعة أو إجراء مراجعة آخر وفقا لأهمية وخطر تلك الانحرافات، وهذا ما يثبت صحة الفرضية الأولى.

الفرضية الثانية: ونصت على: "تستخدم الإجراءات التحليلية الكمية البسيطة للرفع من كفاءة وفعالية المراجعة من خلال مساعدتها على تخفيض مخاطر المراجعة وتخفيض تكلفة أدائها"، حيث ينفذ المراجع عملية التدقيق بطريقة أقل تكلفة وذلك بأقل مجهود ممكن، وتؤثر في درجة ثقة المدقق بتلك البيانات المستخدمة في الإجراءات التحليلية، حيث ان تلك الإجراءات التحليلية سابقة الذكر تؤثر بدرجة كبيرة في مدى دقة تنبؤات المراجع ومن ثم درجة الثقة والاعتماد على أدلة الإثبات التي يمكن للمراجع الحصول عليها من هذه الإجراءات، وهذا ما يثبت صحة الفرضية الثانية.

الفرضية الرابعة: ونصت على: "يهتم المراجع الخارجي "لمجمع أقرو للتغذية لاشيفا" بالمراجعة التحليلية خاصة الكمية البسيطة منها لضمان اداء جيد لعملية المراجعة الخارجية." المراجع الخارجي للمؤسسة محل الدراسة لا يهتم نهائيا بالإجراءات التحليلية مهما كان نوعها وهذا ما يعرضه الى خطر عدم ضمان فعالية عملية المراجعة الخارجية، وبالتالي عدم إكتشاف الأخطاء المحاسبية الواردة، وهذا ما ينفي صحة الفرضية الثالثة.

2- نتائج الدراسة: من أهم النتائج المتوصل إليها نذكر:

– تساهم إجراءات الفحص التحليلي في تحقيق كفاءة وفعالية عملية المراجعة وذلك لأنها تساعد المراجع في تحديد الأخطاء والمشاكل المحتملة مما يترتب عليه تقليل مخاطر الاكتشاف.

– لا يوجد توقيت محدد لتطبيق الإجراءات التحليلية في مراحل المراجعة، حيث يمكن استخدامها في جميع مراحل المراجعة وهذه المراحل هي مرحلة التخطيط ومرحلة التنفيذ والمرحلة النهائية.

– الاهتمام بالإجراءات التحليلية كوسيلة من الوسائل المتطورة في عملية المراجعة لما لها من أهمية كبيرة في تخفيض الوقت أداء عملية المراجعة، كذلك تخفيض تكلفتها.

– يؤدي استخدام المراجعة التحليلية الى اكتشاف نسبة ليست بالقليلة من الأخطاء الجوهرية للقوائم المالية وخاصة في ظل اعتماد تحليل النسب المالية.

– ان المراجعة التحليلية تحقق وتنجز العديد من الأهداف ومن أهمها الحصول على المزيد من المعلومات التي تتعلق بنشاطات المؤسسة، فهم عمليات العميل وكذلك تحديد التغيرات الهامة في القوائم المالية والتي تحتاج إلى عناية إضافية، خفض تكلفة ووقت وجهد عملية التدقيق وأيضا الحصول على أدلة وبراهين لمعقولية بعض الأرصدة لدعم تقرير المدقق.

– لا يهتم المراجع الخارجي للمؤسسة محل الدراسة نهائيا بالإجراءات التحليلية مهما كان نوعها وهذا ما يعرضه الى خطر عدم ضمان فعالية عملية المراجعة الخارجية، وعدم اكتشاف بعض الأخطاء الجوهرية للقوائم المالية المعدة من طرف المؤسسة.

3– الاقتراحات: تم التوصل الى مجموعة من الاقتراحات يمكن عرضها كما يلي:

– ضرورة تطبيق الإجراءات التحليلية بشكل فوري حتى تتمكن ادارة المؤسسة من قراءة الوضع المالي للمؤسسة بشكل جيد ومن تم اتخاذ قرارات ادارية سليمة.

– إعادة توجيه وتأهيل للموظفين الاداريين للمجمع محل الدراسة وتحسيسهم لدرجة خطورة عدم تطبيق نظام رقابة داخلي فعال.

– ان تفعيل نظام رقابة جيد يسمح للمجمع من اكتشاف الاخطاء والحد من بعض التلاعبات في بعض الحسابات والأرصدة

– عدم قيام المجمع بدراسات تنبؤية للمبيعات يكشف عن عدم الاهتمام بتحقيق مبيعات مستقبلية أو الرغبة في الوصول لأسواق جديد في المستقبل.

– عدم قيام مصلحة المحاسبة والمالية بإعداد موازنات تقديرية سنوية يبين عدم وجود استراتيجية واضحة للمجمع من شأنه دخول في أزمات مستقبلية وانه يواجه أخطار الاستمرارية.

– نلاحظ وجود طاقة تشغيلية معطلة كبيرة في المؤسسة تشكل عبئ عليها ويمنعها من تحقيق نتائج أفضل.

– التشجيع على تطبيق إجراءات الفحص التحليلي بالمكاتب المحاسبة والمراجعة في الجزائر من أجل دراسة العلاقات بين عناصر المعلومات المالية وعناصر المعلومات الغير المالية والتقليل من الأخطاء.

– عمل نشرات دورية توضح أهمية الإجراءات التحليلية وكيفية استخدام أساليبها ومزاياها، وتوزيع تلك النشرات على مكاتب المحاسبة وعلى مستخدمي القوائم المالية.

– ضرورة اختيار المستوى الملائم من إجراءات الفحص التحليلي والتوقيت المناسب لاستخدامها وفقا لظروف مهنة المراجعة والتقرير المهني للمراجع، وبما يكفل تحقيق التوازن بين فاعلية المراجعة وبتحقيق أهداف وكفاءة المراجعة وأداءه بأقل تكلفة.

– على مدققي الحسابات في الجزائر بذل المزيد من العناية المهنية أثناء الحصول على أدلة الإثبات من خلال الإجراءات التحليلية.

– توعية طلاب المحاسبة في الجامعات الجزائرية لأهمية المراجعة الخارجية وأنواعها، وبصفات خاصة الإجراءات التحليلية وتعليمهم كيفية تطبيقها وأهمية ذلك للمراجعين.

المراجع والمصادر:

– أحمد حلمي جمعة (2019)، **المدخل إلى التأكيد المعقول وفقا للمعايير الدولية للمراجعة**، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن.

– أحمد نور (1992)، **مراجعة الحسابات من الناحية النظرية والعلمية**، دار الجامعة، الإسكندرية.

– الفين أرينز، جيمس لوبك، ترجمة :عبد القادر الديسطي وحجاج أحمد حامد (2002)، **المراجعة مدخل متكامل**، دار المريخ للنشر، الرياض.

– أمين السيد أحمد لطفي (2005)، **التحليل المالي لأغراض تقييم ومراجعة الاداء والاستثمار في البورصة**، الدار الجامعية، الإسكندرية.

– رجب السيد، وآخرون (2000)، **أصول المراجعة**، الدار الجامعية، الإسكندرية.

– ساري حامد العبدلي (2011)، **أهمية استخدام الإجراءات التحليلية في مراحل التدقيق من قبل المراقبين الماليين (دراسة ميدانية في وزارة المالية في دولة الكويت)**، رسالة ماجستير، كلية الأعمال، جامعة الشرق الأوسط، الكويت.

– عبد الستار عبد الجبار الكبيسي (2008)، **تقييم فعالية الإجراءات التحليلية لتدقيق القوائم المالية للشركات المساهمة العامة (دراسة ميدانية في مكاتب وشركات التدقيق في الأردن)**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد 01، العدد 02.

– عبد الله عبد السلام سعيد ابو سرعة (2010)، **التكامل بين المراجعة الداخلية والمراجعة الخارجية**، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر 3، الجزائر.

– علي محمد موسى (2013)، **إجراءات المراجعة التحليلية ودورها في ترشيد الحكم الشخصي للمراجع**، المجلة الجامعية، المجلد 02، العدد 15، ص ص 309-342.

– عمار أكرم عمر الطويل (2008)، **مدى اعتماد المصارف على التحليل المالي للتنبؤ بالتعثر**، رسالة ماجيستر، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية –غزة–، فلسطين.

– محمد بوعبيدة، وآخرون (2019)، **تقارير المراجعة الخارجية من منظور التشريع الجزائري**، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، المجلد 08، العدد 02، ص ص 119-137.

– محمد عايش المطيري (2011)، **مدى التزام مكاتب التدقيق في دولة الكويت بالإجراءات التحليلية المنصوص عليها في معيار التدقيق الدولي رقم (520)**، رسالة ماجستير، كلية الأعمال، جامعة الشرق الأوسط، دولة الكويت.

- موراي شبيجل، ترجمة: شعبان عبد الحميد شعبان (1992)، **سلسلة ملخصات شوم – نظريات ومسائل في الإحصاء**، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.

- نيفين عبد الله أبو سمهدانة (2006)، **مجالات مساهمة استخدام المراجعة التحليلية في تخطيط وأداء عملية المراجعة – دراسة تحليلية لآراء مراجعي الحسابات بمكاتب وشركات المراجعة في قطاع غزة–** فلسطين–، رسالة ماجستير، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية– غزة–، فلسطين.

- وليد ناجي الحيالي (2007)، **التحليل المالي**، منشورات الأكاديمية العربية المفتوحة، الدانمارك.

- يوسف محمود جربوع (2008)، **مراجعة الحسابات بين النظرية والتطبيق**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن.

- Daniel D. Montgomery, and ALL (2002), **Auditors New Procedures for Detecting Frauds**, Journal of Accountancy, Vol. 13, No. 4, New York.

- Imoniana, Joshua Onome, and ALL (2012), **The Analytical Review Procedures in Audit: an Exploratory Study**, Advances in Scientific and Applied Accounting, Sao Paulo, v. 5, No. 2, pp 282-303.

- SAS No. 122, AU-C Section 520,**Analytical Procedures, Effective for Audits of financial statements for periods ending on or after December 15, 2012**, AICPA, https://www.aicpa.org/Research/Standards /Audit Attest/Down loadableDocuments/ AU-C-00520.pdf, 28-04-2025, 20h: 30m.

الملاحق

الملحق رقم (01): الميزانية المختصرة للفترة الممتدة من 2022–2024 **الوحدة دج**

الأصول	المبالغ			الخصوم	المبالغ		
	2022	2023	2024		2022	2023	2024
الاصول الثابتة	**68 090 422،05**	**60 124 584،63**	**54 006 630،10**	**أموال دائمة**	**65 675 025،75**	**73 659 742،74**	**68 730 225،02**
الاصول المتداولة	**46 565 698،32**	**56 278 295،80**	**45 199 814،79**	أموال خاصة	37 446 688،91	46 235 224،11	48 333 379،95
قيم الاستغلال	5 485 152،16	6 537 980،64	3 726 408،58	ديون طويلة ومتوسطة الأجل	28 228 336،84	27 424 518،63	20 396 845،07
قيم محققة	30 351 063،45	24 393 589،19	24 046 846،36				
قيم جاهزة	10 729 482،71	25 346 725،97	17 426 559،85	**ديون قصيرة الأجل**	**48 981 094،62**	**42 743 137،69**	**30 476 219،87**
مجموع الأصول	**114 656 120،37**	**116 402 880،43**	**99 206 444،89**	**مجموع الخصوم**	**114 656 120،37**	**116 402 880،43**	**99 206 444،89**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد المعلومات المقدمة من المؤسسة

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

Trump's Tariff Policies and Their Economic Implications for Arab Countries

Tebra Mokaddem[1]
Mustapha Stambouli University - Mascara - Algeria
m.tebra@univ-mascara.dz
Kaouther Bouchama[2]
Mohamed Boudiaf University -Msila- Algeria
Kaouther.bouchama@univ-msila.dz
Souhila Boudaoud[3]
Mohamed Ben Ahmed University - Oran2 - Algeria
Boudaoud.souhila.algeria@gmail.com

Abstract:

This paper investigates the United States' trade policies under President Donald Trump, which marked a distinct shift toward economic nationalism and a retreat from multilateral trade frameworks. The study aims to assess the economic repercussions of these tariff-oriented policies on Arab countries economies that are structurally fragile and heavily influenced by global market dynamics. A hybrid methodology combining comparative analysis, quantitative indicators, and critical reviews of regional and international literature was employed. The findings reveal that the Trump administration's tariff measures had far-reaching impacts beyond direct trade partners. Arab economies, though not all deeply integrated with the U.S. market, experienced indirect consequences such as disrupted supply chains, global demand fluctuations, and volatile oil prices. These effects were further amplified by ongoing geopolitical tensions across the Middle East, compounding economic vulnerabilities and exposing the inadequacy of current customs frameworks in the region. The study concludes that Arab countries must rethink their customs and trade strategies through greater regional integration, economic self-reliance, and forward-looking policy design.

Keywords: Trade policies;Trump administration; Arab economies; trade wars; economic protectionism.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

السياسات الجمركية الترامبية وانعكاساتها الاقتصادية على الدول العربية

تبرة مقدم[1]
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر الجزائر
m.tebra@univ-mascara.dz
كوثر بوشامة[2]
جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر
Kaouther.bouchama@univ-msila.dz
سوهيلة بوداود[3]
جامعة أحمد بن بلة وهران الجزائر
Boudaoud.souhila.algeria@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة السياسات الجمركية التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة رئاسة دونالد ترامب، والتي تميزت بعودة قوية للنزعة الحمائية التجارية، وانسحاب نسبي من التزامات النظام التجاري متعدد الأطراف. وتهدف الورقة إلى تحليل الانعكاسات الاقتصادية لهذه السياسات على الدول العربية، التي تشكل فضاءا اقتصاديا هشا ومتأثرا بالتقلبات العالمية. اعتمدت الدراسة منهجا تحليليا مقارنا، يستند إلى نماذج كمية وقراءات وصفية لمجموعة من المؤشرات الاقتصادية والتجارية، إلى جانب تحليل دراسات سابقة إقليمية ودولية ذات صلة .أظهرت نتائج الدراسة أن السياسات الجمركية الترامبية لم تكن تأثيراتها محصورة بالدول الشريكة تجاريا مع الولايات المتحدة، بل امتدت إلى الاقتصادات العربية عبر قنوات غير مباشرة، أهمها تراجع الطلب العالمي، واضطراب سلاسل الإمداد، وتذبذب أسعار النفط. كما بينت الدراسة أن هذه الانعكاسات تفاعلت مع التوترات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط، لتضاعف من هشاشة البنى الاقتصادية العربية، وتكشف عن قصور في البنية الجمركية وآليات الحماية التجارية.خلصت الدراسة إلى ضرورة إعادة بناء السياسة الجمركية العربية على أسس التكامل الإقليمي والسيادة الإنتاجية، وتبني نهج استباقي للتعامل مع التحولات التجارية العالمية.

الكلمات المفتاحية: السياسات الجمركية، ترامب، الدول العربية، الحروب التجارية، الحمائية الاقتصادية.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03-2025/06/
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

تعد السياسات الجمركية إحدى أقدم أدوات التنظيم الاقتصادي التي استخدمتها الدول لحماية أسواقها، وضبط تدفق السلع والخدمات، وتوجيه حركة التجارة الخارجية بما يخدم أولوياتها السيادية. وقد تطورت هذه السياسات عبر الزمن من مجرد وسيلة للجباية إلى آلية إستراتيجية في قلب التفاعلات الاقتصادية والدبلوماسية بين الدول. وفي عالم تتزايد فيه درجة الترابط والاعتماد المتبادل، أصبحت الرسوم الجمركية أداة ضغط ومناورة، لا تقل تأثيرا عن العقوبات السياسية أو التحالفات الأمنية.

لقد شكلت التجارة الخارجية أحد أبرز روافد التكامل بين الدول، وأداة لتحقيق النمو الاقتصادي المشترك، لاسيما في العالم العربي الذي يرتبط داخليا بشبكة مصالح اقتصادية، وخارجيا بمسارات تجارية متشعبة مع القوى الكبرى. ومع ذلك، فإن هذه التجارة كثيرا ما تعطلت بسبب النزاعات السياسية، والتوترات الحدودية، وضعف البنى التحتية، ناهيك عن غياب الرؤية الاقتصادية الإقليمية الموحدة. وفي خضم هذا المشهد المتقلب، جاءت السياسات الجمركية التي تبناها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لتشكل زلزالا في بنية النظام التجاري العالمي.

لقد كانت الإجراءات التي فرضت على الصين تحديدا بما في ذلك الرسوم الباهظة على مئات السلع كفيلة بإعادة تشكيل سلاسل الإمداد العالمية، وإشاعة مناخ من اللايقين في الأسواق .وما بدأ كمواجهة ثنائية بين واشنطن وبكين، سرعان ما تسربت آثاره إلى أطراف غير مباشرة، من بينها الدول العربية، التي بدأت تشعر بتقلص هامش المناورة في علاقاتها التجارية، وبتنامي المخاطر الناتجة عن الانكشاف على الاقتصاد العالمي.

ومع تصاعد الحمائية الاقتصادية الأمريكية، يطرح تساؤل عميق نفسه: هل خدمت السياسات الجمركية الترامبية فعلا الاقتصاد الأمريكي؟ أم أنها كانت خطأً استراتيجيا أعاد تشكيل موازين القوى الاقتصادية بطريقة معاكسة لما خطّط له؟ فبينما هدفت هذه السياسات إلى تقليص العجز التجاري وحماية الوظائف الأمريكية، إلا أن آثارها التضخمية، وردود الفعل الانتقامية من شركاء كبار مثل الصين والاتحاد الأوروبي، قد ساهمت في خلق أجواء من التوتر وعدم اليقين على مستوى الاقتصاد العالمي، وأثرت حتى على الشركات الأمريكية العاملة في الأسواق الخارجية.

ما يثير الاهتمام هنا أن ارتدادات هذه السياسات لم تستدع مراجعة جدية على مستوى العلاقة مع الدول العربية، بل ظلت هذه الأخيرة في موقع المتأثر السلبي غير الفاعل. في حين أن التصادم التجاري الحقيقي

كان وما يزال مع الأقطاب الكبرى كالصين وأوروبا، الذين امتلكوا أدوات الرد والضغط المضاد. أما الدول العربية، فوجدت نفسها مجددا أمام متغير خارجي ضاغط، دون امتلاك الحد الأدنى من أدوات الحماية الجماعية أو آليات المناورة الاقتصادية.

ومن هذا المنطلق، لا تأتي هذه الورقة في إطار موقف مضاد للسياسات الجمركية في حد ذاتها، فهي تبقى ضرورة سيادية في أحيان كثيرة. ولكنها تدعو إلى الحذر من الإفراط في استخدامها بشكل يعمق الانقسامات ويقوض الاستقرار التجاري العالمي. إن ما يحتاجه العالم والمنطقة العربية تحديدا هو إعادة صياغة لعلاقة الجمارك بالتنمية، في ضوء ما تفرضه الحمائية الجديدة من تحديات وفرص.

من هنا، تطرح هذه الدراسة تساؤلا جوهريا: كيف انعكست السياسات الجمركية الترامبية على الواقع الاقتصادي للدول العربية؟ وما هي آليات الانتقال، وحدود التأثير، وسبل المواجهة؟ وللإجابة، اعتمدت الدراسة مقاربة تحليلية نقدية تستند إلى بيانات مرجعية وتحليلات مقارنة، في محاولة لفهم ما وراء التعريفات الجمركية من أهداف سياسية وتوجهات استراتيجية.

الإشكالية:

في أزمنة الاضطراب والتحول، تصبح السياسة الاقتصادية مرآة صادقة لميزان القوة العالمي .فالقرارات التي تتخذ في عواصم القوى الكبرى لا تبقى محصورة داخل حدودها، بل تمتد موجاتها لتصيب اقتصادات بعيدة لم تشارك في صياغة القرار، لكنها تدفع ثمنه.

وقد كانت السياسات الجمركية التي انتهجتها الولايات المتحدة خلال إدارة ترامب مثالا صارخا على هذا النوع من "القرارات العابرة للحدود."

لقد أُعلنت الحروب التجارية بلغة الأرقام، لكن مفاعيلها كانت جيوسياسية بامتياز. إذ لم تكن الرسوم المفروضة على الصين أو أوروبا مجرد أداة مالية، بل تعبيرا عن إرادة سياسية في كسر قواعد العولمة، وإعادة تعريف مفاهيم السيادة الاقتصادية. وسط هذا الإعصار، لم يكن للدول العربية أي موقع تفاوضي يذكر، بل وجدت نفسها في موقع التلقي، تعاني من اهتزاز الأسواق، وتراجع فرص التصدير، وارتفاع تكاليف الاستيراد، دون أن تملك آليات استجابة جماعية أو حتى رؤية موحدة.

وما يجعل الوضع أكثر تعقيدا هو أن الاقتصاد العربي ذاته هش في بنيته، غير متكامل في منطقه، وتحيط به أزمات سياسية وأمنية خانقة .من هنا، لا يكفي أن نرصد التأثيرات، بل يجب أن نسائل طبيعتها، ومساراتها،

وحدود خطورتها، بل وأن نبحث عما إذا كانت السياسات الجمركية الترامبية قد كشفت خللا بنيويا أعمق في النظام التجاري العربي.

الإشكالية الرئيسية:

انطلاقا مما سبق، تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة حول التساؤل التالي:

إلى أي مدى انعكست السياسات الجمركية الترامبية على الأوضاع الاقتصادية في الدول العربية، من حيث التجارة، النمو، والاستقرار؟

التساؤلات الفرعية:

إن الإشكالية الجوهرية التي تطرحها هذه الدراسة لا يمكن تفكيك أبعادها إلا من خلال الغوص في تفاصيلها المركّبة، وفهم مسارات التأثير، ونقاط الاختناق، والروابط غير المرئية بين السياسات الأمريكية والتحولات الاقتصادية العربية. ولتحقيق ذلك، كان لا بد من طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تساعد في رسم خريطة دقيقة لتفاعلات الظاهرة المدروسة، وتمنح الدراسة بعدا استقصائيا أوسع.

- ما هي القنوات التي انتقلت عبرها آثار السياسات الجمركية الترامبية إلى الاقتصاديات العربية؟
- كيف تفاعل النظام الاقتصادي العربي، بمختلف مكوناته، مع هذه السياسات من حيث الاستجابة أو العجز؟
- ما أوجه القصور التي كشفتها هذه التجربة في السياسات الجمركية العربية على المستوى المؤسسي والوظيفي؟

الفرضيات:

ولأن البحث العلمي لا يكتمل دون فرضيات تستند إلى منطق تفسيري يستشرف الإجابات المحتملة، فإن هذه الدراسة تقوم على فرضيات أولية تستند إلى مؤشرات وتحليلات سابقة، دون أن تدعي القطع أو اليقين. فالفرضيات هنا ليست غاية في ذاتها، بل أدوات تحليلية توجه النقاش، وتهيكل المقارنة، وتفتح المجال أمام اختبار مدى دقتها أو إعادة النظر فيها في ضوء النتائج.

الفرضية الأولى : السياسات الجمركية الترامبية أفرزت تأثيرات اقتصادية غير مباشرة على الدول العربية عبر اختلال سلاسل التوريد، وارتفاع كلفة المبادلات التجارية.

الفرضية الثانية : هشاشة الاقتصاديات العربية وانعدام التنسيق الإقليمي زادا من عمق التأثيرات السلبية لهذه السياسات.

الفرضية الثالثة : غياب مرونة في السياسات الجمركية العربية حد من قدرة الدول على التفاعل الإيجابي أو الوقائي مع التغيرات في بيئة التجارة العالمية.

أهداف الدراسة:

في مواجهة تصاعد الحمائية التجارية وتزايد التوترات الاقتصادية الدولية، تصبح الحاجة إلى قراءة للتداعيات الإقليمية ضرورة علمية إذ أن هذه الدراسة لا تكتفي بتوصيف الواقع، بل تسعى إلى تفكيكه ونقده، واضعة نصب أعينها جملة من الأهداف التي تمثل الركائز الأساس في فهم وتحليل انعكاسات السياسات الجمركية الترامبية على الفضاء العربي.

وعليه، تهدف هذه الورقة البحثية إلى:

- تحليل طبيعة السياسات الجمركية التي انتهجتها إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، واستجلاء منطلقاتها السياسية والاقتصادية.
- إبراز التأثيرات الاقتصادية غير المباشرة لهذه السياسات على الدول العربية، خصوصا في ظل هشاشة البنية التجارية وضعف التكامل الإقليمي.
- تقديم قراءة نقدية للسياسات الجمركية العربية، واقتراح سبل تطويرها بما يعزز المناعة الاقتصادية ويحد من الانكشاف على القرارات الخارجية.

المنهجية المعتمدة:

تتطلب دراسة ظاهرة بهذا التعقيد مقاربة متعددة الأبعاد، لا تقتصر على التحليل الكمي أو الوصفي، بل تسعى إلى الربط بين الاقتصادي والسياسي، بين المحلي والعالمي، وبين الواقعي والمحتمل. ومن هذا المنطلق، تم تبني منهج تحليلي نقدي، يقوم على:

- استخدام منهج وصفي تحليلي لاستعراض السياسات الجمركية الترامبية من خلال الوثائق الرسمية والبيانات الاقتصادية.
- توظيف منهج مقارن لمقارنة الآثار بين عدة أقاليم، مع التركيز على خصوصية الدول العربية.

- اعتماد منهج استشرافي في صياغة التوصيات، بما يتماشى مع التحديات المقبلة على الصعيدين الدولي والإقليمي.

وقد تم دعم هذا الإطار المنهجي بتحليل دراسات سابقة ، إلى جانب مؤشرات اقتصادية وتجارية حديثة، لضمان الموضوعية والدقة في عرض النتائج واستنباط التوصيات.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من تقاطعها مع لحظة حرجة يعاد فيها تشكيل ملامح النظام التجاري العالمي، حيث لم تعد السياسات الجمركية مجرد إجراءات تنظيمية، بل أضحت أدوات صراع ومواجهة بين القوى الاقتصادية الكبرى. وفي خضم هذا المشهد، تبدو الاقتصادات العربية وكأنها تمضي في حقل ألغام دولي دون درع أو بوصلة. من هنا، تأتي هذه الدراسة لتسد فجوة معرفية حقيقية في الأدبيات العربية، إذ نادرا ما جرى تحليل السياسات الجمركية الترامبية من زاوية انعكاساتها على المنطقة العربية تحديدا.

ولا تقتصر أهمية الدراسة على بعدها الأكاديمي، بل تمتد إلى بعدها التطبيقي، من خلال ما تقدمه من قراءة نقدية للواقع الجمركي العربي، واقتراحاتها الاستشرافية لتفعيل أدوات الحماية الاقتصادية وبناء مناعة تجارية في وجه التحولات المفاجئة. إنها دراسة تنفتح على الحاضر، لكنها تتطلع إلى المستقبل، وتسعى إلى تحفيز النقاش حول دور الجمارك كوسيلة استراتيجية لا كعبء بيروقراطي، في سياق إقليمي يفرض التحرك الجماعي لا الانكفاء القطري.

خطة الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على هيكل منهجي يتوزع على مقدمة نظرية وتحليلية، تليها أربعة محاور رئيسية، ثم خاتمة جامعة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

- الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للسياسات الجمركية
- الفصل الثاني: قراءة تحليلية في السياسات الجمركية الترامبية
- الفصل الثالث: انعكاسات السياسات الجمركية الترامبية على الدول العربية
- الفصل الرابع: تقييم السياسات الجمركية العربية وفرص الإصلاح

الدراسات السابقة:

على مدى العقد الجاري، عاد النقاش حول دور السياسات الجمركية كأداة إستراتيجية في التوازن التجاري والسيادة الاقتصادية، وبلغ ذروته مع سياسات إدارة ترامب، التي قلبت موازين التجارة الدولية وجعلت الجمارك سلعة للتفاوض السياسي وليس مجرد آلية مالية.

ولتأصيل هذا النقاش، تم الاعتماد على دراسات سابقة:

الدراسة الأولى:

"**مساهمات السياسات الجمركية في تحقيق تنمية مستدامة: دراسة حالة الجزائر**"، تأليف تومي رحاب الاسلام و علاوي صفية (**2021**)، تناولت بعدا حيويا في فهم السياسة الجمركية كأداة تنموية في الدول النامية. طرحت الدراسة إشكالية تتمثل في مدى قدرة السياسات الجمركية الجزائرية على الإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة، وذلك من خلال منهج وصفي تحليلي يستند إلى بيانات من وزارة المالية الجزائرية وديوان الجمارك.

أظهرت النتائج أن الجزائر شهدت ارتفاعا في الإيرادات الجمركية لتبلغ 1,053.8 مليار دج في 2019، إلا أن هذه الوفرة المالية لم تترجم بالضرورة إلى تحول تنموي عميق، نظرا لطغيان الطابع الجبائي على السياسة الجمركية، وضعف بعدها التحفيزي. وأوصت الدراسة بضرورة الانتقال من الجباية إلى التمكين، وتوسيع الأطر التنسيقية بين السياسة الجمركية وباقي السياسات الاقتصادية.

الدراسة الثانية:

"**الإصلاح الجمركي: مجالاته وأدواته – حالة الجزائر**"، للباحث **غمشي سعيد** و الدكتور **مهدي العربي** (**2020**)، طرحت إشكالية أكثر تقنية تتعلق بكيفية إصلاح المنظومة الجمركية الجزائرية بما يجعلها أكثر كفاءة وانسجاما مع التزامات الجزائر الدولية .استخدم الباحث منهجا مقارنا بين الوضع الحالي والمنشود، اعتمادا على نماذج من بلدان أوروبية وآسيوية، مع التركيز على التشريعات الجزائرية.

وأبرزت النتائج أن الإصلاحات الجزئية التي تم تبنيها، رغم أهميتها، بقيت عاجزة عن خلق تحول هيكلي، بسبب ضعف الرقمنة، واستمرار النمط البيروقراطي التقليدي .وتوصي الدراسة بإصلاحات عميقة على مستوى الحوكمة الجمركية، وتبني نماذج حديثة قائمة على التكامل المعلوماتي والتنسيق الجهوي.

ESCWAلجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، (2025) في تقريرها

"U.S. Tariffs Threaten $22 Billion in Arab Non-Oil Exports"

شرح أن صادرات العرب غير النفطية إلى السوق الأمريكي قفزت من 14 مليار دولار في 2013إلى 22 مليار دولار في 2024، لكن الرسوم الأمريكية الجديدة التي تراوحت بين 10% و30% حسب الدولة، تهدد تلك المكتسبات. يذكر أن صادرات الأردن نحو الولايات المتحدة تمثل حوالي 25% من إجمالي صادراته، بينما تتجاوز قيمة إعادة التصدير الإماراتية إلى السوق الأمريكي 10 مليار دولار سنويا (unescwa.org

وقد أشارت دراسات ESCWA إلى إن خسائر البلدان المتأتية من الغرب الأوسط قد تصل إلى انخفاض في الناتج المحلي بنسبة 0.41 %والانخفاض الاستثمار بنحو 0.38% لعام 2025، في حين أن دول الخليج أقل تأثرا مباشرا لكنها تتعرض لضغوط تمويلية بفعل هبوط أسعار النفط وارتفاع كلفة الاقتراض (Arab News, Mirage News).

في ورقة (المنتدى العربي للتنمية، 2025) ANND بعنوان

"The Potential Impacts of Trump's Economic Policy on the Arab Region"

استعرضت الرسوم الجمركية بحدود مرور من 10% إلى 39% في بعض الدول (على سبيل المثال :الإمارات ومصر بمعدل 10%، تونس 28%، الجزائر 30%, العراق 39%) كجزء من حرب تجارية شاملة استهدفت الصين وتحالفت معها عدة اقتصادات عربية) .annd.org (وأوضحت الورقة أن هذه الإجراءات أثّرت بتشوه السلع المستوردة، وارتفاع الأسعار، شلّت المناخ الاستثماري وزادت من التدهور المالي في ميزانيات بعض الدول بسبب افتقاد شبكات الأمان الاجتماعي.

أولا: الإطار المفاهيمي والنظري للسياسات الجمركية

إن البحث في انعكاسات السياسات الجمركية الترامبية على العالم العربي لا يمكن أن يستقيم دون العودة إلى الجذور النظرية التي تنظم العلاقة بين التجارة الدولية والسياسات الحمائية. فمنذ صياغة مبادئ اتفاقية "الجات" ثم تأسيس منظمة التجارة العالمية، برزت الجمارك كوسيلة توازن بين حماية المنتج المحلي والانخراط في السوق العالمية. غير أن العودة المتسارعة إلى السياسات الحمائية، خاصة في عهد ترامب، كسرت هذا التوازن، ما استوجب إعادة النظر في كثير من المسلّمات التي سادت بعد الحرب الباردة.

1. 1 مدخل مفاهيمي وتحولات تاريخية

لطالما شكلت الرسوم الجمركية جزءا أساسيا من أدوات السياسة الاقتصادية للدول، فالحمائية كانت في بداياتها وسيلة لتمويل الدولة قبل ظهور ضريبة الدخل، حيث بلغت مساهمتها في الموارد الحكومية الأمريكية أكثر من 87% بين عامي 1789 و 1800 .(Wikipédia) وفي أواخر القرن التاسع عشر، وصلت معدلات التعريفات إلى ذروتها بـ 29.6% خلال قانون ماكينلى لعام 1890، ما أدى إلى تراجع واضح في حركة التجارة(Wikipédia)

غير أن الحقب التالية، خاصة بعد إنشاء "الجات" عام 1947 ومن ثم الانتقال لمنظمة التجارة العالمية عام 1995، شهدت مسارا نحو تحرير التجارة وانخفاض تدريجي في الرسوم الجمركية؛ فقد انخفض متوسط التعريفات العالمي من نحو 13.2% في 1996 إلى 7.4% في 2021، بينما هبط المتوسط المرجّح حسب حجم التجارة إلى حوالي 2.5% فقط.(OMC)

2. 1 وظائف السياسة الجمركية بين الواقعية والسيادة

تطورت وظائف الرسوم الجمركية من مجرد أداة حماية صناعية وجباية، إلى وسيلة لتحقيق أهداف إستراتيجية، مثل حماية الصناعات الناشئة، فرض شروط على الشركاء التجاريين، وكسب المناورة السياسية. لكن هذه الأدوات، رغم أهميتها، لا تكون فعالة إلا ضمن إطار توازنات محكمة، وإلا تحولت إلى عبء قد يعيق التنمية والتكامل الاقتصادي.

3. 1 المقاربات الحديثة: من التحرير إلى إعادة الاعتبار للحمائية

إزاء تراجع الرسوم على مستوى العالم، أعادت إدارة ترامب تعريف الحمائية في العقد الماضي. ففي 2025، ارتفع متوسط الرسوم الجمركية الأمريكية إلى 14.5%، وهو الأعلى منذ تسعين عاما ، وذلك بعدما كان متوسطها لا يتجاوز 2.5% في 2024في رد فعل مباشر على ما وصف بـ "تجاوزات فرضتها الصين"، رفعت الولايات المتحدة الرسوم على الصلب والألومنيوم إلى 50%، وعلى بعض الدول حتى 41% مثل (العراق (time.com, timesofindia.indiatimes.com

وقد أدت هذه الإجراءات إلى خلق حالة من عدم اليقين الاقتصادي، فضلا عن رفع التضخم الداخلي وتكلفة المستهلك؛ حيث قد تتكبد الأسرة الأمريكية خسائر تصل إلى 3,800 دولار سنويا نتيجة زيادات التعريفاتaxios.com

4. 1الربط بالفضاء العربي: بين الحمائية الخارجية والهشاشة المحلية

بيّن تقرير ESCWA أن الصادرات غير النفطية العربية إلى أمريكا بلغت 22 مليار دولار في 2024، لكنها مهددة برسوم بلغت 10–30% بحسب الدولة، مما قد يؤدي إلى تراجع يصل إلى 0.41% في الناتج المحلي للبلدان المتأثرة ضمن اتفاق أغادير(Wikipédia), washingtonpost.com

وفي الوقت نفسه، أكدت دراسات المنتدى العربي للتنمية (ANND, 2025) أن هذه السياسات الجمركية ليست فقط حمائية، بل ترافقت مع إجراءات تخريبية للسلاسل التجارية، ما أسفر عن ارتفاع الأسعار، شلل في الاستثمار، وتدهور مالي لبعض الدول العربية.

إن هذا الإطار المفاهيمي يوفر نبذة تاريخية عن تطور التعريفات، ويربطها بتحولات الفكر الاقتصادي والسياسي، ممهدا لتحليل امتدادات السياسات الترامبية على اقتصادات معرضة للتذبذب الداخلي، ويضع الأساس العلمي لمحاورتنا التحليلية في الفصول القادمة.

ثانيا:قراءة تحليلية في السياسات الجمركية الترامبية

2. 1خلفية سياسية واقتصادية :

شهدت السياسة التجارية الأمريكية تحولا جذريا مع وصول الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض عام 2017، رافعا شعار "أمريكا أولا"، والذي تمثّل في إعادة التفاوض حول الاتفاقيات التجارية، وفرض تعريفات جمركية واسعة النطاق على عدد من الشركاء التجاريين. لم تكن هذه الإستراتيجية مجرد ردة فعل اقتصادية، بل توجها أيديولوجيا حمل في طياته انتقادا صريحا للنظام التجاري العالمي، ولمنظمة التجارة العالمية نفسها.
وقد رأى ترامب أن الولايات المتحدة "تتعرّض للاستغلال التجاري"، خصوصا من طرف الصين، واصفا عجز الميزان التجاري الأمريكي بأنه تهديد للأمن القومي. في 2018 فقط، بلغ العجز التجاري الأمريكي مع الصين نحو 419.5 مليار دولار، وهو أعلى رقم في تاريخ العلاقات بين البلدين، ما شكل مبررا لبدء ما يعرف بـ"الحرب التجارية."

2.2 الإجراءات الجمركية الرئيسية للإدارة الترامبية

اتخذت الإدارة الترامبية سلسلة من الإجراءات القوية التي أعادت الحمائية إلى الواجهة، وأبرزها:

- فرض تعريفات جمركية بنسبة 25% على الصلب و10% على الألومنيوم المستورد من الصين ودول أخرى، منها دول حليفة كالاتحاد الأوروبي وكندا.

- زيادة الرسوم على أكثر من 300 مليار دولار من المنتجات الصينية بنسب تراوحت بين 10% و25%، وردت الصين برسوم مضادة على المنتجات الزراعية الأمريكية.
- انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادئ (TPP) في أول أسبوع لترامب في منصبه، وإعادة التفاوض حول اتفاقية "نافتا"، لتصبح اتفاقية USMCA
- فرض تعريفات انتقائية على الهند وتركيا والبرازيل، مستندا إلى المادة 232 (الأمن القومي) و301 (السياسات التجارية غير العادلة) من قانون التجارة الأمريكي.

هذه الإجراءات لم تكن استهدافا جماعيا، بل مدروسة بعناية لتعكس إستراتيجية الردع الاقتصادي، دون التورط في حرب شاملة مباشرة.

3.2 الآثار العالمية: بين الارتباك وسلاسل الإمداد المعطّلة

أثرت هذه السياسات على الاقتصاد العالمي بشكل ملحوظ:

- انخفاض معدل نمو التجارة العالمية إلى 1.2% عام 2019، وهو الأدنى منذ الأزمة المالية العالمية في 2008.(WTO, 2020)
- تدهور سلاسل التوريد الصناعية، لا سيما في قطاع التكنولوجيا والسيارات، حيث اضطرت شركات كبرى مثل "آبل" و"جنرال موتورز" إلى إعادة النظر في سلاسل إنتاجها المعولمة.
- ارتفاع تكاليف الإنتاج في الولايات المتحدة نفسها، حيث قدرت دراسة من جامعة "فيدرال ريزيرف" أن رسوم ترامب أضافت ما بين 1.4% إلى 1.8% زيادة في أسعار الاستهلاك داخليا.

4.2 هل حققت السياسات الجمركية الترامبية أهدافها؟

رغم أن الأهداف المعلنة كانت حماية الوظائف والصناعة الأمريكية، إلا أن الواقع أثبت ما يلي:

- لم يحصل تراجع كبير في العجز التجاري: فالعجز مع الصين انخفض في بعض السنوات، لكنه ارتفع مع دول أخرى مثل فيتنام والمكسيك.
- تأثر المزارعون الأمريكيون بشدة، نتيجة الرسوم الانتقامية الصينية، ما اضطر الإدارة الأمريكية إلى دعمهم بحزم تحفيزية تخطت 28 مليار دولار.
- أدت السياسة إلى تآكل الثقة بالنظام التجاري العالمي، وزادت من حدة التوترات مع حلفاء تقليديين.

5.2 تداخلات السياسة الترامبية في السياق العربي

ورغم أن الدول العربية لم تكن مستهدفة مباشرة، إلا أنها تأثرت من الجوانب التالية:

- ارتفاع تكاليف الواردات المرتبطة بسلاسل توريد أمريكية أو صينية.
- اضطراب في حركة إعادة التصدير، خصوصا في الإمارات التي تعتبر مركزا لوجستيا عالميا.
- تحديات في تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة نتيجة تذبذب البيئة التجارية الدولية.
- تقليص فرص التصدير العربية نحو السوق الأمريكي، خاصة في القطاعات غير النفطية، كما أكده تقرير ESCWA (2025)

ثالثا: انعكاسات السياسات الجمركية الترامبية على الدول العربية

الدول العربية واجهت ضربة مزدوجة: صدمة تجارية مباشرة بفعل الرسوم الجديدة، وصعوبات ضمنية ناتجة عن ضعف التكامل الإقليمي والاعتماد على سلاسل توريد دولية. وفاقم التوتر الإقليمي و تأخر الإصلاحات من حجم الأثر، مما يجعل هذا الفصل حاسما لصياغة السياسات والاستراتيجيات المطلوبة لتحصين الاقتصادات العربية مستقبلا.

1.3 التأثير على الميزان التجاري للدول العربية:

لم يكن تراجع الميزان التجاري لبعض الدول العربية مجرد رقم سلبي في تقارير البنك المركزي، بل هو انعكاس لانكشاف اقتصادي عميق على بنية تجارية غير متوازنة. فالرسوم الجمركية الترامبية، رغم أنها لم تستهدف العالم العربي مباشرة، إلا أنها سرعت من انكماش الطلب العالمي، وأثرت في حركة الصادرات العربية نحو الشركاء الرئيسيين.

مثال حيّ على ذلك هو الأردن، الذي يصدر نحو ربع صادراته إلى السوق الأمريكي، حيث تأثرت صادرات الصناعات الدوائية والملابس بسبب التباطؤ في الطلب وتكاليف النقل المتزايدة.

أما تونس ومصر، فتأثرتا من خلال اتفاق أغادير، حيث أضعفت الحواجز الجديدة تنافسية المنتجات المصنعة جزئيا بتكنولوجيات مستوردة، ما ساهم في اختلالات بنيوية في الميزان التجاري بلغت في تونس ما يفوق 15% من الناتج المحلي الإجمالي عام 2024.

اللافت هنا أن الخسارة لم تكن فقط في الحجم، بل في نوعية التجارة: إذ إن الصادرات ذات القيمة المضافة

كانت الأكثر تضررا، بينما ظل النفط أقل تأثرا نسبيا. وهذا يعني أن الحلم العربي بالتصنيع الصناعي الموجّه للتصدير قد واجه اختبارا قاسيا فرضه ترامب دون أن يلتفت إلى ضحاياه الجانبيين.

2.3 تعطيل سلاسل الإمداد:

الاقتصادات العربية ليست وحدات مغلقة، بل حلقات في سلاسل توريد عالمية معقدة. الرسوم الترامبية عطلت هذه السلاسل تماما

الإمارات، التي كانت تلعب دور «موزّع العالم»، واجهت اضطرابا كبيرا في عمليات إعادة التصدير، خاصة في الإلكترونيات وقطع الغيار القادمة من آسيا والمتجهة لأوروبا وأفريقيا عبر دبي.

وقدرت خسائر الخدمات اللوجستية والإمداد بأكثر من 1.3 مليار دولار سنويا، لا بسبب الرسوم وحدها، بل لأن اضطراب الثقة في النظام التجاري أدى إلى تباطؤ تدفقات البضائع، وتغير سلوك الموردين والمستوردين.

الجزائر ومصر، من جهتهما، واجهتا تضخما مستوردا ناتجا عن ارتفاع تكلفة مدخلات الإنتاج القادمة من آسيا والولايات المتحدة، مما أثّر في الصناعات التحويلية، وخاصة الغذاء والدواء، ورفع الأسعار محليا بنسبة تجاوزت 6% في عام 2024 فقط.

إنه ليس مجرد خلل مؤقت، بل تغيير في الهندسة العميقة للتجارة، حيث أصبح العرب في موقع "المتلقي" للقرارات العالمية دون قدرة حقيقية على التكيف السريع أو التخطيط الاستباقي.

3.3 الاستثمار والمناخ الاقتصادي:

من الطبيعي أن يرتبط الاستثمار بثلاثية: الثقة، الاستقرار، والقدرة على التنبؤ. السياسات الجمركية الترامبية هددت هذه الثلاثية، ليس لأنها استهدفت العرب، بل لأنها بعثت برسالة مفادها: "حتى الحلفاء غير محصنين من الضرر التجاري."

ردة فعل المستثمرين كانت واضحة: تأجيل، تجميد، أو تحويل الوجهة. في 2024–2025، شهدت الدول العربية تراجعا عاما في الاستثمارات الأجنبية بنسبة 8.3% مقارنة بعام 2022، وفق تقرير الأنكتاد.

السبب؟ ليس فقط الحمائية الأمريكية، بل أيضا انعدام اليقين العالمي، وتضارب السياسات التجارية بين الكبار.

هذا التراجع لم يكن محايدا. فقد أصاب بالدرجة الأولى القطاعات التي كانت مرشحة للاندماج في التجارة

العالمية (مثل التكنولوجيا، الطاقة المتجددة، والصناعات التحويلية)، ما يعني أن فرص التحول البنيوي قد تراجعت لصالح استمرار الاعتماد على صادرات المواد الخام، وخاصة النفط والغاز.

4.3 تفاوت التأثير بين الدول:

الدرس الأهم الذي كشفته السياسات الترامبية هو أن الوزن التجاري لا يعني الحصانة الاقتصادية. فالدول التي كانت أكثر اندماجا في الأسواق الأمريكية (مثل الأردن والإمارات) وجدت نفسها في مواجهة ضغوط حقيقية على مداخيلها، حيث أن الإمارات كانت من أكثر الدول تأثرا بسبب موقعها كمركز دولي لإعادة التصدير. وقد أدى اضطراب سلاسل الإمداد إلى خسائر لوجستية ملموسة، إلا أن تنوعها الاقتصادي منحها قدرة جيدة على التكيف. أما الأردن واجه ضغوطا مباشرة نتيجة اعتماد صادراته الصناعية على السوق الأمريكي، ما دفعه لمحاولة تنويع أسواقه تدريجيا، لكن تأثير الرسوم كان ملحوظا.

بينما دول مثل الجزائر والسعودية تأثرتا من تقلبات أسعار الطاقة العالمية، أكثر من تأثرهما المباشر بالتعريفات، لكن التضخم المستورد بسبب ارتفاع تكلفة الآلات والمواد الغذائية أثّر داخليا ،يذكر أن الجزائر رغم محدودية انكشافها، عانت من تداعيات غير مباشرة بسبب أسعار النفط وتقلبات سلاسل الإمداد. أما الدول الهشة مثل لبنان، فتأثرت عبر قناة التضخم المستورد، وانكماش السياحة الطبية، وتعقد سلاسل الإمداد للأدوية. مع الإشارة أن لبنان يعاني أصلا من أزمة هيكلية عميقة، فكانت التأثيرات الخارجية بمثابة تضييق إضافي على اقتصاد يحتضر.

في حين تونس ومصر تأثرتا بشكل غير مباشر من خلال العلاقة بين الأسواق الأوروبية والأمريكية، خاصة في ظل تركّز صادراتهما في القطاعات ذات الحساسية السعرية العالية.

وهنا تظهر نقطة محورية:

أن غياب سياسة تجارية عربية موحدة، وضعف التكامل الاقتصادي، حول كل بلد إلى جزيرة منفصلة، عاجزة عن امتصاص الصدمات أو التفاوض الجماعي مع الشركاء الدوليين.

رابعا: آفاق إصلاح السياسات الجمركية العربية في ظل الصدمات العالمية

لقد أثبتت السياسات الجمركية الترامبية أن النظام التجاري الدولي لم يعد قائمًا على الاتفاقات والمؤسسات متعددة الأطراف فقط، بل بات أسيرا لمزاج الدول الكبرى وسلوكها الأحادي. وفي هذا السياق، تجد الدول

العربية نفسها أمام اختبار حقيقي: كيف تصلح سياساتها الجمركية بما يضمن حمايتها من صدمات مشابهة في المستقبل، وفي الوقت نفسه يمكنها من الاندماج الفعال في سلاسل القيمة العالمية؟

فالسياسات الجمركية في كثير من الدول العربية ما تزال رهينة منطق "الجباية"، تستخدم لتعظيم الإيرادات بدل أن تكون أدوات إستراتيجية لتنمية الصناعة الوطنية، ودعم الصادرات، وجذب الاستثمارات. كما أن غياب التنسيق العربي في هذا المجال يضعف الموقف التفاوضي الجماعي، ويجعل كل دولة عرضة للابتزاز التجاري منفردة.

ومع تصاعد النزاعات الجيوسياسية، وتغير بنية التجارة العالمية نحو الإقليمية والرقمنة، يصبح إصلاح السياسات الجمركية العربية ضرورة لا خيارًا. الإصلاح هنا لا يقتصر على تخفيض الرسوم أو تعديل النسب، بل يستدعي مراجعة شاملة: تشريعية، تنظيمية، مؤسساتية، وتكنولوجية، بل وحتى ذهنية.

1.4 التحوّل من الجباية إلى التحفيز ضرورة تحرير الرؤية

لا تزال معظم الإدارات الجمركية في الوطن العربي تعتمد على الرسوم كأداة أساسية لدعم الميزانية، وهو إرث من عقود ما بعد الاستقلال. لكن في عصر سلاسل القيمة العالمية، هذه السياسة تخلق عوائق أمام الاستثمار والصناعة.

يظهر تقرير البنك الدولي (2023) أن الرسوم الجمركية على المواد الأولية في الجزائر ومصر تتراوح بين 5% و20%، ما يؤدي إلى ارتفاع تكلفة الإنتاج المحلي، وتراجع تنافسيته.

الإصلاح هنا يبدأ بتغيير العقيدة الاقتصادية :الجمارك يجب أن تكون وسيلة لتنشيط التبادل وتحفيز النمو، وليس مجرد صنبور خزينة. هذا يتطلب اعتماد سياسات تفاضلية تدعم المواد الموجّهة للتصنيع، وتخفف الأعباء عن سلاسل الإمداد، إلى جانب إصلاح النظام الضريبي الموازي لتعويض فقدان الإيرادات الجمركية.

2.4 التحديث التكنولوجي والرقمنة من الحدود الورقية إلى الأنظمة الذكية

التحول الرقمي في العمل الجمركي أضحى شرطا للاستجابة الفورية للتغيرات الدولية. دول مثل الإمارات والسعودية خطت خطوات معتبرة نحو الربط الإلكتروني، وتتبع البضائع، والتخليص الآلي، بينما لا تزال دول أخرى تعاني من تأخر في تسليم البضائع بمعدل 6–10 أيام إضافية بسبب الإجراءات اليدوية.

إن رقمنة الجمارك تقلل الفساد، وتسرّع حركة التجارة، وتوفر قاعدة بيانات إستراتيجية لرسم السياسات الاقتصادية. وينبغي أن تتبنى الدول العربية منصة موحدة، شبيهة بنظام "نافذة" العالمي، لتكون الجمارك بوابة

حقيقية للتحليل الاقتصادي، لا فقط نقطة تفتيش.

3.4 التنسيق العربي من الحلقات المبعثرة إلى التكامل الجمركي

غياب التنسيق بين السياسات الجمركية العربية يضعف مكانتها في النظام التجاري الدولي. في الوقت الذي توقّع فيه كل دولة اتفاقات منفردة، نجد أن حجم التبادل التجاري العربي البيني لا يتجاوز 10% من إجمالي التجارة العربية، وهو رقم مخجل بالمقارنة مع أوروبا أو آسيا.

يجب تفعيل "منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى" عبر توحيد القواعد الجمركية، وتبسيط الشهادات، وتطبيق آليات التحكيم التجاري الموحد. كما أن إنشاء "مجلس جمركي عربي مشترك" يمكن أن يكون نواة تفاوض جماعي مع التكتلات الدولية الكبرى، يدافع عن المصالح المشتركة، ويُعزز القدرة على الصمود في وجه الرسوم والإجراءات الحمائية.

4.4 بناء القدرات البشرية وتحديث العقل الجمركي

لا يكفي تحديث القوانين والمنصات، إن لم يواكب ذلك إصلاح شامل للعنصر البشري. فالكثير من الأعوان الجمركيين يعملون بذهنية قديمة ترى في "الجمركة" وسيلة ضبط وردع فقط، في حين أن الأدوار المعاصرة تتطلب خبيرا اقتصاديا، وقانونيا، ومحلل بيانات في آن واحد.

خاتمة :

بعد تحليل دقيق للبيئة الجمركية العربية، في ظل السياسات الترامبية ذات الطابع الحمائي الحاد، أمكن استخلاص جملة من النتائج التي تضيء على عمق التحولات التي عصفت بالنظام التجاري العربي، وتبرز في الوقت ذاته مكامن القصور والفرص الممكنة لإصلاح السياسات الجمركية في المستقبل.

أولا، لقد أظهرت الدراسة بما لا يدع مجالا للشك أن السياسات الجمركية الترامبية، رغم أنها لم تصمم لاستهداف الدول العربية، إلا أن تداعياتها امتدت إليها بشكل مباشر وغير مباشر. فقد أسهمت هذه السياسات في تعطيل تدفقات التبادل التجاري، ورفع تكلفة الواردات، والتأثير في القدرة التنافسية للصادرات الصناعية غير النفطية، خاصة في الدول ذات الانكشاف المرتفع على السوق الأمريكي مثل الأردن والإمارات.

ثانيا، بينت الدراسة أن السياسات الجمركية في أغلب الدول العربية لا تزال رهينة لمنطق الجباية، ما جعلها عاجزة عن امتصاص الصدمات العالمية أو تكييف نفسها مع بيئة تجارية دولية متغيرة باستمرار. وفي غياب تنسيق جمركي عربي فعال، تضاءلت قدرة هذه الدول على التفاوض الجماعي أو بناء مواقف دفاعية اقتصادية مشتركة.

ثالثا، أكدت نتائج الدراسة أن غياب التحديث التكنولوجي والرقمنة في بعض الدول قد فاقم من هشاشة الأداء الجمركي العربي، وأبطأ من قدرة هذه الأجهزة على الاستجابة للتغيرات الدولية.

و في عالم تتقاذفه الرياح الجيوسياسية، وتزداد فيه حدة الاستقطاب الاقتصادي، لم تعد الجمارك مجرد أداة تنظيمية، بل أصبحت خط الدفاع الأول في مواجهة حروب لا تخاض بالسلاح، بل بالرسوم، والقيود، وسلاسل الإمداد. لقد أعادت السياسات الترامبية، في نسختها المعاصرة، صياغة المشهد التجاري العالمي، وأشعلت سلسلة من التوترات امتدت من واشنطن إلى بكين، ومن الخليج إلى شرق المتوسط، مرورا بكل دولة ترتبط بسلاسل الإمداد العالمية.

وفي خضم هذا الاضطراب، وجدت الدول العربية نفسها في موقع هش: لا هي مؤثرة في القرار الاقتصادي العالمي، ولا هي قادرة على حماية نفسها من ارتداداته. النزاعات الإقليمية في فلسطين واليمن وسوريا، والتوترات السياسية في ليبيا ولبنان والسودان، أضعفت منظومة التنسيق الجمركي العربي، وجعلت كل دولة تدير سياستها التجارية بمنطق الضرورة لا بمنهجية إستراتيجية.

لقد كشفت هذه الدراسة بوضوح أن السياسات الجمركية الترامبية لم تصمم للعرب، لكنها أصابتهم في مقتل، خاصة في ظل ضعف التنسيق، تأخر الرقمنة، استمرار الجمركة الجبائية، وانعدام الرؤية الجماعية. الأدهى من ذلك أن بعض الدول العربية باتت رهينة لاتفاقات غير متكافئة، تكبّل حركتها ولا تمنحها هامشا للتفاوض. لكن ما يميز اللحظة الراهنة، هو أنها ليست فقط لحظة خطر... بل فرصة تاريخية لإعادة صياغة المنظومة الجمركية العربية من الجذور.

فرصة لتجاوز الجمود، وتوحيد الأنظمة، واعتماد الجمارك كأداة إستراتيجية لحماية الأمن الاقتصادي، وكسلاح سيادي في وجه التحولات الدولية التي لا ترحم الاقتصادات الضعيفة ولا الدول المنعزلة.

إن لم تكن الرسوم الترامبية حافزا لإصلاح حقيقي...

وإن لم تكن الحروب الإقليمية دافعا لتوحيد القرار الاقتصادي...

وإن لم تكن الانقسامات العالمية حجة كافية لنبني منظومة جمركية مرنة وذكية ومشتركة...

فمتى؟ وكيف؟ وعلى أي أساس نفكر في المستقبل؟

إن هذه الدراسة لا تنهي نقاشا، بل تفتحه من جديد.

تدعونا لأن نعيد النظر في كل شيء: في فلسفة الجمارك، وفي سيادة القرار، وفي أدوات الصمود الاقتصادي.

ففي زمن الحروب التجارية، من لا يدافع عن حدوده الجمركية...

سيفقد حدوده السياسية عاجلًا أم آجلا.

التوصيات

❖ **تحويل السياسات الجمركية من وظيفة جباية إلى وظيفة إستراتيجية تنموية**

على الدول العربية إعادة تعريف وظائف الجمارك لتصبح أداة لتحفيز الاستثمار والتصنيع والتصدير، بدلا من التركيز الضيق على تحقيق إيرادات سريعة عبر الرسوم المرتفعة.

❖ **إنشاء مجلس جمركي عربي موحّد لتوحيد المواقف والتعريفات**

لمواجهة السياسات التجارية العالمية غير العادلة، يوصى بتأسيس إطار مؤسسي عربي مشترك لصياغة مواقف موحدة، وتنسيق التعريفات، وإبرام اتفاقات جماعية تحفظ المصالح العربية بدل المعالجات الفردية الضعيفة.

❖ **تبنّي منظومة جمركية رقمية شاملة على مستوى الوطن العربي**

يجب الانتقال من الإجراءات الورقية إلى نظم جمركية ذكية (نظام النافذة الواحدة، الذكاء الاصطناعي، قواعد البيانات المشتركة)، ما يقلّص الزمن الجمركي، ويحدّ من التهريب، ويعزز الشفافية.

❖ **إنشاء مرصد عربي للأثر الجمركي الدولي**

يُوصى بتأسيس وحدة تحليل عربية لرصد السياسات الحمائية الدولية، وعلى رأسها السياسات الترامبية، وتأثيراتها على الاقتصادات العربية، مع توفير تقارير دورية لصنّاع القرار.

❖ **تحصين السياسة الجمركية من التقلبات الجيوسياسية عبر سيناريوهات استباقية**

في ظل التوترات الإقليمية والحروب المتكررة (فلسطين، اليمن، السودان، ليبيا)، يجب ألا تبقى السياسات الجمركية أسيرة اللحظة، بل أن تبنى على توقعات مدروسة للتغيرات الدولية والإقليمية.

❖ **إطلاق إصلاحات هيكلية في الكادر البشري الجمركي**

ضرورة تحديث مناهج تكوين الإطارات الجمركية لتشمل الذكاء الاقتصادي، التحليل الدولي، وإدارة المخاطر، بما يتماشى مع متطلبات المرحلة والتحولات الرقمية والتجارية العالمية.

❖ **الاستفادة من الأزمات التجارية لتحسين التموضع العربي في سلاسل القيمة العالمية**

بدلا من التعامل بردّ الفعل، ينبغي تحويل الأزمة إلى فرصة عبر الانفتاح المدروس، جذب الصناعات المتضررة من الحروب الجمركية، وتقديم بيئة محفزة للصناعات البديلة.

قائمة المراجع:

المقالات العلمية

تومي رحاب الاسلام، علاوي صفية. (2021). مساهمات السياسات الجمركية في تحقيق تنمية مستدامة : دراسة حالة الجزائر. مجلة معهد العلوم الاقتصادية، 24(8)، 105-128

غمشي سعيد ، مهدي العربي (2020)الإصلاح الجمركي: مجالاته وأدواته – حالة الجزائر مجلة دراسات انسانية و اجتماعية وهران 02 (09)، 331- 345

المصادر الالكترونية و المواقع

البنك الدولي. (2023). مؤشرات التنمية العالمية – الجزائر والدول العربية.
https://data.worldbank.org

صندوق النقد العربي. (2022). التقرير الاقتصادي العربي الموحد. أبو ظبي: صندوق النقد العربي.
https://www.amf.org.ae

المجلس الاقتصادي والاجتماعي لغرب آسيا (الإسكوا). (2024). تحليل أثر السياسات التجارية الأمريكية على صادرات الدول العربية غير النفطية. الأمم المتحدة .تم التفحص بتاريخ 2025/08/07
https://www.unescwa.org

منظمة التجارة العالمية. (2023). مؤشرات التعريفة الجمركية العالمية. تم التفحص بتاريخ 2025/08/07
https://www.wto.org

Abdel-Karim, N. (2025). The potential impacts of Trump's economic policy on the Arab region. Arab NGO Network for Development (ANND). https://annd.org/en/publications/details/the-potential-impacts-of-trumps-economic-policy-on-the-arab-region-nasr-abdel-karim
Axios. (2025, June 30). Trump-era tariffs cost U.S. households $3,800 a year. https://www.axios.com/newsletters/axios-am-9d85eb00-1184-11f0-8b11-0da1ebc288e3
ESCWA. (2025). U.S. tariffs threaten $22 billion in Arab non-oil exports. United Nations Economic and Social Commission for Western Asia. https://www.unescwa.org/news/escwa-us-tariffs-threaten-22-billion-arab-non-oil-exports
Federal Reserve Bank of New York. (2019). The impact of tariffs on U.S. prices and supply chains. Liberty Street Economics. https://libertystreeteconomics.newyorkfed.org/2019/05/the-impact-of-tariffs-on-us-prices-and-supply-chains/
Time Magazine. (2025, May 14). Trump tariffs tracker: Countries, rates, sectors, trade deals, deadlines. https://time.com/7306868/trump-tariffs-tracker-countries-rates-sectors-trade-deals-deadlines-timeline/
Times of India. (2025, July 29). Trump signs executive order imposing tariffs up to 41%. https://timesofindia.indiatimes.com/business/international-business/trade-war-donald-trump-signs-executive-order-imposing-tariffs-up-to-41-what-to-know/articleshow/123031936.cms
Visual Capitalist. (2023). The average U.S. tariff rate since 1890. https://www.visualcapitalist.com/the-average-u-s-tariff-rate-since-1890/
Washington Post. (2025, August 1). Trump’s trade war is far from over. https://www.washingtonpost.com/business/2025/08/01/trump-trade-policy-us-tariffs-global-economy/
World Trade Organization. (2020, October 6). World trade shows signs of rebound from COVID-19 pandemic, recovery still uncertain. WTO Press Release. https://www.wto.org/english/news_e/pres20_e/pr855_e.htm
World Trade Organization. (2023, April 13). Average tariff rates have fallen significantly since 1996. WTO Data Blog. https://www.wto.org/english/blogs_e/data_blog_e/blog_dta_13apr23_e.htm

Investment regulation from the perspective of the World Trade Organization.

Pr. Irzil el kahina
Faculty of Law and Political Science, Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou, Algeria
naimairzil@yahoo.fr

Abstract:

The World Trade Organization (WTO) is the appropriate framework for regulating all matters related to international trade exchanges, through the adoption of a legal framework based on the commitment of member countries, including those wishing to join, to the principles and rules adopted therein, known as the WTO agreements. These agreements cover the areas of trade in goods, trade in services, trade in intellectual property rights, and dispute settlement. Among the new provisions under the WTO agreements since its establishment in 1995 under the Marrakesh Agreement is the area of investment, stipulating the need to encourage and develop it in accordance with the rules and provisions of the organization. Therefore, this research paper will focus specifically on this area of investment by addressing its regulation within the framework of the WTO.

Keywords: investment, World Trade Organization, rules, principles.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تنظيم الاستثمار من منظور المنظمة العالمية للتجارة.

أ.د إرزيل الكاهنة

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر

naimairzil@yahoo.fr

ملخص:

تعتبر المنظمة العالمية للتجارة الإطار المناسب لتنظيم كل ما له صلة بالمبادلات التجارية الدولية من خلال اعتماد إطار قانوني اتفاقي يعتمد على التزام البلدان الأعضاء في المنظمة وحتى تلك التي ترغب في الانضمام إليها بالمبادئ والقواعد المعتمدة فيها والمسماة باتفاقات المنظمة. وتشمل هذه الاتفاقات مجال التجارة في السلع والتجارة في الخدمات والتجارة في حقوق الملكية الفكرية وتسوية الخلافات. ومن الأحكام المستجدة في ظل اتفاقات المنظمة العالمية للتجارة منذ تأسيسها سنة 1995 بموجب اتفاق مراكش نجد مجال الاستثمار من خلال النص على ضرورة تشجيعه وتطويره وفق قواعد وأحكام منظمة. لهذا ففي هذه الورقة البحثية سيتم التركيز بالذات على هذا المجال للاستثمار من خلال التطرق إلى تنظيمه في إطار المنظمة العالمية للتجارة.

الكلمات المفتاحية: الاستثمار، المنظمة العالمية للتجارة، القواعد ، المبادئ.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

لغرض تنظيم التجارة الدولية في شقها المتعلق بالمبادلات التجارية الدولية عمدت الدول المتطورة اقتصاديا إلى التفكير في وضع تنظيم دولي يتكفل بذلك وكذا وضع قواعد ومبادئ تسير عليها تلك المبادلات. وهو ما تجسد نظريا وفعليا منذ الحرب العالمية الثانية من حيث وضع إطار دائم يشمل كل ماله صلة بالمبادلات التجارية الدولية سواء في شقها المتعلق بالمبادلات التجارية في مجال السلع أو المبادلات التجارية في شقها المتعلق بالخدمات أو المبادلات التجارية المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية.

يتعلق الأمر بإنشاء إطار وكيان قانوني قائم المعالم متخصص في تنظيم المبادلات التجارية في مختلف المجلات التي تشملها هذه المبادلات التجارية والذي ترجم من حيث التنظيم القانوني بإنشاء منظمة دولية أطلق عليها تسمية المنظمة العالمية للتجارة.

وقد ساهم في وضع هذا التنظيم الدولي متطلبات كثيرة أبرزها وضع قواعد موحدة تسير عليها التجارة الدولية وكذا مراعاة مصالح البلدان في تطوير وتحرير التجارة الدولية ناهيك عن فتح الأسواق على تدفق كل السلع والخدمات وحتى حقوق الملكية الفكرية من خلال رفع كل القيود والحواجز ومن ثم تحقيق مفهوم عولمة التجارة الدولية كحلم ترغب البلدان الأكثر تطورا اقتصاديا في تحقيقه. فتأسيس هذه المنظمة كان وراء تحقيق متطلبات اقتصادية محضة وهو البحث عن مزيد من التحرر التجاري في سائر البلدان دون استثناء ومن ثم اعتبار المنظمة العالمية للتجارة وسيلة أو أداة ليس فقط لتنظيم المبادلات التجارية الدولية وإنما أيضا تحقيق المصالح الاقتصادية للبلدان الكبرى.

ومن بين المجالات التي حظيت بالاهتمام في إطار هذه المنظمة نجد مجال الاستثمار وهنا نطرح الإشكالية التالية: هل يمكن الجزم بوجود أحكام خاصة في إطار المنظمة العالمية للتجارة خاصة بالاستثمار؟

في سبيل الإجابة على هذا التساؤل لابد وضع خطة تتمحور حول:

أولا: عن وجود إطار القانوني للاستثمار في ظل المنظمة العالمية للتجارة.

ثانيا: مضمون الاستثمار في المنظمة العالمية للتجارة.

أولا: عن وجود إطار قانوني للاستثمار في ظل المنظمة العالمية للتجارة: إن دراسة اتفاق المنظمة العالمية المتعلق بالاستثمار يتطلب الدخول في مضمونه بالتدقيق لشرح متطلبات وضع هذا الاتفاق من جهة وتحديد بدقة مضمونه. في هذا المقام لابد من التوقف لتحديد التعريف بهذا الاتفاق وعلاقة هذا الاتفاق بالاتفاقات السابقة المنظمة للاستثمار.

1- التعريف بالاتفاق الخاص بالاستثمار في ظل المنظمة العالمية للتجارة: تم إدماج الاستثمار في إطار المنظمة العالمية لمتجارة كأحد القطاعات، بحيث لم يتم تضمينه ضمن الاتفاق الاتفاق العام للتعاريف الجمركية الجمركية والتجارة (GATT) لسنة 1947. وتم إقحامه ضمن أحكام المنظمة العالمية للتجارة بعد إسرار البلدان المتقدمة على غرار الولايات المتحدة الأميركية والبلدان الأوروبية على ذلك وهو فسر أنه في آخر جولة من جولات الاتفاق المذكور والتي هي جولة الأوروغواي تم إقحامه فيه من خلال إدخاله ضمن التجارة في السلع بعنوان اتفاق إجراءات الاستثمار المرتبط بالتجارة المختصر باللغة الإنجليزية باتفاق تريمس TRIMS . (الجيلبلي، 1994).

بهذا المعنى فالاستثمار المدرج ضمن أحكام المنظمة العالمية للتجارة يتعلق بالاستثمار المرتبط بالتجارة في السلع في إطار ما يسمى بالاستثمار التجاري. بمعنى ربط الاستثمار بكل ما له صلة بالمبادلات التجارية الدولية التي تم تنظيمها سابقا في إطار الاتفاق العام للتعاريف الجمركية والتجارة الفات والمنظم حاليا في إطار المنظمة العالمية للتجارة. وفي هذا الشأن تم الاتفاق على الإجراءات التالية في مجال الاستثمار وهي:

- يمنع فرض على المستثمر الأجنبي شرط استخدام نسبة معينة من المنتوج المحلي في المنتوج النهائي أي إلزامه بشراء نسبة معينة من المنتوج المحلي وذلك لغرض الحد من تدفقات العملات الصعبة نحو الخارج من خلال إعمال قاعدة ***التوازن التجاري***.
- يمنع فرض على المستثمر تحقيق توازن بين نشاطه في مجال الصادرات والواردات لغرض الحد من تدفق العملة الأجنبية نحو الخارج في إطار إعمال شرط التوازن للعملات الأجنبية.

- يمنع على الدولة المستقبلة للاستثمار الأجنبي الربط بين العملة الأجنبية المخصص للاستيراد وبين حصيلة نشاط التصدير الذي تحصل عليه المستثمر الأجنبي من حيث قاعدة حدود التصدير.

ونذكر هنا أن هذا الاتفاق للاستثمار في المنظمة العالمية للتجارة ركز بشكل محدد على نوع من المنتجات الممكن الاستثمار فيها على غرار صناعة السيارات والمواد ذات الطابع الكيماوي والالكتروني كالبرمجيات وأجهزة الاعلام الآلي (كمال، 2004).

بناءا على ما تم ذكره آنفا نقول أن اتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص الاستثمار هو اتفاق جزئي لا يشمل كل كافة الاستثمارات وتحريرها وإنما يتعلق الأمر فقط بالإجراءات الجزئية للاستثمارات ذات الصلة بالتجارة وبالخصوص الاستثمار المرتبط بالتجارة في السلع دون أن يمتد إلى التجارة في الخدمات وحقوق الملكية الفكرية حيث تنظيم هذه الأخير بموجب اتفاقات خاصة وهو ما تم النص عليه المادة الأولى من اتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار. لذا فقط الاتفاق يشمل جزئيين هما: مجموعة الإجراءات المنظمة لحركة الاستثمارات الأجنبية المباشرة لتدفقات رؤوس الأموال العالمية وكذا الجزء الخاص بتلك الإجراءات المتصلة بالتجارة (2004، صفحة 22).

2- **علاقة اتفاق المنظمة العالية للتجارة المرتبط بالاستثمار بالاتفاقات السابقة:** إن تنظيم الاستثمار ليس الأمر بالجديد بالمنظمة العالمية للتجارة بل هو تأكيد على ما هو موجود سابقا بالاتفاقيات الدولية المنظمة للاستثمارات الدولية. بمعنى أنه قبل وجود اتفاق المنظمة العالمية للتجارة هناك اتفاقيات دولية سابقة عنه منظمة في إطار صندوق النقد الدولي والبنك العالمي. ونذكر هنا اتفاقية بروتن ووذز واتفاقية إنشاء الوكالة الوطنية لضمان الاستثمار واتفاقية إنشاء المركز الدولي لتسوية الخلافات بين الدولة ورعايا الدول الأخرى.

من هذا المنطلق فتنظيم الاستثمار في إطار المنظمة العالمية للتجارة يعتبر مواصلة للاتفاقيات الدولية السابقة لكن بأكثر شمولية وخصوصية بحكم ان المنظمة العالمية للتجارة رغبت في تنظيم الاستثمار من المنظور التجاري

مراعاة للقواعد والأحكام المكرسة في اتفاقات المنظمة الخاصة بالتجارة بالسلع. في حين الاتفاقيات السابقة عنه اعتبرت اتفاقات اهتمت بكل عوامل إنجاح تدفق الأموال الأجنبية في مختلف الأسواق الدولية سواء كانت استثمارات مباشرة أو استثمارات غير مباشرة.

فاتفاق المنظمة العالمية للتجارة شمل تنظيم الاستثمار بكل مبادئ المنظمة وأيضا إخضاعه للرقابة من قبل جهاز خاص وهو مجلس السلع ناهيك عن وضع نظام خاص لتسوية الخلافات التي قد تنشأ بشأنه وهي أحكام وقواعد تطبق على كل اتفاقات المنظمة وليس فقط اتفاق الاستثمار. وهي قواعد وأحكام متفق عليه بين كل البلدان المؤسسة للمنظمة بشكل مؤطر لا يمكن مخالفتها.

ثانيا: مضمون اتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار: تشمل المنظمة العالمية للتجارة ضمن الاتفاق المنشئ لها مجموعة من الأحكام تتعلق بوضع مجموعة من المبادئ تطبق على كامل النشاطات المنظمة لها منها نشاط الاستثمار وأحكام أخرى.

1 – وضع مجموعة من المبادئ لتنظيم الاستثمار: من الأحكام المكرسة في اتفاق المنظمة العالمية الخاص بالاستثمار هو نصه على المبادئ المطبقة على الاستثمار ضمن أحكام المادة 2 منه. وهنا تم التأكيد على تطبيق كل المبادئ المكرسة ضمن المنظمة على التجارة في السلع ويتعلق الأمر بـــ:

أ- **مبدأ عدم التمييز:** يعبر مبدأ عدم التمييز عن المساواة بين الدول في المعاملة بمنحها نفس المزايا والتفضيلات بغضّ النظر عن طبيعة أيّة دولة ما إذا كانت دولة متقدّمة أو دولة نامية. وبهدف تجسيد هذا المبدأ تمّ وضع شرطين، هما:

- **شرط الدولة الأولى بالرعاية:** يتمثّل هذا الشرط في أنّه إذا أبرم طرف مع طرف آخر معاهدة معيّنة تتضمّن معاملة، وأقام هذا الطرف الآخر معاهدة أخرى مع دولة ثالثة تتضمّن معاملة أفضل من المعاملة المتفق عليها في المعاهدة الأولى، فإنّ أطرافها يستفيدون من المعاملة الأفضل التي تمّ إقرارها.

- **شرط المعاملة الوطنيّة:** يقتضي هذا الشرط، وفيما يتعلّق بالسلع، أن تطبّق الدول الأعضاء في المنظّمة على كلّ المنتجات المستوردة ذات المعاملة السارية والمطبّقة على المنتجات الوطنيّة فيما يتعلّق بكلّ الرسوم والتنظيمات، فلا تفرض أيّة رسوم أعلى من تلك المطبّقة على المنتجات الوطنيّة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وبتعبير آخر فهذا الشرط يقضي بمعاملة المنتوج الأجنبي المستورد بنفس المعاملة التي يحظى بها المنتوج الوطني، سواء تعلّق الأمر بالرسوم التي تطبّق عليه أو السّماح لهذا المنتوج المستورد بالنفاذ إلى السوق الوطنيّة ومنافسة المنتوج الوطني.

يتم تطبيق هذا الشرط في مجال الاستثمار وتطبيقا لاتفاق الاستثمار كما يلي:

- عدم فرض قيود على المستثمرين الأجانب عند شراء المستثمر الأجنبي للسلع لغرض استخدامها في مشروعه الاستثماري في إطار إعمال الشرط المكون.
- تطبيق قاعدة القيود الكمية. وهنا يجب عدم تطبيق القيود التالية عند تطبيق القيود الكمية وهي: قيد استيراد المستثمر الأجنبي لمنتجات تستخدم في إنتاجها المحلي. وأيضا شرط عدم وضع الكميات التي يرغب المستثمر في تصديرها نحو الخارج من المنتجات والسلع.

كما تم النص على استثناءات تطبق على البلدان النامية عند تطبيق شرط المعاملة الوطنية من خلال إمكانية فرض القيود الكمية ولكن بشرط أن يكون ذلك بصفة مؤقتة ولظروف خاصة مثل حدوث أزمات مالية أو في ميزان المدفوعات.

ب-**مبدأ الشفافيّة:** يعتبر هذا المبدأ من المبادئ الجديدة المكرّسة في التجارة الدوليّة ضمن عمل المنظّمة العالميّة للتجارة، ويقضي بأن تعمل الدول الأعضاء في المنظّمة على أن تكون

قواعدها الداخليّة المنظّمة للسلع واضحة، ليست غامضة ولا تشكّل أيّ عائق أو حاجز أمام المنتجات المستوردة بعدم السماح لها بالنفاذ إلى الأسواق. ويعتمد هذا المبدأ خاصّة على التعاريف الجمركيّة مسبقًا دون اللجوء إلى أساليب التحايل أو عدم نشرها والذي من شأنه أن يقف كحاجز أمام المبادلات التجاريّة. وفي هذا الإطار تنصّ المادّة الثالثة (03) الفقرة (ب) من ميثاق مراكش على أن « ***يعترف الأعضاء بالأهميّة الراسخة للشفافية المحليّة في اتخاذ القرارات الحكومية في الأمور المتعلّقة بالسياسات التجارية، سواء بالنسبة لاقتصاديات الأعضاء أو للنظام التجاري متعدّد الأطراف، وتتفق على تشجيع وتعزيز هذه الشفافية في نظمها، وتقرّ أنّ تنفيذ الشفافية المحليّة لا بدّ أن يكون على أساس طوعي، وان يأخذ في الاعتبار النظم القانونيّة والسياسية لكلّ عضو من الأعضاء*** » (الحوشي، 2005). فموجب هذه المادّة فالشفافية في مجال السلع تعني أن تكون التعريفات هي الحاجز الوحيد أمام البضائع الأجنبيّة، وبالتالي لا يجوز اللجوء إلى القيود غير التعريفيّة. أي أنّ الحواجز التعريفيّة مباحة من حيث الأصل ويجب أن تكون معلنة، بحيث تتسنّى معرفتها بالنسبة للجميع.

ت-**مبدأ حريّة المبادلات التجارية:** يقتضي هذا المبدأ بدخول وخروج السلع من دولة عضو إلى دولة أخرى في المنظّمة بكلّ حرية من خلال عدم وضع حواجز أو عوائق تحول دون تنقّل السلع، وهذه الحريّة تكون من خلال نشاط الاستيراد والتصدير. وهذا المبدأ يعتبر حلم الدول المتقدّمة منذ القدم، استنادًا إلى أفكار آدم سميث "دعه يعمل، اتركه يمر" الذي عملت على إدراجه في مجال التجارة الدولية حتّى قبل وضع الاتفاق العام للتعريف الجمركيّة والتجارة الـ GATT بهدف حماية الاقتصاد الوطني. وقد عرّفت المحكمة الدائمة للعدل الدولي هذا المبدأ في قضيّة Oscar Chim سنة 1932 على انّه « ***الحقّ غير المقيّد –***

من حيث الأصل – في القيام بأيّ نشاط تجاري سواء كان موضوعه الاتجار بالمعنى الدقيق والمعروف بأنّه بيع وشراء البضائع أو ما إذا كان صناعة في داخل البلد، أو عن طريق تبادل الواردات والصادرات مع البلدان الأخرى » (الحوشي، 2005) . ويعتبر هذا المبدأ قضاءً على مبدأ معاكس لحريّة المبادلات التجارية الذي تسير عليه أيضًا التجارة الدولية والمتمثّل في "مبدأ الحماية"، الذي يقرّ بلجوء الدول إلى الحدّ من الحرية التجارية بهدف حماية الاقتصاد الوطني.

2- **وضع أحكام خاصة**: من المضامين الأخرى لاتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار هو وضع أجهزة خاصة للرقابة على تطبيق الاتفاق (أ) وكذا نظام لتسوية الخلافات (ب).

أ- وضع أجهزة لتطبيق اتفاق الاستثمار: تطبيقا لأحكام المنظمة العالية للتجارة الخص بالاستثمار في مادتيه 7 و9 فقد تم وضع أجهزة تسهر على تطبيق الاتفاق وهما:

- **لجنة التدابير المرتبطة بالاستثمار وذات الصلة بالتجارة**: وهي تتكون من ممثلي جميع البلدان الأعضاء في المنظمة تجتمع مرة في السنة على الأقل وأيضا تجتمع بطلب من أحد أعضائها ويترأسها رئيس ونائب له.

وتتمثل مهمتها في معالجة كل الاقتراحات والمبادرات التي قد ترد من مجلس السلع التابع للمنظمة وأيضا التدخل لتقديم كل الاستشارات التي قد يطلبها عضو ما حول تطبيق مضمون الاتفاق. كما تتولى اللجنة السهر على السير الحسن والفعلي لمضمون الاتفاق وتقديم تقارير سنوية لمجلس السلع حول ذلك.

- **مجلس السلع**: تم إنشاء مجلس السلع بموجب اتفاق مراكش المنشأ للمنظمة العالمية للتجارة بموجب المادة 6 منه مكلف بالشهر على تطبيق مضمون اتفاق المنظمة الخاص بالتجارة في السلع. ويمارس نشاطه وعلى غرار المجالس الأخرى المكلفة بتطبيق مضمون اتفاقات المنظمة الأخرى تحت إشراف المجلس العام للمنظمة. ويسير والمجلي وفق نظام ذاخلي يضعه في هذا الشأن.

وتم تمديد عمل مجلس السلع إلى تطبيق مضمون اتفاق السلع بحكم لن هذا الأخير مرتبط باتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالتجارة في السلع وفي هذا الشأن فهو يعمل على السهر على التنفيذ الفعلي لبنود اتفاق المنظمة الخاصة بالاستثمار المرتبط بالتجارة.

ب- **إقرار نظام لتسوية الخلافات:** من الأحكام الأخرى لاتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار هو تطبيق نظام خاص لتسوية الخلافات وهذا تطبيقا لنص المادة 8 منه.

وتم النص على نظام تسوية الخلافات بموجب اتفاق خاص مرفق باتفاق مراكش المؤسس للمنظمة العالمية للتجارة المسمى الملحق 2 المتضمن اتفاق تسوية الخلافات (Annex 2 : Mémorandum d'accord sur le règlement des différends, www.omc.org, 2025) والذي تسري أحكامه على مجالات التجارة المنظمة تحت رعاية المنظمة العالمية للتجارة سواء تعلق بالتجارة في السلع أو التجارة في الخدمات أو حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة. في هذا المقام فبموجب أحكام اتفاق المنظمة الخاص بالاستثمار تم التذكير بضرورة الأخذ بأحكام ذلك الاتفاق الخاص بتسوية الخلافات والإحالة إليه بصريح مضمون المادة 8 منه من حيث إحالة الملفات الخاصة بتسوية الخلافات ذات الصلة بالاستثمار المرتبطة بالتجارة من قبل مجلس السلع باعتباره المشرف العام على تطبيق أحكام اتفاق المنظمة الخاص بالاستثمار.

وبالنسبة لنظام تسوية الخلافات فيتعلق بتطبيق الإجراءات المنصوص عليها المتمثلة في احالة الملف على الهيئات المنظمة لتسوية الخلافات على مستوى المنظمة من خلال جهاز تسوية الخلافات وجهاز الاستئناف ثم اصدار قرارات وتوصيات في هذا الشأن تحظى بالإلزامية في التطبيق وفي حالة عدم تطبيقا يتم اتخاذ إجراءات وتدابير ضد الطرف المخالف لها قد تصل إلى توقيف الامتيازات والتفصيلات المقررة في بنود اتفاقات المنظمة العالمية للتجارة (رابح، 2012) .

خـــاتمة:

يعتبر اتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار اتفاق آخر يضاف إلى سائر الاتفاقات السباقة لتنظيم نشاط الاستثمار على المستوى الدولي. غير أن ما يميز اتفاق المنظمة العالمية للتجارة على الاتفاقات السابقة عنه هو تركيزه على الاستثمارات المرتبطة بالتجارة أي تلك الموجهة نحو التصدير دون باقي الاستثمارات الأخرى. الأمر الذي يفسر أن هذا الاتفاق ذات طابع شمولي باعتبار اتفاق ذات طابع عالمي يلزم البلدان المؤسسة للمنظمة وحتى تلك التي ترغب في الانضمام إليها بتطبيق مضمونه.

غير أن هذا الاتفاق ومن حيث المبدأ، وجد خدمة لمصالح البلدان المتقدمة على حساب البلدان النامية باعتبارها لديها أفضلية في امتلاك الرأسمال الكبير والتكنولوجيا لإعمال نشاط الاستثمار بمقابل اعتبار البلدان النامية مستقبلة لتلك الاستثمارات. بمعنى أن اتفاق المنظمة العالمية للتجارة الخاص بالاستثمار يخدم أكثر البلدان المالكة للاستثمارات بواسطة شركاتها العملاقة على حساب البلدان غير المالكة لها الأمر الذي من شأنه خلق اللا توازن في تكريس مزاياه.

لذا وفي سبيل تكافؤ الفرص في تطبيق مضمون الاتفاق الخاص بالمنظمة العالمية للتجارة المرتبط بالاستثمار نوصي بما يلي:

1- ضرورة الاستفادة من المزايا التي تقدمها المنظمة العالمية للتجارة في مجال الاستثمار والتفاوض أكثر من قبل المختصين في المجال بالطريقة التي تعود بالفائدة على اقتصاديات البلدان النامية.

2- محاولة استفادة البلدان النامية من المزايا والتفضيلات التي تحتويها اتفاق المنظمة لاسيما من حيث المبادئ المعتمدة خاصة المعاملة الوطنية وشرط الدولة الأولى بالرعاية.

3- محاولة البلدان النامية الاستفادة من تكنولوجية الشركات المتعددة الجنسيات الخاصة بالاستثمار لغرض تطوير صناعتها في مجالات المنتجات الخاصة بالتكنولوجيا والسلع الكيماوية وغيرها من الصناعات المتطورة.

قائمة المراجع:

1. بن موسى كمال. (2004). المنظمة العالمية لمتجارة والنظام التجا ري العالمي الجديد. الجزائر: كامعة الجزائر.
2. جديد رابح. (2012). خصوصية تسوية المنازعات بالمنظمة العالمية للتجارة. تيزي وزو – الجزائر: جامة تيزي وزو – الجزائر.
3. صفوت عبد السلام عوض الله. (2004). مؤتمر الجوانب القانونية والاقتصادية لاتفاقيات المنظمة العالمية لمتجارة، المنظمة العالمية للتجارة والاستثمار الأجنبي المباشر ذراسة آثار المحتملة لاتفاقية تريمز على تكور حركة الاستثمار الأجنبي المباشر الى الذول النامية . دبي: غرفة التجارة والصناعة.
4. الحويش ياسر، مبدأ عدم التدخل واتفاقيات تحرير التجارة العالميّة. (2005). بيروت: منشورات الحلبي الحقوقيّة.
5. Annex 2 : Mémorandum d’accord sur le règlement des différends, www.omc.org 01) .aout, 2025). تاريخ الاسترداد 01 aout, 2025 من ،www.omc.org.

Environmental taxation in Algeria –An economic tool to achieve development and protect the environmen

Ouadah hamid
University Center of Maghnia -Tlemcen
h.ouadah@cu-maghnia.dz

Abstract:

Environmental collection refers to a mandatory contribution paid by individuals to support public expenses and reduce the negative impacts of environmental harm. This study highlights the role of this tool by examining its applications in Algeria-such as fees for storing hazardous waste or charges on used water and sanitation. It also explores the structure and objectives of the environmental tax system, including incentives and exemptions. The study concludes that environmental collection contributes effectively to sustainability but still requires careful assessment of its rates and timing to ensure tangible results.

Keywords: environmental collection; environmental violations; taxes and fees; tax exemptions; environmental sustainability.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الجباية البيئية في الجزائر –أداة اقتصادية لتحقيق التنمية وحماية البيئة

واضح حميد
المركز الجامعي بمغنية – تلمسان –الجزائر
h.ouadah@cu-maghnia.dz

ملخص:

الجباية البيئية عبارة عن إقتطاع إجباري يدفعه الفرد اسهاما منه في التكاليف والأعباء العامة بقصد التخفيف من الآثار السلبية عن المساس بالبيئة، تهدف هذه الدراسة إلى ابراز دور هاته الأداة ذات الطابع الإقتصادي والمالي وذلك من خلال بيان مختلف تطبيقات الجباية البيئية في الجزائر، سواء الضرائب والرسوم ذات الطابع التدخلي كالرسوم على تخزين النفايات الخاصة والخطرة أو الضرائب والرسوم ذات الطابع الجبائي كارسم التكميلي على المياه المستعملة ورسم التطهير، مع التطرف في الورقة البحثية إلى صور النظام الجبائي البيئي وأهدافه، وأدواته، إضافة إلى الحوافز والاعفاءات الجبائي توصلت الدراسة إلى أن الجباية البيئية لها الدور الفعال في تحقيق الاستدامة البيئية، غير أن هذه الوسيلة لا تزال تحتاج إلى تقييم وتدقيق من حيث معدلات وتوقيت فرضها حتى تحقق الأثر علة أرض الواقع.

الكلمات المفتاحية: الجباية البيئية، المساس بالبيئة، الضرائب والرسوم، الاعفاءات الجبائية، الاستدامة البيئية.

مقدمة:

تواجه البشرية اليوم تحديات بيئية متفاقمة تهدد التوازنات الإيكولوجية، وأبرزها تغيّر المناخ، التلوث الصناعي، وتدهور الموارد الطبيعية. وقد دفعت هذه الأزمات المجتمع الدولي إلى تبني توجهات بيئية جديدة ترتكز على التنمية المستدامة والمساءلة البيئية. ومن بين أهم الآليات التي تم اعتمادها لتحقيق هذه الأهداف، تبرز **الجباية البيئية** كأداة مالية ذات طابع مزدوج: فهي وسيلة لضبط السلوكيات الاقتصادية الضارة بالبيئة، وأداة لتوفير موارد مالية تُستخدم في تمويل السياسات البيئية.

لم تكن الجزائر بمعزل عن هذه التوجهات، فقد بدأت منذ التسعينيات بإدراج ضرائب ورسوم ذات طابع بيئي ضمن منظومتها الجبائية، انطلاقًا من قانون المالية لسنة 1992، غير أن التجسيد الفعلي لهذه الجباية ظل محدودًا لأسباب متعددة تتعلق بجوانب قانونية، مؤسسية، وإجرائية، ورغم التنصيص التشريعي على العديد من الرسوم (مثل ضريبة الأنشطة الملوثة، رسوم البلاستيك، الضرائب على الوقود وغيرها)، إلا أن مردودها البيئي والمالي لا يزال محل نقاش واسع.

ورغم إقرار الجزائر بمجموعة من الضرائب والرسوم ذات الطابع البيئي، إلا أن فعاليتها تظل محدودة، سواء من حيث مردودها المالي أو أثرها البيئي. من هنا تطرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى نجحت الجباية البيئية في الجزائر في تحقيق أهدافها المزدوجة المتمثلة في حماية البيئة وتوفير موارد مالية مستدامة؟ وما هي التحديات التي تواجه تفعيلها؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم استقراء النصوص القانونية والتشريعات ذات الصلة، إضافة إلى تحليل تقارير رسمية، ومذكرات بحث، ودراسات مقارنة من التجارب الدولية. كما تم استخدام منهج المقارنة لفهم أوجه الاختلاف والتشابه بين تطبيق الجباية البيئية في الجزائر ودول أخرى.

أما عن حدود الدراسة فهي تقتصر الدراسة على الفترة الممتدة من 1992 (سنة بدء إدراج الجباية البيئية) إلى 2024، وتركّز على الجانب التشريعي والتطبيقي في الجزائر دون التوسع في التجارب الدولية إلا في الجانب المقارن.

وفي هذا الإطار، يتناول هذا البحث في جزئه الأول تعريف الجباية البيئية، مع إبراز خصائصها وأهميتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، لاسيما من خلال دورها في حماية الموارد الطبيعية والحد من

التدهور البيئي. كما يُخصص جانب منه لعرض أساليب تحديد سعر الضريبة البيئية، بما يحقق التوازن بين الأهداف البيئية والاعتبارات الاقتصادية، أما الجزء الثاني من البحث فيُعنى بتحليل تطبيقات الجباية البيئية في الجزائر، من خلال التمييز بين الأدوات التحفيزية التي تشجع على السلوك البيئي السليم، والردعية التي تهدف إلى تقويم الأنشطة الملوثة، مع التركيز على الإطار القانوني والتنظيمي لهذه الأدوات.

أولا: مفهوم الجباية البيئية في إطار حماية البيئة.

أمام التحديات البيئية المتزايدة التي يشهدها العالم اليوم، أصبح من الضروري تبني آليات فعّالة تجمع بين الحماية البيئية والأدوات الاقتصادية. وفي هذا السياق، برزت الجباية البيئية كأداة حديثة تسعى إلى توجيه السلوك الاقتصادي نحو المحافظة على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة. وتقوم الجباية البيئية على فرض ضرائب أو رسوم ذات طابع بيئي بهدف الحد من الممارسات الملوثة وتشجيع الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية.

سيتم تناول مفهوم الجباية البيئية من خلال تعريفها وبيان خصائصها الجوهرية التي تميزها عن غيرها من أنواع الجبايات، ثم الانتقال إلى أهمية الجباية البيئية في تحقيق الاستدامة البيئية، مع التطرق إلى أبرز الأساليب المعتمدة في تحديدها وتفعيلها ضمن السياسات العامة.

1 تعريف الجباية البيئية وخصائصها.

أصبحت الجباية البيئية من الأدوات الحديثة التي تعتمدها الدول للحد من التلوث البيئي وتشجيع الممارسات المستدامة. ويهدف هذا المطلب إلى توضيح مفهوم الجباية البيئية، من خلال تعريفها وبيان أهم خصائصها التي تجعلها أداة فعالة في تحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة.

1.1 تعريف الجباية البيئية.

يُعد تحديد مفهوم الجباية البيئية الخطوة الأولى لفهم طبيعتها ودورها ضمن السياسات البيئية الحديثة. فهي تمثل تطورًا في وظيفة الجباية، بحيث لا تقتصر على جمع الإيرادات، بل تتجاوز ذلك لتصبح أداة تهدف إلى حماية البيئة من خلال التأثير في سلوك الأفراد والجهات المسببة للتلوث، ومن هنا يُطرح التساؤل حول ماهية الجباية البيئية وطبيعة مضمونها؟

تُعد الجباية البيئية، أو ما يُصطلح عليها أحيانًا بالجباية الخضراء، من الأدوات المالية الحديثة التي تعتمدها الدول في إطار سياساتها البيئية، وتُعرف على أنها مجموعة من التدابير الجبائية التي تهدف إلى الحد من الآثار السلبية الناجمة عن الأنشطة الملوثة للبيئة، وذلك من خلال فرض ضرائب، رسوم، أتاوى أو تقديم حوافز مالية مرتبطة بالممارسات البيئية السليمة. وقد عرّفت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) الجباية البيئية بأنها تشمل كافة الإجراءات ذات التأثير المباشر أو غير المباشر على البيئة، سواء من حيث فرض أعباء مالية على الأنشطة الملوثة أو من حيث تخصيص اعتمادات مالية من قبل السلطات العمومية لدعم الأنشطة الصديقة للبيئة.

ومن خلال تحليل هذا المفهوم، يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسيين في تعريف الجباية البيئية:

الأول واسع، يُدرج ضمنه كل الإجراءات المالية التي تعتمدها الدولة، سواء في شكل ضرائب، رسوم، أو تحفيزات ضريبية، بهدف توجيه السلوك الاقتصادي نحو تقليل التلوث البيئي وتحقيق الاستدامة.

الثاني ضيق، ينظر إلى الجباية البيئية باعتبارها اقتطاعات مالية إلزامية تُفرض على الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين مقابل الأضرار التي تسببوا فيها للبيئة، وتُوجَّه حصيلتها غالبًا إلى صناديق وطنية متخصصة كالصندوق الوطني لإزالة التلوث.

وتُعد الضرائب البيئية أحد أبرز هذه الآليات، إذ تلجأ الحكومات إلى فرضها على الأنشطة والمنتجات ذات الأثر البيئي السلبي، مثل الضرائب المفروضة على استهلاك الوقود عالي الانبعاثات أو على بعض الخدمات كالمياه والكهرباء، وذلك لتشجيع استخدام الطاقات النظيفة وترشيد الاستهلاك، بما يحقق الحفاظ على الموارد وضمان حق الأجيال القادمة فيها.

ولا يقتصر الدور المالي للجباية البيئية على الجانب العقابي أو الردعي فقط، بل يمكن أن يُوظف أيضًا بأسلوب تحفيزي، من خلال اعتماد إعفاءات أو تخفيضات ضريبية لفائدة الأشخاص أو المؤسسات التي تعتمد تقنيات أو ممارسات صديقة للبيئة، وهو ما يعكس بعدًا إيجابيًا في السياسة الجبائية البيئية، يهدف إلى دعم الانتقال نحو اقتصاد أخضر مستدام. (برحماني، 2015، صفحة 400)

2.1 خصائص الجباية البيئية:

تتّسم الجباية البيئية بجملة من الخصائص التي تميّزها عن غيرها من الأدوات الجبائية التقليدية، ويُعد من أبرزها خاصيتان رئيسيتان:

1.2.1 تخصيص عائدات الجباية البيئية والخروج عن مبدأ عمومية الميزانية:

يرتكز المفهوم التقليدي للضريبة على مبدأ **حيادية الجباية**، حيث تُفرض الضريبة بغرض تمويل النفقات العامة دون ارتباط مباشر بين الإيراد الجبائي وأوجه إنفاقه، وذلك تطبيقًا لمبدأ **عمومية الميزانية** الذي يمنع تخصيص إيرادات ضريبية لغايات محددة، غير أن الجباية البيئية تمثّل **استثناءً عن هذا المبدأ**، إذ تُفرض هذه الضرائب والرسوم لتحقيق أهداف بيئية محددة، وتُخصّص عائداتها لتمويل برامج حماية البيئة أو لمعالجة الأضرار البيئية الناتجة عن أنشطة ملوثة. ويُترجم ذلك بتوجيه حصيلة الجباية نحو تمويل التدابير التي تتخذها السلطات العامة، أو دعم المنشآت والمشاريع التي يقيمها الملوّثون أنفسهم للحد من التلوث، على اعتبار أنهم يؤدّون في هذه الحالة خدمة عامة لفائدة الجماعة وبذلك فإن هذه الخصيصة تُكرّس مبدأ "الملوّث يدفع"، من خلال توزيع عبء الضريبة على الفاعلين المتسببين في الإضرار بالبيئة، وربط الموارد الجبائية المستخلصة من أفعالهم بأوجه إنفاق مخصصة لتعويض أو إصلاح تلك الأضرار، مما يعزز الطابع الوظيفي للضريبة في المجال البيئي. (صافية، 2013، صفحة 538)

2.2.1 احترام مبدأ المساواة أمام الضريبة:

يُعد مبدأ المساواة أحد المبادئ الدستورية العامة في مختلف الأنظمة القانونية، ويشمل ذلك المساواة أمام الأعباء العامة والضرائب، كما ورد في المادة 6 و13 من إعلان حقوق الإنسان والمواطن لسنة 1789، والتي تؤكد على ضرورة إخضاع الأفراد لنفس النظام الجبائي دون تمييز، ويُفترض في الرسوم البيئية أن تطبَّق بشكل متساوٍ وعادل على جميع الملوّثين والأنشطة الضارة بالبيئة، باعتبار أن عدم المساواة في المعاملة يُفقد هذه الرسوم طابعها الردعي، ويؤدي إلى خلل في فعاليتها.

إلا أن الواقع التشريعي لا يخلو من استثناءات، كما هو الشأن في القانون الفرنسي، الذي يعفي بعض المؤسسات كثيفة الاستهلاك للطاقة من دفع الرسوم البيئية، رغم مساهمتها الكبيرة في الانبعاثات الملوِّثة. وقد بررت الحكومة الفرنسية هذا التمييز برغبتها في تخفيف العبء المالي عن هذه المؤسسات لتمكينها من الاستثمار في البحث التكنولوجي، وتحسين كفاءة الطاقة، والمحافظة على قدرتها التنافسية.

وفي هذا السياق، اعتبر المجلس الدستوري الفرنسي أن مبدأ المساواة لا يحول دون إمكانية المشرّع في إقرار ضرائب خاصة أو تمييزات مبرر، غير أن هذا التبرير يثير جدلاً من الناحية القانونية والبيئية، ذلك أن اختلاف المعاملة بين الملوّثين قد يُفقد الجباية البيئية طابعها الزجري ويُضعف فعاليتها كأداة للردع والتصحيح البيئي،

ما يتطلب توخي الحذر في اعتماد الإعفاءات أو الامتيازات التي قد تُخل بمبدأ العدالة الجبائية. (صونية، 9،10 ديسمبر 2013، صفحة 5)

2 أهمية الجباية البيئية في تحقيق الاستدامة البيئية وأساليب تحديدها.

أصبحت الاستدامة البيئية هدفًا استراتيجيًا تتبناه معظم الدول ضمن سياساتها العامة، وهو ما استدعى تطوير أدوات مالية تُسهم في تحقيق هذا الهدف بفعالية، وفي هذا الإطار برزت الجباية البيئية كآلية تحفيزية وتنظيمية تُمكّن من التأثير على سلوك الفاعلين الاقتصاديين، وتوجيهه نحو ممارسات أكثر احترامًا للبيئة. وينصرف هذا المطلب إلى دراسة الأثر العملي لهذه الجباية في دعم مسار الاستدامة، مع استعراض الأسس والمعايير المعتمدة في تحديدها وتطبيقها على نحو متوازن.

1.2 أهمية الجباية البيئية في تحقيق الاستدامة البيئية.

تُعد الجباية البيئية أو "الجباية الخضراء" من الآليات المالية المعاصرة التي أثبتت فعاليتها في مجال حماية البيئة وتحقيق الاستدامة البيئية، وذلك إلى جانب إسهامها في توليد موارد مالية يمكن للدولة توظيفها في تمويل برامج مكافحة التلوث وصون الموارد الطبيعية. وتكمن أهمية الجباية البيئية في عدة جوانب، يمكن إبرازها على النحو الآتي:

توجيه قرارات الاستثمار نحو الأنشطة الصديقة للبيئة: تُسهم الحوافز الجبائية، من إعفاءات وتخفيضات ضريبية، في تشجيع المستثمرين على توجيه رؤوس أموالهم نحو القطاعات غير الملوثة للبيئة، مما يُعزز من نمو الاقتصاد الأخضر ويقلل من الاعتماد على الأنشطة الضارة بالبيئة.

تطبيق مبدأ "الملوِّث يدفع": تكرّس الجباية البيئية مبدأ "الملوّث يدفع"، كما أقرته منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD) سنة 1972، والذي يفرض على الملوّثين تحمّل التكاليف الناتجة عن الأضرار التي يُلحقونها بالبيئة، وذلك من خلال فرض ضرائب ورسوم تُوجَّه حصيلتها إلى تمويل الإجراءات التصحيحية والوقائية.

إدماج التكاليف الخارجية في الأسعار: تُساهم الجباية البيئية في تصحيح اختلالات السوق من خلال إدخال التكاليف البيئية – أو ما يُعرف بـ"النفقات الخارجية" – في أسعار المنتجات، بحيث تُحمَّل هذه التكاليف على المنتج أو المستهلك بما يعكس الأثر البيئي الحقيقي للنشاط الاقتصادي، ويمنع تحميل المجتمع عبء التلوث دون مقابل.

تحفيز السلوك البيئي الإيجابي: تُحدث الضرائب البيئية ما يُعرف بـ"الأثر التحفيزي"، حيث تُشجّع الفاعلين الاقتصاديين على تعديل أنشطتهم تفاديًا للضريبة. فعلى سبيل المثال، قد يؤدي فرض ضريبة على الانبعاثات الغازية إلى تقليل استخدامها أو البحث عن بدائل أقل تلويثًا، مما يُغيّر من سلوك المنتج والمستهلك على حد سواء.

ضمان حقوق الأجيال القادمة: من خلال دفع الفاعلين الاقتصاديين إلى ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية والطاقة، تُساهم الجباية البيئية في الحفاظ على قاعدة الموارد للأجيال المقبلة، وهو ما يُجسّد جوهر مفهوم الاستدامة البيئية، ويضمن تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بحقوق المستقبل.

تخفيض كُلفة مكافحة التلوث: تُوفّر الجباية البيئية آلية اقتصادية مرنة، تُمكّن الملوّثين من اختيار الحلّ الأنسب: إما دفع الضريبة أو تقليل التلوث، ما قد يُفضي إلى حلول أقل تكلفة من التدخلات الحكومية المباشرة، ويُعزز من الكفاءة الاقتصادية في إدارة التلوث.

إعادة توجيه الموارد نحو الإنفاق البيئي: تُتيح عائدات الضرائب البيئية توجيه التمويل نحو سياسات بيئية محددة، مثل تخصيص إيرادات رسوم الإمداد بالمياه لتمويل شبكات المعالجة والتنقية أو دعم البلديات في مشاريع البنية التحتية البيئية، بما يضمن التكامل بين السياسة الجبائية والبيئية.

التشجيع على الابتكار البيئي والتقني: ارتفاع كلفة السلع أو الخدمات الملوّثة نتيجة فرض الضرائب يُشكّل دافعًا قويًا للابتكار، إذ يسعى المنتجون والمستهلكون إلى تطوير بدائل أكثر كفاءة وأقل تلويثًا، ومثال ذلك تجربة السويد في فرض ضرائب على زيت الديزل، التي ساهمت في تطوير أنواع وقود نظيفة.

زيادة الإيرادات العامة لخدمة الأهداف البيئية: حتى في حالة استمرار بعض الأنشطة الملوّثة، فإن عائدات الضرائب البيئية تمثّل مصدر دخل إضافي يمكن توجيهه لمعالجة المشكلات البيئية بشكل مباشر أو لدعم عمليات التحول التدريجي نحو أنشطة أكثر استدامة سواء عبر دعم المنتجين أو توعية المستهلكين. (الصادق و رجراج ، 2019، صفحة 131،134).

2.2 أساليب تحديد سعر الضريبة البيئية.

1.2.2 تحديد سعر الضريبة.

يُقصد بسعر الضريبة، من المنظور الجبائي، المبلغ المالي الذي يُلزم المكلف بدفعه عن كل وحدة من المادة أو النشاط الخاضع للضريبة. وفي سياق الجباية البيئية، يُمثل هذا السعر مقدار العبء المالي الذي

يُفرض على الفاعل الملوّث مقابل مساهمته في الإضرار بالبيئة، ويُعد أداة مهمة لتعديل السلوك البيئي غير الرشيد، وتتبنّى التشريعات البيئية في العديد من الدول أسلوبين رئيسيين في تحديد سعر الضريبة البيئية:

السعر الثابت: وهو معدل ضريبي يظل دون تغيير، بغض النظر عن تغيّر حجم الوعاء الضريبي أو درجة التلوث الناتج، ويُحدد في هذه الحالة مبلغ محدد عن كل وحدة من الانبعاثات أو المادة الملوثة، ما يُتيح تبسيط عملية التحصيل وإنفاذ الضريبة.

السعر التصاعدي: ويعتمد هذا الأسلوب على تصاعد سعر الضريبة مع ازدياد الوعاء الضريبي، أي أن مقدار الضريبة يرتفع كلما ارتفع حجم التلوث أو النشاط المضر بالبيئة، ويُسهم هذا النظام في تحقيق مبدأ العدالة الجبائية، حيث يخضع الملوّثون لمستويات مختلفة من العبء المالي تبعًا لحجم الضرر البيئي الذي يتسببون فيه، وفي تطبيقه العملي يُحدَّد السعر التصاعدي عند النقطة التي تتساوى فيها الكلفة الحدية للتلوث مع الكلفة الحدية لمعالجته، وهو ما يضمن فعالية اقتصادية وبيئية متوازنة، فعلى سبيل المثال إذا كانت تكلفة التلوث للوحدة (ك) تُعادل الضريبة المفروضة (ت)، فإن فرض هذه الضريبة سيؤدي إلى تقليص التلوث إلى مستوى (د)، أي النقطة التي تُحقق الكفاءة البيئية المرجوة. (الشناوي، 2011، صفحة 427)

2.2.2 تخصيص حصيلة الضريبة.

تتميّز الجباية البيئية عن غيرها من الضرائب بخروجها عن مبدأ عمومية الميزانية، الذي يقضي بأن تُدرج الإيرادات الجبائية في الميزانية العامة للدولة دون تخصيصها لأغراض معينة، وعلى خلاف هذا المبدأ التقليدي فإن الضريبة البيئية غالبًا ما تُخصَّص عائداتها لتمويل برامج محددة تتعلق بحماية البيئة، ويُعد تخصيص الحصيلة المالية للضريبة البيئية أداة فعالة لتحقيق الأهداف البيئية المنشودة، إذ تُستخدم هذه العائدات في تمويل مجموعة من الأنشطة، من بينها:

دعم وتشجيع الاستثمارات البيئية النظيفة؛

تمويل البحث والتطوير في مجالات التكنولوجيا البيئية؛

تغطية النفقات الإدارية والتقنية للهيئات والمؤسسات المكلفة بحماية البيئة؛

تقديم حوافز مالية أو مكافآت للجهات الصناعية التي تُحقّق نتائج ملموسة في خفض نسب التلوث الناتج عن أنشطتها.

وبذلك فإن تخصيص عائدات الضرائب البيئية يُشكّل تجسيدًا عمليًا لمبدأ "الملوّث يدفع"، حيث يُعاد توجيه الإيرادات المحصّلة من الملوّثين نحو تصحيح الأثر السلبي لأفعالهم، بما يُساهم في تحقيق العدالة البيئية وتعزيز الاستدامة. (فنيدس، 2016، صفحة 157، 158)

ثانيا: تطبيقات الجباية البيئية في الجزائر.

تُعد الجباية البيئية، سواء في شكلها التحفيزي أو الردعي، من الآليات القانونية التي اعتمدتها الجزائر للحد من التلوث وتشجيع الممارسات الصديقة للبيئة، يتناول العنصر دراسة تطبيقات الجباية البيئية في الجزائر مع التركيز على التوازن بين البُعد التحفيزي الذي يدعم السلوك البيئي الإيجابي، والبُعد الردعي الذي يكرّس مبدأ "الملوِّث يدفع."

1 الجباية البيئية التحفيزية.

يُعد النظام الجبائي التحفيزي أحد المكونات الأساسية للجباية البيئية، ويقوم على مجموعة من الحوافز الضريبية التي تهدف إلى دعم السياسات البيئية من خلال تشجيع السلوك الإيجابي بيئيًا لدى الأفراد والمؤسسات وتتمثل هذه الحوافز في آليات ضريبية تُوجّه الاستثمارات نحو القطاعات التي تساهم في الحد من التلوث وتعزيز حماية البيئة.

ويُلاحظ أن التوجه السائد في مجال الحوافز الضريبية ذات البعد البيئي يتمثل في اعتماد آليات جبائية تهدف إلى دعم الأنشطة الاقتصادية المساهمة في حماية البيئة والحد من التلوث:

1.1 الحوافز الضريبية المخصصة لتشجيع تأسيس قطاع خاص يُعنى بحماية البيئة.

من خلال دعم إنتاج المعدات والتجهيزات المخصصة لمكافحة التلوث، وتقديم الخبرات الفنية والتقنية ذات الصلة، فضلاً عن مزاولة أنشطة النظافة ومعالجة النفايات، كما هو معمول به في العديد من الدول الصناعية وتتجلى هذه الحوافز في صور متعددة، من أبرزها الإعفاءات الجزئية أو الكلية من الضرائب على الأرباح، بما في ذلك الأرباح المعاد استثمارها.

1.2 الحوافز الضريبية التي تمنح للقطاعات الصناعية بهدف تشجيعها على التزود بالمعدات اللازمة للحد من التلوث البيئي.

ومن بين أبرز هذه الإجراءات الإعفاء من الرسم على القيمة المضافة والرسوم الجمركية، وهي تدابير جبائية أثبتت فعاليتها في تحفيز التحول نحو تقنيات الإنتاج النظيف.

انطلاقًا من ذلك يتضح أن الحوافز الضريبية تمثل أداة فعّالة في التوجيه والتحفيز نحو تبني سلوك اقتصادي مسؤول بيئيًا. ويقتضي تفعيل هذه الآلية تبنّي سياسات ضريبية تفضيلية تستهدف الأنشطة المرتبطة بإنتاج أو اقتناء الأجهزة والمعدات التي تسهم في تقليص التلوث، أو تلك المتصلة بالنظافة العامة، خصوصًا ما يتعلق منها بإنتاج مواد التنظيف. ويتجسد هذا الدعم من خلال منح إعفاءات ضريبية على الأرباح المتحققة خلال فترة زمنية محددة، أو إعفاء المنتجات البيئية من ضريبة المبيعات، وغيرها من التدابير ذات الطبيعة التحفيزية (فارس و محمد الجبر، 2015، صفحة 107، 108).

وتتخذ الحوافز والإعفاءات الجبائية هذه الحوافز عدة صور، أبرزها:

الإعفاء الدائم: يُمنح بشكل نهائي لبعض الأنشطة الاقتصادية الصديقة للبيئة، وذلك في إطار التمييز الجبائي الإيجابي بينها وبين الأنشطة الملوثة، ويشمل هذا الإعفاء الضرائب والرسوم المفروضة عادة على مختلف العمليات الاقتصادية، بهدف دعم التوجه نحو الاقتصاد الأخضر.

الإعفاء المؤقت: يُطبق لفترة زمنية محددة على المؤسسات التي تعتمد تكنولوجيات نظيفة ومكلفة نسبياً، ويهدف إلى تعويضها جزئياً عن الأعباء المالية المترتبة على تبنيها لتقنيات غير ملوثة، إضافة إلى تحفيزها على إنتاج سلع صديقة للبيئة.

الحوافز الجبائية المتعلقة بالتجهيزات: يتم بموجبها إعفاء المعدات والتجهيزات المستوردة غير الملوثة من الضرائب والرسوم الجمركية وسائر الرسوم الجبائية الأخرى. وتهدف هذه الحوافز إلى تشجيع المؤسسات على استيراد واعتماد التكنولوجيا النظيفة، بما يُسهم في توسيع قاعدة الأنشطة الاقتصادية غير الضارة بالبيئة (مسدور، 2009، صفحة 349).

2 الجباية البيئية الردعية.

تُعد الجباية الردعية من الوسائل القانونية التي اعتمدتها الدولة الجزائرية للحد من الأنشطة الملوِّثة أو الخطيرة على البيئة، وقد تم إقرارها تدريجيًا منذ سنة 1992، من خلال استحداث مجموعة من الرسوم

والإتاوات ذات الطابع البيئي، وفي مقدمتها الرسوم المفروضة على النشاطات الملوثة، إضافة إلى الرسوم التكميلية كالرسم على الوقود والرسم الإضافي على الكحول والمشروبات الكحولية.

2.1 على النشاطات الملوثة أو الخطيرة على البيئة(TAPD) .

تم إحداث هذا الرسم بموجب قانون المالية لسنة 1992 المؤرخ في 18 ديسمبر 1991، ويطبَّق على النشاطات ذات الطابع الصناعي أو التجاري التي تُعد ملوِّثة أو خطرة على البيئة، وقد تم تحديد قائمة الأنشطة المعنية من خلال المرسوم التنفيذي رقم 98-339 المؤرخ في 3 نوفمبر 1998، والذي صنّف 327 نشاطًا، يخضع بعضها لنظام الترخيص من قبل الوزير المختص أو الوالي أو رئيس المجلس الشعبي البلدي، فيما يكتفي البعض الآخر بالتصريح فقط.

أما تحديد قيمة هذا الرسم السنوي، فقد تم عبر مراحل قانونية متعاقبة، أبرزها المادة 54 من قانون المالية لسنة 2000، ثم المادة 61 من قانون المالية لسنة 2018، والتعديل الذي أُدخل عليه بموجب المادة 88 من قانون المالية لسنة 2020 المؤرخ في 30 ديسمبر 2019. ويتم توزيع عائد هذا الرسم بنسبة:

- 50% لفائدة ميزانية الدولة.
- 50% لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل. (قانون رقم 14/19)

2.2 الرسم التكميلي على التلوث الجوي ذي المصدر الصناعي(TCPA) .

تم إنشاء هذا الرسم بموجب المادة 205 من قانون المالية لسنة 2002، ويُفرض على الانبعاثات الغازية والجزيئية (سواء كانت سائلة أو صلبة) التي تتجاوز الحدود القصوى المحددة قانونًا، ويستند وعاء هذا الرسم إلى كميات الغازات والأدخنة والأبخرة المنبعثة في الجو، وفقًا للقيم الحدية المنصوص عليها في المادة 3 من المرسوم التنفيذي رقم 06-138 المؤرخ في 15 أبريل 2006، المنظِّم لانبعاث الملوثات الهوائية، والذي عُدّل لاحقًا بالمرسوم التنفيذي رقم 07-299 المؤرخ في 27 سبتمبر 2007.

يتم تحديد وعاء الرسم وفق سلم تدريجي للمعاملات، يتراوح من 1 إلى 5، بناءً على نسبة الانبعاثات الزائدة والتي تتراوح بين 10% كحد أدنى و100% كحد أقصى من القيم المسموح بها. ويُكلف المرصد الوطني للبيئة والتنمية المستدامة بمتابعة وتحليل هذه الانبعاثات، بينما تتولى المديريات الولائية للبيئة تحديد المعامل المضاعف لكل مؤسسة مصنفة، وترسل هذه المعطيات إلى قباض الضرائب المختصين إقليميًا لتنفيذ التحصيل الجبائي.

توزيع حصيلة الرسوم الجبائية البيئية وفق التشريعات المالية:

استنادًا إلى المادة 91 من قانون المالية لسنة 2002، يُوزَّع حاصل الرسم التكميلي على التلوث الجوي ذي المصدر الصناعي كما يلي:

- 50% لفائدة ميزانية الدولة.
- 33% مخصّصة للصندوق الوطني للبيئة والساحل.
- 17% لفائدة البلديات. (قانون رقم 21/01)

2.3 الرسم التكميلي على المياه المستعملة ذات المصدر الصناعي.

يُفرض هذا الرسم على المياه الصناعية المستعملة، ويُحدد وعاؤه على أساس كمية المياه المستعملة ومستوى التلوث الناتج عنها، في حال تجاوز القيم الحدّية المنصوص عليها في المرسوم التنفيذي رقم 06-141المؤرخ في 19 أبريل 2006، وقد تم تعديل أحكام هذا الرسم بموجب المادة 92 من القانون رقم 19-14 المؤرخ في 11 ديسمبر 2019، المتضمن قانون المالية لسنة 2020، من حيث النسب المخصصة من حصيلته، والتي أصبحت موزعة كما يلي:

- **34%** لفائدة ميزانية الدولة.
- **34%** لفائدة البلديات.
- **16%** للصندوق الوطني للبيئة والساحل.
- **16%** للصندوق الوطني للمياه. (المرسوم التنفيذي رقم 141/06)

2.4 الرسم على الوقود.

تم إقرار هذا الرسم بموجب المادة 38 من القانون رقم 01-21 المؤرخ في 22 ديسمبر 2001، المتضمن قانون المالية لسنة 2002، وقد حُدد بمبلغ 1دج عن كل لتر من البنزين المحتوي على الرصاص، ويُقتطع مباشرة من المصدر. لاحقًا، عدّلت المادة 55 من قانون المالية لسنة 2007 (الصادر بتاريخ 20 نوفمبر 2006) قيمة الرسم كما يلي:

- **0.10دج/لتر** بالنسبة للبنزين العادي أو الممتاز المحتوي على الرصاص.
- **0.30دج/لتر** بالنسبة للغازوال (المازوت).

ويُخصَّص حاصل هذا الرسم على النحو الآتي:

- **50%** لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل (الذي كان يُعرف سابقًا بالصندوق الوطني للبيئة وإزالة التلوث).
- **50%** لفائدة الصندوق الوطني للطرق والطرق السريعة. (قانون رقم 26/06)

2.5 الرسم التحفيزي على عدم تخزين النفايات الصناعية.

تم إقرار هذا الرسم بموجب المادة 89 من القانون رقم 19-14 المؤرخ في 11 ديسمبر 2019، المتضمن قانون المالية لسنة 2020، ويهدف إلى التشجيع على التخلص الآمن من النفايات الصناعية وعدم تخزينها بطريقة قد تُهدد الصحة العامة أو البيئة، وقد حُدد مقدار هذا الرسم بـ 30.000دج (ثلاثين ألف دينار جزائري) عن كل طن واحد من النفايات الصناعية الخاصة أو الخطرة.

ولأغراض التمييز بين أنواع النفايات، اعتمد المشرّع على أحكام القانون رقم 01-19 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001، المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها، حيث نصّت المادة 3 منه على أن:

النفايات الخاصة هي تلك الناتجة عن النشاطات الصناعية، الزراعية، العلاجية، أو الخدمية، والتي لا يمكن – بحكم طبيعتها أو مكوناتها – جمعها مع النفايات المنزلية.

النفايات الخطرة، فهي التي تحتوي على مواد سامة تُشكّل خطرًا على الصحة العمومية أو على البيئة.

وقد تم تحديد توزيع حصيلة هذا الرسم بموجب قانون المالية لسنة 2020 على النحو التالي:

- **46%** لفائدة ميزانية الدولة.
- **38%** لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل.
- **16%** لفائدة البلديات. (قانون رقم 01/19)

2.6 الرسم التحفيزي على عدم تخزين النفايات الناتجة عن أنشطة العلاج.

تم إقرار هذا الرسم بموجب المادة 204 من قانون المالية لسنة 2002، وقد خضع لتعديلات لاحقة بموجب قانون المالية لسنة 2018، ثم بموجب المادة 90 من قانون المالية لسنة 2020، ويهدف هذا الرسم إلى الحد من تخزين النفايات الطبية الناتجة عن أنشطة العلاج داخل المستشفيات والعيادات، نظرًا

لخطورتها البالغة على الصحة العامة والبيئة، خاصة تلك التي تحتوي على مواد مشعة أو مسرطنة أو غير قابلة للتحلل.

وقد حُدّد السعر المرجعي لهذا الرسم بـ 60.000 دج عن كل طن من النفايات الطبية، وتُشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من 230منشأة عبر التراب الوطني مخصّصة للتخلص من هذه النفايات داخل الهياكل الاستشفائية، إلا أن معظمها يواجه صعوبات تقنية، سواء من حيث الأعطال المتكررة أو ضعف التكوين والخبرة في التعامل مع هذا النوع من المخلفات.

ووفق التعديلات الأخيرة، يُخصّص حاصل هذا الرسم كما يلي:

- **50%** لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل.
- **30%** لفائدة ميزانية الدولة.
- **20%** لفائدة البلديات.

2.7 الرسم على النفايات الحضرية.

استنادًا إلى المواد من 263 إلى 263 مكرر 4 من قانون الضرائب المباشرة والرسوم المماثلة لسنة 2020، تم استحداث رسم سنوي لفائدة البلديات التي تتولى خدمة جمع القمامة المنزلية، ويُفرض هذا الرسم على جميع الملكيات المدنية باسم المالك أو المنتفع، ويجوز تحميل المستأجر هذا الرسم بالتضامن مع المالك.

وقد تم تحديد مبلغ الرسم وفقًا لطبيعة استعمال العقار كما يلي:

- من 1.500دج إلى 2.000 دج عن كل محل مخصص للاستعمال السكني.
- من 4.000دج إلى 14.000 دج عن كل محل مخصّص للاستعمال المهني، التجاري، الحرفي أو ما يشابهه.
- من 10.000دج إلى 25.000 دج عن كل أرض مهيأة للتخييم أو مخصصة للمقطورات.
- من 22.000دج إلى 132.000 دج عن كل محل ذي استعمال صناعي، تجاري، حرفي أو ما يشابهه، في حال كانت كمية النفايات الناتجة عنه تفوق ما تنتجه الفئات السالف ذكرها.

2.8 الرسم على الأكياس البلاستيكية المستوردة و/أو المحلية.

أقر المشرّع الجزائري هذا الرسم بموجب المادة 53 من قانون المالية لسنة 2004، ويُفرض على الأكياس البلاستيكية سواء كانت مستوردة أو مصنّعة محليًا، ويُحتسب وعاؤه على أساس الكمية. وقد قُدّر في بدايته بـ 10.5دج لكل كيلوغرام، لاحقًا، أُعيد النظر في قيمة هذا الرسم في سنة 2018، ثم تم تعديله بموجب المادة 94 من قانون المالية لسنة 2020، ليصبح 200دج لكل كيلوغرام من الأكياس البلاستيكية.

ورغم رفع قيمة الرسم، إلا أن أثره البيئي كان محدودًا، إذ أدرج المنتجون والمستوردون قيمة الرسم ضمن تكاليف البيع، ما قلل من فعاليته في الحد من استعمال هذه الأكياس.

أما توزيع عائدات هذا الرسم، فقد تم تحديده على النحو التالي:

- **73%** لصالح ميزانية الدولة.
- **27%** لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل.

2.9 الرسم على الزيوت والشحوم المستوردة و/أو المصنعة محليًا.

تم استحداث هذا الرسم بموجب المادة 61 من قانون المالية لسنة 2006، وفرض بمبلغ 12.500دج عن كل طن من الزيوت أو الشحوم سواء كانت مستوردة أو مُصنعة محليًا، والتي يترتب عن استخدامها إنتاج زيوت مستعملة.

وقد تم تنظيم آلية التحصيل بموجب المادة 3 من المرسوم التنفيذي رقم 07-118 المؤرخ في 21 أبريل 2007، والتي نصّت على ما يلي: (المرسوم التنفيذي رقم 118/07)

- بالنسبة للزيوت والشحوم المصنعة محليًا، يُحصَّل الرسم عند خروجها من المصنع من قبل المنتجين.
- بالنسبة للزيوت والشحوم المستوردة، تتولى مصالح الجمارك اقتطاع الرسم عند الاستيراد، ويُحتسب الوعاء على أساس قيمة السلع مضافًا إليها أجور الشحن والتأمين.

خضع هذا الرسم لتعديلات لاحقة بموجب المادة 66 من قانون المالية لسنة 2018، ثم المادة 93 من قانون المالية لسنة 2020، حيث رُفعت قيمة الرسم إلى 37.000دج عن كل طن.

أما توزيع مداخيل هذا الرسم، فيتم على النحو التالي:

- 42% لفائدة ميزانية الدولة.

- 34% لفائدة البلديات، وذلك في حالة الزيوت والشحوم المصنّعة داخل التراب الوطني، أو لصالح صندوق التضامن والضمان للجماعات المحلية في حالة الزيوت والشحوم المستوردة.
- 24% لفائدة الصندوق الوطني للبيئة والساحل.

وبصفة انتقالية، يُحوَّل حاصل الرسم المقتطع من قبل مصالح الجمارك والذي لم يُدفع مباشرة إلى البلديات، إلى صندوق التضامن والضمان للجماعات المحلية، الذي يتولى بدوره توزيعه على البلديات المعنية وفقًا للضوابط التنظيمية المعمول بها.

2.10 الرسم على الإطارات المطاطية الجديدة.

أُنشئ هذا الرسم بموجب المادة 112 من قانون المالية لسنة 2017، ويُفرض على الإطارات المطاطية الجديدة المستوردة. وقد حُدّد مقدار الرسم وفقًا لنوع الإطار كما يلي (قانون رقم 14/16):

- 750دج عن كل إطار مخصّص للمركبات الثقيلة.
- 450دج عن كل إطار مخصّص للمركبات الخفيفة.

أما توزيع الحصيلة المتأتية من هذا الرسم، فقد نصّ القانون على تقسيمها بالنسب التالية:

- 35% لصالح صندوق التضامن والضمان للجماعات المحلية.
- 34% لصالح ميزانية الدولة.
- 30% لصالح الصندوق الخاص للتضامن الوطني.
- 1% لصالح الصندوق الوطني للبيئة والساحل.

2.11 رسم الفعالية الطاقوية.

تم استحداث رسم الفعالية الطاقوية بموجب المادة 70 من قانون المالية لسنة 2017، ويُفرض على الأجهزة التي تشتغل بالكهرباء أو الغاز أو المنتجات البترولية، في حال كان استهلاكها يُعدّ مفرطًا مقارنة بمعايير التحكم في الطاقة المنصوص عليها في التنظيم المعمول به.

يُستحق هذا الرسم:

عند الجمركة بالنسبة للأجهزة المستوردة.

عند الخروج من المصنع بالنسبة للأجهزة المنتجة محليًا.

ويُطبّق هذا الرسم على الأجهزة الخاضعة للقواعد الخاصة بالفعالية الطاقوية والتصنيف، ويتم احتسابه وفقًا للصنف الطاقوي الذي تنتمي إليه الأجهزة.

وقد تم تعديل أحكام هذا الرسم بموجب المادة 64 من قانون المالية لسنة 2020، بحيث أصبح يُطبق وفق سلم تصاعدي حسب مستوى الفعالية الطاقوية، لا سيما بالنسبة للأجهزة المصنّعة محليًا.

2.12 إتاوة رخصة الصيد.

تم استحداث إتاوة سنوية مقابل الحصول على رخصة الصيد البحري الترفيهي بموجب المادة 85 من قانون المالية لسنة 1997، وقد قُدّرت قيمتها حينها بـ 2.000دج سنويًا، غير أن هذه الإتاوة عُدّلت بموجب المادة 34 من قانون المالية التكميلي لسنة 2009، حيث تم تخفيضها إلى 1.000دج سنويًا . ويتم دفع هذا الرسم على مستوى مصالح أملاك الدولة المختصة إقليميًا.

أما فيما يتعلق بممارسة مهنة مُجهّز سفن الصيد البحري التجاري، فقد نصت المادة 91 من قانون المالية لسنة 1997 على فرض رسم سنوي يُحدد مقداره حسب نوع نشاط الصيد البحري والحمولة الإجمالية لسفينة الصيد، وذلك على النحو الآتي (الأمر رقم 31/96):

- 5.000دج :عن كل سفينة "جيبية" ذات سعة إجمالية تساوي أو تفوق 100 برميل.
- 4.000دج عن كل سفينة "جيبية" ذات سعة إجمالية أقل من 100 برميل.
- 2.000دج عن كل مركب صيد السردين، بغض النظر عن سعته الإجمالية.
- 500دج عن كل قارب صيد بسعة إجمالية أقل من 10 براميل.
- 1.000دج عن كل قارب صيد بسعة إجمالية تساوي أو تفوق 10 براميل.
- 15.000دج عن كل مركب مرجان، مهما كانت سعته الإجمالية.
- 5.000دج عن كل مركب لصيد التونة بسعة إجمالية أقل من 100 برميل.
- 10.000دج عن كل مركب لصيد التونة بسعة إجمالية تساوي أو تفوق 1.000 برميل.

2.13 الرسم الإضافي على كل منتج تبغي.

في إطار تنفيذ السياسة الوطنية الرامية إلى الحد من استهلاك التبغ، وانسجامًا مع التزامات الجزائر الدولية بموجب اتفاقية الإطار لمنظمة الصحة العالمية بشأن مكافحة التبغ، قام المشرّع الجزائري بتعزيز الأداة

الجبائية كوسيلة ردعية، من خلال رفع قيمة الرسم الإضافي المفروض على منتجات التبغ إلى 22 دج، وذلك بموجب المادة 106 من قانون المالية لسنة 2020.

ويتم توزيع حصيلة هذا الرسم الإضافي على النحو التالي:

- 7دج مخصصة للصندوق الخاص بالاستعجالات ونشاطات العلاجات الطبية.
- 7دج لصالح صندوق التضامن الوطني.
- 10دج لحساب التخصيص الخاص المعنون بـ الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.
- 3دج لحساب التخصيص الخاص المعنون بـ صندوق مكافحة السرطان.

وتجسد هذه التوزيعة توجهًا نحو تخصيص الموارد الجبائية لدعم قطاعات الصحة والحماية الاجتماعية.

2.14 الرسم الإضافي على الكحول والخمور.

أنشئ هذا الرسم بموجب المادة 48 من قانون المالية لسنة 2012، وتم تعديله لاحقًا بموجب المادة 69 من قانون المالية لسنة 2018، والتي أقرت فرض رسم إضافي بنسبة 5 %من رسم المرور على الكحول والخمور. (قانون رقم 11/17)

ويُطبّق هذا الرسم على المنتجات المصنّفة ضمن الخانات 3، 5 و6 من الجدول الملحق بالمادتين 47 و176 من قانون الضرائب غير المباشرة، وتُخصص حصيلته، حسب طبيعة المنتجات، على النحو التالي:

- بالنسبة للمنتجات الواردة في الخانات 3، 4، 5 و6 من الجدول المنصوص عليه في المادة 47، تُخصص حصيلة الرسم لصالح حساب التخصيص الخاص لصندوق مكافحة السرطان، في انسجام مع السياسة الوطنية للصحة العامة ومكافحة الأمراض الخطيرة.
- أما فيما يتعلق بالمنتجات التي تشملها المادة 176 من قانون الضرائب غير المباشرة، فتُدرج حصيلتها ضمن ميزانية الدولة.

ويُبرز هذا الرسم البعد البيئي والصحي للسياسة الجبائية، من خلال تسخير العائدات لتمويل البرامج الصحية الوقائية والعلاجية، بما يحقق حماية مزدوجة للإنسان والبيئة من أضرار الكحول والتبغ.

2.15 إتاوة المحافظة على المياه من حيث الكم والنوع.

أنشأت المادة 174 من قانون المالية 1996 إتاوة تُفرض على المحافظة على جودة المياه، وهي تُحصّل من كل مرتفق مرتبط بشبكة عمومية تُديرها المؤسسات الجهوية والولائية لإنتاج وتوزيع المياه، بالإضافة

إلى الوكالات والمصالح البلدية المعنية بإنتاج وتوزيع المياه، فضلاً عن الدواوين الجهوية والولائية للمساحات المسقية.

كما تُطبّق هذه الإتاوة على كل الأشخاص الطبيعيين والمعنويين الخاضعين لأحكام القانون العام أو الخاص، الذين يمتلكون أو يستغلون آباراً أو تنقيبات أو منشآت فردية أخرى، وفي هذا الإطار، أقر قانون المياه رقم 12-05 المؤرخ في 14 أغسطس 2004 والمعدل والمتمم، ضرورة دفع إتاوات تحددها قوانين المالية مقابل منح رخص أو امتيازات لاستغلال الموارد المائية. وقد نظم الباب الثامن من ذات القانون تسعيرة خدمات المياه في المواد من 137 إلى 158، مؤكداً وجوب دفع إتاوة عن كل استغلال أو استفادة من خدمات المياه، بصرف النظر عن طبيعة الاستخدام سواء أكان صناعياً، زراعياً، أو استهلاكاً بشرياً. كما تخضع هذه الإتاوات للتعديل الدوري في قوانين المالية المختلفة.

في سياق متصل، أضاف المشرع الجزائري إتاوة اقتصاد المياه عبر المادة 50 من قانون المالية لسنة 2010 لتكملة إتاوة المحافظة على نوعية المياه. وتُفرض هذه الإتاوة في إطار برنامج حماية الموارد المائية الكمية على كل مستخدم أو مستغل للمياه الموصول بشبكة جماعية للمياه الصالحة للشرب أو المخصصة للاستخدام الصناعي أو الفلاحي، وتديرها المؤسسات العمومية صاحبة الامتياز أو مفوضو تسيير الخدمات العامة، بما في ذلك البلديات والهيئات المعنوية الحاصلة على عقود امتياز لتسيير مساحات السقي.

تُحدد إتاوة اقتصاد المياه بنسبة 4% من مبلغ فاتورة المياه الصالحة للشرب المستخدمة لأغراض صناعية أو فلاحية في ولايات الشمال، فيما تُحدد بنسبة 2% في ولايات الجنوب، والمتمثلة في الأغواط، غرداية، الوادي تندوف، بشار، إليزي، تمنغست، أدرار، بسكرة، وورقلة.

أما بالنسبة لوكالات الأحواض الهيدرولوجية، فتفرض هذه الإتاوة على كل شخص طبيعي أو معنوي، عام أو خاص، يمتلك ويستغل تجهيزات اقتطاع المياه الثابتة أو المؤقتة في الميدان المائي العمومي. وتُحتسب إتاوة اقتطاع المياه بنسبة 4% من مبلغ الفاتورة في ولايات شمال البلاد، و2% في ولايات الجنوب المذكورة أعلاه، تُودع عائدات تحصيل إتاوة اقتصاد المياه في الصندوق الوطني للتسيير المدمج للموارد المائية.

جدول1: الرسوم البيئية في الجزائر ما بين سنة 1991 و2020.

الضرائب البيئية	الأساس القانوني
الرسم على النشاطات الملوثة والخطرة على البيئة	المادة117 من القانون رقم 25/91 المؤرخ في 18 ديسمبر 1991 المعدل والمتمم بموجب المادة 54 من قانون المالية لسنة 2000 والمادة 202 من قانون المالية لسنة 2002.
الرسم على الفعالية الطاقوية /المنتجات البترولية	المادة 70 من قانون المالية لسنة 2017 المعدلة بموجب المادة 64 من قانون المالية رقم 14/19 لسنة 2020.
الرسم على الوقود	المادة 38 من قانون المالية 21/01 لسنة 2002 المعدل والمتمم بالمادة 55 من قانون المالية رقم 26/06 لسنة 2007.
الرسم على الأطر المطاطية الجديدة	المادة 60 من قانون المالية لسنة 2006 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008. المادة 112 من قانون المالية لسنة 2017 والمادة 54 من قانون المالية لسنة 2019.
الرسم على الزيوت والشحوم المستوردة أو المصنعة محليا/تحضير الشحوم	المادة 61 من قانون المالية لسنة 2006 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 66 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 93 من قانون المالية لسنة 2020.
الرسم التحفيزي على عدم تخزين النفايات الصناعية	المادة 203 من قانون المالية لسنة 2002 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 62 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 89 من القانون المالية رقم 14/19 لسنة 2020.
الرسم التحفيزي على عدم تخزين النفايات المرتبطة بأنشطة العلاج	المادة 204 من قانون المالية لسنة 2002 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 63 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 90 من قانون المالية لسنة 2020.
الرسم التكميلي على المياه المستعملة الصناعية	المادة 94 من قانون المالية لسنة 2003 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 65 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 92 من قانون المالية رقم 14/19 لسنة 2020.

الرسم التكميلي على التلوث الجوي ذي المصدر الصناعي	المادة 205 من قانون المالية لسنة 2002 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 64 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 91 من قانون المالية لسنة 2020.
رسم التطهير/الرسم على النفايات الحضرية	المادة 263 مكرر 2 والمادة 263 مكرر 4 من قانون الضرائب المباشرة والرسوم المماثلة لسنة 2020.
الرسم الخاص على الأكياس البلاستيكية المستوردة أو المنتجة محليا	المادة 53 من قانون المالية لسنة 2004 المعدل والمتمم بالمادة 46 من قانون المالية التكميلي لسنة 2008، والمادة 67 من قانون المالية لسنة 2018 والمادة 94 من قانون المالية رقم 14/19 لسنة 2020.

المصدر: سلخين أحمد، جيلالي بوزكري، دور إدارة البيئة في المساهمة في حماية البيئة- الجباية البيئية نموذجا- دراسة حالة الجزائر، مجلة دفاتر اقتصادية، مجلد 13، العدد1، سنة 2022.

خاتمة:

تُعتبر الجباية البيئية في الجزائر أداة اقتصادية فعالة تسهم في تحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة إذ تتميز بخصائص مزدوجة تجمع بين الجانب الردعي الذي يهدف إلى تقليل الأضرار البيئية عبر فرض رسوم وضرائب على الملوثين، والجانب التحفيزي الذي يشجع على تبني ممارسات صديقة للبيئة من خلال تقديم حوافز مالية. أظهرت نتائج البحث أن الجباية البيئية تساهم بشكل ملموس في تعزيز الوعي البيئي وتحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والحفاظ على الموارد الطبيعية، شرط توفر إطار قانوني متين يضمن التطبيق العادل والشفاف لهذه الآليات، كما تبين أن تطوير آليات الرقابة والمتابعة، إلى جانب تخصيص عائدات الجباية لتمويل مشاريع بيئية مستدامة، يعزز من فاعلية هذا النظام. بناءً على ذلك، يُوصى بإصلاح التشريعات البيئية لتشمل آليات واضحة للتحصيل والمحاسبة، تعزيز التعاون بين مختلف الجهات المعنية، وتفعيل دور المجتمع المدني في مراقبة تنفيذ السياسات البيئية، مما يضمن تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والبيئية في آن واحد.

قائمة المراجع:

1. قانون رقم 21/01. (2001). مؤرخ في 22/12/2001 المتضمن قانون المالية لسنة 2002 المادة 91. الجريدة الرسمية العدد 79 الصادر في 23/12/2001.

2. قانون رقم 26/06. (2006). المؤرخ في 26/12/2006 المتضمن قانون الماليةلسنة 2007 المادة 55. جريدة الرسمية العدد 85 صادرة في 27/12/2006.

3. قانون رقم 14/16 .(2016) .المؤرخ في 28/12/2016 المتضمن قانون المالية لسنة 2007المادة 112 .الجريدة الرسمية العدد 77 الصادرة في 29/12/2016.

4. قانون رقم 11/17. (2017). المؤرخ في 27/12/2017 يتضمن قانون المالية لسنة 2008 المادة 69. جريدة الرسمية العدد 76 الصادرة في 28/12/2017.

5. قانون رقم 01/19. (2019). المؤرخ في 12/12/2001 المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وازالتها المادة 03. جريدة الرسمية العدد 77 الصادرة في 15/12/2001.

6. قانون رقم 14/19 .(n.d.) .مادة 88مؤرخ في 11/12/2019 المتضمن قانون المالية لسنة 2020 .الصادر في30/12/2019 جريدة رسمية العدد81 ,صفحة 34.

7. الأمر رقم 31/96. (1996). المؤرخ في 30/12/1996 يتضمن قانون المالية 1997 المادة 91. جريدة الرسمية العدد 85 الصادرة في 31/12/1996.

8. المرسوم التنفيذي رقم 141/06. (2006). المؤرخ في 19/04/2006 المتعلق بضبط القيم القصوى للمصبات الصناعية السائلة. الجريدة الرسمية العدد 26 الصادرة في 23/04/2006.

9. المرسوم التنفيذي رقم 118/07. (2007). المؤرخ في 21/04/2007 يحدد كيفيات اقتطاع وإعادة دفع الرسم على الزيوت والشحوم وتحضيرات الشحوم المستوردة أو المصنعة محليا. الجريدة الرسمية العدد 26 الصادرة 22/04/2007.

10. أحمد فنيدس. (2016). دور الجباية في الحد من التلوث البيئي. مجلة حوليات، جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 18، 158، 157.

11. زوين الصادق، و الزوهير رجراج . (2019). الجباية البيئية كآلية في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر. مجلة الدراسات الجبائية، المجلد 8، العدد 1، 134،131.

12. شيماء فارس، و محمد الجبر. (2015). الوسائل الضريبية لحماية البيئة –دراسة قانونية مقارنة، طبعة أولى. الأردن عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

13. صافية, زاد المال .(2013) .حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة على ضوء أحكام القانون الدولي . أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر.538 ,

14. صونية, بن طيب. 9، 10ديسمبر 2013 .(الجباية البيئيةكآلية لحماية البيئة، الملتقى الدولي حول النظام القانوني لحماية البيئة في ضل القانون الدولي والتشريع الجزائري .جامعة 8 ماي 1945 قالمة .

15. عمرومحمدالسيد الشناوي. (2011). تقويم الضريبة كأداة لسياسة حماية البيئة دراسة حالة مصر. مجلة البحوث القانونيةوالاقتصادية، جامعة المنصورة، العدد 9، 427.

16. فارس مسدور. (2009). العددأهمية تدخل الحكومات في حماية البيئة من خلال الجباية البيئية، المجلد7، العدد7. مجلة الباحث، 349.

17. محفوظ برحماني. (2015). الجباية البيئية. مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية العدد 7، 400.

18. سلخين أحمد، جيلالي بوزكري، دور إدارة البيئة في المساهمة في حماية البيئة– الجباية البيئية نموذجا– دراسة حالة الجزائر، مجلة دفاتر اقتصادية، مجلد 13، العدد1، سنة 2022.

Digitization of public facilities and the question of governance

Youssra jay koraichi, Doctor of Public Law
Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Fez – Morocco
Youssrajay94@gmail.com

Abstract

Associated with the adoption of this modern management style, which imposed its inevitability as a modern mechanism and system for managing public facilities and administrations, through converting traditional administrative work into a digital one based on the use of computers, applications and information systems, as well as the digital status in the law related to simplifying administrative procedures and measures in the Moroccan experience. This was manifested through the constitutionalization of the principles of governance of public facilities, and the strong desire to advance the concept of public facilities by issuing a national charter for public facilities, which undoubtedly contributed to strengthening governance mechanisms.

Keywords: Public facilities - digitization - management method – governance.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

رقمنة المرافق العمومية وسؤال الحكامة

يسرى الجاي القريشي ، دكتورة في القانون العام
جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية العلوم القانونية والاقتصادية و الاجتماعية بفاس – المغرب
Youssrajay94@gmail.com

الملخص

يهدف المقال إلى رصد مسار الرقمنة في المغرب وكذا مجمل البرامج والاستراتيجيات المقترنة باعتماد هذا النمط التدبيري الحديث الذي فرض حتميته كآلية ومنظومة حديثة لتدبير المرافق والإدارات العمومية ، من خلال تحويل العمل الإداري التقليدي إلى آخر رقمي يرتكز على استخدام الحواسيب والتطبيقات والنظم المعلوماتية ، وكذا المكانة الرقمنة في القانون المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية في التجربة المغربية ، وهو ما تمظهر عبر دسترة مبادئ حكامة المرافق العامة، والرغبة الأكيدة في الرقي بمفهوم المرفق العام عبر إصدار ميثاق وطني للمرافق العامة الذي ساهم بدون أدنى شك في تعزيز آليات الحكامة .

الكلمات المفتاحية: المرافق العمومية– الرقمنة– الأسلوب التدبيري– الحكامة.

مقدمة

أصبحت الرقمنة خيارًا استراتيجيًا لا محيد عنه في العصر الحديث، لما توفره من فرص لتطوير أداء الإدارة العمومية، تحسين جودة الخدمات، ومحاربة الفساد. في المغرب، انخرطت الدولة في مشروع رقمنة المرافق العمومية في إطار مشروع التحول الرقمي، إلا أن هذا المسار يثير تساؤلات حول فعالية الحكامة، مدى الشفافية، والمشاركة المواطنة في هذا الورش.

فالحكامة الجيدة تقتضي وجود إدارة جيدة، وعلى ضوء هذا الترابط الوثيق تبرز العالقة الوطيدة بين مبادئ الحكامة والتدبير الإداري الذي تراهن عليه الدول في تجويد وتحسين صورة مرافقها العامة، حيث أضحى المرفق العمومي في الوقت الراهن إحدى الاهتمامات الكبرى لدى شريحة عريضة من المهتمين بقضايا التدبير المرتبط بالشأن العام والموصل للتنمية الشاملة، كما أن المرفق العام يعتبر تجسيدا ملموسا ومظهرا حقيقيا لنشاط الدول، وشكلا من أشكال تدخل هذه الأخيرة في الحياة العامة للمواطنين من أجل إشباع متطلباتهم والاستجابة لحاجياتهم المتزايدة بهدف تحقيق المصلحة العامة، وهذا ما افرز أهمية بالغة في البحث عن آليات ناجعة ووسائل معقلنة لتدبيره حتى يكون في مستوى تطلعات المواطنين.

وهو ما تمظهر عبر دسترة مبادئ حكامة المرافق العامة، والرغبة الأكيدة في الرقي بمفهوم المرفق العام عبر إصدار ميثاق وطني للمرافق العامة الذي ساهم بدون أدنى شك في تعزيز آليات الحكامة الرائدة وبناء صرح ديمقراطي حديث أساسه حسن التدبير والشفافية والمساواة وربط المسؤولية بالمحاسبة وتعزيز الولوجية للمرافق العامة تماشيا مع ما جاء به دستور 2011 ،بما يهدف إلى إسهام المواطن في إعداد سياسة عمومية ترمي إلى تحسين علاقته بالدارة، وكذا تدبير الخدمات الإدارية المقدمة بجعلها في المتناول، ولعل هذه المبادئ وغيرها من أهم الأهداف والأسس التي يمكن أن تبنى عليه حكامة جيدة للمرافق العامة. (المصطفى المصبحي).

كما عرف الانتقال الرقمي في الإدارة العمومية بالمغرب تطوراً ملموساً، من خلال إتاحة العديد من التطبيقات والبوابات الإلكترونية لتيسير الحصول على الوثائق المطلوبة لإنجاز المساطر الإدارية، وللاستفادة من الخدمات العمومية الأساسية في المجالات الاجتماعية؛ كالتعليم والتكوين المهني والصحة والرعاية والتصدي للإقصاء الاجتماعي، والاقتصادية كإنعاش الشغل والاستثمار وتحصيل الضرائب وحوكمة التدبير المالي. وأسفرت مختلف الاستراتيجيات المتخذة عن تسريع التحول التنظيمي للمرافق العمومية وتزايد وتيرة رقمنة المساطر الإدارية ونزع الصفة المادية عنها.(عبد الرفيع زعنون،2023،ص.1).

ومع تحول العالم نحو المعاملات الرقمية، أدرك المغرب أهمية ورش الرقمنة في مستقبل الدول النامية، فبادر بتأسيس وكالة التنمية الرقمية في 14 شتنبر 2017، لتكون القاطرة التي ستشرف على مشروع التحول الرقمي في البلاد .فالتطور السريع لتقنيات المعلومات والاتصالات سيشكل تحديا لجميع المجالات والأنشطة والممارسات في المجتمع وعلى رأسها الادارة، باعتبارها البنية الأساسية لأي نشاط إنساني، إذ لا يمكن مسايرة التطورات التي يعرفها العصر دون تطوير الادارة لتواكب التحديات التي هي سمة القرن الواحد والعشرين، بحيث تعددت التسميات التي يمكن أن تستعمل للدلالة على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العمل الاداري كالرقمنة والإدارة الرقمية والإدارة الالكترونية وغيرها من المفاهيم المتقاربة . وفي هذا الصدد تم إصدار عدة قوانين تهم رقمنة الخدمات الإدارية من بينها قانون رقم 54.19 الذي يعتبر بمثابة ميثاق المرافق العمومية لرقمنة خدمة عمومية ذات جودة عالية سهلة الولوج وشفافة. كما تم إصدار قانون رقم 55.19 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية اعتمادا على الرقمنة كآلية لتفعيل هذا القانون ولبلوغ أهدافه المتمثلة في تعزيز الثقة بين الإدارة والمتعاملين معها، الى جانب القوانين ذات الصلة بالمجال الرقمي من قبيل القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الالكتروني للمعطيات القانونية وقانون 43.20 المتعلق بخدمات الثقة بشأن المعاملات الالكترونية وقانون رقم 08.09 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي (محمد شقير"رقمنة الخدمات الإدارية بالمغرب بين الطموحات والاكراهات" https://al3omk.com/1037836.html تاريخ الزيارة 2025/05/14. .)

وكل هذه القوانين تهدف بالأساس تنزيل الرقمنة الإدارية، ليس كمفهوم بل كواقع يقلص السنة الإدارية إلى مدة لا تتجاوز ستة أشهر، ويغدو الحصول على وثيقة إدارية الذي كان يستلزم نصف ساعة سابقا، لا يتطلب إلا أقل من بضع دقائق، وإبرام الصفقات بين الأفراد والشركات لا يتجاوز ثلاثة أيام بدلا من ثلاثة أشهر من الانتظار. كما أن هامش ''الأخطاء الإدارية'' سيتقلص إلى الصفر، طالما أن علاج الملفات وتدبيرها يتم بسرعة قياسية. بالإضافة إلى هذه الرقمنة للخدمات الادارية ستساهم في التخلص من جيوب البيروقراطية وتفشي الفساد الإداري. لكن يبدو بأنه رغم كل الجهود المبذولة من طرف الدولة التي تعتبر هذا الورش الرقمي أساسي ، فما زالت هناك عدة إكراهات تواجه تعميم رقمنة الخدمات الإدارية ، مما يتطلب ضرورة إدماج هذه الرقمنة ضمن مشروع تحول شمولي للمجتمع .

يكتسي موضوع رقمنة المرافق العمومية بالمغرب أهمية جلية تتضح في إبراز أهمية الحكامة ، وكذا الرهانات والواقع الذي يمكن أن يصاحب اعتماد الرقمنة في أداء المرافق العمومية بالمغرب، خاصة مع المستجدات التي جاء بها دستور 2011 والتغيرات التي يعرفها المغرب.

من خلال ما سبق نتساءل: **إلى أي حد تمكنت عملية رقمنة المرافق العمومية بالمغرب من إرساء أسس الحكامة الجيدة، في ظل التحديات المطروحة؟**

اعتبارا لطبيعة الموضوع ، فإن البحث سيتأطر بقواعد المنهج الوصفي التحليلي، بحيث سيعمل على توصيف وبيان القضايا المتعلقة بالخدمات العمومية الرقمية وورش بلورة الاستراتيجيات الرقمية.

وبناء على ما سبق وفي محاولة لإلمام بالموضوع تم العمل على تقسيمه وفق التصميم التالي:

المبحث الأول: التدبير العمومي الحديث ورهان الحكامة الجيدة

المبحث الثاني: تطور الإدارة الإلكترونية في المغرب

المبحث الأول: التدبير العمومي الحديث ورهان الحكامة الجيدة

لقد جاء الدستور الجديد للمملكة بعدة مبادئ حكماتية من خلال الباب الثاني عشر "الحكامة الجيدة " وذلك وعيا بأهمية الحكامة الجيدة في ترشيد عمل المرافق العمومية. من بين هذه المبادئ نجد الجودة، لشفافية، ربط المسؤولية بالمحاسبة، احترام القانون، الحياد، النزاهة وغيرها من المبادئ. إضافة لمجموعة من الهيئات والمؤسسات الدستورية التي لها عالقة بحكامة المرافق العمومية.

المطلب الأول : ترسيخ مبادئ الجودة والشفافية و ربط المسؤولية بالمحاسبة

نص الفصل 154 من الدستور في فقرته الثانية على: " تخضع المرافق العمومية لمعايير الجودة والشفافية والمحاسبة والمسؤولية، وتخضع في تسييرها للمبادئ والقيم الديمقراطية التي أقرها الدستور" لذلك يمكن رصد هذه المعايير التي جاء بها الدستور الجديد لتحديد معالم المرفق العام، وما يجب أن يخضع له، من اجل تحقيق الحكامة الجيدة، وتتمثل خصوصا في

1- معيار الجودة :دخل المغرب في برنامج واسع من الإصلاحات السياسية الدستورية والاقتصادي والاجتماعية، هذه الإصلاحات ترمي إلى اعتماد مقاربة جديدة للتدبير والتنمية عن طريق مرفق عمومي

نشيط يخضع لمعايير الحكامة الجيدة، ومن ضمن هذه العناصر التخطيط على ، ويشكل التخطيط محورا أساسيا لإصلاح والتغيير في سبيل رفع أساس جودة الخدمات مستوى أداء أجهزة القطاع العام بالمغرب (إبراهيم الشافعي 2024، ص85).

والجودة في مجال تدبير المرافق العمومية تتغير حسب طبيعة هذه الأخيرة وحسب تطور نشاطاتها والظروف المحيطة بها، لذلك فإن المشرع وسعيا منه على الوفاء بمطلب كل المتعاملين مع المرافق العمومية وتحقيق تلك المتطلبات بما يتوافق وتوقعاتهم، عمل على دسترة هذا المعيار وجعل المرافق تخضع له مما يؤكد على نتيجة واحدة وهي رد الاعتبار للمرافق العمومية وجعلها في مستوى تطلعات المرتفقين(نوال الهناوي،2001/ ،ص 91).

2- معيار الشفافية :لقد أصبح مبدأ الشفافية في الوقت الراهن معيارا أساسيا لتقييم أداء تدبير المرافق العمومية فهو يسمح للمرتفقين بالإطلاع على مختلف العمليات التي يقوم بها المسير من اجل تنفيذ الخدمات، وبالتالي معرفة تفاصيل إدارة المرفق العمومي، فبإقرار هذا المبدأ ضمن قواعد التدبير الجيد يتحقق احترام المنافسة والشرعية والمساواة أمام القانون .وهو ما جاء به نص الدستور من خلال الفصل 27 الذي ينص "على جميع المواطنات والمواطنين الحصول على المعلومات الموجودة في حوزة الإدارة العمومية والمؤسسة المنتخبة، والهيئات المكلفة بمهام المرافق العمومية ."وفي هذا الصدد، فإن الحكامة الجيدة تدمج في مفهومها عدة معايير في مقدمتها الجودة وشفافية التدبير، ولتحقيق ذلك يرى البعض بضرورة تنزيل جملة من التدابير أهمها:

-تنزيل قانون يتضمن الولوج الغير المقيد للمعلومات ومراجعة الفصل 18 من النظام الأساسي للوظيفة العمومية المتعلق بالسر المهني.

- .مراجعة المرسوم المتعلق بالصفقات العمومية وتطعيمه بمقتضيات تحد من السلطة التقديرية الواسعة لضمان الشفافية التامة للصفقات العمومية.

-تسريع وثيرة قوانين التصريح بالممتلكات لتشمل جميع المرافق العمومية وتطبيق الإجراءات ضد المخالفات المتعلقة بالتصاريح المزيفة.

3- معياري المسؤولية والمحاسبة :هو مبدأ هام في تدبير المرافق العمومية، يهدف إلى وضع حد لهدر المال العام وإعمال الحكامة الجيدة في التدبير. وبذلك فإن كل من تحمل المسؤولية فهو ليس بمنأى عن المساءلة

والمحاسبة، بحيث ألزم المشرع الدستوري المرافق العمومية باعتماد مبدأ جديد وهو ربط المسؤولية بالمحاسبة لتكريس الحق والقانون، وكذلك من أجل استعادة ثقة المواطنين في الإدارة(عبد العزيز أشرقي، 2014 ،ص 393.)

كما عمد المشرع المغربي إلى تعزيز عنصري المساءلة والمراقبة كركيزة أساسية لتدبير الشأن العمومي، باعتماد قاعدة تلازم المسؤوليات والوظائف العمومية وربطها بالمحاسبة (الفصل 156 من دستور 2011).

المطلب الثاني : هيئات ومؤسسات حكامة المرافق العامة

هناك مؤسسات كثيرة لها عالقة بحكامة المرافق العمومية، غير أننا سنكتفي بالإشارة إلى مؤسسة الوسيط والهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها والمجلس الأعلى للحسابات.

أ– مؤسسة الوسيط :نص الفصل 162 من الدستور المغربي على أن الوسيط مؤسسة وطنية مستقلة ومتخصصة، مهمتها الدفاع عن الحقوق في نطاق العالقة بين الإدارة والمرتفقين والإسهام في ترسيخ سيادة القانون، وإشاعة مبادئ العدل والإنصاف، وقيم التخليق والشفافية في تدبير الإدارات والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية والهيئات التي تمارس صلاحيات السلطة العمومية .في حين حدد القانون رقم 16.14(الصادر بتاريخ 11 مارس 2019 المتعلق بمؤسسة الوسيط(اختصاصات أساسية للوسيط ومسطرة اللجوء إليه، ويمكن تلخيصها في المهام التالية – :النظر في تصرفات الإدارة المخالفة للقانون أو المنافية لمبادئ العدل والإنصاف – .تلقي الشكايات والتظلمات ومعالجتها وإجراء الأبحاث والتحريات في شأنها – .الوساطة والتوفيق بين الإدارة والمرتفقين .أما فيما يخص دور الوسيط في ترسيخ مبادئ الحكامة الإدارية وتحسين أداء الإدارة، باعتباره قوة اقتراحية لتحسين أداء الإدارة والرفع من جودة الخدمات العمومية التي تقدمها، فإنه يرفع تقارير خاصة إلى رئيس الحكومة تتضمن توصياته ومقترحاته الهادفة إلى – :ترسيخ قيم الشفافية والتخليق والحكامة في تدبير المرافق العمومية، والعمل على نشرها بين الموظفين والمرتفقين.

ب–الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها :حسب الفصل 167 من الدستور المغربي فإن الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها، تتولى، على الخصوص، مهام المبادرة والتنسيق والإشراف وضمان تتبع تنفيذ سياسات محاربة الفساد، وتلقي ونشر المعلومات في هذا المجال، والمساهمة في تخليق الحياة

العامة، وترسيخ مبادئ الحكامة الجيدة، وثقافة المرفق العام، وقيم المواطنة المسؤولة(الفصل 167 من دستور 2011). وحتى يتأتى لهذه الهيئة أن تمارس مهامها فقد مكنها القانون المحدث لها من مجموعة من المهام والاختصاصات، كما أوضح طريقة تلقي الشكايات من المواطنات أو المواطنين أو من أي جهة مشتكية.

ت–المجلس الأعلى للحسابات :يعد المجلس الأعلى للحسابات الهيئة العليا الذي أعطاها الدستور سلطة الرقابة العليا على حماية المال العام، ولقد أنيطت به مهام جديدة تتجلى في مراقبة التصريح الإجباري للممتلكات، فإذا كان هذا الإجراء يرتبط بالإجراءات القانونية التي سلف ذكرها ، فإن المجلس الأعلى للحسابات يعد الهيئة التي أنيطت به مهمة الرقابة عليها، وبالإضافة إلى ذلك، فإن التأكيد على وجوب نشر أعماله وتقديم مساعدته للسلطات القضائية يشكل أهم أداة تمكن من جعله مؤسسة قادرة على ضمان تحقيق هذا الهدف.

المبحث الثاني: تطور الإدارة الإلكترونية في المغرب

برزت إرهاصات الإدارة الإلكترونية في المغرب منذ منتصف التسعينيات، بوضع أول برنامج لاستعمال تكنولوجيا الإعلام في الإدارات العمومية، وما واكبه من نزع تدريجي للطابع المادي للمساطر الإدارية عبر مخططات رسمت خارطة الطريق نحو رقمنة الخدمات الأساسية، منذ سنة 1996 عبر استراتيجية المغرب التنافسي Compétitif Marocالتي دعت إلى تجريب تطبيقات الإدارة الإلكترونية، مع تكييف النسق المؤسساتي ليستوعب تحديات الرقمنة بإحداث كتابة دولة مكلفة بالبريد والتكنولوجيا والاتصالات والإعلام سنة 1998. كما دعا المخطط الخماسي لحكومة التناوب التوافقي 1999-2004 لإدماج التقنيات الحديثة في تسريع التحول التنظيمي للإدارة العمومية وجعلها محركا للتنمية Bachar) Abdelghani, 2022, p.325).

المطلب الأول: رقمنة الخدمات العمومية

تعتبر بلورة الاستراتيجيات الرقمية ووضع الخدمات العمومية على الخط، من المبادرات التي تولتها السلطات العمومية منذ سنوات، وقد تم تصميم بعضها وفق مقاربات تشاركية رمت إلى إشراك المؤسسات المعنية وعموم المرتفقين، في حين غابت تلك المقاربة في حالات أخرى.

انطلقت عملية تحويل الخدمات العمومية من طابعها املادي إلى طابعها اللامادي منذ سنوات، وهو ما يصطلح عليه بجهود الحكومة الإلكترونية، وساهمت أزمة كوفيد-19 في تسريع وتيرة رقمنة الخدمات العمومية، ولعل المظهرالأبرز لهذا الورش هو البوابات الوطنية التي توفر هذه الخدمات (سليمان العمراني،2024، ص. 190) .

على مدار العقدين الأخيرين، أمكن تصميم وإطلاق العشرات من البوابات الإلكترونية التي تقدم الخدمات العمومية للمرتفقين، وتتنوع هذه البوابات حسب مؤسسات القطاع العام من إدارات الدولة والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية .

ومن أهم البوابات الوطنية:

بوابة الخدمات العمومية،

بوابة التشغيل العمومي ،

بوابة البيانات المكانية للمرافق العمومية،

والبوابة الوطنية للشكايات وبوابة الحصول على المعلومات ...

لكن البوابة التي تكتس ي أهمية مرفقية في السياق الحالي هي بوابة"إدارتي"، التي نص القانون 19.55المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية على إطلاقها، حيث أنجزت في إطار شراكة بين وزارة الداخلية، ووزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة قطاع إصلاح الإدارة، ووزارة الصناعة والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي، ووكالة التنمية الرقمية، والوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، وأطلقت فعليا يوم الأربعاء 21 أبريل 2021 .

وتعمل هذه البوابة على توفيركل المعلومات اللازمة حول المساطر والإجراءات الإدارية التي يمكن القيام بها لدى الإدارات والمؤسسات والمقاولات العمومية والجماعات الترابية وكل شخص معنوي خاضع للقانون العام .وبخصوص مقاربة إشراك المرتفقين في تصميم البوابات العمومية، فإن البوابة الوحيدة التي توفر هذه الإمكانية هي بوابة التشغيل العموميma.public emploi.www،حيث نشرت استطلاعا للرأي يلتمس الإجابة عن أسئلة متعلقة بمستوى الرض ى عن البوابة، وعن مدى وضوح محتواها ومدى أهميته، ومدى توفر المعلومة المطلوبة بسرعة، وعن وجود تعليقات بخصوصها.

إضافة إلى إنشاء وزارة الاقتصاد والمالية لعدة مواقع متخصصة في رقمنة بعض المعاملات منذ 2007، كإيداع التصاريح والأداءات الضريبية (tax.gov.ma)، والتدبير الإلكتروني للصفقات العمومية (marchespublics.ma).

المطلب الثاني: بلورة الاستراتيجيات الرقمية

خلال السنوات الأولى للألفية الثانية، تسارعت وتيرة التحول الرقمي بوضع البرنامج الوطني الأول للإدارة الإلكترونية الذي تمخضت عنه بعض بوادر رقمنة المرافق العمومية، كمرفق العدالة، بالشروع في تجهيز المحاكم في الأنظمة والبنيات المعلوماتية، وإنشاء مواقع إلكترونية لتيسير الحصول على الخدمات القضائية كموقع وزارة العدل وبوابة محاكم (mahakim.ma) وفي 2005 شرعت الحكومة في تنفيذ مخطط المغرب الإلكتروني في أفق 2010(E-Maroc) ، (هشام الرشدي، 2010، ص 38.)

عبر العديد من العمليات، كإرساء النظام الوطني للإدارة الإلكترونية "إدارتي" الذي شمل إحداث بوابة الخدمات العمومية(service-public.ma) ، وموقع المعلومات المكانية-maps.service) (public.maلتحديد أماكن تواجد وجهات الاتصال في المرافق العمومية، بما يمكّن من تيسير الإجراءات الإدارية، والبوابة الوطنية للشكايات (chikaya.ma) التي خصّصت لتتبّع ومعالجة تظلمات المرتفقين، وتلقّي الاقتراحات الكفيلة بتحسين جودة الخدمات الإداريةأعقب ذلك صياغة مخطط المغرب الرقمي (2009-2013) من طرف وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة من أجل تقريب الإدارة من حاجيات المتعاملين، عبر برنامج طموح للحكومة الإلكترونية تضمن 89 مشروعا(وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة2010، ص38) كُلِّفت بالإشراف عليه اللجنة بين-الوزارية للحكومة الإلكترونية (CIGOV)، ليسفر تنفيذه إلى حدود شتنبر/أيلول 2012 عن إطلاق 377 موقعاً إلكترونياً، ووضع 547 خدمة عمومية على شبكة الإنترنت، في إطار تفعيل الإصدار الثاني لمنظومة "إدارتي". وفي المحصلة فقد ارتفعت الخدمات المتعلقة بالحصول على الإجراءات الإدارية عن بعد بنسبة . 18%(وزارة الوظيفة العمومية وتحديث الإدارة، حصيلة سنة 2012، ص 41)هذه الحصيلة ستحفّز على وضع مخطط جديد للمغرب الرقمي استهدف إتاحة 50% من الخدمات العمومية عبر الإنترنت بحلول عام 2020 .

لأجل ذلك انخرط المغرب منذ سنة 2013 في عدة شراكات دولية لتدعيم البنية المعلوماتية، كالشراكة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) لتقوية بنيات الاستقبال الإلكتروني في 31 إدارة عمومية بنهاية 2021 على رأسها المركز الاستشفائي محمد الخامس، ومركز تسجيل السيارات في الرباط (OECD, 2018,p.14) .

ومع بداية 2017 أُطلقت المنصة الحكومية للتكامل (Gouvernementale Gateway) لتمكين المرتفقين من الوثائق اللازمة لإنجاز بعض الخدمات كالبيانات المتعلقة بسجل بطاقة التعريف الوطنية، والسجل التجاري، والسجل العدلي (OCDE,2019,p.37) .

خلال الفترة الفاصلة بين 2018 و2020 نفّذت الحكومة عدة مخططات إجرائية، كالمخطط التوجيهي للتحول الرقمي في الإدارة العمومية في 2018 لتمكينها من توفير خدمات إلكترونية ذات جودة وتسهيل تبادل المعطيات بينها ، والمخطط الأول للحكومة المنفتحة 2018-2020 الذي بلغت نسبة تنفيذه 84% عبر عدة مشاريع لتحسين مؤشرات الولوج إلى البيانات العمومية وشفافية الميزانية وتخليق المرافق الإدارية وتجويد الخدمات العمومية(وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية، حصيلة سنة 2018 ص42-41).

انطلاقاً من سنة 2020 شرع القطاع الوزاري المكلف بإصلاح الإدارة في تنفيذ استراتيجية التنمية الرقمية (Maroc Digital 2020-2025)، بغية جعل المغرب ضمن المراتب الثلاث الأولى في مجال الخدمات العمومية الرقمية في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا Generalitat)(Pays MEA) (Valenciana, p.19,2019، عبر العديد من المشاريع لجعل الوسائل التكنولوجية رافعة لمواكبة التحول الاقتصادي والاجتماعي،ضمن ثلاثة محاور استراتيجية تتمثل في محور الإدارة الرقمية لتجميع مختلف المبادرات الرامية إلى تطوير التحول الرقمي للإدارة المغربية، ومحور الابتكار لتسريع الاقتصاد الرقمي، ومحور محاربة الإقصاء الاجتماعي وتحفيز التنمية البشرية الذي استهدف تحسين جودة حياة المواطنين عبر الرقمنة (le chef du gouvernement, 2020, p.3-4)

في ظل إغلاق المجال العام بعد تفشي وباء "كوفيد 19" برزت قيمة التراكم الحاصل في توفير المعدات والتطبيقات الإلكترونية في الانتقال إلى العمل عن بعد في عدة قطاعات، كالتعليم من خلال بوابة الموارد

الرقمية (taalimtice.ma) وبوابة الدعم الدراسي والتعلم الإلكتروني (soutiensco.men.gov.ma)، إضافة إلى قطاعات الصحة والعدل وغيرها. لكن في المقابل حتَّمت تداعيات الأزمة الوبائية تذليل الصعوبات التي تحد من سرعة التحول الرقمي للخدمات العمومية تقرير عمومي شخّص أعطاب التجارب التنموية السابقة مستشرفاً شروط تحقيق نموذج تنموي جديد يزاوج بين متطلبات النمو الاقتصادية واستحقاقات العدالة الاجتماعية (رابط الولوج إلى التقرير ومرفقاته: https://www.csmd.ma/rapport). ، حيث سيدعو التقرير العام للنموذج التنموي الجديد [12] إلى تعزيز ثقة المستعملين في المعاملات الإلكترونية، وتأهيل البنية التحتية الرقمية، في إطار استراتيجية للتحول الرقمي يُعهد بإدارتها إلى أعلى مستوى. (اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، 2021، ص 135) في ضوء ذلك ستضع الحكومة الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي التي حددت سنة 2030 كسقف زمني للرقمنة التامة للمعاملات الإدارية، وربط 100% من البنيات المعنية بمسارات المرتفقين بالواجهة الموحدة للخدمات العمومية واعتماد التوقيع الإلكتروني داخل الإدارات والمؤسسات العمومية (One stop Shop).

خاتمة

إن رقمنة المرافق العمومية بالمغرب ليست هدفًا في حد ذاته، بل وسيلة لتكريس حكامة جيدة تجعل الإدارة في خدمة المواطن، لا العكس. ويتطلب ذلك انخراطًا شاملاً ومتكاملًا للدولة، المواطن، والقطاع الخاص، في أفق بناء إدارة رقمية فعالة، شفافة، وعادلة.

كما تمثل رقمنة المرافق العمومية بالمغرب ورشًا استراتيجيًا يسعى إلى إرساء إدارة عصرية قادرة على الاستجابة لتطلعات المواطنين وتحقيق مبادئ الحكامة الجيدة. فرغم التقدم الملحوظ في رقمنة بعض الخدمات، فإن الرهان الحقيقي يكمن في ضمان فعالية هذه الرقمنة وتكريس الشفافية، النزاهة، والمساءلة داخل المؤسسات العمومية. ويظل تحقيق هذا الهدف رهينًا بتجاوز عدد من التحديات، من أبرزها الفجوة الرقمية، ضعف التكوين، والحاجة إلى إطار قانوني متطور وآمن.

إن نجاح المغرب في هذا المسار لا يتوقف فقط على تطوير البنيات التحتية الرقمية، بل يتطلب أيضًا تغييرًا

في العقليات، وخلق ثقافة مؤسساتية جديدة تُؤمن بأن الرقمنة ليست مجرد تقنية، بل أداة للإصلاح، والتقويم، وبناء الثقة بين الإدارة والمواطن.

لائحة المراجع

1. عبد الرفيع زعنون ،2023،"البيروقراطية الرقمية: تأثيرات رقمنة الخدمات العمومية في المغرب"، مبادرة الإصلاح العربي، ص1.
2. عبد العزيز أشرقي، 2014، الحكامة الترابية وتدبير المرافق العمومية المحلية على ضوء مشروع الجهوية المتقدمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، طبعة26،ص 393.
3. إبراهيم الشافعي، المرافق العامة على ضوء الدستور الجديد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات في القانون العام المعمق، كلية العلوم القانونية 24 والاقتصادية والاجتماعية، طنجة. ص.85.
4. –نوال الهناوي، 2000/2001، تدبير الجودة الكلية بالقطاع العام، رسالة دبلوم الدراسات العليا المعمقة، وحدة القانون الإداري وعلم الإدارة، جامعة محمد 25 الخامس كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال الرباط ،ص 91.
5. – سليمان العمراني، 2024 ، " سياسات التحول الرقمي باملغرب وسؤال الحكامة التشاركية الرقمية"، مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية إصدارات المركز الديم قراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية / المانيا – برلين العدد22 ، ص. 190 .
6. هشام الرشدي، 2022، "التحول الرقمي لمرفق العدالة بالمغرب"، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث القانونية والقضائية، العدد 45، ص309.
7. القانون رقم 19.55 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية ظهير شريف رقم 06.20.1صادر في 11 من رجب 1441 6 مارس2020 .
8. القانون رقم 12.113 المتعلق بالهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها الجريدة الرسمية عدد 6374 بتاريخ 15 رمضان 1436(2 يوليو 2015)ص 6075.
9. قانون رقم 19.54 بمثابة ميثاق المرافق العمومية2021 ظهيرشريف رقم 1.21.58 صادرفي يوليو 2021.

10. وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة، المغرب الرقمي 2013: الاستراتيجية الوطنية لمجتمع المعلومات والاقتصاد الرقمي، 2010.
11. وزارة الوظيفة العمومية وتحديث الإدارة، حصيلة سنة 2012
12. وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية، حصيلة سنة 2018.
13. تقرير عمومي شخّص أعطاب التجارب التنموية السابقة مستشرفاً شروط تحقيق نموذج تنموي جديد يزاوج بين متطلبات النمو الاقتصادية واستحقاقات العدالة الاجتماعية (رابط الولوج إلى التقرير ومرفقاته.
14. اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، التقرير العام للنموذج التنموي الجديد، الرباط، 2021.
15. المصطفى المصبحي، مقال بعنوان "حكامة التدبير المفوض للمرافق العمومية" 2010 ، com.attadbir.www://https، تاريخ الاطلاع 19:34 الساعة، 19-05-2025.
16. محمد شقير: "رقمنة الخدمات الإدارية بالمغرب بين الطموحات والاكراهات " https://al3omk.com/1037836.html
17. Bachar Abdelghani, 2022, «l'ère de la digitalisation : Le Maroc une smart nation en «loading» Journal of the Geopolitics and Geostrategic Intelligence, Vol. 3, No ,3p.325.
18. OECD, 2018, Digital Government Review of Morocco: Laying the Foundations for the Digital transformation of the Public Sector in Morocco, Paris, p14.
19. OCDE, 2019, Principes d'administration publique Prestation de services administratifs, p.37.
20. Generalitat Valenciana, 2019, Para crecer en un mundo global: oportunidades de negocio en Marruecos , p.3-4.
21. le chef du gouvernement, 2020, Note d'orientations générales pour du digital au Maroc à horizon 2025, Rabat, p.3-4.

Mechanisms to promote financial inclusion in Arab States

Mahari Salah Eddine [1]
University of Mascara - Algeria -
salaheddinemahari@gmail.com
Bendjerad Bourahla [2]
University of Ain Temouchent - Algeria -
bourahla.bendjerad@univ-temouchent.edu.dz

Abstract:

This research paper aims to highlight the most important steps taken by the Arab countries to achieve, expand and expand financial inclusion, as well as the reality of its application in the Arab countries. It was concluded t hat the Arab region registers the lowest levels in the world in terms of finani al inclusion with a large disparity in partial indicators, as the balance favors the GCC countries over the rest of the Arab countries.

The Arab States are also making great efforts to strengthen it, based on national strategies to achieve financial inclusion for groups in their societies, by focusing on the basic requirements of financial inclusion, based on awarenesr aising plans and programs and on financial education to promote a culture of savings and investment among individuals.

Keywords: Financial Inclusion, Mechanisms, Arab States, Financial Inclusion Indicators.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

آليات تعزيز الشمول المالي في الدول العربية

محاري صلاح الدين[1]
جامعة معسكر – الجزائر–
salaheddinemahari@gmail.com
بن جراد بورحلة [2]
جامعة عين تموشنت – الجزائر–
bourahla.bendjerad@univ-temouchent.edu.dz

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهم الخطوات التي قامت بها الدول العربية لتحقيق وانتشار وتوسع الشمول المالي، وكذا التطرق إلى واقع تطبيقه في الدول العربية، فتم التوصل إلى أنَ المنطقة العربية تسجل أدنى المستويات في العالم فيما يخص الشمول المالي مع تفاوت كبير في المؤشرات الجزئية، إذ تميل الكفة لصالح دول مجلس التعاون الخليجي عن بقية الدول العربية الأخرى.

كما تبذل الدول العربية جهودا كبيرة لتعزيزه، عبر استنادها على استراتيجيات وطنية لتحقيق الشمول المالي لفئات مجتمعاتها، وذلك من خلال التركيز على المتطلبات الأساسية للشمول المالي معتمدة في ذلك على خطط وبرامج توعوية وإلى التثقيف المالي لتعزيز ثقافة الادخار والاستثمار لدى الأفراد.

الكلمات المفتاحية: الشمول المالي، آليات، الدول العربية، مؤشرات الشمول المالي.

مقدمة:

اكتسب موضوع الشمول المالي أهمية متزايدة في السنوات الأخيرة لا سيما من طرف صانعي السياسات والهيئات الرقابية ووكالات التنمية على مستوى العالم، من خلال إتاحته لكافة الخدمات واستخدامها من مختلف فئات المجتمع بمؤسساته وأفراده عن طريق القنوات الرسمية، مما يساهم في اجتذاب المدخرات الضائعة تحت مظلة النظام المالي والمساهمة في تحقيق المساواة الاجتماعية وتحقيقه ل 07 أهداف من أصل 17 هدف حددتها الأمم المتحدة لعام 2030 لدعم التنمية المستدامة.

وفي هذا السياق وضع البنك الدولي وتحالف الاشتمال المالي والشراكة العالمية من أجل الاشتمال المالي بعض الأبعاد الدولية لقياس الشمول المالي، وهي: الوصول إلى الخدمات المالية، استخدام الخدمات المالية، وجودة الخدمات المالية المقدمة، غير أنَ التقرير العالمي للشمول المالي لسنة 2017 يشير إلى أنَ الدول العربية لا تزال بعيدة عن المعدل العالمي بتسجيلها لأدنى المستويات في العالم، إلا أنها لم تبق عاكفة فقد خطت خطوات هامة فيما يخص هذا الجانب، حيث دأب العديد من هذه الدول على إطلاق استراتيجيات وطنية لتعزيز الشمول المالي بشكل مدروس وحصيف وتوفير البنية التحتية اللازمة له، بما يدعم النمو الشامل والمستدام، حيث ارتكزت الاستراتيجيات والخطط على عدة محاور من أبرزها: تطوير برامج واستراتيجيات وطنية للشمول المالي، الاستفادة من التقنيات المالية الحديثة، تعزيز حماية مستهلكي الخدمات المالية، الاهتمام بقضايا التثقيف والتوعية المالية، الاهتمام بدعم المشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة ووصولها للخدمات المالية.

وعلى ضوء ما سبق نطرح الإشكالية الرئيسية الآتية:

" ما هي الآليات والجهود المبذولة من طرف الدول العربية لتعزيز الشمول المالي بها وزيادة مستوياته؟"

الأهداف:

نسعى من خلال هذه الدراسة بلوغ جملة من الأهداف، أهمها:

ـ تحديد مفهوم واضح للشمول المالي ولأهميته و تحليل مؤشراته؛

ـ استعراض واقع الشمول المالي بالدول العربية؛

ـ إبراز الجهود المبذولة من طرف الدول العربية لتعزيز وزيادة مستويات الشمول المالي بها.

منهجية البحث:

في سبيل الإجابة عن إشكالية البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي للإحاطة بالجوانب المتعلقة بالشمول المالي، وللجهود المبذولة من طرف البنوك المركزية للدول العربية وهيئاتها العمومية بغية الرفع من مستويات الشمول المالي، كما وظفنا المنهج التحليلي في تحليل المؤشرات الجزئية المتعلقة به اعتمادا على التقارير الرسمية الصادرة عن البنك الدولي وصندوق النقد العربي واتحاد المصارف العربية.

تقسيمات الدراسة:

للإجابة على الإشكالية قسمنا الدراسة إلى المحاور التالية:

المحور الأول: الإطار النظري للشمول المالي

المحور الثاني: واقع الشمول المالي في الدول العربية.

المحور الثالث: الجهود المبذولة لزيادة مستويات الشمول المالي في الدول العربية

أولا: الإطار النظري للشمول المالي

1. تعريف الشمول المالي:

تعرف مجموعة العشرين G20 و مؤسسة التحالف العالمي للشمول المالي (AFI) الشمول المالي بأنه:" تعزيز وصول واستخدام كافة فئات المجتمع وبما يشمل الفئات المهمشة والفقيرة للخدمات والمنتجات المالية التي تتناسب مع احتياجاتهم بحيث تقدم لهم بشكل عادل وشفاف وبتكاليف معقولة" (صندوق النقد العربي، 2016).

و يعرف الشمول المالي وفقًا لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD على أنه:" العملية التي يتم من خلالها تعزيز الوصول إلى مجموعة واسعة من الخدمات والمنتجات المالية الرسمية والخاضعة للرقابة في الوقت وبالسعر المناسبين، وبالشكل الكافي، وتوسيع نطاق استخدام هذه الخدمات والمنتجات من قبل شرائح المجتمع المختلفة، من خلال تطبيق مناهج مبتكرة تشمل التوعية والتثقيف المالي، وذلك بهدف تعزيز الرفاهية المالية والاندماج الاجتماعي والاقتصادي" (دردور و حركات، 2020).

كما تعرفه المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء CGAP بأنه:" الحالة التي يتاح فيها لجميع البالغين في سن العمل الوصول إلى خدمات الإقراض والمدخرات والمدفوعات و التأمين مقحمة من مؤسسات مالية رسمية، ومن ثم ينطوي النفاذ المالي الفعال على تقديم الخدمات المالية إلى العملاء على نحو مريح ومسؤول بكلفة ميسورة مع استدامة عمل المؤسسات التي تقدم الخدمات المالية بما يساعد على إتاحة خدمات مالية للعملاء المستبعدين والمحرومين من تلك الخدمات بدلا من الخيارات غير الرسمية المتاحة أمامهم" (غريب و دريد، 2021).

و حسب وجهة نظر صندوق النقد العربي فإن الشمول المالي يقصد به " إتاحة واستخدام كافة الخدمات المالية لمختلف فئات المجتمع من خلال القنوات الرسمية بما في ذلك الحسابات المصرفية والتوفير، خدمات الدفع والتحويل، خدمات التأمين، وخدمات التمويل و الائتمان لتفادي لجوء البعض إلى القنوات والوسائل غير الرسمية التي لا تخضع لحد أدنى من الرقابة والإشراف ومرتفعة الأسعار نسبيا؛ مما يؤدي إلى سوء استغلال احتياجات هؤلاء من الخدمات المالية والمصرفية" (صندوق النقد العربي، 2015).

و يرى اتحاد المصارف العربية الشمول المالي بأنه:" مفهوم يهدف إلى تعميم المنتجات والخدمات المالية والمصرفية بتكاليف معقولة على العدد الأكبر من المجتمعات والمؤسسات والأفراد، خصوصا شرائح الدخل المنخفض في المجتمع، على عكس الإقصاء المالي الذي يستثني هذه الشرائح، ويتطلب الشمول المالي توافر القدرة لدى الأفراد و المؤسسات إلى الحصول على الخدمات المالية واستخدامها بفعالية وبطريقة مسؤولة" (اتحاد المصارف العربية، 2015).

ـ تكاد تجمع كل تعاريف الشمول المالي حول قدرة الأفراد باختلاف مستوياتهم للوصول للخدمات المالية (الحسابات البنكية أو البريدية، الادخار، الإقراض، التأمين) ذات النوعية الجيدة وذات الأسعار المدروسة والمقدمة من طرف الهيئات المالية الرسمية.

2. أبعاد الشمول المالي:

تتمثل أبعاد الشمول المالي في ما يلي: (شنبي و بن لخضر، 2018)

1.2 الوصول للخدمات المالية:

يشير إلى القدرة على استخدام الخدمات المالية من المؤسسات الرسمية، حيث يتطلب تحديد مستويات الوصول إلى تحليل العوائق المحتملة لفتح واستخدام حساب مصرفي، ومن بين المؤشرات المهمة لقياس الوصول للخدمات المالية:

ـ عدد نقاط الوصول لكل 10.000 من البالغين على المستوى الوطني مجزأة حسب نوع الوحدة الإدارية؛

ـ عدد أجهزة الصراف الآلي لكل 1000 كم مربع؛

ـ حسابات النقود الإلكترونية؛

ـ مدى الترابط بين نقاط تقديم الخدمة؛

ـ النسبة المئوية لإجمالي السكان الذين يعيشون في الوحدات الإدارية بنقطة وصول واحدة على الأقل.

2.2 استخدام الخدمات المالية:

يشير هذا البعد إلى مدى استخدام العملاء للخدمات المالية المقدمة بواسطة مؤسسات القطاع المصرفي، من خلال تحديد مدى استخدام الخدمات المالية والذي يتطلب جمع بيانات حول مدى انتظام وتواتر الاستخدام عبر فترة زمنية معينة، ومن بين مؤشرات قياسه:

ـ نسبة البالغين الذي لديهم نوع واحد على الأقل كحساب وديعة منتظم؛

ـ نسبة البالغين الذين لديهم نوع واحد على الأقل كحساب ائتمان منتظم؛

ـ عدد حملة بوليصة التأمين لكل 1000 من البالغين؛

ـ عدد معاملات الدفع عبر الهاتف؛

ـ نسبة البالغين الذين يتلقون تحويلات مالية محلية أو دولية؛

ـ نسبة الشركات الصغيرة أو المتوسطة التي لديها حسابات مالية رسمية.

2.3 جودة الخدمات المالية:

تعتبر عملية وضع مؤشرات لقياس بعد الجودة هو تحدي في حد ذاته، حيث أنه على مدى 15 سنة الماضية انتقل مفهوم الشمول المالي إلى جدول أعمال الدول النامية، إذ كان لا بد من تحسين الوصول للخدمات المالية، وهو بعد غير واضح، حيث يوجد العديد من العوامل التي تؤثر على جودة ونوعية الخدمات المالية (التكلفة، وعي المستهلك، فعالية آلية التعويض بالإضافة إلى خدمات حماية المستهلك والكفالات المالية وشفافية المنافسة).

3. أهمية الشمول المالي:

أصبح الشمول المالي مؤخرا يحظى باهتمام العديد من صناعي السياسات والهيئات التنظيمية ووكالات التنمية على مستوى العالم، من خلال مساهمته البالغة في تحقيق العديد من الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، إذ تتجلى أهميته في:

ـ تم تحديده كعامل تمكيني لـ 07 أهداف من أهداف التنمية المستدامة؛

ـ مساعدة العائلات على الادخار من أجل التقاعد أو حالات الطوارئ غير المتوقعة، إذ أبرزت عدة دراسات بأن الشمول المالي يُمكن من تحسين الدخل ويزيد من المدخرات، وبالتالي يوفر للفئات المحرومة ضروريات الحياة مثل: الرعاية الصحية، التعليم، الطعام وكذا تنمية أعمالهم؛

ـ تدعيم الاستقرار المالي، إذ من خلال اعتماد الأسر في تعاملاتهم المالية على البنوك يزداد حجم الودائع المتوفرة لدى البنوك والمؤسسات المالية مما يرفع من قدرتهم على امتصاص الصدمات خاصة في فترات؛

ـ تسريع زيادة سرعة دوران النقود وتنشيط الدورة الاقتصادية ستساهم من رفع درجة فعالية السياسات الحكومية وتحسين بيئة العمل وزيادة مستويات كفاءة أسواق السلع والخدمات الضغط (طرشي، انساعد، و عبو، 2019)؛

ـ التقليل من الفساد، فالتحول من المدفوعات النقدية إلى الرقمية يحسن من مستوى الكفة ويثبط التهرب الضريبي ويخفض من نسبة تسرب الأموال، ففي الهند مثلا انخفض نسبة تسرب الأموال المخصصة للمعاشات التقاعدية

47 % عندما سُددت هذه المدفوعات عبر البطاقات الذكية، وفي النيجر أدى توزيع التحويلات الاجتماعية عبر الهواتف المحمولة إلى تقليص التكلفة المتغيرة لإدارة هذه الإعانات بنسبة 20% (شنبي و بن لخضر، 2018)؛

ـ المساعدة على تقليل حجم الاقتصاد غير الرسمي مما يؤدي إلى توفير شفافية أكبر في المعاملات المالية من خلال آليات الرقابة و الإشراف و تفعيل دور هيئات الاستقرار المالي (طرشي، انساعد، و عبو، 2019).

ثانيا: آليات تعزيز الشمول المالي في البلدان العربية

1. واقع الشمول المالي في الدول العربية:

قبل التطرق لواقع الشمول المالي في الدول العربية كلٌ على حدى، نتكلم أولا عن واقع الشمول المالي للعالم العربي بين مناطق دول العالم ككل، الجدول الآتي يظهر النسبة المئوية للبالغين الذين لديهم حساب مالي في المؤسسات المالية الرسمية مثل البنوك ومكاتب البريد حسب النطاق الجغرافي و كذا الدخل لسنوات 2014 و 2017:

الجدول 01: نسبة المواطنين الذين تزيد أعمارهم عن 15 عاما ويمتلكون حسابات في مؤسسات مالية رسمية

	العالم	العالم العربي	شرق آسيا والمحيط الهادئ	أوروبا ووسط آسيا	أمريكا الشمالية	أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي	الدخل المرتفع: OECD	الدخل المنخفض	الدخل المتوسط	الدول النامية
2014	%61	29%	72%	78%	94%	52%	94%	17%	57%	54%
2017	69%	37%	73%	81%	94%	54%	95%	24%	64%	61%

المصدر: من إعداد الباحث بناءً على معطيات (World Bank Group, 2017)

يمتلك ما نسبته 69% من البالغين على مستوى العالم أي ما يعادل 3.8 مليار شخصا حسابات مالية في البنوك أو لدى شركات تقديم الخدمات المالية عبر الهاتف المحمول وهذا خلال سنة 2017 بارتفاع قُدر بنسبة 06% عن ما كانت عليه في 2014، في حين لا تزال تسجل المنطقة العربية أدنى المستويات في العالم سواءً في سنة 2014 أو سنة 2017، إذ بلغت خلال السنة الأخيرة 37% فقط من سكان المنطقة الذين يمتلكون حسابات في المؤسسات المالية؛ وهي أقل بكثير من المعدل العالمي (69%) وأقل حتى من معدل الدول النامية 61% بالرغم من أن هذه النسبة تزايدت بدرجة ملحوظة عن ما كانت عليه في سنة 2014 (29%)، وهو ما يبين بأن ما يقارب ثلثي سكان هذه المنطقة (63%) محرومون من الخدمات والمنتجات المالية.

2. أهم المؤشرات الجزئية للشمول المالي في الدول العربية:

1.2 مؤشر امتلاك حسابات مالية رسمية للذين تفوق أعمارهم 15 سنة:

على صعيد دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، نجد نسب الشمول المالي بها قد فاق المعدل العالمي الأدنى، حيث احتلت الإمارات العربية المتحدة المرتبة الأولى فيما يخص نسبة المواطنين الذين تزيد أعمارهم عن 15 عامًا و يمتلكون حسابات مالية، إذ بلغت فيها نسبة 88% تليها البحرين والكويت بنسبتي 83 % و80% على التوالي ثم السعودية بنسبة 82%، أما بقية دول عرب آسيا فلم تتعدى نسبة البالغين الذين يملكون حسابات مالية حاجز ال 50%، أما دول شمال إفريقيا هي الأخيرة لم تحقق المعدل العالمي سوى دولة ليبيا التي قاربت هذا المعدل ببلوغها 66% و باقي دول هذه المنطقة لم يصلوا حتى لعتبة النصف (50%)، في حين سُجلت أدنى نسبة عربيًا وحتى عالميًا بجنوب السودان بنسبة 09% فقط.

والجدول التالي يظهر نسبة الأفراد البالغين الذين يحوزون على حسابات في المؤسسات المالية بمعظم الدول العربية:

الجدول 02: نسبة الأفراد البالغين الذين يحوزون على حسابات في المؤسسات بالدول العربية

	الإمارات	السعودية	البحرين	لبنان	الأردن	الكويت	العراق	فلسطين	الجزائر	تونس	مصر	المغرب	ليبيا	جنوب	موريتانيا
2017	88 %	72 %	83 %	45 %	42 %	80 %	23 %	25 %	43 %	37 %	33 %	29 %	66 %	09 %	21 %

المصدر: من إعدادالباحث استنادا على معطيات (World Bank Group, 2017)

2.2 مؤشر الوصول للخدمات والمنتجات المالية والمصرفية:

1.2.2 نسبة المواطنين المدخرين:

لا تزال نسبة المواطنين الذين يقومون بوضع مدخراتهم لدى المؤسسات المالية الرسمية في الدول العربية دون المستوى المأمول خلال سنة 2017، حيث بلغت 15% فقط في حين أنَ المعدل العالمي لهذه النسبة وصل ل 27% .

وحققت 03 دول فقط المعدل العالمي في نسبة المواطنين المدخرين وهي كل من: البحرين، الإمارات، والكويت؛ إذ بلغت فيها هذه النسب على التوالي: 31%، 29%، 27%، كما نجد أنَ لبنان ليست ببعيدة عن المعدل العالمي ببلوغها نسبة 22%، عكس مصر والمغرب اللتان بلغت فيهما نسبة المدخرين 06% فقط.

الشكل 01: نسبة المواطنين المدخرين البالغين في معظم الدول العربية

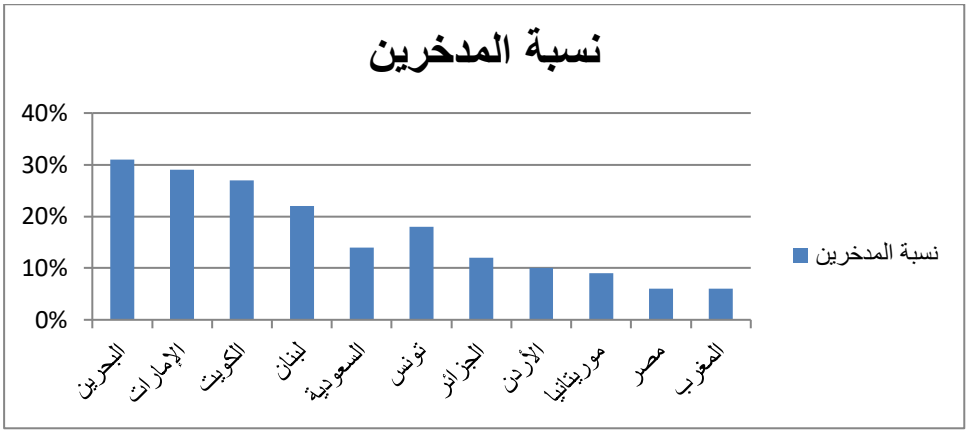

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على مرجع (صندوق النقد العربي، 2019)

2.2.2 نسبة المواطنين المقترضين أو الذين قاموا باستخدام البطاقات الإئتمانية:

في جانب الإقراض من المؤسسات المالية الرسمية والمستخدمين للبطاقات الإئتمانية ممن تزيد أعمارهم عن 15 سنة خلال عام 2017 لا تزال النسب لدى الدول العربية دون الطموحات، إذ بلغت هذه النسبة حوالي 14% في حين أن المعدل العالمي قد بلغ 23%، أما على المستوى الإفرادي للدول العربية فقد حققت الإمارات العربية نسبة مرتفعة بهذا الخصوص حوالي 46%، في حين جاءت البحرين في المرتبة الثانية بنسبة 36%، وحققت كل من الكويت ولبنان نسبة المعدل العالمي الأدنى بنسبتي 28% و 23% على التوالي، كما نجد أن السعودية ليست ببعيدة عن تحقيق المعدل العالمي، حيث بلغت فيها النسبة 21%، أما باقي الدول العربية المبينة في الشكل أدناه فإنها بعيدة كل البعد عن المعدل العالمي الأدنى؛ خاصة الجزائر والتي بلغت فيها النسبة 05% فقط.

الشكل 02: نسبة المواطنين المقترضين البالغين في معظم الدول العربية

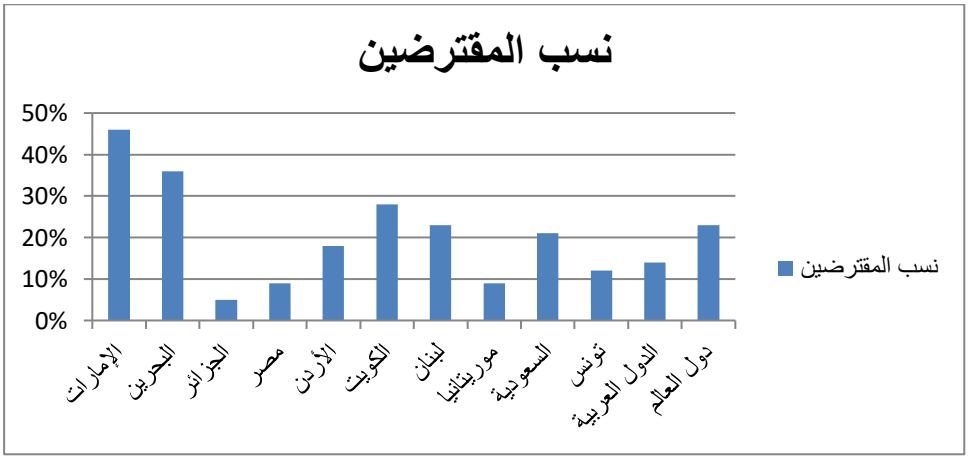

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مرجع (صندوق النقد العربي، 2019)

3.2.2 مؤشر الوصول المالي:

تم جمع البيانات الخاصة لعدد أجهزة الصراف الآلي ATM لكل 100 ألف بالغ والفروع البنكية BR لكل 100 ألف بالغ ل 16 دولة عربية خلال فترة (2011-2019)، وتم الوصول إلى النتائج التالية:

لدى كل من السعودية، الكويت، الإمارات وقطر أعلى متوسط لأجهزة الصراف الآلي مقارنة بالدول الأخرى في المنطقة العربية، إذ بلغ 69.779، 61.841، 61.242 و55.697 على التوالي. في المقابل سجلت موريتانيا، الجزائر، السودان، ليبيا والعراق أقل متوسط لأجهزة الصراف الآلي خلال نفس الفترة، حيث بلغ 8.223، 7.962، 4.948، 3.698 و2.431 على التوالي. تشير النتائج أيضا إلى تفاوت في متوسط الفروع البنكية بين الدول العربية، حيث تتميز تونس، لبنان والمغرب بمستويات مرتفعة خلال فترة الدراسة مقارنة بالدول الأخرى في المنطقة، حيث بلغ المتوسط 19.95، 23.568 و23.93 على التوالي. في المقابل تشهد بعض الدول العربية الأخرى ضعفا في عدد الفروع البنكية خلال نفس الفترة، أهمها الجزائر بمتوسط 5.224 تليها العراق 4.726 ثم مصر 4.691 والسودان 3.237.

والجدول الآتي يظهر عدد ATM وBR ل 16 دولة عربية خلال فترة (2011- 2019):

الجدول 04: متوسط عدد أجهزة الصراف الآلي والفروع البنكية في الدول العربية خلال فترة (2011-2016)

الدول	الأردن	الإمارات	تونس	الجزائر	السعودية	السودان	العراق	عمان	فلسطين	قطر	الكويت	لبنان	ليبيا	مصر	المغرب	موريتانيا
ATM	25.968	61.242	26.482	7.962	68.779	4.948	2.431	35.968	21.969	55.697	61.841	36.534	3.689	14.27	25.586	8.223
BR	15.236	11.719	19.95	5.224	8.357	3.237	4.726	16.632	11.584	10.964	15.016	23.568	11.523	4.691	23.93	7.298

المصدر: من إعداد الباحث استنادا على معطيات مرجع (صندوق النقد العربي، 2021)

ثالثا: الجهود المبذولة لزيادة مستويات الشمول المالي في الدول العربية

نظرا لأهمية الشمول المالي، وعلى غرار غيرها من دول العالم، أولت مؤخرا الدول العربية اهتماما جد كبير لتعزيز الشمول المالي، حيث قامت البنوك المركزية ومؤسسات النقد نظرا للدور الرقابي والإشرافي المناط بها، بالعديد من المبادرات لتوسيع وتطوير الخدمات المالية والمصرفية. وبخصوص هذا الشأن نستعرض جهود بعض الدول العربية فيما يلي: (صندوق النقد العربي، 2021)

بالنسبة **للبنك المركزي الأردني**، قام بإعداد ونشر العديد من المواد التوعوية والتثقيفية حول أهمية استخدام أدوات الدفع الإلكتروني، بالإضافة إلى أتمتة مدفوعات صندوق المعونة الوطنية وغيرها من المؤسسات الحكومية وكذا رواتب المعلمين.

كما أوصى باستخدام المحافظ الالكترونية من خلال الهاتف النقال، وتمكين شركات الدفع من تقديم خدمة فتح المحافظ الإلكترونية للعملاء والمحلات التجارية والشركات عن بعد ودون أي تكاليف لقاء ذلك، وذلك ضمن إجراءات البنك المركزي فيما يخص أنظمة الدفع وتعزيز استخدام خدمات الدفع الإلكترونية خلال فترة جائحة فيروس كورونا المستجد، إضافة إلى إصداره تعليمات للبنوك لتشجيع العملاء على استخدام القنوات الإلكترونية بشكل أكبر.

أما **مصرف الإمارات العربية المتحدة المركزي**، فقد قام بأخذ الجوانب المتعلقة بالشمول المالي (بما يشمل الرقمي منه) بعين الاعتبار، وذلك عند إصدار قانون حماية المستهلك والمعايير المصاحبة له من أجل التمكين من المشاركة الكاملة في المجتمع والسوق المالي، وأن يكون الحصول على الخدمات شاملا. ومن ثم تمكين المستهلكين، بما في ذلك الفئات المهمشة وأصحاب الهمم، من الحصول المنتجات و/أو الخدمات المالية، مثل الحساب البنكي والائتمان والقدرة على تنفيذ المعاملات الرقمية بطريقة آمنة وفعالة. كما شجع المصرف المركزي خلال جائحة فيروس كورونا المستجد استخدام التقنيات المالية الحديثة والأمن السيبيراني مع نمو أعلى في الخدمات المصرفية الرقمية والمدفوعات والتحويلات والتجارة الإلكترونية، مع إطلاق مبادرات ونظام جديد من قبل البنوك ومقدمي الخدمات الآخرين، والتي تسارعت بشكل أكبر خلال الجائحة.

وفي البحرين، قام **مصرف البحرين المركزي** بمجموعة من الجهود والمبادرات المتعلقة بالشمول المالي الرقمي وتشمل:

ـ قيام المصرف المركزي بحملات تثقيفية تركز على الإطار التنظيمي والمبادرات التي قام بها المصرف لتطوير الأنظمة الرقابية للتقنيات المالية الحديثة، وتعزيز حماية مستهلكي الخدمات المالية وتعزيز الشمول المالي.

ـ إطلاق حملات توعوية موجهة لأصحاب المشاريع متناهية الصغر الناشئة هدفها التثقيف المالي وعرض التقنيات المالية الحديثة للوصول لشرائح أوسع من المجتمع؛

ـ إطلاق المصرف المركزي مبادرات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتعزيز ثقافة المواطنين والمقيمين لفهم مختلف الخدمات والمنتجات المالية الحديثة المتوفرة كالمحافظ الرقمية لرفع حجم التعاملات المالية الرقمية؛

ـ تنظيم دورات تدريبية حول مفهوم الشمول المالي بمشاركة خبراء مختصين موجهة للأفراد وأصحاب المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر والمشاريع الناشئة؛

ـ إصدار مبادرة يتم من خلالها منح التسهيلات الائتمانية للشركات الصغيرة والمشاريع الناشئة عن طريق تشجيع المصارف على منح القروض والتسهيلات الائتمانية؛

كما يتبنى **البنك المركزي السعودي** رؤية ومستهدفات لتحقيق الشمول المالي؛ وهي التأكد من حصول السكان والمواطنين في المملكة العربية السعودية على مجموعة واسعة من المنتجات والخدمات المالية بجودة وحماية عالية. وتتمثل أبرز منجزات البنك المركزي فيما يتعلق بتعزيز الشمول المالي:

ـ نظام المدفوعات الفورية (IPS)؛

ـ توجيه البنوك والمصارف وشركات خدمات المدفوعات في المملكة بتوفير وسائل الدفع الإلكترونية لقطاع التجزئة؛

ـ منح تراخيص للبنوك الرقمية؛

ـ فتح الحسابات إلكترونيا بدون الحاجة إلى زيارة فروع البنك؛

ـ الترخيص لشركات التقنية المالية؛

ـ التصريح لشركات التقنية المالية للعمل في البيئة التجريبية التشريعية (Sandbox)؛

ـ منع اشتراط رسوم مالية أو إيداع مبالغ مالية لفتح الحسابات المصرفية؛

ـ تنويع قنوات الوصول من خلال السماح للبنوك باستخدام وكلاء المصارف وهم وكلاء مؤهلين لتقديم الخدمات المالية بالنيابة.

أما **البنك المركزي التونسي**، وباعتبار أهمية الدفع الالكتروني كرافعة أساسية للإصلاحات الاقتصادية وتأثيرها على الاندماج المالي والشفافية؛ وضع خلال السنوات الأخيرة مخطط استراتيجي يتمحور حول:

ـ تطوير الإطار التشريعي والترتيبي؛

ـ إعادة تصميم وتحديث منظومات الدفع والتسوية؛

ـ دعم الابتكار في المجال المصرفي والمالي؛

ـ رقمنة عمليات الدفع الالكتروني الحكومية.

كما قام البنك المركزي في مجال تعزيز الشمول المالي بالتعاون مع الحكومة وكل الأطراف الفاعلة، لاحتواء انتشار فيروس كورونا في تونس، بإرساء منصة رقمية متكاملة مكنت من فتح حوالي 400 ألف محفظة رقمية Digital Wallet، ودفع المساعدات الاجتماعية لفائدة أشخاص غير مدمجين باستخدام شبكة الفروع المصرفية (العدد 1900)، مكاتب البريد (العدد 1100) والموزعات الآلية (العدد 2800).

وفي دولة مصر، يعمل البنك المركزي المصري على تطوير استراتيجية الشمول المالي، حيث تم وضع رؤية تتزامن مع مجهودات البنك:" التمكين الاقتصادي لكافة فئات المجتمع من خلال نظام مالي شامل يتيح منتجات وخدمات بعدالة وجودة وتكلفة مناسبة بما يساهم في تحقيق النمو المستدام". والجدير بالذكر أن التصور الأولي للاستراتيجية يرتكز على أربعة محاور أساسية يتم العمل عليها بشكل مستدام وهي:

ـ التثقيف المالي وحماية حقوق العملاء؛

ـ التنوع في المنتجات والخدمات المالية طبقا لاحتياجات العملاء؛

ـ تطوير بيئة العمل للمشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة ورواد الأعمال؛

ـ الخدمات المالية الرقمية، بالإضافة إلى مجموعة من الممكنات تتمثل في:

(أ) تهيئة البيئة التشريعية والتعليمات الرقابية، (ب) البنية التحتية المالية الرقمية والتكنولوجيا المالية، (ج) التمويل المستدام والاستقرار الاقتصادي.

علمًا بأنَه خلال كافة مراحل إعداد وتصميم الاستراتيجية يجري اعتماد آلية للتقييم والمتابعة.

كما قام البنك المركزي بعدة منجزات فيما يتعلق بتعزيز الشمول المالي؛ أبرزها:

ـ الموافقة على رعاية ودعم المرحلة الأولى من التوسع بمشروع مجموعات الادخار والإقراض في 07 محافظات والذي يستهدف 100 ألف سيدة، بهدف خلق فرص عمل وتهيئة بيئة ريادة الأعمال، من خلال وضع نظام تشغيلي يربط مجموعات الادخار والإقراض بالقطاع المالي الرسمي وسلاسل القيمة المضافة، بهدف التمكين المالي والاقتصادي والاجتماعي للسيدات المستبعدات ماليًا؛

ـ في عام 2019، تم فتح 05 مليون محفظة الكترونية، ونحو 06 مليون بطاقة مدفوعة مقدمًا؛

ـ إصدار تعليمات بقيام كل بنك بإنشاء إدارة مستقلة للشمول المالي تتولى إعداد استراتيجية متوسطة الأجل لتحقيق الشمول المالي بالتنسيق داخليا بين إدارات ووحدات البنك من ناحية والبنك المركزي من ناحية أخرى، الأمر الذي أسفر عن إصدار 36 استراتيجية شمول مالي ممثلة لجميع البنوك العاملة في مصر؛

ـ نشر الثقافة والتوعية المالية، والعمل على تعزيز قدرة المواطنين على اتخاذ قرارات مالية سليمة.

وفيما يتعلق بدولة الجزائر، قام **البنك المركزي الجزائري** بإصدار العديد من اللوائح والإجراءات بهدف تعزيز الشمول المالي وتعميقه ليستهدف كل فئات الزبائن والمتعاملين؛ وتتمثل في:

ـ بتاريخ 2020/03/15 أصدر بنك الجزائر لائحة؛ تتعلق بتكريس المعاملات البنكية الإسلامية كأحد رواتب التمويل للاقتصاد الوطني، حيث يفتح التمويل الإسلامي وما يمثله من خدمات مصرفية ثرية ومتعددة، يمكن أن نقول أن بنك الجزائر قد استجاب إلى شريحة واسعة من المتعاملين بما يخدم الشمول المالي والاقتصاد الوطني ككل، كما عزز هذا الاجراء الجديد بإصداره لنظام تغطية وضمان الودائع التي تدخل في أسلوب التمويل الإسلامي؛

ـ بتاريخ 2020/03/24 أصدر مذكرة إعلامية موجهة للبنوك والمؤسسات المالية يحثهم فيها على تشجيع العملاء على استخدام المزيد من وسائل الدفع غير النقدية، لا سيما الشيكات والتحويلات المصرفية والبطاقات المصرفية، نظرا لمتطلبات المرحلة والأزمة الصحية وما تتطلبه من إجراءات خاصة للوقاية؛

ـ تشجيع الوسطاء المعتمدين على تقديم خدمات مجانية تخص على وجه الخصوص منح البطاقات المصرفية ودفاتر الشيكات للعملاء؛

ـ أكد على إجراءات من شأنها تحسين الشمول المالي في الجزائر سيما من خلال التأكيد على تحسين قدرة البنوك والمؤسسات المالية لدعم إنشاء وتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المنتجة، وكذا تعزيز أنشطتها الاستشارية للزبائن خاصة الخبرة في مجال دراسة المشاريع، وهي مهن يتعين على المصارف تطويرها لتشجيع نمو القروض الموجهة للاستثمار وإدارة أفضل المخاطر؛

كما تجبر السلطات العمومية طلبة الجامعات المستفيدين من المنحة الجامعية على فتح حسابات بريدية لتلقي هذه المنحة، وكذا إجبار كل المقاولين والمزارعين على فتح حسابات بنكية لتلقي مستحقاتهم المالية.

خاتمة:

يساهم الشمول المالي في تحقيق منافع اقتصادية كبيرة للمجتمع ولاقتصاديات الدول، وذلك عبر إتاحة فرصة الاستفادة من الخدمات المالية لكل فئات المجتمع وخصوصا فئة ذوي الدخل المحدود، مما يساهم في تحقيق العدالة المالية وتقليص الفجوات بين الطبقات الاجتماعية بالدول العربية، والمساهمة في التنمية الاقتصادية بها.

ومن خلال معالجة موضوع هذه المداخلة، تمكنا من استخلاص النتاج التالية:

ـ هناك تفاوت كبير بين الدول العربية حول مستوى مؤشرات الشمول المالي، إذ تعتبر دول مجلس التعاون الخليجي الأفضل نسبيا، مقارنة بدول لها سكان كثر كمصر، ودخل منخفض كموريتانيا، كما أنها لا تزال تسجل أدنى مستويات الشمول المالي بين مناطق العالم؛

ـ يعتبر تبني استراتيجية وطنية للشمول المالي ضرورة وليس خيارا؛ تفرضها التحولات التكنولوجية في مجال الخدمات المالية والابتكارات ومتطلبات التنمية الاقتصادية المستدامة؛

ـ يمكن إيجاز أهم الجهود لتعزيز ونجاح الشمول المالي فيما يلي: تنوع هيكل القطاع المصرفي، خفض كلفة المعاملات المصرفية، تعزيز البنية التحتية للقطاع المصرفي، تطوير القطاع المالي، توفير عدد من المقومات منها: أنظمة كفؤة للدفع مع الصيانة والمتابعة، التثقيف المالي، مرونة بيئة الأعمال.

و على ضوء النتائج المتوصل إليها ارتأينا تقديم بعض التوصيات والتي نوجزها فيما يلي:

ـ يجب على الحكومات العربية بذل المزيد من الجهود خصوصا بنوكها المركزية لتخفيض نسبة المواطنين غير المتعاملين مع النظام المالي الرسمي وبالتالي تعميق الوصول المالي، وذلك بالتعاون مع الشركاء الرئيسيين من القطاعين العام والخاص ومؤسسات المجتمع المدني؛

ـ تخفيف القيود والإجراءات القانونية في الخدمات المالية المبتكرة في مختلف الدول العربية نظرا لكونها تعد من العوائق الكبيرة التي تقف أمام تحقيق الشمول المالي؛

ـ إخضاع قنوات التمويل غير الرسمية لرقابة وإشراف البنوك المركزية، وزيادة تمويل رواد الأعمال والمشروعات الصغيرة والمتوسطة باعتبارها تلعب دورا هاما في مكافحة الفقر والبطالة، ورفع مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية في المنطقة العربية؛

5. قائمة المراجع:

المقالات:

أسماء دردور، و سعيدة حركات. (جويلية, 2020). قياس أثر الشمول المالي على النمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة (1980-2017) باستعمال نموذج ARDL. *الاستراتيجية والتنمية* .

الطاوس غريب، و حنان دريد. (Mai, 2021 05). استراتيجيات تعزيز الشمول المالي في الدول العربية – دراسة بعض التجارب العربية–. *المجلة الجزائرية للاقتصاد والتسيير* .

اتحاد المصارف العربية. (2015). *الشمول المالي في العالم العربي*. بيروت: دار المنظومة.

صورية شنبي، و السعيد بن لخضر. (2018). أهمية الشمول المالي في تحقيق التنمية (تعزيز الشمول المالي في الدول العربية). *مجلة البحوث في العلوم المالية والمحاسبية* .

محمد طرشي، رضوان انساعد، و عمر عبو (25 Décembre, 2019). متطلبات تعزيز الشمول المالي في الجزائر. *مجلة القيمة المضافة لاقتصاديات الأعمال*.

التقارير:

أحمد عبد الكريم قندوز. (2019). *التقنيات المالية وتطبيقاتها في الصناعة المالية الإسلامية*. أبوظبي: صندوق النقد العربي.

صندوق النقد العربي. (2021). *أثر التمويل الإسلامي على الشمول المالي في المنطقة العربية* .

صندوق النقد العربي. (2019). *الشمول المالي في الدول العربية (الجهود والسياسات والتجارب)*.

صندوق النقد العربي. (2015). *العلاقة المتداخلة بين الاستقرار المالي والشمول المالي*.

صندوق النقد العربي. (2019). *تقرير الاستقرار المالي في الدول العربية*.

صندوق النقد العربي. (2021). *تقرير الاستقرار المالي في الدول العربية*.

صندوق النقد العربي. (2016). *متطلبات بناء استراتيجية الشمول المالي*.

World Bank Group. (2017). *The Global Findex Database*.

Entrepreneurial culture and its impact on orientation youth towards entrepreneurship in Arab societies

Prof. Taibi ratiba
Blida2 University-Algeria
r.taibi@univ-blida2.dz

Abstract:

Entrepreneurship is a social phenomenon linked to economic activity and influenced by a range of social and cultural factors. Entrepreneurial culture is one of the factors influencing individuals' attitudes toward entrepreneurship initiatives. Accordingly, this study aimed to explore the relationship between entrepreneurial culture and entrepreneurship orientation, by determining the extent to which entrepreneurial culture influences entrepreneurial activity among young people in Arab societies. However, by reviewing the reality of our Arab societies, we find many cultural obstacles that hinder unemployed youth from engaging in entrepreneurial activity. This requires identifying effective mechanisms to overcome these obstacles and enhance youth and the local community awareness of the importance of entrepreneurship.

Keywords: Entrepreneurial culture, entrepreneurial orientation, entrepreneurial behavior, youth, Arab societies.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الثقافة الريادية وأثرها في توجه الشباب نحو ريادة الأعمال في المجتمعات العربية

أ.د/ طايبي رتيبة
جامعة البليدة2، الجزائر
r.taibi@univ-blida2.dz

ملخص:

إن ريادة الأعمال من حيث أنها ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالنشاط الاقتصادي تتأثر بمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية التي تشكل عوامل محددة لهذه الظاهرة، حيث تعتبر الثقافة الريادية أحد العوامل المهمة والمؤثرة في تحديد اتجاهات الأفراد نحو مبادرات ريادة الأعمال والجذب للنشاط الريادي من ناحية، كما تحدد القيم الثقافية مدى تقبل المجتمع للسلوكيات الريادية مثل القدرة على تحمل المخاطرة والتفكير المستقل من ناحية أخرى. ومنه هدفت هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن العلاقة بين الثقافة الريادية والتوجه نحو ريادة الأعمال، وذلك من خلال تحديد مدى تأثير الثقافة الريادية في تنمية روح المبادرة والتوجه للنشاط الريادي لدى فئة الشباب في مجتمعاتنا العربية وترسيخ فيها قيم ثقافية محفزة على تمكين وتدعيم السلوك الريادي. غير أنه بالرجوع إلى واقع مجتمعاتنا العربية نجد أن هناك معوقات ثقافية معتبرة تعوق توجه الشباب البطال نحو النشاط الريادي، والتي ينبغي التعرف عليها وتحديد آليات فاعلة لتذليلها وزيادة وعي الشباب العربي والمجتمع المحلي بأهمية ريادة الأعمال وتدعيم التوجه للنشاط الريادي.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الريادية، التوجه نحو ريادة الأعمال، السلوك الريادي، الشباب، المجتمعات العربية.

مقدمة:

يشهد العصر الحالي انتشارا وقبولا واسعا لمفهوم الثقافة الريادية على المستوى العالمي حيث تعرف "الثقافة الريادية" بأنها "المفهوم الذي يدل على انتشار اتجاه اجتماعي ايجابي نحو المغامرة الشخصية التجارية يساعد ويدعم النشاط الريادي". ومنه يرى (Bateman) "أن الاقتصاديات والمناطق التي شهدت نموا وازدهارا في أواخر القرن العشرين تشترك في تمتعها بثقافة الأعمال(Business Culture) وهي الثقافة التي يمكن أن توصف عموما بالثقافة الريادية، هذه الأخيرة التي تنمو جزئيا من خلال بيئة الأعمال السائدة في المجتمع. ومن الناحية الدولية يجب أن يكون واضحا أن هناك تنوعا كبيرا في الثقافات الريادية حيث يعمل كل منها على تمكين وتدعيم السلوك الريادي بدرجات متفاوتة.

وعلى مدار التاريخ اتضحت أهمية ريادة الأعمال في المراحل الانتقالية التي تمر بها المجتمعات، على سبيل المثال الانتقال من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة، ومن المجتمعات الحديثة إلى المجتمعات المعاصرة، ومن النظم الاقتصادية الموجهة إلى نظم السوق الحر، فعند كل نقطة أو مرحلة من هذه المراحل استخدمت المجتمعات ريادة الأعمال كمدخل لحل المشكلات والمعضلات التي واجهتها لتغيير التقاليد والمؤسسات القديمة والجامدة والهرمية، ولتقديم أساليب ابتكارية جديدة للسلوك. فطبقا لما قدمه (Schumpeter) تعتبر ريادة الأعمال وسيلة يمكن تطبيقها من أجل تغيير وتطوير النظم الاقتصادية والمجتمعات من خلال تجميع عوامل الإنتاج في منظومة جديدة. وقد أطلق (Schumpeter) على هذه العملية اصطلاح "التدمير الخلاق" (Process of Creative Destruction). بناء على ذلك يمكن النظر إلى ريادة الأعمال على أنها أداة ووسيلة لتغيير الثقافة في عصر من العصور، كما أنها تتأثر وتتشكل بها، أي أن هناك تفاعلا متبادلا بينهما. (عمرو علاء الدين زيدان،2007، ص7-9).

وانطلاقا من ذلك تبرز أهمية الثقافة الريادية باعتبارها تعد من أهم العوامل التي تحدد اتجاهات الأفراد – بخاصة منهم شريحة الشباب– نحو مبادرات الأعمال، حيث إن الثقافة التي تشجع وتقدر السلوكيات الريادية (كالمخاطرة والاستقلالية والانجاز وغيرها) تساعد في الترويج لإمكانية حدوث تغيرات وابتكارات جذرية في المجتمع، وبروز حكومات تدعم ريادة الأعمال من خلال سياستها المحفزة. (محمد عبد الرؤوف عطية السيد،2021، ص84). هذا وتمثل الشريحة الشابة القطاع السكاني الغالب في معظم مجتمعات العالم الثالث، ومنها على وجه الخصوص العالم العربي، فإذا كان الشباب يمثل الأغلبية فهو المتحمل لأعباء العملية

الإنتاجية وعلى أكتافه تلقى مسؤولية استمرار المجتمع، هذا بالإضافة إلى أنه يعتبر صاحب الحق في تحديد مستقبل المجتمع، وكون أن الشريحة الشابة هي الأكثر احتياجا لعطاء المجتمع وإيجابياته، فهي مرحلة التفتح لإشباع الحاجات وتحمل المسؤوليات، على أنها في ذلك هي بحاجة إلى مسكن وفرص العمل الملائمة ومستوى الأجر الذي ييسر لها ممارسة الحياة، ومن هنا فإذا لم يتم إشباع هذه الحاجات فإن القطيعة قد تحل بين الشباب والمجتمع، وهي حالة لها آثارها الممزقة أو المدمرة للاثنين معا.

فيما يعني ذلك أن مكانة هذه الشريحة مؤكدة في بناء المجتمع، فبناء على التفاعلات العالمية والمحلية المعاصرة برز مفهوم الشباب باعتباره يشير إلى فئة لها دورها وفاعليتها في بناء المجتمعات المعاصرة، هذا إلى جانب ذلك الدور الريادي الهام الذي يمكن أن تؤديه العناصر الشابة الممارسة للعمل الريادي في الدفع بعجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب والمجتمعات العربية، ومشاركتها الفاعلة في مسيرات الإنماء والتحديث وتأكيد القيم المستقبلية والتجديدية بدلا من قيم الركون إلى الجمود والتحجر القيمي والثقافي. (عبد السلام الدرشمي، مصطفى حدية، 1995، ص29). ومن هنا تتجلى أهمية نشر ثقافة ريادة الأعمال بين أوساط الفئة الشابة التي تعاني من مشكلة البطالة في المجتمعات العربية، وتحفيزها على التوجه الريادي وتبني المسار الرياي كخيار مهني للتحرر من براثين البطالة عن طريق التوظيف الذاتي.

مشكلة الدراسة:

تتبلور مشكلة هذه الدراسة، التي تندرج ضمن الدراسات النظرية التحليلية، في محاولة تناول بالتحليل مدى تأثير الثقافة الريادية في توجه الشباب العربي نحو الانخراط في مسار ريادة الأعمال، واتخاذه التوظيف الذاتي كخيار مهني للمستقبل بديل عن التوظيف الحكومي، وهذا خاصة أمام تزايد معدلات البطالة بين أوساط الفئة الشابة، بخاصة خريجي الجامعات، في المجتمعات العربية، وتدني مستويات المعيشة وتراجع دور القطاع الحكومي العام في تلبية احتياجات الشباب البطال –المتوافد بكثرة على سوق العمل– من منصب شغل ملائم يتوافق مع مؤهلاته وطموحاته. ومن ثم تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل المحوري والتساؤلات المتفرعة عنه وهذا على النحو الآتي:

إلى أي مدى تؤثر الثقافة الريادية في توجه الشباب نحو ريادة الأعمال في المجتمعات العربية؟

- ما هي الأهداف الكامنة من وراء نشر الثقافة الريادية بين أوساط الشباب البطال؟
- ما هي الآليات التي يمكن اعتمادها في ترسيخ ثقافة ريادة الأعمال؟

- ما هي العلاقة الكامنة بين الثقافة وريادة الأعمال؟
- كيف يمكن للثقافة الريادية التأثير في التوجه الريادي للشباب العربي؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تجسيد مجموعة من الأهداف يأتي في مقدمتها إبراز ذلك الدور الفاعل الذي يمكن أن تؤديه الثقافة الريادية في تنمية دوافع الشباب العربي البطال للتوجه نحو النشاط الريادي واتخاذه اتجاه ايجابي عن العمل الحر، وتحويله إلى شباب ريادي يتحلى بالسمات والمبادئ الريادية أهمها الاستقلالية، روح المخاطرة، الانجاز، التطلع إلى التجديد، التفكير الخلاق والابتكار وروح المبادرة وغيرها. ومن أهداف الدراسة أيضا تحليل العلاقة التي تربط بين الثقافة وريادة الأعمال واستعراض أهم الأهداف الكامنة من وراء نشر الثقافة الريادية بين أوساط الشباب البطال.

هذا إلى جانب الوقوف عند واقع نشر الثقافة الريادية والتوجه الريادي للشباب في المجتمعات العربية، وتشخيص أهم المعيقات الثقافية والاجتماعية التي تقف عائقا أمام جذب الشباب العربي للنشاط الريادي وإنشاء المشروعات الريادية الاقتصادية واتخاذ من التوظيف الذاتي كحل بديل عن التوظيف الحكومي للحد من مشكلة البطالة. ليكون وفقا لذلك الهدف الرئيس المنشود من خلال هذه الورقة البحثية هو تنمية الوعي لدى الفئة الشابة العاطلة عن العمل في المجتمع المحلي بأهمية ريادة الأعمال ودورها الفاعل في تحريك التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتصدي لمشكلة البطالة، وكذا زيادة الوعي لدى المسؤولين والقيادات المكلفة بشؤون وقضايا الشباب والقائمين على تسيير قطاع ريادة الأعمال، بأهمية تنمية الثقافة الريادية على نطاق واسع بين أوساط الشباب العربي، وتذليل المعيقات التي تواجهه في الانخراط بالنشاط الريادي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يحظى به الموضوع المتناول بالتحليل من أهمية علمية بالغة والمتمثل في ريادة الأعمال، هذا الأخير الذي يعد من الموضوعات ذات قيمة علمية في حقل بحث سوسيولوجيا المقاولاتية – أو ما يسمى بريادة الأعمال– وكذا مجال بحث إدارة الأعمال، حيث تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة من قبل الباحثين والدارسين في شتى ميادين وحقول البحث بتناول بالدراسة والتحليل موضوع ريادة الأعمال من جوانب محددة. أضف إلى ذلك حداثة الموضوع ومواكبته للتوجه العالمي الحديث نحو تنمية وتعزيز الاقتصاد الريادي في ظل العصر الراهن والمتغيرات الدولية وما تطرحه من تحديات اقتصادية، حيث تشكل

ريادة الأعمال أداة رئيسية للدفع بعجلة التنمية الاقتصادية والتصدي للمشكلات الاجتماعية وبخاصة منها مشكلة البطالة الشبابية والفقر. ومن هنا تبرز أهمية الثقافة الريادية كعامل مؤثر في تنمية دوافع الشباب البطال للتوجه نحو الأنشطة الريادية وتدعيم السلوك الريادي لديه.

كما تتجلى أهمية الدراسة في تناولها لأهم فئة عمرية من فئات المجتمع وهي الشباب باعتباره مورد بشري ثمين وطاقة إنتاجية هائلة وقوة عاملة منتجة وفاعلة في عملية التنمية، حيث تم تسليط الضوء على إحدى أهم المشكلات الاجتماعية التي تؤثر في عطاء هذه الثروة البشرية وتحد من استثمارها ومساهمتها في مسار التنمية الشاملة، وهي مشكلة البطالة التي تواجه الشباب العربي بنسب مرتفعة. بالإضافة إلى ذلك فإن موضوع الثقافة الريادية والتوجه الريادي للشباب البطال يكتسي أهمية عملية كبيرة من الناحية التطبيقية، وذلك بالنظر إلى ما يمكن استخلاصه في نهاية هذه الورقة البحثية من توصيات ذات صبغة عملية تصب ضمن الهدف الرئيس للدراسة المتضمن البحث عن سبل وآليات فاعلة لتنمية الثقافة الريادية بين أوساط الشباب العربي وتكوين اتجاهات ايجابية لديه نحو ريادة الأعمال.

أولا: المفاهيم الأساسية للدراسة

1 مفهوم ثقافة ريادة الأعمال

تعود المحاولات الأولى في تعريف ثقافة ريادة الأعمال (Entrepreneurial Culture) إلى الباحث (Toulouse, 1990) الذي يعتبرها كثقافة تثمّن العزيمة والإصرار وممارسة وظيفة الأعمال والمبادرة الفردية والجماعية، وتشجيع التوازن الصحيح بين المخاطرة والأمان، وتقدم أيضا حلا الذي يخص الجدال بين المحافظة على التقاليد والثبات عليها وبين الإبداع والتغيير. (دادي حمو إبراهيم، 2020، ص98). هذا وتعرف ثقافة ريادة الأعمال على أنها "مجموعة المعارف والقيم والاتجاهات والمهارات التي تدعم المبادرات الفردية والنشاط الريادي والتشغيل الذاتي والعمل الحر، وتشجع على تملك المشروعات وإدارتها، وتسهم في نشر روح الطموح والمخاطرة المحسوبة من أجل رفع مستوى الحياة للفرد والمجتمع". (ناصر بن سليم المزيدي، 2024، ص96).

يعرف (Morrison, A.) الثقافة الريادية بأنها "هي مزيج من القيم الشخصية والمهارات الإدارية والخبرات والسلوكيات التي تصف رائد الأعمال من حيث روح المبادرة والميل إلى المخاطرة والقدرة على الابتكار وإدارة علاقات الشراكة مع الدائرة" (نجوى عبد القادر أحمد حافظ، 2024، ص394). وتم

تعريفها أيضا على أنها "ثقافة احترام المجتمع للإقدام والمبادرات الفردية ومكافأة أخذ المخاطرة والابتكارات الفردية أو الجماعية، وذلك عن طريق الإتاحة للأفراد الفرص لتحقيق أرباح من خلال أنشطة ومشاريع شرعية" (مسيخ أيوب، 2016، ص63). وهناك من عرفها بأنها "مجموعة قيم وأسس ريادة الأعمال التي تسعى المنظمة لتأصيلها لدى الشباب" (وليد كامل محمدين كامل علام، 2022، ص145).

2 مفهوم التوجه الريادي

تم تطوير مصطلح التوجه الريادي (Entrepreneurial Orientation) على يد الباحثة (Miller, 1983) التي عرفته بأنه "الرغبة التنظيمية لدى رجل الأعمال في إيجاد وقبول فرص جديدة لتحمل مسؤولية إحداث التغيير". ثم تطور المصطلح على مر السنوات إلى أن وصفته دراسة الباحث (Luis, 2022) بأنه "عبارة عن قدرة المنظمات على التجديد واستخدام أفكار مبتكرة لجذب أسواق جديدة وتعزيز خلق المزايا التنافسية" (نجوى عبد القادر أحمد حافظ، 2024، ص394). هذا ويرى (C. Bruyat) "أن التوجه هو إرادة فردية تتحول إلى إنشاء مؤسسة". كما يعرف (Thompson) التوجه الريادي على أنه "اقتناع ذاتي معترف به من طرف شخص في أنه ينوي القيام بمشروع عمل جديد ويخطط بشكل واع للقيام بذلك في وقت ما في المستقبل" (ليلى بن عيسى، 2020، ص37).

ويؤكد في هذا السياق (A. Tounés) على أن التوجه الريادي بالرغم من أنه يعتبر بمثابة إرادة فردية تسجل ضمن مراحل معرفية وإدراكية لكن تلك الإرادة تبقى تابعة للظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية (قايدي أمينة، 2016، ص46). ويعرف كذلك على أنه "الرغبة والاستعداد للعمل الشخصي في المستقبل والابتكار وأخذ المخاطرة والقيام بأنشطة المبادأة عند مواجهة الفرص في السوق".

كما يشير التوجه الريادي إلى الميل نحو المخاطرة المحسوبة وهي تمثل درجة استعداد الفرد الريادي لتخصيص وتقديم الالتزامات الكبيرة والموارد الهامة في المشاريع والفرص غير المؤكدة، وذلك مقابل الحصول على العوائد المرتفعة عن طريق اغتنام الفرص في السوق (مسيخ أيوب، 2016، ص61، 62).

ثانيا: أهداف نشر الثقافة الريادية بين فئة الشباب

تتحدد أهم الأهداف الكامنة من وراء نشر ثقافة ريادة الأعمال بين أوساط الشباب في النقاط التالية:

- توليد الدافعية لدى الشباب البطال لبدء مشروعات جديدة.

- التخفيف من حدة البطالة من خلال خلق وإيجاد فرص عمل سواء للشخص الريادي أو الأفراد الذين يستعين بهم الريادي في أداء الأعمال.
- تحقيق الاستقلالية والعمل الحر من خلال إتاحة الفرصة للشباب الريادي لتحقيق أهدافه.
- تدريب الشباب على كيفية إعداد خطط العمل وتأهيله لإدارة المشروعات الريادية.
- تدريب الشباب على التفكير الإستراتيجي وتنمية قدراته في التفاعل مع بيئة الأعمال المحيطة.
- إعداد شباب ريادي لتحقيق النجاح عبر مساره الوظيفي ورفع قدراته للتخطيط للمستقبل.
- ترقية الحلول الإبداعية للمشكلات وصناعة رياديين أكثر مغامرة.
- تغيير نمط التفكير التقليدي إلى نمط التفكير المبني على الإبداع والتجديد والتغيير.
- تزويد الشباب بمهارات الأعمال الأساسية للعمل الحر والإدارة الذاتية والمعارف الخاصة بكيفية بدء وتطوير مشروعه الريادي الخاص (وليد كامل محمدين كامل علام، 2022، ص125).
- بناء اتجاهات ايجابية للشباب تجاه الريادة وقيمة العمل الحر وتعزيز النزعة الريادية وإثارة الدافعية لديه لبناء تصور أفضل لمهنة المستقبل.
- تطوير السمات والمهارات الشخصية للشباب التي تسهم في خلق التفكير والسلوك الريادي.
- تعزيز مهارات بناء العلاقات والاتصال الايجابي في بيئة اجتماعية مناسبة.
- زيادة وعي فئة الشباب حول أهمية التوظيف الذاتي والريادة كبديل لمهنة المستقبل.
- إحداث التغيير في هيكل سوق العمل والتحول نحو الإبداع التنظيمي والتكنولوجي.
- زيادة التنوع الكبير في الجودة النوعية وذلك نظرا لأن المشاريع الجديدة تقدم أفكارا جديدة. (محمد عبد الرؤوف عطية السيد، 2021، ص84).

ثالثا: آليات ترسيخ الثقافة الريادية

تعد عملية نشر الثقافة الريادية أشبه بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل فمن خلالها يتم غرس قيم ريادة الأعمال في الفرد الريادي منذ صغره عن طريق الممارسات والخبرات والمهارات التي يكتسبها في محيطه العائلي المدرسي والمهني والمجتمعي، حيث تؤثر العوامل الثقافية والاجتماعية على المسار الريادي للفرد طيلة أطواره انطلاقا من رغبة ونية الفرد باتخاذ مسار ريادي كخيار مهني وصولا إلى إرادته في تطوير المشروع وتوسيع المؤسسة، وهي تؤثر على طريقة تفكير الريادي وأفعاله وسلوكياته وكذا خصائصه الشخصية. كما تشير

العديد من الأبحاث إلى أن تحفيز الممارسة الريادية تتم عن طريق توفير بيئة ومناخ ملائم للعمل الريادي، وهو ما عبر عنه (Julien) بقوله: " إذا اعتبرنا أن الأفراد الرياديين والمؤسسات تشكل عوامل أساسية لتحقيق النمو فإن توفر بيئة ريادية ومبدعة تشكل الشرط الكافي لضمانه". هذا وتشكل الثقافة الريادية إحدى أهم عناصر البيئة الريادية للفرد حيث يذكر الباحثين أن الاختلافات الثقافية بين الأفراد الرياديين والغير رياديين في نفس البلد تكون أكبر من الفوارق الثقافية بين البلدين. ومنه فمن بين الآليات والمقومات التي تعمل على ترسيخ ثقافة ريادية بغض النظر عن السياق الجغرافي والمكاني نذكر مايلي:

1 الأسـرة: يتعلم الفرد مبكرا قيما عملية ويرث صنائع مختلفة من والديه أو أقاربه وذلك بتلقينه لعادات وطرق عملية معينة قصد غرس قيم الريادة فيه مبكرا، كما أن نشأة الطفل في ظل نماذج عائلية ريادية يغرس في ذاكرته رموزا يسعى إلى تقليدها مستقبلا والوصول إلى مستوى النجاح الذي حققته، ومن ثم تنمو مع الطفل فكرة التوجه نحو العمل الريادي منذ الصغر. وبهذا تعمل عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية على تكوين شخصية الفرد وطبعه على نمط ثقافي واجتماعي معين الذي يتشكل من خلاله ميوله نحو نشاط مهني معين كأن يرث مثلا مشروعا عن عائلته أو يسعى إلى تطويره. بمعنى أن التنشئة الاجتماعية تغرس سلوكا معينا في الفرد يعبر عن القالب الثقافي الذي كونه والذي يمكن أن يصنع منه فردا رياديا في حال اعتمد في ركائزه على قيم العمل الحر؛ كالاستقلالية المجازفة والإبداع وتحمل المسؤولية وغير ذالك من سمات الرياديين الناجحين (عمور خيرة، 2022، ص110، 111).

هذا وتعد الأسرة إحدى العوامل الاجتماعية الأكثر تناولا في الدراسات المرتبطة بالثقافة الريادية وذلك نظرا لأن تأثيراتها محددة وواضحة، حيث يعتبر الوسط العائلي البيئة الأولى التي يستمد منها الريادي قيمه ومعاييره، كما أن وجود نموذج ريادي ضمن العائلة يعد من أقوى المحفزات التي تدفع بالريادي إلى تبني هذا الخيار كمسار مهني وهذا بإجماع الباحثين، فحسب دراسة (Shapero) يشير إلى أن نسبة الرياديين في الولايات المتحدة الأمريكية الذين ينحدرون من عائلة ريادية يمثلون نسبة تتراوح بين 50% و58%. وهو ما يظهر أهمية وجود النموذج الريادي في محيط العائلة. كما أشار الباحثين (Diken & Edirençelebi) من خلال دراسة ميدانية إلى أن دور الأسرة التركية في زرع ثقافة ريادية لأبنائها ساهم في زيادة معدلات استمرارية المؤسسات العائلية التي تشكل 95% من نسيج المؤسسات في تركيا، وذلك من خلال زيادة التوجه الريادي عند أبناء المالكين وزرع قيم ريادية فيهم منذ صغرهم.

2 المجتمع: يمكن أن يكون المجتمع عامل تحفيز للنشاط الريادي وذلك من خلال تمتعه بقيم ريادية ايجابية وتمتع الريادي (المقاول) ضمن نسقه بصورة ايجابية، مما يدفع بالأفراد إلى تبني المسار الريادي كخيار مهني وبالتالي ارتفاع حجم الممارسة الريادية ضمن هذا المجتمع، كما أنه يمكن أن يكون المجتمع من خلال ممارسته عامل معيق للثقافة الريادية ضمن أفراده، مثلما كان الحال عليه في أوروبا الشرقية التي كانت منطوية تحت مظلة الاتحاد السوفياتي المتبني لنظام اشتراكي أين كان ينظر للأنشطة الريادية على أنها استغلالية ومعادية لمبادئ الثورة، الأمر الذي نزع الشرعية المجتمعية من الأفراد الرياديين مجبرا إياهم على ممارسة أنشطتهم بشكل غير قانوني خارج حدود الاقتصاد الرسمي (دادي حمو إبراهيم، 2020، ص114، 115). وعليه تلعب الثقافة السائدة في أي المجتمع دورا أساسيا في بناء اتجاهات أفراده، ومن أجل أن تكون الريادة سلوك مجتمعي لابد من نشر ثقافة الريادة في أوساطه حيث أنها تشجع السلوكيات الريادية (كالاستقلالية والإبداع وروح المغامرة...). كما تتطلب عملية نشر الثقافة الريادية ممارسة ريادة الأعمال حتى تكون بمثابة مبدأ في حياة الفرد (صفاء المطيري، 2019، ص10).

هذا وقد حدد (Stevenson)، في دراسة ركز فيها على تحليل محيط أربعين دولة، أربعة خصائص لتأثير المحيط على ريادة الأعمال هي على النحو الآتي:

- ✓ تزدهر ريادة الأعمال في المجتمعات التي تعرف حركية الموارد.
- ✓ تعظم ريادة الأعمال حين يقوم الأفراد الناجحين في مجتمع ما بإعادة استثمار فائض رؤوس أموالهم في مشاريع باقي أفراد ذلك المجتمع.
- ✓ تزدهر ريادة الأعمال في المجتمعات التي تحتفل بنجاحات أفرادها بدل من السخرية والاستهزاء.
- ✓ تزدهر ريادة الأعمال في المجتمعات التي تعتبر التغير أمرا ايجابيا وليس سلبيا.

وبهذا يشكل المجتمع والمحيط عامل محدد في نجاح المبادرات الريادية مما يجعل السلوكيات الريادية في حد ذاتها مرهونة بالمحيط والمجتمع الذي يتواجد فيه الفرد.

3 التعليم الريادي: تعرف الباحثة "دعاء السر" التعليم الريادي بأنه "تلك الممارسات التي تقوم بها الجامعات من أجل اكتشاف الطلبة ذوي القدرات الابتكارية والإبداعية؛ وذلك بهدف تشجيع الفكر الريادي وتنمية مهارات إدارة المشاريع الريادية لديهم وتحويلهم إلى طلبة منتجين ومبادرين" (جمال مصطفى محمد مصطفى، 2021، ص127). ويمكن القول إن التعليم الريادي هو مجموع الأنشطة والأساليب التعليمية التي تهدف

إلى غرس الروح الريادية لدى الطلبة وتزويدهم بالمهارات اللازمة لتأسيس مشاريعهم الخاصة. هذا ويعود تاريخ تدريس ريادة الأعمال في العالم على مستوى الجامعات إلى عام 1947 عندما قدم (Myle Maces) أول مقرر دراسي في ريادة الأعمال في جامعة (Harvard) الأمريكية، وهناك من يرى من الباحثين أن أول من تنبه لتدريس تخصص ريادة الأعمال وكان رائدا فيه هو الياباني (Shigeru Fijii) من جامعة (Kobe) عام 1938. لقد قادت الجامعات الأمريكية العديد من الجامعات في العالم نحو التعليم الريادي إذ يعود الفضل إلى جامعة جنوب كاليفورنيا كأول جامعة تطرح أول مساق حديث في ريادة الأعمال عام 1971 (الجودي محمد علي، 2014، ص134-149).

ومنه يعد التعليم محورا أساسيا في تنمية الثقافة الريادية ويمكن استثمار دوره في تنمية ريادة الأعمال في سن مبكرة قد تصل إلى رياض الأطفال، كما يمكن أن يمتد هذا الدور ليصل إلى المراحل المتقدمة من التعليم العالي. وعليه فإن بناء فكرة الإبداع والابتكار وريادة الأعمال وتطبيقاتها العملية يجب أن تدرج في صميم مناهج التعليم العام، ذلك أن نشر الثقافة الريادية بين طلاب الجامعة يعد بمثابة حجر الأساس في دفعهم نحو ريادة الأعمال والمبادرة والابتكار، فاهتمام الجامعة بالتعليم الريادي وتقديرها لإبداع وابتكار الطلبة يزيد من دافعيتهم للتعلم وتقديم أفكار ريادية من شأنها أن تتحول إلى مشروع ريادي استثماري يسهم في دفع عجلة الإنتاج والحد من البطالة (محمد عبد الرؤوف عطية السيد،2021، ص84).

هذا ومن أجل تعزيز التعليم الريادي قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" (UNESCO) بإطلاق حملة التعليم للجميع (EFA) التي كان من ضمن أولوياتها تشجيع ودعم برامج التعليم والتدريب لريادة الأعمال في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بما يسهم في إيجاد أجيال مدربة ومزودة بالمهارات اللازمة للعمل الحر والولوج في مشاريع اقتصادية ناشئة تنعش سوق العمل، بحيث تعي هذه الأجيال أهمية قيام مشاريع ريادية تساعد في تنمية مجتمعاتهم. وعلى غرار تلك الحملة دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الألسكو" (Alesco) إلى أهمية التحول الفكري ودعم ثقافة ريادة الأعمال بين أوساط المتعلمين في الدول العربية، والعناية بتدريب وتعليم الشباب المهارات والتقنيات اللازمة لتعزيز نمو المشاريع الصغيرة والمتوسطة ومراجعة النظم والقوانين وإيجاد البيئة المحفزة والقوانين الداعمة لريادة الأعمال (بدرية بنت حمود بن ناصر المحروقية وآخرون، 2021، ص140، 141).

4 الديـن: يشكل الدين بمفهومه الواسع أحد العوامل المحفزة على تشكيل الثقافة الريادية لمعتنقه كما تشير بذلك العديد من الأبحاث والدراسات التي تطرقت لدور الدين في تحفيز الدوافع الريادية واعتبارها كعامل مفسر لارتفاع الممارسة المقاولاتية ضمن نسق بعض المجتمعات، حيث يربط في هذا السياق "ماكس فيبر" (M. Weber) بين القيم التي يدعو إليها المذهب الكالفيني وتطور الرأسمالية في أوروبا وذلك عبر القيم التي يدعو إليها من عمل جاد وتقشف وتراكم للثروة، وهو يعتبر أنه لا يوجد نمو اقتصادي دون توفر الرياديين (المقاولين)، ولا يمكن لهؤلاء أن يتواجدوا إلا بتوفر منظومة قيمية وهذه الأخيرة نستمدها من الدين كإطار مرجعي لها، كما تبرز هنا أهمية ديننا الإسلامي الحنيف في الحث على العمل وجعله كعبادة والتشجيع على السلوك الريادي حيث يجد الفرد المسلم الغذاء الروحي في عقيدته الدينية (دادي حمو إبراهيم، 2020، ص118). وبهذا يعد الخطاب الديني في مجمله عاملا مهما في الدعوة إلى العمل والتفكير الخلاق ونبذ التواكل وتقدير الذات، وبالتالي تقوم المنابر ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والمحطات الفضائية والمطبوعات الدينية بدور مرجعي في دعم ثقافة ريادة الأعمال والمبادرة والتفكير الإبداعي (عبد السلام بشير الدويبي، 2014، ص260).

رابعا: العلاقة بين الثقافة وريادة الأعمال

أكدت العديد من الدراسات على وجود علاقة ارتباطيه بين الثقافة وريادة الأعمال يمكن تلمسها من خلال الخصائص الثقافية التي نجدها في ريادة الأعمال، والتي يمكن أن تعبر على وجود ثقافة عقلانية رشيدة قد تتبنى قيما تقليدية مرتكزة على الأعراف ونظم القرابة على مستوى عمليات التوظيف في بعض المقاولات، حيث جعلت من الثقافة مصدرا استثماريا لأنشطتها التي استمدتها من الموروث الثقافي المادي لمجتمعها. هذا وتساهم القيم الثقافية في توجيه سلوكيات المقاولين خاصة القيم المأخوذة من التجارب المهنية، وتؤكد في هذا السياق الباحثة "بيرجريت بيرجر" على أهمية العوامل الثقافية وعلى كون الرياديين ليسوا منتجين من الناحية الاقتصادية فقط، بل يتعدى ذلك إلى مستويات ثقافية حيث أرجعت ازدهار العالم إلى سلالة من منظمي العمل؛ وتقصد بذلك الرياديين الذين ساهموا في تحسين الوضع المعيشي وتطور بعض الدول اقتصاديا وكان ذلك في الغرب بداية، كما أكدت على تأثير العديد من العوامل الثقافية والاجتماعية في الاقتصاد والصناعة، وهي ترى أن تنظيم العمل الجديد أو ما يعرف بريادة الأعمال هي ظاهرة اقتصادية بخلفية ثقافية مكونة من

الأخلاق وثقافة الشعوب والإيديولوجيات والصنائع التقليدية المستحدثة التي تساهم في فهم سيرورة المقاولة (عمور خيرة، 2022، ص113-115).

ومن هذا المنطلق تساهم ثقافة ريادة الأعمال بصورة مباشرة في توفير فرص العمل للشباب وتأمين مصدر رزق لهم؛ إذ تؤدي إلى التقليل من الهموم والأعباء الملقاة على عاتق الباحثين عن عمل، كما تساعد ريادة الأعمال في التغلب على معوقات عديدة في المجتمع؛ مثل الثقافة المجتمعية السائدة القائمة على تقديس الوظائف الحكومية والتوجس من القطاع الخاص، وضعف الدخل بشكل عام وتدني مستويات المعيشة وهيمنة الروتين الحكومي. ومن الناحية الاقتصادية تؤدي إقامة مشروعات ريادة الأعمال إلى زيادة فرص العمل المناسبة وزيادة الطاقة الإنتاجية والتشغيلية للاقتصاد الوطني، ومن الناحية الاجتماعية فإن انتشار مفهوم ريادة الأعمال في المجتمع يؤدي إلى توليد روح المبادرة والابتكار والتنافس بين شريحة الشباب والمساهمة بالتالي في حل مشكلة البطالة (يحي السيد عمر، 2021، ص11-15).

وبهذا تتجلى العلاقة الارتباطية بين الثقافة وريادة الأعمال حيث تعتبر هذه الأخيرة أكثر من كونها مجرد ظاهرة اقتصادية واجتماعية فهي في حقيقة الأمر ذات بعد اجتماعي وثقافي، فالفعل الريادي في أصله لا يمكن أن ينشأ خارج سياق المجتمع الذي ينتمي إليه الريادي. ويربط العديد من الباحثين ارتفاع الممارسة الريادية في نسق مجتمع ما بتوفر شرطين أساسيين، يتمثل الأول: في تمتع الفرد المقاول بقبول اجتماعي وصورة ذهنية مميزة تضفي عليه الشرعية لسلوكه الريادي وتمنحه مكانة مميزة بين أفراده، بينما يتمثل الثاني: في قدرة الريادي وتحكمه في مصادر تمويل ومعلومات ومواد أولية ضرورية لمشروعه. وبين هذا وذاك تشكل ثقافة المجتمع بأبعادها الثقافية والاجتماعية الإطار المفسر لكل سلوك، والتي عبر عنها (Hofstede) بأنها البرمجة الذهنية الجماعية للقيم والمعايير والمعتقدات التي تميز مجموعة بشرية عن غيرها.

وفي هذا الإطار اعتمد نموذج "هوفستد" (Hofstede) للأبعاد السوسيو ثقافية كإطار مرجعي للعديد من الدراسات التي سعت إلى تحليل ودراسة تأثير قيم الثقافة الوطنية لبعض الدول والمجتمعات على الممارسة الريادية بصفة عامة أو بعض الأبعاد المفسرة لريادة الأعمال بشكل خاص. ففي جوابه على سؤال "لماذا بعض المجتمعات تعتبر أكثر قدرة على الإبداع من غيرها؟ قام (Shane) بدراسة تجريبية لقياس مستوى الإبداع في 33 دولة معتمدا على معيار معدل تسجيل براءات الاختراع خلال أربع فترات من الزمن (1967،1971،1976،1980)، وخلص فيها إلى أن المجتمعات الأكثر إبداعا من غيرها هي التي

تتميز ثقافتها الوطنية بمعدل مرتفع من الفردانية وفي ذات الوقت بمسافة سلطة منخفضة بين أفرادها. ويشير الباحثين إلى أن ثقافة مجتمع ما وقيمه ومعتقداته ومعاييره تمارس تأثيرا على التوجهات الريادية لأفراده، ولقد تطرقت العديد من الأبحاث إلى تأثير الثقافة على العملية الريادية إذ قال (Landes) أنه "لو وجب علينا أن نستخلص شيئا من تاريخ التطور الاقتصادي فهو أن الثقافة هي التي شكلت كل الفارق، وتظل ريادة الأعمال إلى حد كبير حقلا تلعب الثقافة فيه دورا محوريا وتمارس تأثيرا بالغا عليه حيث يعتبر هذا التأثير في أصله فعل ثقافي" (دادي حمو إبراهيم، 2020، ص77-135).

خامسا: الثقافة الريادية كعامل مؤثر في التوجه الريادي للشباب العربي

يشهد العالم اليوم مع ظهور النظام العالمي الجديد تحولات متعددة الأبعاد وبشكل خاص تغيرات اقتصادية منها التوجه نحو اقتصاديات السوق والتحرر الاقتصادي وبروز ما يسمى باقتصاد المعرفة، والتوجه نحو الاقتصاد الريادي (Entrepreneurial Economy) الذي يقوم على تعزيز ريادة الأعمال والمبادرة بإنشاء المشروعات الصغيرة والمتوسطة والمؤسسات الناشئة التي تقدم أفكارا مبتكرة، وذلك كون أن ريادة الأعمال تشكل أحد التوجهات العالمية للتطور الاقتصادي، حيث أظهرت بعض الدراسات في هذا السياق أن أعمال ومشاريع ريادة الأعمال تساهم بنسبة 90% في تنمية المشروعات الاقتصادية على مستوى العالم، وكذا الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي وتوظيف القوى العاملة والحد من مشكلة البطالة بين فئة الشباب، وهذا باعتبار ريادة الأعمال تعد بمثابة محرك النمو الاقتصادي في العديد من الدول المتقدمة والنامية على حد سواء (وائل محمد ثابت وآخرون، 2023، ص44)، وبالأخص منها الدول العربية التي تشهد ارتفاعا ملحوظا في معدل البطالة بين أوساط الفئة الشابة، وذلك أمام تراجع توجه الشباب العربي نحو ريادة الأعمال في ظل ضعف الثقافة الريادية الداعمة للمبادرات والنشاط الريادي والمحفزة على إنشاء عمل خاص والتحلي بروح المغامرة والمخاطرة، وهذا تحت تأثير مجموعة من المعوقات الثقافية والاجتماعية التي تواجه ريادة الأعمال في المجتمعات العربية والتي سنأتي على ذكرها لاحقا في هذا العنصر.

لقد تنامى دور ريادة الأعمال على الصعيد العالمي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، فمن الناحية الاقتصادية تؤدي إقامة الأعمال الجديدة إلى خلق فرص عمل للشباب وزيادة الإنتاج الوطني، أما من الناحية الاجتماعية فإن انتشار مفهوم ريادة الأعمال في المجتمع يؤدي إلى توليد روح المبادرة والابتكار والتنافس بين فئة الشباب. ومن هذا المنطلق إن لريادة الأعمال أهمية كبيرة في المجتمع فهي تساعد في زيادة

تشغيل الباحثين عن العمل من الشباب البطال وإيجاد أسواق جديدة للمنتجات والسلع المبتكرة، وخلق فرص عمل جديدة ورفع النمو الاقتصادي وزيادة دخل الفرد والأسرة (ناصر بن سليم المزيدي، 2024، ص96). وفي هذا الإطار يشكل الشباب في العالم العربي أكثر من ثلثي مجمل السكان حسب تقديرات إحصائية حيث يعتمد عليهم في مواقع التنمية والبناء. هذا وما يزال الشباب يشكلون العصب الأساسي لتقدم المجتمع ونموه وازدهاره، فهم باندفاعهم وحركتهم قادرون على تحمل المسؤوليات وبالتالي على متابعة مسيرة الأسلاف.

وعليه فالشباب العربي مطالب بأن يعمل بجد واجتهاد وأن يجدد ويبتكر، بل يخاطر يغامر ويقتحم مجال ريادة الأعمال لكي يحقق لنفسه مستقبلا واعدا ويساهم في مسيرة التنمية المحلية المستدامة وتقدم مجتمعه. هذا وإذا كان تقدم أي مجتمع رهنا بالدور الذي يوفره لشبابه في مسيرة بنائه وازدهاره فلأن جيل الشباب يشكل الطاقة المبدعة القادرة على العطاء والتجديد في مقابل جيل الكبار الذي يميل إلى المحافظة وغالبا ما يخشى التجديد والتغيير (مصطفى عبد القادر، 2004، ص13-24). إن الشباب يمتلكون القوة بأبعادها المختلفة العقلية والجسدية والنفسية فهم الأقدر على الإنتاج والإبداع والتغيير. ومنه يتمثل الهدف العام لليونسكو للعمل مع الشباب في "ضمان تعزيز مشاركتهم الكاملة في المجتمع على قدم المساواة مع الرجال، وأن يكونوا شريكا ذا قيمة، لاسيما في تصميم المعرفة الاجتماعية، وتمكينهم من استخدام رؤاهم الإبداعية وتطلعاتهم في خدمة المجتمع والتنمية" (هند سعيد إبراهيم بدوي، 2018، ص975).

وبهذا فإنه لعل من أهم التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، ومنها المجتمعات العربية، هي مشكلة البطالة والفقر وتدني مستويات المعيشة، وقد أدى هذا الوضع إلى زيادة اهتمام صانعي السياسات والقرارات السياسية بالدور المتوقع لرواد الأعمال باعتبارهم يمثلون أحد الحلول المطروحة لخفض معدلات البطالة، وباعتبارهم مساهمين في تحقيق الازدهار والتنمية الاقتصادية. من ناحية أخرى فقد أصبح هناك اهتمام خاص بدور المشروعات الصغيرة نظرا لقدرتها على المواءمة مع البيئات الاقتصادية المتقلبة، وكذلك لأن هيكلها يتيح لها مسايرة التغير الفني بشكل يسمح لها بالبقاء والاستمرار، وقد أدركت العديد من الدول هذه الحقيقة وقامت بالاعتماد على معايير سياسية جديدة لدعم المشروعات الصغيرة وريادة الأعمال، وبذلت جهودا خاصة للترويج للأنشطة الابتكارية وتحسين القدرات الابتكارية للأفراد، ومن ثم رأت العديد من دول العالم

أن ريادة الأعمال تمثل أحد أهم الحلول لمواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية (منصور بن نايف العتيبي، محمد فتحي علي موسى، 2015، ص260-261).

وفي هذا الشأن طورت الولايات المتحدة الأمريكية من سياستها التدريبية والتعليمية لدعم ريادة الأعمال وتطوير مساراتها، فقد تصدرت قائمة دول العالم في نمو هذا القطاع وارتفاع نسبة مساهمته في الاقتصاد الأمريكي (بدرية بنت حمود بن ناصر المحروقية وآخرون، 2021، ص140، 141)، حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية من أهم الدول التي حققت قفزات سريعة على مستوى العالم في مجال ريادة الأعمال فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن 80% من الجهود العلمية في مجال ريادة الأعمال تتركز في أمريكا الشمالية مقابل 20% من الجهود في بقية دول العالم. وفي عالمنا العربي ازداد الاهتمام بريادة الأعمال في أواخر القرن العشرين حيث تعد جمهورية مصر العربية من أول الدول العربية التي أنشأت حاضنات الأعمال، وكذلك الحال بالنسبة للأردن التي بدأ الاهتمام فيها بريادة الأعمال من خلال التركيز على التمويل الأصغر الذي أنطلق عام 1995م، وتطور الأمر بظهور بعض المبادرات أمثال جمعية أصحاب المشاريع الشباب عام 1998م، وغيرها من المبادرات لتصل عام 2025م إلى أكثر من 180 جهة وبرنامجا مخصصا في ريادة الأعمال. وانطلقت بعد ذلك مبادرات عدة في العالم العربي في مجال ريادة الأعمال، مثل الهيئة العامة للتشغيل وتنمية المشروعات في سوريا، ومؤسسة محمد بن راشد لتنمية المشاريع الصغيرة، وكذلك صندوق خليفة في الإمارات، وبنك قطر للتنمية، ومركز التنمية الاجتماعية (نماء) في قطر. وباعتبار التعليم يؤدي دورا مهما للغاية فقد بدأت المقررات الدراسية والبرامج التعليمية والتدريبية في مجال ريادة الأعمال في الظهور بين المناهج الدراسية في الكثير من الجامعات في العالم العربي (أحمد بن عبد الرحمن الشميمري، ص15-18).

وقد أدركت من جهتها حكومة المملكة العربية السعودية أهمية النشاط الريادي ودوره في عملية التنمية الوطنية واستدامتها؛ لذلك سارعت إلى ممارسة العديد من الجهود من خلال السياسات والخطط الخمسية والبرامج والمؤسسات التعليمية التي من شأنها تطوير مجال ريادة الأعمال والأخذ بيد الأفراد ذوي السمات والقدرات الريادية، وتهيئة البيئة المناسبة لهم لإنشاء المشروعات الجديدة وإمدادها بأسباب البقاء والديمومة، كما تبذل حكومة المملكة جهودا متواصلة للنهوض بالتعليم العالي بما فيه التعليم لريادة الأعمال من أجل توفير فرص عمل تحد من البطالة، والتخفيف من معدل الفقر والارتقاء بمستويات الإبداع والابتكار وإرساء

دعائم الاقتصاد القائم على المعرفة (منصور بن نايف العتيبي، محمد فتحي علي موسى، 2015، ص260-261). كما اعتمدت الدولة في الجزائر على سياسة دعم إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمرافقة المقاولاتية للشركات الناشئة، وذلك من خلال وضع العديد من البرامج والقوانين والتشريعات التي تهدف إلى تشجيع النشاط الريادي للشباب من أجل إنشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة الحجم (الجودي محمد علي، 2014، ص68)، حيث شهدت الجزائر العديد من المبادرات من الجهات الفاعلة الاقتصادية الخاصة في تعزيز التوجه والفعل الريادي والمبادرات في صورة الأكاديمية الجزائرية لريادة الأعمال التي أنشئت في أكتوبر 2010، والتي تعمل على توجيه الشباب حاملي المشاريع من الأوساط الأكاديمية، هذا إلى جانب إنشاء هيئات دعم ومرافقة لأصحاب المشاريع الناشئة، منها دار المقاولاتية وحاضنات الأعمال ومسرعات الأعمال (قايدي أمينة، 2016، ص133).

ونجد في الوطن العربي أن القطاع العام الحكومي هو المشغل الرئيس للعمالة الوطنية ومع تزايد نسب الشباب حاليا يعجز هذا القطاع العام عن استيعاب القوى العاملة المتنامية في المنطقة العربية، لذا هناك حاجة متزايدة لأن يأخذ القطاع الخاص زمام المبادرة في إيجاد فرص عمل للشباب البطال، فبالمقارنة مع بقية دول العالم فإن البيئة التنظيمية لريادة الأعمال في الوطن العربي مازالت تفتقر للتطور، وتتضافر عوامل عدة تجعل المنطقة العربية لديها أعلى معدلات البطالة بين الشباب في العالم وهي نسبة تصل إلى 25%. ومنه إن حل هذه المعضلة التي تواجه الشباب العربي يتضمن عدة محاور من ضمنها: الإصلاح الهيكلي مثل التحول الفكري بعيدا عن التوظيف في القطاع الحكومي، وإصلاح سياسات العمل وتعزيز نمو المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وإنشاء النظم البيئية المواتية لريادة الأعمال، فضلا عن تذليل المعيقات الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في توجه الشباب العربي نحو ريادة الأعمال وتدعم تمسكه بالوظيفة العمومية في قطاع الدولة (منصور بن نايف العتيبي، محمد فتحي علي موسى، 2015، ص619-620).

فقد أجمع غالبية المختصين في مجال ريادة الأعمال من بينهم (Ponson) بأن من أبرز عراقيل التوجه نحو ريادة الأعمال في المجتمعات النامية -ومنها الدول العربية- ضعف الثقافة الريادية (مسيخ أيوب، 2016، ص173)، أضف إلى ذلك قوة تأثير الثقافة التقليدية الموروثة في توجه الشباب العربي إلى النشاط الريادي وتحقيق التوظيف الذاتي. على أنه ما دام أن الثقافة هي نتاج بشري فلا بد أن تحتوي على الصواب والخطأ والحق والباطل والخير والشر، وثقافتنا العربية مثل كل الثقافات بحاجة إلى نقد وتمحيص وإعادة إحياء

للجوانب الخيرة فيها وعزل الجوانب السيئة، ومن صور ذلك الأمثال الشعبية؛ التي تعتبر خلاصة تجارب الشعوب التي يتم صياغتها على شكل أقوال تتناقلها الأجيال، وهي وليدة تجربة عقلانية واعية رصدت بتدبر ووعي ودقة ملاحظة، وقوة استنتاج (حكمة)، أو قولا هو ما يسمى بالمثل الشعبي فاستساغه الشعب؛ فأخذ صفة الاستمرارية في التداول والقبول من شخص لآخر. وفي الجانب الآخر يشير كل من "العتيبي" و "موسى" و "الشميمري" و "المبيريك" إلى وجود بعض المعيقات المرتبطة بأنظمة التعليم والتي تتمثل في ضعف اهتمام المؤسسات التعليمية بنشر الثقافة الريادية، وعدم كفاية برامج التدريب، إضافة للفجوة الكبيرة بين مسارات التعليم ومتطلبات سوق العمل وغياب الاهتمام بدعم الابتكار وتشجيع المواهب الناشئة وضعف الأطر التنظيمية والقانونية التي تنظم المشروعات الريادية على مستوى الوطن العربي كافة (بدرية بنت حمود بن ناصر المحروقية وآخرون، 2021، ص141).

في حقيقة الأمر وبالنظر إلى واقع التوجه الريادي للشباب في الوطن العربي نجد إن المعوقات المادية والإدارية ليست هي المعوقات الوحيدة أمام ضعف توجه الشباب العربي نحو النشاط الريادي ونجاح المشروعات الجديدة، فهناك حاجة أيضا لتغيير الثقافة السلبية السائدة في مجتمعاتنا العربية وذلك حتى يعرف شبابنا العربي بأهمية وقيمة ريادة الأعمال، تلك الثقافة السلبية الجامدة التي تؤثر في ترسيخ قيم التواكل والجمود وتثبط العزيمة، وتثير مخاوف الشباب البطال من الابتكار والإبداع والتجديد والمخاطرة بممارسة العمل الريادي الخاص وتجعله أسير شبح البطالة. على أن التحدي الذي يؤثر في عزوف الشباب العربي عن التوجه نحو العمل الريادي ويواجه نمو المشروعات الريادية الصغيرة والجديدة يتمثل في التعرف على المعوقات الثقافية التي تعوق التوجه الريادي ونمو هذه المشروعات الريادية هذا من جهة، وفي كيفية تغلب المديرين المالكين (الرياديين) لهذه المشروعات على هذه المعوقات الثقافية من جهة أخرى.

وفي هذا السياق قام الباحث (Irwin, 2000) بتحديد المراحل النفسية أو الاتجاهية التي يجب أن يمر بها رائد الأعمال والحواجز التي يجب أن يتخطاها حتى يتحقق نمو المشروع، ويعتبر الحاجز الاجتماعي هو أول بل ومن الناحية التقليدية أصعب حاجز يمنع العديد من الأفراد من مجرد التفكير في إقامة مشروع جديد، فعلى سبيل المثال من النادر أن يقترح المدرسون أو المستشارون أو المهنيون على من يستشيرهم من الشباب أن يقيموا مشروعات خاصة يمتلكونها ويديرونها، فمازال هناك نوع من الضغوط التي تلح على الشباب العربي –خصوصا الخريجين– لأن يلتحقوا بوظيفة حقيقية في القطاع الحكومي والنفور من العمل

الريادي وتبني فكرة التوظيف الذاتي، في الجانب الآخر فإن الأبناء الذين ينشئون في عائلة أعمال تدير مشروعا خاصا عادة ما يكونون أكثر ميلا لامتلاك مشروعات خاصة بهم. من هنا يمكن القول بأننا في حاجة إلى تعزيز نشر ثقافة ريادية لدى شبابنا البطال في المنطقة العربية وتنمية لديه الدوافع الريادية والتأثير على اتجاهاته وتوجيهها نحو السلوك الريادي القائم على اختيار المسار الريادي كخيار مهني لبناء مستقبله.

هناك أيضا الحواجز الداخلية التي تجعل الكثير من الشباب في المجتمعات العربية يعتقدون أنهم يفتقدون إلى القدرات والخصائص والسمات اللازمة لكي يصبحوا رواد أعمال، فهم يعتقدون أنهم لن يستطيعوا اكتشاف فكرة ناجحة أو أنهم لن يستطيعوا الحصول على الموارد اللازمة وينبذون فكرة "التوظيف الذاتي" باعتبارها فكرة غير مقبولة، ومن الممكن أن ينظروا إلى أنفسهم باعتبارهم غير قادرين على تحمل المخاطر ويمتلكهم شعور بأن إدارة مشروع خاص يعتبر أمر شديد الخطورة، وقد لا يشعرون بأنهم يستطيعون السيطرة على جميع المهارات اللازمة للقيام بهذا العمل. غير إن رواد الأعمال الناجحين هم ببساطة الأفراد الذين يكتشفون إحدى الفرص ويتحملون مخاطر محسوبة أكثر من مجرد تحمل أي نوع من المخاطر دون تفكير، وفي هذا الصدد توصلت دراسة أجريت في عشر دول عام 1999 إلى أن "الاختلافات التي تميز العملية الريادية تعتمد على الاختلاف في درجة إدراك وجود الفرص أكثر من الاختلافات الموجودة بين الفرص ذاتها" (عمرو علاء الدين زيدان، 2007، ص170-175).

وفي سياق متصل حدد الباحث "الشريف" عددا من المعوقات والتحديات الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في التوجه نحو ريادة الأعمال وإقامة مشروعات ريادية جديدة ونموها في المجتمعات العربية هي كالآتي:

-القيم الاجتماعية السائدة التي لها دور في تكوين البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمعات، فهي الإطار المرجعي للسلوك الفردي والدافعة للسلوك الجمعي، حيث تحتاج ثقافة ريادة الأعمال إلى أنماط سلوكية جديدة وبالتالي تحتاج إلى قيم جديدة تدفعها إلى الطريق الصحيح.

-صعوبة إحداث تغيير في بعض أنماط الشخصية لدى الشباب العربي؛ مثل الانعزالية والتواكل وعدم احترام قيم العمل، خاصة اليدوي، والخوف من المخاطرة والتجديد والتغيير، وكذا عدم الاعتراف بأهمية التوظيف الذاتي.

-وجود مورثات ثقافية في بعض الأمثال الشعبية تحض الشباب العربي على التمسك بالوظائف الحكومية باعتبارها أكثر أمانا واستقرارا، والتمسك بالتبعية وعدم الاستعداد الذاتي للابتكار والتجديد.

-ترسيخ ثقافة البيروقراطية التي تقوم على التعقيدات الإدارية والاستغراق في الروتين والتباطؤ في تسوية المعاملات وإصدار القرارات، وانتشار اللامبالاة والسلوكيات السلبية وسيطرة العوامل الشخصية على علاقات العمل الرسمي.

-الخوف من تحمل المخاطرة حيث يخشى كثير من الشباب تحمل عبء تجربة جديدة لا يعرفون نتائجها، إذ تسهم خبراتهم السابقة في تشجيعهم على تجنب الإقدام على قبول التجربة أو الابتعاد عن العمل الريادي وعدم المخاطرة بالعمل الحر وإنشاء مؤسسة خاصة (منصور بن نايف العتيبي، محمد فتحي علي موسى، 2015، ص628، 629).

-قصور التعليم الجامعي في نشر الثقافة الريادية التي تشجع الشباب الجامعي على الابتكار والإبداع والفكر الخلاق المنتج لمشاريع جديدة وتنمية دوافعه للتوجه الريادي، وترسيخ بدلا من ذلك ثقافة الجمود والتواكل على القطاع الحكومي العام في توفير مناصب شغل ملائمة ودائمة ضمن القطاع الإداري وبالشروط المرغوبة.

هكذا فإنه لم يعد الحل الأمثل لمعالجة مشكلة البطالة في المجتمعات العربية ينحصر أساسا في توفير الحكومات فرص عمل لفئة الشباب البطال بل يكون من خلال دعم وتعزيز نشر الثقافة الريادية بين أوساط الشباب البطال –من مختلف المستويات التعليمية– وتزويده بمهارات المستقبل والتي يتقدمها مهارات ريادة الأعمال، حيث تعد هذه الأخيرة من أهم التوجهات الحديثة للأخذ بيد الشباب البطال في الوطن العربي؛ وذلك انطلاقا من الفكرة التي مؤادها "ابتكر وظيفتك بدلا من البحث عنها" (Invent your job rather than looking for it). وفي هذا الإطار جاء في تقرير اليونسكو ومكتب العمل الدولي المعنون بـ "نحو ثقافة ريادة الأعمال من أجل القرن الحادي والعشرين" أن النموذج القديم للمجتمع من القرن العشرين يتم استبداله بالنموذج الجديد للمجتمع الريادي، وهو مجتمع يكافئ ويدعم الإبداع ويشجع على اقتناص الفرص وتقديم أفكار مبتكرة وتحويلها إلى واقع ملموس، ولقد أصبح من المسلم به أن روح ريادة الأعمال تعد واحدة من العوامل الرئيسية التي تمكن المجتمعات من التغلب بنجاح على الصعوبات التي أنتجتها التغيرات العالمية (جمال مصطفى محمد مصطفى، 2021، ص112، 113).

خاتمة:

استنادا إلى ما سبق عرضه ضمن هذه الورقة البحثية نستخلص أن الاهتمام بتعزيز الاقتصاد الريادي قد أضحى من أهم التوجهات الحديثة على الصعيد العالمي، وهذا خاصة مع تنامي الدور الفاعل لريادة الأعمال في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ظل التحديات الراهنة التي يطرحها النظام الاقتصادي العالمي الجديد خلال الألفية الثالثة، وما تشهده بيئة الأعمال من تحولات وتطورات وتقلبات اقتصادية تتخللها أزمات اجتماعية واقتصادية ترتب عنها تفاقم مشكلات الفقر والبطالة وتدني مستويات المعيشة وغير ذلك. وعليه مواكبة لهذا التوجه العالمي نحو ريادة الأعمال وخلق نموذج جديد من المجتمع المتمثل في "المجتمع الريادي" الذي يقوم على ترسيخ الثقافة الريادية لدى أفراده كهدف منشود، يبرز ذلك الدور المحوري الذي تؤديه ريادة الأعمال في التصدي للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها الدول النامية ومنها على وجه الخصوص الدول العربية، هذه الأخيرة التي تعرف أغلبيتها ارتفاعا محسوسا في معدلات البطالة وتردي في مستويات المعيشة، ما يجعلها بذلك بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تنمية الاقتصاد الريادي ودعمه ونشر الثقافة الريادية بين أوساط الشباب لتوجيهه نحو الانخراط في المسار المهني الريادي وتجسيد التوظيف الذاتي الذي يعد بديلا عن التوظيف الحكومي في القطاع العام، هذا الأخير الذي بات عاجزا عن تغطية احتياجات الشباب البطال في توفير منصب شغل مناسب.

من هنا تتجلى العلاقة الترابطية الوثيقة بين الثقافة وريادة الأعمال –كما تم استنتاجه آنفا– وذلك كون أن ريادة الأعمال تحتوي على الخصائص الثقافية والقيم الاجتماعية والثقافية التي تؤثر إلى حد كبير في بناء شخصية الريادي وتوجيه سلوكيات الأفراد نحو مبادرات ريادة الأعمال والعمل الحر وتنمية دافعيتهم لإقامة مشروعات جديدة. على أن الثقافة تعد من العوامل المهمة في إعداد أو بالأحرى صناعة رواد الأعمال وترسيخ لديهم قيم روح المبادرة والابتكار وتحمل المخاطرة والاستقلالية والانجاز وغيرها. غير أنه وبالرجوع إلى واقع الثقافة الريادية في مجتمعاتنا العربية نجد أن هناك ضعف في توجه الشباب العربي البطال نحو ممارسة ريادة الأعمال، وذلك نتيجة نقص الوعي لديه بأهمية النشاط الريادي ودوره في تحقيق التوظيف الذاتي، وهو ما يمكن إرجاعه إلى عامل ضعف الثقافة الريادية وعدم تعزيز دورها التوعوي في المحيط الاجتماعي والأسري والمؤسسات التعليمية، خاصة منها الجامعات، بالمجتمع المحلي العربي، وغياب بالتالي ما يسمى بالتربية الريادية والتنشئة الاجتماعية الأسرية القائمة على ترسيخ ثقافة ريادية وتنمية القدرات الريادية لدى أبنائها منذ الطفولة، ودفعهم إلى تبني سلوكيات ريادية وممارسة النشاط الريادي كمسار مهني مستقبلي. أضف إلى ذلك

قصور المجتمع المحلي بالمنطقة العربية في تحفيزه لأفراده على التوجه نحو النشاط الريادي وذلك نظرا لعدم تمتعه بقيم ثقافية ومعايير اجتماعية واتجاهات ايجابية تشجع وتقدر السلوكيات الريادية وتحفز الشباب البطال على خوض تجارب جديدة والإقدام على المبادرات الفردية وروح المخاطرة الشخصية التجارية والانجاز والإبداع، وتدعم النشاط الريادي وإقامة مشاريع جديدة.

هذا إلى جانب وجود قصور في التعليم الريادي بالجامعات القائم على الإبداع والابتكار والتفكير الخلاق والتركيز على نشر الثقافة الريادية بين أوساط الشباب العربي الجامعي. على أنه لا يقتصر الأمر فقط على المعوقات المادية والإدارية والقانونية التي تؤثر في عزوف الشباب العربي البطال عن التوجه نحو الانخراط في مسار ريادة الأعمال كخيار مهني للمستقبل، بل هناك المعوقات الثقافية التي تعد عاملا مؤثرا هاما لا يستهان به في التوجه الريادي للشباب العربي، والتي تتجسد في الثقافة التقليدية الموروثة التي ترتكز على سيطرة نمط التفكير التقليدي في بعض المجتمعات المحلية بالوطن العربي على الخطاب العام الشعبي الذي يحفز ويدفع بالشباب البطال إلى التوجه أكثر نحو الوظائف الحكومية، ويصورها له على أنها الأكثر استقرارا وأنها تمنح الأمان الوظيفي لشاغلها ومستقبلا مهنيا واعدا بعيدا عن المخاطرة والعمل الحر. هذا فضلا عن سيطرة تلك القيم الاجتماعية السلبية السائدة في ذلك الوسط الاجتماعي والأسري الذي ينتمي إليه الشباب العربي والتي تعد بمثابة الإطار المرجعي لسلوكياته الغير الريادية ونمط التفكير التقليدي، وهي قيم تشجع على الجمود والروتين والتواكل وعدم التجديد والابتكار ولا تعزز الروح الريادية.

وهو ما يقتضي وفقا لذلك على المجتمعات العربية العمل على تغيير الثقافة التقليدية السائدة التي لا تواكب التوجه العالمي الحديث نحو تدعيم الاقتصاد الريادي وتعزيز التوجه الريادي للشباب البطال، والقيام بتفعيل آليات ومقومات تنمية الثقافة الريادية المحفزة على التوجه للنشاط الريادي ونشرها على نطاق واسع بين أوساط الشباب البطال –المتعلم منه وغير المتعلم– للانخراط في المسار المهني الريادي، ودعمه للمبادرة بإنشاء المشاريع الاقتصادية والالتحاق بركب التنمية الشاملة والمشاركة في تقدم وتطور مجتمعه العربي، ومواكبة التغيرات الدولية والتوجه العالمي نحو تنمية قطاع الاقتصاد الريادي في زمن الأزمات الاقتصادية.

توصيات:

بناء على ما تقدم ننتهي إلى صياغة جملة من التوصيات المقترحة ذات الصبغة العملية وهي كالآتي:

-يجب أن تعمل الأسرة كمؤسسة تنشئة اجتماعية في المجتمع المحلي العربي على الاضطلاع بدورها المحوري في التربية الريادية لأبنائها الشباب وترسيخ لديهم قيم ثقافية محفزة على تمكين وتدعيم السلوك الريادي.

-تدعيم التعليم التطبيقي الريادي في المؤسسات التعليمية، على غرار التعليم الجامعي، أين يتم التركيز أكثر على الجانب التطبيقي في تصميم البرامج التعليمية والمقررات الدراسية والقائم أساسا على الإبداع والابتكار، والذي من شأنه تنمية القدرات الإبداعية الكامنة للطلبة الشباب وإكسابهم المهارات الريادية.

-تكثيف الحملات الإعلامية التحسيسية عبر مختلف الوسائل وتكنولوجيات الاتصال الحديثة لنشر على نطاق واسع الثقافة الريادية بين أوساط الشباب البطال وزيادة وعيه حول أهمية التوظيف الذاتي عن طريق الانخراط في النشاط الريادي والامتيازات التي يوفرها كبديل عن التوظيف الحكومي.

-تذليل المعوقات المادية والإدارية والقانونية التي تعيق إقدام الشباب البطال في المجتمعات العربية على إنشاء مشروعاته الريادية، مع ضرورة اعتماد الحكومة لسياسة محفزة تستقطب الشباب للتوجه الريادي.

-إشراك المجتمع المدني ليسهم في أداء دوره التوعوي القائم على ترسيخ الثقافة الريادية بين أوساط الشباب البطال في المجتمع المحلي العربي وتمكينه من إقامة مشروعات ريادية اقتصادية والإصغاء لانشغالاته.

-إعداد برامج تدريبية متخصصة في مجال ريادة الأعمال لفائدة الشباب الريادي من مختلف المستويات التعليمية وتأهيله للتحكم الجيد في أسس إعداد خطة الأعمال وكيفية بدء مشروع ريادي جديد وإدارته.

-من الأهمية بمكان التفكير في إعداد إستراتيجية وطنية لتنمية الثقافة الريادية في المجتمعات المحلية العربية وهذا بهدف اكتشاف المواهب الشابة والكفاءات المتميزة ذات الأفكار الريادية المبتكرة، وتقديم لها الدعم المالي والقانوني والمؤسسي لتحويل أفكارها المبتكرة إلى مشاريع ريادية، وتفعيل المبادرات الريادية في مجال التكنولوجيا، والتخفيض بذلك من هجرة الموارد البشرية الشابة ذات المواهب الابتكارية في الوطن العربي.

-مد جسور التعاون والشراكة والعمل المتكامل بين المجتمعات العربية لتبادل التجارب والخبرات في مجال تنمية الاقتصاد الريادي والبحث في سبل وآليات فاعلة لترسيخ الثقافة الريادية لدى الشباب العربي، والمبادرة بتنظيم منافسات ريادية عربية لتكريم وتثمين المشروعات الريادية المتميزة في المجال التكنولوجي.

قائمة المراجع:

1.أحمد بن عبد الرحمن الشميمري، نشأة وتاريخ ريادة الأعمال في العالم الغربي والعربي، كتاب الكتروني، الرابط: https://faculty.ksu.edu.sa، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/26، 21:35.

2.بدرية بنت حمود بن ناصر المحروقية وآخرون، (2021). واقع ثقافة ريادة الأعمال ومعوقاتها لدى طلبة الصفين العاشر والحادي عشر بسلطنة عمان، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الخامس-العدد (22)، مصر، الرابط: https://journals.ekb.eg/article، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/10، 20:00.

3.جمال مصطفى محمد مصطفى، (2021). ثقافة ريادة الأعمال لدى طلبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وسبل تعزيزها من وجهة نظرهم، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المؤسسة الدولية لآفاق المستقبل، استونيا، المجلد (4) العدد (1)، الرابط: https://search.shamaa.org، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/15، 12:10.

4.الجودي محمد علي، (2014-2015). نحو تطوير المقاولاتية من خلال التعليم المقاولاتي –دراسة على عينة من طلبة جامعة الجلفة-، أطروحة دكتوراه علوم في علوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر.

5.دادي حمو إبراهيم، (2020-2021). أثر العوامل الثقافية والاجتماعية على ثقافة المقاولة عند بني مزاب، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير، تخصص اقتصاد وتسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الجزائر3، الرابط: https://dspace.univ-alger3.dz، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/25، 14:25.

6.صفاء المطيري، (2019). التعلم الريادي، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، العدد المائة والتاسع والأربعون، الرابط: https://www.arab-api.org، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/30، 13:22.

7.عمرو علاء الدين زيدان، (2007). ريادة الأعمال القوة الدافعة للاقتصادات الوطنية، جامعة الدول العربية، مصر.

8.عبد السلام الدرشمي، مصطفى حدية، (1995). الشباب و مشكلات الاندماج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

9.عمور خيرة، (2022-2023). الثقافة المقاولاتية لدى الشباب في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة مستغانم، الجزائر، الرابط: https://e-biblio.univ-mosta.dz، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/02، 13:15.

10.عبد السلام بشير الدويبي، (2014). ثقافة المبادرة توجهات اجتماعية سلوكية في الريادة وتأسيس المشروعات الصغرى، كتاب أبحاث المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، أيام 09-09/11/ الرياض، الرابط: https://www.enas.org، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/10، 11:22.

11.قايدي أمينة، (2016-2017). تطور التوجه المقاولاتي للطلبة الجامعيين، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر، الجزائر، الرابط: http://dspace.univ-mascara.dz، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/30، 16:05.

12.ليلى بن عيسى، (2020-2021). محاضرات في مقياس المقاولاتية، قسم علوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر.

13.محمد عبد الرؤوف عطية السيد، (2021). متطلبات تنمية ريادة الأعمال بجامعة الملك خالد من وجهة نظر القيادات الأكاديمية، المجلة العلمية –كلية التربية- جامعة الوادي الجديد، الجزائر، العدد الثامن والثلاثون، الرابط: https://sjsw.journals.ekb.eg/article، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/25، 14:22.

14.مسيخ أيوب، (2016-2017). دور الروح المقاولاتية في ديمومة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، دراسة ميدانية على عينة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة (المقاولين) في ولاية سكيكدة، أطروحة دكتوراه، جامعة سكيكدة، الجزائر، الرابط: https://fsecg.univ-skikda.dz، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/30، 15:40.

15.مصطفى عبد القادر، (2004). الشباب بين الطموح الإنتاجي والسلوك الاستهلاكي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

16.منصور بن نايف العتيبي، محمد فتحي علي موسى، (2015). الوعي بثقافة ريادة الأعمال لدى طلاب جامعة نجران واتجاهاتهم نحوها –دراسة ميدانية–، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد162 الجزء الثاني، الرابط: https://journals.ekb.eg/article، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/26، 20:25.

17.ناصر بن سليم المزيدي، (2024). مستوى ثقافة ريادة الأعمال لدى معلمي الفيزياء في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عمان واتجاهاتهم نحوها، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، مجلد 32، العدد الثالث، الرابط: https://journals.iugaza.edu.ps، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/20، 14:30.

18.نجوى عبد القادر أحمد حافظ، (2024). محددات الثقافة الريادية للمشروعات الناشئة في مصر، المجلة العلمية للبحوث التجارية، جامعة المنوفية، العدد الثالث، الرابط: https://sjsc.journals.ekb.eg/article، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/26، 14:35.

19.هند سعيد إبراهيم بدوي، (2018). دور التدريب في رفع كفاءة الشباب الريادية، الأعمال الكاملة للمؤتمر العلمي الثاني بعنوان "التدريب من أجل التشغيل والتنمية"، أيام 9-10 ديسمبر، جامعة بني سويف، مصر، الرابط: https://www.bsu.edu.eg، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/10، 18:05.

20.وليد كامل محمدين كامل علام، (2022). نشر ثقافة ريادة الأعمال وأثره على تنمية الدوافع الريادية لدى الشباب، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، جامعة قناة السويس، مصر، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، الرابط: https://jces.journals.ekb.eg/article، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/05/15، 16:22.

21.وائل محمد ثابت وآخرون، (2023). واقع نشر ثقافة ريادة الأعمال ومقترحات تفعيلها (دراسة تطبيقية على جامعة الأزهر بغزة)، المجلة الدولية (IJAMSR)، العدد6، الجزء7، الرابط: https://philarchive.org/archive/، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/20، 17:22.

22.يحي السيد عمر، (2021). ريادة الأعمال بين الموهبة والممارسة، دار الأصالة للنشر، تركيا، الرابط: https://yahyaomar.com/ar/books، تاريخ وتوقيت الاطلاع: 2025/06/09، 11:25.

Legal Research in the Age of Artificial Intelligence: Realities, Prospects, and Challenges

MANAL LAKRAA
Abdelmalek Essaâdi University, Morocco
institut.manalinfo@gmail.com

Abstract:

Legal research has undergone a profound transformation with the integration of artificial intelligence technologies. Traditional methodologies based on individual effort and manual review of legal texts have shifted towards digital models founded on predictive analytics and natural language processing. This transition has enabled researchers to achieve faster and more accurate results, while enhancing the efficiency of document analysis and legal writing. However, the adoption of AI raises ethical and legal challenges, particularly in relation to transparency, privacy, and algorithmic bias. It also raises the complex issue of legal recognition of AI systems as "authors". These developments highlight the urgent need for clear legal and ethical frameworks to regulate the use of such technologies, alongside reinforcing the digital training of legal researchers. The study concludes that artificial intelligence constitutes an effective assistive tool

that can support responsible use within a transparent legal environment.

Keywords: Artificial Intelligence – Legal Research – Machine Learning – Legal Researcher – Intelligent Research Tools – Data Analysis – Digital Transformation – Legal Methodology.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

"البحث القانوني في عصر الذكاء الاصطناعي: الواقع، الآفاق، والتحديات"

منال القرع
جامعة عبد المالك السعدي، المغرب
institut.manalinfo@gmail.com

ملخص:

عرف البحث القانوني تحولا عميقا بفعل ادماج تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث انتقل من منهجيات تقليدية تعتمد على الاجتهاد الفردي والمراجعة اليدوية لنصوص الى نماذج رقمية قائمة على التحليل التنبؤي ومعالجة اللغة الطبيعية. هذا التحول أتاح للباحثين الوصول الى نتائج أكثر دقة وسرعة، مع تحسين فعالية تحليل الوثائق وصياغة البحوث القانونية. غير أن توظيف الذكاء الاصطناعي يثير تحديات أخلاقية وقانونية تتعلق بالشفافية، الخصوصية، والتحييز الخوارزمي، كما يطرح إشكالية الاعتراف القانوني بصفة " المؤلف" لهذه الأنظمة، وتبرز الحاجة الى تأطير قانوني وأخلاقي واضح لتنظيم استخدام هذه التكنولوجيا، مع تعزيز التكوين الرقمي للباحثين القانونين. كما يخلص البحث الى أن الذكاء الاصطناعي يشكل أداة مساعدة فعالة، تضمن الاستخدام المسؤول لهذه التقنية ضمن بيئة قانونية شفافة.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي – البحث القانوني- التعلم الالي – الباحث القانوني – أدوات البحث الذكية – تحليل البيانات، التحول الرقمي- المنهجية القانونية.

مقدمة:

شهد ميدان البحث القانوني في العقود الأخيرة تحولات جدرية لم تكن متوقعة من قبل، مع ظهور تقنيات الذكاء الاصطناعي كعنصر فاعل ومحوري في إعادة تشكيل اليات العمل المعرفي. فقد كان البحث القانوني في السابق يعتمد على الاجتهاد التقليدي المبني على مراجعة يدوية للنصوص والتشريعية، والمبادئ الفقهية، والأحكام القضائية، وهو ما كان يتسم بالبطء والتكلفة الزمنية، والاعتماد الكبير على الكفاءات الفردية للباحث. غير أن التطور المتسارع في تقنيات الحوسبة والذكاء الاصطناعي فتح افاقا جديدة في كيفية جمع وتحليل وتفسير البيانات القانونية، مما أتاح للباحث القانوني الوصول الى نتائج دقيقة وسريعة، وإعادة تشكيل منهجيات البحث عبر تبني أدوات رقمية متقدمة تعتمد على التحليل التنبؤي، والتعليم الالي ومعالجة اللغة الطبيعية.

ويعد الذكاء الاصطناعي فرعا متطورا من علوم الكمبيوتر، يهدف الى محاكاة القدرات الذهنية البشرية مثل التفكير، والتعليم والاستنتاج، باستخدام خوارزميات متقدمة وأنظمة حاسوبية ذكية. ومن ثم فان دمج هذه التكنولوجيا في مجال البحث القانوني يطرح مجموعة من الأسئلة الجوهرية المتعلقة بتأثيرها على مبادئ النزاهة، والشفافية، والمصداقية التي تعد من الركائز الأساسية للعمل القانوني والبحثي.

ان أهمية دراسة التحول الذي أحدثه الذكاء الاصطناعي في منهجيات البحث القانوني تنبع من التحديات والفرص التي تثيرها هذه التكنولوجيا على حد السواء حيث تتقاطع أبعاد تقنية وأخلاقية، وثقافية. فلا يقتصر الأمر على تحسين الكفاءة والإنتاجية، بل يمتد الى إعادة النظر في طبيعة دور الباحث القانوني، وكيفية التوفيق بين الدور البشري والإمكانات الرقمية، خصوصا في ظل ما يثار من مخاوف بشأن فقدان السيطرة على مصادر المعرفة، واحتمالات تحييز الخوارزميات، وانتهاك حقوق الملكية الفكرية.

وبالتالي، يصبح من الضروري تسليط الضوء على الأسس المفاهيمية لتقنيات الذكاء الاصطناعي، وكيفية تطبيقها في البحث القانوني، مع تحليل الإشكاليات التي قد تنشأ من ذلك، لتوفير إطار منهجي قانوني متكامل يمكن الباحثين من استثمار هذه التكنولوجيا بفعالية ومسؤولية.

ان هذا البحث يهدف الى دراسة طبيعة هذا التحول، واستكشاف التطبيقات العلمية للذكاء الاصطناعي في ميدان البحث القانوني، ومناقشة التحديات القانونية والأخلاقية المرتبطة بها، مع تقديم التوصيات لضمان الاستخدام الأمثل والمتوازن لهذه التقنيات، بما يحقق التكامل بين الابتكار والضوابط القانونية.

انطلاقا مما تقدم فان الموضوع يتجاوز الإطار التحليلي للبحث ليطرح إشكالية محورية إلى أي حد يمكن اعتبار تقنيات وأدوات الذكاء الاصطناعي أداة فعالة لتطوير منهجيات البحث القانوني، دون المساس بمبادئ الشفافية، والمصداقية، والنزاهة العلمية؟ ومن هذه الاشكال المحوري تتفرع الفرضيات الفرعية التالية :

- ما هو الإطار المفاهيمي والتقني للذكاء الاصطناعي في علاقته بالبحث القانوني؟
- كيف ساهم الذكاء الاصطناعي في الانتقال من المنهجية التقليدية إلى المنهجية الرقمية في البحث القانوني؟
- ما هي أبرز التطبيقات التي يقدمها الذكاء الاصطناعي في مجالات تحليل الوثائق، التخطيط البحثي، والتحرير العلمي القانوني؟
- ما هي التحديات الأخلاقية والقانونية التي يطرحها استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث القانوني؟
- هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُعترف به كطرف مؤلف في الإنتاجات القانونية؟.

أولا: الإطار المفاهيمي لتقنيات الذكاء الاصطناعي.

1- تعريف الذكاء الاصطناعي .

لمعالجة مفهوم الذكاء الاصطناعي، يقتضي الأمر ابتداءً تحديد مدلول الذكاء الإنساني، إذ يُقصد بهذا الأخير مجموع القدرات العقلية التي تمكّن الفرد من التكيف مع متغيرات الحياة، والاستفادة من التجارب والخبرات السابقة، وممارسة التفكير والتحليل والتخطيط لحل الإشكالات المختلفة، وصولًا إلى الاستنتاج السليم، فضلًا عن القدرة على الإحساس بالآخرين، وتعلّم المهارات المتنوعة، وتوظيف المعارف المكتسبة في كل ما هو صائب ونافع. أما الذكاء الاصطناعي، فيُعرَّف بأنه محاولة لمحاكاة هذا الذكاء البشري وفهم طبيعته، من خلال تطوير برمجيات حاسوبية قادرة على تقليد السلوك الإنساني المتسم بالذكاء (أحمد ماجد، 2018، ص 4).

وظهر مفهوم الذكاء الاصطناعي*Artificial Intelligence*))، أو ما يُعرف اختصارًا بـ *(AI)*، وتطوّر على مرّ السنين ليُصبح أحد أبرز الابتكارات التقنية في القرن الحادي والعشرين. ويتمثّل الهدف الأساسي منه في محاكاة القدرات الذهنية البشرية، كالتفكير، والتحليل، والتعلّم، من خلال أنظمة معلوماتية متقدمة.

وقد تنوّعت تعريفات الباحثين والمتخصصين لمفهوم الذكاء الاصطناعي، إلا أنّها اتفقت في مجملها على كونه محاولة لمحاكاة الذكاء البشري وعملياته الذهنية، مثل التفكير، والإبداع، والتحليل، والتعلّم الذاتي. كما يُمكّن من اكتساب بعض المهارات التفاعلية، كالمحادثة، والترجمة الفورية، وتحويل النصوص المسموعة إلى مكتوبة (محمد نور، 2021، ص. 7).

ورغم حداثة المفهوم، فقد اجتهد فقهاء القانون في تقديم تعريفات متعدّدة للذكاء الاصطناعي. ومن أبرز تلك التعريفات، أنّه من الناحية التقنية: "برنامج حاسوبي يستخدم خوارزميات وإجراءات محدّدة لتنفيذ مهمة أو عمل معيّن، بحيث يستقبل الجهاز المبرمج مدخلات تلقائية ويطبّقها وفقًا لما هو منصوص عليه في البرنامج".

ويُفهم من هذا التعريف أنّ الأنظمة الذكية تُدار عبر الحواسيب، وتُعالِج مداخلاتٍ تُعبّر عن رموز وقواعد باستخدام خوارزميات برمجية دقيقة. وتبرز إحدى تطبيقاته الملموسة في الروبوتات الذكية.

كما يُعرَّف الذكاء الاصطناعي بأنه فرع من علوم الحاسوب يهدف إلى إنجاز المهام التي تتطلّب قدرات التفكير، والإدراك السمعي والبصري، والتفاعل الصوتي، والسلوك المنطقي، بما يُحاكي أداء الإنسان. ويُعرّفه رأفت عاصم (2015، ص. 44) على أنه "مجال يسعى إلى فهم طبيعة الذكاء البشري من خلال تطوير برامج حاسوبية تُقلّد التصرفات الذكية". كما يذهب بلهاريت وآخرون (Belharet et al., 2020) إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يُعدّ من الركائز الأساسية التي ترتكز عليها التكنولوجيا الحديثة، إذ تتميز الأجهزة الذكية بقدرتها على أداء العديد من المهام التي كانت حكرًا على الموارد البشرية. أما كابلان وهاينلاين (Kaplan & Haenlein, 2019)، فقد عرّفا الذكاء الاصطناعي بأنه "قدرة النظام على تفسير البيانات بدقّة، والتعلّم منها، واستخدامها في تحقيق أهداف محددة من خلال التكيّف المرن".

غير أنّ مفهوم الذكاء الاصطناعي لدى الفلاسفة يختلف عن نظرائه من علماء الرياضيات أو علوم الحاسوب، إذ لا يُختزل الذكاء، من وجهة نظر فلسفية، في الدماغ البشري فقط؛ فهناك مخلوقات بدائية تستطيع أداء مهام بالغة التعقيد رغم افتقارها لأدمغة بيولوجية (Mulgan, 2018).وبناءً على ما سبق، يمكن القول إنّ جميع التعريفات قد أجمعت على أنّ الذكاء الاصطناعي يُمثّل مجموعة من التطبيقات الذكية والتقنيات الرقمية التي يستخدمها الإنسان لإنجاز مهامه بكفاءة عالية ودقة متناهية، بهدف تسهيل الأداء والرفع من جودة العمل وتحقيق أعلى درجات الفعالية

2- خصائص الذكاء الاصطناعي.

يُعدّ الذكاء الاصطناعي منظومة تقنية متقدمة تتسم بعدد من الخصائص المتميزة التي تُضفي عليه طابعاً وظيفياً فائقاً، ويمكن إجمال هذه الخصائص كما يلي: (فايزة جمعة،2010،ص169)

- الدقة والقدرة على التكيف: تمتاز أنظمة الذكاء الاصطناعي بقدرتها العالية على التعلم والتكيّف مع السياقات المتغيرة والمواقف المستجدة، الأمر الذي يُمكّنها من أداء مهامٍ كانت، إلى وقت قريب، حكرًا على التدخل البشري.

- التعلم الذاتي: تعتمد هذه الأنظمة على آليات تعلم متقدمة تُمكّنها من تحسين أدائها بشكل تلقائي مع مرور الزمن، دون الحاجة إلى تدخل مباشر من العنصر البشري، وهو ما يمنحها استقلالية تشغيلية متنامية.

- معالجة اللغة الطبيعية: تتوفر لدى أنظمة الذكاء الاصطناعي إمكانيات لفهم اللغة البشرية وتفسيرها وتوليدها، بما يتيح لها التفاعل اللفظي المباشر مع المستخدمين، من خلال آليات الحوار والاستجواب الرقمي.

- الإدراك البيئي: تستند هذه الأنظمة إلى استخدام أجهزة استشعار ذكية تتيح لها استشعار بيئتها المحيطة وتحليلها، مما يسمح باتخاذ قرارات مستندة إلى معطيات آنية وواقعية.

- المعالجة المتوازية للبيانات: تمتلك أنظمة الذكاء الاصطناعي القدرة على معالجة كميات ضخمة من البيانات في آنٍ واحد، وهو ما يُمكّنها من تنفيذ عمليات حسابية معقدة بسرعة تفوق قدرات الإنسان، وبكفاءة تشغيلية عالية.

وعليه، يتضح أن الذكاء الاصطناعي يتميز بجملة من الخصائص التقنية والوظيفية التي تُمكّنه من أداء مهام متعددة ودقيقة في فترات زمنية وجيزة، ما يجعله أداة محورية في التحول الرقمي وفي إعادة تشكيل عدد من الأنشطة القانونية والإدارية والتقنية (عبد الستار العلي،2009،ص198)

3- أنواع الذكاء الاصطناعي:

تصنف أنماط الذكاء الاصطناعي، من حيث مستوى تطورها وقدراتها الوظيفية، الى أربع أنواع رئيسية تطويريها تدريجيا عبر الزمن، كما يلي:

3-1 الذكاء الاصطناعي ذو الذاكرة المحدودة:

يُمثل هذا النوع تطورًا مقارنة بالنموذج التفاعلي، حيث يتميز بقدرته على تخزين بيانات وتجارب سابقة في ذاكرة مؤقتة، تسمح له بالتفاعل مع الأحداث والمعطيات بناءً على السياق القريب والمعلومات الحديثة. ورغم أن هذه الذاكرة قصيرة الأمد ولا تتيح تكوين فهم طويل المدى، إلا أنها تمكّن النظام من تحسين أدائه واتخاذ قرارات أكثر ملاءمة للواقع الآني.

وتبرز أهمية هذا النوع في تطبيقات معقدة تتطلب استجابة ديناميكية وسريعة، مثل: السيارات ذاتية القيادة التي تعتمد على تحليل البيانات المرورية اللحظية، وروبوتات الدردشةChatbots)) التي تبني ردودها على تفاعل المستخدم في الزمن الحقيقي، إضافة إلى أنظمة إشارات المرور الذكية التي تتكيف مع تدفق حركة السير(خلود محمد،2025).

3-2 الذكاء الاصطناعي التفاعلي:

يمثل هذا النوع أبسط أشكال الذكاء الاصطناعي، إذ يقتصر عمله على التفاعل مع البيانات والمعطيات المتاحة في اللحظة الراهنة دون القدرة على تخزين أو استرجاع الخبرات السابقة. وتقتصر وظيفته على تنفيذ إجراءات محددة استجابةً للوضع القائم دون إدراك زمني أو سياقي. ويُعدّ هذا النوع ملائمًا لتطبيقات الألعاب الاستراتيجية، مثل: آلة الشطرنج **Deep Blue**، وآلة لعبة **Go** المعروفة باسم .**AlphaGo**

3-3 الذكاء الاصطناعي القائم على نظرية العقل:

يمثل هذا النوع مرحلة متقدمة من الذكاء الاصطناعي، إذ يتميز بقدرته على التفاعل مع الأفراد من خلال إدراكه لأفكارهم ومشاعرهم ونواياهم. وتقوم هذه الأنظمة بمحاكاة السلوك البشري بناءً على تحليل التفاعلات الاجتماعية، والتنبؤ بطريقة المعاملة التي يتوقعها الأشخاص في سياقات معينة، مما يسمح لها بضبط استجابتها بما يتلاءم مع تلك التوقعات. وتُعد هذه القدرة خطوة أساسية نحو إقامة تواصل فعال بين الإنسان والآلة، قائم على الفهم والسياق الاجتماعي.

3-4 الذكاء الاصطناعي الذاتي الإدراك:

يُعد هذا النمط الامتداد الأكثر تطورًا للذكاء الاصطناعي القائم على "نظرية العقل"، ويتميز بامتلاكه لما يُشبه "الوعي الذاتي". ففي هذا السياق، يُقصد بالإدراك الذاتي قدرة النظام الآلي على فهم حالته الداخلية، واحتياجاته الذاتية، والتصرف بناءً على هذا الفهم، بما يشبه إلى حد ما وعي الإنسان بذاته. ويمثل هذا

النوع المستوى الأعلى ضمن تصنيف الذكاء الاصطناعي، إلا أنّه لا يزال في طور البحث والتجريب، ولم يُحقق بعد تطبيقات عملية متقدمة على النحو المتاح في الأنواع الأخرى(خلود محمد،2025).

4- تعريف البحث.

لم يتفق الباحثون على تعريف موحّد لمصطلح "البحث" ،وذلك لاختلاف الزوايا التي يُنظر إليه منها، وتعدّد التخصصات العلمية التي تتعامل معه. من الناحية اللغوية، يورد ابن منظور في معجمه أن "البحث" يعني التفتيش والتحقيق. أما في معناه العام، فيُشير مصطلح "البحث" إلى السؤال، والكشف، والتحقيق، واكتساب المعرفة.

يُعرّف البحث العلمي في بعض الأدبيات بأنه نشاط استكشافي موجّه نحو تحقيق غاية معرفية. وتُوصَف عملية البحث العلمي بأنها مسار منهجي يتم فيه طرح الإشكاليات ومعالجتها باستمرار من أجل توليد المعرفة. ومن هذا المنطلق، فإن صياغة الأسئلة البحثية واختيارها تُعدّ الخطوة الأولى والرئيسة في مسار البحث العلمي، وهي في الوقت ذاته تمثّل الدافع الجوهري للتقدم المعرفي (Wen, L. 2003).

1- ثانيا: تحوّل منهجيات البحث القانوني: من الاجتهاد التقليدي إلى الرقمنة والتحليل الذكي.

شهدت منهجيات البحث القانوني تحولا جوهريا في العقود الأخيرة، البحث القانوني تحولا جوهريا في العقود الأخيرة، حيث انتقلت من النماذج التقليدية القائمة على الاجتهاد اليدوي والتفسير القضائي، الى نماذج رقمية تعتمد على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتحيل التنبؤي. هذا التحول يعكس تطورا في بنية التفكير القانوني وأساليبه، مما يفرض إعادة النظر في المهارات المعرفية اللازمة للباحثين في المجال القانوني. وتكمن أهمية هذا التحول في قدرته على تعزيز الكفاءة، و تريع الوصول الى النتائج القانونية بدقة أعلى.

1- الذكاء الاصطناعي وتحوّل منهجيات البحث القانوني.

في العقود الماضية، كان البحث القانوني يتم عبر وسائل تقليدية تفتقر إلى السرعة والدقة، حيث كان المشتغلون بالقانون يعتمدون على مراجعة يدوية للمجلدات القانونية والسوابق القضائية، مما استغرق وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا، وغالبًا ما أسفر عن نتائج غير مكتملة أو غير دقيقة. وقد شكّلت هذه المنهجية عائقًا أمام فعالية الوصول إلى المعلومة القانونية، لاسيما في ظل تشعب النصوص وتعدد مصادرها. ومع تطور التكنولوجيا، ظهرت أدوات إلكترونية تشبه قواعد البيانات ومحركات البحث القانونية، أسهمت في تحسين الوصول إلى المعلومات، دون أن تُحدث في البداية تحوّلًا جوهريًا في طرق التحليل القانوني. فقد ظلّ الفقهاء

والقانونيون يمارسون القراءة والتفسير بنفس الأدوات المعرفية التقليدية، وإن كانت بوتيرة أسرع وأكثر تنوعًا. ومع ذلك، مهدت هذه التحولات الطريق نحو نقلة نوعية أعمق لاحقًا، تمثلت في إدماج الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات ضمن منهجيات البحث القانوني، ما فتح آفاقًا جديدة لتطوير هذا الحقل المعرفي وتعزيز دقته وفعاليته (Baker & Smith, 2023).

1- دور الذكاء الاصطناعي في تحليل الوثائق والتحليلات التنبؤية بالبحث القانوني.

يعتبر تحليل الوثائق منالركائز الأساسية في المنهجية القانونية، حيث يتيح استقراء النصوص القانونية والسوابق القضائية، والمستندات ذات الصلة لفهم قواعد القانون و تطبيقها. مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، برزت التحليلات التنبؤية كأداة متقدمة تدعم البحث القانوني من خلال استغلال خوارزميات التعلم الالي لتحليل كميات ضخمة من البيانات القانونية .

واستخلاص الاتجاهات والنتائج المحتملة. هذه التقنيات لا تقتصر على تبسط عمليات البحث، بل تسهم في التنبؤ بقرارات المحاكم وتقييم المخاطر القانونية بشكل أكثر دقة وسرعة. غير أن الاعتماد على التحليلات التنبؤية يستدعي توخي الحذر إزاء المسائل الأخلاقية والشفافية، اذ يجب ضمان تفسيرية النتائج واحترام خصوصية البيانات. بالتالي، يعد التوازن بين الأساليب التقليدية والحديثة في تحليل الوثائق وتوظيف التحليلات التنبؤية عاملا حاسما لتعزيز جودة البحث القانوني وموثوقية (Davis, 2022)

ثالثا: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في البحث القانوني.

يساعد الذكاء الاصطناعي في خدمة الحركة العلمية وتسارع تقدمها، فتستخدم الأنظمة الذكية لتحليل البيانات الكبيرة وإجراء التجارب العلمية، مما يسرع من وتيرة الاكتشافات Fitzpatrick KK), 2017). ويساعد الباحثين على استخراج المعلومات القيمة والمتعلقة بالبحث. وكذلك في مجال مراجعة البحوث السابقة والأدبيات تتيح أنظمة التوصية توجيه الباحثين نحو المقالات والأعمال البحثية ذات الصلة، مما يوفر وقتا وجهدا في مراجعة الحوث العلمية السابقة ومن فوائده في (2013Beel J).. ومن فوائده في مجال البحث العلمي تحسين التجارب والمحاكاة، مما يسهل على الباحثين تنفيذ تجاربهم وتحقيق نتائج أكثر دقة(2017 Silver D).. ويساعد الذكاء الاصطناعي في الكشف عن التضليل والاحتيال البحثي، فأصبح من الممكن التعرف على الأبحاث المشبوهة أو المكررة، مما

يحافظ على نزاهة العمل البحث العلمي القيام بالتحليل الاحصائي المبنية على الذكاء الاصطناعي الباحثين في تحليل نتائجهم بطرق متقدمة وفعالة (2014Markowitz DM)..

1- تطبيقات تحرير البحوث القانونية:

يمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحرير الأبحاث القانونية وتشمل هذه التقنيات مجموعة من الأدوات والتطبيقات تعلم الالة وتحليل البيانات لتحديد الأبحاث ذات الجودة العالية وفحصها الاكتشاف الأخطاء والتلاعب في البيانات بالإضافة الى ذلك، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي في انشاء أدوات تحرير تساعد المحررين في تنظيم وصياغة الأبحاث بشكل منهجي وفعال. وتساعد هذه الأدوات في تحسين الترتيب والتنظيم العام للأبحاث وضمان توافقها مع المعايير العلمية المعترف بها. ونظرا لتقدم تقنيات الذكاء الاصطناعي، أًصبح لها دور أكبر في تحرير وتحكيم الأبحاث العلمية المعترف بها. ونظرا لتقديم تقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبح لها دور أكبر في تحرير الأبحاث القانونية العلمية. فقد يتم استخدام الذكاء الاصطناعي لتوليد توصيات للمحريين بناء على المعايير العلمية والأبحاث السابقة، مما يساعد على تسريع وتحسين عملية التحرير والكتابة ، وهناك عدة تقنيات للذكاء الاصطناعي التي تستخدم في تحرير وتحكيم الأبحاث العلمية. لعلى أهمها:

1-2 استثمار البيانات الضخمة في البحث العلمي من خلال الذكاء الاصطناعي

أضحى الذكاء الاصطناعي أداة محورية في دعم البحث العلمي المعاصر، بفضل قدرته الفائقة على تحليل الكميات الهائلة من البيانات الضخمة المتاحة عبر مختلف التخصصات العلمية. إذ يتيح هذا التوظيف التكنولوجي المتقدم إمكانية اكتشاف الأنماط والعلاقات الخفية بين المتغيرات، بما يسهم في توجيه مسارات البحث نحو اكتشافات معرفية جديدة.

وفي هذا السياق، نُشير إلى تجربة بحثية رائدة أجريت بجامعة غوتنبرغ في السويد، حيث استعان فريق من الباحثين بمنصة مدعومة بالذكاء الاصطناعي تُدعى Iris.ai، لتحليل أكثر من عشرة آلاف ورقة علمية ضمن مراجعة منهجية موسعة للأدبيات. ووفقًا لما أورده بيرغر، فإن معالجة هذا الكم من الوثائق بطريقة تقليدية كان سيتطلب أكثر من عام كامل من العمل المتواصل، غير أن استخدام هذه الأداة – التي تعتمد على وصف نصي لموضوع البحث يتراوح بين 300 و500 كلمة، أو عبر إدخال رابط ورقة علمية – قد مكن الفريق من الحصول على خريطة بصرية منظمة لأهم الوثائق ذات الصلة بالسؤال البحثي. وتُعد

Iris.ai واحدة من بين عدة أدوات بحثية مدعومة بالذكاء الاصطناعي ،إلى جانب منصات متقدمة أخرى مثل ،Semantic Scholarالذي طوّره معهد ألين للذكاء الاصطناعي في سياتل، و Microsoft Academic وWissenschaftsforschung. ورغم تنوّع الوظائف التي تقدمها هذه الأدوات، فإن ما يوحدها هو قدرتها على توفير رؤى تحليلية معمقة تفوق ما تُتيحه المنصات التقليدية كـ PubMed و،Google Scholar لاسيما من حيث دعم الباحثين في اختبار الفرضيات المطروحة، بل واقتراح فرضيات جديدة بناءً على الكشف عن الروابط غير المباشرة بين المعطيات والنتائج (Extance, A., 2018)

2-2 معالجة اللغة الطبيعية في البحوث القانونية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.

تعتمد تقنيات معالجة اللغة الطبيعية على تحليل و فهم المحتوى اللغوي للنصوص القانونية والعلمية، بما يسمح باستخلاص المعلومات و المفاهيم الجوهيرية بدقة عالية. وتسهم هذه التقنيات في تصنيف المضامين وتوصيفها بشكل منظم مما يعزز من جودة البحث العلمي ويسهل علمية تنظيمه واستثماره في السياقات القانونية المختلفة.

وتعتمد معالجة اللغة الطبيعية و ترتكز على الجمع بين اللغويات الحاسوبية وتعلم الآلة ونماذج التعلم العميق. فاللغويات أو الألسنيات الحاسوبية هي علم يهتم بالنمذجة الحوسبية Modelization للغة الطبيعية وذلك من خلال التحليل النحوي والدلالي وتطوير خوارزميات التي تشغل هذه الأدوات على استخراج المحتوى العلمي من الأوراق البحثية الماحة. ثم توفر خدمات متقدمة مثل تصفية وترتيب نتائج البحث وتجميعيها. تستفيد الخوارزميات من تقنيات معالجة اللغة الطبيعية NPL التي تسمح بفهم كما يستخدمها. أما التعلم الآلي Machine learning يتمثل بقدرة الآلة على تقليد – (الدكتور بلال محمود،2023، ص85) السلوك البشري الذكي. كما يعد الأسلوب البشري الذكي نموذجا مرجعيا في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث تدرب النماذج لتستنتج نتائج محددة وفقا لما يراد التوصل اليه. وعلى خلاف ذلك. يحاكي التعليم العميق Deep Learning الية عمل الدماغ البشري، من خلال تشغيل خوارزميات الشبكات العصبية الاصطناعية Neural Networks التي تعتمد على وحدات معالجة قادرة بعد انتهاء مرحلة التدريب. ويتطلب تحقيق ذلك استخدام برامج مقدمة لمعالجة كم هائل من البيانات بهدف

تحسين دقة النموذج وعقب اكتمال التدريب، يتم دمج النموذج ضمن بيئة مناسبة لتوظيفه بشكل فعال في مهام استنتاجية جديدة. (الدكتور بلال محمود،2023، ص86).

وفي سياق توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال القانوني. شهدت قواعد البيانات القانونية تطورا ملحوظا، حيث باتت مزودة بمحركات بحث ذكية تتيح للباحثين القانونين طرح استفساراتهم بلغة طبيعية، شبيهة بتوجيه سؤال الى زميل مختص. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، منصة Ross Intelligence التي طورتها جامعة تورونتو سنة 2014، والتي اعتمدت تقنيات الذكاء الاصطناعي لتوفير إجابات دقيقة وفورية عن الأسئلة القانونية المطروحة بصيغة مبسطة باللغة الإنجليزية، مع ارفاق الإجابة بالمصادر التشريعية والاجتهادات القضائية ذات الصلة. كما كانت المنصة قادرة على تعقب أحدث الأحكام القضائية المرتبطة بالسؤال وتنبيه المستخدمين بها. غير أن المنصة توقفت عن العمل لاحقا. إثر دعوى قضائية رفعتها ضدها شركة Thomson Reuters، تتهمها فيها بانتهاك حقوق المؤلف من خلال استخداماتها غير المشروع لمحتوي قانوني مملوك لها . (Aurélie BARBAUX)

2-3 أدوات توليد الخطط البحث القانوني:

تستخدم هذه الأدوات الذكاء الاصطناعي لمساعدة الباحثين في وضع وتصميم خطط بحثية فعالة. تقوم الأدوات بتحليل المعلومات المتاحة حول موضوع المطروح للبحث، و توفير توجيهات حول الخطوات المناسبة و التصميم العلمي للبحث و من بين أبرز هذه الأدوات MindMeister، التي تُستخدم لإنشاء خرائط ذهنية وتنظيم المفاهيم والفروع المختلفة للبحث بصورة منظمة، وWorkflowy، التي توفر طريقة تسلسلية فعالة لتنظيم المهام والنقاط الرئيسية ضمن هيكل البحث. تتيح هذه الأدوات للباحث تخطيطًا واضحًا ومرنًا، وتساعد في ترتيب أفكاره وخطواته البحثية بشكل متكامل، مع إمكانية التخصيص حسب الحاجة(د هالة محمد، 2024،ص12).

2-4 التحليل الاحصائي:

يكتسي التحليل الاحصائي أهمية متزايدة في مجال البحث القانوني، لما يوفره من أدوات تمكن الباحث من استكشاف الواقع القانوني والاجتماعي بدقة وموضوعية. فهو لا يقتصر على معالجة الأرقام. بل يسهم في استخلاص مؤشرات دلالة قانونية يمكن الاستناد اليها في فهم وتحليل الظواهر القضائية (بلال محمود عبد الله،2015ص8).

عن طريق دراسة المعطيات الإحصائية المستخرجة من الأحكام القضائية، يمكن الوقوف على وضعية محاكم معينة، ككشف حجج القضايا المعروضة أمام محاكم الشغل، أو تتبع نسبة الطلاق، أو تحليل معدلات الجريمة في فترات زمنية محددة .....الخ .

كما يتيح هذا النوع من التحليل تحديد اتجاهات الاجتهاد القضائي في موضوع معين، ورصد مدى تأثير بالمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية. فهو يساعد في فهم ميولات المحاكم، واستشراف مسارات التطور القانوني، مما يمنح البحث بعدا علميا يتجاوز الطرح الوصفي التقليدي نحو مقاربة تحليلية معمقة تستند الى معطيات واقعية قابلة للقياس والمقارنة (بلال محمود عبد الله،2015ص8)..

5-2التعرف على الأنماط وتحليل الاتجاهات:

بالاعتماد على تقنيات التعلم الالي، أصبح من الممكن تحليل الكم الهائل من البيانات القانونية بهدف استخلاص أنماط واستنتاجات دقيقة حول تطور القواعد القانونية. تستخدم هذه التقنيات في تتبع التحولات التي تطرأ على المبادئ القانونية عبر الزمن، والكشف عن الأنماط المتكررة في الأحكام القضائية، مما يسمح بفهم أعمق لمنطق القضاة في اصدار قراراتهم.

كما تساعد في ربط السوابق القضائية ببعضها البعض من خلال تحليل العلاقات الكامنة بينهما. وتتيح هذه القدرات للباحثين القانونين تطوير قراءاتهم للتطورات التشريعية والقضائية. يسهم الذكاء الاصطناعي في بلورة تصور ديناميكي للمشهد القانوني المتغير، ويعزز من فعالية الممارسة القانونية المستندة الى البيانات .(115-110h arie, B., Niblett, A., Yoon, A. 2018,p)

رابعا: تحديات ورهانات استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث القانوني.

رغم المزايا المتعددة التي توفرها الأنظمة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي للبحث العلمي وخصوصا القانوني، الا أن هناك العديد من التحديات والرهانات وتبرز جملة من المخاوف التي يتعين على الباحثين أخذها بعين الاعتبار،و تؤثر بشكل مباشر على موثوقية البحث العلمي ومصداقيته ومن أبرز هذه التحديات.

1- تحديات أخلاقية و القانونية:

تثير أنظمة الذكاء الاصطناعي تقنية ثورية اعادة تشكيل العديد من المجالات بما في ذلك البحث القانوني الأكاديمي. غير أنه طرح عدة إشكاليات تتعلق بنزاهة البحث العلمي، وهي ركيزة أساسية في مجال البحث القانوني. ففي حال توثق المعلومات التي تنتجها هذه الأنظمة بشكل دقيق، فقد يؤدي ذلك حالات من

الانتحال أو السرقة العلمية. وقد ساهمت مثل Copilot و Bard ChatGPT و غيرها من الأدوات التي تنتج محتوى نصيا مترابطا بدرجة عالية، أو أدوات البحث السريع أو حتى أدوات الكتابة الالية. في بروز انتهاكات أخلاقية، لاسيما في ما يتعلق بالسرقات الأدبية. ففي بعض الحالات، قام باحثون بإعداد مقالات علمية وأوراق بحثية وأطروحات كاملة باستخدام Chat GP مما يجعل من المعتذر التمييز بين ما أنتج بواسطة الذكاء البشري وما تولده الأنظمة الكية، الأمر الذي ينعكس سلبا على موثوقية و جودة النتائج العلمية (MEKKAOUI NAIMA,2024,P 2039).

2- مخاوف الخصوصية.

في ظل التقدم المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبح استخدام البيانات ذات الطابع الشخصي يشكل حجر الزاوية في عدد من التطبيقات الحديثة، لا سيما تلك المرتبطة بالتعلم الآلي، وأتمتة المهام، وإدارة قواعد البيانات على نطاق واسع. ورغم ما تتيحه هذه التطبيقات من إمكانات تقنية هائلة، فإنها في المقابل تثير تساؤلات قانونية جوهرية بشأن مدى احترام الحق في الخصوصية وحماية المعطيات الشخصية، بوصفها من الحقوق الأساسية المقررة بموجب التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية ذات الصلة. ومع الانتشار الواسع لاستخدام الذكاء الاصطناعي في شتى المجالات، تتزايد الحاجة إلى معالجة وتبادل كميات ضخمة من المعطيات الشخصية، مما يفرز تحديات حقيقية تمس بمبادئ السرية وسلامة البيانات وأمنها السيبراني. كما أن التطور التكنولوجي المتسارع غالبًا ما يتجاوز قدرة الفاعلين القانونيين والمؤسسات على صياغة آليات تنظيمية فعالة تواكب هذا التحول، خاصة فيما يتصل بضمان الحماية القانونية أثناء عمليات جمع البيانات ومعالجتها وتخزينها.

وتفرض بيئة الذكاء الاصطناعي مجموعة من المخاطر القانونية المرتبطة بحماية المعطيات الشخصية، من أبرزها: احتمال التعرض لسرقة الهوية، وتزوير البيانات، وتوظيف الخوارزميات على نحو قد يؤدي إلى التمييز أو التلاعب المقصود، إلى جانب الإشكاليات الناجمة عن التحيز الخوارزمي الكامن في بعض البرمجيات، وصعوبة تحقيق إخفاء الهوية بفعالية تامة (Bielova, M., & Byelov, D, 2023).، كما تجدر الإشارة إلى أن الأطر القانونية المعنية بحماية البيانات الشخصية تختلف باختلاف النظم القانونية المقارنة، مما يُلزم الفاعلين الاقتصاديين والمؤسسات العمومية والخاصة بالامتثال لجملة من الالتزامات القانونية، أبرزها:

ضرورة الحصول على موافقة صريحة ومسبقة من أصحاب المعطيات، ومنع أي ولوج غير مشروع إليها، وحظر معالجتها بطرق غير قانونية أو غير مصرّح بها، بالإضافة إلى اعتماد تدابير تقنية وتنظيمية كفيلة بضمان أمن البيانات وحمايتها من أي خرق أو استغلال غير مشروع.

3- غياب الشفافية و قابلية التفسير في البحث القانوني المعتمد على الذكاء الاصطناعي.

يشكل مبدأ الشفافية و قابلية التفسير ركيزتين أساسيتين لضمان نزاهة ومشروعية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث القانوني، فغالبا ما تنتج خورزميات الذكاء الاصطناع، ولاسيما تلك القائمة على تقنيات التعلم الالي، مخرجات يصعب تتبع أسسها المنطقية أو المنهجية، نتجية لتعقيد تركيبها التقنية وما تنطوي عليه من طابع " غامض" أو غير قابل للتفسير" في بعض الأحيان.

ويثير هذا الغموض مخاوف جدية بشأن موثوقية نتائج البحث القانوني المعتمد على هذه الأدوات، لا سيما عندما تستخدم لا استخلاص الأحكام، أو بناء الاستدلالات القانونية، أو تحليل السوابق القضائية والتشريعات. كما قد يؤدي غياب الوضوح في منطق عمل هذه الأنظمة الى المساس بواجب الباحث القانوني في تبرير مخرجاته على نحو يمكن التحقق منه علميا ومهنيا.

وعليه فان مراعاة الشفافية وتوفير اليات لتفسير النتائج تعد من الالتزامات الأخلاقية والمنهجية الجوهرية في إطار توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث القانوني، بما يضمن احترام معايير الجودة العلمية، وحقوق الملكية، والمصداقية الأكاديمية (Khan et al.; X 2021,P.
496-505)

4- الذكاء الاصطناعي وإشكالية التوازن بين الكفاءة البشرية والاعتماد التكنولوجي.

يعزز الذكاء الاصطناعي الإنتاج ودعم مراجعات الادبيات والمساعدة في اعداد المسودات الأولية لمقالات العلمية (Lee, 2023 P 18-58) ونتيجة لذلك، يمكن الذكاء الاصطناعي الباحثين والكتاب من التركيز بدرجة أكبر على التحليل والتفسير وتوليد الأفكار الأصلية (Dergaa, 2023P 615-622) وفي الوقت الراهن بات الإمكان تصحيح المسودات بشكل شبه خال من الأخطاء بفضل أدوات الذكاء الاصطناعي مثل Grammarly.

ومع ذلك، فان التطورات ذاتها قد تؤدي الى اضعاف مهارات بشرية أساسية. اذ يفقد الأفراد مهارات التفكير النقدي، وحل المشكلات، والابداع نتيجة الاعتماد المفرط على المعلومات المنتجة بواسطة الذكاء الاصطناعي علاوة على ذلك، فان أتمتة المهن تميل الى التقليل من قيمة الأعمال ذات الطابع المعنوي والإنساني التي كان يقوم بها البشر سابقا، مما يفضي الى فقدان المعرفة و انخفاض مستويات الرضا ضمن مجلات البحث القانوني (Bankins ,2023P725-740).

5- إشكالية اعتراف بالذكاء الاصطناعي كمؤلف البحث القانوني.

مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي، أصبح من الممكن إنتاج بحوث قانونية كاملة عبر أدوات ذكية قادرة على التحليل والصياغة القانونية بدقة وسرعة تفوق القدرات البشرية في بعض الجوانب. هذا التحول التكنولوجي يطرح إشكالية غير مسبوقة: هل يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي "مؤلفًا" بالمعنى القانوني. انقسم الفقه حول منح الذكاء الاصطناعي صفة المؤلف إلى اتجاهين رئيسيين. يرى الاتجاه المؤيد أن الذكاء الاصطناعي يمتلك قدرة ذاتية على التعلم ومعالجة البيانات وإنتاج محتوى أصلي، متجاوزًا حدود البرمجة الأولية، مما يبرر منحه صفة التأليف، على أن تُمارس حقوقه عبر كيان تمثيلي قانوني. في المقابل، يرفض الاتجاه المعارض هذا الاعتراف، لغياب الشخصية القانونية والإرادة الذاتية لدى الذكاء الاصطناعي، معتبرًا أن إنتاجه لا يعدو كونه إعادة تركيب لمصنفات بشرية سابقة. ويؤكد هذا الفريق أن الإبداع القانوني يفترض البصمة الشخصية، وهو ما لا يتوافر في الأنظمة الذكية. كما يشكك في محاكاة الذكاء الاصطناعي للوعي البشري، لافتقاره للعنصر العاطفي والحدسي (فارس، محمد السيد، 2024،ص107).

وعلى الرغم من التطور الكبير الذي حققته تقنية الشبكات العصبية الاصطناعية في محاولتها لمحاكاة آلية عمل الدماغ البشري، إلا أنّه لا يزال هناك فارق جوهري بين الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري، خصوصًا في ما يتعلق بقدرات الإبداع والتفكير المركب. فبينما يستند الذكاء البشري إلى مزيج معقد من العواطف، والمشاعر، والحدس، والقدرة على التفكير المنطقي، فإن الذكاء الاصطناعي، بمختلف نماذجه الحالية، يقتصر في جوهره على المعالجة المنطقية والاستدلال البرمجي، دون امتلاك وعي ذاتي أو إدراك وجداني (سعيد محمد،2021،ص 1713-1714)

ويُضاف إلى هذا الاختلاف النوعي، وجود فروق شاسعة في طبيعة وسعة الذاكرة بين النظامين؛ إذ أن الذكاء البشري يعتمد على ذاكرة انتقائية مرنة ومترابطة، بينما تتميز ذاكرة الذكاء الاصطناعي بقدرتها الضخمة على

التخزين والاسترجاع الدقيق، دون أن يُقارن ذلك بمرونة الفهم أو السياق البشري. وبالتالي، فإن الحديث عن تقارب أو تماثل بين الذكاءين يظل، في المرحلة الراهنة، افتراضًا نظريًا غير قائم على معطيات واقعية ملموسة.

خاتمة:

إن إسهام الذكاء الاصطناعي في النهضة العلمية في المجال القانوني ليس مجرد تطور تقني بل هو أيضًا خطوة نحو تحسين الأداء القانوني وزيادة الكفاءة والعدالة. من خلال تحسين أدوات البحث القانوني، وتعزيز اتخاذ القرارات القضائية، وتسهيل الوصول إلى العدالة، يسهم الذكاء الاصطناعي في تطوير الأساليب والممارسات القانونية. في المستقبل، من المتوقع أن يلعب الذكاء الاصطناعي دورًا أكثر أهمية في تعزيز البحث الأكاديمي القانوني، مما يساعد على بناء نظام قانوني أكثر فعالية وشفافية وتقدمًا. بل أصبح فعلا مركزيا في إعادة تشكيل المتوصل اليها أن الذكاء الاصطناعي:

و من أبرز النتائج المتوصل اليها أن الذكاء الاصطناعي:

- تغيير جوهري في طرق ممارسة البحث القانوني، من الاجتهاد الفردي الى التحليل المؤتمت.
- بروز الذكاء الاصطناعي كأداة لتعزيز الكفاءة و الموضوعية، لكن دون القدرة على استبدال العقل القانوني البشري.
- استمرار وجود مخاوف قانونية و أخلاقية تتعلق بالخصوصية، التحييز الخوارزمي، و انعدام الشفافية في بعض المنصات المعتمدة.
- غياب اطار قانوني مؤطر لاستخدام الذكاء الاصطناعي في البحث القانوني ضمن تشريعات الحالية.
- بناء عليه نقترح مجموعة من التوصيات التالية:
- ضرورة وضع تشريع وطني ودولي يحدد معايير استخدام الذكاء الاصطناعي في الأبحاث القانونية.
- ادماج الذكاء الاصطناعي في التكوين القانوني الجماعي و تكوين الباحثين في المهارات الرقمية
- انشاء وحدات بحث متعددة التخصصات تجمع بين القانون والذكاء الاصطناعي لتحليل التأثرات المتبادلة

- وضع مدونة قانونية أخلاقيات لاستخدام الذكاء الاصطناعي تضمن النزاهة والشفافية والرقابة البشرية.

- تشجيع الابتكار المحلي في بناء منصات قانونية ذكية تحفظ السيادة الرقمية والمعطيات الشخصية.

وخلاصة القول، فإن الذكاء الاصطناعي، رغم ما يطرحه من تحديات، يُعدّ فرصة استراتيجية لإعادة هندسة البحث القانوني وتعزيز فعاليته، شريطة تأطيره تشريعيًا وأخلاقيًا بما يضمن تكامل التقنية مع القيم القانونية الأصيلة.

قائمة المراجع:

أولًا: الكتب

1- بلال، م. ع. (2015). قواعد البيانات القانونية. بيروت.

2- جمعة النجار، ف. (2010). نظم المعلومات الإدارية: منظور إداري. دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

3- عبد الستار العلي، وآخرون. (2009). المدخل إلى إدارة المعرفة (ط. 3). دار المسير، عمان، الأردن.

ثانيًا: المقالات

4- أحمد، م. (2018). الذكاء الاصطناعي بدولة الإمارات العربية. إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية، الإمارات العربية المتحدة.

5- العبيدي، ر. ع. (2015). دور الذكاء الاصطناعي في تحقيق الإنتاج الأخضر: دراسة استطلاعية لأداء المديرين في عينة من الشركات الصناعية العاملة. مجلة جامعة كركوك للعلوم الإدارية والاقتصادية.(1)5 ,

6- السيد، ف. م. (2024). نحو مفهوم جديد للذكاء الاصطناعي ومحاولة تنظيمه قانونيًا: دراسة مقارنة. مجلة الشريعة والقوانين.43 ,

7- دهشان، ي. إ. (2023). المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي. مجلة الشريعة والقانون.(4)20 ,

8- سعيد، م. م. القطب م. (2021). دور قواعد الملكية الفكرية في مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي: دراسة قانونية تحليلية مقارنة. مجلة البحوث القانونية والاقتصادية.75 ,

9- محمد نور الدين، س. (2021). التحديات الأمنية لاستخدام الذكاء الاصطناعي والأنظمة الرقمية في العمل الأمني وسبل المواجهة. مجلة العلوم الشرطية. أكاديمية العلوم الشرطية، القيادة العامة لشرطة الشارقة.

10- Mulgan, G. (2018). Artificial intelligence and collective intelligence: The emergence of a new field. *AI & Society*, 1–2.

11- Fitzpatrick, K. K., Darcy, A., & Vierhile, M. J. (2017). Delivering cognitive behavior therapy to young adults with symptoms of depression and anxiety using a fully automated conversational agent (Woebot): A randomized controlled trial. *JMIR Mental Health*, 4(2), e7785.

12- Dergaa, I., Chamari, K., Zmijewski, P., & Ben Saad, H. (2023). From human writing to artificial intelligence generated text: Examining the prospects and potential threats of ChatGPT in academic writing. *Biology of Sport*, 40(2), 615–622. https://doi.org/10.5114/biolsport.2023.121390

13- Silver, D., Schrittwieser, J., Simonyan, K., Antonoglou, I., Huang, A., Guez, A., et al. (2017). Mastering the game of go without human knowledge. *Nature*, 550(7676).

14- Markowitz, D. M., & Hancock, J. T. (2014). Linguistic traces of a scientific fraud: The case of Diederik Stapel. *PLOS ONE*, 9(8), e105937.15

15- Bankins, S., & Formosa, P. (2023). The ethical implications of Artificial Intelligence (AI) for meaningful work. *Journal of Business Ethics*, 185(4), 725–740. https://doi.org/10.1007/s10551-022-05280-2

16- Belharet, A., et al. (2020). A study on the impact of artificial intelligence on project management. *Management of Technology Information System*.

17- Lee, P. Y., Salim, H., Abdullah, A., & Teo, C. H. (2023). Use of ChatGPT in medical research and scientific writing. *Malaysian Family Physician: Official Journal of the Academy of Family Physicians of Malaysia*, 18, 58.

18- Kaplan, M., & Haenlein, A. (2019). Artificial intelligence (AI) and management. *Analytics*.

19- Wen, L. (2003). On the science questions in the scientific research. *Journal of University of Science and Technology Beijing*.

Extance, A. (2018). How AI technology can tame the scientific literature. *Nature*, 561. https://doi.org/10.1038/d41586-018-06617-5
Arie, B., Niblett, A., & Yoon, A. (2018). How artificial intelligence will affect the practice of law. *University of Toronto Law Journal*, 68(1).
20- Bielova, M., & Byelov, D. (2023). Challenges and threats of personal data protection in working with artificial intelligence. *Uzhhorod National University Herald. Series: Law*. https://doi.org/10.24144/2307-3322.2023.79.2.2
21- Khan, M. I., Usman, M., Kanwel, S., & Khan, A. (2022). Digital renaissance: Navigating the intersection of the digital economy and WTO in the 21st century global trade landscape. *Asian Social Studies and Applied Research (ASSAR)*, 3(2).

ثالثًا: المداخلات العلمية

22- Beel, J., Genzmehr, M., Langer, S., Nürnberger, A., & Gipp, B. (2013). A comparative analysis of offline and online evaluations and discussion of research paper recommender system evaluation. *Proceedings of the International Workshop on Reproducibility and Replication in Recommender Systems Evaluation*.

رابعًا: مواقع الإنترنت

23- Barbaux, A. (2016). La première IA engagée par un cabinet d'avocats. *L'Usine Digitale*. https://www.usinedigitale.fr/article/la-premiere-ia-engagee-par-un-cabinet-d-avocats.N393122

Federal Supreme court policy in addressing legislative omissions A comparative study

Hassanein Saleh Hilal AL-Shukri
Babylon Branch Islamic University
hasnean93@gmail.com

Abstract:

The constitutional judiciary has always introduced competencies without any legal or constitutional basis, and among those competencies is its control over the case of legislative omission, and the controversy raised by that control among constitutional jurisprudence about the constitutional eligibility of the judiciary to extend its control over what the legislator did not declare, as the basis for constitutional control is that it imposes on the explicit texts of the legislator and their suitability to the provisions of the constitution, and constitutional jurisprudence on this control was divided into two teams between supporters and opponents of the constitutional judiciary's control over the case of The first appearance of the idea of legislative omission was in a decision of the German Federal Court in 1969, and then moved to the French Constitutional Council, which referred to it in its provisions since 1981, and the Federal Supreme Court adopted control over legislative omission and its treatment, and issued in this regard various decisions in which it adopted various methods to address omissions.

Keywords: constitutional oversight, constitutional court, constitutionality of laws, constitutional judiciary, legislative omission.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

سياسة المحكمة الاتحادية العليا في معالجة الاغفال التشريعي (دراسة مقارنة)

م.م حسنين صالح هلال الشكري
الجامعة الإسلامية/ فرع بابل
hasnean93@gmail.com

ملخص:

لطالما استحدث القضاء الدستوري اختصاصات دون أي أساس قانوني أو دستوري، ومن تلك الاختصاصات رقابته على حالة الإغفال التشريعي، وما أثارته تلك الرقابة من جدل في أوساط الفقه الدستوري حول أحقية قضاء الدستورية في بسط رقابته على ما لم يصرح به المشرع، حيث أن الأساس في الرقابة الدستورية أنها تفرض على النصوص الصريحة للمشرع ومدى ملائمتها لأحكام الدستور، وانقسم الفقه الدستوري حول هذه الرقابة الى فريقين بين مؤيد و رافض لرقابة القضاء الدستوري على حالة الإغفال التشريعي، ألا أن ذلك لم يثنى قاضي الدستورية عن ممارسة تلك الرقابة والمضي في التأسيس للملامح الرئيسة لرقابة الإغفال التشريعي، و وكان الظهور الأول لفكرة الإغفال التشريعي في قرار للمحكمة الاتحادية الألمانية في عام 1969، ومن ثم انتقلت الى المجلس الدستوري الفرنسي الذي أشار أليها في أحكامه منذ عام 1981، وتبنت المحكمة الاتحادية العليا الرقابة على الإغفال التشريعي ومعالجته، وأصدرت بهذا الصدد قرارات مختلفة تبنت فيها أساليب متنوعة لمعالجة الإغفال.

الكلمات المفتاحية:الرقابة الدستورية، المحكمة الدستورية، دستورية القوانين، القضاء الدستوري، الإغفال التشريعي.

مقدمة:

أقصى ما يمكن أن تصل له الرقابة الدستورية هو الحكم بعدم دستورية التشريع المخالف لأحكام الدستور، لتحقق بذلك حماية مبدأ سمو الدستور ومراعاة التدرج الهرمي بين القواعد القانونية وضمان خضوع القاعدة الأدنى في الهرم للقاعدة الأعلى شكلاً ومضموناً، ألا أن قضاء الدستورية لم يقف عند ذلك الحد ولم يكتفي بإعلان عدم دستورية التشريع المخالف للدستور، بل بدأ يتدخل بالمعالجة لتلك التشريعات من خلال تعديل النص الذي ينطوي على مخالفة دستورية سواء تعديل بالحذف أو بالإضافة، ليتقمص بذلك القاضي الدستوري دور المشرع، وهو ما أثار جدلاً فقهياً واسعاً بين أوساط الفقه الدستوري حول إمكانية قاضي الدستورية في ممارسة دور المشرع، ولعل الميدان الأبرز الذي مارس فيه القاضي الدستوري معالجات التشريع هو رقابة الإغفال التشريعي، تلك الرقابة المثيرة للجدل في أساسها و أساليبها، إذ لم يكتفي قاضي الدستورية بالإعلان عن وجود إغفال تشريعي يصيب التشريع الطعين، بل أخذ يتدخل بالمعالجة من خلال عدة أساليب تارة بالأحكام المكملة أو المضيفة وتارة بالأحكام الأيعازية ، وهو ما اعتبره جانب من الفقه تدخلاً في ملائمات التشريع التي هي من اختصاصات المشرع الحصرية.

ومع ما تسببه حالة الإغفال التشريعي من آثار سلبية قانونية واجتماعية وكذلك أثرها على الحقوق والحريات الأساسية، ينبغي أن يتصدى لها القضاء الدستوري بأسلوب قانوني يضمن عدم المساس باختصاصات المشرع الحصرية من تعديل القوانين وتقدير ملائمات التشريع.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول بيان الأساليب التي تبنتها المحكمة الاتحادية العليا لمعالجة الإغفال التشريعي ومدى فاعليتها.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على سياسة المحكمة الاتحادية العليا في التعامل مع حالة الإغفال التشريعي وصولاً لآخر أحكامها بهذا الشأن، ومدى مواكبتها للسياسات المتطورة التي تنتهجها المحاكم والمجالس الدستورية، وبيان مدى فاعلية هذه السياسة.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي المقارن لأحكام المحكمة الاتحادية العليا بالمقارنة مع أحكام المجلس الدستوري الفرنسي والمحكمة الدستورية العليا المصرية، مع الإشارة الى تطبيقات دول أخرى.

خطة البحث:

ارتأى الباحث تقسيم خطة البحث الى مطلبين، الأول خصص لبيان مفهوم الإغفال التشريعي ، بينما خصصنا المطلب الثاني لدراسة دور المحكمة الاتحادية العليا في معالجة الإغفال التشريعي والمحاكم الدستورية محل المقارنة، و اختتم البحث بخلاصة تنطوي على اهم ما توصلنا أليه من استنتاجات ومقترحات.

أولا: مفهوم الإغفال التشريعي

1 تعريف الإغفال التشريعي

يرتبط الإغفال التشريعي ارتباطاً وثيقاً بالسلطة التشريعية وما يصدر عنها من تشريعات، وتكون مخالفة السلطة التشريعية لأحكام الدستور على صورتين **الأولى** تحدث عند مباشرة المشرع لاختصاصه أما الثانية فهي تحدث عند امتناع المشرع عن ممارسة ذلك الاختصاص. وهو ما يتطلب معه دقة عالية في عملية صياغة النص التشريعي تجنبا للغموض والنقص أو التعارض الذي قد يعتري النص التشريعي تلافياً للانعدام الكلي أو الجزئي لأحكام التشريع أو قصورها وعدم وضوحها، ويعود الخلل في صياغة النص التشريعي الى جملة من الأسباب منها الاستعجال في الصياغة وعدم الدقة أو عدم خبرة واضع النص وعدم إمكانيته التنبؤ في المستقبل كل هذه الأسباب تجعل النص قاصراً عن تلبية مستجدات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وممكن أن يكون النقص أو الخلل أو القصور يحدث بإرادة المشرع مستنداً بذلك الى السلطة التقديرية التي لا يطالها سلطان القضاء في رقابته على دستورية القوانين(**الشاوي، 2020: 17**).

يتضح لنا مما تقدم بأن القصور والنقص والغموض الذي يشوب النص التشريعي قد يكون بقصد من المشرع على أساس السلطة التقديرية المقررة له وذلك لغاية أو باعث يعتقد المشرع بأنها ضرورة في المستقبل، أو قد يكون من غير قصد نتيجة لقلة خبرة المشرع أو عدم دقته في وضع النص بحيث يعجز عن معالجة الموضوع الذي أُصدرَ من أجله التشريع.

نتيجة لما تقدم ينبغي أن يكون التشريع – بوصفه مجموعة من القواعد القانونية التي تصدر عن السلطة التشريعية بوصفها السلطة المختصة أو يصدر عن جهة أخرى كرئيس الدولة أو السلطة التنفيذية – متصفاً بجملة من الخصائص منها: الشمولية، والعمومية، والوضوح، الدقة، والاستيعاب، المرونة، سهولة المنطق، التجريد، والاتساق والتكامل مع التشريعات الأخرى، مراعاة الخصوصية في الصياغة التشريعية، ومراعاة السياسة التشريعية(**الشيخلي، 1995: 41**).

ونتيجةً لحداثة مصطلح الإغفال التشريعي نرى من الصعوبة وجود تعريف دقيق لمدلوله على الرغم من محاولة الفقه لتحديد معناه بشكل واضح وتصدي القضاء الدستوري له في معرض أحكامه.

هذا ويعتبره جانب من الفقه الفرنسي احدى صور عدم الاختصاص السلبي للمشرع أي تخلي المشرع عن اختصاصه الذي خوله إياه الدستور،

وذهب جانب آخر من الفقه الفرنسي الى ابعد من ذلك حيث وصف الإغفال التشريعي بأنه هو عدم الاختصاص السلبي (incompétence négative) الذي ينطوي في ذاته على تجاوز السلطة التشريعية بذاتها(**العبدالرحمن، 2016: 21**).

وهو ما أيده جانب من الفقه المصري عندما عرف الإغفال التشريعي بأنه: (قيام البرلمان بتنظيم مسألة أو مسائل معينة بصورة منقوصة يمكن أن يترتب عليها فراغ تشريعي لا يتماشى مع التزام البرلمان بضرورة ممارسة اختصاصه التشريعي على الوجه المبين بالدستور)(**الغفلول، 2003: 159**).

يتضح لنا من التعريف السابق انه اعتبر الإغفال التشريعي صورة من صور عدم الاختصاص السلبي للمشرع وليس عواراً دستورياً قائماً بذاته له صوره وأسبابه الخاصة به، بينما نرى انه لا يمكن الجمع بينهما في فكرة واحدة أي اعتبار الإغفال التشريعي احدى صور عدم الاختصاص السلبي للمشرع وذلك لاختلاف الأساس القانوني لكلا الفكرتين وهو ما سنتناوله في المطلب الثاني من المبحث الأول.

ويذهب اتجاه فقهي آخر الى تصوير الإغفال التشريعي على انه مخالفة موضوعية لأحكام الدستور حيث عرفه بأنه: (الإغفال النسبي للمشرع في معالجة موضوع معين خلافاً للدستور قد يمس الضمانات القانونية التي يجب التمتع بها فضلاً عن الإخلال بمبدأ المساواة)(**السرور، 1999: 202**).

الملاحظ على هذا التعريف انه لم يعطي معنى دقيقاً وواضحاً للإغفال التشريعي حيث وصفه بأنه إغفال نسبي ولم يوضح حدود ذلك الإغفال بشكل دقيق إذ ينبغي أن يحدد التعريف المصطلح المراد تعريفه بشكل وافي وان لا يترك مجال للتكهن بمدلول العبارات في التعريف.

وذهب جانب من الفقه الى أن المقصود من مصطلح الإغفال التشريعي "هو إغفال المشرع جانباً من جوانب الموضوع محل التنظيم مما يؤدي الى الحد من فاعلية الموضوع محل التنظيم من ناحية وعدم تفعيل أو تكريس النص الدستوري من ناحية أخرى"(**الشيمي، 2003: 5**).

والملاحظ على التعريف السابق انه ربط نتيجة الإغفال التشريعي بعدم تفعيل النص الدستوري في حين أن الإغفال يعتبر بحد ذاته مخالفة دستورية سواء أدى الى عدم تفعيل النص أو لا. كما لم يوضح التعريف المقصود "بأغفال المشرع" حيث ترك هذه المفردة مطلقة بينما هي تنطوي على معنيين وهما الإغفال عن عمد أو بدون عمد.

وأيده في ذلك جانب آخر من الفقه حيث عرف مصطلح الإغفال التشريعي بأنه: " تناول المشرع أحد الموضوعات التي يختص بها بالتنظيم، لكنه يأتي – سواء عن عمد أو إهمال- غير مكتمل أي تنظيماً قاصراً عن أن يحيط بكافة جوانبه وبما يؤدي بالإخلال بالضمانة الدستورية للموضوع محل التنظيم"(**سالمان، 1995: 18**).

وهو ما أشار إليه الدكتور عوض المر –رئيس المحكمة الدستورية العليا المصرية الأسبق- بأن الإغفال التشريعي موجود معبراً عنه بأنه "إغفال المشرع تنظيم الجوانب الكاملة لحقوق المواطنين وحرياتهم يتحقق إذا قام المشرع بتنظيم أحد الحقوق والحريات التي كفلها الدستور تنظيماً قاصراً، وذلك بأن أغفل أو أهمل جانباً من النصوص القانونية التي لا يكتمل التنظيم ألا بها كان ذلك إخلالاً بضمانتها التي هيأها الدستور لها وفي ذلك مخالفة للدستور"(**المر، 2003: 18**).

ويضرب لنا هذا الرأي أمثلة على مفهوم الإغفال التشريعي في مجال الحقوق والحريات، حيث ينص الدستور على حرمة الملكية الخاصة وحظر نزع تلك الملكية دون وجه حق أو تعويض عادل حيث أن الأصل في الملكية أنها تبقى لأصحابها، وألا تفرض عليها قيود تتعارض مع وظيفتها الاجتماعية، و أن لا ينال منها المشرع بصورة تجردها من لوازمها ألا وفق المحددات التي فرضها الدستور والقانون، فإذا أجهز عليها المشرع جردها من جوهرها، سواء أكان ذلك بنص تشريعي مباشر، أو بإغفاله لتقرير ضمانتها الممنوحة لها بموجب الدستور(**العبد الرحمن، 2016: 15**).

يتضح لنا من التعريف السابق انه قصر فكرة الإغفال التشريعي على حقل الحقوق والحريات مُبعداً بذلك سائر الموضوعات التي يتناولها الدستور فهو بالتالي يتناول فكرة الإغفال التشريعي في مجال الحقوق والحريات فقط.

وعرفه جانب آخر من الفقه بأنه: "عدم تناول المشرع بالتنظيم ما كان يتعين النص عليه صراحةً ليوافق مقتضى الدستور"(**النجار، 2010: 14**) ، ونرى أن هذا التعريف تناول سلوك المشرع القاصر دون أن يحدد جزاء هذه المخالفة التي وقع بها المشرع وهو عدم الدستورية، كما انه عاجز عن بيان مدلول الإغفال التشريعي بمعناه الدقيق.

كما تم تعريف الإغفال التشريعي بأنه: "عزوف المشرع في حين أن الدستور يلزمه بالمبادرة"(**العبدالرحمن، 2016: 29**)، وهذا التعريف بعيد كل البعد عن مدلول الإغفال التشريعي وهو أقرب ما يكون للإغفال الكلي أو السكوت التشريعي الذي يكون من صميم السلطة التقديرية للمشرع وهو يختلف عن الإغفال التشريعي موضوع بحثنا.

أن الملاحظ على التعريفات السابقة لفكرة الإغفال التشريعي أنها أجمعت كلها على أن إغفال المشرع في معرض ممارسته لوظيفته التشريعية نصاً لا يكتمل التنظيم القانوني ألا به هو مخالفة دستورية يستوجب الوقوف عندها، لكنها لم توضح فيما اذا كانت هذه الغفلة هي نتيجة سهو أو نسيان أم انه قصور في صياغة النص التشريعي من قبل المشرع أو أن المشرع قد تعمد إهمال هذا النص لغاية يبتغي حدوثها في المستقبل، وفي الحالة الأخيرة فأن ممارسة الرقابة على إغفال المشرع لنص قانوني عن عمد هو تدخل في صميم السلطة

التقديرية للمشرع وبالتالي تشكل خرقاً لمبدأ الفصل بين السلطات وهو ما يستدعي الوقوف عنده ومعالجته بالشكل الذي يضمن صيانة مبدأ الفصل بين السلطات.

بعد كل ما تقدم توصلنا الى نتيجة مفادها أن الفقه لم يورد الى يومنا هذا تعريفاً وافياً وشاملاً و دقيقاً لفكرة الإغفال التشريعي وحسب رأينا القاصر أن سبب عجز الفقه لا يعود الى حداثة مصطلح الإغفال فحسب وإنما الى حساسية هذا المصطلح ومدلوله فهو تارة يعرفه بأنه الإغفال المتعمد للمشرع وبالتالي يكون قد تدخل في صلب إرادة المشرع وسلطته التقديرية، وتارة يعرفه بأنه إغفال أو إهمال غير متعمد خشية منه أن تؤدي رقابة القضاء الدستوري الى التدخل المباشر في السلطة التقديرية للمشرع وبالتالي خرق مبدأ الفصل بين السلطات.

و عطفاً على ما سبق فأن الأصل في سلطة المشرع أنها تعتبر سلطة تقديرية الغاية منها المفاضلة بين البدائل المتوفرة لاختيار الحل الأنسب لمصلحة الجماعة و أكثرها ملائمة لظروفها ومتطلباتها فيما يخص الموضوع محل التنظيم، والذي يعني أن تقدير ضرورة التشريع ومدى ملائمته والحاجة الى إصداره يدخل في صميم اختصاص السلطة التشريعية بوصفه احد عناصر التشريع الممنوع على المحاكم التدخل بها، وهذا لا يعني بالضرورة إطلاق يد المشرع في عملية التشريع، لأن السلطة التقديرية الممنوحة له ليست حرية مطلقة ولكنها ضرورة في إطار الغاية أو الأغراض التي يتوخاها الدستور والا تحولت الى نوع من التحكم الذي يستوجب الرقابة. وبالتالي فأن خروج البرلمان عن الضوابط والحدود الدستورية في مجال ممارسته لسلطته التشريعية في تنظيم موضوع معين بأن امتنع عن تنظيمه أو نظمه بشكل منقوص بغية تقييد آثاره، هو مخالفة مباشرة لأحكام الدستور لأن امتناع المشرع أو تقييده لمضمون الموضوع الذي يقره ويكفله الدستور–من خلال سلطته في تنظيمه– يشكل اعتداء على ذات الدستور وإهدار لحكم من أحكامه(**الوزان، 2015**). الأمر الذي أكدته المحكمة الاتحادية العليا في العراق بقرارها المرقم (٥٠ / اتحادية/٢٠٢٢) في٢٠٢٢/٧/٢٦ حيث نص على (أن السلطات الاتحادية ومنها السلطة التنفيذية يجب أن تعمل في إطار مبدأ المشروعية وسيادة القانون، حتى وان استخدمت سلطاتها التقديرية في سبيل إنجاز مهامها، وبذلك فأن استخدامها لسلطاتها التقديرية ليس مطلقا وإنما مقيداً في حدود الرقابة التي تمارسها عليها المؤسسات الدستورية ومنها المحكمة الاتحادية العليا تطبيقاً لأحكام المادة (93/ثالثاً) من دستور جمهورية العراق لعام 2005.....).

وبناءً على كل ما تقدم يمكن تعريف الإغفال التشريعي بأنه: إغفال المشرع–سواء أكان سهواً أو عمداً أو لعدم الدقة في صياغة النص– نصاً قانونياً أو مفردة أثناء تنظيمه لموضوع أو حق معين يؤدي الى تقييد أو الحد من أثر الموضوع أو الحق محل التنظيم مما يترتب عليه مخالفة دستورية.

وتبقى الكلمة الفصل في هذا المجال الى ما أورده القضاء الدستوري في أحكامه بخصوص فكرة الإغفال التشريعي وهو ما سنتناوله في قادم البحث.

2– صور الإغفال التشريعي

للأغفال التشريعي ثلاثة صور حددها الفقه للتمييز بين حالات الإغفال التشريعي وحدد الصور التي تخضع للرقابة الدستورية والصور التي تخرج عنها وهي ثلاثة صور، الأولى: الإغفال التشريعي الكلي والثانية: الإغفال التشريعي الجزئي والثالثة: الإغفال التشريعي بالطرق الملتوية، وسنتناولها في البحث على النحو التالي:

أ– الإغفال التشريعي الكلي

ويطلق عليه الفقه مصطلح الامتناع التشريعي أو الامتناع عن التشريع (Legislative refrain) وكذلك يطلق عليه مصطلح السكوت التشريعي أو سكوت المشرع عن التنظيم (Legislative silence)(www.almaany.com) ، ويقصد به حالة الغياب أو عدم الوجود الكلي للتشريع المتعلق بحالة قانونية محددة بالدستور(www.droitetentreprise.com).

وقد نصت معظم الدساتير على أن السلطة التشريعية هي صاحبة الاختصاص الأصيل بالتشريع وفقاً لنصوص الدستور من ثم لا يجوز لسلطة تستمد اختصاصها مباشرة من الدستور أن تفوض هذا الاختصاص لسلطة أخرى ألا بناءً على نص صريح بالدستور(**دستور العراق، المادة 47، 2005/ دستور فرنسا، المادة 24، 1958**).

ويعتبر سكوت المشرع بأنه يقع ضمن نطاق السلطة التقديرية المقررة له بموجب الدستور ما لم يلزمه الدستور بالتدخل، فتقدير الحاجة للتشريع وتقرير الحاجة للتدخل في تنظيم موضوع ما من عدمها والامتناع عن التشريع تعتبر من أهم خصائص السلطة التقديرية للمشرع.

وكما أشرنا سابقاً فأن السلطة التقديرية للمشرع هي: حرية المشرع في المفاضلة بين البدائل المتوفرة وفق أسس منطقية لتقديم حلول مناسبة للموضوع محل التنظيم، وعرفها الفقيه الفرنسي بوكيل (bockel) بأنها (الحرية الممنوحة لسلطة ما في ممارسة اختصاصها)، وهذا يعني أن للمشرع الحرية في ممارسته لاختصاصه ضمن الحدود التي رسمها له الدستور وله المفاضلة بين البدائل المتوفرة لتنظيم موضوع ما وتعتبر سلطة المشرع في التشريع رخصة يباشرها كلما اقتضاها الصالح العام وفي الوقت الذي يراه مناسباً(**الشاوي، 2020: 41-42**). ما لم يلزم الدستور المشرع بالتدخل لتنظيم مسألة أو موضوع ما فيغدو إمتناع المشرع إخلال بالتزامه الدستوري يعطي الحق للقضاء الدستوري بممارسة رقابة الإغفال عليه.

ويعتبر سكوت المشرع –من دون وجود نص دستوري يلزمه بالتدخل وتنظيم مسألة ما– من صميم السلطة التقديرية الممنوحة له فهو الذي يقرر مدى الحاجة للتشريع ومتى وهو من يحدد تدخله من عدمه، والأصل أن سكوت المشرع لا يخضع للرقابة الدستورية لعدم وجود صلة بين الحاجة للتشريع ودستوريته(**سالمان، 1995**).

وفي حالة عدم وجود نص دستوري يلزم المشرع بالتدخل لتنظيم موضوع ما وإن ممارسة اختصاصه هي رخصة يستعملها أو لا يستعملها أو يتخير الوقت المناسب للتدخل من عدمه خصوصاً إذا كان الباعث على سكوت المشرع سياسياً فهنا يتدخل الرأي العام لممارسة الضغط على السلطة لاستصدار تشريع ما وبما يتناسب مع الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية(**الشاوي، 2020: 42**).

وتثور الرقابة الدستورية على الإغفال التشريعي الكلي (الامتناع التشريعي) عند وجود نص دستوري يلزم المشرع بالتدخل لتنظيم موضوع معين وتحدد له الطريق لتنظيم ذلك الموضوع ألا انه يُصرُ على إمتناعه عن التنظيم، فامتناعه في هذه الحالة ليس من بواعث التشريع وملائماته ولا يدخل ضمن إطلاقات السلطة التشريعية لأنها مقيدة بحدود وضوابط الدستور.

ألا أن معظم النظم الدستورية استقرت على مراقبة الامتناع التشريعي سواء نص عليها الدستور صراحة أو لم يرد بشأنه نص دستوري، فحث وتنبيه وتوجيه المشرع للوفاء بالتزامه الدستوري يعد من أولويات القضاء الدستوري حيث يعتبر صمت المشرع تجاه هذا الالتزام موقفاً سلبياً يستوجب تدخل القاضي الدستوري

لإلزامه بممارسة اختصاصه التشريعي(**سليم، 2010: 220**) ، وهو المسلك الذي سارت عليه المحكمة الاتحادية العليا في العراق في قرارها المرقم 10/اتحادية/2009 الذي أوصت من خلاله لجنة التعديلات الدستورية لاتخاذ ما يلزم لغرض تضمين الدستور نصاً يبين كيفية انتخاب رئيس مجلس النواب ونائبيه في حالة شغور منصب أي منهم خلال الدورة الانتخابية(www.iraqfsc.iq/s.2010). فالقاضي الدستوري في هذه الحالة نبه المشرع الدستوري الى هذا النقص التشريعي على الرغم من عدم وجود نص دستوري يلزم المشرع بتنظيم هذه الحالة.

وينكر جانب من الفقه الرقابة الدستورية على الإغفال التشريعي الكلي على أساس أن هذه الرقابة موضوعها قواعد لا وجود لها بالتالي فأن ثمرة الامتناع لا تتحقق كونه يتجسد بأبطال قاعدة ليس لها وجود، بينما يرى فريق فقهي آخر أن الامتناع محله النص التشريعي دون القاعدة القانونية والتي يمكن استنباطها بواسطة التفسير من أحد نصوص القانون في ضوء إغفال المشرع وضع نص آخر، كما ويرى جانب آخر أن إغفال المشرع لا يؤدي بالضرورة الى عدم وجود قاعدة قانونية، بل على العكس من ذلك فأنه قد يفضي الى وجود (قاعدة سلبية) تتضمن النهي عن أداء واجب أو رخصة(**سرور، 1999: 202**).

ب- الإغفال التشريعي الجزئي

والمقصود بهذه الصورة من الإغفال هو صدور قانون من السلطة التشريعية ألا أن هذا القانون لم ينظم الحق أو المسألة موضوع التنظيم تنظيماً كاملاً يغطي به جوانب الموضوع، ونتيجة لذلك ينجم عنه مخالفة دستورية يترتب عليها إخلال بمبدأ المساواة بين أصحاب المراكز القانونية المتماثلة في الموضوع محل التنظيم(**عبدالرحمن، 2010: 85**).

والذي يعني سلوك المشرع الإيجابي بتنظيمه لمسألة أو مسائل معينة بصورة قاصرة ومنقوصة تسبب فراغاً تشريعياً يتعارض مع التزام المشرع بضرورة تقيده بالضوابط والمحددات التي فرضها عليه الدستور عند ممارسة اختصاصه التشريعي(**زهرة، 2013: 43**).

فسلوك المشرع في هذه الحالة هو سلوك إيجابي يتمثل برغبته في ممارسة اختصاصه التشريعي ألا أن هذا التنظيم يكون قاصراً وغير وافي ولا يحيط بكافة جوانب المسألة محل التنظيم، وعادة ما يكون القصور التشريعي

نتيجة لتغيير الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تحدث لمرروها بمراحل انتقالية مما ينبغي إعادة النظر بالتشريعات المشوبة بالقصور التشريعي لكي تكون ملائمة للمتطلبات التي افرزها التغيير(**الشاوي، 2020: 44**).

والقصور التشريعي ظاهرة قانونية عامة يكاد لا يخلو منها أي نظام قانوني وضعي، فالتشريع باعتباره عملاً إنسانياً فهو من الطبيعي ألا يرتقي الى الكمال وبالتالي لا يخلو من النقص لما يشوب العمل الإنساني من نقص في العلم والصياغة، وهو ما يجعل النص أما غامضاً أو ناقصاً أو متعارضاً مع نصوصه أو نصوص تشريع آخر، ونرى القصور التشريعي عند استخدام القاضي للنصوص القانونية على المنازعة المعروضة أمامه(**الجوهري، 1994: 1–7**).

وخير مثال على الإغفال التشريعي النسبي ما ذهبت إليه المحكمة الدستورية العليا المصرية في حكمها الصادر في ديسمبر من عام (1995) في عدم تحديد الجرائم والعقوبات بصورة كافية ومحددة مما يهدد حقوق وحريات الأفراد الأساسية والضمانات المقررة لهم وقد عبرت المحكمة عن هذه الحقيقة بالقول (الأصل في النصوص العقابية أن تصاغ في حدود ضيقة تعريفاً للأفعال التي جرمها المشرع وتحديداً لمضمونها، فلا يكون التجهيل بها من خلال انفلات عباراتها وإرهاقاً بتعدد تأويلاتها موطئاً للأخلال بحقوق كفلها الدستور للمواطنين)(**الشيمي، 2003: 119**)

وليس هنالك خلاف أو مشكلة في ضرورة الرقابة على الإغفال التشريعي النسبي لأنه ينصب على نص قانوني صريح دخل الى ساحة الوجود القانوني بسنه من المشرع، ولكنه لم يتضمن تنظيماً كاملاً للمسألة محل التنظيم مما نتج عنه نص مخالف للدستور لأنه نظم الموضوع بطريقة أخلت بالمساواة المقررة بموجب الدستور لأصحاب المراكز القانونية المتماثلة مما قد ينتج عنه أقصاء لطائفة من الأفراد من الاستفادة من هذا التشريع(**الشيمي، 2003: 621**).

ومن الأمثلة على ذلك حكم المحكمة الدستورية العليا المصرية عام (2002) القاضي بعدم دستورية نص المادة(17) من القانون رقم (36) لسنة (1981) لأنه اخل بمبدأ المساواة المذكور في المادة (40) من الدستور المصري وميز بين المصريين على أساس الجنس على الرغم من تماثل المراكز القانونية، إذ قصر القانون

المذكور استمرار عقد الإيجار على الزوجة المصرية وأولادها من زوجها المستأجر غير المصري عند انتهاء إقامته في البلاد فعلاً أو حكماً دون الزوج المصري و أولاده المتزوج من زوجة غير المصرية المستأجرة للعقار، حيث اعتبرت المحكمة أن المشرع قد اغفل في تنظيمه للعلاقة بين المؤجر والمستأجر مراعاة المراكز القانونية المتماثل لكل من الزوج والزوجة المصرية المتزوجين بأجانب مستأجرين للعقارات واعتبرت المحكمة أن في النص تهديداً لكيان الأسرة وتماسكها(**سالمان، 1995**).

ج- الإغفال التشريعي غير المباشر(الملتوي)

هذه الصورة تختلف عن سابقاتها من حيث أنها تتمثل بالسلوك الإيجابي للمشرع بإصداره لتشريع معين يتبع فيه منهجية أو صيغة في سن القوانين وصياغتها بطريقة يفهم منها تنازل المشرع عن اختصاصه لغيره من السلطات وتحديدا السلطة التنفيذية ليتقاسم معها وظيفته التشريعية بأسلوب غير مباشر تهرباً من ممارسة اختصاصه التشريعي.

وفي هذه الصورة يتخذ البرلمان موقفاً إيجابياً بممارسته لاختصاصه التشريعي ويتدخل فعلياً بتشريعه لقانون ينظم مسألة ما، ألا أن تدخله لا يكون وفقاً لما رسمه الدستور له، بحيث يظهر وكأنه يتخفف من عبء ممارسة اختصاصه ويمنحه بطريقة غير مباشرة الى السلطة التنفيذية في غير الحالات التي وضعها الدستور لذلك(**الغفلول، 2003: 173**).

ثانيا: المعالجة القضائية لحالة الإغفال التشريعي في قضاء المحكمة الاتحادية العليا

لم تكتفي المحاكم الدستورية ومنها المحكمة الاتحادية العليا في العرق ببسط رقابتها على حالة الإغفال التشريعي بل ذهبت الى ابعد من ذلك عندما تدخلت بالمعالجة لحالة الإغفال التشريعي وهو ما اعتبره جانباً من الفقه تقمصاً لدور المشرع، وقد عالجت المحاكم الدستورية الإغفال التشريعي بطريقتين **الأولى** هي المعالجة الثنائية والتي تتحقق من خلال نوعين من الأحكام القضائية أولهما: الأحكام الكاشفة وثانيهما: الأحكام الأيعازية أو الندائية، أما الطريقة الثانية لمعالجة الإغفال فهي ما تسمى بالطريقة الفردية وتتم بنوعين من الأحكام الأول الحكم بعدم الدستورية

والثاني هو الأحكام المضيفة أو المكملة، وسنتناول كلتا الطريقتين بالبحث في هذا المطلب وعلى النحو التالي:

سياسة المحكمة الاتحادية العليا تجاه الإغفال التشريعي

أوجدت المحاكم الدستورية رقابة الإغفال التشريعي من العدم، حيث أن هذه الرقابة منعدمة الأساس القانوني و الدستوري، وقد أسست لها المحاكم الدستورية ونظمتها، بل وتدخلت لمعالجة هذا العوار الدستوري بأحكام وطرق متنوعة، ومنها المحكمة الاتحادية العليا في العراق و سياستها في هذا المجال، وهو سنتناوله بالبحث في هذا المورد من البحث وعلى النحو التالي:

السياسة القضائية للمحكمة الاتحادية العليا تجاه الإغفال التشريعي

تنوعت الأحكام التي صدرت عن المحكمة الاتحادية العليا لمعالجة الإغفال التشريعي تبعاً لنوع الحالة التي تعرض عليها، وذلك قبل قرارها الأخير المرقم (161/اتحادية/2021) الصادر بتاريخ 2022/2/21 الذي أرسى معالم الرقابة على حالة الإغفال التشريعي في قضاء المحكمة الاتحادية العليا، وسنتعرض بشيء من التفصيل للأحكام التي أصدرتها المحكمة الاتحادية بهذا الصدد وعلى النحو التالي:

أولاً: أحكام المحكمة الاتحادية العليا الكاشفة للإغفال التشريعي

سبق و أن تطرقنا الى الأحكام الكاشفة باعتبارها من الوسائل القضائية لمعالجة الإغفال التشريعي، وفيها ينحصر دور قاضي الدستورية على الكشف عن حالة الإغفال التشريعي فقط دون أن يتعداها الى ابعد من ذلك، ويؤخذ على هذا النوع من المعالجة بأنه غير فعال عملياً على اعتبار أن دور القاضي الدستوري مقيد ويقتصر على الكشف عن حالة الإغفال التشريعي دون أن يمتد حكمه الى الحكم بعدم الدستورية للتشريع محل الرقابة.

وعند النظر الى أحكام المحكمة الاتحادية العليا وتدقيقها يتضح لنا أنها قد تبنت هذا النوع من المعالجة القضائية في جانب من أحكامها والتي تندرج تحت توصيف الأحكام الكاشفة للإغفال التشريعي على اعتبار أن المحكمة الاتحادية اكتفت فيها بالكشف عن وجود الإغفال التشريعي في النص أو القانون الطعين ولم تبادر الى معالجته من خلال الحكم بعدم الدستورية أو توجيه توصية ملزمة للمشرع بضرورة تلافي ما يشوب النص محل الرقابة من نقص أو قصور، ومن القرارات التي صدرت عنها في هذا المجال قرارها الصادر بتاريخ 2012/5/20 فيما يتعلق بإغفال المشرع تنظيم قانون لإدارة الأوقاف يراعى فيه آراء المدارس الإسلامية كافة فيما يتعلق بشؤون الوقف وجاء في حيثيات القرار (.... وتجد المحكمة الاتحادية العليا بأن المادة (43) والتي نصت في (أولاً) منها على: اتباع كل دين أو مذهب أحرار في: أ- ممارسة الشعائر الدينية بما فيها الشعائر الحسينية. ب- إدارة الأوقاف وشؤونها ومؤسساتها الدينية وينظم ذلك بقانون، وحيث أن المشرع في المادة (43/أولاً/ب) قد علق على كيفية إدارة الأوقاف وشؤونها ومؤسساتها الدينية على تشريع قانون يأخذ بنظر الاعتبار آراء كافة المدارس الإسلامية في شؤون الوقف، وان القانون المذكور لم يشرع لحد الآن فتكون الدعوى بالطعن قد أقيمت قبل أوانها ولم تكن مؤسسة على قانون....)(**الشاوي، 2020**: **426**).

ومن تحليل النص السابق نجد أن المحكمة الاتحادية قد أشارت الى الإغفال التشريعي ضمنياً وبشكل غير مباشر في معرض نظرها في عدم دستورية المادة (4) من قانون الأوقاف رقم (64) لسنة 1966 المعدل، حيث اهتدت المحكمة الاتحادية الى حالة إغفال المشرع تنظيم قانون ينظم إدارة الأوقاف وشؤون مؤسساتها الدينية بما يتلائم مع مضمون المادة (43/أولاً/ب) من دستور 2005 التي عهدت بمسؤولية تنظيم هذا القانون الى البرلمان على اعتبار أن القانون السابق لم يأخذ بنظر الاعتبار آراء المدارس الإسلامية كافة كما أن بعض أحكامه تتعارض مع المذهب الجعفري ولم يبادر البرلمان الى تنظيم هذا القانون على الرغم من مرور مدة كافية على نفاذ دستور 2005، واكتفت المحكمة بالكشف عن حالة الإغفال التشريعي دون أن توجه توصية ملزمة أو نداء الى المشرع لمعالجة هذا الإغفال بالرغم من وجود نص دستوري يلزم المشرع بتنظيم القانون.

ومن قرارات المحكمة الاتحادية في إطار الكشف عن الإغفال التشريعي قرارها المتعلق بالطعن بعدم دستورية إجراءات انتخاب نواب رئيس الجمهورية لأنه جاء (بسلة واحدة) ولم يسمح رئيس مجلس النواب أن تكون عملية الانتخابات بشكل فردي وهو ما يخالف قانون نواب رئيس الجمهورية رقم (1) لسنة 2010 ويخالف المواد (1-55-70-76) من الدستور وفضلاً عن أن المحكمة الاتحادية قد ردت الطعن في قرارها المؤرخ 2011/8/22 لكنها في الوقت ذاته كشفت عن القصور والنقص في قانون انتخاب نواب رئيس الجمهورية رقم (1) لعام 2012 كونه قد أغفل النص على طريقة انتخاب نواب رئيس الجمهورية وكذلك آلية الانتخاب وقد جاء في نص قرارها (.... وحيث أن المواد الدستورية التي أشار إليها وكيل المدعي لا علاقة لها بكيفية انتخاب نواب رئيس الجمهورية، مما تقدم تجد المحكمة الاتحادية العليا أن الدستور وقانون نواب رئيس الجمهورية لم يحددا كيفية انتخاب نواب رئيس الجمهورية ولا آلية الانتخاب، وان انتخاب مجلس النواب، نواب رئيس الجمهورية الثلاثة المرشحين من قبل رئيس الجمهورية مرة واحدة (سلة واحدة) كان على توافق المكونات والقوى السياسية الممثلة في مجلس النواب، وان انتخابهم مرة واحدة لا يخالف الدستور كما لا يخالف قانون نواب رئيس الجمهورية المشار إليه، لذلك تكون دعوى المدعي غير مستندة على سند من القانون قرر الحكم برد دعوى المدعي...)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2011**).

وما يعيب القرار آنفاً أن المحكمة لم تحكم بعدم دستورية قانون انتخاب نواب رئيس الجمهورية لما يعتريه من قصور ونقص في التنظيم مسببة ذلك بأن الانتخاب مرة واحدة قد حصل بناء على التوافقات بين القوى والمكونات السياسية التي تحظى بتمثيل نيابي في البرلمان وهي سابقة قانونية خطيرة حيث لم يعرف القضاء يوماً أن توافق الكتل السياسية يكون مكملاً للتشريعات التي يشوبها النقص أو القصور.

ثانياً: معالجة المحكمة الاتحادية العليا للإغفال التشريعي بالأحكام الأيعازية:

ذكرنا في سابقة البحث أن المشرع قد يمتنع عن معالجة الإغفال التشريعي الذي تكشفه المحكمة الاتحادية العليا عن طريق ما يصدر عنها من أحكام كاشفة، وبغية معالجة ذلك استخدمت المحكمة الاتحادية الأسلوب الندائي أو الإيعازي لحمل المشرع على تنفيذ إحكامها فيما يتعلق بالإغفال التشريعي ومعالجته، ولهذه الأحكام صوراً عدة فمنها ما يكون بصيغة النصيحة أو الإرشاد أو نداء أو توجيه للمشرع بغية تدخله لمعالجة ما كشفت عنه المحكمة الاتحادية من إغفال تشريعي، وهو المسلك الذي سارت عليه المحكمة الاتحادية

العليا في رقابتها على حالات الإغفال التشريعي حيث لم تقف عند حد الكشف عن الإغفال التشريعي بل بدأت بتوجيه توصيات ونداءات للمشرع في قرارتها لحمله على التدخل ومعالجة الإغفال التشريعي، والجدير بالذكر أن المحكمة الاتحادية في مسلكها هذا قد تأثرت بالتجارب القضائية في كل من إيطاليا وألمانيا وإسبانيا في ما يتعلق بالإغفال التشريعي.

ومن قرارتها في هذا المجال قرارها المرقم (10/اتحادية/2009) في 2009/5/25 الذي أوعز الى لجنة التعديلات الدستورية بضرورة تدارك ما أغفله كاتب المشرع الدستوري من حكم يحدد طريقة انتخاب رئيس مجلس النواب أو أحد نائبيه في حالة شغول المنصب، ومن قرارتها الأيعازية قرارها المرقم (6/اتحادية/2010) بتاريخ 2010/3/3 الذي وجهت فيه المحكمة البرلمان لإصدار قانون ينظم (كوتا) الأقليات من مكونات الشعب العراقي(**الموسوي، 2011: 2**).

وفي قرار آخر للمحكمة الاتحادية العليا صدر بتاريخ 2011/11/21 عندما طعن أمامها بعدم دستورية الشطر الأخير من المادة (34/ثانياً) من قانون الأحوال الشخصية المرقم (188) لسنة 1959 النافذ والتي نصت على أن (لا يعتد بالوكالة في إجراءات البحث الاجتماعي والتحكيم وفي إيقاع الطلاق) مطالبة بإلغاء الشق الأخير منها (وفي إيقاع الطلاق) على اعتبار أن بعض المدارس الإسلامية تبيح الطلاق بالوكالة، بالتالي فأن الشطر الأخير من هذه المادة الذي يمنع أيقاع الطلاق بالوكالة يكون مخالفاً للمادة (41) من دستور 2005 التي نصت على أن (العراقيون أحرار في الالتزام بأحوالهم الشخصية حسب دياناتهم ومذاهبهم ومعتقداتهم واختيارهم وينظم ذلك بقانون)، وبالرغم من أن المحكمة الاتحادية قد ردت الدعوى ألا أن حكمها تضمن توجيهاً الى السلطة التشريعية بضرورة مراعاة ودراسة الآراء الفقهية لجميع المدارس الإسلامية عند تشريع قانون للأحوال الشخصية إعمالاً لنص المادة (41) من دستور 2005(**المحكمة الاتحادية العليا، 2010**).

ومن الجدير بالذكر أن التوجيهات أو النداءات التي تصدرها المحكمة الاتحادية العليا للمشرع معرضة لأن تبقى حبيسة أدراج المشرع ولمدة طويلة من الزمن على اعتبار أن للمشرع الحرية في تقدير الوقت المناسب للتدخل بالتشريع أو المعالجة لحالات الإغفال التشريعي التي كشفت عنها المحكمة الاتحادية الأمر الذي من شأنه أن يجعل من أحكام المحكمة الاتحادية مجرد حبراً على ورق وليس لها وجود على الواقع وكان حرياً

بالمحكمة الاتحادية تبني فكرة (المدة المعقولة) في أحكامها بغية حمل المشرع على التدخل خلال تلك المدة لمعالجة الإغفال التشريعي كما هو الحال بالنسبة للمحكمة الدستورية الإيطالية والألمانية والإسبانية التي اعتبرت أن مدة (أربعة سنوات) هي مدة معقولة وكافية لمعالجة الإغفال التشريعي من قبل المشرع.

ثالثاً: الحكم بعدم دستورية النص المشوب بالإغفال التشريعي في قضاء المحكمة الاتحادية العليا:

يندرج هذا النوع من الأحكام تحت مسمى المعالجة الفردية التي ينفرد بها القاضي الدستوري دون الرجوع للمشرع أو توجيه إخطار أو إيعاز له لتدخله ومعالجة الإغفال التشريعي، وفي هذا النوع من الأحكام يعمد القاضي الدستوري الى إعلان عدم دستورية النص أو التشريع محل الرقابة ويطلق على هذا النوع من الأحكام تسمية (الأحكام الاستئصالية) وهو ما يشير الى أن تلك الأحكام تقوم باستئصال النص الطعين الذي ينطوي على مخالفة دستورية من خلال إلغائه وفي هذه الحالة يكون محل الرقابة الجزء الظاهري من النص وما لم يتضمنه (أو أغفل عنه المشرع) بما يجعل النص غير دستوري بوجود حالة الإغفال فيعمد القضاء الى إلغاء الجزء الذي ينطوي على الإغفال بالتالي يكون إلغاء النص جزئياً(**الشيمي، 2003: 158**).

وقد سلكت المحكمة الاتحادية العليا مسلك المعالجة الفردية للإغفال التشريعي وذلك بتبنيها للأحكام التي تقضي بعدم دستورية النص المتضمن للقصور أو النقص في التنظيم أو ما يتضمنه من إغفال تشريعي يخالف سمو الدستور الشكلي أو الموضوعي، ومن قرارتها في هذا المجال قرارها المرقم (99/107/اتحادية/2015) في 2016/6/27 الذي قضى بعدم دستورية المواد (7/أولاً/ثانياً/رابعاً) و (8/أولاً/ثانياً) و(11) و(21/أولاً) و(22) و(26/رابعاً) من قانون شبكة الإعلام العراقي رقم (26) لسنة 2015 كونه ينطوي على إغفال لقواعد سن التشريعات الشكلية والموضوعية منها والتي أقرها الدستور، حيث أعطى القانون آنفاً صلاحية لمجلس الأمناء لاستحداث التشكيلات حسب تقديره وهو ما يزيد من الأعباء المالية، كما و أجاز القانون تقديم موازنة الشبكة الى البرلمان مباشرة دون المرور بمجلس الوزراء وهو ما يخالف الدستور، كما خول القانون الشبكة بتوفير التراخيص والترددات البثية اللازمة لعمل الشبكة مجاناً، دون أن تخضع لمراجعة الأداء من قبل هيئة الإعلام والاتصالات العراقية بما يؤدي الى حرمان الموازنة العامة من الموارد المالية للترددات بشكل مخالف للدستور وجاء في مضمون القرار (.... أن مجلس النواب قد غير فعلاً بعض النصوص التي نشأ عنها زيادة الأعباء المالية على الحكومة ومنها زيادة أعضاء مجلس الأمناء من (6) الى (9) وإلى

استحداث لجنة للرقابة المالية كما هو الأمر في المادتين (7-8) من القانون وترك الباب مفتوحاً لمجلس الأمناء في المادة (7/رابعاً) لإحداث تشكيلات أخرى حسب رأيه مما يجعل الأمر واضحاً في زيادة الأعباء المالية، كما أن مجلس النواب قد جعل الشبكة تتقدم بموازنتها الى مجلس النواب مباشرة دون المرور بمجلس الوزراء وذلك في المادة (21/أولاً) من القانون وخلافاً للدستور.....)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2015**).

وفي قرار آخر لها قضت المحكمة الاتحادية العليا بعدم دستورية المادتين (11/أولاً) و(12/رابعاً) من تعليمات كشف الذمة المالية رقم (2) لسنة 2017 التي أصدرها رئيس مجلس الوزراء تسهيلاً لتنفيذ قانون هيئة النزاهة رقم (30) لسنة 2011 لإغفالها قواعد توزيع الاختصاص وتجاوز السلطة التنفيذية لصلاحياتها التي تنحصر بإصدار القرارات التنفيذية والأنظمة والتعليمات الى إصدار تعليمات تتضمن فقرات تشريعية وأحكاماً لم ترد في القانون ذاته حينما أجازت وقف صرف راتب ومخصصات من لم يقدم استمارة الكشف عن الذمة المالية خلافاً لاختصاصاته(**المحكمة الاتحادية العليا، 2017**).

ومن اهم قرارات المحكمة الاتحادية العليا فيما يتعلق بالحقوق والحريات الأساسية وإلغاء التشريعات التي تنتقص منها قرارها المرقم (57/اتحادية/إعلام/2017) في 2017/8/3 والذي مارست فيه المحكمة الاتحادية العليا دورها الرقابي على التشريعات الصادرة قبل نفاذ دستور 2005 والتي لا تزال نافذة استناداً لأحكام المادة (130) من دستور 2005، حيث قضت المحكمة بعدم دستورية قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) المرقم (120) لسنة 1994 والذي صدر في ظل دستور 1970 المؤقت لإغفاله جملة من المبادئ الدستورية بالشكل الذي ينتقص من الحقوق والحريات الأساسية، وفحوى هذه القضية بأنه (سبق و أن تم الطعن بدستورية قرار مجلس قيادة الثورة آنفاً المتضمن لأحكام جزائية قاسية تتمثل بمنع اطلاق سراح المحكوم عن جريمة اختلاس أو سرقة أموال الدولة أو عن جريمة عمدية أخرى تقع عليها بعد قضائه مدة الحكم ما لم تسترد منه هذه الأموال أو ما تحولت إليه أو بدلت به فضلاً عن استثناء المحكوم بموجب هذا القرار من الإفراج الشرطي وقوانين العفو وهو ما يعني جعل عقوبة السجن مؤبدة ما لم تسترد من المحكوم هذه الأموال، واستند الطاعن في طعنه الى جملة من الأسانيد منها مخالفة القرار للشرع الحنيف والدستور العراقي ولقواعد العدالة ومبادئ حقوق الإنسان والمواثيق الدولية كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، فضلاً عن تعارض هذا القرار مع قانون التضمين رقم

(31) لسنة 2015 والشريعة الإسلامية –قاعدة نظرة الى ميسرة–) وجاء في مضمون القرار (.... وتجد المحكمة الاتحادية العليا أن استحصال هذه المؤسسة ديونها حق كفله القانون لها واستحصال هذا الحق يلزم أن يتم وفق الإجراءات المرسومة في القوانين وليس بالتنفيذ على بدن المدين وبالقدر الذي يؤمن التضييق عليه لإظهار أمواله وللمدة التي حددها القانون الى ما لا نهاية.... والقول بغير ذلك وإبقاء المدين موقوفاً أو سجيناً بدون حدود إذا كان معسراً ولم تستطع الدولة بما لها من إمكانات للكشف عن أمواله والحصول على حقوقها منه بالأساليب القانونية واللجوء الى تطبيق أحكام القرار رقم (120) لسنة 1994 بإبقائه سجيناً دون تحديد مدة سجنه فإن ذلك يتعارض مع المبادئ التي أوردها الدستور في الفصل الثاني من الباب الثاني المتعلق بالحريات المواد (37–46) ومنها ما نصت عليه المادة (37/أولاً) (حرية الإنسان وكرامته مصونة) وما نصت عليه الفقرة (ج) من المادة نفسها بتحريم جميع أنواع التعذيب النفسي والجسدي، وكذا حرمته المادة (46) منه بعدم جواز تقييد الحقوق والحريات الواردة فيه، فأن سن مثل هذا القانون أو وجوده أصلاً يشكل خرقاً لأحكام الدستور ويقتضي الأمر الحكم بعدم دستوريته، و إن ذلك ينطبق على قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) رقم (120) لسنة 1994 الذي يبقي المدين المعسر والذي أنهى مدة محكوميته الجزائية رهين الحبس دون نهاية فإنه يشكل تعارضاً مع الحقوق والحريات الأساسية الواردة في المواد المشار إليها في أعلاه...)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2017**).

وعند استقراء قرار المحكمة الاتحادية العليا آنف الذكر نجد أن المحكمة قد بسطت رقابتها على حالات الإغفال التشريعي على التشريعات التي صدرت في ظل الدساتير السابقة لدستور 2005 والتي لا تزال نافذة بموجب أحكام المادة 130 من دستور 2005 ولم تقتصر رقابتها على التشريعات الصادرة في ظل دستور 2005 وهو مسلك محمود طالما كانت تلك التشريعات سارية المفعول في ظل دستور 2005.

رابعاً: أحكام المحكمة الاتحادية العليا المضيفة أو المعالجة للإغفال التشريعي

قد يعمد القاضي الدستوري الى استخدام اختصاصه التفسيري في معرض رقابته ومعالجته لحالات الإغفال التشريعي فيعمل على تفسير النص الطعين المتضمن للإغفال التشريعي أو النقص في التنظيم على أن يكمل النص بما أغفله المشرع مما يجعله متطابقاً مع الدستور بغية إبعاد النص من دائرة عدم الدستورية قدر المستطاع، أما المحكمة الاتحادية العليا فليس من صلاحياتها تفسير القوانين وإنما تختص بتفسير النصوص الدستورية على

اعتبار أن تفسير النصوص التشريعية هو من اختصاص مجلس الدولة(**الشاوي، 2020: 457**) الأمر الذي أكدته المحكمة الاتحادية في قرار لها بقولها (... حيث أن إعطاء الرأي يعود الى الجهة التي حدد القانون اختصاصها في هذا المجال، إذ إن اختصاص المحكمة الاتحادية العليا هو تفسير نصوص الدستور وليس تفسير القانون...)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2017**).

ألا أن ذلك لم يحول دون مباشرة المحكمة الاتحادية بتفسير القوانين وذلك في معرض ممارستها لاختصاصها الرئيسي بالرقابة على دستورية القوانين، على اعتبار أن عملية فحص التطابق بين النص التشريعي والنصوص الدستورية تستلزم قيام المحكمة بتفسير الدستور بوصفه اختصاصها الأصلي وتفسير القانون أو النص محل الرقابة سواء تم أحالته من أحد المحاكم أو طعن به بشكل مباشر بموجب دعوى أصلية(**الشاوي، 2020: 458**) ، ومن القرارات التي تشير الى مباشرة المحكمة الاتحادية لاختصاص تفسير القوانين العادية قرارها سابق الذكر المرقم (13/اتحادية/2007) في 2007/7/31 الذي عالج الإغفال الذي أصاب القانون الخاص بتنظيم عملية انتخاب مجالس المحافظات كونه أغفل الإشارة الى حصة (كوتا) النساء حيث ذكر القرار آنفاً (الكوتا) النسائية في هذا التشريع بما يتلائم مع غاية الدستور وموقفه الإيجابي فيما يتعلق بمشاركة المرأة في الحياة السياسية حيث أوجد حكماً يعتبر بمثابة المكمل للتشريعات التي تنظم الانتخابات، ومن قراراتها أيضاً قرارها المرقم (9/اتحادية/2009) في 2009/2/5 الذي عالج الفراغ التشريعي الذي سببه إغفال المشرع عن تنظيم أحكام خلو منصب رئيس مجلس النواب خلال دورة انعقاده، حيث لم يتضمن النظام الداخلي لمجلس النواب أي نص يعالج هذا الفراغ التشريعي، والحال ذاته في قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم (27/اتحادية/2009) في 2009/8/11 الذي عالج النقص الذي تسبب به إغفال المشرع لتعريف (الأغلبية البرلمانية المطلوبة للتصويت على رفع الحصانة)(**الموسوي، 2011: 2**).

ومن قرارتها المهمة قرارها المرقم (17/اتحادية/إعلام/2015) في 2015/4/14 المتعلق برد الطعن بعدم دستورية الفقرة (2) من المادة (الثانية) من قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (6) لسنة 2006 كونها خالفت أحكام المادة (49/أولاً) من دستور 2005 ولتعارضها مع قانون انتخابات مجلس النواب رقم (45) لسنة 2013، وذلك لوجود قصور في عملية توزيع المقاعد على المرشحين الفائزين في الانتخابات الأمر الذي تسبب بالمساس بحقوق المرشحين والناخبين وخصوصاً حقوق الطاعنين بدستورية هذه القوانين،

حيث عملت المحكمة على تفسير القانونيَن بشكل محايد تجنباً للحكم بعدم دستورية احدهما وجاء في مضمون قرارها (... وتجد المحكمة الاتحادية العليا إمكانية الاسترشاد بأحكام قانون انتخابات أعضاء مجلس النواب عند تطبيق أحكام قانون استبدال الأعضاء إذا كان هذا القانون خالٍ من معالجة حالة من الحالات، وبناءً عليه فأن الفقرة (2) من المادة (الثانية) من قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (6) لسنة 2006 لا تخالف أحكام الدستور، لذا قررت المحكمة رد الدعوى...)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2015**).

والملاحظ عند استقراء قرارات المحكمة الاتحادية العليا أنها تباينت في سلوكها المتبع في مثل هذا النوع من المعالجة، فنراها تعمل بالاختصاص التفسيري في أوسع نطاقه الى الحد الذي يصل الى إكمال ما يشوب التشريعات من فراغ أو نقص أو قصور، بينما تمتنع في غير مرة عن تفسير النصوص العادية على اعتبار أن اختصاصها الأصيل هو تفسير النصوص الدستورية فقط.

وعند التدقيق في سلوك المحكمة الاتحادية العليا فيما يتعلق بمعالجة الإغفال التشريعي نلاحظ أن طرق المعالجة كانت متذبذبة ومتنوعة تبعاً للحالة محل الرقابة، ألا أن المحكمة الاتحادية العليا وفي قرارها المرقم (161/اتحادية/2021) الصادر بتاريخ 2022/2/21 قد حسمت موقفها من الإغفال التشريعي وطرق معالجته وذلك في أهم قرار لها في هذا الشأن حيث جاء في مضمون القرار آنفاً (... من خلال التدقيق والمداولة وجد أن دعوى المدعي تتعلق بموضوع الإغفال أو النقص التشريعي وإن الإغفال التشريعي يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسلطة التشريعية لأن مخالفة السلطة التشريعية للدستور يمكن أن يحدث من خلال تشريع القوانين المخالفة لأحكام الدستور أو من خلال امتناع المشرع عن ممارسة هذا الاختصاص، وقد يكون هذا الخلل (الامتناع) متعمداً من جانب المشرع لغايات وبواعث محددة أو يكون بسبب عدم إمكانية التنبؤ بالمستقبل فيأتي النص قاصراً عن تلبية مستجدات الحياة، وترى هذه المحكمة أن الإغفال التشريعي الذي يكون محلاً لرقابة المحكمة الاتحادية العليا هو ما يترتب عليه مساس بحق أو ضمانة قررها الدستور كحق الفرد في الحياة والأمن والحرية وحق التقاضي وضمان المساواة وتكافؤ الفرص وغيرها من الحقوق والحريات التي نص عليها الدستور وكفلها، فهنا يقع على عاتق المشرع تنظيم تلك الحقوق والحريات بشكل متكامل كي يضمن كفالتها وضمان ممارستها وعدم الانتقاص منها أو تقييدها وبخلاف ذلك تبرز أهمية المعالجة القضائية الدستورية باعتبار أن القضاء الدستوري هو المسؤول عن الزام السلطات باحترام أحكام الدستور ويكون

ذلك أما بالإشارة الى مواطن الإغفال أو القصور في التشريع محل الطعن وإشعار السلطة التشريعية بذلك بغية معالجته باعتبارها صاحبة الاختصاص الأصيل في التشريع أو توجيه توصية ملزمة الى المشرع لتلافي ذلك الإغفال. ..... يقوم القضاء الدستوري باستعمال وسائل التفسير للنص أو النصوص الحاكمة للموضوع دون أن يلجأ الى الوسائل القضائية لمعالجة الإغفال أو النقص التشريعي)(**المحكمة الاتحادية العليا، 2021**) ، حيث عمدت من خلال هذا القرار الى تعريف الإغفال التشريعي الذي يخضع لرقابتها وبينت حدوده ونوهت الى أن السلطة التشريعية يمكن أن تخالف الدستور من خلال سلوكها الإيجابي أو السلبي، وأشارت بشكل غير مباشر الى الأساس القانوني لرقابتها على الإغفال التشريعي وهو حماية الحقوق والحريات التي نص عليها الدستور بالدرجة الأساس وكذلك مسؤولية الزام السلطات باحترام أحكام الدستور حيث عدت ذلك من مسؤوليتها، في حين تطرقت الى المعالجة القضائية الدستورية لحالات الإغفال التشريعي حيث تبنت أسلوبين لمعالجة الإغفال التشريعي **الأول: الأحكام الكاشفة:** من خلال كشف حالات الإغفال أو القصور التشريعي وأشعار السلطة التشريعية بذلك بغية معالجتها كونها صاحبة الاختصاص الأصيل في التشريع، أما الأسلوب **الثاني: الأحكام الأيعازية** وذلك بتوجيه توصية ملزمة الى المشرع لتلافي ذلك الإغفال، **ثالثاً: استعمال وسائل التفسير للنص** أو النصوص الحاكمة للموضوع دون اللجوء الى الوسائل القضائية لمعالجة الإغفال أو النقص ويتم اللجوء الى هذا التفسير في حالة وجود غموض في النص أو لاضطراب صياغته أو لتبعثر النصوص التي تعالج موضوع معين، والملاحظ أن المحكمة حددت طرق المعالجة بما تم ذكره سابقاً، وهو ما يعطي للمشرع حرية مطلقة في التعامل مع حالات الإغفال التشريعي الأمر الذي يجعل من أحكام المحكمة الاتحادية العليا فيما يتعلق بالإغفال مرهونة بإرادة المشرع الذي لم يسبق له وان استجاب الى توصيات المحكمة الاتحادية العليا ومن مصاديق قرارها الأخير المتعلق بالإغفال التشريعي وطرق معالجته التي تبنتها المحكمة الاتحادية العليا ما جاء في الفقرة الثانية من قرارها المرقم (49 وموحدتها 83/اتحادية/2022) في 2022/9/21 والتي أشارت فيها الى الإغفال التشريعي في قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم (30) لسنة 2011 المعدل بالقانون رقم (30) لسنة 2019 والذي أغفل ذكر مصطلح (المال العام) في متن القانون ألا ضمن الأسباب الموجبة وجاء في مضمون القرار (.... وهذا يدل على عدم وضوح رؤية المشرع في ذلك وكان المقتضى من المشرع العراقي توسيع قاعدة الحماية لجميع الأموال العامة التي تخصص للمنفعة العامة، و أن عدم إيجاد السبل الكفيلة للحفاظ على المال العام الذي يمثل في حقيقته ملك لجميع

أبناء الشعب من قبل الجهات المكلفة قانوناً بذلك يمثل خرقاً لأحكام المادة (27/أولاً) من الدستور، كما أن عدم تحقيق ذلك يؤدي الى غياب العدالة الاجتماعية بسبب عدم حصول الشعب على حقوقهم من ثروة شعبهم....) والملاحظ على مضمون القرار أنه كاشف للإغفال التشريعي و أن القاضي الدستوري اكتفى بالكشف عن الإغفال دون أن يوجه إيعازاً الى السلطة التشريعية للتدخل ومعالجة هذا الإغفال، وكان جديراً بالمحكمة أن تتبنى فكرة (المدة المعقولة) لمعالجة الإغفال التشريعي كي تضع المشرع في موقف محرج فيما لو امتنع عن معالجة الإغفال التشريعي خلال المدة التي منحه إياها قاضي الدستورية.

خاتمة:

ختاماً وبعد البحث الموضوعي المعمق لظاهرة الإغفال التشريعي من حيث المفهوم وطرق المعالجة القضائية، و استجلاء سياسة المحكمة الاتحادية العليا في معالجة الإغفال التشريعي توصلنا الى النتائج و التوصيات الآتية:

أولاً: النتائج (Results)

1- توصلنا الى أن حالة الإغفال التشريعي يمكن تعريفها بأنها: **إغفال المشرع–سواء أكان سهواً أو عمداً أو لعدم الدقة في صياغة النص– نصاً قانونياً أو مفردة أثناء تنظيمه لموضوع أو حق معين يؤدي الى تقييد أو الحد من أثر الموضوع أو الحق محل التنظيم مما يترتب عليه مخالفة دستورية.**

2- أن سياسة المحكمة الاتحادية العليا في معالجة الإغفال التشريعي اتسمت بالتنوع في طرق المعالجة حيث تبنت المعالجة بالأحكام الكاشفة والأحكام الأيعازية و الحكم بعدم الدستورية و الأحكام المضيفة أو المعالجة.

3- سياسة المحكمة الاتحادية في معالجة الإغفال التشريعي لم تكن فاعلة في مواجهة المشرع الذي لم يستجب لنداءات المحكمة الاتحادية بضرورة تعديل التشريعات المشوبة بالإغفال التشريعي.

4- المحكمة الاتحادية العليا مارست رقابة الإغفال التشريعي دون أي تخويل قانوني أو دستوري، حيث استندت في رقابتها الى مبدأ سمو الدستور وحمايته وكذلك صيانة الحقوق و الحريات العامة، وذلك

نتيجة للآثار السلبية التي يخلفها الإغفال التشريعي على مبدأ سمو الدستور و الحقوق والحريات العامة.

5- المحكمة الاتحادية العليا أشارت الى حالة الإغفال التشريعي صراحة في قرارها المرقم (161/اتحادية/2021) الصادر بتاريخ 2022/2/21 و قد بينت فيه حدود رقابتها بشكل صريح أذ تبنت الأحكام الكاشفة و الأيعازية فقط لمعالجة هذا العوار الدستوري.

6- من ابرز أسباب تفشي حالة الإغفال في التشريعات هو التكوين النوعي لنواب البرلمان وضعف بل انعدام الثقافة التشريعية لديهم، وافتقارهم للمعرفة بأسس الصياغة التشريعية.

ثانياً: التوصيات (Recommendations):

1- نتيجة للآثار السلبية التي يخلفها الإغفال التشريعي على الحقوق والحريات العامة ومبدأ سمو الدستور، يجب على السلطة التشريعية وضع الأساس القانوني لرقابة الإغفال التشريعي من خلال تعديل قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 30 لسنة 2005 وتضمينه اختصاص المحكمة الاتحادية العليا بالرقابة على حالة الإغفال التشريعي.

2- نهيب بالسلطة التشريعية العمل على تعديل شروط الترشح لمجلس النواب على أن يكون الحد الأدنى للتحصيل الدراسي للمرشح هو شهادة الماجستير.

3- الاكتفاء بالأحكام الكاشفة و الأيعازية في معالجة الإغفال التشريعي أسلوب غير مجدي، لذا ندعو المحكمة الاتحادية العليا الى تبني فكرة (المدة المعقولة) للضغط على المشرع وحمله على معالجة التشريع المشوب بالإغفال التشريعي ولا يحكم بعدم دستوريته بعد انتهاء المدة المعقولة.

4- ندعو السلطة التشريعية لتطوير مهارات الصياغة التشريعية لدى أعضاء البرلمان من خلال دورات مكثفة يحاضر فيها مختصين في الصياغة التشريعية.

المصادر والمراجع:

اولاً: الكتب القانونية:

احمد فتحي سرور، 1999 الحماية الدستورية للحقوق والحريات، دار الشروق، الطبعة الأولى.

بوكرا ادريس، 2003، الوجيز في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، دار الكتب الحديث.

جعفر عبد السادة بهير الدراجي، 2008، التوازن بين السلطة والحرية في الأنظمة الدستورية، دار الحامد، الطبعة الأولى.

جواهر عادل العبد الرحمن، 2016، الرقابة الدستورية على الإغفال الشريعي،، القاهرة، دار النهضة العربية.

رجب محمود طاجن، 2014، المطابقة الدستورية المشروطة، دار النهضة العربية.

رعد ناجي الجدة، 2004، التطورات الدستورية في العراق، بيت الحكمة، بغداد.

رمزي الشاعر، 2003، القضاء الدستوري في مملكة البحرين، بدون دار نشر.

سرى حارث عبدالكريم الشاوي، 2020، آثار الإغفال التشريعي ورقابة المحكمة الاتحادية العليا، المركز العربي للنشر والتوزيع.

عبد العزيز محمد سالمان، 1995، رقابة دستورية القوانين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.

عبد المجيد إبراهيم سليم، 2010، السلطة التقديرية للمشرع، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة،.

عبدالحفيظ علي الشيمي، 2003، رقابة الإغفال التشريعي في قضاء المحكمة الدستورية العليا، القاهرة، دار النهضة العربية،.

عبدالقادر الشيخلي، فن الصياغة القانونية تشريعاً وفقهاً وقضائاً، 1995، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.

عزاوي عبد الرحمن، 2009، ضوابط توزيع الاختصاص بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، الجزء الأول، دار الغرب للنشر والتوزيع.

علي هادي عطية الهلالي، 2011، النظرية العامة في تفسير الدستور واتجاهات المحكمة الاتحادية العليا في تفسير الدستور العراقي، مكتبة السنهوري، الطبعة الأولى.

علي يوسف الشكري،2016، المحكمة الاتحادية العليا في العراق بين عهدين، بغداد، الذاكرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
عمار رحيم الكناني، 2021 المحكمة الاتحادية العليا ودورها في بناء دولة المؤسسات، بغداد، مكتبة القانون المقارن، الطبعة الأولى.
عوض المر، الرقابة القضائية على دستورية القوانين في ملامحها الرئيسية، مركز رينيه- جان دبوي للقانون و التنمية.
عيد احمد الغفلول، 2003، فكرة عدم الاختصاص السلبي للمشرع، القاهرة، دار النهضة العربية.
غازي فيصل مهدي، المحكمة الاتحادية العليا ودورها في ضمان مبدأ المشروعية، موسوعة القوانين العراقية، الطبعة الأولى.
فرحان درويش محمد، 2013، اختصاصات المحكمة الاتحادية العليا في العراق، منشورات زين الحقوقية، بيروت.
كمال عبد الواحد الجوهري،1994، القصور التشريعي وسلطة القاضي الجنائي، المركز الأكاديمي الدولي، الطبعة الأولى.
محمد سليمان الطماوي،2006، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دار الفكر العربي.
محمد فوزي النويجي، 2008، التفسير المنشئ للقاضي الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ، الطبعة الأولى.
منذر الشاوي، 2013، تأملات في فلسفة حكم البشر، الذاكرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
مها بهجت يونس الصالحي، 2009، الحكم بعدم دستورية نص تشريعي ودوره في تعزيز دولة القانون، بغداد، بيت الحكمة.
مها بهجت يونس الصالحي، 2008، المحكمة الاتحادية العليا واختصاصها بالرقابة على دستورية القوانين، بيت الحكمة، الطبعة الأولى.
ثانياً: الرسائل و الأطاريح الجامعية
صلاح خلف عبد، 2011، المحكمة الاتحادية العليا في العراق (تشكيلها واختصاصاتها)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين.

كيلالي زهرة، 2013، الإغفال التشريعي والرقابة عليه، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان–، كلية الحقوق والعلوم السياسية.

ثالثاً: البحوث القانونية

حيدر محمد حسن الوزان الأسدي، 2015، الاتجاه الدستوري المتطور في المعالجة القضائية للإغفال التشريعي، بحث منشور في مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الرابع، السنة الرابعة.

سالم روضان الموسوي، دور القضاء الدستوري في معالجة النقص التشريعي، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني لمجلس القضاء الأعلى: **www.iraqja.iq** .

سمير داود سلمان، 2009، الإغفال التشريعي وإمكانية فرض الرقابة القضائية عليه في العراق، بحث منشور، مجلة كلية الحقوق جامعة النهرين، المجلد21، العدد 4، سنة.

سهام صديق، الإغفال التشريعي وسبل معالجته، بحث منشور في مجلة القانون والأعمال، جامعة الحسن الأول، الموقع الإلكتروني **www.droitetentreprise.com** .

عبد العزيز محمد سالمان، رقابة الإغفال في القضاء الدستوري، مجلة الدستورية التي تصدرها المحكمة الدستورية العليا المصرية، العدد 15، السنة الثامنة.

عزاوي عبد الرحمن، 2010، الرقابة على السلوك السلبي للمشرع: الإغفال التشريعي نموذجا، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والإدارية والسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، العدد10.

محمد عماد النجار، 2010، في القضاء بعدم دستورية الإغفال التشريعي "قضاء عدم الدستورية الشرطي"، مجلة "الدستورية" التي تصدرها المحكمة الدستورية العليا المصرية، العدد 17، السنة الثامنة.

رابعاً: الدساتير:

دستور الجمهورية الفرنسية لعام 1958

دستور العراق لعام 2005

دستور جمهورية مصر العربية لسنة 2014

القانون الأساسي العراقي لسنة 1925.

خامساً: القوانين:

قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (6) لسنة 2006.
قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقية رقم 23 لسنة 1971.
قانون الأحوال الشخصية رقم (188) لسنة 1959 المعدل.
قانون الانتخابات رقم (16) لسنة 2005.
قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (30) لسنة 2005.
قانون انتخابات مجالس المحافظات و الأقضية و النواحي رقم (26) لسنة 2008.
قانون انتخابات مجلس النواب رقم (45) لسنة 2013.
سادساً: قرارات المحاكم الدستورية
قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم (49 وموحدتها 83/اتحادية/2022) في 2022/9/21.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في الدعوى المرقمة (17/اتحادية/إعلام/2015) في 2015/4/14.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في الدعوى المرقمة (104/اتحادية/إعلام/2017) في 2017/10/10.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في الدعوى المرقمة (57/اتحادية/أعلام/2017) في 2017/8/3.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في الدعوى المرقمة (55/اتحادية/أعلام/2017) في 2017/6/20.
قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم (107/99/اتحادية/2015) في 2016/6/27.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في القضية المرقمة (20/اتحادية/2012) في 2012/5/20.
قرار المحكمة الاتحادية العليا في القضية المرقمة (42/اتحادية/2011) في 2011/8/22.
قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم (161/اتحادية/2021) في 2022/2/21.
قرار المحكمة الاتحادية العليا، المرقم (10/اتحادية/2009) في 2009/5/26.
قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم (161/اتحادية/2021) في 2022/2/21.
سابعاً: المواقع الإلكترونية :
مجلة القانون و الأعمال الدولية: **www.droitetentreprise.com** .
معجم المعاني الإلكتروني: **www.almaany.com**.
منتدى النخب والكفاءات: Iraqi-forum2014.com
الموقع الإلكتروني لكلية القانون جامعة الكوفة : **www.law.uokufa.edu.iq/staff/hydermhass/file/4h4.docx**
الموقع الإلكتروني للمحكمة الاتحادية العليا العراقية: **www.iraqfsc.iq**.
الموقع الإلكتروني لمجلس القضاء الأعلى: **www.iraqja.iq** .

Legal drafting controls for legislative texts

Dr. NAAR Fatiha

Faculty of Law and Political Science, Mouloud Mammeri University, Tizi-Ouzou (Algeria),
fatihanaar216@gmail.com

Abstract**:**

The legal drafting of legislative texts is the external appearance in which the legislation appears, as any legislation or law consists of two basic elements: content and form, the content is what is included in the legal base of the facts of social life, while the form is the image that the legislator gave to this content until it enters into force, and therefore the legislator has a role in the so-called art of drafting, and for the legal drafting to be at the required level, it must be the product of a clear approach and formulated in a way that makes it possible to achieve the goal of its legislation. Through this research paper, we would like to clarify the basics adopted for the quality of legal drafting, and to highlight the controls for legal drafting of legislative texts.

Keywords: legislative texts, legal drafting, legal controls, legislative authority.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

ضوابط الصياغة القانونية لنصوص التشريعية

د.نعار فتيحة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة مولود معمري – تيزي وزو.
fatihanaar216@gmail.com

ملخص:

تعتبر الصياغة القانونية لنصوص التشريعية المظهر الخارجي الذي يظهر به التشريع، حيث أن أي تشريع أو قانون يتكون من عنصرين أساسيين هما: المحتوى والشكل، فالمحتوى هو الذي تشتمل عليه القاعدة القانونية من وقائع الحياة الاجتماعية، بينما الشكل فهو الصورة التي أعطاها المشرع لهذا المحتوى حتى يدخل حيز التطبيق، وعلية يكون للمشرع دور فيما يسمى بفن الصياغة، ولتكون الصياغة القانونية بالمستوى المطلوب لابد أن تكون نتاجا لمنهج واضح وصياغتها بأسلوب يجعل أمر تحقيق الهدف من تشريعها.

من خلال هذه الورقة البحثية نريد توضيحالاساسيات المعتمدة لجودة الصياغة القانونية، وتسليط الضوء على ضوابط الصياغة القانونية لنصوص التشريعية.

الكلمات المفتاحية: النصوص التشريعية، الصياغة القانونية، الضوابط القانونية ، السلطة التشريعية.

مقدمة:

صياغة القانونية هي عملية كتابة النصوص القانونية بطريقة دقيقة ومنظمة، تهدف إلى التعبير عن القواعد والحقوق والالتزامات بشكل واضح وتشمل النصوص التشريعية والتنظيمية، وبالتالي الصياغة القانونية تحدد كيفية كتابة النصوص القانونية بوضوح ودقة، وتلعب دورا حيويا في نقل المفاهيم القانونية بشكل فعال. فسن القاعدة القانونية تتطلب مراعاة مجموعة من الأسس و المبادئ المنهجية، لضمان جودة النص التشريعي، و عدم مراعاة تلك المبادئ من شأنه التأثير على البنية العامة للنص القانوني، مما قد يجعل القاعدة القانونية أمام تحدي.

ولاشك أن الصياغةَ القانونية هي اللسان الناطق لنص القانوني لذا تحرص الدول في العصر الحديث على توفير متطلبات الصياغة الجيدة لتشريعاتها المختلفة نظرا لقيمة هذه الصياغة ودورها في الارتقاء بمستوى تشريعاتها.

والحقيقة أن الصياغة القانونية تلعب دورا هاما كأداة تهدف إلى الوصول إلى الغرض من التشريع من خلال صياغة تشريعات واضحة ومنسجمة مع الدستور، وغير متعارضة مع القوانين الأخر.

وتسعى الدول في إعطاء لصياغة القانونية أولوية بالنظر لأهمية بكونها أداة من خلالها إيصال للغرض المقصود من القانون المقترح بطريقة يمكن من فهم إرادة المشرع ومعرفة متطلبات القانون من الحقوق والالتزامات، مما يمكن من التنفيذ الأمثل لإحكام القانون ويؤدي إلى علاج الظواهر الاجتماعية او المهنية بآلية قانونية وإبراز هدف المشرع والغاية من التشريع.

وتجدر الإشارة الى أن صياغة النصوص التشريعية لا يعني مجرد وضع نصوص وتصبح قابلة للتطبيق العملي بمجرد صياغتها ، إنما لها مفهوم واسع يتضمن ضوابط الصياغة التشريعية الصحيحة حتى تكون الصياغة القانونية بالمستوى المطلوب لابد أن تكون نتاجا لمنهج واضح وصياغتها بأسلوب يجعل أمر تحقيق الهدف من تشريعها. وعليه فالتساؤل الذي يطرح نفسه: فيما يتمثل الضوابط الصياغة القانونية التي تحكم هذه العملية؟

في سبيل الإجابة على هذا التساؤل لابد من التعرض الى الشروط الصياغة القانونية لنصوص التشريعة (أولا)، ومن ثم تسليط الضوء على طرق الصياغة القانونية لنصوص التشريعة(ثانيا).

أولا: شروط الصياغة القانونية لنصوص التشريعة

تقتضي الصياغة القانونية اتباع جملة من الاجراءت ولابد ان تتوفر الشروط المتطلبة في صنع النص القانوني، الصياغة الجيدة تساعد على فهم السليم لمحتوى النصوص مما يساعد على التحكم في مخاطر التفسيرات والتأويلات المتضاربة وبالتالي الحفاظ على الحقوق وحمايتها وضمان تحقيق العدالة، وبالتالي هنا شروط شخصية لابد أن تتوفر في الشخص (1)، وشروط موضوعية الواجب توافرها في النص التشريعي(2).

1 – شروط الشخصية:

لابد ان تتوفر في الشخص المكلف بالصياغة القانونية لنصوص التشريعية مجموعية من الشرط، وتعتبر هذه الشروط أمرا أساسيا، لابد توافرها في الشخص المكلف بالصياغة لكي تكون هذه الصياغة قانونية وسليمة، وتتمثل هذه الشروط فيمايلي:

- **حسن اخيار الشخص المكلف بالصياغة:** يعتبر حسن اختيار الشخص المكلف بالصياغة الخطوة الأولى في طرق الصياغة القانونية السليمة للنصوص التشريعية، لأن هو الذي هو الذي يعطي الطابع القوة أو الضعفبحسب قدراته، لذا لابد أن يتم اختيار الصائغ بعناية ودقة، وكذا أن يكون له العلم والمعرفة بعلم القانون وملما بفروعة، ومتخصصا في فهم تفاصيل القانون ، و يملك خبرة قانونية واسعة. بالتالي لابد من اختيار الصائغ من بين كبار الخبراء القانونين (خ ج أ. حسن، 2015، صفحة 46).
- **حسن لغة الصائغ:** لابد أن تكون صياغة موفقة للغة العربية، وتكون دقيقة ومحددة، لابد من انتفاد مصطلحات مضبوطة من أجل إعطاء حمولة محددة للنص، وتفادي استعمال المصطلحات العامة وعبارات غامضة ،وبالتالي استعمال مصطلحات دقيقة حتى يكون كل قارئ لذا النص معنيا بمنطوقه ويجد نفسه مخاطبا بأحكامه (ن. عبد الفتاح قشطي، 2022، صفحة 13). لأن لغة القانون تقوم على المباشرة والوضوح بلاحشو، حتى تكون لغة منضبطة لا تنزلق الى مجازات اللغة التي تدل على أكثر من معنى أو تجعل المعنى محتملا، مما يضفى على لغة القانون التزاما (س. العيوني،2012 ، صفحة 210).

تخصص الصائغ: من الضرري أن تكون المكلف بالصياغة القانونية متخصيصا في التشريع المواراد صياغته، لان التخصص له دور في اظهار الصياغة القانونية للتشريع. وبالتالي يستدعي توفير الكفاءات المختصة

بموضوع الحاجة التي تستوجب التنظيم القانوني، والكفاءات ذات الخبرة والمعرفة بالسياسة العامة للدولة في مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى خبراء في علم القانون في فروعه المختلفة. وأيضا لابد أن يكون الصائغ ملما بفحوى موضوع التشريع الذي يقوم بصياغته، لذلك يتم اختيار متخصيصن في مجال القانون الذي يتم سنه، لكي لا يخرج القانون مشوبا بعيوب، وحتي يكون قادرا على وضع المصطلحات العلمية الدقيقة في مكانها الملائم.

2- شروط الموضوعية:

الى جانب الشروط الشخصية هناك شروط موضوعية لابد أن تتوفر حتي تصل صياغة النصوص التشريعية الى مستوى الجودة المطلوبة ، فهذه الشروط تعد من الضوابط الصياغة القانونية للنصوص التشريعية، ويمكن اجمالها فيما يلي:

- **مبدأ الحاجة:** لصياغة أي نص تشريعي لابد من وجود اقتراح لصياغة نص قانوني جديد، أو تعديل نص موجود، ولكن يجب على الصائغ البحث في مدى ضرورة سن هذا القانون، وحاجة المجتمع لمثل ذلك القانون. في الحقيقة مبدأ الضرورة أوالحاجة في سن القانون هو مبدأ نسبي يختلف باختلاف المكان وزمان وباختلاف الأفراد. (ع الهادي.حيدر أدهم، ،2004، صفحة 54) لذلك على المشرع المكلف بصياغة القانون أن لا يقوم بعملية نقل النصوص التشريعية تخص بلدان أخرى، دون النظر الى الضرورة العملية لأدراجهاضمن المنظومة القانونية للدولة (م. براندت ، 2013، صفحة 214).
- **التوافق مع القوانين:** لابد أن تكون الصياغة القانونية للنصوص التشريعية منسجمة مع نطام الدستوري والقانوني للدولة، فالسن النصوص التشريعية تتضمن أحكام قانونية منسجمة و متوفقة مع الدستور ، يفرض مبدأ سمو الدستور، باعتباره القانون الأساسي للدولة ، مطابقة جميع النصوص القانونية. كما يجب أن تكون النصوص المصاغة مطابقة مه أحكام االمعاهدات الدولية. كما يجب أن تكون الصياغة القانونية للنصوص التشريعية منسجمة و مطابقة لأحكام القوانين والأنظمة لأن ضمان الانسجام التشريع والتنظيم من المسائل الهامة التي يجب مراعاتها أثناء اعداد النصوص القانونية مع القرارت التي اصدر من محاكم (الأمانة العامة

للحكومة الجزائرية، 2023). بالإضافة الى ضرورة مطابقة و متوافقة مع الطبيعة الاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وكذا الأعراف السائدة في المجتمع.

الوضوح والدقة: الوضوح والدقة أمران ضروريان في صياغة التشريعات. يجب أن تكون اللغة واضحة ومباشرة، وتجنب المصطلحات والعبارات المعقدة التي يمكن أن تؤدي الغموض إلى سوء التفسير والتحديات القانونية. فمن الضروري أن تكون الصياغة القانونية للتشريع واضحة، لأن غموض المعاني يودي الى مشاكل عند التطبيق وتنفيذ للنص التشريعي.بالاضافة الى أن الأفراد لا يمكن لهم الاطلاع على القانون الغامض أو غير الواضح بالنسبة لهم. تعد الجملة القانونية الأساس الذي ينبني عليه النص التشريعي ، فحسن كتابة الجملة القانونية يؤدي الى حسن صياغتها ووضوحها. فكل من الفاعل القانوني والفعل القانوني يشكلان أهم عناصر ومكونات الجملة التشريعية، وبدونهما لاتؤدي الصياغة القانونية دورها والغاية المرجوة منها (ن. المختار، م.سالمي ، 2023، صفحة 3657).

لذلك على الدولة أن توفر للمشرع جميع الوسائل المادية والعملية التي من شأنها أن تساعد على صياغة النصوص التشريعية لكي يتسنى للصائغ صياغة النصوص بشكل قانوني متناسق ومتوافق و منسجم مع ظروف المجتمع.

فالتنظيم السليم للعملية التشريعية يقتضي إعداد ملف يتم تنظيمه على وجه يضمن حفظ الوثائق التي تمت الاستعانة فيها، أو الاعتماد عليها في صياغة التشريع وجميع المداولات والمناقشات ذات الصلة بمشروع القانون، وصولاً إلى الصيغة النهائية للأسباب الموجبة والهيكل الأولي لمشروع القانون.

ثانيا: طروق الصياغة القانونية لنصوص التشريعية

ان طريقة الصياغة القانونية تؤثر في جوهر النص التشريعي المصاغ، وهما طريقتين: الصياغة المادية للنصوص التشريعية (1)، والطريقة الثانية تتمثل في الصياغة غير مادية للنصوص التشريعية (2).

1 – الصياغة المادية لنصوص التشريعية:

بالنسبة للصياغة المادية للنصوص التشريعية هي الطريقة التي تعبرعلى جوهر القاعدة القانونية تعبيرا ماديا أي له مظهر خارجي. ومن هنا فان هذا النوع من الصياغة يحقق الاستقرار في المعاملات لان يمكن المخاطبين

بالقاعدة القانونية من العلم مقدماً بكيفية تطبيقها ، ويضفي على القواعد القانونية سلاسة التطبيق ويحصر مهمة القاضي في تطبيق إحكام القانون دون الحاجةإلى تفسير، و يتحقق ذلك اذا ما قام الصائغ باستخدام التحديد الكمي أو الأرقام ، ويكون في الحالات التالية:

- **استعمال الكم محل الكيف** : وبموجب هذا الأسلوب يتم التعبير عن حكم القاعدة التشريعية برقم معين وهو ما يسميه الفقه بإحلال الكم محل الكيف أو هي الصياغة التي يعدل فيها عن وصف الشيء بكيفه الى تقديره بكمه. فهو من أألساليب التي تستخدم أرقام معينة عندصياغةالنصوص التشريعية فهو من طائفة المعايير الجامدة للصياغة التشريعية ومن ثم يضفي عليها صفة الجمود بما يقيد سلطة القاضي ، إلا أنها من الناحية العملية تؤدي إلى استقرار التعامل حتى تكون القاعدة القانونية صالحة للتطبيق العملي لما تتميز به من الدقة والضبط. ومن الأمثلة الخاصة بالأسلوب الكمي تحديد المشرع مواعيد المرافعات و الطعن في الأحكام. وهذا الأسلوب يعبر عن جوهر القاعدة القانونيةب صيغة رقمية معينة تقطعدابر الخالفمن حيث إدراكاملعنى ومن حيث التطبيق ،فبد ًال من تحديد الش يء بصفته أو كيفيته مما يؤدي إلى حدوث خلاف في الآراء وتضاربها لذا يفضل إن يحدد تحديدا كميا أورقميا (ت. عبد الجبار عبد العباس السعيدي، 2019، صفحة 121).
- **الحصر**: في الحقيقة قيام الصائغ التشريعي بحصر وقائع الحياة جميعها في نص تشريعي أمر في غاية الصعوبة ويتطلب نوع من الدقة في مواجهة الظروف االجتماعية المتعددة والمستجدة، وهذا يستلزم البحث عن أسلوب لتحديد نطاق القاعدة القانونية ومن هذه الأساليب أسلوبالحصر أعطى المجال في إطارالشروط للقاضي للقياس على الحالات التي نصت عليها القاعدة القانونية وما يطرأ عليها من أحداث إي بمعنى هو يتجمع بين عنصر التقيد والتقدير.
- التقسيم والطوائف: ويقصد بها قيام المشرع بحصر بعض الأمور، والحالات ضمن طوائف معينة، يلجا المشرع إلى معيار أخر في تنظيم وتنسيق النصوص التشريعية بشكل عام مما يحقق التواصل التشريعي السليم،ومن بين هذه المعايير، معيار الحلول المعددة من خلال وضع طوائف وتقسيمات متعددة وذلك لأن وقائع الحياة كثيرة ولا يمكن إن يلم المشرع بكافة الحقائق الموجودة في الحياة لأنها تجعل من القانون كثير التفاصيل مما يبعده عن الغاية الأساسية التي شرع من أجلها .

أما الطوائف وفق هذا الأسلوب يختار المشرع من بين الحلول المتعددة الممكنة البعض منها و يقتصر العمل عليهادون غيرها بحيث لا يترتب إي اثر قانوني على غير ما اختاره المشرع من بين تلك الحلول.

- **الشكل**: من الطرق التي يستخدمها الصائغ في الصياغة القانونية للنصوص التشريعية طريقة الشكل، اذ يفرض المشرع شكليات خاصة في بعض التصرفات ، ويلجأ لاستخدم هذه الطريقة لأجل التنبيهعن خطورة مثل هذه التصرفات. ويعد الشكل الطريقة من طرق الصياغة الجامدة، فهو يمثل المظهر الخارجي الذي تظهر به القاعدة القانونية وبه يترتب الأثر القانوني الواردفي حكم القاعدة القانونية المصاغة، على اعتبار إن القاعدة القانونية ذات طبيعة معنوية لذا يتوجب التعبير عنها بطريقة شكلية محسوسة، تجعل منها ذات وجود خارجي ملموس ، من ناحية أخرى وهذا ما يعبر عنه بالشكل بمعناه العام ، إما الشكل بمعناهالخاص أوباعتباره طريقة من طرق الصياغة التشريعية فهو إن يكون هناك عناصر خارجية تضاف إلى الوقائع القانونية لكي تنتج أثارها (ح. قاسم غنم،2025، صفحة 23).

2- الصياغة غير المادية لنصوص التشريعية:

تعرف الصياغة عير مادية بأنها الصياغة التي يلجأ فيها الصائغ الى عمل ذهني بحت ، يريد به أن يقوم بوضع فكرة أومصطلح قانوني بتصنيف محتويات الفكرة الواحدة، وإبراز العناصر المشتركة بين كل صنف وتنقسم الى :

- **الحيل القانونية** : وهو ما يعرف أيضا بالافتراض القانوني وهو قيام المشرع بانشاء وضع من الأوضاع يخالف الحقيقة من أجل أن يصل الى ترتيب أثار قانونية معينة لا يمكن الوصول اليها الا باستخدام هذه الطرق. وتعتبر الحيلة من أول الوسائل التي استعملها الانسان في تطوير حكم القانون، حيث استعملت هذه الطريقة في تسبيب بعض النظم القانونية كمبدأ عدم المسؤولية المالك بافتراض أمور بعيدة عن الحقيقة (ت. عبد الجبار عبد العباسالسعيدي، 2019، صفحة 127).

لكن يجب على المشرع في هذه النوع من الصياغة أن يكون أكثر حذرا وأن لا يتوسع في مجال الصياغة الافتراضية ، ويقصر استخدامها في حالات معينة وعنده الضرورة وتحقيقا لغاية معينة لا تتحقق إلا بهذا

الأسلوب الافتراضي عندما تعجز وسائل الصياغة التشريعية الأخرى عن إدراك هذه الهدف لما فيها من مخالفة للواقع، إذ لابد من أن تكون الغاية المصاغة واضحة.

- **القرائن القانونية:** يعني أمر مشكوك فيه أمر مؤكد، عملا بما هو غالب قانونا،يعني أن المشرع يقوم نتحويل الشك الى يقين والتعامل على هذا الأساس مع النزعات التي تحكمها القاعدة القانونية . فالقرينة القانونية لا تؤسس على حقيقة ثابتة مستقرة ، وإنما تنتزع من احتمال يغلب وقوعه ، ويتميز هذا النوع من الصياغة بأنها صياغة غير مباشره في الاثبات ، لأنه يمكن إثبات عكسها بتحقق االحتمال الغالب الذي قامت عليه هذه القرينة القانونية وان أنحصر مجال إثبات عكس القرينة في حدود ضيقة ،تقتصر على إقرار من تقررت القرينة القانونية ملصلحته ، فهي وسيلة تساعد المشرع في تحقيق ما يهدف إليه ، لذا تصبح القرائن القانونية المصاغة صيغة عامة مجردة قاعدة عامة تطبق على جميع الحالات، وهي بهذا تختلف عن القرائن القضائية التي يستخلصها القاضي لدى فصله فيما يعرض عليه من نزاعات فالأولى من صنع المشرع عند صياغة القاعدة القانونية والثانية من صنع القاضي عند تطبيق القاعدة القانونية ، وهناك نوعين: قرينة قانونية بسيطة قابلة لاثبات عكسها ، و قرينة قانونية قاطعة غير قابلة لاثبات العكس، كما لايجوز نقضها (ح. قاسم غنم،2025، صفحة 28).

وتجدر الإشارة أن القرائن القانونية بمافيها البسيطة والقاطعة ، تعفي من تقررت لمصلحته من عبء الاثبات ، يعني أن من تقررت لمصلحته لا يكلف قانونا بالبحث عن أدلة قانونية لاثبات االقرينة التي تقررت لمصلحته.

الخاتمة:

إن الصياغة القاعدة القانونية للنصوص التشريعية يجب أن تكون بالشكل الذي يتناسب والغرض التي فرضت من أجلها، فجوهر القاعدة القانونية لابد أن تخرج بطرق أو وسائل معينة حتى يتحقق الهدف والغاية منها.

سن التشريعات وفقًا للضوابط والمعايير هي عملية دقيقة، تتطلب فهمًا واضحًا للحاجة، وبحثا شاملا، من خلال اتباع النهج المنظم وأفضل الممارسات الموضحة في هذا الدليل، يمكن للمشرعين وصائغي القوانين إنشاء تشريعات تكون واضحة، ومتناسقة ، وفعالة في تحقيق أهدافها المنوطة به.

لا تقتصر التشريعات الفعالة على معالجة قضايا محددة فحسب، بل تساهم أيضا في إطار الحوكمة العام، وتعزز العدالة والمساواة، ويتحقق ذلك من خلال الجهد والالتزام بأفضل الممارسات، يمكننا ضمان أن تخدم قوانيننا الصالح العام.

قائمة المراجع:

1. حيدر أدهم عبد الهادي. (2004). *أصول الصياغة القانونية*. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
2. سليمان بن عبد العزيز لعيوني. مجلة العلوم العربية. (2012) .الضوابط اللغوبة للصياغة القانونية.
3. ميشيل براندت واخرون .(2013) .*وضع الدستور والاصلاح الدستوري "خيارات علمية ."* بيروت، لبنان :منظمة انتربيس الدولية.
4. خالد جمال أحمد حسن .(2015) .مبادئ الصياغة التشريعية .*هيأة التشريع والافتاء القانوني*.
5. تامر عبد الجبار عبد العباس السعيدي ، (2019) *الصياغة القانونية لنصوص التشريعية* . الاسكندرية ,مصر :دار الجامعة الجديدة.
6. المختار نارة ,سالمي مصطفى .(2023) .معاير الصياغة القانونية في ظل القواعد والضوابط اللغوية العربية .*المجلة الاكاديمية للبحوث القانونية والسياسية* ، المجلد 07، العدد 01، الجزائر..

7. نبيلة عبد الفتاح قشطي. (2022) .(*الاطار المفاهيمي للصياغة القانونية* ,مؤتمردولي حول : إشكالية الصياغة القانونية وأثرها على التشريع، الجزائر.

8. حواء قاسم غانم .(2025) ، صياغة التشريعية .*المعايير العامة للصياغة القانونية* ، جامعة بابل.

9. الأمانة العامة للحكومة الجزائرية. (2023). دليل اعداد النصوص القانونية .

EVOLUTION OF FORMQLISM IN REAL ESTATE CONTRACTS

Aicha Benyessef
Doctoral researcher
laboratory of legal and political studies
faculty of legal and political sciences, hassan first university of settat,
kingdom of moro**cco**
a.benyessef.doc@uhp.ac.ma

Abstract:

This article aims to highlight the transformation taking place in the field of real estate notarization in Morocco, marked by the transition from traditional formalism to electronic formalism. This shift represents an inevitable path imposed by digital developments and the requirements of contemporary reality. Despite Morocco's adoption of the digitization of several administrative and notarial procedures, paper-based documents continue to dominate the notarization landscape, particularly in the real estate sector, where physical instruments retain a central role in proving and executing real estate transactions. This persistence is largely attributable to the ambiguity of the legal framework governing electronic notarial instruments and its insufficient alignment with the specific nature of real estate contracts, which require a high level of both formal and material safeguards.

kewords: evolution; formalism; real estate contracts

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تطور الشكلية في العقود العقارية

عائشة بنيسف

باحثة بسلك الدكتوراه

مختبر الدراسات القانونية و السياسية

كلية العلوم القانونية و السياسية بجامعة الحسن الأول بسطات

المملكة المغربية

a.benyessef.doc@uhp.ac.ma

ملخص:

يروم هذا المقال إلى إبراز التحول الذي يشهده مجال التوثيق العقاري بالمغرب، من خلال الانتقال من الشكلية التقليدية إلى الشكلية الإلكترونية ،باعتباره مسارا حتميا فرضته التحولات الرقمية و متطلبات الواقع المعاصر.و رغم اعتماد المغرب على رقمنة عدد من الإجراءات الإدارية و التوثيقية ،لا تزال الوثائق الورقية تهيمن على المشهد التوثقي،لاسيما في مجال العقار،حيث تظل المحررات المادية تحتل مكانة مركزية في إثبات التصرفات العقارية و تنفيذها ، و يرجع ذلك بأساس إلى غموض الإطار القانوني المنظم للمحررات التوثيقية الإلكترونية،و عدم ملاءمته الكاملة مع الطبيعة الخاصة للعقود العقارية التي تتطلب قدرا عاليا من الضمانات الشكلية و المادية.

الكلمات المفتاحية : تطور ، الشكلية ، العقود العقارية .

مقدمة :

يعتبر ركن الشكلية لبينة أساسية لتوثيق التصرفات العقارية بكل أنواعها في المغرب سواء كانت ذات طبيعة مهنية أو تجارية أو فلاحية أو صناعية أو خدماتية ، عامة أو خاصة ،محفظة أو غير محفظة. و قد عرف ركن الشكلية صرعا بين حرية التعاقد النابعة من مبدأ سلطان الإرادة و الشكلية التي تفرضها القوانين مما أدى الى اتساع وضيق دائرتها عبر مراحل تاريخية متعددة. حيث ازدهرت هذه الاخيرة في العصر الروماني ، ويعتبر القانون الروماني هو المصدر التاريخي للشكلية ثم تراجعت و انتصر مبدأ الرضائية في عهد نابليون سنة 1804(فرح ربيعة،2023-2024،ص3).ليعود ركن الشكلية باسطا نفوده من جديد و صارت من أهم سمات القانون المدني المعاصر. و أمام تقلص مبدأ سلطان الإرادة تحولات جل العقود العقارية الى عقود شكلية يلزم لانعقادها إتباع شكل محدد قانون.

و بالنظر الى تطور ركن الشكلية عبر العصور باعتباره موضوع قديم و حديث فالشكلية الرومانية هي الركن الوحيد في إبرام التصرفات القانونية، بينما تطور ركن شكلية العقود العقارية بالمغرب يعكس التحولات التاريخية التي شهدها النظام القانوني العقاري المغربي استجابة للتطورات الاقتصادية و الاجتماعية و التكنولوجيا .و تنبني الشكلية على الاركان العامة للعقد المنصوص عليه في قانون الالتزامات و العقود، بالاظافة الى افراغ هذه الاركان في قالب شكلي لإظهار الإرادة و بالتالي صحة التصرف، و يترتب عن تخلفها البطلان.

و في عصر الثورة الرقمية التي يعرفها العالم فالتطورات الحاصلة في ركن الشكلية لم تتوقف فقط على التغيرات في مدى اعتمد الورق و الكتابة الخطية و التوقيع اليدوي و دورها في ابرام العقود . بل أبعد من ذلك خلقت عقود جديدة بحلتها الالكترونية و بالتالي انتقلت من الدعامة الورقية الى الدعامة الالكترونية مما دفع التشريعات الى النظر من جديد في ركن الشكلية بغية تطوير القواعد القانونية المنظمة لها. و قد واكب المشرع المغربي هذا التطور على غرار باقي التشريعات بوضع تنظيم قانوني للمعاملات التي تتم بشكل إلكتروني،وجعل المحررات الالكترونية متساوية مع المحررات الورقية من حيث القوة الثبوتية. و من هنا يطرح هذا المقال سؤالا جوهريا:

هل يمكن أن تحل الشكلية الإلكترونية محل الشكلية التقليدية دون المساس بالأمن التعاقدي في العقود العقارية ؟.

أولا : التحول نحو الشكلية الإلكترونية في العقود العقارية

إن المحررات العقارية لم تكن عبر الزمن مجرد وسائل إثبات،بل شكلت صمام أمان لحماية المعاملات العقارية من التلاعب و الاحتيال،و ضمان استقرار الملكية العقارية . و قد عرفت شكلية هذه المحررات تطورا واضحا بتأثير عوامل متعددة، فقد بدأت بشكلية بسيطة يغلب عليها الطابع التقليدي من ورق و حبر و الكتابة اليدوية ، غير أن التحول الرقمي الذي شهدته الإدارة المعاصرة، و ارتفاع الحاجة الى تسريع الإجراءات و تبسيط المساطر، أديا إلى بروز شكلية جديدة للمحررات، قوامها الكتابة الإلكترونية و التوقيع الإلكتروني، و الحفظ الإلكتروني ،و التبادل الآلي للمعطيات.

1 – التأصيل التشريعي للشكلية كتابة المحررات العقارية

إذا كانت التصرفات العقارية كأصل عام تخضع لقاعدة الرضائية، فإنها تستوجب مع ذلك الخضوع لشكلية الكتابة،متى كان محلها عقارا أو حقوق عقارية.وذلك بهدف تنبيه أطراف العلاقة التعاقدية لأهمية التصرف الذي سيقدمون عليه.

و قد كرس المشرع المغربي مند وقت مبكر مبدأ الشكلية الكتابية في التوثيق المتعلق بالمعاملات العقارية، حيث نص في الفصل 489 من قانون الالتزامات والعقود على أن البيع أو الرهن أو أي تصرف عقاري لا يرتب أثره في مواجهة الغير إلا إذا تم تسجيله في الشكل الذي يحدده القانون،مما يعكس الطابع الإجباري للشكلية الكتابة كشرط أساسي لنفاذ هذه التصرفات تجاه الغير(المملكة المغربية ، قانون الالتزامات و العقود،دون تاريخ،ف 489).غير أن هذا التنظيم التشريعي للكتابة المحررات العقارية تعرض لنقاش حاد في أوساط الفقه و القضاء و هو ما دفع المشرع المغربي إلى إعادة النظر في مسألة شكلية كتابة المحررات العقارية كشكل قانوني لازم في إبرام العقود العقارية الواردة على العقارات.

و عليه عمل المشرع المغربي إلى إصدار سلسلة من التشريعات العقارية الخاصة التي عملت بدورها على تنظيم هذه الشكلية و تتمثل أساسا في القانون 107.12 المتعلق ببيع العقارات في طور الإنجاز و الذي جاء فيه :" يجب أن يرد عقد البيع الابتدائي للعقار في طور الانجاز إما في محرر رسمي أو محرر ثابت التاريخ يتم توثيقه من طرف مهني ينتمي إلى مهنة قانونية منظمة يخول لها قانونها تحرير العقود، و ذلك تحت طائلة البطلان".و يتبين من خلال هذه المادة أن الشكلية الكتابية تعد إلزامية في هذا النوع من التصرفات ،بحيث يشترط إبرام عقد البيع كتابة تحت طائلة البطلان،مما يكرس الطابع الآمر لهذا المقتضى القانوني،و يعكس إرادة المشرع في ضمان حماية فعالة لأطراف العلاقة التعاقدية،خاصة المشتري.

و في سياق نفسه،نصت المادة 12 من القانون المتعلق بالملكية المشتركة للعقارات المبنية رقم 18.00 كما غير و تمم بالقانون 106.12، و التي ورد فيها: " يجب أن تحرر جميع التصرفات المتعلقة بنقل الملكية المشتركة أو إنشاء حقوق عينية عليها أو نقلها أو تعديلها أو إسقاطها بموجب محرر رسمي أو محرر ثابت التاريخ يتم تحريره من طرف مهني ينتمي إلى مهنة قانونية ومنظمة يخولها قانونها تحرير العقود و ذلك تحت طائلة البطلان"(المملكة المغربية، القانون المتعلق بالملكية المشتركة للعقارات المبنية،2012،م 12) .و تبرز هذه المادة أيضا إرادة المشرع في إضفاء الطابع الشكلي على نظام الملكية المشتركة، لضمان وضوح الإرادة و حماية الحقوق،و تفادي النزاعات ،كما تهدف إلزامية الشكلية إلى تحقيق الأمن التعاقدي و الاستقرار في المعاملات العقارية .

كما تنص المادة الرابعة من قانون رقم 51.00 المتعلق بالإيجار المفضي إلى تملك العقار:" يجب أن يحرر عقد الإيجار المفضي الى تملك العقار بموجب محرر رسمي أو محرر ثابت التاريخ ،يتم تحريره من طرف مهني ينتمي إلى مهنة قانونية و منظمة يخولها قانونها تحرير العقود، و ذلك تحت طائلة البطلان" (المملكة المغربية،2000،م4). و من خلال هذه المادة فإن هذا النوع من العقود يجب أن يبرم كتابة تحت طائلة البطلان،مما يؤكد على الطابع الإلزامي للشكلية الكتابة في هذا النوع من المعاملات.

أما على مستوى القوانين العامة ، فإن مدونة الحقوق العينية ، في مادتها الرابعة ،قد جاءت أكثر صرامة حين اشترطت بطلانا صريحا لكل تصرف يرمي إلى نقل الملكية أو إنشاء حق عيني أو إسقاطه أو تعديله،بما في ذلك الوعد بالبيع و الوكالات الخاصة بها ما لم يتم في محرر رسمي أو محرر ثابت التاريخ. و هو ما يعكس

انتقال التشريع المغربي من مرحلة ترك حرية واسعة للأطراف في توثيق تصرفاتهم العقارية إلى مرحلة فرض شكليات دقيقة تمس ركن الشكل في العقد ذاته،مما يربطه بصحة التصرف لا فقط إثباته. و مما جاء فيها : " يجب أن تحرر – تحت طائلة البطلان – جميع التصرفات المتعلقة بنقل الملكية أو بإنشاء الحقوق العينية الأخرى أو نقلها أو تعديلها أو إسقاطها، بما في ذلك الوعد بالبيع العقاري، و كذا الوكالات الخاصة بها بموجب محرر رسمي، أو بمحرر ثابت التاريخ يتم تحريره من طرف محامي مقبول للترافع أمام محكمة النقض ما لم ينص قانون على خلاف ذلك". (المملكة المغربية،مدونة الحقوق العينية، 2011 ،م 4).

و بالتالي فإن جميع التصرفات المنصبة على العقارات لا يكفي أن تتوفر في العقد الشروط الجوهرية للتعاقد و أركانه كالأهلية و التراضي و المحل و السبب، و إنما لا بد من توفر شكلية الكتابة كركن أساسي لقيام العقد،و لم يقتصر المشرع المغربي على فرض هذه الشكليات في العقود الرسمية التي يحررها الموثق و العدل ، بل وسع نطاقها لتشمل أيضا المحررات العرفية الثابتة التاريخ، التي يتم تحرر من طرف محامي مقبول للترافع أمام محكمة النقض،مما يمنحها حجية قانونية قوية.

و في ظل التطور التكنولوجي التي تشهده الإدارة المغربية، و خصوصا في اعتماد المحررات الإلكترونية، يطرح تساؤل حول مدى قدرة المنظومة القانونية المغربية على الاستجابة لثنائية المحررات التقليدية و الإلكترونية،لا سيما في العقود العقارية التي يعتبر فيها الشكل عنصرا جوهريا لانعقاد التصرف و ليس مجرد وسيلة للإثبات .

2 - المساواة الشكلية بين المحررات التقليدية و الإلكترونية في التشريع المغربي

لقد كان للتطور التكنولوجي و التقني أثر كبير على جانب المعاملات العقارية و توثيقها ، مما دفع المشرع المغربي إلى الاعتراف بالمحررات الإلكترونية و مواكبته للتطورات التي شهدها العقد، و معاصرته للوسائل التكنولوجيا الحديثة،و بطبيعة الحال فمادامت المحررات قد وجدت لإثبات التصرفات القانونية فإنه كان من اللازم البحث عن مكانة المحررات الإلكترونية بالموازاة مع المحررات التقليدية. و من خلال المادة الأولى من قانون رقم 53.05 نجدها تنص على مجال تطبيق هذا القانون كمعطى أول،و كذاك المساواة بين الوثائق

المحررة على الورق و تلك المعدة على دعامة إلكترونية كمعطى ثان (المملكة المغربية،قانون التبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية،2007،م 1).

فيما يتعلق بالمعطى الأول فإن مصطلح "معطيات القانونية" المستعمل من قبل المشرع المغربي،يفهم من خلاله أنه يهم جميع المحررات التي يمكنها أن تنتج آثارا قانونية. و بالتالي يحق القول بأن مجال تطبيق هذا القانون واسع جدا.و إن كان المشرع قد استثنى صراحة كل الوثائق المتعلقة بمدونة الأسرة و المحررات العرفية المتعلقة بالضمانات العينية،ما عدا المحررات المنجزة من لدن شخص لأغراض مهنته.

فمصطلح المحررات العرفية لم تأت اعتباطا و إنما نص عليها المشرع من أجل ضبط و تقنين بشكل لا لبس فيه، المحررات المستبعدة من التوثيق الالكتروني هي المحررات العرفية المتعلقة بالضمانات العينية، دون المحررات الرسمية التي توثيق نفس التصرفات العقارية.و كما هو معلوم فإن الضمانات العينية تشمل فقط الرهن الرسمي و الحيازي و حقوق الإمتياز،دون حق الملكية و الحقوق العينية الأصلية الأخرى .(ابا خليل،2020،ص60). و بالتالي فإن توثيق التصرفات العقارية يمكن أن يتم بوسائل إلكترونية وفقا لمقتضيات القانون رقم 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية ، شريطة احترام الشكليات الخاصة المنصوص عليها في القوانين العقارية الخاصة،و مدونة الحقوق العينية ،و قوانين التوثيق.

و من هذا المنطلق،فإن رقمنة التوثيق العقاري لا تعني إلغاء الشكلية،و إنما تكييفها مع الوسائل التكنولوجية الحديثة،في إطار يضمن الأمن القانوني،و يحافظ على الضمانات الشكلية و المادية اللازمة لإضفاء القوة الثبوثية على العقود العقارية.

لكن ما ينبغي الاشارة إليه هو أن المشرع المغربي في المادة 42 من القانون 53.05 نص على أنه سيصدر مرسوم يبين الكيفية التي ستطبق بها أحكام القانون المتعلق بالتبادل الالكتروني للمعطيات القانونية على الحقوق العينية.

المعطى الثاني :الموازنة بين المحررات التقليدية و الإلكترونية

إن التطور الرقمي الذي شهده المغرب،و ما تبعه من تحولات في طرق إعداد و تبادل المحررات القانونية،فرض على المشرع إعادة النظر في المفاهيم التقليدية متجذرة في المنظومة القانونية،و على رأسها الكتابة كشرط للإثبات،و التوقيع كوسيلة لتأكيد إرادة الأطراف،و في هذا السياق جاء قانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية ليؤسس لمبدأ المساواة بين المحررات التقليدية (الورقية)و المحررات المحررة على دعامة إلكترونية،شريطة أن تستوفي هذه الأخيرة جميع الشروط المنصوص عليها قانونا، و التي سأتناولها بالتحليل لاحقا.

و قد أكد المشرع في هذا الإطار،من خلال المادة الثانية من القانون المذكور،أن المحررات الإلكترونية تعد صحيحة و منتجة لكافة آثارها القانونية إذا تم إنشاوها و حفظها وفقا للشروط القانونية و التقنية المنصوص عليها،و لا يمكن نفي حجيتها لمجرد أنها محررة بوسيلة إلكترونية.بل إن المعيار الحاسم هو تحقق الشروط الجوهرية المتعلقة بالكتابة و التوقيع،و ليس الوسيلة المستخدمة في الإنجاز.(سعيد محمد أحمد حسن ،2024،ص463)

فمن حيث الكتابة،سواء أتمت بواسطة وسيلة تقليدية على الورق أو بوسيلة إلكترونية عبر نظم المعلومات،فإنها تؤدي نفس الوظيفة القانونية، ما دامت تعبر عن مضمون التصرف القانوني و تحفظ بطريقة تضمن سلامتها و عدم تغييرها،و من ثم فإن الكتابة على الدعامة الإلكترونية متساوية مع الكتابة اليدوية على الورق من حيث القوة الإثباتية،طالما أمكن التأكد من هوية المحرر و سلامة البيانات.(الفصل 1-417 من قانون 53.05 تتمتع الوثيقة المحررة على دعامة إلكترونية بنفس قوة الإثبات التي تتمتع بها الوثيقة المحررة على الورق).

أما من حيث التوقيع،فقد ساوى القانون 53.05 بين التوقيع اليدوي و التوقيع الإلكتروني للمحررات العقارية،بشرط أن يكون هذا التوقيع مؤمنا وفقا لمقتضيات المادة 417-3 من قانون الالتزامات و العقود،أي أنه يتيح التحقق من هوية الموقع، و يضمن ارتباطه بالمحرر الإلكتروني بطريقة لا تقبل التغير.و في هذا السياق

شددت المادة 417-4 على أن التوقيع المؤمن له نفس القوة الثبوتية التي يتمتع بها التوقيع اليدوي،و لا يمكن الطعن فيه إلا من خلال إجراءات الطعن في صحة التوقيعات التقليدية.

يتضح مما سبق أن الشكلية المطلوبة في المحررات العقارية،سواء أنجزت بالوسائل التقليدية من كتابة ورقية و توقيع يدوي،أو تمت صياغتها على دعامة إلكترونية مرفقة بتوقيع إلكتروني مؤمن،تتمتع بنفس القيمة القانونية،متى استوفت الشروط المنصوص عليها في القانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية. و القوانين العقارية العامة و الخاصة،و يترتب عن الإخلال بهذه الشكلية في كلتا الحالتين،بطلان العقد و عدم إنتاجه لآثاره القانونية.

و على الرغم من غياب قانون تنظيمي خاص بالحقوق العينية العقارية ينظم كيفية تحريرها إلكترونيا،فإن القانون رقم 53.05 يشكل الإطار المرجعي العام الذي يمكن الاستناد إليه في تنظيم العاملات العقارية الرقمية،و في هذا السياق ،يمكن التأكيد على أن تطور الشكلية في المحررات العقارية من الطابع التقليدي إلى الشكلية الإلكترونية لم يعد مجرد خيار ،بل هو ضرورة عملية تفرضها التحولات الرقمية و الواقع العملي،رغم بطء التحديث التشريعي في مجال توثيق التصرفات العقارية.لكن السؤال المطروح هنا هل يمكن اعتبار المحررات الإلكترونية محررات رسمية؟.

3- شكلية توثيق المحررات الإلكترونية الرسمية

إن المحرر الرسمي لم يتم تعريفه لا في القوانين المؤطرة للقانون العقاري و لا في القوانين المنظمة للمهني التوثيق و بالرجوع إلى الأحكام العامة التي تأطير توثيق المعاملات العقارية،فقد نص المشرع في الفصل 418 من قانون الالتزامات و العقود : " الورقة الرسمية هي التي يتلقاها الموظفون العموميون الذين لهم صلاحية التوثيق في مكان تحرير العقد و ذلك في الشكل

الذي يحدده القانون".

و من خلال ما السابق يتضح أن المحرر لكي يصبح رسميا يجب ان يتوفر على شروط المادة السابقة من قانون الالتزامات و العقود و المتمثلة في صدور المحرر الرسمي من موظف عام ،و أن تكون له صلاحية

التوثيق ،و أن يراعي في تدوينها الأوضاع القانونية المقررة في ذلك. وعليه فإن الموظفون المسموح لهم توثيق المحررات الرسمية التي تخص المعاملات العقارية هم حصرا الموثقون العصريون و العدول .

و أساس إضفاء الرسمية على العقد المنجز من طرف الموثق يتمثل في المادة 35 من القانون المنظم لمهنة التوثيق على أنه : " يتلقى الموثق ما لم ينص القانون على خلاف ذلك،العقود التي يفرض القانون إعطائها الصبغة التنفيذية المرتبطة بأعمال السلطة العمومية أو التي يرغب الاطراف في إضفاء الطابع عليها،و يقوم بإثبات تاريخها و ضمان حفظ أصولها و بتسليم نظائر أو نسخ منها ". كما نصت المادة 48 من القانون 32-09 على أن العقود و المحررات التي ينجزها الموثق وفق لمقتضيات هذا القانون تتسم بالصفة الرسمية المقررة في قانون الالتزامات و العقود.

أما في ما يخص العدل ، فالعقد الذي يحرره هذا الأخير لا يكتسي الصفة الرسمية إلا بعد المخاطبة عليه من قبل قاضي المكلف بالتوثيق ، حيث يصبح حينها وثيقة رسمية كما هو منصوص عليه في المادة 35 من قانون خطة العدالة 16.03 : "" يخاطب القاضي المكلف بالتوثيق على الشهادات بعد إتمام الإجراءات اللازمة ،و التأكد من النقص ،و سلامتها من الخلل،و ذلك بالإعلام بأدائها و مرقبتها.يتعين على القاضي ألا يخاطب على الشهادات الخاضعة لوجبات التسجيل إلا بعد تأديتها. لا تكون الوثيقة تامة إلا إذا كانت مذيلة بالخطاب ، و تعتبر حينه وثيقة رسمية ".

و تجدر الإشارة الى أن وصف الرسمية لا يثبيت إلا البيانات و الوقائع التي سجلها العدل او الموثق في حدود مهمته و وظيفته ووقعت من أطراف العقد بحضوره، إذ تكون لها حجة قطيعة ما دامت أنها تمت بمحضرهما و تحت مسؤوليتهما، و بالتالي فإن الطرف المتعاقد لا يملك إنكارها و لا حل له لنقضها غير الطعن في صحتها بدعوى الزور (حمد حمديني ، السنة 2013-2014 .ص 123)

لكن السؤال المطروح هنا هل يمكن اعتبار المحررات الإلكترونية محررات رسمية ؟. جوابا عن هذا التساؤل نصت الفقرة الثانية من الفصل 417-2 من قانون 53-05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية على أنه:" تصبح الوثيقة رسمية إذا وضع التوقيع المذكور عليها أمام موظف عمومي له صلاحية التوثيق ".و بناء على المقتضيات فالمحرر الإلكتروني يصبح محررا رسميا متى وضع التوقيع الإلكتروني عليه أمام موظف عمومي له صلاحية التوثيق.وبذلك يكون المشرع المغربي قد اعتراف صراحة برسمية المحررات

الإلكترونية، وقبولها في الإثبات كلما توافرت الشروط المنصوص عليها في417-1 و 417-2 من قانون 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية و المتمثلة فيما يلي:

1- أن يكون بالإمكان التعرف بصفة قانونية على الشخص الذي صدرت عنه الوثيقة الإلكترونية الرسمية .
2- أن تحرر بواسطة جهة مؤهلة (الموثق أو العدل).
3- أن تكون موقعة توقيعا إلكتروني مؤمنا.
4- أن يحترم فيها مبدأ عدم قابلية الوثيقة للتغير.
5- أن تكون قابلة للحفظ و التداول عبر نظام إلكتروني أمن.

يتبين من خلال ما سبق أن المشرع المغربي أعطى للمحرر الرسمي الالكتروني الذي تتوفر فيه الشروط القانونية نفس القيمة التي يتمتع بيها المحرر الرسمي الورقي،و بالتالي تعتبر المحررات الرسمية الإلكترونية أدلة كتابية مثلها مثل المحررات الرسمية الورقية،حيث لا يمكن التغاضي عن أهميتها في ضمان حقوق الأفراد و إثبات تصرفاتهم القانونية في العصر الحديث.

و من خلال استقراء مختلف النصوص القانونية التي اعترفت بالمحرر الرسمي الإلكتروني، نلاحظ على أنها لم تتطرق إلى شروط هذه المحررات بل تركت الأمر للشروط العامة في المحررات التوثيقية الرسمية التقليدية السابقة الذكر ، و بحكم أن المحررات التوثيقية الرسمية التقليدية هي الأسبق وجودا فتعتبر هي قاعدة عامة عند غياب نص تشريعي يقر بشروط المحررات التوثيقية الرسمية الإلكترونية،و لكي تضفي الصفة الرسمية على المحررات الإلكترونية لا بد من توفرها على نفس الشروط العامة التي يتعين توفرها في المحرر التوثيقي الرسمي التقليدي ،و أي اخلال لهذه الشروط يفقد المحرر التوثيقي الإلكتروني طابعه الرسمي.

ثانيا : التطبيقات العملية و التحولات الرقمية في العقود العقارية

1- نزع الصفة المادية عن الإجراءات الجبائية للمحررات العقارية

يستمد تسجيل المحررات العقارية لدى إدارة الضرائب مشروعيته من الفصل 39 من الدستور المغربي الذي ينص على أن "الجميع يتحمل كل على قدر استطاعته، التكاليف العمومية"، ويخول القانون وحده صلاحية فرض هذه التكاليف و توزيعها وفقا للإجراءات التي يحددها الدستور و بناءا على ذلك، تفرض الضرائب بشكل عام و موحد على جميع الأشخاص و الأموال ، دون تمييز أو إعفاء غير مبرر ، ضمانا لمبدأ العدالة الجبائية و تقاسم العبء الضريبي بين مختلف الفئات الاجتماعية.

غير أن هذا الالتزام ، و على الرغم من طابعه الدستوري،كان يفعل لفترة طويلة من خلال إجراءات ورقية تقليدية تتطلب الحضور الشخصي و التسجيل اليدوي للمحررات العقارية ، لكن و مع انخراط الإدارة الجبائية في ورش الرقمنة، تم تجاوز الصيغة المادية لهذه الإجراءات حيث أصبحت عملية تسجيل المحررات العقارية تتم بطريقة إلكترونية، عبر المنصة الرقمية "simpl " التي أطلقتها المديرية العامة للضرائب ابتداءا من سنة 2018 ،و ذلك تنفيذا لمقتضيات المرسوم رقم 2.17.786 الصادر بتاريخ 4 ماي 2018. و في هذا الإطار فإن المديرية العامة للضرائب اتجهت نحو رقمنة المعاملات التي تربطها بالمهنيين الذين لهم صلة بالمهام المسندة إليها، كالإقرار الإلكتروني لتسجيل العقود العقارية و الأداء الالكتروني لواجبات التسجيل.

1-1 الإقرار الإلكتروني للتسجيل العقود العقارية

يعد التسجيل من الإجراءات القانونية التي تخضع لها المحررات و الاتفاقات سواء بصفة إلزامية أو اختيارية(المملكة المغربية ،مدونة الضرائب ،2025،م 126)و يعتبر إحدى الشكليات الجوهرية الملزمة للمحررات العقارية،إذ يعد شرطا لازما لترتيب الآثار القانونية و الجبائية للتصرفات العقارية.و قد ألزم المشرع المغربي بموجب الفصل 489 من قانون الالتزامات و العقود بضرورة إخضاع التصرفات العقارية لشكلية التسجيل، باعتبارها شكلية إلزامية يجب استيفاؤها لضمان صحة العقد من الناحية الشكلية.و رغم أن هذه

الإجراءات كانت تنجز تقليديا بشكل يدوي،و بحضور فعلي للموثقين و العدول و المحامين و المرتفقين ،فإن الإدارة الجبائية،في إطار توجهها نحو الرقمنة،قامت بإدماج تكنولوجيا المعلومات في تدبير هذه الشكليات.فقد أصبح التسجيل يتم بطريقة إلكترونية، من خلال المنصة الرقمية التابعة للمديرية العامة للضرائب، و هو ما يعكس التحول العميق و التطور السريع في شكليات و بنية العقد العقاري بالمغرب.

وفقا للمادة 155 من المدونة العامة للضرائب، يسمح للمكلفين بالضريبة بتقديم إقراراتهم إلكترونيا، وفق الشروط التي يحددها قرار وزير المكلف بالمالية.كما يتعين على الخاضعين للضريبة المزاولين لمهن الحرة محددة لائحتها بنص تنظيمي (قرار لوزير الاقتصاد و المالية رقم 15,2481 صادر في 26 من رمضان 1436 (13 يونيو 2015) . ص. 7662).أن يدلوا لدى إدارة الضرائب بطريقة إلكترونية بالإقرارات المنصوص عليها في هذه المدونة .

و قد ألزم المشرع المغربي بمقتضى المادة 169 من مدونة الضرائب كل من الموثقين و العدول بالتسجيل و أداء واجب التمبر إلكترونيا على كل التصرفات العقارية. و قد بدأ هذا الإجراء بالنسبة للموثقين في فاتح يناير 2018 ، و بالنسبة للعدول في فاتح يناير 2019 .ويعتبر الاقرار الالكتروني آلية حديثة تتيح للمكلفين تقديم التصريحات الضريبة عبر الانترنت. مما يسهيل الامتثال للالتزامات الجبائية. ويترتب عن هذا الاقرار أداء واجب التمبر، و يتم إيداعه لدى إدارة الضرائب إلكترونيا داخل الأجال المحدد، و وله نفس الأثار القانونية المترتبة عن الإقرارت الورقية.لكن هذا التحول يطرح سؤالا جوهريا حول الشكلية التي يتعين اتباعها لتقديم هذا الاقرار،و كيفية تنظيمه عمليا؟.

1-2 شكلية الإدلاء بالإقرار الإلكتروني

حدد القرار الوزاراي رقم 1982.21 الصادر عن وزيرة الاقتصاد و المالية كيفيات تقديم الإقرار الإلكتروني للعقود العقارية عبر المنصة الإلكترونية للمديرية العامة للضرائب. و يتم ذلك وفق مسار شكلي منظم ،ينطلق بإنشاء المهني (الموثق ،العدل ، المحامي المقبول لدى محكمة النقض)لحساب مهني خاص على البوابة الرقمية "SIMPL"،يمكنه من الولوج الى الخدمات الإلكترونية، ثم يقوم في المرحلة الثانية بملء الاستمارة المخصصة للتصرفات العقارية،متضمنة جميع البيانات اللازمة من هوية الأطراف إلى طبيعة العقد،و بيانات

العقار و قيمة المعاملة، بعدها يحتسب و اجب التمبر أو التسجيل تلقائيا من خلال النظام ،ويؤدى إلكترونيا عبر وسائل الأداء البنكية. و فور الأداء،يحصل المعني بالأمر على وصل إلكتروني يعد بمثابة إقرار رسمي قانوني، يرفق ضمن الوثائق الموجهة الى المحافظة العقارية بالنسبة للعقار المحفظ ،و الى المحكمة الابتدائية التي يوجد بها العقار الغير المحفظ قسم قاضي التوثيق. و يتم تسجيل هذه المراحل عبر طرقتين:

- التبادل المعلوماتي للاستمارات (EFI) : و يتمثل في الإدخال المباشر عبر واجهة موقع (SIMPL) و تمكن هذه العملية من تقديم الاستمارات عبر الإنترنت لإدارة الضرائب (الإدخال اليدوي) كما يستخدم هذا الوضع بشكل عام للإقرارات الضريبة الحاملة لبيانات قليلة.
- إصدار المعطيات من نظامه المعلوماتي في ملف XML و يرسلها للشباك ،هذا الاخير الذي يقوم بتفسير الملف المذكور وتمييز كل معطى و معلومة موافقة له على مستوى التصريح أو الإسثمارة الضريبة .بهذه الطريقة يعفى المستعمل من إدخال المعلومات و في نفس الوقت يكون هناك ربح على مستوى التوثيق ،حيث يتم التقليل من الاخطاء المرتبة بالإدخال اليدوي (برنامج الحكومة الالكترونية و تنزيله بوزارة المالية ، ص 17).

إن رقمنة شكلية التسجيل و التمبر لا تعكس فقط تحولا إداريا في معالجة المعاملات العقارية ،بل تمثل تحولا عميقا في شكلية التسجيل العقد العقاري ذاته .فقد انتقل هذا الأخير من نموذج تقليدي يقوم على الحضور المادي ،و تحرير المحرر على الدعامة الورقية ،إلى نموذج إلكتروني يعتمد على منصات رقمية و مؤسسات إلكترونية تمكن من تسجيل العقود عن بعد و أداء الرسوم إلكترونيا،و استيفاء الشكليات القانونية عن بعد ،و رغم غياب إطار تشريعي متكامل ينظم التوثيق الإلكتروني للعقود العقارية بشكل صريح ،فإن ما تشهده الممارسة من اعتماد متزايد على الوسائل الرقمية يعد مؤشرا واضحا على بداية تحول بنيوي في شكل المحررات العقارية

2- الإيداع و التقييد الإلكتروني للعقود التوثيقية بالمحافظة العقارية

تعد عملية الإيداع و التقييد الإلكتروني للعقود التوثيقية لدى المحافظة العقارية خطوة محورية في مسار تحديث الإدارة و تبسيط المساطر المرتبطة بتوثيق التصرفات العقارية،و في هذا الإطار ،عملت الوكالة الوطنية

للمحافظة العقارية و الخرائطية على الانتقال التدريجي من الطابع المادي إلى الطابع اللامادي في تدبير هذه العمليات، بما ينسجم مع التوجه الوطني نحو رقمنة المرفق العام و تحسين جودة الخدمات.و قد تجسد هذا التحول الرقمي من خلال آليتين رئيستين:

أولا،اعتماد منظومة معلوماتية داخلية لتدبير عمليات التحفيظ العقاري والمسح العقاري والخرائطية والمساطر والإجراءات المتعلقة بها، مع الحرص على استغلالها وتحيينها وتأمينها وصيانتها.

و ثانيا،إحداث منصة إلكترونية مخصصة لإنجاز الإجراءات وتقديم الخدمات العقارية عن بعد، تدار و تؤمن و تحدث بصفة مستمرة،بما يضمن التفاعل الرقمي مع المرتفقين و ييسير الولوج إلى المعلومة العقارية.

و لتعزيز هذا التوجه،نص المرسوم رقم 2.18.181 الصادر بتاريخ 2 جمادى الآخرة 1440(8 فبراير 2019) المتعلق بتحديد كيفيات تقديم طلبات التحفيظ العقاري و الخدمات المرتبطة بها بطريقة إلكترونية، في مادته الرابعة، على أن الطلبات المقدمة عبر المنصة الإلكترونية و المدعمة بوثائق أو مستندات معدة على حامل إلكتروني،ترتب نفس الآثار القانونية التي ترتبها تلك المنجزة على دعامة ورقية،و ذلك وفقا للتشريع الجاري به العمل.و هكذا،أصبح للتصرفات العقارية التوثيقية المقدمة إلكترونيا نفس الحجية القانونية،مما يعكس تحولا بنبويا في طرق التوثيق العقاري من الشكل التقليدي الورقي إلى النموذج الرقمي.

و يتم الإيداع الإلكتروني للعقود التوثيقية من خلال منصة رقمية أحدثتها الوكالة الوطنية للمحافظة العقارية و المسح العقاري و الخرائطية،وهي منصة تتيح للمهنيين و المرتفقين إنجاز مختلف الإجراءات عن بعد(بصري هشام،2024 ،ص23)،بما في ذلك إيداع العقود و الطلبات المرتبطة بعمليات التحفيظ و التقييد.وتقدم هذه الطلبات وفق نماذج استمارات موحدة،تم إعدادها من طرف الوكالة،و يتعين على المهني أو المرتفق تحميل الوثائق و المستندات المرافقة على دعامة إلكترونية وفق الشروط التقنية المحددة.و فور إتمام عملية الإيداع،يحصل المرسل على وصل إلكتروني يعد بمثابة إثبات رسمي

لتاريخ وساعة إيداع الطلب،و هو ما يضمن توثيق العملية إلكترونيا و يمنحها حجية قانونية،و تترتب عنها نفس الآثار القانونية التي تترتب عن الوثائق الورقية.

و بعد إتمام عملية الإيداع الإلكتروني للعقود العقارية التوثيقية عبر المنصة المخصصة لذلك،تباشر مصالح المحافظة العقارية دراسة الطلب و الوثائق المرفقة به،و ذلك بناء على البيانات الرقمية المقدمة و النسخ الإلكترونية للعقود و المستندات. و في حال استيفاء الشروط الشكلية و الجوهرية المطلوبة قانونا ،يتم الانتقال إلى مرحلة التقييد الإلكتروني بالسجلات العقارية.

و يتم هذا التقييد من خلال إدراج المعلومات المرتبطة بالعقد موضوع الإيداع ضمن قاعدة المعطيات العقارية الخاصة بالرسوم العقارية أو مطالب التحفيظ،بطريقة مؤمنة و مطابقة للمعايير التقنية التي تضمن سلامة البيانات و حجيتها.و يتم إشعار المعني بالأمر عبر المنصة نفسها بإتمام عملية التقييد،كما يمكنه تحميل شهادة التقييد العقاري بصيغة إلكترونية،تتضمن توقيعا إلكترونيا موثوقا يرتب نفس الآثار القانونية التي يرتبها التوقيع اليدوي،عملا بمقتضيات القانون رقم 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية.

و بالتالي،فإن عملية التقييد الإلكتروني لا تمثل فقط امتدادا تقنيا لعملية الإيداع، بل تعد إجراء جوهريا يرتب آثارا قانونية على الوضعية العقارية،و يؤسس لحجية التقييد في مواجهة الغير،وفقا لما تنص عليه مقتضيات الفصل 65 من ظهير 12 غشت 1913 بشأن التحفيظ العقاري، كما تم تغييره و تتميمه.

الخاتمة :

إن الانتقال من الشكلية التقليدية إلى الشكلية الإلكترونية في توثيق التصرفات العقارية بالمغرب لم يعد مجرد خيار تقنيا و تنظيمي،بل أصبح ضرورة ملحة تفرضها متطلبات العصر ،سواء من طرف الإدارة أو من طرف المرتفقين،في ظل التطور المتسارع للتكنولوجيا و تزايد الحاجة إلى تبسيط المساطر و تحقيق النجاعة و الشفافية في تدبير المعاملات العقارية.

غير أن الانتقال نحو التوثيق الرقمي يظل رهينا بمدى توفر إرادة مشتركة وتنسيق فعال بين مختلف الفاعلين و المتدخلين في عملية التوثيق،بهدف إرساء أمن تعاقدي و قانوني يضمن حماية حقوق الأطراف و يعزز الثقة في المعاملات العقارية الإلكترونية. كما يعد ذلك مدخلا أساسيا لتحقيق العدالة العقارية في بعدها الرقمي.

و رغم اعتماد المغرب على رقمنة عدد من الإجراءات الإدارية و التوثيقية ،لا تزال الوثائق الورقية تهيمن على المشهد التوثقي،لاسيما في مجال العقار،حيث تظل المحررات المادية تحتل مكانة مركزية في إثبات التصرفات العقارية و تنفيذها ، و يرجع ذلك بأساس إلى غموض الإطار القانوني المنظم للمحررات التوثقية الإلكترونية،و عدم ملاءمته الكاملة مع الطبيعة الخاصة للعقود العقارية التي تتطلب قدرا عاليا من الضمانات الشكلية و المادية.

و لمواجهة هذه التحديات،نقترح التوصيات التالية:

- ضرورة تعديل التشريعات العقارية،و خاصة القوانين المتعلقة بتوثيق التصرفات العقارية.
- الافراج عن القانون التنظيمي المتعلق بالحقوق العينية المنصوص عليه في قانون 53.05.
- تعزيز قدرات الموارد البشرية العاملة في مجال التوثيق العقاري،من خلال تكوين متخصص و مستمر في المجالات التقنية و القانونية المرتبطة بالرقمنة،لضمان حسن استعمال المنصات الرقمية و احترام الضوابط القانونية المؤطرة لها.

و اخيرا فإن تحقيق العدالة العقارية في ظل الرقمنة يقتضي توازنا دقيقا بين التطور التكنولوجي و الإطار القانوني ،بما يمكن من تأمين المعاملات و تحقيق الثقة في النظام العقاري،في أفق بناء منظومة توثيقية حديثة و مندمجة تستجيب لرهانات الدولة الرقمية.

قائمة المراجع:

الكتب:

- ✓ ابا خليل، الطبعة الأولى 2020،التعاقد الإلكتروني في ضوء القانون رقم 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية.
- ✓ سعيد محمد أحمد حسن، الطبعة الأولى 2024 ، دار الفكر الجامعي،خصوصية العقد الإداري الإلكتروني .
- ✓ بصري هشام، ألطبعة الأولى 2024،دار الأمان، المغرب ،أثر التدبير الإلكتروني على نظام التحفيظ العقاري المغربي،أية أدوار للرقمنة في صلب نظام الاشهار بالسجلات العقارية ؟ قراءة في المتغيرات التشريعية و الواقع العملي

الأطروحات والرسائل:

- ✓ فراح ربيعة، تطور الشكلية في العقود، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ،القانون الخاص،جامعة 8 ماي 1945 قالمة الجزائر،السنة الجامعية 2023- 2024
- ✓ محمد حمديني، " حماية المستهلك خدمة التوثيق في ضوء قانون 09-32 المنظم للمهنة التوثيق ، بحث لنيل دبلوم الماستر، في القانون الخاص ، كلية الحفوق فاس ، السنة الجامعية -2013 2014.

القوانين :

- ✓ الدستور المغربي لسنة 2011.
- ✓ قانون الالتزامات و العقود.ظهير 9 رمضان 1331 (12 أغسطس 1913) .الرباط.
- ✓ القانون رقم 51.00 المتعلق بالإيجار المفضي إلى تملك العقار،الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.02.309 بتاريخ 3 أكتوبر 2002،الجريدة الرسمية عدد 5056 بتاريخ 17 أكتوبر 2002،ص2892.
- ✓ القانون 18.00المتعلق بالملكية المشتركة للعقارات المبنية ،كما تم تغييره و تتميمه بالقانون رقم 1.012،الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.12.70 بتاريخ 30 غشت 2012. الجريدة الرسمية عدد 6076 بتاريخ 27 شتنبر 2012،ص4812.

- ✓ القانون رقم 39.08 المتعلق بمدونة الحقوق العينية،الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.178 بتاريخ 25 نوفمبر 2011.الجريدة الرسمية عدد 5998 مكرر بتاريخ 24 نوفمبر 2011،ص 3600.
- ✓ القانون رقم 53.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية،الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.07.129 بتاريخ 30 نوفمبر 2007. الجريدة الرسمية عدد 5584 بتاريخ 6 ديسمبر 2007،ص3890.
- ✓ القانون التوثيق32.09 يتعلق بتنظيم مهنة التوثيق.
- ✓ قانون 16.03 المتعلق بخطة العدالة.
- ✓ مدونة الضرائب

- ✓ قرار لوزير الاقتصاد و المالية رقم 15,2481 صادر في 26 من رمضان 1436 (13 يونيو 2015) بتحديد شروط مسطرة الاقرار و الأداء الالكتروني للضريبة على الشركات و الضريبة على الدخل و الضريبة علة القيمة المضافة بالنسبة للخاضعين للضريبة المزاولين لمهن حرة ، الجريدة الرسمية ،العدد ، 29.6156 دو القعدة 1436 (14 سبتمبر 2015) . ص. 7662.

المجلات :

برنامج الحكومة الالكترونية و تنزيله بوزارة المالية ،مجلة المالية لوزارة الإقتصاد و المالية ، العدد 21 يناير 2014، ص 17 .

Civil liability of fertility centers Interline

Loma Wahab
University of Babylon
lomawahab79@gmail.com

Abstract:

A significant development in the field of medical technologies has resulted in a qualitative leap that has proven effective in the treatment of infertility and assistance in conception. This development has led to the emergence of new institutions that offer various services, which are fertility centers. These centers are specialized medical institutions that provide services to assist with conception. Their role has become prominent with the advent of artificial fertilization techniques and in-vitro fertilization, to meet the needs of couples who face difficulties in natural conception .

From an administrative and medical standpoint, it is subject to a regulated legal framework, in terms of its management, finances, and staff, according to private law regulations. These centers are required to obtain official licenses from the relevant authorities to carry out their activities and operations under the supervision of the appropriate health authority . She will be legally responsible in the event of medical errors and the violation of patient privacy or breach of professional rules and ethics. These centers operate within a contractual framework that specifies the legally permissible practices, while ensuring the specific guarantees for protecting the privacy of couples regarding the storage and use of embryos, and defining the rights and obligations arising from the contract between the couples and the center. Therefore, fertility centers play a vital role in realizing the dream of having children for many families; however, on the other hand, they raise legal and ethical challenges that require the establishment of precise legislative frameworks that balance scientific advancement and the protection of human values.

Keywords:. Civil liability of fertility centers, personal liability of fertility centers, legal basis of the fertility center .

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة

أ.م. لمى وهاب ابراهيم

جامعة بابل

lomawahab79@gmail.com

ملخص:

تمخض عن التطور الكبير في مجال التقنيات الطبية طفرة نوعية اثبتت نجاعتها في مجال علاج العقم والمساعدة على الانجاب ، وهذا التطور أدى الى ظهور مؤسسات جديدة تقوم على خدمات متنوعة وهي مراكز الخصوبة ، وتعد هذه المراكز مؤسسات طبية متخصصة تقدم خدمات تساعد على الانجاب ، وبرز دورها مع ظهور تقنيات الأخصاب الصناعي والتلقيح المجهري ، لتلبية حاجات الأزواج الذين يواجهون صعوبة في الانجاب الطبيعي .وتخضع من الناحية الإدارية والطبية لاطار قانوني منظم ، من حيث ادارتها والأموال والموظفين لقواعد القانون الخاص ، و تلتزم هذه المراكز بالحصول على التراخيص الرسمية من الجهات المختصة لتزاول اعمالها ونشاطها وفق اشراف من قبل الجهات الصحية المختصة ، وتكون مسؤولة قانوناً في حالة حدوث الأخطاء الطبية وانتهاك خصوصية المريض أو مخالفتها لقواعد واخلاقيات المهنة ، وتعمل هذه المراكز ضمن اطار تعاقدي يحدد الممارسات المسموح بها قانونا ، مع مراعاة الضمانات الخاصة بحماية خصوصية الأزواج فيما يتعلق بخزن واستخدام الاجنة ، و تحديد الحقوق والالتزامات الناشئة عن العقد بين الأزواج والمركز . وبالتالي فأن مراكز الخصوبة تلعب دوراً حيوياً في تحقيق حلم الانجاب لكثير من الاسر، الا انها من جهة أخرى تثير تحديات قانونية وأخلاقية تتطلب وضع أطر تشريعية دقيقة توازن بين التقدم العلمي وحماية القيم الإنسانية .

الكلمات المفتاحية:.المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة ، المسؤولية الشخصية لمراكز الخصوبة ، الأساس القانوني لمركز الخصوبة

مقدمة:

إذا كان في ظل التطور المتسارع في مجال الطب الإنجابي، أصبحت مراكز الخصوبة تلعب دورًا محوريًا في تحقيق حلم الإنجاب لدى الأزواج الذين يعانون من مشاكل العقم. ومع هذا الدور الحيوي، تبرز الحاجة إلى تنظيم قانوني دقيق يضمن حماية حقوق المرضى ويحدد المسؤوليات القانونية المترتبة على هذه المراكز في حال وقوع خطأ طبي أو إخلال بالتزاماتها المهنية.

تتناول هذه الدراسة موضوع المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة، باعتبارها مؤسسات تقدم خدمات طبية ذات طبيعة خاصة تتعلق بأكثر الجوانب حساسية في حياة الإنسان. ويُثار التساؤل حول مدى خضوع هذه المراكز لأحكام المسؤولية المدنية التقليدية، وما إذا كانت هناك خصوصية قانونية تميزها عن غيرها من المؤسسات الصحية، خاصة في ظل تعقيد الإجراءات الطبية التي تعتمدها، مثل التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب ونقل الأجنة.

كما تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الاساس القانوني الذي ينظم عمل مراكز الخصوبة، واستعراض أبرز الحالات التي ترتبت عليها مسؤولية مدنية، سواء نتيجة خطأ طبي، أو إخلال بالسرية، أو انتهاك لحقوق المرضى. وتُختتم الدراسة بتقديم توصيات قانونية تهدف إلى تعزيز حماية المتعاملين مع هذه المراكز وضمان جودة الخدمات المقدمة.

أولاً:مشكلة البحث

رغم تعدد التشريعات التي تنظم العمل الطبي، لا تزال المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة تثير جدلاً قانونيًا وأخلاقيًا كبيرًا، خاصة عندما يتعلق الأمر بأخطاء طبية تؤثر على فرص الإنجاب أو تؤدي إلى نتائج غير متوقعة. فهل تُطبق عليها القواعد العامة للمسؤولية الطبية؟ أم أن هناك خصوصية تستوجب تأطيرًا قانونيًا خاصًا؟

اولاً: أهداف البحث:

1- تحديد مفهوم المسؤولية المدنية في سياق عمل مراكز الخصوبة.

2- ابراز الحالات التي يمكن أن تنشأ فيها المسؤولية المدنية لهذه المراكز.

3- متى تتحقق المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة.

4- عدم تنظيم هذه المراكز بقانون خاص في بعض الدول ومنها العراق وبعض البلدان العربية الأخرى والتي لاتزال في طور مشروع قانون تنظيم عمليات التلقيح الصناعي وأطفال الانابيب

5- التحديات والمعوقات الشرعية والقانونية التي تقيد عمل المراكز ، على أعتبار انها تمس جسد الانسان والتعامل بالبويضات المخصبة والاجنة .

ثانيا: منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي من خلال دراسة النصوص القانونية ذات الصلة، والمقارنة بين التشريعات الوطنية والدولية التي تنظم عمل مراكز الخصوبة.

ثالثاً : مشكلة البحث

رغم تعدد التشريعات التي تنظم العمل الطبي، لا تزال المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة تثير جدلاً قانونيًا وأخلاقيًا كبيرًا، خاصة عندما يتعلق الأمر بأخطاء طبية تؤثر على فرص الإنجاب أو تؤدي إلى نتائج غير متوقعة. فهل تُطبق عليها القواعد العامة للمسؤولية الطبية؟ أم أن هناك خصوصية تستوجب تأطيرًا قانونيًا خاصًا؟

رابعاً: خطة البحث

من أجل الإحاطة بجوانب الموضوع كافة ، قسمت موضوع البحث (المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة) الى مبحثين ، سنبحث في أولهما عن المسؤولية المدنية لمركز الخصوبة من حيث تعريف المسؤولية المدنية لمركز الخصوبة ، والمسؤولية الشخصية لمركز الخصوبة ، وفي المبحث الثاني سنتناول الأساس القانوني لمركز الخصوبة وحكم تحقق مسؤولية مراكز الخصوبة .

المبحث الأول

المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة

شهدت مراكز الخصوبة تطوراً طبياً هائلاً ، وقد أصبحت تقدم خدمات حيوية تتعلق بحق الانجاب كالتلقيح الصناعي وأطفال الانابيب . وتنهض المسؤولية المدنية عند الاخلال بالتزام قانوني سواء كان مصدره القانون أو الاتفاق(فاطمة عبد الرحيم, 2019 , ص159.) . وتكمن هذه المسؤولية عند وجود أخطاء من قبل

الكوادر الطبية أثناء عملهم المكلفين به ، مما يستدعي المساءلة القانونية في حال وقوع الضرر سواء للزوجين او الجنين أو حتى الطفل بعد الولادة ، وهذا التقدم يثير التساؤلات القانونية التي تتعلق بمسؤولية تلك المراكز عن الضرر الحاصل وفقا للقواعد العامة في المسؤولية والتي لاتستثني قواعدها المؤسسات الطبية الخاصة ، مما يسلط الضوء على مفهوم المسؤولية المدنية في هذا المجال والذي سنتناوله في المطلبين التاليين :

المطلب الأول

تعريف المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة

تعد المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة فرعاً من فروع المسؤولية الطبية ، وتثار حين ترتكب هذه المراكز خطأ مهنياً أو تقنياً أثناء تقديم خدمات الانجاب المساعد(كالأخصاب الصناعي او أطفال الانابيب او حفظ الاجنة) يؤدي الى الحاق الضرر بالمتعاملين مع المركز ، سواء كانوا الزوجين أو الجنين أو الطفل الناتج عن العملية ، وتعريف المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة

بانها : الالتزام الذي يرتبه القانون على من يرتكب خطأ سبب ضرراً للغير ، بإصلاح هذا الضرر عن طريق التعويض ' وعرفه آخر بانه : الحالة القانونية التي يلتزم فيها شخص بتعويض الضرر الذي يلحق بالغير ، نتيجة أخلاله بالتزام عقدي أو تقصيره في تنفيذ واجب قانوني ، سواء كان هذا الخطأ عمدياً أو ناتجاً عن أهمال أو تقصير (عبد الرزاق السنهوري ،2018 ص714)وبالرجوع الى أحكام المادة (204) من القانون المدني العراقي رقم (40) لسنة 1951 ، نجده ينص على أن كل تعد يصيب الغير بأي ضرر يستوجب التعويض وهذا النص اعترافاً ولو بشكل ضمني بالأحكام العامة للمسؤولية العقدية التي تنشأ عن أخلال أحد أطراف العقد بالالتزامات التي ذكرناها . ونجد أن هذا التعريف للمسؤولية المدنية يأخذنا الى معنى وجود ضمان أو كفالة في حال وقوع اوحدوث الضرر ، وهو أيضاً التزام بتعويض الضرر الذي يصيب الغير عما لحقه من ضياع المال ، أو تلف في الانفس أو ضياع المنافع ، أو الضرر الكلي أو الجزئي الذي يتعرض له الغير ، وهذا لايكفي لالتزام الضمان احتمال وقوع الضرر فقط بل لابد من وقوع الضرر حقيقة، مع وجود الاثبات للالتزام بالضمان (مها دحام ، ,2023, 234) اما من ناحية المسؤولية التقصيرية فتنشأ عن الاخلال بالتزام غير عقدي ناتج عن عمل غير مشروع ، وقد ميز المشرع العراقي بين الاعتداء الحاصل على الأشخاص وبين الاعتداء الحاصل على الأموال .

1- اما المسؤولية العقدية فنجد ان المشرع أشار أليها في الفقرة (2) من المادة (196) والتي تنص على (يكون التعويض عن كل التزام ينشأ عن العقد سواء كان التزام ينقل ملكية أو منفعة او أي حق عيني آخر أو التزاماً بعما أو امتناع عن عمل ، ويشمل مالحق الدائن من خسارة ومافاته من كسب بسبب ضياع الحق عليه أو سبب التأخر في استيفائه بشرط أن يكون هذا نتيجة طبيعية لعدم وفاء المدين بالالتزام أو لتأخره عن الوفاء به (ازهار دودان طاهر فضل ، د. حسن حنتوش رشيد ، 122 ,2025) وهنا يدفعنا التساؤل ماهي المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة ومتى تتحقق وماهو الأساس القائم على نشأتها ؟

المطلب الثاني

المسؤولية الشخصية لمراكز الخصوبة

تقوم المسؤولية الشخصية لمراكز الخصوبة على أساس ان هذه المراكز تعد منشأت طبية تقدم خدمات علاجية تدخل في نطاق المهن الطبية والصحية ، وبناءا على ذلك فانها تتحمل مسؤولية مدنية مباشرة عما يصدر عنها من أفعال أو تقصير سواء أكان الخطأ صادراً من أدارة المركز ، أو من أحد العاملين فيه ، طالما كان ذلك في نطاق العمل أو الاشراف الفعلي للمركز(سلام محمد العامري، 2017 ، ص45) وتعد هذه المسؤولية من نوع المسؤولية التقصيرية أذا كان الخطأ غير ناتج عن عقد بين المركز والمريض (كأن يكون عقد أجراء عملية تلقيح صناعي) فأن المسؤولية تكون عقدية ، ويلتزم المركز ببذل العناية اللازمة وفقاً لأصول المهن الطبية . وتشمل أوجه المسؤولية الشخصية لمركز الخصوبة في الغالب :

1- الاخلال بالالتزام المهني مثل زرع نطفة خاطئة أو أتلاف الأجنة أو العبث بها.
2- التقصير في حفظ الخصوصية وسرية بيانات الأزواج .
3- ضعف الاشراف على العاملين والفنيين مما يؤدي الى وقوع أخطاء طبية أو قانونية .
4- عدم الامتثال للقوانين المنتظمة للمراكز ، كغياب الموافقات الرسمية أو الاخلال بالشروط الصحية (سلام محمد العامري، ، 2017 ، ص45) .
5- وقد قضت المحاكم في عدة دول بأن المركز الطبي يكون مسؤولاً مسؤولية شخصية حتى أن لم يكن الطبيب مخطئاً ، متى ثبت أن النظام الإداري أو الرقابي كان فاشلاً أو ناقصاً. وقد تنشأ علاقة قانونية بين المركز وبين المستفيد ، ينتج منها التزامات تقع على عاتق كل منهما توجب المسؤولية

المدنية في حال مخالفتها ، فالمستفيد قد يبرم مع المركز عقد لحفظ عيناته (النطف المذكرة أو المؤنثة) من خلال تقنية التجميد في أجراء عملية الاخصاب أو عقداً لعلاج العقم بإحدى تقنيات الاخصاب الصناعي لغرض الحمل والانجاب(هبة الله زياد الخوالدة ، ، 2023 ,43) مماتقدم نستنتج ان العلاقة بين مراكز الخصوبة والمستفيد علاقة تعاقدية تنشا التزامات تعاقدية ترتب اثار قانونية لكل منهما.

وهنا يلزم بناءً على ذلك بدفع كلفة العقد مقابل ألتزام المركز بتنفيذه ، وهذا يعني أن العلاقة بين المستفيد والمركز ذات طبيعة عقدية ، ومن ثم فأن مسؤوليته تجاله المتعاملين تكون مسؤولية عقدية أن أخل بتنفيذ التزامه تجاههم.

المبحث الثاني

الأساس القانوني لمسؤولية مراكز الخصوبة

لبيان أساس مسؤولية مراكز الخصوبة سنقسم المبحث الى مطلبين متتالين:

المطلب الاول

الأساس القانوني لمسؤولية مراكز الخصوبة

يستند الأساس القانوني لمراكز الخصوبة الى احكام القانون المدني العامة ، لاسيما المتعلقة بالمسؤولية التقصيرية والعقدية ، بالإضافة الى القوانين الخاصة المنظمة للمهن الطبية ، كالقوانين التي تنظم ممارسة التلقيح الصناعي وحفظ الاجنة وتجميدها وحقوق المرضى .

وبالرجوع الى احكام القانون المدني العراقي فقد تنص المادة (204) منه الى (كل من ارتكب فعلاً ضاراً يلزمه التعويض) . وبذلك فان أي خطأ يصدر من المركز أو من أحد تابعيه ، سواء بأهمال أو تقصير ، أو مخالفة الأنظمة الطبية يعد اساساً لتحميله المسؤولية.

ومن ناحية المسؤولية العقدية ، فاذا كان هناك اتفاق صريح بين المركز والمريض ، كعقد لاجراء تلقيح صناعي أو تجميد أجنة فأن المركز يلتزم بموجب العقد ببذل العناية الطبية اللازمة . وان الاخلال بهذا الالتزام يرتب مسؤولية عقدية على المركز ، وهذا ماتقرر في المادة (177) من القانون المدني العراقي .

اما المسؤولية الناشئة عن أعمال التابعين:

وفقاً للمادة (210) من القانون المدني العراقي (المسؤول عن شخص يجب عليه رقابته يكون مسؤولاً عن الضرر الذي يحدثه ذلك الشخص . وبالتالي فأن المركز يتحمل المسؤولية عن أخطاء أطبائه وفنييه أذا وقعت أثناء أو بسبب العمل.

1- وفي التشريعات الأخرى ومنها التشريع الاماراتي الذي لم يشر المشرع الى نطاق المسؤولية العقدية بل أكتفى بالنص الذي يقرر المسؤولية عن فعل الغير ، والتي بموجبها يكون المتبوع مسؤولاً عن الخطأ الصادر من تابعيه أثناء تأدية واجباتهم أو بسببها (المادة (313) من قانون المعاملات المدنية الاماراتي ، والتي تنص على(لايسال احد عن فعل غيره ومع ذلك فللقاضي بناءً على طلب صدور المضرور أذا راى مبرر ايّا من الاتي ذكرهم حسب الأحوال بأداء الضمان المحكوم على من أوقع الضرر- فاذا كانت له على من وقع منه الاضرار سلطة فعلية في رقابته وتوجيهه واو لم يكن حراً في أختياره أذا كان الفعل الضار قد صدر من التابع في حال تأدية وظيفته أو بسببها).

) وفي القانون الاتحادي الاماراتي رقم (4) لسنة 2016 ، بشأن المسؤولية الطبية ، فقد تنص المادة (17)منه على أن (تسأل المنشأة الطبية عن الأفعال التي تقع داخلها ، أذا ثبت تقصيرها في التنظيم أو الاشراف أو المتابعة).

وقد بين المشرع الفرنسي مسؤولية المؤسسات الصحية الخاصة عن كل ضرر الذي يصدر من قبل الكوادر الطبية في المادة (L1142-1) من قانون الصحة الفرنسي (أنظر المادة (L1142-1) من قانون الصحة الفرنسي ، المعدلة بموجب المادة (112) من القانون رقم (526) 12 مايو 2009)

نستنتج مما سبق بأن مسؤولية مركز الخصوبة هي مسؤولية عن الخطأ المفترض من جانبه على اعتبار ذلك نتيجة لإخلاله في التزامه بواجبه في الرقابة والاخيار ، وهو خطأ مفترض لايقبل اثبات العكس ولاينتفي الا بأثبات السبب الأجنبي .

المطلب الثاني

حكم تحقق مسؤولية مراكز الخصوبة

تتحقق قيام المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة وفق شروط قانونية واضحة ، ترتكز على القواعد العامة للمسؤولية في القانون المدني ، ويشترط لقيامها ثلاثة أركان رئيسية:

اولاً: الخطأ

1- ويقصد به كل أذى يصيب المريض أو الجنين ، سواء كان مادياً (كالوفاة أو التشوه أو فقدان القدرة على الانجاب) أو معنوياً (كالألم النفسي ، أو فقدان الامل في الانجاب ، أو انكشاف خصوصية المريض) (محمد سامي عبد الحميد ، 2018, 23)

ويقصد بالخطأ الموجب للمسؤولية المدنية بشكل عام ، وهو(كل أخلال يصدر من شخص يلحق ضرراً بالغير يلزم القانون تعويضه بسبب خرق الالتزام العقدي أو الاخلال بالتزام قانوني) ويعني ذلك ان المسؤولية المدنية تقوم على اساسين ، وهما الخطأ العقدي الذي يرتب المسؤولية العقدية ، والخطأ الذي يرتب المسؤولية التقصيرية ، هذا لا يعني ان كل خطأ يلحق بالمستفيدين يوجب مسؤولية المركز بل يجب أن يكون ذلك نتيجة لإخلاله بالتزامه العقدي الذي يختلف حسب نوع الالتزام ، اذا كان التزام المركز بتحقيق غاية ، كأن يكون بفحص الدم أو نقل الدم ، أو حفظ العينات بتقنية التجميد ، فأن عدم تنفيذه لهذه الالتزامات يقيم مسؤوليته العقدية أما اذا كان التزامه بذل عناية ، كان يكون التزامه في عقد الاخصاب فهو عند ابرامه مع الزوجين لم يتعهد شفائهم من ضعف الأخصاب ، بل تعهد بذل العناية اللازمة في العلاج ، لتحقيق النتيجة المرجوة قدر الإمكان ، فهنا لا يسأل عن فشل عملية الأخصاب لعدم حصول الحمل ، فقط تكون مسؤوليته عندما يوجد أهمال أو تقصير منه بسبب خطأه في العمل الطبي ، أو عدم أتباعه الأصول المهنية في تنفيذ العلاج (فاطمة عبد الرحيم المسلماوي ، مصدر سابق ، ص171) . اما عبء أثبات الخطأ ، فالاصل أن المتضرر هو من يثبت الخطأ ، لكن في بعض القوانين خفف العبء أذا كان المريض في وضع أضعف وسمحت بأثبات الخطأ بقرائن قوية مثل التقارير الطبية أو فشل متكرر في العلاج مع وجود مخالفة ظاهرة .

ثانياً: الضرر وتعويض المتضررين ورد اعتبارهم:

في حال وقوع خطأ فأن المسؤولية تتيح للمتضرر الحصول على تعويض عن ، الاضرار النفسية ، والالم الجسدي أو فقدان الانجاب ، والنفقات الطبية الإضافية ، فالمسؤولية هي أداة عدالة وتعويض .

ثالثاً : العلاقة السببية

تعد العلاقة السببية احد الأركان اللازمة لتحقق المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة الى جانب الخطأ والضرر ، ويقصد بها : الرابط القانوني والمباشر بين الخطأ المرتكب من قبل المركز أو الطاقم الطبي ، وبين الضرر الذي أصاب المتضرر سواء أحد الزوجين أو الطفل الناتج.[1] . (حامد عبد العظيم ،2011 ، 23,) غير أن لايكفي لتقرير المسؤولية العقدية لمركز الخصوبة أن يكون هناك خطأ من جانب المركز ، وضرر أصاب المتعاملين ، بل يجب أن يكون الضرر نتيجة طبيعية لخطأه ومرتبطاً ارتباطاً مباشراً بعلاقة تجعل الأول سبب وقوع الثاني . وبالنتيجة ان العلاقة السببية لاتقوم الا اذا كان خطأ المركز سبباً في ألحاق الضرر بالمستفيد ، ويختلف عبء الاثبات بحسب طبيعة الالتزام العقدي .

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع (السؤولية المدنية لمراكز الخصوبة) توصلنا الى النتائج الاتية :

اولاً: النتائج

1- وجود قصور تشريعي ينظم عمل مراكز الخصوبة سواء في التشريع العراقي وبعض التشريعات العربية ، وهذا الامر يشكل خطورة لان جميع العمليات التي تقوم بها هذه المراكز يجب أن تكون وفق الضوابط والتعليمات ، لحماية المتعاملين معها ، مما يستوجب المعالجة.
2- لاتوجد في بعض التشريعات العراقية او العربية نصوص تشريعية خاصة بمراكز الخصوبة ، ويتم اللجوء الى القواعد العامة في القانون المدني مما يؤدي الى تفاوت في الاحكام القضائية.
3- تتميز الأخطاء الطبية في مراكز الخصوبة بحساسية خاصة ، لأنها قد تمس النسب ، وحقوق الطفل والحق في الأنجاب ، مما يجعل آثارها النفسية والاجتماعية والقانونية أكثر تعقيداً
4- تتحقق المسؤولية المدنية لمراكز الخصوبة وفقا لقواعد المسؤولية التقصيرية وذلك بتوافر ثلاثة أركان رئيسية : الخطأ والضرر ، والعلاقة السببية .

5- تختلف مسؤولية المركز حسب طبيعة الخطأ ، اذا كان تنظيمياً أو ادارياً ، قامت مسؤولية المركز ، واذا كان الخطأ شخصياً من الطبيب ، قامت المسؤولية على الطبيب ، مع أحتمال مساءلة المركز بالتبعية .

ثانياً: التوصيات

1- أصدار تشريع خاص ينظم عمل مراكز الخصوبة يتضمن شروط الترخيص ، ومعايير السلامة ، وواجبات المركز تجاه المرضى ، وحقوق الأزواج في الأجراء الطبي.
2- الزام المراكز بالحصول على موافقة مكتوبة ومستنيرة من الزوجين قبل أجراء أي عملية أخصاب مع شرح المخاطر المحتملة لتجنب المنازعات القضائية
3- تفعيل دور الجهات الرقابية والصحية والقضائية لمتابعة عمل هذه المراكز وفرض العقوبات في حال وجود مخالفات تمس السلامة أو الاخلاق أو النسب.
4- تسهيل الأثبات على المتضررين من خلال اعتماد قرائن قانونية أو طبية معينة خصوصاً في الحالات التي يصعب فيها على المريض أثبات الخطأ الفني أو العلاقة السببية
5- تخصيص لجان قضائية طبية دائمية لدى المحاكم للنظر في قضايا الأخصاب الصناعي والمسؤولية الطبية مما يضمن العدالة والسرعة.
6- نشر التوعية القانونية والطبية حول حقوق الزوجين في عمليات الأخصاب الصناعي ،وواجبات مراكز الخصوبة عبر وسائل الاعلام والمؤسسات الصحية.

المراجع

1- عبد الرزاق السنهوري ،دت , الوسيط في شرح القانون المدني ، ج1 (نظرية الالتزام – مصادر الالتزام) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ط1.
1- د. سلام محمد العامري، ، 2017 م, المسؤولية المدنية ، دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون المدني، الطبعة الأولى
2- د. محمد سامي عبد الحميد،2018. ، المسؤولية الطبية في ضوء القانون والقضاء ، دار الجامعة الجديدة

3- حامد عبد العظيم ، 2011م,المسؤولية الطبية المدنية ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية

4- *ازهار دودان طاهر فضل ، د. حسن حنتوش رشيد ، الضرر المستقبل وتعويضه في المسؤولية المدنية ، دراسة مقارنة، كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، 2025/6/31.*

5- *د. سلام محمد العامري،، 2017 . المسؤولية المدنية ، دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون المدني، الطبعة الأولى*

ثانياً: الرسائل والأطاريح والبحوث

1- فاطمة عبد الرحيم المسلماوي، 2019. التنظيم القانوني لمراكز الخصوبة – دراسة مقارنة) أطروحة دكتوراه، فلسفة في القانون / القانون الخاص، كلية القانون ، جامعة بابل ،

2- هبة الله زياد الخوالدة ، 2023 .المسؤولية المدنية عن تأجير الارحام في التشريع الأردني ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير منشورة اكاديمياً ،

3- مها دحام ، المسؤولية المدنية في القانون العراقي، بحث على الانترنيت ، 5 يوليو ،2023.

ثالثاً: القوانين

1- القانون المدني العراقي رقم (40) لسنة 1951

2- قانون المعاملات المدنية الاماراتي رقم (1) لسنة 1987.

3- قانون الصحة العامة الفرنسي رقم (21004-800) لسنة 2000.

.

The evolution of the concept of war in international humanitarian law: towards war between regular armies and cyber armies

HADDOUCHE Ouerdia
Faculty of Law and Political Science
Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou, Algeria
Ouerdia.haddouche@ummto.dz

Abstract:

The evolution of the concept of the term war appears in the emergence of new parties in armed conflicts, whether international or non-international, and the difficulty of defining them, after the wars were between regular armies on the borders of neighbouring countries, the armed conflicts became on countries from different continents in the name of the war on terrorism, as happened in the occupation of Somalia, Afghanistan, Iraq, Libya, Ukraine. To evolve conflicts at the present time and become non-international armed conflicts are predominant, and victims after they were unarmed civilians, the future wars became on everyone, as the cyber war and the Corona pandemic did not exclude even the major countries, and these new wars are not regulated by international humanitarian law based on treaties, in full detail.

Keywords: Armed conflict; cyber armies; regular armies; humanitarian law; drones.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تطور مصطلح مفهوم الحرب في القانون الدولي الإنساني : نحو حرب بين الجيوش النظامية و الجيوش السيبرانية

د/حدوش وردية زوجة زعروري
كلية الحقوق و العلوم السياسية
جامعة مولود معمري- تيزي وزو
Ouerdia.haddouche@ummto.dz

ملخص:

يظهر تطور مفهوم مصطلح الحرب في ظهور أطراف جديدة في النزاعات المسلحة سواءً الدولية أو غير الدولية، و صعوبة تحديدها، بعد أن كانت الحروب بين جيوش نظامية على حدود الدول المتجاورة، أصبحت النزاعات المسلحة على دول من قارات مختلفة باسم الحرب على الإرهاب كما حدث في احتلال الصومال أفغانستان العراق ليبيا، أوكرانيا . لتتطور النزاعات في الوقت الراهن وتصبح النزاعات المسلحة غير الدولية هي السائدة ، و الضحايا بعد أن كانوا المدنيين العزل أصبحت حروب المستقبل على الجميع فالحرب السيبرانية و جائحة كورونا لم يستثنى فيها حتى الدول الكبرى ، و هذه الحروب الجديدة لا ينظمها القانون الدولي الإنساني المبني على المعاهدات، بالتفاصيل الوافية.

الكلمات المفتاحية: النزاع المسلح ، الجيوش السيبرانية، الجيوش النظامية، القانون الدولي الانساني،طائرات الدرون

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

تطور مفهوم الحرب في القانون الدولي الإنساني مر بمراحل متعددة، بدءًا من الأعراف والتقاليد القديمة، وصولًا إلى القوانين والمعاهدات الحديثة. يهدف القانون الدولي الإنساني للتخفيف من معاناة الإنسان أثناء النزاعات المسلحة، إذ يجمع مفهومه بين فكرتين مختلفتين في طبيعتهما، الأولى قانونية تنظم سير العمليات العسكرية، والثانية أخلاقية تهدف إلى تخفيف المعاناة الإنسانية أثناء تلك المعارك وما ينجر عنها من الآم لا مبرر لها

كان اهتمام القانون الإنساني بادئ الأمر بالمقاتلين ثم انتقل نحو زيادة الحماية للمدنيين ووضع قواعد تنطبق على النزاعات الداخلية. وتمّ تنظيم قانون النزاع الدولي المسلح بشكل تدريجي على مدى مئات السنين.

أدت أنظمة الاتصال السريعة و المتطورة باستمرار إلى تحويل الحروب من واقعها التقليدي إلى الفضاء الرقمي، بظهور ما يسمى المجتمع الخامس « Fifth Society » كان لزاما التدخل من اجل وقف التهديد الذي قد تفرزه حروب المستقبل للحد من خطر الحرب السيبرانية أو الحرب الرقمية، التي تهدد الأمن و السلم الدوليين. مما يدفعنا للتساؤل: مما يدفعنا للتساؤل: ما مدى تأثير حروب المستقبل (الحرب السيبرانية على تطور مفهوم الحرب في القانون الدولي الإنساني ؟ وللإجابة ارتأينا أن نبين تطور مفهوم الحرب الكلاسيكي ،لذلك قسمنا الموضوع إلى مبحثين:

اولا: تطور المفهوم الكلاسيكي للحرب في القانون الدولي الإنساني

ثانيا: من الحرب الميدانية إلى الحرب الرقمية (السيبرانية)

أولا: تطور المفهوم الكلاسيكي للحرب في القانون الدولي الإنساني

لقد شكلت **الحرب التقليدية** النموذج الكلاسيكي للنزاع المسلح، وهي التي تأسس على ضوئها أغلب قواعد القانون الدولي الإنساني، لا سيما ما تضمنته اتفاقيات لاهاي (1899 و1907) واتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 وبروتوكولاها الإضافيان لعام 1977.

تُعتبر الحرب غير المتكافئة من الظواهر المعقدة في العلاقات الدولية والصراعات المعاصرة، حيث يتواجه طرفان غير متساويين من حيث القوة العسكرية والتنظيم. مثل الاعمال الارهابية التي ترتكبها العصابات و المليشيات.

1 الحرب التقليدية:

تُعرّف الحرب التقليدية بأنها "مواجهة مسلحة بين دولتين أو أكثر، تُستخدم فيها الوسائل العسكرية النظامية، وتسير وفق قواعد محددة تعترف بها الأطراف المتحاربة."حلّ مصطلح النزاع المسلح محلّ مصطلح الحرب، على اعتبار أن الحرب من حيث المبدأ محظورة، وبالرجوع إلى مختلف اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، واتفاقيات لاهاي، نجد أنه على الرغم من استعمال هذا المصطلح إلا أنها لم تضع له أي تعريف.لأن قواعد القانون الدولي الإنساني تطبق حسب حالات النزاع المسلح (الله، 2016، صفحة 384)

لكن التعليق الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر على اتفاقيات جنيف 1949 عند تحديد النزاع المسلح الذي يتسم بطابع دولي، أكثر وضوحا بشأن النزاع الدولي، فقد ورد في هذا التقرير بأنه: " كل خلاف ناشئ بين دولتين من شأنه أن يفضي إلى تدخل من جانب أفراد القوات المسلحة"، حتى وإن أنكر أحد الأطراف وجود حالة الحرب، كما لا يهم مدة بقاء النزاع أو عدد ضحاياه.

لكن بعض الفقهاء يذهبون إلى أنه تعبير عن حالة الحرب المعلنة، أو أي نزاع مسلح آخر ينشب بين طرفين أو أكثر من الأطراف السامية المتعاقدة، حتى وان لم يعترف أحدها بحالة الحرب (الزمالي، 1997، صفحة 33)

تتميز الحرب التقليدية بجملة من الخصائص التي تجعلها متميزة عن غيرها من أشكال النزاعات المعاصرة ، منها **الطابع العلني والمباشر** حيث يكون الصراع مكشوفًا، وغالبًا ما يسبقه إعلان حرب رسمي .كما يتميز

باستخدام القوات النظامية الأطراف المتحاربة تعتمد على جيوش منظمة تابعة للدولة، ترتدي زياً مميزًا وتحمل أسلحة خاضعة لقوانين الحرب . التي تؤدي الى **احتلال الأراضي والسيطرة الفعلية** :كثيرًا ما تترافق الحرب التقليدية مع احتلال أجزاء من أراضي العدو، ما يؤدي إلى تطبيق قواعد قانون الاحتلال و**الاستهداف العسكري المباشر** تدور المعارك أساسًا بين القوات المسلحة النظامية، مع التمييز الواضح بين الأهداف العسكرية والمدنية.

بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني، فإن أطراف الحرب التقليدية تنحصر في الدول ذات السيادة وهي الكيانات المخولة قانونًا بإعلان الحرب وعقد السلم.و القوات المسلحة النظامية وتشمل الجيوش الوطنية، والمقاتلين المنتظمين التابعين لدولة ما.و المدنيون المحميون وهم ليسوا أطرافًا قتالية، لكن القانون الدولي الإنساني يمنحهم حماية خاصة من آثار النزاع، ويحظر استهدافهم أو استخدامهم كدروع بشرية. كما وضع القانون الدولي الإنساني مجموعة من المبادئ التي تقيد سير العمليات القتالية، ومن أهمها:

مبدأ التمييز :يُلزم الأطراف المتحاربة بوجوب التفرقة بين المقاتلين والمدنيين، وبين الأهداف العسكرية والممتلكات المدنية.

مبدأ التناسب :يمنع شنّ هجوم إذا كان من المتوقع أن يُلحق أضرارًا مفرطة بالمدنيين مقارنة بالميزة العسكرية المتوقعة.

مبدأ الضرورة العسكرية :يسمح باستخدام القوة فقط لتحقيق هدف عسكري مشروع، وبالقدر الضروري فقط.

تحريم بعض الوسائل والأسلحة :مثل الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، والأسلحة التي تُسبب آلامًا غير ضرورية.

ضمان معاملة إنسانية لأسرى الحرب :وفق اتفاقية جنيف الثالثة، يجب معاملة الأسرى معاملة كريمة، ومنحهم حقوقًا إنسانية كاملة.

2 التحول نحو الحروب غير النظامية

تعتبر الحرب في هذا النوع من الحروب غير متكافئة، اذ يعتمد الطرف الأضعف على أساليب قتالية غير تقليدية مثل حرب العصابات، الكمائن، والهجمات المفاجئة، بهدف إرباك خصمه والتقليل من تأثير تفوقه العسكري.

تعتبر "الحرب على الإرهاب"، شكلا جديدا من النزاعات المسلحة الدولية، ومن ثم ينطبق القانون الدولي الإنساني على هذه الحرب، فماذا يقول هذا القانون عن الإرهاب؟ يشير هذا القانون على وجه التحديد ويحظر "التدابير الإرهابية" أو "الأعمال الإرهابية".وتنص اتفاقية جنيف الاربع على أنه: " تحظر العقوبات الجماعية وبالمثل جميع تدابير التهديد أو الإرهاب" (الاحمر، 2025)

حرب تموز عام 2006 بين قوات من حزب الله اللبناني، والتي استمرت 34 يوما في مناطق مختلفة من لبنان، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية وفي العاصمة بيروت، وفي شمإلى إسرائيل، في مناطق الجليل، الكرمل ومرج ابن عامر. انت هذه واحدة من النزاعات المثيرة للاهتمام بشكل بارز، واقعيًا وقانونيًا على حد سواء، غير أن هناك مجموعة من الآراء بشأن التصنيف القانوني لهذا النزاع والتي يمكن أن تختصر في ثلاثة مواقف تختصر في أنّ القتال كان نزاعًا مسلحًا دوليًا، أو أنه كان نزاعًا مسلحًا غير دولي، أو أنه نزاعا مسلحًا موازيًا كان يدور بين الأطراف المختلفة في الوقت نفسه: أي نزاع دولي بين إسرائيل ولبنان، ونزاع مسلح غير دولي بين إسرائيل وحزب الله. (الله، قراءة حديثة للقانون الدولي الإنساني، 2016، صفحة 434)

تغطي هذا النوع من النزاعات المسلحة غير الدولية المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف والبروتوكول الإضافي الثاني الصادر عام 1977، كما يغطيها عدد معين من الاتفاقيات الأخرى، وأيضا القانون الدولي العرفي، وكل ذلك يمثل الإطار القانوني المناسب لذلك المسار من النزاعات، بالإضافة إلى تطبيق قانون النزاع المصلح الدولي

ولذلك أرى أننا أمام ظاهرة جديدة من النزاعات غير الدولية، يتجاوز مفهومها النطاق التقليدي، لكونها تتم عبر عدة دول في العالم بأسره بأيدي جماعات مسلحة لا تشكل دولا والقوات الحكومية. ظهر هذا النوع من النزاع المسلح في أعقاب هجمات سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية

وقد تجلت أولى ملامح هذا النوع من النزاعات المسلحة، ما يحدث حاليا بين جماعات مسلحة لا تشكل دولا وبين حكومات وجيوش وحشد شعبي في دول معينة، تعرف تلك الجماعات بـ "القاعدة" و"داعش" و"النصرة" و"المنتسبين لهم" و"أتباعهم"، تتواجد على مستوى عدة دول مثل سوريا والعراق وليبيا، وأفغانستان طبيعي أن تسمى تلك النزاعات بنزاعات عبر الدول، لأنها تخاض عبر عدة دول ومجتمعات وأفراد يكتوون بنارها في أنحاء العالم، تفضي هذه الظاهرة إلى معاناة الإنسان والموت، والتشوه، والدمار وفقدان الأمل، وهو ما يعيد فتح إشكإلات معينة حول علاقة هذه الجماعات بأمن الدول وحماية الأفراد. (الله، قراءة حديثة للقانون الدولي الإنساني، 2016، صفحة 435)

ثانيا: من الحرب الميدانية إلى الحرب الرقمية (السيبرانية)

تفرض الحرب السيبرانية تحديًا غير مسبوق على قواعد القانون الدولي الإنساني، نظرًا لكون هذا الأخير قد وُضع في الأصل لتنظيم النزاعات المسلحة التقليدية التي تقع بين جيوش نظامية، في بيئة مادية، وبوسائل حربية معروفة. ومع تطور الفضاء الرقمي كجبهة صراع جديدة، يثور تساؤل جوهري حول ما إذا كانت الهجمات السيبرانية تُعد من قبيل "النزاعات المسلحة" التي يُطبّق عليها القانون الدولي الإنساني.

1 تاثير الفضاء السيبراني على النزاعات المسلحة

إن الحرب التقليدية تمثل الإطار المرجعي الأصلي الذي تأسس عليه القانون الدولي الإنساني. لكن بروز أشكال جديدة من الحروب، كالحروب السيبرانية ، يطرح إشكاليات قانونية عميقة تتعلق بإمكانية انطباق هذه الضوابط التقليدية عليها، وهو ما يجعل إعادة النظر في المفاهيم الراسخة ضرورةً حتمية لمواكبة التحولات التكنولوجية في ميدان النزاعات المسلحة.غيرت الثورة التكنولوجية من أعمال الدول

ونشاطاتها سلميا وفي حالة الحرب، وأصبح مجالا جغرافيا متنوعا وممتدا، مما يجعله فضاء خطيرا في حالة النزاع.

تُعرف **الحرب السيبرانية (Cyberwarfare)** بأنها: "استخدام الفضاء السيبراني كحيز لشنّ هجمات رقمية مخططة وممنهجة من قبل دولة أو جهة فاعلة بهدف إلحاق ضرر فعلي بالبنية التحتية، أو شلّ قدرات الخصم، أو التأثير على الأمن القومي لدولة أخرى، دون خوض مواجهة عسكرية تقليدية".وقد عرّف "دليل تالين" الصادر عن مركز التميز للدفاع السيبراني التابع لحلف الناتو الحرب السيبرانية بأنها: "أعمال عدائية في الفضاء الرقمي قد ترقى إلى مستوى النزاع المسلح إذا استوفت شروط الاستخدام المكثف للقوة أو تسببت بأضرار تماثل ما تحدثه الأسلحة التقليدية".

كما تُعرف هذه الحرب على أنها:" عملية الكترونية هجومية كانت أو دفاعية يُتوقع أن تتسبب في إصابة أو قتل أشخاص أو الإضرار بأعيان أو تدميرها".

تنطوي على أعمال القرصنة والاستخبارات والتجسس أو التضليل وبث الإشاعات أو تدمير الشبكات الرقمية والبيانات أو تحصيله. (نجاة، 2023، صفحة 110)

حسب اللجنة الدولية للصليب الأحمر فالهجمات السيبرانية التي ترقى لمستوى الهجمات وفق تعريفها المحدد في القانون الدولي الانساني هي فقط التي تخضع للحظر الذي يفرضه القانون على الهجمات المباشرة الموجهة ضد أعيان مدنية والهجمات العشوائية وغير المتناسبة، باعتبارها أثارا وأضرارا جسيمة.

تخضع الهجمات على شبكات الحاسوب للقيود الجغرافية المفروضة حسب القانون الدولي. هذا الموضوع محل نقاش متواصل على المستوى الأممي وكذلك اللجنة الدولية للصليب الأحمر في خضم تقاريرها الدورية حول القانون الدولي الانساني وتحديات النزاعات المسلحة المعاصرة. (الأفكار، 2023، صفحة 111)

إن الكلام عن الحقوق والحريات في ظل الانترنت يبدي للبعض مدى التطور الذي لحق حقوق الإنسان وحرياته من جراء الثورة المعلوماتية ومدى الاستفادة المحققة في هذا المجال، ولكن إذا تناولنا الجانب السلبي للمعلوماتية – الجرائم المستحدثة – نقول أن هذا التطور فتح بابا يصعب التصدي له نتيجة للأخطار التي أضحت تهدد الأشخاص من مجرمين محترفين وان كانوا بعيدين عنهم كل البعد، ولذلك سنحاول التعرف على مختلف الجرائم المستحدثة الماسة بحقوق الأفراد في خضم هذه الثروة المعلوماتية. (هجيرة، 2014، صفحة 261)

من خصائص هذه الأخيرة إنها جريمة تتم بسرعة وبصفة مستترة، متطورة في أسإلبها كما أنها أقل عنها في التنفيذ وعابرة للحدود الجغرافية، ويصعب إثباتها لعدم وجود الأدلة المادية الكافية مع سهولة إتلاف الأدلة الخاصة بها، إضافة إلى نقص الخبرة في أغلب الأحيان لدى الجهة المكلفة بالرقابة والضبط مع نقص القوانين المنظمة والقائمة في هذا المجال. بالإضافة لما سبق فهناك بعض الدراسات التي اهتمت بشخصية المجرم في جرائم الانترنت وحددت صفاته ومن هذه الصفات مثلا: أن المجرم المعلوماتي من النوابغ وأنه متكيف اجتماعيا، محترف ومتخصص فجريمة الانترنت جريمة الأذكياء وحرب المعلومات ومن بين المشاكل البارزة في هذه الجريمة أن المستعمل يكون مجهولا، وغالبا ما يستخدم أسماء مستعارة بدلا من اسمه الحقيقي فعدم تحديد الشخصية يشجع ويغرى الشخص على ارتكاب الجرائم. (هجيرة، الحقوق والحريات وجرائم الإنترنت، صفحة 262)

تُعد الحرب السيبرانية تحولًا جذريًا في مفهوم الحرب الحديث، فهي تُدار في فضاء غير مرئي، بواسطة أسلحة غير تقليدية، ومن قبل فاعلين غير نمطيين. ورغم أنها قد تؤدي إلى نتائج تماثل النزاعات المسلحة التقليدية من حيث الأثر، إلا أنها لا تزال خارج نطاق التطبيق الصريح لكثير من قواعد القانون الدولي الإنساني. وهو ما يفرض تحديات قانونية وأخلاقية كبيرة بشأن كيفية تقنينها وحوكمة سلوك الفاعلين فيها.

2 الحرب الروسية– الاوكرانية كنموذج للحرب الميدانية و السيبرانية

يشهد العالم في الحرب الروسية الأوكرانية ما بات يُطلق عليه "حرب الطائرات المسيرة" حيث أصبحت الطائرات بدون طيار ركيزة استراتيجية رئيسية عند الطرفين منذ بداية الغزو، طورت أوكرانيا إنتاجها من الطائرات بدون طيار من عدد قليل إلى ما يقارب مليون وحدة مستخدمة في 2024، مع أهداف طموحة لإنتاج أكثر من 4–4.5 مليون في 2025 .تم تأسيس قوة متخصصة بالطائرات المسيرة ضمن القوات المسلحة، لتعزيز هيمنة هذه التكنولوجيا. **روسيا** تقول إنها ضاعفت استخدام طائرات الارانية Shahed نحو 183 يوميًا في يونيو 2025 بزيادة قدرها ثلاثة أضعاف خلال عدة أشهر .**أوكرانيا** تسريع إنتاج الطائرات المضادة (Interceptor drones) لمواجهة موجات – Shahed مع إعلان عن 400 طائرة تم استخدامها في ليلة واحدة ضد كييف .باستخدام الذكاء الاصطناعي (AI/Machine-learning)، يتم تطوير مزيد من الطائرات القادرة على تحديد الأهداف وتنفيذ الهجوم دون الحاجة للاتصال أوGPS ، ما يقلل من فرص التشويش بدلاً من الاعتماد على التفوق الجوي التقليدي، تبنّت أوكرانيا استراتيجية "تكتيك عدم التوازن" المرتكزة على الابتكار والتقنيات المتقدمة .نظر إلى معركة أوكرانيا كـ"ربيع التكنولوجيا الحيّة" (Reuters)

للطائرات المسيرة حيث تم تجربة الابتكارات الميدانية في وقت وجيز، ما أدي إلى تطويرات فنية كثيفة وسريعة .دول حلف الناتو وأخرى تُطوّر نظم تحالفية من الطائرات المرافقة wingman) (dronesلتعمل جنبًا إلى جنب مع الطائرات التقليدية مستفيدة من ميراث الحرب الأوكرانية.الحرب الروسية–الأوكرانية تحولت إلى ساحة اختبار عالمي للطائرات بدون طيار عبر كافة المجالات—الاستطلاع، الضربات التكتيكية، الدفاع، وحتى الهجمات البحرية.هذه الحرب ربما تُذهب عصر التفوق الجوي إلى نهاية، وتمدّد عصر "الطائرات الصغيرة الذكية" كقوة رئيسية في الحروب المستقبلية.السباق الآن بين الطرفين هو بين إنتاج أعداد كبيرة ورخيصة وبين تصدي فعال عتراض، تشويش، استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي. (Reuters)

مما تقدم سابقا نلاحظ ان تطور مفهوم الحرب من الحروب في الميدان الى حرب الكمبيوتر(أي سيبرانية) في الانترنت و حرب الفيروسات في المختبر مع جائحة كورونا كوفيد- 19 لتعود الحرب الكلاسيكية في الحرب الروسية –الاوكرانية بين الجيوش النظامية على الحدود بين الدول، القتال في أوكرانيا مستمر بين الجيشين الروسي و الأوكراني ، و ما يلاحظ أيضا أن أن الفضاء الالكتروني مسرحا ثانويا للحرب و الدليل أن الجانبين في القتال لا يقومان بتعبئة جيوشهما النظامية فقط و انما يقومان بتعبئة خبراء تكنولوجيا المعلومات في البلدين، **فالمعارك دائرة في الميدان و في الكومبيوتر ،اذا هي حرب في الميدان وحرب سيبرانية في أن واحد.**

أكد رئيس الجمعية العامة بمناسبة احتفال منظمة الامم المتحدة بمرور 80 عام على توقيع ميثاق الامم المتحدة أن ميثاق المستقبل وملحقيه، الاتفاق الرقمي العالمي والإعلان بشأن الأجيال المقبلة، يُقدمان توجيهات في هذا الصدد، مضيفا أن الإصلاحات التي يقودها الأمين العام من خلال مبادرة الأمم المتحدة 80" **ستجعل المنظمة أداة للتعاون الدولي المستدام."و** من جانبه، قال الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش إنه بعد مرور 80 عاما على توقيعه، يشهد العالم" **اعتداءات على مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة لم يسبق لها مثيل"**، وحث جميع الدول الأعضاء على الالتزام بروحه ونصه" **والمستقبل الذي يدعونا لبنائه من أجل السلام والعدالة والتقدم**، إن الميثاق" **منحنا الأدوات اللازمة لتغيير المصائر، وإنقاذ الأرواح، وبث الأمل في أكثر بقاع العالم يأسا."** (المتحدة، 2025)

إلا أن العالم اليوم، وفقا للأمين العام، يشهد "التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد الدول ذات السيادة، وانتهاك القانون الدولي، واستهداف المدنيين والبنية التحتية المدنية، وتحويل الغذاء والمياه إلى سلاح، وتآكل حقوق الإنسان"،**وأضاف قائلا : اتباع الميثاق عندما يكون مناسبا، وتجاهله عندما لا يكون كذلك. ميثاق الأمم المتحدة ليس اختياريا. إنه ليس قائمة حسب الطلب. إنه أساس العلاقات الدولية. لا يمكننا ولا يجب علينا تطبيع انتهاكات أبسط مبادئه."وقال السيد غوتيريش إنه يجب الآن أكثر من أي وقت مضى احترام القانون الدولي وإعادة الالتزام به، قولا وفعلا، للتكيف مع العالم**

الرقمي متعدد الأقطاب بشكل متزايد، والاستجابة للصدمات العالمية بوحدة وعزيمة،" ولتحديث كيفية عملنا وبناء تعددية أقوى ومتجددة وشاملة ومتشابكة تتكيف مع القرن الحادي والعشرين" إلا أنه شدد على أنه يتعين على المنظمة إجراء إصلاحات لزيادة فعاليتها، حيث إن "مصداقية الأمم المتحدة والنظام المتعدد الأطراف الذي تجسده تعتمد على قدرتها على التكيف مع واقع عصرنا ."(المتحدة، 2025)

خاتمة

كشف تحليل تطور مفهوم الحرب في القانون الدولي الإنساني عن تحول عميق في طبيعة النزاعات المسلحة، من الصدام التقليدي بين جيوش نظامية إلى نماذج جديدة وغير متماثلة من الحروب، أبرزها **الحرب السيبرانية** .هذه الأخيرة تُمارَس في فضاء غير مادي، وتُنفَّذ بوسائل رقمية من قبل أطراف يصعب تحديد هويتهم بدقة، وتستهدف في كثير من الأحيان بنى تحتية حيوية مدنية، وهو ما يجعلها تتقاطع في آثارها مع النزاعات المسلحة التقليدية.

من خلال ما سبق توصلنا الى النتائج التالية:

1. لقد بيّنت الحرب أن التوازنات الدولية التقليدية لم تعد قادرة وحدها على حفظ الاستقرار، وأن الصراعات الكبرى ما زالت قادرة على تهديد الأمن الجماعي، وإعادة تشكيل التحالفات، وتغيير أولويات الدول. لعل ما يحدث في غزة في فلسطين اكبر دليل
2. كما أظهرت النزاعات الحالية ان التفوق العسكري لا يكفي لحسم الحروب في ظل التداخل الكبير بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والإعلامية .من جهة أخرى، كشفت الحرب عن تصدعات في النظام الأمني الدولي و العجز ي عن حماية حدود الدول و الافراد
3. لا توجد حتى الآن اتفاقية دولية مخصصة لتعريف الحرب السيبرانية أو ضبطها قانونيًا بشكل ملزم، ما يجعل هذا النوع من الحروب يشكل "فراغًا قانونيًا" في القانون الدولي الإنساني.

انطلاقا مما سبق توصلنا الى التوصيات التالية:

1تفرض التحولات المعاصرة على المجتمع الدولي مهمة تحديد القواعد القانونية لمواكبة أنواع النزاعات الجديدة، وضرورة تطوير آليات فعالة للرصد والمساءلة، بما يضمن احترام القانون الدولي الإنساني واستمراريته كمنظومة فعالة لحماية الإنسان في زمن الحرب.

2يجب أن يُدمج في القانون الدولي الإنساني ضمن مفاهيمه الحديثة النزاعات التي تقع في الفضاء السيبراني، متى ما استوفت شروط التأثير الجسيم أو المنهجي على البنى الأساسية أو المدنيين.كما يجب تبني بروتوكول ملحق باتفاقيات جنيف، يُعنى صراحةً بالأنشطة السيبرانية أثناء النزاعات، ويُحدد طبيعة الأسلحة الرقمية، وأطراف النزاع، وضوابط استخدامها.

3يجب تطوير مفهوم "المقاتل" في سياق الحرب السيبرانية ليشمل الفاعلين غير التقليديين (مثل الهاكرز العسكريين) ضمن شروط قانونية واضحة تضمن التمييز بين الأهداف المشروعة وغير المشروعة.

قائمة المراجع

1. الاحمر ,ا .ا .(2025) .*اتفاقيات جونيف الاربعة لعام 1949و التعليقات عليها* . (ICRC, Éd.) Récupéré sur https://www.icrc.org/ar/law-and-policy/geneva-conventions-and-their-commentaries

2. الأفكار ,س .ن .(2023) .*المبسط في القانون الدولي الإنساني* .الجزائر :بيت الأفكار.

3. الزمالي ,ع .(1997) .*مدخل إلى القانون الدولي الإنساني* .تونس :وحدة الطباعة والإنتاج اتلفني في المعهد العربي لحقوق الإنسان.

4. الله ,ع .س .(2016) .*قراءة حديثة للقانون الدولي الإنساني* .الجزائر :دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

5. الله ,ع .س .(2016) .*قراءة حديثة للقانون الدولي الإنساني* .الجزائر :دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

6. الله ,ع .س .(2016) .*قراءة حديثة للقانون الدولي الإنساني* .الجزائر :دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

7. نجاة ,س .(2023) .*المبسط في القانون الدولي الإنساني* .الجزائر :بيت الأفكار.

8. هجيرة ,ت .(2014) .الحقوق والحريات وجرائم الإنترنت .*مجلة صوت القانون*)العدد .(1

9. هجيرة ,ت .(s.d.) .الحقوق والحريات وجرائم الإنترنت .*مجلة صوت القانون*)العدد .(1

10. Reuters. (s.d.). Zelenskiy says Ukraine developing interceptor drones to counter Russian attacks. https://www.reuters.com/business/aerospace-defense/zelenskiy-says-ukraine-developing-interceptor-drones-counter-russian-attacks-2025-06-20/

The Role of Arbitration in Resolving Investment Disputes

Noureddine hairech[1]
Mustapha Stambouli University – Mascara – Algeria
hairechnou@univ-mascara.dz
mohammed amine djeriou [2]
Mustapha Stambouli University – Mascara – Algeria
Mohammed.djeriou@univ-mascara.dz

Abstract:

This research paper aims to clarify and indicate the readiness of countries to provide the appropriate environment for the investor, whether foreign or national, in order to materialize his investment on the ground, as the guarantees granted by their laws are the most important protection for his investment, including his right to resort to the judicial authorities in the event of his sense or exposure to everything that harms his investment, but the latter has become futile in the event of non-respect by the countries hosting the investment, and therefore it was necessary to Other mechanisms work to protect investors from the arbitrariness of these countries, and they also achieve the principle of neutrality in international trade and economic relations, so the accession of countries to various international agreements was a conducive to their legal position, which translates their will to protect investors by all available legal means, including the adoption of arbitration in investment-related disputes, as well as their acceptance of the existence of specialized bodies to resolve these disputes, whether inside or abroad.

On the other hand, it was necessary to translate these treaties on the ground, through the accession of various countries, including Algeria and Libya, where they were translated into internal texts, and the most prominent example of this is that all laws regulating investment in Algeria since ancient times until Law 18/22 worked to enshrine the right to resort to arbitration, which is considered a special judiciary, and following the ratification of the Convention on the Recognition and Enforcement of Foreign Judgments, the Algerian legislator worked to translate them into different legal texts. Including the Code of Civil and Administrative Procedures, or as some call legislation the Code of Procedure, where an entire chapter is devoted to it entitled International Commercial Arbitration, as well as the recognition of foreign judgments by force of law, without the possibility of appealing them, except within certain limits, and on the contrary, we find the Libyan law, which is credited with having worked to allocate an independent law, in which legal aspects are tightly

organized from the beginning of the agreement until the settlement of disputes and the implementation of judgments issued therein.

Keywords

Arbitration, Investor, Treaties, Libyan Law, Investment Disputes

دور التحكيم في حل المنازعات الاستثمارية الدولية "دراسة مقارنة"

نور الدين حيرش[1]

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر – الجزائر

hairechnou@univ-mascara.dz

محمد الأمين جريو [2]

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر – الجزائر

Mohammed.djeriou@univ-mascara.dz

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى توضيح وبيان ما مدى جاهزية الدول في توفير البيئة الملائمة للمستثمر سواء كان أجنبيا أم وطنيا من أجل تجسيد إستثماره على أرض الواقع، حيث تعد الضمانات التي تمنحها له قوانينها أهم حماية لإستثماره، ومنها حقه في اللجوء إلى الجهات القضائية في حالة إحساسه أو تعرضه لكل ما يضر إستثماره، ولكن قد تضحت هذه الاخيرة دون جدوى في حالة عدم إحترامها من قبل الدول المستضيفة للإستثمار، ولذلك كان لابد من وجود الآليات أخرى تعمل على حماية المستثمرين من تعسف تلك الدول، كما أنها تحقق مبدأ الحياد في العلاقات التجارية والإقتصادية الدولية، لذلك كان إنضمام الدول إلى مختلف الإتفاقيات الدولية مؤدا على موقفها القانوني الذي يترجم إرادتها على حماية المستثمرين بكل الطرق القانونية المتاحة، من بينها تبنى التحكيم في المنازعات المتعلقة بالإستثمار، وكذا قبولها بوجود هيئات متخصصة لحل تلك المنازعات سواء داخلها أو في الخارج.

في المقابل ذلك كان لابد من ترجمة تلك المعاهدات في أرض الواقع، من خلال إنضمام مختلف الدول لها، من بينها الجزائر وليبيا، حيث ترجمتها في نصوص الداخلية وأبرز مثال على ذلك أن جميع القوانين المنظمة للإستثمار في الجزائر منذ القديم إلى غاية القانون 18/22 عمل على تكريس حق اللجوء إلى

التحكيم، الذي يعتبر قضاءً من نوع خاص، وعلى إثر المصادقة على اتفاقية الإعتراف وتنفيذ الأحكام الأجنبية عمل المشرع الجزائري على ترجمتها في نصوص قانونية مختلفة منها قانون الإجراءات المدنية والإدارية أو كما يسمى لدى البعض التشريعات بقانون المرافعات، حيث خصص لها فصلا كاملا بعنوانه التحكيم التجاري الدولي، فضلا عن الإعتراف بالأحكام الأجنبية بقوة قانون، دون إمكانية الطعن فيها، إلا في حدود معينة، وعلى العكس من ذلك نجد قانون الليبي، الذي تحسب له أنه عمل على تخصيص قانون مستقل، نظم فيه جوانب قانونية تنظيما محكما من بداية الإتفاق إلى غاية الفصل في المنازعات وتنفيذ الأحكام الصادرة فيها.

الكلمات المفتاحية: التحكيم، المستثمر، المعاهدات، قانون الليبي، منازعات الاستثمار.

مقدمة:

إن المتتبع لمراحل إعتراف الدولة الجزائرية بالتحكيم الدولي، عرف تغير جذريا بعدما كان مرفوضا تماما، لعدة أسباب تتمحور معظمها بالمس بالدرجة الأولى بسيادة الدولة، ولكن سرعان ما تنازلت عن الموقف، خاصة مع تحولات الاقتصادية الجديدة، وتماشيا مع اقتصاد السوق الذي تبنته الجزائر بعد سنة 1989، فأصبح لا مفر من اللجوء إلى التحكيم، خاصة في العلاقات الاقتصادية الدولية، ليتسع المجال إلى إعمال التحكيم، ليس فقط في المنازعات التجارية الدولية، بل أصبحت كل الشركات التجارية الدولية تشترطه كشرط أساسي للإستثمار في الدولة المضيفة، من خلال إفراد بند خاص يتمحور حول إخضاع جميع المنازعات إلى التحكيم رغبة منه في تحقيق العدل والمساواة، خاصة أن الدولة المضيفة تتمتع بإمتيازات السلطة العامة، مما قد يؤدي إلى تعطيل مبدأ حياد القضاء الوطني، لذلك يعد الإعتراف بحق اللجوء إلى التحكيم مكرس في جميع القوانين المنظمة للإستثمار كضمانة القضائية للمستثمر من شأنها تحقيق عامل من عوامل إسقرار المناخ الإستثماري، والشروط الملائمة لجذب المستثمر، ويحفز على إتخاذ القرار الإستثماري في الدولة المضيفة، حيث أصبح من أولويات الدول تحقيق البيئة الملائمة والمحفزة لإستقطاب المستثمرين، وخاصة الأجانب بإعتبارهم مصدر تمويل للدولة، وتوفير السيولة المالية للبنوك، حيث شهدت التعديلات القانونية الأخيرة بإعطاء الأولوية للمستثمر، من خلال تكريس القضاء المتخصص الذي يفصل في المنازعات المتعلقة

بالإستثمار، إلا إذا وجد إتفاق التحكيم الذي يعطي الإختصاص لهيئات التحكيم المتخصصة، فيعتبر القانون والضمانات التي يوفرها أهم ما يتطلع آلية للمستثمر، إضافة الى تلك المزايا المالية، والإعفاءات التي تختلف بإختلاف السياسة الإستثمارية، التي تسطرها كل دولة، فكما نص القانون الجزائري المنظم للإستثمار وجدنا أيضا أنه بموجب القانون رقم 09 لسنة 2010 الذي إعترف فيه المشرع للمستثمر بأحقية اللجوء إلى التحكيم في حالة وجود الإتفاقيات الخاصة بالتحكيم، لذلك نهدف من مداخلتنا هذه إلى التعرف على مدى قدرة المشرع في توفير هذه الضمانة القضائية بالإعتراف إلى اللجوء إلى التحكيم، وكذا التعرف على آليات توفير هذه الآلية للمستثمر سواء كان على مستوى الدولي أو الوطني، أي تكريسه في القانون الداخلي، حيث يعد إنضمام الدول للإتفاقيات التي تكرس التحكيم ، والذي يعد مظهرا من المظاهر التي تؤكد على مدى إهتمام الدولة المستضيفة على حماية تلك المعاملات الإقتصادية والعمل على إستقرارها، ولكن ذلك لا يكفي فلابد من تكريسه في القوانين الوطنية، فلا يمكن الإكتفاء بالحماية الموضوعية للمستثمر فقط، بل تتعدى أيضا إلى الحماية الإجرائية، لنصل إلى طرح الإشكالية المحورية التي يدور حولها هذا الموضوع، والمتمثلة في ما مدى ضمان المشرع الجزائري والليبي للتحكيم كمبدأ أساسي في منازعات الإستثمار؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية الجوهرية اتبعنا المنهج التحليلي والمقارن لإثراء موضوع دراستنا في إدراك التنظيم القانوني للتحكيم من خلال التشريعين، وكذا بيان نقاط الإختلاف والإتفاق في بعض المسائل الجوهرية التي تنظم التحكيم، لذلك كان البناء المنهجي لهذه الدراسة في الخطة الثنائية التي تمحورت في مبحثين ، تعرضنا في المبحث الأول إلى التكريس الدولي للتحكيم في الإتفاقيات الدولية، وتناولنا في المبحث الثاني إلى القوة الالزامية لأحكام التحكيم الأجنبية.

المبحث الأول: التكريس الدولي للتحكيم في منازعات الإستثمار

بالرغم من أن المشرع قد وضع الإطار القانوني للاستثمار في الجزائر، وأخضع المنازعات التي تثور بين المستثمر والدولة المستضيفة للإستثمار كأصل العام إلى القضاء الوطني، إلا أنه في حالة وجود اتفاقية ثنائية أو متعددة تقضي بلجوء المستثمر إلى الطرق البديلة لتسوية المنازعات، وذلك ما سوف نفصل فيه في هذا المبحث بالتعرض أولا إلى أهم الإتفاقيات المبرمة في هذا الخصوص في المطلب الأول و إلى الإتفاقيات المصادق عليها من قبل الجزائر سواء كانت ثنائية أو متعددة الأطراف في المطلب الثاني.

المطلب الأول: الإتفاقيات الدولية مكرسة لحق اللجوء إلى التحكيم

تقر القواعد القانونية في القانون الدولي الخاص مجموعة من قواعد الإسناد، التي أصبحت في وقتنا الحالي عبارة عن قواعد جامدة لم يعد لها وجود ضمن المنازعات الإقتصادية، خاصة اذا ما إرتبطت بالإستثمار، وعلى هذا الأساس جاء ما يسمى بمنهج القواعد المادية، المتمثلة في طرق البديلة لحل المنازعات، وهي الوساطة والصلح والتحكيم، حيث توسع هذا الأخير ليتجاوز المنازعات التجارية الدولية، التي نجح في حلها، ليتم تبنيه في المنازعات الإستثمارية، حيث إعتبر ضمانة للمستثمر ضد الدولة المستضيفة، خاصة مع وجود جهة قضائية مستقلة، تكرس مبدأ الحياد في المنازعات الناتجة عن تنفيذ عقود الإستثمار، حيث جاء ذلك كنتيجة حتمية للإتفاقيات المبرمة والمصادقة عليها من قبل الجزائر، إذ تم تبني الأساس القانوني والمؤسساتي لحل المنازعات ناتجة عن الإستثمار، أي تلك الناتجة بين المستثمر والدولة المستضيفة.

وعليه تتمثل طرق الاتفاق فيمايلي :

أولا: الإتفاق الصريح بين الأطراف

تتعدد صور الإتفاق الصريح بين الأطراف المتعاقدة، حيث تتمثل في إتفاقية التحكيم ومشارطة التحكيم، إذ يتحدد الفرق بينهما فقط من حيث الزمن الذي يبرم فيه الإتفاق بين طرفي العقد.

حيث يعد clause compromissoir أو شرط التحكيم، البند الذي يرد ضمن العقد الأساسي المبرم بين الدولة المستضيفة والمستثمر، حيث يتم تضمين العقد بند ينص على أن جميع النزاعات التي تنشأ في المستقبل يتم حلها عن طريق التحكيم.

وعليه أما أن يرد شرط التحكيم كالبند ضمن بنود العقد، أما إذا إفترضنا أنه تم إغفال الإتفاق على التحكيم من قبل الأطراف العقد أثناء إبرام هذا الأخير، فيتم إدراجه كالملحق للعقد التأسيسي، ولكن يشترط في هذا الأمر أن يتم هذا الإتفاق قبل نشوء أي نزاع بين طرفين حول أي موضوع من الموضوعات التي الإتفاق عليها مسبقا، كما يتم الإتفاق أيضا على هيئة التحكيم والقانون الذي يسري على النزاع، وطرق تعيين المحكمين، لأنه يوجد فريق من الفقه إعتبر أن البند الذي يقضي باللجوء إلى التحكيم يعتبر في حد ذاته بمثابة عقد، كما يجب تحديد المدة التي يستغرقها التحكيم.

بالإضافة إلى ذلك يتم تحديد القانون الواجب التطبيق وعدد المحكمين، مع ذكر أسماءهم، كما يتم تحديد الإجراءات التي يجب على المحكم إتباعها أثناء سير الخصومة (معمر قوادري ، 2020، صفحة 20) .

أما مشارطة التحكيم فهي عبارة عن إتفاق يبرم بعد نشوء النزاع بين الطرفين، أي أن يصبح النزاع قائما ومتحققا فعلا compromis .

وما يؤخذ على التشريع الليبي في هذه النقطة أنه ضمن في الأحكام العامة تعريفات قانونية محضة لبعض المصطلحات التي غفل عنها المشرع الجزائري، من بينها إتفاق التحكيم و مشارطة التحكيم، حيث نص في المادة الأولى من قانون رقم 10 لسنة 2023، ضمن الأحكام العامة، على أن إتفاق التحكيم هو الإتفاق الذي يلزم الأطراف إلى اللجوء إلى التحكيم لفض كل أو بعض النزاعات القائمة أو التي تنشأ في المستقبل"، وإعتبر في نص المادة 4 من نفس القانون صراحة أن مشارطة التحكيم هي عقد مستقل عن العقد الأصلي.

كما نص على أن الموضوعات التي يتم الإتفاق عليها ليس محددة على سبيل الحصر، وإنما يحكمها مبدأ السلطان الإرادة، ألا أننا نجد أن هناك بعض التشريعات التي تضع بعض القيود على بعض الموضوعات التي لا يجوز التحكيم فيها، وقد حصرها المشرع الجزائري في نص المادة 1006 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وهي المسائل التي تخص النظام العام، وحالة الأشخاص وأهليتهم، وكذلك منع الأشخاص المعنوية من اللجوء إلى التحكيم إلا في ظل العلاقات الإقتصادية، على عكس المشرع الليبي نجده قد قصر حالات المنع في ثلاث (3) حالات فقط، تتمثل في النظام العام والجنسية والأحوال التي لا يجوز الصلح فيها، حيث نجد أن هذه الحالات جاءت بصيغة العموم، مما يسمح بالتوسع في تفسيرها في كل وقت.

كما نجد أن الفقه نص على أن ما يميز شرط التحكيم هو كونه يحدد فيه النزاع الذي يخضع إلى إختصاص التحكيم بدقة، على عكس إتفاق التحكيم الذي يعجز فيه طرفي العقد على تحديد النزاع بدقة، لأنه لم ينشأ بعد، وتتجلى العلة في تحديد النزاع بدقة في كونه يقيد سلطات المحكم في النظر في موضوع النزاع، كما أنه يتم تحديد سلطات المحكم في إصدار الأوامر المؤقتة، إذا إقتضت الضرورة إلى توقيعها دون المساس أصل الحق، أما بالنسبة إلى شكل الإتفاق سواء كان مشارطة أو شرط تحكيمي لابد أن يكون واضحا دون وجود أي غموض، تحت طائلة البطلان، على أن يكون مكتوبا أو موضحا بأي وسيلة إتصال يمكن إثباتها بالكتابة، كما يتم تحديد لغة التحكيم، ليتكلل في نهاية إلى الحكم التحكيمي (رقاب و زروق ، 2018، الصفحات 298 - 301).

لذلك يتقرر اللجوء إلى التحكيم سواء كان النزاع قائما أو كان افتراضا مستقبليا، أو بمفهوم المخالفة لا يمكن أن يتقرر الإختصاص بالتحكيم إذا كان النزاع الناشئ بين الطرفين قد إنتهى أو تم الحكم فيه بموجب

حكم نهائي صادر عن قضاء الدولة المستضيفة، وذلك مراعاة لإستقرار المراكز القانونية للأطراف المتعاقدة، وللغير، ومن له مصلحة مشروعة.

ومن المزايا التي يوفرها التحكيم أنه من حق الأطراف الإتفاق على القانون الواجب التطبيق على موضوع العقد أو النزاع، كما أنه يتم تحديد الإجراءات الواجب على المحكمين إتباعها أثناء سير الخصومة (التحيوي، 1999، الصفحات 18 – 20)، ولكن السؤال المطروح هل يتم الإعتراف به أو بالأحرى ما هي القوة الإلزامية للأحكام التحكيمية الصادرة عن المحكمين لأطراف العقد وللغير ولمن له مصلحة مشروعة؟.

ثانيا: وجود الاتفاقية الدولية

تعكس هذه الحالة عدم وجود إتفاق صريح بين طرفي العقد، ولكن توجد إتفاقية دولية مصادق عليها من قبل الدولة المستضيفة للإستثمار تقضي باللجوء إلى التحكيم في حالة وجود نزاع يتعلق بالإستثمار، وعلى ذلك صادقت الجزائر على عدة إتفاقيات دولية وعربية.

المطلب الثاني: مصادقة الجزائر على إتفاقيات تسوية منازعات الاستثمار

صادقت الجزائر على عدة إتفاقيات دولية، معترفة بذلك للمستثمر بحقه في اللجوء إلى التحكيم، إضافة على ذلك نصت في المادة 12 من القانون رقم 18/22 المتضمن قانون الإستثمار، الذي جعل الولاية العامة للفصل في القضايا متعلقة بالإستثمار للقضاء الوطني ما لم تكن هناك إتفاقية تقضي باللجوء إلى التحكيم، وبذلك ينعقد الاختصاص القضاء الوطني للنظر في المنازعات التي تثار بين المستثمر والدولة المستضيفة، كما نص قانون الليبي رقم 9 لسنة 2010 المتعلق بتشجيع الإستثمار في المادة 24 من هذا القانون على أن يتم تسوية المنازعات الوطنية ضمن الهيئات القضائية المتخصصة، وإما عن طريق الطرق البدلة لحل المنازعات، ولا يكون ذلك إلا في حالة وجود إتفاقية ثنائية أو متعددة مصادق عليها من قبل الدولة الليبية.

الفرع الأول: الإتفاقيات الجماعية "متعددة الأطراف"

إن أول إتفاقية صادقت عليها الجزائر هي إتفاقية واشنطن المؤرخة في 18 مارس 1965 التي تولى البنك الدولي للإنشاء والتعمير إعدادها ، حيث تم عرض مشروعها على المحافظين خلال الإجتماع السنوي الذي إنعقد بدوره سنة 1962، حيث كانت أهم مخرجات هذا الإجتماع إنشاء آلية لتسوية منازعات الإستثمار الدولية، ومن أهم نتائج هذه الإتفاقية، تبني القواعد القانونية التي تطبق على منازعات الإستثمار، خاصة

الأجنبية منها، كما تم إنشاء الإطار المؤسساتي المتمثل في إنشاء المراكز الدولية المتخصصة في حل النزاعات الدولية التي تنشأ بمناسبة عقد الإستثمار، من بينها المركز الدولي لتسوية المنازعات، الذي يتعلق أساسا بمختلف النزاعات المتعلقة بنشاط إستثماري، وهو الأمر الذي يستدعي الإشارة إليه أنه ينعقد إختصاصه دون وجود إتفاقية بين المستثمر والدولة المستضيفة بمجرد أنها كانت منظمة أساسا إلى هذه الإتفاقية، والتي صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي 95 . 346 (المرسوم الرئاسي 95 – 346، 1995)، وما تجدر الإشارة إليه كذلك في هذا الصدد أنه نصت المادة 25 من هذه الإتفاقية أن إختصاص المركز يمتد إلى جميع النزاعات التي تنشأ بمناسبة قيام النشاط الإستثماري بين الدولة أو إحدى مؤسساتها وبين المستثمر، حيث يتضح أنه لكي ينعقد الإختصاص لهذا المركز لابد من تحقق من شرطين أساسين هما: وجود طرفين تختلف جنسية أحدهما عن الأخر، والشرط الثاني يتمثل في وجود نزاع قائم، وبالنسبة للدولة المتعاقدة وبما أنها تتمتع بإمتيازات السلطة العامة، إلا أنها باللجوء إلى التحكيم ستنزل إلى منزلة الأطراف العاديين، وتلتزم بتنفيذ أحكام التحكيم، وذلك لتحقيق التوازن بين المصالح المختلفة سواء للدولة المتعاقدة أو بالنسبة للمستثمر، ويتخذ الإتفاق إما من قبل الدولة أو إحدى مؤسساتها التي تتصرف بإسمها، ونشير في هذه النقطة إلى أن الوكالة الجزائرية لترقية الإستثمار هي الجهة الرسمية التي كفل لها المشرع إبرام الإتفاقيات مع المستثمر بإسم الدولة ولحسابها الخاص أما بالنسبة للطرف الثاني حيث جاء في هذه المادة على سبيل العموم تحت ما يسمى بالمستثمر للدولة المتعاقدة الأخرى، وهو ما يفسر على أنه قد يكون كان شخص طبيعي أم معنوي .

أما الشرط الثاني المتعلق بالنزاع القانوني فهو يتعلق أساسا بالعملية الإستثمارية، كما نجد بعض الدول تضع بعض الإستثناءات التي لا تخضع إلى التحكيم كأصل العام (عيساوي ، 2019، الصفحات 376 – 379).

وثاني إتفاقية صادقة عليها الجزائر هي الإتفاقية المبرمة بين الدول العربية، والتي سميت بالإتفاقية الموحدة لرؤوس الأموال العربية لسنة 1980، حيث تم المصادقة عليها بموجب المرسوم الرئاسي رقم 95- 306 (المرسوم الرئاسي 95 – 306، 1995)، والتي نشأت عنها المحكمة العربية لتسوية النزاعات، ومن إنضمت إليها كل من الجزائر ومصر والعراق، لتنضم لاحقا ليبيا والإمارات العربية المتحدة، وقد علق عليها فقهاء القانون الدولي أنها بمثابة تعريب لإتفاقية واشنطن فقط.

وتجدر الملاحظة هنا أن الدولة الليبية لم تنظم إلى إتفاقية واشنطن وإتفاقية نيويورك بشأن الإعتراف والتنفيذ الأحكام، بالرغم من أن قانونها الداخلي ينص على تنفيذها إنطلاقا من مبدأ المعاملة بالمثل، وبذلك تتوالى التوصيات عليها بالإنضمام إلى مثل هذه الإتفاقيات لتعزيز موقفها الدولي (عيوني، 2024، صفحة 400).

كما يعد كذلك المركز الإقليمي في القاهرة من بين المراكز التي أنشئت من أجل النظر في المنازعات الإقتصادية التي تكون موضوع التحكيم إلى جانب المركز الإقليمي في قارة آسيا، والذي مقره في عاصمة ماليزيا كوالالمبور، حيث بلغ عدد القضايا التي يبث فيها 551 القضية متعلقة بمنازعات الإستثمار، حيث لا يستهان بأهمية هذه المراكز في دفع بعجلة التنمية الإقتصادية، كما أنها تتلقى مبالغ طائلة لقبولها فض هذا النوع من النزاعات (نوفل ، 2006، الصفحات 73 – 75).

وقد أشار القانون المصري المتعلق بضمانات وحوافز الإستثمار رقم 8 لسنة 1997، إلى إحالة منازعات الإستثمار في حالة كانت موضوع التحكيم إلى مركز الإقليمي لتسوية المنازعات الذي يوجد مقره بالعاصمة المصرية القاهرة (شهاب و صباحي ، بدون سنة نشر، صفحة 180).

الفرع الثاني: الإتفاقيات الثنائية

من بين الإتفاقيات الثنائية التي صادقت عليها الجزائر وعززت من خلالها دور التحكيم في حل المنازعات الناشئة عن الإستثمار، الإتفاق المبرم بين الجزائر وفرنسا، والإتفاق المبرم بين الجزائر وجمهورية التشيك (سردو ، 2022، صفحة 789).

كما يتجلى دور المحكمة العدل الدولية في حل المنازعات الإستثمارية، من خلال تتمتعها بالحياد والإستقلالية، ذلك ما يبعث الثقة لدى المتقاضين، وينبغي الإشارة هنا أيضا إلى دور محكمة التحكيم الدائمة التي أنشئت بمناسبة إتفاقية التسوية السلمية للنزاعات الدولية بلاهاي، دولة هولندا في 29 يوليو 1899، نتيجة لمؤتمر لاهاي للسلام، حيث كان لها دور في حل النزاعات التي تتم بين الدول والمستثمرين خاصة المتعلقة بعقود الإستثمار (وحشات، بدون سنة نشر، الصفحات 6 – 8).

إن إنضمام الجزائر إلى إتفاقية نيويورك لسنة 1958 الخاصة بالإعتراف وتنفيذ الأحكام الأجنبية، والتي تشترط أن تكون الإتفاقية مكتوبة، خاصة إذا تطلب الأمر التنفيذ أو الإعتراف .

إن الهدف من إستعراض هذه الإتفاقيات الدولية والإقليمية هو بيان موقف المشرع الجزائري منها، وكذا تبنيه أو بالأحرى تشجيع المستثمرين على الإستثمار في الجزائر، حيث تعد النصوص القانونية من أهم عوامل

إستقرار المناخ الاستثماري ملائم والجذاب، الذي يعكس لنا السياسة الجزائرية في إستقطاب الإستثمارات وتهيئة البنية التحتية خاصة للمستثمر الأجنبي، لما له من مزايا تعود على الدولة المستضيفة والمستثمر على حد سواء، ضف الى ذلك تعتبر مصادقة الجزائر على هذه الإتفاقيات وخاصة إتفاقيتي واشنطن ونيويورك من أهم المظاهر التي تؤكد على موقف الدولة الجزائرية.

والملاحظ في ذلك أن الدولة الجزائرية سارعت في إبرام العديد من الإتفاقيات الدولية، وأغلبها تمت في سنة 1995، وكقراءة قانونية لهذه الترسانة القانوينة نجد أن المشرع الجزائري يتبنى في إطار قانون الإجراءات المدنية والإدارية كيفية تنفيذ أحكام التحكيم، كما أنه يبين كيفية الطعن في أمر تنفيذ الحكم التحكيمي ضمن أحكام هذا القانون.

المبحث الثاني: القوة الإلزامية لأحكام التحكيم الأجنبية

إن الحديث عن القوة الإلزامية لحكم التحكيم الصادر عن الهيئات التحكمية الأجنبية يثير الكثير من العراقيل أمام المستثمر، تتمثل في وجود حكم يقضي بتنفيذ الحق الذي شمله الحكم، ليجد نفسه أمام قضاء الدولة المستضيفة التي قد لا تعترف بهذا الحكم.

وبتحليل النصوص الإجرائية الجزائرية نجد أن المشرع قد أورد الفصل الخامس من قانون الاجراءات المدنية و الادارية لتنفيذ أحكام التحكيم، في المواد من 1035 إلى 1038، كما أورد المشرع الليبي قانونا خاصا مستقلا متعلقا بالتحكيم رقم 10 لسنة 2023.

لذلك نجد أن التساؤل الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو هل إعتراف الجزائر بحكم التحكيم يجعل له قوة تنفيذية مطلقة أم العكس؟.

المطلب الأول: تنفيذ حكم التحكيم

لا يحوز حكم التحكيم على القوة التنفيذية المطلقة في الجزائر، بل لابد أن يتم مهره بالصيغة التنفيذية من أجل تنفيذه، والتي في بعض الأحيان تقتضي اللجوء إلى التنفيذ الجبري سواء تعلق الأمر بالأموال المنقولة أو العقارات الموجود في الجزائر، الأمر الذي يقتضي فرض رقابة القضاء الوطني على الأحكام الأجنبية وتنفيذها وفقا للإجراءات المعتمدة لتنفيذ الأحكام القضائية، حيث يتم الإعتراف وتنفيذ الأحكام التحكيمية في الجزائر بتحقيق شرطين أساسين يتمثلان في التمسك بوجود الحكم وعدم مخالفته للنظام العام الدولي، وذلك ما نصت عليه المادة 1051 قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري، حيث نجد أن المشرع الجزائري قد

إقتضى أن يتم إيداع الحكم لدى أمانة ضبط المحكمة التي يقع في دائرة إختصاصها التنفيذ (لدى رئيس المحكمة)، وهو ما نصت عليه المادة 1035 من نفس القانون، على من يهمه الأمر أي صاحب المصلحة في إيداع حكم التحكيم مع إرفاقه بإتفاقية التحكيم (بن حليمة ، 2018، الصفحات 228 - 230)، مما يفرض أن المشرع يشترط أن تكون إتفاقية التحكيم، وتحت طائلة البطلان مكتوبة أو على أقل يمكن إثباتها بالكتابة، لذلك يلاحظ أنه قد تبنى الحد الأدنى من الحماية مكرسة في إتفاقية نيويورك كما سبق إشارة إليه، أما عن موقف المشرع الليبي فقد ظهر في الباب التاسع من القانون المتعلق بتنفيذ أحكام التحكيم الأجنبية، فنجده قد ألزم صاحب المصلحة بإرفاق الطلب مع إتفاقية التحكيم ، ووضعها عند رئيس المحكمة ليتم مهرها بالصيغة التنفيذية، وحسنا ما فعل المشرع عندما قصر مواعيد الفصل في طلب إلى يومين، وذلك ما يتطلبه المنطق في وجود مصالح قد تقتضي وجود إجراءات تتميز بالسرعة في البث، ما من شأنه تحقيق الثقة المستثمر في الهيئات القضائية بعيدا عن الإجراءات البيروقراطية، كما نلاحظ أنه كان له نفس موقف المشرع الجزائري في تبني الكتابة في إتفاق التحكيم، وهو ما تبناه المشرع الليبي في موضعين أساسين جاءا في نص المواد 2 و62 من القانون المتعلق بالتحكيم في دولة ليبيا.

كما لا يفوتنا الذكر أن المشرع الجزائري يعترف بالأحكام الأجنبية على أنها سندات تنفيذية بموجب نص المادة 600 قانون الإجراءات المدنية والإدارية (القانون 09/08، 2008)، ولكن نجد أن المشرع الجزائري قد اشترط القيام بمجموعة الإجراءات أمام القضاء الوطني حتى يتم تنفيذها في الإقليم الجزائري، في نص المادة 769 من نفس القانون، التي منح من خلالها الإختصاص إلى رئيس المحكمة نظرا لأهمية الفصل فيها، وذلك إستوفاءا لمجموعة من الإجراءات التي تبدأ بتسليم رئيس أمانة ضبط المحكمة نسخة رسمية من الحكم التحكيمي إلى المستفيد أو طالب التنفيذ ممهور بالصيغة التنفيذية لكي يتم تنفيذه على الأراضي الجزائرية مع إحترام التنظيم والتشريع المعمول بهما في الجزائر، وهو ما تضمنه قانون المرافعات الليبية في المادة 62.

لذلك تتجلى السلطة رئيس المحكمة بإصدار أمر التنفيذ والإعتراف بحكم التحكيم دون أن تتعدى سلطات القاضي إلى النظر في مدى صحة حكم التحكيم الدولي، إلا إذا كان الحكم صادرا في الجزائر، وقد حصر أسباب البطلان في نص المادة 1056 قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وهي أسباب جاءت على سبيل الحصر، لذلك هناك من الفقهاء من رأى أن القاضي الوطني هو قاضي التنفيذ لذلك تتخذ الأوامر القضائية في موضعين إما الرفض أو الأمر بالتنفيذ.

المطلب الثاني: حدود الطعن في أحكام التحكيم

لمعرفة مدى إمكانية الطعن في الحكم التحكيمي لابد من الرجوع الى أحكام قانون الإجراءات المدنية والإدارية، خاصة ما جاء في نص المادة 1058 منه، التي نصت على أن الطعن ببطلان حكم التحكيم يرتب بقوة القانون الطعن في أمر التنفيذ أو تتخلى المحكمة عن الفصل في طلب التنفيذ إذا لم يتم الفصل فيه أصلا، ومما يلاحظ من نص هذه المادة أن المشرع الجزائري رتب أحكام الطعن القضائي على أوامر التنفيذ دون أن يتم الطعن في حكم التحكيم أو طلب إبطاله كما سبق إشارة، وعلى ذلك يتم الطعن في الأوامر الصادرة عن القاضي التي تقضي برفض التنفيذ، وذلك عن طريق الإستئناف وفقا لما نصت عليه المادة 1055 قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وقد حصر المشرع الجزائري أسباب و حالات الطعن فيمايلي وفقا لما جاء في نص هذه المادة تحت عبارة "الحالات الآتية" (عمامرة ، 2021، صفحة 72):

- إذا فصلت محكمة التحكيم بدون إتفاقية تحكيم أو بناء على إتفاقية باطلة أو إنقضاء مدة الإتفاقية.
- إذا كان تشكيل محكمة التحكيم أو تعين المحكم الوحيد مخالفا للقانون.
- إذا فصلت محكمة التحكيم بما يخالف المهمة المسندة إليها.
- إذا لم يراعى مبدأ الوجاهية.
- إذا لم تسبب محكمة التحكيم حكمها أو إذا وجد تناقض في الأسباب.
- إذا كان حكم التحكيم مخالفا للنظام العام الدولي.

بالرجوع إلى نص المادة 1057 قانون الإجراءات المدنية والإدارية التي حددت بدورها الآجال القانونية لرفع الإستئناف في أجل شهر واحد إبتداءً من التبليغ الرسمي لأمر رئيس المحكمة، مما يؤكد قولنا سابقا أن المشرع الجزائري قصر الإستئناف فقط على الأوامر دون أحكام التحكيم، إلا أنه أورد إستثناء على ذلك فيما تعلق بحكم التحكيم صادر في الجزائر، وذلك ما يقتضيه المنطق إذا أن حكم التحكيم الصادر في الخارج بناء على رغبة الأطراف لا يمكن إعادة طرحه أمام الجهات القضائية الوطنية، وإعادة مراجعته أو نظر في موضوع الحك، كما نجد أن المشرع الليبي قصر طلب البطلان في 6 حالات على سبيل الحصر بعبارة "...الأحوال الآتية" إذ حصرت بعض الحالات إذا تعلقت بأسباب شكلية أو كانت موضوعية، من بينها عدم مراعاة المدة المحددة للتحكيم أو كانت التشكيلة معيبة أو مخالفة قاعدة إجرائية أو قاعدة من قواعد

النظام العام أو في حالة تجاوز الحكم التحكيمي المواضيع التي يجوز الفصل فيها، أي أن تتجاوز المحكمة سلطات ممنوح لها والمحددة في إتفاق التحكيم.

كما نشير في ذات السياق أن المشرع الجزائري جعل للطعن بالإستئناف آثار موقفا لتنفيذ حكم التحكيم وفق لما نصت عليه المادة 1060 قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

وإسقاطا على ذلك أن حكم التحكيم موضوعه يكون حلا لنزاع تعلق بنشاط الإستثماري، تتطلب الأمر تنفيذه في الجزائر، حيث أنه بالرغم من أن المشرع الجزائري يعترف باللجوء إلى التحكيم إلا أنه إذا تطلب الأمر تنفيذه على الأراضي الجزائرية يفرض إحترام الإجراءات التي سبق بيانها مع توفر البعض الشروط التي تختلف بإختلاف النظم الدولية، حيث بالرجوع إلى نص المادة 605 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وهي عدم تعارض الحكم التحكيمي الأجنبي مع أي الحكم القضائي وطني، أي مع حكم سبق صدوره في بلد التنفيذ، والذي لم يختلف معه سواء من حيث الموضوع أو الأطراف وإكتسب قوة الشيء المقضي فيه، إلا أنه إختلف معه من حيث الحكم والتناقض فيه، لذلك لا يجوز قضاء الأمر بتنفيذه، أما الشرط الثاني والذي يعتبر شرطا بديهيا لكل الدولة تتمتع بالسيادة، وتعتبر دولة قانون وهو عدم مخالفة النظام العام والآداب العامة، حيث و بالرجوع إلى نص المادة 1006 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية التي وضعت نطاق لبعض المسائل التي لا يجوز التحكيم فيها من حيث الموضوع، وكذلك من حيث الأشخاص، حيث يتعلق هذا الأخير بالأشخاص المعنوية العامة، إلا إذا تعلق الأمر بالمسائل الإقتصادية والمالية، أما الشرط الأخير أن يكون الحكم الحائز لقوة الشيء المقضي فيه، مما يعنى إستيفاءه لجميع طرق الطعن العادية وغير العادية في بلد إصدار الحكم، أي أن أمر تنفيذ الحكم نهائي غير مهدد بالطعن، أي أصبح الفصل في النزاع قطعيا ونهائيا، وذلك لإستقرار المراكز القانونية إذ لا يمكن إستصدار أمر التنفيذ والمهر بالصيغة التنفيذية لحكم غير نهائي (نجادي و حيثالة ، 2021، الصفحات 90 - 92)

الخاتمة:

وفي الأخير وبناء على ما سبق التطرق فيه أعلاه من إبراز لدور التحكيم في حل المنازعات الإستثمارية التي تقوم بين المستثمر والدول المستضيفة، وإبراز الدور الفعال للمشرع الوطني الذي يعكس سياسة الدولة، من

خلال إعطاء الأهمية لهذا نوع من العقود لأنها ترتبط أكثر بالإقتصاد الوطني، وبتوفير جميع الضمانات بما فيها القضائية، القانونية، الإدارية التي تؤثر في القرار الإستثماري، وتبني المشرع الليبي لنفس موقف المشرع الجزائري سواء كان في القانون المنظم للتحكيم، وكضمانة أساسية في القانون المتعلق بتشجيع الإستثمار، ومن النتائج المتوصل إليها نذكر:

- هناك فرق بين التحكيم في المنازعات التجارية ومنازعات الإستثمار، وذلك ما عكسته المادة 12 من 18/22 بصريح العبارة، ووجود إتفاقيات ثنائية أو متعددة، ولكن لا يوجد إختلاف في إجراءات تنفيذ أحكام التحكيم.
- يتم لجوء إلى التحكيم بناء على وجود إتفاقية مصادق عليها من قبل الدول المستضيفة والدولة التي ينتمي إليها المستثمر، ولابد من الإتفاق الصريح على اللجوء إلى التحكيم سواء عن طريق مشارطة أو شرط التحكيم.
- إن إختيار جل المستثمرين وإن لم نقل كلهم اللجوء إلى التحكيم من شأنه تحقيق إمتيازات لا يحققها القضاء الوطني أبرزها سرعة الفصل في القضايا المعروضة للتحكيم.

من بين التوصيات التي نوصي بيها:

* ضرورة تعديل نص المادة 600 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية لأنها تناقضت مع نص المادة الذي يقضي أن أحكام التحكيم ليست سندات التنفيذية، بل يقتضي الأمر الإعتراف والتنفيذ بموجب أمر من رئيس المحكمة.
* لابد من وضع نظام قانوني خاص يقضي بتحديد الإطار الخاص بالتحكيم فضلا عن إجراءاته الخاصة.

قائمة المراجع:

الكتب

1 – السيد محمود التحيوي. (1999). *التحكيم في المواد المدنية والتجارية وجوازه في المنازعات الادارية*. مصر: دار الجامعة الجديدة للنشر.

2 – حسن نوفل . (2006). *التحكيم في عقود الاستثمار*. الجزائر: دار هومة.

3 – علي شهاب ، و أحمد صباحي . (بدون سنة نشر). *الاستثمار الاجنبي*. مصر: دار الاكاديميون للنشر والتوزيع.

المقالات

1 – بن عبد الله نجادي ، و معمر حيثالة . (2021). تنفيذ حكم التحكيم الأجنبي، شروطه وإجراءاته. *القانون الدولي، 9*، الصفحات 90 – 92.

2 – حسان عمامرة . (2021). تنفيذ الاحكام التحكيمية. *الدراسات القانونية المقارنة، 1*، صفحة 72.

3 – عبد القادر رقاب ، و يوسف زروق . (2018). الاتفاق على التحكيم في منازعات الاستثمار الأجنبي. *المنار للبحوث والدراسات القانونية والسياسية*، الصفحات 298 – 301.

4 – فؤاد عيوني. (2024). التحكيم الدولي لتسوية منازعات عقود الاستثمار. *العلوم القانونية والاجتماعية، 6*، صفحة 400.

5 – ليلى بن حليمة . (2018). تنفيذ الحكم التحكيمي التجاري الدولي في الجزائر. *افاق للعلوم، 13*، الصفحات 228 – 230.

6 – محمد عيساوي . (2019). أختصاص المركز ادولي في حل منازعات الاستثمار الاجنبي في الجزائر. *العلوم القانونية والسياسية، 3*، الصفحات 376 – 379.

7 – محمود سردو . (2022). تسوية منازعات الاستثمار الاجنبي. *الدراسات القانونية، 2*، صفحة 789.

المذكرات والأطروحات

1 – زياد عمر وحشات. (بدون سنة نشر). تسوية النزعات الاستثمارية عن طريق الوسائل القضائية. *مذكرة لنيل شهادة الماجستير*، 6 – 8. الاردن: جامعة علجون الوطنية.

2 – نجمة معمر قوادري . (2020). الحكم التحكيمي وآثاره القانونية في التشريع الجزائري. *مذكرة لنيل شهادة الاعمال التطبيقية، فرع قانون الأعمال*، 20. جامعة عين الدفلى، الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية.

النصوص التشريعية والتنظيمية

1 – القانون 09/08 القانون 09/08. (25 02, 2008). المتضمن قانون الاجراءات المدنية والادارية، المعدل والمتمم. *الجريدة الرسمية الجزائرية* . الجزائر .

2 – المرسوم الرئاسي المرسوم الرئاسي 95 – 346. (30 10, 1995). المتضمن المصادقة على اتفاقية تسوية المنازعات المتعلقة بالاستثمارات بين الدول ورعايا الدول الاخرى. *الجريدة الرسمية الجزائرية، 66*. الجزائر.

3 – المرسوم الرئاسي المرسوم الرئاسي 95 – 306. (22 10, 1995). المتضمن المصادقة على الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الاموال العربية في الدول العربية. *الجريدة الرسمية الجزائرية، 04*. الجزائر.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

The Transformation of Public Utilities and the Challenges of Digitization in Morocco

Fatima El Aatlati
Doctor of public Law
Sidi Mohamed Ben Abdellah University
Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Fez- Morocco
Fatima.elaatlati@gmail.com

Abstract:
This article aims to provide a comprehensive overview of the impact of digitization on public utilities, as it is a key factor in the development of public utilities, e-administration and public service, despite the challenges faced by this process, its benefits are many and varied, governments and concerned institutions must invest in digital infrastructure, develop human cadres and adopt the necessary legislation to promote digitization and achieve sustainable development goals.
Keywords: Digitization - Public Utilities - E-Administration - Public Service.

تحولات المرافق العامة وتحديات الرقمنة بالمغرب

فاطمة العطلاتي
دكتورة في القانون العام
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية–فاس.
Fatima.elaatlati@gmail.com

ملخص:
يهدف هذا المقال إلى تقديم نظرة شاملة حول تأثير الرقمنة على المرافق العامة، باعتبارها عاملا أساسيا في تطوير المرافق العامة والخدمة العمومية، فعلى الرغم من التحديات التي تواجهها هذه العملية، إلا أن فوائدها عديدة ومتنوعة، إذ يجب على الحكومات والمؤسسات المعنية الاستثمار في البنية التحتية الرقمية وتطوير الكوادر البشرية وتبني التشريعات اللازمة لتعزيز الرقمنة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.
الكلمات المفتاحية: الرقمنة – المرافق العامة – الإدارة الإلكترونية – الخدمة العمومية.

مقدمة:

لقد أحدث التقدم التكنولوجي تحولا جذريا في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمختلف الدول، حيث ساهم في إعادة هيكلة الاقتصادات، وتغيير أنماط الحياة، وتطوير أساليب الإدارة والحوكمة، ذلك أن انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد أدى إلى ظهور اقتصاد عالمي مترابط، وزيادة كفاءة الإنتاج، وتسهيل الوصول إلى المعلومات والمعرفة.

حيث تشكل تكنولوجيا المعلومات والاتصال رافعة أساسية لتحديث القطاع العمومي، لاسيما في عصر العولمة القائم على تدويل المعلومات وجعل العالم قرية صغيرة، وفي ظل التحولات والتطورات الحاصلة في المجتمع على مستوى الرقمنة وغزو الانترنيت كل الفضاءات، تجد الإدارة نفسها مدعوة ومضطرة إلى التكيف مع هذا المعطى والاستجابة للتحول الرقمي، والانخراط بشكل فعال في مشروع الإدارة الإلكترونية من أجل تحديث الخدمات العمومية ورقمنتها (Lamiae Bedhri. 2017. P6).

وبناء على ذلك، أصبح الاعتماد على الرقمنة اليوم في تدبير وتقديم خدمات المرفق العام، مسألة حتمية ولا تراجع عنها، خصوصا في ظل الوضعية الاستثنائية التي فرضتها جائحة كورونا التي شهدها المغرب وباقي دول العالم، والتي عجلت بالانخراط المكثف في اللجوء إلى استعمال الحلول الرقمية كبديل لإنجاز الخدمات العمومية وتأمين استمرارية المرفق العام، كمبدأ أساسي ودستوري ضابط للمرافق العمومية (ادريس احديدو، 2023، ص 255).

ومكن هذا التحول الرقمي من جعل المغرب يحظى بمكانة متميزة على مستوى جاذبية الأعمال، حيث أصبح قائدا للتطور الرقمي في إفريقيا وحاملا للنموذج الاقتصادي الرقمي، وفي هذا الإطار كشف تقرير Digital Risers 2020 الذي نشره المركز الأوروبي للتنافسية الرقمية، أن المغرب يحتل الرتبة الرابعة في تصنيف الدول على صعيد التنافسية الرقمية وفي منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط (فؤاد الفتوحي، 2023، ص 183).

أهمية الموضوع:

إن موضوع تحولات المرافق العامة وتحديات الرقمنة بالمغرب يكتسي أهميته وراهنيته من اعتباره أحد أهم محاور ورش الإصلاح الإداري المغربي وتطويره وتحديثه، وجعل الإدارة في خدمة المواطن وفي خدمة التنمية والاقلاع السوسيو-اقتصادي ببلادنا.

إشكالية الدراسة:

إذن ومن خلال ما سبق، يمكن طرح الإشكال التالي:

إلى أي حد ساهمت الرقمنة في تحسين الخدمة العمومية وإحداث تحولات بالمرفق العام؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي القواعد المؤطرة للمرافق العمومية؟
- ما هو دور الرقمنة في الرفع من جودة الخدمات العمومية؟
- ما هي أبرز التحديات والإكراهات التي تعيق وثيرة التحول الرقمي للمرفق العام والتي تقف أمامه؟
- ما هي المداخل التي يمكن الاستناد إليها من أجل فعالية أمثل لورش رقمنة المرافق العامة؟

فرضيات الدراسة:

استنادا إلى إشكالية الدراسة وسياقها العام، يمكن صياغة الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: المرافق العامة استفادت من تحولات الثورة الرقمية، فقد ساهمت التقنيات الرقمية في تحسين كفاءة وفعالية هذه المرافق، وتعزيز تجربة المستخدمين، وتوفير التكاليف، وتحسين الشفافية والمساءلة.

الفرضية الثانية: الخدمات المقدمة من المرافق العمومية لازالت قاصرة عن استثمار ما جادت به الثورة الرقمية من مكاسب ومنجزات.

المنهجية:

وبناء على ما سبق، وبالاعتماد على المنهج الوصفي والمنهج القانوني التحليلي، فإننا سنقسم هذا الموضوع إلى محورين: سيتم التطرق أولا إلى الثورة الرقمية وتأثيرها على المرافق العامة، في حين سيتم بعد ذلك معالجة واقع وآفاق رقمنة المرافق العامة.

أولا: الثورة الرقمية وتأثيرها على المرافق العامة

تعد الثورة الرقمية من أبرز التحولات التي أرخت بظلالها على منظومة تدبير الشأن العام، حيث فرضت على المرافق العمومية تبني نماذج جديدة في تقديم الخدمات ترتكز على التكنولوجيا والابتكار، وهذا التحول لم يكن عشوائيا، بل جاء ضمن توجه استراتيجي تؤطره مجموعة من النصوص القانونية والتشريعية التي تهدف إلى تحديث الإدارة وتيسير علاقتها بالمواطن.

وفي هذا السياق، أضحت الرقمنة إحدى الركائز الأساسية للنهوض بأداء المرافق العمومية، من خلال ما توفره من إمكانيات لتبسيط المساطر، تسريع المعالجة، وتحسين جودة الخدمات المقدمة، ولقد بات اعتماد الحلول الرقمية يشكل ضرورة حتمية لضمان الفعالية والشفافية، وتعزيز ثقة المواطن في الإدارة، خصوصا في ظل التحديات المرتبطة بالبيروقراطية والضغط المتزايد على الخدمات العمومية.

من هنا تكتسي دراسة العلاقة بين التحول الرقمي والمرفق العام أهمية خاصة، سواء من حيث الأسس القانونية والتنظيمية المؤطرة له (1)، أو من حيث دوره كأداة استراتيجية لتحسين جودة الخدمات وتقريبها من المواطن (2).

1. الأسس القانونية والتنظيمية المؤطرة لرقمنة الإدارة العمومية

يسعى المشرع المغربي إلى تحقيق أهداف متنوعة من خلال رقمنة الإدارة، منها تلبية مختلف المتطلبات المرفوعة للولوج إلى الخدمات الرقمية، وتحديث العمل الإداري بالإطار القانوني المناسب، وقد تم إصدار مجموعة من القوانين المرتبطة بجودة الخدمة، كجزء من هذا التوجه، من بينها:

- **القانون 54.19 بمثابة ميثاق المرافق العمومية:**

يأتي القانون رقم 54.19 بمثابة ميثاق للمرافق العمومية، في إطار تفعيل المقتضيات الدستورية خصوصا الفصل 157 من دستور المملكة لسنة 2011، والذي ينص على إعداد ميثاق للمرافق العمومية، يحدد قواعد الحكامة الجيدة المتعلقة بتسيير الإدارات العمومية، والجهات والجماعات الترابية الأخرى والأجهزة العمومية، كما يمثل إطارا مرجعيا موحدا يستوعب أسس النهوض بحكامة المرافق العمومية وقواعد الحكامة الجيدة.

- **القانون 55.19 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية:**

يشكل القانون 55.19 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية الصادر بتاريخ 19 مارس 2020، خطوة هامة في مسار تقنين رقمنة المساطر والإجراءات الإدارية، حيث حمل توجها صريحا نحو اعتماد الرقمنة كتقنية ناجعة لتبسيط المساطر الإدارية.

وقد تم التنصيص على آليتين اثنتين للتحول الرقمي ضمنهما في البابين التاسع والعاشر من القانون المذكور تتمثل الأولى في إحداث البوابة الوطنية للمساطر والإجراءات الإدارية وهي بوابة موحدة لجميع الإجراءات والمساطر الإدارية بالمغرب، إذ تمكن حاليا مستعمليها من الحصول على المعلومات اللازمة بشأن المساطر

والإجراءات الإدارية وسيتم تطويرها في المستقبل لتصبح بوابة تفاعلية يستطيع من خلالها المستفيد طلب الوثائق والتعرف على المساطر الإدارية وتتبع مسارها الرقمي (ياسين نصيب، 2024، ص 196-197).

أما الثانية فتتجلى حسب المادة 27 من القانون المذكور في خلق اللجنة الوطنية لتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية وتتبع تنفيذها تحت رئاسة رئيس الحكومة والتي يعهد إليها تحديد الاستراتيجية الوطنية لتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية، ثم المصادقة على مصنفات القرارات الإدارية باستثناء تلك المتعلقة بالجماعات الترابية ومجموعاتها وهيئاتها وكذا الإشراف على إنجاز دراسات لقياس مدى رضى المرتفقين.

- **القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه المعطيات ذات الطابع الشخصي**

شكل إصدار القانون رقم 09.08 خطوة مهمة نحو تعزيز التدابير المتعلقة بإرساء الثقة الرقمية عبر تمكين المغرب من الإطار القانوني الكفيل بتقنين وتنظيم استعمال المعطيات ذات الطابع الشخصي.

حيث يوجد العديد من المعاملات الإلكترونية، كالخدمات الإدارية الرقمية، خدمات الصحة على الانترنيت، التجارة الإلكترونية... إلى جمع ومعالجة البيانات الشخصية للمواطنين، وبالتالي وجب حماية الحياة الشخصية للأفراد في مواجهة أي تدخل سافر في خصوصيتهم.

- **القانون رقم 13.31 المتعلق بالحق في الحصول على المعلومات**

لقد نصت المادة الرابعة من هذا القانون على ضرورة تضمين البريد الإلكتروني في الطلب الذي يقدمه المعني بالأمر للحصول على المعلومات، كما أنه يمكنه من توجيه الطلب إلى رئيس الهيئة المعنية بواسطة البريد الإلكتروني.

كما أن المادة الخامسة عشر قد نصت على أنه يتم الحصول على المعلومات، إما بالاطلاع المباشر عليها بمقر الهيئة المعنية خلال أوقات العمل الرسمية، وإما عن طريق البريد الإلكتروني عندما يكون المستند أو الوثيقة المتضمنة للمعلومات المطلوبة متاحة على حامل إلكتروني، وإما على أي حامل آخر متوفر لدى الهيئة المعنية.

2. رقمنة المرافق العمومية كآلية لضمان تحسين جودة الخدمات

تعد رقمنة المرافق العمومية توجها استراتيجيا لا مناص عنه في سياق التحولات العميقة التي يعرفها العالم المعاصر، والتي تفرض على الدول تبني نماذج جديدة في تدبير الشأن العام قوامها الفعالية، الشفافية، والقرب من المواطن. وفي المغرب، لم تعد الرقمنة مجرد خيار من بين خيارات تحديث الإدارة، بل أضحت ضرورة ملحة واستجابة حتمية لمتطلبات العصر ولانتظارات المواطنين المتزايدة بخصوص جودة الخدمات العمومية.

وقد انخرط المغرب، منذ سنوات، في مسار إصلاحي يروم إعادة هيكلة المنظومة الإدارية عبر توظيف الإمكانات التي تتيحها الرقمنة لتبسيط المساطر، تقليص آجال المعالجة، وتحقيق الفعالية في أداء الإدارة العمومية. وقد تم تجسيد هذا التوجه من خلال إطلاق مجموعة من المنصات الرقمية كـ "بوابة الشكايات Chikaya.ma" رخص Rokhas.ma والحالة المدنية Alhalamadania.ma.... التي تمكن المواطن من الولوج إلى خدمات متعددة عن بعد دون الحاجة إلى التنقل أو الاحتكاك المباشر مع المصالح الإدارية، وهو ما يساهم في ترسيخ مبادئ الحكامة الجيدة، ويعزز الثقة بين الإدارة والمرتفقين.

فحصول المرتفق على خدمة سريعة ودقيقة هو حجر الزاوية في التوجه نحو الإدارة الإلكترونية، باعتباره المستحق الرئيسي للخدمة، وأن رأيه فيها ورضاه هو معيار تحقيق الارتقاء من عدمه، ومن ثم فنجاح الإدارة الإلكترونية يتوقف على رأي المستفيد من الخدمة، والذي تتطلع الإدارة الإلكترونية إلى كسب ثقته وتحقيق رغباته (هشام الرشدي، 2021، ص 61).

علاوة على ذلك، تتيح الرقمنة إمكانية التتبع والتقييم المستمر لجودة الخدمات، مما يحد من فرص الفساد الإداري ويضمن قدرا أعلى من الشفافية والمساءلة. كما تفتح آفاقا واسعة لتحسين علاقة المواطن بالإدارة من خلال إرساء نموذج إداري حديث، مرن، ومتجاوب مع التحولات الاجتماعية والتكنولوجية.

حيث تتمثل مساهمة التحول الرقمي الذي تشهده المرافق العمومية في تحقيق الشفافية الإدارية، من خلال توفير المعلومات الدقيقة والواضحة في وقتها، وإتاحة الفرصة للجميع للاطلاع عليها والاستفادة منها، وتوسيع دائرة المشاركة والرقابة والمساءلة ومحاصرة الفساد (ادريس احديدو، 2023، ص 266).

وفي ظل ما يشهده المغرب من دينامية مؤسساتية وتشريعية في هذا المجال، فإن رقمنة المرافق العمومية لا تعد فقط أداة تقنية لتجويد الخدمات، بل تمثل خيارا استراتيجيا لتحقيق التنمية الإدارية المستدامة، وتكريس مبدأ الخدمة العمومية المواطِنة التي تراعي الكرامة، وتستجيب للحق في الولوج العادل والمنصف إلى الخدمات، في إطار من الشفافية والجودة والنجاعة.

ثانيا: واقع وآفاق رقمنة المرافق العمومية

يحظى تفعيل ورش المغرب الرقمي بأهمية بالغة، حيث يلعب دورا محوريا في تطوير خدمات عمومية عالية الجودة تلبي تطلعات المواطنين، ومع ذلك، يواجه هذا المشروع تحديات وعقبات متنوعة (1)، مما يستدعي

من صناع القرار مضاعفة جهودهم لتذليل هذه الصعوبات والمضي قدما في رقمنة الخدمات العمومية، بما يتماشى مع التوجهات العالمية (2).

1. التحديات والإكراهات التي تواجه الإدارة الرقمية

تواجه الإدارة الرقمية بالمغرب العديد من التحديات والإكراهات التي تعيق تقدمها وتحول دون تحقيق أهدافها المنشودة، ويمكن تلخيص أبرز هذه التحديات في النقاط التالية:

- **إشكالية التكوين الرقمي للموارد البشرية ومنظومة التوظيف:** يعد الإنسان عنصرا أساسيا في خدمات المرافق العامة، فدوره لا يقتصر على تقديم الخدمة أو الإشراف عليها، بل يشمل أيضا تلقيها، إلا أن الظاهر أن الإدارات تعاني من نقص في الموارد البشرية المؤهلة في المجال الرقمي، هذا يشمل الموظفين القادرين على تطوير وصيانة الأنظمة الرقمية، وكذلك الموظفين القادرين على استخدام هذه الأنظمة بفعالية .

كما أن ضعف التكوين المستمر في المجال المعلوماتي يشكل عائقا كبيرا في تحقيق التنمية الإدارية إضافة إلى قلة عدد التقنيين المتخصصين، فالواقع يظهر النقص الحاصل على مستوى الموارد البشرية المؤهلة والمكونة في مجال المعلوميات بسبب جملة من الإكراهات أبرزها (ياسين نصيب، 2024، ص 195):

- غياب سند قانوني للتكوين المستمر اللهم بعض النصوص القانونية التي تؤطر هذه العملية، بحيث يلاحظ غياب تام لنصوص قانونية تنظيمية.
- قلة عدد التقنيين في تكنولوجيا المعلومات.

- **معيقات سوسيو–ثقافية للتواصل بين الإدارة والمواطن:** إن ما يقوي التباعد بين الإدارة والمواطنين كون أغلب الموظفين منزوين داخل مكاتبهم ولا يعيرون اهتماما يذكر لمشاكل ومتطلبات المرتفقين، ومن ثم فإن غياب تكوين حقيقي للموظفين في مجال التواصل، من شأنه استبعاد أي استعداد لدى الموظف في الانفتاح والتواصل سواء داخل الإدارة أو خارجها.

كما يساهم الجهل والأمية وضعف مستوى الوعي الحقوقي لدى المواطن المغربي، إلى حد بعيد في تنامي هذه الوضعية لأن ما يناهز ثلثي السكان المغاربة أميين، لا يستطيعون معرفة محتويات النصوص القانونية والتنظيمية التي تحكم معاملاتهم الإدارية، لذلك يلاحظ في الممارسات اليومية للمواطن عدم مبالاته وحاجته للتزود بالمعلومات الإدارية لا فيما يخص المواضيع العامة، أو فيما يتعلق بالسير العادي للإدارة العمومية،

وبالتالي تؤدي انعزالية المواطن في مواجهة إدارة منغلقة على ذاتها إلى تعميق أزمة التواصل (هشام العقراوي، 2023، ص 120-121).

- **الصعوبات المالية والتقنية:** وتتجلى في ارتفاع تكاليف تجهيز البنى التحتية للإدارة الرقمية، وهو ما يحد من تقدم مشاريع التحول الإلكتروني، قلة الموارد المالية لتقديم برامج تدريبية للموظفين، والاستعانة بخبرات معلوماتية في ميدان تكنولوجيا المعلومات ذات كفاءة عالية، ضعف الموارد المالية المخصصة لمشاريع الإدارة الإلكترونية، إكراه الصيانة التقنية لبرامج الإدارة الإلكترونية، علاوة على صعوبة الوصول المتكافئ لخدمات شبكة الانترنيت نتيجة ارتفاع تكاليف الاستخدام لدى الكثير من الأفراد (بدر بوخلوف، 2020، ص 194).

- **الإكراهات المتعلقة بالأمن المعلوماتي:** وهي التي تتمثل في التخوف من التقنية وعدم الاقتناع بالتعاملات الإلكترونية، خوفا مما يمكن أن تؤديه من مساس وتهديد بعنصري الأمن والخصوصية في الخدمات الحكومية، كما ويعتبر فقدان الإحساس بالأمان تجاه الكثير من المعاملات الإلكترونية: كالتحويلات الإلكترونية والتعاملات المالية عن طريق بطاقات الائتمان، أحد المعوقات الأمنية التي تواجه تطبيق الإدارة الإلكترونية، بحيث أن من مظاهر أمن المعلومات بقاءها وعدم حذفها أو تدميرها (بدر بوخلوف، 2020، ص 195).

2. آفاق تفعيل الرقمنة في المرافق العمومية

يعد تفعيل الرقمنة في المرافق العمومية من التحديات والرهانات الكبرى التي تواجهها الدولة المغربية في أفق تحقيق تحول رقمي شامل، وتحسين جودة الخدمات العمومية، وتقليص الفوارق المجالية والاجتماعية. وفيما يلي استعراض لآفاق هذا التفعيل في السياق المغربي:

– **التمكين المجتمعي:** لتحقق المرافق العامة الرقمية أهدافها فيما يتعلق بعلاقتها بالمواطنين ينبغي أن نكون أمام مجتمع رقمي متمكن من الثقافة المعلوماتية التي يعبر عنها بالتفاعل مع التطور التكنولوجي والمعلوماتي واستخدام الوسائل التقنية الحديثة بشكل صحيح، وهذا الأمر يتطلب انخراط كافة شرائح المجتمع في الاستعمال الإلكتروني للمعلومات، وذلك بالعمل على محاربة الأمية الرقمية وبناء الوعي الرقمي من جهة، وتحقيق العدالة الرقمية من جهة ثانية (هشام الرشدي، 2020، ص 22).

- **إصدار مدونة رقمية**: لقد أصبحت اليوم الحاجة ملحة إلى تشريعات للتقعيد القانوني للخدمات الإلكترونية، بالإضافة إلى الحاجة لتشريعات أخرى من باب حماية عملية استغلال المعلومات وتحويلها وتخزينها إلكترونيا (هشام الرشدي، 2020، ص 64).

- **دعم البنية التحتية للإدارة الرقمية**: والذي يعد شرطا أساسيا لإنجاح ورش الرقمنة بالمغرب، ويتجسد هذا الدعم، على وجه الخصوص، في ضرورة تعميم التغطية بشبكة الأنترنيت ذات الصبيب العالي على كافة ربوع التراب الوطني، بما في ذلك المناطق القروية والجبلية النائية، التي ظلت على الدوام تعاني من مظاهر الإقصاء والتهميش المجالي وغياب التجهيزات الأساسية.

ويتعين في هذا الإطار، اتخاذ تدابير عملية من شأنها تجاوز إشكالية الولوج إلى الخدمات الرقمية، لاسيما في ما يخص الاستفادة من الخدمات الإدارة الإلكترونية، والمنصات العمومية، والاستفتاءات الرقمية المرتبطة بالمقررات الإدارية والتشريعية، وهو ما يتطلب مضاعفة نقاط الولوج العمومي إلى الانترنيت.

كما يستحسن أن تعتمد الدولة حوافز مالية وضريبية ملائمة، بغية تشجيع المواطنين والمقاولات على التزود بالمعدات التكنولوجية الضرورية، وتقليص كلفتها، بما يعزز من تكافؤ الفرص في الاستفادة من التحول الرقمي، ويكرس مبدأ العدالة المجالية في الولوج إلى المرافق العامة الرقمية، انسجاما مع مضامين الفصل 31 من الدستور المغربي.

كما يتعين توفير البنية التحتية التقنية اللازمة، باعتبارها دعامة أساسية لا يمكن تصور قيام إدارة رقمية دونها، إذ لا يمكن للإدارة أن تؤدي وظائفها الحديثة بكفاءة وفعالية دون توفر أجهزة إلكترونية متطورة، وحواسيب، وشبكات معلوماتية مؤمنة وفعالة.

وتعد هذه التجهيزات من المستلزمات الجوهرية التي تمكن الموارد البشرية من الاضطلاع بالمهام الموكولة إليها في إطار الإدارة الرقمية، وهو ما يجعل التحول الرقمي مشروطا بتأهيل بيئة العمل التقني داخل مختلف المصالح الإدارية.

وجدير بالذكر أن متطلبات الرقمنة تختلف باختلاف طبيعة الإدارات وخصوصياتها القطاعية، فالإدارة القضائية، على سبيل المثال، ليست في حاجة إلى نفس الحلول التقنية التي تحتاجها الإدارة الجماعية أو المصالح الضريبية، الأمر الذي يفرض تبني مقاربة مرنة ومتكاملة تراعي تنوع الاحتياجات وتخصص الموارد التقنية تبعا لمجال تدخل كل مرفق عام.

- **تسريع رقمنة الخدمات الإدارية**: وذلك من خلال رقمنة جميع المساطر الإدارية الأكثر طلبا من المواطنين، وتوحيد المنصات الرقمية وتبسيط الولوج إليها وتعزيز الجودة والفعالية في تقديم الخدمات.
- **ضرورة تقوية الإطار القانوني المؤطر للرقمنة الإدارية**: وذلك من خلال تعزيز الترسانة القانونية ذات الصلة برقمنة المرافق العامة، من خلال تحديث وتحيين القوانين المنظمة للإدارة الإلكترونية، بما يتماشى **مع التحولات الرقمية الحديثة**.
- **ضمان أمن وحماية المعطيات الشخصية**: حيث يتعين ضرورة تعزيز آليات ضمان أمن وحماية المعطيات الشخصية ضمن ورش رقمنة المرافق العمومية، من خلال اعتماد بنية تحتية رقمية آمنة وتشريعات ملائمة تكفل خصوصية المواطنين وتمنع أي استعمال غير مشروع للبيانات.
- **تعزيز الشفافية ومحاربة الفساد**: ينبغي العمل على ترسيخ مبادئ الشفافية والنزاهة في رقمنة الخدمات العمومية، وذلك باعتماد أنظمة رقمية تمكن من تتبع العمليات، ومراقبة الأداء، وتعزيز آليات محاربة الفساد في كل مستويات التدبير العمومي.
- **تشجيع الشراكة المؤسساتية والرقمية**: حيث يستوجب دعم انخراط الفاعلين الاقتصاديين والمؤسسات الناشئة في تطوير الحلول الرقمية للإدارات العمومية، في إطار شراكات قائمة على مبدأ النجاعة وجودة الخدمة.

خاتمة:

ختاما، يتضح أن الرقمنة أصبحت رافعة أساسية لتحسين أداء المرافق العمومية بالمغرب، من خلال تسريع وثيرة الخدمات، وتعزيز الشفافية، وتقوية العلاقة بين الإدارة والمواطن، غير أن هذا التحول الرقمي، رغم ما يتيحه من فرص، يطرح كذلك مجموعة من التحديات البنيوية والمجتمعية، تتطلب إرادة سياسية قوية، واستثمارا في البنية التحتية، وتكوين الموارد البشرية، فضلا عن ضمان شمولية الاستفادة لتفادي تكريس الفجوة الرقمية. وبذلك، فإن نجاح هذا التحول لا يتوقف فقط على تبني التكنولوجيا، بل أيضا على وضع المواطن في صلب الإصلاح الإداري، بما يرسخ مبادئ الحكامة الجيدة ويعزز الثقة في المرفق العمومي.

قائمة المراجع:

1-Lamiae BEDHRI, Octobre 2017, l'administration électronique au Maroc, publications de l'université Mohammed premier, Oujda, p 6.

2-ادريس احديدوا، 2023، الرقمنة الإدارية رافعة لتخليق المرفق العام بالمغرب، مسارات في الأبحاث والدراسات القانونية، العدد 30، ص 255.

3-فؤاد الفتوحي، 2023، رقمنة الخدمات الإدارية بالمغرب: الفرص والتحديات، منشورات المجلة المغاربية للرصد القانوني والقضائي، العدد الثامن عشر، ص 183.

4-ياسين نصيب، ماي 2024، موقع الرقمنة في القانون رقم 55.19 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية، مجلة ابن خلدون للدراسات القانونية والاقتصادية والاجتماعية، العدد 7، ص 196-197.

5-هشام الرشدي، أكتوبر 2021، موقع ومتطلبات الإدارة الإلكترونية بالمرفق العمومي بالمغرب، مجلة الفقه والقانون الدولية، العدد 108، ص 61.

6-ادريس احديدوا، 2023، الرقمنة الإدارية رافعة لتخليق المرفق العام بالمغرب، مسارات في الأبحاث والدراسات القانونية، العدد 30، ص 266.

7-ياسين نصيب، ماي 2024، موقع الرقمنة في القانون رقم 55.19 المتعلق بتبسيط المساطر والإجراءات الإدارية، مجلة ابن خلدون للدراسات القانونية والاقتصادية والاجتماعية، العدد 7، ص 195.

8-هشام العقراوي، 2022، تحديات الانتقال من بيروقراطية التدبيري الورقي نحو التدبير الرقمي، نظام الرقمنة بالمغرب ورهانات التحديث دراسات متقاطعة في المرجعيات التنظيمية والتشريعية والمؤسساتية، القسم الثاني، مؤلف جماعي، الطبعة الأولى، ص 120-121.

9-بدر بوخلوف، يوليوز 2020، دور التحول الرقمي في تجويد الخدمة العمومية بالمغرب، مجلة القانون والأعمال، العدد 58، ص 194.

10-هشام الرشدي، أكتوبر 2021، موقع ومتطلبات الإدارة الإلكترونية بالمرفق العمومي بالمغرب، مجلة الفقه والقانون الدولية، العدد 108، ص 22.

11-هشام الرشدي، أكتوبر 2021، موقع ومتطلبات الإدارة الإلكترونية بالمرفق العمومي بالمغرب، مجلة الفقه والقانون الدولية، العدد 108، ص 64.

Predictive justice: On the possibility of the robot judge achieving the principle of a fair trial.

HANIFI HADDA
University of Abderrahman Mira Béjaia, Algeria.
hadda.hanifi@univ-bejaia.dz

Abstract:

Artificial intelligence systems are used in the field of justice because of their ability to analyze vast and complex data sets, this is achieved through algorithms that identify the statistical characteristics of the data and work to create predictions that serve as a basis for decisions—a process known as predictive justice. Predictive justice systems have found widespread application, especially in the area of criminal justice, and have positively impacted judicial authorities by reducing inconsistencies in rulings and judicial decisions, as well as enhancing the flexibility and speed of procedures. However, the benefits of predictive justice do not rule out the possibility that these technologies and algorithms could be exploited in ways that violate or infringe upon individuals' guarantees or rights.

Keywords: Predictive justice, artificial intelligence, robot judge, algorithm, fair trial.

العدالة التنبئية: عن إمكانية القاضي الروبوت من تحقيق مبدأ المحاكمة العادلة

حنيفي حدة
جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية –الجزائر–
Hadda.hanifi@univ-bejaia.dz

ملخص:

تستخدم أنظمة الذكاء الإصطناعي في إطار العدالة، لقدرتها على تحليل البيانات الهائلة والمعقدة، عن طريق الخوارزميات التي تحدد الخصائص الإحصائية للبيانات والعمل على إنشاء تنبؤات تعمل كأساس للقرارات، وهو ما يعرف بنظام العدالة التنبئية، حيث لقيت تطبيقا واسعا خاصة في نطاق العدالة الجنائية، وأثرت بشكل إيجابي في عمل الجهات القضائية من حيث تقليص التعارض في الأحكام والقرارات القضائية، وتعزيز مرونة الإجراءات وسرعتها، غير أن محاسن العدالة التنبئية لا تنفي إمكانية إستغلال هذه التقنيات والخوارزميات بما يشكل إنتهاكا أو مساسا بضمانات الأشخاص أو حقوقهم، إن الإعتراف بأن الخوارزمية قادرة على التنبؤ بدقة بقرار المحكمة، يثير التساؤل عن إمكانية حلول هذه الخوارزمية محل القاضي ومدى احترامها للحقوق الأساسية للأفراد، وقدرتها على تحسين أداء مرفق العدالة.

الكلمات المفتاحية: العدالة التنبئية، الذكاء الإصطناعي، القاضي الروبوت، الخوارزمية، المحاكمة العادلة.

مقدمة:

شهد العالم تحولات جذرية بفعل الثورة الرقمية والابتكارات التكنولوجية التي مست جميع القطاعات، بما في ذلك قطاع العدالة. فقد أصبح الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence – AI) واحدًا من أهم المحركات المؤثرة في إعادة صياغة المنظومات الإدارية، الاقتصادية، والاجتماعية، وبدأ يطرق أبواب السلطة القضائية، التي كانت لعقود طويلة مجالًا محافظًا يتميز بثبات نسبي في بنيته وإجراءاته.

يُعدّ مفهوم العدالة التنبئية (Predictive Justice) أحد أبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال القانوني، ويقصد به توظيف الخوارزميات المتقدمة وتقنيات التعلم الآلي لتحليل كمّ هائل من البيانات القانونية، سواء كانت أحكامًا قضائية سابقة أو نصوصًا قانونية أو معطيات إحصائية، بغية التنبؤ بنتائج القضايا المعروضة على القضاء، هذه الممارسة تساهم في تقليص آجال الفصل في القضايا، وتوحيد الاجتهادات القضائية، والحد من التناقضات التي قد تنشأ بين أحكام المحاكم، فضلاً عن توفير أداة مساعدة لصانعي القرار القضائي في تقييم الوقائع وتحليل المعطيات.

من بين أهم تطبيقات العدالة التنبئية يبرز "القاضي الروبوت"، وهو نظام برمجي قادر، من حيث المبدأ، على القيام بدور القاضي في تحليل الملف القضائي، استنادًا إلى خوارزميات معدة مسبقًا، وإصدار قرار أو حكم قضائي، ورغم هذه التطورات، فإن تطبيق القاضي الروبوت يثير نقاشًا فقهيًا وأخلاقيًا واسعًا، خصوصًا في ما يتعلق بمدى احترامه لمبدأ المحاكمة العادلة، المكرّس في المادة 10 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة 14 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والذي يشمل ضمانات أساسية مثل علانية الجلسات، حياد القاضي، استقلاله، حق المتقاضي في الدفاع، والمساواة أمام القضاء، وهنا يُطرح التساؤل: **إذا افترضنا أن خوارزمية قادرة على التنبؤ بدقة بحكم قضائي، فهل يمكن لها أن تحل محل القاضي البشري وتضمن احترام الحقوق الأساسية المرتبطة بالمحاكمة العادلة؟**

وتتجلى أهمية البحث في إثراء النقاش العلمي حول العدالة التنبئية، بوصفها نموذجًا يجمع بين التحليل الإحصائي والقدرة الحاسوبية على التنبؤ بالقرارات القضائية، مما يساهم في تطوير إطار مفاهيمي جديد لمبدأ العدالة في العصر الرقمي،

كما تبرز الأهمية العملية لهذه الدراسة في كونها توفر قاعدة معرفية يمكن لصناع القرار والمشرعين الاستناد إليها عند وضع أطر تشريعية وأخلاقية توازن بين الاستفادة من مزايا القاضي الروبوت – من سرعة ودقة وتقليل للتكاليف – وبين حماية حقوق الأطراف وضمانات المحاكمة العادلة.

بالإعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، سيتم التفصيل في هذه الدراسة عن ماهية العدالة التنبئية وتأثيرها على نظام العدالة، ومناقشة العواقب المحتملة للعدالة التنبئية على المتقاضين، وإمكانية تجسيد هذه الخوارزميات القضائية لمبادئ التقاضي الأساسية، ويتعلق الأمر بالمحاكمة العادلة، من حيث تحقيق ضمانات الحق في الدفاع والوجاهية، مبدأ المساواة وعدم التمييز، إلى جانب إحترام الحق في الخصوصية.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للعدالة التنبئية

أولا: تعريف العدالة التنبئية

العدالة "القابلة للتوقع" أو "الكمية" أو "الإحصائية" أو "المحاكاة..." كل هذه المصطلحات تشير إلى الدمج بين القانون والذكاء الاصطناعي، لكن أكثر هذه التسميات شيوعًا هو العدالة التنبئية، حيث تم تعريفها بأنها "مجموعة من الأدوات التي تم تطويرها من خلال تحليل كم هائل من بيانات العدالة، والتي تقترح عبر حساب الاحتمالات، التنبؤ بقدر الإمكان بنتيجة نزاع معين"، كما " تشير إلى أدوات تحليل السوابق القضائية وكتابات الأطراف، وهي أدوات تسمح بالتنبؤ بالقرارات المستقبلية في النزاعات" (Aguzzi, 2020; CEPEJ, 2018).

ومع ذلك، ظل مفهوم العدالة التنبئية غير دقيق نصيًا، لأنه لا يعني "العدالة التي تتنبأ"، بل "العدالة التي تتنبأ بها الخوارزميات"، والتي تنشأ من كميات كبيرة من حسابات البيانات المستمدة من مجموعات ضخمة من البيانات (البيانات الضخمة) (Big Data) بهدف التعرف على التكرارات لأغراض التنبؤ، فهي ترتكز على تدخل الذكاء الاصطناعي من خلال خوارزميات تقوم بتحليل قواعد بيانات أحكام القضاء، حيث يمكن للمحترفين في المجال القانوني استخدامها، ولا سيما تحليل البيانات القانونية للحصول على إحصائيات حول نتائج النزاعات، وذلك انطلاقاً من بيانات المحاكمة، وفي هذا الصدد، ينبغي الإشارة إلى أن تكوين هذه الخوارزميات أصبح ممكناً بفضل حركة البيانات المفتوحة(open data) ، أي الوصول الحر عبر

الإنترنت إلى البيانات العامة، وفي حالة البيانات القانونية، يتم مصاحبة ذلك بإخفاء هوية الأحكام الصادرة، لحماية خصوصية الأطراف المعنية (Ait-Ali, 2023, p.591)

هذه العدالة التنبئية تتضمن جانبين: جانب "تحليلي" وجانب "توقعي"، يختلف هذان الجانبان من حيث الهدف النهائي، حيث أن الهدف من الجانب الأول هو التنبؤ بنتيجة نزاعات لم يتم الفصل فيها بعد، أما الجانب الثاني، فيسعى إلى التنبؤ بخطر تكرار الجريمة من قبل فرد معيّن أو بمدى خطورته، ويمكن استخدام جانب التوقع ليس فقط أثناء المحاكمة (أي عند تحديد العقوبة، كأداة مساعدة)، وإنما لاحقاً، في نهاية الإجراءات القضائية، من أجل منح إطلاق سراح مشروط محتمل، سواء كنا بصدد الجانب التحليلي أو التوقعي من هذه العدالة التنبئية، يجب التأكيد على أن هذه الخوارزميات تعمل بالطريقة نفسها، وهي تحليل قرارات السوابق القضائية السابقة بهدف التنبؤ بما يمكن أن يُحكم به على الأرجح في قضية لم يُفصل فيها بعد (الجانب التحليلي)، أو حساب خطر العودة للجريمة لدى شخص ما أو مدى خطورته (الجانب التوقعي)(Mahdi, 2020, p.3)

ثانيا: تعريف القاضي الروبوت

سمحت الخوارزميات بتطور الذكاء الاصطناعي، في إطار ما يسمى "بالبيانات الضخمة" "Big Dat" ويُقصد بها "طرق معالجة مجموعات هائلة من البيانات تتيح استخراج المعلومات ذات الصلة من كم هائل من البيانات المجمّعة على مستوى العالم"، وبالنظر للحجم الضخم للبيانات المعالجة أطلق عليها "البيانات الضخمة"، حيث أتاحت هذه "البيانات الضخمة" إنشاء الخوارزميات، وهي "مجموعة من التعليمات أو طريقة مُحددة تسمح بحل مشكلة معينة". ويمكن أن تكون هذه الخوارزميات تنبئية، أي أنها "تتخصص في البحث عن معلومة معينة وحصر الظروف البيئية المصاحبة لتلك المعلومة"، وهكذا، تستطيع هذه الخوارزميات من خلال تحليل البيانات التي توفرها البيانات الضخمة والوقائع الجديدة، التنبؤ بالنتيجة الأكثر احتمالاً لحدوثها مستقبلاً (Mahdi, 2020, p 2-3)

يقصد بمصطلح القاضي الروبوت (Robot Judge) النظام الحاسوبي الذكي القادر على معالجة المعطيات القانونية، تحليل النصوص التشريعية، واستنباط الحكم المناسب بناءً على خوارزميات محددة

(Sourdin, 2018)، وعلى عكس القاضي البشري الذي يعتمد على النصوص القانونية وخبرته العملية ومبادئه الأخلاقية، يعمل القاضي الروبوت وفق برمجيات معدة سلفًا، تستند إلى بيانات ضخمة تشمل النصوص القانونية، السوابق القضائية، وآراء الفقه القانوني.

من أبرز الخصائص التي تميز القاضي الروبوت:

1. **السرعة في المعالجة** :إذ يمكنه تحليل آلاف الصفحات من السوابق القضائية في ثوانٍ.
2. **الاتساق في القرارات** :تقليل التباين في الأحكام الصادرة في قضايا متشابهة.
3. **القدرة على التنبؤ** :توفير مؤشرات احتمالية حول مآل القضايا قبل الفصل فيها (Byrnes, 2020).

إن بروز القاضي الروبوت لم يكن ليحدث لولا التطورات الكبيرة في مجال الذكاء الاصطناعي، خصوصًا في فرعي **تعلم الآلة** (Machine Learning)و**معالجة اللغة الطبيعية** (Natural Language Processing - NLP).

- **تعلم الآلة** :يتيح للنظام التعليمي الآلي التعرف على الأنماط في البيانات التاريخية وتحسين أدائه بمرور الوقت دون الحاجة إلى برمجة صريحة لكل حالة.(Jordan & Mitchell, 2015)
- **معالجة اللغة الطبيعية** :تمكن الآلة من فهم النصوص القانونية المكتوبة بلغة البشر وتحليلها، مما يسمح بالتعامل مع الوثائق التشريعية والقضائية بكفاءة.(Chalkidis et al., 2019)

أتاحت هذه التطورات بناء أنظمة قادرة على قراءة النصوص القانونية، تحديد المفاهيم الأساسية، ربطها بالقضايا السابقة، ومن ثم إصدار حكم أو توصية مبنية على أسس علمية، كما أسهمت تقنيات "البيانات الضخمة" في توفير كم هائل من المعلومات التي تشكل مصدر هذه الأنظمة (Mayer-Schönberger & Cukier, 2013) ويقصد "بالبيانات الضخمة" "Big Data" "طرق معالجة مجموعات هائلة من البيانات التي تتيح استخراج المعلومات ذات الصلة من كم هائل من البيانات المجمّعة على مستوى العالم"، وبالنظر للحجم الضخم للبيانات المعالجة أطلق عليها "البيانات الضخمة"، حيث أتاحت هذه "البيانات الضخمة" إنشاء الخوارزميات، وهي "مجموعة من التعليمات أو طريقة مُحددة تسمح بحل مشكلة معينة"، ويمكن أن تكون هذه الخوارزميات تنبئية، أي أنها "تتخصص في البحث عن معلومة معينة وحصر الظروف المصاحبة لتلك المعلومة"، وهكذا، تستطيع هذه الخوارزميات من خلال تحليل

البيانات التي توفرها البيانات الضخمة والوقائع الجديدة، التنبؤ بالنتيجة الأكثر احتمالاً لحدوثها مستقبلاً (Mahdi, 2020, p 2-3).

المحور الثاني: مبدأ المحاكمة العادلة ودور القاضي الروبوت في تكريسه

رغم أن القاضي الروبوت يسعى إلى تعزيز الكفاءة والشفافية، فإن دمجه في النظام القضائي يثير تساؤلات حول مدى انسجامه مع مبدأ المحاكمة العادلة، فمن جهة، يمكن للتنبؤات الآلية أن تساعد في ضمان المساواة أمام القانون من خلال تقليل الفوارق في الأحكام، ومن جهة أخرى، قد تؤدي إلى إضفاء طابع آلي على العدالة إذا تم الاعتماد عليه بشكل مطلق(Sourdin & Cornes, 2020) ، حيث يبرز التحدي الحقيقي في كيفية الاستفادة من مزايا القاضي الروبوت دون المساس بجوهر العدالة الإنسانية القائمة على التقدير الشخصي لظروف كل قضية، وضمان الحقوق الأساسية للمتقاضين .**أولا: استقلال وحياد القاضي الروبوت**

إن استقلال القاضي – سواء كان بشريًا أو آليًا – يُعد شرطًا جوهريًا لتحقيق العدالة، إذ يضمن عدم خضوعه لأي تأثير خارجي قد يمس بنزاهة قراراته. وفي سياق القاضي الروبوت، يفرض هذا المبدأ ضرورة أن تُبرمج الأنظمة الذكية بطريقة تمنع أي انحياز برمجي، سواء كان مقصودًا أو غير مقصود، وتؤكد مبادئ منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بشأن الذكاء الاصطناعي(OECD, 2019) على وجوب تصميم وتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي بما يراعي القيم الإنسانية والشفافية والمساءلة، وهو ما يعزز ثقة المتقاضين في حياد القاضي الروبوت ويضمن احترامه لسيادة القانون(OECD, 2019)).

ثانيا: علانية الجلسات وضمان الشفافية

تتطلب المحاكمة العادلة أن تكون إجراءاتها علنية بما يتيح الرقابة المجتمعية على عمل القضاء، وفي حالة القاضي الروبوت، يمكن للتكنولوجيا أن تتيح تسجيل الجلسات أو بثها رقمياً، إلا أن هذا يتطلب سياسات توازن بين الشفافية وحماية المعطيات الشخصية، وفي هذا الإطار، تؤكد اللائحة العامة لحماية البيانات (GDPR)في مادتيها 15 و22 على حق الأفراد في الحصول على تفسير واضح لآلية اتخاذ القرارات الآلية التي تؤثر على مراكزهم القانونية. وقد دعمت محكمة العدل الأوروبية (ECJ) هذا المبدأ في حكمها الصادر في فبراير 2025، حيث شددت على ضرورة أن يكون التفسير مفهوماً لغير المتخصصين، وأن

يتضمن شرح البيانات المستخدمة وآلية التقييم وكيفية الطعن في القرار (European Court of Justice, 2025).

كما يشير بعض الباحثين إلى أن الحق في التفسير – رغم أهميته – قد يكون غير كافٍ إذا لم يقترن بآليات فعّالة للطعن والمراجعة البشرية، وهو ما حذرت منه الدراسات النقدية الحديثة (Wachter et al., 2023).

ثالثا: حق الدفاع وحق التفسير

يُعد حق الدفاع أحد أركان المحاكمة العادلة، ويشمل الحق في معرفة الأسس التي بُني عليها الحكم القضائي. وفي أنظمة القضاء المؤتمت، يترجم هذا إلى ضرورة توفير قابلية تفسير القرارات (Explainability)، أي القدرة على تتبع منطق القرار الذي اتخذه القاضي الروبوت، وقد شددت الهيئة الأوروبية لكفاءة العدالة (CEPEJ) في "الميثاق الأخلاقي لاستخدام الذكاء الاصطناعي في القضاء" (2018) على أن أي نظام قضائي يعتمد على الذكاء الاصطناعي يجب أن يكون شفافًا، خاضعًا للمساءلة، وقادرًا على تبرير قراراته بطريقة مفهومة ومناسبة للسياق القانوني.(CEPEJ, 2018)

وبذلك، يصبح التفسير ليس فقط حقًا للمتقاضي، وإنما شرطًا لضمان شرعية القرار القضائي الآلي.

المحور الثالث: التحديات القانونية والتقنية في تطبيق القاضي الروبوت لضمان المحاكمة العادلة

أولا: الإشكاليات القانونية

1. *المسؤولية عن الأخطاء القضائية الآلية*

أحد أكثر الأسئلة تعقيدًا في مجال القاضي الروبوت هو تحديد المسؤولية القانونية في حالة حدوث خطأ في الحكم. فهل تقع على عاتق المبرمجين، أو الجهة التي طورت النظام، أو السلطة القضائية التي اعتمدته؟ تشير بعض الدراسات (Brkan, 2019) إلى أن الأنظمة القضائية تحتاج إلى إطار قانوني خاص يحدد المسؤولية بوضوح، خاصة في ضوء الطبيعة التعاونية بين المبرمجين ومستخدمي النظام القضائي، كما يقترح الميثاق الأوروبي للأخلاقيات في الذكاء الاصطناعي القضائي (CEPEJ, 2018)أن تتم مساءلة الأطراف المشاركة وفقًا لمبدأ "المساءلة المشتركة" عند استخدام أنظمة آلية لاتخاذ قرارات ذات أثر قانوني.

2. *قابلية الطعن والمراجعة البشرية*

رغم مزايا الأتمتة في تسريع الإجراءات، يبقى مبدأ المراجعة البشرية شرطًا أساسيًا لضمان المحاكمة العادلة، وقد أكد حكم **محكمة العدل الأوروبية (2025** (على ضرورة إتاحة الطعن في القرارات الآلية أمام قاضٍ بشري، مع توفير جميع البيانات والخوارزميات المستخدمة لتقييم صحتها (European Court of Justice, 2025).

ثانيا: التحديات التقنية

1. *تحيز الخوارزميات*

يمثل التحيز البرمجي أحد أبرز المخاطر التي تهدد مبدأ المحاكمة العادلة في نظم القاضي الروبوت. فقد أظهرت الدراسات أن البيانات التاريخية المستخدمة في تدريب الخوارزميات قد تحتوي على تحيزات متجذرة، سواء كانت مرتبطة بالعِرق، أو النوع الاجتماعي، أو الخلفية الاجتماعية والاقتصادية (Barocas & Selbst, 2016). هذه التحيزات، إذا لم تُعالج، يمكن أن تؤدي إلى إعادة إنتاج أو حتى تضخيم الظلم القائم بدل الحد منه.(Angwin et al., 2016)

ذكر تقرير في صحيفة نيويورك تايمز في يناير 2020، أن روبرت جيه-بي ويليامز، رجل أسود من ديترويت، تم اعتقاله بعنف، بعد أن تم التعرف عليه بشكل خاطئ بواسطة خوارزمية التعرف على الوجوه من خلال تسجيل فيديو مراقبة جرى أثناء سرقة، وُضع ويليامز في السجن ودخل في دوامة الإجراءات القضائية لأشهر، واضطر للدفاع عن نفسه ضد تهم غير صحيحة، وعندما بحث التقرير في أسباب هذا الخطأ الفادح، أشار إلى دراسة حديثة نشرتها معاهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Technology Massachusetts Institute of (MIT)والمعهد الوطني للمعايير والتقنية National Institute of Standards and Technology (NIST)، والتي أظهرت أنه بالرغم من أن أدوات التعرف على الوجوه تعمل بشكل مقبول عند تحديد هوية الرجال البيض، فإن كفاءتها تنخفض بشكل كبير بالنسبة لفئات أخرى من السكان، على سبيل المثال، يتم ارتكاب أخطاء تصل إلى مئة ضعف أكثر عند التعرف على وجوه الأشخاص من أصول أفرو-أمريكية أو آسيوية، ويرجع ذلك إلى نقص التنوع في قواعد البيانات التي تُستخدم لتدريب هذه الخوارزميات (Aurélie, 2021)

2. *الشفافية وقابلية التفسير*

أحد الانتقادات الأساسية الموجهة لأنظمة الذكاء الاصطناعي القضائية هو صعوبة تفسير كيفية اتخاذ القرار ، حيث يشير Ribeiro, Singh, & Guestrin (2016) إلى أن غياب الشفافية يعيق قدرة الأطراف المعنية على فهم الأسس التي بني عليها الحكم، مما يقوض مبدأ حق الدفاع، ولهذا، توصي المفوضية الأوروبية بضرورة تطوير خوارزميات قابلة للتفسير (*Explainable AI*) في المجال القضائي، بحيث يتمكن المحامون والقضاة والأطراف من الاطلاع على العوامل التي أثرت في القرار النهائي (European Commission, 2021).

3. *حماية البيانات والخصوصية*

الأنظمة القضائية القائمة على الذكاء الاصطناعي تعتمد على معالجة كميات ضخمة من البيانات، بما في ذلك بيانات شخصية وحساسة، وهذا يثير مخاوف جدية بشأن الالتزام بتشريعات حماية البيانات مثل اللائحة العامة لحماية البيانات (GDPR) في الاتحاد الأوروبي (Voigt & Von dem Bussche, 2017). أي اختراق أمني أو تسريب للبيانات قد يضر بثقة الجمهور في النظام القضائي الآلي، فضلًا عن كونه انتهاكًا صريحًا لحقوق الخصوصية.

خاتمة

إن قدرة الذكاء الإصطناعي على فهم ومعالجة المعلومات القانونية، يستوجب أن تكون هذه الأخيرة منظمة ومدرجة بشكل صحيح في البرمجة، ومزودة بمعارف قانونية وبيانات كافية، من خلال توفير العديد من القرارات القضائية متضمنة بدورها عددا من القرارات الإجرائية والموضوعية، غير أن الأمر في الواقع لا يزال يقتضي تدخلا بشريا للحصول على معطيات أكثر دقة من خلال التدعيم الدوري بالمعلومات والبيانات، ولكي تستجيب أكثر لحقوق وضمانات الأفراد.

وفقا لما سبق ذكره، يبقى التدخل البشري ضروريا لسير العدالة، وتبقى الخوارزميات القضائية غير متوافقة مع بعض المبادئ الأساسية المتأصلة في نظام العدالة، لذلك ينبغي على القضاة إستخدام هذه الخوارزميات كأداة مساعدة على إتخاذ القرار وتسهيل عملهم، وليست كقيد لحقوق وضمانات الأفراد، ويترتب على ذلك توخي الحذر من خطر إستبدال القاضي البشري بالخوارزمية، حيث ينجر على عدم إحترام الحقوق الأساسية للمتقاضي أثناء المحاكمة الجنائية، عدم ثقته بالعدالة.

ينبغي التأكيد في هذا الإطار، أن تكييف نظام القاضي الروبوت مع مقتضيات المحاكمة العادلة، يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد تجمع بين المشرّع، وخبراء التكنولوجيا، والسلطة القضائية، والمجتمع المدني، لضمان أن يكون الذكاء الاصطناعي في خدمة العدالة، لا بديلاً عنها، وعليه يتم إقتراح التوصيات التالية:

–وضع إطار قانوني شامل، من خلال سن تشريعات خاصة بتنظيم عمل القاضي الروبوت، تحدد نطاق استخدامه، وضوابطه، وآليات الطعن في قراراته.

–إتخاذ إجراءات لتعزيز الشفافية وقابلية التفسير، من خلال إلزام الشركات ومطوري البرامج المعلوماتية بالكشف عن الأسس المنطقية التي تستند إليها قرارات الأنظمة القضائية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي.

–العمل على مكافحة تحيز الخوارزميات، عبر بروتوكولات لفحص البيانات المستخدمة في تدريب الأنظمة، بهدف اكتشاف ومعالجة أي تحيزات كامنة.

–تعزيز حماية البيانات الشخصية، مثل إنشاء هيئات مستقلة لمراقبة أمن البيانات في المنظومة القضائية الآلية.

–الحفاظ على البعد الإنساني في العدالة من خلال اعتماد القاضي الروبوت كأداة مساعدة للقاضي البشري، لا كبديل كامل، إلى جانب الإبقاء على سلطة اتخاذ القرار النهائي بيد القاضي البشري في القضايا المعقدة أو ذات الأبعاد الإنسانية البارزة.

–إطلاق برامج توعية لتعريف المواطنين بآليات عمل القاضي الروبوت، وحقوقهم في ظل هذه التكنولوجيا، وتنسيق الجهود مع المجتمع المدني وإشراكه في النقاش حول مستقبل الذكاء الاصطناعي في القضاء.

قائمة المراجع:

1. **Journal article** :
   -Barocas, S., & Selbst, A. D. (2016). Big data's disparate impact. *California Law Review*, 104(3), 671–732. https://doi.org/10.15779/Z38BG31
   -Byrnes, M. (2020). The robot judge: Artificial intelligence, justice, and human rights. *AI & Society, 35*, 113–125.
   -Jordan, M. I., & Mitchell, T. M. (2015). Machine learning: Trends, perspectives, and prospects. *Science, 349*(6245), 255–260.
   -Katz, D. M., Bommarito, M. J., & Blackman, J. (2017). A general approach for predicting the behavior of the Supreme Court of the United States. *PLoS ONE, 12*(4), e0174698.

-Mayer-Schönberger, V., & Cukier, K. (2013). *Big data: A revolution that will transform how we live, work, and think*. Houghton Mifflin Harcourt.
-Sartor, G. (2020). Artificial intelligence and judicial decision-making: A virtuous match? *Law, Innovation and Technology*, 12(1), 1–23.
-Sourdin, T. (2018). *Judge v robot? Artificial intelligence and judicial decision-making*. UNSW Law Journal, 41(4), 1114–1133.
-Sourdin, T., & Cornes, R. (2020). Do judges need to be human? The implications of technology for responsive judging. *The University of New South Wales Law Journal, 43*(4), 1049–1083.
-Wachter, S., Mittelstadt, B., & Floridi, L. (2023). *Why a right to explanation of automated decision-making does not exist in the GDPR*. *International Data Privacy Law*, 13(2), 76–99.
-Wang, F. (2022). Public trust in AI-enabled justice systems: A socio-legal perspective. *AI & Society*, 37(4), 1325–1337.

2. **Seminar article**:

-Chalkidis, I., Androutsopoulos, I., & Aletras, N. (2019). Neural legal judgment prediction in English. *Proceedings of the 57th Annual Meeting of the Association for Computational Linguistics*, 4317–4323.

-Ribeiro, M. T., Singh, S., & Guestrin, C. (2016). "Why should I trust you?": Explaining the predictions of any classifier. In *Proceedings of the 22nd ACM SIGKDD International Conference on Knowledge Discovery and Data Mining* (pp. 1135–1144).

3. **Internet websites**:
-Angwin, J., Larson, J., Mattu, S., & Kirchner, L. (2016). *Machine bias*. ProPublica. https://www.propublica.org/article/machine-bias-risk-assessments-in-criminal-sentencing 07/08/2025

4 . Other documents :

-CEPEJ. (2018). *European Ethical Charter on the Use of Artificial Intelligence in Judicial Systems and their environment*. Council of Europe.
-European Court of Justice. (2025). *Judgment on the right to explanation in automated decision-making*.
-OECD. (2019). *Recommendation of the Council on Artificial Intelligence*. OECD Legal Instruments.
-European Commission. (2021). *Ethics guidelines for trustworthy AI*. Publications Office of the European Union.
-Voigt, P., & Von dem Bussche, A. (2017). *The EU general data protection regulation (GDPR): A practical guide*. Springer.

International legislation and child protection in the digital era: towards a safe online environment ".

Benmohad Ourida [1]
Abdelrahman Mira University, Faculty of Law and Political Science, Bejaia
ouerdia.benmohad@univ-bejaia
Maifi Laziz [2]
Abdelrahman Mira University, Faculty of Law and Political Science, Bejaia
laziz.maifi@univ-bejaia

Abstract:

The subject of the child in the digital environment is considered one of the important issues because it is related to a sensitive group, which is the childhood category, as it is a newly emerging topic, which resulted from modern technology that contributed to the emergence of modern means and technologies that did not exist before, and one of the necessities that cannot be dispensed with. This aims to address the status of children in the digital environment through two main axes: in terms of the risks to which the child is exposed and the search for legal protection in light of the various legislations, and the extent of their adequacy in order to reach recommendations and proposals that will enhance the protection of children in a safe digital environment.

Keywords: Children, Digital Environment, International Covenants, Legal Protection.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المواجهة التشريعية لحماية الطفل في البيئة الرقمية على الصعيد الوطني والدولي.

بن محاد وردية [1]
جامعة عبد الرحمان ميرة كلية الحقوق والعلوم السياسية بجاية
ouerdia.benmohad@univ-bejaia
لعزيز معيفي [2]
جامعة عبد الرحمان ميرة كلية الحقوق والعلوم السياسية بجاية
laziz.maifi@univ-bejaia

ملخص:

يعتبر موضوع الطفل في البيئة الرقمية من المسائل ذات الأهمية لتعلقه بفئة حساسة، ألا وهي فئة الطفولة، فهو موضوع حديث الظهور، نتج عن التكنولوجيا الحديثة التي ساهمت في ظهور وسائل وتقنيات حديثة لم تكن موجودة من قبل، ومن الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها. تهدف هذه إلى معالجة وضعية الطفل في البيئة الرقمية من خلال محورين أساسين من جهة المخاطر التي يتعرض لها الطفل والبحث عن الحماية القانونية في ظل التشريعات المختلفة، ومدى كفايتها من أجل الوصول إلى توصيات ومقترحات من شأنها تعزيز حماية الطفل في بيئة رقمية آمنة.

الكلمات المفتاحية: الطفل، البيئة الرقمية، المواثيق الدولية، الحماية القانونية.

مقدمة:

يرى "كونفوشيوس" أحد فلاسفة الصين أنه " **إذا أردت أن تخطط لسنة فازرع أرز، وإذا أردت أن تخطط لعقد من الزمن فازرع شجر، وأما إذا أردت أن تخطط للحياة فأنشأ طفلا**". تكتسي مواضيع الطفولة حيزا بالغ الأهمية من بحوث الفقهاء وشراح لقانون بمختلف فروعه في ظل الثورة الرقمية الهائلة وظهور الحواسب والانترنت والهواتف بمختلف أشكالها، والتي لم تعد حكرا على فئة عمرية معينة، بل امتدت لتشمل الأطفال وإقبالهم الشديد لاستخدامها، دون إشراف أو توجيه ،مما يعرضهم لمخاطر متنوعة، كالتنمر الإلكتروني والاستغلال الجنسي، وتعاطي المخدرات الرقمية. إضافة إلى مخاطر المساس بالحياة الخاصة والفساد الأخلاقي بسبب التعرض للمواقع الإباحية، فأصبح أطفال الألفية الثالثة هم خبراء العالم الرقمي، والسايبر والهاتف الذكي فتعددت أدوار وسائل الاتصال الموجهة إليهم خاصة في ضوء التحديات العالمية والثورة الرقمية، فكان لزاما التدخل من قبل المنظمات والدول لوضع آليات وتشريعات بما يتناسب مع مصلحة الطفل الفضلى لضمان بيئة رقمية آمنة للأطفال.

في هذا الإطار نجد المنظمات والدول تسعى لإيجاد تشريعات وآليات وطنية ودولية حمائية للأطفال من هذه المخاطر، بالرغم ما يواجه تطبيقها الكثير من التحديات والأخطار، كصعوبة مراقبة المحتوى العابر للحدود والتطور المذهل والسريع للتكنولوجيا، مما يجعلنا **نتساءل عن كيفية التصدي للوقاية من المخاطر التي تهدد الطفل في الفضاء الرقمي السيبراني ؟**

كيف يمكن للتشريعات الوطنية والدولية مواكبة التحديات السيبرانية ؟ وهل القوانين الحالية كافية لتوفير بيئة رقمية آمنة للأطفال، أم تحتاج إلى تعاون وتكاثف دولي أكثر فعالية؟ للإجابة عن هذا التساؤل قسمنا الورقة البحثية إلى ثلاث محاور كما يلي:

أهمية التشريعات الدولية والوطنية في حماية الطفل من المحتوى الرقمي

في ظل الآثار السلبية التي أصبحت تطال الطفل حول العالم، بسبب عالمية ظاهرة الاتصال كان لزاما على الدول اعتماد خطط وآليات استراتيجية فعالة وسن تشريعات في إطار مبادئ القانون الدولي ووفقا للمبادئ والمعاهدات الدولية، للحيلولة دون تفاقم آثارها من أجل ضبط فعاليتها من حيث تحسين وضبط المواقع الالكترونية، وفقا للمعايير الوطنية والحفاظ على الهوية والثقافة الوطنية وتربية النشء وكدا المساهمة الفعالة في

حوار بين مختلف ثقافات المجتمع الدولي على أسس الرقي والعدالة والسلم من أجل تكريس حماية مستعملي الوسائل الحديثة وخاصة الأطفال

أولا: مضمون المخاطر الرقمية المهددة لسلامة الأطفال

أصبح التحول الرقمي جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، وامتد أثره إلى كل بيت وأسرة وطفل، وأن العلم يشهد ثمار هده التحولات في مجال التعليم والصحة والتواصل، لكنه في المقابل يستوجب التعامل معه بوعي مع التحديات الاجتماعية الناتجة عنه.

1- التنمر والاستغلال الجنسي عبر الإنترنت

مع مطلع القرن الحادي والعشرين وانتشار القنوات الفضائية وبسبب سهولة استعمال هدا الواقع الافتراضي وامتلاك وسائل الاتصال الحديثة كالهواتف الذكية، تمكن الأطفال من استخدام النت ومواقعه المختلفة بسهولة ويسر وفي هدا الصدد نجد أن المشرع الجزائري تطرق إلى مفهوم الطفل في خطر في المادة الثانية في القانون المتعلق بحماية الطفل على أنه" الطفل الذي تكون صحته أو أخلاقه أو تربيته أو أمنه في خطر أو عرضة له، أو تكون ظروفه المعيشية أو سلوكه من شانهما أن يعرضاه للخطر المحتمل أو المضر بمستقبله أو يكون في بيئة تعرض سلامته البدنية أو النفسية أو التربوية للخطر .كما بين الحالات التي تعرض الطفل للخطر كالاستغلال الجنسي بمختلف أشكاله لاسيما في المواد الإباحية وإشراكه في العروض الجنسية أو تمييزية.(قانون حماية الطفل،2015)

كما تعرضت إليه المادة الثانية من البروتوكول الاختياري لاتفاقية الأمم المتحدة بشأن بيع ودعارة الأطفال وبيعهم واستخدامهم في الأعمال الإباحية الصادر خلال عام 2000 ودخل حيز التنفيذ في 18 يناير سنة 2002حيث اقتصر في تعريف الاستغلال الجنسي للأطفال على المواد البصرية دون المواد المكتوبة كالألعاب الالكترونية والصور الإباحية نظرا لاختلاف المعايير الأخلاقية المجسدة في المجتمع من أخلاق ومعتقدات الدينية والاجتماعية والتي تؤدي إلى الإدمان، ومشكلات صحية، وتطوير سلوكيات مضادة للمجتمع. (مهى الشحروري، 2008، ص108)

2 _ العنف و العزلة الاجتماعية

إن الاستعمال المكثف والمتواصل في استخدام الانترنت ومختلف وسائل الاتصال الذكية وسهولة الولوج إلى هذا العالم الافتراضي جعل الطفل يتفنن في تعلم سلوكيات العدوانية كالقذف والسب والشتم والتجسس

على حياة الناس الخاصة والتشهير بها، فهي من أكثر الجرائم التقليدية الواقعة على الأشخاص التي ترتكب بواسطة الانترنت بغرض تشويه سمعتهم والإساءة إليهم

عرفها المشرع الجزائري في قانون العقوبات الباب الثاني من الفصل الأول الخاص بالجنايات والجنح ضد الأشخاص قسم الخاص تحت عنوان "الاعتداءات على شرف واعتبار الأشخاص وعلى حياتهم الخاصة وإفشاء الأسرار في المادة 296 على أنه" **يعد قذفا كل ادعاء لواقعة من شأنها المساس بشرف واعتبار الأشخاص أو الهيئة المدعى عليها بها وإسنادها إليهم**". والسب هو الآخر كل ما من شأنه أن يتضمن بأي وجه من الوجوه خدشا للشرف والاعتبار، أما الشرف فهو مجموعة القيم التي يضفيها الشخص على نفسه وتشكل سمعته التي يتم تقدير الناس له تطبيق لأحكام المادة 297ق ع ج "يعد سبا كل تعبير مشين أو عبارة تتضمن تحقيرا أو قدحا لا ينطوي على إسناد أية واقعة" (بوسقيعة أحسن، 2019، ص22).

3-خرق الخصوصية وجمع البيانات دون إذن

إن الحق في الخصوصية ليس إلا الحق في منع الغير من القيام بأفعال من شأنها المساس بالخصوصية، وهذا واجب قانوني عليه أن يقوم به كجريمة الحصول غير المشروع على صورة لشخص بدون وجه حق، حيث ورد ذكرها في نص المادة303 مكرر الفقرة الثالثة من قانون العقوبات"...**بالتقاط تسجيل أو بنقل صورة لشخص في مكان خاص بغير إذن صاحبها** بطريقة لقطة الثانيةscreen shot يعد من قبيل الاعتداء على الحياة الشخصية، يمكن للجاني استغلال الصور في إنتاج صور فاضحة للطفل الضحية وتهديده بنشرها بغرض الربح المادي.

إن هذا الواجب القانوني يقع على عاتق الكافة، ويضع قيودا وحدودا بالنسبة لحقوقهم المالية فلا يجوز لمن يمتلك صورة الغير أن يقوم باستغلالها أو نشرها، ففي مواجهة هذا الواجب يوجد حق للشخص الذي تمثله الصورة أو تتعلق به الخصوصيات، وهذا الحق يخول صاحبه سلطة محددة وهي أن يوقف ويمنع الاعتداء على حقه (الرومي محمد،2003، ص58)

وفي هذا الإطار، نهيب بالمنظمين في الدول العربية تحديدا، ضرورة مواكبة ما فعله المشرع الأمريكي بإلزام مشغلي المواقع الإلكترونية بشرط كما هو مدون في قانون COPPA من أجل تكريس الحماية اللازمة للأطفال من ثم التزام أصحاب المواقع الإلكترونية بضوابط وآليات لحماية الطفل من الانتهاكات التي تمس خصوصيته. (الرومي محمد، ص17)

ثانيا: الجهود الدولية المبذولة لحماية الطفل

حاولت العديد من الدول وقف الجرائم الماسة بالأطفال في الفضاء الرقمي من خلال إبرام العديد من الاتفاقيات الدولية والإقليمية تعاقب مرتكبيها في أي مكان وبأي طريقة وقد أقرت العديد من النصوص بشأن العقاب على استغلال الأطفال في الأعمال الإباحية ونشر الصور بأي وسيلة ومنها الانترنت، نتناول ذلك كما يلي:

1- الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل

تعتبر اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة ميثاقا دوليا وصكا قانونيا ملزما يبين حقوق الطفل المدنية والسياسية، الاقتصادية والثقافية، ومسؤوليات الحكومات اتجاه الأطفال، وتشرف لجنة الحقوق جميع الحقوق هذه الاتفاقية مترابطة، وهي متساوية في الأهمية، ولا يجوز حرمان الأطفال منها. حيث تعتبر هذه الاتفاقية الطفل بأنه هو أي شخص يقل عمره عن 18 سنة، ما لم تحدد القوانين الوطنية سنا أصغر للرشد" وحثت على الحماية من الاختطاف، ودعت الحكومات إلى الحرص على الهجرة غير الشرعية للأطفال، واحتجاز الطفل في بلد آخر دون موافقة الأولياء.

وفي السياق ذاته، حثت الدول على تكريس حقوق الطفل في التعبير عن رأيه، وحريته في البحث عن المعلومة من شبكة الإنترنت والإذاعة والتلفزيون والصحف والكتب أو بأي وسيلة، ما لم يؤد إلى الإضرار بالغير.

كما نصت الاتفاقية في مادتها الأولى، على وجوب احترام الأطراف الحقوق الموضحة لكل طفل يخضع لولايتها دون أي تمييز من أصله القومي أو الاجتماعي أو عجزه، كما أوصت الدول بضرورة توفير تمثيلا قانونيا في أي نزاع قضائي وحماية الأطفال بشكل عام من استهلاك و بيع المخدرات تقليدية كانت أم رقمية الضارة.(اتفاقية حقوق الطفل،2021)

تجدر الإشارة، أن الاتفاقية تناولت في قسمين، أحدهما عام وخصصته للمعالجة العامة لانتهاك حقوق الأطفال، وتناولت في القسم الخاص حماية الأطفال من الاستغلال الجنسي أو إجبارهم على ذلك مقابل المال في المادتين 19 و34 منها، أو على تصوير أفلام أو صور جنسية لهم. يحق للأطفال الحصول على الحماية من جميع أنواع الاستغلال، حتى لو كانت غير مذكورة في هذه الاتفاقية. (اتفاقية حقوق الطفل، يونسيف2021)

2-البروتوكول الاختياري الملحق

اعتمد البروتوكول الاختياري وعرض للتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 263 في الدورة العادية الرابعة و والخمسون بتاريخ في 25 ماي ودخل حيز التنفيذ في 18 جانفي 2002 ويهدف إلى القضاء على كل أشكال انتشار الاستغلال الجنسي، فيما يتعلق بالبيئة الرقمية، وقد عرف استخدام في المواد والعروض الإباحية على أنه "تصوير أي طفل بأي وسيلة كانت يمارس فعليا حقيقة أو بالمحاكاة أنشطة جنسية صريحة أو أي تصوير للأعضاء الجنسية للطفل لإشباع الرغبة أساسا" والاتجار بهم، واختطافهم وتجنيد الأطفال للمشاركة في أنشطة إرهابية إجرامية، بما فيها الجريمة السيبرانية،(اتفاقية حقوق الطفل ،يونسيف2021).

ويطالب البروتوكول الاختياري بمعاقبة ليس فقط الأشخاص الذين عرضوا أو نقلو الأطفال لغرض الاستغلال الجنسي أو العمل القهري أو تجارة الأعضاء، بل يلزم الدول الأطراف بالتكفل والعمل على إيجاد آليات إنفاذ مناسبة وأن تدعم الأطفال والوالدين ومقدمي الرعاية في الحصول على الحماية المناسبة، وينبغي أن تضع تشريعات لضمان حماية الأطفال، ومنح الأولوية لمصلحة الطفل الفضلى في كل أشكال التعاملات. محمد البهجي ت د168)كما تلزمها أن تضمن قوانينها ما من مواكبة التقنيات الحديثة في تسهيل تجنيد للأطفال في العمليات الإجرامية.(اتفاقية حقوق الطفل، يونسيف2021)

ثالثا: الجهود الدولية التشريعية لحماية الطفل في البيئة الرقمية

تتباين التشريعات في العالم على آلية التعامل مع الجرائم عبر الانترنت، فنجد بعض التشريعات قد أصدرت قوانين خاصة للتعامل مع هذا النوع المستجد، في حين نجد أن غالبية الدول العربية تعاملت معها بقوانين العقوبات (وفاء مرزوق،2010،ص47)

لا يمكن أن يختلف اثنان أن البيئة الإلكترونية نفسها تكفل حقوق الأطفال تدعمها، فقد تعرض الأطفال للمخاطر، ويمكن أن يتحول بعضها إلى أضرار محتملة، وفي 2020 فقط، سجل المركز الوطني المعني بالأطفال المفقودين والمستغلين NCMEC أربعة ملايين بلاغ بشأن المواد المشتبه بها للاعتداء الجنسي على الأطفال CSAM عبر الإنترنت، مقارنة بمليون واحد في الفترة نفسها في 2019.

نظرا لازدياد دعارة الأطفال على الإنترنت في الولايات المتحدة سنة1995اهتم المشرع الأمريكي بمحاربة هذه الظاهرة، فكان أول جهد للكونغرس الأمريكي لمحاربتها لتنظيم عوامل الإباحية لدى الأطفال عبر الانترنت سنة 1996حيث أصدر قانون آداب الاتصالات(DA)، جرم فيه نقل المواد الإباحية في أي مكان عبر الانترنت وكذا تصوير وعرض وإعلان هذه الصور، حيث عرف ذلك بأنه"كل تصوير مرئي يتضمن صورة أو فيلم أو فيديو أو رسم أو صورة مخلة بطريقة الكمبيوتر أو المنتجة بوسيلة الكترونية قد تكون الانترنت أو ميكانيكية أو بأي وسيلة أخرى وذلك لأي سلوك جنسي مباشر (حسني نصار،2011 ،ص70).. كما سلط عقوبات قاسية وأخذ بعين الاعتبار الافتقار الأدبي والفني والسياسي والقدرة العلمية للقصر

المحور الثاني: تحديات وعوائق تطبيق التشريعات الإقليمية والدولية

إن التوغل الشامل لظاهرة الرقمنة في حياتنا اليومية والذي لم يستثن الكبير ولا الصغير، أصبح يطرح العديد من الإشكالات والتحديات المتعلقة بطريقة تعاملنا مع هذه التقنية المستجدة، والاستفادة منها بشكل ايجابي، وبالتالي المساهمة في توفير بيئة آمنة وصحية لأطفالنا من أجل "مواطنين رقميين صالحين" منها ما يلي:

أولا: العولمة الرقمية

طرح مفهوم العولمة أول مرة في التداول من قبل الكاتبين الأمريكيين (ماك لوهان وكينتين فيور) في كتابهما، الحرب والسلام في القرية الكونية، ولم يلج هذا المصطلح القواميس السياسية والاقتصادية إلا خلال التسعينيات القرن الماضي، وقد طرحت عدة تعريفات للفظة العولمة كالتدخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة و الثقافة، دون ذكر للحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن أو دولة معينة ...وللعولمة شقين أحدهما مادي ويشكل التطور العلمي والتكنولوجي وشبكات الانترنت وما يتصل بها ،وشق قيمي حيث يمثل الجانب الأخلاقي و هيمنة الجانب الفكري باب لا يستهان به في هذا الإطار، فالعولمة نظام يعبر عن إرادة للهيمنة وقمع وإقصاء وتذويب للخصوصية، وينظر البعض إلى العولمة باعتبارها نظاما عالميا بعيد المدى

إن خطورة العولمة تكمن في منظومتها المعقدة والمتشابكة، فبلمسة زر يكون المرء وخاصة الطفل أمام طوفان هائل من المواقع خاصة إذا استخدمت من قبل الأطفال من غير رقابة أو توجيه أسري إنها منظومة متداخلة

أشد التداخل وزاخرة بكل الاحتمالات المقلقة، لأن الحقائق تؤكد أنها تهدف إلى توسيع وتعميق الفجوة الاقتصادية بين الدول الغنية والدول الفقيرة.(يوسف د. السيد عبد القادر شريف، 2004، ص95)

فالتقدم التكنولوجي وانتشاره قد يكون المساعد الرئيسي لتنامي هذه الظاهرة فلابد من تحديد استراتجية وطنية واضحة المعالم لهذه الظاهرة لخطورتها على المجتمعات العربية وتراثنا وثقافتنا وقيمنا الإسلامية حتى لا يذوب أطفالنا خاصة، ويصبحوا بلا هوية. (يوسف عبد القادر ،2004،ص99)،بالإضافة إلى المحاولات المتكررة التي تهاجم الثقافة الإسلامية والعربية من حين لأخر في وسائل الاتصال الحديثة وخاصة والقنوات الفضائية (سالم الكلباني، إيمان محمد،2019، ص 94)

ثانيا: المحتوى الضار

1- مفهوم المحتوى الضار حسب الثقافة

تختلف وتتباين نظرة المجتمعات في مضمون "المحتوى الضار" أو غير مناسب للأطفال، فبالنسبة للدول الغربية يركز البعض على المحتوى العنيف أو الذي يحتوي على كراهية أو تمييز، إلى جانب المواد الإباحية. في حين ترى المجتمعات المحافظة العربية المسلمة أن المحتوى الذي يتعارض مع القيم الأخلاقية والدينية (مثل العري أو الإلحاد) يعتبر سلوكا ضارا.

نظرا للمكانة المميزة التي تحتلها الإنترنت بين وسائل الإعلام والاتصال في حياة الأمم بصفة عامة وفي حياة أطفالنا بصفة خاصة فقد تحولت الإنترنت إلى مؤسسة اجتماعية تضاهي المؤسسات التقليدية كالأسرة والمدرسة والجامعة وأصبح لها الأثر الفاعل في تنشئة الجيل الجديد، ومساعدته على اكتساب مهارات علمية وإبداعية، (عزيزة الطائي،2015، ص143) فهم الشريحة الأكثر استفادة من البرامج المقدمة في الشبكة هو مساحة مفتوحة تسمح للأطفال بالتعرض لثقافات مختلفة قد تتعارض مع ثقافة مجتمعاتهم الأصلية.

إن ما أفرزته العولمة من تطورات مهمة في مجال التكنولوجيا والاتصالات جعلت العالم أشبه بقرية صغيرة وأصبحت فيها الدول النامية تواجه إشكالية التعايش والتفاعل مع العالم المتغير كصعوبة الاتفاق الدولي وضعف توحيد السياسات، قد تركز دولة على حماية الأطفال من التنمر الإلكتروني بينما تهمل دولة أخرى هذا الجانب لصالح التركيز على حماية الخصوصية(إبراهيم بعزيز،2012، ص38).

ثالثا:مشاكل في التفاعل الاجتماعي

إن مستخدمي جهاز الحاسوب والشبكة العنكبوتية سجل لديهم انخفاضا في معدلات التفاعل الأسري والبيئة الاجتماعية المحيطة بهم، حيث يتسبب الإفراط الكبير في الانترنت وقضاء فترات طويلة في إحداث قطيعة بين أفراد العائلة مما يؤدي إلى زوال النسيج الاجتماعي لعدم إدراك أولياء الأمور والمجتمع لمخاطر الإنترنت، وحلول محله نسيجا افتراضيا، فالأطفال يتعرضون إلى سلسلة متواصلة من العنف من خلال مواقع التواصل ، أو غرف الدردشة ومنتديات النقاش ، أو البريد الإلكتروني، أو الرسائل الفورية، أو الهواتف المحمولة، أو صفحات الويب أو المدونات BLOG أو SNAP CHAT، ، حتى يشعر بالإحباط، ويفقدان احترام الذات وعدم الثقة بالنفس.(عزيزة الطائي، مرجع سابق، ص 144)

ليس هذا وحسب، فقد يؤثر استخدام الانترنت في سلوك وأخلاقية الطفل، فقد أثبتت دراسات كثيرة أن هناك ارتباطا قويا بين تعرض الأطفال للمواد الإباحية والسلوك الجنسي الجانح المنحرف، في خلال سنة 1998في إحصائية وجد أن من مستخدمي الحاسوب والشبكة العنكبوتية في الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم لأغراض إباحية،(زينب سالم، ص 79.)وفي المملكة العربية السعودية حوالي 93لأغراض تسيء للدين والأخلاق(زينب سالم عبد الرحمان،2015،ص79 يؤثر بشكل كبير على نفسية الطفل وتشويه سمعته وشعوره بالإحراج وأحيانا يصل الأمر إلى إصابته بعز.) وكل ذلك له اجتماعية (2015،صفحة78).

رابعا: التطور السريع للتكنولوجيا

يشهد العصر الحالي ثورة معلوماتية هائلة، أثرت بشكل كبير ومباشر في حياة البشرية، من حيث الشكل والمضمون، وأدت إلى بيئة اجتماعية لم تكن مألوفة من قبل، يطلق عليها البيئة الرقمية الالكترونية، وكان من نتائجها المباشرة والسريعة أنها أصبحت أداة للكثير من العلاقات والتواصل الاجتماعي، والتي أصبح من خلالها العالم كقرية صغيرة، وكان لها أثر ايجابي على المجتمع، إلا أن الجانب الايجابي المشرق لعصر النهضة التكنولوجية، لا ينفي الانعكاسات السلبية الناتجة عن هذه التقنيات، والمتمثلة في إساءة استخدام أنظمة تكنولوجيا المعلومات، واستغلالها على نحو غير مشروع، وبصورة تضر بمصلحة الإنسان وحقوقه، وخاصة الطفل، وقد وافق هذا النشاط العديد من الأفعال التي شكلت أفعالا مجرمة، بحكم القانون. وتتراوح الآثار من الأخطار التي تهدد حماية البيانات الشخصية والخصوصية، إلى التحرش والتسلط السبيراني، والمحتوى الإلكتروني الضار، والاستمالة لأغراض جنسية والاعتداء والاستغلال الجنسي.

ويتطلب التحدي العالمي المتمثل في حماية الأطفال على الأنترنت COP استجابة عالمية، وتعاونا دوليا، وتنسيقا، وطنيا. ومع زيادة الاعتماد على التكنولوجيات الرقمية، فقد عملت جائحة فيروس كورونا على تفاقم المخاطر القائمة سابقا.

وأمام عجز بعض القوانين عن مواكبة التقدم التقني واستمرار التحديات والتهديدات التي تعزى إلى الطبيعة العابرة للحدود للبيئة الإلكترونية وغيرها من الأسباب في إعاقة حماية الأطفال بسبب انعدام الأطر التشريعية والخطط والاستراتيجيات والموارد الدولية والوطنية المخصصة لضمان حماية الأطفال على الإنترنت.

ومن الضروري توفر خطط استراتيجية شاملة ومتعددة الأوجه لحماية الأطفال تتضمن تدابير وأنشطة فعالة وهادفة بما في ذلك موارد مالية وبشرية لتنفيذ استراتيجية استشرافية، لحماية أطفالنا والأجيال القادمة وتمكينهم من الازدهار في بيئات صحية آمنة ولن نحقق ذلك إلا بإتباع نهج منسق وتعاوني ومتعدد أصحاب المصلحة (راشد محمد المري، جانفي2023، ص43).

المحور الثالث: الآليات الحمائية العلاجية لحماية الطفل في البيئة الرقمية

بغية تأمين بيئة أكثر سلامة وأمنا للأطفال في مواجهة الاستخدام السلبي للإنترنت هناك نوعين من الآليات يستوجب تفعيلهما على المستوى المحلي والإقليمي من أجل ضمان حماية كافية للأطفال وهذا ما سنتناوله بالدراسة والتحليل

أولا: تعزيز وتدعيم دور الأسرة وهيئات المجتمع المدني

في ظل التطور التكنولوجي والثورة المعلوماتية يتعاظم دور الأسرة في تنشئة الطفل في هذا العالم الافتراضي ومع تعاظمه ازدادت مسؤولية الأسرة في تربية وتوجيه الأبناء بشكل صحيح، نحو حياة آمنة حيث تعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى، التي ينشأ فيها الطفل، وهي اللبنة الأولى التي تتميز فيها العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بالمواجهة ومن ثم تسعى الأسرة إلى تشكيل الوجود الاجتماعي للطفل.

والأسرة كذلك هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ووحدة مهمة من مؤسساته الاجتماعية، ففي نطاقها يحقق الزوجان إشباع احتياجاتهما الاجتماعية والبيولوجية وفقا لأسلوب اجتماعي يقبله الدين والقانون والمجتمع، والقاعدة أنه ينشأ عن الزواج إنجاب الأطفال، أي تزويد المجتمع بأجيال جديدة تحفظ الجنس البشري، وتنقل

التراث الحضاري والقيم الروحية من جيل إلى جيل، وتتميز العلاقات داخل الأسرة بكونها أول العلاقات الاجتماعية التي تقابل الطفل (يوسف د. السيد عبد القادر شريف،2004 ص16).

تشكل الأسرة وكالة أولى للمجتمع في أداء أدوار اجتماعية وثقافية للطفولة، إذ يتلقى الأطفال من خلالها رسائل اتصالية مباشرة ومستمرة، ومن هنا صار لزاما أن تكون الأسرة مستنيرة وعلى قدر عال من الوعي بوظائفها إزاء الطفولة (هادي نعمان الهيتي ، 2011، ص 72)

- تلعب الأسرة في مجتمعاتنا العربية دورا أساسيا في تقرير النماذج السلوكية للطفل عن طريق توعيتهم وإرشادهم إلى الإدراك الصحيح والأساليب المثلى لتوضيح الأخطار الاجتماعية والنفسية عن سوء استخدام الانترنت (عوفي مصطفى، بن بعطوش أحمد، 2016،ص464.) ونحن في عالمنا العربي لابد من المحافظة على هويتنا الثقافية العربية والإسلامية بما تحتويه من مبادئ وقيم واتجاهات ثابتة، وهذا لا يعني أننا دعاة الجمود والانغلاق بل إننا ننفتح على الآخرين شريطة الحفاظ على هويتنا الثقافة وعدم التقليد الأعمى للغرب، خاصة ونحن أمام عظم الخطر الذي يهدد هويتنا وفي التفكك الأسري، فهذا يقتضي تظافر الجهود إلى جانب دور الأسرة والمدرسة، فإن هيأت المجتمع المدني الأخرى مدعوة أكثر من أي وقت مضى للعب دورا رائدا في الحد من الآفات، بسبب إدمانهم على الألعاب الالكترونية، وشبكات التواصل الاجتماعي والمواقع المخلة بالحياء، سواء تعلق الأمر بالمساجد، لذلك يجب على المسئولين كل في موقعه وفي المواقع الإعلامية في أمتنا العربية أن يدركوا أن أمتنا مستهدفة دائما، وبالتالي عليهم أن يبثوا كل ما هو مفيد وصالح لتربية النشء ويتفق وقيم وعادات وتقاليد مجتمعاتنا العربية الإسلامية. كتعزيز استخدام أدوات الرقابة الأبوية على الأجهزة وتوفير حملات توعية للأهالي بالمخاطر الرقمية. (صالح السرحاني، 2010، ص ص 45 ،46.)

ثانيا: تحديث القوانين المحلية

يشهد المجتمع الدولي منذ منتصف القرن الماضي تصاعدا مطردا ملحوظا في الاهتمام بحقوق الطفل وحمايته، من كافة أشكال الإساءة، وتمكينه من حقوقه المكفولة في الشرائع السماوية والأرضية وفي بعض الإعلانات

الدولية ذات الصلة بحقوقه إلى غاية صدور اتفاقية حقوق الطفل سنة 1989 لتعد الأساس القاعدي لبقية الصكوك الدولية اللاحقة بها، لضمان بيئة رقمية متوافقة مع الحقوق المنصوص عليها في الاتفاقية والبروتوكولات الاختيارية الملحقة بها، وفي هذا المجال ينبغي أن تسعى الدول بسن قوانين وتشريعات تتماشى في سياق التقدم التكنولوجي والممارسات الناشئة، وينبغي أن تتضمن إلزاما تعرض الدول الأطراف وتعتمد وتستكمل التشريعات الوطنية بما يتماشى مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان، لإدراج حقوق الطفل في التشريعات وفي المخصصات المرصودة في الميزانية وغير ذلك من القرارات الإدارية المتعلقة بالبيئة الرقمية، وتعزيز استخدامها في أوساط الهيئات العامة والشركات التجارية المتصلة بالبيئة الرقمية (اتفاقية حقوق الطفل الأمم المتحدة، 2021)عن طريق مواءمة التشريعات مع المعايير الدولية والعمل على إضافة قوانين جديدة تحرم الاستغلال الرقمي.

ثالثا: تعزيز التعاون الدولي

إن حماية الطفل في البيئة الرقمية إشكالية كبيرة تحتاج إلى تضافر الجهود جميع الدول والهيئات ومؤسسات المجتمع للوصول إلى الحلول الكفيلة بحماية الأطفال وتحقيق أمنهم في فضاء الانترنت، وهنا تبرز مسؤولية الأولياء بالدرجة الأولى في تربية وتوجيه أبنائهم وكذا مسؤولية وسائل الإعلام لتوعية الآباء من مخاطر الشبكة العنكبوتية التي يجهل الكثير مخاطرها وقبل ذلك تأتي الرقابة على توعية الأبناء ليمارسوا بدورهم الرقابة الذاتية، هي إذن سلسلة اجتماعية حلقاتها مترابطة وغياب إحداها يحول دون شك بلوغ الهدف المقصود وهي خلق آليات لمكافحة الإساءة للمصلحة الفضلى للطفل عبر شبكة الانترنت لذلك تسعى الدول إلى تفعيل بعض الآليات منها مايلي:

- ضمان وجود آليات عالمية ومنهجية لحماية الأطفال تلزم جميع العاملين مع الأطفال (مثل مقدمي الرعاية الاجتماعية وأخصائي الرعاية الصحية والمربين) بتحديد أي نوع من الضرر الذي يلحق بالأطفال على الإنترنت والاستجابة له والإبلا غ عنه.
- ضمان تدريب مختصين في مجال الخدمات الاجتماعية على اتخاذ الإجراءات الوقائية **والاستجابة للأضرار** التي تلحق بالأطفال على الانترنت، وتحديد إساءة معاملة الأطفال وتقديم الدعم والمساعدة المتخصصين طويلي الأمد للأطفال ضحايا الاعتداء.
- وضع استراتيجيات وتدابير لمنع إساءة معاملة الأطفال استنادا إلى ألية علمية.

- توفير الموارد البشرية والمالية المناسبة لضمان التعافي التام للأطفال وإعادة إدماجهم ومنع إعادة إيذاء الأطفال الضحايا.
- ضمان حصول الأطفال على الرعاية الصحية الكافية بما في ذلك الصحة النفسية بالإضافة إلى السلامة الجسدية، بما في ذلك في حالة الإيذاء أو الصدمة أو الإساءة عبر الإنترنت. (راشد محمد المري، جانفي2023، ص 38)

ينبغي أن تشرك الدول الأطراف المجتمع المدني بصورة منهجية، بما في ذلك الجماعات التي يقودها الأطفال والمنظمات غير الحكومية العاملة في مجال حقوق الطفل، والمنظمات المعنية بالبيئة الرقمية، في وضع وتنفيذ ورصد وتقييم القوانين والسياسات والخطط والبرامج المتعلقة بحقوق الطفل، وينبغي لها أيضا أن تكفل قدرة منظمات المجتمع المدني على تنفيذ أنشطتها المتعلقة بتعزيز وحماية حقوق الطفل فيما يتعلق بالبيئة الرقمية. (اتفاقية حقوق الطفل2021)

تستلزم البيئة الرقمية بطبيعتها العابرة للحدود تعاونا دوليا وإقليميا قويا، لضمان احترام جميع أصحاب المصلحة، وغيرها من الجهات الفاعلة، حقوق الطفل في البيئة الرقمية وحمايتها وإعمالها على نحو فعال. ولذلك، فمن الأهمية بمكان أن تتعاون الدول الأطراف على الصعيدين الثنائي والمتعدد الأطراف مع المنظمات غير الحكومية والوطنية والدولية، ووكالات الأمم المتحدة، والمؤسسات التجارية، والمنظمات المتخصصة في حماية الطفل وحقوق الإنسان فيما يتعلق بالبيئة الرقمية.(اتفاقية حقوق الطفل الأمم المتحدة، 2021) توقيع اتفاقيات جديدة تركز على الحماية الرقمية وتبادل الخبرات بين الدول لمكافحة الجرائم الرقمية المتبادلة، وتشجع الجمع المشترك للأدلة وتبادلها (اتفاقية حقوق الطفل الأمم المتحدة، 2 2021)

رابعا:تطوير تقنيات تكنولوجيا آمنة وذكية:

تستدعي حماية الطفل في البيئة الرقمية المتسارعة ضرورة توافر تقنيات الآمان المستحدثة من المخاطر الالكترونية للأطفال، مثل المحتوى غير المناسب، التنمر الإلكتروني، والاختراقات الأمنية، يتطلب تطوير هذه التقنيات الجمع بين الابتكار التكنولوجي والتشريعات القانونية لتعزيز بيئة رقمية آمنة. كتقنيات الذكاء الاصطناعي وفلترة الذكية للمحتوى، بالاعتماد على خوارزميات ذكية اصطناعية لحجب المحتوى غير المناسب

للأطفال بناء على العمر والثقافة التعرف على الصور والنصوص الضارة أو العنيفة من خلال تحليل البيانات بشكل تلقائي وكشف السلوكيات الضارة إمكانية مساعدة الأولياء مراقبة أبنائهم الإشراف على متابعتهم ومراقبتهم في الألعاب الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي ومدهم بتقنيات ضبط وتحكم زمنية، مثل تحديد أوقات استخدام الإنترنت.

من أجل سلامة الطفل وحمايته في البيئة الرقمية تسعى الدول المتطورة إلى تطوير وتحديث بروتوكولات تشفير قوية لحماية بيانات الأطفال من الاستغلال أو البيع غير القانوني بموجب قوانينها الداخلية مع تقييد الشركات من استعمال واستغلال البيانات الشخصية دون موافق وإذن من الأولياء.

ولمنع القرصنة والإساءة حثت بعض الدول إلى إلزامية استخدام خاصية التحقق المزدوج للحسابات التي يستخدمها الأطفال لتقليل فرص الاختراق، والتعاون مع منصات مثل اليوتيوب، فيسبوك، وتيك توك لتطوير أنظمة مراقبة تمنع نشر أو عرض المحتوى الضار للأطفال وتطوير أدوات تقنية لرصد التهديدات الأمنية وحذف الحسابات المشبوهة.

إن السعي في تطوير شبكات آمنة للأطفال لسد الفجوة الرقمية حول العالم من أجل تمكين جميع الأطفال من الوصول إلى المحتوى الرقمي الآمن، وهذا يكون من خلال الدعم الأممي المادي، وكذلك من خلال تسطير برامج للدول التي تشهد تأخرا في الولوج للرقمنة، لذا يتعين إعادة تصميم البيئات والأدوات الرقمية مع مراعاة حقوق الأطفال ورفاههم قبل المصالح الأخرى بإنشاء شبكات إنترنت مخصصة للأطفال تحتوي فقط على محتوى آمن وتعليمي. تقديم أدوات تصفح موجهة للأطفال بواجهات بسيطة ومفلترة لتتماشى والتغيرات التقنية من خلال تحديث البرامج والتطبيقات الآمنة من أجل حماية شاملة.

خاتمة

إن التصدي لمعالجة موضوع بحجم الطفولة، لاشك أنه يمثل تحد أساسي آخر في ظل وجود تقاطعات عديدة بين مختلف التشريعات، سواء الإقليمية المحلية أو الدولية، التي تهدف إلى غرض أسمى هو الارتقاء بحقوق الطفل وتوفير بيئة آمنة وصحية وتنشئة سوية له، وحماية له كعنصر يشارك في صياغتها في العصر الرقمي، أمام التحديات الواسعة التي باتت تهدد الطفولة عبر مختلف أقطاب العالم والتي كانت نتاج إفرازات للعولمة و التي أعادت طرح نفس التحديات بخيارات أخرى متعددة ما دفع إلى إعادة تفعيل الجهود الدولية على مستويات متباينة من أجل إيجاد آليات ذات فعالية في الإبقاء على الطفل في منأى بعيدا

عن هذه التأثيرات، ولعل أبرزها هو إعادة بعث دور وأنشطة الهيئات الدولية والوطنية لمسايرة مستجدات البيئة الافتراضية، التي تتطلب جهدا مشتركا من المجتمع الدولي، الأسر والمؤسسات التقنية و جميع الشركاء الاجتماعيين. من أجل بيئة آمنة للأطفال كخطوة أساسية لضمان حقوقهم وحمايتهم من أي استغلال أو ضرر.

من أجل ذلك يجب أن تستمر الجهود في تحديث التشريعات، رفع الوعي، وتعزيز التعاون الدولي من خلال هذه الورقة البحثية توصلنا بحمد الله إلى جملة من التوصيات كالتالي:

- تكثف تنظيم المؤتمرات والملتقيات العلمية بكافة أنواعها من قبل أكاديميين وخبراء مختصين للوصول إلى دراسات تواكب تطورات الجرائم المستحدثة، بغية إيجاد سبل متطورة لحجب المواقع الالكترونية غير المشروعة.
- إيلاء أهمية مطلقة لحماية الطفولة من المخاطر الرقمية.
- السعي المتواصل و الدؤوب لتطوير حوكمة أقوى للبيئات والتقنيات والبيانات الرقمية في ظل أطر وضمانات وطنية وإقليمية وعالمية، من أجل تزويد الأطفال بحماية كافية في البيئة.
- تعزيز الوعي الرقمي لدى الأسر والشركاء الاجتماعيين.
- التركيز على دور التعاون الدولي وتقييم فعالية التشريعات الدولية.
- السعي لسد الفجوة الرقمية حول العالم من اجل تمكين جميع أطفال العالم من الوصول إلى المحتوى الرقمي والعمل على توفير بيئة رقمية آمنة.

قائمة المراجع:

1-الاتفاقيات والنصوص القانونية:

1. اتفاقية حقوق الطفل الأمم المتحدة، 2 مارس 2012.
2. اتفاقية حقوق الطفل الصادرة بموجب القرار رقم44/25المؤرخفي20نوفمبر1989عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.
3. اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة – نسخة الأطفال، مارس 2021.
4. البروتوكول الاختياري المعتمد والموقع بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 263 في الدورة الرابعة والخمسون، المؤرخ في 25ماي2000 الذي دخل حيز التنفيذ في 18جانفي2002.
5. قانون الإجراءات الجزائري رقم 66/155المؤرخ في 8جوان سنة 1966 المعدل والمتمم.
6. القانون رقم15/12، المؤرخ في15جويلية2015، والمتعلق بحماية حقوق الطفل الجزائري، ج ر، عدد 39الصادرة بتاريخ19جولية2015.

2-الكتب:

1. أبو الحجاج(2009) أطفال الكمبيوتر والنت، سلسلة سيكولوجية التعامل مع الأبناء، الطبعة الأولى، الوليد للدراسات والنشر والترجمة، القاهرة (مصر).
2. بوسقيعة أحسن، (2019)الوجيز في القانون الجزائي الخاص،الجزء 01، دار الثقافة للنشر والتوزيع،الأردن،ط 1.
3. حسني نصار،(2011) تشريعات الطفل في التشريع الدستوري والدولي والمدني والجنائي، دار الثقافة والتوزيع، الأردن، د ت.
4. راشد محمد المري،(2023) أثر التكنولوجيا المعلومات في النظام الأمني والرقابة الداخلية، بحث منشور بمجلة البحوث القانونية، كلية الشريعة والقانون بدمنهور، جامعة الأزهر، المجلد40، العدد40.
5. الرومي محمد أمين، (2003)جرائم الكمبيوتر والانترنت، دار المطبوعات الجامعية، مصر، ط2.
6. زينب سالم أحمد عبد الرحمن: تقديم أ.د. مصطفى رجب: الطفل العربي والثقافي الإلكتروني، الطبعة الأولى، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق (مصر) .
7. سالم الكلباني، إيمان محمد(2019.) حماية خصوصية الطفل في العالم الافتراضي، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في القانون الخاص، جامعة الإمارات العربية المتحدة
8. صالح بن يحي تصير السرحاني، (2010) (دور المدرسة في وقاية الأحداث من الانحراف، مذكرة ماجستير، منشورة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية. ط 1.
9. عوفي مصطفى، بن بعطوش أحمد عبد الحكيم، (2016)تكنولوجيا الاتصال الحديثة ونمط الحياة الاجتماعية للأسرة الحضرية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 26، جامعة باتنة، الجزائر. ط1

1- مها حسني الشحروري (2008) الألعاب الإلكترونية في عصر العولمة (مالها وما عليها)، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان (الأردن).
2- هادي نعمان الهيتي(2011) الإعلام والطفل، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان (الأردن).
3- يوسف د. السيد عبد القادر شريف، د ت، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، مدينة نصر (القاهرة).

المواقع الإلكترونية:

1. الحفاظ على سلامة الأطفال في البيئة الرقمية: الحماية والتمكين .www.itu.int
2. يونيسف www.unicef.org
3. docstore.ohchr.org

Human Organ Trafficking Through Social Media Platforms

LATIFA EL HICHAMI
Université Mohammed V-Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales-Agdal- Rabat- Maroc
latifaelhichami90@gmail.com

Abstract:

The human being, in both his physical entity represented by the body and his spiritual entity represented by the soul, must be respected and honored in both life and death. It is impermissible to violate either of these entities or to infringe upon their sanctity through any prohibited act that may cause harm. Among the most serious crimes that violate a person's right to life and physical integrity is human organ trafficking. A combination of contributing factors — primarily medical advancements, information technology, and extreme poverty — has led to the spread and proliferation of this crime. It is characterized by unique features that hinder the authorities from detecting its effects and dismantling the criminal networks involved, especially in light of digital and technological developments, which have made the digital space a fertile ground for locating victims. Both Moroccan and Egyptian legislators have attempted to confront behaviors that violate the sanctity of the human body, particularly organ trafficking. However, the legislative mechanisms adopted by both countries suffer from certain weaknesses that require reconsideration and improvement.

Keywords: The Human Body, Human Organ Trafficking, Human Trafficking, Social Media Platforms.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الإتجار بالأعضاء الآدمية عبر وسائط التواصل الاجتماعي

لطيفة الهشامي
جامعة محمد الخامس– كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال بالرباط–المغرب
latifaelhichami90@gmail.com

ملخص:

إن الإنسان بكيانيه؛ المادي والمتمثل في الجسد، والمعنوي والمتمثل في الروح، وجب له التكريم حيا وميتا، ولا يجوز المساس بهذين الكيانين، وانتهاك حرمتهما بأي سلوك محظور من شأنه إلحاق الأذى بهما، وإنه من أكثر الجرائم انتهاكا لحق الإنسان في الحياة والسلامة الجسدية، نجد الاتجار بالأعضاء الآدمية، بحيث ساهمت مجموعة من الظروف المتظافرة وعلى رأسها التطور الطبي والتكنو معلوماتي والفقر المدقع، في انتشار وتناسل تلك الجريمة التي تمتاز بخصائص فريدة تحول دون اكتشاف الجهات المختصة لآثارها وتفكيك الشبكات الإجرامية التي تمتهنها، خاصة في ظل التطور الرقمي والتكنولوجي، بحيث أصبح الفضاء الرقمي وسطا خصبا للبحث عن الضحايا، وقد حاول كل من المشرعين المغربي والمصري مواجهة التصرفات التي من شأنها انتهاك حرمة الجسد البشري، وعلى رأسها المتاجرة بالأعضاء البشرية، إلا أن الآليات التشريعية التي تبناها كل من المشرعين المغربي والمصري تتخللها بعض مظاهر الضعف التي تحتاج إلى إعادة النظر من أجل تلافيها.

الكلمات المفتاحية: جسم الإنسان، الاتجار بالأعضاء الآدمية، الاتجار بالبشر، وسائط التواصل الاجتماعي.

مقدمة:

إن الإنسان هو أعظم المخلوقات على وجه الأرض، خلق حرا ومكرما. ويتركب من كيان روحي، وآخر مادي قوامه الجسد بأجهزته المختلفة التي يَطَّلِعُ كل منها بوظيفة معينة، والتي تبث الحياة في الجسد الآدمي، كالجهاز العضلي والجهاز العصبي والجهاز التنفسي والجهاز البولي والجهاز الهضمي والجهاز التناسلي. ويتكون كل جهاز من مجموعة من الأعضاء، فإذا اعْتَلَّ أحدها اختلت وظيفة الجهاز بأكمله، وأثر على كل الأجهزة الأخرى، وبالتالي على الجسد بأكمله.

ومع التطور الهائل في مجال العلوم الطبية، أضحى علاج أمراض الأعضاء الآدمية التالفة ممكنا، ويتمثل في استئصالها وزراعة أخرى سليمة محلها، بل وحتى مجال زراعة الأعضاء ذاته عرف توسعا كبيرا في نوع العضو القابل للزرع، إذ أضحت كل مكونات الجسد البشري بما فيها الأعضاء التناسلية والعظام والجلد وغيرها قابلة للزرع، بل وحتى الأنسجة والخلايا.

إن كل من إمكانية زراعة الأعضاء البشرية وتوسع مجالها، إضافة إلى ندرة الأعضاء القابلة للزرع، والتي يكون مصدرها الوحيد المشروع هو التبرع _الذي تؤطره مساطر قانونية دقيقة_ سواء من الأحياء أو الأموات، وارتفاع الطلب بشكل مهول من المرضى على الأعضاء والذي يفوق حجم المخزون منها، إضافة إلى الرغبة الشديدة في الحياة التي تدفع الإنسان–القادر ماديا–لدفع أي مبلغ مهما كان كبيرا للحصول على فرصة للحياة، قد ساهمت في ظهور شبكات إجرامية خطيرة تستهدف أعضاء جسم الإنسان، بحيث تنظر لهذا الأخير على أنه مجرد مصدر وفير للربح، فكل عضو منه بأنسجته وخلاياه يساوي أموالا طائلة، هو الأمر الذي جعلهم يتفننون في البحث عن كل الوسائل والأساليب للوصول إلى ضحاياهم، والحصول على أعضائهم والمتاجرة فيها، وكأنها سلع قابلة للبيع والشراء والوساطة وغيرها من التصرفات.

وفي ظل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية الهائلة التي جعلت من العالم قرية صغيرة، بحيث يسرت التواصل، واختصرت المسافات، وفي ظل الاستخدام المهول لوسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، استغلت الشبكات الإجرامية التي تتاجر في أعضاء البشر الخدمات المتنوعة التي تقدمها شبكة الإنترنت للوصول إلى ضحاياها بكل سهولة، هو الأمر الذي جعل هذه الجريمة تنشط عبر الوسط الرقمي وتتناسل في الظل، فكانت البيئة الافتراضية هي أحد أكبر الإكراهات التي تحول دون الكشف عنها، وبالتالي وجود معطيات إحصائية غير حقيقية عن هذه الجريمة العابرة للحدود والأكثر انتهاكا لحقوق الإنسان.

ومما سهل عمل المتاجرين في أعضاء جسم الإنسان، هو أنه بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المهمشة والمتدهورة لبعض الأفراد في مختلف المجتمعات، جعلتهم بأنفسهم يبحثون عمن يشتري منهم عضوا وبثمن جد بخس، لجهلهم بقيمة أعضائهم تحت وطأة الظروف القاهرة، فأضحى الناس يعرضون أعضائهم للبيع في مواقع إلكترونية مقابل مبلغ معين وغالبا يكون زهيدا، ويتم البيع في شكل مزاد إلكتروني لمن يدفع أكثر. بل الأكثر من ذلك تجد الناس يعرضون أعضائهم للبيع في أي فضاء إلكتروني ذو صلة بالأعضاء البشرية، بحيث أصبح صاحب الجسد يبحث عن المشتري بشق الأنفس، والسماسرة أنفسهم يبحثون عن ضحاياهم بالوسط الرقمي، فما إن يجدوا أحدهم مفصحا عن الرغبة في البيع أو يعيش ظروفا صعبة إلا ويتلقفونه، وهذا إشكال خطير ومعضلة عظمى.

فموضوع الاتجار بالأعضاء الآدمية من الأهمية بمكان، فهذه الجريمة المنظمة العابرة للحدود الجغرافية للدول، هي الأكثر مساسا بحقوق الإنسان، وانتهاكا لكرامته، وامتهانا لقيمته كإنسان، فقد أفرغته من كينونته وهويته وقومته بالمال، وانتزعت روحه من جسده، وتصرفت فيه كما يُتَصَرَّفُ في البضائع.

ويطرح هذا الموضوع إشكالية رئيسة حول مدى نجاعة الآليات التشريعية التي تبناها كل من المشرعين المغربي والمصري لمواجهة الإتجار بالأعضاء الآدمية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات نذكر من بينها:

ما المقصود بالعضو الآدمي؟

ما هو مفهوم وخصائص الاتجار بالأعضاء الآدمية؟

ماهي أسباب ووسائل الاتجار بالأعضاء الآدمية؟

ما هو واقع آليات المكافحة التشريعية المغربية والمصرية؟

وتأسيسا على ما سبق سنتناول هذا المقال من خلال مبحثين اثنين:

المبحث الأول: ماهية الاتجار بالأعضاء الآدمية:

المبحث الثاني: آليات المكافحة التشريعية المغربية والمصرية للاتجار بالأعضاء الآدمية: الواقع والمأمول.

المبحث الأول: ماهية الإتجار بالأعضاء الآدمية:

إن الاتجار بالأعضاء البشرية من أكثر الجرائم انتهاكا لحرمة أعضاء الجسد البشري، وامتهانا لكرامة الإنسان، لذا فإن التطرق لهذه الجريمة يقتضي منا أن نتعرض أولا لمفهومها وخصائصها، ثم نتعرف بعد ذلك عن أهم الأسباب التي كان لها الدور في ظهور وانتشار تلك الجريمة، والوسائل التي ترتكب بها.

المطلب الأول: مفهوم جريمة الإتجار بالأعضاء الآدمية وخصائصها:

قبل أن نتعرف عن أسباب جريمة الاتجار بالأعضاء البشرية ووسائل ارتكابها، كان لابد أولا أن نتطرق لمفهومها، ثم خصائصها التي تميزها عن غيرها من الجرائم التقليدية.

الفقرة الأولى: مفهوم الإتجار بالأعضاء الآدمية:

إن موضوع جريمة الاتجار بالأعضاء البشرية هو العضو البشري، لذا كان علينا أولا أن نبحث في تعريف محل هذه الجريمة قبل أن نتعرض لتعريفها.

أولا: تعريف العضو الآدمي:

عرف المشرع الإنجليزي العضو البشري في القانون المتعلق بزراعة الأعضاء (Humain Organ Transplants Act 1989) "بأنه كل جزء من الجسم يتكون من مجموعة مركبة ومتناغمة من الأنسجة، والذي لا يمكن للجسم استبداله بشكل تلقائي إذا ما تم استئصاله بالكامل." (فهمي، 2011، صفحة 31)

وقد عرفه المشرع الأردني في القانون رقم 23 لسنة1977 بشأن الانتفاع بأعضاء جسم الإنسان في المادة الثانية منه بأنه" أي عضو من أعضاء جسم الإنسان أو جزء منه". (فهمي، 2011، الصفحات 29-30)

وعرف المشرع المغربي العضو البشري في المادة الثانية من القانون رقم 16.98 لسنة 1999 المتعلق بالتبرع بالأعضاء والأنسجة البشرية وأخذها وزرعها، الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم1.99.208 في 13 من جمادى الأولى1420 (25 أغسطس1999)، منشور بالجريدة الرسمية عدد 4726 بتاريخ 5جمادى الآخرة 1420(16 سبتمبر1999)، ص2299 بأنه" كل جزء من جسم الإنسان سواء أكان قابلا للخلفة أم لا والأنسجة البشرية باستثناء تلك المتصلة بالتوالد".

وعرفه بعض الفقه بأنه "أي جزء من أجزاء الإنسان، سواء أكان عضوا مستقلا كاليد والعين والكلية ونحو ذلك، أو جزء من عضو كالقرنية والأنسجة والخلايا، وسواء منها ما يستخلف كالشعر والظفر، أو مالا يستخلف، وسواء منها الجامد، كما ذكر والسائل: كالدم واللبن، وسواء كان ذلك متصلا به أم منفصلا عنه." (الشيخلي، 2009، صفحة 31)

يمكن القول بأن العضو البشري ليس نسيجا ولا خلية، فالعضو يتكون باجتماع مجموعة من الأنسجة، والنسيج يتكون باجتماع مجموعة من الخلايا. أي أن الخلية جزء من النسيج والنسيج جزء من العضو، والعضو بدوره جزء من أحد أجهزة الجسم، يؤدي دورا معينا، فمثلا الكبد هو عضو من الجهاز الهضمي يتألف من عدة أنسجة، وهو قابل للخلفة فيما إذا أخذ جزء منه، والكلية عضو من الجهاز البولي يتألف من مجموعة متناسقة من الأنسجة، وهو غير قابل للخلفة إذا ما تم استئصاله.

وبالتالي فإذا ما أردنا أن نحاول صياغة تعريف للعضو البشري، فإنه يمكن أن نعرفه بأنه ذلك الكيان المادي من جسم الإنسان سواء أكان داخليا أو خارجيا، والذي يتكون نتيجة لاجتماع وتماسك وترابط مجموعة من الأنسجة، ويضطلع بدور معين داخل جهاز من أجهزة الجسم سواء أكان قابلا للخلفة أم لا. كالعين واليد والقدم والقلب والرئة والكلى والكبد، أما النسيج مثلا فلا يمكن لوحده أن يؤدي أي دور، ونفس الحكم ينطبق على الخلية، وبالتالي يستبعدان حسب رأيي من مفهوم العضو البشري، فهما جزء من تكوين العضو وليس عضوا.

ثانيا: تعريف الاتجار بالأعضاء الآدمية:

إن كل التشريعات المنظمة لعملية نقل وزرع الأعضاء البشرية، رغم حظرها للاتجار بالأعضاء البشرية سواء صراحة أو ضمنيا، إلا أنها لم تعط أي تعريف لهذه الجريمة، كما أن القوانين المتعلقة بمكافحة الاتجار بالبشر هي الأخرى لم تعرفها، وهو نفس ما سار عليه التشريعان المغربي والمصري.

فجريمة الإتجار بالأعضاء الآدمية تمثل مشكلة من مشاكل حقوق الإنسان والعدالة الجنائية، بل وتعتبر من أشد جرائم انتهاك حقوق الإنسان، لأنها تنتهك حق الفرد في الحياة والحرية والأمن الإنساني. وهي كافة التصرفات غير المشروعة التي من شأنها أن تحول الإنسان الذي كرمه الله إلى سلعة يتم التصرف في أجزائه كما يتصرف في جزء من السلع. (الشناوي، 2014، الصفحات 451-452)

وهناك من عرف الإتجار بالأعضاء البشرية بأنه" قيام فرد أو جماعة إجرامية منظمة بتجميع الأشخاص دون رضا منهم بالتحايل أو الإكراه، حيث يتم نزع أعضاء هؤلاء الضحايا وبيعها كبضاعة من أجل الحصول على أرباح مالية." (حامد، 2013، صفحة 41)

يمكن تعريف الإتجار بالأعضاء الآدمية بأنه جعل أعضاء جسم الإنسان محلا للتصرفات التجارية من شراء بنية البيع وسمسرة وتأجير وذلك على سبيل الاعتياد، بحيث تصبح أعضاء الإنسان بمثابة الشيء المنقول الذي يقوم بالمال حسب الوظيفة التي يؤديها بالجسم.

الفقرة الثانية: خصائص الإتجار بالأعضاء الآدمية:

إن الإتجار بالأعضاء الآدمية هي جريمة مستحدثة، سخرت التطور الهائل في المجال المعلوماتي والتكنولوجي لخدمة أنشطتها، بحيث استغل مرتكبوها الإمكانيات المتطورة والمتنوعة والأكثر استحداثا، التي توفرها شبكة الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي في تسهيل ارتكابها لمختلف العمليات المتعلقة بالاتجار بالأعضاء البشرية، بحيث أضحى سماسرة هذه الجريمة يبحثون عن ضحاياهم عبر عدة تطبيقات تواصلية أبرزها"Facebook/ YouTube"، خاصة وأن الكثير من الناس من تدفعهم الظروف المعيشية القاهرة إلى اللجوء لوسائل التواصل الاجتماعي، وعرض أعضائهم للبيع في كل مكان رقمي له صلة بالأعضاء، لعلهم يجدون من يشتري منهم عضوا، وهو ما يسهل عمل سماسرة الأعضاء البشرية، وبالتالي فإن مرتكبي هذه الجريمة دائما ما يستغلون التطور الحاصل في المجتمع لصالحهم، بحيث يقومون باستحداث وسائل ارتكابها لتحقيق ربح أكبر، ولتخفيف عبء وتكلفة البحث عن الضحايا، واختصار المسافة الجغرافية، وتجنيبهم السقوط في يد العدالة.

إن هذا الاستغلال لوسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية للقيام بالأنشطة المتعلقة بالاتجار بالأعضاء البشرية، قد ساهم في تحول وسطها إلى وسط افتراضي رقمي، وبالتالي تحول طبيعتها من جريمة تقليدية إلى جريمة ذات طابع إلكتروني، وهو الأمر الذي سيجعلها أكثر خطورة من السابق.

كما أن الإتجار بالأعضاء الآدمية جريمة مركبة، بحيث تتخذ من مجموعة من الجرائم المستقلة بذاتها وسائل للتحضير، وتسهيل تنفيذ أنشطتها الإجرامية من جهة، وتبرير مصدرها غير المشروع من جهة أخرى، كجريمة الاختطاف والنصب والقتل والتهديد والابتزاز والسرقة، وإخفاء الأشياء وغسل الأموال، بل وحتى أغلب هذه الجرائم أصبحت ترتكب عبر العالم الرقمي...إلخ.

وتنتمي جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية للجرائم المنظمة، فهي تمتاز بتنظيم محكم من قبل شبكات إجرامية تحترف الإتجار بأعضاء البشر، بحيث يطلع كل من أعضائها بوظيفة معينة، وغالبا ما يتألف تنظيمها من أشخاص غاية في الذكاء والمكر والاحتيال، الذين لا يعرفون الرحمة.

كما أن الإتجار بالأعضاء البشرية جريمة مستترة وخفية، بحيث أنه رغم وجودها إلا أنه ناذرا ما يتم القبض على مرتكبيها، حتى إذا ما اطلعنا على المعطيات الإحصائية المتعلقة بالجريمة، فإنه في الغالب تشير إلى صفر قضية تتعلق بهذه الجريمة، أو تقدم أرقاما لا تجسد الواقع الحقيقي لهذه الجريمة التي تتم في الظلام، وإن كل هذا راجع إلى استخدام الخدمات الإلكترونية التي يقدمها التطور المعلوماتي والتقني من جهة، ومن جهة أخرى إلى عدم تجرؤ الضحايا على التبليغ عن الجريمة، خاصة إذا كانوا قد باعوا أعضاءهم بإرادتهم، لأنهم أيضا يريدون مقابل أعضاءهم فقط بكل سرية، أو لخوفهم من تعرضهم للأذية فيفضلون الصمت.

وإن جريمة الإتجار بالأعضاء الآدمية قد لا تتجاوز حدود الدولة الواحدة، فلا تطرح أي إشكال بخصوص القانون الواجب التطبيق، بحيث يطبق قانون تلك الدولة، لكن هذه الجريمة أضحت الآن مع استغلال خدمات الإنترنت وتطور المواصلات تتجاوز حدود الدول، فنجد مثلا بأن بائع العضو من بلد والسمسار الذي اشترى العضو من بلد، ومتلقي العضو بغرض الزرع من بلد، وعملية الزرع الغير المشروعة تمت ببلد يختلف عن البلدان الأخرى، هنا نصبح أمام إشكال أي قانون سيطبق على مرتكبي جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية من جهة، وأي جهة قضائية سيكون لها الاختصاص في هذه الحالة من جهة أخرى.

فقد تتعدى جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية الحدود الدولية لتصبح عالمية، مثل واقعة جلب بائعين لإحدى كلاهم أغلبهم من فقراء البرازيل ورومانيا والمشترين من أغنياء إسرائيل، وإجراء عملية النقل والزرع في جنوب إفريقيا بمستشفى "sainte augustine" المسير من طرف شركة "نت كير" في مدينة "ديربان" بجنوب إفريقيا وذلك في شهر شتنبر سنة 2010، حيث تعلقت الجريمة بقوانين ثلاثة دول يجمعها عامل مشترك هو اتفاقها على تجريم الإتجار بالأعضاء البشرية، هنا يثور إشكال القانون الواجب التطبيق. (نجمة، 2019، الصفحات 77-78)

المطلب الثاني: أسباب جريمة الإتجار بالأعضاء الآدمية ووسائل ارتكابها:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في ظهور وانتشار جريمة الاتجار بالأعضاء البشرية، كما تعددت الوسائل التي اعتمدتها الشبكات الاجرامية في الوصول إلى ضحاياها والمتاجرة بأعضائهم.

الفقرة الأولى: أسباب الإتجار بالأعضاء الآدمية:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في انتشار جريمة الإتجار بالأعضاء الآدمية ولعل من أبرزها:

أولا: التطور الذي شهده طب زراعة الأعضاء البشرية:

فقد رافق التطور العلمي والتكنولوجي في المجال الطبي توسيع نطاق الأعضاء القابلة للزرع، إذ أضحت تقريبا كل أعضاء الإنسان قابلة للزرع، وبالتالي أضحى الطلب على كل تلك الأعضاء من قبل المرضى لزرعها عوض أعضائهم التالفة يفوق المتوفر من الأعضاء، وهو ما جعل أنشطة تجار الأعضاء البشرية تزدهر.

ثانيا: استغلال خدمات الإنترنت:

فقد شهدت شبكة المعلومات الدولية "الإنترنيت" خلال الأعوام الماضية سوقا سوداء إلكترونية لعصابات مافيا الأعضاء البشرية، حيث قدمت بعض الشركات مزادات على الإنترنيت للأعضاء السليمة، يطرح فيها للبيع كل شيء بدءا بالقلوب إلى الكلى، الكبد، الدم، النخاع، حتى الجلد والشعر والسائل المنوي، وذلك بأسعار تنافسية. (النقبي، 2012، صفحة 116)

وقد ظهر على موقع مخصص للمزادات على إحدى مواقع شبكة الإنترنيت، عرض لبيع طفل بالمزاد العلني، وذلك بعد يوم واحد من وقف عملية لبيع كلية، وقد وصل السعر إلى رقم فلكي بلغ 5.750.000 دولار أمريكي. كما طرح للبيع جنين ذكر ينتظر ولادته في نهاية يوليوز 1999 بسعر أولي قدره100 ألف دولار. (أرتباس، 2021، صفحة 440)

إن شبكة الإنترنيت أضحت تستخدم لجذب المرضى الأجانب ووضع إعلانات عن أسعار الأعضاء المتوفرة وتكاليف العملية، إذ يعد الإعلان عن الحاجة إلى متبرع بكلى، أو بفص كبد إحدى وسائل جذب الضحايا، فإذا قمنا مثلا بكتابة كلمة مطلوب متبرع بكلى أو كبد على محرك البحث على الإنترنيت، لظهرت مئات الصفحات التي تمتلئ بأسماء المتبرعين مما يدل على وجود سوق للإتجار بالأعضاء البشرية على شبكات الإنترنيت. (سعيد ياسين اسماعيل، 2014، الصفحات 66-118)

كما استغل تجار الأعضاء البشرية تطبيق"Facebook"على نطاق واسع لترويج أنشطتهم، وجذب الأشخاص الذين يرغبون في بيع أعضائهم، من خلال إنشاء صفحات إلكترونية على ذلك التطبيق، وغالبا ما يستعملون لصفحاتهم عناوين تتضمن" كلمة التبرع" رغم أن الصفحة غرضها هو بيع وشراء الأعضاء البشرية.

ويتم استخدام البريد الإلكتروني (Email) لتسهيل عمليات الاتصال بين أفراد العصابة الإجرامية فيما بينهم، أو بينهم وبين المتعاملين معهم، لكون البريد الإلكتروني وسيلة غير مكشوفة للاتصال بين الأشخاص، لاعتماده على تقنيات التشفير والكلمة السرية، لتوفير الخصوصية والأمان للمتعاملين به، ما جعله ذلك حقلا خصبا لمعاملات العصابات الإجرامية في سرية تامة. (كردي، 2022، صفحة 528)

ثالثا: عامل الفقر:

يعد الفقراء والضعفاء في العالم النامي المصدر الرئيسي للحصول على الأعضاء البشرية المطلوب زراعتها للمرضى الأغنياء، ويلجأ الفقراء إلى بيع أعضاء أجسادهم لعدم وجود بدائل أخرى متاحة أمامهم لتلبية حاجاتهم المادية وحاجات أسرهم. (سعيد ياسين اسماعيل، 2014، صفحة 67)

فالفقر المدقع الذي تعيشه الطبقات المهمشة في كل المجتمعات، يجعلها محرومة من أبسط احتياجاتها، وأولها الأكل والصحة والمسكن، فلا يجدون حلا للجوع والمرض والتشرد، إلا باللجوء لعرض أعضاءهم للبيع بمبالغ زهيدة جاهلين قيمتها والوظيفة التي تؤديها بأجسادهم، وغالبا تكون هذه الأعضاء الكلى وفصوص الكبد، على اعتبار أن الإنسان يمكن أن يعيش بكلية واحدة، وأن الجزء المأخوذ من الكبد ينموا من جديد، إلا أن وظائف الأعضاء قد تختل وبالتالي يتدهور الجسم ويهلك.

كما أن الفقراء يسهل استدراجهم والنصب عليهم من خلال إغوائهم بتسفيرهم لبلدان أخرى، وإيجاد عمل لهم ومسكن وتحسين ظروف عيشهم، أو يسفرونهم من أجل علاجهم، أو من أجل تزويجهم بالخارج، وغالبا مسألة الزواج هذه تتعلق بالنساء، فيجدون أنفسهم في قبضة تجار الأعضاء البشرية.

الفقرة الثانية: وسائل ارتكاب الإتجار بالأعضاء الآدمية:

إن الشبكات الإجرامية التي تتصرف في الأجساد البشرية، من خلال تقويم مكونات تلك الأجساد بالمال، وتعتمد تلك الشبكات كل الوسائل والأساليب الممكنة التي من شأنها أن تخدم مخططاتها الإجرامية، وتيسير الوصول إلى ضحاياها، ولعل من بينها؛ الاختطاف وهي ظاهرة خطيرة تعرفها كل المجتمعات البشرية، وسرقة الأعضاء البشرية التي تعتبر تصرفا نكرا، يشكل بصمة عار في جبين الإنسانية، يقترفها بعض الأطباء المؤتمنون على حياة الناس، لا سرقة أرواحهم من أجل تحقيق غاياتهم المادية.

أولا: الاختطاف:

لقد اتسع نطاق هذه الجريمة في الآونة الأخيرة كما ونوعا، وبشكل ملفت للنظر وصارت لها فلسفتها وأدواتها وأهدافها، ومن بين أهدافها **اَلْإِتِّجَارُ بِالْأَعْضَاءِ اَلْبَشَرِيَّةِ**. وهي تشير إلى وجود تواطؤ بين ممتهني الطب وبعض ممتهني التجارة الباحثة عن الربح السريع. حيث أخذت بعض الجماعات المحترفة هذه العمليات أسلوبا لكسب المال من خلال المتاجرة بأعضاء المخطوفين. (بلغول، 2021/2020، الصفحات 55-65)

ثانيا: سرقة الأعضاء البشرية:

تعتبر ظاهرة سرقة الأعضاء من أبشع الوسائل التي تعتمدها مافيات تجارة الأعضاء البشرية، بحيث يتعاملون مع أعضاء الإنسان وكأنها مال قابل للسرقة، وقد سجلت حالات كثيرة من هذه الجريمة في كل من بريطانيا والصين، وكذا دول جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وكذا مصر والأردن. (رميان عبد الله الرميان، 2013، صفحة 10)

المبحث الثاني: آليات المكافحة التشريعية المغربية والمصرية للاتجار بالأعضاء الآدمية: الواقع والمأمول.

لقد حاول كل من المشرع المغربي والمصري التصدي لكل التصرفات التي من شأنها أن تمس بأعضاء جسم الإنسان، وتحوله لمجرد قطع غيار تخضع لمنطق البيع والشراء والمتاجرة، وذلك من خلال القوانين المتعلقة بمكافحة الاتجار بالبشر، وكذا القوانين المنظمة لعملية نقل وزرع الأعضاء البشرية. إلا أن هذه القوانين لا تخلوا من بعض مكامن الضعف التي تحتاج لإعادة النظر من أجل تقويتها.

المطلب الأول: القانون المنظم لعملية نقل وزرع الأعضاء:

لقد أباح كل من المشرع المغربي والمصري نقل وزراعة الأعضاء البشرية في أجساد المرضى، لكن أطروا هذه العملية بمجموعة من الأحكام، كما أفردوا جزاءات جنائية للمخالفين لتلك الأحكام، وذلك للتصدي لكل سلوك من شأنه أن يجعل الأعضاء البشرية بمقابل. إلا أن كل من القانونين المغربي والمصري المنظمان لعملية نقل وزرع الأعضاء البشرية لا يخلوان من بعض مكامن الضعف، والتي سنتعرض لها كما يلي:

أولا: تسمية القانون المنظم لزراعة الأعضاء البشرية:

نجد بأن المشرع المغربي قد أعطى القانون 16.98 الصادر سنة 1999 تسمية" **التبرع بالأعضاء والأنسجة البشرية وأخذها وزرعها**"، بينما سمى المشرع المصري القانون رقم 5 لسنة 2010 لمتعلق بتنظيم

زرع الأعضاء البشرية. منشور بالجريدة الرسمية- العدد9(مكرر)-السنة الثالثة والخمسون، 20 ربيع الأول، سنة 1431هـ، الموافق ل 6 مارس سنة 2010" **بتنظيم زرع الأعضاء البشرية**".

فإذا تأملنا في تسمية القانون رقم 16.98 نجد بأنها تسمية طويلة من جهة، ومن ناحية أخرى إذا تأملنا في الصياغة نفهم بأن هذا القانون نظم زرع الأعضاء والأنسجة فقط، إلا أن الزرع في الواقع يتضمن حتى الخلايا، إذن حبذا لو سمي هذا القانون "بتنظيم زراعة الأعضاء البشرية" وذلك بدون ذكر لا الأنسجة ولا الخلايا، باعتبارهما من مكونات العضو البشري.

أما المشرع المصري فقد أحسن ما فعل، حينما سمى القانون رقم 5 أعلاه "**بتنظيم زرع الأعضاء البشرية**" لأن كل من النسيج والخلية من مكونات العضو، وحينما ذكر الأعضاء البشرية فإنه قد ذكر الكل، فلا داعي لذكر الجزء، وما يطبق على الكل يسري على الجزء. كما أنها تسمية مركزة ودقيقة.

ثانيا: تعريف العضو البشري:

عرف المشرع المغربي العضو البشري في القانون رقم 16.98 بأنه" كل جزء من جسم الإنسان سواء أكان قابلا للخلفة أم لا، والأنسجة البشرية باستثناء تلك المتصلة بالتوالد". فالمشرع المغربي بصريح العبارة يعتبر بأن النسيج هو عضو بشري، وفي الحقيقة النسيج ليس عضوا وإنما مكون من مكوناته، ولا يمكن الحديث عن العضو البشري إلا باجتماع وتماسك مجموعة من الأنسجة التي تشكل لنا هذا العضو. فالنسيج لا يمكنه لوحده أن يشكل لنا عضوا يؤدي وظيفة بالجسد البشري، فكيف له أن يعتبر على أنه عضوا! وبالتالي لا يرقى لمستوى عضو، فاليد والكلية عضو تتكون من آلاف الأنسجة المترابطة فيما بينها.

أما المشرع المصري في القانون رقم 5 لسنة 2010 فسكت، ولم يعطي أي تعريف للعضو البشري. ولو أن التعريف مسألة فقهية، وموقفه هنا موقف محمود ويقيه من الوقوع في الانتقادات، إلا أنه لم يكن هناك ضير في أن يحاول تعريف موضوع الزرع، لكي نعرف تصوره للعضو البشري، أي ماذا يقصد بالعضو.

ثالثا: الجزاء الجنائي للإتجار بالأعضاء البشرية:

نص المشرع المغربي في المادة 5 من القانون 16.98 على أنه "يعتبر التبرع بعضو بشري أو الإيصاء به عملا مجانيا، لا يمكن بأي حال من الأحوال وبأي شكل من الأشكال أن يؤدى عنه أجرا أو أن يكون محل معاملة تجارية..."

من خلال مضمون المادة 5 أعلاه نستشف بأن المشرع المغربي قد حظر إخضاع الأعضاء البشرية للمعاملات التجارية، ويظهر ذلك جليا من خلال الصياغة التالية: "...أو أن يكون محل معاملة تجارية"، ولو أنه لم ينص بصريح العبارة عن الإتجار بالأعضاء البشرية بهذه الصياغة، وهي جريمة خطيرة محلها أعضاء الإنسان، حبذا لو تم التنصيص عليها بصياغة أكثر دلالة.

ونص في الفقرة الأولى من المادة 30 من نفس القانون على أنه "يعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة من 50.000 درهم إلى 100.000 درهم كل من عرض بأية وسيلة كانت تنظيم أو إجراء معاملة تجارية بشأن أخذ أعضاء بشرية خرقا لأحكام المادة 5 من هذا القانون".

وعاقب في الفقرة الثانية من المادة 30 بالعقوبة الواردة في الفقرة الأولى الأشخاص الذين يقومون بمعاملة تجارية تتعلق بعضو بشري.

إذا تأملنا في الجزاء أعلاه عن الإتجار بالأعضاء البشرية، نلاحظ بأنه يتكون من عقوبة سالبة للحرية تتمثل في عقوبة جنحية لجنحة تأديبية، بحيث لا يتجاوز الحد الأعلى للعقوبة خمس سنوات، ويتكون أيضا من عقوبة مالية لا تتجاوز100.000 درهم.

إذن، فالمشرع المغربي اعتبر الإتجار بالأعضاء البشرية جنحة تأديبية، وهي من أخطر الجرائم مساسا بحق الإنسان في الحياة، والأكثر امتهانا لكرامته وإنسانيته، وبالتالي فصفة الجنحة لا تتناسب في رأيي مع خطورة الجريمة، وبالتالي لن تحقق تلك العقوبة الجنحية ردعا فعالا، سواء فيما يتعلق بالردع الخاص أو العام. ولا العقوبة المالية هي الأخرى تتناسب وخطورة الجريمة، فالمتاجر في أعضاء الإنسان قد يحصل في العضو الواحد على حوالي 1.000.000 درهم أو أكثر، فالغرامة التي لا تتعدى100.000 قليلة في حقه. فحبذا لو يتم إعادة النظر في صفة الجريمة، وفي مقدار العقوبة السالبة للحرية، وكذا العقوبة المالية لتتناسب وخطورة الجريمة.

ونص المشرع المصري في الفقرة 1 من المادة 6 من القانون رقم 5 لسنة 2010 على أنه" يحظر التعامل في أي عضو من أعضاء جسم الإنسان أو جزء منه أو أحد أنسجته على سبيل البيع أو الشراء أو بمقابل أيا كانت طبيعته".

نلاحظ من خلال صياغة مضمون الفقرة أعلاه، على أن المشرع المصري لم يرد أي عبارة تدل بوضوح على الإتجار بالأعضاء البشرية، بحيث اكتفى بذكر تصرف البيع أو الشراء، فهناك من يبيع عضوه ولا يكرر الفعل، وهناك آخر يشتري عضوا من أجل زرعه بجسده فقط، أي غرضه من الشراء هو العلاج عن طريق

الزرع. والبائع غايته من البيع الحصول على مقابل مادي لتحسين ظروف عيشه، لأنه غالبا من يبيع عضوه يكون مكرها من قبل الظروف المزرية، وبالتالي عبارة البيع والشراء هذه لا تدل دلالة قوية على جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية. وفي نظري مضمون هذه الفقرة لا يمكن أن يطبق على الإتجار بالأعضاء البشرية، وإنما يطبق في حالة شراء أو بيع عضو بشري دون نية تحقيق الربح، أي المضاربة وهي عنصر مميز في العمل التجاري، فالمتاجر في أعضاء الإنسان يشتري مثلا عضوا لإعادة بيعه بثمن أكثر من الثمن الذي دفعه فيه.

وأيضا حينما أورد المشرع المصري عبارة"...أو بمقابل أيا كانت طبيعته" هذا أيضا لا يدل على الإتجار بالأعضاء البشرية. فيفهم من الصياغة أعلاه بأن المشرع يتحدث عن المعاوضة وهي مثلا أن يعطي صاحب العضو لمن يريده "العضو" مقابل شقة أو وظيفة أو عقار... إلخ، هنا لا يوجد اتجار فأحدهما يأخذ العضو والآخر يأخذ شقة مثلا في مقابله.

ونص المشرع المصري في المادة 20 من نفس القانون على أنه" يعاقب بالسجن وبغرامة لا تقل عن 50.000 ألف جنيه، ولا تتجاوز 200.000 ألف جنيه كل من خالف أيا من أحكام المادة 6 من هذا القانون، وذلك فضلا عن مصادرة المال أو الفائدة المادية أو العينية المتحصلة من الجريمة أو الحكم بقيمته في حالة عدم ضبطه".

ولو أنه كما قلنا أعلاه، بأن الأمر يتعلق بالبيع والشراء أو المعاوضة لكن لا يتعلق بالإتجار بالأعضاء البشرية، وبالتالي من وجهة نظري المتواضع فإني أرى بأن أحكام المادة 20 من القانون رقم 5 لا يجب أن تطبق على الإتجار بالأعضاء البشرية، وإنما تطبق فقط على الأفعال المبينة في الفقرة 1 من المادة 6 من نفس القانون هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن العقوبات المقررة لتلك الأفعال لا تتناسب مع درجة خطورتها، فمحلها أصبح كالسلعة وبالتالي حبذا لو تمت إعادة النظر في العقوبة المالية، كما أن المشرع رغم أنه عاقب عنها بالسجن إلا أنه لم يحدد مقدار العقوبة السجنية، وهنا كان على المشرع المصري أن يحدد العقوبة في نطاق حدين أدنى أو أقصى إذا كان السجن مؤقتا أو محددا، أما إذا كان السجن مؤبدا فلا بد أن يوضح ذلك أيضا، وبعدم تحديده لمقدار السجن فإنه فتح الباب على مصراعيه للسلطة التقديرية للقاضي الزجري، وكأن العقوبة خاضعة للتفريد القضائي دون التفريد التشريعي أو بالأحرى تفريد تشريعي ناقص.

المطلب الثاني: القانون المتعلق بمكافحة الإتجار بالبشر:

تعتبر القوانين المتعلقة بمكافحة الاتجار بالبشر من بين الآليات التشريعية التي تبناها كل من المشرعين المغربي والمصري لمواجهة التصرفات المحظورة التي قد تطال الجسد البشري بأعضائه ومكوناته، فهل تسري أحكام هذه القوانين أيضا في حالة الاتجار بالأعضاء البشرية، هو ما سنتعرف عليه من خلال تأمل أحكامهما.

أولا: تعريف الاتجار بالبشر:

إذا عدنا للفقرة الأولى من الفصل 448.1 من مجموعة القانون الجنائي المتممة بالقانون رقم 27.14 المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، صادر بتنفيذه ظهير شريف رقم 127-16-1بتاريخ 21من ذي القعدة 1437(25 أغسطس2016)، منشور بالجريدة الرسمية عدد6501 بتاريخ17 ذو الحجة 1437(19 شتنبر2016)، ص6644. نلاحظ بأن المشرع المغربي لم يقدم تعريفا واضحا للاتجار بالبشر وإنما عرفه من خلال تعداد الأفعال التي يرتكب بها، والوسائل أو الأساليب المعتمدة، ثم الغاية من تلك الأفعال والوسائل.

وإذا اضطلعنا على المادة 2 من القانون رقم 64 لسنة 2010 المصري المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، منشور بالجريدة الرسمية- العدد18(مكرر)، السنة الثالثة والخمسون، 25 جمادى الأولى سنة 1431هـ، الموافق ل 9ماي سنة 2010، نجد بأن المشرع المصري هو الآخر لم يعط تعريفا دقيقا وواضحا للاتجار بالبشر، بل اكتفى بتعريفه من خلال تبيان الأفعال والوسائل والغرض وهي عناصر ثلاث مكونة لجريمة الاتجار بالبشر.

ثانيا: صور الاتجار بالبشر:

إذا تأملنا في الفقرة الثالثة من الفصل 448.1 من مجموعة القانون الجنائي المتممة بالقانون رقم 27.14 المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، نلاحظ بأن المشرع المغربي قام بتعداد صور الاتجار بالبشر، ومن بينها الاتجار بالبشر بغرض نزع الأعضاء أو نزع الأنسجة البشرية أو بيعها.

وباطلاعنا على مقتضيات المادة 2 من القانون رقم 64 لسنة 2010 المصري المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، نلاحظ بأنه اعتبر من بين صور الاتجار بالبشر، الاتجار بالبشر بغرض استئصال الأعضاء أو الأنسجة البشرية أو جزء منها.

إن من الملاحظات التي يمكن أن نستعرضها بخصوص ما ذكر أعلاه، أن كل من المشرع المغربي والمصري لم يعتبرا بأن النسيج البشري لا عضوا بشريا ولا جزءا منه، ويظهر ذلك جليا من خلال الصياغة. والصحيح

بأن النسيج البشري هو مكون من مكونات العضو، فالعضو البشري يتكون باجتماع مجموعة من الأنسجة. لذا فحبذا لو أعاد المشرعان النظر في الصياغة أعلاه، بحيث يتم الاكتفاء بذكر الأعضاء البشرية.

ونلاحظ أيضا من خلال الصياغة التي اعتمدها المشرع المغربي بأن أحكام القانون المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر تسري على أخذ الأعضاء البشرية من أجساد ضحايا الاتجار بالبشر، وتسري على بيعها. إلا أنه إذا تأملنا في صياغة المشرع المصري نجد بأن أحكام القانون رقم 64 المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، تسري فقط على أخذ الأعضاء البشرية من ضحايا الاتجار بالبشر، ولم يذكر أي عبارة تدل على أن هذا القانون يمكن أن يسري على المعاملات المالية التي قد تخضع لها الأعضاء الآدمية.

فمن خلال التأمل في صياغة صور الاتجار بالبشر، نلاحظ بأن المشرع المغربي لم يذكر بصريح العبارة الاتجار بالأعضاء البشرية، إلا أن ما ذكره هو عبارة "البيع"، لكن البيع ليس هو الاتجار، غير أنه إذا ما اضطلعنا على مقتضيات الفصل 448.3 من مجموعة القانون الجنائي المتممة بالقانون رقم 27.14 المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، نجد بأن المشرع المغربي شدد العقوبة الجنائية السالبة للحرية، إذا كان الفاعل معتادا على ارتكاب الفعل، وكأن الاعتياد وهو ظرف تشديد يحول الفعل ألا وهو البيع مثلا لمتاجرة.

أما المشرع المصري وهو بصدد تعداد صور الاتجار بالبشر، فلم ترد منه أي عبارة صريحة أو ضمنية توحي على أن الاتجار بالأعضاء البشرية صورة من صور الاتجار بالبشر. وبالتالي يمكن الجزم على أن أحكام القانون رقم 64 المصري المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر، لا تسري على الاتجار بالأعضاء البشرية.

خاتمة:

إن الاتجار بالأعضاء البشرية جريمة عابرة للحدود الجغرافية للدول، وذلك بفضل التطور الهائل في مجال المواصلات، والخدمات التي تقدمها الانترنت في ظل النقلة النوعية في تكنولوجيا المعلومات، فهي جريمة ليست كباقي الجرائم سواء التقليدية أو المنظمة، بل الأكثر خطورة والأكثر انتهاكا للحقوق، وامتهانا لكرامة الإنسان، بل والأكثر تمثيلا بالأجساد البشرية، فهي تحول الإنسان إلى مصدر لقطع الغيار البشرية، التي تساوي الأموال الطائلة، وقد تناسلت تلك الجريمة في الظلام، بحيث يصعب الكشف عنها، ويعود ذلك للتنظيم المحكم الذي ينفذ به مرتكبيها أنشطتهم الإجرامية. ويعتبر المغرب ومصر من بين الدول العربية التي لم تسلم من تسلط شبكات الاتجار بالأعضاء البشرية، وقد حاول كل من المشرع المغربي والمصري التسلح بعدة آليات ذات طابع تشريعي لمواجهة كل السلوكات الإجرامية المحظورة، التي تطال أعضاء الجسد البشري،

والتي تهدف إلى إخضاع تلك الأعضاء للمعاملات المالية، إلا أن تلك الآليات لا تخلوا من بعض مكامن الضعف، سواء فيما يتعلق بالعبارات المستعملة، أو الصياغة، أو التعريفات غير الدقيقة، أو عدم تناسب الجزاء الجنائي مع خطورة الجريمة والمجرم، أو عدم ملائمة التكييف الذي يعطيه المشرع للجريمة مع خطورتها. فكل مظهر من مظاهر القصور يشكل فراغا وهوة تشريعية يستغلها تجار الأعضاء البشرية. فقوة القانون تأتي من وضوح العبارات المستعملة فيه، ودقة الصياغة، فضلا على أن الجزاء الجنائي المقرر لمعاقبة مرتكبي الاتجار بالأعضاء البشرية لا يمكن أن يحقق الغاية المنتظرة منه، ألا وهي الردع، لذا فإنه حبذا لو أعيد النظر فيه لتحقيق العدالة الجنائية، ولإعادة الثقة في المؤسسات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وتحقيق الأمن والأمان بين أفراد المجتمع.

قائمة المراجع:

1-كتب:

أسامة علي عصمت الشناوي. (2014). الحماية الجنائية لحق الإنسان في التصرف في أعضائه. الاسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

حامد سيد محمد حامد. (2013). الإتجار بالبشر كجريمة منظمة عابرة للحدود بين الأسباب والتداعيات والرؤى الإستراتيجية. القاهرة: المركز القومي للإصدارات القانونية.

خالد مصطفى فهمي. (2011). النظام القانوني لمكافحة جرائم الإتجار بالبشر. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.

سالم إبراهيم بن أحمد النقبي. (2012). جرائم الإتجار بالبشر. الجيزة: شركة الدليل للدراسات والتدريب وأعمال الطباعة والنشر.

عبد القادر الشيخلي. (2009). جرائم الإتجار بالأشخاص والأعضاء البشرية وعقوباتها في الشريعة والقوانين العربية والقانون الدولي. لبنان: مطبعة الحلبي الحقوقية.

2-أطروحات دكتوراه:

جبيري نجمة. (2019). الإتجار بالأعضاء البشرية-دراسة مقارنة- (أطروحة دكتوراه). 78/77. كلية الحقوق والعلوم السياسية، تيزي وزو: جامعة مولود معمري.

3-رسائل ماستر:

دعاء سعيد ياسين اسماعيل. (2014). الأبعاد الاجتماعية للإتجار بالأعضاء البشرية وحقوق الإنسان (رسالة ماستر). 66-118. كلية الآداب، الإسكندرية: جامعة الاسكندرية.

دلال رميان عبد الله الرميان. (2013). المسؤولية الجنائية عن الإتجار بالأعضاء البشرية-دراسة مقارنة- (رسالة ماستر). 10. كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط.

فخر الدين بلغول. (2021/2020). جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية في التشريع الجزائري (رسالة ماستر). 55-65. كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي.

4-مقالات:

نبيلة كردي. (2022). الإتجار بالبشر عبر الإنترنيت. مجلة أبحاث (7)، صفحة 528.

ندير أرتباس. (2021). واقع جرائم الإتجار بالأعضاء البشرية وسبل مكافحة هذه الجرائم. المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية (2)، صفحة 440.

Childhood Obesity: Risks and Preventive Measures from the Perspective of the World Health Organization and the National Health Law.

REKAI RENIMA[1]
Senior Lecturer (Class A)
Faculty of Law and Political Science, University of Blida 2
renimarekai15@gmail.com
HALILALI AMINA[2]
Senior Lecturer (Class A)
Faculty of Law and Political Science, University of Blida 2
a.abdelmouizhalilali@gmail.com

Abstract:

Childhood obesity has become a growing global public health concern, affecting millions of children and adolescents around the world. It is defined as an excessive accumulation of body fat that poses a health risk. This condition results from a complex interaction between genetic, behavioral, and environmental factors. The consequences of childhood obesity are serious and long-term, including increased risks of cardiovascular diseases, type 2 diabetes, musculoskeletal disorders, and psychological problems such as low self-esteem and depression.

This paper examines childhood obesity by exploring its causes and consequences, and by analyzing preventive strategies proposed by the World Health Organization. It also studies the legal framework of the National Health Law and how it supports preventive efforts. The aim is to highlight the importance of early intervention and legal and institutional mechanisms that promote healthier lifestyles for children.

Keywords: Childhood obesity; National Health Law; World Health Organization; Healthy lifestyles;

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

البدانة عند الأطفال: المخاطر والتدابير الوقائية من منظور منظمة الصحة العالمية وقانون الصحة الوطني.

ركاي غنيمة[1]
أستاذ محاضر أ بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة البليدة 2
renimarekai15@gmail.com
حليلالي أمينة[2]
أستاذ محاضر أ بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة البليدة 2
a.abdelmouizhalilali@gmail.com

ملخص:

تُعدّ البدانة عند الأطفال إحدى أبرز المشكلات الصحية العالمية في العصر الحديث، حيث تُعرّف بأنها تراكم مفرط أو غير طبيعي للدهون في الجسم يُشكل خطرًا على الصحة، وفقًا لتعريف منظمة الصحة العالمية. تنجم هذه الحالة عن تفاعل معقد بين عوامل متعددة تشمل التغذية غير المتوازنة، قلة النشاط البدني، الاستعداد الوراثي، والعوامل البيئية والاجتماعية. وتشكل البدانة في مرحلة الطفولة عامل خطر رئيسي للإصابة بأمراض مزمنة مثل السكري من النوع الثاني، ارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب في مراحل لاحقة من الحياة.

كما تترك آثارًا نفسية واجتماعية سلبية كضعف الثقة بالنفس والتنمر. وقد أولت منظمة الصحة العالمية اهتمامًا خاصًا بهذه الظاهرة من خلال إصدار توصيات وتدابير تهدف إلى الوقاية، مثل التثقيف الصحي والتشجيع على النشاط البدني. في السياق الوطني، يتدخل قانون الصحة من خلال إجراءات تنظيمية وتوجيهية لتشجيع أنماط الحياة الصحية لدى الأطفال وحماية صحتهم الجسدية والنفسية. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الموضوع باعتباره قضية متعددة الأبعاد تتطلب تكامل الجهود الدولية والوطنية للحد من انتشارها.

الكلمات المفتاحية: السمنة عند الأطفال.، منظمة الصحة العالمية.، قانون الصحة الوطني.، أنماط الحياة الصحية.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

تعتبر البدانة من أبرز التحديات الصحية التي تواجه العالم في العصر الحديث، إذ لم تعد مجرد مشكلة فردية ترتبط بالشكل الخارجي للجسم، بل تحولت إلى مرض مزمن له أبعاد صحية واجتماعية واقتصادية خطيرة، في ظل التطور التكنولوجي الذي ساعد على قلة الحركة، والبدانة في مرحلة الطفولة من الحالات المقلقة التي يصاب بها الطفل، وتضعه على بداية طريق المشكلات الصحية للأمراض المزمنة ويمكن أن تؤدي السمنة في مرحلة الطفولة إلى الاكتئاب.

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يمس فئة حساسة من المجتمع، وهي فئة الأطفال، التي تشكل اللبنة الأساسية لمستقبل الأوطان. كما أن ارتفاع نسب البدانة لدى الأطفال بات يشكل عبئًا مضاعفًا على المنظومات الصحية، ويمس بالأمن الصحي والغذائي للأجيال القادمة، مما يفرض تدخلاً عاجلاً وممنهجًا للوقاية والمعالجة.

لذلك نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأسباب المتعددة والمعقدة المؤدية إلى بدانة الأطفال، وتحليل الآثار الصحية والنفسية والاقتصادية المترتبة عن هذه الظاهرة، مع استعراض أهم ما ورد من تقارير عن منظمة الصحة العالمية بشأن بدانة الأطفال، إضافة الى تقييم مدى انسجام التشريعات الوطنية مع هذه التوصيات الدولية، لنتوصل في الأخير الى اقتراح توصيات عملية للوقاية من البدانة وتعزيز نمط الحياة الصحي لدى الأطفال.

تكمن الإشكالية التي يعالجها الموضوع في :

ما مدى فعالية وكفاية التدابير الوقائية المكرسة وطنيا ودوليا لتقليل من مخاطر السمنة عند الأطفال؟ وماهي الآليات القانونية المتاحة حاليا ومستقبلا لمكافحتها؟

ولدراسة هذا الموضوع والبحث في مخاطر البدانة عند الأطفال، ولاستعراض وتحليل مختلف التدابير الوقائية التي جاءت بها منظمة الصحة العالمية، وكذلك القوانين الوطنية خاصة قانون الصحة في الجزائر، اتبعنا المنهج التحليلي الذي يلائم طبيعة الدراسة حيث من خلاله سيتم التطرق لموضوع السمنة أو البدانة عند الأطفال، وتحليل مختلف التقارير والنصوص القانونية الدولية والوطنية التي تناولت الظاهرة ووضعت قواعد للحد منها لما لها من اثار على صحة الأطفال ونفسيتهم وعلى المجتمع .

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للبدانة

تُعدّ البدانة لدى الأطفال من أبرز المشكلات الصحية العالمية في العصر الحديث، حيث تتعدد أسباب هذه الظاهرة، إذ تشمل أنماط التغذية غير الصحية، قلة النشاط البدني، والعوامل البيئية والاجتماعية والوراثية.

كما أن مضاعفات البدانة تتجاوز الجانب الجسدي لتشمل اضطرابات نفسية وسلوكية، إضافة الى انها تمثل عبئًا متزايدًا على الأنظمة الصحية والاقتصادية، ولفهم هذا الإطار لابد من تعريف البدانة والتحليل الشامل للأبعاد البيولوجية والسلوكية والاجتماعية للبدانة والاثار الناجمة عنها.

أولا: تعريف مصطلح البدانة

سيتم في هذا الفرع تناول تعريف البدانة لغة واصطلاحا والتطرق الى مختلف التعاريف التي جاءت بها الهيئات والمنظمات الصحية الدولية والوطنية.

1-تعريف البدانة لغة:

البدانة: بدنا وبدونا، عظم بدنه، وضخم جسمه بكثرة لحمه

البدانة: ضخامة البدن، البدونة.

بدن: يبدن بدنا الرجل، سمين وضخم. (توهامي، 2019، صفحة 118)

2-تعريف البدانة إصطلاحا :

البدانة هي زيادة في وزن الجسم عن حده الطبيعي نتيجة تراكم الدهون فيه، وهذا التراكم ناتج عن عدم التوازن بين الطاقة الناتجة من تناول الطعام والطاقة المستهلكة في الجسم (فطيمة، 2020، صفحة 787)، ومن ثم تتحول هذه الطاقة إلى نسيج شحمي يختزن في جميع أجزاء الجسم بما فيها تحت الجلد.(خيرة، 2021، صفحة 37)

3-تعريف البدانة وفقا لمنظمة الصحة العالمية:

تُعرَّف البدانة بأنها: "البدانة عند الأطفال هي تراكم غير طبيعي أو مفرط للدهون يشكل خطرًا على الصحة. وهي ناتجة عن عدم توازن بين السعرات الحرارية المستهلكة والمستهلكة، وغالبًا ما ترتبط بأنماط حياة غير صحية تشمل التغذية غير المتوازنة، وقلة النشاط البدني، إلى جانب تأثير العوامل الوراثية والنفسية ".

منظمة الصحة العالمية – قسم الوقاية من الأمراض غير السارية (WHO, Obesity and overweight, Fact sheet))

ثانيا: مسببات السمنة عند الأطفال ومخاطرها

تعود بعض مشاكل السمنة عند الأطفال إلى تخزين الدهون، وظهور البدانة المبكرة مؤشر لارتفاع نسبة المرض كضيق في التنفس لاسيما أثناء النوم ومشاكل في القلب والتعب المتزايد ومن ثم قلة التحصيل المدرسي وضغط الدم.

1 –**الإفراط في الاستهلاك الغذائي**: ويعتبر هذا العامل الرئيسي في حدوث السمنة حيث يتمثل في الإفراط في الاستهلاك الغذائي خاصة الغذاء الغير الصحي، وارتفاع نسبة الدهون في الوجبة اليومية كاستهلاك الأطعمة المقلية وتفضيل الوجبات السريعة والمشروبات الغازية التي تحتوي على نسبة عالية من السكر والمواد الحافظة والمحليات المكثفة، والتي يساهم الإشهار في ترويجها وتشجيع الإقبال عليها من طرف جميع شرائح المجتمع (UNICEF & WHO. (2019). The State of the World's Children: Children, food and nutrition. New York: United Nations Children's Fund (UNICEF).) .

2 –**التربية الخاطئة**: يستخدم الوالدين الطعام كأسلوب لتهدئة الطفل وإلحاحهم المستمر على تناول الطعام حتى ولو كان غير جائع، وبعد ذلك يصبح الطعام مصدر راحة له في المستقبل ويعتمده كأسلوب لمواجهة مشكلاته مما يؤدي به إلى الإفراط في الأكل كاستجابة لحالة نفسية يعاني منها. (فطيمة، 2020، صفحة 792)

3 –**انخفاض مستوى النشاط البدني**: خاصة مشاهدة الطفل للتلفاز وبالأخص اذا كان لأكثر من ساعتين يوميا والألعاب الإلكترونية طوال الوقت مما يشجعه على الكسل وقلة الحركة و النشاط البدني.

كذلك سهر الأطفال وعدم الاهتمام بتنظيم ساعات النوم لديهم منذ البداية مما يقلل من قدرة جسمه على حرق السعرات الحرارية وتخزينها في صورة دهون تتراكم في جسمه وتسبب له السمنة، فالتغذية المفرطة والخارجة عن الحد الموازنة مع استهلاك الطاقة الكبيرة التي يتحصل عليها الجسم تقود حتما إلى زيادة الوزن ومن ثم إلى السمنة.

ثالثا: الآثار الصحية للبدانة عند الأطفال

تشير الدراسات الأكاديمية إلى أن البدانة عند الأطفال لا تقتصر على كونها خللاً في نمط التغذية والنشاط البدني، بل تمثل ظاهرة متعددة الأبعاد تؤثر بشكل مباشر على الصحة الجسدية والنفسية للطفل إضافة الى انها تشكل عبئا اقتصاديا علة منظمات الصحة الوطنية.

1-**أمراض مزمنة (سكري، ضغط دم، مشاكل قلبية).**

يعاني الأطفال المصابون بالسمنة من مخاطر صحية جسيمة تشمل الإصابة بداء السكري من النوع الثاني نتيجة مقاومة الجسم للأنسولين، وارتفاع ضغط الدم نتيجة تراكم الدهون حول الأوعية الدموية، إلى جانب زيادة احتمال الإصابة بأمراض القلب التاجية، مما يهدد صحتهم مستقبلًا ويزيد من احتمالية الوفاة المبكرة. (مختاري، جوان 2021، صفحة 994)

2-**اضطرابات نفسية (العزلة، التنمر، قلة الثقة بالنفس).**

ترتبط السمنة بآثار نفسية عميقة على الطفل، تشمل شعورًا بالعزلة الاجتماعية بسبب التنمر أو السخرية من مظهره، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس والشعور بالخجل، وقد يتطور ذلك لاحقًا إلى الاكتئاب أو اضطرابات الأكل أو حتى الانسحاب من الأنشطة الاجتماعية والمدرسية.

فقد أبرزت معظم الدراسات المتعلقة ب "البدانة وزيادة الوزن لدى الأطفال والمراهقين" أن ارتفاع معدلات السمنة مرتبط بانخفاض النشاط البدني وانتشار العادات الغذائية السيئة داخل المدارس والمنازل، خصوصًا في ظل غياب وعي صحي أسري ومجتمعي .

كما تشير دراسات أخرى إلى التأثيرات النفسية العميقة التي تخلفها السمنة على الأطفال، مثل ضعف الثقة بالنفس والعزلة الاجتماعية نتيجة التنمر والسخرية من المظهر الخارجي، مما ينعكس سلبًا على التكوين النفسي والاجتماعي للطفل (زروقي،)من جهة أخرى، تؤكد دراسات منشورة حول دور النوم وجودته على أن اختلال نمط النوم يعد من العوامل البيولوجية المؤثرة في تراكم الدهون وزيادة مؤشر كتلة الجسم (بوشامة، .(2022))

وعليه، فإن مقاربة معالجة البدانة تتطلب استراتيجيات وقائية متعددة تشمل التوعية الغذائية، والنشاط البدني، والرعاية النفسية، وهو ما يتقاطع مع توصيات منظمة الصحة العالمية التي تدعو إلى تدخلات مندمجة ترتكز على تعزيز نمط الحياة الصحي منذ الطفولة المبكرة.

3-اثار اقتصادية على أنظمة الصحة الوطنية:

تمثل بدانة الأطفال تحديًا اقتصاديًا كبيرًا على أنظمة الصحة العامة، إذ تتطلب علاجًا طويل الأمد، وتشكل ضغطًا متزايدًا على الخدمات الصحية من خلال زيادة الطلب على الاستشارات الطبية، الأدوية، التحاليل، والعمليات الجراحية لاحقًا. كما تؤثر سلبًا على إنتاجية الفرد في المستقبل وتزيد من تكاليف الرعاية الصحية على المدى الطويل.

تُعد السمنة عند الأطفال من التحديات الصحية التي تفرض عبئًا اقتصاديًا متزايدًا على أنظمة الصحة العمومية، إذ تتطلب تكاليف علاجية مستمرة تشمل المتابعة الطبية، التحاليل، الأدوية، والجراحات أحيانًا، كما أن المضاعفات المستقبلية كأمراض القلب والسكري تقلل من إنتاجية الفرد وتزيد من النفقات على المدى البعيد. وقد أكدت دراسة جزائرية نُشرت في مجلة النشاط البدني والصحة أن التكلفة الاقتصادية غير المباشرة للسمنة تظهر من خلال انخفاض القدرة على الإنجاز المدرسي والمهني في المستقبل، إضافةً إلى تزايد الطلب على خدمات الدعم النفسي (فتيحة, 2021)

وفي هذا السياق، أوصت دراسات متعددة بأهمية اعتماد سياسات وقائية متعددة المحاور، تشمل بالأساس التربية الغذائية في المدارس، وتحسين الوجبات المقدمة داخل المؤسسات التربوية، بالإضافة إلى دعم برامج التربية البدنية والأنشطة الرياضية المنتظمة. وتشير نتائج دراسة أُجريت في ولاية قسنطينة إلى أن إدماج التمارين البدنية بشكل يومي في حياة الطفل يساعد بشكل ملموس على تقليل مؤشر كتلة الجسم، وتعزيز صحته النفسية والاجتماعية (نسرين، 2020، الصفحات 5-6)

وتتلاقى هذه التوصيات مع ما تطرحه منظمة الصحة العالمية من دعوة إلى "مقاربة شاملة" ترتكز على التدخل في البيئة المحيطة بالطفل، وتعزيز التشريعات التي تقلل من التسويق غير الأخلاقي للوجبات غير الصحية، وفرض ضرائب على المشروبات المحلاة، وهو ما من شأنه أن يخلق بيئة داعمة لنمط حياة صحي مستدام.

المحور الثاني: استراتيجيات منظمة الصحة العالمية للوقاية من البدانة لدى الأطفال

تعتبر منظمة الصحة العالمية أن البدانة عند الأطفال مشكلة صحية عامة. في تقريرها "إنهاء بدانة الأطفال" لسنة 2016، أوصت باتخاذ إجراءات شاملة، تشمل سن السياسات الوطنية، وتنظيم التسويق الموجه للأطفال، وتعزيز النشاط البدني في المدارس. كما دعت إلى إشراك الأسر والمجتمع في جهود الوقاية، وضمن "الاستراتيجية العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني"، وقد شددت المنظمة على أهمية الوقاية متعددة القطاعات وتحسين البيئة الغذائية.

أولا: تقرير إنهاء بدانة الأطفال.(2016)

توضح نتائج تقرير منظمة الصحة العالمية أن إنهاء بدانة الأطفال يتطلب تضافر الجهود بين الحكومات، الأسرة، والمدرسة. ولا يكفي التركيز على مسؤولية الفرد، بل يجب معالجة البيئة المحيط والتشريعات والسياسات الداعمة. ومن هنا، فإن دمج توصيات WHO في السياسات الوطنية يعد خطوة حاسمة نحو جيل أكثر صحة.

يتضمن تقرير منظمة الصحة العالمية (2016) الذي أكد على أن السمنة ليست نتيجة خيار فردي فحسب، بل هي انعكاس لبيئة غير داعمة وسلوكيات متكرسة منذ سن مبكرة. فكل من الدراسة والتقرير يشيران إلى أن البيئة المنزلية والمدرسية تلعب دورًا محوريًا في تشكيل العادات الغذائية والحركية للأطفال والمراهقين. كما أن ضعف الوعي الغذائي لدى الأسر وغياب برامج تثقيفية داخل المؤسسات التعليمية يسهم في ترسيخ سلوكيات غذائية ضارة يصعب تغييرها لاحقًا، وقد جاء التقرير بمجموعة من التوصيات ابرزها :

1 **–تعزيز صحة الأم والطفل قبل الولادة:** وذلك من خلال دعم النساء أثناء الحمل حيث أكدت منظمة الصحة العالمية في تقريرها 2016 أن صحة الطفل تبدأ من صحة الأم، وأن سوء التغذية أو الوزن الزائد أثناء الحمل يزيد من احتمال ولادة طفل معرض للسمنة.

كما أن دعم الحوامل يُعد من التدخلات المبكرة الأساسية للحد من انتقال خطر السمنة من الأم إلى الجنين، إضافة الى تشجيع الرضاعة الطبيعية حيث أن الرضاعة الطبيعية الحصرية لمدة 6 أشهر تقلل من خطر السمنة وتؤسس لسلوكيات تغذوية صحية مستقبلًا، ويعتبر تشجيع الرضاعة الطبيعية سياسة وقائية حيوية مدعومة من طرف منظمة الصحة العالمية وتُدرج ضمن استراتيجيات الصحة العمومية.

كذلك للوقاية من السمنة المبكرة لابد من تقديم الغذاء السليم للأمهات، فقد أوصى التقرير بتحسين التغذية قبل وأثناء الحمل لمنع البرمجة الأيضية الخاطئة في مراحل نمو الجنين، والتي ترفع من احتمالات السمنة لاحقًا، فالتغذية الصحية للأم تؤثر على تكوين أنسجة الطفل ونمط شهيته، وبالتالي على وزنه مستقبلاً.

2-**تحسين التغذية والنشاط البدني في الطفولة المبكرة**: وذلك من خلال الحد من إعطاء الرضع أغذية غنية بالسكر، فقد أوضح تقرير منظمة الصحة العالمية أن تقديم أطعمة عالية السكر أو الدهون في مرحلة الطفولة المبكرة يزيد من الاعتياد على تلك النكهات، ويؤسس لعادات غذائية غير صحية، ويشدد التقرير على أن الغذاء المبكر يجب أن يكون طبيعيًا وغير مصنّع لتجنب تكوين ذوق غذائي منحرف.

إضافة الى تنظيم النوم والنشاط البدني حيث أن قلة النوم ترتبط بارتفاع معدلات السمنة لدى الأطفال، بسبب تأثيرها على الهرمونات المنظمة للشهية. كما أن الخمول وقلة الحركة من العوامل المباشرة في زيادة الوزن، وقد شمل تقرير منظمة الصحة العالمية التوصية بتنظيم ساعات النوم والنشاط كمحددات حيوية في الوقاية من البدانة.

3-**إصلاح البيئة الغذائية للطفل**: وذلك بتنظيم الإعلانات الموجهة للأطفال، حيث تُعد الإعلانات الموجهة للأطفال من العوامل البيئية المشجعة على الاستهلاك المفرط لأطعمة غير صحية، وقد دعى تقرير منظمة الصحة العالمية إلى تقنين تسويق الأغذية غير الصحية خصوصًا على الأطفال، وتعتبر هذه التوصية إحدى أقوى التوصيات في التقرير، لما لها من تأثير سلوكي مباشر.

أيضا أوصى التقرير بفرض ضرائب صحية (health taxes) على المشروبات السكرية والمأكولات المصنعة كثيفة الطاقة وقليلة القيمة الغذائية، حيث أن السياسة الضريبية أداة فعالة لتقليل الاستهلاك، وتستخدم حاليًا في عدة دول، كما حثت منظمة الصحة العالمية على إلزام المصنّعين بوضع ملصقات واضحة ومبسطة تساعد المستهلك على اتخاذ قرارات واعية.

4-**تعزيز النشاط البدني داخل المدارس والمجتمعات**: ولك من خلال توفير التربية البدنية اليومية إذ شدد التقرير على أن المدرسة بيئة مثالية لتعزيز النشاط البدني اليومي من خلال التربية البدنية الإلزامية، وترى منظمة الصحة العالمية أن الحركة المنتظمة تقلل خطر السمنة وتحسّن من الصحة النفسية لدى الأطفال،

لذلك اكدت على ضرورة توفير بيئات آمنة للعب أوصت المنظمة بتوفير مساحات خضراء ومرافق رياضية داخل الأحياء لضمان ممارسة النشاط البدني خارج المدرسة أيضًا.

5 –**تطوير الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية**: من خلال تدريب الأطباء للكشف المبكر حيث دعى التقرير إلى تأهيل الكوادر الصحية للكشف عن علامات السمنة مبكرًا وتوجيه الطفل والعائلة للتدخل المناسب، مع توفير برامج علاجية للأطفال البدينين وقد شددت المنظمة على ضرورة توفير برامج علاجية متكاملة تشمل التغذية، النشاط البدني، والدعم النفسي.

6-**دور الحكومة والتشريع**: بوضع خطط وطنية شاملة حيث حث التقرير على وضع استراتيجيات وطنية طويلة الأمد لمكافحة السمنة تشمل التشريع، التربية، والتمويل، وتؤمن منظمة الصحة العالمية بدور الدولة في تهيئة السياسات العامة الكفيلة بتقليل السمنة . (https://www.transformationpartners.nhs.uk/wp-content/uploads/2018/01/WHO-report-Ending-Childhood-Obesity.pdf)

إضافة الى هذه التوصيات، وفي إطار نقلها إلى حيز التنفيذ داخل السياق الوطني، اوصت المنظمة بمجموعة من الاجراءات المحلية التي تُعد تفعيلًا مباشرًا لتوصيات منظمة الصحة العالمية التي أكدت على التكامل بين الجهات الفاعلة: الحكومة، الأسرة، المدرسة، والمجتمع المدني، فقد أوصت المنظمة كذلك بضرورة:

-إلزام المدارس بتوفير وجبات صحية.

-منع المشروبات الغازية في المؤسسات التعليمية.

-دعم التوعية الأسرية والإعلامية.

-إدماج وحدات علاج السمنة ضمن هياكل الصحة العمومية.

وفي ضوء ما سبق، يُبرز البحث أهمية إدماج توصيات منظمة الصحة العالمية ضمن السياسات الوطنية، لاسيما تلك التي تركز على تعزيز النشاط البدني داخل المدارس، تنظيم تسويق الأغذية الضارة، ونشر الوعي الغذائي داخل الأسرة والمؤسسات التربوية. كما تؤكد الدراسة الميدانية أهمية التدخل المبكر في

سن المراهقة كمرحلة حاسمة للوقاية من البدانة، وهو ما يتماشى مع التوجهات الوقائية التي يدعو إليها قانون الصحة الوطني.

ثانيا: إرشادات لمعالجة زيادة الوزن والسمنة لدى الأطفال صادرة عن منظمة الصحو العالمية سنة 2017

في إطار استجابتها لوباء السمنة العالمي، أصدرت منظمة الصحة العالمية إرشادات تهدف إلى دعم العاملين في الرعاية الصحية الأولية لمساعدتهم في تشخيص ومتابعة الأطفال الذين يعانون من زيادة الوزن أو السمنة، كان من ابرها:

1–**توصيات رئيسية للرعاية الصحية الأولية:** إذ يجب على العاملين في الصحة قياس الوزن والطول لجميع الأطفال دون سن الخامسة، ويُستخدم مؤشر الوزن مقابل الطول لتحديد الحالة التغذوية، وإذا تبيّن أن الطفل يعاني من زيادة الوزن، يُوصى بتقديم إرشادات للوالدين حول التغذية والنشاط البدني، بما في ذلك دعم الرضاعة الطبيعية الحصرية لمدة 6 أشهر، وفي حال وجود سمنة، يُنصح بوضع خطة علاجية من قبل ممارس صحي مؤهل.

2 –**علاقة التقزم والهزال بالسمنة لاحقًا:** حيث تشير المنظمة إلى أن التقزم قد يكون عاملاً يزيد من خطر الإصابة بالسمنة في مراحل لاحقة، ولا يُوصى بتقديم أغذية تكميلية للأطفال الذين يعانون من تقزم أو هزال معتدل بشكل روتيني، إلا في حال وجود انعدام أمن غذائي على مستوى الأسرة أو المجتمع.

ترتبط هذه الإرشادات بأهداف التنمية المستدامة وتسعى هذه التوصيات لدعم جهود الدول لتحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، الخطة العالمية لتغذية الأمهات والأطفال، واستراتيجية الصحة العالمية للنساء والأطفال والمراهقين 2016–2030 (https://www.who.int/news/item/04-10-2030-2017-who-releases-guidelines-to-address-overweight-and-obesity-in-children?utm_source=chatgpt.com) .

ثالثا:إرشادات إدارة السمنة لدى الأطفال: الاجتماع السادس لفريق تطوير الإرشادات 2024–2025 منظمة الصحة العالمية تقوم الآن بتطوير إرشادات متكاملة قائمة على الأدلة العلمية والنهج الإنساني لإدارة السمنة لدى الأطفال (0–9 سنوات) ضمن إطار الرعاية الصحية الأولية، كان الهدف من هذا الاجتماع

هو استكمال التوصيات السابقة التي ركزت فقط على الوقاية، بإرشادات جديدة تركز على العلاج والإدارة الفعلية لحالات السمنة.

اذ يتماشى هذا العمل مع أهداف التنمية المستدامة 2030، خاصة الهدف الثالث المتعلق ب "ضمان حياة صحية وتعزيز الرفاه للجميع"، أضاف الى إعلانات ألماتا (1978) وأستانا (2018) التي تؤكد أن الرعاية الصحية الأولية هي أساس تحقيق تغطية صحية شاملة، وبرنامج عمل منظمة الصحة العالمية 2019–2023، وإستراتيجية "شعوب أكثر صحة" 2020–2030.

يعد هذا الاجتماع جزء من جهود منظمة الصحة العالمية لتحديث وتوسيع إطارها السابق (تقرير 2016) ليشمل طرق العلاج وليس الوقاية فقط، وهو يدعم أهمية تطوير السياسات الوطنية لرعاية الأطفال البدينين، وضرورة دمج الرعاية النفسية والوظيفية في برامج التدخل Childhood obesity) . management guidelines: sixth Guideline Development Group meeting)

رابعا: إرشادات أهداف التغذية العالمية 2025: ملف سياسة الوزن الزائد لدى الأطفال

لقد ارتفع عدد الأطفال دون سن الخامسة المصابين بزيادة الوزن بين عامي 2000 و2013، من 32 مليون إلى 42 مليون، حيث تشير التوقعات إلى أن نسبة الأطفال الزائدين في الوزن تحت سن الخامسة قد ترتفع إلى 11٪ عام 2025 عالميًا، مقارنة بـ7٪ عام 2012.

اذ ينص أحد أهداف خطة التغذية العالمية 2025 على ضرورة "ضمان عدم زيادة ملموسة في نسبة زيادة الوزن بين الأطفال دون 5 سنوات"، التقرير يدعو إلى استثمارات سياسية وبرامج فعّالة تُركز على التدخلات الوقائية مثل تشجيع الرضاعة الطبيعية، وتحسين البيئة الغذائية، وتثقيف الأسرة حول التغذية الصحية.

يُعد هذا الملف السياسي من منظمة الصحة العالمية أداة توجيهية للدول لوضع إجراءات وقائية فعّالة ضد زيادة الوزن لدى الأطفال دون سن الخامسة، ويتماشى مع أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2030 المماثلة، حيث أن النتائج تشير إلى أن التدخلات السريعة والفاعلة ضرورية لتجنب الوصول إلى انتكاسة صحية عامة بحلول 2025 Global nutrition targets 2025: childhood) . overweight policy brief)

المحور الثالث: التدابير الوقائية لظاهرة البدانة لدى الاطفال وفقا للتشريع الجزائري

اعتمدت الجزائر قانون الصحة رقم 18-11 سنة 2018، والذي ينص في عدة مواده على ضرورة الوقاية من الأمراض غير السارية مثل السمنة، وخاصة في المراحل المبكرة من الحياة. تنفذ الدولة برامج وطنية تشمل الفحص الطبي المدرسي، وحملات التوعية الغذائية، ومراقبة جودة الوجبات المدرسية.

تسعى هذه التدابير إلى تطبيق توصيات منظمة الصحة العالمية ضمن الإطار القانوني الوطني، حيث تتمثل هذه التدابير أساسا في تشجيع على التغذية الصحية، والقيام بالنشاط البدني.

أولا :التشجيع على التغذية الصحية: التغذية هي أساس الحياة الأولى عند الإنسان إذ تلعب دورا مهما في النمو الجسمي، لذا يقع لزاما على الدولة أن تتولى ترقية أنماط استهلاك بحيث تشجع على تغذية صحية ومتوازنة لدى المواطنين وتسهر على احترام مقاييس في مجال التغذية وعبر برامج التربية والإعلام والتحسيس والاتصال، وتفرض بذلك على كل المستويات التدابير الضرورية التي تسمح بالوقاية من السمنة لدى المواطنين ولاسيما الأطفال .

1-**الإطعام المدرسي:** تتكفل الدولة بإطعام التلاميذ الطور الابتدائي إذ جاء في محتوى المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 18-03 المؤرخ في 15 يناير سنة 2018 يحدد الأحكام المطبقة على المطاعم المدرسية، ينص على أنه:

"المطعم المدرسي هيكل مرافقة للمدرسية الابتدائية، مهمته الأساسية التحضير اليومي وخلال السنة الدراسية لوجبات غذائية متوازنة ساخنة، أو في شكل حصص عند الاقتضاء، وتوزيعها لفائدة التلاميذ المتمدرسين في المدرسة نفسها أو في المدارس الابتدائية المجاورة، وتسهر الهيئات الإدارية المشرفة والمسؤولة على الإطعام المدرسي على تموين المطاعم المدرسية بالمواد الغذائية السليمة من طرف المونين تم انتقاؤهم واستلامها، وضمان مراقبة جودة الأغذية والمواد الغذائية، واحترام المعايير الصحية واحترام توازن الوجبات.

كما أن المطعم المدرسي مرفق لضمان تغذية مدرسية سليمة باعتبار نشاطا اجتماعيا مكملا الفعل التربوي والبيداغوجي والرامية أساسا إلى ما يأتي:

-تنمية قدرات التلاميذ لحسن سير دراستهم.

-تجسيد مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص بين جميع التلاميذ لمواصلة دراستهم.

-تلقين مبادئ التغذية السليمة للتلاميذ وتربيتهم على مذاق وتعويدهم على قواعد الصحة الغذائية.

2-**إبعاد الأطفال عن الإعلانات الإشهارية والادعاءات الصحية**: لقد أفادت الدراسات التي أجريت في عديد من الدول لاسيما في أمريكا اللاتينية بوجود ارتباط بين التعرض للإعلانات الدعائية والميل لشراء الأغذية غير الصحية في صفوف الأسر والأطفال الذين يعانون من زيادة الوزن والسمنة. (الدرعي، صفحة 90)

وحرصا من التنظيم على مثل هذه الإعلانات الخطيرة، فقد جاء في محتوى المادة 36 من المرسوم التنفيذي رقم 13-378 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013 الذي يحدد الشروط والكيفيات المتعلقة بإعلام المستهلك، إذ جاء في محتوى المادة 36 على أنه "يجب أن لا يوصف أو يقدم أي غذاء بطريقة خاطئة أو مضللة أو كاذبة أو من المحتمل أن يثير انطباعا خاطئا بخصوص نوعه بطريقة تؤدي إلى تغليط المستهلك.

-يجب أن لا تكون الادعاءات المستعملة على الوسم وعرض المواد الغذائية الموضوعة حيز الاستهلاك، أن تشجع أو تسمح بالاستهلاك المفرط لمادة غذائية.

-توحي بأن تغذية متوازنة ومتنوعة لا يمكن أن توفر كل العناصر المغذية بكمية كافية،

-غير مبررة،

-تشير إلى تغييرات في الوظائف الجسمية التي يمكن أن تثير مخاوف عند المستهلك إما في شكل نصوص أو صور أو أشكال خطية أو عروض رمزية.

-تشير إلى خصائص وقائية أو علاجية للأمراض البشرية باستثناء المياه المعدنية الطبيعية والمواد الغذائية الموجهة لتغذية خاصة."

لذا فنشر الوعي الغذائي يعد أمرا تعليميا إلى حد كبير، وصحة الإنسان ترتبط بالغذاء الصحي الذي يعتمد على مدى المعرفة به (حسن، صفحة 6)

3-تشجيع على الرضاعة الطبيعية: الابتعاد عن استخدام الحليب الصناعي لاسيما في 06 ستة أشهر الأولى، كون أن هذا الأخير له ارتباط بانخفاض الذكاء والسمنة وزيادة خطر الإصابة بمرض السكري وغيره من الأمراض غير المعدية.

ثانيا :الزامية القيام بالنشاط الرياضي: تساهم الرياضة بقسط كبير في تحسين وتطوير القدرات العقلية والنفسية والحركية للفرد وتعمل على الوقاية والحد من مرض السمنة، كما تعلمه المثابرة وتزرع فيه الصبر وتعمل

على تقوية عضلات الجسم وتحسين التنفس، إضافة إل حرق الدهون الضارة بالنسبة للأطفال الذين يعانون من السمنة.((مولود، صفحة 101(

إن الممارسة الرياضية لدى الأطفال تتكامل مع باقي الجوانب المختلفة لتحقيق الفرد السليم القادر على المساهمة الفعالة في بناء مجتمعه، لذا أصبحت جل المدارس تولي اهتماما بالغا بأنشطة الرياضية المدرسية، وادراجها ضمن البرنامج المدرسي ،بشكل كبير حيث صارت تدرس كمادة وإقبال التلاميذ على هذه المادة يكون في الغالب إقبالا كبيرا نظرا لما تقدمه لهم من راحة نفسية وبدنية وغيرها، فالرياضة تلعب دورا هاما ومحوريا في بناء شخصية الفرد من جميع النواحي البدنية والخلقية والنفسية والاجتماعية. (هناء، صفحة 250)

كما تتولى الدولة بواسطة برامج ملائمة ترقية الممارسة الفردية والجماعية للتربية البدنية والرياضية والرياضات التي تشكل أحد العوامل الأساسية لحماية صحة الشخص والمواطنين وتحسينها، حسب ما تم النص عليه في المادة 67 من القانون 18-11 المتعلق بالصحة المعدل والمتمم، وبهذا تكيّف برامج النشاطات المذكورة حسب السن والجنس والحالة الصحية والظروف المعيشية للمواطنين وعملهم وقد تم النص على ذلك في المادة 68 من القانون 18- 11 السالف الذكر.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن البدانة عند الأطفال لم تعد مجرد إشكالية صحية فردية، بل غدت معضلة مجتمعية مركبة تمس الجوانب الصحية والنفسية والاقتصادية معًا، وتتطلب فهمًا معمقًا لأسبابها وآثارها متعددة الأبعاد. وقد أظهرت تقارير منظمة الصحة العالمية، لا سيما تقرير سنة 2016، أن التصدي لهذه الظاهرة يتطلب مواجهة جذرية للأنماط الغذائية غير الصحية والبيئة المحفزة على السلوكيات الخاملة، مع اعتبار الطفولة مرحلة حاسمة في تشكيل مستقبل الصحة العامة.

فحماية الأطفال من الإشهارات وتسويق الأغذية غير الصحية لم تعد مجرد أولوية صحية بل حق من حقوق الطفل كما تراه منظمة الصحة العالمية، وعلى الدول أن تلتزم باتخاذ تدابير صارمة قصد تأمين مستقبل أكثر صحة وسلامة للأجيال القادمة.

كما أن مكافحة البدانة تتطلب استجابة جماعية وشاملة، تبدأ من التوعية على مستوى الأسرة والمدرسة، وتمر عبر تدخلات الدولة، وتتكامل مع جهود المنظمات الدولية، وعلى رأسها منظمة الصحة

العالمية فالوقاية خير من العلاج، وتغيير السلوكيات الغذائية والرياضية في الحياة اليومية هو السبيل الأنجع للحد من هذا المرض الصامت الذي يهدد الأجيال الحاضرة والمسقبلية.

التوصيات:

- يتعين فرض الرقابة صارمة والتي تمارسها الهيئات المكلفة بحماية صحة المواطنين على الادعاءات الصحية التي يتضمنها بيانات الوسم والتي تؤثر على رغبات الأطفال وأسرهم، وتحثهم على الاستهلاك المفرط للأغذية غير الصحية.

-تعزيز النشاط البدني اليومي لدى المراهقين، من خلال برامج مدرسية أو مجتمعية تشجع على الرياضة والحركة المنتظمة، وتقليل وقت الجلوس أمام الشاشات (كالهواتف، التلفاز، وألعاب الفيديو)، لما له من تأثير مباشر على زيادة الخمول البدني والسمنة.

-تحسين العادات الغذائية من خلال التوعية بأهمية تناول وجبات متوازنة تحتوي على: الفواكه والخضروات. الحبوب الكاملة، البروتينات الصحية. وتجنب الأطعمة السريعة والمقلية والمشروبات السكرية.

-تنفيذ حملات توعية موجهة للأسرة، خاصة الأمهات، حول أهمية اختيار الأغذية الصحية، وتأثير العادات الغذائية في مرحلة الطفولة على الصحة المستقبلية.

-دعم المدارس لتوفير بيئة صحية: تقديم وجبات مدرسية متوازنة. منع بيع المشروبات الغازية والمأكولات السريعة في المقاصف. دمج التربية الغذائية ضمن المناهج.

-تحفيز المراهقين على اتباع نمط حياة صحي من خلال حملات شبابية وجماعية، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر الرسائل التوعوية.

التوثيق:

يتم التوثيق حسب طريقة APA الأمريكية مثلا: (رفعت العقاد، 2019، ص55)

قائمة المراجع:

1-التقارير الدولية:

-منظمة الصحة العالمية – قسم الوقاية من الأمراض غير السارية

)WHO, Obesity and overweight, Fact sheet(

https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/obesity-and-overweight

-UNICEF & WHO. (2019). The State of the World's Children: Children, food and nutrition. New York: United Nations Children's Fund (UNICEF).

https://www.unicef.org/reports/state-of-worlds-children-2019
-https://www.transformationpartners.nhs.uk/wp-content/uploads/2018/01/WHO-report-Ending-Childhood-Obesity.pdf
-https://www.who.int/news/item/04-10-2017-who-releases-guidelines-to-address-overweight-and-obesity-in-children?utm_source=chatgpt.com
-Childhood obesity management guidelines: sixth Guideline Development Group meeting
https://www.who.int/news-room/events/detail/2024/06/10/default-calendar/childhood-obesity-management-guidelines-sixth-guideline-development-group-meeting?utm_source=chatgpt.com
-Global nutrition targets 2025: childhood overweight policy brief
https://wkc.who.int/resources/publications/i/item/WHO-NMH-NHD-14.6?utm_source=chatgpt.com
-Report of the Commission on Ending Childhood Obesity

2-النصوص القانونية:

-المرسوم التنفيذي رقم 13-378 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013 الذي يحدد الشروط والكيفيات المتعلقة بإعلام المستهلك الجريدة الرسمية العدد 58 المؤرخة في 18 نوفمبر 2013

-القانون 18-11 المؤرخ في 02 يوليو 2018 والمتعلق بالصحة المعدل والمتمم ، الجريدة الرسمية العدد:46

3-المقالات العلمية:

-براهيمي نسرين، فعالية البرامج الرياضية في الحد من السمنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة قسنطينة(2020).

-بوزيدي، فتيحة.. النشاط البدني والسمنة عند الأطفال: بين الوقاية والتكلفة الصحية. مجلة النشاط البدني والصحة، جامعة الجزائر 3، (2021)

-بوشامة، نادية. (قراءات علمية في المسارات الحيوية للنوم وتأثيراته على السمنة عند الأطفال. مجلة علوم التربية والصحة النفسية، جامعة وهران، 2022).

- بن علال جلال، بوزكرية توهامي، تاثير النشاط البدني على البدانة لدى المراهقين المتمدرسين 15-18 سنة، المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضية، المجلد 18 العدد 1، ماي 2019.

-حامد أحمد الدرعي، الحماية الجزائية للأطفال من الأضرار البيئية ، مجلة القضاء والقانون ،السنة التاسعة،عدد خاص بحماية البيئة.

-دبراسو فطيمة، السمنة من منظور الصحة النفسية، مجلة العلوم الإنسانية ،المجلد:20 ،العدد:01، 2020

-زروقي، أسماء.. تحليل لمفهوم سيكولوجية البدانة. مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة المسيلة.، (2018)

-زمجناح مولود ، خلفة عماد الدين ، مجادي مفتاح ،دور الممارسة الرياضية في التقليل من الأمراض المزمنة لدى الأطفال (السمنة)-دراسة ميدانية بولاية المسيلة ،مجلة التربية البدنية والرياضية ،المجلد:01 ،العدد:00 ، 2022

- مختري ياسين، شريفي محمد أمين، البدانة وزيادة الوزن لدى الأطفال المراهقين، دراسة عن المناطق الجزائرية، مجلة معارف، المجلد 16 العدد 1، جوان 2021.

4-الدراسات الجامعية:

-سي طاهر حسن ،دراسة مدى إنتشار زيادة الوزن والبدانة وعلاقتهما بالخمول البدني والعوامل المرافقة لدى المراهقين المتمدرسين (11-15 سنة) دراسة ميدانية على التلاميذ المتمدرسين بمتوسطات دائرة تيزيوزو، دكتوراه في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر 3 ،معهد التربية البدنية والرياضية ،2024

-لقيردي خيرة، البدانة وعلاقتها بالمستوى المعيشي والنشاط البدني لدى المراهقين المتمدرسين في الجزائر، الدراسة الميدانية لتلاميذ الطور الثانوي للمقاطعة الشمالية لولاية سطيف ،الفئة العمرية (15 -18)سنة ،أطروحة دكتوراه في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية ، تخصص:نشاط بدني رياضي وقائي صحي ، معهد التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر ،2021

Methods of Penal Treatment in Algerian Legislation
Dr/ nourani hayet
University of batna 1 faculty of law and political science

nourani.hayet7@hotmail.com

Abstract:

Among the goals of sustainable development is the development of the individual. The methods of penal treatment aim to develop the imdividuals abilities, intellectual and mental qualifications, and sense of responsibility. The prisoner is considered the central focus of penal treatment, as its purpose is to reform and rehabilitate the prisoner so that they may return to society as a productive and upright individual.Penal treatment methods have been developed to archieve this goal and are divided into two types. Those appilied outside it. These include penal labor, healthcare and social care, education and moral guidance, condition release, and semi-freedom.

The algerin legislator has worked to regulate the provision related to methods of penal treatment in the law on the Organization of prisons of prisoners.

Keywords: Treatment, Punishment, Prisoner, Reform, Rehabilitation.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري

د/ نوراني حياة
جامعة باتنة 1 كلية الحقوق والعلوم السياسية – لجزائر
nourani.hayet7@hotmail.com

ملخص

من بين أهداف التنمية المستدامة تنمية الفرد وأساليب المعاملة العقابية تهدف إلى تنمية قدرات الفرد ومؤهلاته الفكرية والذهنية وإحساسه بالمسؤولية ويمثل المحبوس محور المعاملة العقابية لأن الهدف من تطبيقها هو إصلاح وتأهيل المحبوس ليعود إلى المجتمع فردا صالحا وقد تم تطوير أساليب المعاملة العقابية من أجل تحقيق هذا الهدف وهي على نوعين أساليب تطبق داخل المؤسسة العقابية وأخرى تطبق خارج المؤسسة العقابية ومنها العمل العقابي، الرعاية الصحية والإجتماعية، التعليم والتهذيب، الإفراج المشروط، الحرية النصفية.

ولقد عمل المشرع الجزائري على تنظيم الأحكام المتعلقة بأساليب المعاملة العقابية في قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين.

الكلمات المفتاحية: المعاملة، العقوبة، المحبوس، الإصلاح، التأهيل

مقدمة:

تعد المعاملة العقابية من أبرز محاور السياسة الجنائية في أي نظام قانوني، إذ تعكس فلسفة الدولة في التعامل مع الجريمة والمجرم، ففي التشريع الجزائري تطورت أساليب المعاملة العقابية بما ينسجم مع المبادئ الدستورية وحقوق الإنسان فانتقلت من العقوبات القاسية التقليدية إلى اعتماد تدابير أكثر إنسانية وفعالية يراعي فيها المشرع الجزائري التوازن بين الردع وتحقيق العدالة والإصلاح والتأهيل مما أدى إلى تبني أساليب متنوعة تشمل أساليب المعاملة العقابية داخل المؤسسة العقابية وخارجها مثل العمل العقابي الرعاية الصحية والإجتماعية الإفراج المشروط الحرية النصفية حيث أدرجت في السنوات الأخيرة مقاربات تهدف إلى تقويم السلوك مثل إعادة الإدماج الإجتماعي والتدابير التأهيلية ومع ذلك لا تزال بعض الأساليب العقابية تثير جدلا قانونيا وأخلاقيا خصوصا فيما يتعلق بظروف الإحتجاز ومدى احترام الكرامة الإنسانية ومن خلال دراسة أساليب المعاملة العقابية يتضح مدى تأثير التشريع الجزائري بالتوجهات الدولية الحديثة خاصة في ظل الإلتزامات الحقوقية للدولة ويكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة في تقييم فعالية المنظومة الجزائية وتحقيق أهدافها لذلك يستوجب التطرق إلى مختلف صور المعاملة العقابية المعتمدة وتحليل مدى تحقيقها لمبادئ العدالة والإصلاح والتأهيل

والإشكالية المطروحة هي: **ما مدى نجاعة أساليب المعاملة العقابية في التشريح الجزائري؟**

المبحث الأول: أساليب المعاملة العقابية داخل المؤسسة العقابية

عمل المشرع الجزائري على تنظيم الاحكام المتعلقة بأساليب المعاملة العقابية وقد جاء اغلبها في القانون رقم 04/05 تحت عنوان حقوق المحبوسين وذلك في القسم الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من ذات القانون وسماها جانب من الفقه مثل فهد يوسف الكساسبة بوسائل الإصلاح والتأهيل وكلها مسميات تتضمن جملة من الأساليب التي تهدف الى إعادة الادماج الاجتماعي للمحبوسين وهو الهدف الرئيسي

للسياسة العقابية الحديثة وتتمثل أساليب المعاملة العقابية داخل المؤسسة العقابية في العمل العقابي وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية للمحبوس ووفير التعليم والتهذيب

المطلب الأول: العمل العقابي

لقد اقر المشرع الجزائري توفير العمل العقابي للمحبوسين لأنه يحقق عدة أغراض منها: تأهيل المحبوس من خلال رفع معنوياته وتهذيبه باستئصال سبب اجرامه فقد كان العمل العقابي في المجتمعات القديمة لا يخضع لشروط قانونية تحفظ كرامة المحبوس فكان الاهتمام الوحيد عندها هو تعذيبه وايلامه.

الفرع الأول: شروط العمل العقابي

لكي يؤدي العمل العقابي تأهيل واصلاح المحبوس لا بد من ان يتوفر على عدة شروط وتتمثل في كل من:

-كون العمل منتجا: تعني الثمرات الناتجة عن العمل العقابي فالعمل المنتج يكون حافزا للمحبوس فيدفعه الى الاقبال على العمل والتمسك به وتقدير قيمته بحيث يستبعد العمل المتسم بالتعذيب في طبيعته (فتوح عبد الله الشادلي، 2007، ص 243)

-ان يكون العمل متنوعا: بحيث لا يقتصر على نوع محدد وانما يجب ان تكون الاعمال متنوعة بحيث يختار المحبوس العمل الذي يناسبه (محمد عبد الله الوريكات، 1967 ص 232)

-تقاضي المحبوس على العمل مقابلا: اقر المشرع الجزائري للمحبوس الحق في المقابل المالي عن عمله المؤدى حيث بينت المادة 162 من القانون رقم 04/05 ان المحبوس يتلقى المقابل عن كل عمل أداه منحة تقدر وفق جدول يحدد بموجب قرار مشترك .

الفرع الثاني: أغراض العمل العقابي

يعد عمل المحبوس جزءا أساسيا في المعاملة العقابية حيث يهدف الى تحقيق تأهيل واصلاح المحبوس بالدرجة الأولى كما يوفر الربح وزيادة الإنتاج

التأهيل: يعد التأهيل من اهم أغراض العمل العقابي فهو يدرأ البطالة ومختلف الامراض النفسية والعقلية ويرفع معنويات المحبوس فيزوده بالمهارات ويعالج الأسباب الكامنة فيه التي تدفعه لارتكاب الجريمة
-الغرض التهذيبي والإنساني: فهو يستأصل سبب اجرام المحبوس كما انه يعمل على حفظ التوازن النفسي والبدني للمحبوس فالمشرع الجزائري اقر هذا الغرض في المادة 96من القانون 04/05

-الغرض الاقتصادي للعمل وحفظ النظام: فهو مصدر للحصول على المال وان كان هذا الغرض ليس أساسي في أغراض العمل العقابي كما يحفظ النظام العام فهو يحقق زيادة في الانتاج القومي من ناحية كما يساعد الدولة على تحمل نفاقات المؤسسات العقابية من ناحية أخرى (حياة نوراني، 2021، ص ص142-146)

المطلب الثاني: الرعاية الصحية والاجتماعية

اهتم المشرع الجزائري بتنظيم الاحكام المتعلقة بالرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية للمحبوسين ولهما أهمية كبير في تأهيل واصلاح المحبوسين خاصة اذا كان المرض هو العامل الاجرامي الذي كان له الأثر المباشر في ارتكاب الجريمة من قبل المجرم

الفرع الأول: الرعاية الصحية

اهتم المشرع الجزائري بتنظيم الأحكام المتعلقة بالأساليب الوقائية والعلاجية للمحبوسين بهدف علاجهم من المرض الذي كان السبب في اقتراف الجريمة حيث تتخذ جميع الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون إصابة المحبوس بالأمراض ووقايتهم من الامراض المعدية

أولا: الأساليب الوقائية

تتمثل الأساليب الوقائية في جميع الاحتياطات التي تتخذ للحيلولة دون إصابة المحبوس بالأمراض وتتمثل فيما يلي:

الهيكل المادي للمؤسسة العقابية: يجب ان تتوفر المرافق الصحية الكافية في المؤسسة العقابية كما يجب ان تكون الأماكن المخصصة للعمل او الاكل او الترفيه او الألعاب واسعة وبها نوافذ كبيرة تسمح بدخول كمية كافية من اشعة الشمس والهواء (محمد صبحي نجم، 2008، ص 174).

لقد اقر المشرع الجزائري حق الرعاية الصحية لجميع المحبوسين في الفقرة 1من المادة 57من القانون رقم 04/05 فالحق في الرعاية الصحية مضمون لكل فئات المحبوسين

-نظافة وملبس المحبوس ومأكله: تتشمل نظافة المحبوس نظافة جسمه شخصيا وملابس أيضا لذلك لابد ان تتوفر المؤسسة العقابية على المياه الملائمة والصابون وغيرها من وسائل التنظيف، (إسحاق إبراهيم منصور، 1997، ص 154).

اقر المشرع الجزائري في المادة 60 من القانون رقم 04/05 ان طبيب المؤسسة العقابية يعمل على مراعات قواعد الصحة والنظافة الفردية والجماعية داخل المؤسسة عقابية

كما اوجب على طبيب المؤسسة العقابية ان يتفقد مجموع الأماكن ويخطر المدير بكل معاينة للنقائص وكل ذلك من اجل تحقيق رعاية صحية ممتازة للمحبوس من خلال المحافظة على النظافة الفردية والجماعية داخل أماكن الاحتباس

يلزم المحبوس ارتداء اللباس الخاص بالمؤسسة العقابية وان لا يكون في هيئته التحقير للمحبوسين واهدار لكرامتهم كما يجب تغييره على فترات دورية واستثنت المادة 48 من القانون رقم 04/05 المحبوسين مؤقتا من الزامية ارتداء البذلة الجزائية

كما يتعين الاهتمام بالطريقة التي يعد بها الطعام ونظافة المطبخ والقائمين عليه وان يتم بطريقة كريمة تحفظ إنسانية وكرامة المحبوس

اوجبت المادة 63 من القانون رقم 04/05 ان تكون وجبة المحبوس متوازنة وذات قيمة غذائية كافية

كما اهتم المشرع الجزائري بحالة المرأة المحبوسة الحامل فاقر لها حق الاستفادة من التغذية المتوازنة وذلك في المادة 50 من القانون رقم 04/05

- الاشراف الطبي والرياضة: اقر المشرع الجزائري في المادة 59 من القانون رقم 04/05 ان تقدم الإسعافات للمحبوس وتجرى له الفحوصات الطبية والتلقيحات والتحاليل الوقائية من الامراض المتنقلة والمعدية وذلك بصورة تلقائية كما يتخذ مدير المؤسسة العقابية .

أقر المشرع الجزائري استفادة المحبوس من الأنشطة البدنية والرياضية وتوفير الوسائل اللازمة لها وتوفير دروس في التربية البدنية وفقا للبرامج المعتمدة رسميا

ثانيا: الأساليب العلاجية

هي حق للمحبوس متى أصيب بمرض وتتمثل فيما يلي:

-فحص المحبوس: اوجب المشرع الجزائري في المادة 58 من القانون رقم 04/05 فحص المحبوس وجوبا عن طريق الطبيب والمختص في الامراض النفسية وذلك عند دخوله للمؤسسة العقابية وكلما دعت الضرورة لذلك

-علاج المحبوس: للخدمات الطبية دور هام في تأهيل المحبوسين فالصحة الجيدة ينتج عنها تفكير سليم والذي يؤدي الى الفعل السليم حيث اقر المشرع الجزائري حق المحبوس في العلاجات الضرورية كما اقر المشرع الجزائري في المادة 61 من القانون رقم 04/05 وضع المحكوم عليه والذي ثبت اصابته بمرض عقلي او ادمانه على المخدرات او المدمن الذي يرغب في إزالة التسمم بهيكل استشفائي متخصص لتلقيه العلاج

الفرع الثاني: الرعاية الاجتماعية

تتمثل الرعاية الاجتماعية للمحبوس داخل المؤسسة العقابية في المساعدة الاجتماعية والزيارة والمحادثة وتلقي المراسلات والأموال وهي امر ضروري ومهم وذلك بهدف إعادة ادماجه في المجتمع لان الفرد اجتماع بطبعه فحياته لا تكون طبيعية الا اذا كانت في وسط جماعة

أولا: المساعدة الاجتماعية

المشرع الجزائري صنف ضمن الأشخاص الذين تناط لهم مهمة تقديم المساعدة الاجتماعية في كل من المساعدات والمساعدون الإجتماعيون المختصون في علم النفس والمربون العاملون في المؤسسة العقابية.

فتقديم المساعدة أو الرعاية الاجتماعية بصورة عامة تكتسب أهميتها في الأيام الأولى لإيداع المحبوس المؤسسة العقابية حيث يتعرض المحبوس لما يعرف بصدمة المؤسسات العقابية مما يدفعه إلى اليأس أو الإنتحار وهنا تبدأ أهمية الأخصائي الاجتماعي الذي يسهم في عمليات التصنيف وأساليب المعاملة ويرشد المحبوس بهدف التكيف.

ثانيا: الزيارة والمحادثة

حدد المشرع الجزائري الأشخاص الذين لهم الحق لزيارة المحبوس وهم أصوله وفروعه إلى غاية الدرجة الرابعة وزوجه ومكفوله وأقاربه بالمصاهرة إلى غاية الدرجة الثالثة والموثق أو المحضر القضائي أو محاميه أو موظف مؤهل قانونا، كما يرخص بالزيارة لأشخاص أخرين أو جمعيات إنسانية وخيرية إذا كان هناك فائدة لإعادة إدماج المحبوسين إجتماعيا، كما يحق للمحبوس أن يتلقة الزيارة من رجل الدين من ديانته

كما يتوجب توفر الأسباب المشروعة عند زيارة المحبوس من طرف الوصي عليه والمتصرف في أمواله ومحاميه أو أي موظف أو ضابط عمومي.

ونظرا لأهمية المحادثة في تأهيل وإصلاح المحبوس فقد تطرق المشرع الجزائري في المادة 69 من القانون رقم 04/05 نظام المحادثة دون فاصل أي محادثة المحبوس مع الزائر دون فاصل تاركا أمر تحديد شروط هذا النظام وقواعده وحدوده للنظام الداخلي للمؤسسة العقابية

فالمحادثة تقوي روابط الثقة بالنفس كما ترفع معنوياته وتحد من معاناة العزلة التي فرضت عليه كعقوبة مقررة بموجب القانون وبإسم المجتمع.

ثالثا: المراسلات والأموال

من حق المحبوس تلقي المراسلات فهي توطد العلاقات بينه وأسرته وأقاربه، وقد أخضعها لعدة قيود وهي واردة في نص المادة 73 من القانون 04/05 منها أن تكون المراسلات متعلقة بمراسلة أقاربه أو أي شخص أخر، وخضوعها لرقابة مدير المؤسسة العقابية وألا تكون سببا في الإخلال بالأمن وحفظ النظام العام داخل المؤسسة العقابية، خضوع المراسلات الموجهة للمحامي بالخارج للسلطة التقديرية للنيابة العامة.

المطلب الثالث: التعليم والتهذيب

للتعليم والتهذيب دور في تأهيل وإصلاح المحبوسين ولقد إهتمت المؤسسات العقابية بتوفير الوسائل التي تجسد هذين الأسلوبين وتتم بوسائل متنوعة كإلقاء الدروس والمحاضرات وإنشاء مكتبة والصحف فقد يكون نقص التعليم أو نقص التهذيب او نقص الوازع الديني أو إنعدامه الدافع لإرتكاب الجريمة فيتم بذلك إستئصال هذه العوامل فيقوم به مختصون في مجال الدين والأخلاق وبوسائل متنوعة (حياة نوراني، 2021، ص 136).

الفرع الأول: التعليم

المشرع الجزائري في المادة 94 من القانون 04/05 أعطى للمحبوس حق الإستفادة من التعليم التقني والتكوين المهني والتمهين والتربية البدنية طما حددت المادة 95 من ذات القانون الجهات التي يتم فيها التكوين المهني حيث انه يتم داخل المؤسسة وفي معامل المؤسسة العقابية وفي مراكز التكوين المهني فالتعليم يدرب المحبوسين على تعلم مهنة تفيدهم بعد الافراج عنهم فالتعليم التقني والتكوين المهني والتربية البدنية هي من عناصر التعليم الفني بحيث يشمل التعليم الفني هذا النوع من التعليم وهذا يعني ان المشرع الجزائري اقر التعليم الفني وذلك مراعاة لتأهيل وإعادة ادماج المحبوسين.

فمن يتعلم في التعليم التقني يكتسب شهادة تؤهله للعمل في مجال التقنيات ومن يتعلم في التكوين المهني يتعلم حرفة كالخياطة والتجارة وصناعة الحلويات وغيرها اما التربية البدنية فيتعلم منها رياضة ليعلم بها الأطفال بعد الافراج عنه لتكون له مصدر رزق فيشعل وقته ويسكب قوته ويبتعد بذلك عن عالم الاجرام.

-وسائل التعليم متنوعة ومنها ما يلي:

-القاء الدروس والمحاضرات يتم تعليم الاميين القراءة والكتابة ومن ثم يتم القاء الدروس والمحاضرات عليهم من قبل المعلمين الذين تستخدمهم المؤسسة العقابية في هذا الغرض ومن قبل متطوعين او من قبل المحكومين عليهم الذين لهم دراية بالتدريس حيث تتم المناقشات الهادئة التي تنمي في المحبوس روح التفاهم والاقناع العلمي المهذبة بهدف الاستئصال العنف من شخصيتهم (محمد صبحي نجم، 2008، ص 169)

-انشاء مكتبة تقدم المادة العلمية التي يستعين بها المدرس في عمله كما يستفيد منها المحبوس وينمي من ثقافته وتجنبه الملل داخل المؤسسة العقابية فهو يقرأ أكثر مما كان يقرأ قبل دخول المؤسسة العقابية وبالتالي تغير تفكيره وتنميه وأيضا نظرته للأمور (محمود نجيب حسني، 1967، ص 314)

-الصحف والمجلات لها الدور في بقاء المحبوس متصلا اتصالا مستمرا بالمجتمع الخارجي حيث أقر المشرع الجزائري في المادة 92 من القانون 04/05 حق المحبوس في الإطلاع على الجرائد والمجلات

كما مكن المشرع الجزائري إدارة المؤسسة العقابية من إصدار نشرية داخلية يسهم المحبوسين في إعدادها.

الفرع الثاني: التهذيب

في بدايات التهذيب كان تهذيبا دينيا في المؤسسات العقابية ثم إتسع ليشمل التهذيب الديني والخلقي وللتهذيب أهمية في تأهيل وإصلاح المحبوس عن طريق غرس القيم والمبادئ.

أولا: التهذيب الديني

يمثل السبيل إلى التهذيب الخلقي فالأخلاق الدينية والأخلاق الاجتماعية متساندتان فقد أكد العالم كرون على أنه بغير تهذيب ديني لا يتحقق من تطبيق العقوبة التأهيل والإصلاح.

ويتم التهذيب الديني بوسائل مختلفة منها:

- تنظيم المحاضرات والدروس الدينية: تعهد مهمة تنظيم المحاضرات والدروس الدينية لرجال الدين ممن تتوفر فيهم الخبرة والعلم الغزير والقدرة على التواصل مع نفوس المحبوسين عن طريق مخاطبة عقولهم بأسلوب مناسب

أقر المشرع الجزائري في المادة 92 من القانون رقم 04/05 تمكين المحبوس من تلقي المحاضرات الدينية

- المكتبة: حيث يتوجب أن تتوفر المؤسسة العقابية على الكتب والمجلات التي تفيد المحبوس وتسهم في تحقيق التهذيب الديني.

- إقامة الشعائر الدينية: يخصص بالمؤسسة العقابية مكان للصلاة لكل طائفة دينية ويسمح للمحبوسين بأداء شعائرهم الدينية حتى لا تنقطع صلتهم بربهم مما يساعد على تأهيلهم عن طريق التهذيب الديني.(إسحاق إبراهيم منصور، 1997، ص 198)

ثانيا: التهذيب الخلقي

له أهمية كبيرة في رفع مستوى المحبوس الفكري والأخلاقي وإحساسه بالمسؤولية وتتم بعدة وسائل منها: إلقاء المحاضرات أو اللقاءات الجماعية: أي لقاء المحبوسين بالمتخصص في التهذيب الخلقي جماعة بإلقاء المحاضرات عليهم والمناقشة الجماعية بهدف ترسيخ المبادئ والقيم والأخلاق في نفوس المحبوسين لإجتنابهم العودة إلى إرتكاب الجريمة وإعادة إدماجهم في المجتمع .(محمد صبحي نجم، 2008، ص 172)

- اللقاء الفردي: يتم بهدف التهذيب الخلقي بين القائم بالتهذيب والمحبوس بأن يبدأ المهذب أولا في التعرف على المحبوس والإلمام بجوانب شخصيته المختلفة والأسباب التي دفعته لإرتكاب الجريمة ويتلو ذلك تحليل هذه الأسباب المسيطرة على نفسيته والتي دفعته لإرتكاب الجريمة ثم لإظهار تعارضها مع أنظمة المجتمع بعدها تأتي مرحلة غرس المبادئ والقيم الخلقية السامية في نفسية المحبوس. (محمد زكي أبو عامر، 1993، ص 262-263).

- بث البرامج السمعية أو السمعية البصرية: تعد هذه الوسيلة من الوسائل التي تسهم في تهذيب المحبوسين من الناحية الأخلاقية بحيث تؤثر هذه البرامج على المحبوسين. ونظرا لأهميتها مكن المشرع الجزائري في الفقرة 2 من المادة 92 من القانون 04/05 المؤسسة العقابية بث البرامج السمعية أو السمعية البصرية وذلك بعد إستشارة لجنة تطبيق العقوبات أو لجنة إعادة تربية الأحداث حسب كل حالة

المبحث الثاني: أساليب المعاملة العقابية خارج المؤسسة العقابية

مع تطور العلوم الإنسانية والإهتمام بالتنمية والتغيير نحو الأفضل تم تغيير الغرض من تطبيق العقوبة من الإيلام والتعذيب إلى تحقيق التأهيل والإصلاح وهذا هو الغرض الحديث من تطبيق العقوبة وبالتالي إعادة إدماج المحبوسين في المجتمع بتطبيق أساليب مختلفة تتماشى مع السياسة العقابية الحديثة وهذه الأساليب

متعلقة بمراجعة العقوبة وهي أساليب إما أن تنهي العقوبة قبل المدة المحددة أو تعدل العقوبة جزئيا أو توقفها فهي تعدل العقوبة أثناء التنفيذ ومنها الإفراج المشروط والوضع في نظام الورشات الخارجية والحرية النصفية والرعاية اللاحقة

المطلب الأول: الإفراج المشروط

يعد الإفراج المشروط من أبرز أساليب المعاملة العقابية خارج المؤسسة العقابية التي تعمل على إعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوس بحيث يخرج المحبوس من المؤسسة العقابية ويتوجب عليه التقيد بمجموعة من الإلتزامات والتي لابد له أن يتقيد ويلتزم بها طوال الفترة المتبقية له من العقوبة فهو آخر مرحلة من مراحل إعادة الإدماج الإجتماعي بحيث لا يشكل خطر على المصلحة الفردية والمصلحة الإجتماعية بحيث تمت إزالة الخطورة الإجرامية الكامنة في شخصيته

الفرع الأول: مفهوم الإفراج المشروط

الإفراج المشروط من الأساليب العقابية التي تعمل على تأهيل المحبوسين خارج المؤسسة العقابية والذين لا يشكلون خطورة إجرامية على الأفراد أو على المجتمع ولا يتحدد مفهوم الإفراج المشروط إلا بتحديد تعريفه وشروطه

أولا: تعريف الإفراج المشروط

عرفه الدكتور عثامنية لخميسي بأنه تعليق تطبيق العقوبة قبل إنقضاء المدة المحكوم بها وتسريح المحكوم عليه نهائيا من المؤسسة العقابية مع تقييده بمجموعة من الشروط أو الإلتزامات (عثامنية لخميسي، 2012، ص 211، 2012)

ثانيا: شروط الإفراج المشروط

أقر المشرع الجزائري نظام الإفراج المشروط في القانون رقم 04/05 وأجاز للمحبوس الذي قضى فترة اختبار من مدة العقوبة المحكوم بها عليه أن يستفيد من الإفراج المشروط متى أثبت حسن سيرته وسلوكه وأظهر ضمانات جدية للإستقامة وحدد فترة الإختبار بالنسبة للمحكوم عليه المبتدئ بنصف العقوبة والمعتاد ثلثي العقوبة المحكوم بها على ألا تقل مدتها عن سنة أما بالنسبة للأشخاص المحكوم عليهم بالسجن المؤبد فحددت فترة الإختبار بالنسبة لهم بخمسة عشر15 سنة.

الفرع الثاني إجراءات طلب الإفراج المشروط الإفراج المشروط

يقدم طلب الإفرج المشروط إما من طرف المحبوس أو من ممثله القانوني أو بإقتراح من قاضي تطبيق العقوبات أو مدير المؤسسة العقابية للبحث فيه ويصدر قاضي تطبيق العقوبات قرار الإفراج إذا كان باقي العقوبة هو 24 شهرا أما إذا تجاوز باقي العقوبة 24 شهرا فإن الإختصاص يعود إلى وزير العدل طبقا للمادة 142 من القانون رقم 04/05 ويكون القرار الصادر عن قاضي تطبيق العقوبات بشأن الإفراج المشروط قابلا للطعن من قبل النائب العام في خلال ثمانية أيام من تاريخ تبليغه أمام لجنة تكييف العقوبات والتي تبت في الطعن المرفوع إليها خلال 24 يوما ويعتبر عدم البت خلال هذه المدة بمثابة رفض للطعن وبالتالي يصبح قرار الإفراج المشروط نافذا ومنتجا لكافة آثاره.

فالمشرع الجزائري ربط تقديم طلب الإفراج المشروط أن يكون بناء على طلب أو إقتراح في حين أن إعتبار الإفراج المشروط مرحلة من مراحل إعادة الإدماج الإجتماعي يقتضي أن يكون الإفراج المشروط بناء على دراسة حالة المحبوس ومدى تجاوبه مع برنامج الإصلاح ويقترح كبديل للعقوبة بإعتباره الأسلوب الأكثر نجاعة من أجل تحقيق التأهيل والإصلاح وإعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين، ومن جهة ثانية فإن ربط الإفراج المشروط بقضاء نصف المدة أو ثلث المدة لا يتماشى أيضا مع سياسة إعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين فكان من الأفضل أن يقرر الإفراج المشروط للمحبوس الذي ثبت تجاوبه بصورة كلية مع برنامج التأهيل والإصلاح بغض النضر عن باقي المدة. (عثامنية لخميسي، 2012، ص 212-113)

المطلب الثاني: الوضع في نظام الورشات الخارجية والحرية النصفية والرعاية الاجتماعية اللاحقة

يعد تنفيذ العقوبة أحد أهم مراحل العدالة الجنائية غير أن المشرع الجزائري أقر في بعض الحالات استثناءات تمكن من وضع المحبوس في نظام الورشات الخارجية إلى جانب ذلك أقر المشرع الجزائري نظام الحرية النصفية كألية تهدف إلى إعادة الإدماج الاجتماعي للمحكوم عليه في المجتمع قبل نهاية العقوبة وفق شروط محددة تضمن توازنا بين حق المجتمع في الأمن وحق الفرد في الفرصة الثانية ويعكس كلا النظامين تطور السياسة العقابية الجزائرية نحو نهج أكثر إنسانية.ولم يغفل عن نظام الرعاية الاجتماعية اللاحقة

الفرع الأول: الوضع في نظام الورشات الخارجية

من أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري الوضع في نظام الورشات الخارجية والتي تهدف إلى إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين ولقد حرص المشرع الجزائري على تنظيم الأحكام المتعلقة بها في القانون رقم 04/05

أولا: اجراءات نظام الوضع في الورشات الخارجية

يتم تخصيص اليد العاملة العقابية في الورشات الخارجية بناء على طلب الهيئة التي تريد الاستفادة منها أي الهيئات و المؤسسات العمومية و الخاصة هذا الطلب الذي يوجه الى قاضي تطبيق العقوبات و بعد استطلاع رأي لجنة تطبيق العقوبات و موافقتها له ان يصدر قرار الوضع و يشعر به المصالح المختصة بوزارة العدل كما يبرم مع الهيئة الطالبة لليد العاملة العقابية اتفاقية تحدد فيها الشروط العامة و الخاصة باستخدام اليد العاملة من المحبوسين و يوقع على الاتفاقية مدير المؤسسة العقابية و ممثل الهيئة الطالبة وفي هذه الاتفاقية يبين الاتي :

-أطراف الاتفاقية

-الجهة التي تتكلف بمصاريف النقل

-تغذية المحبوسين

-مدة العمل

التزامات صاحب العمل

- المراقبة

-الايواء والنقل

-ضمان التعويض عن الضرر المترتب عن حوادث العمل والامراض المهنية ومن جهة اخري يجب اخضاع أوقات وشروط تشغيل اليد العاملة العقابية للقوانين المطبقة على العمال الاحرار

-يمكن تخصيص الأجور والمكافئات من طرف الهيئة المستخدمة للعاملين المحبوسين فتودع لدى كتابة الضبط الخاصة بالمحاسبة التي تعين لكل محبوس المبالغ التي يستحقها أعوان العقابية التابع لها

-حراسة المحبوس المستفيد من العمل في الورشات الخارجية اثناء نقله في فترة عمله وخلال أوقات الراحة تقع على عاتق أعوان المؤسسة العقابية التابع لها

ثانيا: شروط الاستفادة من نظام الورشات الخارجية

يشترط في المحبوس الذي يوضع في نظام الورشات الخارجية ما يليّ:

- ان يكون محكوما عليه نهائيا بعقوبة سالبة للحرية
- المحبوس المبتدئ يجب ان يكون قد قضى مدة ثلثي العقوبة المحكوم بها نهائيا
- يجب ان يتسم المحبوس بحسن السيرة والسلوك وان يقدم ضمانات صلاح حقيقية
- يجب مراعاة القدرة الصحية أي الاستعداد البدني والنفسي ومدى احترام قواعد النظام والامن

وذلك بالنسبة للمحبوس الذي تكشف شخصيته وسلوكه الحسن داخل المؤسسة العقابية على جدارته بثقة تتيح له الاستفادة من مزايا هذا النظام

ثالثا: الاثار الناتجة عن الوضع في نظام الورشات الخارجية

يغادر المحبوس المؤسسة العقابية نهارا الى حيث تم وضعه لأداء العمل المتفق عليه وفي الوقت المتفق عليه أيضا

- يعود المحبوس الى المؤسسة العقابية عند انتهاء الوقت الرسمي للعمل
- يكون المحبوس تحت حراسة موظفي المؤسسة العقابية مع إمكانية مساهمة الجهة المستفيدة من خدمات المحبوس
- يحصل المحبوس على المقابل المادي لما بذله من جهد يحدد من قبل الجهتين المتعاقدتين ووفقا للتشريع المعمول به في هذا الخصوص
- يمكن ان يتحصل المحبوس على شهادة تكوين فيما لو كان أدائه في العمل ضمن هذه الشروط تسلم له هذه الشهادة عند الانتهاء من المهام المسندة اليه شرط ان لا يذكر أي شيء يشير او يؤكد بان المعني محبوس (بوراس منير، 2023، ص 155-186)

الفرع الثاني: الحرية النصفية

تعد الجرية النصفية أحد الأساليب العقابية التي اعتمدها المشرع الجزائري والتي نضم احكامها في القانون 04/05 والهدف منها هو إعادة الادماج الاجتماعي للمحبوسين

أولا: تعريف الحرية النصفية

الحرية النصفية هي وضع المحبوس المحكوم عليه نهائيا خارج المؤسسة العقابية خلال النهار دون حراسة او رقابة من إدارة المؤسسة العقابية ليعود اليها مساءا مع اخضاعه لمجموعة من الشروط والالتزامات

فهي من اهم الطرق لمراجعة العقوبة السالبة للحرية اذ انها تحصر سلب الحرية في الليل فقط ويبقى المحبوس يتمتع بكامل الحرية نهارا مع تقييدها ببعض الشروط التي تحدد من طرف المؤسسة العقابية والتي تهدف بالأساس للحفاظ على المحبوس وعلاقته بمحيطه

ثانيا: شروط نظام الحرية النصفية:

تتمثل شروط نظام الحرية النصفية في التشريع الجزائري في كل من:

-ان يكون المحبوس مبتدأ بقي على انقضاء عقوبته 24 شهر

- ان يكون المحبوس العائد قد قضى نصف العقوبة المحكوم بها عليه والذي بقي له من العقوبة مدة لا تزيد عن 24 شهر بقرار من قاضي تطبيق العقوبات بعد استشارة لجنة تطبيق العقوبات ويختار المصالح المختصة بوزارة العدل

- اذا أخل المحبوس المستفيد من الحرية النصفية بالالتزامات والشروط المحددة في قرار الاستفادة يأمر مدير المؤسسة العقابية ارجاعه فورا الى المؤسسة ويخطر قاضي تطبيق العقوبات بهذا الاجراء (عثامنية الخميسي، 2012، ص 210-211،)

الفرع الثالث: الرعاية الاجتماعية اللاحقة

تعد الرعاية الاجتماعية اللاحقة من اهم أساليب المعاملة العقابية التي تعمل على إعادة الادماج الاجتماعي للمحبوسين وقد اطرق المشرع الجزائري لأحكامها في القانون 04/05

حيث استحدثها المشرع الجزائري في وتدارك النقص الموجود في قانون تنظيم السجون

هو أسلوب يعمل على مساعدة المحبوس اجتماعيا بعد الافراج عنه وإعادة تأهيله اجتماعيا وذلك تجنبا لوقوعه في ارتكاب الأفعال الاجرامية ولا يمكن ان تنجح الا بمساهمة ومشاركة جميع مؤسسات الدولة والمجتمع المدني وذلك بتوفير الاليات القانونية والوسائل المادية والبشرية اللازمة (بوراس منير، 2023، ص190)

خاتمة :

وخلال هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

-أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري شهدت تطورا ملحوظا يعكس بين سعي الدولة إلى تحقيق التوازن بين الردع العام والخاص وضمان إحترام حقوق الإنسان فقد انتقل المشرع من التركيز على العقوبات الزجرية التقليدية إلى اعتماد تدابير إصلاحية وبديلة تهدف إلى إعادة إدماج المحبوسين وتقويم السلوك ومع ذلك لا تزال هناك تحديات عملية وقانونية خصوصا في ما يتعلق بتطبيق هذه الأساليب ميدانيا ومدى ملاءمتها للمعايير الدولية إن تطوير منظومة المعاملة العقابية يظل رهينا بإرادة سياسة واضحة وإصلاح مؤسساتي فعال يضمن العدالة ويحفظ كرامة الفرد

-هناك تنوع في أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري فهناك أساليب معاملة عقابية داخل المؤسسة العقابية وأخرى خارج المؤسسة العقابية وكلها تهدف إلى تنمية الفرد وتغيره إلى الأفضل أو ما يعرف بالإصلاح والتأهيل.

-المشرع الجزائري أعطى خصوصية في التعامل مع النساء والأحداث داخل المؤسسات العقابية نظرا لخصوصية هذه الفئة مما يسهم في نجاعة التأهيل والإصلاح لهذه الفئة.

-لاتزال بعض النصوص العقابية ذات طابع تقليدي وزجري محض مما يتطلب مراجعة تشريعية تراعي تطورات السياسة الجنائية الحديثة .

-على الرغم من تطبيق أساليب معاملة عقابية تهدف إلى التأهيل والإصلاح إلا أنه لا تزال مشكلة المجرمين المعتادين للإجرام مطروحة.

على ضوء النتائج التي تم التوصل إليها تم إيجاد جملة من المقترحات وهي كما يلي:

-من الضروري الإستمرار في تقييم فعالية هذه الأساليب والعمل على تحسينها بما يخدم أهداف السياسة الجنائية العادلة والناجعة.

-مراجعة العقوبات السالبة للحرية وتوجيه السياسة العقابية إلى سياسة علاجية إصلاحية بتوسيع العقوبات البديلة ومراجعة العقوبات البسيطة وإستبدالها بالعقوبات البديلة.

-تعزيز التكوين المستمر للقضاة وأعوان العدالة في مجال تطبيق أساليب المعاملة العقابية الحديثة خاصة في ما يتعلق بإعادة الإدماج والعدالة التصالحية .

-تفعيل دور مؤسسات إعادة الإدماج الإجتماعي للمحبوسين من خلال تحسين التأهيل المهني داخل المؤسسات العقابية وتوفير الدعم النفسي والإجتماعي.

-إعادة النظر في النصوص العقابية التقليدية التي تركز على الزجر دون مراعاة ظروف الجاني أو فرصة الإصلاح بما يتوافق مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان .

قائمة المراجع:

- القانون رقم:04/05 المتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين

-عثامنية الخميسي: 2012، السياسة العقابية في الجزائر على ضوء المواثيق الدولية لحقوق الانسان، دار هومه الجزائر -

- فتوح عبد الله الشادلي: 2007، شرح قانون العقوبات، دار الثقافة، ط1، الأردن.
- محمد عبد الله الوريكات: مبادئء بدون سنة نشر، علم العقاب، دار هزمة، الأردن.
- محمد صبحي نجم، 2008، أصول علم الإجرام وعلم العقاب، دار الثقافة، الأردن.
- إسحاق إبراهيم منصور، 1997، موجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمود نجيب حسني، 1967، علم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة.
- محمد زكي أبو عامر، 1993، قانون العقوبات، الدار الجامعية، الإسكندرية.
- بوراس منير: 2023، أساليب المعاملة العقابية في التشريع الجزائري، المجلد السابع العدد 1، المجلة الاكاديمية للبحوث القانونية والسياسية الجزائر
- حياة نوراني، 2021، نظام الفترة الأمنية للمحبوس في البيئة المغلقة، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.

The international protection of the environment in the context of sustainable urban planning: Towards the integration of international and national norms to achieve sustainable environmental development

OUHAMMOU Tarik
Regional center for education and training professions,
Drâa-Tafilalet region, Errachidia,
Visiting professor, multidisciplinary faculty, Errachidia, Morocco
ouhammoutarik,fpe@gmail,com

Abstract :

The world is increasingly facing environmental challenges driven by unsustainable urban expansion. In response, the international community has established a legal framework through various agreements and the 2030 Agenda for Sustainable Development. These instruments seek to guide national policies toward sustainable urban planning by integrating environmental considerations into development strategies.

However, the alignment between international commitments and national urban regulations remains limited. This gap is linked to weak implementation, insufficient monitoring mechanisms, and poor coordination among stakeholders. Overcoming these challenges requires stronger legal frameworks, enhanced institutional capacities, and practical tools to ensure that principles of environmental protection are effectively enforced in urban development.

Keywords:
sustainable urban planning – unsustainable urban expansion – international environmental protection – sustainable development – environmental dimension – international environmental law – sustainable urban development.

كتاب وقائع برنامج المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الحماية الدولية للبيئة في سياق التعمير المستدام: نحو تكامل القواعد الدولية والوطنية لتحقيق التنمية البيئية المستدامة

وحموا طارق

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة درعة تافيلالت الرشيدية

أستاذ زائر بالكلية متعددة التخصصات بالرشيدية – المغرب

ouhammoutarik,fpe@gmail,com

الملخص:

يشهد العالم تحديات بيئية متصاعدة بفعل التوسع العمراني غير المستدام، ما دفع المجتمع الدولي إلى إرساء منظومة قانونية دولية لحماية البيئة، تجسدت في اتفاقيات متعددة وأجندة 2030، بهدف توجيه السياسات الوطنية نحو تعمير مستدام يوازن بين التنمية والحفاظ على البيئة، خصوصا عبر إدماج البعد البيئي في التخطيط العمراني. ورغم هذا الزخم الدولي، يظل السؤال الجوهري مطروحا حول مدى إمكانية تحقيق تكامل فعلي بين القواعد الدولية والوطنية بما يضمن حماية البيئة ويعزز التنمية العمرانية المستدامة.

غير أن هذا التكامل يصطدم بعدة تحديات عملية وقانونية، أبرزها ضعف التنزيل الفعلي للالتزامات الدولية داخل السياسات الوطنية، وغياب آليات فعالة للمراقبة والتقييم، إضافة إلى قصور التنسيق بين الفاعلين المؤسساتيين. الأمر الذي يجعل الحاجة ملحة اليوم إلى تعزيز الإطار القانوني الوطني، وبناء القدرات المؤسساتية، واعتماد آليات ناجعة للتنفيذ والمتابعة، بما يكفل التفعيل الواقعي لمبادئ الحماية البيئية ويؤسس لسياسات تعمير مستدام قادرة على مواجهة رهانات الحاضر والمستقبل.

الكلمات المفتاحية:

التعمير المستدام – التوسع العمراني غير المستدام – الحماية الدولية للبيئة – التنمية المستدامة – البعد البيئي– القانون الدولي البيئي – التنمية العمرانية المستدامة

كتاب وقائع برنامج المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة

أصبحت البيئة في العقود الأخيرة إحدى القضايا المركزية في النقاش الدولي، نظرا لتزايد التحديات المرتبطة بالتغيرات المناخية، التصحر، التلوث، والنمو الحضري المتسارع. وقد أفرز هذا الواقع وعيا جماعيا بضرورة إيجاد حلول مستدامة قادرة على تحقيق توازن بين متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والحفاظ على التوازنات البيئية من جهة أخرى.

وفي هذا السياق، برز مفهوم التعمير المستدام كخيار استراتيجي لتحقيق هذا التوازن، عبر إدماج البعد البيئي في مختلف مراحل التخطيط الحضري وإدارة المجال. إلا أن بلوغ هذا الهدف يظل رهينا بوجود تكامل بين القواعد الدولية لحماية البيئة والتشريعات الوطنية التي تنظم التعمير والتنمية الحضرية. وهو ما دفع المجتمع الدولي إلى إرساء منظومة قانونية لحماية البيئة، تتجلى في اتفاقيات دولية متعددة وأجندة 2030. وتكمن أهمية هذه الأدوات الدولية في قدرتها على توجيه السياسات الوطنية نحو تعمير مستدام يراعي التوازن بين التنمية والحفاظ على البيئة، خاصة من خلال إدماج البعد البيئي في التخطيط العمراني.

غير أن هذا التوجه نحو تكامل القواعد يواجه عدة تحديات قانونية تحول دون تفعيله على أرض الواقع. ومن أبرزها ضعف التنزيل الفعلي للالتزامات الدولية داخل السياسات الوطنية، وغياب آليات فعالة للمراقبة والتقييم، فضلا عن قصور التنسيق بين الفاعلين المؤسساتيين. حيث تبرز الحاجة اليوم إلى إرساء تكامل حقيقي بين القانون الدولي والقانون الوطني في مجال التعمير، من خلال تعزيز الإطار القانوني، وبناء القدرات المؤسساتية، واعتماد آليات تنفيذ ومتابعة تضمن التفعيل الواقعي لمبادئ الحماية البيئية وتحقيق تنمية عمرانية مستدامة.

تنبع أهمية هذا الموضوع من التحديات البيئية العالمية المتزايدة التي تفرض على الدول إعادة النظر في سياساتها التعميرية من منظور بيئي مستدام. فالتعمير، باعتباره رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، أصبح مسؤولا أيضا عن جزء كبير من التأثيرات البيئية السلبية، مثل التلوث، استنزاف الموارد، والضغط على النظم البيئية. في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى تكامل فعال بين القواعد الدولية لحماية البيئة والتشريعات الوطنية المتعلقة بالتعمير، بهدف تحقيق تنمية بيئية متوازنة تراعي مصالح الأجيال الحالية والقادمة، وتضمن العيش في بيئة سليمة ومحمية.

ويقتضي تناول موضوع العلاقة بين البيئة والتعمير المستدام الانطلاق من تحليل الإطار القانوني الدولي المؤطر لحماية البيئة، لما يتضمنه من مبادئ وأحكام ذات طبيعة إلزامية أو توجيهية تشكل مرجعية أساسية للدول في وضع سياساتها العمرانية. ويستدعي ذلك، في مرحلة ثانية، رصد الكيفية التي يتم بها تنزيل هذه المبادئ على المستوى الوطني ضمن السياسات والاستراتيجيات المرتبطة بالتعمير، مع الوقوف عند حدود فعاليتها العملية. كما يطرح النقاش إشكالية مدى انسجام أو تعارض القواعد الدولية مع التشريعات الوطنية في مجال التعمير البيئي، وهو ما يثير الحاجة إلى دراسة مظاهر التكامل أو التنازع بين المستويين الدولي والوطني. وانطلاقا من هذا التشخيص، تبرز أهمية صياغة توصيات عملية وقانونية من شأنها تعزيز المواءمة بين التشريع الوطني والالتزامات البيئية الدولية، بما يكفل بناء منظومة قانونية متكاملة وقادرة على تحقيق غايات التعمير المستدام.

ورغم تعدد الاتفاقيات الدولية الهادفة إلى حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، إلا أن الإشكال الجوهري يتمثل في: **كيف يمكن تحقيق تكامل فعال بين القواعد الدولية لحماية البيئة والتشريعات الوطنية في مجال التعمير، بما يسهم في إرساء نموذج للتنمية البيئية المستدامة يوازن بين متطلبات التعمير وضرورات الحفاظ على البيئة؟**

وهذه الإشكالية تفتح المجال لتحليل مدى تأثير الإطار الدولي على السياسات العمرانية الوطنية، ويشكل البحث في هذا الإطار مدخلا أساسيا لفهم التفاعل بين القانون الدولي والوطني في سياق التعمير المستدام. للتعامل مع هذه الإشكالية، اعتمدنا منهجا تحليليا مقارنا، يقوم على استقراء النصوص الدولية والوطنية، وتحليل أوجه التكامل بينها، مع استحضار بعض النماذج التطبيقية. من خلال المحاور التالية :

المحور الأول: الحماية الدولية للبيئة كأساس لتعمير مستدام

المحور الثاني: القواعد الوطنية كترجمة للالتزامات الدولية في مجال التعمير

المحور الثالث: نحو تكامل القواعد الدولية والوطنية لتحقيق تنمية بيئية مستدامة

المحور الأول: الحماية الدولية للبيئة كأساس للتعمير المستدام

يكتسي موضوع الحماية الدولية للبيئة أهمية بالغة في ظل التحولات المناخية والضغوط التنموية المتزايدة، إذ أضحى يشكل أحد الركائز الجوهرية لتحقيق تعمير مستدام يوازن بين متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحتمية الحفاظ على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة. ولئن كان الإطار القانوني الدولي قد أرسى منظومة من المبادئ والالتزامات التي توجه السياسات الوطنية في هذا المجال، فإن تفعيلها العملي يبقى رهينا بمدى قدرة الدول على إدماجها ضمن استراتيجياتها العمرانية، بما يضمن الانسجام بين البعد البيئي ومتطلبات التعمير.

أولا : المرجعية الدولية لحماية البيئة

لقد ساهمت المؤتمرات والاتفاقيات الدولية في بلورة الإطار القانوني الدولي للبيئة، بدءا من إعلان ستوكهولم 1972 الذي أكد على حق الإنسان في بيئة سليمة، مرورا بتقرير لجنة برونتلاند 1987 الذي صاغ مفهوم التنمية المستدامة باعتبارها " تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية حاجاتها" كما شكل مؤتمر ريو 1992 محطة محورية من خلال "أجندة 21"، التي دعت إلى إدماج البعد البيئي في السياسات العمرانية، وصولا إلى اتفاق باريس 2015 الذي ركز على تقليص الانبعاثات الغازية، وما يترتب عن ذلك من تحولات في أنماط التعمير والنقل والطاقات البديلة.

1- إعلان ستوكهولم 1972: تكريس حق الإنسان في بيئة سليمة

مع تزايد آثار التلوث والتدهور البيئي في ستينيات القرن العشرين، أدرك المجتمع الدولي أن حماية البيئة لم تعد مسألة محلية بل قضية عالمية تمس حق الإنسان في الحياة الكريمة. وفي هذا السياق انعقد مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة البشرية بمدينة ستوكهولم سنة 1972، الذي خرج بـ"إعلان ستوكهولم" كأول وثيقة دولية تؤسس لفكرة أن البيئة السليمة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأساسية.

وقد تضمن الإعلان 26 مبدأ، كان أبرزها المبدأ الأول الذي نص صراحة على أن للإنسان الحق في بيئة تسمح له بالعيش بكرامة ورفاهية. كما أكد الإعلان على: ضرورة الموازنة بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة. ومسؤولية الدول المشتركة في حماية الموارد الطبيعية. ثم اعتبار التلوث خطرا عابرا للحدود يستوجب تعاونا دوليا. كما شكل الإعلان خطوة أولى نحو بلورة القانون الدولي للبيئة. ومهد الطريق لإعلانات واتفاقيات لاحقة مثل إعلان ريو 1992 واتفاقية باريس 2015.

دفع العديد من الدول إلى إدراج الحق في بيئة سليمة في دساتيرها وتشريعاتها. فالمغرب مثلا نص في دستور 2011 (الفصل 31) على حق المواطنات والمواطنين في بيئة سليمة والتنمية المستدامة. ورغم قيمته الرمزية، واجه الإعلان بعض الانتقادات أهمها: غياب آليات إلزامية للتنفيذ، وتضارب أولويات الدول الصناعية والنامية بين حماية البيئة وتحقيق التنمية.

وقد مثل إعلان ستوكهولم 1972 منعطفا تاريخيا في مسار حماية البيئة، إذ وضع الأساس لمبدأ "حق الإنسان في بيئة سليمة" باعتباره شرطا جوهريا للتمتع بباقي حقوق الإنسان. وبرغم محدودياته، فقد أسس لوعي عالمي بضرورة تحقيق تنمية تراعي التوازن بين الإنسان والطبيعة.

2- تقرير لجنة برونتلاند 1987 ومفهوم التنمية المستدامة

في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، تصاعدت المخاوف الدولية بشأن التدهور البيئي وارتفاع معدلات الفقر وعدم المساواة في العالم، وهو ما دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إنشاء "اللجنة العالمية للبيئة والتنمية" سنة 1983 برئاسة غرو هارلم برونتلاند، رئيسة وزراء النرويج آنذاك. وقد صدر عن هذه اللجنة سنة 1987 تقرير شهير بعنوان "مستقبلنا المشترك"، عرف لاحقا بتقرير برونتلاند، والذي رسخ لأول مرة مفهوم التنمية المستدامة بشكل واضح وشامل.

عرف التقرير التنمية المستدامة بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها". بهذا التعريف، جمع التقرير بين البعدين الاقتصادي والاجتماعي من جهة، والبعد البيئي من جهة أخرى، مؤكدا أن حماية البيئة ليست عائقا أمام التنمية، بل شرطا أساسيا لاستمراريتها.

من بين أبرز القضايا التي عالجها التقرير: استنزاف الموارد الطبيعية، التغير المناخي، التصحر، تلوث المياه والهواء، إضافة إلى مشكلات الفقر والاختلالات في توزيع الثروات. وقد شدد على أن معالجة هذه القضايا تتطلب تعاونا دوليا وسياسات وطنية متكاملة تجمع بين النمو الاقتصادي، العدالة الاجتماعية، والحفاظ على البيئة.

أهمية تقرير برونتلاند تكمن في كونه أول وثيقة أممية منحت بعدا قانونيا وأخلاقيا لمفهوم التنمية المستدامة، كما أنه شكل مرجعاً أساسيا للمؤتمرات الدولية اللاحقة، وعلى رأسها مؤتمر ريو 1992 الذي تبنى مفهوم التنمية المستدامة كإطار شامل للتنمية العالمية.

خلاصة القول، أن تقرير لجنة برونتلاند لسنة 1987 نقل النقاش البيئي من مستوى التحذيرات التقنية إلى مستوى سياسي واستراتيجي عالمي، إذ جعل من التنمية المستدامة رؤية متكاملة لتحقيق التوازن بين الإنسان والطبيعة، بين الحاضر والمستقبل، وبين العدالة الاجتماعية وحماية البيئة.

3- مؤتمر ريو 1992 وإدماج البعد البيئي في السياسات العمرانية

انعقد مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية بمدينة ريو دي جانيرو سنة 1992، وعرف باسم "قمة الأرض". جاء هذا المؤتمر بعد مرور عشرين سنة على إعلان ستوكهولم 1972، ليؤكد أن التحديات البيئية أصبحت أكثر خطورة، خصوصاً مع التوسع العمراني السريع، وتدهور الموارد الطبيعية، وارتفاع معدلات التلوث. ومن هنا برزت الحاجة إلى إدماج البعد البيئي في السياسات العمرانية كشرط أساسي لتحقيق التنمية المستدامة.

أبرز ما خرج به المؤتمر هو إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية الذي كرس مبدأ التنمية المستدامة، مع التأكيد على مسؤولية الدول في الموازنة بين متطلبات النمو الاقتصادي والحفاظ على البيئة. كما تم اعتماد جدول أعمال القرن 21 (Agenda 21)، وهو برنامج عمل عالمي دعا إلى تطوير سياسات عمرانية مستدامة، الحد من التلوث في المدن، تحسين ظروف السكن، وتعزيز مشاركة المجتمعات المحلية في صنع القرار الحضري. إلى جانب ذلك، أفرز المؤتمر عددا من الاتفاقيات المهمة، أبرزها الاتفاقية الإطارية بشأن التغير المناخي، واتفاقية التنوع البيولوجي، وهما اتفاقيتان لهما أثر مباشر على السياسات العمرانية من خلال إلزام الدول باتباع معايير جديدة في التخطيط الحضري تراعي حماية الموارد والأنظمة البيئية.

لقد شدد مؤتمر ريو على أن التوسع العمراني إذا لم يكن منظماً ومراعيا للبعد البيئي، فإنه سيؤدي إلى اختلالات بيئية وصحية خطيرة. لذلك دعا إلى اعتماد التهيئة الحضرية المستدامة، إدماج دراسات التأثير البيئي في كل المشاريع العمرانية الكبرى، وتطوير المدن الذكية والصديقة للبيئة.

وقد انعكست توصيات ريو على عدد من التشريعات الوطنية، حيث سارعت دول كثيرة إلى مراجعة قوانين التعمير. وفي المغرب مثلا، تم اعتماد قوانين جديدة خاصة بدراسات التأثير على البيئة وربطها بالمشاريع العمرانية، في انسجام مع الالتزامات الدولية الهادفة إلى بناء مدن أكثر استدامة.

خلاصة القول، مثل مؤتمر ريو 1992 منعطفا أساسيا في التفكير العالمي حول العمران، إذ لم يعد ينظر إلى المدينة باعتبارها مجرد مجال للسكن والأنشطة الاقتصادية، بل كفضاء ينبغي أن يخطط له في إطار مقاربة

شمولية تراعي التوازن بين الإنسان والطبيعة. وبذلك أصبح إدماج البعد البيئي في السياسات العمرانية ركنا من أركان التنمية المستدامة.

4- اتفاق باريس 2015 وتقليص الانبعاثات الغازية

انعقد مؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغير المناخي (COP21) في العاصمة الفرنسية باريس ما بين 30 نونبر و12 دجنبر 2015، وخرج العالم بـ اتفاق باريس الذي يعتبر محطة تاريخية في مسار مكافحة التغير المناخي. فقد جمع المؤتمر ممثلي أكثر من 190 دولة، اتفقوا لأول مرة على التزامات واضحة وملزمة تهدف إلى تقليص الانبعاثات الغازية المسببة للاحتباس الحراري.

كما ركز الاتفاق على الحد من ارتفاع درجة حرارة الأرض بحيث لا تتجاوز درجتين مئويتين مقارنة بمستويات ما قبل الثورة الصناعية، مع بذل الجهود لحصر الارتفاع في حدود 1.5 درجة. ولتحقيق هذا الهدف، ألزم الاتفاق الدول بتقديم مساهمات وطنية محددة تتعلق بتقليص انبعاثاتها من الغازات الدفيئة، ومراجعتها كل خمس سنوات بشكل تصاعدي.

وإلى جانب تقليص الانبعاثات، تناول الاتفاق قضايا أخرى مرتبطة بالعدالة المناخية، مثل: دعم الدول النامية بالتمويل والتكنولوجيا وبناء القدرات لمواجهة التغير المناخي. وتعزيز التكيف مع آثاره، خاصة في المناطق الأكثر هشاشة. وكذلك إرساء آلية للشفافية والمساءلة تمكن من تتبع التقدم المحقق.

وتكمن أهمية اتفاق باريس في كونه أول اتفاق عالمي شامل يجمع بين جميع الدول حول هدف واحد هو مواجهة التغير المناخي عبر خفض الانبعاثات الغازية. وقد اعتبر خطوة متقدمة مقارنة بالاتفاقيات السابقة مثل بروتوكول كيوتو 1997، لأنه ألزم الجميع بتحمل المسؤولية وفق مبدأ "المسؤوليات المشتركة لكن المتباينة".

ورغم التحديات التي تعترض تنفيذه، يظل اتفاق باريس 2015 إطاراً مرجعيا لمكافحة الاحتباس الحراري وتحقيق انتقال طاقي عالمي نحو اقتصاد منخفض الكربون، بما يضمن حماية كوكب الأرض للأجيال القادمة.

ثانيا : دور الأمم المتحدة في تعزيز خطة التنمية البيئية المستدامة

تلعب الأمم المتحدة دورا مهما في دعم البلدان لأجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال تعزيز واعتماد خطط دولية تتطلب تحقيق الأهداف التنموية بشراكة بين الحكومات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية على حد سواء للتأكد من أننا نترك كوكبنا أفضل للأجيال القادمة. ويتم تجسيد هذه الخطط

في إطار مجموعة من مؤتمرات تتيح مبادئ أساسية وبرامج عمل لتحقيق التنمية المستدامة. كما تلزم الدول لتحقيق الأهداف الإنمائية المتفق عليها دوليا. فهي عبارة عن التزام سياسي متجدد من أجل التنمية المستدامة لتقييم التقدم المحرز وثغرات التنفيذ في الوفاء بالالتزامات السابقة ولمواجهة التحديات الجديدة والناشئة. ومن هذه التحديات نجد تحقيق أهداف التنمية العمرانية المستدامة، حيث عقدت مؤتمرات أممية عززت مسلسل التنمية المستدامة للمدن، بالإضافة لنهج خطة دولية لإدماج أهداف التنمية المستدامة في التنمية العمرانية.

1- مؤتمرات الموئل للأمم المتحدة الخاصة بالمدن والمستوطنات البشرية

يلعب برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية من خلال تعاونها مع "موئل الأمم المتحدة" دورا مهما في جعل المدن قوة لتحقيق الرهانات البيئية وإيجاد مدن مدمجة ومتكاملة ومتصلة فيما بينها. ويبرز هذا التعاون الطويل الأمد في مجال التعمير المستدام الذي يتم تنفيذه بمشاريع مختلفة كان آخرها الشراكة المعنية بالمدن الخضراء. ويدعم برنامج الأمم المتحدة للبيئة المدن في جميع أنحاء العالم في معالجة آثار المناخ وإدماج البيئة في التخطيط العمراني طويل الأجل من خلال ثلاثة مجالات ذات أولوية وهي: الاقتصاد، والتكيف القائم على الطبيعة، والمناخ والتلوث. وفي هذا الإطار لعبت مؤتمرات الموئل للأمم المتحدة الخاصة بالمدن والمستوطنات البشرية دورا مهما في ترسيخ مبادئ الاستدامة في التعمير

تنظم مؤتمرات الموئل للأمم المتحدة مرة واحدة كل 20 سنة بشراكة مع مختلف الفاعلين والمهتمين على الصعيد الدولي، وفي هذا الشأن تم تنظيم الموئل الأول سنة 1976 بفانكوفر بكندا، ثم بعده سنة 1996 مؤتمر الموئل الثاني باسطنبول، وبعده الموئل الثالث سنة 2016 بكيتو الإكوادور.

ويهدف تنظيم هذه المؤتمرات تشجيع بناء مدن مستدامة وجعلها مفتوحة للجميع مع تحسين أدوارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتماشيا مع مقتضيات الميثاق العالمي للحق في المدينة من أجل بناء موئل يتلاءم مع حقوق الانسان، ووضع سياسة عمرانية جديدة لبناء وتعمير مدن تستوفي مقومات الاستدامة اجتماعيا وبيئيا. وتخطيط المدن بحكامة جيدة توفر مساكن وبنية تحتية كافية وضمان حصول الجميع على خدمات أساسية كالماء والطاقة ومرافق صحية...

1-1 الموئل الأول بفانكوفر كندا 1976

كان مؤتمر الأمم المتحدة الأول للمستوطنات البشرية الذي عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في فانكوفر بكندا (الموئل الأول)، في الفترة من 31 مايو إلى 11 يونيو 1976، بداية اعتراف الحكومات بالحاجة إلى

المستوطنات البشرية المستدامة ومواجهة عواقب التحضر السريع المؤثر سلبيا على بناء المدن، خاصة في العالم النامي. حيث كان المجتمع الدولي يشهد أكبر وأسرع هجرة بشرية إلى المدن والبلدات في التاريخ بالإضافة إلى زيادة عدد سكان الحضر. وتبين أن ظروف المستوطنات البشرية تؤثر بشكل مباشر على التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية وأنه من الممكن للتوسع الحضري العشوائي أن يخلق آثارا بيئية حادة.

وفي هذا الشأن قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بدعوة مختلف الدول الأعضاء ومنظمات المجتمع المدني إلى هذا المؤتمر من أجل التباحث حول أفضل الطرق للتعامل مع تحديات النمو العمراني العشوائي، وتم التوصل إلى "إعلان فانكوفر للمستوطنات البشرية"، وإقامة "مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية " والذي تحول فيما بعد إلى "برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية" أو "موئل الأمم المتحدة".

وتم التركيز في إعلان فانكوفر على تبني خطة عمل تحدد الاستراتيجيات الأولى على المستوى الدولي للتعامل مع قضايا النمو الحضري والسيطرة عليها. حيث يربط التوسع الحضري كل من المخاوف السياسية، والمكانية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية والبيئية مع بعضها البعض... مما يدل على تشابك العلاقة بين مختلف المشاكل العمرانية، وبذلك فإن المبادرات التي تبنتها الحكومات في أعقاب المؤتمر تناولت ظاهرة التوسع العمراني من وجهة نظر تقنية بحتة.

ومن التوصيات والنتائج التي تم التوصل إليها حث الحكومات على تطوير استراتيجيات وسياسات وطنية للتعامل مع استخدام وحيازة الأراضي، والنمو السكاني، والبنية التحتية، والخدمات الأساسية وتوفير الإسكان والتوظيف اللائقين، مع الأخذ في الاعتبار الأبعاد البشرية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية وكذلك احتياجات المجموعات السكانية المحرومة والمهمشة (United Nations. 1976).

2-1 الموئل الثاني بإسطنبول تركيا 1996

بعد مرور عشرين عاما على الموئل الأول، انعقد مؤتمر الأمم المتحدة الثاني للمستوطنات البشرية (الموئل الثاني) في الفترة من 3 إلى 14 يونيو 1996 في إسطنبول بتركيا. ومن أهداف المؤتمر معالجة موضوعين رئيسيين يتعلقان ب "السكن الملائم للجميع" و" ضمان التنمية الصحيحة للمستوطنات البشرية في عالم يتطور حضريا".

واستند الموئل الثاني على نتائج المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة عام 1994، والتي جعلت من تحقيق استقرار النمو السكاني العالمي أولوية. وأخذ الموئل الثاني هذه القضية إلى أبعد من ذلك من خلال

النظر في السبب الجذري للنمو الحضري، ألا وهو الزيادة في عدد السكان. وقد اعتمد هذا المؤتمر الثاني إعلان اسطنبول وجدول أعمال الموئل، الذي التزمت الحكومات بموجبه بتحقيق أهداف الإسكان الملائم للجميع والمستوطنات البشرية المستدامة.

وصدر عن هذا المؤتمر "إعلان اسطنبول حول المستوطنات البشرية"، أو "أجندة الموئل"، الكثير من التوصيات أكدت على توصيات الموئل الأول وركزت على موضوع التنمية المستدامة. وتم اقتراح عدد من الاستراتيجيات التي تستهدف معالجة الظروف العمرانية وربطها بالاستدامة والتي شملت: التخطيط الاستراتيجي وزيادة الاستثمار المالي المحلي والدولي ودعم الحكم المحلي. والدعوة إلى زيادة مشاركة المنظمات المجتمعية والقطاع الخاص والمهنيين والأكاديميين في الشأن العمراني.

وضمن ما تم التأكيد عليه في إعلان اسطنبول للمستوطنات البشرية (الموئل الثاني) وجدول أعمال الموئل : اعتراف الحكومات المشاركة بالتدهور العالمي في أوضاع المأوى والمعيشة، والتي تمثل نسبا كارثية في العديد من دول العالم النامي. مما نتج عنه إصدار جدول أعمال الموئل.

وللتحسين من جودة الحياة في المناطق الحضرية والمستوطنات البشرية حدد جدول أعمال الموئل عدة مجالات جوهرية ضرورية من أجل التطور الحضري الفعال، على سبيل المثال التخطيط الحضري المناسب والوصول إلى الخدمات الأساسية، والبنية التحتية والإسكان الملائم. مع الأخذ في الاعتبار الأمور الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والروحية والبيئية (https://unhabitat.org/ar/node/2971).

ويعتبر الموئل الثاني الإطار الأساسي للتنمية المستدامة للمستوطنات البشرية، وبذلت العديد من الحكومات مجهودات للالتزام بمخرجاته، ورغم ذلك لا تزال هناك عوائق كثيرة وتحديات تواجه التنمية المستدامة للمستوطنات البشرية بسبب عدم إدراج عنصر الاستدامة وعنصر الحق في المدينة في عمليات التوسع العمراني.

2- مؤتمر الأمم المتحدة للإسكان والتنمية الحضرية المستدامة كيتو الإكوادور 2016

يعتبر الموئل الثالث أول قمة عالمية للأمم المتحدة بعد اعتماد خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وأهداف التنمية المستدامة. تم تنظيمه في كيتو بالإكوادور 17-20 أكتوبر سنة 2016، حيث تمت مناقشة التحدي المهم المتمثل في كيفية تخطيط المدن والبلدات والقرى وإدارتها من أجل أداء دورها كمحركات للتنمية المستدامة، وبالتالي المساعدة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وتغير المناخ.

2-1 الموئل الثالث وظهور الحق في المدينة ووضع خطة عالمية جديدة للعمران

لم يكن التقدم الذي تم إحرازه خلال العشرين عاماً الماضية كافياً لمعالجة التحديات الجديدة التي برزت على الساحة، أهمها التحديات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ويتجلى قصور هذه الرؤية في سوء تخطيط المشاريع والتنمية غير المستدامة، وكلها مشكلات لا تستطيع المدن التي تعرف توسعا عمرانيا سريعا تحمل تكلفتها.

وفي وقت كان التحضر المستدام فيه أمرا ضروريا، اعتبر نموذجا حضريا جديدا ضروريا. وهكذا، في الموئل الثالث، تم اعتماد جدول الأعمال الحضري الجديد وإعلان كيتو بشأن المدن والمستوطنات البشرية للجميع. وقد أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة لاحقا في جلستها العامة الثامنة والستين من الدورة الحادية والسبعين في 23 ديسمبر 2016. ويمثل جدول الأعمال الحضري الجديد رؤية مشتركة لمستقبل أفضل وأكثر استدامة. وخلال مؤتمر الموئل الثالث في كيتو وفي إطار التعاون بين الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو، قدم لهذه الأخيرة فرصة قيمة لتسليط الضوء على أهمية الإدماج والتنوع في إنجاز التنمية الحضرية المستدامة. وقام التحالف الدولي للمدن المستدامة الشاملة للجميع التابع لليونسكو، أثناء إعداد هذه الوثيقة الهامة، بتعزيز الإدماج الاقتصادي والاجتماعي والبيئي والتنوع في المدن (https://ar.unesco.orga). حيث نشرت خلال المؤتمر أوراق عمل استشرافية من سبعة تحالفات إقليمية ووطنية وهي : أفريقيا، آسيا والمحيط الهادي، المنطقة العربية، أمريكا اللاتينية والكاريبي، التحالف الأوروبي للمدن لمناهضة العنصرية ، كندا ثم الولايات المتحدة الأمريكية.

2-2 الالتزام العالمي بالتوسع العمراني المستدام

تم عقد مؤتمر الموئل الثالث لتجديد الالتزام العالمي بالتوسع العمراني المستدام وتشجيع الدول على اعتماد خطة عالمية جديدة للعمران، على أساس أن تكون هذه الخطة وفق جدول أعمال أهداف الموئل الثاني والمتمثلة في ضمان توفير مأوى للجميع، وأن يتم توجيه مفهوم المستوطنات والتجمعات السكنية نحو الاستدامة لمواجهة تحديات التوسع العمراني. ومن أهداف الموئل الثالث نجد : تجديد الالتزام السياسي بالتنمية الحضرية المستدامة، اتخاذ قرار بشأن الدعم الذي تستمده أهداف التنمية المستدامة من التوسع العمراني المستدام، تعزيز الابتكارات اللازمة لمعالجة ظاهرة التحضر كإحدى أهم التحولات في القرن الحادي والعشرين (www.escwa.un.org).

والتزمت الدول الأعضاء في إعلان كيتو بالعمل من أجل إحداث نقلة نوعية حضرية لأجندة حضرية جديدة من شأنها: إعادة معالجة الطرق التي يتم بها تخطيط وتمويل وتطوير وإدارة المدن والمستوطنات البشرية، مع الاعتراف بالتنمية الحضرية والإقليمية المستدامة باعتبارها ضرورية لتحقيق التنمية المستدامة والازدهار للجميع؛ وهذا لن يتأتى إلا بالاعتراف بالدور الرائد للحكومات الوطنية، حسب الاقتضاء، بتحديد وتنفيذ سياسات وتشريعات حضرية شاملة وفعالة من أجل التنمية الحضرية المستدامة، والمساهمات التي لا تقل أهمية من الحكومات الوطنية والمحلية، فضلا عن المجتمع المدني وأصحاب المصلحة الآخرين ذوي الصلة، بطريقة شفافة وخاضعة للمساءلة (United Nations. 2016) ؛ ولأجل تحقيق هذه النقلة التزمت الدول كذلك اعتماد نهج مستدامة تركز على الناس وتراعي السن ونوع الجنس في التنمية الحضرية والإقليمية من خلال تنفيذ السياسات والاستراتيجيات وتنمية القدرات والإجراءات على جميع المستويات، على أساس الدوافع الأساسية للتغيير.

المحور الثاني : القواعد الوطنية كترجمة للالتزامات الدولية البيئية المستدامة في مجال التعمير

أصبح التعمير المستدام ضرورة ملحة في ظل التحديات البيئية العالمية، حيث تفرض الاتفاقيات الدولية على الدول اتخاذ تدابير لحماية البيئة وضمان استغلال الموارد الطبيعية بشكل متوازن. وتعكس القواعد الوطنية هذا الالتزام الدولي من خلال وضع أطر قانونية وتنظيمية تهدف إلى دمج البعد البيئي في سياسات التعمير، بما يحقق التنمية المستدامة ويحافظ على حقوق الأجيال الحالية والمقبلة.

أولا : إدماج المرجعية الدولية في التشريع الوطني

كرست دساتير عدة دول الحق في بيئة سليمة، كما هو الحال في الدستور المغربي 2011 (الفصل 31 والفصل 35). وتم إصدار قوانين إطار للبيئة مثل القانون 99.12 المتعلق بالميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة.

1- دور دستور المغرب 2011 في الحماية البيئية المستدامة

أرسى دستور المغرب 2011 قواعد متقدمة لحماية الحقوق الأساسية، من بينها الحق في بيئة سليمة، باعتباره جزءًا لا يتجزأ من حق المواطنين في حياة كريمة وتنمية مستدامة. ويتماشى هذا الحق مع المعايير الدولية لحماية البيئة، حيث تؤكد الاتفاقيات الدولية على ضرورة توازن التنمية الاقتصادية مع الحفاظ على الموارد

الطبيعية للأجيال القادمة. إن إدماج البعد البيئي في التخطيط العمراني يعكس التزام المغرب بمبدأ التعمير المستدام.

وينص الدستور المغربي على حماية البيئة في عدة مواد، أبرزها: المادة 31 حيث تكفل الدولة العيش في بيئة سليمة وتعمل على ترسيخ التنمية المستدامة. كما يشير الدستور إلى أن التنمية لا تتحقق إلا من خلال احترام البيئة، مما يربط بين الحقوق الفردية والمسؤولية البيئية الجماعية.

وينسجم الحق الدستوري المغربي مع المبادئ الدولية للبيئة، من أبرزها: مبدأ التنمية المستدامة (تلبية حاجات الحاضر دون الإضرار بحقوق الأجيال القادمة)، مبدأ الوقاية (منع التدهور البيئي قبل وقوع الضرر)، ثم مبدأ المسؤولية المشتركة (مسؤولية كل دولة عن حماية البيئة محليا ودوليا). كما يشارك المغرب في عدد من الاتفاقيات الدولية، مثل اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لتغير المناخ واتفاقية التنوع البيولوجي، لتعزيز الحماية البيئية وفق المعايير العالمية.

يشكل الدستور المغربي إطارا قانونيا لحماية البيئة، بينما توفر الاتفاقيات الدولية مبادئ ومعايير للتطبيق. هذا التكامل يعزز قدرة المغرب على تنفيذ سياسات عمرانية مستدامة تتوازن بين التنمية الاقتصادية والحفاظ على الموارد البيئية، ويضع المملكة في موقع مسؤول على الصعيدين الوطني والدولي.

ورغم المكاسب الدستورية والقانونية، تواجه حماية البيئة في المغرب عدة تحديات، منها: التوسع العمراني العشوائي، التلوث الصناعي، والتغيرات المناخية. ومن الآفاق الواعدة: تعزيز التعاون الدولي، تطوير التعليم والتوعية البيئية، تفعيل مشاركة المجتمع المدني، واستخدام الابتكار في مشاريع الطاقة والبنية التحتية المستدامة.

إن دستور المغرب 2011 يكرس الحق في بيئة سليمة ويضعه في صلب التنمية المستدامة، ويتيح الربط بين الالتزامات الوطنية والمعايير الدولية لحماية البيئة. ولتحقيق هذا الحق عمليا، لا بد من تفعيل السياسات العمرانية المستدامة، تعزيز الوعي البيئي، وضمان مشاركة جميع الفاعلين في حماية البيئة والحفاظ على الموارد للأجيال القادمة.

2- دور الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة في استدامة التعمير

ظلت المحافظة على البيئة، على الدوام، في صلب انشغالات المغرب، على أعلى مستوى، وهي تشكل حجر الزاوية في سياسات واستراتيجيات التنمية، التي اعتمدتها المملكة بوضع قضايا البيئة، في صلب البرامج

التنموية لتحقيق التزامه الراسخ برفع التحديات، التي تفرضها إشكالية البيئة في مجملها، وبتحقيق التنمية المستدامة المنشودة.

وقد حرصت الدولة في سياستها العامة على الاهتمام بالتنمية المستدامة والشأن البيئي خاصة، حيث جدد جلالة الملك التأكيد على الاهتمام بالبيئة، بدعوته إلى إعداد مشروع ميثاق وطني شامل للبيئة، وأعطى تعليماته في هذا الصدد للحكومة « لإعداد مشروع ميثاق وطني شامل للبيئة يستهدف الحفاظ على مجالاتها ومحمياتها ومواردها الطبيعية، ضمن تنمية مستدامة، هذا الميثاق يتوخى أيضا صيانة معالمها الحضارية ومآثرها التاريخية، باعتبار البيئة رصيدا مشتركا للأمة، ومسؤولية جماعية لأجيالها الحاضرة والمقبلة»

وبذلك تم إصدار القانون الإطار 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة ، بهدف إيجاد وعي بيئي جماعي، وتغيير السلوكيات، والانخراط القوي لمختلف مكونات المجتمع المدني، والحفاظ على التنوع البيئي، وجودة الرصيد الطبيعي والتاريخي، وتحقيق التنمية المتوازنة، وتحسين جودة الحياة والظروف الصحية للمواطنين. وسيتيح، بصفة خاصة، الحفاظ على المجالات، والمحميات والموارد الطبيعية، وكذا التراث الثقافي، في إطار عملية التنمية المستدامة، وهو بداية مرحلة جديدة في مسلسل إدماج الانشغالات البيئية، في السياسات القطاعية. وبذلك يكون ميثاق البيئة مرجعا في هذا المجال، وسيتيح التوفيق بين متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والمحافظة على البيئة والتنمية المستدامة.

ويحدد هذا القانون – الإطار الأهداف الأساسية لنشاط الدولة في مجال حماية البيئة والتنمية المستدامة. ومن بين أهدافه: تعزيز حماية الموارد والأوساط الطبيعية والتنوع البيولوجي والموروث الثقافي والمحافظة عليها والوقاية من التلوثات والإيذايات ومكافحتها وإدراج التنمية المستدامة في السياسات العمومية القطاعية واعتماد استراتيجية وطنية للتنمية المستدامة، بالإضافة لملاءمة الإطار القانوني الوطني مع الاتفاقيات والمعايير الدولية ذات الصلة بحماية البيئة والتنمية المستدامة وتعزيز الإجراءات الرامية إلى التخفيف وإلى التكيف مع التغيرات المناخية ومحاربة التصحر، ويعتبر هدف إقرار الإصلاحات ذات الطابع المؤسساتي والاقتصادي والمالي والثقافي في ميدان الحكامة البيئية أمرا ضروريا لتحديد التزامات الدولة والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية وشركات الدولة والمقاولات الخاصة وجمعيات المجتمع المدني والمواطنين في مجال حماية البيئة والتنمية المستدامة ثم إرساء نظام للمسؤولية البيئية ونظام للمراقبة البيئية .

وقد حددت المادة 2 من القانون 99.12 مبادئ يجب التقيد بها حين إعداد وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات والبرامج ومخططات العمل من قبل الدولة والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية وشركات الدولة ومن قبل باقي الأطراف المتدخلة في مجالات البيئة والتنمية المستدامة وهي: مبدأ الاندماج، مبدأ الترابية، مبدأ التضامن، مبدأ الاحتراز، مبدأ الوقاية، مبدأ المسؤولية ثم مبدأ المشاركة .

وقد تم التركيز على الموارد الطبيعية والأنظمة البيئية والتراث التاريخي والثقافي في القانون الإطار، وهي موضوع حماية واستصلاح وتثمين على أساس تدبير مندمج ومستدام، من خلال تبني تدابير تشريعية ومؤسساتية واقتصادية ومالية أو غيرها، وذلك طبقا لأهداف ومبادئ هذا القانون الإطار . ومن بين هذه الإجراءات المعتمدة لتنزيل هذا الميثاق نذكر: تشجيع اللجوء إلى طرق الاستعمال المستدام والمقتصد للموارد المائية وإلى مكافحة تلوث هذه الموارد وكذا تحيين التشريع المتعلق بالماء بهدف ملاءمته مع متطلبات التنمية المستدامة والانعكاسات المزدوجة للتصحر والتغيرات المناخية وتشجيع استعمال الطاقات المتجددة وتكنولوجيات النجاعة الطاقية لمكافحة كل أشكال تبذير الطاقات. ولمحاربة التصحر والمحافظة على التنوع البيولوجي ولا سيما في مناطق الواحات والسهوب تتخذ إجراءات لتدعيم الوسائل المخصصة لذلك وتدعيم الوسائل المخصصة لمحاربة تلوث الهواء والتكيف مع التغيرات المناخية؛ ونظرا لأهمية التراث التاريخي والثقافي والاجتماعي للمدن والمجالات الحضرية والقروية يتم صون جماليته والحفاظ على المساحات الخضراء وحماية واستصلاح وترميم العناصر المادية وغير المادية للتراث التاريخي والثقافي .

3- حماية واستصلاح البيئة في القانون رقم 11.03

أقر المشرع المغربي في 20 ماي 2003 القانون رقم 11.03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة (جريدة رسمية عدد 5118 صادرة سنة 2003 ص. 1900) ، كنص يؤطر المسألة البيئية بصورة مباشرة من شأنها أن توثق علاقة التخطيط الحضري بحماية البيئة وتحسين إطار العيش. ويتجلى ذلك من خلال المادة 5 من القانون المذكور حيث جاء فيها "تأخذ وثائق التعمير بعين الاعتبار متطلبات حماية البيئة بما في ذلك احترام المواقع الطبيعية والخصوصيات الثقافية والمعمارية أثناء تحديد المناطق المخصصة للأنشطة الاقتصادية والسكن والترفيه".

وفي إطار حماية الطبيعة والموارد الطبيعية، جاء في المادة 18 من القانون 11.03، تتخذ تدابير وقائية خاصة من أجل محاربة التصحر والفيضانات واختفاء الغابات والتعرية وضياع الأراضي الصالحة للزراعة وتلوث التربة

ومواردها. كما تتخذ تدابير قانونية وتنظيمية من أجل ضمان تدبير مندمج ومستدام للأنظمة البيئية بالأرياف والمناطق الجبلية، ووقايتها من كل تدهور لمواردها ولجودة البيئة بصفة عامة، بغرض حماية شاملة للعالم القروي والمحافظة على أنظمته البيئية (المادة 37 من القانون 11.03 الصادر سنة 2003).

ومن آليات تدبير وحماية البيئة المحددة في القانون 11.03 في المادة 49 نجد دراسات التأثير على البيئة، حيث ألزم المشرع صاحب المشروع أو طالب الرخصة بإجراء دراسة تمكن من تقييم التأثير على البيئة للمشروع ومدى موافقته لمتطلبات حماية البيئة، وبالضبط في حالة ما إذا كان إنجاز منشآت أو مشاريع تشكل تهديدا للبيئة بسبب حجمها أو وقعها على الوسط الطبيعي. ويمكن دراسة التأثير على البيئة من التقييم الأولي للآثار السلبية على البيئة لمشروع بنية تحتية أو لنشاط يتضمن آثارا على البيئة، كما يمكن من تحديد وسائل تعويض الأضرار الناتجة. وهذه الأداة تمكن من إدماج البعد البيئي أثناء إنجاز مشاريع البنية التحتية.

4- حماية البيئة بمكافحة تلوث الهواء من خلال القانون 13.03

في إطار حماية البيئة وتعزيز القوانين المتعلقة بها، تم تقوية الإطار القانوني بمكافحة تلوث الهواء بالقانون 13.03 المتعلق بمكافحة تلوث الهواء (جريدة رسمية عدد 5118 صادرة سنة 2003، ص. 1912) الذي يهدف إلى الوقاية والحد من انبعاثات الملوثات الجوية التي يمكن أن تلحق أضرارا بصحة الإنسان والحيوان والتربة والمناخ والثروات الثقافية والبيئة بشكل عام ويطبق على كل شخص طبيعي أو شخص معنوي خاضع للقانون العام أو الخاص، يملك أو يحوز أو يستعمل أو يستغل عقارات أو منشآت منجمية أو صناعية أو تجارية أو فلاحية، أو منشآت متعلقة بالصناعة التقليدية أو عربات أو أجهزة ذات محرك أو آليات لاحتراق الوقود أو لإحراق النفايات أو للتسخين أو للتبريد (المادة 2 من القانون رقم 13.03 الصادر سنة 2003).

وتنزيلا لأحكام هذا القانون وإبراز علاقة التخطيط الحضري بحماية البيئة وتحسين إطار العيش جاء في المادة 5 أنه تراعى حين وضع وثائق إعداد التراب الوطني والتعمير متطلبات حماية الهواء من التلوث لاسيما عند تحديد المناطق المخصصة للأنشطة الصناعية ومناطق إقامة المنشأت التي تكون مصدرا لتلوث الهواء. كما تم تحديد نظام للتحفيزات المالية والإعفاءات الجبائية، تمنح بمقتضاه مساعدات مالية وإعفاءات جزئية أو كلية من الرسوم الجمركية والجبائية حين القيام بعمليات اقتناء المعدات والتجهيزات الضرورية لإنجاز الاستثمارات المطلوبة، من لأجل تشجيع الاستثمار في المشاريع والأنشطة الهادفة إلى الوقاية من تلوث الهواء وإلى استخدام

الطاقات المتجددة وترشيد استعمال الطاقات والمواد الملوثة، يؤسس وفقا لشروط تحددها قوانين المالية (المادة 23 من القانون رقم 13.03 الصادر سنة 2003).

ولتحديد معايير جودة الهواء كما هو منصوص عليه في المواد 3 و4 و24 من القانون 13.03 تم إصدار المرسوم رقم 2.09.286 المتعلق بتحديد معايير جودة الهواء وكيفيات إقامة شبكات الحراسة (جريدة رسمية عدد 5804 صادرة سنة 2010، ص. 108) ، ويبقى الهدف من هذه المعايير تحديد الحدود القصوى التي لا يجب تجاوزها والتي تحدد مستوى تركيز المواد الملوثة في الهواء خلال مدة معينة. كما ينص هذا المرسوم كذلك على تحديد شبكات حراسة جودة الهواء والتي تحدث في كل تجمع حضري، كما يمكن تمديد هذه الشبكة أو إقامتها في تجمعات سكنية أخرى أو في مناطق يتجاوز فيها أو يحتمل أن يتجاوز فيها مستوى تركيز مادة أو عدة مواد ملوثة في الهواء معايير جودة الهواء الجاري بها العمل (المادة 9 من المرسوم رقم 2.09.286 الصادر سنة 2010). وحسب المادة 10 من المرسوم يمكن للسلطة الحكومية المكلفة بالبيئة بتنسيق مع السلطات الحكومية والسلطات المحلية والجماعات الترابية المعنية وبتشارك مع الهيئات العمومية أو الخاصة التي تعنى بحماية الهواء بالإجراءات اللازمة لإقامة هذه الشبكات.

ثانيا : الآليات التنفيذية المرتبطة بالقواعد الوطنية

تبرز أهمية الآليات التنفيذية المرتبطة بالقواعد الوطنية، والتي تتنوع بين تشريعات تنظيمية، سياسات عمومية، وتدابير رقابية وتقويمية، تضمن دمج البعد البيئي في كل مراحل التعمير. هذه الآليات تشمل على سبيل المثال: تقييم الأثر البيئي للمشاريع العمرانية، وضع معايير للارتقاء بالاستدامة في البناء، وتشجيع الاستثمارات الصديقة للبيئة، فضلاً عن آليات متابعة ومراقبة تطبيق القوانين.

ولم يكتف المشرع المغربي بوضع آليات قانونية لحماية البيئة واستصلاحها فقط، وإنما عزز ذلك بوضع مساطر قانونية تعمل على جعل التقييم البيئي آلية ضرورية للتصدي للأخطار المهددة للبيئة من خلال القانون رقم 49.17 المتعلق بالتقييم البيئي، وكذلك الاعتماد على دراسات التأثير على البيئة من خلال القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للاستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار.

1- التقييم البيئي الاستراتيجي من خلال القانون رقم 49.17

عزز المغرب ترسانته القانونية الخاصة بحماية البيئة بقانون جديد غاية في الأهمية، هو القانون رقم 49.17 المتعلق بالتقييم البيئي (جريدة رسمية عدد 6908 صادرة سنة 2020، ص. 4346). وقد جاء هذا

القانون ليعوض بعض مقتضيات القانون رقم 12.03 المتعلق بدراسة التأثير على البيئة (جريدة رسمية عدد 5118 صادرة سنة 2003، ص. 1909) ، الذي صدر سنة 2003 والذي شكل في حينه خطوة نوعية تم القيام في سياق التزاماته الدولية منذ مؤتمر ريو دي جانيرو سنة 1992 وانخراطه الحيوي في تقوية آلياته القانونية والمؤسساتية، لأجل التصدي للأخطار التي تهدد البيئة بكل أشكالها. كما أن القانون الجديد يأتي في إطار التنزيل لمقتضيات القانون الإطار رقم 99.12 بمثابة الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة، خاصة فيما يتعلق بتعزيز آليات الحكامة البيئة من خلال مراجعة الإطار التشريعي المتعلق بدراسة التأثير على البيئة.

لعل الإضافة الأساسية والجوهرية للقانون 49.17 المتعلق بالتقييم البيئي هو أنه أعطى لدراسة التأثير على البيئة أبعادا جديدة وفتح لها مجالات أخرى لم تكن معنية بها في إطار القانون الحالي الذي يهم فقط ''المشاريع'' بل بعض المشاريع ذات الطابع الإنتاجي (صناعي، فلاحي، منجمي...)، إلى جانب مشاريع البنيات التحتية كالسدود والطرق ومحطات التصفية... علاوة على تحيين لائحة المشاريع الخاضعة لدراسة التأثير على البيئة في اتجاه توسيعها لتشمل مشاريع وأنشطة أخرى، ومن خلال القانون 49.17 تم إدماج الجوانب البيئية والاجتماعية لمشروع أو مخطط أو برنامج أو سياسة عمومية لتقييم اثارها المتوقعة ويسمح بتحليل وتعليل الاختيارات المقبولة ويتضمن التقييم البيئي الاستراتيجي، ودراسة التأثير على البيئة، وبطاقة التأثير على البيئة، والافتحاص البيئي. وبذلك فمسطرة التقييم البيئي لا تقوم فقط بالتقييم الأولي للآثار الضارة بالنسبة للمشاريع المعتمدة، وإنما يتعدى الأمر إلى فرض رقابة بيئية على مسلسل وضع المشاريع المختارة حيز التنفيذ (Larrue Corinne ، 1996، ص 208)

وهذا التعديل جاء بناء على أحكام القانون الإطار رقم 99.12 حيث تخضع للتقييم الاستراتيجي البيئي مشاريع السياسات والبرامج والمخططات والتصاميم القطاعية والجهوية المعدة من طرف الدولة والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية والمحددة قائمتها بنص تنظيمي (المادة **2** من القانون **49.17** المتعلق بالتقييم البيئي الصادر سنة **2020**). كما يوضع نظام للتقييم البيئي الاستراتيجي بهدف تقييم مدى مطابقة السياسات والاستراتيجيات والبرامج ومخططات التنمية مع مستلزمات حماية البيئة والتنمية المستدامة المنصوص عليها في القانون الإطار 99.12 (المادة **27** من القانون الإطار رقم 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة الصادر سنة **2014**).

2- **دراسات التأثير على البيئة من خلال القانون 47.18**

لتعزيز مقاربة اللاتمركز، في دراسات التأثير على البيئة وتطبيق إجراء البحث العمومي تم إحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار من خلال إصدار القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للاستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار (جريدة رسمية عدد 6754 صادرة بسنة 2019، ص. 834) ، واعتماد المرسوم التطبيقي له 2.19.67 (جريدة رسمية عدد 6774 صادرة سنة 2019، ص. 2191) ، أحدثت هذه الأخيرة للقيام بإجراء تقييم مسبق لمشاريع الاستثمار المعروضة عليها من الجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي والعمراني (المادة **29** من القانون رقم **47.18** الصادر سنة **2019**) ، والتي ستقوم مقام اللجان الجهوية لدراسات التأثير على البيئة المحدثة سابقا بالقانون 12.03، مشكلة بذلك الإطار الوحيد لاتخاذ القرارات المتعلقة بملفات الاستثمار وإبداء الرأي فيما يخص طلبات الاستفادة من التحفيزات والامتيازات الاقتصادية، وكذا طلبات الرخص والأمور الإدارية اللازمة لإنجاز المشاريع الاستثمارية (حسب المادة 29 من القانون 18.47 تحل اللجنة الجهوية الموحدة للاستثمار محل اللجان التي كانت تمارس الاختصاصات المنصوص عليها). وتقوم هذه اللجنة بتفحص دراسات التأثير على البيئية وتبدي رأيها في شأن الموافقة البيئية حول مشاريع الاستثمار المعروضة عليها (الفقرة 8 من المادة **26** من القانون رقم **47.18** الصادر سنة **2019**)، كما تتولى إبداء الرأي المطابق بخصوص رخص البناء وأذون إحداث التجزئات العقارية وتقسيم العقارات، بإحداث المجموعات السكنية وكذا رخص السكن وشواهد المطابقة المطلوبة لإنجاز مشاريع الاستثمار أو استغلالها (الفقرة 6 من المادة **29** من القانون رقم **47.18** الصادر سنة **2019**). ويتوقف الترخيص لكل مشروع خاضع لدراسة التأثير على البيئة على قرار الموافقة البيئية، ويعد هذا القرار عنصرا من عناصر الملف المقدم لطلب الحصول على الرخصة.

فدراسة التأثير على البيئة تدخل ضمن القيام بالأعمال اللازمة لإنعاش الاستثمارات، وهذا ما ييسر للجهة إمكانية تحقيق تنمية منسجمة ومستدامة عن طريق الوقاية من أي ضرر قد يصيب البيئة من جراء التلوث الصناعي الذي يعتبر أقصى درجات التلوث، فإقامة مناطق صناعية ومناطق للأنشطة لا يعني الإضرار بالبيئة، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار موقع هذه الأنشطة ومدى تأثيرها على المحيط العام (كجي حسناء، 2002، ص 76-77).

وما يجب الإشارة إليه هو أن أعمال اللجنة الجهوية الموحدة للاستثمار لازالت تطبق مقتضيات المراسيم التطبيقية للقانون 12.03 السابقة في انتظار إصدار المرسوم التطبيقي لها. حيث يتم حاليا دراسة الملفات طبقا للمرسوم رقم 2.04.563 الذي يحدد اختصاصات وسير اللجنة الوطنية واللجان الجهوية لدراسات التأثير على البيئة (جريدة رسمية عدد 5682 صادرة سنة 2008، ص. 4156) ، وكذلك المرسوم رقم 2.04.564 الذي يحدد كيفيات تنظيم وإجراءات البحث العمومي المتعلق بالمشاريع الخاضعة لدراسات التأثير على البيئة (جريدة رسمية عدد 5682 صادرة سنة 2008، ص. 4159). وفي نفس الإطار صدر منشور رئيس الحكومة بتاريخ 30 مايو 2019، يدعو فيه كل الإدارات العمومية إلى القيام بالافتحاص البيئي داخل البنايات، واقتراح مخططات قطاعية لمثالية الإدارة.

ثالثا : إدراج معايير البناء الأخضر والنجاعة الطاقية في التعمير

يعد إدراج معايير البناء الأخضر والنجاعة الطاقية في سياسات التعمير إحدى الركائز الأساسية لتحقيق أهداف التعمير المستدام في ظل التحديات البيئية العالمية. فالتوجه الدولي نحو الحد من انبعاثات الغازات الدفيئة، وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، وتعزيز جودة الحياة في الوسط الحضري، جعل من هذه المعايير أداة عملية لترجمة التزامات الدول في مجال الحماية الدولية للبيئة إلى تدابير ملموسة على مستوى التخطيط العمراني. ويكتسي هذا التوجه أهمية خاصة بالنظر إلى كون قطاع البناء والاستهلاك الطاقي من أبرز المصادر المؤثرة في التغيرات المناخية، مما يستدعي إعادة النظر في أنماط التشييد التقليدية واعتماد مقاربات صديقة للبيئة توازن بين متطلبات النمو العمراني والمحافظة على الموارد للأجيال القادمة. وتمت ترجمة هذا المعطى من خلال الاستراتيجية الطاقية التي تبنتها الدولة للتوفر على أداة منهجية عملية تبرز إدماج البعد البيئي في البرامج القطاعية

1- استراتيجية الطاقات المتجددة في سياسة التعمير المستدام

منذ قمة الأرض ريو ديجانيرو 1992، وما تلاها من قمم، التزمت الحكومات بتنفيذ وعودها في تحقيق تنمية عادلة ومستدامة، حيث بدأ البحث عن مصادر جديدة ومتجددة للطاقة تحتفظ على البيئة وتضمن استدامتها وتلبي الطلب المتزايد على الطاقة ومن تم تحقيق تنمية مستدامة (نورة أمينة. 2019 www.univ-blida2.dz). حيث تم التوجه نحو إقامة وتطوير مصادر الطاقة المتجددة ولاسيما الطاقة الشمسية والريحية، لكونها توفر إيجابيات تشجع على الاعتماد عليها واستغلالها في مجال التعمير. وفي هذا الإطار تم إصدار

القانون رقم 13.09 المتعلق بالطاقات المتجددة، ووضع برامج لتطوير الطاقات المتجددة للرقي بقطاع التعمير نحو الاستدامة. وتم تعزيز هذا الطرح بتحويل جدول أعمال الاستراتيجية الطاقية إلى نص قانوني وضع الأسس لتنمية المجال الطاقي ولعب دور في التنمية وخصوصا في قطاع التعمير الذي يشكل من القطاعات ذات الارتباط الوثيق بالطاقة.

حيث أقر البرلمان المغربي سنة 2010 قانون يحول جدول أعمال الخطة إلى نص قانوني وضع الأسس لتنمية الطاقة المتجددة وتم إصدار القانون رقم 13.09 المتعلق بالطاقات المتجددة (جريدة رسمية عدد 5822 سنة 2010، ص. 1118)، كما تم تغييره وتتميمه بالقانون رقم 58.15 (جريدة رسمية عدد 6433 صادرة سنة 2016، ص.421) ومرسومه التطبيقي رقم 2.10.578 (جريدة رسمية عدد 5936 الصادرة سنة 2011، ص. 2218)، والذي ينص خاصة على تحرير إنتاج الكهرباء الخضراء وتمكين المنتجين الخواص لهذه الطاقة من استعمال الشبكة الوطنية لنقل وتصدير الكهرباء المنتجة من طرفهم. حيث مكن تفعيل هذا القانون من إنجاز 50% من القدرة الريحية المنجزة حاليا.

2- استراتيجية النجاعة الطاقية في سياسة التعمير المستدام

تعتبر النجاعة الطاقية كل عمل مؤثر إيجابا على استهلاك الطاقة كيفما كان نشاط القطاع المعني بهدف التدبير الأمثل للموارد الطاقية والتحكم في الطلب على الطاقة والتحكم في الاختيارات والاستعمالات العقلانية للطاقة (المادة الأولى من القانون 47.09 المتعلق بالنجاعة الطاقية الصادر سنة 2019)، وتطمح الدولة إلى ضمان استعمال أمثل للطاقة في جميع مجالات الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية نظرا لضرورة عقلنة وترشيد تحسين استهلاك الطاقة من أجل توفير الحاجيات الطاقية المتزايدة لبلادنا، وتم إصدار القانون رقم 47.09 المتعلق بالنجاعة الطاقية (جريدة رسمية عدد 5989 صادرة سنة 2011)، ص. 5185) ، ووضع برامج النجاعة الطاقية في مجموعة من مجالات التعمير.

ويهدف هذا القانون إلى إدراج تقنيات النجاعة الطاقية تلقائيا في جميع برامج التنمية القطاعية، وفي قطاع التعمير يتوخى هذا القانون إدماج تقنيات النجاعة الطاقية بشكل مستدام على مستوى العمران، وتشجيع المشاريع العمرانية على ترشيد استهلاكها من الطاقة وتعميم الافتحاصات الطاقية وإحداث مدونة النجاعة الطاقية الخاصة بالعمران.

وتطبيقا لأحكام القانون رقم 47.09، وبهدف إنشاء نظام إلزامي ودوري للافتحاص الطاقي لترشيد استخدام الطاقة في المقاولات والمؤسسات الأكثر استهلاكا للطاقة، ولتحقيق أهداف الاستراتيجية الطاقية الوطنية، ومواصلة دعم الانتقال الطاقي وتعزيز النجاعة الطاقية في القطاعات الرئيسية للاقتصاد الوطني. تم الشروع، وبالموازاة مع تحسين الإطار التشريعي والتنظيمي المتعلق بالطاقات المتجددة وتطوير الإنتاج النظيف على مستوى النسيج الاقتصادي الوطني، في تطبيق المرسوم رقم 2.17.746 المتعلق بالافتحاص الطاقي الإلزامي وهيئات الافتحاص الطاقي (جريدة رسمية عدد 6774 صادرة سنة 2019، ص. 2192) والذي أدى إلى تأسيس الافتحاص الطاقي الإلزامي والدوري لترشيد استعمال الطاقة في المقاولات والمؤسسات الأكثر استهلاكا للطاقة في القطاعات الرئيسية للاقتصاد الوطني، لاسيما في القطاع الصناعي ومقاولات ومؤسسات إنتاج ونقل وتوزيع الطاقة، إضافة إلى قطاع الخدمات، بما في ذلك السياحة والصحة والتربية والتعليم.

وتنفيذا لأحكام ضابط البناء العام الذي يحدد قواعد الاداء الطاقي للمباني، تم إصدار المرسوم رقم 2.13.874 الذي يحدد الأداء الطاقي للمباني والذي ينشئ اللجنة الوطنية للنجاعة الطاقية في المباني (جريدة رسمية عدد 6306 صادرة سنة 2014، ص. 7714) ، بهدف ضمان الامتثال لمجموعة من القواعد التي ينبغي تطبيقها في البناء لتحسين العزل الحراري للمباني وتخفيض استهلاك الطاقة، وإنتاج جيل جديد من المباني، عبر إدماج المواد العازلة، ومراعاة مناخ المنطقة للاقتصاد الطاقي للمباني من خلال التقليل في الاعتماد على أجهزة التكييف والتدفئة. وبالتالي يصبح هذا القانون وثيقة أساسية في دفاتر التحملات الخاصة بمشاريع البناء أو التجديد. ولا شك أن احترام هذا القانون سيحقق ربحا كبيرا في فاتورة الكهرباء للمنازل، وسيساهم في ترشيد الاستهلاك على الصعيد الوطني.

المحور الثالث : نحو تكامل القواعد الدولية والوطنية لتحقيق تنمية بيئية مستدامة

يعد تحقيق التنمية البيئية المستدامة رهانا استراتيجيا تتقاطع حوله مختلف المرجعيات القانونية الدولية والوطنية. فإذا كانت المواثيق والاتفاقيات الدولية قد أرست مبادئ وأهداف عامة لحماية البيئة وضمان استدامة مواردها، فإن التشريعات الوطنية تسعى إلى تكييف هذه المبادئ مع الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة، بما يحقق التوازن بين متطلبات النمو والتنمية من جهة، وحماية المنظومات البيئية من جهة أخرى. ومن هنا تبرز أهمية التكامل بين القواعد الدولية والوطنية باعتباره شرطا أساسيا لترسيخ حكامة بيئية فعالة،

تضمن احترام الالتزامات الدولية وفي الوقت ذاته تفعيلها على المستوى الداخلي بما ينسجم مع السياق الوطني. غير أن هذا التكامل يواجه جملة من التحديات، ورغم ذلك، فإن هناك آفاقا واعدة لتعزيز الانسجام بين المرجعيات الدولية والتشريعات الوطنية. وفي هذا الإطار يبرز الطموح نحو بناء نموذج متكامل لحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.

أولا : التحديات المطروحة أمام تكامل القواعد الدولية والوطنية

رغم التطور الملحوظ الذي شهده القانون الدولي للبيئة، وما أفرزته الاتفاقيات متعددة الأطراف من قواعد ومبادئ أساسية، فإن تفعيل هذه المقتضيات على المستوى الوطني ما يزال محفوفا بعدد من الإكراهات. إذ تواجه الدول صعوبات في ملاءمة التزاماتها الدولية مع خصوصياتها الوطنية ذات الصلة بالأنظمة التشريعية والاقتصادية والاجتماعية. وتزداد هذه التحديات حدة في الدول النامية التي تعاني من هشاشة البنية المؤسساتية، وضعف الكفاءات البشرية والقدرات التقنية اللازمة لضمان المتابعة والتطبيق الفعلي للالتزامات البيئية، فضلا عن محدودية الموارد المالية الموجهة لحماية البيئة. كما أن أولوية تحقيق النمو الاقتصادي وجذب الاستثمارات كثيرا ما تتعارض مع متطلبات الحفاظ على البيئة، مما يفضي إلى مفارقة واضحة بين مقتضيات التنمية الاقتصادية ومتطلبات الالتزام البيئي. ويضاف إلى ذلك ضعف الإرادة السياسية في بعض الدول النامية، وتضارب المصالح بين متطلبات الاستثمار والالتزامات البيئية، إضافة إلى استمرار التفاوت القائم بين بلدان الشمال والجنوب في ما يتعلق بتطبيق المعايير البيئية.

ثانيا : آفاق التكامل بين المرجعيات الدولية والتشريعات الوطنية

على الرغم من التحديات القائمة، فإن الآفاق المستقبلية لتكامل القواعد الدولية والوطنية تبقى واعدة، حيث يمكن للتشريعات الوطنية أن تستلهم من المبادئ الكونية الكبرى، مثل مبدأ الاحتراز، ومبدأ الملوث المؤدي، ومبدأ العدالة البيئية، مع تكييفها وفق الخصوصيات المحلية. ويظل تطوير آليات المراقبة والتتبع والتقييم شرطا محوريا لضمان النجاعة في التطبيق. وفي هذا السياق، يبرز إدماج البعد البيئي في السياسات العمومية والاستراتيجيات القطاعية باعتباره مدخلا أساسيا لترسيخ هذا التكامل. كما أن إشراك مختلف الفاعلين، من سلطات عمومية ومجتمع مدني وقطاع خاص، يشكل رافعة أساسية لتعزيز المقاربة التشاركية ومنحها قوة وشرعية أكبر.

وتتجلى أهم مداخل تعزيز هذا التوجه في ما يلي:

- المواءمة الدورية للقوانين الوطنية مع المقتضيات المنصوص عليها في الاتفاقيات الدولية.
- تعزيز الحكامة البيئية التشاركية من خلال إشراك فعاليات المجتمع المدني والقطاع الخاص.
- تشجيع تبادل الخبرات ونقل التكنولوجيا في مجال التعمير المستدام.
- اعتماد مؤشرات كمية ونوعية لقياس الاستدامة الحضرية وفق المعايير المعتمدة من قبل الأمم المتحدة.

ثالثا : نحو نموذج متكامل لحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة

إن الطموح إلى بناء نموذج متكامل في مجال حماية البيئة يتطلب الجمع بين المرجعيتين الدولية والوطنية في إطار منظومة منسجمة تراعي الخصوصيات المحلية دون الإخلال بالالتزامات الدولية. ويقوم هذا النموذج على بلورة استراتيجية وطنية شاملة مستندة إلى المرجعية الدولية، مع تفعيلها عبر تشريعات ومؤسسات وطنية قادرة على المراقبة والإنفاذ. كما يفترض النموذج المتكامل اعتماد حكامة بيئية متعددة المستويات، تنسق بين الدولة والجماعات الترابية والقطاع الخاص والمجتمع المدني. ويستند أيضا إلى نشر ثقافة بيئية مجتمعية تعزز الوعي والالتزام الجماعي، باعتبار أن حماية البيئة ليست مسؤولية الدولة وحدها، بل مسؤولية مشتركة تتطلب مساهمة الجميع.

كما أن التعمير المستدام لا يقتصر على كونه مجرد عملية تقنية مرتبطة بالتخطيط العمراني وإعداد المجالات الحضرية والريفية، بل يتجاوز ذلك ليشكل رؤية شمولية تنبني على ثلاثية متكاملة: الحماية البيئية من خلال صون الموارد الطبيعية والتقليل من التلوث وحماية النظم الإيكولوجية، والعدالة الاجتماعية عبر ضمان الولوج العادل إلى السكن والخدمات الأساسية وتقليص الفوارق المجالية، والفعالية الاقتصادية التي تقوم على ترشيد استغلال الموارد وتوفير البنيات التحتية الكفيلة بجذب الاستثمارات وتحفيز التنمية المحلية. ومن ثم فإن التعمير المستدام يمثل مقاربة استراتيجية تستحضر مختلف الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية بشكل متوازن، بما يضمن جودة الحياة للأجيال الحالية ويحافظ على حقوق الأجيال القادمة.

خاتمة

يتضح من خلال دراسة موضوع الحماية الدولية للبيئة في سياق التعمير المستدام أن الإشكالية البيئية لم تعد مسألة محلية أو وطنية فحسب، بل أصبحت قضية كونية تتطلب تعاونا دوليا فعالا وتكاملا مؤسساتيا وتشريعيا شاملا. فالقواعد الدولية وضعت الإطار المرجعي والمبادئ العامة التي تنظم حماية الموارد الطبيعية

وتوجيه السياسات العمرانية نحو الاستدامة، في حين تمثل القواعد الوطنية الأداة العملية لترجمة هذه الالتزامات الدولية إلى سياسات عمومية وتشريعات قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.

ويبرز من خلال ذلك أن التكامل بين المرجعيات الدولية والتشريعات الوطنية يشكل شرطا أساسيا لتحقيق تنمية بيئية مستدامة قائمة على التوازن بين متطلبات التوسع العمراني وحاجيات الأجيال الحاضرة من جهة، وضمان حقوق الأجيال المقبلة في بيئة سليمة من جهة أخرى. كما أن نجاح هذا التكامل يظل رهينا بمدى تفعيل آليات المراقبة والتقييم، وتعزيز دور الفاعلين المحليين، والانخراط الفعلي للمجتمع المدني في تنزيل السياسات البيئية العمرانية.

وعليه، فإن التحدي المطروح اليوم أمام الدول، ومنها المغرب، هو الانتقال من منطق النصوص إلى منطق الممارسات، عبر اعتماد رؤية مندمجة تجعل من التعمير المستدام رافعة لتحقيق العدالة البيئية والمجالية، وضمان التنمية المستدامة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وبهذا فقط يمكن تحقيق حماية بيئية متوازنة ومتكاملة، تستجيب للتحولات العالمية وتخدم في الوقت نفسه أولويات التنمية الوطنية.

تشكل الالتزامات الدولية في مجال البيئة والتنمية المستدامة إطارا مرجعيا محوريا للدول لتنظيم سياساتها الوطنية، وخاصة فيما يتعلق بالتعمير والتخطيط الحضري. فعلى الرغم من الطبيعة الدولية لهذه الالتزامات، فإن فعاليتها تتوقف بشكل كبير على قدرة الدولة على ترجمتها إلى قواعد وآليات تنفيذية وطنية قادرة على ضمان احترام المبادئ البيئية وحماية الموارد الطبيعية.

إن الربط بين الالتزامات الدولية والقواعد الوطنية لا يقتصر على الامتثال القانوني فحسب، بل يمتد ليكون أداة فعالة لتحقيق التعمير المستدام، حيث يضمن توازن التنمية الاقتصادية مع الحفاظ على البيئة، ويحمي الأجيال القادمة من الآثار السلبية للتوسع العمراني غير المنضبط. ومن هنا، يظهر جليا أن نجاح السياسات الوطنية في التعمير المستدام مرهون بوضوح هذه الآليات التنفيذية وفاعليتها في ترجمة الالتزامات الدولية إلى واقع ملموس على الأرض.

غير أن هذا التكامل يظل رهينا بمدى قدرة الدول على تفعيل النصوص القانونية وتجاوز الإكراهات التطبيقية عبر سياسات واضحة وآليات ناجعة للتنفيذ والمراقبة. وفي هذا السياق، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات العملية:

1. تعزيز الانسجام التشريعي: ملاءمة القوانين الوطنية مع الالتزامات الدولية في مجال البيئة والتعمير المستدام، وتبسيطها لتفادي التداخل والتعارض.

2. تقوية آليات المراقبة والتقييم: إحداث أجهزة مستقلة لتتبع مدى احترام المشاريع العمرانية للمعايير البيئية، وتفعيل نظام للعقوبات والتحفيزات.

3. تطوير التخطيط التشاركي: إشراك الجماعات الترابية والقطاع الخاص والمجتمع المدني في وضع وتنفيذ السياسات العمرانية البيئية، بما يضمن الشفافية والمساءلة.

4. بناء القدرات والبحث العلمي: دعم البحث في مجال الطاقات المتجددة والتقنيات الخضراء، وتطوير الكفاءات الوطنية في مجالات التعمير والإيكولوجيا القانونية.

5. تعزيز التعاون الدولي والإقليمي: تقوية الشراكات مع المنظمات الدولية والدول المجاورة لتبادل الخبرات وتبني الممارسات الفضلى في مجال الحماية البيئية.

لائحة المراجع المعتمدة

- كجي حسناء. (2002). التنظيم الجهوي وآفاق حماية البيئة بالمغرب: حالة جهة الدار البيضاء الكبرى (أطروحة دكتوراه في الحقوق). كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء.
- المملكة المغربية. (2003). ظهير شريف رقم 1.03.59 صادر في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003) بتنفيذ القانون رقم 11.03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة. الجريدة الرسمية، عدد 5118 (19 يونيو 2003)، ص. 1900.
- المملكة المغربية. (2003). ظهير شريف رقم 1.03.61 صادر في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003) بتنفيذ القانون رقم 13.03 المتعلق بمكافحة تلوث الهواء. الجريدة الرسمية، عدد 5118 (19 يونيو 2003)، ص. 1912.

- المملكة المغربية. (2003). ظهير شريف رقم 1.03.60 صادر في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003) بتنفيذ القانون رقم 12.03 المتعلق بدراسات التأثير على البيئة. الجريدة الرسمية، عدد 5118 (19 يونيو 2003)، ص. 1909.
- المملكة المغربية. (2009). مرسوم رقم 2.09.286 صادر في 20 ذو الحجة 1430 (8 ديسمبر 2009) بتحديد معايير جودة الهواء وكيفيات إقامة شبكات الحراسة. الجريدة الرسمية، عدد 5804 (14 يناير 2010)، ص. 108.
- المملكة المغربية. (2008). مرسوم رقم 2.04.563 صادر في 5 ذو القعدة 1429 (4 نوفمبر 2008) يتعلق باختصاصات وسير اللجنة الوطنية واللجان الجهوية لدراسات التأثير على البيئة. الجريدة الرسمية، عدد 5682 (13 نوفمبر 2008)، ص. 4156.
- المملكة المغربية. (2008). مرسوم رقم 2.04.564 صادر في 5 ذو القعدة 1429 (4 نوفمبر 2008) يتعلق بتحديد كيفيات وإجراء البحث العمومي المتعلق بالمشاريع الخاضعة لدراسات التأثير على البيئة. الجريدة الرسمية، عدد 5682 (13 نوفمبر 2008)، ص. 4159.
- المملكة المغربية. (2010). ظهير شريف رقم 1.10.16 صادر في 26 صفر 1431 (11 فبراير 2010) بتنفيذ القانون رقم 13.09 المتعلق بالطاقات المتجددة. الجريدة الرسمية، عدد 5822 (18 مارس 2010)، ص. 1118.
- المملكة المغربية. (2011). ظهير شريف رقم 1.11.161 صادر في فاتح ذو القعدة 1432 (29 شتنبر 2011) بتنفيذ القانون رقم 47.09 المتعلق بالنجاعة الطاقية. الجريدة الرسمية، عدد 5989 (24 أكتوبر 2011)، ص. 5185.
- المملكة المغربية. (2014). مرسوم رقم 2.13.874 صادر في 20 ذو الحجة 1435 (15 أكتوبر 2014) بالموافقة على ضابط البناء العام المحدد لقواعد الأداء الطاقي للمباني وبإحداث اللجنة الوطنية للنجاعة الطاقية في المباني. الجريدة الرسمية، عدد 6306 (6 نوفمبر 2014)، ص. 7714.

- المملكة المغربية. (2016). ظهير شريف رقم 1.16.3 صادر في فاتح ربيع الآخر 1437 (12 يناير 2016) بتنفيذ القانون رقم 58.15 القاضي بتغيير وتتميم القانون رقم 13.09 المتعلق بالطاقات المتجددة. الجريدة الرسمية، عدد 6433 (25 يناير 2016)، ص. 421.
- المملكة المغربية. (2019). ظهير شريف رقم 1.19.18 صادر في 7 جمادى الآخرة 1440 (13 فبراير 2019) بتنفيذ القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للاستثمار. الجريدة الرسمية، عدد 6754 (21 فبراير 2019)، ص. 834.
- المملكة المغربية. (2019). مرسوم رقم 2.19.67 صادر في 11 شعبان 1440 (17 أبريل 2019) بتطبيق القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للاستثمار. الجريدة الرسمية، عدد 6774 (2 ماي 2019)، ص. 2191.
- المملكة المغربية. (2019). مرسوم رقم 2.17.746 صادر في 4 شعبان 1440 (10 أبريل 2019) يتعلق بالافتحاص الطاقي الإلزامي وهيئات الافتحاص الطاقي. الجريدة الرسمية، عدد 6774 (2 ماي 2019)، ص. 2192.
- المملكة المغربية. (2020). ظهير شريف رقم 1.20.78 صادر في 18 ذو الحجة 1441 (8 أغسطس 2020) بتنفيذ القانون رقم 49.17 المتعلق بالتقييم البيئي. الجريدة الرسمية، عدد 6908 (13 أغسطس 2020)، ص. 4346.
- نورة، أ. (2019). الطاقات المتجددة والتخطيط العمراني. جامعة البليدة 2. استرجع في 10 يناير 2019 من http://www.blida2-univ.dz
- برنامج الموئل للأمم المتحدة .(n.d.) .تاريخ الموئل وتكليفه ودوره ضمن منظومة الأمم المتحدة. استرجع في 21 مارس 2019 من https://unhabitat.org/ar/node/2971

- United Nations. (1976). Report of Habitat: United Nations Conference on Human Settlements, Vancouver, 31 May–11 June 1976. New York: United Nations.
- United Nations. (2016). Nouveau programme pour les villes: Conférence des Nations Unies sur le logement et le développement

urbain durable (Habitat III), Quito, 17–20 octobre 2016. New York: United Nations.

- United Nations ESCWA. (2004). Urban expansion and sustainable development in the Arab region. Social Development Bulletin, 5(4). Retrieved from http://www.escwa.un.org
- UNESCO. (n.d.). L'alliance internationale des villes inclusives et durables et le nouvel agenda urbain. Retrieved March 21, 2019, from https://ar.unesco.org/themes/fostering-rights-inclusion/iccar/agenda
- UNESCO. (2016). Commitment to promoting sustainable cities through policy advice, technical assistance, and capacity building. Paris: UNESCO.
- UN-Habitat. (n.d.). History, mandate and role in the UN system. Retrieved March 21, 2019, from https://unhabitat.org/ar/node/2971
- Larrue, C. (1996). Développement régional et qualité de l'environnement. In Environnement et aménagement du territoire (p. 208). Paris: La Documentation Française.
- UNESCO. (n.d.). L'alliance internationale des villes inclusives et durables et le nouvel agenda urbain. UNESCO. Retrieved March 21, 2019, from https://ar.unesco.org/themes/fostering-rights-inclusion/iccar/agenda
- The Right to the City. (n.d.). Concept and principles. Retrieved from https://www.right2city.org/

Forced Displacement and Israeli Settlements in Palestine: Legal Characterization and International Responsibility

Djemaa Brahimi
Faculty of Islamic Sciences – University of Batna 1 – Algeria
djemaa.brahimi@univ-batna.dz

Abstract:

This paper examines two major international crimes perpetrated against the Palestinian people: forced displacement and the expansion of Israeli settlements, both serving as instruments of a systematic colonial policy pursued by Israeli authorities since the 1948 Nakba. These practices constitute violations of Articles 49 and 147 of the Fourth Geneva Convention, as well as Articles 7 and 8 of the Rome Statute.

Through a legal lens, the paper frames these actions as war crimes and crimes against humanity, emphasizing their interrelated role in undermining Palestinian statehood, It further explores the legal responsibilities of the occupying power and the international community, while analyzing key obstacles to international justice, such as double standards and the politicization of accountability mechanisms.

Keywords: keywords; keywords; keywords; keywords; keywords.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي في فلسطين– التكييف القانوني والمسؤولية الدولية–

جمعة براهيمي
كلية العلوم الإسلامية جامعة–باتنة1–الجزائر
djemaa.brahimi@univ-batna.dz

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية جريمتين من أخطر الجرائم الدولية المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني، هما التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي، باعتبارهما أداتين لسياسة استعمارية ممنهجة تتبناها سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ النكبة عام 1948؛ بهدف تفريغ الأراضي الفلسطينية من سكانها الأصليين، وتغيير طابعها الديموغرافي لصالح المشروع الاستيطاني، في انتهاك صارخ للمادتين 49 و147 من اتفاقية جنيف الرابعة، والمادتين 7 و8 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

وتروم هذه الورقة تقديم مقاربة قانونية لهذه الأفعال، من خلال تحليل الإطار القانوني الذي يحرّمها ويكيّفها كجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وفق المعايير الدولية، مع إبراز الترابط البنيوي بين التهجير والاستيطان كسياسات تقوّض إقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما تناقش الورقة حدود مسؤولية سلطات الاحتلال بموجب القانون الدولي، والدور المنوط بالمجتمع الدولي في وقف هذه السياسات، وتفعيل مبدأ عدم الإفلات من العقاب، وتسلط الضوء على أبرز التحديات التي تعيق إنفاذ العدالة الدولية، وفي مقدمتها ازدواجية المعايير وتسييس العدالة الدولية.

الكلمات المفتاحية:

التهجير القسري، الاستيطان الإسرائيلي، السكان الفلسطينيين، القانون الدولي، المسؤولية الدولية

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025

تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

يشكّل التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي في فلسطين أحد أخطر مظاهر الانتهاكات الممنهجة التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني، والتي تعكس سياسة استعمارية ممنهجة تستهدف إفراغ الأرض من سكانها الأصليين وإحلال مستوطنين مكانهم، بما يتعارض مع أبسط قواعد القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، فمنذ عام 1948 شهدت الأراضي الفلسطينية عمليات تهجير قسري مستمرة، حيث استخدمت السلطات الإسرائيلية أساليب متنوعة لترحيل السكان الفلسطينيين من أراضيهم ومنازلهم بهدف تغيير الواقع الديموغرافي لصالح المشروع الاستيطاني الإسرائيلي، وفي الوقت ذاته يشهد الاستيطان الإسرائيلي توسعا غير مسبوق، من خلال إنشاء مستوطنات على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967 بما في ذلك القدس الشرقية، وهو ما يُعتبر انتهاكا صارخا لمبادئ القانون الدولي، لا سيما اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 التي تحظر الاستيطان في الأراضي المحتلة.

وتستند السياسات الإسرائيلية في التهجير القسري إلى ممارسات تهدف إلى محو الهوية الفلسطينية وإضعاف الوجود الفلسطيني على أرضه، وذلك من خلال عمليات هدم المنازل، فرض القيود على التنقل، والطرد الإداري، وسحب الهويات، وفي المقابل يسعى المشروع الاستيطاني الإسرائيلي إلى فرض أمر واقع على الأرض من خلال توسيع المستوطنات، وبناء الجدران العازلة، وإنشاء الطرق الالتفافية التي تعزل الفلسطينيين عن بعضهم البعض، مما يؤدي إلى تفتيت الجغرافيا الفلسطينية، هذه السياسات تتجاوز كونها انتهاكا لحقوق الإنسان، فهي تشكل جرائم دولية وفقا لأحكام نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لسنة 1998، واتفاقيات جنيف لعام 1949، وغيرها من الأدوات القانونية الدولية، فالتهجير القسري يعد جريمة ضد الإنسانية عندما يُمارَس بشكل واسع النطاق أو منهجي، كما أن الاستيطان يشكل جريمة حرب بموجب المادة 8 من النظام المذكور.

ورغم وضوح هذه الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي، فإن مساءلة إسرائيل عن هذه الجرائم لا تزال تواجه عوائق سياسية وقانونية، هذه العوائق تعكس هشاشة آليات المسؤولية الدولية وتسييس العدالة الجنائية الدولية، ومن هذا المنطلق؛ وفي ظل السياسات الإسرائيلية وآثارها الممتدة على الهوية الفلسطينية، وحق تقرير المصير، والحق في العودة، تأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على هاتين الجريمتين بوصفهما ركيزتين في منظومة الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي، وتسعى إلى تحليل أبعادهما القانونية، وتكييفهما ضمن قواعد القانون

الدولي، وتحديد مسؤولية إسرائيل الدولية، فضلا عن استكشاف حدود تفعيل آليات المحاسبة الدولية، في ظل التحديات البنيوية التي تعاني منها المنظومة القانونية الدولية، مثل ازدواجية المعايير، وانحياز بعض الدول الكبرى، وغياب الإرادة السياسية.

إشكالية الدراسة: انطلاقا من الواقع الميداني المتسم بتصاعد سياسات الإخلاء القسري والاستيطان، ومن التناقض الصارخ بين النصوص القانونية الدولية والتطبيق الفعلي لها في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تتمحور الإشكالية المركزية لهذه الدراسة حول السؤال التالي: **إلى أي مدى تشكل سياسات التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة انتهاكا جسيما للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي الجنائي؟ وما مدى التزام المجتمع الدولي بمسؤولياته القانونية في مواجهة هذه الانتهاكات وتفعيل آليات المساءلة والمحاسبة؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، من أهمها:

-ما هو الإطار القانوني الدولي المنظّم لجرائم التهجير القسري والاستيطان؟

-كيف يمكن تكييف هذه الأفعال قانونيا في ضوء اتفاقيات جنيف ونظام روما الأساسي؟

-ما هو الدور الذي يمكن أن يضطلع به المجتمع الدولي في ضوء الالتزامات الدولية؟

-وما هي التحديات السياسية والقانونية التي تعيق تنفيذ آليات المساءلة في السياق الفلسطيني؟ وما هي أبرز العوائق التي تعرقل تفعيل آليات المحاسبة الدولية في الحالة الفلسطينية؟

ومن أجل تأصيل الموضوع وتكييفه والإجابة على الإشكالية فيه ارتأينا تقسيم هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: الإطار القانوني للتهجير القسري والاستيطان في القانون الدولي الإنساني

المحور الثاني: التكييف القانوني للتهجير القسري والاستيطان

المحور الثالث: المسؤولية الدولية عن جرائم التهجير القسري والاستيطان – بين الالتزامات القانونية والتحديات الواقعية

خاتمة وتتضمن نتائج البحث المتوصل إليها، وتوصياته

المنهج المعتمد: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي لتكييف جرائم التهجير القسري والاستيطان في ضوء القانون الدولي، مع توظيف المنهج النقدي لتحليل قصور النظام الدولي في المساءلة، والاستعانة بالمنهج المقارن لعرض نماذج دولية مشابهة.

أولا: الإطار القانوني للتهجير القسري والاستيطان في القانون الدولي الإنساني

يشكل الإطار القانوني للتهجير القسري والاستيطان مدخلا أساسيا لفهم الطبيعة غير المشروعة للسياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة في ضوء قواعد القانون الدولي الإنساني، ويتطلب ذلك الوقوف على المفاهيم القانونية الدقيقة لهاتين الجريمتين، وبيان العلاقة التي تربط بينهما كسياسات ممنهجة تهدف إلى إحداث تغيير ديمغرافي وجغرافي في الأراضي المحتلة، بما يُخلّ بقواعد الحماية المكفولة للمدنيين تحت الاحتلال.

1- التهجير القسري: المفهوم والسند القانوني

يُعد التهجير القسري من أخطر الممارسات التي تندرج ضمن الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني، باعتباره اعتداء مباشرا على الحق في السكن والكرامة الإنسانية، ويقتضي فهم أبعاده والتمييز بينه وبين الإخلاء المشروع، وبيان الأسس القانونية التي تحرّمه بشكل صريح في النزاعات المسلحة.

1.1.مفهوم التهجير القسري وتمييزه عن الإخلاء القانوني

1.1.1.تعريف التهجير القسري

يُعرّف التهجير القسري في القانون الدولي الإنساني بأنه: النقل الجبري أو الإبعاد القسري لأشخاص محميين من المناطق التي يوجدون فيها بصورة مشروعة، دون أن تقتضي ذلك ضرورة عسكرية ملحة، أو لصالحهم المباشر، وذلك وفقا لما تنص عليه المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تُعد الإطار المرجعي الأساسي في حماية المدنيين زمن النزاعات المسلحة وتحت الاحتلال.

ويُعَدّ هذا الفعل من الانتهاكات الجسيمة التي حُظرت صراحة، حيث تنص الفقرة السادسة من المادة ذاتها على أنه: "لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحّل أو تنقل جزءا من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها".

وقد رسّخ نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية هذا المفهوم، حيث عرف التهجير القسري بأنّه: إبعاد الأشخاص قسرا من المناطق التي يوجدون فيها بصفة مشروعة، دون أسباب يقرّها القانون الدولي، معتبرا التهجير القسري من الجرائم ضد الإنسانية إذا وقع كجزء من هجوم واسع النطاق أو منهجي موجه ضد السكان المدنيين، وذلك بموجب المادة (7/1/د)، كما عدّه أيضا جريمة حرب في حالات النزاعات الدولية، إذا لم تكن هناك أسباب تبرر النقل أو الإجلاء وفقا لما يجيزه القانون الدولي.

ويمتاز هذا السلوك بكونه لا يقتصر على الإبعاد الفعلي للسكان من مناطقهم، بل يشمل أيضا جميع الوسائل غير المباشرة التي تؤدي إلى إجبارهم على الرحيل، كسياسات الحصار، أو التجويع، أو الحرمان من الخدمات الأساسية، أو نشر العنف والذعر، ويُصنّف التهجير القسري، سواء تم جزئيا أو كليا، ضمن الجرائم ضد الإنسانية متى ما تم في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجّه ضد السكان المدنيين (ICRC، 2020، صفحة 419).

كما يعرفه جانب من الفقه بأنّه: كل عملية نقل أو ترحيل قسري لأفراد أو جماعات من السكان المدنيين من أماكن إقامتهم الشرعية، دون مبررات قانونية أو أمنية تفرضها الضرورة العسكرية، وبصورة تنتهك حقوقهم الأساسية (نصار، 2008، صفحة 364)

-نقل الأفراد أو الجماعات من أماكن إقامتهم الشرعية، بصورة قسرية أو تحت وطأة التهديد أو الإكراه، سواء كان مباشرا أو غير مباشر، ودون مبررات قانونية معترف بها، وبما يُخلّ بحقوقهم الأساسية، لاسيما حقهم في السكن والحياة والأمان، ويُعدّ ذلك انتهاكا جسيما لقواعد القانون الدولي الإنساني (الفتلاوي، 2011، صفحة 113)

1.1.2.أشكال التهجير القسري

-التهجير الجماعي: يُعدّ التهجير الجماعي أحد أبرز صور التهجير القسري، ويُقصد به الإبعاد القسري الواسع النطاق لمجموعات سكانية من مناطق سكناها الأصلية دون سند قانوني مشروع، وغالبا ما يتم تحت ذرائع عسكرية أو أمنية زائفة، وقد عرّفت لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة هذا النوع من التهجير بأنه: "الإجلاء الإجباري لعدد كبير من المدنيين من ديارهم بطريقة جماعية، وغالبًا دون مراعاة للضمانات القانونية الأساسية" (Human Rights, 2013).

ويمثل هذا الفعل انتهاكا صارخا لأحكام المادة (49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تنص صراحة على حظر النقل القسري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين من الأراضي المحتلة، إلا إذا اقتضته ضرورة أمنية حتمية، وفي السياق الفلسطيني؛ شكّل التهجير الجماعي ركيزة أساسية في تنفيذ مشروع النكبة عام 1948، حين تم ترحيل ما يربو على 750,000 فلسطيني من قراهم ومدنهم تحت وطأة العنف والمجازر وعمليات الطرد المنظمة، (Morris, 2004, p. 487)، وهو ما أدى إلى تبني سياسة ممنهجة للتهجير القسري بما يخالف جوهر الحماية التي كرّسها القانون الدولي الإنساني للسكان المدنيين الواقعين تحت الاحتلال.

–التهجير الإداري: يعدُّ من الأشكال غير المباشرة للتهجير القسري، ويُنفَّذ من خلال أدوات قانونية وإدارية تُضفي على العملية مظهرا شرعيا، في حين تُخفي نية واضحة لإفراغ الأرض من سكانها الأصليين، وتشمل هذه الأدوات سحب الهويات، وإلغاء تصاريح الإقامة، وإصدار أوامر الهدم والإخلاء، ورفض تراخيص البناء، وقد تم توظيف هذه السياسات بشكل منهجي في القدس الشرقية، حيث ألغت السلطات الإسرائيلية منذ عام 1967 إقامة أكثر من 14500 فلسطيني، على خلفية عدم استيفائهم لما يُعرف بمعايير "مركز الحياة" (B'Tselem, 2015) ، ووفقا لتقارير مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية بلغ عدد الوحدات السكنية المهددة بالهدم ما يربو على 392 وحدة حتى منصف عام 2025 في القدس الشرقية والضفة الغربية (OCHA), 2025)، وتكمن خطورة هذا الشكل من التهجير في أنه يُمارس تحت غطاء قانوني زائف، ما يُصعّب إثبات نية الجريمة، رغم ما يخلّفه من آثار مدمّرة على البنية الديمغرافية والوجود الفلسطيني في المدينة.

–التهجير الصامت: هو أخطر أشكال التهجير القسري، لكونه يتم دون قرارات صريحة بالإخلاء أو الإبعاد، بل يتم من خلال خلق ظروف معيشية قهرية تُرغم السكان على الرحيل، كمنع الوصول إلى الموارد، وتقييد البناء، وإغلاق الطرق، وتضييق الخناق الأمني والمعيشي، مما يُفضي تدريجيا إلى تفريغ المناطق المستهدفة من سكانها على المدى البعيد، وقد أكدت المنظمة الدولية للهجرة (IOM) أن "خلق بيئة غير صالحة للعيش أو تعمد حرمان السكان من الخدمات الأساسية، يمكن أن يشكل نوعا من التهجير القسري المستتر (IOM, 2018)

وتُعدّ منطقة الخان الأحمر والعديد من التجمعات البدوية في الأغوار الفلسطينية أمثلة واضحة لهذا النمط من التهجير، حيث تحرم هذه المناطق من شبكات المياه والكهرباء والتعليم، مع مضايقات مستمرة، لإجبارها على الرحيل طواعية، دون صدور قرار رسمي بالطرد(United Nations, 2020)

1.1.3.التمييز بين التهجير القسري والإخلاء القانوني

يُقصد بالإخلاء القانوني: نقل السكان المدنيين بصورة مؤقتة أو دائمة بناء على أسس مشروعة وقواعد قانونية محددة تستند إلى مبررات مشروعة ،كوجود خطر داهم يهدد حياتهم أو ضرورة عسكرية قاهرة، على أن يكون هذا الإجراء محاطا بضمانات قانونية، تشمل احترام الكرامة الإنسانية، وتوفير أماكن إيواء مناسبة، وضمان العودة الطوعية حال زوال الأسباب الداعية للإخلاء (Henckaerts & Louise , 2005)

كما تنص المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 على أنه: يجوز الإخلاء الكلي أو الجزئي لسكان منطقة ما إذا اقتضته مصلحة أمن السكان أو لدواع عسكرية حيوية، وتشدد على ضرورة أن يكون الإجلاء مؤقتا، وأن يُعاد الأشخاص المجلون إلى منازلهم بمجرد زوال الخطر، وأن لا يُستخدم كذريعة للتهجير المنهجي أو التغيير الديمغرافي القسري، وهو ما يخالف طبيعة السياسات الإسرائيلية التي تمارس الإبعاد والطرد والتجريد من الإقامة والإقامة الجبرية كأدوات للتفريغ السكاني.

من خلال ما سبق يتضح أنّ معيار التمييز بين التهجير القسري والإخلاء القانوني يتمثل في مدى توافر المشروعية في الأسباب والدوافع وطبيعة الوسائل والإجراءات المتبعة، فضلا عن الضمانات الممنوحة للمدنيين بموجب أحكام القانون الدولي الإنساني، فالإخلاء القانوني يُشترط أن يكون مؤقتا ومبررا بضرورات عسكرية قاهرة أو اعتبارات إنسانية مشروعة، ويُنفذ ضمن إطار قانوني واضح يضمن العودة الطوعية للمهجرين، في حين يتسم التهجير القسري بانعدام المشروعية وقيام عنصر الإكراه ويُستخدم لتحقيق أهداف سياسية أو استعمارية، ويُجسد السياق الفلسطيني أبرز الأمثلة على هذا النمط من الانتهاكات، حيث يُمارَس التهجير كأداة لتغيير البنية الديموغرافية قسرا، بما يخدم مشاريع الاستيطان وفرض الوقائع الجيوسياسية بالقوة.

1.2.الأساس القانوني لتحريم التهجير القسري

يستند تجريم التهجير القسري إلى مبدأ عدم النقل القسري للسكان، وإلى نصوص صريحة في اتفاقيات جنيف ونظام روما الأساسي، باعتباره من الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني.

1.2.1.مبدأ عدم النقل القسري للسكان في القانون الدولي الإنساني

يُعد مبدأ عدم النقل القسري للسكان من المبادئ الأساسية في القانون الدولي الإنساني، ويحظر على أي طرف في النزاع وخاصة سلطة الاحتلال ترحيل السكان المدنيين من أماكن إقامتهم إلا لضرورات أمنية أو عسكرية قاهرة، وقد ورد هذا الحظر صراحة في المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تمنع نقل السكان قسرا أو ترحيلهم داخل الأراضي المحتلة أو خارجها، كما صنّف نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية "الإبعاد أو النقل القسري" ضمن الجرائم ضد الإنسانية في مادته السابعة، ويشمل الحظر كافة أشكال النقل القسري، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، مثل الضغوط والتهديدات التي تُجبر السكان على الرحيل، ويُعد هذا المبدأ من القواعد الآمرة، ما يجعل انتهاكه موجبا للمساءلة الجنائية الدولية. (Sassòli, 2019, pp. 454-455)

1.2.2 .النصوص القانونية الدولية ذات الصلة

يستند تحريم التهجير القسري في القانون الدولي الإنساني إلى مجموعة من النصوص القانونية الصريحة، التي تشكل إطارا قانونيا ملزما لحماية السكان المدنيين في أوقات النزاع المسلح الدولي أو غير الدولي بما في ذلك حالات الاحتلال، وتتجسد أبرز الأطر القانونية في المادة (49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 التي تحظر ترحيل أو نقل المدنيين قسرا، سواء إلى داخل الأراضي المحتلة أو خارجها، وتُعدّ هذه القاعدة من المبادئ الآمرة في القانون الدولي الإنساني، التي تفرض التزاما قانونيا غير قابل للتقييد، ولا يجوز خرقها تحت أي ذريعة سواء أكانت سياسية أم عسكرية، ومهما كانت طبيعتها، وتكتسب هذه القاعدة أهميتها الاستثنائية لارتباطها المباشر بكرامة الإنسان وحقه في البقاء في موطنه دون تهديد بالإبعاد أو النفي، كما تعكس مخاوف المجتمع الدولي من التوظيف السياسي أو العسكري لعمليات النقل القسري، التي لطالما شكلت أداة خطيرة لإحداث تغييرات ديمغرافية ممنهجة في الأراضي التي ترزح تحت الاحتلال (Henckaerts & Louise , 2005)، ومع ذلك تتيح ذات المادة في الفقرة الثانية منها استثناء وحيدا يتمثل في جواز الإخلاء الكلي أو الجزئي لمنطقة محتلة، شريطة أن يكون ذلك مبررا بأسباب عسكرية قهرية أو لحماية السكان أنفسهم، بشرط أن يتم هذا الإجراء وفقا لضوابط صارمة تشمل ضمان العودة الفورية للمُرحّلين بعد زوال الخطر، وتوفير الظروف الكريمة للإجلاء المؤقت، غير أن هذا الاستثناء وكما استقر الفقه

الدولي لا يجوز أن يُفسر أو يُوظف بشكل واسع لتبرير سياسات ممنهجة للإبعاد أو التهجير، بل يجب أن يظل مقيدا بمبدأ الضرورة القصوى ومرتبطا بظروف مؤقتة واستثنائية (Dinstein, 2009, p. 112)

علاوة على ذلك أكّد البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 هذا الحظر، واعتبر النقل القسري خرقا جسيما يرقى إلى جريمة حرب، وهو ما دعمته القاعدة العرفية رقم (129) من قواعد القانون الدولي الإنساني (Henckaerts & Louise , 2005)، أما على مستوى القانون الجنائي الدولي، فقد اعتبر نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998 في المادة (7/1/د) أن الإبعاد أو النقل القسري إذا ارتُكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي ضد السكان المدنيين يُشكل جريمة ضد الإنسانية، كما تشكل اتفاقية اللاجئين لعام 1951 والبروتوكول الملحق بها أساسا قانونيا لحماية ضحايا التهجير القسري، لاسيما من خلال مبدأ عدم الإعادة القسرية المنصوص عليه في المادة (33)، والذي يحظر بموجبه إعادة اللاجئين إلى مناطق يتعرضون فيها لخطر الاضطهاد أو الترحيل القسري (Goodwin-Gill & McAdam, Jane, 2007)

2.الاستيطان المفهوم والسند القانوني

يُعدّ الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة من أخطر انتهاكات القانون الدولي الإنساني، وقد حظي بتجريم صريح في العديد من الصكوك الدولية.

2.1.مفهوم الاستيطان

2.1.1. تعريف الاستيطان

يُعرّف الاستيطان في نطاق القانون الدولي الإنساني، بأنه قيام سلطة الاحتلال بنقل سكانها المدنيين، بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى الأراضي التي تحتلها، أو تسهيل هذا النقل بما يُفضي إلى تغيير التركيبة السكانية والديمغرافية لهذه الأراضي، ويُعد هذا الفعل محظورا بموجب المادة (6/49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تنص صراحة على أنّه: "لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحّل أو تنقل جزءا من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها"، كما اعتبرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر هذا الحظر مطلقا، ويشمل جميع أشكال الاستيطان، سواء تمّ تنفيذه من خلال مبادرات حكومية مباشرة أو من خلال تسهيلات مالية وتشريعية تؤدي إلى التوسع الاستيطاني(ICRC, 1958)

ويختلف الاستيطان المدني عن الاستيطان العسكري في كون الأول يتمثل في نقل منظم للسكان المدنيين من دولة الاحتلال إلى الأراضي المحتلة لأغراض ديموغرافية وسياسية، بما في ذلك فرض أمر واقع من خلال التغيير السكاني، وهو ما يُعد انتهاكا جسيما للقانون الدولي الإنساني، أما الثاني فقد يُبرَّر في سياقات استثنائية ولاعتبارات أمنية مؤقتة وضمن حدود الضرورة العسكرية، إلا أنه يفقد مشروعيته حين يُستغل كأداة لفرض السيطرة أو ضم الأراضي المحتلة بشكل غير قانوني، بما يُخالف مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة المنصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة(United Nation, 1945)

2.1.2.ممارسات الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة

تمثل ممارسات الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية، أحد أبرز انتهاكات القانون الدولي الإنساني، حيث أنشأت سلطات الاحتلال منذ عام 1967 عشرات المستوطنات والبؤر الاستيطانية العشوائية، ونقلت إليها ما يزيد عن 700,000 مستوطن إسرائيلي، في إطار سياسة تهدف إلى فرض وقائع ديموغرافية وجغرافية على الأرض (OCHA), 2023))، كما وافقت الحكومة الإسرائيلية خلال عامي 2024 و2025 على بناء أكثر من 35 مستوطنة جديدة غير قانونية في الضفة الغربية، بالتوازي مع تسجيل معدل نمو سكاني سنوي في أوساط المستوطنين تجاوز 2.3%، وهو ما يعكس تصعيدا متسارعا في سياسة التوسع الاستيطاني غير المشروع(Peace Now, 2025)

وقد أكدت محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري الصادر في 9 تموز/يوليو 2004 أن إنشاء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يُشكّل خرقا للقانون الدولي، لا سيما لاتفاقية جنيف الرابعة(ICJ), 2004)) ، كما أدان مجلس الأمن الدولي في قراره رقم 2334 لسنة 2016 هذه الأنشطة، واعتبرها انتهاكا جسيما للقانون الدولي ولا تمتلك أي شرعية قانونية، ودعا إلى الوقف الفوري والكامل لكافة الأنشطة الاستيطانية(United Nations S. C., 2016)

2.1.3.أشكال الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية

تنتهج إسرائيل منذ عام 1967 سياسات استيطانية متعددة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من أبرزها:
–المستوطنات الرسمية: تُقام بقرارات حكومية وتُمنح شرعية داخلية رغم مخالفتها للقانون الدولي، وتستفيد من دعم مالي وأمني واسع، وقد تجاوز عدد المستوطنين 700 ألف حتى عام 2024، موزعين على أكثر من 279 مستوطنة(Peace Now, 2025)

–البؤر الاستيطانية العشوائية: تُنشأ بمبادرات غير رسمية، ثم تُسوّى لاحقا أوضاعها القانونية، وقد وصفتها الأمم المتحدة بأنها أداة أساسية لتوسيع الاستيطان وتفتيت الأرض الفلسطينية (United Nation H. R., 2023)

–الجدار العازل: بدأ بناؤه عام 2002 ويمتد لأكثر من 700كم، ويفصل نحو 9.4% من الضفة الغربية، واعتبرته محكمة العدل الدولية عام 2004 انتهاكا للقانون الدولي (ICJ), 2004))

–الطرق الالتفافية: تربط بين المستوطنات وتتجاوز المناطق الفلسطينية، مما يكرس العزل الجغرافي ويخدم مشروع الضم، وقد وصفت هذه السياسة بأنها بنية تحتية لضم طويل الأمد (B'Tselem, 2015)

2.2.الأساس القانوني لتحريم الاستيطان في الأراضي المحتلة

يستند تحريم الاستيطان في القانون الدولي إلى منظومة متكاملة من النصوص والمعايير القانونية الملزمة، وعلى رأسها المادة(6/49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 التي تُعد أهم مرجع في هذا الصدد، والتي تحظر صراحة على دولة الاحتلال نقل جزء من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها، باعتباره تدخلا غير مشروع في البنية الديموغرافية للمناطق المحتلة، وقد أكدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن هذا الحظر يعتبر من القواعد العرفية المستقرة في النزاعات المسلحة الدولية، ما يمنحه طابع الإلزام حتى في غياب التصديق الرسمي على الاتفاقيات من بعض الدول الأطراف (Henckaerts & Louise , 2005)، كما كرّست محكمة العدل الدولية هذا المبدأ في رأيها الاستشاري لعام 2004 بشأن الجدار العازل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، معتبرة أن بناء المستوطنات الإسرائيلية يُعد انتهاكا للقانون الدولي، وخاصة للمادة 49 من اتفاقية جنيف (ICJ), 2004))، وفي السياق ذاته، ينص نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998، في المادة (8/2/ب/8)، على أن "نقل دولة الاحتلال جزءا من سكانها المدنيين إلى الأرض التي تحتلها"، يُعد جريمة حرب، وهو توصيف دقيق ينسحب على السياسات الاستيطانية الممنهجة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ويُعزَّز هذا السند القانوني بقرار مجلس الأمن رقم 2334 لسنة 2016، الذي أكد على أن المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967 بما فيها القدس الشرقية ليس لها شرعية قانونية، وتشكّل انتهاكا صارخا بموجب القانون الدولي وعقبة أمام تحقيق السلام، داعيا إلى الوقف الفوري لجميع الأنشطة الاستيطانية، ويُعد هذا القرار مرجعا دوليا يُعزز الطبيعة الإلزامية لحظر الاستيطان، ويُرسّخ السند

القانوني والسياسي لحقوق الشعب الفلسطيني في مواجهة المشروع الاستيطاني الإسرائيلي (United Nations S. C., 2016)

3.العلاقة بين التهجير والاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة

3.1.–التهجير كأداة تفريغ ديمغرافي

يشكّل التهجير القسري أحد المرتكزات الأساسية للمشروع الصهيوني منذ نشأته، حيث استُخدم كوسيلة مركزية لإفراغ الأرض الفلسطينية من سكانها الأصليين وإعادة تشكيلها ديمغرافيا بما يخدم المشروع الصهيوني، وقد بدأت هذه السياسات مع نكبة عام 1948 التي أدت إلى تهجير أكثر من 750,000 فلسطيني من قراهم ومدنهم في سياق عمليات منظمة اتخذت طابعا ممنهجا بما في ذلك المجازر، والتهديد، وتدمير المنازل والبنى التحتية، واستمرت هذه السياسات خلال حربي 1956 و1967، حيث أسفرت الأخيرة عن تهجير جماعي من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى خارج البلاد، ثم تكررت مع كل انتفاضة فلسطينية، وبلغت ذروتها خلال انتفاضة الأقصى عام 2000، التي شهدت تصعيدا لعمليات الهدم والاعتقالات الجماعية (الخالدي، 2021، صفحة 112)

3.2.الاستيطان كأداة استعمار وضم

منذ احتلال الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية وقطاع غزة عام 1967، تبنّت إسرائيل سياسة استيطانية مكثفة في انتهاك صارخ للمادة (6/49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تحظر على قوة الاحتلال نقل جزء من سكانها المدنيين إلى الإقليم المحتل (غازي، 2003، صفحة 81)، وقد تجاوز عدد المستوطنين في الضفة الغربية وحدها سبعمائة ألف مستوطن بحلول عام 2023، ضمن مشروع يهدف إلى فرض وقائع ديمغرافية وجغرافية تحول دون قيام دولة فلسطينية مستقلة، وتتمثل أبرز أدوات هذا المشروع في بناء المستوطنات، وتشييد الجدار العازل، وشق الطرق الالتفافية، ونشر الحواجز العسكرية، وهي كلها ممارسات تكرّس نظام فصل عنصري بحكم الواقع وتفكك الترابط الجغرافي للأراضي الفلسطينية، ويجمع فقهاء القانون الدولي على أن هذه السياسات تُشكل ضمًّا فعليا غير معلن، في انتهاك لأحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة (B'Tselem)

3.3.التهجير والاستيطان كمنظومة إحلال منهجية

يشكّل التهجير القسري والاستيطان وجهين متكاملين لسياسة إحلال سكاني ممنهجة تهدف إلى استبدال السكان الأصليين بجماعات استيطانية، فالعلاقة بين التهجير والاستيطان ليست مجرد تتابع زمني

أو تفاعل عشوائي بل هي علاقة وظيفية، حيث يُستخدم التهجير كوسيلة لإخلاء الأرض، بينما يُستخدم الاستيطان كوسيلة لملء هذا الفراغ وتكريس واقع جديد يخدم المشروع، وتترتب على هذه المنظومة نتائج خطيرة، من أبرزها: مصادرة الأراضي الفلسطينية وإعادة توزيعها لصالح المستوطنين، انتهاك الحق في العودة للاجئين الفلسطينيين بما يخالف القرار الأممي 194، وتقويض أسس قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة على حدود 1967 (Qumsieh, 2020, p. 68)،وقد اعتبر فقهاء القانون الدولي أن هذه السياسات تنطوي على انتهاكات جسيمة قد ترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بموجب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ثانيا: التكييف القانوني للتهجير القسري والاستيطان

يُعدّ التكييف القانوني للتهجير القسري والاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة مدخلا جوهريا لفهم طبيعة هذه الانتهاكات، إذ يحدد مدى انطباق أوصاف الجرائم الدولية عليها، لا سيما جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وفقا لما تقرّره قواعد القانون الدولي والنصوص المرجعية ذات الصلة.

1. تكييف التهجير القسري

يُعدّ التهجير القسري من أخطر الانتهاكات التي تصاحب النزاعات المسلحة والاحتلال العسكري، وقد كيفه القانون الدولي كجريمة حرب بموجب اتفاقيات جنيف ونظام روما الأساسي، كما يشكل جريمة ضد الإنسانية إذا ارتُكب على نحو واسع أو منهجي ضد السكان المدنيين.

1.1.التهجير القسري كجريمة ضد الإنسانية

يُشكّل التهجير القسري، في ظل القانون الجنائي الدولي، أحد الأفعال التي ترتقي إلى جريمة ضد الإنسانية إذا ما تم ارتكابه ضمن هجوم واسع النطاق أو منهجي ضد السكان المدنيين، وفق ما نصّت عليه المادة (1/7/د) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، وتعرّف هذه المادة الإبعاد أو النقل القسري للسكان بأنه: إبعاد أشخاص أو نقلهم قسرا من المنطقة التي يوجدون فيها بصفة مشروعة، دون مبررات يسمح بها القانون الدولي، ويفترض هذا التكييف توافر ثلاثة عناصر أساسية:

-أن يكون الفعل جزءا من هجوم موسّع أو منهجي؛

-أن يكون موجّها ضد مجموعة من السكان المدنيين؛

-أن يتمّ بمعرفة الجاني بهذا السياق.

وبالنظر إلى السياسات الإسرائيلية في فلسطين، نجد أنها تستوفي أركان الجريمة مجتمعة (قروج، 2017، صفحة 174)، فقد شكّلت نكبة عام 1948 نموذجا واقعيا لهجوم واسع النطاق، أدّى إلى تهجير ما يزيد عن سبعمائة ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم، في سياق عملية مخططة وممنهجة بهدف إحداث تغيير ديموغرافي دائم، كما أنّ ممارسات التهجير المستمر في القدس الشرقية والضفة الغربية كالإخلاء القسري للأسر، وهدم المنازل، وسحب الهويات، تندرج ضمن نمط ممنهج من السياسات التي تستهدف المدنيين وتُنفّذ بواسطة أدوات الدولة الإسرائيلية سواء العسكرية أو الإدارية ، بما يتوافق مع الركن المادي للجريمة، وتتّضح الطبيعة المنهجية لهذه السياسة من خلال التنظيم الإداري الدقيق الذي يحكم عمليات الطرد والإخلاء، واعتماد قوانين تمييزية كقانون أملاك الغائبين، بهدف إضفاء طابع قانوني شكلي على عملية تهجير تستهدف المدنيين لاعتبارات قومية واستيطانية، كما يتجلّى القصد الجنائي العام في وضوح نية الفاعلين (السياسيين والعسكريين) في تنفيذ هذه الأفعال ضمن سياسة شاملة لإعادة تشكيل التركيبة السكانية (Masalha, 2012, pp. 14-15)

وتجدر الإشارة إلى أنّ قيام جريمة ضد الإنسانية لا يشترط وجود نزاع مسلح، بل يكفي تحقق الطابع المنهجي أو الواسع النطاق للفعل ضد السكان المدنيين وهو ما يتوافر بجلاء في الحالة الفلسطينية، وقد أكدت منظمات دولية كمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة والمقرر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بأن هذه الممارسات تُطابق التوصيف القانوني للجرائم ضد الإنسانية بموجب القانون الدولي(Human Rights Council U. N., 2022)

وفي السياق نفسه، أشار مكتب الادعاء في المحكمة الجنائية الدولية ضمن تقريره التمهيدي لعام 2021 بشأن الحالة في فلسطين، إلى أنّ أعمال الإبعاد القسري الممنهج تُشكّل ضمن الوقائع قيد التحقيق أفعالا تقع في صميم اختصاص المحكمة (Office of the Prosecutor, 2020)، وعليه فإنّ ما تمارسه إسرائيل من تهجير قسري بحق الفلسطينيين لا يقتصر على كونه خرقا لاتفاقيات جنيف، بل يرقى إلى جريمة ضد الإنسانية وفق نظام روما الأساسي، وتُرتّب مسؤولية جنائية فردية بحق القادة والفاعلين الرسميين الإسرائيليين، فضلا عن المسؤولية القانونية للدولة بصفتها الطرف المنظّم لهذه السياسات.

1.2.التهجير القسري كجريمة حرب

إلى جانب اعتباره جريمة ضد الإنسانية، يُعدّ التهجير القسري ولا سيما في ظل الاحتلال العسكري من جرائم الحرب المعترف بها دوليا، وقد نصت المادة(8/2/أ/7)من نظام روما الأساسي على أن: "الإبعاد أو النقل غير المشروع للأشخاص المحميين يُعدّ جريمة حرب، متى ارتُكب في إطار نزاع مسلح دولي"، كما أكدت المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 حظر الإبعاد الفردي أو الجماعي للسكان من الأراضي المحتلة.

وتُستخلص الصفة الإجرامية للتهجير القسري بوصفه جريمة حرب من خلال توافر الأركان القانونية الواردة في وثيقة "عناصر الجرائم" الصادرة عن المحكمة الجنائية الدولية والمنصوص عليها تحديدا في المادة (8/2/أ/7)، والمتمثلة في:

-الركن المادي: ويتحقق من خلال قيام سلطة الاحتلال بإبعاد أو نقل أشخاص محميين خارج الأراضي المحتلة دون أساس قانوني سواء باستخدام القوة أو عن طريق وسائل غير مباشرة؛

-الركن المعنوي: ويتمثل في علم الجاني بعدم مشروعية الفعل، وأنه لا يستند إلى ضرورة عسكرية أو أمنية ملحّة؛ وأنّ الضحايا من الأشخاص المحميين؛

-الركن السياقي: ويتحقق من خلال وقوع الجريمة في سياق نزاع مسلح دولي أو احتلال حربي فعلي.

وفي السياق الفلسطيني، فإن هذه الأركان تتجسّد بوضوح في ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي، التي تُطبّق سياسات ممنهجة تستهدف تفريغ مناطق معينة من سكانها الفلسطينيين لاسيما في القدس الشرقية والضفة الغربية، وتشمل هذه السياسات: هدم المنازل، وإلغاء تصاريح الإقامة، والإخلاء القسري للعائلات الفلسطينية، ومصادرة الأراضي، وهي أفعال تُرتكب خارج إطار أي ضرورة عسكرية فعلية مما يجردها من أي غطاء قانوني، وقد أكدت تقارير أممية منها تقرير لجنة التحقيق الدولية لعام 2022، أن هذه الممارسات تُعد انتهاكات جسيمة ترقى إلى جرائم حرب (Hman Rights Council. U N, 2022)،كما شددت لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الشعب الفلسطيني على أن الإبعاد القسري الإسرائيلي يُخالف نصوص القانون الدولي الإنساني بشكل لا يُبرَّر (United Nation G. A., 2022).

وبناء عليه، فإن ممارسة إسرائيل للتهجير القسري في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخاصة في القدس والضفة الغربية، ترقى إلى جريمة حرب مكتملة الأركان تستدعي المساءلة الجنائية الدولية، وتُحتّم تفعيل الاختصاص العالمي لضمان محاسبة المسؤولين وإنهاء الإفلات من العقاب.

2.تكييف الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين

2.1.الاستيطان كجريمة حرب وانتهاك جسيم للقانون الدولي

يمثّل النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة وعلى رأسها الضفة الغربية والقدس الشرقية، انتهاكا صارخا لأحكام القانون الدولي الإنساني، ويقع في نطاق جرائم الحرب كما نصت عليه المادة (8/2/ب/8) من نظام روما الأساسي، التي تُجرّم نقل دولة الاحتلال سواء بشكل مباشر أو غير مباشر جزءا من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها، ويستند هذا التكييف إلى قاعدة راسخة في المادة (6/49) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، التي تحظر هذا النوع من النقل لما له من أثر مدمر على التركيبة السكانية والهوية السياسية والثقافية للإقليم المحتل.

وبالرجوع إلى وثيقة عناصر الجرائم الصادرة عن المحكمة الجنائية الدولية، فإن جريمة الاستيطان تستند إلى العناصر الآتية:

-الركن المادي: يتمثل في قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بنقل أفراد من السكان المدنيين الإسرائيليين إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال إنشاء المستوطنات أو توسيعها أو تقديم حوافز مادية وتشريعية لتسهيل هذا النقل؛

-الركن السياقي: ويتمثل في كون هذا الفعل قد ارتُكب في إطار نزاع مسلح دولي، وهو ما يتوافر في الحالة الفلسطينية باعتبار أن الأراضي المحتلة تقع تحت الاحتلال العسكري منذ عام 1967؛

-الركن المعنوي: ويتمثل في كون الجاني على علم بأن الأرض المعنية أرض محتلة، وأن عملية النقل تمّت بغرض إحداث تغيير ديمغرافي يخدم أهدافا استعمارية أو سياسية.

في السياق الفلسطيني، يُشكّل الاستيطان سياسة منهجية تهدف إلى تغيير التركيبة السكانية على نحو دائم وتحويل الاحتلال المؤقت إلى واقع استعماري إحلالي، وتُمارسه إسرائيل من خلال إنشاء مستوطنات مدنية وعسكرية، ومصادرة الأراضي، وفرض أنظمة تمييزية، في خرق صارخ لحظر الاستيلاء على الأراضي بالقوة والتمييز العرق (عباس، 2008، صفحة 47)

وتُعدّ هذه الممارسات انتهاكات جسيمة بموجب المادة 147 من اتفاقية جنيف الرابعة ما يُوجب ملاحقة مرتكبيها، خاصة في ظل طابعها المنظم والمدعوم رسميا من طرف سلطات المحتل، وهو ما يدخلها ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بعد انضمام فلسطين إلى نظام روما، وقد أكدت لجنة تقصي الحقائق التابعة لمجلس حقوق الإنسان عام 2013 على أن نمط بناء المستوطنات يعكس سياسة دولة تهدف إلى الضم الفعلي للأرض المحتلة، وهو ما يشكل انتهاكا صارخا للقانون الدولي، وجريمة تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، ويُعزّز هذا التوصيف القانوني فتح المحكمة الجنائية الدولية في مارس 2021 تحقيقا رسميا يشمل جريمة نقل السكان المدنيين الإسرائيليين إلى الأراضي المحتلة، مما يعكس قبولا ضمنيا من المجتمع الدولي باعتبار الاستيطان جريمة تدخل في اختصاص المحكمة، كما أكدت قرارات مجلس الأمن ولا سيّما القرار (2016) 2334، على عدم شرعية الاستيطان، واعتبرته عقبة رئيسية أمام تحقيق السلام العادل والدائم (مشتة، 2022، صفحة 119)

بناء على ما سبق، فإن المشروع الاستيطاني الإسرائيلي لا يُعد مجرد مخالفة قانونية، بل يُشكّل جريمة حرب مكتملة الأركان وفق القانون الجنائي الدولي تستوجب المساءلة القانونية، وتضع على عاتق المجتمع الدولي مسؤولية قانونية وأخلاقية للتحرك ضد هذا النهج الإحلالي الذي يقوّض السلم الدولي والعدالة.

2.2.الاستيطان الإسرائيلي كنظام فصل عنصري (أبارتايد): التكييف القانوني الدولي

لا يقتصر التكييف القانوني للاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة على كونه جريمة حرب فحسب، بل يمتد ليشكل جزءا من نظام فصل عنصري ممنهج يرتقي إلى جريمة ضد الإنسانية بموجب المادة (1/7/ي) من نظام روما الأساسي، التي تُجرّم الأفعال اللاإنسانية المرتكبة في إطار نظام مؤسسي قمعي يقوم على السيطرة المنهجية لجماعة عرقية على جماعة أخرى بهدف الإبقاء على تلك السيطرة، وتعكس السياسات الاستيطانية الإسرائيلية بما في ذلك مصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وتقييد حرية التنقل، وتطبيق أنظمة قانونية مزدوجة على أساس الانتماء القومي، ملامح نظام فصل عنصري ممنهج يخالف المبادئ الجوهرية للقانون الدولي، إذ تقوم هذه السياسات على بنية تمييزية تهدف إلى ترسيخ هيمنة جماعة إثنية (اليهود الإسرائيليين) على جماعة أخرى (الفلسطينيين) من خلال أدوات تشريعية وإدارية، وقد أكدت منظمات دولية من بينها منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش، أن إسرائيل تطبّق منظومة قانونية ومؤسساتية

تُحقق بصورة واضحة أركان جريمة الفصل العنصري كما نصّ عليها القانون الدولي، ولا سيما كما وردت في المادتين (1/7/ي) و(2/7/ح) من نظام روما الأساسي، وفي اتفاقية الفصل العنصري لعام 1973، باعتبارها تمثل سيطرة منهجية وعنصرية ذات طابع مؤسسي على جماعة سكانية على أساس عرقي أو قومي (Human Rights Watch, 2021)، وفي السياق نفسه أكدت لجنة التحقيق الدولية التابعة للأمم المتحدة في تقريرها لعام 2022 أن سياسات الاحتلال الممارسة في الأراضي الفلسطينية وعلى رأسها الاستيطان، تنطوي على عناصر واضحة لنظام فصل عنصري وفقا للتعريفات المعتمدة في القانون الدولي (Hman Rights Council. U N, 2022)

وعليه، فإن التكييف القانوني للاستيطان لا يقتصر على كونه انتهاكا جسيما لأحكام القانون الدولي الإنساني بل يُدرج أيضا ضمن الجرائم ضد الإنسانية، مما يُرتب مسؤولية جنائية دولية على القادة الإسرائيليين، ويلقي على عاتق المجتمع الدولي التزاما قانونيا بعدم الاعتراف أو التعاون مع هذا النظام.

ثالثا: المسؤولية الدولية عن جرائم التهجير القسري والاستيطان – بين الالتزامات القانونية والتحديات الواقعية

تُعدّ المسؤولية الدولية عن جرائم التهجير القسري والاستيطان ركيزة أساسية لضمان احترام القانون الدولي في الأراضي الفلسطينية المحتلة ومساءلة سلطات الاحتلال، غير أن تفعيلها يواجه عقبات واقعية تُقوّض فاعليتها وتُكرّس الإفلات من العقاب في ظل اختلال ميزان القوى وازدواجية المعايير داخل النظام الدولي.

1.مسؤولية إسرائيل الدولية عن جرائم التهجير القسري والاستيطان

تُعدّ مسؤولية إسرائيل الدولية عن جرائم التهجير القسري والاستيطان امتدادا مباشرا لمبدأ عدم جواز الإفلات من العقاب في القانون الدولي، وتشمل هذه المسؤولية شقَّين متكاملين: مسؤولية الدولة بصفتها الكيان المنظم للانتهاك، والمسؤولية الجنائية الفردية للقادة بصفتهم فاعلين مباشرين في ارتكاب تلك الجرائم.

1.1.مسؤولية إسرائيل كدولة

تتحمّل إسرائيل بصفتها القوة القائمة بالاحتلال، المسؤولية القانونية الكاملة عن الجرائم الدولية التي ترتكبها سلطاتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة وعلى رأسها جرائم التهجير القسري والاستيطان، لما تنطوي عليه من انتهاك جسيم لالتزامات دولية محددة النطاق والمصدر، وتستند هذه المسؤولية إلى مشروع قواعد

المسؤولية الدولية عن الأفعال غير المشروعة للدول، الذي اعتمدته لجنة القانون الدولي بالأمم المتحدة عام 2001، والذي يُعد الإطار المرجعي الأساسي في هذا المجال (International Law Commission, 2001)

ووفقا للمادة الأولى من هذا المشروع، "تتحمل كل دولة المسؤولية الدولية عن كل فعل غير مشروع دوليا يُنسب إليها"، بشرط توافر عنصرين أساسيين هما: وجود إخلال بالتزام دولي قائم على عاتق الدولة؛ وإمكانية إسناد الفعل غير المشروع إلى الدولة نفسها باعتبارها شخصا من أشخاص القانون الدولي، وفي حالة إسرائيل فإن ممارسات التهجير القسري والاستيطان تشكّل انتهاكا صريحا لجملة من الالتزامات الدولية، أبرزها تلك المنصوص عليها في اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، ونظام روما الأساسي لعام 1998، وميثاق الأمم المتحدة، فضلا عن القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي، وهو ما يترتب عليه خضوع هذه الأفعال لأحكام المسؤولية الدولية وفقا للمعايير المستقرة في القانون الدولي العام.

أما من حيث الإسناد، فإن معظم أفعال التهجير، وهدم المنازل، وسحب الهويات، ومصادرة الأراضي، وبناء المستوطنات تُمارس من طرف أجهزة الدولة الإسرائيلية الرسمية، كالقوات العسكرية، والقضاء، والإدارة المدنية، والمؤسسات التشريعية، مما يُحقق شرط الإسناد المنصوص عليه في المادتين 4 و5 من مشروع المسؤولية الدولية عن الأفعال غير المشروعة للدول، كما أن الطابع المنهجي لاستمرار هذه الانتهاكات يُعبّر عن سياسة دولة، لا مجرد تجاوزات فردية (نصار، 2008، صفحة 399)

وبحسب المادة 28 من ذات المشروع، تلتزم الدولة التي ترتكب فعلا غير مشروع دوليا بوقفه فورا وضمان عدم تكراره وجبر الضرر الناتج عنه، سواء بإعادة الحال إلى ما كان عليه، أو التعويض المادي، أو الاعتراف بالخطأ، وفي ضوء استمرار إسرائيل في تنفيذ سياسات التهجير القسري والاستيطان، فإنها تظل في حالة خرق مستمر ترتّب مسؤولية دولية متواصلة، كما تُعدّ هذه الأفعال انتهاكا صارخا لقواعد آمرة في القانون الدولي لا يجوز الاتفاق على مخالفتها، وتتأكد هذه المسؤولية بالنظر إلى الطابع المنهجي والرسمي لهذه الأفعال التي تنفذها أجهزة الدولة، وقد خلصت لجنة التحقيق الدولية المستقلة إلى أن هذه الممارسات تُشكّل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية تتحمّل عنها إسرائيل المسؤولية الدولية الكاملة، مما يُلزم المجتمع الدولي باتخاذ التدابير القانونية والسياسية اللازمة لضمان عدم الإفلات من العقاب (نصار، 2008، صفحة 401)

1.2.المسؤولية الجنائية الفردية للقادة الإسرائيليين

إلى جانب مسؤولية إسرائيل كدولة، تنعقد المسؤولية الجنائية الفردية على قادة الاحتلال المدنيين والعسكريين المتورطين في التخطيط أو التنفيذ المباشر لسياسات التهجير القسري والاستيطان، باعتبارها جرائم تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، وينص نظام روما الأساسي في المادة 25 على أن المسؤولية الجنائية لا تقتصر على الدول، بل تشمل الأفراد الذين يرتكبون أو يساهمون بأي صورة في ارتكاب الجرائم الدولية سواء بالفعل المباشر أو التحريض أو التخطيط أو المساعدة، وتُعَزّز هذه القاعدة من خلال المادة 28 التي تُقرّ بمسؤولية القادة العسكريين والمدنيين عن أفعال مرؤوسيهم متى علموا أو كان ينبغي لهم أن يعلموا بها، ولم يتخذوا التدابير اللازمة لمنع وقوعها أو لمعاقبة مرتكبيها، وهو ما ينطبق بصورة جلية على القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية المشرفة على منظومة الاستيطان والتهجير (الوادية، 2009، صفحة 158)، ويؤكد هذا الطرح ما جاء في الفقه القانوني من أن جرائم الاحتلال لا تُرتكب بمعزل عن إرادة القيادة العليا، بل تُعدّ تجسيدا فعليا لسياسة عليا ممنهجة تتبنّاها سلطات الاحتلال تستوجب ملاحقة واضعيها ومنفذيها على السواء (Schabas, An Introduction to the International Criminal Court, 2017, p. 226)

وفي السياق نفسه، تُعد المادة 27 من النصوص الحاسمة، إذ ترفع الحصانة عن المسؤولين الرسميين بمن فيهم رؤساء الدول، وتؤكد أن الصفة الرسمية لا تُعد مانعا من المسؤولية أو سببا لتخفيف العقوبة، مما يُعزّز مبدأ عدم الإفلات من العقاب في مواجهة الجرائم المرتكبة في سياق الاحتلال، وقد تجسّد هذا المبدأ عمليا عندما أعلن مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية في مارس 2021 فتح تحقيق رسمي بشأن الجرائم المرتكبة في الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 2014، وذلك استنادا إلى طلب دولة فلسطين بصفتها طرفا في نظام روما منذ 2015، ويتضمن التحقيق صراحة جرائم التهجير القسري والاستيطان، لما تتّسم به من طابع ممنهج واسع النطاق، ما يُكيّفها وفقا للمادتين (7) و(8) من النظام الأساسي كجرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب، ورغم التحديات السياسية والإجرائية، فإنّ مباشرة التحقيق يمثّل خطوة مفصلية نحو ترسيخ مبدأ عدم الإفلات من العقاب ومحاسبة مرتكبي الجرائم الدولية (قواسمية، 2012، صفحة 246).

2.مسؤولية المجتمع الدولي

تُعدّ مسؤولية المجتمع الدولي محورية في مواجهة جرائم التهجير القسري والاستيطان في فلسطين، باعتبارها انتهاكات جسيمة لقواعد آمرة في القانون الدولي، وهو ما يفرض على الدول التزامات قانونية جماعية ومتعددة، من أبرزها:

-مبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع غير المشروعة: يُعدّ مبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع الناشئة عن خرق جسيم للقانون الدولي من المبادئ الراسخة في القانون الدولي، ويشكّل التزاما يقع على عاتق جميع الدول، وقد كرّسته محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري بشأن ناميبيا عام 1971، كوسيلة قانونية لمواجهة الانتهاكات الخطيرة كالاستيطان والتهجير القسري، وفي السياق الفلسطيني يُلزم هذا المبدأ الدول بعدم الاعتراف بأي وضع قانوني تُنشئه إسرائيل بفعل هذه السياسات، وعدم تقديم أي دعم مباشر أو غير مباشر لترسيخها، وقد أكّدت لجنة القانون الدولي على هذا الالتزام في المادة 41 من مشروعها بشأن مسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة باعتباره آلية قانونية غير عسكرية لضمان احترام القانون الدولي (Susan.Akram, Dumper, & Lynk, 2011, pp. 148-150)

-واجب اتخاذ تدابير فعالة لوقف الانتهاكات: لا يقتصر دور المجتمع الدولي على الامتناع عن الاعتراف بالأوضاع غير المشروعة، بل يمتد إلى واجب قانوني باتخاذ تدابير فعالة تهدف إلى وقف الانتهاكات الجسيمة وضمان عدم تكرارها وفقا لما تؤكده المادة 41 من مشروع لجنة القانون الدولي بشأن مسؤولية الدول عن الأفعال الدولية غير المشروعة (2001)، ويشمل هذا الواجب التعاون الدولي، وفرض عقوبات سياسية أو اقتصادية، وتعليق العلاقات التي تُكرّس الوضع غير القانوني، ومن هذا المنطلق فإنّ استمرار العلاقات العسكرية أو الاقتصادية مع سلطات الاحتلال يعتبر شكلا من أشكال الإعانة غير المباشرة، بما يُخالف التزامات الدول بموجب القانون الدولي. (عتلم، 2016، الصفحات 177-178)

-التزام الدول الأطراف بضمان احترام اتفاقيات جنيف: تنص المادة الأولى المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 على التزام الدول الأطراف باحترام هذه الاتفاقيات وضمان احترامها في جميع الأحوال، وهو التزام ذو طابع إيجابي يُحمّل الدول مسؤولية قانونية لا تقتصر على أفعالها المباشرة بل تشمل أيضا امتناعها عن اتخاذ تدابير فعالة لمنع الانتهاكات الجسيمة، وتُعدّ سياسات التهجير القسري والاستيطان التي تمارسها قوات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة من الخروقات الجسيمة التي تستوجب

تدخلا فعّالا من جميع الأطراف السامية إلا أن تقاعسها المتكرر يُعدّ إخلالا واضحا بالتزاماتها التعاقدية ويسهم في ترسيخ الإفلات من العقاب (عتلم، 2016، صفحة 175).

ورغم وضوح الإطار القانوني الذي يُلزم المجتمع الدولي بعدم الاعتراف بالأوضاع غير المشروعة، واتخاذ التدابير ودعم المساءلة، إلا أن تفعيل هذه الالتزامات يظل محكوما باعتبارات سياسية وواقعية أعاقت تحقيق المساءلة الفعلية، وهو ما يستوجب الوقوف عند أبرز تلك التحديات في المطلب التالي.

3.التحديات الواقعية

تُواجه جهود المساءلة الدولية عن الانتهاكات الجسيمة في فلسطين، وفي مقدمتها جرائم التهجير القسري والاستيطان، جملة من التحديات البنيوية والواقعية، من أهمها:

3.1.ازدواجية المعايير في تطبيق القانون الدولي

تُعدّ ازدواجية المعايير في تطبيق القانون الدولي من أبرز التحديات التي تُهدد نزاهة نظام العدالة الجنائية الدولية، وتُقوض شرعية المحكمة الجنائية الدولية في محاسبة مرتكبي الجرائم الدولية الجسيمة، فعلى الرغم من وضوح نصوص نظام روما الأساسي التي تُلزم بتحقيق العدالة دون تمييز، إلا أن الممارسة العملية تُظهر واقعا تحكمه اعتبارات سياسية وانتقائية تُضعف من فاعلية المحكمة، وتُعيق تحقيق مبدأ المساواة أمام القانون الدولي، ويتجلى هذا التفاوت عند مقارنة سرعة تدخل المحكمة في بعض القضايا الدولية، كما في الحالة السودانية، حيث أُصدرت مذكرة توقيف بحق الرئيس الأسبق عمر البشير سنة 2009، وفي الحالة الأوكرانية، حين سارعت المحكمة في مارس 2023 إلى إصدار مذكرة توقيف ضد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (عتيق، 2024، صفحة 380)، غير أن هذا المسار الحاسم يقابله تباطؤ ملحوظ في التعامل مع الجرائم المرتكبة في قطاع غزة رغم وفرة الأدلة، ووضوح الإطار القانوني لانتهاكات جسيمة لاتفاقيات جنيف والقانون الدولي الإنساني، وهو ما يكشف عن تأثير الضغوط والعلاقات السياسية في توجيه العدالة الدولية، ويُكرّس واقع الإفلات من العقاب في قضايا دون أخرى، مما يضع المحكمة أمام اختبار حقيقي لمصداقيتها وحيادها بوصفها إحدى ركائز النظام القانوني الدولي (بن عبد العزيز و بن بوعزيز، 2022، صفحة 657)

3.2.الحماية الغربية لإسرائيل وتسييس العدالة

تُشكّل الحماية السياسية التي توفرها بعض الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، مظلة فعالة تُعيق مساءلة إسرائيل عن انتهاكاتها الجسيمة للقانون الدولي، بما في ذلك جرائم التهجير القسري

والاستيطان، إذ غالبا ما تُوظَّف أدوات الضغط السياسي والمالي والحق في النقض داخل مجلس الأمن، لعرقلة أي مبادرة تهدف إلى الإحالة على المحكمة الجنائية الدولية أو تفعيل آليات المحاسبة الدولية، وقد انعكس هذا الواقع في الانتقائية التي تُدار بها ملفات العدالة الدولية، حيث يُسخَّر القانون أحيانا كأداة لخدمة المصالح الجيوسياسية لا كوسيلة محايدة لتحقيق العدالة، إن هذا التسييس المستمر يُفرغ مبادئ القانون الدولي من مضمونها، ويُقوّض ثقة الشعوب المتضررة في جدوى النظام القانوني الدولي، مما يُكرّس الإفلات من العقاب في الحالة الفلسطينية (لينك، 2023)

3.3.غياب الإرادة السياسية الدولية

يُعد غياب الإرادة السياسية الدولية أحد أبرز العوائق الهيكلية التي تُفرغ قواعد القانون الدولي من فعاليتها، وتُحول دون تفعيل آليات المساءلة بحق مرتكبي الجرائم الجسيمة، وفي مقدمتها الانتهاكات الإسرائيلية المرتكبة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فعلى الرغم من وضوح الإطار القانوني الناظم للمساءلة الدولية إلا أن غياب الإرادة الحقيقية لدى الفاعلين الدوليين خاصة القوى الكبرى، حال دون ترجمة هذه القواعد إلى إجراءات ملموسة مما أدى إلى تعطيل مؤسسات العدالة الدولية (Hemin Qasim, 2024) ، وقد أكدت لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) أن: "الضعف المؤسسي في النظام الدولي لا يعود إلى نقص القواعد القانونية، بل إلى غياب الإرادة السياسية لدى المجتمع الدولي لتطبيقها عندما يتعلق الأمر بإسرائيل"، وتنعكس هذه المواقف السياسية في صورة ضعف التعاون الدولي مع المحكمة الجنائية لا سيما في مراحل التحقيق وتنفيذ مذكرات التوقيف، وهو ما يكرّس الإفلات من العقاب ويقوّض مصداقية نظام العدالة الجنائية الدولية (خدومة،، 2024، صفحة 192)

الخاتمة

ختاما، يُبيّن هذا البحث أن سياسات التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي تُشكّل انتهاكات جسيمة للقانون الدولي، وتندرج ضمن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، بما يعكس نهجا استعماريا ممنهجا يستهدف تقويض الحق الفلسطيني في الأرض والسيادة، كما يظهر أن غياب المساءلة الدولية واستمرار المعايير المزدوجة يعززان الإفلات من العقاب، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

النتائج

-تُعدّ ممارسات التهجير القسري والاستيطان الإسرائيلي خرقا جسيما للقانون الدولي، وترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وفق نظام روما الأساسي.

-يرتبط التهجير القسري والاستيطان بعلاقة بنيوية، حيث يُستخدم الأول لتفريغ الأرض، والثاني لفرض واقع استيطاني إحلالي.

-تكشف الممارسة الدولية عن فجوة بين النصوص القانونية التي تجرّم بعض الأفعال وبين الآليات الفعلية لمحاسبة المسؤولين، بما يطرح إشكاليات تتعلق بحدود فاعلية النظام الدولي في النزاعات الممتدة.

- أثبتت الممارسة الدولية محدودية فاعلية المجتمع الدولي في تحمل مسؤولياته القانونية والأخلاقية تجاه حماية الفلسطينيين من الانتهاكات الإسرائيلية الممنهجة.

التوصيات؛ توصي الدراسة بـ:

-دعوة المجتمع الدولي إلى تفعيل الولاية القضائية العالمية، ومحاسبة المسؤولين الإسرائيليين استنادا إلى مبدأ عدم الإفلات من العقاب

-التأكيد على ضرورة الاعتراف الدولي بالاستيطان الإسرائيلي كجريمة قائمة بذاتها، ودمجها ضمن منظومة الفصل العنصري لتسهيل آليات المساءلة القانونية.

-الدعوة إلى إنشاء تحالف قانوني دولي من الخبراء والمحامين لتوثيق الانتهاكات وتقديم ملفات قانونية متكاملة إلى الهيئات القضائية الدولية، وفي مقدمتها المحكمة الجنائية الدولية.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب

-الخالدي، ر .(2021) .حرب المئة عام على فلسطين: قصة الاستعمار الاستيطاني والمقاومة 1917–2017 (عامر شيخوني، ترجمة؛ عماد يحي الفرجي، مراجعة) [الطبعة الأولى].الدار العربية للعلوم ناشرون.

-سعد الله، ع. (2005). معجم في القانون الدولي المعاصر. ديوان المطبوعات الجامعية.

-عباس، إ. (2008). عنصرية إسرائيل فلسطينيو 48 نموذجا.[الطبعة الأولى]. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

-عتلم، ش. (2016) دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إنماء وتطوير قواعد القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016

-عتلم، شريف .(2016) .دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إنماء وتطوير قواعد القانون الدولي الإنساني .اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

-غازي، ح. (2003). الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار الى الامبريالية. اتحاد الكتاب العرب.

-الفتلاوي، س ح. (2011).جرائم الحرب وجرائم العدوان.[الطبعة الأولى]. دار الثقافة للنشر والتوزيع.

-قواسمية، هـ. (2012). المسؤولية الدولية الجنائية للرؤساء والقادة العسكريين. [الطبعة الأولى]. دار الفكر والقانون.

-نصار، و. ن. (2008) مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي مركز دراسات الوحدة العربية.

-الوادية، س. خ. (2009).المسؤولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية.[الطبعة الأولى] مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

-Akram, S. M., Dumper, M., Lynk, M., & Scobbie, I. (Eds.). (2011). Chapter 5. In International law and the Israel–Palestine conflict: A rights-based approach to Middle East peace. Routledge

-Dinstein, Y. (2009). The international law of belligerent occupation. Cambridge University Press

-Goodwin-Gill, G. S., & McAdam, J. (2007). The refugee in international law (3rd ed.). Oxford University Press.

-Henckaerts, J.-M., & Doswald-Beck, L. (2005). Customary international humanitarian law (Vols. I–II). Cambridge University Press; International Committee of the Red Cross.

-Masalha, N. (2012). The Palestine Nakba: Decolonising history, narrating the subaltern, reclaiming memory. Zed Books.

-Morris, B. (2004). The birth of the Palestinian refugee problem revisited (2nd ed., Cambridge Middle East Studies, Vol. 18). Cambridge University Press.

-Pictet, J. S. (1958). Commentary on the Geneva Conventions of 12 August 1949: Volume IV. International Committee of the Red Cross.

-Sassòli, M. (2019). International humanitarian law: Rules, controversies, and solutions to problems arising in warfare. Edward Elgar Publishing.
-Schabas, W. A. (2017). An introduction to the International Criminal Court (5th ed.). Cambridge University Press.

المقالات والمجلات

-بن عبد العزيز، م.، و بن بوعزيز، آ. (2022). المحكمة الجنائية الدولية بين القيود القانونية والاعتبارات السياسية .مجلة ألف: اللغة والإعلام والمجتمع، (1) 9، ص ص. [653-680].

-عبد القادر، خ. (2024). قصور القضاء الدولي في مساءلة الكيان الإسرائيلي ومجرميه على جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة في قطاع غزة .المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، (2) 9، ص ص. [182-201].

-عتيق، ع. (2024). جريمة الإبادة الجماعية في قطاع غزة وآليات التصدي لها في ظل عجز المحكمة الجنائية الدولية .مجلة الفكر القانوني والسياسي، (2) 8، ص ص. [373-390].

-قروج، م. (2017). جريمة التهجير القسري في القانون الدولي الإنساني .مجلة الحقوق والعلوم السياسية. جامعة عمار ثليجي الأغواط، (14)، ص ص. [169-194].

-مشتة، م. (2022). جريمة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة وآليات مواجهتها: دراسة تحليلية في ضوء القانون الدولي الإنساني والجنائي .مجلة مركز جيل البحث العلمي، (14) 6، ص ص. [105-136].

-Bayz, H. Q. (2024). The role and impact of the International Criminal Court in global justice. OTS Canadian Journal, 3(5), 95–109.
-Schabas, W. A. (2003). “Ethnic cleansing” and genocide: Similarities and distinctions. European Yearbook of Minority Issues Online, 3(1), 109–128.

التقارير

-Human Rights Watch. (2021). A threshold crossed: Israeli authorities and the crimes of apartheid and persecution.
-International Law Commission. (2001). Draft articles on responsibility of States for internationally wrongful acts. United Nations General Assembly, Resolution 56/83 of 12 December 2001.
-United Nations Human Rights Council. (2022). Report of the Special Rapporteur on the situation of human rights in the Palestinian territories occupied since 1967 (A/HRC/49/87).

-B'Tselem – The Israeli Information Center for Human Rights in the Occupied Territories. (n.d.). About B'Tselem. Retrieved July 1, 2025
-United Nations Human Rights Council. (2009). Right to the truth (Report No. A/HRC/12/19). United Nations
-United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs. (2023, July). Protection of Civilians Report: 5–24 July 2023 – Occupied Palestinian Territory. Retrieved July 1, 2025
-International Organization for Migration. (2018). Global migration indicators 2018 (Report No. ENG0652). Retrieved July 1, 2025
-International Court of Justice. (2004, July 9). Legal consequences of the construction of a wall in the Occupied Palestinian Territory (Advisory Opinion). Retrieved July 1, 2025
-United Nations General Assembly. (2016, November 30). Committee on the Exercise of the Inalienable Rights of the Palestinian People (Resolution 71/20). Official Records of the General Assembly, 71st session (A/RES/71/20).
-United Nations Human Rights Council. (2022, June 9). Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Occupied Palestinian Territory, including East Jerusalem, and Israel (A/HRC/50/21), para. 72.
-Peace Now. (n.d.). About Peace Now. Retrieved July 1, 2025

المواقع الالكترونية

-Lynk, M. (2023, March 2). What does the United States gain by shielding Israel from accountability? DAWN MENA. https://dawnmena.org

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Obsessive Harassment in Comparative Law: Between Legal Vacuum and Criminal Repression

Karima ZRIOUEL
PhD Candidate in Legal and Political Sciences at the Faculty of Legal and Political Sciences, Ibn Tofaïl University, Kenitra, Morocco.

Abstract:

Obsessive harassment often referred to by the Anglo-Saxon term « stalking », raises complex legal challenges due to its hybrid nature, which is at once behavioral, psychological, and criminal. It is characterized by a series of repeated acts reflecting a desire to control or intrude into another person's private life, to the point of creating an atmosphere of anxiety and insecurity for the victim. While some legal systems have introduced specific offences allowing this type of harassment to be classified and punished as an autonomous crime, others lag behind in normative development, limiting victim protection to general legal provisions. The absence of a clear definition in certain national laws makes it difficult to acknowledge the specific nature of this form of violence, often minimized or misunderstood, even though it can precede more serious offences, including sexual violence.

Keywords: stalking; obsession; victim; stalker; comparative legal systems.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Le harcèlement obsessionnel en droit comparé : entre vide juridique et répression pénale

Karima ZRIOUEL
Doctorante en Sciences Juridiques et Politiques à la
Faculté des Sciences Juridiques et
Politiques, Université Ibn Tofail, Kénitra, Maroc.

Résumé :

Le harcèlement obsessionnel, souvent désigné par le terme anglo-saxon de « stalking », soulève des enjeux juridiques complexes en raison de sa nature hybride, à la fois comportementale, psychologique et criminelle. Il se caractérise par une série d'agissements répétés qui traduisent une volonté de contrôle ou d'intrusion dans la vie privée d'autrui, au point de créer un climat d'angoisse et d'insécurité pour la victime. Cependant, si certains systèmes juridiques ont introduit des incriminations spécifiques permettant de qualifier et de réprimer ce type de harcèlement en tant qu'infraction autonome, d'autres accusent un retard normatif, limitant la protection des victimes à travers des qualifications générales. L'absence de typification claire dans certains droits nationaux rend difficile la reconnaissance de la spécificité de cette forme de violence, souvent minimisée ou mal comprise, alors même qu'elle peut précéder des violences plus graves, notamment sexuelles.

Mots clés : Stalking ; obsession ; victime ; harceleur ; systèmes juridiques comparés.

Introduction

Il peut arriver qu'une personne voie sa tranquillité, et parfois même sa liberté, mise à mal par les comportements obsessionnels d'un tiers qui outrepasse ses limites. Ce type de comportement finit toujours par avoir un impact sur la personne qui en est la cible, car il provoque souvent un sentiment de malaise et l'impression d'être constamment surveillée ou suivie, sans pouvoir retrouver une tranquillité d'esprit. Ce sentiment s'intensifie progressivement, jusqu'à devenir de plus en plus difficile à supporter, en raison de la répétition des agissements et de leur caractère intrusif. Cette persistance engendre un terrorisme psychologique et rend la situation particulièrement difficile. On entre alors dans ce que l'on appelle le harcèlement obsessionnel, qui est une forme spécifique de harcèlement où le harceleur cherche, de manière continue, à s'immiscer dans la vie de sa victime, à la surveiller, la contrôler ou à influencer ses faits et gestes. Dans ce contexte, le quotidien devient lourd à vivre, parce que la victime se retrouve dans un climat d'insécurité et d'angoisse permanent, où le respect de sa vie privée semble peu à peu lui échapper (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, p.28).

Historiquement, le harcèlement obsessionnel, bien qu'il ne soit juridiquement identifié que récemment, trouve ses racines dans des réalités humaines anciennes, souvent passées sous silence ou minimisées. Par ailleurs, les comportements de traque, d'espionnage ou de surveillance intrusive ont été considérés comme des troubles psychiques, relevant davantage du domaine psychologique que du droit (Best Joel, 2025). Ce n'est qu'à la fin des années 1980, notamment aux États-Unis avec l'émergence du concept de "stalking", que les sociétés ont commencé à reconnaître l'existence de ce phénomène (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.4). Cette prise de conscience a été accélérée par plusieurs faits divers médiatisés, mettant en lumière l'impuissance des autorités à intervenir faute d'outil juridique adapté (Beagle, Ashley N. B, 2011, pp.467-468). Progressivement, certains systèmes juridiques ont adopté des dispositions spécifiques pour réprimer le harcèlement obsessionnel,

notamment la Californie, qui a été le premier État à criminaliser le stalking en 1990 (Schultz, Amy Sides ; Moore, Julia ; and Spitzberg, Brian H, 2013, p.2), reconnaissant ainsi la gravité des atteintes que ce type de harcèlement porte à l'intégrité psychologique et à la liberté individuelle des victimes. Dans d'autres pays, cette reconnaissance a été plus lente, s'inscrivant souvent dans le cadre de réformes plus larges portant sur les violences faites aux femmes ou sur le harcèlement en général.

Aujourd'hui, le harcèlement obsessionnel constitue un enjeu majeur, ayant pris une ampleur inédite avec le développement des technologies de l'information et de la communication (TIC), qui permettent au harceleur d'exercer une pression constante sur sa victime, en tout lieu et à toute heure (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, pp.9, 12,13). Ce constat conduit à s'interroger sur l'adaptation des instruments juridiques actuels à cette forme particulière de harcèlement. Dès lors, il importe de se poser la question suivante : le droit positif est-il en mesure d'assurer une protection effective face à ce type de harcèlement, ou bien ses lacunes nécessitent-elles l'élaboration d'un cadre normatif spécifique ? Pour y répondre, une analyse à la fois conceptuelle et comparative apparaît essentielle : conceptuelle, afin de définir les contours du harcèlement obsessionnel et d'identifier les caractéristiques propres qui permettent de le distinguer des autres types de harcèlement reconnus en droit ; comparative, pour évaluer la manière dont certains systèmes juridiques appréhendent ce type de harcèlement, oscillant entre vide juridique et répression pénale.

I. Approche conceptuelle du harcèlement obsessionnel

Dans les relations humaines, certains comportements peuvent, à première vue, sembler dénués de gravité ou s'apparenter à de simples maladresses. Toutefois, lorsqu'ils se répètent de manière insistante et non sollicitée, ils prennent une dimension intrusive susceptible de porter atteinte à l'intimité de la personne visée. Le harcèlement obsessionnel trouve précisément sa source dans cette répétition non désirée d'agissements qui, sans être objectivement graves, deviennent, par leur accumulation et leur

persistance, profondément intrusifs et nuisibles à l'équilibre personnel de la victime (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, p.8). De là, le harcèlement obsessionnel s'inscrit souvent dans une zone ambiguë, caractérisée par une frontière floue entre la simple insistance répétée, qui pourrait être tolérée ou justifiée, et la persécution, qui constitue une atteinte grave et inadmissible. Cette difficulté à distinguer clairement ces deux comportements complique la reconnaissance juridique du harcèlement obsessionnel et rend son traitement particulièrement délicat. Cela explique d'ailleurs pourquoi il échappe à une définition universelle (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, p.7). Cependant, si l'on souhaite en cerner les contours, il convient de s'appuyer sur ce qui en constitue l'essence, à savoir la répétition d'actes non désirés, intrusifs et obsessionnels, par lesquels le harceleur cherche à maintenir un contact, une présence ou un contrôle sur la personne ciblée, malgré le refus clair de celle-ci (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, pp.6-7). C'est ce caractère obsessionnel qui distingue le harcèlement obsessionnel des autres types de harcèlement. Cette spécificité trouve d'ailleurs son origine dès sa première désignation en anglais, sous le terme « stalking », qui signifie littéralement *« s'approcher furtivement d'une proie pour la poursuivre »* (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.4). Cette étymologie illustre parfaitement la nature répétée et intrusive du harcèlement obsessionnel, caractérisée par une immixtion persistante dans la vie privée de la victime. En d'autres termes, le harcèlement obsessionnel peut être défini comme un ensemble de comportements intrusifs et répétitifs, exercés par un individu à l'encontre d'une autre personne, sans le consentement de cette dernière. Il ne s'agit pas d'un acte isolé ou d'une manifestation passagère d'attention, mais d'une insistance marquée par la poursuite ou la surveillance, traduisant une volonté manifeste de maintenir un contact non désiré et de s'immiscer durablement dans la vie privée de la victime.

Par ailleurs, le harcèlement obsessionnel peut se manifester à travers une grande variété de comportements, que l'on peut regrouper en deux

grandes catégories : les formes physiques et les formes numériques. Cette distinction permet de mieux comprendre la diversité des comportements adoptés par les harceleurs et l'ampleur de l'atteinte subie par les victimes. D'un côté, les formes physiques se traduisent par une présence concrète dans l'environnement quotidien de la personne ciblée. Il peut s'agir de filatures répétées, d'envois fréquents de cadeaux (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2015, p.2), ou encore de formes de surveillance directe, dans lesquelles le harceleur guette, observe et traque sa cible en se postant dans les lieux qu'elle fréquente, comme son lieu de travail, ses lieux de loisirs, ou même son domicile, provoquant ainsi des rencontres fortuites ou des apparitions inopinées, dans le but de lui faire sentir qu'elle est constamment sous observation (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.7). Il arrive également que le harceleur implique des tiers, soit en prenant contact avec l'entourage de la victime, amis, collègues ou proches, dans une logique d'espionnage ou de harcèlement indirect, soit en les incitant à participer activement aux actes de harcèlement (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.7). Pire encore, le harcèlement obsessionnel peut prendre des formes plus graves, telles que l'intrusion illégale dans le domicile de la victime (Opferhilfe Bern, 2022, p.1), le vol des objets personnels ou le fait de laisser volontairement des traces de son passage, afin de perturber, menacer ou déstabiliser cette dernière (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.7). Ces agissements peuvent s'accompagner d'intimidations, de menaces explicites ou voilées, d'actes de violence, voire d'agressions, tels que des dommages causés aux biens de la victime, des atteintes à ses animaux domestiques ou encore des menaces de suicide visant à exercer une pression psychologique (L'Office fédéral de la justice, 2019, p.4). En outre, certaines situations franchissent le seuil de la contrainte ou de la violence physique, incluant des formes d'enlèvement, de chantage, de harcèlement sexuel ou de violences sexuelles, qui traduisent un degré extrême de domination et d'atteinte à l'intégrité de la victime (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.7). *Grosso modo*, il s'agit de comportements souvent imprévisibles et envahissants, qui instaurent une forme

d'omniprésence pesante, restreignent la liberté de mouvement et font naître un climat d'insécurité permanent chez la personne ciblée. De l'autre côté, les technologies de l'information et de la communication ont ouvert la voie à de nouvelles formes de harcèlement obsessionnel, désormais appelées cyberharcèlement obsessionnel (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, p.8). Ainsi, les harceleurs recourent à des appels téléphoniques incessants, à toute heure, à l'envoi fréquent et répété de messages par SMS, via des messageries instantanées ou des courriels (L'Office fédéral de la justice, 2019, p.3), ainsi qu'à un espionnage constant sur les réseaux sociaux et autres plateformes en ligne (Opferhilfe Bern, 2022, p.3), afin de maintenir un contact permanent avec la victime tout en exerçant un contrôle étroit sur ses faits et gestes, parfois sous couvert d'anonymat ou de fausses identités. En outre, dans certains cas, les harceleurs vont jusqu'à introduire des virus ou des logiciels espions dans l'ordinateur ou les appareils numériques de la victime, dans le but d'accéder à ses données personnelles ou de surveiller ses activités (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.7). Cette traque virtuelle, bien que dématérialisée, engendre un sentiment d'intrusion et d'impuissance aussi intense que celui provoqué par une intrusion physique. Elle peut également s'accompagner d'atteintes délibérées à la réputation de la victime, telles que la diffusion, sur Internet, de photographies ou d'informations privées, qu'elles soient réelles ou mensongères, ou encore de tentatives de la ridiculiser sur des sites électroniques, dans le but d'influencer des tiers, de les inciter à participer au harcèlement ou d'isoler davantage la victime (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, pp.7-8). À cela peut s'ajouter le fait d'agir au nom de la victime, par exemple en passant des commandes en ligne ou en publiant des annonces sous son identité (La Prévention Suisse de la Criminalité (PSC), 2014).

Il convient de souligner que les formes de harcèlement obsessionnel, qu'elles soient d'ordre physique ou numérique, ne s'excluent pas mutuellement. Au contraire, elles se combinent fréquemment (La Commission des affaires juridiques du Conseil national, 2024, p.9). Le

harceleur multiplie les moyens pour renforcer sa présence et accentuer la pression psychologique, ce qui complique encore davantage la situation. Cette hybridation des moyens, située entre actes répétés apparemment anodins et comportements plus graves, illustre à la fois la complexité et la dangerosité du harcèlement obsessionnel. Elle rend non seulement ce dernier plus difficile à détecter, mais complique également la mise en place de mesures efficaces de prévention et de protection.

En effet, sous quelque forme qu'il se manifeste, le harcèlement obsessionnel instaure un climat d'insécurité permanent, altérant profondément la qualité de vie de la victime, son bien-être psychologique et, dans certains cas, sa capacité à travailler ou à se déplacer librement (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2015, p.4). Il peut en résulter un mal-être profond, marqué par une instabilité émotionnelle, voire un état de stress post-traumatique, pouvant conduire à des tentatives de suicide (La Commission des affaires juridiques, 2010, p.1). Toutefois, sa reconnaissance juridique varie considérablement d'un système à l'autre.

II. Approche comparative des réponses juridiques au harcèlement obsessionnel

Si la compréhension du harcèlement obsessionnel soulève déjà des difficultés conceptuelles notables, sa prise en charge révèle des disparités encore plus marquées et constitue un véritable défi pour les systèmes juridiques à travers le monde. En effet, la manière dont les pays appréhendent ce phénomène varie sensiblement selon les traditions juridiques, les sensibilités culturelles et le degré de maturité de la réflexion en matière de protection des personnes. Certains pays ont su réagir à l'émergence croissante de ce type de harcèlement en adoptant une législation spécifique, tandis que d'autres continuent de l'aborder de manière indirecte, à travers des qualifications pénales classiques, souvent insuffisantes, au risque de maintenir des zones d'ombre et d'alimenter un sentiment d'impunité.

Dans plusieurs pays industrialisés, la lutte contre le harcèlement obsessionnel s'est structurée dès les années 1990 autour de législations spécifiques visant à mieux protéger les victimes et à sanctionner les harceleurs. Les États-Unis ont ouvert la voie en adoptant en 1990 la première loi anti-stalking, puis ont progressivement mis en place des structures spécialisées chargées de prévenir et de lutter contre le stalking (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, pp.21, 25). Ce modèle a inspiré plusieurs pays, notamment le Canada, qui a reconnu explicitement le harcèlement obsessionnel sous l'appellation de « harcèlement criminel », en l'intégrant dès 1993 à son Code criminel comme un acte criminel (La Gendarmerie royale du Canada, 2012). Ensuite, d'autres pays, comme l'Australie, ont rapidement suivi cette dynamique. En Europe, le Danemark, la Belgique et les Pays-Bas ont été parmi les premiers à adopter des dispositions juridiques spécifiques encadrant les comportements de harcèlement obsessionnel (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.21). Par la suite, d'autres pays européens, tels que l'Autriche, l'Allemagne et l'Italie, ont également introduit des dispositions visant le même objectif, en particulier à partir du milieu des années 2000, afin de renforcer la protection juridique des victimes (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.20).

Cependant, cette prise de conscience n'est pas généralisée à l'ensemble du continent européen. Certains pays, notamment la France, la Finlande, la Grèce et l'Espagne, ne disposent pas encore de lois pénales spécifiques relatives au stalking (Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG), 2017, p.20). Dans ces pays, la protection des victimes repose principalement sur des qualifications générales telles que le harcèlement moral, les menaces, la violation de la vie privée ou les appels et les messages malveillants. Bien que ces fondements juridiques puissent être mobilisés, ils peinent à appréhender pleinement la spécificité du harcèlement obsessionnel, en particulier son caractère répétitif, envahissant et insidieux. Ce manque de précision légale peut entraîner des difficultés dans la reconnaissance judiciaire des faits et favoriser des zones d'ombre susceptibles

de compromettre l'efficacité des poursuites et de laisser place à l'impunité.

Cette problématique n'épargne pas le continent africain, où la reconnaissance juridique du harcèlement obsessionnel demeure encore largement embryonnaire. Certains pays commencent à prendre conscience de la nécessité d'encadrer ce type de harcèlement, comme le Kenya, qui l'a explicitement reconnu comme une forme de violence domestique (La loi n° 2 relative à la protection contre la violence domestique, 2015). Cependant, plusieurs pays africains ne disposent pas encore de lois spécifiques traitant du harcèlement obsessionnel. Les victimes sont souvent contraintes de recourir à des dispositions générales relatives à la protection de la vie privée ou à la répression des violences, ce qui entrave à la fois la reconnaissance juridique de leur situation et la sanction des harceleurs. Le Maroc en est un exemple puisqu'il ne dispose pas encore d'une législation pénale spécifique sur le harcèlement obsessionnel. Néanmoins, son droit positif prévoit certaines protections générales au sein du Code pénal et d'autres textes juridiques, notamment en matière de dignité, de sécurité et de vie privée. Ces dispositions peuvent être appliquées pour réprimer certains comportements apparentés au stalking. Toutefois, elles restent insuffisantes pour appréhender la spécificité de ce phénomène, marqué par la répétition persistante des actes intrusifs ainsi que par les conséquences psychologiques profondes qu'il engendre chez les victimes. Le Sénégal, quant à lui, a adopté des réformes législatives en matière de violences, notamment celles contre les femmes, sans pour autant reconnaître explicitement le harcèlement obsessionnel comme une infraction autonome. En Égypte, malgré l'existence de textes relatifs à la protection des personnes, l'absence d'une définition claire et d'un cadre légal spécifique encadrant le harcèlement obsessionnel complique la poursuite des harceleurs. Cette situation souligne l'urgence pour les pays africains d'élaborer des cadres législatifs spécifiques afin de reconnaître pleinement le harcèlement obsessionnel et d'assurer une protection efficace aux victimes. À défaut, cette lacune législative risque de permettre aux harceleurs d'échapper à toute responsabilité, tout en décourageant les victimes de se manifester.

III. Conclusion

En conclusion, la reconnaissance du harcèlement obsessionnel en tant que problème criminel demeure un défi majeur à l'échelle internationale, qui ne peut se limiter à de simples mesures répressives. Pour être pleinement efficace, la lutte contre ce phénomène doit s'appuyer sur une approche globale, intégrant des réformes législatives, des actions de prévention, des formations spécialisées ainsi qu'un accompagnement adapté des victimes, en prenant en considération la souffrance psychologique qu'elles endurent. Par ailleurs, cette stratégie nécessite une coordination renforcée entre les différents acteurs judiciaires, médicaux et sociaux, afin d'ajuster les réponses aux spécificités des comportements constituant le harcèlement obsessionnel, lesquels évoluent constamment. Il apparaît donc indispensable d'intensifier les efforts de collaboration internationale afin d'établir des normes communes et de renforcer la protection des victimes à l'échelle mondiale contre ce type de harcèlement.

IV. Liste Bibliographique

1. Beagle, Ashley N. B (2011), « Modern Stalking Laws : A Survey of State Anti Stalking Statutes Considering Modern Mediums and Constitutional Challenges », *Chapman Law Review*, 14 (2). Disponible sur : https://digitalcommons.chapman.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1242&context=chapman-law-review. Consulté le 01/08/2025.
2. Best Joel (2025), « stalking », *Encyclopedia Britannica*. Disponible sur : https://www.britannica.com/topic/stalking-crime. Consulté le 01/08/2025.
3. Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG) (2017), *Mesures de lutte contre le stalking. Vue d'ensemble des pratiques appliquées en Suisse et à l'étranger*. Disponible sur : https://www.newsd.admin.ch/newsd/message/attachments/49874.pdf. Consulté le 25/05/2025.

4. Bureau fédéral de l'égalité entre femmes et hommes (BFEG) (2015), *Stalking : harcèlement obsessionnel*. Disponible sur : https://www.humanrights.ch/cms/upload/pdf/170307_feuille_d_information7stalkingharcelementobsessionnel.pdf. Consulté le 14/05/2025.
5. La Commission des affaires juridiques du Conseil national (2024), *Étendre au harcèlement obsessionnel («stalking») le champ d'application des dispositions du CP relatives aux délits*, Disponible sur : https://www.parlament.ch/centers/documents/fr/Bericht%20F%2019-433.pdf. Consulté le 25/05/2025.
6. La Commission des affaires juridiques (2010), *Harcèlement obsessionnel*. Disponible sur : https://www.parlament.ch/centers/kb/Documents/2008/Rapport_de_la_commission_CAJ-E_08.3495_2010-08-19.pdf. Consulté le 14/05/2025.
7. La Gendarmerie royale du Canada (2012), *Harcèlement criminel : poursuivre quelqu'un, ce n'est pas l'aimer*. Disponible sur : https://publications.gc.ca/collections/collection_2013/grc-rcmp/PS64-19-2012-fra.pdf. Consulté le 27/05/2025.
8. La Prévention Suisse de la Criminalité (PSC) (2014), *Stalking : posez des limites!*, 1ère édition. Disponible sur : https://www.skppsc.ch/fr/wp-content/uploads/sites/5/2016/12/stalkingposezdeslimites.pdf. Consulté le 25/05/2025.
9. L'Office fédéral de la justice (2019), *Rapport sur la question de la codification de l'infraction de "harcèlement"*. Disponible sur : https://www.bj.admin.ch/bj/fr/home/publiservice/publikationen/berichte-gutachten/2019-04-12.html. Consulté le 14/05/2025.
10. Opferhilfe Bern (2022), *Feuille d'information harcèlement obsessionnel (stalking) et cyberharcèlement obsessionnel (cyberstalking)*. Disponible sur : https://www.opferhilfe-bern.ch/fr/vous-etes-touche-e-par/stalking-cyberstalking. Consulté le 14/05/2025.

11. Schultz, Amy Sides ; Moore, Julia ; and Spitzberg, Brian H (2013), « Once Upon a Midnight Stalker : A Content Analysis of Stalking in Films », *Papers in Communication Studies*. 46. Disponible sur : http://digitalcommons.unl.edu/commstudiespapers/46. Consulté le 01/08/2025.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Slavery in Islam Between Classical Law and Contemporary Ethics : A Necessary Rereading

Béarcia Sabah
Djillali Bounaama University -Khemis Miliana -Algeria
s.bearcia@univ-dbkm.dz

Abstract

Slavery, while accepted and regulated by classical Islamic law, was never explicitly abolished in Islam's foundational texts. Although the tradition gradually encouraged manumission, it did not challenge the legitimacy of the institution itself. At a time when human rights principles unequivocally condemn all forms of enslavement, a critical and contextualized rereading of the sources becomes essential. This debate today pits textual fidelity against the ethical objectives of the sharia and the universal demands of human dignity. In this context, contemporary Muslim thinkers call for moving beyond literalist interpretations to restore the central role of justice in the Islamic message. This tension between doctrinal continuity and moral imperative raises a crucial question : can Islam evolve without betraying its foundations?

Keywords: Slavery; Islamic law; Human rights; Sharia; Tension.

.

العبودية في الإسلام بين الفقه الكلاسيكي والأخلاق المعاصرة: إعادة قراءة ضرورية

بعارسية صباح
جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-الجزائر
s.bearcia@univ-dbkm.dz

ملخص

لم تُلغَ العبودية، المقرَّة والمنظَّمة بموجب الشريعة الإسلامية، صراحةً في النصوص الإسلامية المؤسسة. ورغم أن التقاليد الفقهية شجَّعت تدريجيا على تحرير العبيد، إلا أنها لم تُشكِّك في شرعية المؤسسة نفسها. في وقت تُدين فيه مبادئ حقوق الإنسان جميع أشكال الاستعباد إدانةً قاطعة، تُعدّ إعادة قراءة المصادر قراءةً نقديةً وموضوعيةً أمرا بالغ الأهمية. هذا النقاش يطرح اليوم مسألةَ الالتزام الحرفي

بالنصوص ومقاصد الشريعة الأخلاقية والمطالب العالمية للكرامة الإنسانية. في هذا السياق، يدعو مفكرون مسلمون معاصرون إلى تجاوز القراءة الحرفية للنصوص، من أجل إعادة الاعتبار لروح العدل التي تتصدر رسالة الإسلام. وتثير هذه التوترات بين استمرارية العقيدة والحاجة الأخلاقية سؤالا جوهريا: هل يمكن للإسلام أن يتطور دون أن يتنكر لأسسه؟

الكلمات المفتاحية: العبودية؛ الفقه الإسلامي؛ حقوق الإنسان؛ الشريعة؛ التوتر.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

L'esclavage en islam entre droit classique et éthique contemporaine : une relecture nécessaire

Béarcia Sabah
Université Djillali Bounaama-Khemis Miliana-Algérie
s.bearcia@univ-dbkm.dz

Résumé

L'esclavage, admis et encadré par le droit islamique classique, n'a jamais été explicitement aboli dans les textes fondateurs de l'islam. Si la tradition a progressivement encouragé l'affranchissement, elle n'a pas remis en cause la légitimité de l'institution elle-même. À l'heure où les principes des droits humains condamnent sans équivoque toute forme d'asservissement, une relecture critique et contextualisée des sources s'impose. Ce débat oppose aujourd'hui fidélité textuelle, finalités éthiques de la sharia et exigences universelles de dignité humaine. Dans ce contexte, des penseurs musulmans contemporains appellent à dépasser une lecture littéraliste pour redonner toute sa place à l'esprit de justice au cœur du message islamique. Cette tension entre continuité doctrinale et impératif moral soulève une question cruciale : l'islam peut-il évoluer sans renier ses fondements ?

Mots clés: Esclavage ; Droit islamique ; Droits humains ; Sharia ; Tension.

Introduction

La question de l'esclavage en islam constitue aujourd'hui un sujet sensible qui appelle à une révision sérieuse et à une lecture approfondie, à la lumière des mutations intellectuelles et des valeurs éthiques façonnant la conscience de l'homme contemporain. Bien que ce phénomène ait été une pratique sociale universelle antérieure à l'islam, il s'est maintenu au sein des sociétés musulmanes dans des cadres juridiques établis selon un contexte historique spécifique. Les juristes musulmans ont traité cette réalité conformément à la logique de leur temps, à travers des versets coraniques et des hadiths qui régissaient un ordre social enraciné dans les sociétés préislamiques et au-delà.

L'islam n'a pas aboli l'esclavage mais a posé des cadres éthiques et religieux visant à en limiter les abus et à valoriser son extinction progressive. Cela dit, dans la pratique historique, des sociétés musulmanes ont largement participé à l'esclavage et à la traite humaine pendant des siècles, avec parfois peu de distinction d'origine ethnique (Noirs, Slaves, Asiatiques, Européens).

Aujourd'hui, la quasi-totalité des autorités religieuses musulmanes considèrent que l'esclavage n'a plus lieu d'être, même si certains fondamentalistes (ex. : Daech) ont invoqué les textes pour justifier son retour. Même si plusieurs États musulmans ont inscrit l'abolition de l'esclavage dans leurs constitutions, aucune autorité théologique de référence n'a explicitement déclaré que l'islam interdisait doctrinalement, de manière absolue et irrévocable, l'esclavage dans tous les temps et lieux.

Si cette réalité n'est plus moralement acceptable dans le monde actuel, où les notions de dignité humaine, de liberté et d'égalité occupent une place centrale dans les référentiels éthiques universels, il est nécessaire de procéder à une relecture des textes fondateurs traitant de l'esclavage, une lecture qui dépasse la simple interprétation littérale des prescriptions juridiques pour en révéler les finalités libératrices et les objectifs supérieurs de la sharia.

Une relecture du thème de l'esclavage en islam peut se faire sans remettre en cause le Coran ni la Sunna, tout en tenant compte des exigences éthiques contemporaines. Cette étude vise à concilier la fidélité au droit classique avec l'ouverture aux valeurs morales contemporaines, en adoptant des approches herméneutiques (تأويلية) modernes tenant compte du contexte historique, sans compromettre les fondements des textes. Par cette démarche, nous espérons contribuer à une compréhension plus éclairée et équilibrée du patrimoine islamique face à une question devenue difficile à ignorer ou à justifier.

I. Cadre historique de l'esclavage en islam

Le phénomène de l'esclavage et de la traite des êtres humains constitue l'une des réalités les plus sombres de l'histoire humaine, s'étendant sur plusieurs continents et sur de nombreux siècles. L'esclavage des populations blanches est un phénomène historique réel, mais souvent moins connu ou moins mis en avant que la traite transatlantique des Africains. Il a existé dans plusieurs contextes historiques distincts, avec des formes, des causes et des enjeux variés.

1. Pratique sociale universelle avant l'islam

L'esclavage était une institution largement répandue dans les sociétés antiques, notamment en Mésopotamie, en Égypte, en Grèce et à Rome (Hallaq, 2009, pp. 58-60). Avant l'islam, la péninsule arabique connaissait également cette pratique, qui faisait partie intégrante de l'organisation sociale et économique (Kamali, 2008, pp. 25-27).

Ainsi, lorsque l'islam émerge au VIIème siècle apr. J.-C. dans la péninsule Arabique, l'esclavage est une institution déjà solidement implantée dans les sociétés arabe, byzantine et perse. Le Coran ne l'abolit pas, tout comme le judaïsme ou le christianisme avant elle, mais s'inscrit dans ce contexte en instaurant des règles morales, juridiques et sociales autour de cette pratique (Thiolay, 2025).

2. Les esclaves « blancs » dans le monde musulman

Le mot « esclave », utilisé pour la première fois en 937 apr. J.-C., vient lui-même du mot « slave », car les Slaves furent massivement réduits en esclavage au Moyen Âge, notamment dans les États musulmans et byzantins. Les routes commerciales à travers la mer Noire et la Méditerranée fournissaient des esclaves blancs à des cours islamiques ou européennes (Skirda, 2010, p. Résumé).

II. Cadre juridique de l'esclavage en islam

Le Coran et la tradition prophétique (Sunna) multiplient les injonctions à bien traiter les esclaves, à favoriser leur affranchissement, et à les intégrer dans la communauté des croyants. Quelques exemples :

- Affranchir un esclave est un acte expiatoire recommandé pour certains péchés : Coran : (4 :92) : « Il n'appartient pas à un croyant de tuer un autre croyant, si ce n'est par erreur. Quiconque tue par erreur un croyant, qu'il affranchisse alors un esclave croyant et remette à sa famille le prix du sang, à moins que celle-ci n'y renonce par charité ».

"وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ". (النساء: 92)

- Les esclaves ont droit à une manumission contractuelle (مكاتبة), par laquelle un esclave peut racheter sa liberté : Coran : (24 :33) : « Ceux de

vos esclaves qui cherchent un contrat d'affranchissement, concluez ce contrat avec eux si vous reconnaissez du bien en eux »

"وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا". (النور: 33).

- Le Prophète Muhammad a affranchi de nombreux esclaves, et Abou Bakr (634 apr. J.-C.), ami proche du Prophète et riche commerçant, a affranchi Bilāl ibn Rabāḥ (640 apr. J.-C.), un Éthiopien devenu un compagnon éminent (Alem, 2021).

Toutefois, ces mesures ne suppriment pas le principe de l'esclavage, notamment en contexte de guerre, où la captivité des prisonniers ennemis pouvait déboucher sur leur asservissement.

1. Traitement de l'esclavage dans les textes fondateurs (Coran et Sunna)

Le Coran ne condamne pas l'esclavage, mais le réglemente. Il l'accepte comme une réalité sociale tout en encourageant l'affranchissement comme acte pieux. Le Prophète Muhammad a lui-même eu des esclaves, qu'il a en partie affranchis. Des penseurs musulmans, ne voulant ni ignorer ni justifier cette pratique révolue mais présente dans les fondements (le Coran et la Sunna) de l'islam, se sont penchés sur le sujet.

Pour eux, le Coran et la Sunna ont encadré la pratique de l'esclavage en apportant des règles spécifiques, visant souvent à améliorer la condition des esclaves et à favoriser leur affranchissement. Le Coran fait de l'émancipation de l'esclave un précepte moral général et, dans le cas du péché véniel, elle devient la condition légale du pardon (توبة) (Bennabi, 1978, p. 116).

Certains versets régulent les droits des esclaves, tout en promouvant la libération progressive. Des versets coraniques relatifs à l'esclavage et à l'affranchissement, comme Sourate 4, verset 92, mentionné plus haut (Hallaq, 2009, p. 87).

Ainsi que beaucoup d'autres versets (24 : 33)**,** déjà cité, (33 : 50) **:** « Ô Prophète ! Nous t'avons rendue licites tes épouses à qui tu as donné leur mahr (dot), ce que tu as possédé légalement parmi les captives (ou esclaves) que Dieu t'a destinées, les filles de ton oncle paternel, les filles de tes tantes paternelles, les filles de ton oncle maternel, et les filles de tes tantes maternelles, - celles qui avaient émigré en ta compagnie, - ainsi que toute femme croyante si elle fait don de sa personne au Prophète, pourvu que le Prophète consente à se marier avec elle: c'est là un privilège pour toi, à l'exclusion des autres croyants. Nous savons certes, ce que nous leur avons imposé au sujet de leurs épouses et des esclaves qu'ils possèdent, afin qu'il n'eût donc point de blâme contre toi. Dieu est Pardonneur et Miséricordieux. »

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا". (الأحزاب:50)

Coran : (33 :53) : « Il ne t'est plus permis désormais de prendre [d'autres] femmes ni de changer d'épouses, même si leur beauté te plaît ; - à l'exception des esclaves que tu possèdes. Et Dieu observe toute chose ».

"لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا". (الأحزاب: 53)

Des hadiths et leur rôle dans la réglementation de l'esclavage ont été analysés (Kamali, 2008, pp. 115-118). Les hadiths contiennent des recommandations sur le traitement des esclaves, telles que l'obligation de les nourrir et de les vêtir aussi bien que ses propres gens, et de ne pas les maltraiter. Par exemple, un hadith cité par Muslim (821-875)[1] indique : « Celui qui gifle son esclave n'a d'autre expiation que de l'affranchir » (hadith numéro 1657).

"من ضرب غلاما له حدا لم يأته، أو لَطَمَه، فإن كفارته أن يعتقه".

Ainsi Affranchir un esclave est considéré comme un acte de bonté qui peut être utilisé pour expier certains péchés. C'est l'Approche contextualisée (السياقية) des textes sacrés et de leur portée sur l'esclavage qu'a adopté certains penseurs musulmans (Ramadan, 2008, pp. 120-130).

Mais ce qui est licite dans le Coran et la Sunna reste licite jusqu'à la fin des temps**.** Selon cette vision, aucun texte explicite (نص) ne peut être abrogé par une considération morale moderne. Ainsi, l'esclavage, le djihād (guerre sainte) offensif ou les peines corporelles restent théoriquement valables, même si inapplicables dans le contexte actuel faute de conditions réunies. Cette position refuse toute lecture historicisée (Abusarah, 2024).

2. Approche classique du droit islamique (فقه) sur l'esclavage

Le droit classique (fiqh) (فقه) a développé un corpus juridique détaillé sur le statut des esclaves, leurs droits, leurs devoirs et les conditions de leur affranchissement. Cette jurisprudence a été établie à partir des textes et de la coutume de l'époque, dans un contexte où l'esclavage était institutionnalisé.

[1]) Sahih Muslim (صحيح المسلم) est un recueil de hadiths compilé par l'imam Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. Sa collection est considérée comme l'une des collections les plus authentiques de la Sunna.

Ainsi est mise en place une présentation de la doctrine classique concernant l'esclavage (Hallaq, 2009, pp. 92-102)**,** avec une explication des règles juridiques et des principes relatifs à l'esclavage dans le fiqh (Kamali, 2008, pp. 118-...), avec le contexte historique de l'élaboration du droit classique sur l'esclavage (Fazlur, 1982, pp. 75-78).

Le fiqh autorise l'esclavage dans certaines conditions, notamment :

- Captivité en contexte de guerre avec des non-musulmans.
- Transmission par filiation (l'enfant né d'une femme esclave est esclave).
- Achat d'un esclave légalement détenu (Islam, 2007).

III. Les fondements du droit classique sur l'esclavage

Donc, l'esclavage est licite dans les sources classiques, mais sa limitation est encouragée. Il est encadré par des règles strictes et intégré dans un projet moral graduel (mais non abrogé explicitement).

1. Statut juridique de l'esclave dans la sharia

L'esclave est reconnu comme une personne dotée de droits, mais avec un statut juridique distinct de celui du libre. La sharia définit l'esclave comme un « ceux que possèdent vos mains droites » (ما ملكت أيمانكم), ce qui précise son statut légal et social. Pour les juristes de l'islam, l'esclave est objet de pleine propriété de son maitre (Al-ajami, 2019).

Il y a une analyse du statut juridique de l'esclave dans la sharia, y compris sa capacité juridique et ses limites (Kamali, 2008, pp. 124-128). Ainsi que la position juridique de l'esclave dans le droit islamique classique (Hallaq, 2009, pp. 102-105))**.**

2. Droits et devoirs liés à l'esclavage selon le fiqh

Le fiqh classique précise les obligations du maître envers son esclave, notamment en matière de traitement, de protection et de nourriture, ainsi que les droits que conserve l'esclave, dont le droit à la dignité et à l'affranchissement dans certaines conditions (Al-ajami, 2019).

Les écoles juridiques (المدارس الفقهية) ont donnés des détails sur les droits des esclaves et les devoirs des maîtres (Kamali, 2008, pp. 128-133). Ainsi que les obligations morales et juridiques envers les esclaves dans le fiqh (Hallaq, 2009, pp. 105-110).

IV. Les limites et conditions de l'esclavage dans le fiqh

Le droit islamique classique impose des restrictions précises sur la manière dont l'esclavage peut exister : interdiction de réduire en esclavage les musulmans libres, encouragement à l'affranchissement, et règles relatives à la capture et au commerce d'esclaves.

Des penseurs musulmans discutent sur les conditions restrictives de l'esclavage dans le droit islamique (Fazlur, 1982, pp. 78-82). D'autres présentent les limites juridiques imposées à l'esclavage classique (Kamali,

2008, pp. 133-137). Une Analyse même des conditions et interdictions liées à l'esclavage a été approfondie par certains (Hallaq, 2009, pp. 110-115).

V. Éthique contemporaine et remise en question de l'esclavage

Avant de continuer il faut savoir que l'esclavage dans les sociétés musulmanes est moins étudié pour des raisons géopolitiques et culturelles :

- Tabou interne : dans beaucoup de sociétés musulmanes, l'esclavage est un sujet sensible car il touche à la légitimité religieuse et à l'histoire impériale.
- Silence postcolonial : les critiques internes ont parfois été étouffées au nom de l'unité face à l'Occident, surtout depuis le XIXe siècle.
- Manque de reconnaissance mémorielle : contrairement à l'Occident, peu de pays musulmans ont reconnu ou commémoré leur passé esclavagiste, notamment envers les populations africaines (Aït-Mokhtar, 2018).

1. Évolution des concepts de dignité, liberté et égalité

La célèbre fermeture de la porte de l'ijtihād (الاجتهاد) (effort de réflexion) au début du XIe siècle a entraîné une stagnation. Un fossé s'est ainsi creusé entre la sharia et les conditions de vie des populations dans de nombreuses sociétés musulmanes actuelles (Riffi, 2021).

Le résultat néfaste de cette aliénation fut qu'avec les changements historiques en cours, notamment suite à la révolution industrielle en Occident et à ses conséquences dans les pays musulmans, une certaine mentalité s'est enracinée, selon laquelle la sharia n'était plus capable de s'adapter au rythme rapide des changements sociaux (Kamali, 2008, p. 36).

Cela nécessiterait une reconstruction imaginative et un ijtihād impliquant une révision et une modification des règles du fiqh afin de traduire les objectifs généraux de la sharia dans les lois et les institutions de la société contemporaine (Kamali, 2008, p. 37).

Les notions modernes de dignité humaine, liberté et égalité ont profondément évolué depuis l'époque classique, devenant des valeurs universelles centrales qui fondent les droits humains contemporains (Drouiche, 2018, p. 61).

Ce que l'islam a autorisé dans un contexte donné peut être déclaré illicite aujourd'hui si cela contredit les objectifs supérieurs de la sharia (justice, dignité, liberté, protection de l'être humain). L'idée ici est que les textes doivent être interprétés à la lumière de leurs finalités (مقاصد). Exemple : l'islam a toléré l'esclavage dans une société où il était universel, mais il a orienté la société vers son affranchissement (Al-ajami, 2019). Cette orientation est aujourd'hui réalisable pleinement, donc le maintien de l'esclavage contredirait l'esprit même de la religion.

C'est ainsi que des penseurs, historiens et intellectuels musulmans modernes et contemporains défendent cette approche (Rachid Ghannouchi[2], Taha Abderrahmane[3], Mohamed Talbi[4], Fazlur Rahman[5], Malek Bennabi[6], etc.) et ont appelé à repenser ces textes à la lumière des droits humains. Certains soutiennent que l'interdiction de l'esclavage est désormais un objectif supérieur de la loi islamique (مقصد شرعي), ce qui en rendrait la pratique définitivement illicite aujourd'hui, même si elle ne l'était pas dans le passé. Des penseurs musulmans se sont attelés sur ces sujets et ont analysé l'évolution des valeurs éthiques modernes en confrontation avec les traditions (Fazlur, 1982, pp. 140-145) et ont fait une lecture contextuelle et éthique des textes face aux exigences contemporaines (Ramadan, 2008, pp. 135-140).

2. Critiques éthiques modernes de l'esclavage

Or, toute la législation coranique qui en découle dans le domaine de la vie privée et publique, y compris les cinq piliers de l'islam, considérés comme la religion par excellence, a pour finalité la justice sociale et la construction d'une communauté égalitaire. Insister sur une application littérale des règles du Coran, en fermant les yeux sur le changement social qui s'est produit et qui se produit de manière si palpable sous nos yeux, revient à contrecarrer délibérément ses objectifs moraux et sociaux. C'est comme si, compte tenu de l'importance accordée par le Coran à la libération des esclaves, on insistait pour préserver l'institution de l'esclavage afin de pouvoir « gagner du mérite auprès de Dieu » en libérant des esclaves. Certes, l'enseignement du Coran repose sur l'idée qu'il ne devrait y avoir aucun esclavage. Le raisonnement qui justifierait le maintien de l'esclavage est, bien sûr, rarement employé par un musulman intelligent et moralement sensible. Mais il existe un argument utilisé par la grande majorité des musulmans, et surtout par la majorité des chefs religieux musulmans, qui est très similaire. Il est que, puisque le paiement de la zakat est un « pilier » de l'islam, un impôt que le Coran a imposé principalement (mais pas exclusivement) sur les riches pour le bien-être des pauvres, certaines personnes doivent rester pauvres pour que les riches acquièrent du mérite aux yeux de Dieu. Il n'existe bien sûr aucune société sur terre où il n'y ait pas de personnes dans le besoin, et dans l'islam, l'État, par le biais de son système de zakat, doit répondre à leurs besoins. Mais un argument comme celui-ci vise à porter un coup décisif à l'orientation même du Coran et constitue le meilleur support pour le slogan

---

[2]) Un homme d'État tunisien du parti Ennahdha, né en 1941.
[3]) Philosophe et professeur marocain, né en 1944.
[4]) Historien, penseur et islamologue tunisien (1921-2017).
[5]) Théologien et philosophe pakistanais (1919-1988).
[6]) Penseur algérien (1905-1973).

communiste selon lequel « la religion est l'opium des masses » (Fazlur, 1982, p. 19).

De même, inversement, le mouvement de l'esprit depuis la législation concrète du Coran vers les principes généraux aboutit aux mêmes grands principes qui constituaient son élan premier (Fazlur, 1982, p. 20).

Déclarer illicite ce que les textes ont permis est une démarche lourde, qui demande :

- soit une relecture des textes (réformisme),
- soit une réévaluation de leur autorité (critique radicale),
- soit un refus net du changement (littéralisme).

L'esclavage est aujourd'hui rejeté en raison de son incompatibilité avec les principes fondamentaux des droits humains, notamment la liberté individuelle et la dignité inaliénable (Unies, s. date, p. Droits humains).

Des penseurs modernistes comme l'Egyptien Muḥammad ʿAbduh (1849-1905), le Syrien né au Liban Rashīd Riḍā (1865-1935) ou le Syrien Al-Kawākibī (1855-1902) ont peu ou pas remis en question l'institution elle-même. Ils ont parfois justifié son abandon pratique, mais sans en faire une critique morale de fond, ni en demander l'interdiction religieuse. Le maintien de l'esclavage a fait l'objet de critiques dans une perspective éthique contemporaine (Hallaq, 2009, pp. 200-205). Les débats actuels sur l'esclavage et la morale islamique témoignent d'une réelle mise en question (Fazlur, 1982, pp. 147-150).

Bennabi, déjà mentionné, critique aussi la fossilisation de la pensée religieuse, incapable de répondre aux défis modernes. Bien qu'il ne s'exprime pas explicitement sur l'esclavage, il plaide pour une réactivation de l'ijtihād afin de dégager l'islam de ses formes figées et non spirituelles (نبي، 2000، صفحة 57). Dans ce cadre, on peut légitimement étendre sa critique à la question de l'esclavage, comme symbole d'un système juridique non réactualisé.

L'idée que l'islam puisse contenir un impensé éthique est restée inacceptable pour la majorité d'entre eux. Des intellectuels comme Fazlur Rahman (mentionné plus haut), Abdullahi Ahmed An-Na'im[7] (Say, 2006), Mohammad Shahrour[8] (Fathally, 2022, pp. 66-67) ont, plus récemment, osé

---

[7]) Américain d'origine soudanaise, spécialiste des questions de l'islam et des droits humains, né en 1946. Selon lui, les doctrines juridiques de la sharia dans leur forme originale, qui remontent au VIIème siècle, sont tout simplement incompatibles avec les réalités de la vie au XXIème siècle (Dean, 2010, pp. 138-139).

[8]) Islamologue syrien (1938-2019). Pour lui, l'esclavage a été tout simplement interdit par la reconnaissance coranique de deux nouveaux types de contrats : le

proposer une lecture éthique et historique des textes, appelant à une mise à jour morale sur ce sujet. Mais ces voix restent très minoritaires et souvent marginalisées. Par exemple en réponse à Shahrour sur l'abolition de l'esclavage qui est un droit, qu'il a été restreint jusqu'à disparaître complètement au regard de la législation et dans les faits, en raison de l'abolition de l'esclavage en Occident, les musulmans se retrouvent alors privés d'un droit coranique, tout en voyant des limites s'imposer de facto dans les relations extraconjugales qui sont considérées comme de l'adultère (Hiahemzizou, 2023)

3. Normes internationales et droits humains

Les conventions internationales, telles que la Déclaration universelle des droits de l'Homme[9] et les traités contre l'esclavage[10] posent un cadre éthique et juridique universel qui condamne fermement toute forme d'esclavage.

Pour autant rien n'interdît dans les textes l'intégration des normes internationales dans la réflexion islamique contemporaine (Ramadan, 2008, pp. 145-150). On peut même dire qu'il y a une interaction entre la sharia et les normes internationales en matière de droits humains (Kamali, 2008, pp. 190-195).

VI. Vers une relecture des textes islamiques

Les penseurs contemporains appellent à une lecture renouvelée des textes, fondée sur l'herméneutique et la contextualisation, afin de mieux saisir l'esprit du message coranique en lien avec les réalités modernes.

1. Méthodes d'interprétation contemporaine

Le développement intellectuel (et, par conséquent, social) de l'islam a été entravé par deux erreurs interdépendantes. La **première** tient à une lecture littérale du Coran, qui n'a pas su distinguer entre les principes universels et les prescriptions circonstancielles liées à des contextes historiques précis. Cette rigidité herméneutique a engendré une **seconde** erreur, cette fois imputable aux courants laïcs : face à l'immobilisme doctrinal

---

contrat de travail (riq'/رق) et le contrat civil de mariage (milk al-yamin/ملك يمين), n'est qu'un exemple de ces tendances doctrinales. (Fathally, 2022, pp. 66-67).

[9]) Article 4 : Nul ne sera tenu en esclavage ni en servitude ; l'esclavage et la traite des esclaves sont interdits sous toutes leurs formes (Unies, s. date, p. La Déclaration universelle).

[10]) Article 2 : a) A prévenir et réprimer la traite des esclaves ; b) A poursuivre la suppression complète de l'esclavage sous toutes ses formes, d'une manière progressive et aussitôt que possible (Unies, s. date, p. Convention relative à l'esclavage).

imposé par les interprétations dogmatiques, ils se sont trouvés dans l'obligation de choisir entre fidélité au texte coranique ou adaptation au monde moderne. Ce dilemme, profondément contre-productif, a contribué à un déchirement identitaire dans de nombreuses sociétés musulmanes (Fazlur, 1982, p. 173).

Aucune juxtaposition mécanique d'anciens et de nouveaux sujets et disciplines ne peut engendrer un tel état d'esprit. Pour que l'étincelle de la modernisation de l'ancien savoir islamique et de l'islamisation du nouveau s'allume, il faut que l'impulsion originelle de l'islam (le Coran et la Sunna) soit clairement ressuscitée afin que les conformités et les difformités de l'islam historique puissent être clairement jugées à travers elle (Fazlur, 1982, p. 141).

Il fallait des méthodes d'interprétation contemporaine (herméneutique, contextualisation). Les points de vue du Coran resteront également au niveau de la pure abstraction, à moins d'une étude factuelle approfondie. Ce corpus de pensée doit être organisé à côté de la pensée morale pure du Coran et des leçons de l'histoire sur lesquelles le Coran insiste tant. À moins que le contenu du Coran ne soit bien systématisé, il peut être dangereusement trompeur d'appliquer des versets individuels et isolés à des situations, comme le font la plupart des prédicateurs musulmans et même de nombreux intellectuels (Fazlur, 1982, p. 161).

Après tout, tous les fondamentalistes, comme les wahhabites[11] et leurs successeurs néofondamentalistes comme les Frères musulmans[12], ont déclaré ceci : à savoir que les musulmans doivent revenir à l'islam originel et pur ;

---

[11]) Le wahhabisme est une doctrine religieuse dont le nom vient de Muhammad ibn Abd al-Wahhab (1703-1792), un prédicateur originaire de la péninsule Arabique. Il remet à l'honneur et renouvelle les pensées de l'école d'Ahmad ibn Hanbal (780-855), l'une des quatre grandes écoles juridiques sunnites. Le hanbalisme est une manière très rigoureuse d'interpréter l'islam (Valter, s. date).

[12]) L'association des Frères musulmans (الإخوان المسلمين) est créée en Égypte en 1928 autour de Hasan al-Banna (1906-1949). À l'époque, le protectorat britannique et le trafic maritime du canal de Suez illustrent la puissance de l'Occident et le déclin douloureux de la civilisation musulmane. Le mouvement se compose de personnes qui n'appartiennent pas à l'*establishment* religieux ; Hasan al-Banna lui-même est un instituteur qui s'est affilié à la confrérie mystique Husafiyya (الحصافية). Sur la base d'un engagement volontaire, les membres des F.M cherchent à revaloriser l'islam et les Musulmans : ils entendent revivifier la conscience de la communauté musulmane et remettre les préceptes de la religion en pratique, au cœur de la société (Maréchal, 2006, p. 1).

pourtant, ils ont été arrêtés à un certain moment. De nouveau, les modernistes musulmans ont explicitement soutenu que les musulmans devaient revenir à l'islam originel et parfait ; pourtant, ils ont élaboré certaines doctrines que ni les fondamentalistes ni les conservateurs n'ont reconnues comme islamiques (Fazlur, 1982, p. 141).

La réponse est que ni les fondamentalistes ni les modernistes n'avaient de méthode suffisamment claire. L'arrêt des mouvements fondamentalistes en islam n'est pas dû à leurs revendications, car ils revendiquaient l'ijtihād, c'est-à-dire une nouvelle pensée en islam. Comment peut-on arrêter une nouvelle pensée, surtout lorsqu'on prétend que l'essence de la pensée islamique repose sur l'ijtihād ? (Fazlur, 1982, p. 142 et suivantes)

Un projet ambitieux de rénovation de la tradition intellectuelle islamique (incluant la théologie, l'éthique, la philosophie et le droit) a été proposé en réponse aux appels contemporains à un retour à l'islam ou à la restauration de la sharīa comme unique guide de conduite. Ce projet commence par une interrogation essentielle : *quel islam ?* Et surtout : *comment parvenir à un islam véritablement normatif ?* L'idée centrale consiste à affirmer que, pour que l'islam corresponde réellement à l'image qu'en donnent ses fidèles (celle d'un système global, valable en tout temps et en tout lieu) il est impératif que les savants et les pédagogues musulmans reconsidèrent leurs méthodes et leurs fondements. La réflexion proposée se distingue par la rigueur de sa méthodologie, sa profondeur et son engagement critique (Fazlur, 1982, p. 173).

Une méthode d'interprétation y est développée, fondée sur la prise en compte du contexte historique des révélations et sur la primauté de leur intention éthique **(Ramadan, 2008, pp. 120-150)**. Des approches contemporaines d'interprétation sont présentées, mettant en avant le recours aux maqāṣid (مقاصد) afin d'adapter les normes juridiques aux réalités actuelles (Kamali, 2008, pp. 197-202). Une réflexion est engagée sur le renouvellement de la pensée islamique à travers l'utilisation d'outils modernes d'analyse textuelle (Fazlur, 1982, pp. 153-160).

2. Distinction entre prescriptions immuables et contextuelles

Une relecture implique de différencier les normes permanentes (الثابت) et les règles liées à un contexte historique déterminé (المتغيّر), pour ne pas sacraliser des pratiques circonstancielles comme l'esclavage.

La sharia admet en principe que les règles juridiques peuvent être modifiées en fonction de l'évolution des circonstances. Il ne fait aucun doute que des abrogations (نسخ) ont eu lieu, tant dans le Coran que dans la Sunna, principalement en raison de l'évolution des conditions de vie de la communauté, notamment après l'émigration du Prophète à Médine en 622 apr. J.-C.. L'abrogation implique souvent le remplacement d'un texte juridique

par un autre. La question se pose de savoir si un texte peut être modifié pour d'autres motifs, tels que l'ijtihād, la législation d'origine humaine et la coutume (Kamali, 2008, p. 26).

Concernant les questions pour lesquelles il n'existe pas de texte clair ou consensus (إجماع), l'ijtihād doit être guidé par les objectifs généraux de la sharia (مقاصد الشريعة). Ce type d'ijtihād est généralement appelé ijtihād fondé sur l'opinion (اجتهاد بالرأي) (Kamali, 2008, p. 27). Les érudits contemporains se sentent contraints de tenter une reconstruction juridique et un ijtihād face au rythme rapide des changements sociaux. Cela est dû en partie à la longue histoire d'imitation aveugle (تقليد) qui a gravement perturbé l'essor naturel du fiqh et freiné l'essor de l'ijtihād. L'ijtihād doit se poursuivre en permanence afin d'adapter le droit aux besoins et à l'évolution de la société (Kamali, 2008, p. 36).

Alors que les fondamentalistes islamiques ont tendance à être dogmatiques et exceptionnalistes, la majorité des observateurs musulmans tendent à être inclusifs plutôt qu'exclusifs, universels plutôt que sectaires et donc réceptifs, dans certaines limites, à d'autres points de vue ; ils ont également parlé affirmativement du dialogue des civilisations (Kamali, 2008, p. 206). D'abord, par une argumentation sur la nécessité de distinguer entre absolu éthique et conditionné historique (Ramadan, 2008, pp. 135-140). Puis, par une analyse critique de la manière dont le droit classique a figé certaines pratiques non fondamentales (Hallaq, 2009, pp. 210-215).

3. Les finalités (مقاصد) de la sharia face à l'esclavage

L'ijtihād désigne l'effort fourni par le mujtahid (celui qui pratique l'ijtihād) pour extraire des sources les règles de la sharia sur des questions particulières. Puisque la révélation divine a pris fin avec la disparition du Prophète, l'ijtihād demeure le principal instrument d'interprétation du message divin et de sa mise en relation avec les conditions changeantes de la communauté musulmane (Kamali, 2008, p. 25).

Si le texte porte sur des questions de dévotion (عبادات), l'opinion générale est qu'il ne peut être modifié. En revanche, s'il concerne des transactions matérielles, la majorité des juristes estiment qu'il est sujet à interprétation et à l'ijtihād. Le juriste peut prendre en compte le sens du texte, la cause effective (علّة) sur laquelle il repose à l'origine, et le bien-être (مصلحة) de la communauté afin de construire un nouvel ijtihād. Si le texte est précis et n'admet pas l'ijtihād, l'opinion dominante est qu'aucun changement ne doit être tenté (Kamali, 2008, p. 26).

Concernant les questions régies par les règles de fiqh existantes, issues du raisonnement analogique (قياس), de la préférence juridique (استحسان) et d'autres formes d'ijtihād, et si le mujtahid parvient à la conclusion qu'elles ne

servent plus les objectifs de la sharia en raison des changements sociaux, il peut tenter un nouvel ijtihād (Kamali, 2008, p. 27).

Le rôle des maqāṣid dans l'évolution des règles juridiques y est expliqué, en tant que fondement permettant une adaptation raisonnée du droit aux contextes changeants (Kamali, 2008, pp. 203-208). L'esclavage y est présenté comme incompatible avec les finalités éthiques globales de l'islam (Ramadan, 2008, pp. 145-150). Cela ouvre la voie à une réflexion sur la manière dont les finalités spirituelles peuvent orienter une réforme légitime (Fazlur, 1982, pp. 160-165).

La relecture contemporaine accorde une place centrale aux finalités supérieures de la loi islamique, telles que la dignité humaine, la liberté et la justice, qui s'opposent fondamentalement à la perpétuation de l'esclavage.

VII. Réconciliation entre droit classique et éthique contemporaine

Des penseurs musulmans contemporains cherchent à concilier fidélité à la tradition et adhésion aux principes éthiques universels, en s'appuyant sur l'ijtihād, les maqâsid et la notion de maslaha ou intérêt public.

Un exposé sur les outils juridiques internes à la sharia permettant une réforme éthique : ijtihād, maqâsid, istihsân, est mis en avant (Kamali, 2008, pp. 210-216). Avec proposition d'une réforme fondée sur les objectifs éthiques de l'islam sans rupture avec la tradition (Ramadan, 2008, pp. 150-160).

1. Approches conciliatrices dans la jurisprudence moderne (La distinction entre les normes conjoncturelles et les finalités universelles)

Les maqâsid s'appuient sans aucun doute sur les prescriptions textuelles du Coran et de la Sunna, mais ils s'intéressent principalement à la philosophie générale et aux objectifs de ces prescriptions, souvent au-delà des particularités du texte. L'accent est mis moins sur les mots et les phrases du texte que sur son but et sa finalité. Comparés à la théorie juridique des sources du fiqh (أصول الفقه), les maqâsid ne s'encombrent pas de technicité méthodologique ni d'une lecture littérale du texte. Ainsi, les maqâsid intègrent une certaine polyvalence et une compréhension accrue de la sharia. À une époque où certaines doctrines importantes de Usul al-Fiqh, telles que le consensus général (إجماع), le raisonnement analogique (قياس) et même l'ijtihād, semblent soumises à des conditions et exigences complexes, les maqâsid offrent un accès plus aisé à la sharia. Il est donc essentiel de comprendre les grandes lignes des objectifs de la sharia avant d'aborder les détails (Kamali, 2008, p. 139).

Toutes les règles du fiqh fondées sur la coutume sont susceptibles d'évoluer avec l'évolution de la coutume sur laquelle elles ont été fondées à l'origine (Kamali, 2008, p. 26). L'éducation de l'individu (تهذيب الفرد), justice (عدل), considérations d'intérêt public (مصلحة عامة). La protection du droit à la

vie inclut la protection des moyens qui facilitent une vie honorable, tels que la liberté de travailler, la liberté d'expression et la liberté de voyager (Kamali, 2008, p. 28 et 30 et 32 et 34). L'éviction systématique du témoignage oral, pierre angulaire du fonctionnement des tribunaux de la sharia, a été suivie d'une reconstitution du droit procédural reflétant une tradition écrite (par opposition à l'orale) au service des objectifs de l'État en matière de comptage, de comptabilité, de surveillance et de contrôle. La marginalisation de la sharia était donc en elle-même un acte non seulement de démantèlement, mais aussi de construction d'un système judiciaire et juridique au service de l'État (Hallaq, 2009, p. 106).

Le Coran n'a pas instauré l'esclavage, mais a légiféré dans un contexte où cette institution était socialement établie. Il a multiplié les moyens de l'abolir progressivement, en valorisant l'affranchissement (Fazlur, 1982, p. 19). Coran 90:13 : « C'est délier un joug (affranchir un esclave) » "فك رقبة". (سورة البلد: 13).

Coran 9:60 : « Les Sadaqats ne sont destinés que pour les pauvres, les indigents, ceux qui y travaillent, ceux dont les cœurs sont à gagner (à l'islam), l'affranchissement des jougs, ceux qui sont lourdement endettés, dans le sentier de Dieu, et pour le voyageur (en détresse). C'est un décret de Dieu! Et Dieu est Omniscient et Sage ».

"إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ". (التوبة: 60)

Ainsi que la sourate 4: 92 (cité plus haut). Cette approche graduelle peut être interprétée, dans une lecture finaliste, comme un appel indirect à son dépassement.

Il est nécessaire de dépasser le cadre purement littéraire et historique qui structure l'ensemble du système de l'exégèse classique (التفسير). Ce dépassement s'impose de toute manière, en raison de l'évolution progressive de la pensée musulmane moderne. Quoi qu'il en soit, le cadre traditionnel de l'exégèse devait être repensé de manière réfléchie afin de répondre aux exigences d'une pensée rationnelle de type cartésien (Bennabi, 1978, pp. 11-12).

Soulignant la nécessité de distinguer entre les principes généraux du Coran et les réponses spécifiques à des situations historiques concrètes. Cette distinction est essentielle pour comprendre comment certaines pratiques, comme l'esclavage, étaient régulées dans un contexte particulier, sans être des prescriptions éternelles (Fazlur, 1982, p. 4).

Une critique est formulée à l'encontre de la tendance de certains exégètes à figer les textes dans leur contexte historique, ce qui entrave leur adaptation aux réalités contemporaines. Une herméneutique dynamique,

attentive aux finalités éthiques de l'islam, est alors proposée comme alternative (Fazlur, 1982, pp. 7-8).

Il est question de la manière dont les textes sacrés peuvent être réinterprétés à la lumière des défis contemporains, tout en demeurant fidèles à l'esprit du message coranique. Une méthodologie herméneutique est proposée, permettant de reconsidérer certaines pratiques historiques, telles que l'esclavage, sans remettre en cause les textes eux-mêmes. En distinguant les contextes historiques des principes éthiques universels, cette approche ouvre la voie à une compréhension plus profonde et adaptée de l'islam dans le monde actuel (Fazlur, 1982, p. 11).

Le Prophète, par exemple, a ordonné laconiquement à un homme de libérer un esclave après avoir appris que cet homme avait eu des relations sexuelles avec sa femme pendant le jeûne du Ramadan. Bien que le lien entre l'infraction et l'ordre n'ait pas été clairement établi par le Prophète, la séquence des événements les rend néanmoins étroitement liés. Le Prophète n'aurait pas agi ainsi sans la survenance d'un événement particulier qui a précipité son ordre (Hallaq, 2009, p. 24).

2. La lecture contextuelle des textes

Les versets et les hadiths liés à l'esclavage doivent être interprétés à la lumière de leur contexte historique et social. Cette approche n'est pas nouvelle : elle a été pratiquée par des juristes classiques eux-mêmes pour d'autres sujets.

Dans *La réforme radicale* (2008), entre les pages 269 et 295, il est proposé une lecture contextuelle des textes comme fondement d'un renouvellement méthodologique de la pensée islamique. Cette approche soutient que les textes sacrés doivent être interprétés en tenant compte de leur contexte historique et des finalités éthiques qu'ils poursuivent. Elle insiste sur la nécessité de distinguer les prescriptions immuables de celles qui répondaient à des circonstances spécifiques de l'époque de la révélation. Une telle méthodologie permettrait de répondre aux défis contemporains tout en restant fidèle aux principes fondamentaux de l'islam (Ramadan, 2008, p. Résumé).

Une étude publiée dans *Les Cahiers de l'Islam* souligne que l'auteur insiste sur la nécessité de « distinguer ce qui, dans les textes, est immuable de ce qui est amené à changer », en mettant en avant l'importance d'une lecture contextuelle permettant d'adapter les enseignements islamiques aux réalités contemporaines. « Les musulmans d"aujourd"hui, en Orient comme en Occident, ont un besoin urgent d"un fiqh (droit et jurisprudence) contemporain distinguant ce qui, dans les textes, est immuable de ce qui est amené à changer. » (Ramadan, 2025, p. officiel).

Il propose une méthodologie renouvelée concernant les fondements et les sources du droit et de la jurisprudence (أصول الفقه), non pas dans le but de se plier aux évolutions sociales et scientifiques, mais pour y apporter une contribution éthique, une profondeur spirituelle, une dimension humaine et créative au service des sociétés, des savoirs et du progrès. (Ramadan, 2025, p. officiel).

3. Exemples de réinterprétations et réformes

Certains pays ou intellectuels ont abrogé ou déclaré obsolètes certaines normes classiques, y compris celles relatives à l'esclavage, en s'appuyant sur des lectures contextualisées des textes et les impératifs moraux actuels.

Un article de *L'Expression* rapporte qu'une approche fondée sur la « suspension d'applicabilité » de certaines prescriptions est proposée, inspirée d'une décision historique du calife Omar ibn al-Khattab[13]. Celui-ci avait suspendu l'application de la peine d'amputation[14] durant la famine de « l'année de la faim » (عام المجاعة) en 640 apr. J.-C.. Cette méthode (parfois appelée « levée d'applicabilité » ou « moratoire ») ne consiste pas à abroger ou rendre obsolètes certains versets, mais à différer leur mise en œuvre selon les circonstances. Cette démarche est aujourd'hui celle d'un courant interprétatif contemporain influent. Partant de l'analogie avec cet épisode, une tentative est faite de généraliser cette démarche au point d'en faire une véritable approche méthodologique. Y a-t-il une différence entre cette approche et celle qui prône le retrait pur et simple de certains versets ? Assurément. Car la suspension de l'application d'un verset implique la reconnaissance de sa validité dans le texte, tandis que l'autre perspective vise à l'écarter totalement du corpus coranique (Hireche, 2014).

Quoi qu'il en soit, au cours de la seconde moitié du XIXe siècle, un bouleversement majeur du droit anglo-mahométan fut opéré, notamment après les transformations de la rébellion de 1857[15]. Les années 1860 et 1870 ont vu l'abolition de l'esclavage, ainsi que l'adoption des lois islamiques en matière de procédure, de droit pénal et de preuve. Toutes ces lois ont été

---

[13]) Omar ibn al-Khattab (584-644). Grand compagnon du Prophète et deuxième calife de l'islam.

[14]) Coran : (5 : 38) : « Le voleur et la voleuse, à tous deux coupez la main, en punition de ce qu'ils se sont acquis, et comme châtiment de la part de Dieu. Dieu est Puissant et Sage. »

"وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم". (المائدة: 38)

Ce verset prescrit l'amputation de la main comme peine applicable aux voleurs.

[15]) Qualifiée de Première Guerre d'Indépendance Indienne. C'est un soulèvement majeur contre la domination britannique en Inde.

remplacées par des lois britanniques promulguées par voie législative. À la fin du siècle, à l'exception du droit de la famille et de certains aspects des transactions immobilières, toutes les lois autochtones avaient été supplantées par le droit britannique (Hallaq, 2009, pp. 88-89).

Des études de cas sur les réformes juridiques dans le monde musulman contemporain (Hallaq, 2009, pp. 220-225) montrent des exemples d'adaptation ou de mise en suspens de normes anciennes, notamment en ce qui concerne la condition servile (Fazlur, 1982, pp. 165-172).

VIII. Enjeux et perspectives futures

La tension entre fidélité à la tradition juridique islamique et l'adhésion aux droits humains reste un défi. La réflexion éthique islamique contemporaine vise à dépasser cette tension par une théologie de la justice, en phase avec les valeurs universelles.

1. Enjeux

Une étude met en lumière l'impact de la colonisation européenne sur les structures juridiques des sociétés musulmanes. L'approche coloniale a souvent réduit la sharia à un système rigide, ignorant sa souplesse et sa capacité d'adaptation aux réalités sociales. Cette vision a favorisé sa codification, entraînant une perte de sa dimension contextuelle et évolutive ! (Hallaq, 2009, pp. 85-115).

L'analyse porte également sur la manière dont les États-nations modernes ont intégré certains éléments de la sharia dans leurs systèmes juridiques, souvent en les réinterprétant à travers le prisme des normes juridiques occidentales. Elle met en évidence les tensions entre les traditions juridiques islamiques et les impératifs des structures étatiques modernes, notamment en matière de droits individuels et de libertés (Hallaq, 2009, pp. 115-139).

Il existe des discussions sur les conditions d'une réforme légitime, menée dans le respect des fondements de la tradition (Kamali, 2008, pp. 216-222) et une réflexion sur les perspectives de réforme éthique dans un cadre islamique (Ramadan, 2008, pp. 160-170).

L'ijtihād a également conféré au droit islamique une de ses caractéristiques uniques. Pour chaque éventualité ou cas, et pour chaque fait particulier, il existe entre deux et douze opinions, voire plus, chacune défendue par un juriste différent. Autrement dit, il n'existe pas de disposition juridique unique jouissant d'un monopole ou d'une exclusivité, contrairement à ce qui se passe dans l'État moderne. Le droit musulman se caractérise donc également par le pluralisme juridique, non seulement parce qu'il reconnaît les coutumes locales (عُرف) et les prend sérieusement en compte, mais aussi parce qu'il offre un éventail d'opinions sur un même ensemble de faits. Ce pluralisme a conféré au droit islamique deux de ses caractéristiques

fondamentales : la flexibilité et l'adaptabilité aux différentes sociétés et régions, et la capacité de changer et d'évolution au fil du temps, d'abord en optant pour les opinions devenues plus adaptées que d'autres à une circonstance particulière, et ensuite en créant de nouvelles opinions lorsque le besoin s'en faisait sentir. Que la loi islamique ait été accusée de rigidité par le colonialisme européen pour justifier le démantèlement de la sharia est donc non seulement erroné, mais aussi hautement ironique ! (Hallaq, 2009, p. 27).

Cette thèse, selon laquelle la colonisation aurait figé un droit islamique auparavant dynamique, néglige le fait que ce droit était déjà largement sclérosé bien avant la colonisation, (laquelle, bien que non exempte de visées impérialistes, n'est pas ici le sujet) et que certaines réformes coloniales ont tenté, souvent contre de fortes résistances locales, d'en briser l'immobilisme. (Réflexion personnelle).

Cette transformation s'est incarnée et représentée par un processus complexe qui s'est opéré à presque tous les niveaux de la relation inégale entre l'Europe colonialiste moderne (créatrice et exportatrice de l'État moderne) et les sociétés musulmanes (et autres) du monde entier. Les forces à l'origine de cette transformation étaient, entre autres, la centralisation, la codification (au sens large du terme), bureaucratisation, homogénéisation (et pour garantir une conformité totalitaire) militarisation omniprésente, autant de piliers du projet d'État moderne (Hallaq, 2009, pp. 167-168).

L'importance des objectifs de la loi islamique (maqāṣid al-sharia) est mise en avant comme fondement d'une interprétation dynamique et contextuelle des textes sacrés. Ces objectifs visent à préserver cinq éléments essentiels : la religion, la vie, l'intellect, la descendance et les biens. Une telle approche permet de comprendre que certaines pratiques, comme l'esclavage (bien qu'ayant existé dans le contexte historique de la révélation) ne correspondent plus aux finalités éthiques de la sharia dans le monde contemporain (Kamali, 2008, pp. 10-11). Une analyse critique des limites structurelles des réformes existe, mais aussi des ouvertures possibles (Hallaq, 2009, pp. 225-230).

2. Perspectives futures

Le droit islamique n'est pas celui que l'on trouve dans les ouvrages des juristes, mais plutôt le résultat d'une application souple et sensible de règles dans un contexte social complexe. Comprendre ce qu'était le droit islamique, c'est donc comprendre comment les sociétés musulmanes du passé le vivaient réellement ; mais il ne s'agit certainement pas du simple droit tel qu'il est résumé dans les ouvrages des juristes (Hallaq, 2009, p. 167).

Les critiques de la loi islamique, y compris certains penseurs musulmans modernes, ont exprimé l'idée que la réforme de la loi islamique et de la pensée politique pourrait être réalisée en dissociant l'attitude

révérencielle envers le texte de l'évaluation sobre et rationnelle de sa portée. Trois points doivent être soulignés avant de prendre position sur ce point :

Premièrement, les concepts de droit et de liberté sont relatifs et évolutifs, car ils sont influencés par des facteurs socioculturels et des conditions de temps et de lieu. Au fil du temps, le concept de droit peut évoluer ou être élargi et modifié pour s'adapter à un nouveau contexte et à de nouvelles circonstances. Cela vaut pour presque toutes les traditions juridiques et culturelles. La Déclaration universelle des droits de l'homme de 1948, par exemple, est un document historique d'une importance capitale, mais on constate aujourd'hui qu'elle a reflété les réalités et les préoccupations de l'époque, notamment l'asymétrie du pouvoir politique à l'échelle mondiale qui en résultait.

Deuxième point, porte sur la dimension universaliste des droits humains fondamentaux, qui affirme que le concept de « droits humains » est une sorte d'universel partagé, obtenu par des voies culturelles différentes, mais exprimant néanmoins une sorte de consensus humain. Les droits de l'Homme sont des droits que toute personne est censée posséder du simple fait de sa condition humaine[16].

Troisièmement, le lien indissociable entre la liberté de religion et les autres droits et libertés fondamentaux tend à suggérer que la liberté de religion ne saurait être recherchée et mise en œuvre indépendamment des autres libertés. « Lutter pour une liberté exige également lutter pour toutes les autres libertés, car elles sont interdépendantes. » Pour que les réformateurs religieux puissent poursuivre leur lutte pour la démocratie et les droits de l'Homme, ils doivent être perçus comme d'authentiques artisans du changement, défendant une alternative de l'intérieur plutôt que sans tradition (Kamali, 2008, pp. 205-206).

3. Le principe du changement par la coutume (عُرف) et l'intérêt général :

L'évolution des sociétés musulmanes et le consensus universel contre l'esclavage justifient, au nom de l'intérêt général, que cette pratique soit déclarée caduque, sans que cela n'implique de rejeter le texte coranique. L'évolution de la loi islamique, notamment sa transformation sous l'effet conjugué de la modernité et de la colonisation, fait l'objet d'une analyse approfondie, mettant en évidence les tensions entre les traditions juridiques islamiques et les reconfigurations imposées par les États modernes (Hallaq, 2009, pp. 88-89).

---

[16]) Ces deux dimensions des droits de l'homme (l'une ancrée dans la réalité, l'autre portée par l'idéal) peuvent parfois sembler difficiles à concilier et ont souvent suscité des interprétations divergentes.

La tradition juridique islamique accorde une grande place aux finalités éthiques de la loi : justice, liberté, dignité, préservation de la personne humaine. L'esclavage, en tant qu'atteinte à ces valeurs dans le monde contemporain, peut donc être considéré comme abrogé par l'esprit même de la sharia (Hallaq, 2009, pp. 163-164).

L'étude du droit islamique montre qu'il fut historiquement pluraliste et adaptable, mais que la colonisation, en tentant de le rationaliser et de le codifier selon ses propres logiques étatiques, l'a vidé de sa souplesse originelle. Toutefois, cette transformation n'explique pas à elle seule la stagnation ; des blocages internes existaient déjà bien avant.

XI. Conclusion

La question de l'esclavage en islam, à l'intersection du droit classique et de l'éthique contemporaine, met en lumière la tension entre héritage juridique et exigences morales actuelles. Cette étude a permis de retracer l'ancrage historique de la pratique esclavagiste, sa régulation par le fiqh classique, ainsi que les limites imposées par le cadre scripturaire.

L'islam n'a pas interdit l'asservissement de manière absolue, mais il l'a réglementé, limité et orienté vers son extinction progressive, selon les textes fondateurs et les interprétations dominantes dans les premiers siècles. L'abolition n'a pas été une décision religieuse interne, mais est venue par la modernité, le colonialisme ou la pression internationale, à partir du XIXe siècle.

Face à l'évolution des consciences humaines et à la centralité contemporaine des valeurs de dignité, de liberté et d'égalité, il devient nécessaire d'engager une relecture critique et contextualisée, sans toucher à l'intégrité des textes fondateurs (notamment le Coran et la Sunna). L'approche par les finalités (مقاصد الشريعة), conjuguée aux outils herméneutiques contemporains, permet de dégager des principes éthiques supérieurs susceptibles d'orienter une réforme fidèle à l'esprit de l'islam.

Cette réflexion invite donc les chercheurs, les théologiens et les juristes musulmans à poursuivre un travail d'interprétation lucide et responsable, à la lumière des défis contemporains, et dans le respect des principes fondamentaux de justice, de compassion et d'humanité.

Une relecture contemporaine de l'esclavage en islam, fondée sur la contextualisation, les maqâsid**,** et les principes d'évolution du fiqh, permet de concilier fidélité aux textes et exigence éthique moderne, sans altérer les fondements scripturaires. Cela répond à une nécessité herméneutique qui respecte à la fois la tradition et les valeurs universelles.

Ainsi, la réflexion sur l'esclavage devient emblématique d'un défi plus large : celui d'une réforme authentique, capable de rester fidèle à

l'essence des textes tout en répondant aux exigences morales et sociales de notre temps.

XII. Liste Bibliographique

Livres

1. Bennabi Malek (1978) : *Le phénomène coranique*, Organisation Mondiale Pour Les Services Islamiques, Iran.
2. Fazlur Rahman (1982), *Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition*, Publication of the center for Middle Eastern Studies, General Editor, The University of Chicago Press, USA.
3. Hallaq Wael (2009), *An Introduction to Islamic Law*, Cambridge University Press, United Kingdom.
4. Kamali Mohammad Hashim (2008), *Shari'ah Law: An Introduction*, Oneworld Publications, England, UK.
5. Ramadan Tariq (2008), *La réforme radicale*, Presses du Châtelet, Paris.
6. Skirda Alexandre (2010), *La traite des Slaves. L'esclavage des Blancs du VIIIe au XVIIIe siècle*, Max Chaleil Éditeur, Paris.
7. ابن نبي مالك (إعادة 2000): *الظاهرة القرآنية* (مشكلات الحضارة)، ترجمة: عبد الصابور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، طبعة رابعة 1987.

Articles de revue

8. Dean Jason Richard (2010) : *Abdullahi Ahmed An-Na' im, Islam and the Secular State : Negotiating the Future of Shari'a*, *Cambridge, MA n– London, Harvard University Press, 2008*, (compte-rendu), in Revue d'Histoire et de Philosophie religieuses, Strasbourg (France), Volume 90, N°1, pp. 138-139.
9. Drouiche Hocine (2018): *L'humanisme en Islam : À la lumière des textes, de la modernité et des attentats terroristes*, in Humanisme : Revue de réflexion générale des francs-maçons du Grand Orient de France, volume 2, N° 319, pp. 60-67.
10. Fathally Jabeur **(2022),** *Réflexion sur l'interdiction de l'esclavage en droit musulman à partir du témoignage méconnu d'Henry Dunant*, in CIFILE Journal of International Law, Canada, Volume 3, N° 5, **pp. 52-69.**
11. Maréchal **Brigitte** (2006), *Les Frères musulmans européens, ou la construction des processus locaux et globaux*, in Recherches sociologiques et anthropologique, Belgique, Volume 37, N° 2, pp. 19-34.

Sites électroniques

12. Abusarah Mohannad (2024), *Is the Qur'an Still Relevant Today? The Timeless Universality of Qur'anic Teachings*, sur le site YAQEEN, sur le

lien https://yaqeeninstitute.org/read/paper/is-the-quran-still-relevant-today-the-timeless-universality-of-quranic-teachings, (consulté le 24/07/2025).

13. Aït Mokhtar Ines (2018), *L'esclavage dans le monde musulman moderne (XVI – XIXème siècle)*, sur le site LES CLÉS DU MOYEN ORIENT, sur le lien https://www.lesclesdumoyenorient.com/L-esclavage-dans-le-monde-musulman, (consulté le 24/07/2025).
14. Al-ajami Dr (2019), *L'esclavage sexuel de celles que possèdent vos mains droites selon le Coran et en Islam*, sur le site QUE DIT VRAIMENT LE CORAN, sur le lien https://www.alajami.fr/2019/05/14/lesclavage-sexuel-de-celles-que-possedent-vos-mains-droites-selon-le-coran-et-en-islam/, (consulté le 24/07/2025).
15. Alam Nadeem Nawal (2021), *Le héros courageux : Bilal ibn Rabah*, sur le site THE STATE JOURNAL -JEGISTER, sur le lien https://www.sj-r.com/story, (consulté le 24/07/2025).
16. Hiahemzizou Rafik (2023), *Les faiblesses structurelles de la pensée de Mohamed Shahrour*, Sur le site OUMMA, sur le lien https://oumma.com/les-faiblesses-structurelles-de-la-pensee-de-mohamed-shahrour/, (consulté le 25/07/2025).
17. Hireche Aissa (2014), *Réforme et Coran*, sur le site L'EXPRESSION, sur le lien https://www.lexpression.dz, (consulté le 26/05/2025).
18. Islam Q&A (2007), *L'islam et l'esclavage*, sur le site L'ISLAM EN QUESTIONS ET RÉPONSES, sur le lien https://islamqa.info/fr/answers, (consulté le 24/07/2025).
19. Nations Unies (s. date) : *Droits humains*, sur le site NATIONS UNIES Paix, dignité et égalité sur une planète saine, sur le lien https://www.un.org/fr/global-issues/human-rights, (consulté le 25/07/2025).
20. Nations Unies (s. date) : *La Déclaration universelle des droits de l'homme*, sur le site NATIONS UNIES Paix, dignité et égalité, sur une planète saine, sur le lien https://www.un.org/fr/universal-declaration-human-rights/, (consulté le 25/07/2025).
21. Nations Unies (s. date) : *Convention relative à l'esclavage (adopté en 1926)*, sur le site Nations Unies Paix, dignité et égalité sur une planète saine, sur le lien, https://www.ohchr.org/fr/instruments-mechanisms/instruments/slavery-convention, (consulté le 25/07/2025).
22. Ramadan Tariq (2025) : *Réforme Radicale Éthique et Libération*, sur le site TARIQ RAMADAN OFFICIEL, sur le lien https://livres-tariq-ramadan.myshopify.com, (consulté le 25/07/2025).
23. Riffi Daoud (2021), *« Rouvrir les portes de l'ijtihâd » pour sortir de la sclérose intellectuelle : histoire d'un mythe orientaliste et salafi*, sur le

site MIZANE La mesure de l'info, sur le lien https://www.mizane.info/rouvrir-les-portes-de-lijtihad-pour-sortir-de-la-sclerose-intellectuelle-histoire-dun-mythe-orientaliste-et-salafi, (consulté le 24/07/2025).

24. . Say Cem (2006), *L'avenir de la charia réside dans l'État laïc*, Sur le site QANTARA.de, sur le lien https://qantara.de/en/article/abdullahi-ahmed-naim-future-sharia-secular-state, (consulté le 25/07/2025).
25. Thiolay Boris (2025), *Esclavage dans le monde musulman : l'histoire méconnue de millions d'esclaves à travers les siècles*, sur le site GEO, sur le lien https://www.geo.fr/histoire/esclavage-dans-le-monde-musulman-l-histoire-meconnue, (consulté le 24/07/2025).
26. Valter Stéphane (s. date), *Qu'appelle-t-on le wahhabisme et le salafisme ?* sur le site INSTITUT DU MONDE ARABE, sur le lien https://vous-avez-dit-arabe.webdoc.imarabe.org/religion/le-droit-musulman/qu-appelle-t-on-wahhabisme-et-le-salafisme, (consulté le 25/07/2025).

N.B. : Les traductions des versets coraniques citées proviennent du site CoranSeul.com (https://coran-seul.com), consulté au cours du mois de juillet 2025.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

When Refusing Sexual Harassment Leads to Workplace Retaliation

Karima ZRIOUEL
PhD Candidate in Legal and Political Sciences at the Faculty of Legal and Political Sciences, Ibn Tofaïl University, Kenitra, Morocco.

Abstract:

Sexual harassment in the workplace constitutes a serious form of violence that inflicts ongoing suffering on the victims. The situation becomes even more complicated when they dare to refuse sexual advances or attempt to report the incidents. In many cases, they are then exposed to retaliation by the harasser, reflecting a deliberate intent to punish their resistance. Thus, victims endure a double harm, both the harassment itself and the subsequent retaliation, which increases their vulnerability and threatens their safety at work. This troubling reality underscores the need to look at how Moroccan law ensures the protection of sexual harassment victims against retaliation.

Keywords: Sexual harassment; retaliation; female employees; harasser; Moroccan law.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Quand le "non" au harcèlement sexuel déclenche des représailles au travail

Karima ZRIOUEL
Doctorante en Sciences Juridiques et Politiques à la
Faculté des Sciences Juridiques et
Politiques, Université Ibn Tofail, Kénitra, Maroc.

Résumé :

Le harcèlement sexuel au travail constitue une forme grave de violence qui inflige une souffrance continue aux victimes. Cette situation se complique encore davantage lorsqu'elles osent refuser les avances sexuelles ou chercher à dénoncer les faits. Dans de nombreux cas, elles s'exposent à des représailles de la part du harceleur, témoignant d'une volonté délibérée de punir leur résistance. Ainsi, les victimes subissent une double violence, à la fois le harcèlement lui-même et les représailles qui s'ensuivent, ce qui accroît leur vulnérabilité et met en danger leur sécurité au travail. Cette réalité préoccupante conduit à s'interroger sur la manière dont le droit marocain assure la protection des victimes de harcèlement sexuel contre les représailles.

Mots clés : Harcèlement sexuel ; représailles ; femmes salariées ; harceleur ; droit marocain.

Introduction

En principe, toute femme doit pouvoir travailler dans un environnement où elle bénéficie d'une sécurité réelle et constante, à l'abri de toute forme de violence, de pression ou d'intimidation. Ce droit ne relève pas seulement d'un idéal moral, mais découle également des obligations légales imposées à l'employeur. Pourtant, dans la réalité quotidienne, il demeure trop souvent violé. Sur leur lieu de travail, de nombreuses femmes continuent de subir le harcèlement sexuel, lequel peut se manifester par tout comportement à caractère sexuel ou à des fins sexuelles, qu'il s'agisse d'actes, de paroles, de gestes ou de contenus numériques ou visuels, susceptible de porter atteinte à la dignité d'une personne ou de créer un environnement intimidant, hostile, dégradant, humiliant ou offensant (La mission interministérielle sur les violences sexistes et sexuelles sous relation d'autorité ou de pouvoir, 2024, p.30). Peu importe le moyen utilisé ou le support employé, ce qui compte est que le comportement soit imposé à la victime sans son consentement, qu'il émane d'un supérieur hiérarchique, d'un collègue ou même d'un tiers.

Historiquement, le phénomène du harcèlement trouve ses origines à une époque presque concomitante à celle de l'émergence de l'humanité (I. Hornecker, M. Tognazzi, 2021, p.7). Mais, il n'est que récemment que la notion de harcèlement sexuel a été introduite dans le dispositif légal marocain avec l'apparition de la loi 24.03 modifiant et complétant le Code pénal marocain, de la loi 65-99 relative au Code du travail, puis de la loi 103.13 relative à la lutte contre les violences faites aux femmes. Certes, ces réformes ont permis d'établir un cadre juridique pour la répression des comportements à caractère sexuel non désirés, notamment dans les environnements professionnels. Toutefois, bien qu'elles constituent un point de départ important pour la protection des femmes salariées contre le harcèlement sexuel, elles demeurent encore lacunaires. Ce qui rend difficile une lutte effective contre ce harcèlement, qui a des conséquences néfastes non seulement sur la santé psychologique des victimes, mais également sur leur

vie personnelle et professionnelle. Et ce qui aggrave davantage la situation, c'est que le harcèlement sexuel au travail ne se limite pas à des comportements sexuels déplacés, il est fréquemment suivi de représailles lorsque la victime refuse de céder aux avances du harceleur ou décide de dénoncer les faits. Ces représailles, qui sont souvent difficilement identifiables, et qui peuvent prendre diverses formes, elles traduisent une volonté punitive du harceleur à l'égard de la victime ayant osé dire « non ». Dans ce cas, la victime se retrouve piégée dans une double violence : celle du harcèlement initial et celle des représailles. La peur de ces dernières pousse souvent la victime au silence, en préférant endurer plutôt que de risquer son poste ou sa réputation. Face à cette réalité préoccupante, il devient essentiel de s'interroger sur l'efficacité des mécanismes juridiques existants. D'où l'importance de poser la question suivante : Dans quelle mesure le droit marocain protège-t-il les femmes salariées contre les représailles qui suivent un harcèlement sexuel ?

Pour répondre à cette question, il convient, tout d'abord, de s'intéresser aux types de représailles susceptibles d'être déclenchées lorsqu'une femme salariée rejette ou refuse de se soumettre aux comportements sexuels du harceleur **(I)**, puis d'examiner la manière dont le droit marocain encadre la protection contre ces représailles **(II)**.

I. Le refus de se soumettre au harcèlement sexuel au travail : un déclencheur de représailles

Le harcèlement sexuel au travail s'inscrit fréquemment dans une relation hiérarchique caractérisée par un déséquilibre de pouvoir, où le harceleur occupe une position supérieure à celle de la victime. Il peut s'agir d'un supérieur direct, d'un manager, d'un responsable de service ou de toute personne ayant une influence sur l'évolution professionnelle et la carrière de cette dernière. Cette position hiérarchique lui offre la possibilité d'imposer ses comportements harcelants de manière insidieuse, en exploitant la

dépendance professionnelle et économique de la victime. Dans un tel contexte, le refus de céder à ces comportements ou la tentative de dénoncer les faits devient particulièrement risqué, car il expose la victime à des représailles motivées par un esprit de vengeance.

Ces représailles peuvent se manifester sous des formes variées, incluant des comportements susceptibles de constituer du harcèlement moral (Ministère du Travail, 2019, p.31), tels que la dégradation des conditions de travail, l'affectation à un poste moins valorisant, l'isolement professionnel, la rétrogradation, le refus de promotion ou la perte d'opportunités professionnelles, et, dans les situations les plus graves, elles peuvent conduire à un licenciement abusif. Elles instaurent un climat d'insécurité et de crainte, aggravant la souffrance psychologique déjà engendrée par les comportements harcelants initiaux. Ainsi, la relation hiérarchique, qui devrait servir à encadrer et organiser le travail, se trouve détournée de sa finalité pour devenir un instrument de pression et d'intimidation.

Toutefois, lorsque le harceleur ne dispose pas d'une autorité hiérarchique directe, comme c'est souvent le cas pour un collègue, un client ou un prestataire, les représailles prennent des formes différentes, sans que leur portée préjudiciable n'en soit pour autant diminuée. Elles peuvent se manifester par un refus de collaboration, l'exclusion délibérée des échanges professionnels, la propagation de rumeurs et de propos diffamatoires, les injures, des provocations répétées, des menaces explicites ou voilées, des comportements discriminatoires affectant les conditions de travail (Ministère du Travail, 2019, p.31), ou encore par des tentatives de discrédit auprès de la hiérarchie. Ces agissements exercent une pression sociale et psychologique intense, créant un climat de tension permanente qui aggrave la souffrance initiale causée par le harcèlement et renforce l'isolement de la victime.

Qu'elles proviennent de responsables hiérarchiques ou de personnes extérieures à toute relation d'autorité, ces représailles participent au maintien

d'un environnement de travail toxique où la parole des victimes est étouffée et leur capacité de défense fortement compromise. Elles illustrent que le harcèlement sexuel ne se résume pas à un ensemble d'actes harcelants, mais s'accompagne souvent d'actes de représailles qui prolongent, amplifient et ancrent la souffrance, rendant plus difficile toute démarche de dénonciation ou de réparation.

Par conséquent, il est impératif non seulement de sanctionner sévèrement les auteurs de harcèlement sexuel, mais aussi de prévenir et combattre toute forme de représailles. Dans cette perspective, la protection juridique doit s'accompagner d'une vigilance accrue à l'égard des rapports de pouvoir au sein des organisations, afin d'identifier et de prévenir les situations où ces rapports sont utilisés comme instruments de pression et d'intimidation. Cette approche globale est indispensable pour garantir un environnement de travail sûr, permettant d'exercer les droits d'alerte et de défense sans crainte de sanctions déguisées.

II. La protection juridique des salariées victimes de harcèlement sexuel contre le risque de représailles

Le droit marocain reconnaît la notion de harcèlement sexuel et prévoit des dispositions juridiques destinées à protéger les femmes salariées contre les comportements à caractère sexuel ou à des fins sexuelles. Ces dispositions constituent un progrès notable dans la protection des salariées, tout en intégrant, de manière implicite, des mesures destinées à les protéger contre d'éventuelles représailles lorsqu'elles refusent de subir ces comportements ou choisissent de les dénoncer.

Dans ce cadre, les femmes salariées sont protégées par le Code du travail marocain, à travers ses articles 35 et 36, contre toute sanction disciplinaire ou licenciement dépourvus de motif valable, en interdisant notamment que le dépôt d'une plainte ou la participation à une action judiciaire serve de fondement à une mesure disciplinaire ou à une rupture du contrat, y compris

lorsqu'ils concernent un cas de harcèlement sexuel. Le licenciement prononcé dans une telle situation est qualifié d'abusif et confère, conformément à l'article 41 du même Code, à la salariée lésée le droit de solliciter sa réintégration ou de demander des dommages-intérêts pour rupture abusive du contrat de travail. Cette protection est renforcée par l'article 40, qui assimile également à un licenciement abusif le fait de quitter le travail en raison de harcèlement sexuel, permettant ainsi à la salariée harcelée de se soustraire à ce harcèlement tout en se prémunissant contre d'éventuelles représailles. Ce droit de retrait s'étend également aux situations où la salariée est confrontée à des insultes graves, à des actes de violence ou à toute forme d'agression de la part de l'employeur, lesquelles peuvent, dans certains cas, constituer des formes de représailles postérieures au harcèlement sexuel. Cependant, son exercice reste incertain en pratique en l'absence de critères précis définissant les conditions de sa mise en œuvre. De même, les dispositions de cet article se limitent aux hypothèses où l'auteur des faits est l'employeur, ce qui soulève une difficulté lorsque l'auteur est un autre salarié ou un tiers. Dans ce cas, si l'employeur s'abstient d'agir ou adopte une attitude passive, la salariée qui quitte son travail se retrouve dans l'incertitude quant à la reconnaissance de son départ comme un licenciement abusif. Par ailleurs, l'article 39 apporte un complément utile en ce qu'il qualifie certains comportements, commis par les salariés et susceptibles d'être utilisés comme moyens de pression ou de représailles, comme des fautes graves pouvant entraîner un licenciement, telles que l'insulte grave, l'agression corporelle ou toute autre forme de violence. De plus, l'article 24 impose à l'employeur une obligation de résultat consistant à prendre toutes les mesures nécessaires pour protéger les salariés contre toute atteinte à leur santé, à leur sécurité et à leur dignité dans l'accomplissement des tâches qui leur sont confiées, ainsi qu'à veiller au respect des règles de bonne conduite et de moralité au sein de l'entreprise. Ces atteintes constituent en réalité les conséquences directes des représailles pouvant survenir après un harcèlement sexuel, quelle qu'en soit la forme. À ce titre, l'inaction de l'employeur face à des actes de harcèlement ou à des

représailles peut engager sa responsabilité civile.

En complément du droit du travail, le droit pénal marocain offre un cadre répressif destiné à prévenir et sanctionner certaines formes de représailles postérieures au harcèlement sexuel. Ces dernières peuvent être sanctionnées lorsqu'elles se traduisent par des infractions autonomes, telles que la diffamation, la discrimination, l'injure ou encore les menaces. En outre, les articles 88-1 et 88-3 du Code pénal interdisent formellement à la personne poursuivie ou condamnée pour harcèlement sexuel de contacter la victime, de s'approcher du lieu où elle se trouve ou de communiquer avec elle par quelque moyen que ce soit. Toute violation de ces mesures est punie, selon l'article 323-1 du même Code, d'un emprisonnement de six mois à deux ans et d'une amende de 2 000 à 20 000 dirhams, ou de l'une de ces deux peines. Ces dispositions constituent des mesures de protection pénale des victimes de harcèlement sexuel contre le risque de représailles.

Cependant, une révision approfondie est nécessaire pour renforcer les outils juridiques existants et garantir une protection réelle et efficace des femmes salariées contre le harcèlement sexuel et toute forme de représailles qui peuvent en découler.

III. Liste Bibliographique

1. Dahir n°1-03-194 du 14 rejeb 1424 (11 septembre 2003) portant promulgation de la loi n°65.99 relative au Code du travail, Bulletin Officiel n°5210 du 06 mai 2004.
2. Dahir n°1-59-413 du 28 joumada II 1382 (26 novembre 1962) portant approbation du texte du Code pénal, Bulletin Officiel n°2640 du 12 moharrem 1383 (5 juin 1963).
3. Hornecker. I, Tognazzi. M (2021), *Harcèlement moral et sexuel au travail*, AFNOR EDITIONS.
4. La mission interministérielle sur les violences sexistes et sexuelles sous relation d'autorité ou de pouvoir (2024), *Rapport sur les violences sexistes et sexuelles sous relation d'autorité ou de pouvoir*, Tome 1.

Disponible sur : https://www.egalite-femmes-hommes.gouv.fr/sites/efh/files/2024-11/20241118-Rapport-VSS.pdf. Consulté le 28/05/2025.

5. Ministère du Travail (2019). *Harcèlement sexuel et agissements sexistes au travail : prévenir, agir, sanctionner*. Disponible sur : https://travail-emploi.gouv.fr/sites/travail-emploi/files/2024-02/Guide_contre_harcelement_sexuel.pdf. Consulté le 28/05/2025.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

Reading into the effects of the Russian-Ukrainian war on the rift within NATO

MOUHSINE ZERDANE
Faculty of Law, Economics, and Social Sciences
Cadi Ayyad University, Marrakech
m.zerdane.ced@uca.ac.ma
ORCID https://orcid.org/0009-0009-7638-8818

Abstract: ---
The prolonged Russia-Ukraine war has fractured NATO members, with some advocating for increased support for Kyiv and its NATO membership, while others oppose further sanctions on Moscow to prevent direct conflict. Donald Trump's questioning of NATO's purpose and effectiveness has further eroded cohesion, leading the alliance to consider reducing its reliance on U.S. financial and military support and rethink its future strategy.
Keywords :Reading, Effects, Russian-Ukrainian War, NATO.

قراءة في تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية على تصدع حلف الناتو

محسن زردان باحث دكتوراه
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية التابعة لجامعة القاضي عياض، مراكش.
m.zerdane.ced@uca.ac.ma
(السيرة العلمية) ORCID https://orcid.org/0009-0009-7638-8818

ملخص:
خلقت الحرب الروسية الأوكرانية انقسامات في صفوف أعضاء حلف الشمال الطلسي في ظل طول أمد الحرب وفشل المساعي الدبلوماسية لإنهائها، هناك من يصر على زيادة الدعم المالي والعسكري والسياسي لكييف في مواجهة موسكو، وكذا قبول انضمامها كعضو داخل الحلف، فيما آخرون يعارضون فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على موسكو لتفادي استفزازها والدخول في صراع مباشر معها.
ساهم صعود دونالد ترامب لرئاسة البيت الأبيض في زعزعة تماسك أعضاء حلف الناتو، من خلال التشكيك في أهدافه وفعاليته في ظل اعتماده الكبير على الدعم المالي والعسكري الأمريكي، مما جعل الحلف يفقد الثقة في واشنطن ويفكر في إعادة النظر في استراتيجيته المستقبلية للتخفيف من تبعيته للولايات المتحدة الأمريكية.
الكلمات المفتاحية: قراءة، تأثيرات، الحرب الروسية الأوكرانية، حلف الناتو.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

مقدمة:

عادت أوروبا من جديد لتدخل في صراع مشتعل، يعيد للأذهان فترة الحرب الباردة، لكن هذه المرة بفاعلين جدد، مُحَملين بثقل الماضي، روسيا استيقظت بقيادة فلاديمير بوتين من ركام التبعية والخنوع إلى رسم مشهد للمواجهة الشرسة ومقارعة المطامح التوسعية للدول الغربية التي اجتاح مداها عموم أوروبا ليقترب إلى مشارف حدود موسكو.

غَزت روسيا أوكرانيا في فبراير 2022، ولَاح مَشهد الصِّدام بين حِلف الناتو العسكري وموسكو، لتخفق قلوب شعوب العالم من مغبة المضي على خطى حرب عالمية ثالثة، لاسيما أن عُمق أوروبا كان مَهدا لانطلاق شرارة الحربين العالميتين الأولى والثانية.

حلف الناتو يدرس إمكانية عضوية أوكرانيا للحلف، حتى يتسنى له دعمه بوجه مكشوف طبقا للمادة الخامسة من ميثاقه حول الدفاع المشترك، في المقابل روسيا تعتبر أوكرانيا امتدادا لنفوذها وخط أحمر لا يمكن القفز عليه، حتى وإن اقتضى الأمر تحريك ترسانتها النووية في مواجهة خصومها.

كشفت هذه الأزمة الدولية، انقسامات في الرؤى بين أعضاء حلف الناتو اتجاه سبل التعاطي مع الحرب الروسية الأوكرانية، من خلال طبيعة الدعم المالي والعسكري لكييف، فالولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا والمجر وسلوفاكيا تبدي تحفظات عن تقديم أسلحة متطورة، وتشديد العقوبات الاقتصادية في مواجهة موسكو تفاديا لاستفزازها والدخول معها في مواجهة مباشرة .

في السياق ذاته، طَفت خلافات بخصوص عضوية أوكرانيا في حلف الناتو، بين معسكرين متباينين، المعسكر الأول يضم دول أوروبا الشرقية الأعضاء التي تؤيد الانضمام السريع لكييف لعضوية الحلف، بينما المعسكر الثاني يضم الدول الرئيسية كالولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وفرنسا، حيث يميلون لسيناريو تأخير انضمامها للحلف بالنظر لعدم توافر الظروف الملائمة في ظل أجواء الحرب المشحونة مع روسيا.

غير أن شدة الخلاف الذي زعزع تماسك الحلف، هو الانتقادات التي وجهتها الإدارة الأمريكية بقيادة دونالد ترامب للحلف، وصلت للتهديد بإعادة النظر في حجم المساعدات المالية والعسكرية واللوجستيكية الموجهة له، بل الانسحاب من عضويته، وهو ما أضر بمنسوب الثقة بين الطرفين، وفتح مجال التساؤلات عن مستقبل حلف الناتو.

مع تولي دونالد ترامب لمقاليد البيت الأبيض، أقدم بشكل انفرادي على الدخول في مفاوضات مباشرة مع بوتين لإنهاء الحرب وإحلال السلام، ومن دون إشراك شركائه الأوروبيين في المفاوضات، وهو ما يعتبره أعضاء الحلف اهانة واستخفافا بأدوارهم ومكانتهم، وضربة موجعة وإخلالا لمبدأي التشاور و التنسيق الجماعي.

هذا التصدع الذي ضرب بُنيان حلف الناتو، هناك من أعتبره بداية انهياره في ظل التهديد بانسحاب عموده الفقري الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك من يَراه فُرصة مُواتية لأعضاء الحلف من أجل إعادة بناءه على أسس مَتينة بَعيدا عن التبعية لواشنطن، وسَيزيد الحِلف إلا تَماسكا وتَضامنا وِفق استراتيجية جديدة قائمة على زيادة الإنفاق الدفاعي الأوروبي و تطوير صناعته وبنيته العسكرية .

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في تسليط الضوء بالدرس والتحليل على الخلافات التي برزت بين أعضاء حلف الناتو في مواجهتهم لتداعيات الحرب الروسية الأوكرانية، وتحديد الأسباب الظاهرة والمضمرة وراء هذا التصدع في سياق التحولات الجيوسياسية التي واكبت توسع الحلف ووصول دونالد ترامب للبيت الأبيض.

أهداف الدراسة:

من بين الأهداف التي تسعى هذه الورقة البحثية الرامية لمناقشة بروز تصدعات في تماسك حلف الناتو في تعاطيه للغزو الروسي لأوكرانيا ما يلي:

- فهم وتحليل طبيعة التصدعات داخل حلف الناتو؛
- تقييم تأثير التصدعات على وحدة وفعالية الناتو خصوصا على مستوى اتخاذ قرارات موحدة، وتنفيذ استراتيجيات متماسكة، والحفاظ على تماسك التحالف في مواجهة التحديات الأمنية؛
- تحديد العوامل الكامنة وراء التصدعات والتي قد تشمل المصالح الوطنية المختلفة، الاعتماد الطاقي على روسيا ، الاختلافات التاريخية والجغرافية، أو التوجهات السياسية الداخلية للدول الأعضاء؛
- استشراف مستقبل حلف الناتو: هل ستؤدي هذه التصدعات إلى إضعاف دائم للتحالف؟ هل ستكون هناك إعادة تموضع أو إعادة تعريف لدور الناتو؟

اشكالية الدراسة:

لم تقتصر تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الأمن الإقليمي، بل أظهرت تصدعات متزايدة في حلف الناتو نتيجة تفاوت المصالح وتباين رؤى أعضائه للتهديد. هذا الواقع يثير شكوكًا جدية حول تماسك الحلف واستعداده لمواجهة التحديات الأمنية القادمة.

ومن ثمة، فالسؤال الإشكالي المحوري لهذه الدراسة البحثية هو كالتالي :

كيف أثرت الحرب الروسية الأوكرانية على وحدة وفعالية حلف الناتو في مواجهة التحديات الأمنية الحالية والمستقبلية؟

يتفرع عن هذا السؤال الإشكالي الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية التي سيتم تناولها على النحو التالي:

- ما هي أبرز أشكال التباين والخلافات التي ظهرت بين الدول الأعضاء في الناتو إزاء الحرب الروسية الأوكرانية؟
- ما هي العوامل الرئيسية (الاقتصادية، السياسية، الجغرافية) التي ساهمت في تعميق هذه التصدعات داخل الحلف؟
- كيف أثرت هذه التصدعات على قدرة الناتو في صياغة وتنفيذ استراتيجية موحدة وفعالة تجاه روسيا؟
- ما هي السيناريوهات المحتملة لمستقبل الناتو في ظل استمرار هذه التصدعات وتحديات البيئة الأمنية المتغيرة؟

فرضيات الدراسة:

تسعى هذه الورقة البحثية من التحقق من الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: إنَّ تباين المصالح الاقتصادية والأمنية بين الدول الأعضاء في حلف الناتو، والمتمثل في الاعتماد المختلف على الطاقة الروسية والأولويات الأمنية المتضاربة، بالإضافة إلى صعود التيارات الشعبوية وتراجع الدور القيادي الأمريكي، يغذي الانقسامات السياسية والعسكرية، مما يُهدد تماسك الحلف ويَحد من قدرته على اتخاذ قرارات جماعية فعالة في مواجهة التحديات الراهنة .

الفرضية الثانية: لقد أدى فشل المساعي الدبلوماسية الدولية في إيجاد حل للحرب الروسية الأوكرانية إلى تفاقم التباينات الداخلية بين الدول الأعضاء في حلف الناتو، مما ساهم بشكل مباشر في بروز وتعمق تصدعاته السياسية والعسكرية.

الفرضية الثالثة: إن الحرب الروسية الأوكرانية ستدفع حلف الناتو نحو تحولات استراتيجية عميقة تعيد تعريف أولوياته الدفاعية وتوزيع قواته، مما سيؤثر على آفاقه المستقبلية كقوة أمنية محورية في أوروبا والعالم.

مفاهيم الدراسة:

قراءة: هو مصطلح يراد به في سياق هذه الدراسة البحثية، إعطاء وجهة نظر وتقديم جملة من أفكار اعتمادا على رصيد معرفي متراكم يهم مبادئ علوم القانون الدولي، السياسة والعلاقات الدولية، الاقتصاد، الجغرافيا وعلوم النفس والاجتماع (...)، بغية تحليل العلاقات السببية والربط بين الأحداث وتفاعلاتها المختلفة، التي تهم في هذا الإطار الخلافات والتباينات في الرؤى والتصورات زهاء تدبير حلف الناتو للغزو الروسي للأراضي الأوكرانية.

تأثيرات: يُقصد بها في إطار هذه الورقة البحثية مجموع العواقب والتداعيات والانعكاسات والنتائج التي تؤول إليها أحداث الحرب الروسية الأوكرانية الدائرة رحاها في قلب أوروبا، ومساهمتها في عدة تغييرات وتحولات على مختلف الأصعدة، وهو ما يمكن تلمس آثارها العسكرية، الأمنية ، الاقتصادية، والسياسية، الإنسانية والبيئية.

الحرب الروسية الأوكرانية: اندلعت بعد إقدام روسيا في 24 فبراير 2022 بغزو الأراضي الأوكرانية، ردا على محاولتها الانضمام لحلف الناتو، بعد الإطاحة برئيس الحكومة الموالي لموسكو فيكتور يانكوفيتش ابان ثورة الميدان عام 2014، التي أعقبتها ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ودعم الانفصاليين شرق أوكرانيا. أدت هذه الحرب إلى انخراط حلف الناتو بشكل غير مباشر في دعم كييف والإصرار على منع موسكو من تحقيق الانتصار، من خلال تقديم المال والسلاح لحليفتها مما ينذر باتساع رقعة المواجهة العسكرية ونشوب حرب عالمية شاملة .

حلف الناتو: منظمة حلف الشمال الأطلسي يطلق عليها اختصارا بالناتو (North Atlantic Treaty Organization)، هو "**حلف سياسي وعسكري خرج للوجود بعد معاهدة واشنطن في الرابع من أبريل عام 1949، على يد 12 دولة تنتمي لأوروبا وأمريكا الشمالية**" (حلف شمال الأطلسي (الناتو).. تحالف عسكري لاحتواء "الخطر الشيوعي"، الموسوعة، تقرير نشر بتاريخ 2024/07/15 على الموقع الإخباري الرسمي لقناة الجزيرة متاح على الرابط الالكتروني https://www.aljazeera.net/encyclopedia/تاريخ التصفح 202/06/24).

، وسرعان ما توسع ليصل لعتبة 32 عضو بعد انضمام السويد عام 2024.

مواجهة المد الشيوعي السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية، كانت من أبرز العوامل التي ساهمت في تأسيس الحلف، وهو السيناريو الذي أعيد إحياءه من جديد في سياق عودة روسيا بقوة للساحة الدولية، بشكل أحدث تصادما مع طموحات حلف الناتو التوسعية في عموم أوروبا.

منهجية الدراسة :

ستتم الاستعانة في هذه الدراسة البحثية بالمنهج التاريخي الذي يرصد المسار التاريخي لنشأة حلف الناتو وطموحاته التوسعية وتأثيرها على مواقف وسلوكات روسيا، وكذا المنهج التحليلي الوصفي لتفاعلات الحرب المستعرة بين الأطراف وتداعياتها على زعزعة تماسك أعضاء حلف الشمال الأطلسي خصوصا في عهد الإدارة الأمريكية الجديدة.

محاور الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة على ثلاثة محاور أساسية ، المحور الأول يناقش شبح الانقسامات والتباينات في الرؤى بين أعضاء حلف الناتو، بينما المحور الثاني يلامس فشل المساعي الدبلوماسية وتداعيتها العسكرية على ساحة الحرب، فيما المحور الثالث يعرض التحولات الاستراتيجية نتيجة هذا الصراع، مع رسم معالم التحديات المستقبلية للحلف.

أولا: حلف الناتو وشبح الانقسامات السياسية.

1.تباين الرؤى في الدعم العسكري لأوكرانيا.

يُدرك حلف الشمال الأطلسي (الناتو) أنه من بين الأسباب الرئيسية التي دفعت روسيا إلى تحريك جيشها في اتجاه الأراضي الأوكرانية لغزوها في 22 فبراير 2022، تعود بالأساس لتراكم سلوكه التوسعي صوب دول أوروبا الشرقية التي كانت منضوية تحت عباءة الاتحاد السوفياتي المنهار عام 1991.

هذا التفكك لصرح الإمبراطورية السوفياتية التي لطالما تقاسمت الماء والهواء مع الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ودخلت في صراع طويل معه من أجل النفوذ و الريادة، استغله الناتو لاستمالة جمهوريات الاتحاد السوفياتي المنهار لصفها بالتدريج، بدأ عام 1999 بانضمام دول التشيك، المجر وبولندا، وتلاه عام 2004 بدخول دول بلغاريا، استونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا وسلوفينيا في فلك الحلف، مرورا عبر انضمام دولتي ألبانيا وكرواتيا عام 2009، وكذلك قبول دخول الجبل الأسود ومقدونيا الشمالية في

الفترة ما بين 2017 و 2020، وصولا إلى التحاق فلندا والسويد عامي 2023 و 2024 بعضوية الحلف التي وصلت إلى 32 عضو إلى حدود الساعة.

حلف الناتو وجد نفسه مُحرجا في ظل إجهاز روسيا على أوكرانيا عسكريا، في وقت ساند و دَعم فيه المعارضة الأوكرانية التي انقلبت على حكم الرئيس يانكوفيتش المقرب من روسيا في أواخر عام 2013، بسبب رفضه اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، مما جعل الحلف مضطرا لمواصلة دعمه لكييف، لكن هذه المرة بالمال والسلاح في مواجهة موسكو.

منذ بداية الحرب الروسية الأوكرانية قدم حلف الناتو "**مساعدات عسكرية ضخمة قاربت قيمتها 50 مليار دولار إلى غاية 2025**"، شملت صواريخ المضادة للدبابات، أنظمة للدفاع الجوي، طائرات مسيرة، قذائف مدفعية وعربات مدرعة (...). (الناتو يتعهد بتقديم 20 مليار يورو مساعدات عسكرية لأوكرانيا عام 2025، نشر بموقع جريدة الشرق الأوسط على الرابط الالكتروني بتاريخ 2025/04/02 https://aawsat.comتاريخ التصفح 2025/06/17).

هذه المساعدات المالية والعسكرية للحلف اختلفت قيمتها من دولة لأخرى، بحسب حجم ومكانة كل عضو من أعضاءها وثقله الاقتصادي ووزنه الدولي، "**فالولايات المتحدة الأمريكية تقدم حصة الأسد بإجمالي نسبته 64 % من إجمالي الانفاق الدفاعي للحلف، فيما باقي أعضاء الحلف لا يتعدى دعمهم نسبة 2 % من ناتجهم المحلي الإجمالي**".(إجمالى الإنفاق العسكرى للناتو العام الماضى بلغ 1.3 تريليون دولار، نشر بموقع اليوم السابع الالكتربي بتاريخ 2025/04/25 على الرابط التالي https://www.youm7.com/story6965729تاريخ التصفح 2025/06/17).

لقد طفت رؤى متباينة بشان طبيعة وحجم الدعم العسكري المقدم لأوكرانيا، فالولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا تحفظتا بداية على تزويد كييف بأسلحة جد متطورة من قبيل الصواريخ البعيدة المدى التي يُمكنها ضرب عمق الأراضي الروسية، وكذا الطائرات المقاتلة المسيرة أو جد المتقدمة التي تؤدي إلى الإضرار الفادح بالأهداف الروسية مما يدفعها إلى مهاجمة دول الحلف مباشرة، الشيء الذي يشعل حرب عالمية شاملة مدمرة.

في المقابل، تدفع بولاندا ودول البلطيق في اتجاه تبني موقف متشدد من روسيا عبر تقديم دعم عسكري غير محدود لمواجهة الخطر الروسي، الذي عانت منه دولهم ابان الهيمنة الروسية التي ضمتهم قسرا لنفوذها، وهي المخاوف التي قد تتجدد في حالة انتصار روسيا في هذه الحرب .

2.**مظاهر الخلاف حول عضوية أوكرانيا للناتو**.

أوكرانيا بالنسبة لروسيا ليست دولة حدودية مجاورة بل هي امتداد تاريخي وعرقي يمتد لمئات السنين، تعوذ جذوره للقرون الوسطى عندما "**اجتمعت قبائل "كييف روس" لتشكل لحمة واحدة ساهم الغزو المغولي في تقسيم بنيانها، فتحرك جزء من شعبها شمالا ليؤسس الدولة الروسية، بينما بقي الجزء الآخر ليشكل قوازم أوكرانيا، ليجتمعوا في كيان موحد ابان القرن الثامن عشر تحت راية روسيا القيصرية**" . (Clare Fitzgerald and Guest Author,The Contentious History of Russia-Ukraine Relations, Feb 26, 2022, https://www.warhistoryonline.com/war-articles/russia-ukraine-relations.html)

على هذا الأساس أوكرانيا هي مجال حيوي لا غنى عنه لروسيا، بمساحتها الشاسعة المقدرة بحوالي 603,550 كيلومتر مربع، مما يجعلها تتربع على عرش الدول الأكبر مساحة أوروبيا، بمؤهلات طبيعية تجعلها تربة خصبة للزراعة، وباطن أرضي غني بالمعادن النادرة، وخبرات صناعية مهمة ورثتها عن عهد الاتحاد السوفياتي.

عضوية كييف لحلف الناتو، معناه خسارة عسكرية استراتيجية لموسكو، التي تحاول استعادة بريقها وحضورها الدولي بشكل يُعيد مكانتها المحورية كما كان الأمر في عهد الاتحاد السوفياتي، وخيانة لا تغتفر من جانب التحالف الغربي، الذي تَعَهَّد في تسعينيات القرن الماضي بعد سقوط جدار برلين وتفكك المحور الشيوعي بعدم التوسع شرقا.

موسكو لا تقبل أن يصل حلف الناتو على مشارف حدودها، بما يُهدد أراضيها ويَجعل صواريخ الحلف على مقربة منها، مما يَفتح المجال لِغَزوها وإسقاط نظام فلاديمير بوتين الذي تَتَّهمه الدول الغربية بالديكتاتوري المستبد .

حاولت أوكرانيا الانضمام لعضوية الناتو كرد فعل على غزو روسيا لأراضيها بعد الاستحواذ على شبه جزيرة القرم منذ عام 2014، وهو ما تؤيده أغلب دول حلف الشمال الأطلسي التي ترى فيها خطوة لمواجهة الخطر الروسي، فيما تتردد الولايات المتحدة الأمريكية في دعم هذه الخطوة خصوصا في عهد دونالد ترامب الذي يعتبرها سياسة تساهم في تعقيد سبل التوصل لحلول مع موسكو، مما يزيد في إطالة أمد الحرب المكلفة لخزينتها.

في السياق ذاته، تُعارض بعض الدول الأوروبية قُبول حلف الناتو لعضوية أوكرانيا، وهي التي تَشهد صُعود اليمين المتطرف لقيادة حكوماتها من أبرزها المجر وسلوفاكيا ، وهو ما يؤشر على نجاح روسيا في اختراق دول الاتحاد الأوروبي وتشكيل تيار مؤيد لسياساتها، مما يقلق أوروبا الغربية التي تكافح لصد التيار اليميني المتنامي في صفوفها، الذي بدأ يغزو تدريجيا جبهتها الداخلية إلى درجة تمكنه من ربح مقاعد مهمة في دواليب البرلمان الأوروبي في ظل تزايد شعبيته في فرنسا، ألمانيا، ايطاليا، النمسا، المجر، هولاندا والتشيك.

في ظل الظروف الحالية، التي تشير إلى شبه تفوق روسي على ساحة الحرب ونجاحها في ضم نسبة مهمة من الأراضي الأوكرانية، سيجعل من إمكانية انضمام أوكرانيا لعضوية الحلف مستبعدة على المدى القصير، خصوصا في ظل فتح باب المفاوضات بين أطراف الصراع لتسوية سلمية لهذه الأزمة المشتعلة في اوروبا .

ثانيا: فشل الدبلوماسية وتداعياتها العسكرية والأمنية.

1. **تعثر الجهود الدبلوماسية لوقف الحرب.**

بادرت مُكونات المجتمع الدولي للتدخل عبر مساعي الوساطة الدبلوماسية للدفع بأطراف النزاع من أجل التفاوض لتفادي نشوب الحرب أو إيقافها، سواء قبل أو أثناء قيام الحرب، حيث عُقدت **"اتفاقيتي مينسك الأولى (2014) والثانية (2015) بالعاصمة البيلاروسية، واتفاقات صيغة نورماندي تحت إشراف منظمة التعاون الأوروبي و ورعاية فرنسا وألمانيا من أجل الاتفاق على وقف إطلاق النار، وسحب الأسلحة الثقيلة والقيام بإصلاحات دستورية لمنح وضع خاص للمناطق الانفصالية، وهي المساعي التي باءت بالفشل نتيجة استئناف الاقتتال المسلح بين الطرفين"**. (بسمة أنور، قبل وأثناء الحرب.. إستعصاء الوسائل الدبلوماسية لحل الأزمة الأوكرانية، مركز شاف لتحليل الأزمات والدراسات المستقبلية، متاح على الرابط الالكتروني ./ https://shafcenter.org)

بعد الغزو الروسي لأوكرانيا عُقدت جولات لمفاوضات جديدة بين الطرفين بأنطاليا التركية في مارس 2022، أعقبتها المبادرة الصينية للسلام، لكنها لم تثمر بدورها عن التوصل لاتفاق بسبب تشبث كل طرف بمواقفه، فموسكو تطلب ضمانات غربية بعدم توسع حلف الناتو شرقا، وتحييد أوكرانيا ونزع سلاحها النووي، مع الاصرار على الاعتراف بسيادتها على شبه جزيرة القرم، وكذا المناطق التي استولت عليها، فيما أوكرانيا تطالب بانسحاب موسكو من الأراضي التي ضمتها أثناء الغزو.

فشل المساعي الدبلوماسية لوقف الحرب لم يرق لجناح أوروبي كان يراهن على السلام بزعامة ألمانيا التي كانت تعتمد بشكل كبير على الموارد الطاقية الروسية حيث كانت تعول بشكل كبير على نجاح مشروعي نوردستريم 1 و 2 الضخمين لنقل الغاز لتلبية احتياجاتها الطاقية، بينما الجناح الآخر بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا الشرقية التي تساند تيار التحرر من ربقة الوصاية الروسية، فقد واصلت دعمها لأوكرانيا بالمال والسلاح في مواجهة الغزو الروسي .

في هذا السياق بَرزت عدة خلافات بين أعضاء حلف الناتو حول منهج التفاوض لرسم معالم مستقبل هذا الملف، فهناك من يرى على ضرورة الضغط على أوكرانيا لتقديم تنازلات من أجل الدفع قُدُما لتسوية سلمية للصراع، في ظل مخاطر استفزاز روسيا التي تلوح باللجوء للخيار النووي، فيما أعضاء آخرون يرون في مواصلة الدعم لكييف إلى أبع مدى، كخيار أنسب لمواجهة السياسة العدائية الروسية .

حدة الخلافات تفاقمت مع سلوك الدبلوماسية الأمريكية بقيادة ترامب التي اختارت التفاوض مع روسيا بمفردها من دون استشارة أعضاء حلف الناتو من أجل إنهاء الحرب الروسية الأوكرانية، وهو ما يوحي بحدة الخلافات وتباعد الرؤى بخصوص هذه الأزمة .

2. حلف الناتو ومأزق محدودية التمويل المالي والعسكري.

رجوعا إلى تاريخ العلاقات الدولية، هناك علاقة وطيدة بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا، ترسخت معالمها خصوصا أثناء مجريات الحرب العالمية الثانية، حيث لعبت واشنطن دورا حاسما في تقديم العون والدعم المالي والعسكري لدول الحلفاء للقضاء على ألمانيا النازية التي استطاعت اكتساح دول أروبا بداية عام 1938 من خلال غزوها لبولاندا.

الدور الأمريكي برز أيضا في تمويل إعادة بناء أوروبا بعد الدمار الهائل الذي خلفته تداعيات الحرب العالمية الثانية على بناها التحتية، عبر وضع مشروع مارشال الضخم الذي "**رُصد لَه غلاف مالي آنذاك يقدر بحوالي 13 مليار دولار لإعادة النهوض بعجلة الاقتصاد الأوروبي لحوالي 17 دولة أوروبية**" . (https://editorials.voa.gov/a/anniversary-of-the-marshall-plan/3897577.html ,June 12, 2017,70th Anniversary of the Marshall Plan)

في الشق السياسي والعسكري، لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دورا جوهريا في تأسيس حلف الشمال الأطلسي (الناتو) في الرابع من ابريل عام 1949 بالعاصمة واشنطن، لتعزيز الوحدة العسكرية الأوروبية في مواجهة المد الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي، الذي أظهر طموحات معادية لمصالح الدول الغربية.

هذا السياق التاريخي، جعل واشنطن تُهيمن على حلف الناتو لا من حيث الدعم المالي والعسكري واللوجستيكي، ولا من حيث النفوذ والتأثير في قراراته، "**وهو ما حدى بفرنسا بقيادة شارل دوغول بالاحتجاج على ذلك وإعلان انسحابه من عضوية الحلف عام 1966**".
. (,Dominique Vidal ,De Gaulle, Nato and France,april 2008, https://mondediplo.com/2008/04/10nato).

هذا الوضع تَكرس في سياق الحرب الروسية الأوكرانية، حيث وَجدت دول حلف الناتو نفسها رهينة للدعم المالي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية، وزاد في ارتباكها وصول دونالد ترامب للبيت الأبيض وتحفظاته على مسار الحرب وتداعياتها على خزينة بلاده، مما أجبرها على ضرورة إعادة النظر في خُطَطها المستقبلية عبر تطوير صناعتها العسكرية والزيادة في أعداد جُيوشها وتَقوية نُظمها الاستخباراتية، بدل التعويل على واشنطن.

لقد حاولت فرنسا وألمانيا القاطرتان الرئيسيتان لدول الاتحاد الأوروبي، تعويض الدور الأمريكي في حلف الناتو، عبر دعوة ايمانويل ماكرون إلى تبني استراتيجية أكثر استقلالا عن واشنطن مستقبلا، لتجاوز هذا الاختلال الذي حاولت الدول الأوروبية معالجته منذ مدة عبر مشروع التكتل والتكامل الاقتصادي الذي تجسد في مسلسل تأسيس الاتحاد الأوروبي، الذي قطع أشواط مهمة على طريق الوحدة السياسية

والاقتصادية، لكن لم تتم مواكبتها في شقها العسكري بتأسيس جيش موحد، يضمن التخلص من التبعية لواشنطن .

ثالثا: التحولات الاستراتيجية وآفاق مستقبل الحلف.

1. الغطاء الأمريكي وأزمة الثقة.

وصول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للبيت الأبيض لولايته الثانية مطلع عام 2025، عرى الوضع على تبعية حلف الناتو للولايات المتحدة الأمريكية التي تسهم بنسبة 67 % من إجمالي الإنفاق الدفاعي الذي تُخَصصه دول الناتو مُجتمعة، مِمَّا حَدى بالرئيس الأمريكي الحالي ذو الحس التجاري إلى امتعاضه من هذا الوضع غير العادل ، الذي يَجعل من بلاده ضحية وضع استغلالي فاضح في سبيل حماية دول الحلف.

"هذه الحماية الأمريكية تتجلى أيضا في تمركز حوالي 37 قاعدة أمريكية تضم حوالي 100 ألف جندي أمريكي منتشرة في أهم الدول الأوروبية من أبرزها ألمانيا، إيطاليا، اسبانيا، بلجيكا، تركيا وهولاندا التي تعمل على الدفاع عن المصالح الأمريكية بالمنطقة". (أعداد القواعد والجنود... ماذا نعرف عن القوات الأميركية المنتشرة في أوروبا؟ نشر بتاريخ 2025/02/14 على الموقع الالكتروني لجريدة الشرق الأوسط على الرابط https://aawsat.com تاريخ التصفح 2025/06/19) .

حِلف الناتو مازال يعتمد على الصناعة العسكرية الأمريكية المتطورة في إمداداته بالسلاح، ويُعول كثيرا على أنظمة مراقبتها واتصالاتها، وكذا استحواذها على قيادة العمليات العسكرية التي يقوم بها الحلف، فضلا عن المظلة النووية الأمريكية التي تضمن الحماية والردع لمنافسيها خصوصا روسيا .

هذا التراجع الأمريكي في سياسة الدعم المطلق لحلف الناتو، اقتضته تحولات جيوسياسية شهدتها الخريطة الدولية، تجلت في صعود الصين اللافت على الساحة الدولية، كقوة منافسة مرشحة لتجاوز واشنطن في الأمدين القريب والمتوسط، وكذا بروز قوى صاعدة من قبيل البرازيل، الهند، تركيا وجنوب أفريقيا في سعيها لفرض ذاتها مكان وحضورها الفاعل والمؤثر على الصعيد العالمي.

هي إذن سياسة انعزالية تبنتها الإدارة الأمريكية الجديدة التي انتابها شعور بتراجع هيمنتها، فسارعت لوضع الحواجز الجمركية، وتشجيع الاستثمار الأجنبي على ترابها، وكذا صد المهاجرين غير الشرعيين للحيلولة دون التسلل لأراضيها، لعلها تسترجع ريادتها الدولية.

الإدارة الأمريكية الجديدة أعلنت بأنها لن تُغامر بالدخول في حروب أخرى، وجبهات صراع جديدة في العديد من القضايا الدولية، التي لا تدخل في مجال اهتمامه ولا تستجيب لمصالحه، وباشرت بإجراءات الانسحاب من مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات الدولية، كاتفاقية المناخ، والاتفاق النووي الإيراني، وكذا الخروج من منظمة الصحة العالمية .

هذه السياسة الانكفائية لواشنطن المرددة لشعار "أمريكا أولا" تجاه حلفائها التقليديين، أحدثت شَرخا عميقا في تماسك خلف الناتو، وأثارت الشكوك في مدى مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية كحليف وشريك تاريخي واستراتيجي يعول عليه، في ظل تقارب دونالد ترامب مع الرئيس الروسي بوتين، وانتقاداته الحادة للرئيس الأوكراني فلاديمير زيلنسكي، والاستخفاف من حلفائه عبر التصريحات التي يدلي بها لوسائل الإعلام، أو يغرد بها على منصات وسائل التواصل الاجتماعي.

2.حلف الناتو وملامح نظام أمني جديد.

بَرزت تَحولات جيوسياسية جديدة أثرت على مسار حلف الناتو، بدأت بمطامح روسيا في استعادة مجد ضائع يعود لعهود الفترة السوفياتية التي خلت، عنوانه القوة والنفوذ دوليا، مرورا عبر مُخلفات جائحة كورونا على اقتصاديات دولها التي عرفت نسب نموها تراجعا ملحوظا أفقدها رخاء العيش ونفوذا عسكريا أرخى بظلاله لعقود على المستوى الدولي، وصولا إلى تخوفات من تحول النفوذ الاقتصادي الصيني إلى نفوذ عسكري وتكنولوجي في المستقبل القريب، بدأت بوادره بالتقدم الهائل الذي تحققه بكين في صناعة الفضاء.

الوحدة الأوروبية يُهددها خَطر داهم يَتَمثل في صُعود أحزاب اليمين المتطرف بقوة، التي لا تتوانى في التشكيك من جدوى مشروع الاندماج الاقتصادي والسياسي الأوروبي، الذي يضرب في العمق السيادة الوطنية للدول ، كما توجه خطابا عدائيا ضد المهاجرين واللاجئين، مطالبة بتقليص أعدادهم، و متهمة إياهم بسرقة وظائفهم وغزو واحتلال أوطانهم ديمغرافيا.

"ظاهرة الهجرة غير الشرعية من الأوراق التي تستغلها روسيا كورقة ضغط من خلال تسهيل عبور المهاجرين واللاجئين عبر الحدود التي تربطها مع دول أوروبا الغربية، مما يثير إحراجها أمام المنظمات الدولية لحقوق الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى يساهم في زعزعة أمنها الداخلي وإثارة المظاهرات المعارضة لاستقبال المهاجرين". (التحديات الرئيسة التي تمثلها الحرب الروسية في أوروبا، مقال

نشر بتاريخ 2024/11/28 على الموقع الالكتروني جريدة الوطن السعودية على الرابط التالي : https://www.alwatan.com.sa/article/1157085تاريخ التصفح 2025/06/20)

الحرب الروسية الأوكرانية تُشكل لحلف الناتو مَأزقا أمنيا حَقيقيا، فإن طال أَمَدها فَهي مُرشحة للاتساع والاصطدام المباشر مع موسكو بما يؤدي إلى انخراط أطراف خارجية مُؤيدة لروسيا في الأزمة من قبيل كوريا الشمالية والصين وإيران وهو ما قد قد يُشعل فَتيل حرب شاملة.

الإدارة الأمريكية الحالية تضغط على أوكرانيا وحلف الناتو من أجل تقديم تنازلات لروسيا من أجل إنهاء الحرب، وهو تَوجه يعارضه الأوروبيون ويعتبرونه إقرار بالهزيمة، ودعم لسياسات بوتين الاستبدادية التي ستعزز مخاوفهم من استهداف دول أوروبية أخرى مستقبلا.

إن جَوَّ الاحتقان الذي تَعيشه أوروبا في ظل الصراع بين روسيا وحلف الناتو، سَيزيد التوتر ويُشجع على الانفاق العسكري و السباق نحو التسلح، خصوصا من لدن دول أوروبا الغربية التي تُخطط لتكوين جيش مستقل، وبناء صناعة عسكرية قَوية في مَعزل عن التبعية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

هُجوم الجيش الإسرائيلي على إيران بُغية وأد طموحاتها النووية وإسقاط نظام الخميني أربك المشهد الدولي، وأعاد خلط أوراق التحالفات التي يمكن أن تتشكل في قادم الأيام، فالولايات المتحدة الأمريكية هبت لمساندة تل أبيب في حربها على طهران، وقصفت منشآتها النووية ودمرتها، وهو ما قد يجر حلف الناتو لمساندة هذه الخطوة بالنظر لكونه جزء من التحالف الغربي، وما يترتب عنه من انخراط روسيا في دعم طهران، مما سيزيد في تأزيم الأوضاع بمنطقة الشرق الأوسط، بشكل يؤدي إلى عواقب وخيمة على إمدادات الطاقة العالمية.

خاتمة:

دخلت الحرب الروسية الأوكرانية في سنتها الرابعة، ومازال أفق حلها تلفه الضبابية، في ظل انخراط حلف الناتو في دعم كييف، وتصاعد الخلافات بين أعضاءه بخصوص سبل التعاطي مع هذه الأزمة، وهي الخلافات التي تم التطرق لها بالدرس والتحليل من خلال هذه الورقة البحثية، والخروج بالخلاصات التالية:

أولا: برزت خلافات بين دول أعضاء حلف الناتو حول وثيرة تسريع انضمام دول أوروبا الشرقية للحلف، في ظل التهديدات الروسية بالتدخل العسكري في مواجهة هذا التمدد، وهو ما ساهم في ظهور انقسامات في صفوفه عبر تَشَكل مِحور يُبدي تَقَاربا مع موسكو يشمل كل من المجر، تركيا، اليونان والولايات المتحدة الأمريكية بقيادة دونالد ترامب؛

ثانيا: مازالت موسكو مُتشبثة بمعارضتها لانضمام كييف لحلف الناتو، ومازال هذا الأخير بدوره مُصمما على تقديم الدعم العسكري والمالي والسياسي لأوكراني في مواجهة الغزو الروسي، على الرغم من دخول أطراف النزاع في سلسلة من المفاوضات الدبلوماسية التي كان التعثر من نصيبها ؛

ثالثا: تُعتبر الأزمة الروسية الأوكرانية أعمق أزمة في تاريخ حلف الناتو في ظل المخاوف من انزلاق مسار الأحداث إلى مواجهة مباشرة مع دولة نووية كبرى صعبة المراس ولا تستسلم بسهولة ومستعدة لتوسيع الصراع إلى أبعد الحدود؛

رابعا: تمويل الحلف لدعم كييف فجر خلافات شديدة بين أعضاءه حول مدى الالتزام بتخصيص 2% من ناتجهم المحلي الإجمالي للإنفاق الدفاعي، بالأخص في ظل طول أمد الحرب التي دخلت عامها الرابع؛

خامسا: تتعرض الدول الأعضاء لحلف الناتو لضغوطات المجتمع المدني الأوروبي الذي يعيش في ضيق من الصعوبات الاقتصادية التي ضربت العالم منذ بداية جائحة كوفيد 19 ، ويوجه انتقاداته لتكاليف الحرب التي من الأولى بها أن توجه مواردها لتلبية حاجياتهم الملحة؛

سادسا: وَجَّهَت بعض الدول الأوروبية اتهامات لسياسة حِلف الناتو الحربية، التي أَجَّجَت صعود أحزاب اليمين المتشدد والزيادة في شعبيته، وإحداث انقسامات في صفوف المجتمعات الأوروبية؛

سابعا: أحدث تمويل ميزانية حلف الناتو خلافات حادة مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي طالبت بإعادة النظر في التعويل على واشنطن لتقديم الحماية السياسية و والغطاء المادي والعسكري إلى الأبد؛

ثامنا: وصول دونالد ترامب للبيت الأبيض عمق الانقسام في صفوف أعضاء حلف الناتو، بالنظر للانتقادات الحادة التي يوجهها للحلف، وتهديده المستمر بالانسحاب من التحالف الغربي؛

تاسعا: تجاهل دونالد ترامب لأعضاء حلف الناتو أثناء دخوله في مفاوضات مع بوتين من أجل التوصل لتسوية سلمية لإيقاف الحرب، ساهم في تعميق انعدام الثقة بين أعضاءه، مما فتح المجال للتفكير في وضع استراتيجية لتقوية الحلف بعيدا عن المظلة الأمريكية؛

عاشرا: في ظل الظروف الحالية المعقدة التي تحيط بالحرب الروسية الأوكرانية، يبدو أن أفق إيجاد حل نهائي بعيد المنال، وكل طرف يتشبث بمواقفه ويتفادى الظهور بمظهر المنهزم، مما يجعل حلف الناتو يعيش على صفيح ساخن، يزيد من تكريسه تصاعد الخلافات بين أعضاءه مع طول أمد الحرب.

- **قائمة المراجع:**

- ✓ حلف شمال الأطلسي (الناتو).. تحالفعسكري لاحتواء "الخطر الشيوعي"، الموسوعة، تقرير نشر بتاريخ 2024/07/15 على الموقع الإخباري الرسمي لقناة الجزيرة متاح على الرابط الالكتروني https://www.aljazeera.net/encyclopedia/تاريخ التصفح 2025/06/24؛
- ✓ الناتو يتعهد بتقديم 20 مليار يورو مساعدات عسكرية لأوكرانيا عام 2025، نشر بموقع جريدة الشرق الأوسط على الرابط الالكتروني بتاريخ 2025/04/02 https://aawsat.com تاريخ التصفح 2025/06/17؛
- ✓ إجمالى الإنفاق العسكرى للناتو العام الماضى بلغ 1.3 تريليون دولار، نشر بموقع اليوم السابع الالكتروني بتاريخ 2025/04/25 على الرابط التالي https://www.youm7.com/story6965729تاريخ التصفح 2025/06/17؛
- ✓ Clare Fitzgerald and Guest Author,The Contentious History of Russia-Ukraine Relations, Feb 26, 2022, https://www.warhistoryonline.com/war-articles/russia-ukraine-relations.html ;
- ✓ **بسمة أنور، قبل وأثناء الحرب.. إستعصاء الوسائل الدبلوماسية لحل الأزمة الأوكرانية، مركز شاف لتحليل الأزمات والدراسات المستقبلية، متاح على الرابط الالكتروني** https://shafcenter.org/؛
- ✓ https://editorials.voa.gov/a/anniversary-of-the-marshall-plan/3897577.html ,June 12, 2017,70th Anniversary of the Marshall Plan ;

✓ Dominique Vidal ,De Gaulle, Nato and France,april 2008, https://mondediplo.com/2008/04/10nato;

✓ أعداد القواعد والجنود... ماذا نعرف عن القوات الأميركية المنتشرة في أوروبا؟ نشر بتاريخ 2025/02/14 على الموقع الالكتروني لجريدة الشرق الأوسط على الرابط https://aawsat.com تاريخ التصفح 2025/06/19؛

✓ التحديات الرئيسة التي تمثلها الحرب الروسية في أوروبا، مقال نشر بتاريخ 2024/11/28 على الموقع الالكتروني جريدة الوطن السعودية على الرابط التالي : https://www.alwatan.com.sa/article/1157085تاريخ التصفح 2025/06/20؛

Political Participation of Moroccan Women : Reality and Challenges

Fatima Laroussi
Ibn Zohr University, Agadir - Morocco
fatimazahralaroussi88@gmail.com

Abstract:

This paper addresses the issue of the political representation of Moroccan women and the empowerment of their right to decision-making. Women's issues have increasingly raised deep concerns amid the crisis of democratic transition, noting that their rights are not merely a legal matter, but are intertwined with various dimensions rooted in collective consciousness, which constructs a stereotypical image of women's roles. This entrenched perception makes their individual existence subject to a dominant culture that is passed down through generations. Therefore, despite the significant efforts and reforms undertaken by official actors within the framework of the rule of law, women still suffer from discrimination and various forms of violence. Consequently, their reality continues to face numerous challenges that hinder genuine gender equality.

Keywords: women's empowerment in political decision-making – collective consciousness – gender-based discrimination – cultural challenges

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

المشاركة السياسية للمرأة المغربية :الواقع والتحديات

فاطمة لعروسي
كلية العلوم القانونية واالقتصادية واالجتماعية آيت ملول- جامعة بن زهر أكادير – المغرب
fatimazahralaroussi88@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الورقة موضوع التمثيلية السياسية للمرأة المغربية وتمكينها من المشاركة في صنع القرار، حيث باتت القضايا النسائية تطرح إشكالات عميقة في ظل أزمة الانتقال الديمقراطي. علماً أن حقوق المرأة لا ترتبط بما هو قانوني فحسب، بل تتداخل فيها أبعاد متعددة مصدرها الوعي الجمعي، الذي يعكس صورة نمطية عن أدوار المرأة، مما يجعل وجودها الشخصي محكوماً بالثقافة السائدة التي يتم توارثها عبر الأجيال. لذلك، ورغم المجهودات الجبارة والإصلاحات التي قام بها الفاعل الرسمي في ظل دولة الحق والقانون، ما زالت المرأة تعاني من التمييز ومختلف مظاهر العنف. وعليه، فإن واقعها يواجه عدة تحديات تعيق تحقيق المساواة الفعلية بين الجنسين.

– **الكلمات المفتاحية:** تمكين المرأة من صنع القرار السياسي – الوعي الجمعي – التمييز بين الجنسين التحديات الثقافية.

مقدمة :

باتت السلطة تمارس من قبل الرجال منذ فترة طويلة، والقرارات السياسية تتم دون انخراط النساء، مما يبين أن قضية التمييز الذي يطالهن أصبح تحديا حقيقيا، يلزم تمكينهن اقتصاديا وسياسيا، لذلك يمثل هذا الحقل من أولويات الإصلاحات التي تستدعي من الفاعل السياسي تنزيل مبدأ المساواة بين الجنسين، وعليه استطاعت قضايا المرأة معرفة الإنفراج، بعد ما كانت من الطابوهات في ظل مجتمع محافظ.

تجذر الإشارة إلى أن موضوع الحقوق الإنسانية تتداخل فيه اعتبارات تتعلق بجوهر النظام العام، فرغم ما شهده المجتمع من قوانين متقدمة لكن واقعيا لازالت النساء تعانين من ارتفاع نسبة العنف ضدهن.

لقد جاء الفصل 19 في الهندسة الدستورية إطارا مرجعيا للمساواة وحظر التمييز وأشكال العنف، ومن جهة أخرى فإن منطوقه يبين أن إقرار المساواة في إطار التمييز الإيجابي قد يهدم المساواة الفعلية وبالتالي يساهم في تعميق اللامساواة اتجاهها (أمين، 2020، ص 206).

وعليه سجل المغرب انخراطه في مسيرة تحقيق دولة الحق والقانون من خلال عدة مكتسبات تروم النهوض بأوضاعها وإحقاق المساواة بين الجنسين، وعليه حظيت اهتمام المشرع والمدبر الاجل تمكينها من كافة حقوقها، وذلك بإقرار تمثيليتها في مراكز صنع القرار، فكيف تم تحقيق تمثيلية سياسية في صفوف النساء؟ وما مدى نجاعة الكوطا في تنزيل مبدأ المساواة؟ وما هي المعيقات التي تتسبب في ضعف نسبة التمثيلية السياسية للمرأة؟

أولا: حقوق المرأة بين الكونية والخصوصية

تطرح فلسفة حقوق المرأة إشكالية الصراع بين الكونية والخصوصية، حيث أن هذا الحقل تتداخل فيه مضامين الإتفاقيات الدولية التي تقر بمسألة عالمية الحقوق الإنسانية، وأيضا التشبث بالهوية الثقافية الجماعية التي تستمد مشروعيتها من الوعي الجمعي .

1 حقوق المرأة في المرجعية الدولية:

يعتبر مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة بصفة خاصة محل اهتمام المجتمع الدولي، الذي توجه نحو عقد عدة مؤتمرات للتأكيد على الطابع الكوني للحقوق ، حيث أقر أن المساواة بين الجنسين حجر الأساس لكل مجتمع ديمقراطي، ومنه أصبحت قضية جوهرية في تحقيق التنمية، لكن العديد من النساء تتعرض للتهميش والإقصاء، إذ لم تحظى حقوقهن بالكونية على أرض الواقع لأن الأمر يتعلق بهيمنة فكر تقليدي يخندق وجودهن في أدوار نمطية، وبالتالي يتطلب الامر ارساء منظومة من القيم في جميع المجالات حتى لا يتم اختزال كينونة المرأة إلى مجرد وسيلة، فتعيش وضعية الاستيلاب.

في ضوء ما ذكر، فإن من أهم الاتفاقيات "سيداو" والتي أقرت بمبدأ عدم التمييز، حيث تحرص على متابعة أوضاع المرأة في العالم، كما نصت على إدراج مبدأ المساواة في التشريعات والسياسات الوطنية بغاية الغاء جميع الممارسات التمييزية ضد المرأة، بالإضافة إلى ذلك، فإن البروتوكول الملحق بالاتفاقية يمنح امكانية اللجوء إلى اللجنة في حالة انتهاك حق من الحقوق الواردة فيها، وعليه اتخذت لجنة سيداو موقفا قويا بشأن المشاركة السياسية للمرأة من خلال بيان مشترك مع الاتحاد البرلماني الدولي بعنوان "القيادة السياسية للمرأة" بهدف تحقيق التوازن بحلول عام 2030، حيث أكدت على أن التكافؤ بين الجنسين في صنع القرار يجب أن يكون شرطا أساسيا للتنمية المستدامة. (لمساعد،، 2021، ص 40 إلى 56).

2 حضور المرأة في المرجعية الوطنية

جاء دستور 2011 في بابه الثاني للاعتراف بحقوق المرأة وعدالة قضيتها، حيث نص على ضرورة تكريس المساواة بين الجنسين، لذلك تم إصدار جملة من القوانين تروم تعزيز دورها في جميع الميادين منها :

-القانون الجنائي بمقتضيات جد متطورة تسهر على حماية حقوق النساء؛

-اصدار قوانين تنظيمية تروم توسيع مشاركتهن في مراكز صنع القرار والحث على المناصفة في التعيين داخل الوظيفة العمومية؛

-قانون العنف رقم 103.13، عرف تعديلات مهمة لمصلحة المرأة ؛

-إحداث هيئات ومؤسسات الحكامة تسهر على النهوض بحقوقها؛

- إرساء عدة سياسات عمومية وضمانات وآليات لترسيخ دولة الحق والقانون وتمتيع كافة المواطنات والمواطنين من حقوقهم على مبدأ المساواة (ركلمة،، 2013، ص45).

يمكن القول ان الدستور الجديد يعد بمثابة قاطرة انتقال نحو المواطنة الكاملة للمرأة، ولكن بفعل نظام القيم العامة المرتبطة بمنظومة ثقافية محافظة، فإنه يتم اختزال ذاتها إلى مجرد كينونة محرومة من كل قدرة على بناء هويتها الشخصية، خصوصا وأنها تعيش حالة الاغتراب نظرا لجمود المجتمع البشري الذي تحول إلى عالم مادي تتحكم فيه النخبة التي في يدها السلطة ومتمركزة في يد الرجل، لأن المجتمعات الرأسمالية تقوم على المنفعة والمصلحة والفعالية، مما يؤدي إلى انغلاق البنية الثقافية والحفاظ على جذورها من داخل الخصوصية القيمية (منية، 2021، ص 238).

يتبين مما ذكر سابقا، أن دستور 2011 لم يخل من إلتباسات، حيث أن بعض المقتضيات التقييدية التي يمكن أن تشكل مبررا للحد من امكانية التمتع بالحقوق "**الدستور يضع على كل حق من الحقوق علامة استفهام تنتهي بإنكاره، ويرسم لكل مكسب حدوده التي تنتهي بخنقه وأمانته**" وبالتالي الفصل 13 جعل المساواة مشروطة بأحكام وثوابت المملكة وهويتها الوطنية خصوصا، وأن المجلس العلمي الأعلى قدم تفسيره بالنسبة لمكانة المواثيق الدولية ضرورة انسجامها مع أحكام الدستور وتحديدا الدين الاسلامي وقوانين الدولة (رقية، 2014، ص126).

ثانيا: المشاركة السياسية للمرأة المغربية: الواقع والتحديات

تظل قضية المشاركة السياسية للمرأة المغربية من الانشغالات الأساسية للحكومة التي تضع مسارا للعمل والتتبع والتقييم المستمر بهدف إرساء مشاركة فعلية تسهر على الرفع من نسبة صعود النساء إلى مراكز القرار، لذلك تلجأ إلى اتخاذ مجموعة من التدابير والبرامج من أجل تنزيل مبدأ المساواة ومحاربة الصور النمطية المبنية على النوع الاجتماعي، الشيء الذي يؤكد أن الوزارة الوصية أعدت سياسة وطنية لمحاربة العنف ضد النساء على أربع ركائز المعترف بها دوليا في مجال مناهضة العنف والتميز من خلال الوقاية والحماية والتكفل والمتابعة القضائية (وزارة التضامن والتنميةالاجتماعيةوالأسرة، 2020، ص 90)وذلك :

- ✓ إحداث برامج التكفل بالنساء ضحايا العنف، بموجب المرسوم التطبيقي الخاص بتفعيل مضامين القانون رقم 103.13.
- ✓ إعداد دليل عملي تخص الخلايا المؤسساتية لاستقبال النساء ضحايا العنف على مستوى المحاكم، والمستشفيات ومصالح الشرطة ومراكز الدرك الملكي تكريسا للحق في الولوج إلى الخدمات المؤسساتية؛
- ✓ إرساء " خطة للمساواة" إكرام 1" و"إكرام 2" في إطار "مغرب التمكين" وأيضا إعداد مشروع خطة ثالثة بإسم مغرب الريادة والقيم والرفاه والحقوق "، حيث ساهمت في تحقيق تكافئ الفرص في مجال التعليم والنهوض بالأسرة والطفل، ولكن في هذا السياق الذي شهد مجموعة من الإصلاحات القانونية والبرامج والسياسات العمومية، فإن واقع حقوق المرأة المغربية ظل سجين نظام القيم العامة التي تسهر على تقييد العلاقة بين الجنسين، اذ تجعلها خاضعة لأدوار نمطية، تجردها من المعنى من وجودها.

1 المشاركة السياسية للمرأة: الواقع والمآل:

تعيش المرأة حالة الاستلاب وعدم التحرر من قيود المجتمع، بحيث تنفصل ذاتها عن العلاقات الاجتماعية، فتعيش حالة الخضوع والتبعية، مما يؤدي إلى انتفاء فعالية شخصها وتعثر إرادتها، الشيء الذي أدى إلى اختزال كينونتها في الجسد والشهوة، علما أن القيم المجتمعية تحدد موقع كل من الجنسين وتعمل

على إعادة إنتاج سلطة أخلاقية محافظة، تشكلت من الثقافة الشعبية السائدة التي قامت بخندقة مكانتها خارج المجال العام (غزلان عزيزي، 2021، ص139).

عمل النظام الأبوي في فرض أعراف استبعدت المرأة عن تقلد مناصب القيادة، خصوصا وأنها رسخت تفكيرا ذكوريا أنتج التمييز ضدها، وتواجدها في مراكز صنع القرار مازال ضعيفا، وعليه فإن نسبة العنف والإقصاء ارتفعت بفعل عامل التنشئة الاجتماعية التي تكرس تمثلات تمييزية داخل بنية المجتمع.

وبناء على ما سبق، يتضح أن حقوق النساء يطبعها التعثر نظرا للنظام الأبيسي الذي يسمح للوعي الفردي باستدماج قيم الطاعة والتبعية، اذ تكون أولوية الرجل أنطولوجية والتمييز الذي يطالهن يعد من طبيعة الأشياء، وبالتالي تتجذر هذه الهيمنة في الشخصية الجمعية التي تتولى العلاقة الاجتماعية بين الجنسين (عصام عدوني، 2016، ص 27).

إن التساؤل عن مآل واقع المرأة يلزم إلتفاتة حقيقية، وذلك بتنزيل مبدأ المناصفة قصد تمكين النساء من حقهن في المساواة الفعلية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا توفرت البيئة اللازمة من خلال تقعيد أسس الديمقراطية، لأن الانتقال الديمقراطي ضمانة فعالة لتأمين الحقوق للإنسان على قدم المساواة .

وعلى العموم تغييب الإجماع حول قضايا المرأة، يستدعي إعادة إنتاج نقاش عمومي عن المسألة بين مختلف مكونات المجتمع، خصوصا وأن الأمر يتعلق بالسمو بمفهوم الشخص باعتباره ذات إنسانية على نحو تام ومباشر وصولاً إلى التحقيق العام للتذوت الذي يمكن المرأة من ولوج مراكز صنع القرار في جميع الميادين.

2 التحديات التي تعترض التمثيلية السياسية للنساء

انخرط المغرب في سلسة من التدابير والبرامج التي اتجهت نحو تحقيق العديد من المنجزات في سبيل محاربة التمييز الذي يطال النساء في المجال السياسي، وذلك بإعتماد آلية الكوطا" كوسيلة تسهر على الرفع من نسبة المشاركة السياسية في المجالس النيابية والجماعية.

ساعدت "آلية الكوطا" على إدماج المرأة في توسيع وتعميم مشاركتها السياسية، لكن ظل صعودها لمراكز القرار داخل المجالس المنتخبة ضعيفا، ومما لا شك فيه تبقى وسيلة استطاعت أن تحقق نسبة عددية

مهمة، إذ انها ارتفعت إلى 37,6% في 2015 مقارنة مع سنة 2009 انتخابات مجالس الجهة بنسبة 2,2%

ولكن في المقابل ولوج المرأة إلى مواقع القرار صار ضعيفا، الشيء الذي يؤكد أن هناك معيقات بنيوية تحول دون الوصول إلى المناصفة، علما أن هذا الواقع حافل بالعديد من التحديات التي توضح أن انتخابات الجماعية لسنة 2001، تؤكد أن النساء المنتخبات يمتلكن قدرات ومؤهلات، كما أنهن حققن ذواتهن بالعلم والدراسة الأكاديمية، وفي نفس الوقت متمرسات في المجال السياسي الحزبي، يجعلهن مؤهلات للولوج الى صنع القرار الترابي، لكن دورهن انحصر داخل لجن استشارية أو عضوية أو نيابية، حيث بات مجالاً حصريا للرجل، وهذا الأمر يفيد أن تواجدهن من داخل المجالس المنتخبة جهويا ومحليا يعتبر ثانويا. (قراءة في نتائج الانتخابات الجماعية لسنة 2021).

في ضوء ما ذكر أعلاه، يتبين أن استبعاد المرأة من تقلد منصب المسؤولية داخل المجالس المنتخبة، يرتبط بأسباب عميقة ترجح بالأساس إلى صرامة الأعراف الراسخة في الوعي الجمعي، خصوصا وأن آلية الكوطا لم تحقق نتائج نوعية، لذلك تبقى غير ناجعة، وهذا ما أكده "بييربورديو" أن المتحكم هي البنى الاجتماعية التي يصعب تغييرها بنصوص قانونية، وبالإضافة إلى ذلك أن الإرث السياسي تمثل في وجود نخبة سياسية ذكورية، ولم يكن للمرأة حضورا في ذلك، وعليه يرجع احتكار الرجل لمناصب القرار إلى وجود طبقة بيروقراطية تجذرت من داخل الأحزاب السياسية، تستمد مشروعيتها من انتمائها القبلي الذي يخول لها تولي الزعامة واستحواذ القرار السياسي، ومنه تستخلص أنه لا يمكن تصور إقرار عدالة قضايا المرأة خارج قيم الديمقراطية، لأن هذه الأخيرة كفيلة بإرساء حق المساواة والحد من أشكال التمييز؛ لذلك هناك رهانات تلزم من المجتمع مأسسة الثقافة الحقوقية، وذلك بإشراك مختلف الفاعلين خاصة الفاعل المدني الذي يتوخى منه تقعيد أسسها بإنتقال ديمقراطي فعلي.

خاتمة

التغيرات التي عرفها التشريع المغربي في شأن النهوض بوضعية المرأة، صاحبه تضخم في الخطاب، مما أزاح عن سياق التداول العقلاني لينزلق إلى السجال الأيديولوجي، حيث أصبح موضوع الحقوق رهان التسويق السياسي ومجرد تأنيث للمشهد السياسي؛ مما أدى إلى مراعاة اعتبارات تتعلق بالحفاظ على موازين القوى، وبالتالي التمييز الذي يطال النساء في مختلف الميادين يستدعي استحضار الثقافة الكونية وإعادة انتاج نقاش عمومي فعال، قصد تعزيز الخطاب بالممارسة التي تسهر على تجديد العقليات ورسم خارطة طريق تتحدد بشكل قبلي، وذلك بالسعي نحو تأهيل نخبة نسائية ريادية قادرة أن تضع معالم الإرتقاء بحقوقها في أفق التحرر في سبيل نيل الحرية، والتي تنص على أنها مشروع ذاتي يضع لكل امرأة إمكانية بناء الوجود الشخصي بشكل يعزز كرامتها وإنسانيتها .

وعلى العموم، ان المجتمع الحديث يختزل وجود الأفراد نساء ورجالا في تقسيم الأدوار والقيمة النفعية، لهذا يحاول دائما تدمير الذات في جوهرها؛ ومنه يتعيّن السمو بمفهوم الإنسان عن طريق التحرر من سلطة الجنسانية المنفعلة، بالإضافة إلى ذلك، لا بد من بناء سيرورة الذات بوصفها وعي أخلاقي تتصرف من المبدأ العملي الأسمى الذي يجعلها تمتلك قيمة أخلاقية، لا تقدر بثمن ولا بسعر، مما يفسح المجال لميلاد القوة المبتكرة للتذوّت.

لائحة المراجع:

الكتب:

1 أمين ركلمة، 2013، تأصيل مقاربة النوع في دستور 2011، مجلة مسالك.
2 رقية المصدق، 2014، الدستور المغربي الجديد على معك الممارسة، منشورات ملتقى الطرق.
3 عبد الاله أمين، 2020، حقوق الإنسان والحريات العامة، مطبعة النجاح صبحي.
4 عصام عدوني، 2016، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية، مركز الوحدة العربية، بيروت.
5 غزلان عزيزي، 2021، المرأة والمجتمع السياسي، مطابع نت الرباط.
6 لمياء لمساعد، 2021، الممارسة الاتفاقية في مجال حقوق المرأة بالمغرب، مجلة مسارات.
7 منية بنلمليح، 2021، التمكين السياسي للمرأة المغربية بين محاولة التأصيل وإكراهات التفعيل، المركز الأوروافريقة للدراسات القانونية.
8 وزارة التضامن والتنمية الاجتماعية والأسرة، 2020، مغرب التمكين في أفق 2030، مطبعة AZ Edition.

The Impact of Provincial Council Members Privileges on State – Building in Iraq

Haider Abdullah Abbas
Muthanna Governorate Education Directorate
haideralnasah@gmail.com

Abstract:

Despite the powers granted to the members of the councils and the tasks assigned to them, which are granted by the administrative decentralization in managing the affairs of preserving the Iraqi Constitution of 2005 within Article No. (122), it did not rise to what would have qualified it for the Iraqi inability to perform on the ground as a supervisory authority within the month, but rather it started everything on the month and flabbiness that burdened the Iraqi budgets bloated on the ministries and contracts. And the advisors and their protection, in addition to the great privileges that include the members of these councils of buildings, personal protection and private cars, including that they do not match the duty performed by the representative if compared to the performance of an employee normally in any department or other of the various government institutions.

Keywords: provincial councils, state building, elections, non-regional provinces .

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

اثر امتيازات اعضاء مجالس المحافظات على بناء الدولة العراقية

حيدر عبدالله عباس
مديرية تربية محافظة المثنى
haideralnasah@gmail.com

ملخص:

على الرغم من الصلاحيات الممنوحة لأعضاء مجالس المحافظات والمهام المنوطة بهم والتي منحتها اللامركزية الادارية في ادارة شؤون المحافظة ضمن دستور العراق لعام 2005 ضمن المادة رقم (122) ,الا انها لم ترتق الى ما كان يأمل به المواطن العراقي من اداء على الارض ,كسلطة رقابية داخل حدود المحافظة ,بل انها اصبحت كلاً على العملية السياسية برمتها وترهلاً اثقل كاهل الميزانيات العراقية المتخمة اصلاً بعدد الوزارات والوكلاء والمستشارين وحماياتهم ,اضف الى ذلك ما للأمتيازات الكبيرة التي منحت لأعضاء هذه المجالس من بنايات وحمايات شخصية وسيارات خاصة بما لا يتلاءم والواجب الذي يؤديه النائب فيما لو قورن بإداء موظفاً عادياً في اي دائرة او مؤسسة اخرى من مؤسسات الدولة .

الكلمات المفتاحية: مجالس المحافظة , بناء الدولة , الانتخابات , المحافظات غير المنتظمة في اقليم

مقدمة:

لم تشهد المحافظات العراقية في حكومات ما قبل عام 2003 ,تشكيل سلطة تمارس الرقابة على اداء الهيئات التنفيذية داخل حدود المحافظة ,كما يسمى اليوم بمجلس المحافظة او المجلس المحلي او حتى البلدي ,حيث كان المحافظ هو الذي يدير شؤون المحافظة ,ويمارس الرقابة على جميع الدوائر والاجهزة التنفيذية المختلفة في المحافظة ,حتى جاء التغيير السياسي بعد علم 2003 ,وما تضمنه الدستور العراقي الدائم لعام 2005 ,الذي نص على اللامركزية الادارية للمحافظات غير المنتظمة في اقليم ,وصولاً الى اصدار قانون المحافظات رقم (21) لعام 2008 المعدل ,مانحاً صلاحيات ادارية ومالية ورقابية واسعة لهذه المجالس ,و بمقابل هذه الامتيازات والاختصاصات تبرز تساؤلات كثيرة ,منها هل ان عضو مجلس المحافظة او المجلس المحلي ادى دوره بفاعلية فيما يتعلق بمسؤولياته المناطة به ؟ ام ان عضو المجلس مارس الفساد بكل اوجهه, وخرج عن القانون في الكثير من الحالات التي كان عليه ان يكون حارساً ومطبقاً له ,فضلاً عن الكثير من الاجراءات التنفيذية داخل حدود المحافظة ,التي خُرق بها القانون على ايدي ونفوذ اعضاء المجلس ,وهذا ديدن المجالس التي شكلت في المحافظات , منذ انتخابات عام 2009, وجدير بالذكر ان البحث اقتصر على مجالس المحافظة دون التطرق الى المجالس المحلية (الاقضية والنواحي) توخياً للاختصار.

أولا: التعريف بمجلس المحافظة ,واختصاصاته

ان من التشريعات القانونية التي خصت هذا المجال قديما ,صدر على ضوئها قانون ادارة البلديات المرقم (165) لعام 1964 ,بتاريخ 22/ تشرين الثاني 1964 ,بغية تفعيل المشاركة الشعبية في ادارة المؤسسات المحلية , محاكياً بذلك بعض القوانين الحديثة التي تخص اللامركزية الادارية منحت فيها المجالس العراقية صلاحيات واسعة ,واستقلالية كبيرة ,في ادارة شؤونها ,لتأتي بعد ذلك حكومة جمهورية العراق الرابعة عام 1968 ,لتصدرت قانون المحافظات رقم (159) لعام 1969 ,وفيه الغيت الهيئات السابقة (مجلس اللواء والمجلس البلدي ومجلس القرية) ,مستعيضاً عنها بـ (مجلس محافظة ومجلس قضاء ومجلس ناحية) ,(انفال حسن فاضل ,2022 ,ص29), ليعتمد بعد ذلك هذا التقسيم الاداري في قانون مجالس المحافظات الحالي ,وسيتم تناول هذا الموضوع بالشكل التالي :

1 تعريف مجلس المحافظة

جاء في المادة الثانية من قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم (21) لسنة 2008 ,ان "مجلس المحافظة هو السلطة التشريعية والرقابية في المحافظة ,وله حق اصدار التشريعات المحلية في حدود المحافظة ,بما يمكنه من ادارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الادارية بما لا يتعارض مع الدستور والقوانين الاتحادية التي تندرج ضمن الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية , وتتمتع المجالس بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ويمثلها رئيسها أو من يخوله" (المادة 2 /اولاً / ثانياً , قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم 21 ,2008) , وقد تضمن قانون التعديل الاول لقانون انتخابات مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم والاقضية التابعة لها ,رقم (12) لسنة 2018 المعدل في المادة (18) منه اضافة مادة جديدة تحمل التسلسل (50) من نص القانون تنص على "يتكون مجلس المحافظة من (10) مقاعد يضاف اليها مقعداً واحداً لكل (200.000) مائتي الف نسمة لما زاد عن (1.000.000) مليون نسمة ,بحسب احصائية معتمدة وفقاً لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء في وزارة التخطيط , وبيانات وزارة التجارة ,وفقاً للجدول الملحق بالقانون " , و بدت هذه المادة بعد تعديلها اكثر واقعية في منح حصص كل محافظة من المقاعد ,اذ كان الفارق كبير فيما بين المحافظات, حيث التفاوت فيما بين اعداد السكان في المحافظات من جهة و عدد المقاعد من جهة اخرى .

2 اختصاصات مجلس المحافظة

تضمن قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم (21) لسنة 2008 المعدل, في المادة السابعة منه اختصاصات مجلس المحافظة ,وسيتطرق البحث الى الاختصاصات المهمة منها وعلى النحو التالي : (المادة 7/ اولا/ثانيا , قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم 21 , 2008

(1) انتخاب رئيس المجلس ونائبه بالاغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس في اول جلسة, يعقدها المجلس بدعوة من المحافظ ,خلال (15) خمسة عشر يوماً من تاريخ المصادقة على نتائج الانتخابات ,وفي حالة عدم دعوة المحافظ لانعقاد المجلس يعقد تلقائيا في اليوم (16) السادس عشر , وتنعقد الجلسة برئاسة اكبر الاعضاء سناً .

وان هذه الآلية تعد نسخة مصغرة عن عملية انتخاب رئيس ونواب مجلس النواب العراقي ,وهي عملية محسومة في من سيتولى هذه المناصب ,ومتفق عليها مسبقا في اجتماعات تعقد خلف كواليس المجلس ,وفيما

بين الاعضاء المهمين في الكتل الكبيرة في المحافظة ,او رؤسائهم في الحكومة المركزية ,وتجري وفق هذه العملية اختيار المحافظ ونائبيه كما في الفقرة (سابعا) ,ومن ثم تخرج هذه الجلسة بنتائجها للعامة ,في اشارة الى أن الديمقراطية فعالة ومطبقة في كل خطوة من خطوات تشكيل الحكومات المحلية منها والمركزية ,ولا يخفى على المتتبع لهذا الشأن ,كم تتخلف هذه المجالس عن الالتزام بالمواعيد المقررة ضمن القانون والتي تنص على التوقيتات واهميتها وعدم خرق القانون والدستور في المدة المحددة لهذا الغرض .

(2) إقالة رئيس المجلس أو نائبه من المنصب بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس ,في حالة تحقق أحد الأسباب الواردة في الفقرة (8) من هذه المادة بناءً على طلب ثلث الأعضاء .

(3) إصدار التشريعات المحلية والأنظمة و التعليمات , لتنظيم الشؤون الإدارية و المالية بما يمكنها من أدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الادارية وبما لا يتعارض مع الدستور و القوانين الاتحادية .

(4) رسم السياسة العامة للمحافظة ,وتحديد اولوياتها في المجالات كافة وبالتنسيق المتبادل مع الوزارات ,والجهات المعنية ,وفي حالة الخلاف تكون الاولوية لقرار مجلس المحافظة .

(5) تضمنت هذه الفقرة الاختصاصات المالية لمجالس المحافظة حيث جاء فيها (المادة 7/ خامسا , قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم 21 , 2008

اعداد مشروع الموازنة الخاصة بالمجلس, لدرجها في الموازنة العامة للمحافظة–

– اعلان مشروع الموازنة العامة للمحافظة في وسائل الاعلام المقروءة ,والمرئية ,والمسموعة ,وعقد الندوات والمؤتمرات ,لمشاركة مواطني المحافظة ,ومنظمات المجتمع المدني ,والوقوف على اراءهم .

– قراءة مشروع الموازنة قراءتين ,اولى وثانية في جلستين منفصلتين ,والمصادقة عليه , واجراء المناقلة بين ابوابها ,بموافقة الاغلبية المطلقة لعدد الاعضاء ,على ان تراعى المعايير الدستورية في التوزيع لمركز المحافظة والاقضية والنواحي ,ورفعها الى وزارة المالية الاتحادية ,لتوحيدها مع الموازنة العامة الاتحادية.

وجدير بالذكر انه قد اعتمد التعداد السكاني للمحافظات كمبدأ في تخصيص الموازنات لكل محافظة ,وان هذا المبدأ فيه حيف كبير ,اذ ان حاجات المحافظات تتباين فيما بينها ,فمنها ما تحتاج الى مشاريع ضخمة ,وبالتالي تحتاج الى تخصيصات ضخمة ,فيما قد تكون هذه المحافظة ذات سكان قليل ,كما في محافظة المثنى على سبيل الذكر ,سكان قليلون ومساحة كبيرة ومشاريع شبه مفقودة ,فضلاً عن ان القانون يذكر في المادة (التاسعة /ثانياً /أ) اعتماد احصائيات او تقديرات وزارة التخطيط ,والكل يعلم ان العراق

اجرى آخر تعداد سكاني رسمي له عام 1997 ,اما ما يتداول من ارقام لعدد سكان العراق ,فما هي الا تقديرات معتمدة على نسبة النمو السكاني السنوي , او ما تجود به وزارة التجارة في عملها من احصائيات للمواطنين الذين قد سجلوا بياناتهم في برنامج (البطاقة التموينية) ,وفي كلتا الحالتين لا تكون احصائيات دقيقة ,وجدير بالذكر ,ان التعداد السكاني الشامل الذي اجري في 20 - 21 / 11/ 2024 ووفق الارقام الاولية له, سجل فروقاً واضحة في اعداد سكان المحافظات الفعلي ,وهذا التعداد العاشر في تاريخ العراق ,وهو اول تعداد سكاني شامل ,بعد التغيير السياسي بعد عام 2003 ,و نتائجه قد تشكل فرقاً في حصة كل محافظة سواء فيما يخص المقاعد البرلمانية منها او فيما يخص مقاعد مجالس المحافظة ,موضوع البحث , فضلاً عن مقدار حصة كل المحافظة من الموازنة المالية , التي تعتمد بدورها على اعداد السكان لكل محافظة بشكل رئيس .

الرقابة على جميع انشطة دوائر الدولة في المحافظة ,لضمان حسن اداء عملها . (6)

(7) أ- انتخاب المحافظ و نائبيه ,بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس ,خلال مدة أقصاها ثلاثون يوما من تاريخ انعقاد أول جلسة له .

ب- أذا لم يحصل أي من المرشحين على الأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس ,يتم التنافس بين المرشحين الحاصلين على أعلى الأصوات ,و ينتخب من يحصل على أكثرية الأصوات في الاقتراع الثاني .

(8) أ- استجواب المحافظ أو احد نائبيه ,بناءً على طلب ثلث اعضائه ,وعند عدم قناعة الأغلبية البسيطة بأجوبة المستجوب يعرض للتصويت على الإقالة في جلسة ثانية ,ويعتبر مقالا بموافقة الأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس ,ويكون طلب الإقالة أو التوصية بها مستندا على احد الأسباب الحصرية الآتية :

عدم النزاهة, أو استغلال المنصب الوظيفي . -

التسبب في هدر المال العام .-

- فقدان احد شروط العضوية

الإهمال أو التقصير المتعمدين ,في أداء الواجب والمسؤولية .—

ب- لمجلس النواب إقالة المحافظ بالأغلبية المطلقة ,بناءً على اقتراح رئيس الوزراء لنفس الأسباب المذكورة أعلاه .

يعد المحافظ مقالاً عند فقدانه لأحد الشروط المنصوص عليها في المادة (5) من هذا القانون . ج-

د- للمحافظ إن يطعن بقرار الإقالة , لدى محكمة القضاء الإداري خلال (15) خمسة عشر يوماً من تاريخ تبلغه به , وتبت المحكمة بالطعن خلال مدة (30) ثلاثين يوماً من تاريخ استلامها الطعن , وعليه أن يقوم بتصريف أعمال المحافظة خلالها .

هـ – يقوم مجلس المحافظة بعد انتهاء مدة الطعن المشار إليها في الفقرة (4) أعلاه أو المصادقة عليه من قبل المحكمة المختصة , بانتخاب محافظ جديد خلال مدة لا تتجاوز (15) خمسة عشر يوماً.

ووفق ما ذكر في الفقرات اعلاه ثبت في كثير من المحافظات, من ان محافظيها قد خرق القانون في الفقرات (أ ب ج د) ,الا انه لم تتم اقالته كونه من كتلة كبيرة او مسيطرة في الغالب ,وفي بعض الاحيان قد يستمر المحافظ في منصبه ويعاد انتخابه لدورة اخرى بسبب سيطرة كتلته التي ينتمي لها .

(9) أ- الموافقة على ترشيح اصحاب المناصب العليا في المحافظة ,بالأغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس ,باختيار مرشح واحد من بين (3) ثلاثة اشخاص ,يرشحهم المحافظ ,وللوزير المختص رفض المرشح في حالة عدم انطباق المعايير المعتمدة عليه خلال (15) خمسة عشر يوماً من تاريخ وصول الترشيح الى مكتبه ,وفي حالة عدم البت في الترشيح ,يعد ذلك قبولاً له, ويعرض المرشح لمنصب مدير عام أو من بدرجته على مجلس الوزراء للتصويت عليه .

ب- إعفاء أصحاب المناصب العليا في المحافظة ,بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس ,بناءً على طلب خمس عدد أعضاء المجلس, أو بناءً على اقتراح من المحافظ ,ولمجلس الوزراء كذلك حق الإقالة باقتراح من الوزير2 المختص استنادا للأسباب الواردة في الفقرة (8) من هذه المادة في ما ورد في تاسعاً النقاط (1 – 2) يعد من الامور المحسومة ,فالمديريات في الدوائر المهمة تذهب بطبيعة الحال للأحزاب الكبيرة , وبالتالي هي الآلية ذاتها المتبعة اختيار الوزارات ,في الحكومة المركزية وهي دوامة محاصصة لازمت العملية السياسية منذ البداية .

(10) المصادقة على الخطط الأمنية المحلية المقدمة من قبل المؤسسات الأمنية في المحافظة ,عن طريق المحافظ بالتنسيق مع الدوائر الأمنية الاتحادية مع مراعاة خططها الأمنية .

(11) أ- المصادقة بالأغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس ,على اجراء التغييرات الادارية على الاقضية والنواحي والقرى بالدمج والاستحداث ,او تغيير اسمائها ومركزها ,وما يترتب عليها من تشكيلات ادارية

,ضمن حدود المحافظة بناء على اقتراح المحافظ ,او ثلث اعضاء المجلس مع وجوب موافقة الاغلبية المطلقة للمجالس المعنية بالتغيير .

ب- (أ) : تخصيص ملكية الاراضي العائدة للوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة للمحافظة, لغرض اقامة المشاريع الخدمية والعمرانية في المحافظة وبموافقة مجلس الوزراء باستثناء الاراضي الاتية :

الاراضي الواقعة خارج حدود البلدية للمحافظة ,او القضاء ,او الناحية ,باستثناء تخصيص الاراضي لتوسعة التصميم الاساسي للمدينة .

. الاراضي الزراعية والبساتين ,مهما كان جنسها او نوعها-

.الاراضي القائمة عليها مشاريع, او المخصصة لإقامة مشاريع عليها-

الاراضي المخصصة للاستثمار في المحافظة .-

الاراضي المخصصة لمؤسستي الشهداء والسجناء السياسيين .-

الاراضي المخصصة للأوقاف .-

المناطق الخضراء ,وبما لا يتعارض مع التصميم الاساسي للمحافظة ,والمواقع النفطية والاثرية .-

الموافقة على اقامة المشاريع الاسكانية على الاراضي العائدة للوزارات والمخصصة من قبلها للمحافظة) ب(

- المناقلة ضمن ابواب الموازنة ,بين مشاريع الوحدة الادارية من المشاريع المتلكئة ,واعلام وزارة التخطيط بذلك .

- الموافقة على اعلان منع التجول, بأغلبية الثلثين ,بناء على طلب المحافظ ,وبالتنسيق مع السلطات الاتحادية المختصة ,في الحالات التي تستدعي ذلك .

إصدار جريدة تنشر فيها كافة القرارات والأوامر التي تصدر من المجلس . 12)(

. اختيار شعار للمحافظة ,مستوحى من الإرث التاريخي والحضاري لها 13)(

(14)إقرار نظام داخلي لعمل المجلس خلال شهر من تاريخ أول جلسة له ,ويصادق عليه بالأغلبية المطلقة .

(15)تحديد أولويات المحافظة في المجالات كافة , ورسم سياستها ووضع الخطط الاستراتيجية لتنميتها, بما لا يتعارض مع التنمية الوطنية .

(16)المصادقة بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس ,على قبول أو رفض التبرعات والهبات التي تحصل عليها المحافظة .

.ممارسة أية اختصاصات أخرى منصوص عليها في الدستور, أو القوانين النافذة 17)(

ولو اريد الحديث عن الاختصاصات التي تم التركيز عليها من بين الاختصاصات الاخرى سنجد بأن قضية انتخاب المحافظ تبرز الى الواجهة حيث تعم النزاعات والسجالات مطولاً لتسفر عن اسم من يتسنم هذا المنصب المهم ,والذي يكون غالباً قد رشح من قبل الاحزاب الكبرى في حكومة المركز ,وعلى الشاكلة نفسها يتم ترشيح مدراء الدوائر المهمة داخل المحافظة في دوامة محاصصة مزمنة لازمت العملية السياسية منذ العام 2003.

ثانيا: الوضع السياسي لثلاث دورات انتخابية لمجالس المحافظات

بعد ان شُرع قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم لعام 2008, اجريت بتاريخ 31/ كانون الثاني 2009, اول انتخابات لمجالس المحافظات ,والمجالس المحلية ,شملت خمسة عشر محافظة, اي باستثناء محافظات الاقليم ,ثم تلتها في 20 / نيسان /2013 ,انتخابات مجالس المحافظات, بدورتها الثانية ,وبعد فترة تعليق لهذه المجالس قاربت العشر سنوات ,جاء اخرها بتاريخ 18 /كانون الاول /2023 وهي الدورة الثالثة الجارية ,وبما انه جاء وفق قانون مجالس المحافظات ضمن المادة الرابعة منه ان الدورة الانتخابية تكون مدتها أربع سنوات تقويمية ,تبدأ بأول جلسة (المادة 4, قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم 21 , 2008)

وهنا قد وقعت هذه المجالس في خرق قانوني ودستوري , حيث ادى استمرار مجالس المحافظات في دورته الثانية ,الى تجاوز المدة القانونية المنصوص عليها في المادة رقم 4,وهنا تلتها فترة انقطاع فيما بين انتخابات عام 2013 و2023 دامت حواي عشر سنوات ,لأسباب عديدة منها الحرب على الارهاب ,وتردي الوضع الامني ,وقيام الاحتجاجات في الشارع العراقي عام 2019 التي كانت بدورها تدعوا الى الغاء مجالس المحافظات والاقضية ,كونها تحقق مكاسب للسياسيين وكتلهم دون ان تستفيد هذه المحافظات من تلك المجالس ,فضلاً عن امتيازاتها الكبيرة التي منحت لكل عضو فيها ,وبعد ان استمرت هذه المجالس في عملها خارجاً عن مدتها القانونية اصبحت غير دستورية ,لذلك قام مجلس النواب وتحت ضغط الاحتجاجات التي انطلقت في تشرين الأول سنة 2019 بتعديل قانون انتخاب مجالس المحافظات والأقضية

رقم 12 لسنة 2018 ,وذلك بقانون التعديل الثاني رقم 27 لسنة 2019، الذي نصت المادة الأولى منه على (إنهاء عمل مجالس المحافظات غير المنتظمة في إقليم ,ومجالس الأقضية والنواحي التابعة لها

,وجاء في الأسباب الموجبة لقانون التعديل هذا بأنه (نظراً لانتهاء المدة القانونية المقررة لمجالس المحافظات الحالية ومجالس الأقضية والنواحي والمجالس البلدية غير المنتظمة في إقليم ,في إداء مهامها ,والمسؤوليات المناطة بها ,بهدف تنظيم عمل الإدارات المحلية للمحافظات غير المنتظمة في إقليم، شرع هذا القانون), وكان قانون التعديل الأول لقانون انتخاب مجالس المحافظات والذي صدر في 2019/9/2 قد ,نصت المادة (13/ ثالثا) منه ,على انه " تنتهي أعمال مجالس المحافظات غير المنتظمة في إقليم والأقضية والنواحي الحالية في 2020/3/1"، إلا أن ضغط المظاهرات عجلت في ذلك، وكان من المقرر أن يتم إجراء انتخابات قبل تاريخ 2020/3/1 ,من اجل تطبيق نص التعديل الأول لقانون انتخابات مجالس المحافظات والأقضية والنواحي، إلا أن الوضع السياسي ادى الى إنهاء عمل مجالس المحافظات في نهاية سنة 2019 (فارس عبد الرحيم حاتم , الاساس القانوني لتعليق عمل المجالس المحلية في العراق , 2019

وجاء في قانون التعديل الثاني لقانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية رقم (12) لسنة 2018 في المادة (1) يعدل البند ثالثاً من المادة (44) ويحل محله (ثالثاً) "انهاء عمل مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم ,ومجالس الاقضية والنواحي التابعة لها ,وجاء في المادة (2) يستمر المحافظ ونائباه ورؤساء الوحدات الادارية بممارسة المهام والصلاحيات المنصوص عليها في قانون المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم (21) لسنة 2008 المعدل استثناءً من المادة (30) من القانون المذكور .

وبعد الاستقرار الامني الذي شهده البلد ,فضلاً عن الاستقرار الاقتصادي الذي تبعه ,دفعت هذه الاسباب الكتل السياسية الكبيرة والمستفيدة اصلاً من الوضع السياسي السابق ,وبحجة انه من غير الممكن ان تبقى هذه المجالس معلقة ,دافعة بهذا الاتجاه لضمان عودة مصالحها في المحافظات ,على الرغم من ان الوضع السياسي في فترة التعليق (10 سنوات) لهذه المجالس , لم يؤثر على العملية السياسية , وانما سارت امور المحافظة على اتم حال , وبالتالي اعيد العمل واجريت الانتخابات المحلية مجدداً بتاريخ 18 / كانون الاول /2023 , بدفع وتحريض من الاحزاب الكبيرة في العملية السياسية فضلاً عن جماعات الضغط السياسي المراقبين للعمل السياسي في الدولة .

1 امتيازات عضو مجلس المحافظة

تضمنت المادة (18) من قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم لعام 2008 ,ما نصه "يستحق عضو المجلس في مقابل خدمته مكافئة شهرية ,تعادل ما يتقاضاه المدير العام من راتب ومخصصات" ,ومن المستحسن ان ما يتم منحة لعضو مجلس المحافظة باعتباره مرشحاً منتخباً مكافئة مقطوعة لقاء خدماته ,وهي لا تتسم بالثبات والاستمرار(كالراتب) في حين ان ما ذكر هو راتباً وليس مكافئة ,فهو ثابت و محدد بجدول سلم الرواتب ,فضلاً عن ان القانون قد منح عضو مجلس المحافظة ,رابتاً تقاعدياً لا يقل عن 80% من المكافئة الشهرية المحددة ,وفيما لو كان العضو موظفاً ,فهنا لا يمكن منحه راتباً تقاعدياً لعدم تحقق شرط سنين الخدمة (اربع سنوات للدورة الانتخابية الواحدة) ,اما اذا اعتبر بأنه مكلف فالمكلف لا يستحق راتباً تقاعدياً ,وهذا ما جاء في موجب قانون تعديل قانون التقاعد رقم (16) لسنة 2019 (زهراء عبد الحافظ محسن وايمان عبيد كريم ,عضو مجلس المحافظة بين الترشيح والتكليف , 2021) . وقد جاء في التعديل الثاني لقانون التقاعد رقم (26) لسنة 2019 الذي جاء فيه يكون السن التقاعدي من سن (60) وخفض الحد الادنى للعمر الى 45 ,وبخدمة 15 سنة (وسام الملا , تحرك نيابي حول الحقوق التقاعدية لفئة من اعضاء مجالس المحافظات , www.ina.iq). ,وهذه جميعها مخالفات للقانون ,ومكسب غير شرعي مستمر لعضو المجلس الذي قد خدم اربع سنوات فقط , وجدير بالذكر انه يحاسب رئيس مجلس المحافظة كدرجة وكيل وزير , اما عضو المجلس فبدرجة مدير عام عند احتساب الراتب في سلم الرواتب الخاص بالدرجات الخاصة ,حيث ان مقدار الراتب الاسمي لرئيس واعضاء المجلس هو (1,500,000) ,اما مخصصات الشهادة فهي (575,000) ,و (750,000) كمخصصات مقطوعة , اما الزوجية والاطفال فخصصت لهم (90,000) ,في حين يتقاضى الموظف الاعتيادي (50,000) كمخصصات زوجية و(10,000) عن كل طفل ,فيكون بذلك الراتب الكلي للنائب هو (3,015,000) ,كما مبين في الجدول رقم (1) .

الجدول 1: تفاصيل ما يتقاضاه عضو مجلس المحافظة كراتب شهري

ت	التفاصيل	مقدار ما يتقاضاه رئيس واعضاء مجلس المحافظة بالدينار العراقي
1	مقدار الراتب الاسمي	1.500,000
2	مخصصات الشهادة / البكالوريوس	575.000
3	مخصصات مقطوعة	750,000
4	مخصصات الزوجية والاطفال	90,000
	المجموع	3,015,000

المصدر: من عمل الباحث ,بالاعتماد على ,مجلس محافظة المثنى , قسم الحسابات , رواتب الموظفين .

هذا فيما يخص الراتب وهنالك امتيازات اخرى ,منها يخصص لكل نائب سيارة او سيارتين مع بدل وقود ,اضف الى ذلك هنالك ما لا يقل عن اربعة افراد حماية ,ومخصصات ضيافة , هذا فضلاً عن تكلفة البنايات المخصصة لكل مجلس ,لا سيما وان هذه البنايات تكون بمواصفات معمارية جيدة ,بالتالي تكون مكلفة في الغالب ,خاصة فيما يخص المحافظات الكبيرة كمحافظة بغداد والبصرة ,ويتم تبديل وتجديد اثاثها مع قدوم الدورة الانتخابية التالية ,حتى وان لم يستهلك ذلك الاثاث ,وفيما يخص السيارات فان كان التخصيص يقضي بمنح سيارة واحدة لكل نائب فبالمحصلة يكون هنالك (1,154) سيارة ,بعدد النواب في ثلاثة دورات انتخابية, فيما لو كان هنالك من النواب الذين يطالبون بأكثر من سيارة و بموديلات احدث ,اما الضيافة فمن المفروض ان يتحمل النائب تكلفة ضيوفه في حالة ان الضيافة هذه لا تتعدى المشروبات الغازية او تقديم الشاي وبكلف زهيدة عادة ,اي ليس من الضرورة ان يتكلف النائب بعزائم ضخمة ليكون مضيافاً على حساب المال العام.

2 ثلاث دورات انتخابية (2009م – 2013م – 2023م)

جرت انتخابات مجالس المحافظة, في دورتها الاولى عام 2009 بعد تشريع قانون مجالس المحافظات رقم (21) لسنة 2008 , وبعدها بأربعة اعوام, اجريت انتخابات مجالس المحافظة في دورتها الانتخابية الثانية في عام 2013 ,باستثناء محافظة كركوك فقط ,اذ لم تجري فيها انتخابات لأسباب سياسية ,لتأتي بعد ذلك

قضية الارهاب ,ودخول التنظيمات الارهابية (داعش) ,الى ثلاث محافظات ,مما اربك الوضع الامني والسياسي , والوقت الذي استغرقته القوات الامنية والحشد الشعبي من وقت في تحرير الاراضي من دنس هذه العصابات ,ما ادى الى تأجيل الانتخابات المحلية في دورتها الثالثة ,المزمع اجراءها في عام 2018 ,فضلا عن الوضع الاقتصادي للبلد الذي كانت ميزانياته يلاحقها العجز حتى سميت بفترة (التقشف) .

وكذلك السخط الجماهيري والتظاهرات الكبيرة التي شهدها الشارع العراقي في اغلب المحافظات ,التي كانت من ضمن مطالبها ,الغاء مجالس المحافظات ,كونها تمثل حلقة زائدة ,وبؤرة فساد ,وشكل من اشكال المحاصصة الطائفية ,وتوزيع المناصب السياسية ضمن المحافظة ,واستمر الوضع على ما هو عليه واستمرت المجالس بعملها على الرغم من انتهاء المدة الدستورية لها وبشكل غير قانوني ,حتى جاء قانون التعديل الثاني لقانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية رقم (12) لسنة 2018 في المادة (1/ ثالثاً) انهاء عمل مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم ,ومجالس الاقضية والنواحي التابعة لها ,اما المادة (2) نصت على انه يستمر المحافظ ونائبيه ورؤساء الوحدات الادارية بممارسة المهام والصلاحيات المنصوص عليها في قانون المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم (21) لسنة 2008 المعدل , الى ان جيء برئاسة الوزراء الاخيرة التي تمخضت عن الكتل السياسية نفسها التي سيطرت على المشهد السياسي للدولة ,منذ عام 2005 ,لتعيد بذلك باتفاقات سياسية العمل بمجالس المحافظات من جديد في دورة انتخابية ثالثة اجريت بتاريخ 2023/12/18.

3 عدد المقاعد المخصصة لكل محافظة

فيما يخص عدد المقاعد لكل محافظة فأن الدورتان الانتخابيتان (2009 – 2013) ,اعتمد فيها نص المادة (3/اولا/1) قبل تعديلها التي جاء في نصها "يتكون مجلس المحافظة من خمسة وعشرين مقعداً ,يضاف اليها مقعداً واحداً لكل (200.000) مائتي الف نسمة ,لما زاد عن (500.000) خمسمائة الف نسمة ", مما جعل اعداد اعضاء المجالس كبيراً حيث وصل الى (57 – 58) مقعداً على التوالي لمجلس محافظة بغداد (الاعلى في عدد السكان) وهي الاكثر مقاعداً ,بين المحافظات في الدورتان الانتخابية الاولى والثانية و(26 – 26) مقعداً على التوالي لمجلس محافظة (المثنى الاقل في عدد السكان) ,وهي الاقل مقاعداً بين المحافظات ,في الدورتان الانتخابية الاولى والثانية ,جدول رقم (2) ,ثم جاء بعد ذلك التعديل الاول لقانون انتخابات مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم والاقضية والنواحي التابعة لها رقم (12) لسنة 2018 في

المادة (18) منه التي نصت على ان "يتكون مجلس المحافظة من (10) عشر مقاعد ,يضاف اليها مقعد واحد لكل (200.000) مائتي الف نسمة لما زاد على (1.000.000) مليون نسمة ,بحسب احدث احصائية معتمدة وفقاً لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء في وزارة التخطيط ,وبيانات وزارة التجارة " ,مما قلص عدد المقاعد المخصصة لكل محافظة لتصبح بذلك حصة محافظة بغداد (52) مقعداً في انتخابات 2023 ,بفارقٍ قليل عن الدورات السابقة ,اما محافظة المثنى وهي الاقل سكاناً فكان عدد مقاعدها (12) مقعداً وهو الحد الادنى من عدد المقاعد بين المحافظات ,الجدول رقم (2) ,وهنا ممكن القول بأن حصة محافظة المثنى يجب ان تكون (10) مقاعد فقط فيما لو اعتمدت التقديرات السكانية للمحافظة التي قاربت بـ (900.000) تسعمئة الف نسمة .

الجدول 2: عدد مقاعد مجالس المحافظات لثلاث دورات انتخابية

ت	المحافظة	انتخابات 2009	انتخابات 2013	انتخابات 2023
1	بغداد	57	58	52
2	نينوى	37	39	29
3	البصرة	36	35	23
4	ذي قار	31	31	18
5	بابل	30	31	18
6	كركوك	15	- *	16
7	الانبار	29	27	16
8	النجف الاشرف	28	29	15

* لم تجر الانتخابات لهذه الدورة

9	ديالى	29	29	15
10	صلاح الدين	27	29	15
11	واسط	28	28	15
12	القادسية	28	28	14
13	ميسان	27	27	14
14	كربلاء المقدسة	27	27	13
15	المثنى	26	26	12
	المجموع	445	444	285

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على المفوضية العليا المستقلة للانتخابات ,دائرة العمليات وتكنلوجيا المعلومات ,شعبة ادارة وتبويب النتائج .

4 التخصيصات المالية لمجالس المحافظات لثلاث دورات انتخابية

ومن خلال معرفة مقدار المرتب الشهري للنائب الواحد وهو(3,015,000) مضروباً في (48) شهراً وهي مدة الخدمة بعدد الاشهر لدورة انتخابية واحدة , اذ بلغ مقدار ما يتقاضاه (425) نائباً خلال الدورة الانتخابية الاولى لعام 2009 حوالي (61.506.000.000) مليار دينار عراقي ,في حين ارتفع هذا المبلغ بفارق ثلاثة مليار دينار تقريباً في مجموع ما تقاضاه جميع الاعضاء في الدورة الانتخابية الثانية لعام 2013 ليصبح المبلغ حوالي (64.255.680.000) مليار دينار عراقي ,الجدول رقم (3) ,ثم انخفض هذا المبلغ, تبعاً للتعديل الاخير لقانون مجالس المحافظات الذي بدورة خفض عدد المقاعد الى (285) مقعداً ,في انتخابات عام 2023 ما يجعل مقدار ما يتقاضونه النواب مجتمعين خلال سنة 2024 بـ (10.311.300.000) لسنة واحدة فقط ,ليصل المبلغ الاجمالي لجميع الدورات الانتخابية حوالي (136.072.980.000) مليار دينار عراقي , الجدول رقم (3).

وحتى لا يتخطى النطاق الزمني للبحث ,ارتأى الباحث ان يدخل عام واحد فقط ,وهو عام 2024 من الدورة الانتخابية الاخيرة ,في موضوع البحث كون الميزانية لهذا العام اقرت متضمنة تخصيصات اعضاء مجالس المحافظات لهذا العام , حيث قد تدخل العملية السياسية في قابل الايام في تعرجات وتجاذبات ,قد تنتهي في تغييرات سياسية ,من الممكن ان تطال هذه المجالس هذا من جانب ,وكون الشعب العراقي قد وعى تماماً ثقل هذه الحلقة وزيادتها على العملية السياسية من جانب اخر .

الجدول 3 : مجموع ما يتقاضاه اعضاء مجالس المحافظات خلال ثلاث دورات انتخابية

ت	الدورة الانتخابية	عدد المقاعد الكلي	مقدار الراتب الشهري للنائب الواحد	مدة الخدمة الكلية بالاشهر	مقدار ما يتقاضاه النائب الواحد خلال دورة انتخابية واحدة	مجموع ما يتقاضاه جميع الاعضاء خلال دورة انتخابية واحدة
1	2009	425	3.015.000	48	144.720.000	61.506.000.000
2	2013	444	3.015.000	48	144.720.000	64.255.680.000
3	2023	285	3.015.000	12*	36.180.000	10.311.300.000
4	المجموع	1.154	—	—	325.620.000	136.072.980.000

المصدر: من عمل الباحث ,بالاعتماد على الجدول 2 .

وفيما يخص السيارات الخاصة لكل نائب فلو افترضنا ان لكل نائب تخصص سيارة واحدة فقط ,لبلغ عدد السيارات (1.154) لثلاث دورات انتخابية في حال لم تخرج احداها عن الخدمة او ان النائب يرغب في الموديلات الاحدث ,فلو افترضنا ان متوسط قيمة السيارة الواحدة يبلغ عشرين الف دولار (30) مليون

* حدد بـ (12) شهر أي عدد المرتبات الشهرية لسنة 2024 فقط التزاماً بالحدود الزمنية للبحث ,وبالتالي ما تم تخصيصه في الميزانية لهذه السنة فقط .

دينار عراقي ,فيكون المبلغ النهائي حوالي (34.620.000.000) مليار دينار عراقي تضاف الى قائمة المصروفات المتحققة في هذا الشأن

النتائج :

1- لم يؤثر غياب وتعليق عمل مجالس المحافظات ,لحوالي عشر سنوات في سير العملية السياسية على مستوى المحافظات .

2- ان مجالس المحافظات عبارة عن نسخة مصغرة للمحاصصة الحزبية في حكومة المركز و (مجلس النواب) .

3- ركزت مجالس المحافظات نفوذ الاحزاب في تلك المحافظات بتسلطها على المشاريع والاستثمارات ,والتعيينات ... الخ ,في المحافظات ,مما عرقل عملية البناء والتنمية فيها, خاصة وانها قد اعطيت صلاحيات واسعة .

4- هنالك حوالي (1154) نائب خلال ثلاث دورات انتخابية ,اثقلت كاهل الدولة بما يخصص لهم من امتيازات ,واستحقاقات غير منصفة ,وغير عادلة خلال الخدمة ,وعند التقاعد حتى .

5- ان عدم اجراء التعداد السكاني طيلة تلك الفترة جعل من اعداد السكان للمحافظات غير دقيق ,بالتالي لم تكن حصص المحافظات من المقاعد دقيقة .

المقترحات :

1- من الممكن تعليق مجالس المحافظات ,كما علق العمل بمجلس الاتحاد من بداية التصويت على الدستور الى يومنا هذا .

2 – الاعتماد على المحافظ ونائبيه في ادارة شؤون المحافظة ,كما سبق ,و تم ادارة شؤون المحافظة لمدة عشر سنوات تقريباً .

3- اضافة صلاحيات محلية لنواب البرلمان ,لكل محافظة وتقسيم عملهم بين مجلس النواب تارة والرقابة على عمل السلطات التنفيذية داخل محافظاتهم تارة اخرى ,او تقسيم النواب في البرلمان الى لجان من شأنها الرقابة على محافظات معينة تحدد لهم , حتى يعوض عن فقدان الدور الرقابي لمجالس المحافظات في حالة تعليق العمل بها .

4 – ارجاع النائب الذي كان مسبقاً يتمتع بوظيفة الى وظيفته مع احتساب خدمة الدورة الانتخابية المتمثلة بأربع سنوات الى خدمته, في وظيفته الاصلية ,والغاء امتياز مكافئة نهاية الخدمة الخاص بالدورة الانتخابية ,وان يتقاعد النائب وفق وظيفته وسنوات الخدمة وراتبه المقررة له في وظيفته الاصلية .

5– الاخذ بالارقام الرسمية التي خرج بها التعداد السكاني ,و الاعتماد على الاحصائيات الدقيقة الرسمية من وزارة التخطيط ,ليكون عدد النواب في البرلمان وفي مجالس المحافظة في حال بقاء العمل بها , اكثر واقعية واكثر دقة .

قائمة المراجع

القرآن الكريم –

1- **اولاً** –المقالات العلمية :

1– زهراء عبد الحافظ محسن وايمان عبيد كريم , 2021 , عضو مجلس المحافظة بين الترشيح والتكليف , ,مجلة جامعة الامام الصادق للعلوم الانسانية والاجتماعية ,المجلد (1) ,العدد (1) , ص325 – 327 .

الرسائل الجامعية : **ثانياً** –

1– انفال حسن فاضل , 2022,التنظيم القانوني لمجالس المحافظات في دستور العراق الاتحادي 2005, رسالة ماجستير ,جامعة الشرق الاوسط ..

: الدساتير والقوانين **ثالثاً** –

1– دستور جمهورية العراق لعام 2005 ,منشور في مجلة الوقائع العراقية العدد (4012) ,في 2005 ,السنة السابعة والاربعون.

2– قانون مجالس المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم 21 لسنة 2008 المعدل

– مواقع الانترنت : **رابعاً**

1– فارس عبد الرحيم حاتم , 2022,الاساس القانوني لتعليق عمل المجالس المحلية في العراق ,موقع جامعة الكوفة كلية القانون ,الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت على الرابط

www.law.uokufa.edu.iq

تاريخ دخول الموقع 2025/8/7 .

2. وسام الملا , 2021,تحرك نيابي حول الحقوق التقاعدية لفئة من اعضاء مجالس المحافظات ,وكالة الانباء العراقية ,الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت ,على الرابط , www.ina.iq تاريخ دخول الموقع 2025/8/7 .

Measuring the Quality of Information Services in University Libraries: The Central Library of Northern Technical University as a Model

[1]M.M. Hussam Abdulkarim Abdullah
Central Library / Northern Technical University
mti.lec88.hussam@ntu.edu.iq
[2]M.M. Asmaa Ghanem Ramadan
University of Mosul / Department of Information and Knowledge Technologies
asmaa2020@uomosul.edu.iq

Abstract
This study aims to identify the level of user satisfaction with the information services provided by the Central Library of the Northern Technical University. It also seeks to evaluate the quality of these services in meeting users' needs and to determine the role of modern technology in enhancing the quality of information services offered by the library. Additionally, the study aims to identify the most frequently used information sources by the beneficiaries. The study adopted the descriptive analytical method to measure the quality of information services through analyzing the opinions of the library's users. The study reached several important findings, the most notable of which is that approximately half of the users (50%) perceive the library primarily as a reading hall, reflecting an awareness of its use for academic purposes. One of the key recommendations of the study is the development of a periodic evaluation system to assess user satisfaction with library services. This can be implemented electronically by preparing a questionnaire to be made available on the library's website in order to understand users' needs and improve information services accordingly. electronically through the creation of an online survey form on the library's website, ensuring better understanding of user needs and enhancing information services accordingly.

Keywords: University Libraries, Information Services, Library Quality

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

قياس جودة خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجآ

م.م. حسام عبدالكريم عبدالله [1]
المكتبة المركزية /الجامعة التقنية الشمالية
mti.lec88.hussam@ntu.edu.iq
م.م. أسماء غانم رمضان[2]
جامعة الموصل/ قسم المعلومات وتقنيات المعرفة
asmaa2020@uomosul.edu.iq

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى رضا المستفيدين من خدمات المعلومات المقدمة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية. فضلآ عن تقييم جودة خدمات المعلومات في تلبيها احتياجات المستفيدين. وتحديد دور التكنولوجيا الحديثة في تحسين جودة خدمات المعلومات المقدمة في المكتبة والتعرف على مصادر المعلومات الأكثر استخداما من قبل المستفيدين، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لقياس جودة خدمات المعلومات من خلال تحليل اراء رواد المكتبة المركزية من المستفيدين. وخلصت الدراسة الى عدة نتائج هامة، كان من أبرزها: تشير نتائج الدراسة أن نصف المستفيدين تقريبا والتي تشكلت (50٪) ينظرون إلى المكتبة كقاعة للمطالعة، مما يعكس وعياً باستخدامها في الأغراض الدراسية ومن أهم التوصيات التي قدمتها الدراسة: العمل على تطوير نظام تقييم دوري يعمل على معرفة رضى المستفيدين عن خدمات المكتبة، يمكن أن يكون إلكترونياً من خلال اعداد استمارة (استبيان) توضع على موقع المكتبة لضمان معرفة رغبات المستفيدين وتطوير خدمات المعلومات وفق احتياجاتهم.

الكلمات المفتاحية: المكتبات الجامعية، خدمات المعلومات، الجودة في المكتبات

المقدمة:

تعد المكتبات الجامعية منارات للثقافة والمعرفة، تلعب دورا محوريا في دعم التعليم والبحث العلمي داخل الجامعات، ولم تعد مجرد مستودعات للكتب، بل تحولت إلى مراكز للإنتاج الفكري والمعلوماتي. ومع تسارع التطورات التكنولوجية والمعرفية، أصبحت المكتبات الجامعية تواجه تحديات عديدة تفرض عليها مواكبة الأساليب الحديثة لضمان البقاء والاستمرار .وفي ظل هذه المتغيرات، تسعى المكتبات الجامعية إلى تحسين مستوى خدماتها عبر تبني مفهوم الجودة، خصوصًا فيما يتعلق بخدمات المعلومات. وقد برزت أهمية قياس جودة هذه الخدمات لكونه أداة مهمة لفهم مدى كفاءة المكتبة في تلبية احتياجات المستفيدين. وتتنوع مؤشرات القياس ما بين تقييم الأداء الوظيفي للمكتبة، ورضا المستفيدين، ومستوى الخدمات المقدمة فيها.

الإطار العام للدراسة

1– مشكلة الدراسة: –

تعد المكتبة إحدى الركائز الثقافية التي تعكس تطور الأمم وتحفز النمو العلمي والمعرفي للأفراد، فهي المصدر الرئيس للباحثين والدارسين في تحصيل المعلومات. ومع تطور المكتبات عبر العصور وتنوع أشكالها ووظائفها، برزت المكتبة الجامعية بوصفها العمود الفقري لمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، لما تقدمه من دعم معرفي ومعلوماتي يسهم في إنجاح العملية التعليمية والبحثية. وتتطلب طبيعة الدور الحيوي الذي تضطلع به هذه المكتبات، تطوير خدماتها بما يتواكب مع التحولات التكنولوجية، وذلك من خلال تبني معايير الجودة كأداة لضمان تقديم خدمات متميزة تلبي احتياجات المستفيدين. فرغم أن مفهوم الجودة شاع أساساً في المؤسسات الاقتصادية، إلا أن تطبيقه في البيئة المكتبية يمثل أحد ملامح التميز والتطور، وقد أثبتت التجارب في عدد من الدول المتقدمة أن اعتماد هذه المعايير يسهم في تعزيز مستوى الخدمة وجذب المستفيدين.

2– ستحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1– كيف يمكن قياس رضا المستفيدين عن خدمات المعلومات في المكتبة المركزية بالجامعة التقنية الشمالية؟ ويتحقق ذلك من خلال:

أ– أنماط استخدام المستفيدين للمكتبة وتكرار مدى ترددهم للمكتبة.

ب– تقييم مدة نظام الإعارة وعدد الكتب المعارة.

ت- التعرف على مصادر المعلومات الأكثر استخدامًا من قبل المستفيدين.

2- ما معايير الجودة التي تعتمدها المكتبة المركزية في تقديم خدماتها؟ ويتضمن ذلك:

أ- مدى تلبية احتياجات المستفيدين من خدمات المعلومات ودرجة رضاهم عنها.

ب- مدى توفير موظفين متخصصين للرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية).

ت- مدى استخدام التقنيات الحديثة للبحث في المكتبة.

ث- ما هي الصعوبات التي تواجه المستفيدين في المكتبة.

ج- مدى مساهمة المكتبة في التفاعل مع المستفيدين في حل مشكلاتهم البحثية.

ح- ما الذي تحققه التكنولوجيا الحديثة من فوائد في المكتبة من وجهة نظر المستفيدين.

3- أهداف الدراسة: -

تسعى هذه الدراسة الى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرف على مستوى رضا المستفيدين من الطلبة (الدراسات الأولية – الدارسات العليا) عن خدمات المعلومات المقدمة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية.

2- تحليل أنماط استخدام المستفيدين للمكتبة وعدد مرات التردد اليها.

3- التعرف على مدة نظام الإعارة المتبع في المكتبة ومدى كفاءة هذا النظام في تلبية احتياجات المستفيدين، خصوصا فيما يتعلق بعدد الكتب المعارة.

4- التعرف على مصادر المعلومات الأكثر استخدامًا من قبل المستفيدين.

5- تقييم جودة خدمات المعلومات ومدى تلبيها لاحتياجات المستفيدين من المكتبة من وجهة نظر المستفيدين.

6- التعرف على مدى توفير موظفين متخصصين للرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية).

7- التعرف على التقنيات الحديثة للبحث داخل المكتبة، مثل نظام كوها (الفهرس الالي) والمكتبة الرقمية والبحث في قواعد البيانات مثل منصة (Research4Life) المستخدمة في المكتبة.

8- التعرف على الصعوبات التي تواجه المستفيدين في المكتبة.

9- التعرف على مدى مساهمة المكتبة في التفاعل مع المستفيدين في حل مشكلاتهم البحثية.

10- تحديد دور التكنولوجيا الحديثة في تحسين جودة خدمات المعلومات المقدمة المكتبة.

4- أهمية الدراسة: -

تكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، حيث برزت أهمية التعرف على مستوى رضا المستفيدين من الطلبة عن خدمات المعلومات المقدمة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية. فضلاً عن تحديد نقاط القوة والضعف في الخدمات المقدمة لدى المكتبة المركزية، من خلال الاستناد إلى آراء المستفيدين الفعليين المترددين للمكتبة، كما تعزز الوعي لدى المستفيدين والعاملين بأهمية جودة خدمات المعلومات المكتبية، وتشجع على الاستخدام الفعال للمصادر المتاحة.

5- منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لقياس جودة خدمات المعلومات من خلال توصيف وتحليل آراء المستفيدين المترددين للمكتبة المركزية من الطلبة. حيث تم جمع الحقائق ومعالجتها وتحليلها وتفسيرها للوصول الى نتائج تعالج المشكلة المطروحة انفآ.

6- ادوات جمع البيانات: -

اعتمدت الدراسة الاستبيان كأداة رئيسية لجميع البيانات اللازمة حيث تم توزيع الاستبانة على عينه الدراسة والبالغ عددهم (150) استبانة استرجعت بالكامل، وتم الاعتماد على مراجعة الانتاج الفكري كأداة لجمع المادة النظرية للدراسة.

7- عينة الدراسة: -

تم اعتماد العينة العمدية للدراسة التي تتكون من (150) مستفيد من طلبة (الدراسات الأولية – الدراسات العليا) من رواد المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية، تم اختيارهم من مختلف التخصصات، وبمستويات دراسية متعددة، وذلك لضمان تمثيل شامل وموضوعي لآراء المستفيدين من خدمات المكتبة.

8- حدود الدراسة: -

1- الحدود الموضوعية: قياس جودة خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجآ

٢- الحدود المكانية: المكتبة المركزية /الجامعة التقنية الشمالية.

٣- الحدود الزمنية:2024– 2025.

9- الدراسات السابقة: -

1– (عبدالرزاق، 1، ع10، 2013) تهدف الدراسة إلى التعرف على مستوى تطبيق أدارة الجودة الشاملة لخدمات المعلومات في المكتبات الجامعية العراقية، وبيان مدى التفاوت في جودة الخدمة المكتبية المقدمة من المكتبة الجامعية موضوع الدراسة، مع بيان الأسس المعتمدة في تقويم الأداء لخدمات المعلومات في المكتبات الجامعية العراقية. لقد استخدمت الدراسة كل من المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المسحي بجمع البيانات. واستخدمت الدراسة العينة العمدية لتمثيل مجتمع الدراسة وحرجت الدراسة بجملة من النتائج التي من أبرزها:

1- وجود فروق بين المعدل العام للخدمة الفعلية والمعدل العام للخدمة المتوقعة بشكل عام

2- لقد تحدد الفرق في المعدل العام بين متوسطي الخدمة الفعلية والخدمة المتوقعة على مستوى جودة الخدمة بـ (-0.321) وهو فارق سلبي.

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات من أهمها: –

1-أمكانية استخدام قياس الجودة كهدف استراتيجيا بعيد المدى، باعتماده على تطبيق المعايير العالمية والتنافسية في تقديم أفضل الخدمات من قبل المكتبات، والعمل على تطويرها وتقييم أدائها وجعلها هدفا تسعى إلى تحقيقه من قبل جميع العاملين في المكتبات.

2- الاهتمام المباشر من قبل المكتبة قيد الدراسة باستحداث قسم متخصص بنظام إدارة الجودة يسمى قسم إدارة الجودة والاعتماد الأكاديمي.

2– (حسنين، مج 11، ع3 ،2024،) تهدف هذه الدراسة إلى تقييم مستوى جودة الخدمة (SQ) التي تقدمها المكتبة المركزية لجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية (KFU) من وجهات نظر المستخدمين باستخدام مقياسLibQUAL+ تم توزيعه داخل الحرم الجامعي والمكتبة على عينة الدراسة التي بلغ حجمها (133) مستجيبا، وقد اعتمدت الدراسة على استخدام المنهج التقييمي، كما اعتمدت الدراسة في جزء منها على المنهج الوصفي (دراسة الحالة). وكشفت نتائج المسح أن مستخدمي المكتبة لديهم أقصى التوقعات المرجوة في المكتبة كبعد المكتبة كمكان (LP) من بين ثلاثة أبعاد. وجاء ترتيب نتائج الدراسة للأبعاد الثلاثة لقياس الأداء الفعلي للمكتبة على التوالي المكتبة كمكان (LP)، يليها التحكم بالمعلومات (IC)، وتأثير الخدمة (AS)بناءً على متوسط الدرجات 6.91 و6.56 و6.21 على التوالي. كما كشفت نتائج عينة الدراسة أن جودة خدمات المكتبة الملموسة للمستخدمين (LSQ) أقل من المستوى

المطلوب المتوقع، ومن توصيات هذه الدراسة أن نتائج هذه الدراسة ستكون مفيدة في تحسين الأداء الضعيف للمكتبة من خلال مراجعة المجالات والعناصر التي لوحظ فيها ضعف في جودة خدمات المكتبة LSQ).

مصطلحات الدراسة:

1-المكتبات الجامعية: عرفت الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات المكتبة الجامعية بأنها: مكتبة أو نظام من المكتبات تنشئه وتدعمه وتديره الجامعة، لمقابلة الاحتياجات المعلوماتية للطلبة وهيئة التدريس، كما تساند برامج التدريس والأبحاث والخدمات (الله، 2001).

2- خدمات المعلومات: تعرف على إنها الناتج النهائي الذي يحصل عليه المستفيد من المعلومات الذي يتحقق بتفاعل العنصر البشري مع تكنولوجيا المعلومات، وترتبط خدمات المعلومات بنشاط المستفيد ومدى احتياجه للمعلومات حيث ان كل معلومة تقدم هي لغرض تخطي عقبة ما وبينها (قاسم، 1984).

الجانب النظري:

نشأة الجودة في المكتبات الجامعية

لقد جاءت محاولة إدخال مفهوم الجودة وإدارتها إلى المكتبات ومراكز المعلومات متأخرة نوعا ما، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر في ولاية المتحدة الأمريكية حيث كان أول تطبيق لمفهوم إدارة الجودة على المكتبات المستشفيات والمكتبات العسكرية كذلك بعض مراكز المعلومات الملحقة بالشركات والمنظمات التجارية وان الحديث عن الجودة في المكتبات يعود إلى صدور العديد من الأدلة والكتابات التي تشير إلى قياس أداء المكتبات بهدف التأكد من سرعة استجابتها الدقيقة لاحتياجات مستفيديها من اقتناء او توفير وتسليمً بأقل التكلفة.. وتعد جامعة اوريغون الحكومية من اوائل الجامعات التي تبنت مدخل الجودة الشاملة سنة 1989، ثم قامت بتطبيق الفعلي له 1990 في مكتباتها، بهدف تحسين خدماتها تلتها محاولة مكتبة جامعة هارفارد تم اتسعت دائرة الاستخدام إلى باقي الدول الاخرى. (كرتبو)

مفهوم الجودة

تعرف الجودة لغة: بأنها إجاد الشيء جودة وجودة اي صار جيداً. والجيد نقيض الرديء ومثلها التجويد وايجاد فلان في عمله واوجد وجاد عمله: يجود جودة.

كما تعرف الجودة اصطلاحاً: بأن كلمة الجودة كون الشيء جيدا او درجة الامتياز او مطابقة للمتطلبات والمواصفات او مجموعة خواص المنتج او الملائمة للاستخدام او من الأخطاء والعيوب او مدى تلبية حاجات المستفيدين ودرجه

أضاءه. ومن الجدير بالذكر ان مصطلح الجودة لا تستخدم فقط للمقارنة او المفاضلة او التمييز بين الخدمتين من نوعين متشابهين وإنما العناصر المهم في تقرير الجودة وهو مدل قدرة الخدمة في تلبية رغبات المستفيدين وتوقعاته لذا تعني الجودة من وجهة النظر. هذا الامداد المستفيدين بما يحتاجه من خدمات ذات موصفات وخصائص تلبي رغباته في الوقت الذي يريد

اهمية الجودة في المكتبات الجامعية

تتلخص اهمية الجودة في المكتبات الجامعية في عدة عوامل هي (الهادي، 2016) : -

1- بلوغ درجة الامتياز في العلاقات مع المستفيدين

2- تحسين نوعية ومستوى الخدمات

3- دعم مصالح وإطارات المكتبة بالمعلومات والوثائق المختلفة. التي يحتاجون إليها.

4- استغلال الطاقات البشرية والمادية المتوفرة في المكتبة ومن ثم تحقيق التقديم لها وتنويع مصادرها والسيطرة على تكاليفها.

5- استغلال تنوع منتجات المعلومات لأحاطه المستفيدين بكل مستجدات. التي تخدم وظائفهم وابحاثهم

6- تبنى الطرق والأساليب المتطورة في تحليل المعلومات ومعالجتها وحفظها وبنيها للمستفيدين

مفهوم جودة الخدمات في المكتبات الجامعية

تعرف جودة الخدمات بانها تلك الخدمات التي تختلف كثيراً في القطاع الخدمات قياسا الى القطاع الإنتاجي المتمثل في السلع الملموسة وهذا راجع إلى كون تقييم المستفيدين لجودة الخدمات في مجال السلع قد يكون قبل الحصول عليها على عكس الخدمات المكتبة مثلاً، حيث يكون المستفيد احكامه على الجودة بعد عملية تقديم الخدمة وانشاءها وعلى المنافع النهائية التي يجنيها من ذلك اضافة إلى بعض المعايير كسلوك العاملين ومعاملاته وفورية تقديم الخدمات. وان الخصائص التي تنفرد بها الخدمات ملموسة وعدم تماثل او التجانس او تلازميه والتذبذب خلالها وله صعوبة في تحديد التعريف موجد المرتبط بجودة الخدمات وعموما يمكن القول بان مفهومها ينعكس من خلال تقييم المستفيدين من الخدمات لدرجة الامتياز والتفوق الكلي في ادائها كما عرف جودة الخدمة لأنها تشمل مهارات بشرية فنية في اداء الخدمة ومهارات سلوكية في التعامل كما وجود تصميم نحو ما دي مؤثر نفسيا وهو الجو المحيط بالخدمات مثل تصميم المبني وأماكن تقديم الخدمة وتجهيزاتها (كرتبو . مصدر سابق)

مراحل تطبيق الجودة في المكتبات الجامعية

ان تطبيق منهج الجودة في المكتبات يمر بعدة مراحل وهنا يهد في الاستغلال الكامل لمواردها وبأقصى فعالية وكفاءة لتحقيق اهدافها وهي: –

1– التخطيط الجودة: يقصد بالتحقيق تحديد الأهداف وكيفية تحقيقها والوصول إليها ويجب أن تأخذ عملية التخطيط المواجهة للجودة في الحسبان كل احتياجات المستفيدين والزبائن للمكتبة الجامعية وكذا العمال في نفس الوقت بالإضافة الى بعض الأمور البيئة بحيث يمكن تحقيقها بصورة كاملة وللوصول إلى الجودة الشاملة يجب ان تجري المكتبة تغييراً جذرياً حيث يذهب هذا التعبير الى ابعد من تبديل العراقة او تعديل العملية فهو في البداية يمس الثقافة إلى ثقافة المكتبة ككل والتي تشمل تغيير الطريقة التي تؤدي بها الأعمال كذلك العادات والتقاليد الإدارية والسلوكيات التقليدية السائدة هذه المتغيرات تنعكس على ثقافة المكتبة لتصبح في سياساتها (كبلاد، 2008)

2– تحديد احتياجات المستفيدين: وتعتبر هذه المرحلة احدى المحطات. الأساسية في التوجه نحو تجسيد فلسفة الجودة في المكتبات. لان تكريس مبدأ الجودة في المكتبة لا يكون إلا بالتعريف اولاً على أفراد والأنماط المستفيدين وما هي سماته إذا تعدد اشكال المستفيدين وتتغير سماتهم حسب نوع المكتبة التي يقصدون للاستفادة من خدماتها إن تحديد المستفيد يسمح بتصميم جيد للخدمات المقدمة داخليا (الخرينج، مج 25 ع 5 2006)

3– وضع الأهداف: اذاً منهج الجودة كلها لا يمكن أن يصبح مصدراً حقيقي للتقديم إلا إذا حددت المكتبة سياسيات في مجال الجودة وعرفت بها واعلنت عن اهداف الجودة المراد تحقيقها إلا انه لما لم يكن العاملون مستوعبين الأهداف والمتعين بلوغها اولم يكونوا منسجمين فيما بينهم فإن مضاعفة عدد العاملين او احداث تغير في مراكز العمل في كل مكان لن تؤدي بضرورة إلى ارضاء المستفيدين في المرحلة النهائية (سوتير، مج 20 ,ع 1، 1996)

4– تطوير ملامح الخدمة: الخدمات المثابة مراء كالحسة المدن نشاط المكتبات ومن ثم نجا مها في اداء رسالتها ومن خلال مدخل الجودة فيجبب على المكتبات العمل على إيجاد الصبغة لتطورية في خدمتها وللوصول إلى هذا المسعى فهي مطالبة لتوفير جملة من الخصائص ان عملت على تجسيدها في الواقع فهي ستنجح في المرور بهذه المرحلة وثم الدخول عالم الجودة من بابه الواسع. وباختصار يمكن وضع هذه الخصائص فيما يلي: –

– الدقة المناسبة الوقت في اداء الخدمة كذلك ضرورية التكامل بين المستفيد المكتبي.

– اللطف وحسن القبول اضافة الى التوقيع بحاجات الزبائن معرفتها .

– القيمة الجمالية والشهرة

متطلبات تطبيق الجودة الشاملة في المكتبات الجامعية

1- قياس اداء الجودة.

2- ادارة فعل الموارد البشرية والجهاز الإداري الفني بالمكتبة الجامعية.

3- التعليم والتدريب بالمكتبات الجامعية مستثمرين لكافة الافراد العاملين بالمكنية الجامعية.

4- تهيئة مناخ العمل والثقافة التطبيقية.

5- تبني انماط قيادية مناسبة للنظام الجودة الشاملة تكلفة المؤسسة الأم التابعة لهذه المكتبة.

مشاركة جميع العاملين في الجهود المبذولة لتحسين مستوى الاداء

6- مشاركة المكتبات والمراكز المعلومات معايير داخلية الحسين جودة الخدمات المعلوماتية وتعمل على تحقيقها.

7- مساندة اغراض الأهداف المستفيدين وامداد هم بها -يحتاجونه لجودة عالية بناء على معايير الجودة المعمولة بها على الصعيد الدولي (حميدة، مج 17، 14 , تونس 1999)

الجانب العملي: -

تمثلت هذه الدراسة في عرض وتحليل اسئلة الاستبيان التي تم توزيعها على عينة مكونة من (150) مستفيد من رواد المكتبة المركزية/الجامعة التقنية الشمالية، ممن ينتمون إلى تخصصات مختلفة. حيث هدفت هذه الأداة إلى رصد آرائهم وتقييماتهم حول مستوى الخدمات المعلوماتية المقدمة في المكتبة المركزية، ومدى تلبية تلك الخدمات لاحتياجاتهم الأكاديمية والبحثية.

نبذة عن المكتبة المركزية: -

تأسست المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية في 15 /2018/4، وتتبع إدارياً لرئاسة الجامعة. تقع في بداية الحرم الجامعي بجوار النادي الطلابي، وتشغل مبنى مستقلا بها بمساحة تقدر 1200 متر مربع، محاط بحدائق من جميع الجهات. يتكوّن المبنى من طابق واحد يضم مدخل للاستعلامات وقاعة استراحة للطلاب وحديقة داخلية واسعة. تحتوي المكتبة على أربع قاعات رئيسية: قاعة للمطالعة، وقاعة للندوات والمؤتمرات تضم ركن الفرانكفوني الفرنسي (أُنشئ عام 2022)، وقاعة مخصصة لطلبة الدراسات العليا التي استحدثت في المكتبة في الشهر الثاني 2025 وتشمل مختبرا للمكتبة الرقمية، بالإضافة إلى قاعة لمصادر المعلومات وورشة فنية للفهرسة والتصنيف. كما يضم المبنى أربع غرف إدارية موزعة على: مكتب أمين

المكتبة، الشعبة الإدارية، شعبة النظم الآلية، وشعبة خدمات المستفيدين، مما يعكس تنظيمًا إداريًا متكاملًا يدعم الخدمات المقدمة للمستفيدين.

المحور الأول / المعلومات العامة:

1- توزيع المستفيدين من رواد المكتبة المركزية/الجامعة التقنية الشمالية حسب الجنس: -

جدول (1) التوزيع حسب الجنس

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	67	٪44.7
اناث	83	٪55.3
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (1) أن الإناث يشكلن النسبة الأعلى من المستفيدين الذين يترددون إلى المكتبة، حيث بلغت نسبتهم (55.3%)، مقابل (44.7%) من الذكور. ورغم هذا التفاوت البسيط إلا أن النسب تعد متقاربة نسبياً، مما يعكس توازناً جيداً في مشاركة الجنسين في الاستفادة من خدمات المكتبة. فضلاً عن العمل الجماعي المشترك ما بين المستفيدين ووعي كلا الطرفين من (الذكور والإناث) بأهمية المكتبة كمصدر للمعلومات.

2- توزيع المستفيدين حسب المستوى الدراسي: -

جدول (2) التوزيع حسب المستوى الدراسي

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
دراسات أولية (كلية /معهد)	111 (61 مستفيد كلية-50 مستفيد معهد)	٪74
دراسات عليا (ماجستير/دكتوراه)	39 ماجستير	٪26
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (2) أن النسبة الأكبر من المستفيدين المترددين إلى المكتبة هم من طلبة الدراسات الأولية، حيث جاءت بنسبة قدرها (74%)، في حين شكل طلبة الدراسات العليا نسبة قدرها (26%) فقط من إجمالي المستفيدين. ويعود هذا التفاوت الواضح إلى حداثة برامج الدراسات العليا في بعض كليات الجامعة التقنية الشمالية، فضلاً عن حداثة قاعة الدارسات العليا في المكتبة المركزية مما يفسر انخفاض نسبة ترددهم على المكتبة مقارنة بطلبة الدراسات الأولية.

المحور الثاني /رضا المستفيدين عن خدمات المكتبة المركزية (Poll، 2007)

1- ما الذي تمثله المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية بالنسبة لك؟

جدول (3) استخدام المكتبة المركزية من وجهة نظر المستفيدين

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
مكان للبحث العلمي	59	٪39.3
قاعة للمطالعة	75	٪50
مكان للقاء الاصدقاء	16	٪10.7
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (3) أن نصف المستفيدين تقريبا التي تشكل (50٪) ينظرون إلى المكتبة كقاعة للمطالعة، مما يعكس وعياً باستخدامها في الأغراض الدراسية، في حين يرى(39.3٪)من المستفيدين أن المكتبة تمثل لهم مكاناً للبحث العلمي، وهي نسبة مشجعة تعكس إدراكا متزايدا لأهمية المكتبة كرافد للمعلومة الأكاديمية والبحثية. في حين أتت (10.7٪) كمكان للقاء الأصدقاء، وهي تمثل وجهة نظر يجب التوقف عندها، كونها تدل على استخدام المكتبة لأغراض غير أكاديمية، ما يستدعي تعزيز التوعية بالأهداف والخدمات التي تقدمها المكتبة.

2- هل تتردد على المكتبة المركزية/الجامعة التقنية الشمالية؟

جدول (4) التردد الى المكتبة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
دائماً	37	٪24.7
احياناً	75	٪50
نادراً	38	٪25.3
المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (4) أن غالبية المستفيدين بلغت نسبتهم (50٪) يرتادون المكتبة أحيانا، مما يشير إلى استخدامهم الموسمي للمكتبة، أي غالبا في فترات الامتحانات أو عند الحاجة لإعداد البحوث، في حين أتت نسبة المستفيدين الذين نادراً ما يزورون المكتبة بلغت (25.3%)، ويرجح ان قلة ارتياد هؤلاء المستفيدين للمكتبة هم من طلبة المرحلة الأولى ليس لديهم أي فكرة عن مدى أهمية المكتبة وما تقدمه من خدمات المعلومات، كما أتت(24.7%) فقط من المستفيدين يرتادون المكتبة دائماً، وهي نسبة لا تعكس الاستخدام الأمثل للموارد والخدمات التي تقدمها المكتبة.

3- هل ترى ان مواعيد فتح المكتبة المركزية التي تبدأ من الساعة 8.30 صباحاً الى 2.30 مساءً مناسبة؟

جدول (5) مواعيد فتح المكتبة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	116	٪77.3
لا	34	٪22.7
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (5) أن (77.3٪) من المستفيدين يرون أن مواعيد فتح المكتبة مناسبة، مما يدل على رضا الغالبية عن الجدول الزمني المعتمد في تقديم الخدمات المكتبية، ويعكس أيضًا نوعاً من الالتزام والانضباط الزمني في إدارة المكتبة. في حين ان نسبة (22.7٪) من المستفيدين غير راضين عن أوقات الفتح، وغالبا ما يرجع ذلك إلى تعارض ساعات فتح المكتبة مع جداول محاضراتهم، مما يصعب عليهم الاستفادة من خدمات المكتبة خلال أوقات فراغهم، مما دفع المكتبة المركزية الى الدوام المسائي المعمول به حالياً لخدمة المستفيدين.

4- هل تناسبك مدة الاعارة المحددة (أسبوعاً واحداً)؟

جدول (6) نظام الإعارة في المكتبة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	94	٪ 62.7
لا	56	٪37.3
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (6) أن غالبية المستفيدين التي بلغت نسبتهم (62.7٪) يرون أن مدة الإعارة مناسبة لهم، ما يدل على رضاهم عن نظام الإعارة المعتمد في المكتبة المركزية. في حين ان (37.3٪) من المستفيدين غير راضين، ويرجح أن يكون سبب هذا الرفض هو قصر مدة الإعارة من وجهة نظرهم.

5- هل ترى أن عدد الكتب المعارة كتاب (واحد)/ للدراسات الأولية و(كتابان)/للدراسات العليا؟

جدول (7) عدد الكتب المعارة للمستفيدين

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
كافي	61	٪40.7
غير كافي	89	٪59.3
المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (7) أن (59.7٪) من المستفيدين يرون أن عدد الكتب المعارة غير كافي، مما يشير إلى فجوة واضحة بين احتياجات المستفيدين وما توفره المكتبة المركزية من مصادر قابلة للإعارة. ويعود السبب الى ان المكتبة ملزمة بتطبيق سياسة الإعارة، في حين ان (40.7٪) عبر عن رضاهم.

6- ماهي مصادر المعلومات الاكثر استخداماً بالنسبة لك؟

جدول (8) مصادر المعلومات الأكثر استخداما

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الكتب	104	٪69.3
الدوريات / مجلات	8	٪5.3
معاجم (قواميس -موسوعات)	15	٪10
الحوليات (الكتب السنوية)	2	٪1.3
مصادر الكترونية	15	٪10
مصادر اخرى	6	٪4
المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (8) أن الكتب الورقية هي المصدر الأكثر استخداماً من قبل المستفيدين بنسبة كبيرة حيث بلغت نسبتها (69.3٪)، وهذا يدل على اعتماد المستفيدين على المصادر التقليدية كمصدر أساسي للمعلومة. تليها المصادر الإلكترونية والموسوعات بنسبة متساوية بلغت (10٪)، وهذا ما يشير إلى وعي بأهمية المصادر الالكترونية في دعم البحث الأكاديمي. في حين جاءت الدوريات والحوليات بنسبة (5.3٪ و1.3٪ على التوالي)، وجاءت مصادر أخرى من حيث الاستخدام بنسبة بلغت (4٪).

المحور الثالث/ اعتماد المكتبة المركزية على معايير الجودة في تقديم خدماتها (Poll, op.cit)

1- ما هو تقييمك لخدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية؟

جدول (9) خدمات المكتبة المركزية

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
تلبي احتياجك من خدمات المعلومات	95	٪63.3
لا تلبي احتياجك من خدمات المعلومات	55	٪36.7
المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (9) ان فئة (المكتبة تلبي احتياجات المستفيدين من خدمات المعلومات) جاءت بنسبة قدرها (63.3%) وهذا يدل على مدى كفاءة المكتبة في تلبية خدمات المستفيدين، في حين بلغت فئة (المكتبة لا تلبي احتياجات المستفيدين من خدمات المعلومات) بنسبة قدرها (36.7%).

2- هل يتوفر في المكتبة موظفين متخصصين للرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية)؟

جدول (10) الرد على الاستفسارات المرجعية

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	133	٪ 88.7
لا	17	٪11.3
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (10) أن (88.7٪) من المستفيدين اجابوا أن هناك متخصصين في المكتبة يقومون بالرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية)، في حين ان نسبة (11.3 ٪) من المستفيدين اجابوا ب (لا) ويرجح ان عدم درايتهم بهذه الخدمة ومعرفتهم بها.

3-هل تستخدم التقنيات الحديثة للبحث في المكتبة؟

جدول (11) التقنيات الحديثة في المكتبة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
نظام كوها (الفهرس الالي)	91	٪60.7
المكتبة الرقمية	38	٪25.3
البحث في قواعد البيانات مثل منصة (Research4Life) المستخدمة في المكتبة	21	%14
المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (11) ان المستفيدين الذين يستخدمون نظام كوها (الفهرس الالي الموحد) جاءت في المرتبة الأولى وبنسبة قدرها (60.7 %) وهذا يدل على مدى وعي المستفيدين باستخدام تقنيات وأنظمة المكتبة، في حين جاء استخدام المكتبة الرقمية في المرتبة الثانية وبنسبة قدرها (25.3 %)، ثم تليها استخدام قواعد البيانات وبنسبة فدرها (14%).

4- في رأيك ما هي الصعوبات التي تواجهها في المكتبة المركزية؟

جدول (12) الصعوبات التي تواجهها في المكتبة المركزية

الفئة	التكرار
عدم توقير خدمة الانترنت	113
الإضاءة غير جيدة في أماكن المطالعة	0
عدم وجود عزل صوتي في أماكن القراءة (قاعة المطالعة)	111
عدم وجود شاشات للبحث في فهاس المكتبة	0
عدم وجود طاولات ومقاعد مطالعة مريحة	93

يتبين من الجدول (12) أن أبرز التحديات التي تواجه المستفيدين في المكتبة المركزية تمثلت في عدم توفر خدمة الإنترنت، حيث أشار إلى ذلك (113) مستفيداً، حيث ان خدمة الانترنت متوفر فقط لطلبة

الدراسات العليا، كما أشار (111) مستفيداً إلى عدم وجود عزل صوتي كافي في قاعة المطالعة، وهذا يؤثر سلباً على تركيز الطلبة وبيئة الدراسة الهادئة. بالإضافة إلى ذلك عدم وجود طاولات ومقاعد مطالعة مريحة بحسب ما أشار إليه (93) من المستفيدين. أما بالنسبة لبقية الصعوبات كالإضاءة وشاشات البحث فقد كانت معدومة من حيث التكرار، وهذا يشير إلى رضا عام عن تلك الجوانب.

5- هل تسهم المكتبة في التفاعل معك وحل مشكلاتك البحثية.

جدول (13) مساهمة المكتبة في حل المشاكل البحثية للمستفيدين

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	90	٪60
لا	60	٪40
المجموع	150	٪100

يتبين من الجدول (13) أن 60٪ من الطلبة يشـــعرون بأن المكتبة تســـاهم في التفاعل معهم ومساعدتهم في تجاوز صعوباتهم البحثية، وهو مؤشر جيد على وجود دعم واستجابة من جانب العاملين. في المقابل، يرى 40٪ أن المكتبة لا تؤدي تفاعل مع المستفيدين.

6- في رأيكم ماذا يمكن أن تحقق التكنولوجيا الحديثة من فوائد في المكتبة؟ (التصور العام للجودة)

جدول (14) فوائد التكنولوجيا في المكتبة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
تطوير العمل المكتبي وتسهيله	61	٪40.7
تقليل الاعتماد على المصادر الورقية والتحول نحو المصادر الالكترونية	54	٪36
تفعيل نظام الحجز الالكتروني والاستعارة الالكترونية	35	٪23.3

المجموع	150	٪100

يتضح من الجدول (14) أن أبرز فائدة لتحقيق التكنولوجيا الحديثة في المكتبة كما يراها المستفيدون هي تطوير العمل المكتبي وتسهيله، حيث حصلت على أعلى نسبة بلغت (40.7%)، تليها فائدة تقليل الاعتماد على المصادر الورقية والتحول نحو المصادر الإلكترونية بنسبة قدرها (36%)، في حين إشارة (23.3%) الى تفعيل نظام الحجز الالكتروني والاستعارة الالكترونية في المكتبة.

نتائج الدراسة: –

1- تبين الدراسة ان نسبة الإناث يشكلن النسبة الأعلى من المستفيدين الذين يترددون إلى المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية، حيث بلغت نسبتهم (55.3%)، مقابل (44.7%) من الذكور، فضلاً عن أن النسبة الأكبر من المستفيدين هم من طلبة الدراسات الأولية، حيث جاءت بنسبة قدرها (74%)، في حين شكل طلبة الدراسات العليا نسبة قدرها (26%) فقط من إجمالي المستفيدين. ويعود هذا التفاوت الواضح إلى حداثة برامج الدراسات العليا في بعض كليات الجامعة التقنية الشمالية، فضلاً عن حداثة قاعة الدارسات العليا في المكتبة المركزية مما يفسر انخفاض نسبة ترددهم على المكتبة مقارنة بطلبة الدراسات الأولية.

2- تشير نتائج الدراسة أن نصف المستفيدين تقريبا والتي تشكلت (50٪) ينظرون إلى المكتبة كقاعة للمطالعة، مما يعكس وعياً باستخدامها في الأغراض الدراسية، فضلاً عن أن غالبية المستفيدين والتي بلغت نسبتهم (50٪) يرتادون المكتبة أحيانا، مما يشير إلى استخدامهم الموسمي للمكتبة، أي غالبا في فترات الامتحانات أو عند الحاجة لإعداد البحوث.

3- يرى غالبية المستفيدين ان أوقات فتح المكتبة المركزية والتي تبدأ من 8.5 صباحاً ولغاية 2.5 مساءً مناسبة لهم حيث جاءت بنسبة قدرها (77.3٪).

4- إجابة غالبية المستفيدين والتي بلغت نسبتهم (62.7٪) أن مدة الإعارة مناسبة لهم، ما يدل على رضاهم عن نظام الإعارة المعتمد في المكتبة المركزية. في المقابل يرى معظم المستفيدين أن عدد الكتب المعارة غير كافي حيث جاءت بنسبة قدرها (59.7٪) من المجموع الكلي، ويعود السبب الى ان المكتبة ملزمة بتطبيق سياسة الإعارة.

5- تبين الدراسة ان الكتب الورقية هي المصدر الأكثر استخداماً من قبل المستفيدين بنسبة كبيرة حيث بلغت نسبتها (69.3٪)، وهذا يدل على اعتماد المستفيدين على المصادر التقليدية كمصدر أساسي للمعلومة.

6- يرى غالبية المستفيدين ان المكتبة تلبي احتياجاتهم من خدمات المعلومات حيث جاءت بنسبة (63.3%) وهذا يدل على مدى كفاءة المكتبة في تلبية خدمات المستفيدين.

7- اجابوا غالبية المستفيدين أن هناك متخصصين في المكتبة يقومون بالرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية)، والتي جاءت بنسبة قدرها (88.7٪).

8- جاء استخدام نظام كوها (الفهرس الالي الموحد) في المرتبة الأولى من قبل المستفيدين وبنسبة قدرها (60.7 %) وهذا يدل على مدى وعي المستفيدين باستخدام تقنيات وأنظمة المكتبة.

9- تمثلت الصعوبات التي يواجه المستفيدين في المكتبة المركزية هو عدم توفر خدمة الإنترنت، حيث أشار إلى ذلك (113) مستفيداً، حيث ان خدمة الانترنت متوفر فقط لطلبة الدراسات العليا، كما أشار (111) مستفيداً إلى عدم وجود عزل صوتي كافي في قاعة المطالعة، وهذا يؤثر سلباً على تركيز الطلبة وبيئة الدراسة الهادئة.

10- أظهرت النتائج أن أبرز فائدة يمكن ان تحققها التكنولوجيا الحديثة في المكتبة من وجهة نظر المستفيدون هي تطوير العمل المكتبي وتسهيله، حيث حصلت على أعلى نسبة بلغت (40.7%)، تليها فائدة تقليل الاعتماد على المصادر الورقية والتحول نحو المصادر الإلكترونية بنسبة قدرها (36%).

توصيات الدراسة: –

1- تعزيز ثقافة استخدام المكتبة من خلال تنفيذ حملات تعريفية وتوعوية منتظمة توضح أهمية المكتبة كمصدر بحثي وليس فقط كمكان للمطالعة او مكان للقاء الأصدقاء ويتم ذلك من خلال إدارة المكتبة والعاملين فيها.

2- توعية المستفيدين من طلبة الدراسات الأولية والدراسات العليا وذلك من خلال إقامة ورش وندوات او وضع بوسترات جدارية عن امكانية تجديد مدة الإعارة في حالة انقضاء فترة الإعارة المنصوص عليها في سياسة المكتبة المركزية.

3- من الضروري اعلام المستفيدين بخدمات المكتبة المركزية وما تقدمه، فضلآ عن تحفيزهم على استخدام الدوريات والمصادر الإلكترونية المتوفرة في المكتبة وتدريبهم على استخدام قواعد البيانات مثل منصة (Research4Life) وكيفية البحث فيها.

4-من الضروري توفير غرف صامته في المكتبة المركزية تدعم بيئة القراءة والبحث داخل المكتبة تكون مجهزة بالأثاث الحديث، ومقاعد مريحة للجلوس.

5- العمل على تطوير نظام تقييم دوري يعمل على معرفة رضى المستفيدين عن خدمات المكتبة، يمكن أن يكون إلكترونياً من خلال اعداد استمارة (استبيان) توضع على موقع المكتبة لضمان معرفة رغبات المستفيدين وتطوير خدمات المعلومات وفق احتياجاتهم.

6- العمل على تطوير البنية التحتية الرقمية وتحديث نظام الفهرسة والبحث الإلكتروني، لضمان سهولة الوصول إلى المعلومات.

قائمة المراجع

الكتب

حشمت قاسم. (1984). خدمات المعلومات مقوماتها وإشكالها. القاهرة: دار غريب.

جوزيف كبلاد. (2008). تكامل اعادة الهندسة مع إدارة الجودة الشاملة. الرياض: دار المريخ.

سيد حسب الله. (2001). الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات انكليزي- عربي. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

محمد فتحي عبد الهادي. (2016). الجودة وقياس الأداء في مرافق المعلومات العربية. القاهرة: دار الجواهر للنشر والتوزيع.

المقالات

إريك عبد اللطيف سوتير. (مج 20 ,ع 1، 1996). منهج الجودة في المكتبة: أسئلة اجوبة. المجلة العربية المعلومات، صفحة 136.

جنان صادق عبدالرزاق. (1، ع10، 2013). شيد حميد مزيد. قياس مستوى جودة خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة بغداد.-. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، الصفحات 452-464.

كينيل مارغرين، تزين حميدة. (مج 17، 14 , تونس 1999). لتصرف الجير والخدمات المكتبية والإعلامية: التنافسية من أجل ثورة إعلامية. المجلة العربية للمعلومات، صفحة 134.

متعب ناصر الخرينج. (مج 25 ع 5 2006). تحديد احتياجات المستفيدين من خدمات مكتبات كلية التربية الأساسية ومصادرها وإمكانياتها. بدولة الكويت. مجلة المكتبات والمعلومات العربية، صفحة 164.

مصطفى أحمد حسنين. (مج 11، ع3 ،2024،). قياس جودة خدمات المعلومات في المكتب المركزية لجامعة الملك فيصل من خلال .LibQUAL+المجلة الدولية لعلوم المعلومات والمكتبات، الصفحات 234-235.

المصادر الالكترونية والمواقع

ابراهيم كرتبو. (بلا تاريخ). الجودة في المكتبات ومركز المعلومات. تاريخ الاسترداد 1 5, 2025، من https://fr.scribd.com/

Roswitha, Boekhorst, Peter te, Koopman, Sjoerd Poll. (2007). Measuring Quality: Performance Measurement in Libraries. - 2nd Revised Edition K. G. Saur Verlag: Munich. تاريخ الاسترداد 1 5, 2025، من https://repository.ifla.org/handle/20.500.14598/956

ملحق (1)

الجامعة التقنية الشمالية

معهد الادارة التقني – نينوى

قسم تقنيات المعلومات والمكتبات

قياس جودة خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجآ

م/ استمارة استبيان

الأخ الكريم – الأخت الكريمة

تحية طيبة...

يروم الباحثان أجراء دراسة تحت عنوان قياس جودة خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجآ، لذا نرجو تعاونكم معنا في الإجابة على فقرات الاستبيان بدقة وموضوعية للحصول على نتائج أكثر صدقاً وخدمة للمسيرة العلمية وأنها متخصصة لأغراض البحث العلمي فقط لذلك لا داعي لذكر الاسم.

ولكم فائق الشكر والتقدير

م.م. حسام عبدالكريم عبدالله **م.م. اسماء غانم رمضان**

جوده خدمات المعلومات: هي تلبية احتياجات المستفيدين من اول مرة وهي عملية التحسين المستمرة التي تقوم على أساسها تقديم خدمات صحيحة وتطورها مع الزمن مع ضمان مستويات الجودة فيه (*).

ملاحظة.. الرجاء وضع علامة (✓) داخل المربع الذي يمثل إجابتك العلمية

المحور الاول معلومات عامة: –

الجنس: ذكر( ) أنثى ( )

المستوى الدراسي دراسات أولية ( ) دراسات عليا ( )

المحور الثاني: رضى المستفيدين على الخدمات المقدمة من طرف المكتبة.

* العزي، سلام جاسم عبدالله. جودة خدمات المعلومات ودورها في تحسين الأداء المؤسسي: جامعة ديالى انموذجآ. – (أطروحة دكتوراه). –بغداد: الجامعة المستنصرية،2019، ص58.

1- ما الذي تمثله لك المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية؟

مكان للبحث العلمي( ) قاعة للمطالعة( ) مكان للقاء الأصدقاء( )

2- هل تتردد على المكتبة المركزية؟ دائما( ) أحيانا( ) نادرا( )

3- هل ترى ان مواعيد فتح المكتبة المركزية التي تبدأ من الساعة 8.30 صباحاً الى 2.30 مساءً مناسبة؟ نعم ( ) لا ( )

4- هل تناسبك مدة الاعارة المحددة (أسبوعاً واحداً)؟

نعم( ) لا( )

6- هل ترى أن عدد الكتب المعارة كتاب (واحد)/ للدراسات الأولية و(كتابان)/للدراسات العليا؟

كافي( ) غير كافي( )

7- ماهي مصادر المعلومات الاكثر استخداماً بالنسبة لك؟ الكتب( ) دوريات/مجلات ( ) معاجم (القواميس الموسوعات) ( ) الحوليات(الكتب السنوية) ( ) المصادر الإلكترونية.( ) مصادر أخرى.....

المحور الثالث: اعتماد المكتبة المركزية على معايير الجودة في تقديم خدماتها.

1- ما هو تقيمك لخدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية؟

تلبي احتياجك من خدمات المعلومات ( ) لا تلبي احتياجك من خدمات المعلومات( )

2- هل يتوفر في المكتبة موظفين متخصصين للرد على الاستفسارات المرجعية (الالكترونية والتقليدية)؟

نعم( ) لا( )

3-هل تستخدم التقنيات الحديثة للبحث في المكتبة؟

نظام كوها (الفهرس الالي) ( ) المكتبة الرقمية ( )

البحث في قواعد البيانات مثل منصة (Research4Life) المستخدمة في المكتبة ( )

4- في رأيك ما هي الصعوبات التي تواجهها في المكتبة المركزية؟

عدم توقير خدمة الانترنت ( )

الإضاءة غير جيدة في أماكن المطالعة ( )

عدم وجود عزل صوتي في أماكن القراءة (قاعة المطالعة) ( )

عدم وجود شاشات للبحث في فهاس المكتبة ( )

عدم وجود طاولات ومقاعد مطالعة مريحة ( )

5– هل تساهم المكتبة في التفاعل معكم وحل مشاكلكم البحثية؟ نعم( ) لا( )

6– في رأيكم ماذا يمكن أن تحقق التكنولوجيا الحديثة من فوائد في المكتبة؟ (التصور العام للجودة)

– تطوير العمل المكتبي وتسهيله( ) – تقليل الاعتماد على المصادر الورقية والتحول نحو المصادر الالكترونية( ) – تفعيل نظام الحجز الالكتروني والاستعارة الالكترونية( )

The Reality of Information Internationalization in University Libraries: A Case Study of Northern Technical University Central Library

Abdulqader A. Ali[1]
Assistant Lecturer, Northern Technical University – Iraq
abdulqaderalshaabani@ntu.edu.iq
Yas K. Ali[2]
Assistant Lecturer, Al-Furat Al-Awsat Technical University -Iraq
yas.ali.ikr@atu.edu.iq

Abstract:

This study aims to investigate the current state of internationalization in the central library of Northern Technical University. The research employs a descriptive methodology to analyze and clarify key concepts and a case study approach to examine the practices of information internationalization within the library. This includes identifying the tools and mechanisms adopted and evaluating their strengths and weaknesses. The findings reveal that the central library is undergoing a phase of digital transformation geared towards promoting and internationalizing its information resources. It leverages its official website as a platform to market its services and applications. The study recommends enhancing the website's effectiveness and establishing communication with similar websites locally and globally to include the library's web link on their pages, thereby expanding the scope of marketing. Furthermore, the research suggests creating an independent Facebook page and utilizing hashtags to broaden the reach and visibility of the library's published content .

Keywords: Information Internationalization – E-Marketing – University Library

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

واقع تدويل المعلومات في المكتبات الجامعية: المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية أنموذجًا

عبدالقادر احمد علي الشعباني[1]
مدرس مساعد / الجامعة التقنية الشمالية – العراق
abdulqaderalshaabani@ntu.edu.iq
ياس خضير علي خضير الغانمي[2]
مدرس مساعد / جامعة الفرات الأوسط التقنية – العراق
yasali281@gmail.com

ملخص:

يهدف البحث الحالي إلى دراسة واقع تدويل المعلومات في المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي لتحليل المفاهيم وبيانها، فضلاً عن منهج دراسة الحالة لتسليط الضوء على واقع تدويل المعلومات في المكتبة المركزية، ووصف الأدوات والآليات المعتمدة في هذا المجال، والكشف عن نقاط القوة والضعف. توصلت نتائج البحث إلى أن المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية تمر بمراحل التحول الرقمي باتجاه تسويق وتدويل معلوماتها، مستفيدة من الموقع الإلكتروني للترويج لخدماتها وتطبيقاتها. وقد أوصى البحث بضرورة تطوير الموقع الإلكتروني ليكون أكثر فاعلية، والتواصل مع مواقع إلكترونية مماثلة محليًا وعالميًا بهدف إدراج رابط الموقع ضمن صفحاتها لتوسيع نطاق التسويق، بالإضافة إلى إنشاء صفحة مستقلة على منصة فيسبوك واستخدام الوسوم لتوسيع مدى الترويج للمنشورات الصادرة عن المكتبة.

الكلمات المفتاحية: تدويل المعلومات – التسويق الالكتروني – المكتبات الجامعية

1-1: مشكلة البحث:

تعد المكتبات الجامعية، بما في ذلك المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية، مراكز أساسية لتوفير المعرفة والموارد البحثية للطلاب والأكاديميين. ومع التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات، أصبحت هناك حاجة ملحة لتحديث أساليب وسياسات جمع وتسويق المعلومات في هذه المكتبات، بما في ذلك استخدام مفاهيم التدويل. تحظى تدويل المعلومات بأهمية كبيرة في تحسين إمكانية الوصول إلى الموارد وزيادة قابلية استخدامها.

1-2: أهمية البحث:

ترتكز أهمية البحث من مرتكزين أساسيين وهي:

- المرتكز العلمي: اذ تعد الورقة إضافة الى النتاج الفكري حول موضوع التسويق وتدويل المعلومات.
- المرتكز التطبيقي: الخروج بمقترحات وتوصيات تصب في تطوير المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية من خلال تحليل الية التسويق فيها واقتراح اليات أفضل وأكثر تطورا.

1-3: اهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل تسويق تدويل المعلومات في المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية كنموذج. ومن ثم، تحديد الاحتياجات والتحديات التي تعترض عملية تدويل المعلومات وتسويقها في هذه البيئة الأكاديمية، مع تقديم استراتيجيات وحلول مقترحة لتحسين هذه العملية وتعزيز فعالية التسويق لتدويل المعلومات.

1-4: تساؤلات البحث:

بناء على الغاية الأساسية المدرجة في اهداف البحث فالتساؤلات تبني على أساسها بالاتي :

1. ما مفهوم التسويق والتدويل من حيث المفاهيم، الأهمية في الجانب النظري.
2. ما الية تسويق المعلومات وتدويلها المتبعة في المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية.

1-5: منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي يحقق الغايات التي يرمو اليها بحثنا من خلال تحليل الية التسويق وتدويل المعلومات في المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية.

1-6: أدوات جمع البيانات: (ادبيات الموضوع. المقابلة. الملاحظة المباشرة (للخدمات المقدمة في تدويل المعلومات).

1-7: مجتمع وعينة البحث: تحدد مجتمع البحث بالمكتبات الجامعية وارتكزت العينة على المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية محل البحث.

المقدمة:

تعد المكتبات الجامعية مصـــادر حيوية للمعرفة والمعلومات التي تلعب دوراً حاسماً في تعزيز البحث الأكاديمي والتطور العلمي في المؤسسات التعليمية. واكتساب القدرة على تسويق وتوسيع نطاق الوصول إلى هذه المعلومات بشكل دولي يعد جزءاً أساسياً من رسالة المكتبة الجامعية. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيفية تحقيق هذا الهدف من خلال تحليل تدويل المعلومات في المكتبة المركزية في الجامعة التقنية كنموذج يمكن دراسته واعتماده.

2-1: مفهوم التسويق الالكتروني:

التســـويق الإلكتروني هو جزء من اســـتراتيجية التســـويق الحديثة يهدف إلى تحقيق الأهداف عبر الإنترنت. يعد تطبيقاً لمبادئ التسويق باستخدام وسائط إلكترونية، مما يساعد في تحويل السوق الافتراضية إلى واقع ملموس، ويعد جزءاً مهماً من اســـتراتيجية التســـويق الشـــاملة. (بريجية، 2018) ويعد أيضـــا الاستخدام الأمثل لتقنيات المعلومات والاتصالات وتفعيل إنتاجية التسوق التنظيمية والعمليات والانشطة من خلالها لتحديد احتياجات الزبائن من السوق (العلاق، 2009)، ويعرف على انه استخدام الوسائل الالكترونية في تطوير العمليات التجارية التبادلية بين الأوساط المعنية (صبرة، 2010).

يمكننا من خلال التعريفات السابقة الخروج بمفهوم التسويق على انه (هو استخدام الوسائل الرقمية في تحقيق أهداف التسويق، ويشمل تطبيق مبادئ التسويق لتحويل السوق الافتراضية إلى واقع ملموس، بما في ذلك استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات لتحديد احتياجات الزبائن وتنشيط العمليات التجارية.)

2-2: أهمية التسويق الالكتروني:

تتضمن أهمية التسويق الالكتروني الاتي (بريجية، 2018) :

1. اســتمرارية البيع على مدار الســاعة: تســمح التســويق الإلكتروني بالبيع في أي وقت دون قيود زمنية، مما يتيح الوصول إلى العملاء في أوقات مختلفة.

2. الوصول للعملاء عبر الجغرافيا: يسمح التسويق الإلكتروني بالوصول إلى عملاء في مناطق مختلفة بغض النظر عن المسافات الجغرافية.
3. تقليل التكاليف التسويقية: يُقلل التسويق الإلكتروني من التكاليف المرتبطة بإنشاء وإدارة متاجر تقليدية.
4. تخصيص العروض للعملاء: يتيح التسويق الإلكتروني تحليل أنماط سلوك العملاء وتقديم عروض ملائمة لهم، مما يزيد من معدلات الشراء.
5. استمرارية العلاقة مع العملاء: يساعد التسويق الإلكتروني في بناء علاقات طويلة الأمد مع العملاء من خلال الاتصال المستمر وتقديم العروض الجديدة والمحتوى القيم.

2-3: اهداف التسويق الالكتروني:

الأهداف التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها من خلال التسويق الإلكتروني تتضمن (smith, 2013):

1. زيادة المبيعات من خلال الترويج الإلكتروني واستخدام تقنيات الإعلام والاتصال.
2. توفير قيمة وامتيازات للمستهلك من خلال خدمات عبر الإنترنت وصفحات الويب المتعددة.
3. إقامة علاقات إلكترونية مع العملاء من خلال تبادل المعلومات والاستبيانات والحوار المستمر.
4. تقليل التكاليف المرتبطة بالتسويق التقليدي وتوفير الجهد والوقت.
5. تعزيز مكانة العلامة التجارية عبر الإنترنت وتعزيز قيمتها من خلال استخدام الوسائط الجديدة.

يمكن تلخيص هذه الأهداف باستخدام S5

- Sell : زيادة المبيعات.
- Serve : تقديم خدمة للعملاء.
- Speak : التواصل مع العملاء.
- Save: توفير التكاليف والجهد.
- Sizzle: تعزيز العلامة التجارية وتوسيع الآفاق.

2-4: خصائص التسويق الالكتروني :

تتميز التسويق الإلكتروني بخصائص محددة، من أبرزها (الزعبي، 2019) :

1. الأتمتة في الوظائف التسويقية، خاصة تلك التي تتكرر ويمكن قياسها بشكل كمي، مثل بحوث التسويق وتصميم المنتجات وإدارة المبيعات والمخزون.
2. التكامل بين مختلف الوظائف التسويقية ومع جهات الاهتمام بالعملاء، مما يشمل استخدام منهج إدارة العلاقات مع العملاء والتسويق التفاعلي. هذه الخصائص مدعومة بمدخلين رئيسيين للتسويق الإلكتروني: مدخل المسوق الصامت ومدخل المشاركة الفعّالة.

2-5: مزايا التسويق الالكتروني:

تتضمن مزايا التسويق الالكتروني الاتي (بريجية، 2018) :

1. تطوير العلاقات مع الزبائن: التسويق الإلكتروني يتيح التفاعل المستمر مع الزبائن، مما يزيد من فرص كسب ولاء العملاء، ولكن يجب مواجهة المقاومة من بعض الزبائن الذين يرونه تطفلاً على خصوصيتهم.
2. الوصول السريع والعالمي: يُمكن الحصول على المعلومات والسلع بسرعة وتجاوز الحدود الجغرافية، مما يُعزز الانتشار العالمي للمنتجات والخدمات.
3. توفير فرصة التسويق للجميع: يتيح التسويق الإلكتروني للأفراد والشركات الصغيرة فرصة التسويق بكفاءة وبتكلفة منخفضة.
4. قلة التكلفة والسهولة: يتيح التسويق الإلكتروني تحقيق أهداف التسويق بتكاليف أقل وبسهولة أكبر مقارنة بالتسويق التقليدي.
5. طلب المنتجات مباشرة: يُمكن للعملاء طلب المنتجات مباشرة من خلال المواقع الإلكترونية، بينما يتطلب التسويق التقليدي زيارة المتاجر الفعلية.
6. عرض وتوفير المعلومات بسهولة: يتيح المواقع الإلكترونية عرض جميع السلع والخدمات بسهولة، مما يُسهل عملية اتخاذ القرارات للعملاء.

2-6: عيوب التسويق الالكتروني:

هنالك مجموعة من المحددات التي تواجه التسويق الالكتروني، وهي (السعو، 2018):

1. خطر الخداع والاحتيال: ينتشـــر على الإنترنت العديد من مواقع التســـويق الإلكتروني التي تستهدف السرقة والاحتيال، حيث يمكن أن يتم إقناع المشتري بمصداقية هذه المواقع من خلال التصميم الجذاب فقط.
2. عدم ملائمة المنتج: يعاني العديد من المشترين من عدم تحقيق المنتج لتوقعاتهم، وهذا يعزى جزئياً إلى الافتقار للفحص المادي للمنتجات قبل الشراء.
3. اختراق الخصوصية: تطلب مواقع التسويق الإلكتروني بيانات شخصية من المشترين، مما يزيد من مخاطر التعرض للسرقة والاختلاس.
4. الفشل في الاستلام: يمكن أن يتسبب الشحن والتسليم السيئ في استبدال أو تلف البضائع، مما يجعل من الصعب على المشتري استرداد قيمتها أحيانًا.
5. ضـــعف الحماية القانونية: على الرغم من وجود تشـــريعات تحمي المشـــترين، فإن الإخفاق في استرداد المبالغ قد يكون صعبًا بسبب عدم تعاون البائعين أو صعوبات في تقديم الشكاوى.

2-7: مبادئ التسويق الالكتروني:

هنالك مجموعة من المبادئ التي يتضمنها التسويق الالكتروني، وهي(السعو، 2018):

1. تحديد احتياجات العملاء: يجب على المؤســـســـة إجراء دراســـة لاحتياجات العملاء في المكان المستهدف لتوفير منتج يلبي تلك الاحتياجات بشكل فعّال.
2. تطوير المنتج: يتم إرسال معلومات الدراسة إلى قسم الإنتاج لتطوير منتج يتناسب مع احتياجات المستهلك من حيث المواصفات والجودة.
3. عملية التســـويق: يتم الترويج للمنتج من خلال الإعلانات ووســـائل التســـويق المختلفة، ويعتبر التسويق الإلكتروني من الوسائل الأكثر أهمية في الوقت الحالي.
4. بناء قاعدة عملاء مرتبطة: تســـاهم الخطوات الســـابقة في بناء قاعدة من العملاء المرتبطين بالمؤسسة، ويتم العمل على تطوير المنتجات للحفاظ على هؤلاء العملاء.
5. احترام البيئة القانونية والاجتماعية: يجب على المنتج أن يتوافق مع القوانين والقيم الاجتماعية في المنطقة المستهدفة، وذلك لضمان قانونية تسويقه وقبول المستهلك له.

6. تطوير المنتجات وتحسين الجودة: مع مرور الوقت، تتجه المؤسسة إلى تطوير منتجات ذات جودة عالية، مما قد ينعكس على الأسعار ولكن لن يؤثر على شهرتها بسبب الرضا العام للعملاء.
7. تحقيق الربحية: يجب أن تتمكن المؤسسة من بيع المنتج بسعر يتناسب مع تكلفة الإنتاج لتحقيق الفائدة لكلا الطرفين، المنتج والمستهلك.

2-8: أنواع التسويق الالكتروني: يتضمن التسويق الالكتروني أنواع مختلفة وتتلخص بالاتي(السعو، 2018):

1. التسويق الداخلي : يركز على جذب العملاء من خلال محتوى قيم يبني الثقة ويحوّل العملاء إلى مروجين للعلامة التجارية.
2. التسويق بالمحتوى: يهدف لتقديم محتوى مفيد عبر مقالات وفيديوهات وشبكات التواصل، ويُعزز التسويق الداخلي.
3. التسويق عبر البريد الإلكتروني: يتضمن إرسال رسائل مخصصة للفئات المستهدفة، ويعتمد على التحليل المستمر لتحسين النتائج.
4. التسويق عبر الهواتف المحمولة: يرتكز على الهواتف الذكية من خلال تطبيقات ومواقع متجاوبة ورسائل نصية.
5. التسويق بالمؤثرين: يعتمد على شخصيات معروفة للترويج للمنتجات، وبناء صورة إيجابية للعلامة التجارية.
6. التسويق بالعمولة: يُكافأ المروجون عند تحقيق نتائج، مثل المبيعات أو النقرات، باستخدام روابط تتبع.
7. التسويق عبر منصات التواصل الاجتماعي: يعزز التفاعل مع الجمهور المستهدف ويتيح استهدافًا دقيقًا للمحتوى.
8. التسويق الأوتوماتيكي: يستخدم أدوات ذكية لأتمتة الرسائل وحملات البريد لجعل التواصل أكثر تخصيصًا وفعالية.
9. التسويق عبر محركات البحث (SEO / SEM): يركز على تحسين ظهور الموقع في نتائج البحث، سواء بطريقة طبيعية (SEO) أو مدفوعة (SEM).

10.التسويق بالرسائل القصيرة (SMS / Apps): يعتمد على إرسال رسائل تنبيهية وعروض عبر النص أو تطبيقات مثل واتساب وتلغرام.

2-9: التدويل:

شهدت ظاهرة التدويل تطورًا ملحوظًا خلال السبعينيات، حيث بدأت الشركات متعددة الجنسيات بالتوسع في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي. فقد قامت هذه الشركات بتوزيع نشاطها الإنتاجي والتسويقي عبر مناطق متعددة حول العالم، مستفيدةً من مزايا الأجور المحلية وتوافر موارد الطاقة والقرب من الأسواق، وغيرها من العوامل. ونتيجة لتعاظم نشاط هذه الشركات، ازدادت درجة تقسيم العمل الدولي بين البلدان الصناعية والبلدان النامية، مما أدى إلى زيادة ترابط الاقتصادات العالمية. تسهّل ظاهرة التدويل نقل المصانع والفروع الصناعية من البلدان المتقدمة إلى البلدان النامية، مما يؤدي إلى تحويل هذه الدول من دورها كمنتج للمواد الأولية أو الاستخراج إلى دور صناعي تحويلي. يتم تحقيق هذا التحول عبر الاستثمار الأجنبي المباشر، الذي يحل محل الاستثمار غير المباشر، ويتمثل سيطرة هذا الاستثمار المباشر في تحديد الأنشطة الاقتصادية الأخرى، بما في ذلك التجارة ونقل التكنولوجيا. يُعَدّ ظهور الشركات متعددة الجنسيات كأداة لتدويل الإنتاج والاستثمار، وبالتالي التجارة ونقل التكنولوجيا، مؤشرًا واضحًا على هيكل الاقتصاد الدولي الحالي (فروجي، 2020).

عرف التدويل، كمجموعة من الأفعال المتناسقة التي تهدف إلى اختيار الأسواق الخارجية واستغلال الموارد المختلفة على المستوى الدولي. يركز هذا التعريف على العوامل الداخلية للمؤسسة من خلال الطرق التي تتبعها خارج أسواقها المحلية. يُعتبر التدويل عملية توسع جغرافي لأنشطة الشركة خارج الحدود الوطنية. يمكن اعتبار هذا التعريف بسيطًا وشاملاً، حيث يشير إلى توسع المؤسسة وتواجدها في أسوا دول أخرى. (فروجي، 2020)

التدويل يمثل تطويرًا للخدمات والمنتجات بهدف جعلها قادرة على الدخول في الأسواق الخارجية، ويتمثل أيضًا في مجموعة من المراحل التي تمر بها المؤسسة للانتقال من السوق المحلية إلى الأسواق العالمية. في هذه العملية، تقوم المؤسسة بتطوير وتحسين منتجاتها وخدماتها بما يتناسب مع احتياجات وتوقعات الأسواق الدولية، وتعمل على بناء استراتيجيات جديدة للتسويق والتوزيع تهدف إلى الوصول إلى جمهور عالمي. هذا العمل يتضمن التوسع في مجالات البحث والتطوير، وتبني التكنولوجيا الحديثة، وتطوير علاقات

مع شـــركاء وموردين عالميين، بالإضـــافة إلى تنمية القدرات الإنتاجية وتعزيز الجودة والكفاءة في الإنتاج. تهدف هذه الخطوات الشاملة إلى جعل المؤسسة قادرة على المنافسة بنجاح في الأسواق الدولية وتحقيق نمو وازدهار مستدام (كريمة، 2020).

عملية التدويل تتمثل في خروج المؤسسة من أسوقها المحلية وخدمة أو استهداف مجموعة من الأسوا الدولية من خلال نقل جزء أو كل أنشطتها. يلاحظ أن جانبا مميزا في ظاهرة التدويل هو تحول الإنتاج إلى نطاق دولي، حيث يتم توزيع الإنتاج بحيث يتم إنتاج المنتج النهائي في العديد من الدول، وتتخصـــص كل منها في إنتاج جزء محدد، ومن ثم يتم تجميع الأجزاء من كافة المصـــانع لتكون المنتج النهائي. على ســـبيل المثال، تشارك أكثر من 820 مصنعا حول العالم في إنتاج سيارة BMW الألمانية (فروجي، 2020) .

يمكن الخروج مما سبق بالآتي التدويل هو عملية توسع للشركات خارج حدودها الوطنية، تهدف إلى اختيار الأسـواق الخارجية وتحسـين اسـتغلال الموارد العالمية. يتضـمن التدويل تطوير المنتجات والخدمات لتتناسـب مع احتياجات الأســـواق الدولية، وبناء اســـتراتيجيات جديدة للتســـويق والتوزيع. يهدف إلى تحقيق نمو مستدام من خلال التوسع في الإنتاج بالتعاون مع مصانع عالمية.

2-12: أهمية التدويل:

ثقافة التدويل تلعب دوراً حيوياً في نجاح الشـــركات الدولية، وتتمثل أهميتها في عدة وظائف أساسية (بونفلة الساسي، 2021):

1. تُضفي هوية دولية مميزة على الشركة ومنتجاتها، مما يعزز الاندماج والانتماء لدي فرق العمل.
2. تسهم في تعزيز الالتزام والتناغم بين مختلف المستويات التنظيمية وبين الشركة الأم وفروعها.
3. تسـاهم في دعم اسـتقرار الشـركة الأم وتعزيز ربحيتها عبر تكوين نمط سـلوك موحد بين الفروع. وتبرز هذه الوظائف الأهمية الكبيرة لثقافة التدويل، حيث تؤثر بشـكل مباشـر على أداء الشـركة وفروعها، وتسهل التنبؤ بأدائهم في السوق الدولية.
4. تُسـاهم في تحقيق إدارة فعالة للشـركة واسـتقرارها في السـوق، وتعزز قيمتها وسمعتها على المسـتوى العالمي.
5. تعزيز إدارة المسار الوظيفي والتشغيلي في الدول المضيفة.

6. تتجلى أبعاد ثقافة التدويل في القوة، التلائم، التكيف، والمهام، حيث يتم التركيز على الأعمال والإنجازات لتحقيق الأهداف الدولية بنجاح.

2-11: دوافع التدويل ومراحله:

هناك عدة دوافع تحفز المؤسسات على تدويل نشاطها، منها: (كريمة، 2020)

أ. الدوافع الاستراتيجية:

1. دورة حياة المنتج: يمكن أن يكون المنتج في الســـوق المحلية في مرحلة نمو محدودة، بينما يتمتع بمرحلة نمو أفضل في السوق الأجنبية.
2. المنافسة الشديدة في السوق المحلية قد تكون أقل حدة في السوق الخارجية.

ب. الدوافع المتعلقة بالأسواق:

1. صعوبة الاستحواذ على حصة سوقية في السوق المحلية، مما يدفع المؤسسة نحو تدويل منتجاتها.
2. تقليل المنافسة وزيادة فرص التوزيع في الأسواق الخارجية.

من الجدير بالذكر أن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تمر بمراحل متعددة في عملية التدويل، حيث تتطلب كل مرحلة فترة زمنية متفاوتة للدخول في الأسواق الخارجية وتوسيع نطاق أنشطتها:

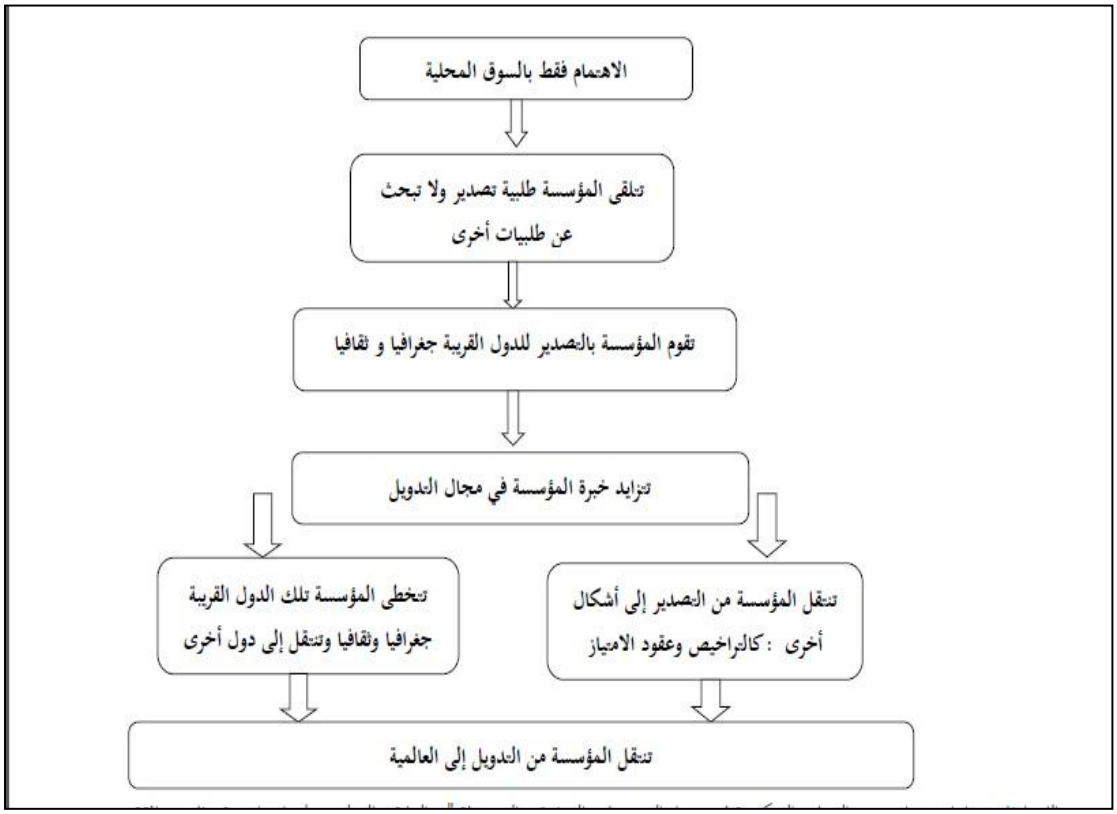

الشكل (1) مراحل التدويل

12-2 : العوامل التي تدفع المؤسسة نحو التدويل :

تتنوع بين العوامل التجارية والمالية والبيئية. فيما يلي تلخيص لبعض هذه العوامل: (بونفلة الساسي، 2021)

1. العوامل التجارية:

- تشبع السوق المحلية :عندما تصل السوق المحلية للتشبع، تلجأ المؤسسات إلى السوق الدولية لزيادة المبيعات.

- ركود السوق المحلية :يدفع انخفاض الطلب في السوق المحلية المؤسسات لاستكشاف فرص الأسواق الخارجية.
- موسمية السوق المحلية :تجعل التقلبات الموسمية الطلب على المنتجات يتغير، مما يدفع لاستكشاف الأسواق العالمية.
- محدودية حجم السوق المحلية :قد تدفع الحاجة للنمو إلى استكشاف الأسواق الدولية.
- تخصص المؤسسة :تجعل المنافسة في السوق المحلية أكثر تحديًا، مما يدفع المؤسسة للتوسع عبر الحدود.

2. العوامل المالية:

- بحث غلة الحجم :يسعى الشركات إلى زيادة الإنتاج لتقليل تكلفة الوحدة وزيادة الربح.
- استرجاع الاستثمار :يمكن أن يتسبب عدم كفاية السوق المحلية في عائد استثمار ضعيف، مما يدفع للاستكشاف الدولي.
- تخفيض تكاليف الإنتاج :تنخفض التكاليف في السوق الدولية بسبب مزايا مثل تكلفة العمالة المنخفضة.

3. العوامل البيئية:

- الطلب التلقائي :قد يتم استكشاف الأسواق الدولية بشكل عرضي نتيجة لفرص عارضة مثل لقاءات مع ممثلين دوليين.
- تغير المحيط الدولي :تطور التجارة العالمية وانخفاض الحواجز يفتح الفرص للاستكشاف الدولي.

2-13: مشاكل التدويل:

تعاني عملية التدويل من عدة مشاكل، سواء على المستوى الجزئي أو الكلي. على المستوى الجزئي، تشمل هذه المشاكل: (بونفلة الساسي، 2021)

1. غياب سياسة محددة الأهداف :ينتج عن عدم وجود سياسة محددة ومعلنة من جميع الأطراف داخل المؤسسة ضبابية في الأهداف والمصالح، مما يعوق التوجه الواضح نحو التدويل.

2. نقص نظام المعلومات :عدم توفر بيانات وإحصائيات تربط بين العملية الإنتاجية وموقع السلعة في السوق يحد من فعالية اتخاذ القرارات.
3. نقص التحفيز المادي والمعنوي :يقلل من إمكانية الإبداع والابتكار داخل المؤسسة، مما يعيق تطوير منتجات تتناسب مع احتياجات السوق.
4. هياكل تنظيمية ميكانيكية :لا تستجيب للتغيرات الخارجية مما يؤثر على قدرة المؤسسة على التكيف مع التحولات في البيئة العامة.

وعلى المستوى الكلي، تشمل المشاكل:

1. غياب إستراتيجية محددة للتصدير :يعيق تحديد الاتجاهات الصحيحة لدخول الأسواق الدولية.
2. نقص ثقافة التصدير :يعوق استفادة المؤسسات الجزائرية من الفرص التصديرية بسبب اعتمادها على عمليات الاستيراد.
3. نقص الخبرة في التصدير :يحد من قدرة المصدرين الجزائريين على النجاح في الأسواق الدولية.
4. عدم توافق المنتجات مع المعايير الدولية :يقلل من قابلية المنتجات الوطنية للتصدير بسبب عدم مطابقتها للمعايير الدولية.

3: الجانب الميداني :

3-1: نبذة عن المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية* :

تعد المكتبة المركزية إحدى تشكيلات الجامعة التقنية الشمالية، وهي مؤسسة ثقافية علمية تعمل على خدمة المجتمع من الطلبة والأساتذة والباحثين، وذلك بتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها في دراساتهم واعداد بحوثهم العلمية من خلال توفير أرصدة تلبي احتياجاتهم من مصادر معلومات تقليدية والكترونية، فضلاً عن المواد السمعية والبصرية وتسهيل استخدامهم لها، وترتبط المكتبة المركزية مباشرة بالسيد رئيس الجامعة التقنية الشمالية، وهي حديثة العهد إذ تم افتتاحها في (2018/4/15م)، في موقع بديل صغير المساحة في مكان مشترك مع احدى مكتبات التشكيلات التابعة لها فنيا ووحدة تابعة لقسم الاعلام، وفي الوقت الحالي تم اخلاء المساحة وفق قرارات وزارية للمكتبة المركزية لتكون بناية مستقلة ذات طابق واحد تتضمن غرفة لمسؤول قسم المكتبة المركزية، وقاعة للورش والندوات والدورات التدريبية، وقاعة للمطالعة

* . مقابلة مع مسؤول قسم المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية.

مخصصة لطلبة الدراسات الأولية، وأخرى مخصصة لطلبة الدراسات العليا، ومخزن الكتب الذي يتضمن الرفوف، مع اربعة غرف تتوزع عليها شعبة المكتبة ووحداتها. وتنقسم المكتبة وفق الهيكلية الاتية:

3-2: الموارد البشرية: تتضمن هيكلية العمل للمكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية الاتي :

الجدول (1) هيكلية المكتبة

ت	المكان	العدد	الشهادة	التخصص
1	إدارة القسم	1	دكتوراه	هندسة الحاسوب والذكاء الاصطناعي
2	مسؤول الشعبة الإدارية	1	ماجستير	المعلومات والمكتبات
3	وحدة الافراد	1	بكالوريوس	اقتصاد
4	مسؤول شعبة الإجراءات الفنية	1	ماجستير	المعلومات والمكتبات
5	وحدة الفهرسة والتصنيف	2	بكالوريوس دبلوم تقني	المعلومات والمكتبات المعلومات والمكتبات
6	مسؤول شعبة النظم الالية	1	دبلوم تقني	المعلومات والمكتبات
7	وحدة المكتبة الرقمية	1	دبلوم تقني	المعلومات والمكتبات
8	مسؤول شعبة خدمات المستفيدين	1	دبلوم معلمين	عام
9	وحدة الإعارة	2	ماجستير دبلوم تقني	تاريخ المعلومات والمكتبات

3-4: تدويل المعلومات في المكتبة المركزية:

في إطار سعيها لتطوير خدماتها وتوسيع نطاق تأثيرها الأكاديمي، تبنّت المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية إستراتيجية واضحة تهدف إلى تدويل المعلومات، من خلال توظيف الوسائط الرقمية وتطوير أدوات تكنولوجية حديثة تتيح الوصول إلى مصادرها وخدماتها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي. ويتجسد هذا التوجه من خلال مجموعة من القنوات والمنصات الإلكترونية والخدمات المتكاملة التي طُورت بشكل تدريجي ومنهجي، كما يلي:

3-4-1: تكنولوجيا المعلومات:

هنالك العديد من الاليات المستخدمة في تدويل المعلومات، وتتضمن المكتبة المركزية منها الاتي:

1.الموقع الإلكتروني للمكتبة

أُطلق الموقع الإلكتروني للمكتبة عام 2020 بتصميم أولي بسيط اقتصر على نشر الأخبار والنشاطات وبعض أدوات تدويل المعرفة مثل مستخلصات الرسائل الجامعية. ومع مطلع عام 2023، شُرع في عملية تطوير شاملة للموقع من حيث التصميم والمحتوى والوظائف، وجرى دمجه ضمن إطار إستراتيجي للتسويق الرقمي وتدويل المعلومات. وشملت التحديثات:

- فهرس المكتبة الرقمية.
- فهرس المكتبة التقليدية.
- ترويج تطبيقات الهواتف الذكية المرتبطة بالمكتبة.
- تفعيل خدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي.
- تخصيص قسم للرد على استفسارات المستفيدين.
- عرض معلومات تفصيلية عن الشعب والوحدات الوظيفية في المكتبة.
- توفير روابط خارجية لمواقع ومصادر علمية ومكتبية ذات صلة.

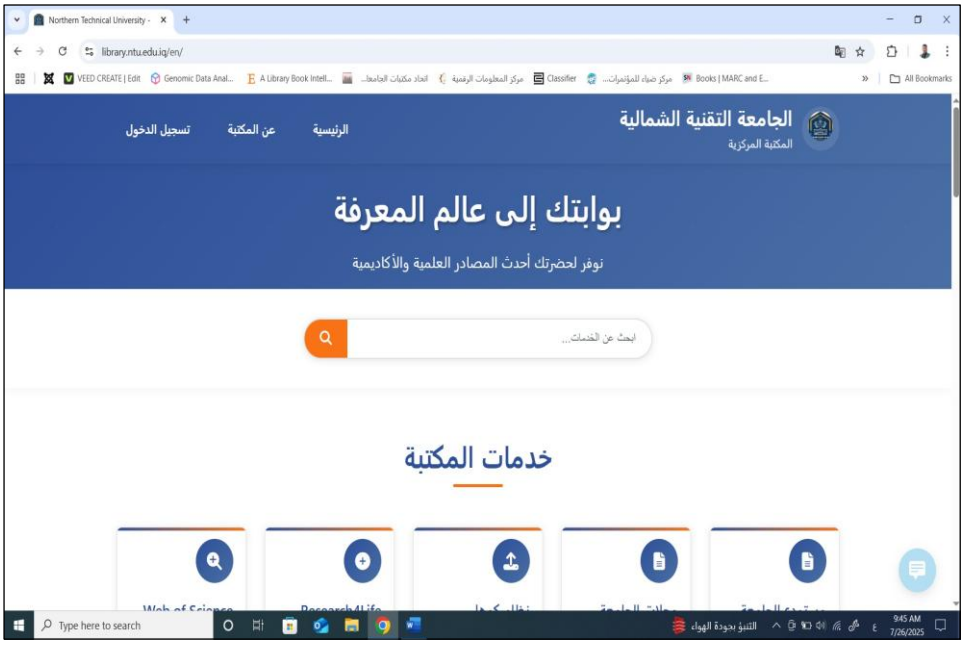

الشكل (2) الموقع الالكترونية

2.صفحة الفيسبوك الجامعي

يمثل النشر على صفحات الفيسبوك أحد أهم أدوات التسويق الرقمي للمحتوى والخدمات. وقد جرى استثمارها كآلية ديناميكية لترويج خدمة الإحاطة الجارية وتسليط الضوء على نشاطات المكتبة المختلفة، مما يعزز من تواصلها مع الجمهور الأكاديمي داخل الجامعة وخارجها، ويُسهم في تعزيز حضورها الرقمي على المستوى الوطني.

3.تطبيقات الهاتف المحمول

بجهود ذاتية من كادر المكتبة، تم تطوير عدة تطبيقات تعمل على أنظمة تشغيل Android وiOS، وتهدف إلى نقل خدمات المكتبة من إطارها المكاني المحدود إلى فضاء رقمي أوسع. وتُعد هذه التطبيقات ركيزة أساسية في عملية تدويل المعلومات، حيث تتيح للمستفيدين إمكانية الوصول إلى:

- تطبيق فهرس المكتبة التقليدية: يتيح البحث في مجموعات الكتب الورقية.
- تطبيق الموقع الإلكتروني: يقدم تجربة تفاعلية شاملة للمستخدم.

4.قناة اليوتيوب الجامعية:

تُستخدم قناة الجامعة التقنية الشمالية على منصة "يوتيوب" كأداة إعلامية مرئية لتدويل أخبار المكتبة وأنشطتها الأكاديمية والثقافية، حيث يتم نشر تقارير مصوّرة عن المؤتمرات، الورش، والفعاليات التي تنظمها أو تُشارك بها المكتبة.

5.خدمة البث الانتقائي للمعلومات

تُتيح هذه الخدمة إرسال معلومات متخصصة إلى المستفيدين بناءً على نموذج إلكتروني يتضمن بياناتهم الشخصية والعلمية، مثل الاسم، الانتماء الأكاديمي، البريد الإلكتروني، مجال البحث، والكلمات المفتاحية ذات الصلة. وتهدف الخدمة إلى إيصال مصادر المعرفة المناسبة لكل مستخدم وفقًا لاهتماماته البحثية، مع إمكانية تحديد اللغة المفضلة للمصادر.

6.خدمة الإحاطة الجارية

تتمثل هذه الخدمة في إصدار نشرة دورية تسلط الضوء على أحدث الكتب، الدوريات، والرسائل الجامعية التي ترد إلى المكتبة. وتُعد من أبرز أدوات التواصل المستمر مع المستفيدين، حيث تضمن تزويدهم بكل ما هو جديد في تخصصاتهم، ما يسهم في دعم العملية البحثية وتطوير المعرفة.

7.المستخلصات والأدلة

تُعد المكتبة المركزية مستخلصات ودلائل منظمة للرسائل الجامعية والاطاريح التي أُنجزت داخل الجامعة. وتتضمن هذه المستخلصات معلومات حول عنوان البحث، اسم الباحث والمشرف، التخصص، سنة الإنجاز، والأهداف والمنهجية والنتائج. وتُسهم هذه الخدمة في مساعدة الباحثين على الاطلاع على الإنتاج العلمي السابق، ما يُعزز من الابتكار ويحدّ من التكرار في الدراسات المستقبلية. ويتم تسويق هذه الأدلة محليًا للجامعات والمؤسسات الأكاديمية الحكومية.

8.البريد الإلكتروني المؤسسي

تُوظف المكتبة البريد الإلكتروني كوسيلة تواصل رسمية مع تشكيلات الجامعة التقنية الشمالية، حيث يتم إرسال نشرات الإحاطة الجارية ومستخلصات الرسائل الجامعية بشكل منتظم، ما يعزز من فعالية توزيع المعلومات وضمان وصولها إلى المستفيدين بطريقة منظمة وسريعة.

3-4-2: النشاطات:

تقييم المكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية العديد من الورش العلمي والدورات بمجالات تكنلوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي والفهرسة المتقدمة ومعارض للكتب على المستوى المحلي بين التشكيلات الجامعة ولا يوجد لها نشاط على المستوى الدولي، فضلا عن الافتقار الى وجود تعاون مشترك بينها وبين المكتبات الدولي في جانب خدمات المعلومات والتدريب.

3-4-3: التحديات:

تواجه المكتبة المركزية منذ تأسيسها عام 2018 تهميشا من قبل الإدارة العليا من حيث الميزانية وتطوير البنية التحتية من بناء وتكنولوجيا المعلومات اذ كانت تتضمن:

- غرفة مشتركة لرئيس القسم والكادر البشري.
- (3) أجهزة لابتوب.
- قاعة للورش والدورات والندوات.
- لا توجد ميزانية.
- خدمة الإعارة الداخلية.
- تفعيل شعبة الإجراءات الفنية وشعبة خدمات المستفيدين.

حتى نهاية عام 2024 بدأت حملة ترميم وصيانة وتوسيع المكتبة المركزية وإخراج الشعب والوحدات التي تجاوزت على مسحات المكتبة وخصص لها ميزانية حسب موازنة الجامعة وسياساتها في توفير مصادر معلومات حديثة فضلا عن تجهيزها بحواسيب حديثة، حيث تضمنت:

- (5) غرف لرئيس القسم والكوادر البشرية.
- (2) قاعة مطالعة لطلبة الدراسات الأولية والعليا.
- (1) قاعة للورش والدورات والندوات.

- (1) مخزن للكتب والرفوف.
- (5) لابتوب.
- (2) جهاز استنساخ ملون.
- (2) طابعة ملون.
- تفعيل (2) شعبة لتصبح (4) شعب للمكتبة (شعبة النظم الالية، الشعبة الإدارية).
- إضـــافة خدمات جديدة (خدمة الإحاطة الجارية، خدمة البث الانتقائي، خدمة المستخلصات للرسائل الجامعية، الإعارة الخارجية).
- ميزانية لشراء الكتب والاشتراك بقواعد البيانات.

رغم ما تقدمه رئاســـة الجامعة للمكتبة المركزية من دعم للبنية التحتية الا ان هنالك عجز في بناء علاقات خارجية مع المكتبات الجامعية والمؤســسـات المتخصــصــة للتعاون في مجال خدمات المعلومات والتدريب وإقامة الورش والندوات والمعارض المشـــتركة، والافتقار للتعاون في مجال تبادل واهداء مصـــادر المعلومات فضلا عن المشاركة في بعثات خارجية سواء في المهرجانات الثقافية او المؤتمرات في التخصص، ويعزو سـبب ذلك لعدم وجود متخصــص يأخذ دور امين المكتبة المعاصــر والمعلوماتي في عصــر العولمة والتقدم العلمي في مجال التخصص.

النتائج والتوصيات:

4-1: النتائج:

توصل البحث الى مجموعة من النتائج والتي تلخصت بالآتي:

1. المكتبة المركزية اتجهت نحو تطوير الإجراءات والتحول الى البيئة الرقمية في اتجاه التسـويق وتدويله منذ عام 2020.
2. غياب وتهميش اخصـــائي المعلومات وخلو المكتبة من دوره القيادي كأمين للمكتبة ذو مهارة في إدارة العلاقات الخارجية مع مؤسسات المعلومات الدولية.
3. استخدام الموقع الالكتروني في ترويج عن الخدمات والتطبيقات والتسويق لها.
4. توفير تطبيقات موبايل كوسائل لتدويل فهارس المكتبة والموقع الالكتروني.

5. استخدام البريد الالكترونية كوسيلة للتسويق المحلي وتدويل مستخلصات الرسائل الجامعية ونشرات الإحاطة الجارية بين التشكيلات التابعة للجامعة التقنية الشمالية.
6. استغلال صفحة الفيس بوك واليوتيوب التابعة للجامعة التقنية الشمالية لتسويق أنشطة المكتبة وخدماتها وتدويلها.
7. الافتقار الى التعاون الدولي سواء من جانب النشاطات العلمية من معارض ودورات وورشة، فضلا عن الجانب خدمات المعلومات.

4-2: التوصيات:

بناء على نتائج البحث تم التوصل للتوصيات الاتية:

1. إعطاء دور قيادي لأخصائي المعلومات ليلعب دوره المحوري في قيادة المكتبة وانشاء العلاقات الدولية مع مؤسسات المعلومات.
2. تطوير الموقع الالكتروني بشكل أكثر فاعلية والتواصل مع المواقع المشابهة المحلية لإضافة رابط الموقع كرابط ذات صلة لتوسيع نطاق تسويقه.
3. توفير تطبيقات موبايل لمحتويات المكتبة الأخرى وتطوير التطبيقات الجارية.
4. انشاء صفحة فيسبوك خاص بالمكتبة واستخدام الوسوم في المنشورات لتوسيع نطاق النشر.
5. انشاء صفحة يوتيوب خاص بالمكتبة لنشر النشاطات والخدمات المتعلقة بها.
6. التعاون بين المكتبات الإقليمية والعالمية في مجال الخدمات والورش والمعارض.

المصادر:

1. اروى بريجية. (26 سبتمبر, 2018). التسويق الالكتروني. تاريخ الاسترداد 05 05, 5202، من موضوع: https://mawdoo3.com/
2. حميد الطائي، بشير العلاق. (2009). مبادئ التسويق الحديثة : مدخل شامل. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
3. ختال أحمد بونفلة الساسي. (2021). تدويل نشاط المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر -الفرص والتحديات-. جامعة 8 ماي 1945. تاريخ الاسترداد 08 05, 2025،
4. سمير توفيق صبرة. (2010). التسويق الاليكتروني. عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.

5. صابرين السعو. (07 نوفمبر, 2018). عيوب التسويق الالكتروني. تاريخ الاسترداد 05 05, 2025، من موضوع: https://mawdoo3.com/

6. علي فلاح الزعبي. (2019). ادارة التسويق (منظور تطبيقي استراتيجي). عمان: اليازوري للنشر والتوزيع. فروجي, ن. (2020). الانتقال باتجاه الدولية: ما هي إستراتيجية التدويل المناسبة في ظل معالم الأسوا الدولية ؟ : دراسة حالة مجمع سيفيتال. مجلة الاقتصاد الدولي والعولمة (03), الصفحات 122-141.

7. مكاوي الحبيب، بابا حامد كريمة. (2020). تدويل نشاط المؤسسات الصغيرة والمتوسطة كمساهمة في تنمية القطاع الصناعي في الجزائر. المجلة الجزائرية للأداء الاقتصادي، الصفحات 41 - 54.

8. Smith, D. c. (2013). Emarketing excellence (Vol. 4). New york: Routledge

Contributions of Theoretical and Applied Research in Information and Communication Technology to the Advancement of Scientific Progress

Dr.Lamrous Meriem
Alger3 university- algeria -
lamrousmeriem@hotmail.fr

Abstract:

This presentation aims to explore how theoretical and applied research in the field of information and communication technology has contributed to a qualitative shift in global scientific research.By analyzing theoretical models such as artificial intelligence, systems theory, and big data analytics, and reviewing practical applications like digital research platforms, virtual laboratories, and cloud computing, the study concludes that this integration between theory and application has transformed the structure of scientific production, the nature of its tools, publishing mechanisms, and the concept of research collaboration.The presentation also highlights pioneering experiences and concludes with a set of recommendations aimed at developing the digital research infrastructure, strengthening partnerships, and adopting interdisciplinary research approaches, as well as redefining the relationship between theory and application within an integrated research framework.

Keywords: Information and Communication Technology, Theoretical and Applied Research, Scientific Progress, Technological Development.

إسهامات البحوث النظرية و التطبيقية في تكنولوجيا المعلومات و الاتصال في تطوير التقدم العلمي

د.لمروس مريم
جامعة الجزائر3-الجزائر-
lamrousmeriem@hotmail.fr

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى استكشاف الكيفية التي ساهمت بها البحوث النظرية والتطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إحداث تطور نوعي في البحث العلمي العالمي. من خلال تحليل نماذج نظرية مثل الذكاء الاصطناعي، ونظرية النظم، وتحليل البيانات الضخمة، واستعراض تطبيقات عملية مثل المنصات البحثية الرقمية، والمختبرات الافتراضية، والحوسبة السحابية، توصلت الدراسة إلى أن هذا التكامل بين النظرية والتطبيق قد غيّر من بنية الإنتاج العلمي، وطبيعة أدواته، وآليات النشر، ومفهوم التعاون البحثي. كما سلطت المداخلة الضوء على تجارب رائدة، وانتهت بجملة من التوصيات الرامية إلى تطوير البنية الرقمية البحثية، وتعزيز الشراكات، واعتماد مقاربات بحثية متعددة التخصصات. وكذا إعادة صياغة العلاقة بين النظرية والتطبيق ضمن منظومة بحثية تكاملية.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ،البحوث النظرية والتطبيقية ،التقدم العلمي ،التطور التكنولوجي

مقدمة:

شهد العالم في العقود الأخيرة تحولات عميقة في بنية المعرفة وإنتاجها، نتيجة للتقدم المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتصال (ICT)، التي باتت تشكل ركيزة أساسية في مختلف أنشطة الحياة البشرية، لا سيما في مجالات البحث العلمي والتعليم والابتكار. ولم يعد بالإمكان الحديث عن تقدم علمي أو نهضة معرفية دون الإشارة إلى الأدوات والأنظمة التقنية التي ساهمت في إحداث طفرة نوعية في طرق إنتاج المعرفة، تخزينها، ونشرها.

لقد ولّدت هذه التحولات تساؤلات جوهرية حول طبيعة العلاقة بين البحوث النظرية والتطبيقية من جهة، والتكنولوجيا الرقمية من جهة أخرى. فهل أضحت تكنولوجيا المعلومات والاتصال مجرد وسائط لتيسير البحث العلمي؟ أم أنها باتت تفرض منطقها الخاص في صياغة الأسئلة، واختبار الفرضيات، وبناء النماذج التفسيرية؟

تسعى هذه المداخلة إلى تحليل إسهامات البحوث النظرية والتطبيقية في تطوير التقدم العلمي من خلال توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال، عبر استعراض نماذج علمية، وتفكيك رهانات معرفية ومنهجية، في ضوء أدبيات متعددة الاختصاصات ومقاربات بينية.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للمفاهيم الأساسية

في ظل ما يشهده العالم من ثورة معلوماتية غير مسبوقة، أصبحت الحاجة ماسة إلى تأصيل المفاهيم المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال والبحوث العلمية، لما لها من دور محوري في صياغة أنماط جديدة من التفكير العلمي، وفتح آفاق متعددة أمام الإبداع المعرفي. فالفهم العميق لمكونات هذا المجال يستوجب الوقوف عند خلفياته النظرية وتحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة به، بما يُمكّن الباحث من توظيف أدوات التحليل بدقة، وفهم التحولات التي مست البنية المعرفية للمجتمعات.

تندرج تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضمن المفاهيم المركبة، التي تتشابك فيها الأبعاد التقنية مع الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية، وهو ما يدفع إلى اعتماد مقاربة شمولية تأخذ بعين الاعتبار هذا التداخل. كما أن البحث العلمي، في سياق هذا العصر الرقمي، لم يعد محصورًا في الفرضيات والنظريات التقليدية، بل تجاوز

ذلك إلى اعتماد نماذج رقمية، وبيانات ضخمة، ومحاكاة متقدمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي

إن تحليل هذه المفاهيم لا يقتصر على التحديد اللغوي أو التعريف الإجرائي، بل يتعدى ذلك إلى الغوص في مسارات تطورها، وأسسها الفلسفية والمعرفية، خاصة في ظل ما يطرحه بعض المفكرين من إشكاليات حول نهاية العقلانية التقليدية، وبروز أنماط جديدة من «العقلانية الرقمية» التي تؤثر في طرق إنتاج المعرفة واختبارها.

كما يفرض الإطار المفاهيمي ضرورة تحديد الفروق بين البحث النظري الذي يركّز على إنتاج مفاهيم ونماذج تفسيرية للعالم، والبحث التطبيقي الذي يهدف إلى إيجاد حلول عملية لمشكلات واقعية، خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، حيث يندمج النظري بالتطبيقي بشكل معقد، منتجًا بذلك معرفة هجينة وعابرة للتخصصات.

1. تكنولوجيا المعلومات والاتصال: المفهوم والتطور

يشير مصطلح تكنولوجيا المعلومات والاتصال ((ICTإلى مجموعة من الأدوات والنظم التي تُستخدم في جمع البيانات، معالجتها، تخزينها، واسترجاعها، ونقلها بين الأفراد أو المؤسسات. ويشمل هذا المفهوم عدة مكونات تقنية منها الحواسيب، البرمجيات، الإنترنت، شبكات الاتصال، وأجهزة التخزين والمعالجة عن بعد Cloud Computing).)

لقد تطورت هذه التكنولوجيا بشكل متسارع منذ منتصف القرن العشرين، بدءًا من الحاسوب المركزي الضخم (،(Mainframeإلى الحواسيب الشخصية، ثم إلى الإنترنت، والهواتف الذكية، والذكاء الاصطناعي، وسلسلة الكتل (.(Blockchainوقد أثّر هذا التطور على بنية المعرفة العلمية، وأسهم في تغيير جذري في طرق إدارة المعلومة العلمية، وتسهيل الوصول إلى مصادر البيانات، وتحليلها، وتوظيفها في استنباط فرضيات جديدة (.(Castells, 2010

كما أن المفهوم يتجاوز البعد التقني إلى أبعاد أخرى تتعلق بالاستخدامات الاجتماعية والسياسية للتكنولوجيا، ما دفع بعض الباحثين إلى تطوير نماذج تحليلية تأخذ بعين الاعتبار هذا الطابع المعقد، مثل نموذج "البيئة الإعلامية" لـ ،McLuhanأو "مجتمع الشبكة" عند .Manuel Castells

2. البحث العلمي: بين النظرية والتطبيق

يمثل البحث العلمي الأداة الجوهرية التي يعتمد عليها الإنسان لفهم العالم من حوله، وتفسير الظواهر، وصياغة الحلول. ويمكن التمييز تقليديًا بين:

البحث النظري: وهو الذي يسعى إلى بناء أطر مفاهيمية، ونماذج تفسيرية، دون ارتباط مباشر بتطبيق عملي، وغالبًا ما يُستخدم في العلوم الأساسية مثل الرياضيات، الفيزياء النظرية، والفلسفة.

البحث التطبيقي: يهدف إلى حل مشكلات عملية ملموسة، ويشمل المجالات التقنية، والطب، والهندسة، والزراعة، وغيرها. ويُعتبر الأكثر استفادة من التطور التكنولوجي، نظرًا لاعتماده على أدوات تحليل متقدمة، وتطبيقات رقمية دقيقة.

إلا أن هذه الثنائية لم تعد كافية لفهم التداخل بين النمطين، خاصة في ظل اندماج المعارف وتزايد الحقول البينية (،(Interdisciplinaryحيث أصبح من الشائع أن يُستثمر البحث النظري في تطوير أدوات تطبيقية جديدة، كما أن نتائج البحث التطبيقي قد تُغني النظريات الكلاسيكية وتعيد صياغتها.

3. العلاقة التفاعلية بين تكنولوجيا المعلومات والبحث العلمي

في العقود الأخيرة، أصبح من الصعب تصور البحث العلمي بدون تكنولوجيا المعلومات والاتصال، سواء في تصميم التجارب، أو تحليل البيانات، أو النشر العلمي. وقد مكّنت هذه العلاقة التفاعلية من:

تسريع عملية جمع البيانات وتحليلها.

تحسين تقنيات المحاكاة والنمذجة.

تطوير أدوات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي لدعم القرارات البحثية.

تعزيز التعاون بين الباحثين عبر المنصات الإلكترونية.

كما أفرزت هذه العلاقة مفاهيم جديدة مثل "العلم المفتوح" (،(Open Scienceو"البيانات الضخمة" (،(Big Dataو"الابتكار المفتوح" (،(Open Innovationوهي مفاهيم تدفع نحو إعادة النظر في أسس البحث العلمي التقليدي، والانتقال إلى نماذج أكثر انفتاحًا وتشاركية.

4- التحول الرقمي ودوره في تسريع وتيرة التقدم العلمي

إن التحول الرقمي لم يكن مجرد تحديث تقني، بل يمثل نقلة نوعية في كيفية إنتاج المعرفة وتبادلها، حيث غيرت التكنولوجيا الرقمية نماذج البحث التقليدية وأدخلت مفاهيم جديدة مثل «العالم المفتوح» (Open Science)و«البيانات الضخمة» ((Big Dataو«المختبرات الافتراضية» (.(Virtual Labsلقد مكّن التحول الرقمي المؤسسات العلمية من تسريع دورات البحث، وتحسين الوصول إلى الموارد، وتوسيع نطاق التعاون بين الباحثين من مختلف أنحاء العالم.

كما ساعد هذا التحول على كسر الحواجز الزمنية والجغرافية التي كانت تقيد عملية التراكم المعرفي. فمثلًا، تُمكن منصات مثل ResearchGateأو Academia.eduالباحثين من تبادل الأوراق البحثية على الفور، فيما تُيسِّر المستودعات المؤسسية والرقمية نشر الدراسات العلمية بشكل مفتوح. وتدل الإحصاءات على أن معدل الوصول إلى الإنتاج العلمي ارتفع بنسبة تفوق 40% خلال العقد الأخير، مدعومًا بالتحول الرقمي (.UNESCO, 2021)

5- التكنولوجيا كعامل مهيكل لبنية البحث العلمي

تُعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال اليوم أحد الأعمدة الأساسية التي ترتكز عليها البنية التحتية للبحث العلمي. فقد تطورت المختبرات من أماكن مادية محصورة إلى بيئات افتراضية مدمجة تتيح محاكاة التجارب وتحليل البيانات في الزمن الحقيقي. كما غيّرت منصات الذكاء الاصطناعي وتقنيات التعلم الآلي من طبيعة تحليل البيانات، حيث أصبحت العمليات التحليلية أسرع وأكثر دقة وموضوعية.

وقد ساهم استخدام الأدوات الرقمية الحديثة في تحسين دقة الأبحاث وتقليل الخطأ البشري، إضافة إلى تمكين الفرق البحثية متعددة التخصصات من العمل بصورة متزامنة على مشاريع معقدة تتطلب تكاملًا معرفيًا وتكنولوجيًا عاليًا.

6- تحديات التقدم العلمي في البيئة الرقمية

رغم الإمكانات الهائلة التي أتاحتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال للبحث العلمي، إلا أن هذا التقدم لم يخلُ من تحديات. فمسائل الأمان السيبراني، وحماية الملكية الفكرية، وضمان جودة المعلومات المنشورة إلكترونيًا، تبقى من الإشكاليات المطروحة بقوة في البيئة الرقمية.

كما أن تسارع وتيرة التقدم أدى إلى ظهور ما يُعرف بـ«الفجوة الرقمية المعرفية»، حيث تستفيد بعض الدول والمراكز البحثية من التكنولوجيا أكثر من غيرها، مما يكرّس التفاوت في إنتاج المعرفة عالميًا (Castells, 2010).

يتبين من خلال هذا الطرح أن العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتقدم العلمي ليست علاقة ظرفية أو جزئية، بل هي علاقة عضوية وهيكلية أعادت تشكيل منظومة إنتاج المعرفة. لقد بات من الضروري النظر إلى هذه التكنولوجيا ليس فقط كأداة مساعدة، وإنما كبيئة متكاملة تستوجب تطوير مفاهيم البحث وأساليبه وحتى أخلاقياته.

وسيشكّل هذا الأساس المعرفي منطلقًا لفهم أعمق في الفصول القادمة حول إسهامات البحوث النظرية والتطبيقية، وتأثير الابتكار التكنولوجي على مناهج البحث العلمي والحوكمة الأكاديمية.

الفصل الثاني: البحوث النظرية – المفهوم، الوظائف، والرهانات المستقبلية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال

تمثّل البحوث النظرية الأساس المعرفي الذي تُبنى عليه التطورات العلمية والتكنولوجية في مختلف الحقول، وبشكل خاص

في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال فقد شهد هذا المجال تحولات كبرى خلال العقود الأخيرة، ما جعله يتطلب تأصيلًا نظريًا متجددًا باستمرار لمواكبة التحديات المرتبطة برقمنة الحياة، الذكاء الاصطناعي، البيانات الضخمة، والحوكمة الرقمية. إن أهمية البحوث النظرية تكمن في قدرتها على توليد المفاهيم والأطر التحليلية التي تشكل مرجعًا للبحوث التطبيقية، كما تتيح فهماً أعمق للظواهر المستجدة كالتحول الرقمي، الأمن السيبراني، والتفاعلات الاتصالية عبر المنصات الرقمية (Castells, 2009.).

يهدف هذا الفصل إلى تقديم قراءة معمقة في طبيعة البحوث النظرية، وظائفها وموقعها في سياق تطور المعرفة العلمية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، إضافة إلى إبراز التحديات والرهانات التي تواجهها في ظل البيئة الرقمية المتغيرة باستمرار (Webster, 2014.).

أولاً: تعريف البحوث النظرية في تكنولوجيا المعلومات والاتصال

تُعرّف البحوث النظرية بأنها النمط من الدراسات العلمية التي تسعى إلى بناء الأطر التفسيرية والتحليلية للظواهر، دون أن تهدف بالضرورة إلى تطبيق مباشر. وتلعب هذه البحوث دورًا جوهريًا في تشكيل منظومات التفكير العلمي وبناء نماذج تفسيرية لآليات الاتصال والمعلومات وتفاعلاتها في السياقات الرقمية الحديثة (Bawden & Robinson, 2012).

في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال، تتخذ البحوث النظرية أهمية مضاعفة، نظرًا للطبيعة الديناميكية والمتغيرة باستمرار لهذا المجال. فهي توفّر مفاتيح الفهم البنيوي لمفاهيم مثل الشبكات، المعلومات، الرموز، وتدفق البيانات، مما يسمح بتطوير نظريات تفسر أنماط السلوك البشري في الفضاءات الرقمية (Lievrouw & Livingstone, 2006).

ثانياً: الوظائف العلمية للبحوث النظرية في المجال التكنولوجي والاتصالي

تلعب البحوث النظرية عدّة وظائف محورية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال، منها:

تفسير الظواهر: تساعد على بناء أطر تفسيرية للتفاعلات الرقمية، استخدامات الوسائط الجديدة، وتطور أشكال الاتصال (McQuail, 2010)

توليد الفرضيات: تشكل منطلقًا لبناء الفرضيات التي تُختبر لاحقًا في البحوث التطبيقية.

تنظيم المعرفة: من خلال تصنيف المفاهيم والنماذج، تسهم في تنظيم المعرفة المتخصصة ضمن المجال الرقمي (Bryant, 2000).

توجيه البحوث المستقبلية: من خلال اقتراح مسارات نظرية جديدة، تستجيب لتحديات رقمية حديثة مثل الذكاء الاصطناعي والتحول السحابي.

ثالثاً: النماذج النظرية في حقل تكنولوجيا المعلومات والاتصال

شهد مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال بروز عدد من النماذج النظرية المؤسِّسة، مثل:

نظرية المجتمع الشبكي (Castells, 2009)، التي فسرت التحول نحو بنى اجتماعية ترتكز على تدفق المعلومات.

نموذج الاستخدامات والإشباعات الذي يفسر دوافع استخدام الأفراد للوسائط الرقمية (Katz et al., 1973).

نظرية الحتمية التكنولوجية التي ترى أن التكنولوجيا تملي أنماط التفاعل المجتمعي (Chandler, 1995).

رابعاً: التحديات المستقبلية للبحوث النظرية في سياق التحول الرقمي

تواجه البحوث النظرية تحديات متزايدة، من أبرزها:

التسارع الهائل في تطور الأدوات الرقمية، ما يفرض تحديثًا مستمرًا للنماذج النظرية.

تعقيد الظواهر الاتصالية الجديدة المرتبطة بالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي.

التداخل بين التخصصات: كدمج الاتصال مع علم البيانات وعلم النفس السيبراني.

الفصل الثالث: البحوث التطبيقية – دورها في مرافقة التقدم العلمي في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال

تمثّل البحوث التطبيقية الجسر الرابط بين النظرية والممارسة، وهي ضرورية لترجمة الأفكار والنماذج النظرية إلى حلول عملية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال. وفي عالم تتسارع فيه وتيرة الابتكار، بات من الضروري أن تستند تطبيقات التكنولوجيا إلى أسس علمية صلبة تقودها بحوث ميدانية ومنهجيات دقيقة (Checkland & Holwell, 1998).

أولاً: تعريف البحوث التطبيقية في سياق تكنولوجيا المعلومات والاتصال

البحوث التطبيقية هي تلك التي تهدف إلى إيجاد حلول عملية لمشكلات واقعية، باستخدام معارف ونماذج نظرية مُسبقة (Neuman, 2014). وفي مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، تشمل البحوث التطبيقية تطوير البرمجيات، اختبار الأنظمة الذكية، تحليل الأداء الشبكي، تصميم التجارب التفاعلية وغيرها من التطبيقات العملية.

ثانياً: وظائف البحوث التطبيقية في تكنولوجيا المعلومات والاتصال

تحسين الأداء التكنولوجي: مثل تطوير برمجيات الذكاء الاصطناعي وتقنيات تحليل البيانات.

معالجة المشاكل الاتصالية: مثل تطوير تطبيقات لمكافحة التضليل الإعلامي أو تعزيز الأمان السيبراني.

اختبار الفرضيات النظرية: تُستخدم لتأكيد أو تعديل النماذج النظرية السابقة (Saunders et al., 2016).

مرافقة صنع القرار: عبر تقديم نتائج علمية تساعد المؤسسات وصنّاع السياسات.

ثالثاً: مجالات تطبيق البحوث التطبيقية في البيئة الرقمية

البيانات الضخمة وتحليلها: بحوث تطبيقية تساعد على استخراج أنماط ذات دلالة من كم هائل من البيانات (Kitchin, 2014).

أنظمة الذكاء الاصطناعي: تطوير خوارزميات تعليم الآلة، والتطبيقات المعتمدة على الذكاء الاصطناعي.

أمن المعلومات: تحليل تهديدات الأمن السيبراني وتطوير آليات الوقاية.

الاتصال المؤسسي الرقمي: دراسة وتحسين استراتيجيات الاتصال في المؤسسات العامة والخاصة.

رابعاً: العلاقة التكاملية بين البحوث النظرية والتطبيقية في تطوير المعرفة الاتصالية

يشكل التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية مسارًا منهجيًا ضروريًا في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال. فالنتائج التطبيقية تغذّي التنظير العلمي بمعطيات واقعية، بينما توفّر النظريات الإطار الضروري لفهم وتحليل نتائج التطبيق. ويمكن أن نلاحظ هذا التفاعل في مجالات مثل الحوكمة الرقمية، أين تساهم النظريات في رسم تصور للحوكمة الشفافة، بينما تساهم البحوث التطبيقية في بناء أدوات مراقبة رقمية (Janssen & Kuk, 2016).

خامسا: نحو تكامل منهجي بين البحوث

يمثل التفاعل بين البحوث النظرية والتطبيقية ضرورة معرفية ومنهجية في ظل الطفرات الرقمية التي يشهدها العالم. وفي سياق تكنولوجيا المعلومات والاتصال، فإن الربط بين التصور النظري والتحقق العملي يُعدّ حجر الزاوية في التقدم العلمي. ومن هنا، تبرز أهمية بناء جسور مؤسساتية وعلمية تسمح بنقل المعارف النظرية إلى حقل التجريب والتطبيق.

1-التكامل بين التأطير النظري والبحوث التطبيقية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال

يمثل ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال بيئة خصبة للتكامل المعرفي بين البحوث النظرية والتطبيقية، حيث تتأسس العمليات البحثية فيه على مقاربات علمية تُزاوج بين التنظير العميق والفعل الميداني التجريبي. فالنظريات تُمثّل الإطار المرجعي لفهم التحوّلات الرقمية وآليات التواصل الرقمي، في حين توفر التطبيقات العملية مساحة لاختبار تلك الفرضيات وتكييفها مع الواقع المتغير.

في هذا السياق، تُبرز البحوث النظرية في حقل الاتصال المعلوماتي أهمية المفاهيم الكبرى مثل الذكاء الاصطناعي، وإنترنت الأشياء، وأنظمة المعلومات التفاعلية، كمنطلقات لفهم ديناميات التغيير في البيئة الرقمية (Floridi, 2010). وتُعد نماذج مثل نموذج "الوساطة التقنية" (Technological

Mediation Theory) ونظرية "الأنظمة الاجتماعية-التقنية" (Sociotechnical Systems Theory) من الإسهامات النظرية التي مهّدت الطريق لبحوث تطبيقية طوّرت أدوات للاتصال الآلي وتحسين اتخاذ القرار عبر الأنظمة الذكية (Verbeek, 2011; Mumford, 2006).

على الجهة المقابلة، توظّف البحوث التطبيقية هذه الأطر النظرية لتصميم تجارب واختبارات ميدانية تقيس أثر التكنولوجيا على الأداء المؤسسي، والتحول في ممارسات الاتصال داخل المؤسسات التربوية، الإعلامية، والاقتصادية (Heeks, 2006). على سبيل المثال، أظهرت دراسات تطبيقية كيف ساهم دمج أدوات التحليل الذكي في تحسين التواصل بين مختلف الوحدات في المؤسسات الحكومية (Chen, Chiang, & Storey, 2012).

ولا يقتصر التكامل على توظيف النظريات كمرجعية، بل يتجاوز ذلك نحو علاقة ارتدادية، حيث تُعيد البحوث التطبيقية تغذية النظرية عبر الملاحظات الميدانية، مما يؤدي إلى تعديل النماذج المفاهيمية أو توسيعها. فعلى سبيل المثال، أثبتت مشاريع رقمية موجهة لمحو الأمية الرقمية في إفريقيا أن بعض الافتراضات النظرية حول تكنولوجيا التعليم تحتاج إلى مراجعة في ضوء الحواجز الثقافية والتقنية (Unwin, 2009).

ومن ثمّ، فإن العلاقة بين النظري والتطبيقي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال لا تُختزل في تراتبية أو خطية، بل تقوم على تفاعل دائم ودائري، يفضي إلى تطوير مستمر في الأدوات، والمفاهيم، والنتائج. فالباحث الناجح في هذا المجال هو من يمتلك القدرة على ترجمة الإشكاليات النظرية إلى نماذج تطبيقية قابلة للتجريب، ومن ثم إعادة تأطيرها ضمن نظريات أكثر دقة وشمولًا (Gregor, 2006).

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن هذا التكامل يرسّخ مكانة البحث العلمي كقوة محركة للتغيير والابتكار في عالم رقمي متسارع، ويؤكد أهمية المقاربة المتعددة التخصصات التي باتت ضرورية لفهم وإدارة تعقيدات العصر الرقمي.

الفصل الرابع: استشراف آفاق التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال

يشهد العالم في العصر الراهن تحوّلات علمية متسارعة تفرض على مختلف الحقول المعرفية، لا سيما ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC)، إعادة النظر في العلاقة بين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية.

إذ لم يعد ممكناً فصل التفكير النظري المجرد عن الواقع العملي الذي يشهد تحولات متلاحقة، وإنما أصبح التكامل بين المنهجين مطلباً أساسياً لضمان نجاعة الابتكار، وتوجيهه نحو الاستجابة للتحديات المعقدة التي تواجه المجتمعات.

1. أهمية التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال

تقوم البحوث النظرية في تكنولوجيا المعلومات والاتصال بتطوير الأطر المفاهيمية والنماذج التجريدية لفهم الظواهر الرقمية، مثل نظريات الاتصال التفاعلي، ونماذج الانتشار الرقمي، وخوارزميات الذكاء الاصطناعي، وغيرها من المفاهيم التي تشكل الأساس العلمي للابتكار. في المقابل، تنطلق البحوث التطبيقية من هذه النظريات لتجربتها في الواقع، وتطوير حلول تقنية ملموسة مثل الأنظمة الذكية، والتطبيقات الرقمية، وبنى البيانات الضخمة، والشبكات السيبرانية، وغيرها (Le Moigne, 1990).

ويؤكد العديد من الباحثين أن هذا التكامل هو الذي يمنح للتطور العلمي طابعه الدينامي والتدريجي. فالبحث النظري يمنح العمق والتحليل المفاهيمي، بينما تتيح التطبيقات قياس الفرضيات وتحسين النماذج من خلال التفاعل مع الواقع (Bertin, 2017). وبدونهما معًا، تصبح المعرفة التقنية عرضة للتفكك أو الجمود.

2. نماذج تكاملية ناجحة بين النظرية والتطبيق في TIC

من الأمثلة البارزة على التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال:

نماذج الشبكات الذكية (Smart Grids): استندت في بدايتها على بحوث نظرية حول نمذجة التدفقات الكهربائية والتواصل الآلي بين الأجهزة، ثم طُبّقت في بيئات حضرية واقعية لتفعيل التحكم الذكي في استهلاك الطاقة (Amin & Wollenberg, 2005).

خوارزميات معالجة اللغة الطبيعية (NLP): حيث عملت البحوث النظرية على تحليل بنية اللغة والتفسير الدلالي، بينما ساهمت التجارب التطبيقية في تطوير مساعدين رقميين كـ Siri، وGoogle Assistant، وذلك في ضوء التجربة المستمرة والتعلم الآلي (Jurafsky & Martin, 2021).

البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي: إذ تم تطوير الأسس النظرية لتحليل البيانات منذ الستينيات، غير أن التطبيق الفعلي للبيانات الضخمة في مجالات مثل الصحة، التعليم، الأمن الرقمي، جاء نتيجة تلاقح بين البحوث التجريدية والنمذجة الرياضية، والتجريب العملي ضمن المؤسسات الرقمية (Mayer-Schönberger & Cukier, 2013).

3. شروط تعزيز التكامل في بيئات البحث

- لتكريس التكامل الفعّال بين البحوث النظرية والتطبيقية في مجال TIC، تقترح الأدبيات العلمية والهيئات الأكاديمية مجموعة من الشروط الجوهرية:
- إنشاء فرق بحثية متعددة التخصصات، تضم نظريين ومهندسين ومصممي حلول، لتشجيع التفاعل الخلّاق بين النماذج المفاهيمية والتقنيات التجريبية (Nowotny et al., 2001).
- دعم التمويل المؤسسي الموجه للمشاريع التكاملية، بحيث لا يتم الفصل بين المشاريع النظرية والتطبيقية في نداءات التمويل، بل تشجيع المشاريع ذات المسارين المتكاملين (European Commission, 2020).
- ربط مخرجات البحث بالاحتياجات المجتمعية والاقتصادية، مما يمنح للبحوث التطبيقية ميداناً حقيقياً للتجريب، ويحفز إعادة صياغة النظريات وفقاً للتحديات المتغيرة.
- اعتماد منهجيات البحث-الفعل (Action Research)، كوسيلة لدمج التفكير النظري والتدخل العملي ضمن مسار حلقة مستمرة من التفاعل (Reason & Bradbury, 2008).

4. أثر التكامل على الابتكار وتقدم المعرفة في TIC

يساهم هذا التكامل في تسريع وتيرة الابتكار، وتوجيه الجهود العلمية نحو إنتاج معرفة وظيفية ذات جدوى اجتماعية وتكنولوجية. فالبحوث التي تستند إلى نظريات متينة وتمتحنها في الواقع تتميز بقدرتها على إنتاج حلول قابلة للتكرار والتطوير المستمر. في حين أن الاعتماد المفرط على البحوث التجريبية دون قاعدة نظرية قد يؤدي إلى نتائج محدودة في السياق أو صعبة التعميم.

وقد أشار Castells (2000) في دراسته عن "مجتمع الشبكة" إلى أن الثورات التقنية لا تتحقق إلا حين يلتقي الفهم النظري العميق بالبنية التحتية التطبيقية، مما يُنتج ديناميكية معرفية تولّد نماذج جديدة في كل مرة.

5. آفاق مستقبلية للتكامل في سياق التحول الرقمي

مع تصاعد التحول الرقمي، يصبح التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى. فالذكاء الاصطناعي، والبلوك تشين، وتقنيات الواقع المعزز، وغيرها من التطورات تتطلب مقاربات بحثية مزدوجة:

نظريًا: لتفكيك الأسس الفلسفية والمعرفية لهذه التقنيات (مثل العلاقة بين الإنسان والآلة، أخلاقيات الخوارزميات...).

وتطبيقيًا: لتطوير منتجات وتقنيات تواكب الاحتياجات الاجتماعية والتكنولوجية الطارئة.

إن استشراف هذا التكامل يفرض على الجامعات والمراكز البحثية تبني استراتيجيات طويلة المدى لتعزيز هذا الاندماج، خاصة في العالم العربي، حيث لا تزال الفجوة بين النظرية والتطبيق تشكّل تحديًا حقيقيًا في مسارات البحث العلمي.

إن التكامل بين البحوث النظرية والتطبيقية لا يُعد مجرد ترف معرفي، بل يمثل مسارًا علميًا ضرورياً لتطوير ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصال. وهو يشكل الدعامة الأساسية للتجديد المعرفي والابتكار التقني في عالم رقمي سريع التحول. ولذا فإن السياسات البحثية، وممارسات التمويل، وأطر التعليم العالي، مطالبة بإعادة تشكيل أولوياتها وفق هذا التكامل الخلاق.

خاتمة

شهدت العقود الأخيرة تسارعًا غير مسبوق في وتيرة التقدم العلمي، حيث شكّلت تكنولوجيا المعلومات والاتصال ((ICTالقوة المحركة لهذا التحول العميق، سواء على مستوى النماذج المعرفية أو الممارسات العلمية. لقد بيّنت هذه المداخلة، عبر فصولها المختلفة، أنّ التفاعل الخلاق بين البحوث النظرية والتطبيقية، في ظل تنامي تقنيات الاتصال والمعلومات، لم يعد خيارًا منهجيًا فحسب، بل ضرورة حيوية لضمان استدامة المعرفة وتوسيع آفاق الابتكار العلمي. فقد أدى انفتاح الحقل الأكاديمي على أدوات الذكاء الاصطناعي، والتحليل الضخم للبيانات، والمنصات الرقمية المفتوحة، إلى إعادة تشكيل العلاقة بين الفرضية العلمية والنموذج التطبيقي، بما يجعل من تكنولوجيا المعلومات والاتصال قناة وصل استراتيجية بين التنظير والممارسة (.Castells, 2000; Benkler, 2006)ويمكن القول إنّ التكامل بين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية لم يعد مجرد ترف أكاديمي أو محض تنويع منهجي، بل أصبح ضرورة تستدعيها التحديات الراهنة التي تواجه المجتمعات المعرفية. فقد مكّنت الأدوات الرقمية والبيئات الذكية الباحثين من محاكاة النماذج

النظرية بدقة عالية، واختبارها في فضاءات افتراضية قبل نقلها إلى الواقع، وهو ما خلق نمطًا جديدًا من "العلم الرقمي" القائم على التجريب الآني والاستفادة من خوارزميات التعلم الآلي والتحليل التنبؤي (Hey et al., 2009). كما كشفت هذه الدراسة أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصال ساهمت في تقويض الحدود الصلبة بين التخصصات، حيث أضحت المعرفة أكثر تشابكًا، والمناهج أكثر تداخلاً، ما سمح بظهور بحوث هجينة تنهل من النظرية والتطبيق معًا ضمن فضاء رقمي متفاعل. ونتيجة لذلك، باتت المشاريع البحثية أكثر قدرة على الاستجابة لمتطلبات الواقع وتقديم حلول عملية للمشكلات المجتمعية، خاصة في مجالات مثل الطب الحيوي، وهندسة البرمجيات، والتعليم الذكي، والطاقة المتجددة، وحماية البيئة، وغيرها (Latour, 1987; Gibbons et al., 1994).

ويجدر التذكير بأنّ الرهان الحقيقي لتكريس هذا التكامل يكمن في مدى قدرة الباحثين والمؤسسات الأكاديمية على تفعيل بيئة بحثية داعمة تجمع بين التأصيل النظري والاختبار الميداني، مع اعتماد استراتيجيات بحث قائمة على التعاون العلمي المفتوح، والنشر الإلكتروني، والوصول الحر إلى المعطيات، مما يسمح بتسريع وتيرة التطور المعرفي وتحقيق التراكم العلمي (OECD, 2016). وهنا تظهر أهمية شبكات البحث الرقمي، ومنصات البيانات المفتوحة، والمختبرات الافتراضية التي توفر بيئات متعددة التخصصات لإنتاج المعرفة بطريقة تفاعلية وغير خطية.

وإذا كانت البحوث النظرية قد أسهمت في تأصيل المبادئ العامة، وصياغة المفاهيم التفسيرية، فإنّ البحوث التطبيقية أتاحت اختبار هذه المبادئ ضمن سياقات واقعية، مما ساعد على كشف محدوديات النماذج النظرية وتطويرها، أو حتى تجاوزها نحو نماذج أكثر تكيفًا ومرونة. ولا يمكن لهذا التكامل أن يؤتي ثماره إلا إذا اقترن بتكوين علمي متجدد للباحثين، يواكب الطفرات الرقمية، ويعزز المهارات التقنية والتحليلية لديهم (Nassaji, 2012).

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول إنّ استشراف مستقبل التقدم العلمي في ظل تكنولوجيا المعلومات والاتصال يقتضي إعادة صياغة العلاقة بين النظرية والتطبيق ضمن منظومة بحثية تكاملية، تؤمن بأنّ الابتكار لا ينشأ من اجترار النماذج، بل من حركية السؤال العلمي، ومن الانفتاح الواعي على أدوات الواقع، ومن تجذير الفكر ضمن التجربة.

وبهذا تكون المداخلة قد أرست أرضية مفاهيمية وتطبيقية تسمح بإعادة التفكير في أسس البحث العلمي المعاصر، مع التأكيد على أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصال ليست مجرد وسائط تقنية، بل هي إطار بنيوي جديد يعيد تشكيل منطق البحث والإنتاج المعرفي في القرن الحادي والعشرين.

المراجع

Beniger, J. R. (1986). The control revolution: Technological and economic origins of the information society. Harvard University Press.

Boyer, E. L. (1990). Scholarship reconsidered: Priorities of the professoriate. Princeton University Press.

Castells, M. (1996). The rise of the network society. Blackwell.

Castells, M. (2000). The information age: Economy, society and culture. Vol. 1: The Rise of the Network Society (2nd ed.). Blackwell.

Dretske, F. (1981). Knowledge and the flow of information. MIT Press.

Gibbons, M., Limoges, C., Nowotny, H., Schwartzman, S., Scott, P., & Trow, M. (1994). The new production of knowledge: The dynamics of science and research in contemporary societies. SAGE Publications.

Kuhn, T. S. (1962). The structure of scientific revolutions. University of Chicago Press.

Latour, B. (1987). Science in action: How to follow scientists and engineers through society. Harvard University Press.

Lévy, P. (1997). Collective intelligence: Mankind's emerging world in cyberspace. Plenum Trade.

Nonaka, I., & Takeuchi, H. (1995). The knowledge-creating company: How Japanese companies create the dynamics of innovation. Oxford University Press.

Nowotny, H., Scott, P., & Gibbons, M. (2001). Re-thinking science: Knowledge and the public in an age of uncertainty. Polity Press.

Porat, M. U. (1977). The information economy: Definition and measurement. U.S. Department of Commerce, Office of Telecommunications.

Rogers, E. M. (1962). Diffusion of innovations. Free Press of Glencoe.

Shannon, C. E., & Weaver, W. (1949). The mathematical theory of communication. University of Illinois Press.

Wiener, N. (1948). Cybernetics: Or control and communication in the animal and the machine. MIT Press

Regulation,' 'information society,' 'regional,' and 'global dynamics

Ali Hadjab, PhD
Mohamed Khider University of Biskra – (Laboratory of Rights and Freedoms in Comparative Systems)
ali.hadjab@univ-biskra.dz
Supervisor Professor Dr. Laouar Badra

ABSTRACT:

The research aims to regulate the information society at both the global and regional levels, highlighting the role played by various governmental and non-governmental organizations, particularly legislative systems, in addressing this phenomenon and placing it within its legal and regulatory framework. This regulation is essential for protecting its various characteristics and components, especially those related to individuals and their intellectual outputs. We conclude by appreciating the efforts of these organizations in this regard, emphasizing the need for continuous updating and adaptation to the immense scientific developments of the phenomenon and its resulting implications.

Keywords: Information Society – Information and Communication Technology – Regulation – Legislative Privacy

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تقنين مجتمع المعلومات، حركية إقليمية وعالمية.

علي حجاب، طالب دكتوراه'

جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر، مخبر الحقوق والحريات في الأنظمة المقارنة

ali.hadjab@univ-biskra.dz

بإشراف الأستاذة الدكتورة، لعور بدرة

الملخص:

يهدف البحث في تقنين مجتمع المعلومات على المستوى العالمي و الإقليمي إلى تبيين الدور الذي تؤديه مختلف المنظمات الحكومية و غير الحكومية ، خاصة المنظومات التشريعية في احتواء الظاهرة ووضعها في إطارها التنظيمي القانوني، بما تفرضه من ضرورة الحماية لمختلف خصائصها و مقوماتها ، وبالأخص ما تعلق بالإنسان ونتاجه الفكري.

لنخلص إلى تثمين ما تقوم به هذه المنظمات في هذا الإطار، مع ضرورة التحيين و التكيف المستمر مع التطور العلمي الهائل للظاهرة ، وما تفرزه من انعكاسات.

الكلمات المفتاحية: مجتمع المعلومات – تكنولوجيا الإعلام والاتصال – تقنين – خصوصية تشريعية.

مقدمة:

تشهد ظاهرة المجتمع المعلوماتي اهتماما كبيرا من طرف مختلف الفاعلين على المستويين الداخلي والدولي، وهو المسعى الذي يشكل حركية و وتيرة متسارعة لاحتواء الفكرة ووضعها في إطارها التنظيمي لتشمل كافة المجالات الحياتية الإنسانية، وأهم ما يفسر ذلك هو التطور العلمي والتكنولوجي الكبير الذي أفرز لنا مجتمعا حديثا يقوم على الرقمنة والذكاء الاصطناعي و اقتصاد المعرفة.

ويعد الإطار القانوني من أهم الأطر المطروحة لتنظيم وهيكلة فكرة مجتمع المعلومات، وهو إطار يسعى للحفاظ على سلامة الإنسان كمبدأ أساسي، ومن ثمة بما يعود عليه من حماية لحقوقه الفكرية بردع مختلف الأخطار والجرائم التي تنجم عن هذا التطور الفكري الحديث، خاصة في المناطق التي تعاني من تردي النمو الاجتماعي والاقتصادي، مقارنة بما يحققه العالم المتقدم من مكتسبات في هذا المجال.

هذا البحث يأتي متزامنا مع انعقاد أعلى المؤتمرات العالمية –والتي سنتعرض لها طي هذه الدراسة– لمواكبة تطور الحدث العلمي التكنولوجي العالمي، خاصة ما تعلق بتحيين التشريعات المنظمة لهذا الموضوع عالميا بما يندرج تحت هيئة الأمم المتحدة ، مع إبراز دور الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية كتجربتين رائدتين، بالإضافة إلى أهم المنتديات والفاءات الإقليمية خاصة في إفريقيا و أسيا التي تعانيان أكثر من مضار التحول التكنولوجي الكبير،ونعرج على ما تشهده الصين من نجاح معتبر في تحقيق مبتغيات المجتمع المعلوماتي.

ومن خلال ما سبق ذكره تبرز إشكالية البحث وهي: إلى أي حد حققت الحركية العالمية والإقليمية ما ينشده المجتمع المعلوماتي من تنظيم و حماية قانونية لعناصره من أخطار التطور المعرفي الحديث؟

سنعتمد في بحثنا هذا على المنهج التحليلي كونه الأنسب في تحليل الظاهرة بغية الوصول إلى النتائج المرجوة، بالإضافة لاستعمالنا للمنهج الإحصائي في بعض الحالات التي تتطلب التدخل بالأرقام والدلائل الإحصائية.

تهدف هذه الدراسة البحثية إلى الوقوف على مدى نجاعة القرارات المتخذة من طرف مختلف المنظمات الدولية في إيجاد إطار قانوني ينظم مجتمع المعلومات بشكل يعود بالرفاه خاصة على الدول الفقيرة والنامية،

التي تكافح من أجل الحاق بالركب العلمي السريع ، والتي تئن تحت وطأة الانعكاسات و التداعيات غير المريحة الناجمة عن عولمة تكنولوجيا الإعلام و الاتصال.

كما اعتمدنا في مداخلتنا هذه على خطة منهجية من خلال محورين؛ خصصنا الأول لتطور مجتمع المعلومات بتبيين مجموعة من المفاهيم ، التي نراها ضرورية لتوضيح ما يمكن أن يبهم على القارئ الكريم، ثم تطرقنا في المحور الثاني إلى الجانب التطبيقي العملي، لمعرفة ما يمكن تحقيقه من نتائج متوخاة من هذا البحث.

المحور الأول: تطور المجتمع المعلوماتي

يعرف العالم حاليا تطورا سريعا لتكنولوجيا الإعلام و الاتصال مس جميع جوانب الحياة الإنسانية الثقافية ،الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، هذا التطور نتج عنه مجتمعا تشكل المعلومة نواته الأساسية، فأصبح يعتمد عليها بالأساس في نموه و تقدمه، ومع انقسام العالم إلـى جانب متقدم متحكم في أساسيات التكنولوجيات الحديثة و بين عالم سائر في طريق النمو، تتباين بينهما مظاهر نمو المجتمع المعلوماتي.

أولا: مفهوم مجتمع المعلومات

الحديث عن مفهوم مجتمع المعلومات يقودنا إلى التطرق إلى تعريفه و توضيح مختلف خصائصه و مقوماته وهو ما نستعرضه من خلال الفروع الآتية:

1- تعريف مجتمع المعلومات

قبل تعريف مجتمع المعلومات لابأس أن نلقي نظرة على مراحل تطوره ، فرغم أن أول مرة تنفصل فيها عملية نقل المعلومات عن عملية النقل المادي كانت عند اختراع التلغراف عام 1837 حيث لم يعد ضروريا إن ينتقل مع المعلومة إنسانا أو حيوانا أو آلة، بل أصبحت المعلومة تنتقل من خلال شبكة من الأسلاك والكابلات الكهربائية (صالح و رواكسي).

ولكن لم يتسم عصر المعلومات بهذه الصفة إلا بعد زيادة حجم انتشار واستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها خلال عقد السبعينات إلا غاية يومنا هذا (صالح و رواكسي)[1]، وقد ميز هذه الفترة

ظهور مجموعة الأدوات التكنولوجية على غرار الطابعات، الراديو، التلفاز، الهاتف وأهم وسيلة عـلى الإطلاق هي الحاسوب.

"وقد أدى انتشار الإنترنت بشكل واسع في التسعينات من القرن العشرين إلى جعل العالم قرية كونية أو ما يطلق عليه البعض مجتمع المعلومات الكوني" (سراية و بن عمر، 2020) .

كما يمكننا القول أننا نشهد في عصرنا الحالي ثورة غير مسبوقة في التطور العلمي والفكري الذي أدى إلى ظهور مجموعة ذكية من الوسائط والتطبيقات التكنولوجية، جعلت من المجتمعات تتجه نحو الاستثمار في هذا المجال واتخاذه بديلا للاقتصادات التقليدية.

تعددت تعريفات مجتمع المعلومات وتنوعت لكنها اتفقت بأنه مجتمعا يعتمد بالأساس على المعلومة وتكنولوجيات الإعلام والاتصال، فعرفته لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب أسيا الاسكوا بأنه "مجتمع تجري فيه معالجة المعلومات بشكل ملموس. وهو مجتمع تؤثر فيه عملية إيجاد المعلومات وتوزيعها ومكالمتها ومعالجتها على النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. إن اقتصاد المعرفة هو الجانب الاقتصادي من هذا المجتمع بحيث يجري فيه استثمار المعرفة وفهمها" (الإسكوا).

و من بين أهم التعريفات كذلك تعريف مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات تونس 2005 بأنه " مجتمع عالمي جامع ذو توجه تنموي يضع البشر في صميم اهتمامه" (سكرايبد).

كذلك يعرفه الاتحاد الدولي للاتصالات بأنه " مجتمع يستطيع كل فرد فيه استحداث المعلومات والمعارف والنفاذ إليها واستخدامها وتقاسمها و يتمكن فيه الأفراد و الشعوب من تسخير كامل إمكاناتهم للنهوض بتنميتهم المستدامة ولتحسين نوعية حياتهم وذلك انطلاقا من مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة و التمسك بالاحترام الكامل للإعلان العالمي لحقوق الإنسان" (وزارة البريد والمواصلات السلكية و اللاسلكية الجزائرية).

فمن خلال التعريفات السابقة تبرز أهم خصائص المجتمع المعلوماتي و تتمثل في:

2- خصائص مجتمع المعلومات

2-1 مجتمع تكنولوجي رقمي يعتمد على المعلومة بشكل أساسي

مما يحقق إمكانية الاستفادة منها في الارتفاع بمستوى كفاءة المنظمات والهيئات والمؤسسات المختلفة وتشجيع الابتكار والاستثمار فيها مع زيادة القدرة على التنافس من خلال تحسين نوعية الإنتاج ، كما يمكنهم الاعتماد عليها في أداء مختلف المهام اليومية والاستعانة بها في تحديد رغباتهم والتعرف من خلال هذه المعلومات على مختلف حقوقهم وإدراك حدود مسئولياتهم الاجتماعية والسياسية[ii] (جامعة سطيف).

2-2- مجتمع يرتكز على الانترنت في التعليم و البيانات والابتكار

كما يعد أساس بناء المجتمعات هو التعليم الجيد، فإن مجتمع المعلومات كذلك يعتمد في رقيه على المنظومة التعليمية الرقمية الالكترونية عبر الشبكة العنكبوتية بالولوج إلى مختلف الوسائط والمنصات الخاصة بالتواصل الاجتماعي و التعليم عند بعد ، كما يتيح لهذه الفئة من المجتمع استغلال قواعد البيانات الضخمة المخزنة وتحقيق ما يتطلبه الأمر من مهارات تعليمية متطورة.

لا ريب أن كل ما سبق ذكره يصب في الاستثمار في مختلف عناصر المجتمع المعلوماتي لتحقيق ابتكارات تصب في ترقية اقتصاد المعرفة.

"الابتكار في تكنولوجيا المعلومات هو عملية تطوير وتنفيذ أفكار جديدة ومبتكرة لتحسين الأنظمة والتقنيات المستخدمة في مجال تكنولوجيا المعلومات. يمكن أن تشمل الأفكار الجديدة تصميم أجهزة وبرامج جديدة، أو تحسين الأنظمة الحالية لتلبية احتياجات وتحديات العمل" (السيد، 2024).

2-3- مجتمع يسود فيه الحكم الرقمي الذي يسعى إلى تحقيق الحماية والأمان

إلى جانب سعي المؤسسات و الحكومات الرقمية إلى تحقيق جودة الخدمة وإضفاء الشفافية و العدالة في مشاركة المواطنين، فإنها تسعى كذلك للتصدي للقضايا الأهم والمتعلقة بالحماية و الأمن السيبراني المرتبط بالمجتمع المعلوماتي، حيث "يشير الأمن المعلوماتي إلى حماية البيانات والمعلومات من الاختراقات والسرقات. يتضمن ذلك استخدام الأساليب التكنولوجية والقوانين لحماية المعلومات الحساسة من الوصول غير المصرح به، مما يضمن سلامة المعلومات وخصوصيتها.

أهمية الأمن المعلوماتي؛ إن أهمية الأمن المعلوماتي تتزايد بشكل مستمر مع الانتشار الواسع للتكنولوجيا. تتعرض المؤسسات لمخاطر عديدة مثل الهجمات السيبرانية، مما يستدعي استثماراً أكبر في أنظمة الأمن. الحفاظ علـــى أمـــن المعلومات يحمـــي الأعمال من الأذى، يعزز الثقة لدى العملاء، ويضمن الامتثال للقوانين المعمول بها، مما يسهم في استدامة الأعمال ونموها" (مدونة ICN).

ثالثا: عناصر و مقومات المجتمع المعلوماتي

1_ الانترنيت:

تشكل الإنترنيت العنصر الأساسي في وجود مجتمع المعلومات، حيث تعد النموذج المؤثر والفعال لثورة المعلومات، فلا أحد يجادل في أنها قضت على نجومية التلفزيون، فهي العنكبوت الذي نسج خيوطه ببراعة فائقة حول الكرة الأرضية.

لقد أصبحت الإنترنت نافذة الإنسان التي يرى من خلالها واقعه، ويمارس فيها عن بعد معظم أنشطته العملية والذهنية. وقد وفرت تكنولوجيا المعلومات إمكانية مثيرة للقاء الثقافات.

إن الفكرة وراء النجاح المذهل الذي حققته الإنترنت تكمن في أن التكنولوجيا لا تحقق أهدافها إلا إذا تفاعلت مع المجتمع، وأصبحت متاحة لجميع الفئات على اختلاف قدراتهم وهو ما حققته الإنترنت بشكل رائع ومذهل (طوالبية، 2018).

2_ المعلومات والمعارف:

تُعتبر المعلومات والمعارف عنصرين أساسيين في المجتمع ألمعلوماتي، حيث يؤديان دورا حيويا في طريقة تفاعل الأفراد مع العالم من حولهم من خلال فهم العلاقة بين المعلومات والمعرفة، رغم استخدام مصطلحي مجتمعات المعلومـــات ومجتمعات المعرفـــة بشكل مترادف، إلا أنهما يتميزان بخصائص مميزة تستحق البحث.

يركز مجتمع المعلومات بشكل أساسي على البنية التحتية التكنولوجية وتوليد المعلومات ومعالجتها ونقلها. في المقابل، يركز مجتمع المعرفة على القدرة على تحويل تلك المعلومات إلى معرفة هادفة وتطبيقها لحل المشكلات ودفع عجلة الابتكار.

وكما أشار مانويل كاستيلز، عالم الاجتماع الشهير: (إن ما يميز الثورة التكنولوجية الحالية ليس مركزية المعرفة والمعلومات، بل تطبيق هذه المعرفة والمعلومات على أجهزة توليد المعرفة ومعالجة المعلومات). (UNIVERSITY JOURNALISM) .

3 _ الفضاء السيبيراني:

إن الوسط الذي يتولد فيه مجتمعا معلوماتيا هو عبارة عن عالم الكتروني يستخدم فيه الحاسوب للتواصل عبر الانترنيت إلى جانب العديد من البروتوكولات البيانية المتبادلة بين المستخدمين، وهو "بيئة رقمية عالمية متداخلة. تتألف من البنية التحتية التقنية والبيانات والمعلومات التي تتدفق وتتفاعل فيما بينها" (المدونة العربية).

ثانيا: واقع المجتمع المعلوماتي في الدول النامية و المتقدمة

رغم العولمة المعلوماتية و الطفرة العلمية التكنولوجية غير المسبوقة التي مست العالم برمته، إلا أن غالبية المجتمعات النامية أو السائرة في طريق النمو لا تزال تناشد الالتحاق بالركب في هذا المجال ، متأثرة بالواقع العام المعاش حيث لا يزال يخيم الفقر والبطالة.

1– المجتمع المعلوماتي في الدول النامية

يعد التقسيم غير المتكافئ لفرص الوصول إلى شبكات المعلومات والمعرفة والمساهمة فيها والاستفادة من القدرات المعززة للتنمية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، أحد أبرز اعتبارات جيلنا، حيث توفر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصًا غير مسبوقة في الجهود المبذولة للحد من الفقر ، على سبيل المثال ، في دعم نمو اقتصاديات الحجم، وتسهيل الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية ، وتمكين المواطنين ، وحماية البيئة ، ومنع الكوارث الطبيعية. من بين 2.9 مليار شخص لا يزالون بلا اتصال بالإنترنت ، تعيش نسبة كبيرة منهم في البلدان الأقل نموًا في العالم. تظل هذه الفجوة الرقمية واحدة من أهم العوائق التي تحول دون مستقبل آمن ومزدهر للبشرية (منتدى القمة العالمي لمجتمع المعلومات، 2022).

باستثناء مجموعة من المجتمعات الرائدة في مجال المعلومتية والبنية التحية والاستثمار الفكري والمنتمية إلى العالم النامي،حيث ووفقًا لتوقعات مراكز الذكاء الاصطناعي وعلم البيانات، فإن قطاع التكنولوجيا الذكية وبعد احتواء تداعيات وباء كوفيد 19، بات مؤهلاً لتحقيق ازدهار كبير في السنوات المقبلة، وستحقق منطقة الشرق الأوسط 2 % من الفوائد العالمية للذكاء الاصطناعي بحلول عام 2030، من إجمالى استثمارات متوقعة فى حدود 100 مليار دولار أمريكى. وتبرز الإمارات العربية فى مقدمة الدول التى تستحوذ على نسبة عالية فى نمو الذكاء الاصطناعي، ما يمثّل 13.6 % من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام 2030. ويلاحظ أن الكثير من الدول الإفريقية باتت حريصة على إنشاء العديد من مراكز البيانات وتوفير بيئة آمنة رقميًا. وتعد مصر من بين الدول التي أحرزت تحولات لافتة مع تقدمها 55 مركزًا في مؤشر جاهزية الحكومة للذكاء الاصطناعي عام 2020. كما تهتم كل من قطر والسعودية بتحقيق قفزات رقمية وبناء مجتمع أعمال رقمي، وتلعب شركات الاتصالات فيهما دورًا بارزًا فى هذا السياق (طالب، 2023).

- **التجربة الصينية:**

تعد التجربة الصينية في تطوير المجتمع المعلوماتي تجربة رائدة ومثالا يقتدى به للدول الأخرى، حيث تتضح أهمية التخطيط الاستراتيجي والاستثمار في التكنولوجيا كعوامل رئيسية لتحقيق التنمية المعرفية.

ومن أجل الاستفادة من هذه التجربة، يمكن للدول النامية أن تعزز من قدراتها الرقمية وتحقق تقدمًا في مختلف المجالات.

لقد صار إنتاج المعرفة واستغلالها واستخدامها مصدرا أساسيا للتنمية ، وباتت المعرفة رأس المال الذي يقوم على الأفكار التي تعظم العوائد الاقتصادية بالنسبة لنموذج التنمية التي حققتها الصين، نجد أنها تمثل تجربة ذات مسارات مرحلية بدأت بتطبيق سياسة الإصلاح الاقتصادي و الانفتاح في العام 1978 على يد دنغ شياو بينغ الأب المؤسس لسياسة الانفتاح، والذي دعا لان تكون الاشتراكية الصينية أداة لتطوير وتنمية قوى الإنتاج وحفز الصينيين على اكتساب وتعلم التكنولوجيا والاطلاع على تجارب الإدارة المتقدمة للدول المتطورة (المجيد و بوربعين 2017).

كما يجدر بالذكر أيضا أن الثورة المعلوماتية للصين كانت نتيجة عن تضافر كافة الجهود و تكامل جميع القطاعات، و أهمها الاستثمار في التعليم و تطوير مهارات الفرد منذ الصغر وتدريبه لإتقان هذه التكنولوجيات التي نراها حكرا على المجتمعات المتقدمة، فبعد أن كانت الصين مثالا للتقليد و القرصنة الفكرية ، فبفضل سياساتها الحكيمة استطاعت التخلص من هذه الميزة التي كانت لصيقة بها لمدة زمنية طويلة، وانطلقت للاستثمار بالطرق القانونية المتاحة لنقل التكنولوجيا و تطويرها.

2- المجتمع المعلوماتي في الدول المتقدمة

يشكل المجتمع المعلوماتي في الدول المتقدمة أنموذجًا رائدا للتفاعل بين التكنولوجيا والمجتمع، من خلال الاستثمار في البنية التحتية الرقمية وتعزيز النفاذ إلى المعلومات. كما يمكن لهذه المجتمعات أن تستمر في تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز جودة الحياة لمواطنيها.

ومعروف أن أساليب الاتصال والإعلام المستخدمة والمنتشرة بشكل واسع حالياً، لم تكن إلا نتاجاً للتقدم العلمي في مجال وسائل الاتصال والإعلام، ونتيجة للأبحاث العلمية التامة في مجال الإعلام بفروعه المختلفة: الاقتصادية، والسياسية، والعلمية، والزراعية، والصناعية، والتجارية، والثقافية، والاجتماعية وغيرها من فروع المعرفة الإنسانية، التي جرت خلال النصف الأول من القرن العشرين ولم تزل مستمرة في التطور في العالم المتقدم كله حتى اليوم، وطالت تأثيراتها العالم النامي بأسره. وكما هو معروف أيضاً كان نشر تلك المعلومات يتم بالطرق التقليدية عبر الكلمة المطبوعة، والمسموعة والمرئية أحادية الجانب أي من المرسل إلى المستقبل، دون أن تكون هناك أية إمكانية للتفاعل الإيجابي بين المرسل والمستقبل عبر الطرق التقليدية السائدة لنقل تلك المواد الإعلامية التي حملتها إليه شتى وسائل نقل وتخزين وإيصال المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية. ولكن الثورة التي تفجرت بشدة خلال الربع الأخير من القرن العشرين في مجال تقنيات ووسائل الاتصال والإعلام والاستشعار عن بعد، وضعت البشرية أما منعطف تاريخي حاسم تشارك فيه اليوم، كل عناصر التركيبة الاجتماعية القادرة على المشاركة في عملية التأثير والتفاعل المتبادل من خلال عملية التبادل الإعلامي

المستمرة داخل المجتمع المحلي والدولي، عبر وسائل الاتصال الحديثة التي أصبحت فيها تقنيات الحاسب الآلي الحديثة دائمة التطور تشكل العنصر الهام والفاعل في حسم القضية كلها لصالح العولمة بكل أشكالها وأبعادها (البخاري، 2009).

التجربة الأوروبية:

تعتبر التجربة الأوروبية في مجال مجتمع المعلومات الأمثل في كيفية استخدام التكنولوجيا لتعزيز التنمية المستدامة والاستثمار الفكري، من خلال استراتيجيات فعالة وتعاون دولي، ويمكن للاتحاد الأوروبي من تحقيق أهدافه في بناء مجتمع معلومات شاملا ومتكاملا ، كما "سعى الاتحاد الأوروبي في بلوغ أوروبا مجتمع المعلومات، فعمل على إتاحة وتعزيز المبادرات الفردية، وتوفير التمويل اللازم للنفاذ بطريقة متساوية إلى شبكات الاتصالات في المناطق البعيدة منها، والتي لم تتح لها فرصة التكامل كبقية الدول، كما هو الحال في الدول الاسكندينافية" (الإسكوا).

ومن بين الدول الأوروبية الرائدة أيضا في هذا المجال، نجد المملكة المتحدة حيث تنتج بريطانيا نسبة كبيرة من الناتج العلمي في العالم إلى جانب كلٍ من كندا والصين وفرنسا وألمانيا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة. ولعل ما يميزها أيضاً هو تحقيق تدفقات استثمارية كبيرة ذات تأثير واضح، إذ أنها لا تزال البلد الأكثر إنتاجية في إنتاج المنشورات الأعلى 1%؛ مما يعني أنها الأكثر كفاءة في إنتاج أكثر المنشورات التي يتم الاستشهاد بها في العالم (علي، 2023).

المحور الثاني: تقنين المجتمع المعلوماتي عالميا و إقليميا

يعتبر تقنين المجتمع المعلوماتي على المستويين العالمي والإقليمي أمرًا حتميا لضمان الاستخدام الفعال والمستدام لتكنولوجيا المعلومات، خاصة في ظل تنامي ظاهرة جرائم تكنولوجيا المعلومات وهي "كل فعل و عمل وكل سلوك غير مشروع أو غير أخلاقي أو غير مسموح به صادر عن إرادة جنائية يقوم به شخص ما لديه دراية

ومعرفة بتكنولوجيا المعلومات المختلفة (تكنولوجيا التخزين والاسترجاع وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة) ويوجه ضد المصلحة العامة والخاصة، وتشتمل تلك الجرائم من الناحية المبدئية جميع الجرائم التي يمكن أن ترتكب فيه أو عبر وسط الكتروني ويقرر لها القانون عقوبة أو تدبيرا" (الطائي، 2007).

ولتحقيق ذلك يتطلب تعاونًا دوليًا، بالإضافة إلى تحيين تشريعات محلية لتتماشى مع المعايير التطورية العالمية، مما يساهم في تعزيز التنمية المستدامة وحماية حقوق الأفراد في عصر المعلومات.

أولا: على الصعيد العالمي

نستعرض من خلال هذا المطلب الدور الذي تؤديه منظمة الأمم المتحدة إلى جانب الاتحاد الأوربي كمنظومتين تشريعيتين فعالتين في تأطير وحماية الناتج الفكري لمجتمع المعلومات.

1- دور هيئة الأمم المتحدة في تقنين مجتمع المعلومات

يتجلى دور الأمم المتحدة في هذا الشأن من خلال العديد من المؤترات و الندوات العالمية المنطوية تحت المظلة الأممية وأبرزها:

- **القمة العالمية حول مجتمع المعلومات:**

عقدت هذه القمة العديد من الدورات و المؤتمرات العالمية، أبرزها دورة جونيف 2003 وتونس 2005 حيث اقترحت الجمهورية التونسية تنظيم القمة العالمية لمجتمع المعلومات (SMSI) وإدراج هذه القمة في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال مؤتمر وزراء الاتصالات الذي عقد في مينيابوليس في عام 1998، ليقرر مجلس الاتحاد الدولي للاتصالات (UIT) في 2001 أن يتم تنظيم هذه القمة على مرحلتين، الأولى منهما تكون في سويسرا، والثانية تكون في تونس،

وتمت الموافقة على هذا الاقتراح من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم 183/56 الذي منح الاتحاد الدولي للاتصالات دورًا رياديًا في إعداد القمة بالتعاون مع منظمات وشركاء آخرين ذوي اهتمام مشترك.

أُقيمت المرحلة الأولى في جنيف من 10 إلى 12 ديسمبر 2003 وأسفرت عن اعتماد إعلان المبادئ وخطة العمل،

أقيمت المرحلة الثانية في تونس من 16 إلى 18 نوفمبر 2005، وقد تم في نهايتها اعتماد التزام تونس وأجندة تونس لمجتمع المعلومات. وهي وثائق تضمنت فصولًا حول آليات التمويل وحوكمة الإنترنت والتنفيذ والمتابعة (وزارة البريد والمواصلات السلكية و اللاسلكية الجزائرية).

ثم تلتها عدة دورات على غرار دورة 2016 بجنيف حيث اعتمد القمة سبعة عشر17 هدفا أبرزها البايان الصادر حول " إتاحة الوصول على نحو سريع ومنصف وميسّر لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وبأسعار معقولة – وخاصة في العالم النامي والمجتمعات المهمشة – أمر ضروري لتحقيق اقتصاد رقمي يتسم حقا بالشمول. وذكر البيان" أن القمة العالمية لمجتمع المعلومات تمثل المحفل الذي يجري فيه العمل الحقيقي بشأن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لأغراض التنمية، حيث تجمع بين مجموعات أصحاب المصلحة المتعددين من جميع أنحاء العالم لتبادل أفضل الممارسات وإقامة شراكات تعاونية" (الأمم المتحدة).

كذلك دورتي 2022 و2023 و ابرز ما جاء فيهما حول موضوع تقنين مجتمع المعلومات:

أـ الأمن السيبراني في قلب التحول الرقمي في إفريقيا، إذ يقع الأمن السيبراني في قلب الأمن والازدهار العالميين حيث تحفز الرقمنة في البلدان المتقدمة والنامية. يكمن التحدي في إنشاء مجتمع رقمي مزدهر يكون مرنًا للتهديدات السيبرانية ولديه المعرفة والقدرات لاستغلال الفرص وإدارة المخاطر.

بـ إستراتيجية بناء القدرات المستدامة للبلدان الأقل نمواً والبلدان النامية لمواجهة المخاطر الإلكترونية والرقمية، تسليط الضوء على التحديات في ضمان التأثيرات المستدامة والطويلة الأمد لأنشطة بناء القدرات في مجال الأمن السيبراني ، وكيفية التغلب عليها. بحلول نهاية ورشة العمل ، سيكون المشاركون قادرين على معالجة القضايا المشتركة.

ج ـ تطور الهندسة الاجتماعية والتصيد، وذلك من خلال التصيد الاحتيالي، والتضليل عبر البريد الإلكتروني للنشاط التجاري (منتدى القمة العالمي لمجتمع المعلومات، 2022).

القمة العالمية لمجتمع المعلومات هي عملية قائمة متعددة الأطراف تابعة للأمم المتحدة بشأن الحوكمة الرقمية والتعاون مع رؤية تهدف إلى تعزيز مجتمعات المعلومات والمعرفة التي تركز على الإنسان والشاملة والموجهة نحو التنمية.

سيُعقد الحدث رفيع المستوى WSIS+20 2025 في الفترة من 7 إلى 11 يوليو 2025 في Palexpo في جنيف، سويسرا ، ويستضيفه الاتحاد الدولي للاتصالات والاتحاد السويسري، ويشارك في تنظيمه الاتحاد الدولي للاتصالات واليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والأونكتاد. ويتعزز الحدث من خلال المشاركة التعاونية من جانب كيانات الأمم المتحدة الأخرى المكلفة بتنفيذ خطوط عمل القمة العالمية لمجتمع المعلومات (منتدى القمة العالمي لمجتمع المعلومات، 2022).

دـ لجنة العلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية ؛ وهي هيئة فرعية تابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي ونقطة الاتصال التابعة للأمم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا والابتكار من أجل التنمية، في تحليل كيفية عمل العلوم والتكنولوجيا والابتكار، بما في ذلك تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كممكنات لخطة عام 2030.

ويعمل المؤتمر كمنتدى للتخطيط الاستراتيجي، ومشاركة الدروس المستفادة وأفضل الممارسات، وتوفير الرؤية بشأن الاتجاهات الحرجة في العلوم والتكنولوجيا والابتكار في القطاعات الرئيسية للاقتصاد والبيئة والمجتمع، ولفت الانتباه إلى التقنيات الناشئة والمزعزعة للاستقرار.

تستضيف منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) أمانة اللجنة منذ عام 1992.

المواضيع ذات الأولوية

في كل عام، تتناول اللجنة موضوعين ذوي أولوية، وفي دورتها الثامنة والعشرين، هما:

الموضوع الأول : تنويع الاقتصادات في عالم يشهد تسارعًا في الرقمنة.

الموضوع الثاني : استشراف التكنولوجيا وتقييم التكنولوجيا من أجل التنمية المستدامة.

وسيشارك في المؤتمر ممثلون عن الحكومات والمنظمات الدولية والمجتمع المدني والقطاع الخاص.

وستُعقد الدورة بمشاركة فعلية في قصر الأمم من خلال منصة الترجمة الفورية باللغات الرسمية الست للأمم المتحدة.

وستستعرض اللجنة أيضاً التقدم المحرز في تنفيذ ومتابعة نتائج القمة العالمية لمجتمع المعلومات على المستويين الإقليمي والدولي، وخاصة استعراض القمة العالمية لمجتمع المعلومات +20؛ وستستمع إلى عروض تقديمية بشأن مراجعات السياسات الجارية في مجال العلوم والتكنولوجيا والابتكار (لجنة العلوم والتنمية).

2- دور الاتحاد الأوروبي

تحت شعار – الاتحاد الأوروبي يتصدر العالم في قوانين الذكاء الاصطناعي- "في خطوة رائدة، وافق البرلمان الأوروبي على قانون الذكاء الاصطناعي والحد من أخطاره، والسعي إلى جعل التكنولوجيا أقل ضررا على الإنسانية. هو القانون الأول عالميا في هذا المجال" (المجلة)

وقد أيدته الغالبية في البرلمان الأوروبي بنسبة 523 صوتا، في مقابل 46 صوتا معارضا، فيما امتنع 49 عن التصويت. يهدف القانون إلى حماية الحقوق الأساسية للأفراد، والديمقراطية، وسيادة الدستور والتشريعات، والأهم، هو توفير مناخ إيجابي وشفاف يلزم كل العاملين في مجال تطوير الذكاء الاصطناعي الإفصاح عن معلومات أساسية عن منتجاتهم، واحترام المعلومات الشخصية للأفراد في الأماكن العامة كتقنية التعرف إلى الأشخاص من خلال الوجه.

يمكن هذا القانون أيضا الأفراد والعملاء من تقديم الشكاوى وإلزام الشركات الاستجابة لها، تحقيقا لمبدأ الشفافية وحماية المستهلك، كذلك يفرض القانون التزامات صارمة لأنظمة الذكاء الاصطناعي العالية الأخطار، كتلك المتعلقة بالتعرض للحقوق الأساسية للمواطنين واتخاذ قرارات عنصرية (المجلة).

- **اللائحة العامة لحماية البيانات:**

تعتبر اللائحة العامة لحماية البيانات (GDPR) أهم جزء من تشريع حماية البيانات الأوروبي الذي تم تقديمه في الاتحاد الأوروبي منذ 20 عامًا ويحل محل توجيه حماية البيانات لعام 1995. وتعزز اللائحة العامة

لحماية البيانات حقوق خصوصية الفرد في الاتحاد الأوروبي وتضع التزامات معززة بشكل كبير على المؤسسات التي تتعامل مع البيانات. فيKeeper Security .

تنظم اللائحة العامة لحماية البيانات معالجة البيانات الشخصية عن الأفراد في الاتحاد الأوروبي بما في ذلك جمعها أو تخزينها أو نقلها أو استخدامها. يتم تعريف مفهوم البيانات الشخصية على نطاق واسع ويغطي أية معلومات تتعلق بفرد محدد أو قابل للتحديد، تحدده اللائحة العامة لحماية البيانات باعتباره "موضوع البيانات". وبالنسبة لمعظم الشركات، يشمل ذلك الموظفين والعملاء (keeper).

3- دور الولايات المتحدة الأمريكية

تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في طريق تقنينها لمجتمع المعلومات عدة تحديات تتطلب تقنينا فعالا يضمن حماية خصوصية وحقوق الأشخاص بإنشاء توازنا بين حماية الحقوق والابتكار يقتضي التحيين المتواصل للقوانين.

وقد أصدر البيت الأبيض، في 28 مارس 2024، أول سياسة على المستوى الحكومي، عبارة عن مبادئ توجيهية تهدف إلى التخفيف من مخاطر الذكاء الاصطناعي(AI) ؛ مما يتطلب من الوكالات اتخاذ مزيد من الإجراءات لتعزيز سلامة وأمن الذكاء الاصطناعي، وحماية خصوصية الأمريكيين، فضلاً عن معالجة المخاطر التي قد تشكلها التكنولوجيا.

"وفي أحدث تقرير أعدّه صندوق النقد الدولي في يناير 2024، تبيّن أن الذكاء الاصطناعي قد يؤثر في 40% من الوظائف على مستوى العالم، ومن المؤكد أنه سيؤدي إلى تفاقم مشكلة عدم المساواة في سوق العمل؛ لدرجة أن مجموعة "غولدمان ساكس" توقعت أن يُحل الذكاء الاصطناعي محل ما يقدر بـ 300 مليون وظيفة دوام كامل حول العالم" (keeper)

ثانيا: على الصعيد الإقليمي والمحلي

لا ريب أن المنظمات الإقليمية و المجتمع المدني لهم دورهم الفعال في تقنين المجتمع المعلوماتي ، ويظهر هذا الدور من خلال الحركية الحتمية التي فرضها الواقع المعرفي المعاش.

وفيما يلي عيينات أدت أدوارا مهمة في تعزيز عملية التقنين.

1- دور المنظمات الإقليمية:

1-1- في إفريقيا:

على الرغم من وضع أغلبية الدول الإفريقية لقوانين تتعلق بحماية الملكية الفكرية والاستثمار فإن تقنين مجتمع المعلومات يعد من أهم القضايا المطروحة التي تواجه القارة في عصر النهضة الرقمية، ويتطلب هذا الأمر وضع نظم قانونية تضمن الاستخدام الآمن والفعال للتكنولوجيا والمعلومات، مما يصب في تعزيز التنمية المستدامة و يرمي في تطوير اقتصاد المعرفة، ويمثل تطور مجتمع المعلومات في إفريقيا خطوة أساسية تستلزم التعاون الفعال والمتكامل من الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني لضمان بيئة رقمية آمنة وفعالة تعزز من فرص النمو والابتكار في القارة.

من خلال تقوية البنية الرقمية ومبادرات التعاون بين دول القارة، تحاول الدول الأفريقية اللحاق بالركب السريع لاستعمالات الذكاء الاصطناعي، ولا تزال بحاجة لعمل كبير لتحقيق ذلك.

وفي هذا الإطار، يعتزم تحالف ''إفريقيا الذكية'' وهي منظمة حكومية أفريقية تضم 40 دولة، إطلاق مجلس للذكاء الاصطناعي في القارة السمراء بالعاصمة الرواندية كيغالي، تأتي هذه الخطوة التي أُعلن عنها على هامش ''المنتدى الإفريقي للأمن السيبراني'' في العاصمة المغربية الرباط، ما بين 3-5 فبراير الجاري، في سياق تنافس دولي حول امتلاك أدوات وآليات الذكاء الاصطناعي (العرب).

وشهدت الجزائر انعقاد قمة إفريقيا لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات من الـ21 إلى الـ23 أفريل 2025 العاصمة الجزائرية، وتتضمن هذه القمة أربعة منتديات موضوعاتية وهي منتدى الحكومة الإلكترونية الذي يركز على التحول الرقمي للإدارات العمومية ومنتدى النفط والغاز الذي يستكشف الابتكارات التكنولوجية في القطاع الطاقوي.

أما منتدى الصحة والصيدلة، فيسلط الضوء على التطورات الرقمية في مجال الصحة، فيما يركز منتدى تكنولوجيا المعلومات في المطارات على الحلول التكنولوجية التي تعمل على تحسين خبرة المسافرين وعمليات

المطارات، وفي الوقت الذي تستمر فيه القارة الأفريقية في تحقيق التقدم في مجال الاتصال الرقمي والشمول المالي، فإن هذه القمة تمثل مرحلة حاسمة في تحويل هذه التطورات إلى آثار دائمة من خلال تعزيز الأمن السيبراني وتشجيع التجارة بين البلدان الأفريقية ودعم دمج التكنولوجيات الرقمية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية (الاذاعة الوطنية الجزائرية).

1-2- في أسيا:

تشكّل الفجوة الرقمية والمعرفية تحدياً إنمائياً رئيسياً يعيق تنفيذ خطة عام 2030 في المنطقة العربية لبلدان غرب آسيا.

وقد أدركت البلدان المعنية قدرة العلم والتكنولوجيا والابتكار، وخاصةً تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، على تضييق هذه الفجوة للنهوض بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، فأطلقت العديد من المبادرات ذات الصلة، ولا سيما في القطاعات الإنتاجية.

بحيث تقدّم الإسكوا الدعم للبلدان العربية في تصميم سياساتها العلمية والتكنولوجية والابتكارية، وتساعدها في تحليل ومعالجة الثغرات المحتملة في التشريعات الوطنية ذات الصلة، وفي وضع سياسات للابتكار، وبرامج واستراتيجيات في مجالي التعليم العالي وحقوق الملكية الفكرية، وفي تقديم حوافز مالية لأنشطة البحث والتطوير.

وتتعاون الإسكوا مع مؤسسات علمية وطنية رائدة على تطوير التكنولوجيا ونقلها واستخدامها، وتشجّع اتخاذ تدابير لزيادة نسبة الإنفاق على البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي. ولأن القطاع الخاص هو محرّك الابتكار.

تجري الإسكوا تحليلا في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تأخذ به الحكومات في تشريعاتها وأنظمتها لزيادة دور القطاع الخاص في عملية الابتكار (الإسكوا) .

1-3- الصين تجربة رائدة:

رغم التطور الهائل الذي حققته التشريعات الصينية خلال فترة الإصلاح، إلا أنها لا تزال في تحد بخصوص وضوح الهيكل القانوني وبطء تشريعات اقتصاد المعرفة من حيث مدى تطبيقها) مخيمر &أبو طه(2008 , ولتجاوز هذه العراقيل اقرت الصين في 2021 قانونا لحماية الخصوصية على الانترنت وإجبار شركات التكنولوجيا العملاقة على احترام بيانات العملاء، حيث يهدف هذا القانون بالخصوص إلى تقييد عمليات جمع البيانات التي تقوم بها الشركات الرقمية الكبيرة، والتي قد تكون خطيرة وضارة أحيانا.

بحيث ينبغي للشركات العامة والخاصة خفض عمليات جمع المعلومات الشخصية للمواطنين والحصول على موافقتهم المسبقة باستثناء السلطات العمومية، وفي حال عدم الامتثال للقانون الجديد، تواجه الشركات غرامات تصل إلى 50 مليون يوان (6,6 ملايين يورو) أو حتى 5 في المئة من حجم مبيعاتها السنوية وقد تصل العقوبات القصوى إلى أجبار الشركات المخالفة على الإغلاق نهائيا.

وهذا القانون الصيني الجديد مستوحى من قانون الاتحاد الأوروبي، أحد أكثر قوانين حماية الخصوصية على الإنترنت صرامة في العالم (العين الاخبارية، 2021).

3- دور المجتمع المدني

مع استمرار تدخل الذكاء الاصطناعي في مختلف جوانب حياتنا، تتجلى أهمية المجتمع المدني في حوكمة الذكاء الاصطناعي بشكل متزايد، حيث تتمتع أنظمة الذكاء الاصطناعي بنفوذ هائل، إذ تُشكل نتائج المجتمع بداية من تحديد المؤهلين للحصول على قرض و وصولًا إلى التأثير على ممارسات إنفاذ القانون.

ومع هذا التأثير الكبير، تُعد الرقابة الصارمة أمرًا أساسيًا لضمان خدمة الذكاء الاصطناعي للمصلحة العامة الأوسع، كما يؤدي المجتمع المدني دورًا حاسمًا في هذا السياق، إذ يدعو إلى الشفافية والإنصاف والمساءلة في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي واستخدامها، ومن أهم أسباب مشاركة المجتمع المدني في حماية حقوق الأفراد ودعم الحريات الأساسية.

ويزداد احتمال إساءة الاستخدام أو الضرر غير المقصود مع تزايد استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لأغراض المراقبة واتخاذ القرارات، وحتى الرعاية الصحية.

وتعمل منظمات المجتمع المدني جاهدة لإبراز الاعتبارات الأخلاقية، وضمان احترام التقنيات للخصوصية والكرامة الإنسانية والمساواة، فهي الجهات الرقابية التي ترفع مستوى الوعي بالمتحيزات الكامنة في أنظمة الذكاء الاصطناعي والتي قد تؤدي إلى التمييز، مما يزيد في الفجوات الاجتماعية القائمة. وكما قالت الدكتورة كيت كروفورد، المدافعة الشهيرة عن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، بحكمة؛"الذكاء الاصطناعي ليس تقنية مجردة؛ بل هو مجموعة من القرارات التي يتخذها الناس بشأن الناس." يُذكرنا هذا الاقتباس بأن الحياة الحقيقية وعواقبها هي جوهر حوكمة الذكاء الاصطناعي (ميديوم، 2024).

"Civil society organizations play multiple roles. They are an important source of information for both citizens and government. They monitor government policies and actions and hold government accountable. They engage in advocacy and offer alternative policies for government, the private sector, and other institutions".

(تؤدي منظمات المجتمع المدني أدوارًا متعددة. فهي مصدر مهم للمعلومات لكل من المواطنين والحكومة. تراقب سياسات الحكومة وأفعالها وتُحاسب الحكومة على تصرفاتها. تشارك في المناصرة وتقدم سياسات بديلة للحكومة والقطاع الخاص والمؤسسات الأخرى)"(Ingram, 2020) .

الخاتمة

تضمن بحثنا في موضوع تقنين مجتمع المعلومات، حركية إقليمية و عالمية، قسم لمجموعة من المفاهيم المتعلقة بالمجتمع المعلوماتي، حيث بينا مجموعة من دلالات المصطلح وما تعلق به من روابط تعريفية، وإسقاطاته على الواقع الإنساني ،مع إبراز مدى تأثر حياة الأفراد به على المستوى العالمي و الإقليمي .

ثم تطرقنا إلى القسم التطبيقي وخصصناه للحركية المحلية و العالمية في إطار تقنين مجتمع المعلومات مبرزين أهم المستجدات التشريعية المخصصة لهذا الميدان وما هو مخطط له مستقبلا، مع التطرق إلى بعض التجارب الرائدة في هذا الشأن، **وخلصنا إلى أهم النتائج**:

- المجتمع المعلوماتي ظاهرة و حتمية واقعية فرضت نفسها جراء التطور العلمي و الفكري غير المسبوق، وجب التكيف معها.
- مقومات المجتمع المعلوماتي من تكنولوجيا الإعلام والاتصال و المعلومة والذكاء الاصطناعي ، رغم منافعها الكثيرة إلا أن أخطارها كثيرة أيضا.
- نثمن ما حققته المنظومة التشريعية في تأطير وحماية الأفراد و النتاج الفكر لهم من مخاطر وأضرار الاستعمال غير المشروع لوسائل تكنولوجيا الإعلام و الاتصال.
- ما تحققه المنظومة القانونية في هذا الشأن يبقى غير كاف، ووجب التحيين المستمر لمواكبة الطفرة العلمية المتطورة و المتسارعة جدا والسائرة لمجتمع ما بعد المعلومات.
- مجتمع ما بعد المعلومات أو مجتمع الذكاء الاصطناعي و الروبوت نتيجة و مرحلة قادمة للمجتمع المعلوماتي الحالي.

الاقتراحات التي تضمنها البحث:

- ❖ تضييق الفجوة المعرفية الكبيرة بين دول العالم النامي و دول العالم المتقدم، بات من أولويات المنظومة التشريعية العالمية.
- ❖ على العالم السائر في طريق النمو الاستثمار الجدي و المنظم في البنية التحتية لمجتمع المعلومات خاصة الوصول للانترنيت و النفاذ للمعلومات و التعليم الممنهج في إطار تحديث تشريعي مساير.
- ❖ إيجاد خصوصية متعلقة بمجتمع المعلومات في كل عملية تشريعية تمس شتى الميادين بات ضروريا لاحتواء الأمر من كل جوانبه.

قائمة المراجع

أولا: باللغة الاجنبية:

m. (6 4, 2020). *brookings*. تاريخ الاسترداد 25 5, 2025، من https://www.brookings.edu/articles/civil-society-an-essential-ingredient-of-development/#:~:text=Civil%20society%20organizations%20play%20multiple,private%20sector%2C%20and%20other%20institutions

ثانيا باللغة العربية:.

1: الكتب:

A. الهادي سراية، و فاطمة بن عمر. (2020). دور تكنولوجيا المعلومات في تطوير منظومة التعليم الالكتروني. *الأثر للدراسات النفسية والتربوية*، صفحة 95.
B. محمد أمين مخيمر، و موسى أبو طه. (2008). *بناء اقتصاد المعرفة استراتجيات تنموية متقدمة*. (محمد أمين مخيمر، و موسى أبو طه، المترجمون) غزة، فلسطين: دار الكتاب الجامعي.

2: المقالات:

A. أحمد حسن أبو طالب. (2023). الذكاء الاصطناعي و الدول النامية. *دورية الملف المصري الاكترونية*، صفحة 23.

B. جعفر حسن جاسم الطائي. (2007). *جرائم تكنولوجيا المعلومات- رؤية جديدة للجريمة الحديثة* (المجلد الأولى). البيضاء: جامعة عمر المختار.

C. عطار عبد المجيد، و وهيبة بوربعين. (12, 2017). التجربة الصينية في تطوير العلوم و التكنولوجيا الابداع والابتكار نموذجا. *روافد*(02)، صفحة 138.

D. فاضل صالح، و محمد رواكسي. (بلا تاريخ). تأثير مجتمع المعلومات على تطور النسق الالكتروني للنشاط الماتلي و المصرفي- مقارنة تحليلية نظرية. *معارف مجلة علمية جولية محكمة، 22*، صفحة 285.

E. محمد طوالبية. (27 12, 2018). عناصر تأسيس مجتمع المعلومات، دراسة تحليلية بنيوية. *جيل العلوم الانسانية و الاجتماعية*(48)، صفحة 21.

3: المواقع الإلكترونية:

A. George IngraSCRIBD. (بلا تاريخ). *سكرايبد*. تاريخ الاسترداد 19 05, 2025، من موقع سكرايبد الوثائقي: https://2u.pw/Y5RLE

B. UNIVERSITY JOURNALISM. (بلا تاريخ). *UNIVERSITY JOURNALISM*. تاريخ الاسترداد 21 05, 2025، من موقع :UNIVERSITY JOURNALISM https://2u.pw/zVKnb

C. الاذاعة الوطنية الجزائرية. (بلا تاريخ). *الاذاعة الوطنية الجزائرية*. تاريخ الاسترداد 24 5, 2025، من الموقع الالكتروني للاذاعة الوطنية الجزائرية: https://news.radioalgerie.dz/ar/node/63112

D. الإسكوا. (بلا تاريخ). *منظمة الإسكوا*. تاريخ الاسترداد 25 05, 2025، من https://2u.pw/AYI52

E. الأمم المتحدة. (بلا تاريخ). *الموقع الالكتروني للأمم المتحدة*. تاريخ الاسترداد 24 5, 2025، من https://2u.pw/AlKA6

F. العرب. (بلا تاريخ). *العرب*. تاريخ الاسترداد 24 5, 2025، من الموقع الالكتروني العرب: https://2u.pw/CSDvQ

G. العين الاخبارية. (20 8, 2021). *العين الاخبارية*. تاريخ الاسترداد 25 5, 2025، من الموقع الالكتروني للعين الاخبارية: https://al-ain.com/article/china-confronts-tech-giants-goodbye-personal-data

H. المجلة. (بلا تاريخ). *المجلة*. تاريخ الاسترداد 24 5, 2025، من الموقع الالكتروني المجلة: https://2u.pw/gWhr4

I. المدونة العربية. (بلا تاريخ). *المدونة العربية*. تاريخ الاسترداد 21 05, 2025، من موقع المدونة العربية الالكتروني: https://2u.pw/cUnZH

J. جامعة سطيف. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 20 05, 2025، من جامعة سطيف: https://2u.pw/Ro4vM

K. سكرايبد. (بلا تاريخ). *سكرايبد*. تاريخ الاسترداد 19 05, 2025، من https://2u.pw/Y5RLE

L. عبد المنعم علي. (11 07, 2023). *FUTURE*. تاريخ الاسترداد 21 05, 2025، من الموقع الالكتروني المستقبل: https://2u.pw/gaOfc

M. كيبر. (بلا تاريخ). *كيبر*. تاريخ الاسترداد 26 5, 2025، من الموقع الالكتروني كيبر: https://2u.pw/Uw3qt

N. لجنة العلوم والتنمية. (بلا تاريخ). *موقع لجنة العلوم والتنمية*. تاريخ الاسترداد 24 5, 2025، من لجنة العلوم والتنمية، الدورة الثامنة والعشرون: https://unctad.org/meeting/commission-science-and-technology-development-28th-session

O. محمد البخاري. (2009). *البخاري*. تاريخ الاسترداد 21 5, 2025، من موقع محمد البخاري: https://bukharimailru.blogspot.com/2009/08/blog-post_8476.html

P. مدونة ICN. (بلا تاريخ). *ICN*. تاريخ الاسترداد 20 5, 2025، من موقع :ICN https://2u.pw/10BZo

Q. مصطفى السيد. (04 1, 2024). *الامتياز*. تاريخ الاسترداد 20 05, 2025، من الامتياز: https://2u.pw/MQhJX

R. منتدى القمة العالمي لمجتمع المعلومات. (27 4, 2022). *القمة العالمية لمجتمع المعلومات*. تاريخ الاسترداد 24 4, 2025، من موقع القمة العالمية لمجتمعر المعلومات، فرص وتحدبات تكنولوجبا المعلومات و الاتصالات في البلدان النانية: https://2u.pw/xo7Oz

S. ميديوم. (4 10, 2024). *ميديوم*. تاريخ الاسترداد 25 5, 2025، من الموقع الالكتروني ميديوم: https://medium.com/@kiplangatkorir/the-role-of-civil-society-in-ai-governance-30138dcc916c

T. وزارة البريد والمواصلات السلكية و اللاسلكية الجزائرية. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 24 05, 2025، من وزارة البريد والمواصلات السلكية و اللاسلكية الجزائرية: https://2u.pw/uFUlz

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

Numerical solution of quadratic equations

Hawraa Kareem Mnahi
Open College of Education, Dhi Qar Center, Qalat Sukkar Branch
Karem2.hhhrr.com@gmail.com

Abstract:

The GLM family of multivalve techniques for resolving second-order ordinary differential equations is the main topic of this work (ODEs). We present extensions of the traditional notions of stability matrix, periodicity interval, A-stability, and P-stability to GLM in order to provide the building blocks that would be useful in analyzing the line and stability properties of GLMs ford ODEs. The stability polynomials of the HILMMs and the RKN techniques derived from the Gauss Legendre collocation points will receive particular focus. These techniques can be used to generate P-stable GLMs without incurring additional expense.This work focuses on the GLM family of multivalve techniques for resolving second-order ordinary differential equations (ODEs). It explores the extensions of traditional stability properties to GLMs and highlights the stability polynomials of HILMMs and RKN techniques derived from Gauss-Legendre collocation points.

Keywords: ordinary differential equations (ODEs**),** GLM family of multivalve techniques**,** D'Amboise et al.'s unified strategy, P-stable, HILMMs and RKN techniques**.**

الحل العددي للمعادلة التربيعية

حوراء كريم مناحي
الكلية التربوية المفتوحة مركز ذي قار الدراسي فرع قلعة سكر
Karem2.hhhrr.com@gmail.com

ملخص:

ان عائلة GLMمن تقنيات الصمامات المتعددة لحل المعادلات التفاضلية الاعتيادية من الدرجة الثانية هو الموضوع الرئيسي لهذا العمل. نحن نقدم المفاهيم التقليدية لمصفوفة الاستقرار,وفترة الدورية, الاستقرار-A ا والاسقرار- P الى GLM من اجل توفير اللبنات الاساسية التي من شأنها ان تكون مفيدة في تحليل خصائص الخط والاستقرار للمعادلات التفاضلية الاعتيادية . ستحظى متعددات حدود الاستقرار من نقاط تجميع غاوس ليجيندري بتركيز خاص يمكن اسنخدام هذه لتوليد(تقنية رانج كوتا)RKN و طرق متعددة الخطوات خطية ذات مؤشر مرتفع (HILMMS) من دون تكبد نفقات اضافية.

يركز هذا العمل على النظرية الخطية المعامة(GLM) ويسلط الضوء على متعددات حدود الاستقرار ويستكشف امتدادات خصائص الاستقرار التقليدية الى المشتقة من نقاط كاوس ليجيندري من الدرجة الثانية

الكلمات المفتاحية:المعادلات التفاضلية الاعتيادية., استراتيجية GLM.، الاستقرار- A والاستقرار – P., طرق متعددة الخطوات خطية ذات مؤشر مرتفع وطريقة رانج كوتا.

The research

I Introduction:

A quadratic equation $ax^2+bx+c=0$, where a , b and c are numbers given and not zero can have real or complex roots. The solutions that meet the equation are fundamental in understanding how quadratic equations behave. Solving quadratic equations go back to ancient times, with an algebraic formula for solving them appearing in the Bakhshali Manuscript from India around 7 th century AD. Later, Islamic mathematicians created formulas of positive and negative solutions as well irrational numbers solution. In Europe, Gerolamo Cardano collected writings on quadratic equations and Simon Stevin obtained the quadratic formula that covered all cases in 1594.

The discriminant is b^2 – 4ac which has a key role in describing the number and type of solutions for quadratic equation. 0, the equation works different solutions: two real ones when it is greater than zero; one true and other complex – in opposite case**.[Peter,2011]**

1. Importance of numerical methods for solving second-order ordinary differential equations (ODEs)

Second-order ordinary differential equations Numerical methods of solving second order ODE are very important in a variety of scientific disciplines. One desirable quality of these techniques is A-stability which means that the method can be used in solving an initial value problem without any restrictions on step size. Now, the concept of an A stability can be defined in multiple ways among them are: as an A stability; Hence, these various stability concepts are crucial for an assessment of the stability being considered in a multistep process.

The stability angle is of great importance in the analysis of A-stability, and much has been said about methods for testing an array's A It uses the root locus curve (RLC) of the multistep method and some theories from complex analysis to establish a criterion that will allow linear multi-step methods based on them to be A-stable. The solution to an optimization problem involving Chebyshev polynomials determines the stability angle.

Along with stability aspects, cost-effectiveness plays a significant role in the creation of P – stable GLMs without any additional expenses. The use of high index linear multistep methods (HILMMs) and Runge-Kutta-Nystrom (RKN), a technique that is based on Gauss-Legendre collocation points can lead to significant cost savings.

Overall, numerical methods for solving second- order ordinary differential equations play crucial roles in a variety of scientific disciplines and it is important to understand their stability characteristics as well cost effectiveness so that appropriate solutions can be developed. See references: **[Suli, p. 56-60], [Loczi,2020], [Ogunleye,2013**].

2. Overview of the GLM family of multivalve techniques

The family of techniques called General Linear Multistep (GLM) is most important in the numerical solution to second order ordinary differential equations(ODEs). These methods are necessary in solving both non-stiff and stiff IVPs of ODE. The GLM framework provides a unified means of investigating various numerical methods for ODEs, allowing investigation on linearity stability properties and the development of P- stable GLMs without cost penalties.

The GLM family methods require the differentiation both explicit and implicit. An explicit GLM has its zeros in the main diagonal and above this line of matrix A , while implicit method does not have such characteristic . this is because implicit methods are used in solving stiff problems while explicit ones on non-stiff IVPs For instance, sometimes an analysis of the equation and/or step size may be sufficient to determine if a variable should use one method over another.

There is also an increase of traditional concepts in the GLM analysis, such as a greater flexibility and adaptability. For instance, High Index Linear Multistep Methods HILMM sand Runge-Kutta-Nystrom techniques RKN originating from Gauss-Legendre collocation points are more broad in their way of solving ODE issues under the GLM framework. These extensions allow more detailed analysis of stability properties and can help creating P-stable GLMs without any additional costs.

The use of HILMMs and RKN techniques also contributes significantly to cost-effectiveness, since it helps in finding more efficient numerical solutions without having to allocate the need for many other resources. The combination of stability analysis and cost-effective generation features make these extended GLMs particularly good for practical applications.

Overall, the MLM family of multiadaptive procedures offers a sound infrastructure for analyzing numerical approaches to second-order initial value problems. Practical applications of these techniques are extremely valuable as P-stable methods can be developed without significant additional costs, while linearity stability properties

analysis occurs virtually effortlessly. See references: [**Jackiewicz,2009**],

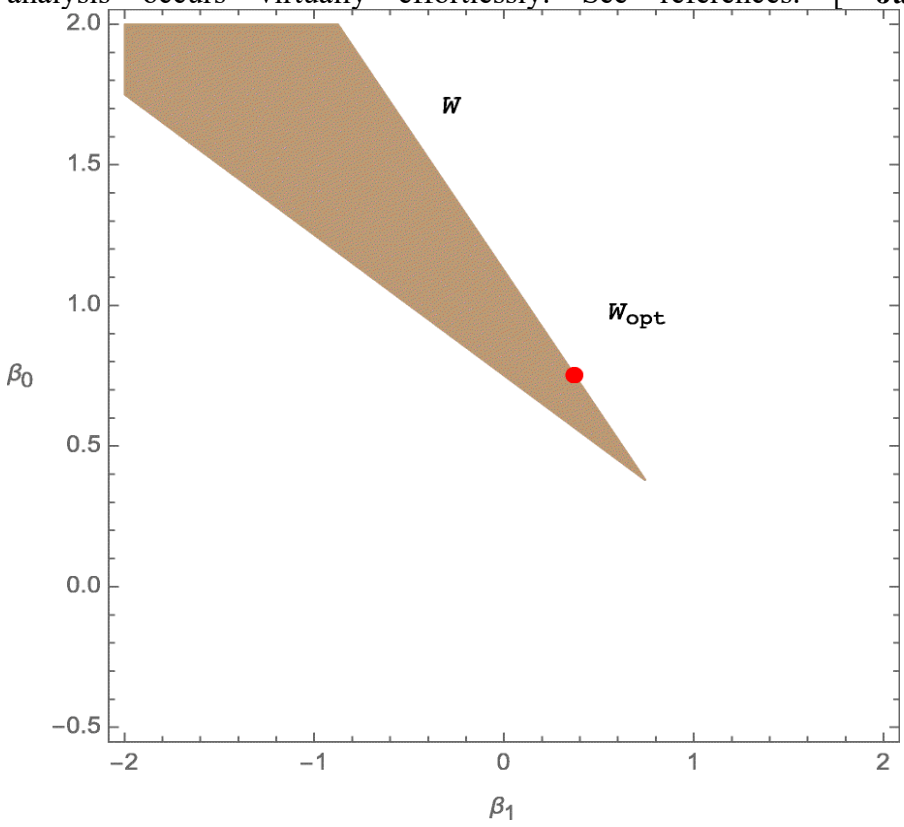

Figure 1: From: Optimal subsets in the stability regions of multistep methods (source: reference [**Loczi,2020,P.24**])

II. GLM Framework for Examining Numerical Methods for ODEs

1. Overview of D'Amboise et al.'s unified strategy

The General Linear Multistep family of techniques poses great importance in solving both non-stiff and stiff initial value problems, as second order ordinary differential equations (ODEs) are numerically resolved. This framework provides a unity way of analyzing numerical methods for ODEs, considers linearity stability properties and building P-stable GLMs without unnecessary costs.

A vital characteristic of the methods in GLM family is differentiation between explicit and implicit. An explicit GLM will have zeros in its main diagonal and above the zero of matrix A, while an implicit method has no such feature. Based on the type of specific ODE that is being solved, one can choose between these two types of methods – non-stiff IVP play an integral part and explicit method are used for them while stiff problems use implicit methods.

First, HILMMs and Runge-Kutta-Nystrom techniques based on Gauss' collaboration with Legendre points beyond traditional concepts in GLM analysis to help solve ODEs within the framework of analytical methods. These extensions allow for more in-depth analysis of stability properties and make it possible to generate P stable GLMs without introducing extra costs, thus contributing to cost effectiveness in practice.

The use of HILMMs and RKN techniques have a major influence on economicalness, so it means that there will be no need to allocating large resources for efficient numerical solutions. This combination of stability analysis and cost-effective generation makes these extended GLMs especially useful in real applications.

In conclusion, the GLM family of multi-step methods is a solid way to discover numerical solutions for second order ordinary differential equations that would provide helpful tools for digital purposes. See reference **[Butcher,2012 p. 1-5].**

2. Extensions of traditional notions in GLM analysis

The use of the GLM approach to analyzing numerical techniques for ODEs provides a complete methodology on determining very fundamental requirements for accuracy and stability such as consistency, zero-stability and convergence. This approach includes linear stability studies of BLMs for ODEs, such as focusing on polynomials encoding the properties of instability in Sturm-Liouville type GLMscanonical index polynomial roots; HILMM and RKN techniques based upon drilling into

GaussLegendre points. Stability properties are highly dependent on the stability matrix, being one of its important components.

Other than stability properties, GLMs also consider periodicity intervals. It is possible that the boundary of the stability region determined using root locus curve method will differ from RLC in some cases, thus posing difficulties when working with parametric families of multistep methods. However, useful methods like the Schur-Cohn reduction have demonstrated significant potential in resolving this challenge regarding the identification of characteristic polynomial roots within the unit disk.

A-stability is another major feature of GLM analysis; the check on whether a given subset can be part of stability region for some numerical method. Some families of multistep method methods have developed techniques that allow accurate calculation for the stability angle radius.

Furthermore, P-stability is key in GLM analysis without adding extra fees. By implementing HILMMs and RKN methods, P-stable GLMs can be created while taking into account their role in cost effectiveness. This, in turn highlights the need for computing methods that are not only demonstrably stable but also economically efficient.

Finally, the broader concept within GLM analysis as regarding to expanding traditional concepts includes an in-depth study of stability matrix periodicity intervals a step method family for ODEs A – and P -stability. See references: **[Butcher,2012 p. 1-5] , [Loczi,2020].**

III. Analysis of Linearity Stability Properties in GLMs for ODEs

1. Introduction to stability polynomials

The efficiency of numerical methods for solving ODEs depends primarily on the assessment of their stability. One way to investigate stability is by considering the polynomials of stability. For this reason, these polynomials are used to make an assessment of the numerical method’s dynamics over time and provide information as to whether errors vanish which is helpful for determining whether given method could be relied upon.

In the case of linear multistep methods LMMs and in particular, those based on a combination of multiple derivatives, stability polynomials are essential to know what shape this region will take. 3 The region of stability shows the geometric characteristics

that indicate how well a method will approximate to solve and whether errors are damped out effectively.

Additionally, analyzing stability polynomials involves considering different factors including convergence, order andthe condition forstability. Convergence is what makes the method an accurate solution approximation, and order determines how successful this process was. Stability plays a crucial role in the evaluation as it assesses whether mistakes are adequately damped out over time. These concepts provide a complete framework for evaluating reliability and effectiveness of numerical methods for ODEs.

The end, an introduction to stability polynomials provides a basic knowledge about what makes numerical methods for ODEs stable or not. Knowing these attributes is crucial to determine if a method can reliably approximate solutions and reduce errors over time. See references: **[Suli ,2022,p. 56-60], [Loczi,2020], [Wikipedia,2023].**

2. Focus on HILMMs (High Index Linear Multistep Methods)

HILMMs , or High Index Linear Multistep Methods, are one of the most important components in GLM framework for numerical methods assessment of ODE. Therefore, these methods are of great importance in solving second-order ordinary differential equations as they offer a reliable way to deal with the difficult problems. HILMMs take traditional ideas one step further in the GLM analysis enabling stable and precise solutions.

The use of HILMMs in GLMs for ODE is one core feature. They are special methods for solving the problems with second-order ODEs to overcome difficulties and build solid grounds on numerical analysis. The integration of HILMMs into the family multivalve techniques within GLMs, allows it to be used for solving a broad range of differential equations with differing degrees.

Furthermore, HILMMs allow to analyze stability properties inside GLMs for ODE. Stability polynomials are particularly important in assessing the stability and accuracy of numerical methods. It is possible to evaluate these stability characteristics using HILMMs and make sure that the solutions found are reliable and stable.

Apart from their usage in ODEs GLMs, HILMM also assists in the cost efficiency of creating P-stable GLMs. So, by using these techniques it is possible to create reliable and accurate solutions without any extra costs. This aspect highlights the effectiveness and usefulness of HILMMs to solve numerical issues related with second-order ordinary differential equations.

As a brief conclusion, HILMMs are critical in offering accurate and precise numerical solutions to second order ordinary differential equations within the framework of GLMs. The application of their framework on stability properties and production of cost-effective solutions is invaluable. See references**: [J.C. Butcher,2012, p. 1-5], [Z. Jackiewicz,2009], [Wikipedia,2023].**

3. Focus on RKN techniques (Runge-Kutta-Nystrom techniques) derived from Gauss-Legendre collocation points

Further Runge-Kutta-Nystrom techniques, or R K N methods are used to handle ordinary differential equations ODEs in the General Linear Method GLM . These techniques are an explicit GLM derived from Gauss-Legendre collocation points utilizing a combination of the approaches to interpolation and collocation together with continuous schemes that allow creating discrete coefficients. One of the main advantages offered by RKN techniques is their stability characteristics, that make them ideal for solving problems in ODEs at initial value.

Just like the third-order Runge Kutta method, Mz againg has one nonzero eigenvalue with other ones getting zero for RKN techniques. This feature of inherent stability makes RKN techniques an essential part of GLMs for ODEs. Their implementation has been confirmed with numerical proof giving evidence of their competitive precision against other available methods, like Almost Runge-Kutta Methods (ARKM).

Additionally, the investigation of stability properties using RKN techniques implies studying characteristics of stability polynomials. These polynomials are pivotal for identifying the stability of high index linear multistep methods (HILMMs). When looking at stability features, it is possible to produce P-stable GLMs without additional costs.

The use of HILMMs and RKN techniques in achieving numerical solutions helps to reduce costs because these are stable methods for solving non-stiff IVPs ODE without sacrificing on the quality level. This approach is consistent with the ultimate goal of GLMs that aims to develop accurate and efficient numerical solutions for ODEs.

In conclusion, RKN techniques based on Gauss-Legendre collocation points are an important feature of GLMs for ODEs because they possess inherent stability properties as well as cost saving solutions to nonstiff IVPs. Their use is justified by high-quality stability analysis of the properties, which helps to regard them as useful instruments for solving second order ODEs.

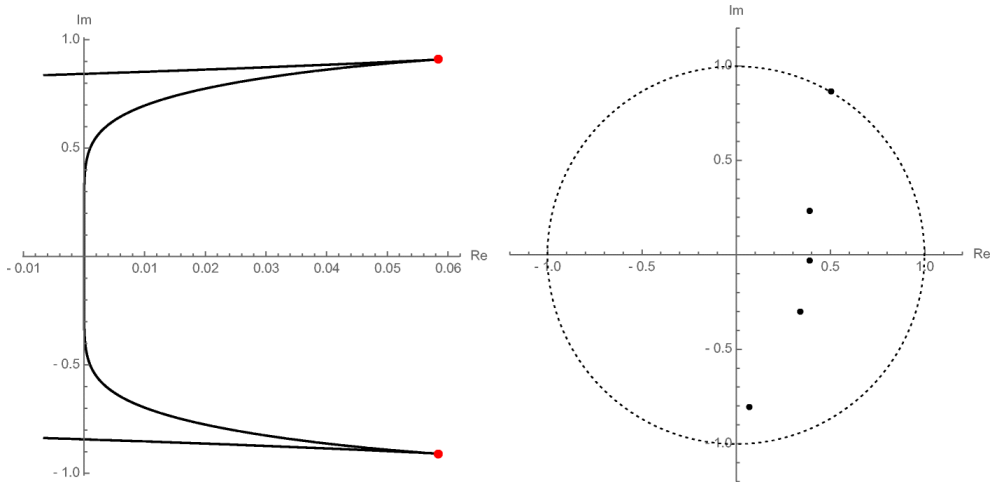

Figure 3: From: Optimal subsets in the stability regions of multistep methods (source: reference **[Loczi,2020,P.17])**

IV. Generation of P-stable GLMs without Additional Expenses

1. Utilizing HILMMs and RKN techniques

Indeed, the utilization of High Index Linear Multistep Methods HILMMs and Runge-Kutta-Nystrom (RKN) techniques in solving numerical applications for 2nd order ODE generates significant advantages. These techniques belong to the General Linear Methods (GLM) family, and they have demonstrated efficacy in solving stability as well as accuracy concerns.

These methods have discrete coefficients that are obtained via collocation and interpolation of the continuous coefficients. This results in steady GLMs with Runge Kutta stability similar to third order ones.

Furthermore, RKN methods based on Gauss-Legendre collocation points discussed by Okuonghae et al. , offer another method of generating stable GLMs at no extra cost. With competing accuracy with current ALmost Runge Kutta Methods ARKM these techniques develop traditional ideas in GL Model analysis. This plays a vital role in

terms of cost effectiveness as it enables building dependable mathematical solutions without extra costs.

These methods provide a powerful paradigm, which combines the linearity stability properties and uses of stability polynomials for studying numerical solutions to ODEs.

To sum up, the use of HILMMs and RKN methods in conjunction with General Linear Methods can also serve as an effective means to find numerical solutions for quadratic equations. These methods are valuable tools because of extended traditional notions, linearity stability properties and cost-effectiveness in solving second order ODEs where issues regarding the stability & accuracy have to be handled. **See reference [Ogunleye,2013].**

2. Impact on cost-effectiveness

The use of High Index Linear Multistep Methods HILMMS and Runge-Kutta Nystrom techniques RKN that emerge from Gauss Legendre collocation points is too cost effective to ignore. These methods offer an inexpensive solution to the numerical solving of second-order ODEs. The numerical simulation tests considered in the frame of Dynamics and Stability on a Family of Optimal Fourth-Order Iterative Methods demonstrate that these methods are highly efficient as against various prescribed approaches. The comparison of stable and unstable methods with other known options shows once again the cost effectiveness of HILMMs, RKN techniques. Further, the dynamic study of this family of methods allowed for finding stable members thus contributing to their cost-effectiveness.

Moreover, the use of these methods does not imply extra costs; hence they are even more cost effective. The advantage of HILMMs and RKN techniques is that researchers can easily derive iterative families of methods without additional costs, making them cost-effective options.

In conclusion, it can be stated that the implementation of HILMMs and RKN methods based on Gauss-Legendre collocation points significantly influences cost efficiency in terms of second order ordinary differential equations. Due to superior efficiency compared with other established schemes and cost-free nature of implementation costs for these methods, they are a very popular choice in order to solve quadratic equations numerically. **See reference [Alicia,2022].**

$f(x)$f(x)	Iterations			Computational Time in (s)			ACOCACOC		
	M1	M2	M3	M1	M2	M3	M1	M2	M3
$f1(x)$,2f1(x),2	3	3	3	0.050211	0.044647	0.053968	4.1497	3.4747	4.1213
$f2(x)$,2f2(x),2	5	4	4	0.185660	0.103332	0.096203	3.9928	3.9584	4.0173
$f3(x)$,1f3(x),1	3	3	3	0.054889	0.058569	0.061012	3.7652	3.6640	3.8134
$f4(x)$,1.9f4(x),1.9	4	5	4	0.074889	0.123747	0.098324	3.9630	3.9885	3.9945

Table 1: Benchmark comparison of fourth-order methods in relation to the convergence order and computational time on the function f (x) f (x). (source: reference[**Alicia,2022**])

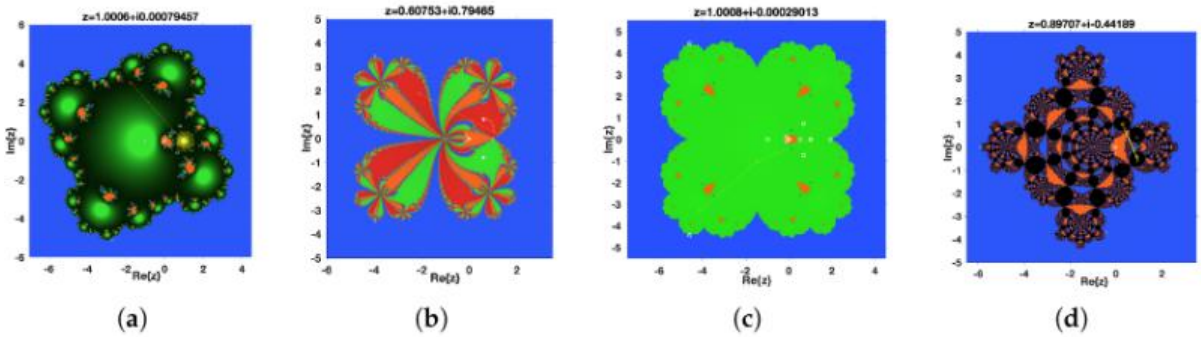

Figure 4: Dynamical planes whose behavior is unstable. (a) = 200 650 i = 200 650 i. (b) = 300 = 300. (c) = 700 = 700. (d) = 350 = 350. (source: reference[**Cordero, Alicia,2022**])

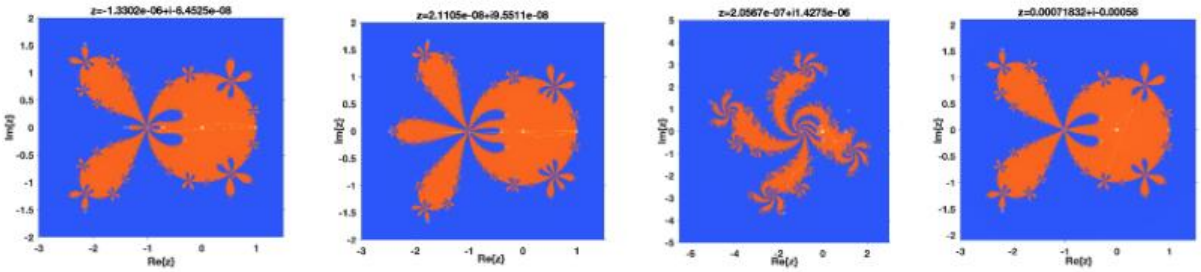

Figure 5: Dynamical planes whose behavior is stable. (a) = 1 = 1. (b) = 10 = 10. (c) = 100 200 i = 100 200 i. (d) = 0 = 0. (source: reference)**[Alicia,2022]**

$f(x)$ f(x)	$\|x_{n+1}-x_n\|$ xn+1−xn			$\|f(x_{n+1})\|$ f(xn+1)		
	M1	**M2**	**M3**	**M1**	**M2**	**M3**
$f1(x)$ f1(x)	7.3×10−16 7.3×10−16	2.59×10−162.59×10−16	1.67×10−161.67×10−16	1.16×10−62 1.16×10−62	2.87×10−642.87×10−64	2.58×10−65 2.58×10−65
$f2(x)$ f2(x)	1.16×10−271.16×10−27	1.35×10−131.35×10−13	2.31×10−192.31×10−19	2.19×10−207 2.19×10−207	2.17×10−502.17×10−50	3.84×10−74 3.84×10−74
$f3(x)$ f3(x)	5.69×10−105.69×10−10	9.24×10−9 9.24×10−9	1.33×10−101.33×10−10	5.64×10−27 5.64×10−27	8.89×10−328.89×10−32	1.11×10−39 1.11×10−39
$f4(x)$ f4(x)	3.7×10−19 3.7×10−19	1.3×10−25 1.3×10−25	2.18×10−282.18×10−28	2.22×10−73 2.22×10−73	7.57×10−997.57×10−99	1.79×10−1101.79×10−110

Table 2: Benchmark comparison of fourth-order methods in relation to the absolute error | x n + 1 x n | x n + 1 x n and | f (x n + 1) | f (x n + 1). **(source: reference [Alicia,2022])**

CONCLUSION:

The sphere of numerical methods to the solution of ordinary differential equations is developing all the time, occupying a central place in modern applied mathematics. Overall, the presented essay offered an in-depth review of multivalve techniques that belong to the GLM family with particular focus on D'Amboise et al.'s unified approach and how different novel ideas challenge traditional notions found within analysis conducted under generalized linear models. It has also been explored the regime characteristics in GLMs for ODEs, by focusing on stability polynomials , HILMMs High Index Linear Multistep Methods), and RKN techniques derived from Gauss Legendre collocation points. Apart from that, the essay also touched on ways in which P-stable GLMs can be generated without adding more costs through HILMMs and RKN techniques; it emphasizes their importance to cost prudence.

So the results show that there are useful insights into stability properties and cost-effective solutions based on numerical methods for solving second order ordinary differential equations. The detailed evaluation of GLM methods demonstrates how they can contribute to the development of computational science and modern applied mathematics. Clearly, these techniques offer practical algorithms in their own right while adding towards the evolution of numerical methods to initial value problems

In conclusion, this essay has revealed the importance of numerical methods when it comes to solving quadratic equations especially in regards to second-order ordinary differential equations. Due to the findings from studying GLM of multi valve techniques, their stability characteristics and cost efficiency in generation makes it meaningful contribution towards computational science studies/applied modern mathematics. **See references: [Marecek,2017], [Khenner,2023].**

There are several areas, where further research and practical implementation has to focus during the numerical resolution of quadratic equations through using the GLM family of multivalve techniques. An example of such an area is that concerning the study of Genetic Algorithms-GAs as a powerful tool for solving systems with non – linear ordinary differential equations. To this end, the collocation method coupled with GAs can provide a sound and efficient resolution of non-linear ODEs in general; numerical applications may be used to demonstrate such an approach. This direction of research relates to the works of Goldberg (1989) and Eberhart et al.

More importantly, an in-depth analysis of the stability polynomials focusing on High Index Linear Multistep Methods HILMMS and Runge Kutta Nystrom RKN techniques based on Gauss Legendre collocation points could contribute to developments in P stable GLMs with no extra costs. Researchers can develop more effective and cheaper numerical methods of solving second-order ordinary differential equations by further studying these stability properties.

There is an opportunity to take traditional notions for GLM analysis and explore optimization control parameters associated with Genetic Algorithms. This approach is consistent with the research by Grefenstette 1986 and Kosters et al. By exploring the results of these studies, researchers will be able to develop new strategies that maximize GAs use in solving quadratic equations through GLMs.

In conclusion, future studies and applications related to the numeric resolution of quadratic equations will have to concern with harnessing Genetic Algorithms for non-linear ODEs , stability properties in HILMMs RKN techniques a study on such methods should also focus on optimizing traditional notions used in GLM analysis through use of control parameters which are part of GAs . These approaches are promising in terms of improvement and increasing the effectiveness, as well as validity of numerical solutions for quadratic equations. **See reference [Mastorakis2005].**

V. Bibliography List :

1. Alicia, C.; Leonardo, S.; Torregrosa, J.R.; Miguel, A. (2022). Dynamics and Stability on a Family of Optimal Fourth Order Iterative Methods. *Algorithms*, 15(10): 387. DOI: [10.3390/a15100387](https://www.mdpi.com/1999-4893/15/10/387).

2. Butcher, J.C.; Wanner, G.R. (2012). General linear methods for second-order differential equations. *BIT Numerical Mathematics*, 52(3): 725–743

3. Jackiewicz, Z. (2009). *General Linear Methods for Ordinary Differential Equations*. Wiley: Hoboken, New Jersey. 4. Khenner, M.; Henner, V.; Nepomnyashchy, A.; Belozerova, T. (2023). Introduction to Numerical Methods for ODEs.ResearchGate.[Online].Available:
https://www.researchgate.net/publication/371362030.

5. Loczi, L. (2020). Optimal Subsets in the Stability Regions of Multistep Methods. ResearchGate.[Online].Available: https://www.researchgate.net/publication/266919102.

6. Marecek, L. (2017). *Solve Quadratic Equations Using the QuadraticFormula*.BCcampus open Publishing.[Online].Available: https://pressbooks.bccampus.ca/algebraintermediate/chapter/solve-quadratic-equations-using-the-quadratic-formula/.

7. Mastorakis, N.E. (2005). Numerical Solution of Non-Linear Ordinary Differential Equations via Collocation Method (Finite Elements) and Genetic Algorithms. ResearchGate.[Online].Available: https://www.researchgate.net/publication/260402009.

8. Ogunleye, S.O.; Okuonghae, R.I.; Ikhile, M.N.O. (2013). Some General Linear Methods for the Numerical Solution of Non-Stiff IVPs in ODEs. *Numerical Algorithms*, 63(4): 763–780. DOI: [10.1007/s11075-019-00775-x](https://link.springer.com/article/10.1007/s11075-019-00775-x).

9. Peter, B.; Michael, E.; David, H.; Janine, M.; Pender, B.; Jacqui, R. (2011). *Quadratic Equations*. Australian Mathematical Sciences Institute (AMSI). [Online]. Available: https://amsi.org.au/teacher_modules/Quadratic_Equations.html.

10. Rehman, M.; Hyder, A.; Alzabut, J. (2020). Quadratic Stability of Non-Linear Systems Modeled with Norm Bounded Linear Differential Inclusions. *Symmetry*, 12(9):1432.DOI:[10.3390/sym12091432](https://www.mdpi.com/2073-8994/12/9/1432).

11. Suli, E. (2022). *Numerical Solution of Ordinary Differential Equations*. Mathematical Institute, University of Oxford. [Online]. Available:

https://people.maths.ox.ac.uk/suli/nsodes.pdf.

12. Wikipedia Contributors (2023). *Numerical Methods for Ordinary Differential Equations*. Wikimedia Foundation. [Online]. Accessed Feb 2024. Available: https://en.wikipedia.org/wiki/Numerical_methods_for_ordinary_differential_equations.

13. Wikipedia Contributors (2024). *Quadratic Equation*. Wikimedia Foundation. [Online].Accessed Feb2024. Available: https://en.wikipedia.org/wiki/Quadratic_equation.

Artificial Intelligence and the Water Footprint... A Water Sustainability Revolution in Algeria

Achour mezrig [1]
Director of the Laboratory for Euro-Mediterranean Economic Research and Studies - Hassiba Ben Bouali University, Chlef, Algeria
a.mezrig@univ-chlef.dz
Daoud bakir [2]
PhD student, Entrepreneurship and Corporate Governance Laboratory, Hassiba Ben Bouali University, Chlef, Algeria

d.bakir@univ-chlef.dz

Abstract:

The study aimed to propose a framework that could reduce cooling energy consumption by more than 30% compared to other methods. The research focused on air-cooled data centers, and further research is needed to understand how it can be applied to liquid cooling technologies. The study concluded with a set of findings, the most important of which are: New innovations can help data centers reduce their water consumption. Data centers that own and operate the entire facility have greater flexibility to explore alternative water sources and cooling technologies. Google's Hamina data center has been using seawater for cooling since its opening in 2011. Microsoft's Natick project is addressing the cooling challenge by submerging a closed data center underwater, which uses the ambient sea temperature for cooling.

Keywords: artificial intelligence; Water resources; sustainability; Algeria.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

الذكاء الاصطناعي والبصمة المائية ... ثورة استدامة الثروة المائية في الجزائر

عاشور مزريق[1]

مدير مخبر البحوث والدراسات الاقتصادية الاورومتوسطية- جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

a.mezrig@univ-chlef.dz

داود باكير [2]

[2]مخبر المقاولاتية وحوكمة المؤسسات - جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

d.bakir@univ-chlef.dz

ملخص:

هدفت الدراسة إلى إقتراح إطار يمكن أن يقلل من استهلاك طاقة التبريد بنسبة تزيد عن 30% مقارنة بالطرق الأخرى, ركز البحث على مراكز البيانات المبردة بالهواء وهناك حاجة إلى مزيد من البحث لمعرفة كيف يمكن تطبيقها على تقنيات التبريد السائل, خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: يمكن للابتكارات الجديدة أن تساعد مراكز البيانات على تقليل استهلاكها للمياه, كما تتمتع مراكز البيانات التي تمتلك وتدير المنشأة بأكملها بمرونة أكبر لاستكشاف مصادر المياه البديلة وتقنيات التبريد, يستخدم مركز بيانات هامينا التابع لشركة Google مياه البحر للتبريد منذ افتتاحه في عام 2011, يعد مشروع Microsoft Natick مواجهة تحدي التبريد عن طريق غمر مركز بيانات مغلق تحت الماء يستخدم هذا درجة حرارة البحر المحيطة للتبريد.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الإصطناعي.، الثروة المائية، الإستدامة.، الجزائر.

مقدمة:

أضحت تقنيات الذكاء الاصطناعي AI تفرض نفسها على الأطر التنفيذية لبرامج التنمية ، وبخاصة على مستوى مواجهة التحديات المرتبطة بالوضع المائي وطموحات التوسع الزراعي والمشروعات التنموية المرتبطة به. إن الطموحات التنموية الهائلة لمواجهة متطلبات التنمية المستقبلية، تفرض المزيد من الحلول الابتكارية لكافة المشكلات. وإن ذلك يفرض ضرورة الاستفادة من الطفرة التي تحققت في جميع المجالات التقنية، لا سيما فيما يتعلق بالذكاء الاصطناعي، وتوظيف تقنياته في مشروعات حل مشاكل المياه والتحكم في استغلالها عن طريق البصمة المائية للذكاء الاصطناعي .

وعليه ما هو تأثير الذكاء الاصطناعي واستخدامه في التكنولوجيا النظيفة، وما آخر ما توصل إليه العلماء حول كيفية الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على أهم الموارد الطبيعية في العالم (المياه) وتوفيرها وتوصيلها بشكل آمن للجميع دون الحاجة لاستهلاك احتياطي المياه المحدود في الخزانات الجوفية وكيف يمكن للتكنولوجيا النظيفة الذكية باستخدام الذكاء الاصطناعي أن يؤثر ذلك على كمية الاستهلاك في المستقبل؟

فالذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون أداة فعّالة لدعم استدامة الثروة المائية في الجزائر، خاصة مع التحديات التي تواجهها البلاد في إدارة الموارد المائية. إليك بعض الأدوار الرئيسية التي يمكن أن يؤديها الذكاء الاصطناعي في هذا السياق:

أولا: قوة البيانات الثروة المائية

1 قدرة البايانات المائية على تقديم رؤية شاملة للموارد المائية

بيانات الثروة المائية تُعد من العناصر الأساسية في تحقيق الاستدامة البيئية والاقتصادية وضمان الاستخدام الأمثل لمصادر المياه. قوتها وأهميتها تنبع من قدرتها على تقديم رؤى دقيقة وشاملة حول الموارد المائية والتحديات المرتبطة بها. إليك أبرز النقاط التي توضح قوتها وأهميتها: (بوزيد و هرموزي، 2024، الصفحات 170-171)

- إدارة الموارد بكفاءة بتحليل الكميات المتوفرة : بيانات المياه تتيح معرفة الكميات المتوفرة من الموارد المائية السطحية والجوفية؛

- التوزيع الأمثل : تساعد في توزيع المياه بشكل عادل بين القطاعات المختلفة مثل الزراعة، الصناعة، والاستخدام المنزل؛.
- التخطيط طويل الأمد :رصد التغيرات المناخية ، فبيانات المياه توفر معلومات حول تأثير التغيرات المناخية على الموارد المائية؛
- التنبؤ بالأزمات : تمكن من التنبؤ بأزمات الجفاف أو الفيضانات مما يُسهم في تطوير خطط استباقية لإدارتها؛
- تحقيق الاستدامة والتوازن بين العرض والطلب : تساهم في تقليل الهدر وضمان الاستخدام المستدام للمياه ودعم السياسات التي تساعد في صياغة السياسات المائية التي تعزز الاستدامة البيئية؛
- تعزيز الاقتصاد: بدعم الزراعة والصناعة، فبيانات الثروة المائية تعزز من كفاءة استخدام المياه في القطاعات الزراعية والصناعية و توفير تكاليف من خلال تقليل الفاقد والتخطيط الفعّال، يمكن تحسين إدارة الموارد المائية وتقليل النفقات (أبو عارف و دنيا، 2017، صفحة 596).

2 توظيف الذكاء الإصطناعي في مجال التكنولوجية النظيفة

ما تأثير الذكاء الاصطناعي واستخدامه في التكنولوجيا النظيفة، وما آخر ما توصل إليه العلماء حول كيفية الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على أهم الموارد الطبيعية في العالم (المياه) وتوفيرها وتوصيلها بشكل آمن للجميع دون الحاجة لاستهلاك احتياطي المياه المحدود في الخزانات الجوفية وكيف يمكن للتكنولوجيا النظيفة الذكية باستخدام الذكاء الاصطناعي أن يؤثر ذلك على كمية الاستهلاك في المستقبل؟

- بناء بنية تحية أفضل :يمكن أن يتيح الذكاء الاصطناعي انشاء أنظمة أكثر كفاءة باستخدام" المياه الرقمية ", حيث أن المياه أثناء حركتها وتدفقها في الانابيب وصنابير المياه تحمل معلومات قيّمة يمكن الاستفادة منها في معالجة العديد من المشاكل التي تواجه أنظمة توليد المياه الحالية باستخدام الأنظمة التحليلية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي وتتكون هذه الأنظمة من مستشعرات لاسلكية (IoT sensors) الفعالة بشكل كافٍ لمتابعة مستويات الطلب على المياه والتنبؤ بها والاستجابة الفورية لأي طارئ. لا تقتصر العملية على تحليل تدفق المياه خلال الأنابيب وصنابير المياه يوميًا بل الحصول على البيانات الهامة التي ترافق حركة المياه, ترتكز القوة الأساسية للنظام على تحليل كل ما يحدث داخل النظام بشكل فعال. أما الذكاء الاصطناعي فدوره يقوم على التطوير المستمر لفهم أفضل طريقة

استجابة (Shahin, 2020, p. 176), مع وجود الذكاء الاصطناعي يمكن للحكومات والجهات المعنية بناء بنية تحتية للمياه والاشراف عليها وادارتها إدارة شاملة ويمكن اعتمادها كمنهجية حل للتعامل مع المشاكل أو أية حالاتٍ طارئة, الشكل الموالي يوضح ألية عمل شبكة توزيع المياه الذكية:

الشكل 1: ألية عمل شبكة توزيع المياه الذكية

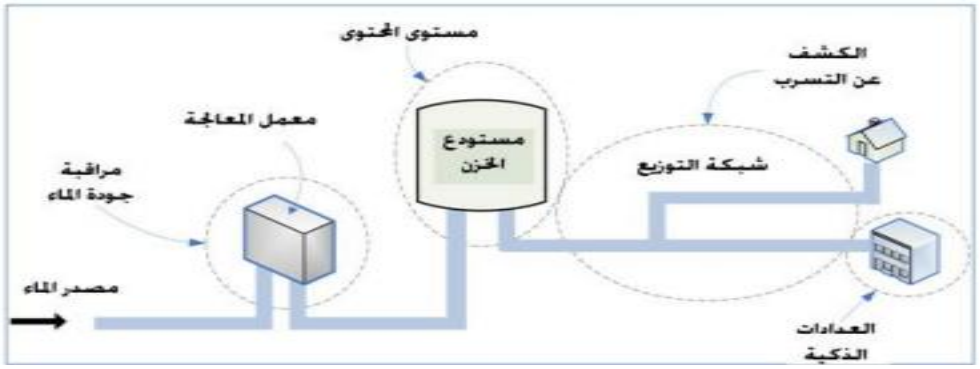

❖ الذكاء الإصطناعي يغير مستقبل المياه:

أصدرت شركة PWC في الشهر الماضي تقريرًا يشير إلى قدرة الذكاء الاصطناعي على تحقيق مستقبلًا أكثر استدامة إذا ما تم اعتماده بشكل صحيح في أربعة قطاعات رئيسية منها قطاع المياه والطاقة والزراعة. يمكن أن يؤدي استخدام الذكاء الاصطناعي في المياه إلى المساهمة بحوالي 5.2 تريليون دولار في الاقتصاد العالمي وتقليل الغازات الناتجة من الدفيئات الزراعية بحوالي 4% بحلول عام 2030م.

يعتبر من الضروري إيجاد حلول لمعالجة القضايا المتعلقة بالمياه (ندرة المياه وتلوقها والهدر في استخدامها) لإصلاح العالم عبر توجيه الجهود نحو استدامة أكبر التي تقوم على اعتماد واسع النطاق لحلولٍ معتمدة على الذكاء الاصطناعي (George, 2005, p. 85), كما يساهم هذا على المدى البعيد على توفير بيئة آمنة لدى المناطق التي تعاني من شح مصادر المياه، إلى جانب نشر الوعي بأهمية الاستدامة. وبمرور الوقت مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين من المتوقع أن يتم انقاذ ملايين الأرواح وتحسين المستوى المعيشي نظرًا للمكاسب الاقتصادية والتي تقدر بالتريليونات الدولارات.

البصمة المائية للذكاء الاصطناعي .. مراكز البيانات "تستنزف الموارد المائية".. الأزمة تصل إفريقيا

1 مراكز البيانات تستنزف الموارد المائي

تستخدم مراكز البيانات التقليدية بالفعل كميات كبيرة من المياه لعمليات التبريد الخاصة بها، ولكن قد تحتاج هذه إلى زيادة قدرتها على التبريد لدعم موارد الحوسبة الهائلة ومتطلبات التخزين اللازمة لدعم تطبيقات الذكاء الاصطناعي الجديد, حسب كافيه مدني مدير معهد الأمم المتحدة للمياه والبيئة والصحة والنائب السابق لرئيس مكتب جمعية الأمم المتحدة للبيئة: "يتطلب الذكاء الاصطناعي عمليات عالية الأداء ويؤدي ذلك إلى استخدام المزيد من الكهرباء والمياه في حالة مراكز بيانات الذكاء الاصطناعي بالمقارنة مع مراكز البيانات التقليدية. (سالم، 2023، صفحة 86)"

كشف تقرير مؤشر الذكاء الاصطناعي لعام 2023 الصادر عن جامعة ستانفورد أن التأثير البيئي لتدريب نماذج الذكاء الاصطناعي غير مسبوق مع تزايد اعتماد الذكاء الاصطناعي بشكل كبير, حيث تضاعفت نسبة الشركات التي تستخدم الذكاء الاصطناعي بين عامي 2017 و2022، بحسب التقرير, الشكل الموالي يوضح مدى إستهلاك الطاقة في مراكز البيانات (أحمد، 2024، صفحة 302):

شكل 3: إستهلاك الطاقة في مراكز البيانات

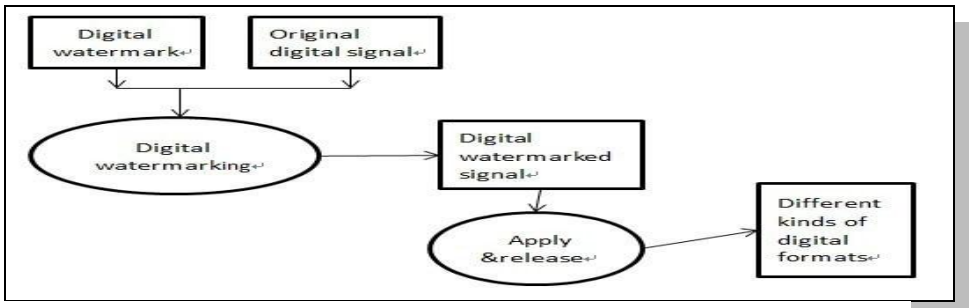

المصدر: من إعداد الباحث بالإعتماد على (أحمد، 2024، صفحة 198)

1. التعلم الآلي يستهلك % 10 من طاقة مركز البيانات

بعد اعتماد أفضل الممارسات، فإن التعلم الآلي يستهلك حوالي 10 إلى 15% من إجمالي طاقة مركز البيانات في جوجل، وفقًا لورقة بحثية لعلماء الكمبيوتر في شركة التكنولوجيا الأمريكية, وزاد استهلاك المياه في مراكز بيانات الشركة بأكثر من 60% خلال السنوات الأربع الماضية، من 3,412 مليون قالون في 2019 إلى 7,565 مليون قالون في 2025 , يقول شاولي رين، الأستاذ المشارك في قسم الهندسة

الكهربائية وهندسة الكمبيوتر في جامعة كاليفورنيا، ريفرسايد، إن البصمة الكربونية لنماذج الذكاء الاصطناعي عادة ما تكون موثقة، لكن ''البصمة المائية مفقودة''، وأضاف ''بمجرد أن نتمكن من رؤية البصمة المائية للذكاء الاصطناعي، يمكننا الاستفادة من مرونة جدولة الذكاء الاصطناعي لتقليلها'' .(Alramtha, 2025) تستخدم مراكز البيانات المياه بطريقتين: مباشرة وغير مباشرة، تتطلب مراكز البيانات كميات هائلة من الكهرباء لعملياتها ويتطلب توليد الكهرباء كميات كبيرة من المياه.

تستخدم محطات توليد الطاقة الماء لتوليد الكهرباء عن طريق تسخين الماء لتوليد البخار، والذي يقوم بعد ذلك بتشغيل التوربينة لتوليد الكهرباء، تتم معالجة المياه المستخدمة في هذه العملية أولاً لإزالة أي ملوثات قد تؤدي إلى تلف المعدات (أحمد، صفحة 139)؛

2. القيود والأولويات المحلية

يقول علماء الكمبيوتر، إن هذه الظروف المحلية لا تؤخذ في الاعتبار في كثير من الأحيان عند اتخاذ القرارات بشأن مكان تحديد مراكز البيانات أو أنظمة التبريد التي سيتم استخدامها, أضاف رين: ''نحن بحاجة إلى النظر في القيود والأولويات المحلية قبل تحديد طريقة التبريد الأكثر ملاءمة''.، موضحا ''نحن بحاجة إلى النظر ليس فقط في الاستهلاك المباشر للمياه، ولكن أيضًا في الاستهلاك غير المباشر للمياه لتوليد الكهرباء لتقليل إجمالي البصمة المائية بشكل شامل''. (Theodor, 2005, p. 37)

وفقًا لنسخة أولية حديثة (مسودة ورقة بحثية لم تتم مراجعتها من قبل النظراء) نشرها رين وزملاؤه، فإن تدريب GPT-3 في مراكز البيانات الأمريكية الحديثة التابعة لشركة Microsoft يمكن أن يستهلك بشكل مباشر إجمالي 700000 لتر من المياه النظيفة، ويقولون إن نموذج التنبؤ باللغة يحتاج إلى ''شرب'' زجاجة ماء سعة 500 مل لإجراء محادثة بسيطة تتكون من حوالي 20 إلى 50 سؤالاً وإجابة لكل مستخدم, وجاء في التقرير أن ''هذا أمر مقلق للغاية، لأن ندرة المياه العذبة أصبحت واحدة من التحديات الأكثر إلحاحا التي نتقاسمها جميعا في أعقاب النمو السكاني السريع، واستنزاف موارد المياه، وشيخوخة البنية التحتية للمياه'' (solutons, 2025)؛

3. أزمة المياه ومراكز البيانات

تعد منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا واحدة من عدة مناطق تواجه أزمة مياه، حيث من المتوقع أن يتضاعف الطلب على المياه أربع مرات تقريبا بحلول عام 2030، ومع ذلك، فقد أصبحت مركزا لاستثمارات مراكز البيانات, وقد تضاعف الطلب على مراكز البيانات في القارة منذ عام 2016، وفقًا للاتحاد الدولي للاتصالات، ومن المتوقع أن تجتذب استثمارات بقيمة 5 مليارات دولار أمريكي بحلول عام 2026، مما قد يفرض المزيد من الضغوط على الموارد المائية. (KUMAR, 2018, p. 28)

ووفقاً للبنك الدولي، تمثل الكوارث المرتبطة بالمياه 70% من إجمالي الوفيات المرتبطة بالكوارث الطبيعية لا يحصل حوالي 2 مليار شخص في جميع أنحاء العالم على مياه الشرب المأمونة، ويعاني نصف سكان العالم من ندرة حادة في المياه على الأقل لجزء من العام, في البلدان النامية تعتبر البصمة المائية لمراكز بيانات الذكاء الاصطناعي أكثر إثارة للقلق، وغالباً ما تمتلك هذه البلدان موارد مائية محدودة وتكافح بالفعل لتلبية احتياجات أعداد سكانها المتزايدة, إضافة عدد متزايد من مراكز البيانات إلى هذا المزيج يمكن أن يشكل ضغطًا على موارد المياه ويؤدي إلى نقص المياه(worldbank, 2025) , ويوضح الشكل ادناه تطور احتياجات المياه حول العالمي بسبب لنمو السكاني، والاحتباس الحراري، واحتياجات الطاقة:

الشكل 4: تطور إحتياجات المياه في العالم

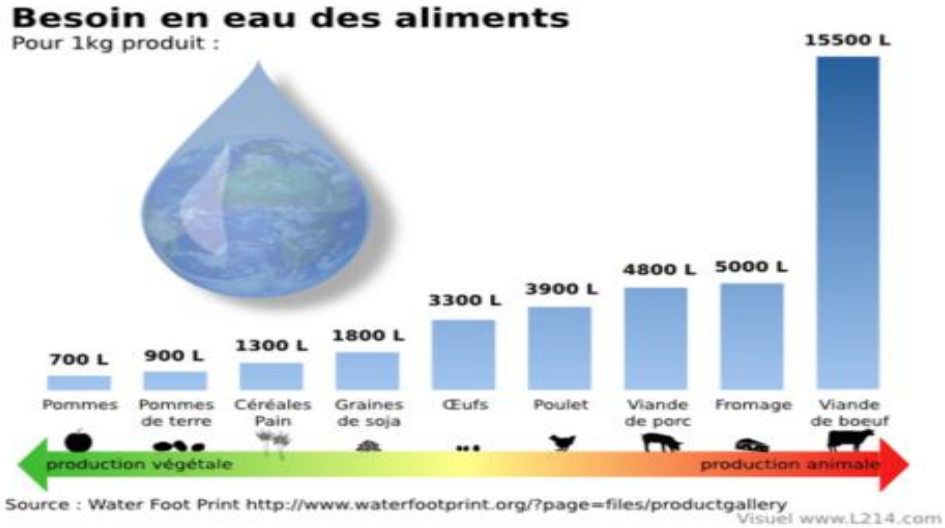

المصدر: من إعداد الباحثين بالإعتماد على الموقع الرسمي للبنك الدولي

إن المياه نادراً ما تؤخذ في الاعتبار عند تحديد مواقع مراكز البيانات، وأضاف ''عادةً ما تهتم الشركات أكثر بالأداء والتكلفة، ولا تأخذ كثافة المياه في الاعتبار''، موضحا ''نحن بحاجة إلى ضمان توزيع التكاليف البيئية بشكل عادل عبر مناطق مختلفة من أجل الذكاء الاصطناعي العادل بيئيًا، وهو اعتبار حاسم للذكاء الاصطناعي المسؤول,كشفت العديد من مقدمي الخدمات السحابية وشركات الإنترنت الكبيرة، والمعروفين مجتمعين باسم المتوسعين الفائقين، عن مقاييس استخدام المياه في مراكز البيانات الخاصة بهم. وقد التزمت شركات مايكروسوفت وفيسبوك (ميتا) وأمازون وجوجل جميعها بأن تكون إيجابية في مجال المياه بحلول عام 2030, أوضح رين من جامعة كاليفورنيا في ريفرسايد: ''عادةً ما تحقق شركات التكنولوجيا الكبرى ''إيجابية المياه'' من خلال استعادة المياه من أماكن أخرى لتعويض استهلاكها''، ''هذا يشبه استخدام الطاقة غير المتجددة في مكان واحد ثم توليد الطاقة المتجددة في مكان آخر لتعويض استخدام الطاقة غير المتجددة . ''(worldbank, 2025)يجب على الدول النامية أن تتعامل مع انتشار الذكاء الاصطناعي بحذر،

لأن العديد من آثاره قد تمر دون أن يلاحظها أحد''، ''يجب على هذه الدول أن تنظر في اللوائح الصادرة عن الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة لتجنب التأثير المحتمل للذكاء الاصطناعي على البيئة بشكل استباقي.

في حين أن التوسع في مراكز البيانات وخدمات الذكاء الاصطناعي يمكن أن يؤدي إلى زيادة استخدام المياه، إلا أنه لا ينبغي إغفال الفرص غير المسبوقة التي يوفرها الذكاء الاصطناعي لتحسين إدارة الموارد المائية واستخدامها في القطاعات البلدية والزراعي والصناعية، بحسب مدني.

4. حلول مبتكرة:

يمكن للابتكارات الجديدة أن تساعد مراكز البيانات على تقليل استهلاكها للمياه، على سبيل المثال، تعمل Googleحاليًا على تطوير بديل جديد منخفض المياه قادر على تقليل استخدام المياه في مركز البيانات بنسبة تصل إلى 50. % , تستخدم Google أيضًا المياه المستصلحة أو المياه غير الصالحة للشرب في أكثر من 25% من مراكز البيانات التابعة لها، في مقاطعة دوغلاس، جورجيا، نفذت Google حلاً لتبريد مركز البيانات الخاص بها عن طريق إعادة تدوير مياه الصرف الصحي البلدية المحلية التي كان من الممكن أن تترسب في نهر تشاتاهوتشي (world/google-data، 2024).

تستفيد Microsoft من طريقة تسمى التبريد الأديباتي، والتي تستخدم الهواء الخارجي بدلاً من الماء للتبريد عندما تكون درجات الحرارة أقل من 85 درجة فهرنهايت (29.4 درجة مئوية, تستخدم مراكز البيانات قدرًا كبيرًا من الطاقة، لذا فإن التخفيض البسيط في استهلاك الطاقة سيكون مفيدًا,تقترح دراسة حديثة إنشاء نظام لتوزيع أحمال العمل في مركز البيانات بطريقة تراعي درجة حرارة الخوادم، وذلك لتقليل كمية الطاقة اللازمة للتبريد (فني، 2021، صفحة 216).

خاتمة

أظهرت النتائج أن الطريقة المقترحة يمكن أن تقلل من استهلاك طاقة التبريد بنسبة تزيد عن 30% مقارنة بالطرق الأخرى, حيث تركز البحث مراكز البيانات المبردة بالهواء وهناك حاجة إلى مزيد من البحث لمعرفة كيف يمكن تطبيقها على تقنيات التبريد السائل, من أبرز النقاط التي خلص لها البحث نجد:

تتمتع مراكز البيانات التي تمتلك وتدير المنشأة بأكملها بمرونة أكبر لاستكشاف مصادر المياه البديلة وتقنيات التبريد؛

يمكن للذكاء الإصطناعي لعب دور مهم جدا في إدارة المياه و إستدامتها خاصة مع تقلبات المناخية الأخيرة التي يشهدها العالم؛

يلعب الذكاء الإصطناعي دور مهم في تسيير مياه الزراعية عبر تقنيات الري الحديثة؛

يستخدم مركز بيانات هامينا التابع لشركة Google في فنلندا مياه البحر للتبريد منذ افتتاحه في عام 2011؛

يتم ضخ مياه البحر الباردة إلى مبادلات حرارية داخل المنشأة، ويتم خلط الماء الساخن بمياه البحر الباردة قبل إعادتها إلى البحر؛

يعد مشروع Microsoft Natick بمثابة محاولة لمواجهة تحدي التبريد عن طريق غمر مركز بيانات مغلق تحت الماء. يستخدم هذا درجة حرارة البحر المحيطة للتبريد.

هذه مجرد أمثلة قليلة لكيفية قيام مراكز البيانات بتقليل استخدام المياه مع استمرار نمو الطلب على مراكز البيانات.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1. أحمد بوزيد ، و أحلام هرموزي. (2024). مساهمة الذكاء الاصطناعي في تحقيق الأمن المائي " تجربة الامارات العربية المتحدة. *مجلة نماء للإقتصاد و التجارة*، 170-171.

2. سالم, أ .(2023) .*الذكاء الإصطناعي و قضايا المياه و المناخ* .مصر: إرتقاء للنشر الدولي و التوزيع.

3. عيسى أحمد. (2024). *المقدمات في تصميم مراكز البيانات*. مصر: دار المناهج للنشر والتوزيع.

4. فني, ف .(2021) .لمسؤولية االجتماعية لدى عمالق التكنولوجيا Microsoft The social responsibility of the tech giant . *مجلة التحليل و الإستشراف الإقتصادي*.216 ,

5. محمد فاروق أبو عارف، و نهر سليم دنيا. (2017). استخدام نظم المعلومات البيئية فى إدارة الموارد المائية في مصر. *مجلة العلوم البيئية*، 596.

المراجع الأجنبية

6. Alramtha. (2025, 7 18). *http Alramtha net*. Récupéré sur http Alramtha net: http Alramtha net
7. George, B. (2005). SEBAL Model with Remotely Sensed Data to Improve Water- Resources Management under Actual Field Conditions. *Journal of Irrigation and Drainage Engineering*, 85.
8. KUMAR. (2018). Water Security Challenges And Needs. *National Institute Of Hydrology*, 28.
9. Shahin, A. (2020). Intelligent System for Precision Irrigation Scheduling Based on Artificial Neural Networks. *Computers and Electronics in Agriculture*, 176.
10. solutons, c. (2025, 1 25). *https://www.dw.com/ar*. Récupéré sur https://www.dw.com/ar/%D8%: https://www.dw.com/ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%83-
11. Theodor. (2005). *Nanotechnology: environmental implications and solutions.* Alpania: Nanotechnology .
12. world/google-data. (2024). *https://www.google.com/search?q=*. Récupéré sur https://www.google.com/search?q=%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8

%AA%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%83%D8%B4%D8%B1%D9%83%D8%A9+%D8%BA%D9%88%D8%BA%D9%84+%D9%84%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87&sca_esv=63ad467223b51100: https://www.aa.com.tr/en/world/google-data-centers-used-nearly-6b-gallons-of-water-in-2024/34787216

13. *https://blogs.worldbank.org/ar/voices/rethinking*. Récupéré sur https://blogs.worldbank.org/ar/voices/rethinking:

Spatial analysis of internal transport garages in the district of Hilla and their future planning

Assistant teacher wafae.jasem
University of Babylon
hum530.wafae.jasem@uobabylon.edu.iq

Abstract:

The current study examines the reality of the internal transport garage in Al-Hilla district form a geographical analysis, through evaluating their spatial distribution, functional efficiency, and capacity to meet the growing demands for urban transport service .

The research focuses on analyzing the current level's locations in the district connecting them to population thickness, traffic flow, and urban attraction centers through a field study, which discovered poor organizing, and weak integration with the public transportation network .

It also suggests a future plan rely on the redistribution of the levels that facilities in line the urban growth and infrastructure improvement.

Keywords: car parks, internal transport, Hilla district, infrastructure

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /06/ 2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

التحليل المكاني لمرائب النقل الداخلي في قضاء الحلة
و تخطيطها المستقبلي

م. م وفاء جاسم شهادي
جامعة بابل كلية التربية للعلوم الانسانية
hum530.wafae.jasem@uobabylon.edu.iq

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة واقع مرائب النقل الداخلي في قضاء الحلة من منظور غرافي تحليلي , من خلال تقسيم توزيعها المكاني , و كفاءتها الوظيفية , و مدى سعتها لتلبية الطلب المتزايد على خدمات النقل الداخلي . اعتمد هذا البحث على تحليل مواقع المرائب الحالية في القضاء و ربطها بكثافة السكان , و الحركة المرورية , ومراكز الجذب الحضري من خلال الدراسة الميدانية التي وضحت سوء التنظيم , و ضعف الارتباط بشبكة النقل العام. يقترح البحث مخططاً مستقبلياً يقوم على إعادة توزيع المرائب بما يتلاءم مع النمو الحضري و تحسين البنية التحتية .

الكلمات المفتاحية المرائب , النقل الداخلي , قضاء الحلة , البنية التحتية .

مقدمة:

من المعروف إن مدينة الحلة مدينة تاريخية غنية بالمعالم الأثرية , إضافة إلى المعالم الثقافية و الاقتصادية

تعتبر مرائب النقل الداخلي في المدينة الجزء الأساسي من نظام النقل العام , وتشكل خطوط النقل الداخلي العصب الذي تعتمد عليه كافة القطاعات الموجودة داخل قضاء الحلة .

تناول البحث دراسة مرائب النقل الداخلي و الخطوط المتصلة بها , التي أصبحت تمتاز بانتشارها في عموم المحافظة بصورة عامة , و مدينة الحلة بالتحديد بصورة خاصة بما تحتوي من عناصر أساسية تتمثل بشبكة الشوارع , البنى التحتية , زيادة أعداد السكان الذي يشكلون العناصر المهمة في عملية النقل ذهاباً و إياباً .

كما أكد البحث على دارسة العلاقة المكانية بين زيادة اعداد السكان و شبكة النقل المتاحة , اضافة إلى دراسة وسائل النقل الداخلي و حالة المشكلة الازدحام المروري للشوارع في المدينة خلال الذروة الصباحية و المسائية .

مشكلة البحث :

مدينة الحلة تعاني من تركز غير متوازن للخطوط النقل الداخلي , مما يكون له أثر في خلق اختناقات مرورية في بعض المناطق , وضعف الربط في مناطق أُخرى يأتي سؤال مشكلة البحث بما يلي :

1- ما هي التحديات التي تواجه عملية النقل الداخلي في مدينة الحلة ؟

2- ما هي الأسباب التي تقف وراء الازدحام المروري في مدينة الحلة ؟

3- ما هي المشكلات التي تعاني منها مرائب النقل الداخلي ؟

4- هل توجد خطط مستقبلية لمعالجة هذا الخلل؟

فرضية البحث

يلاحظ التوزيع المكاني لمرائب النقل الداخلي في مدينة الحلة بشكل غير متوازن نتيجة لتدخل عوامل مكانية و بشرية و ادارية , وتتمثل فرضية البحث:

1- إن زيادة اعداد سكان مدينة الحلة و لتقدم في المستوى الاقتصادي, ساهم في الزيادة في اعداد السيارات الداخلة للمدينة مما أصبح سبب في ظهور مشكلة الازدحام المروري في المراكز و الشوارع الرئيسة , لاسيما في أوقات الذروة الصباحية و المسائية .

2- التعرف على المشاكل التي تواجه خطوط النقل الداخلي .

3- رسم خرائط توضح توزيع مرائب خطوط النقل في المدينة .

أهداف البحث

1- تحديد عدد وانواع مرائب النقل الداخلي .

2- دراس العوامل المؤثرة في تباين توزيع المرائب (الكثافة السكانية , استعمالات الأرض , و الانشطة الاقتصادية) .

3- تقييم كفاءة مرائب النقل من خلال العمل الميداني .

4- عرض موجز عن التخطيط المستقبلي لمرائب خطوط النقل الداخلي بما يحقق التوازي المكاني و الحركي داخل مدينة الحلة .

اهمية البحث

تهدف اهمية البحث في تقديم خريطة واضحة للتوزيع المكاني لمرائب النقل الداخلي في مدينة الحلة , كأداة داعمة لاتخاذ القرار في تنظيم عملية النقل الداخلي .

حدود البحث :

المكانية : تقع مدينة الحلة جنوب العاصمة بغداد حوالي (155) كم يمر نهر الفرات في قلب المدينة . يحدها من الشمال قضاء المحاويل , ومن الجنوب قضاء القاسم , و من الشرق قضاء الكفل , و من الغرب قضاء الحصوة , و تمتد مدينة الحلة جغرافيًا بين خطي عرض (29ْ- 32ْ) شمالاً و خطي طول (26ْ – 44ْ) و من خلال هذا الموقع الجغرافي اكتسبت مدينة الحلة موقعاً استراتيجياً متوسطاً بين شمال العراق و جنوبه مما جعلها مركزاً للحركة القتادية و النقل الداخلي .

الحدود الزمانية : البيانات المعتمدة خلال سنة (2025).

الحدود الموضوعية : مرائب النقل الداخلي الخطوط العاملة داخل مدينة الحلة .

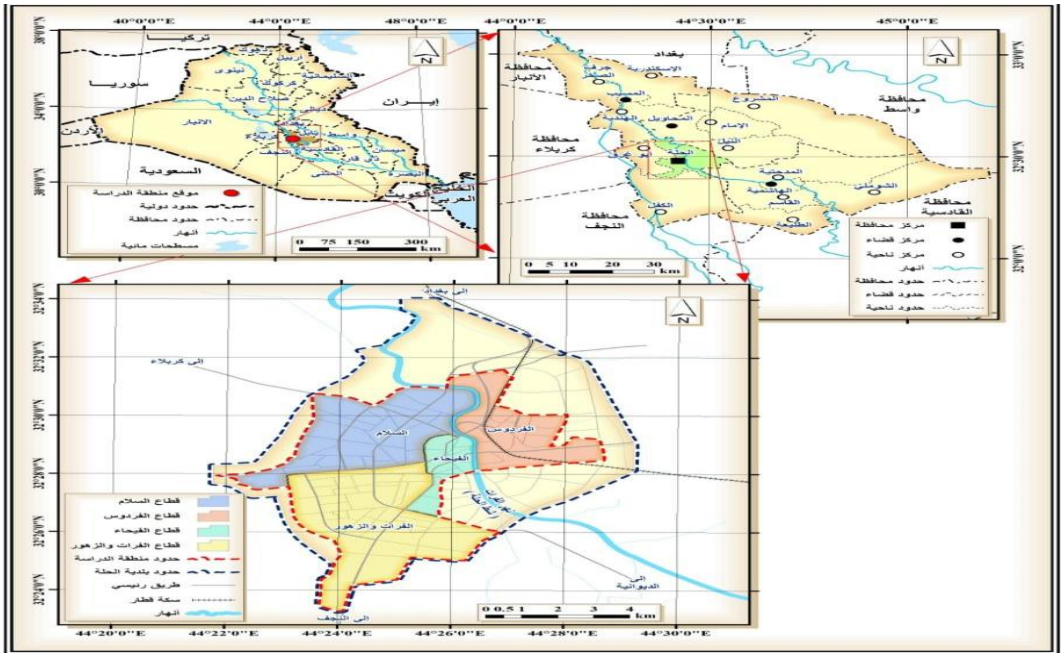

منهجية البحث

المنهج الوصفي التحليلي وصف مواقع مرائب النقل الداخلي , و تحديد توزيعها الجغرافي, و تاريخ تأسيسها إضافة إلى تحديد أطوال الشوارع الرئيسة و الفرعية منها .

2- الدراسة الميدانية جمع البيانات و المعلومات الاحصائية الخاصة بالمرائب و خطوط النقل الداخلي .

أولاً : المفاهيم الأساسية للنقل الحضري

يُعرف النقل حسب تعريف الاقتصادي الانكليزي (IMThomson) على أنه خدمة وسيطة و وسيلة لتحقيق الهدف دون أن يكون هدفاً بحد ذاته , ويكون الهدف المقصود تعبيراً في الموقع سواء بالنسبة للأشخاص أو للبضائع(1) (الصديق , عباس , 2010, ص 59).

شبكة النقل الحضري : تعرف بأنها انتظام مجموعة من الطرق و المنشآت القاعدية في صورة عقد تنظمها مجموعة من الوصلات (2)

(عبده , سعيد ,2011 , ص 47) .

كما تعرف بأنها شبكة مركزية تقع في قلب النسيج الحضري للمدينة , و تعمل على ربط مختلف أحيائها ببعضها البعض (3) (الصديق , عباس , واخرون , مصدر سابق , ص 75).

الطريق : هو المسار الذي تتحرك عليه وسائل النقل المختلفة , مسارها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الوسائل (4) (محمد , عمر و اخرون , 2019, ص 58).

حركة النقل : يشير هذا المفهوم إلى حركة النقل بأنواعها المختلفة مثل الأفراد , والسلع , و رأس المال , والمختوعات و المعلومات (5) (المصدر نفسه . ص 49).

التخطيط : هو مجموعة التحويرات النظرية و التطبيقية و التطبيقية التي تجري بإرادة واعية على النظام البيئي بمختلف عناصره أن كانت منفردة أم مجتمعة لتحقيق أكبر منفعة و ذلك بالاستخدام الأمثل لاستعمالات الأرض الحضرية بهدف تحقيق أفضل السبل للحياة الاجتماعية و الاقتصادية(6) (السامرائي , مجيد ,2014, ص 32.

النقل الداخلي : يقصد به حركة المرور و الموصلات داخل المدينة(7) (المصدر نفسه , 41).

استعمالات الأرض: و هي علاقات اجتماعية و اقتصادية داخل المدينة تنعكس كفعاليات و انشطة مختلفة فاذا تغيرت العلاقات الاجتماعية الاقتصادية .

كذلك تتنوع شبكة الطرق في المدينة و وسائل النقل و نتيجة لإنشاء الطرق السريعة للمرور و اقامة المشاريع الجديدة للنقل , يحدث تغيير في استعمالات أرض المدينة(8) (الحمداني , ياسر , 2002, ص15) .

التحليل المكاني : هو عملية فحص المواقع و السمات و الأنماط و العلاقات بين الميزات في البيانات المكانية لمعالجة سؤال أو اكتساب معرفة نفيدة , بذلك يعمل على حل المشكلات المعقدة المرتبطة بالموقع , واستكشاف البيانات و المعلومات المطلوبة و فهمها من منظور جغرافي , وتحديد العلاقات المكانية , واكتشاف الأنماط و تقديرها كمياً(9) قاموس نظم المعلومات الجغرافية موجودة على الموقع esricom .

النقل الحضري : يعد من أهم سمات المدن في العصر الحديث , حيث تتعدد ة تتنوع أنشطة السكان لدرجة تتضاعف معها حاجاتهم إلى الحركة و الانتقال الداخلي (10) (محمد , عمر , مصدر سابق , ص 133).

ثانياً :

تتطلب عملية تخطيط النقل سلسلة من الإجراءات التي تتضمن التحليلات المكانية القائمة على أسس إحصائية – رياضية و دراسات ميدانية متعددة لسكان النقل العام و الداخلي و الطرق المعبدة و غير المعبدة.

و تشمل تلك التحليلات ما يلي :

تحديد شبكة الطرق المعبدة الفعالة في الربط ما بين مدينة و أخرى بسهولة و يسر كامل و الشكل (رقم 1) يوضح ذلك , و يمثل الطريق الرابط ما بين مدينة الحلة و قضاء الكوفة .

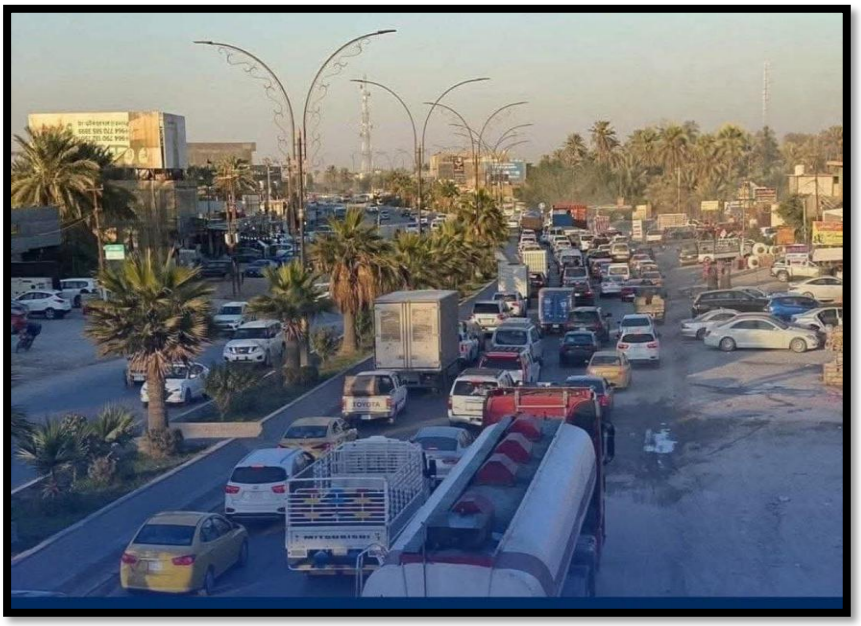

المصدر تم التقاط الصورة بتاريخ 2025/6/28

2- تحديد أفضل الطرق لتحقيق أعلى المكانية و مستوى من سهولة الوصول و الاتصال بين عدة مناطق في ظل وجود المعوقات الطبيعية و البشرية.

3- تحليل نظم النقل المتعددة كنظم حركة المسافرين و حركة البضائع وصولاً إلى تحديد أفضل الطرق الميسرة للحركة(11) (السامرائي , مصدر سابق , 34).

4- تحديد الإمكانات المتاحة من وسائل النقل المتعددة الثابتة منها و المتحركة مكانياً .

5- تعيين الخطوط العريضة لإمكانية توزيع حركة نقل البضائع و السلع المختلفة على مختلف الوسائل النقلية المتاحة و بشكل يتناسب مع الكلفة الأقل و النقل الأكفأ (12) (المصدر نفسه , ص35).

ثالثاً:

يتم تصنيف الشوارع اعتماداً على مدى استيعابها لحركة المركبات و كثافة المرور فيها و منها ما يلي :

1- الشوارع الرئيسة primary street

هي الشوارع المهمة التي تربط بين قطاعات المدينة مع بعضها البعض من جهة و الطرق الخارجية من جهة أخرى , و تكون بمحرم عرضه بين

(20-40) م , وتقوم بمهمتين أساسيتين هما خدمة المرو بالأرض المحيطة بها , كما تعد مكاناً مهماً للوظيفة التجارة و الخدمات العامة , لذا فهي جزءاً حيوياً في نسيج المدينة (13) (محمد , عمر , مصدر سابق ص 120).

و تعد هذه الشوارع في العديد من المدن مواقع مخصصة للنزهة و إقامة الفعاليات الشعبية خلال المناسبات الوطنية و الدينية , حيث تمنع حركة المركبات مؤقتاً لتخصص للعروض و المواكب و تبلغ الطاقة التصميمية للشوارع الرئيسة ما بين (1200) لكل (2400) مركبة قياسية في الساعة , بينما يتراوح عرض المحرم الجانبي لها ما بين (20-40) م و تقدر السرعة المصممة فيها بنحو (60) إلى (80) كم في الساعة (14) (الحويدر , عبدالرحمن ,2011,ص 84).

تضم مدينة الحلة مجموعة من الشوارع يبلغ عددها (21) شارعاً , يصل مجموع أطوالها إلى ما يقارب (85 أو 75) كم و من أبرز تلك الشوارع (شارع 60, و شارع 40 , و شارع 80, وشارع 100) بالإضافة إلى الشوارع الأخرى منها (الطيارة , باب الحسين , طهمازية , القاضية , السلاح , النسيج , العمارات السكنية , الرافد , حي الجمعية , الطف , الغدير) كما مبين من خلال الجدول الآتي :

نوع الشارع	مجموعة عدد الشوارع	مجموعة اطوال الشوارع
الشوارع الرئيسية	21	57,185كم
الشوارع الثانوية	19	20,83كم
الشوارع المحلية	83	84,944كم
الشوارع السكنية	88	128,641كم

المصدر : عبدالرحمن جري مردان الحويدر , تحليل جغرافي للنقل بالسيارات في مدينة الحلة , اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية , جامعة البصرة , غير منشورة , 2011 , ص 84-95 .

من اهم اطوال الشوارع الرئيسية في مدينة الحلة لعام 2025 :

اسم الشارع	اطوالها
شارع 40	2كم و 100 م
شارع 60	3كم و 470 م
شارع 80 /كربلاء	4كم و350 م
شارع 80 / نجف	5كم و 40 م
شارع 100	5كم و130 م

المصدر : وزارة البلديات و الاشغال العامة , دائرة بلدية الحلة , شعبة التخطيط و المتابعة , بيانات غير منشورة , سنة 2025 .

2- الشوارع الثانوية :

يطلق عليها مسمى الشوارع التجميعية , نظراً لوظيفتها في جمع الحركة المرورية القادمة من الشوارع المحلية و توجيهها نحو المحاور الرئيسة أو الشريانية في المدينة , وذلك من خلال تأديتها بالعديد من الخدمات السكنية , و الصناعية

و التجارية[15] (محمد , عمر , مصدر سابق , ص 160) .

3- الشوارع المحلية :

تعتبر هذه الشوارع بمثابة المنافذ الحيوية للوصول إذ تشكل النقاط الطرفية لشبكة الطرق داخل المدينة , و تخدم المناطق السكنية بشكل مباشر , و تختلف سعتها من موقع إلى اخر ,كما أن سرعتها التشغيلية تتراوح في الغالب بين (20-30)كم في الساعة و على الرغم من قصر امتدادها إلا أنها تستحوذ على النسبة الأكبر من اجمالي أطوال شبكة الشوارع في المدينة(16) (المصدر نفسه , ص 161) .

4- الشوارع السكنية :

يقصد بها الشوارع التي تنتشر عل جانبيها الاسخدامات السكنية , وغالباً ما تتطابق مع اطوال الشوارع حسب الاحياء الموجودة في التصميم الاساسي لمدينة الحلة لعام 2025 كما موضح في الخارطة

جدول رقم (3) أطوال الشوارع حسب الأحياء الموجودة في التصميم الأساسي لمدينة الحلة لعام 2025

ت	اسم الحي	اطوال الشوارع / م2
1	حي الشاوي	775 متر
2	حي الاسكان	1425 متر
3	حي الكرامة	2750 متر
4	حي الطيارة	1400 متر
5	الجزائر	4000 متر
6	حي الحسين	740 متر
7	حي بابل	3110 متر
8	الثورة	957 متر

9	17 تموز	868 متر
10	حي الضباط	770 متر
11	محيزم	980 متر
12	حي الامام	1036 متر
13	المحاربين	335 متر
14	الاسرى والمفقودين	800 متر
15	حي الشهداء	1035 متر
16	حي الاساتذة	650 متر
17	الاكرمين	1200 متر
18	حمزة الدلي	10000 متر
19	فزع	20000 متر
20	حي الصناعي	750 متر
21	نادر الثالثة	2000 متر
22	حي الزهراء	3600 متر
23	الجمهوري	780 متر
24	التصنيع العسكري	655 متر
25	حي النسيج	876 متر
26	السندباد	1070 متر

27	القاضية	2476 متر
28	بستان الحلو	5064 متر
29	كريطعة	3080 متر
30	البكرلي	9042 متر
31	الوردية	860 متر
32	الري والسكك	675 متر
33	حي الضباط	140 متر
34	حي الاساتذة	987 متر
35	حي المعلمين	676 متر
36	المهندسين الثانية	334 متر
	المجموع الكلي	73,946 متر

المصدر : وزارة البلديات والأشغال العامة, دائرة بلدية الحلة, شعبة التخطيط والمتابعة ,بيانات غير منشورة لعام 2025

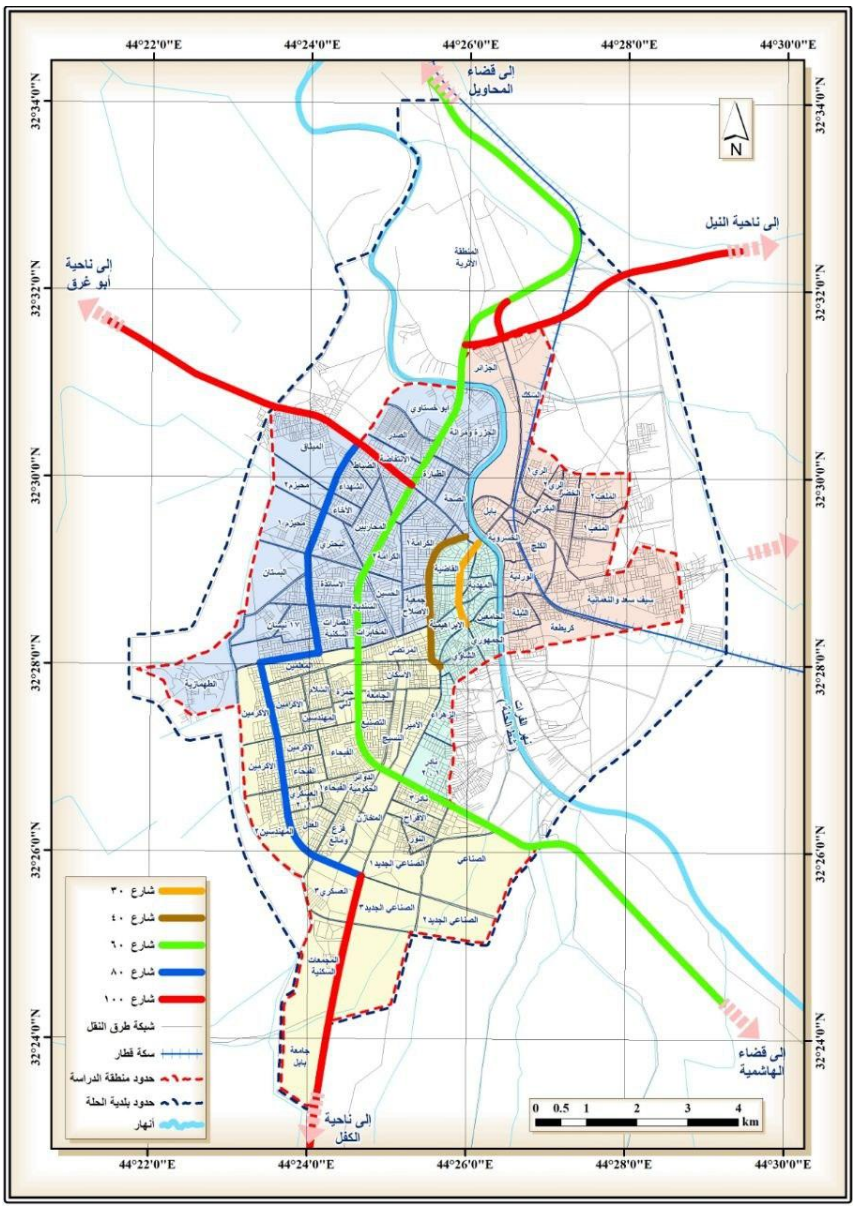

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على خارطة التصميم الاساسي لمدينة الحلة لعام 2025

المرائب الداخلية في مدينة الحلة :

تتباين خصائص المراتب من منطقة إدارية إلى أخرى، ويعود هذا التفاوت إلى عوامل عديدة منها الامتداد المعاني المخصص لها ، وحجم السكان المخدومين وعدد الخطوط النقل فضلاً عن تاريخ إنشائها . وتتراوح المساحات التي تشغلها المرائب ما يقارب (٢٥٠ – 3000) متر مربع في حين يختلف عدد الخطوط فيها بحسب اهميه الموقع وتتراوح عدد الخطوط بين المراتب ما بين ٦ خطوط بينما يصل في مرائب أخرى كالموحد إلى مستويات أعلى بينما انعكست الحالة في اعداد المركبات الحديثة على تراجع الاعتماد على الحافلات القديمة ذات السعة الكبيرة (44 , 48 , 24) ويتضح هذا بشكل خاص في مرآب الحلة الموحد إذ ظل خط الحلة – بصرة يعمل حتى عام ٢٠06 بمركبات ذات سعة ٤٨ راكبا، قبل أن يبدأ التحول نحو المركبات الاصفر ذات سعة (٨ إلى ١١ راكباً) لما توفره من راحة من ناحية السرعة والأجور والحصول على الخدمة والوصول، وايضاً تجهيزاتها الحديثة ولكونها مكيفة ومقاعدها مريحة .

(دراسة ميدانية أجريت)

يوم ٢٦/٥/٢٠٢٥

المرائب -Garages:

يقصد بالمرائب الأماكن التي تنطلق منها السيارات، أو ما تسمى بمناطق بداية الرحلة ونهايتها نحو أحياء أو مناطق معينة داخل المدينة أو خارجها.

المرائب تكون على نوعين وهما :

١ – مرائب النقل الداخلي أي التي تنطلق منها الخطوط وتتجه نحو أحياء المدينة مثل مرائب العزيزة و مرائب القرى والارياف ومرائب باب الحسين في مدينة الحلة.

2- مرائب النقل الخارجي وهي التي تخرج منها خطوط النقل خارج المدينة نحو المناطق القريبة أو المدن البعيدة وتغير هذه المرائب مناطق توليد و جذب رحلات الأفراد والسيارات مسببة حركة مرورية عالية لذا تحتاج إلى عملية تخطيط دقيقة في اختيار مواقعها وساحاتها (الدليمي , رجاء خليل ,2020 ,ص69)

جدول رقم (٤) اهم المرائب الداخلية في مدينة الحلة

ت	المرائب	تاريخ انشائه	المساحة م^2
1	مرائب الحلة الموحد	1995	1864
2	مرائب الصوب الصغير (النزيزة)	1970	1660
3	مرائب بغداد القديم	1961	2547
4	مرائب النجف القديم / حلة	1975	4350
5	مرائب القرى والارياف	1991	4000

المصدر: (1) الدراسة الميدانية بتاريخ ١٤/٥/٢٠٢٠

(2) الشركة العامة لادارة النقل الخاص ، محافظة بابل ، بيانات غير منشورة ، ٢٢٥

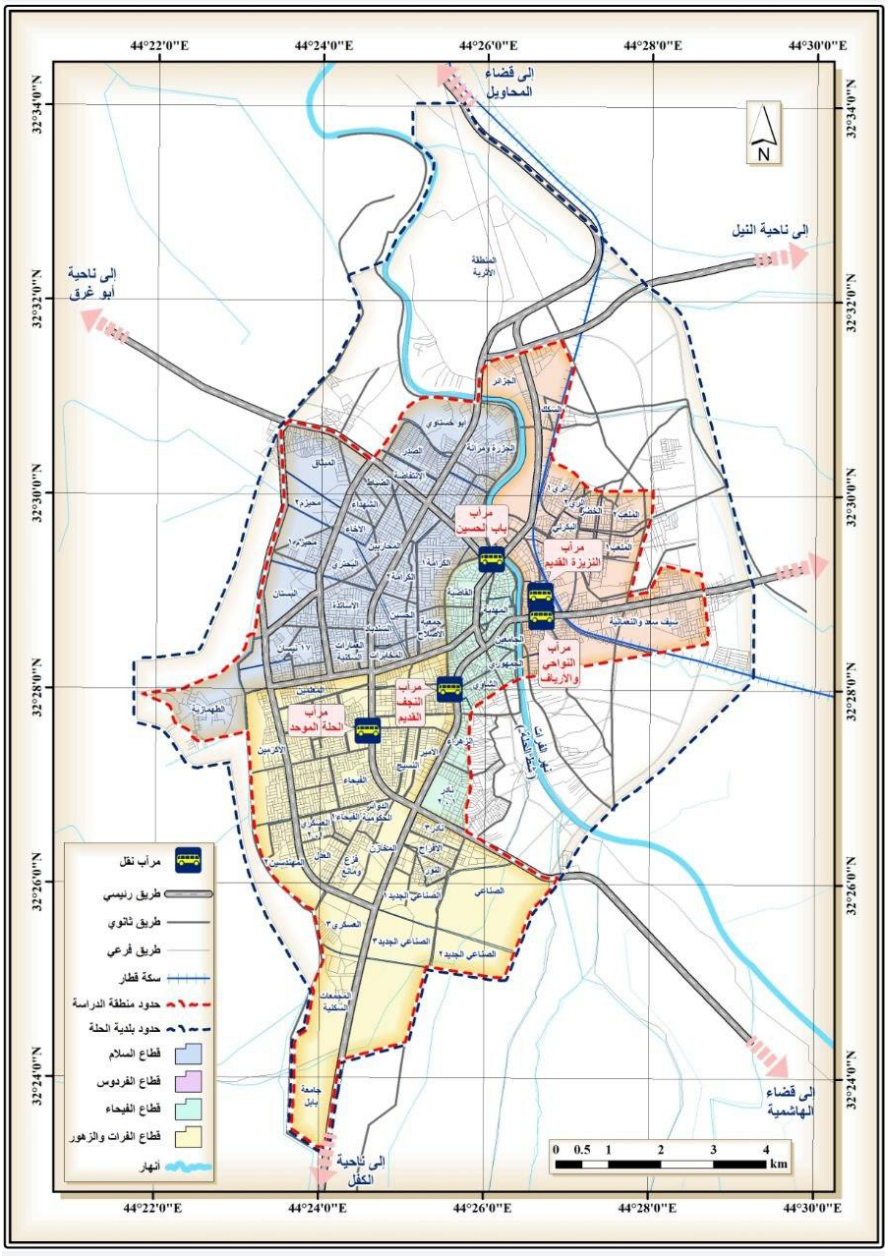

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على خارطة مدينة الحلة لعام 2025

اهم التحديات التي تواجه مرائب النقل الداخلي في مدينة الحلة :

تشير الدراسة الميدانية لمرآب الحلة الموحد إلى وجود مشكلات هيكليه وخدمية واضحة، أبرزها افتقاره شبة الكامل إلى الخدمات الأساسية.

يتجلى ذلك في قدم البنية التحتية ، وغياب أماكن مخصصة لراحة الركاب، فضلاً عن عدم توفر اسواق البيع والخدمات التسويقية. كما يلاحظ أن العديد من المحلات داخل الموقع مغلقة ومهجورة ، بالإضافة إلى انعدام النظافة وغياب برامج الصيانة الدورية. من الناحية التنظيمية، يعاني المرآب من ضعف القوانين والرقابة، حيث لا تتمكن الجهات المسؤولة من فرض النظام على جميع المركبات، إذ تعمل بعض المركبات خارج إطار الكراج دون تسجيل رسمي، وتفضل التوقف على الارصفة القريبة لجذب الركاب بسهولة ، هذا الوضع أدى إلى تراجع واضح في عدد الرحلات اليومية وانخفاض أعداد المستخدمين للمرآب . وهو ما يمكن ربطه بضعف الإدارة الحكومية وغياب التخطيط السليم .

يضاف إلى ذلك عدم التعاون الكافي من الأجهزة الأمنية في متابعة المركبات المخالفة، مما يسهم في خلق منافسة غير عادلة، تؤثر سلباً على دخل السائقين العاملين ضمن المرآب. كما ويتعرض الكراج الموحد إلى مشكلات مرورية خانقة خلال ساعات الذروة ، وفي أوقات المناسبات الدينية، خصوصاً أثناء زيارة الاربعين، حيث تتسبب هذه الظروف، إلى جانب أعمال الصيانة المتقطعة في إغلاق بعض الطرق المؤدية اليه مما يزيد من صعوبة الوصول إليه .

(الدراسة الميدانية 2025/5/25)





مرآب الصوب الصغير (النزيزة) :

يعد هذا المرآب من المرائب الصغيرة من حيث المساحة والتصميم، إذ يتميز بهيكل ، إنشائي تقليدي يعاني من مظاهر التقادم ، ويستدعي إجراء عمليات ترميم وتأهيل شاملة. يضم المرآب مجموعة من المركبات المتنوعة المخصصة لخدمات النقل، ويقع في موقع حيوي من المدينة يتميز بقربة من السوق الكبير وتقاطع النزيزة، الذي بعد نقطة محورية تؤدي إلى مختلف أحياء هذا الجانب من مدينة الحلة.

يخدم المرآب مناطق متعددة من الأطراف الحضرية للمدينة، مثل ناحيتي المدحتية و جبلة ، مما يكتبه أهمية وظيفية، زعم تواضح بنيته من الناحية الخدمية، يعاني الموقع من تدني في مستوى البنى التحتية ، إذ تتقصر عمليات التحسين على تغليف خارج لمبنى دون معالجة جوهرية لحالته الإنشائية، وتحيط به محال طرفية ومهنية كورش الحدادة ومتاجر الأدوات الاحتياطية , ومايعكس الطابع العمراني القديم للمنطقة , يعد هذا المرآب



نقطة انطلاق رئيسية لساكني المناطق الريفية المحيطة .



التخطيط المستقبلي لمرائب النقل الداخلي :

- مرافق مركبات ومحطات ركوب الإجراءات التداخلية الخاصة المحتملة في المستقبل

ومحطات الخطوط للركاب في كراجات بالقرب من محطات النقل تعمل على تحويل سائقي المركبات الشخصية الى ركاب لوسائل النقل العام وتوجد عادة في ضواحي المدن الكثيفة حيث ان ازدحام المرور وارتفاع تكاليف وقوف السيارات يمكن أن يؤدي إلى منع السائقين عن إكمال رحلتهم بالسيارة ، وتعتبر المواقف ومحطات الركوب مفيدة بشكل خاص في المناطق منخفضة الكثافة حيث لا تغطي خدمات الحافلات المحلية مساحة واسعة ، ومن المهم تسليط الضوء على إمكانات النقل متعدد الوسائط في مرافق الموافق ومحطات الركوب المشار إليها لأنها يمكن أن تعمل كعوامل تحفيز لتنمية وتطوير النقل والمواصلات، كما يمكن أن تكون ملتقى للمشاة وراكبي الدراجات لإيقاف مركبا تهم غير المزودة بمحركات واستخدام البنى التحتية المحتملة للنقل العام لقطع مسافات طويلة . وتتمثل الطريقة المتبعة في استخدام المعلومات التي تم الحصول عليها من تحليل وقت الانتقال كما هو موضح في تحديد نقاط الاختناق ، بالإضافة إلى تحليل بيانات خدمات نقل الركاب لتحديد مراكز النقل (المحطات) الحالية لدمجها في الموقف ومحطة الركوب المعنية. وستحقق الفائدة المرجوة من المرفق الخاص بالموقف ومحطة الركوب للركاب اذا كان بإمكانهم تجنب الاختناقات المرورية بالكامل باستخدام سياراتهم واستخدام البنيه التحتية المحتملة للنقل قبل أي نقاط الاختناق . كما يظهر من خلال تحليل خدمات نقل الركاب، أن أعلى أعداد تأتي من ٣ مجتمعات عمرانية

جديدة تخدمها البنى التحتية المحتملة النقل الداخلي وبالتالي فإن موافقتها ستفيد في تحديد الموقف المثالي لمواقع المواقف ومحطات الركاب.

يعد موقف المركبات ومحطة الركوب في المستقبل مركزاً متعدد الوسائط لمختلف ومائل النقل والمواصلات , ويمكن أن تكون مرافق المواقف ومحطات الركوب نابضة بالحياة اقتصاديا واجتماعياً اذا كانت اكثر من مجرد موقف سيارات بسيط بالقرب من محطه مواصلات .

ونظراً لأن الطلب على الانتقال إلى العمل سيركز على أيام العمل في الأسبوع وساعات الذروة، فإن مرافق موافق المركبات ومحطات الركوب متعددة الوظائف التي تجتذب المنتقلين في رحلات ترفيهية أو خدمية ستقدم المبررات اللازمة لزيادة تكاليف هذه المنشاة . ويمكن تحقيق ذلك من خلال بناء منشأة تكون بمثابة مول صغير مع متاجر مواجهة للشوارع وكراج متعدد الطوابق للسيارات في الداخل. ويمكن أن تجتذب المحلات الركاب و تستفيد منهم مع إضفاء مظهر حيوي للشارع من الخارج . ويمكن ايضاً الاستفادة من القيمة الإيجارية التي تدفعها المحلات للحفاظ على نظافة المنشآت اوتصميمها، بالاضافة خدمة السائقين، وهذه تعتبر وسيله مضمونة من شأنها تحقيق السلامة والاستدامه الاقتتصادية والاجتماعية لهذه المرافق.

المصدر : – مجموعة البنك الدولي، تخطيط الشبكات متعددة الوسائط متعددة وسائل النقل والموصلات، وتحديد محاور سير الحافلات و مرافق المواقف ومحطات الركوب ذات السمة العالية، التقرير النهائي (7303) , أغسطس ٢٠١٩ . ص64 موجود على موقع الانترنت
https://trans portforcaivo.com

الاستنتاجات :

من خلال ملاحظة شركة النقل الداخلى في مدينة الحلة ومرائب النقل يتضح مايلي :-

١ – شبكة النقل داخل مدينة الحلة تعاني من بعض المشاكل المشكلة بالازدحام المروري وعدم الالتزام قواعد البين

2 – تباطئ المشاريع المقامة على الشوارع الرئيسية مما يأثر على حركة السير اليومي وخاصة خلال أوقات العمل.

٣- تدهور حالة مراتب النقل الداخلى حيث تفتقر إلى كافة الخدمات الضرورية ضعف البنى التحتية بصورة عامة.

4 – غياب التخطيط الحضري المتكامل وتراجع انظمة النقل في مدينة الحلة مما أدى إلى تراجع الفعاليات الاقتصادية الاخرى

5– بعض المراتب تخلو من أعداد المركبات. وغياب القوانين المرورية وعدم الالتزام. بالاجراءات المطلوبة داخل مراتب النقل الداخلي

التوصيات ومنها:

١– التخطيط السليم والمدروس بشكل متكامل من أجل توسيع شبكة النقل من خلال بناء الجسور والا نفاق وانجاز المشاريع النقلية بسرعة ممكنة من أجل تقليل فترة الازدحام المروري والاختناقات لرحلات ساعات الذروة.

٢ – تشجيع تطبيق القوانين المرورية ودعمها من قبل الجهات المسؤولة للقضاء القانونية على مخالفي السير وفرض العقوبات.

3– أقامه حملات توعيه حول أهمية النقل الداخلى بصورة خاصة والنقل العام بصورة عاملة ، ولارشاد بأهمية الاقتصادية والبيئة

٤– إعادة هيكلة البنى التشغيلية للمرائب

5– إدخال أنظمة الإدارة الذكية

٦– تحسين التعامل والتفاعل بين موقع المرائب وشبكة النقل.

قائمة المصادر:–

1 – محمد، عمر محمد علي ، ٢٠١٩ . "جغرافية النقل والتجارة بين المنهجية والمعاصرة"، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر

2– عبده ، سعيد ، ٢٠١٠ . "جغرافية النقل مغزاها و مرماها " مكتبة الأنجلو المصرية، جامعة عين شمس .

3– السامرائي، مجيد ملوك ، ٢٠١٤ . " جغرافية النقل" ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق.

4– الحويدر، عبد الرحمن جري مردان/ ٢٠١١ تحليل جغرافى للنقل بالسيارات في مدينة الحلة " اطروحة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة إلى كليه التربية، جامعة البصرة.

5 – العباس، أمجد يا سر عبد الرضا ، 2022 , " أثر النقل الحضري على التوسع العمراني لمدينة القرنة "دراسة في جغرافية النقل الحضري رسالة ماجستير، منشورة ، مقدمه إلى مجلس كلية الآداب جامعة البصرة.

٦– الدليمي، رجاء خليل أحمد / ٢٠٠٥ . " أثر النقل بالسيارات في البناء الوظيفي والعمراني لمدينة لعقوبة"، رسالة ماجستير, منشورة ، مقدمة إلى مجلس كليه التربية جامعة ديالى.

7- الحمداني، ياسر هاشم حسين علي، ٢٠٠٢ " وسائط النقل في العراق القديم "رسالة ماجستير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل.

8 – المشهداني، بان علي حسن , ٢٠٢٢. " مشكلات النقل الحضري في العراق وآليات معالجتها مجلة اضافات اقتصادية , كلية الادارة والاقتصاد جامعة البصرة ، مجلد 6، العدد 2 .

٩ – الطفيلي، حدوده محمد عبود ٢٠١٩. " التغيرات السكانية واثرها في توسع مدينة الحلة " مجلة أدب الكوفة، مجلد 1 ، عدد ٠٢٨

10 – السعدي ، فاضل عباس 2024 " نمو سكان مدينة الحلة وكثافتهم في العراق , مجلة البحوث الجغرافية، كلية الآداب , جامعة بغداد ، بلا مجلد، العدد الخامس. "

11 – الصديق ، عباس عثمان أحمد واخرون ٢٠٢١. اسس و مباديء تخطيط النقل الحضري مجلة القلزم للدراسات الجغرافية والبيئة , دورية، العدد الثالث.

١٢- الجبوري، ناظم عبد الحسين علي واخرون 2021 " تقويم استعمالات الأرض الأغراض النقل في مدينة الملك" مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، مجلد2 , العدد ٣ .

١٣ – التقرير النهائي لمجموعة البنك الدولي تخطيط الشبكات المتعددة , الوسائط وتحديد محاور سير الحافلات ومرافق المواقف و محطات الركوب ذات السعة العالمية 2019 , 19 أغسطس متاح على الموقع https://transport forcairo.com.

١٤ – قاموسى نظم المعلومات الجغرافية متاح على الموقع https://support. esri.com

15 – وزارة البلديات والأشغال العامة، دائرة بلدية الحلة، شعبة التخطيط والمتابعة، محافظة بابل.

16- الدراسة الميدانية التي تمت بتاريخ 2025/5/14 .

17 – المقابلة الميدانية التي صادفت بتاريخ 2025/5/25 مع الملقب أبو محمد مدير شركة الهيئة العامة لإدارة النقل الخاص في محافظة بابل.

The role of artificial intelligence in detecting early signs of global financial crises

Samir OUAHAB[1]
Hassiba Ben Bouali University - Chlef, Algeria-
s.ouahab@univ-chlef.dz
Ahmed BENDAOUDIA [2]
University of Algiers 3 - Algiers, Algeria-
a.bendaoudia@univ-chlef.dz.

Abstract:

Artificial intelligence (AI) transforms financial crisis management by detecting early signs like liquidity issues, market crashes, and credit bubbles. It analyzes economic and political indicators and real-time market data from diverse sources. Challenges include complex markets, unpredictable events, and data quality issues. Biases in data and models, plus difficulty interpreting results, pose risks. Ethically, AI demands transparency, privacy, and fairness considerations. Regulatory gaps call for global standards and careful oversight. Responsible use and ongoing research are vital for financial stability.

Keywords: Artificial intelligence, financial crises, early signs of global financial crisescrises and discuss the challenges and ethical and regulatory considerations associated with its use.

دور الذكاء الاصطناعي في رصد الاشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية

د/وهاب سمير[1]

جامعة حسيبة بن بوعلي – شلف، الجزائر–

s.ouahab@univ-chlef.dz

د/ بن داودية أحمد[2]

جامعة الجزائر 3 – الجزائر، الجزائر–

a.bendaoudia@univ-chlef.dz.

ملخص

يشهد العالم اليوم تحولًا جذريًا في كيفية إدارة الأزمات المالية، وذلك بفضل التقدم المتسارع في تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتبرز أهمية الذكاء الاصطناعي كأداة حاسمة في رصد الإشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية، وذلك قبل تفاقمها. فهو يمتلك القدرة على الكشف عن المؤشرات الاقتصادية والسياسية التي قد تنذر بوقوع أزمات، مثل أزمات السيولة، وانهيارات الأسواق، وفقاعات الائتمان. ومع ذلك، فإن استخدام الذكاء الاصطناعي في هذا المجال لا يخلو من التحديات. فتعقيد الأسواق المالية، وتنوع مصادر البيانات، وصعوبة التنبؤ بالأحداث غير المتوقعة، بالإضافة إلى التحيزات المحتملة في البيانات والنماذج، وصعوبة تفسير النتائج، والتحديات التنظيمية والأخلاقية، كلها عوامل يجب أخذها في الاعتبار لضمان استخدام فعال ومسؤول للذكاء الاصطناعي في رصد الأزمات المالية العالمية. في هذا الموضوع، سنستعرض الدور المتزايد للذكاء الاصطناعي في رصد الإشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية، ونناقش التحديات والاعتبارات الأخلاقية والتنظيمية المرتبطة باستخدامه.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الازمات المالية، الإشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية.

مقدمة:

في عالم يتسم بتزايد التعقيد والتشابك بين الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، أصبحت الأزمات بمختلف أنواعها (كوارث طبيعية، أزمات صحية، نزاعات، أو حتى أزمات مالية) أكثر تكراراً وتأثيراً. وفي ظل هذه التحديات، يبرز الذكاء الاصطناعي (**AI**) كأداة فاعلة لتعزيز قدرة المجتمعات على الاستجابة السريعة، التنبؤ المبكر، وإدارة الأزمات بكفاءة، مما يسهم في تخفيف الخسائر البشرية والمادية.

يسعى الإطار النظري للذكاء الاصطناعي والأزمات المالية إلى تقديم فهم معمق للعلاقة بين التكنولوجيا الحديثة وعالم الاقتصاد، حيث يركز على توضيح كيفية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل التعلم الآلي (Machine Learning) ومعالجة اللغة الطبيعية(NLP) ، في رصد الإشارات المبكرة للأزمات المالية. كما يساعد هذا الإطار النظري في استكشاف آليات عمل الذكاء الاصطناعي، ودوره في تحسين دقة التوقعات الاقتصادية وتقييم المخاطر المالية، مما يمهد الطريق أمام صناع القرار لاتخاذ إجراءات وقائية تقلل من تأثير الأزمات على الاقتصاد المحلي والعالمي.

أولًا: الإطار النظري للذكاء الاصطناعي

يُعتبر الذكاء الاصطناعي مجالاً متعدد التخصصات يجمع بين علوم الحاسوب، الرياضيات، الفلسفة، وعلم الأعصاب، بهدف محاكاة القدرات الذهنية البشرية مثل التعلُّم، التفكير، اتخاذ القرار، وحتى الإبداع، تختلف تعاريفه بين الباحثين بناءً على الزاوية التي ننظر منها إليه.

1- مفهوم الذكاء الاصطناعي:

يعرف الذكاء الاصطناعي على **أنه** : ذلك الفرع من علوم الحاسوب الذي يمكن بواسطته خلق وتصميم برامج للحاسوب تحاكي أسلوب الذكاء الإنساني لكي يتمكن الحاسوب من أداء بعض المهام بدلا من الإنسان والتي تتطلب التفكير والتفهم، السمع والتكلم والحركة (الشرقاوي، 1996، صفحة 23)، كما يعرف على أنه العلم الذي يهتم بفهم طبيعة الذكاء الإنساني بالاستعانة ببرامج حاسوبية قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسمة بالذكاء. وتعني كذلك قدرة برنامج الحاسب على حل مسألة ما أو اتخاذ

قرار في موقف ما بناء على وصف لهذا الموقف- أن البرنامج نفسه يجد الطريقة التي يجب أن تتبع لحل المسألة (بوليه و فرغلي، 1993)

يقدّم كل من التعريفين رؤيتين متكاملتين لمفهوم الذكاء الاصطناعي، ويركّزان على الجانب الأساسي الذي يميز هذا المجال: محاكاة الذكاء البشري واستخدامه في معالجة البيانات واتخاذ القرارات. من خلال الجمع بين التعريفين، يمكن استخلاص أن الذكاء الاصطناعي لا يتعلق فقط بإنشاء برمجيات تحاكي الحواس (مثل السمع والكلام)، بل يتضمن أيضًا بناء أنظمة قادرة على اتخاذ قرارات ذكية اعتمادًا على تحليل البيانات. هذه القدرة على "التفكير" أو الوصول إلى الحلول بشكل مستقل عن التوجيه المسبق تميز الذكاء الاصطناعي عن البرامج التقليدية.

2- أهمية الذكاء الاصطناعي

يستمد الذكاء الاصطناعي أهميته من قدرته على محاكاة الذكاء البشري في أداء العديد من المهام المعقدة التي تتطلب التفكير، التعلم، التفسير، واتخاذ القرارات. هذه الأهمية تبرز بشكل خاص في عالم اليوم الذي يشهد تدفقًا هائلًا من البيانات الضخمة (Big Data) وتزايدًا في التحديات المرتبطة باتخاذ القرارات في الوقت الحقيقي. تتمثل أهمية الذكاء الاصطناعي فيما يلي: (مزهودي و رحيمة بوصبيع، 2023):

- مساهمة الذكاء الاصطناعي في نقل الخبرات البشرية على مر السنين للآلة الذكية بغرض الحفاظ عليها.
- يجعل الذكاء الاصطناعي تعامل الإنسان مع الآلة سهلا بعد ما كان حكرا على المتخصصين وذوي الخبرات وذلك عن طريق استخدام اللغة الإنسانية بدل البرمجة الحاسوبية.
- التعليم التفاعلي، وكذا المساعدة في تشخيص الأمراض ووصف الأدوية وغيرها من الخدمات في عدة قطاعات.
- الاستعانة بالذكاء الاصطناعي في اتخاذ القرارات والتي تكون غالبا بعيدة عن الخطأ والانحياز والعنصرية والأحكام المسبقة أو حتى التدخلات الخارجية أو الشخصية.
- يساعد الذكاء الاصطناعي الإنسان في جعله يتعامل جيدا مع الوقت ويقلل عليه الضغوطات.

ثانيا: الذكاء الاصطناعي في المجال المالي

في الاقتصـــاد والتمويل، يُســـتخدم الذكاء الاصـــطناعي في تحليل الأســـواق المالية، تحســـين اســـتراتيجيات التداول، تقييم المخاطر المالية، والتنبؤ بالتقلبات الاقتصـــادية. تعتمد هذه الأنظمة على خوارزميات التعلم الآلي التي تتعلم من البيانات التاريخية وتستخدمها لتوقع اتجاهات السوق المستقبلية.

1- الأزمات المالية(تعريف، أسباب وأنواع)

تعرف الأزمات المالية على أنها : هي اضـــطراب حاد ومفاجئ في بعض التوازنات الاقتصـــادية، يتبعه انهيار في عدد من المؤســـســـات المالية، وتمتد آثاره الى القطاعات الأخرى، وقد تأخذ الأزمة المالية شـــكل انهيار مفاجئ في ســـوق الأســـهم، أو في عملة دولة ما، أو في ســـوق العقارات، أو مجموعة من المؤسسات المالية لتنتقل بعد ذلك الى الاقتصاد ككل (قدي، 2009)، يمكن أن تأخذ الأزمات أشكالًا مختلفة، منها أزمات سوق الأسهم، أزمات العملة، الأزمات المصرفية، وأزمات الديون السيادية.

2- أسباب الأزمات المالية:

يرجع أهم الأسباب المحدثة للأزمات المالية في العادة إلى ما يلي: (الحسني، 2007)

- تدفق رؤوس أموال كبيرة إلى داخل البلد، يصـاحبه قيام البنوك المحلية بتوسـع مفرط وسـريع في عمليات الإقراض دون التأكد من الملاءة الائتمانية للمقترضـين، مما ينتج عنه زيادة حجم الديون المشـكوك في تحصـيلها لدى هذه البنوك. وفي هذه الحالة يحدث تراجع اسمي في قيمة العملة المحلية مقابل العملات الارتكازية. وهذا ما ينجم عنه موجة من التدفقات الرأسمالية نحو الخارج.
- ضـعف الرقابة والإشـراف الحكوميتين، وما يترتب عليه من شـكوك حول إلتزامات الحكومة وقدرتها على القيام بالإصلاحات اللازمة لمواجهة الأزمة.
- وجود خلل في تطبيق السـياسـات النقدية والمالية الكلية المناسـبة، وترابط ذلك مع غياب الشـفافية والإفصـاح، وتفاقم الفسـاد، والتلاعب بالبيانات والقوائم المالية في المؤسـسـات التي تكون المصـدر الأساسي للاضطراب.

3- أنواع الأزمات المالية

اعتمد تقسيم صندوق النقد الدولي على نوعية الأزمات المالية أكثر من مسببا في تصنيفه والذي يشمل الأنواع التالي (عائشة، 2013) :

- **أزمة العملات:** والتي عادة ما تتواجد عندما تكون مضاربات على الصرف بما يؤدي إلى تخفيض قيمة العملة بشكل واضح، الأمر الذي يؤدي إلى استنزاف قدر كبير من الاحتياطات الأجنبية.
- **أزمة البنوك:** وهو يعبر عن اختلالات النظام المصرفي وعدم قدرته على الوفاء بالتزاماته أمام مودعيه مما يحتم تدخل الحكومة أو السلطة النقدية المسؤولة لتقديم المساعدة للوحدات البنكية المتعثرة وتقديم الحماية الكافية لبقية الجهاز بما يضمن عدم انهياره بشكل تام.
- **الأزمة الشاملة:** وهي تمس النظام المالي والنقدي معا، وتؤثر سلبا على معدلات النمو، والجدير بالذكر أن الأزمات الشاملة عادة ما تتضمن أزمة في العملة ومعدلات الصرف ولكن ليس بالضرورة أن تؤدي أزمة العملة إلى الأزمة الشاملة.
- **أزمة الدين الخارجي:** وهي الحالة التي تعجز فيها الدولة عن خدمة ديونها الخارجية مما سبق نجد إن الأزمات المالية هي محصلة لأسباب مختلفة من بينها الإختلالات الهيكلية في الاقتصاد الكلي، التحول إلى الاقتصاد الحر، وجود ضمانات حكومية، تقلبات أسعار الصرف، شروط التجارة السلبية.

4- كيفية مساهمة الذكاء الاصطناعي في التخفيف من الأزمات

في عالم مليء بالتحديات المتزايدة والأزمات المتنوعة، مثل الأزمات المالية والصحية والطبيعية، تبرز الحاجة إلى حلول تقنية متقدمة لتحسين طرق التعامل مع الأزمات والتخفيف من تداعياتها. يُعد الذكاء الاصطناعي أحد أهم هذه الحلول، إذ يُسهم بشكل فعال في إدارة الأزمات بفضل قدرته على معالجة كميات هائلة من البيانات بسرعة وكفاءة، وتقديم تحليلات دقيقة واستجابات فورية تساعد في اتخاذ القرارات المناسبة، من خلال ما يلي (تيور و قريجيج، 2025):

- تبسيط عملية التواصل أثناء الأزمات يمكن تحقيقه من خلال استخدام روبوتات الدردشة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي لتوفير استجابات فورية للأسئلة المتداولة وتخفيف العبء على الموارد البشرية، يمكن إنشاء تحديثات في الوقت الفعلي لنشر المعلومات الدقيقة والمهمة خلال الأزمات عبر وسائل مختلفة مثل وسائل التواصل الاجتماعي والبريد الالكتروني.

- تقديم المعلومات الدقيقة: وتتصـــل هذه المرحلة بإعطاء كل البيانات والمعطيات التنبؤية ذات الصـــلة بالأزمة قبل حوثها.
- تحليل المشاعر العامة: باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي ومختلف التقنيات التي تمكن من الطشف المبكر عن الأزمات، مثل تفشي الأمراض وغيرها من الأزمات المختلفة.

5- تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في رصد الأزمات المالية

تلعب تقنيات الذكاء الاصـــطناعي دورًا محوريًا في تعزيز القدرة على التنبؤ بالأزمات المالية من خلال تحليل كميات ضخمة من البيانات المالية وتطوير أنماط قادرة على رصد الإشارات التحذيرية المبكرة. فيما يلي أهم التقنيات المستخدمة في هذا المجال:

5-1- تعلم الآلة::Machine Learning) هو فرع من فروع الذكاء الاصـطناعي يعتمد على تقنيات الحوســبة والاحصـــاء والرياضـــيات لتعليم الأنظمة الحاســوبية على التعرف على الأنماط و اتخاذ القرارات بناءا على البيانات التي تم جمعها (كريمة و بن زيان، 23اكتوبر 2024)، وتتمثل تطبيقات تعلم الآلة في رصد الأزمات المالية في :

- توقع انهيارات سـوق الأسـهم: باسـتخدام البيانات التاريخية لتحليل تحركات الأسـهم وتوقع الانهيارات المفاجئة.
- تقييم المخاطر المالية: تحسين تقييم مخاطر القروض، الديون، والاستثمارات المصرفية.
- التنبؤ بالأزمات المصرفية: من خلال دراسة الأنماط الائتمانية وتحديد العملاء المعرضين للتعثر.

5-2- التعلم العميق(Deep Learning) : هو مجموعة فرعية من التعلم الالي ويركز على دراسة وتطوير الالات التي يمكنها التعلم، (طعيمة، 2024، صـفحة 27)، حيث يمكن لهذه الشـبكات تحليل البيانات المالية الضـخمة وغير المنظمة، مثل الأخبار الاقتصـادية، التغيرات في أسـعار الأصـول، والرسـوم البيانية للأسواق المالية، وتتمثل تطبيقات التعلم العميق في رصد الأزمات المالية من خلال:

- تحليل البيانات الزمنية :مثل تحركات الأسـواق المالية عبر الزمن للكشـف عن الأنماط المرتبطة بالتقلبات والأزمات.
- تحليل العلاقات المتداخلة بين الأصـــول المالية :واكتشـــاف الأنماط التي قد تؤدي إلى أزمة مالية نتيجة انهيار شبكة من الأصول المرتبطة.

5-3- تحليل البيانات الضخمة(Big Data Analytics) : يعتمد الذكاء الاصطناعي على تحليل كميات ضخمة من البيانات المالية، مثل تحركات أسعار الأسهم، حجم التداول، تقارير المؤسسات المالية، والأخبار الاقتصادية، و يشير مصطلح البيانات الضخمة إلى مجموعات البيانات التي تتميز بأنها فائقة حجماً وسرعة أو تنوعاً، بالقياس إلى أنواع مجموعات البيانات المعهودة الاستخدام (لباز و عدنان مصطفى، 2018، صفحة 7)، وتتمثل تطبيقات تحليل البيانات الضخمة في رصد الأزمات المالية:

- **رصد تدفقات رؤوس الأموال** :تحليل التحركات الكبيرة لرؤوس الأموال عبر الأسواق المختلفة للكشف عن التغيرات التي قد تشير إلى أزمة مالية.
- **تقييم الأنماط الاقتصادية العالمية** :من خلال دراسة الأنماط الاقتصادية الكبرى وتوقع الأزمات المالية التي قد تؤثر على الاقتصاد العالمي.
- **اكتشاف التقلبات في الأسواق المالية** :عبر تحليل البيانات الضخمة عن أسعار الأصول وحجم التداول.

مثال ذلك استخدام تحليلات البيانات لاكتشاف محاولة اختراق إلكتروني في الوقت الفعلي، مما يساعد على حماية بيانات الزبائن ومنع الخسائر المالية.

5-4- أنظمة التوصية المالية(Financial Recommendation Systems) : هي فئة فرعية من أنظمة تصفية المعلومات التي تتنبأ بالتقييم أو التفضيل الذي قد يمنحه المستخدم لعنصر ما، يتم استخدامها بشكل أساسي في التطبيقات التي يحتاج المستخدم فيها الى الاختيار من بين مجموعة واسعة من الخيارات، (طعيمة، انظمة التوصية، 2024، صفحة 8)، وتعتمد هذه الأنظمة على خوارزميات الذكاء الاصطناعي لتقديم توصيات مالية للمستثمرين بناءً على التوقعات المستقبلية للأسواق. يمكنها المساعدة في اتخاذ قرارات مدروسة تقلل من التعرض للأزمات المالية، وتطبيقات أنظمة التوصية المالية في رصد الأزمات المالية تقوم بـ:

- **تقديم توصيات بالبيع أو الشراء** :بناءً على التوقعات بتحركات السوق.
- **تحديد الأصول عالية المخاطر** :وتنبيه المستثمرين لتقليل استثماراتهم في هذه الأصول لتجنب الخسائر المحتملة.

5-5- الروبوتات المالية: الروبوتات المالية هي برامج تعتمد على الذكاء الاصـــطناعي وتُســـتخدم في الأســـواق المالية لاتخاذ قرارات تداول بناءً على التحليل الآني للبيانات المالية، وتتمثل الية العمليات الروبوتية في انها برامج يقوم بتشـــغيل برامج تطبيقات اخرى بالطريقة التي تؤدي بها الاشـــخاص اعمالهم اليومية، اي أنها تحاكي طريقة التعامل البشـري وتقوم بالاعمال المتكررة اليومية بدلا عن البشـر وبشـكل تلقائي، كما تهدف الالية الى زيادة الانتاجية حيث تستطيع الالة العمل بسرعة ودقة أكبر من الانسان وفي وقت أقل بكثير من الانسـان (ايهاب و .م، 2022، صـفحة 104)، وتتمثل تطبيقات الروبوتات المالية في رصد الأزمات المالية من خلال:

- التداول عالي التردد :(High-Frequency Trading) تحليل الأسـواق بشـكل فوري واتخاذ قرارات تداول في غضون أجزاء من الثانية لتجنب الخسائر.
- اكتشاف التقلبات السوقية المفاجئة :والتكيف معها بشكل سريع للحفاظ على الاستقرار المالي.

5-6- تقنيات الشـبكات العصـبية التوليدية : - Generative Adversarial Networks)
(GANs: تعد طريقة للنمذجة التوليدية التي تولد مجموعة جديدة من البيانات بناء على بيانات التدريب ، تحتوي على كتلتين رئيسـيتين (شـبكتين عصـبيتين) تتنافسـان مع بعضـهما البعض وتكونان قادرين على التقاط ونســـخ وتحليل الاختلافات في مجموعة البيانات، يطلق على النموذجين عادة اســـم المولد Generator والمميزdicriminator (طعيمة، صـــفحة 13)، تعتمد هذه التقنية على شـــبكة عصـبية توليدية تنتج بيانات شـبيهة بالبيانات الأصـلية وشـبكة تمييزية تحاول التفريق بين البيانات الأصـلية والمزيفة. يمكن استخدام هذه التقنية لمحاكاة سيناريوهات مالية مختلفة واختبار تأثير الأزمات المالية المحتملة. وتتمثل تطبيقات GANs في رصد الأزمات المالية:

- اختبار الأزمات المصرفية :عبر محاكاة حالات تعثر البنوك وتقييم قدرة النظام المالي على الصمود.
- توليد بيانات مالية لتحسين التوقعات :لاختبار النماذج المالية وتقييم دقة التنبؤات.

ثالثا: تحديات الذكاء الاصطناعي في القطاع المالي وطرق مواجهتها

رغم الإمكانات الكبيرة التي يوفرها الذكاء الاصطناعي للقطاع المالي، إلا أن تطبيقه يواجه تحديات تقنية وتنظيمية وأخلاقية معقدة قد تحد من فعاليته وتثير مخاطر محتملة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1 –تحديات الذكاء الاصطناعي في القطاع المالي:

بالرغم من أن الذكاء الاصطناعي يعطي نتائج مبهرة، تتمثل في إمكانية تقديم تنبؤات أوتوصيات أو قرارات باستخدام كميات هائلة من مصادر البيانات البديلة وتحليلاتها التي يشار إليها بالبيانات الضخمة، وذلك في عدة مجالات مالية كإدارة المخاطر، والتداول الخوارزمي، والاكتتاب الائتماني، والخدمات المالية القائمة على تقنية blockchain وغيرها من التطبيقات، إلا أنه لا تزال هناك بعض التحديات الموجودة تحتاج إلى العلاج المناسب (Meryem Belhaj & Yassine Hachaïchi, 2023, p. 2) بتصرف نوردها كالآتي:

1–1– خصوصية البيانات واتخاذ القرارات المتحيزة: نظرًا لأنه لن يكون هناك ذكاء اصطناعي متكامل دقيق في البداية، فسيشكل ذلك تحديات مختلفة تكمن في اعتماده على البيانات السابقة عند اتخاذ القرار، حيث تكون بيانات غير دقيقة (Rupa Halder، 2022، صفحة 2)، كما يمكن أن تكون نماذج الذكاء الاصطناعي متحيزة إذا تم تدريبها على بيانات غير تمثيلية أو غير متحيزة، وهذا يمكن أن يؤدي إلى سوء اتخاذ القرارات (Velibor Božić، 2023، صفحة 9).

1–2– جودة البيانات ومتطلبات المسؤولية لنشر تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي: تعتمد قوة التنبؤ للخوارزمية بشكل كبير على جودة البيانات التي يتم تقديمها كمدخلات، لذلك فالتوافر المحدود للجودة والكمية المناسبة من البيانات قد يكون بمثابة عقبة أمام قوة الذكاء الاصطناعي. فضلا ذلك يمثل استخدام الآلات الذكية تحديا فيما يتعلق بالمسؤولية ويقود إلى التساؤل عن، لماذا، ومن سيكون المسؤول في حالة حدوث خطأ ما ؟ لذا ففي بعض الأحيان تتردد المؤسسات المالية في منح الآلات استقلالية كاملة نظراً لكون سلوك الآلات لا يمكن التنبؤ به بشكل كامل، وفي كثير من الحالات يميلون إلى إبقاء المشرف البشري في مكانه للتحقق من صحة أنشطة الآلة الهامة والقرارات مثل حظر المدفوعات أو الإفراج عنها (David Mhlanga، 2020، صفحة 10).

1–3– الشفافية المحدودة: يمكن أن تكون نماذج الذكاء الاصطناعي معقدة، بحيث يصعب فهم كيفية الوصول إلى استنتاجاتها. وبالتالي يمكن لهذا النقص في الشفافية أن يجعل من الصعب على مسيري المخاطر أن يثقوا في مخرجات الذكاء الاصطناعي وتفسيرها.

1-4- الخبرة الفنية: يتطلب استخدام الذكاء الاصطناعي مستوى عالٍ من الخبرة الفنية، وقد لا تمتلك المؤسسات الموارد أو الخبرة اللازمة لتنفيذ نماذج الذكاء الاصطناعي والحفاظ عليها.

1-5- المخاطر الأمنية: يمكن أن يشكل تخزين ومعالجة كميات كبيرة من البيانات الحساسة والمطلوبة لنماذج الذكاء الاصطناعي مخاطر أمنية، مثل اختراق البيانات أو الهجمات السيبرانية.

1-6- القضايا القانونية والأخلاقية: يمكن أن يثير استخدام الذكاء الاصطناعي قضايا قانونية وأخلاقية متعلقة بخصوصية البيانات والشفافية والمساءلة (Velibor Božić، 2023، صفحة 9).

2- طرق مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي:

بعد أن وقفنا على تحديات الذكاء الاصطناعي، نتناول فيما يلي بعض الطرق للتغلب على تحديات استخدام الذكاء الاصطناعي في إدارة المخاطر (سلمة بن عائشة، ذهيبية بن عبد الرحمان، و مصطفي طويطي، 2024، صفحة 64):

2-1- زيادة الشفافية: للتغلب على الشفافية المحدودة لنماذج الذكاء الاصطناعي، يمكن للمؤسسات استخدام تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير أو التفسير التصوري (Explainable Artifcial Intelligence visualization techniques (XAI)) وذلك لمساعدة مديري المخاطر على فهم كيفية وصول النماذج إلى استنتاجاتها.

2-2- معالجة التحيزات: للتغلب على التحيزات في نماذج الذكاء الاصطناعي، يمكن للمؤسسات التأكد من أن البيانات المستخدمة لتدريب النماذج متنوعة وغير متحيزة وتمثيلية، ويمكنهم أيضاً استخدام تقنيات مثل إزالة التحيز الذي قد يكون موجود في البيانات.

2-3- بناء الخبرة الفنية: يمكن للمؤسسات التغلب على نقص الخبرة الفنية من خلال الاستثمار في برامج التدريب أو الشراكة مع خبراء الذكاء الاصطناعي الذين يمكنهم تقديم الدعم والتوجيه.

2-4- تعزيز الأمان: يمكن للمؤسسات تنفيذ تدابير أمنية قوية لمعالجة المخاطر الأمنية مثل التشفير والمصادقة متعددة العوامل وعمليات التدقيق الأمني المنتظمة.

2-5- معالجة المشكلات القانونية والأخلاقية: يمكن للمؤسسات ضمان الامتثال للمتطلبات القانونية والأخلاقية من خلال تطوير سياسات وإرشادات واضحة لاستخدام الذكاء الاصطناعي والالتزام بها، فضلا عن ضمان الشفافية والمساءلة في نماذج الذكاء الاصطناعي الخاصة بها.

كما يجب على المؤسسات اتباع منهج شامل لاستخدام الذكاء الاصطناعي في إدارة المخاطر وذلك بمعالجة وتقليل المخاطر والتحديات التقنية والأخلاقية والقانونية والأمنية المرتبطة به، للتمكن من تعظيم فوائد الذكاء (Velibor Božić، 2023، صفحة 9) .

رابعا: مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي

يلعب الذكاء الاصطناعي دورًا متزايد الأهمية في رصد الإشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية، ولكن استخدامه يثير أيضًا مجموعة من الاعتبارات الأخلاقية التي يجب مراعاتها، ومن المبادئ الأساسية لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي التي تنطبق على هذا المجال (SDAIA، 2023، الصفحات 12-15):

– **المبدأ الأول: النزاهة والإنصاف**: على مطور نظام الذكاء الاصطناعي عند تصميم أو جمع أو تطوير أو نشر أو استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي، اتخاذ الإجراءات اللازمة للتأكد من عدم وجود التحيز أو التمييز أو التنميط أو الحد منها التي يتعرض لها الأفراد أو الجماعات أو الفئات بسبب البيانات أو الخوارزميات ويمكن أن تؤدي إلى تمييز سلبي لفئة محددة.

لضمان بناء أنظمة ذكاء اصطناعي قائمة على الإنصاف والشمولية؛ يتم تدريب أنظمة الذكاء الاصطناعي على البيانات التي يتم تنقيحها من التحيز، كما يتم بناء وتطوير الخوارزميات بطريقة تجعل تكوينها خاليا من التحيز والمغالطات.

– **المبدأ الثاني: الخصوصية والأمن**: يتم تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي لتكون محمية بطريقة آمنة وتراعي المتطلبات النظامية ذات العلاقة، ومن ذلك المتطلبات النظامية المتعلقة بحماية خصوصية أصحاب البيانات الشخصية، ومعايير الأمن السيبراني ذات العلاقة؛ بهدف منع الوصول غير المشروع إلى البيانات والنظام مما قد يؤدي إلى الإضرار بالسمعة أو الأضرار النفسية أو المالية أو المهنية.

ويتم تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي باستخدام آليات وضوابط توفر إمكانية إدارة ومراقبة النتائج والتقدم الذي يتم طوال دورتها لضمان امتثالها بقواعد وضوابط الخصوصية والأمن ذات العلاقة.

– **المبدأ الثالث: الإنسانية**: يسلط مبدأ الإنسانية الضوء على ضرورة بناء أنظمة الذكاء الاصطناعي باستخدام منهجية عادلة وأخلاقية تستند إلى حقوق الإنسان والقيم الثقافية الأساسية وذلك لإحداث أثر إيجابي على الأطراف المعنية والمجتمعات المحلية والمساهمة في تحقيق الأهداف والغايات طويلة وقصيرة الأجل من أجل مصلحة البشرية وازدهارها، ومن الضروري أن يتم تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي، حيث لا

تخدع، أو تتلاعب، أو تضع سلوكا لا يقصد به تمكين المهارات البشرية، أو تعزيزها، أو زيادتها، بل ينبغي لها أن تتبنى نهجا تصميمياً أكثر تركيزا على إتاحة الاختيار واتخاذ القرار لمصلحة الإنسان.

– **المبدأ الرابع: المنافع الاجتماعية والبيئية:** يسعي مبدأ المنافع الاجتماعية والبيئية إلى تعزيز الأثر الإيجابي والمفيد للأولويات الاجتماعية والبيئية التي يجب أن تفيد الأفراد والمجتمع ككل والتي تركز على الأهداف والغايات المستدامة، لا ينبغي لأنظمة الذكاء الاصطناعي أن تسبب أو تسرع الضرر أو تؤثر سلبا على البشر، بل يجب أن تسهم في تمكين واستكمال التقدم التقني والاجتماعي والبيئي مع السعي إلى معالجة التحديات المرتبطة بها.

– **المبدأ الخامس: الموثوقية والسلامة:** يسعى مبدأ الموثوقية والسلامة إلى ضمان التزام نظام الذكاء الاصطناعي بالمواصفات المحددة وأن نظام الذكاء الاصطناعي يعمل بشكل كامل وفق الآلية التي كان يقصدها ويتوقعها مصممو، وتمثل الموثوقية مقياسا للمصداقية والاعتمادية التي يتمتع بها النظام من الناحية التشغيلية مع وظائفه المحددة والنتائج التي يسعى إلى تحقيقها.

– **المبدأ السادس: الشفافية والقابلية للتفسير:** يؤسس مبدأ الشفافية والقابلية للتفسير لبناء الثقة في أنظمة وتقنيات الذكاء الاصطناعي، لذا يجب بناء أنظمة الذكاء الاصطناعي بدرجة عالية من الوضوح والقابلية للتفسير، مع وجود ميزات لتتبع مراحل اتخاذ القرارات المؤتمتة، ولا سيما تلك التي قد تؤدي إلى آثار ضارة على الأفراد، وهذا يعني أن البيانات والخوارزميات والقدرات والعمليات والغرض من نظام الذكاء الاصطناعي جميعها تحتاج إلى أن تكون شفافة وقابلة للتفسير للمتأثرين بها بشكل مباشر وغير مباشر، وتعتمد الدرجة التي يكون فيها النظام قابلا للتتبع والتدقيق والشفافية والقابلية للتفسير على سياق نظام الذكاء الاصطناعي والغرض منه والنتائج التي قد تنتج، ويجب أن تكون أنظمة الذكاء الاصطناعي ومطوروها قادرين على تبرير أسس تصميمها وممارساتها وعملياتها وخوارزمياتها وقراراتها وسلوكياتها المسموح بها أخلاقيا وغير الضارة للعامة.

– **المبدأ السابع: المساءلة والمسؤولية:** يُحمِّل مبدأ المساءلة والمسؤولية المصممين والمطورين ومسؤولي ومقيمي أنظمة الذكاء الاصطناعي المسؤولية الأخلاقية عن القرارات والإجراءات التي قد تؤدي إلى مخاطر محتملة وآثار سلبية على الأفراد والمجتمعات، ويجب تطبيق الإشراف البشري والحوكمة والإدارة المناسبة عبر دورة حياة نظام الذكاء الاصطناعي بأكملها لضمان وجود آليات مناسبة لتجنب الأضرار وإساءة استخدام هذه

التقنية، وينبغي ألا تؤدي أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى خداع الناس أو الإضرار بحرية اختيارهم دون مبرر، وأن يكون المصممون والمطورون والأشخاص الذين ينفذون نظام الذكاء الاصطناعي مذكورين ويمكن لأصحاب المصلحة التواصل معهم.

خاتمة:

يمثل الذكاء الاصطناعي أداةً تحويلية في الرصد المالي والاقتصادي، حيث يوفر إمكانات غير مسبوقة للكشف المبكر عن الأزمات المالية العالمية قبل تفاقمها. وذلك بفضل قدرته على تحليل كميات هائلة من البيانات بدقة وسرعة فائقتين، مما يمكن نماذجه من تحديد الأنماط الخفية والارتباطات المعقدة التي قد تنذر بمخاطر مالية وشيكة، مثل أزمات السيولة، وانهيارات الأسواق، وفقاعات الائتمان. ومع ذلك، فإن تطبيق الذكاء الاصطناعي في هذا المجال يواجه تحديات جمة، تشمل تعقيد الأسواق المالية، وتنوع مصادر البيانات، وصعوبة التنبؤ بالأحداث غير المتوقعة، بالإضافة إلى التحيزات المحتملة في البيانات والنماذج، وصعوبة تفسير النتائج، والتحديات التنظيمية والأخلاقية. لذا، يجب مراعاة هذه العوامل بعناية لضمان استخدام فعال ومسؤول للذكاء الاصطناعي في رصد الأزمات المالية العالمية. من خلال دراستنا لدور الذكاء الاصطناعي في رصد الاشارات المبكرة للازمات المالية العالمية، خلصنا إلى النتائج التالية:

- يُعد الذكاء الاصطناعي إضافة جوهرية في رصد الأزمات المالية العالمية، حيث يساهم بشكل فعال في تحسين قدرتنا على التنبؤ بالأزمات وتجنبها.
- أثبت الذكاء الاصطناعي فعاليته في تحليل كميات هائلة من البيانات المالية وغير المالية، والكشف عن الأنماط التي تنبئ بوقوع الأزمات. وقد ساهمت نماذج التعلم العميق وتحليل البيانات الضخمة في استخلاص مؤشرات اقتصادية وسياسية مبكرة..
- يواجه الذكاء الاصطناعي في مجال رصد الأزمات المالية عدة تحديات، أبرزها محدودية الوصول إلى البيانات الدقيقة، وصعوبة تحليل الأحداث النادرة، وتقلبات الأسواق المالية، وتأثير العوامل المتشابكة المرتبطة بالأزمات، مثل السياسات الدولية والتغيرات الاقتصادية غير المتوقعة.
- يُعد الذكاء الاصطناعي أداةً واعدة لتعزيز استقرار الأسواق العالمية والحد من تأثير الأزمات المالية، خاصةً مع التقدم المستمر في نماذج الذكاء الاصطناعي وتوفر كميات ضخمة من البيانات. ومع ذلك، فإن

فهم وتفسير نتائج هذه النماذج يمثل جانبًا حيويًا لتمكين صناع القرار من استيعاب أسباب التنبؤات واتخاذ الإجراءات المناسبة.

- **التوصيات:** بناءً على نتائج الدراسات والأبحاث المتعلقة بدور الذكاء الاصطناعي في رصد الإشارات المبكرة للأزمات المالية العالمية، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي تساهم في تعزيز فعالية هذا الدور وتحقيق أقصى استفادة منه:

- تحقيق التوازن بين استثمار الإمكانيات التكنولوجية المتاحة والمتطلبات الواقعية للأسواق المالية هو المفتاح لضمان استباقية فعّالة في مواجهة الأزمات المالية المستقبلية، ودعم الاستقرار الاقتصادي العالمي.
- يجب تحقيق التكامل بين استخدام الذكاء الاصطناعي في رصد الأزمات المالية العالمية والخبرة البشرية، وذلك من خلال تطوير أدوات تفاعلية تتيح للمحللين البشريين التفاعل مع نماذج الذكاء الاصطناعي وفهم آليات عملها، لضمان توازن التفسيرات وتعزيز دقتها.
- يجب وضع إطار تنظيمي وأخلاقي متين يضمن استخدام الذكاء الاصطناعي بطريقة مسؤولة وشفافة، إلى جانب تطوير آليات فعالة للكشف عن التحيزات في البيانات والنماذج ومعالجتها، وذلك من خلال تطبيق معايير واضحة وإجراءات رقابية صارمة.
- تخصيص موارد استراتيجية للبحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعي، من خلال تمويل الأبحاث التطبيقية في الأسواق المالية، وتنمية الكفاءات البشرية المتخصصة في استخدام الذكاء الاصطناعي للتحليل المالي، مع تعزيز التعاون وتبادل الخبرات بين المؤسسات المالية والباحثين.
- يجب التركيز على تعزيز الرصد المبكر للمخاطر النظامية من خلال تطوير أدوات إنذار متقدمة قادرة على استشعار الإشارات التحذيرية المبكرة للأزمات، وتصميم نماذج ذكاء اصطناعي متطورة لتحليل المخاطر النظامية التي تهدد استقرار النظام المالي العالمي.
- يجب تأمين بنية تحتية تقنية قوية قادرة على التعامل مع كميات ضخمة من البيانات في الوقت الفعلي، وتطوير بروتوكولات أمان متقدمة للخوارزميات، بهدف الحد من مخاطر التلاعب وسوء الاستخدام.

– تشجيع التعاون بين الدول والمؤسسات المالية لتبادل البيانات والتقنيات لمواجهة الأزمات المالية العالمية على نطاق عالمي.

– المراجع

1- الحسني, ع .(2007) .، الاقتصاد السياسي لازمة أسواق المال الولية .*مجلة المال والصناعة*.12 ,(25)

2- الشرقاوي, م. ع .(1996) .*الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية* .القاهرة: مطابع المكتب المصري الحديث.

3- ايهاب, م. & ,.م, ه .(2022) .مسؤولية المراجع في ظل الذكاء الاصطناعي وأثرها على سهولة قراءة التقارير المالية- ليل تطبيقي من الشركات المقية في البورصة المصرية .*المجلة العلمية للدراسات والبحوث المالية والتجارية* , *01*(03).

4- بوليه, ل & ,.فرغلي, ص .(1993) .الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله .*سلسلة عالم المعرفة*.11 ,(172)

5- تيور, س & ,.قريجيج, ب .(2025) .تقنيات التحل الرقمي والذكاء الاصطناعي في مواجهة الازمات الاقتصادية و التنبؤ بها .*مجلة الريادة لاقتصاديات الأعمال*.169 ,(01)*11* ,

6- سلمة بن عائشة, ذهيبية بن عبد الرحمان & ,مصطفي طويطي .(2024) .دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحسين القطاع المالي.(02)*13* .

7- طعيمة, ع .(2024) .*انظمة التوصية* .العراق.

8- طعيمة, ع .(n.d.) .*شبكات الخصومة التوليدية-مشاريع تعلم عميق تم حلها باستخام شبكات الخصومة التوليدية* .جامعة القاسية العراق: كتاب الكتروني.

9- عائشة, ع .(2013) .تداعيات الأمة المالية العالمية على الأسواق المالية العربية .*مجلة الاقتصاد الجديد*.(08)

10- قدي, ع. ا .(2009) .الازمة الاقتصادية الامريكية وتداعياتها العالمية، .*مجلة بحوث اقتصادية عربية*.8 ,(36)*16* ,

11- لباز & ,عدنان مصطفى .(2018) .*البيانات الضخمة ومجالات تطبيقها* .السعودية: جامعة الملك عبد العزيز.

12- مزهودي, ع. ا & ,.رحيمة بوصبيع, ص .(2023) .دور الذكاء الاصطناعي في دعم المؤسسات الماليه مع الاشارة لتجربة بنكيHDFC و ICICIباهند .*مجلة آفاق علةوم الادارة والاقتصاد*.137-136 ,(01)*07* ,

13- David Mhlanga. (2020). Industry 4.0 in Finance: The Impact of Artificial Intelligence (AI) on Digital Financial Inclusion. *International Journal of Financial Studies, 8*(3).

14- Meryem Belhaj, & Yassine Hachaïchi. (2023, 04). *Artificial Intelligence, Machine Learning and Big Data in Finance Opportunities, Challenges, and Implications for Policy Makers*. Retrieved from researchgate: https://www.researchgate.net/publication/369912767

15- Patrick Weber, K. V. (2023). *Applications of Explainable Artifcial Intelligence in Finance-a systematic review of Finance, Information Systems, and Computer Science literature.* Management Review quarterly.

16- Rupa Halder. (2022, 12). *Analysing the Impact of Artificial Intelligence in the Financial Sector*. Retrieved from researchgate: https://www.researchgate.net/publication/366275090

17- SDAIA. (2023). *مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي*. الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي.

18- Velibor Božić. (2023, 04). *THE ROLE OF ARTIFICIAL INTELLIGENCE IN RISK MANAGEMENT*. Retrieved from researchgate: https://www.researchgate.net/publication/370005124

European Values in the Age of Artificial Intelligence: A Critical Legal Analysis

Saloua Bezzahi
Faculty of Law and Political Science – Béjaïa, Algeria
saloua.bezzahi@univ-bejaia.dz

Abstract:

Amid major digital transformations, artificial intelligence is reshaping social, economic, and legal systems. Core European values—human dignity, freedom, equality, and the rule of law—are now being tested in this new context. These values must guide AI development within the EU. To that end, the European legislator introduced the Artificial Intelligence Act to ensure a human-centered, rights-based regulation of AI. This legal framework seeks to embed ethical principles into binding norms. However, significant challenges persist, including the difficulty of converting abstract values into technical standards, the fast pace of AI innovation, and risks such as discrimination, mass surveillance, and threats to individual freedoms.

Keywords: European values; artificial intelligence, transparency, human dignity, transparency keywords; anti-discrimination.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

القيم الأوروبية في عصر الذكاء الاصطناعي: قراءة قانونية نقدية

بزاحي سلوى
كلية الحقوق والعلوم السياسية-بجاية- الجزائر-.
مخبر فعلية القاعدة القانونية
saloua.bezzahi@univ-bejaia.dz

ملخص:

في ظل التحولات العميقة التي يعرفها العالم الرقمي، يبرز الذكاء الاصطناعي كقوة محركة لتغيير جذري في البنى الاجتماعية والاقتصادية والقانونية. وقد وجدت القيم الأوروبية، التي تشكل العمود الفقري للهوية السياسية والحقوقية للاتحاد الأوروبي، نفسها أمام اختبار تاريخي يفرض إعادة النظر في أساليب حمايتها وتكريسها في هذا السياق التكنولوجي الجديد. فالكرامة الإنسانية، والحرية، والمساواة، وسيادة القانون، ليست مجرّد مبادئ نظرية، بل هي معايير يفترض أن تؤطر تطوير واستخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي ضمن الفضاء الأوروبي. من هذا المنطلق، سعى المشرّع الأوروبي من خلال مشروع قانون الذكاء الاصطناعي إلى تجسيد هذه القيم في نصوص ملزمة تنظّم تصميم ونشر هذه التكنولوجيا، وفق مقاربة قائمة على حماية الإنسان أولا. غير أنّ هذا الطموح القانوني يواجه تحديات فعلية، تتعلق بصعوبة ترجمة القيم المجردة إلى ضوابط تقنية، وبسرعة تطور الذكاء الاصطناعي، وبالخطر الداهم لانزلاق هذه الأنظمة نحو التمييز، أو المراقبة الجماعية، أو المساس بالحريات الفردية.

الكلمات المفتاحية: القيم الأوروبية.، الذكاء الاصطناعي.، الكرامة الانسانية.، الشفافية.، مكافحة التمييز.

مقدمة:

"ان الابتكار لا يكون تقدما حقيقيا إلا إذا خدم الإنسان واحترم كرامته"

مارغريت فيستاجي

في عصر التحوّل الرقمي المتسارع، تتسابق الدول والأنظمة القانونية إلى ضبط استعمال الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا المتقدمة، ليس فقط بهدف التنظيم، بل أيضا لصياغة رؤية خاصة للابتكار، ويسعى في هذا السياق الاتحاد الأوروبي إلى تقديم نموذج فريد يجسّد «الابتكار المسؤول»، من خلال دمج التكنولوجيا في الإطار القيمي الأوروبي الذي يتمحور حول الكرامة الإنسانية، الشفافية، عدم التمييز، حماية الحقوق الأساسية. ويظهر هذا التوجه جليا في اللائحة الأوروبية للذكاء الاصطناعي(AI Act) ، التي تعدّ أول محاولة تشريعية شاملة في العالم لتنظيم الذكاء الاصطناعي بناء على مقاربة قانونية وقيمية.

غير أن هذا المشروع الطموح يثير تساؤلات حقيقية: فهل تستطيع هذه المنظومة القانونية المتقدمة أن تحقّق توازنا فعليا بين ضمان الحقوق والقيم، وبين تشجيع التطوير والابتكار التكنولوجي في سوق تتسم بالديناميكية والمنافسة العالمية؟ أليس هناك خطر أن تتحول هذه القيم، حين يبالغ في حمايتها، إلى قيود تعيق الابتكار الأوروبي مقارنة بالولايات المتحدة والصين؟

الإشكالية:

إلى أي حد نجح القانون الأوروبي في التوفيق بين حماية القيم الأساسية للاتحاد (الكرامة، الشفافية، عدم التمييز) ومتطلبات الابتكار التكنولوجي؟ وهل تمكّنت التشريعات الأوروبية من إرساء توازن فعلي بين التنظيم الأخلاقي والفعالية التقنية؟

يعتمد هذا المقال على منهج تحليلي نقدي مزدوج يبدأ بتحليل نصوص اللائحة الأوروبية للذكاء الاصطناعي وغيرها من التشريعات المرتبطة بحقوق الإنسان والرقمنة، لننتقل بعدها الى نقدها في ضوء الممارسات والتحديات التقنية والاقتصادية.

نعتمد في هذه المداخلة خطة ثنائية نتناول فيها ما يلي:

أولا: تكريس القيم الأوروبية في تنظيم الذكاء الاصطناعي

ثانيا: تحديات التوفيق مع متطلبات الابتكار التكنولوجي

أولا: تكريس القيم الأوروبية في تنظيم الذكاء الاصطناعي

في عالم يتجه نحو تسريع غير مسبوق في تبني تقنيات الذكاء الاصطناعي، يتخذ الاتحاد الأوروبي مسارا مختلفا، يقوم على مبدأ أساسي: لا ذكاء اصطناعي خارج الإطار القيمي الأوروبي. فخلافا للمقاربات البراغماتية المعتمدة في دول مثل الولايات المتحدة أو الصين، يقوم النموذج الأوروبي على محاولة التوفيق بين الابتكار التكنولوجي وحماية القيم الإنسانية الأساسية، وعلى رأسها الكرامة، الشفافية، وعدم التمييز (Binns,2021 ;Creemers, 2022,p. 565) ويشكل "قانون الذكاء الاصطناعي "حجر الزاوية في هذه المقاربة، حيث يسعى إلى إرساء تنظيم قانوني يتماشى مع المبادئ المؤسّسة للاتحاد الأوروبي.

1. الكرامة الإنسانية كأساس قانوني للتنظيم التقني

تعدّ الكرامة الإنسانية من المفاهيم المحورية التي ارتكزت عليها الفلسفة الأخلاقية والسياسية الغربية، قبل أن تجد طريقها إلى المنظومات القانونية الدولية والوطنية. وهي تعني، في جوهرها، الاعتراف بقيمة الإنسان بوصفه غاية في ذاته، لا مجرد وسيلة، وتأسيسا على ذلك، يتمتع كل فرد بحق غير قابل للتصرف في الاحترام والحماية من أي شكل من أشكال الإهانة أو الإذلال أو الاستغلال. إن الكرامة لاتكتسب ولا تفقد، فهي لصيقة بالإنسان بمجرد وجوده، بغض النظر عن حالته الاجتماعية أو الجسدية أو العقلية أو الاقتصادية. وقد كانت هذه الفكرة حاضرة في الفكر الفلسفي منذ العصور القديمة(McCrudden, 2008,p .655) ، لكنها اكتسبت بعدا مؤسسيا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث شهد تبلورها في صكوك حقوق الإنسان الدولية، وعلى رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، الذي جعل من الكرامة حجر الأساس لجميع الحقوق والحريات.

في السياق الأوروبي، تعتبر الكرامة الإنسانية القيمة العليا التي يقوم عليها البناء السياسي والقانوني للاتحاد. وقد تم تكريس هذا المبدأ صراحة في المادة الأولى من ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي، التي تنص على أن "كرامة الإنسان غير قابلة للمساس، ويجب احترامها وحمايتها" (Nation Unies 1948 ; Union Européenne, 2000). ولا يتعلق الأمر بمجرد إعلان مبدئي، بل بمنطلق ملزم يستوجب أن تفهم وتطبّق جميع السياسات الأوروبية على ضوئه، سواء كانت متعلقة بالصحة أو بالهجرة أو بالاقتصاد الرقمي أو بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي. فالميثاق الأوروبي لا يدرج الكرامة كمجرد قيمة أخلاقية، بل كمبدأ قانوني سام يفرض التزامات إيجابية وسلبية على السلطات العامة، بحيث يتعيّن عليها الامتناع عن أي فعل ينتهكها من جهة، واتخاذ ما يلزم من تدابير لضمان احترامها من جهة أخرى.

ويكتسب هذا المبدأ أهمية متزايدة في عصر التحولات التكنولوجية السريعة، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، الذي يثير تحديات أخلاقية وقانونية غير مسبوقة. فإذا كانت هذه التكنولوجيا توفّر إمكانيات كبيرة لتحسين حياة البشر، فإنها تطرح في الوقت نفسه مخاطر جدّية تمسّ جوهر الكرامة البشرية، سواء من خلال مراقبة الأفراد دون رضاهم، أو عبر قرارات آلية قد تؤدي إلى التمييز أو التهميش أو انتهاك الخصوصية. ولهذا، يؤكد الاتحاد الأوروبي في جميع وثائقه التوجيهية والتنظيمية على ضرورة أن يطوّر الذكاء الاصطناعي ضمن إطار يضمن الاحترام الكامل للكرامة الإنسانية. ويتجلى ذلك في "الخطوط التوجيهية الأخلاقية للذكاء الاصطناعي الموثوق به" الصادرة عن المفوضية الأوروبية في 2019، والتي تضع الكرامة البشرية في مقدمة المتطلبات التي يجب على أي نظام ذكاء اصطناعي أن يفي بها (High-Level Expert Group on Artificial Intelligence, 2019).

إن الربط بين الكرامة الإنسانية والتقنيات الحديثة، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، يعكس إدراكا أوروبيا بأن التقدم التكنولوجي لا يمكن أن يترك دون ضوابط، وأنه لا ينبغي النظر إلى التكنولوجيا كغاية مستقلة، بل كأداة يجب أن تخدم الإنسان وتحترم حدوده. وفي هذا الإطار، لا يسمح بأي استخدام للذكاء الاصطناعي في مجالات قد تؤدي إلى **تشييء** الإنسان أو تقويض استقلاله الذاتي أو المساس بحقه في تقرير مصيره(Agence des droits fondamentaux de l'Union européenne, 2020) . فالتقنيات التي ستخدم لتحديد ملامح الوجه أو قياس العواطف أو مراقبة السلوك، تخضع في أوروبا لتدقيق صارم، لأن استخدامها العشوائي قد يؤدي إلى اختزال الإنسان في بيانات ومعطيات رقمية، مما يتعارض مع كونه كائنا يتمتع بكرامة لا تقبل التفاوض.

ويعدّ هذا التصور مختلفا عن بعض المقاربات الأخرى المعتمدة في العالم، حيث يتم غالبا إعطاء الأولوية للابتكار أو للمردودية الاقتصادية على حساب الاعتبارات الأخلاقية. ففي النموذج الأوروبي، الكرامة ليست فقط قيمة عليا، بل هي مرجع معياري يحدد نطاق المشروعية في استخدام الذكاء الاصطناعي. وهذه الرؤية تجد جذورها في التقليد الإنساني العريق لأوروبا، وفي ذاكرتها التاريخية التي ما تزال موسومة بتجارب الاستعباد والتجريد من الإنسانية، مما يفسّر تمسّكها العميق بفكرة الإنسان كذات حرة، مسؤولة، وتستحق الاحترام.

إن التحدي الذي يواجهه الاتحاد الأوروبي اليوم لا يكمن فقط في تطوير إطار قانوني فعال لتنظيم الذكاء الاصطناعي، بل في ضمان أن هذا الإطار يظل متمسكا بجوهر القيم التي يتأسس عليها المشروع الأوروبي ذاته. وفي مقدمة هذه القيم، تظل الكرامة الإنسانية بمثابة البوصلة التي توجه الخيارات التشريعية والسياساتية، وتمنع انزلاق المجتمع الأوروبي نحو نماذج تكنولوجية قد تبدو فعّالة من الناحية التقنية، لكنها فارغة من أي مضمون إنساني. فالحفاظ على الكرامة في زمن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد مطلب قانوني، بل هو تعبير عن رؤية حضارية تصر على أن التقدم لا يكون حقيقيا إلا إذا كان في خدمة الإنسان، لا على حسابه.

2 .الشفافية والمساءلة الخوارزمية

تعد الشفافية من أبرز القيم التي يحرص الاتحاد الأوروبي على تكريسها في سياق الذكاء الاصطناعي، خصوصا أن التعقيد الخوارزمي قد يؤدي إلى **"الصندوق الأسود الخوارزمي"**، حيث تصعب معرفة كيفية اتخاذ القرار أو الأساس المنطقي له. وقد نصت اللائحة الأوروبية للذكاء الاصطناعي على إلزام مصمّمي ومطوّري أنظمة الذكاء الاصطناعي بتوفير معلومات واضحة، دقيقة، ومفهومة للمستخدمين حول عمل هذه الأنظمة، أهدافها، ومخاطرها المحتملة.(Parlement européen & Conseil de l'Union européenne, 2024)

كما ألزمت اللائحة أنظمة الذكاء الاصطناعي عالية المخاطر بإجراءات توثيق دقيقة، وإمكانية تتبع القرارات، وتقييم مسبق للمطابقة بهدف ضمان المساءلة، أي أن تتمكن السلطات أو المستخدمون المتضررون من تتبع المسؤول عن الأذى أو الخطأ الناتج عن النظام. وهنا تبرز قيمة الشفافية بوصفها ضمانة للحق في الفهم، وشرطا ضروريا لقيام مسؤولية قانونية عادلة وفعالة.

ومن أمثلة ذلك ما يتعلق بتقنيات التوظيف أو تصفية المرشحين للعمل إذ يشترط أن يكون المستخدم البشري على علم بأن القرار تم بمساعدة خوارزمية، وأن يكون له الحق في مراجعة القرار أو الاعتراض عليه، ما يعيد للإنسان حقه في التفسير، الطعن، والمراجعة.

3 .مكافحة التمييز والانحياز الخوارزمي

رغم ما يبدو من حيادية في البرمجيات والخوارزميات، فإن الواقع أظهر أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يعيد إنتاج التحيزات والتمييزيات البشرية، بل ويعززها، خاصة إذا ما استخدمت بيانات مشوبة بانحيازيات

اجتماعية أو عرقية أو جندرية. وقد عرفت عدة حالات دولية بأنظمة ذكاء اصطناعي تميز ضد النساء أو الأقليات، مثل بعض الخوارزميات التي تفضّل مرشحين ذكورا في التوظيف، أو أنظمة مراقبة تحدد أفرادا بناء على خصائص عرقية.

تشدد اللائحة الأوروبية على ضرورة مواجهة هذه المخاطر مع ضرورة تقييم مخاطر الانحياز منذ مراحل التصميم الأولى، وفرض معايير صارمة لجودة البيانات المستعملة في التدريب الخوارزمي. كما توصي الهيئات الأوروبية بإنشاء اختبارات للمساواة تضمن عدم وقوع الأنظمة في التمييز (Agence des droits fondamentaux de l'Union européenne, 2019)، خاصة في القطاعات الحساسة كالصحة، العدالة، التعليم، والتوظيف.

وهكذا يفهم أن القانون الأوروبي يسعى إلى تكريس مبدأ المساواة ليس فقط من خلال منع التمييز الصريح، بل عبر آليات تقنية وتنظيمية تدمج في بنية النظام منذ البداية، ترتكز هذه الرؤية على المبدأ المعروف بـ **"القانون بالتصميم(Law by Design) "**، الذي يجعل من احترام القيم عنصرا بنيويا في أي نظام ذكي.

ثانيا: تحديات التوفيق مع متطلبات الابتكار التكنولوجي

رغم التقدم الملحوظ في بلورة إطار قانوني وأخلاقي يضمن احترام الكرامة الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي، إلا أن هذا السعي التنظيمي يواجه تحديات حقيقية عند تقاطعه مع متطلبات الابتكار التكنولوجي. فالذكاء الاصطناعي، بوصفه مجالا ديناميكيا يعتمد على التجريب والتطور السريع، قد يصطدم أحيانا بصرامة القواعد القانونية المصممة لحماية القيم الأساسية. تنشأ هنا مفارقة دقيقة فكيف يمكن ضمان ألا تكون الحماية القانونية حاجزا أمام التقدم، وألا يتحوّل الابتكار إلى ذريعة لتجاهل المبادئ الإنسانية؟ في هذا السياق، يظهر جدل جوهري حول طبيعة التنظيم، ودرجة تدخله، وحدود التوفيق الممكنة بين الحرية التقنية والضوابط القانونية.

1 .التنظيم الصارم كعائق أمام التجريب التقني؟

في زمن يتّسم بتسارع الابتكار يطرح السؤال التالي بإلحاح: هل يقف التنظيم القانوني في وجه التجريب التقني؟ إن الذكاء الاصطناعي، بخاصيته التراكمية والتجريبية، يحتاج إلى بيئة مرنة تسمح باختبار النماذج،

تعديل الخوارزميات، والتعلم من البيانات. غير أنّ هذه الممارسات قد تصطدم بجدران قانونية صلبة، تفرض لحماية الأفراد والمجتمع من التحيّز، التمييز، أو انتهاك الخصوصية.

يرى البعض في هذا السياق، أن فرض متطلبات صارمة –كما هو الحال في اللائحة الأوروبية للذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى إبطاء وتيرة الابتكار (Parlement européen & Conseil de l'Union Européenne, s.d.)، خاصة بالنسبة للشركات الناشئة والمراكز البحثية الصغيرة التي تفتقر إلى الموارد اللازمة للامتثال. فإلزام المطوّرين بإجراء تقييمات أثر على الحقوق الأساسية، وتوفير الشفافية التامة، وفرض مراقبة بشرية(**Veale, ; Zuiderveen**, 2021,p.98) ، وإن كان مبررا من منظور الحماية القانونية قد يثني بعض الفاعلين عن إطلاق مشاريعهم أو تجريب حلولهم.

بالمقابل، ترد أطراف أخرى بأن التنظيم ليس عدوا للابتكار، بل شرط لضمان "ابتكار مسؤول". فغياب التنظيم قد يؤدي إلى فوضى تقنية تنتج أنظمة منحازة أو ضارة، تزعزع ثقة الجمهور وتدفع في نهاية المطاف إلى عزوف اجتماعي أو قانوني عن تبني هذه التقنيات. من هنا، يصبح التحدي هو تصميم تنظيم ذكي، يواكب الابتكار ولا يجهضه، من خلال آليات مرنة كالمناطق التنظيمية التجريبية (regulatory sandboxes) **(Due, s.d.p.6)**، والتشريعات المرحلية، وتعاون المشرّعين مع المطوّرين خلال المراحل الأولى للتصميم.

2 .التوتر بين الحماية والتنمية: هل تقوّض القيم الابتكار؟

تثير القيم الأوروبية – وعلى رأسها الكرامة، الحرية، عدم التمييز نوعا من التوتر البنيوي مع منطق الابتكار التقني، الذي يسعى إلى تجاوز الحدود واستكشاف مجالات جديدة أحيانا غير مسبوقة قانونيا. السؤال الذي يبرز هنا هو: هل تعد هذه القيم قيدا يكبل الخيال التقني، أم بوصلة تهديه؟

من الأمثلة الصارخة لهذا التوتر، أنظمة التوظيف القائمة على الذكاء الاصطناعي. فبينما توفّر هذه التقنيات كفاءة وسرعة في تصفية المرشحين، فإنها قد تنتج انحيازا جندريا أو عرقيا إذا لم تدرّب على بيانات منصفة. وهنا تبرز الحاجة لتوازن دقيق: لا يمكن التضحية بحقوق الأفراد في المساواة والكرامة من أجل فاعلية تقنية. والأمر ذاته في قطاع العدالة، قد يوفّر الذكاء الاصطناعي دعما للقرارات القضائية، لكنه لا يمكن أن يحلّ محلّ القاضي البشري دون المساس بحق المتقاضي في محاكمة عادلة.

تؤكد هذه التحديات على أن القيم ليست عدوا للتقنية، بل شرطا أخلاقيا لاستدامتها. فالقيم الأوروبية لا تراد كفرامل للابتكار، بل كمنظومة تضمن أن يكون الابتكار لأجل الإنسان، لا على حسابه. فالمطلوب إذا، ليس تجاوز هذه القيم، بل دمجها في صميم عملية الابتكار، عبر منهجيات **كالقانون بالتصميم**(Law by Design) "، أي التفكير القانوني والأخلاقي منذ المرحلة الأولى لتطوير أي نظام ذكي، وليس بعد اكتماله.

يتضح من خلال ما سبق أن التوفيق بين حماية القيم الأساسية، وفي مقدمتها الكرامة الإنسانية، ومتطلبات الابتكار التكنولوجي، يشكل معادلة دقيقة تواجه صعوبات متعددة. فالتنظيم القانوني، رغم ضرورته لضمان الثقة وحماية الحقوق، قد يتحول إلى عائق أمام التجريب والتطور السريع الذي تفرضه التكنولوجيا. كما أن فرض معايير أخلاقية وقانونية مشددة قد يثني بعض الفاعلين الاقتصاديين عن الاستثمار داخل الفضاء الأوروبي. ومع ذلك، فإن هذه التحديات لا تعني بالضرورة تعارضا حتميا بين الحماية والتنمية، بل تفتح الباب أمام نماذج جديدة في التشريع، كـ «القانون بالتصميم» و«التنظيم التكيّفي»، قادرة على إدماج الابتكار في إطار يحترم الإنسان ويصون كرامته. إن مستقبل الذكاء الاصطناعي الأوروبي رهين بقدرة النظام القانوني على التحوّل من منطق المنع إلى منطق المواكبة، ومن منطق الردع إلى منطق التوجيه.

خاتمة:

إن التجربة الأوروبية في تنظيم الذكاء الاصطناعي تطرح نموذجا فريدا يختلف عن التوجهات السائدة عالميا، من خلال اعتبار الإنسان وقيمه الأساسية مركزا لكل تنظيم قانوني أو تقني. لقد نجح الاتحاد الأوروبي، من خلال الوثائق التوجيهية واللوائح المقترحة، في تثبيت معايير تحترم الكرامة، وتعلي من شأن الشفافية والمساءلة، وتسعى لضمان أن تكون الأنظمة الذكية خاضعة للرقابة البشرية ومنصفة في قراراتها. لكن هذه المقاربة الطموحة لا تخلو من إشكالات، إذ تقف في مفترق طرق بين واجب الحماية القانونية وضرورات التطور والريادة التقنية.

ففي مقابل دعوات المرونة والتجريب التي يفرضها واقع الابتكار، يأتي القانون ليضع حدودا وقواعد قد تبطئ من سرعة التطوير، وتثقل كاهل الفاعلين الاقتصاديين، خاصة في المراحل الأولى من البحث والابتكار. ومع ذلك، لا يمكن اعتبار هذا التوتر تناقضا جوهريا، بل هو فرصة لإعادة التفكير في علاقة الإنسان بالتقنية،

عبر تطوير تنظيمات قانونية أكثر ذكاء ومرونة، مثل التنظيم التكيّفي أو القانون بالتصميم، الذي يدمج البعد القيمي في صلب مرحلة البرمجة وليس كقيد لاحق لها.

إن الرهان الأوروبي على "**الذكاء الاصطناعي المسؤول**" يشكّل تحدّيا حضاريا بامتياز، تتجاوز نتائجه حدود التكنولوجيا إلى ما هو أعمق: إعادة تعريف العلاقة بين الإنسان والآلة، بين الإبداع والضبط، وبين الحريات الفردية والمصلحة العامة. ولعلّ هذا ما يجعل من التجربة الأوروبية نموذجا رائدا وجديرا بالتحليل والمتابعة في السنوات القادمة.

التوصيات:

- تعزيز مقاربة "القانون بالتصميم(Law by Design) ".
- يوصى باعتماد هذه المقاربة في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي، لضمان دمج القيم القانونية والأخلاقية الأوروبية في المراحل الأولى من تصميم النظم، وليس كآلية رقابة لاحقة فقط.
- إرساء آليات تنظيمية مرنة ومكيّفة.
- ضرورة تبني أدوات تنظيمية ذكية مثل "المناطق التنظيمية التجريبية. regulatory) " sandboxes) و"التشريع المرحلي"، بما يسمح بالتجريب ضمن إطار قانوني مراقب يحمي الحقوق دون كبح الابتكار.
- ضمان قابلية تنفيذ اللوائح على الجهات الفاعلة الصغيرة.
- يتعين توفير دعم فني وتمويلي خاصة للشركات الناشئة والمؤسسات الأكاديمية الصغرى، حتى لا تتحول متطلبات الامتثال إلى عبء يحدّ من قدرتها على الابتكار داخل الفضاء الأوروبي.
- ترسيخ الرقابة البشرية كضمانة مؤسسية.
- يجب أن تظل الأنظمة الذكية خاضعة للرقابة البشرية الفعالة، خصوصا في المجالات الحساسة كالقضاء والتوظيف، لضمان احترام الحقوق الأساسية وتفادي التحيزات الخوارزمية.
- تعزيز التعليم القانوني والتقني المتقاطع.

- ينصح بتطوير برامج تدريبية تجمع بين القانون والتقنية، لخلق جيل من المشرّعين والمطوّرين القادرين على التفكير التشاركي وتجاوز الانفصال التقليدي بين المجالين.
- تحفيز البحث الأكاديمي حول أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.
- دعم الدراسات المقارنة التي تقارن بين النماذج التنظيمية (مثل النموذج الأوروبي، الأمريكي، الصيني) لفهم نقاط القوة والضعف وتعزيز الممارسات الفضلى.
- تطوير إطار أوروبي موحّد لتقييم الأثر الحقوقي للأنظمة الذكية.
- يوصى بوضع منهجية واضحة ومعتمدة أوروبيا لتقييم الأثر على الحقوق الأساسية عند تطوير أو استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي، بما يضمن توحيد المعايير ورفع مستوى الحماية.

قائمة المراجع:

أولا: النصوص القانونية

1. **Nations Unies.** (1948). Déclaration universelle des droits de l'homme (Résolution 217 A (III) de l'Assemblée générale, 10 décembre 1948).

2. **Union européenne**. (2000). Charte des droits fondamentaux de l'Union européenne. Journal officiel de l'Union européenne, C 364/01.

3. **Commission européenne.** (2021). Proposition de règlement sur l'intelligence artificielle (Artificial Intelligence Act), COM (2021) 206 final, 21 avril 2021.

ثانيا: المقالات

1. **Binns, R.** (2021). Artificial intelligence regulation in the United States and European Union: Comparing approaches. SSRN Electronic Journal. https://doi.org/10.2139/ssrn.3802107
2. **Creemers, R.** (2022). China's AI governance: A pragmatic authoritarian approach. AI & Society, 37(2), p.p (567–578). https://doi.org/10.1007/s00146-021-01211-4, Retrieved on 18-05-2025.

3. **Due, A. (s.d.).** Sandboxing Artificial Intelligence: Balancing Innovation, Regulation, and Stakeholder Needs (p. 6). Université Libre de Bruxelles.
4. **McCrudden, C**. (2008). Human dignity and judicial interpretation of human rights. European Journal of International Law, 19(4), p.p.655–724.
5. **Veale, M., & Zuiderveen Borgesius,** F. (2021). Demystifying the draft EU Artificial Intelligence Act. Computer Law Review International, 22(4), p.p 97–112. https://doi.org/10.9785/cri-2021-220402. Retrieved on 17-05-2025.

ثالثا: التقارير

1. **Agence des droits fondamentaux de l'Union européenne**. (2020). Intelligence artificielle et droits fondamentaux. Luxembourg: Publications Office of the European Union. https://fra.europa.eu/en/publication/2020/artificial-intelligence-and-fundamental-rights, consulté le 08-06-2025.
2. **Agence des droits fondamentaux de l'Union européenne.** (2019). Data quality and artificial intelligence: Mitigating bias and error to protect fundamental rights. Publications Office of the European Union. https://fra.europa.eu/en/publication/2019/data-quality-and-artificial-intelligence.Retrieved on 01-06-2025
3. **High-Level Expert Group on Artificial Intelligence**. (2019, April 8). Ethics guidelines for trustworthy AI. European Commission. https://ec.europa.eu/futurium/en/ai-alliance-consultation, Accessed on 3-04-2025.

Philosophy of Language between Human Intelligence and Artificial Intelligence

Nawzad Abdullah Mohammed Saeed
Iraqi Ministry of Education / Nineveh Education Directorate
nawzadam2@gmail.com

Abstract:

This study examines the evolving relationship between the philosophy of language and the shift from human to artificial intelligence. It discusses how human intelligence, shaped by culture and experience, enables deep linguistic understanding, while artificial intelligence approaches language through algorithms and data patterns. The research explores key differences in cognition, learning, and ethics between the two intelligences, highlighting areas such as knowledge representation and neural networks. It concludes by emphasizing the potential for integration between human and artificial capacities to enhance language understanding, while underscoring the need for ethical awareness in the application of AI in linguistic and philosophical contexts.

Keywords: Philosophy of Language, Human Intelligence, Artificial Intelligence, Linguistic Consciousness, Knowledge Representation.

كتاب وقائع برنامج المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03 /2025/06
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

فلسفة اللغة بين الذكاء البشري والذكاء الإصطناعي

نوزاد عبدالله محمدسعيد
وزارة التربية العراقية/ مديرية تربية نينوى
nawzadam2@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث العلاقة المتغيرة بين فلسفة اللغة والتحول من الذكاء البشري إلى الذكاء الاصطناعي. ويستعرض كيف يُمكّن الذكاء البشري، المتأثر بالثقافة والتجربة، من فهم لغوي عميق، في مقابل اعتماد الذكاء الاصطناعي على الخوارزميات ونماذج البيانات. كما يناقش الفروقات الجوهرية بين الذكاءين في مجالات الإدراك والتعلم والأخلاق، مع التركيز على موضوعات مثل تمثيل المعرفة والشبكات العصبية. ويخلص البحث إلى أهمية التكامل بين القدرات البشرية والاصطناعية لتعميق فهم اللغة، مع ضرورة الوعي بالأبعاد الأخلاقية والفلسفية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: فلسفة اللغة، الذكاء البشري، الذكاء الاصطناعي، الوعي اللغوي، التمثيل المعرفي.

مقدمة:

تعتبر اللغة من أهم الأدوات التي يستخدمها الإنسان للتواصل والتفاعل مع العالم من حوله، إذ تعد منذ القدم موضوعا مركزيا في الفلسفة التي تسعى إلى فهم طبيعة اللغة وكيفية استخدامها في التواصل والتفاعل بين البشر. مع تطور التكنولوجيا وظهور الذكاء الاصطناعي، أصبحت اللغة محط اهتمام جديد في مجال الفلسفة، حيث يتساءل الباحثون عن كيفية تأثير الذكاء الاصطناعي على اللغة وما هي التحديات والفرص التي قد تواجهها في المستقبل.

الذكاء البشري أساسي لفهم اللغة واستعمالها، فالإنسان يتمتع بالقدرة على فهم الكلمات والجمل والتعبير عن الأفكار والمشاعر من خلال اللغة، لكن اللغة ليست مجرد مجموعة من الكلمات والقواعد النحوية، بل

هي أيضًا تعبير عن الثقافة والتاريخ والهوية الشخصية. وهنا تبرز أهمية فلسفة اللغة في فهم هذه العلاقة المعقدة بين اللغة والثقافة والهوية.. في هذا البحث، سنحاول الكشف عن العلاقة بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي في سياق فلسفة اللغة.

اشكالية البحث:

تتمحور الاشكالية في هذا البحث حول تحول فلسفة اللغة من الذكاء البشري إلى الذكاء الاصطناعي، فمع تقدم التكنولوجيا وتطور الذكاء الاصطناعي، أصبح لدينا القدرة على تحليل اللغة وتوليدها بطرق أكثر دقة وفاعلية، وهذا يطرح سؤالاً جوهرياً حول تأثير الذكاء الاصطناعي على فهمنا للغة وفلسفتها. ويمكن صياغته بما يلي: كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل فلسفة اللغة من حيث الفهم والتوليد والوظائف الاجتماعية والثقافية، وما التحديات الأخلاقية والفكرية التي يثيرها هذا التحول؟

أولا: فلسفة اللغة

يمكنُ القول بأنّ مفهوم فلسفة اللغة ما زال غامضاً وغير متّفقاً عليه، وهذا لا يعني إنكار عنايتها بدراسةِ الظاهرة اللغوية، إلا أنّ حدود هذه الدراسة ما تزالُ موضع خلاف بين الفلاسفة والمفكرين اللغويين، وعدم وجود مفهوم متّفق عليه بين فلاسفة اللغة لمجالِ بحثهم، فهو يختلفُ من فيلسوفٍ إلى آخر بحسبِ المرجعية التي يصدرُ عنها كلٌ منهم، حال دون ثبات حدود مجال فلسفة اللغة. وهذا يعني أنّ "حقلُ فلسفة اللغة ليس محدّداً تحديداً دقيقاً (فحدوده) تتغيرُ من مؤلفٍ إلى آخر شديد التغيير". (روبير مارتان، 2007م، ص113). وتفتقر فلسفة اللغة إلى مفهوم واضح بشكل جيد، على الرغم من أنّ هذا المصطلح يمكنُ أن يكونَ عنواناً لبعضِ المؤلفات، ومن الممكنِ الاستدلال به على الأفكارِ التي تدورُ حول طبيعة اللغة عند الفلاسفة في مرحلةِ ما قبل سقراط مثلاً، وعند أفلاطون وأرسطو والرواقيين، إذْ ترجعُ أصول التقليد اللغوي الغربي إلى الفلاسفةِ الذين بدأوا التمييز بين فئاتِ الكلمات، أو الاستدلال بها على الأفكارِ المتعلّقة باللغةِ والتي توصفُ ببعضِ الملاحظات المتفرقة؛ لأنّها موجودة في أعمال المؤلفين المعروفين بأنّهم من الفلاسفة، كفلسفةِ اللغة عند أفلاطون (427 ـ 347) ق.م، وفريدريك هيغل (1770 ـ 1831)م، ومارتن هايدغر (1889 ـ 1976)م...إلخ. أو ندلُ بها على الأفكارِ التي تسعى إلى فهم طبيعة اللغة ووظيفتها في التجربةِ البشرية، وذلك في سياق رؤيةٍ تأسيسية، كفلسفةِ الظواهر التي نادى بها إدموند هوسرل (1859 ـ

1938)م، أو ندلُ بها على المناقشاتِ التقنية التي أدّتْ إليها التطورات في بعضِ الأنظمة المنطقية، كالتي ظهرتْ عند جوتلوب فريجه (1848 ـ 1925)م انطلاقاً من نهايةِ القرن التاسع عشر، وعند برتراند رسل (1872 ـ 1970)م في بدايةِ القرن العشرين، والتي تمحورتْ حول دلالة الأسم في معناه الحقيقي والذي يدلُ على فردٍ ما، وهذه الأنظمة المنطقية هي أنظمة لغوية اصطناعية ومجرّدة، كما يمكنُ وصف الاتجاه القائل بأنّ اللسانيات العامة (التي ولدتْ بعد منتصف القرن التاسع) هي جوهر ما يوجدُ في فلسفةِ اللغة، فضلاً عن وجودِ مقاربة تفكيرية لعددٍ من المسائلِ التي ظهرتْ في علومِ اللغة إذْ كانتْ أجوبتها غير موحّدة، وهو ما يعرفُ بفلسفةِ اللسانيات.(سليفان أورو، 2012م، ص41)

وهناك مفهومينِ لفلسفةِ اللغة:

1. المفهوم الواسع، وهو الأكثرُ استعمالاً، إذْ يشير إلى كلّ الفلسفات التي تناولت موضوعِ اللغة وتطورها بشكل مفصّل، وهنا مسألةِ اللغة هو الموضوعُ المفضل للبحث، بمعنى أن المفاهيم الخاصة باللغةِ والتي تمثّلُ ما هو أساسي في محاورةِ (كراتيليوس) مثلاً، تحدّدُ وتمثّلُ فلسفة اللغة عند أفلاطون. (أريك غريلو، 2012م، ص9)

وتاريخُ الفكر الفلسفي من أفلاطون إلى نهايةِ القرن العشرين مليءٌ بأمثلةٍ مشابهة؛ لكنّ التطرّق لمسألةِ اللغة تتمُّ بطريقةٍ جانبية، أي أنّه لا تعده الموضوع الأساسي مقارنةً بالموضوعاتِ الأخرى، ولا تكونُ اللغة موضوعاً رئيسياً للتساؤلاتِ الفلسفية.

2. المفهوم الضيق، ويشيرُ هذا المفهوم إلى اتجاه أساسي مهيّمن في الفلسفةِ المعاصرة، وهو اتجاه فلسفة التحليل اللغوي، خاصةً في العالمِ الأنكلوساكسوني، إذْ برزَ في مطلعِ القرن العشرين من خلالِ ثورةٍ فلسفية أطلق عليه (المنعطف اللغوي)، إذْ يسهم هذا الاتجاه في تجديدِ المفاهيم الفلسفية من جهة، وفي ممارستِها من جهةٍ أخرى. (أريك غريلو، 2012م، ص9)

أما مفهوم فلسفة اللغة في دليل أكسفورد الفلسفي "تُعنى بالعلاقةِ بين أنفسنا ولغتنا، وبين لغتنا والعالم. في الحالةِ الأولى تسألُ عن فحوى قيامنا بشحنِ الألفاظ والجمل بدلالةٍ بعينها، في حينِ أنّها تتقصّى في الحالةِ الثانية عن علاقاتِ الألفاظ بالأشياءِ التي تشيرُ إليها، أو بالحقائقِ التي تصفها. أحياناً يُسمى الموضوع الأول

بعلمِ استعمال اللغة "البراغماتكس"، والثاني بـ "السيمانتكس" (علم الدلالة)، على الرغم أنّ التخوم الفاصلة بينهما قدْ تكونُ غامضة بعض الشيء". (تد هوندرتش، ج2، د. ت، ص823)

أما محمود فهمي زيدان فقد حاول أن يحدّدَ مفهومُ فلسفة اللغة بقولِه: "يمكنُ القول إنّ فلسفة اللغة، هي مجموعةٌ مترابطة من الدراساتِ يعكفُ عليها المناطقة والفلاسفة، تنشأُ عمّا يقلقُّهم من أسئلةٍ، ومشكلاتٍ تتعلّقُ باللغة، كما أنّ علماء اللغويات حين تطورتْ علومهم ذهبوا إلى الخوضِ فيها، وبحث مسائل منطقية، أو فلسفية تنشأُ عن أبحاثِهم اللغوية". (محمود فهمي زيدان، 1985م، ص5)

ثانيا: الذكاء البشري وفلسفة اللغة

1ـ مفهوم الذكاء البشري

يمكن تعريف الذكاء وتحديد ما نعنيه بالذكاء الانساني (البشري)، ووفقاً لتعريف المعجم الفلسفي فأن الذكاء هو "قدرة على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار، وعلى التكيف إزاء المواقف المختلفة، ويقابل الوجدان والإرادة في التقسيم الثلاثي للظواهر النفسية". (ابراهيم مدكور، 1983م، ص88)

والذكاء البشري هو "القدرة على التفكير والتعلم وفهم العالم من حولنا، يتضمن القدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات العقلانية والتفكير الإبداعي والتعلم من الخبرات، وهو يعتمد على النمط العام للتفكير والتعلم والتفاعل مع البيئة". (محمد عقوني، 2023م، ص2)

وهناك أنواع مختلفة من الذكاء البشري، مثل "الذكاء النظري والذكاء العملي، فالذكاء النظري هو المهارة في استخراج المعاني والقوانين العامة من التجارب الجزئية، ثم الاستناد إلى هذه القوانين لاستخراج الحلول الموافقة لها، أما الذكاء العملي هو القدرة عللى استنباط هذه الحلول مباشرة من التجارب الجزئية نفسها". (جميل صليبا، 1982م، ج1، ص590)

كما يعد تنمية الذكاء البشري وتطويره من أبرز الأهداف التي تسعى إليها النظم التربوية في مختلف المجتمعات. فالذكاء البشري يمثل محوراً لعدد من الدراسات متعددة التخصصات، تشمل مجالات كعلم النفس وعلوم الأعصاب والذكاء الاصطناعي. (كارل ساجان، 2005م، ص20)

2. دور فلسفة اللغة في تفكير الإنسان.

فلسفة اللغة تلعب دورًا محوريًا في تشكيل تفكير الإنسان وإدراكه للعالم، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل فقط، بل هي أداة لترتيب الأفكار وتمثيل المعرفة، والفلاسفة كأفلاطون وأرسطو ناقشوا كيف تؤثر بنية اللغة على المنطق والأخلاق والسياسة، كما درس فلاسفة آخرون مثل ديكارت وروسو ولوك علاقة اللغة بالفكر والمعرفة والمجتمع. (الزواوي بغوره، 2005م، ص7)

وفي الفلسفة المعاصرة، ركّز بعض الفلاسفة على سُلطة اللغة وقدرتها على تشكيلِ الخطاب والواقع الاجتماعي، كما ناقشَ آخرون كيف تؤثر اللغة على إدراكِ الإنسان للحقيقة والواقع. (محمد سبيلاوعبدالسلام بنعبد العالي، 2010م، ص6)

3. تأثير الثقافة على اللغة.

هناك علاقة وثيقة بين الثقافة واللغة، حيث تؤثر الثقافة على اللغة وتتأثر بها في الوقت نفسه. فاللغة هي وسيلة التواصل والتعبير عن الثقافة، وتعكس قيمها ومعتقداتها وتقاليدها. في المقابل، تشكل اللغة جزءًا لا يتجزأ من الثقافة وتساهم في تشكيلها وتطويرها. (نورمان فيركلف، 2016م، ص263)

تؤثر الثقافة على اللغة من خلال:

أ. المفردات والمصطلحات: تحتوي اللغة على مفردات وتعبيرات خاصة بالثقافة التي تنتمي إليها، مثل الأطعمة والملابس والعادات والتقاليد.

ب ـ القواعد والنحو: تختلف قواعد اللغة وبنيتها النحوية من ثقافة إلى أخرى، وتعكس طريقة تفكير وتنظيم الأفكار في تلك الثقافة.

ج ـ الأساليب البلاغية والأدبية: تتأثر الأساليب البلاغية والأدبية في اللغة بالثقافة، مثل استخدام الاستعارات والرموز والأمثال والحكم.

في المقابل، تؤثر اللغة على الثقافة من خلال:

أ. نقل المعرفة والثقافة: تساعد اللغة في نقل المعرفة والثقافة من جيل إلى آخر، وتحافظ على استمرارية الثقافة.

ب ـ التعبير عن الهوية الثقافية: تعكس اللغة هوية الثقافة وتميزها عن غيرها، وتساعد في الحفاظ على التراث الثقافي.

ج ـ التأثير على طريقة التفكير: تؤثر اللغة على طريقة تفكير الأفراد وإدراكهم للعالم من حولهم، وتشكل رؤيتهم للواقع. (عبدالقادر طالب، 2021م، ص20)

وعليه، تشكل العلاقة بين الثقافة واللغة علاقة تبادلية وتكاملية، حيث تؤثر كل منهما على الأخرى وتتأثر بها. وهذه العلاقة تعكس أهمية اللغة في الحفاظ على الثقافة وتطويرها، وأهمية الثقافة في تشكيل اللغة وتوجيهها.

ثالثاً: الذكاء الإصطناعي وفلسفة اللغة

1. مفهوم الذكاء الاصطناعي وأهدافه

يعرف الذكاء الاصطناعي "توجيه الآلة لمحاكاة عمل الدماغ لدى الإنسان، سواء بمحاكاة القدرات الذهنية أم مهارات التفكير، ويعنى ببناء أنظمة قادرة على إنجاز المهام التي تستدعي وجود الذكاء البشري". (محمود محمد قدوم، 2024م، ص10) إذا أردنا أن نفهم كيف يؤدي البشر سلوكًا ذكيًا، فيجب علينا أولاً أن نفهم الأنشطة التي تعتبر ذكية بالمعنى الفكري والعلمي والنفسي والتقني. على سبيل المثال، إذا أردنا بناء روبوت قادر على المشي مثل الإنسان، فيجب علينا أولاً أن نفهم عملية المشي من كل وجهة نظر. ومع ذلك، إذا فهمنا عملية المشي، فإن الأشخاص لا ينجزون الحركة من خلال إعلان مجموعة من القواعد الرسمية التي تشرح كيفية اتخاذ الخطوات. كما أنه عندما يُطلب من عدد من الخبراء البشريين شرح كيفية تحقيقهم لمستوى أدائهم في أي مجال أو مسعى، فمثلاً عندما يُطلب من بعض الطيارين شرح براعتهم في الطيران، فإن أداءهم يتراجع فعلياً، لأن أداء الخبراء لا يتراجع، تنبع من التحليل المستمر والوعي ولكن من مستويات اللاوعي. (عبدالله موسى، واحمد حبيب بلال، 2019م، ص16)

فالمهارات والخبرات البشرية في العديد من التخصصات تبدو وكأنها تتطور وتخزن في العقل الباطن، بدلاً من أن تكون متاحة بناءً على طلب صريح من الذاكرة أو المبادئ الأولى. في اللغة اليومية، مصطلح اصطناعي يعني من صنع الإنسان وهو بشكل عام مصطلح له دلالة سلبية كشكل أقل من الشيء الحقيقي، ولكن

الأشياء الاصطناعية غالبًا ما تتفوق على الأشياء الحقيقية أو الطبيعية، فمثلاً زهرة صناعية أو جسماً مصنوعاً من الحرير والأسلاك قمنا بترتيبه ليشبه برعمًا أو براعم، تتمتع هذه الأداة بعدة مزايا منها: لا تحتاج إلى ضوء الشمس أو الماء لقوتها، فهي توفر تأثيرًا زخرفيًا للمنزل أو العمل، يمكن القول أن ملمسها ورائحتها أقل شأناً من تلك الموجودة في الزهرة الطبيعية فضلاً عن أنها يمكن أن تبدو وتشعر بنفس الشكل والملمس إلى حد كبير مثل الزهرة الحقيقية. (محمد لحلح، 2020م، ص69)

مثال آخر على ذلك، الضوء الاصطناعي الذي تنتجه المصابيح الكهربائية أو الشموع أو فوانيس الكيروسين، إنه يتفوق على الضوء الطبيعي لأنه يمكن الوصول إليه دائماً؛ لأنه من الواضح أن ضوء الشمس متاح فقط عندما تظهر الشمس في السماء. (عبدالله موسى، واحمد حبيب بلال، 2019م، ص17)

ويعنى الذكاء الاصطناعي بدراسة الذكاء البشري وفهمه من خلال إنشاء برمجيات قادرة على محاكاة السلوك الذكي للإنسان، إن قدرة برنامج الكمبيوتر على حل مشكلة ما، أو اتخاذ قرار في موقف ما بناءً على وصف لهذا الموقف، تعني أن البرنامج نفسه يجد الأسلوب الذي يجب اتباعه لحل المشكلة، أو الوصول إلى القرار بالرجوع إلى إلى العديد من العمليات الاستدلالية المختلفة التي تم إدخالها في البرنامج. ويعتبر ذلك نقطة تحول مهمة تتجاوز ما يعرف بـ"تكنولوجيا المعلومات، حيث تتم العملية الاستدلالية من قبل الإنسان، وتقتصر أهم أسباب استخدام الكمبيوتر على سرعته العالية". على الرغم من تعذر الإحاطة الكاملة بطبيعة الذكاء البشري بصورة شاملة، إلا أن هناك مجموعة من المعايير التي تتيحُ فهماً أولياً له، ويمكن من خلالها إصدار أحكام حوله، من أبرز هذه المعايير: القدرة على التعميم وتحسين الأداء، والتمييز بين أوجه التشابه في المواقف المختلفة، والمرونة في التكيف مع المستجدات، فضلاً عن القدرة على اكتشاف الأخطاء وتصحيحها. (آلان بونييه، 1993م، ص11)

2. تاريخ الذكاء الاصطناعي ومجالاته

تعد فكرة الذكاء الاصطناعي من المفاهيم الضاربة في عمق التاريخ، إذ تعود بداياتها إلى العصور القديمة، حيث أولى الفلاسفة اهتمامًا بالغًا بمفهوم الذكاء منذ أكثر من قرنين، وقد تناولت كتاباتهم قضايا معرفية جوهرية مثل الإدراك، والتعلم، والذاكرة، والعقلانية، وتساءل بعضهم عن إمكانية "خلق" قدرات ذهنية

شبيهة بتلك التي يمتلكها الإنسان. ومنذ تلك الحقبة، انشغل العقل البشري بفكرة تصميم آلات ذكية قادرة على محاكاة السلوك الإنساني، وتدل النصوص التاريخية والأساطير التي خلفها الإغريق والمصريون القدماء على وجود أفكار أولية لهذا التصور، وهو ما يعكس شغف الإنسان القديم بفهم طبيعة الذكاء والسعي نحو إعادة إنتاجه، ومع تطور المعرفة العلمية، أخذت هذه الأفكر منحى أكثر نضجًا، ففي القرن السادس عشر، شكّل اختراع آلة الساعة نقطة انطلاق مهمة، إذ تمكن بعض المخترعين من إنتاج أول نموذج لحيوان ميكانيكي متحرك، ما فتح الباب أمام تصنيع عدد كبير من الآلات ذات الحركة الذاتية، وقد أثار هذا التقدّم موجة من الرفض، لا سيما في بريطانيا، حيث قاد بعض الرافضين للتكنولوجيا ما عُرف بحركة تحطيم الآلات بين عامي 1811م و1816م. وفي أعقاب هذه الأحداث، بدأ العلماء يوجّهون اهتمامهم نحو البناء النظري. ففي عام 1854م، وضع العالم (جورج بول) الأسس الأولى لنظرية منطقية موحدة، وثّقها في مؤلفه "قوانين التفكير"، وهي النظرية التي أصبحت تُعرف لاحقًا بـ"الجبر البولاني"، والتي شكّلت لاحقًا البنية الأساسية للمنطق الثنائي المعتمد في علوم الحاسوب المعاصرة. كما أصدر العالم البريطاني (ألكسندر باين) كتابه "العقل والجسم: نظريات الترابط بينها" عام 1873م، الذي عرض فيه أبرز النظريات التي تناولت العلاقة بين العمليات العقلية والجسدية، في إطار المساعي المستمرة لفهم الذكاء البشري وإمكانية محاكاته صناعيًا. (دانيال أندلر، 2024م، ص34)

وفي عام 1934م، تم تقديم تفسير لآلية الذكاء، حيث طُرحت فرضية تفيد بأن السلوك الذكي ينتج عن حلقة معلوماتية يعمل فيها الدماغ على جمع المعلومات ومعالجتها ثم الاستجابة لها. هذا التفسير ألهم الباحثين لمحاكاة طريقة التفكير البشري باستخدام الحاسوب. وفي عام 2006م، قدّم أحد الباحثين تصورًا لنظام برمجي آلي، مؤكداً أن أهمية بحثه تكمن في تعزيز الفهم الموسّع والمتنوع لطبيعة البرمجيات. وقد أسهمت هذه الفكرة في دفع عجلة تطوير الحواسيب الرقمية نحو مستويات متقدمة، مما جعل تحويل الذكاء الاصطناعي إلى واقع ملموس أمراً ممكناً.

وفي خمسينيات القرن الماضي، طوّر (آلان تورينج) آلة حاسبة ونموذجًا للذكاء الاصطناعي بهدف الإجابة عن السؤال الشهير: هل يمكن للآلة أن تفكر؟، وقد شكلت تجربته هذه حجر الأساس في بناء مفهوم الآلة الذكية. وفي صيف عام 1956م، عُقد مؤتمر (دارتموث) في الولايات المتحدة، ويُعد هذا المؤتمر بمثابة الانطلاقة الحقيقية لعصر الذكاء الاصطناعي، حيث تم خلاله التأكيد على أن كل جانب من جوانب التعلم

أو أي خاصية من خصائص الذكاء يمكن، من حيث المبدأ، وصفها بدقة لدرجة أنه بالإمكان صناعة آلة تحاكي ذلك الذكاء. (محمد لحلح، 2020م، ص48)

أما مجالات الذكاء الاصطناعي فتتمثل في:

1-تمثيل المعرفة. 2- الشبكات العصبية. 3- الأنظمة الخبيرة. 4- معالجة اللغات الطبيعية. 5- النظر. 6- الرجل الآلي. 7- التعلم

يُعد تمثيل المعرفة من أبرز مكونات الذكاء، إذ يُمكّن الإنسان من فهم العمليات العقلية المرتبطة بالمعرفة بشكل منطقي وفعّال، مما يُسهم في اتخاذ قرارات سليمة واختيار الحلول المثلى. كما أن قدرة الإنسان على التدخل لإيجاد حلول جديدة تعتمد بدرجة كبيرة على مدى المعرفة المتاحة ضمن مجال معين يرتبط بالمشكلة محل البحث. ويُشير بارك مان إلى أن هذه الظاهرة الذكية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة المعرفة والسلوك، إذ إننا غالبًا ما نتخذ قراراتنا استنادًا إلى معرفتنا بالعالم المحيط بنا. ومن ثم، فإن بنية الأنظمة الذكية تتشكل وتتحدد على أساس المعرفة التي تُزود بها. (آلان بونييه، 1993م، ص17)

تعتمد معظم أنظمة الذكاء الاصطناعي على عنصرين أساسيين:

1. قاعدة بيانات معرفية. 2. آلية للتدخل واتخاذ القرار بناءً على المعرفة.

في الواقع، يمتلك البشر رصيداً معرفياً هائلاً يتصل بالحقائق المتعلقة بالعالم المحيط، ويستند التفاعل الفردي في معالجة المشكلات إلى هذا المخزون المعرفي وإلى الخبرات السابقة ضمن المجال المعني. ومن هذا المنطلق، فإن تصميم كيانات ذكية قادرة على أداء مهام تماثل القدرات الذهنية البشرية يتطلب توافر قاعدة معرفية متينة، تُخزن عادةً في هيئة رموز داخل أنظمة التفكير الآلي، ويتمثل التحدي الجوهري الذي يواجه الباحثين في الذكاء الاصطناعي في تطوير أساليب فعّالة لتمثيل المعرفة وتطبيقها ضمن نظام قادر على التفكير المنهجي لحل المشكلات، ويُشير الباحثون إلى أن جوهر تمثيل المعرفة يكمن في تحديد الخصائص الأساسية للمشكلة وإتاحتها أمام المعالج الآلي، الذي بدوره يستخدمها لصياغة حلول مناسبة. (ستيوارت راسل، 2019م، ص147)

إن تزويد الآلة بالمعرفة يتطلب تطوير آليات لترميز الحقائق، والمفاهيم، والنظريات، وطرائق التحليل، بما يتيح استخلاص النتائج وتحديد الإجراءات ورصد العلاقات بين الأشياء، وذلك من خلال محاكاة البُنى التي تتجسد فيها المعرفة داخل العقل البشري. ويمكن تعريف تمثيل المعرفة، كما ورد في بعض الأدبيات، بأنه مجموعة من الإجراءات التطبيقية التي تُعنى بوصف فئة محددة من الكيانات. ويتمحور تمثيل المعرفة والتعقل حول الوسيلة التي تتيح توظيف المعرفة داخل نظام برمجي معين. وبحسب رأي عدد من الباحثين، فإن تمثيل المعرفة (KR) هو دراسة الكيفية التي يمكن من خلالها تنظيم المعرفة في صورة تجعل الحاسوب قادرًا على التعامل معها وإجراء عمليات تفكير بناءً عليها، وخلال العقدين الأخيرين، انصب اهتمام الباحثين على البحث عن أنجع الأدوات لتمثيل المعرفة، حيث اتسمت كل طريقة بخصائص معينة تستجيب لمتطلبات ترميز الحقائق المطروحة، مع تنوع الأساليب والتقنيات المستخدمة بحسب نوع المعرفة وطبيعتها. (عبدالله موسى، واحمد حبيب بلال، 2019م، ص34) وكان لا بد أن تتسم أي خطة معرفية ناجحة حسب المعطيات بسمتين أساسيتين: أولاً، أن تكون المعطيات قابلة للبرمجة باستخدام لغة الحاسوب، بحيث يمكن تخزينها في الذاكرة الرقمية. وثانياً، أن تُصمم بطريقة تسمح باستخدام المعلومات والحقائق المضمنة ضمنها في سياق المعالجة العقلية للبيانات وتحليلها. فكلما كان تمثيل المعرفة أكثر كفاءة وتنظيماً، زادت قدرة النظام الذكي على الفهم والتعامل مع هذه المعرفة. ويُعد تمثيل المعرفة أحد الركائز الأساسية في الذكاء الاصطناعي، إذ تتنوع أنماطه لتشمل الأطر، والقواعد، ومنطق الرتبة الأولى، فضلاً عن الأبعاد والدلالات المتصلة بالأشياء. ومن الجدير بالذكر أن هناك نوعاً من المعرفة اليومية تُعد بالغة الأهمية في هذا السياق، فهي تُكتسب بشكل تلقائي خلال الحياة اليومية للفرد، دون حاجة إلى عمليات تفكير معقدة، وتُصنّف ضمن المعارف العامة المرتبطة بالعالم المحيط، مثل إدراك الوقت وبعض الخصائص الفيزيائية للبيئة. (آلان بونييه، 1993م، ص23)

تمنحنا هذه المعرفة القدرة على التفكير في العالم الطبيعي من حولنا، كما تتيح للآلة آلية لفهم البيئة المحيطة بطريقة تحاكي الإدراك البشري، ومن خلال هذا التمثيل، يمكن للآلة أن تتعلم وتستجيب بفعالية، وتكمن الأهمية المنطقية لهذا النوع من التمثيل المعرفي في تمكين الأنظمة الذكية من التصرف بفعالية، عبر استغلال الفرص المتاحة وتجنّب المخاطر المحتملة، ومن ثم، فإن على الكائن الذكي ـ سواء أكان بشرياً أم آلياً ـ أن يكون قادراً على استيعاب سلوك الأشياء والتفاعلات ضمن العالم الواقعي، ويُعد تزويد الحاسوب بالمعرفة العامة خطوة بالغة الأثر، غير أن دمج مجمل المعارف الإنسانية المتعلقة بالعالم الطبيعي في نظم الحوسبة

يُمثل تحدياً كبيراً نظراً لتعقيد هذا النوع من المعرفة وتشعبه، لأن المعرفة الإنسانية آخذة في الازدياد وتتغير يومياً وهي ليست مستقرة، إنها تتغير وفقاً للاختراعات الجديدة كما أن الناس يكتسبون معارف جديدة من مجالات شتى في الحياة وبما أنه العاملين على تطوير الذكاء الاصطناعي يريدون أن يرمزوا كافة مناحي المعارف الإنسانية المتعلقة بالعالم الطبيعي من حولنا إذا فإنهم بحاجة إلى قاعدة عريضة من المعرفة وقاعدة متطورة ومستحدثة من المعارف أيضاً، لذلك فإن هناك حاجة إلى ذاكرة كبيرة تحتوى كل هذه المعارف كما أن هناك حاجة إلى سرعة في معالجتها لاستخلاص نتائج فعالة يمكن الاعتماد عليها. على أية حال هناك حاجة لتجاهل بعضاً من تعقيدات هذا العالم الطبيعي. (ستيوارت راسل، 2019م، ص153)

الشبكات العصبية: في الوقت الراهن، تبرز عدة عوامل تدعو إلى التفاؤل بشأن إمكانات تطوير واستخدام الشبكات العصبية الاصطناعية (ANN) في بناء أنظمة ذكية، وتتنوع التعريفات المتعلقة بهذه الشبكات، إلا أنها تشترك جميعاً في جوهرها، والمتمثل في محاكاة البنية والوظيفة الأساسية للجهاز العصبي البشري. ومن المنظور العلمي، تُعد الشبكات العصبية الاصطناعية محاولة لنمذجة الشبكات العصبية البيولوجية، بحيث تتمكن من معالجة المعلومات والبيانات بكفاءة تقارب في أدائها ما يقوم به الجهاز العصبي لدى الإنسان. (عبدالله موسى، واحمد حبيب بلال، 2019م، ص41)

تُعد الخلية العصبية (العصبون) الوحدة الأساسية للضبط والتحكم البيولوجي، إذ تتكون من عدد كبير من الخلايا العصبية المترابطة، وتتمثل داخل كل خلية جميع أوجه النشاط العصبي، وأن شبكات الخلايا العصبية تمثل نظامًا لمعالجة البيانات، نظراً لأن بنيتها التركيبية تُحاكي الشبكات العصبية الطبيعية في الكائنات الحية، وتتميز الشبكات العصبية الاصطناعية (ANN) كذلك بكونها تتألف من مجموعة من وحدات المعالجة، تُعرف اصطلاحاً بـ "الخلايا العصبية"، وهي مصممة لأداء وظائف مشابهة لتلك التي تقوم بها نظيراتها البيولوجية. (محمد لحلح، 2020م، ص72)

انصبّ اهتمام العلماء على دراسة البنية البيولوجية لشبكة الخلايا العصبية، والتي يمكن توصيفها بوصفها نظاماً لتفعيل مجموعة من الخلايا العصبية، بحيث تكون قادرة على استقبال المعلومات إمّا بشكل مباشر أو من خلال خلايا عصبية أخرى، وذلك في صورة قيم عددية تُدمج وتُجمّع ضمن مستوى يحتوي على قدر من التحيّز، ويؤدي هذا إلى تنفيذ تحويل رياضي بسيط يُنتج قيمة نهائية ذات دلالة محددة، وتُعد

القدرة على التعلم من أبرز السمات التي تميز الشبكات العصبية الاصطناعية (ANN)، وهي خاصية بالغة الأهمية للباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي، وقد لاحظ مجموعة من الباحثين أن هذه الشبكات تمتلك القدرة على تسجيل وتخزين واسترجاع الإشارات والمعلومات المختلفة، كما تُحاكي في أدائها بعض وظائف الذاكرة البشرية وأنماط الإدراك. إضافة إلى ذلك، فإن الشبكات العصبية قابلة للتدريب، إذ يمكن تكرار تدريبها على نفس مجموعة البيانات حتى تتعلم النمط المستهدف بدقة. وعليه، يمكن النظر إلى الشبكات العصبية الاصطناعية بوصفها المكوّن الصلب الذي يُحاكي البنية الوظيفية لدماغ الإنسان. (ستيوارت راسل، 2019م، ص121)

الأنظمة الخبيرة: تعد هذه البرامج أنظمة حاسوبية صُمّمت لمحاكاة أداء الخبير البشري ضمن نطاق معرفي محدد، وذلك من خلال جمع وتوظيف المعلومات والخبرات المتخصصة المستمدّة من خبير واحد أو عدة خبراء في هذا المجال، من مميزات هذه النظم (هنري بروك، 2018م، ص26):

1. تمتاز بسهولة الاستخدام، سواء من قبل المستخدمين العاديين أو المطورين المتخصصين.

2. تُظهر فعالية واضحة في التطبيقات العملية ضمن نطاق استخدامها.

3. تمتلك القدرة على التعلم من الخبراء، سواء من خلال التفاعل المباشر أو من خلال مصادر غير مباشرة.

4. قادرة على نقل المعرفة إلى غير المتخصصين، مما يعزز من فهمهم للمجال.

5. تتمتع بإمكانية تفسير الحلول التي تتوصل إليها، مع توضيح منهجي لآلية الوصول إلى تلك الحلول.

6. تستجيب بمرونة لمجموعة واسعة من الأسئلة، بدءًا من البسيطة وصولاً إلى الأسئلة المعقدة، ضمن حدود المجال التطبيقي.

7. تُعد أداة فعّالة لتوفير مستوى عالٍ من الخبرة، لا سيما في الحالات التي يتعذّر فيها الوصول إلى خبير بشري.

8. تسهم في تعزيز أداء المتخصصين الذين يمتلكون خبرة محدودة، من خلال دعمهم معرفيًا وتقديم نماذج حل متقدمة.

3. دور الفلسفة في تطوير الذكاء الاصطناعي

إن العلاقة بين الفلسفة والذكاء الاصطناعي قديمة قدم الفكر الفلسفي نفسه، قد يبدو للوهلة الأولى أن الأمر مجرد هراء، ولكن التأمّل الدقيق في فلسفة أفلاطون وسقراط وأرسطو وكانط وغيرهم ومحاولتهم إيجاد مقولات ثابتة يقوم عليها التفكير الإنساني، ما قدمه هوسرل في كتابه (أبحاث منطقية) الجزء الأول، خاصة في حديثه عن أصناف النحو الصوري، إذ ربط بين أصناف النحو التي ستصبح قيما بعد متغير رمزي (بما يمثل المتغير الرمزي كجزء من أساس قاعدة المعرفة) التي ترتبط بها قواعد ثانية، أنها تشبه المقولات الكانطية وتتميز بالمرونة، كما يذكر هوسرل، مما جعله يمنحها مقولات شكلية تسبقها، "فإذا انطلقنا من نظرية الوجود الصورية (والقصد دائمًا من حيث هو نظرية الوجود الصورية للمنطق الخالص بشموله الأوسع من الرياضيات الكلية) فإنها ستكون كما نعلم علماً استمهائياً للموضوعات عامةً. والموضوع في معناه هو كل الأشياء وكل شيء". (إدموند هوسرل، 2011م، ص47)

ولعل مهام المنطق الخالص بما في ذلك عناصر إنشاء الفئات الدلالية البحتة والفئات التوزيعية البحتة وتعقيداتها القانونية أولا، والقوانين والنظريات المنشأة في تلك الفئات ونظرية الأشكال الممكنة أو تعليم التنوع المحض، لها هذه الأهمية.

دور الفكر الفلسفي في البرمجة الذكية:

فالعلاقة بين الفلسفة والذكاء الاصطناعي علاقة وثيقة، مسألة الإلزام ونظرية المعرفة وفلسفة العقل.. هي أسئلة طرحها الإنسان في بداية تفكيره الفلسفي، وعندما وجد إجابات لها وحقق ما يمكنه تحقيقه، بدأ بالبحث عن تطبيقها عند مستوى الروبوتات بدءاً من الآلات البسيطة مثل آلة جوفنز المنطقية التي شكلت البداية من مجموعة المفاتيح والسلاسل إلى آلة آلان تورينج وفكه للشفرة اللغوية خلال الحرب العالمية الثانية... وهكذا للتطور الذي وصلنا إليه. وقد تم وضع المتغير اللغوي كرمز أو متغير، تقع تحته مجموعة من المتغيرات الرمزية التي تنتهي بالرمز الذري. بمعنى "إن الذكاء الاصطناعي في حاجة للعديد من الأفكار والتي مازالت تدرس اليوم بواسطة الفلاسفة فقط". (هيثم السيد، 2014م، ص261)

رابعا: فلسفة اللغة من الذكاء البشري إلى الذكاء الإصطناعي

في عالم اللغة، أثار التقاطع بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي جدلاً فلسفياً يثير أسئلة مثيرة للاهتمام حول طبيعة التواصل والفهم والمعنى، لطالما اعتبرت القدرة على فهم اللغة والتعبير عنها سمة مميزة للإدراك البشري، ومع ذلك، فإن التطورات الأخيرة في الذكاء الاصطناعي قد تحدت هذه الحكمة التقليدية، ودفعت حدود ما يمكن أن تحققه الآلات من حيث الكفاءة اللغوية.

يمتلك الذكاء البشري، الذي تشكله العوامل التطورية والثقافية، قدرة رائعة على اللغة، فهو لا يشمل المعاني الحرفية للكلمات فحسب، بل يشمل أيضًا الفروق الدقيقة السياقية والعاطفية التي تثري التواصل. ينخرط البشر بسهولة في الاستعارات والسخرية وغيرها من الأدوات اللغوية التي تضيف عمقاً وتعقيداً إلى تعبيراتهم. ينشأ عمق الفهم هذا من التفاعل بين اللغة والإدراك والطبيعة المتعددة الأوجه للتجربة الإنسانية. (خديجة الدمرداش، 2023م، ص98)

ومن ناحية أخرى، يتعامل الذكاء الاصطناعي مع اللغة من خلال الخوارزميات والنماذج الإحصائية، تتيح تقنيات التعلم الآلي لأجهزة الكمبيوتر معالجة كميات هائلة من البيانات النصية، والتعرف على الأنماط، وتوليد استجابات متماسكة، قطعت خوارزميات معالجة اللغة الطبيعية خطوات مثيرة للإعجاب في السنوات الأخيرة، مما سمح للآلات بأداء مهام مثل تحليل المشاعر، وترجمة اللغة، وحتى إجراء محادثات ذات معنى. (زهور حمر العين، ج1، 2020م، ص253)

ومع ذلك، هناك فرق أساسي بين التقليد والفهم الحقيقي، قد تحاكي الآلات اللغة البشرية، لكن العمليات الأساسية تختلف بشكل كبير، وفي حين تعتمد الآلات على الارتباطات الإحصائية والتعرف على الأنماط، فإن العقول البشرية تعتمد على نسيج غني من المعرفة، والتجارب الشخصية، والسياق الثقافي لفك المعنى. (جون هيل، 2017م، ص150)

فضلاً عن ذلك، تحل اللغة مشكلة الغموض المتأصلة من خلال المعرفة والسياق المشتركين، يتضمن التواصل البشري فهمًا متبادلاً للاتفاقيات الاجتماعية والمعاني الضمنية والاتفاقات غير المعلنة، وبينما يتنقل البشر بسهولة في هذا الغموض، فإن الآلات تقتصر على الارتباطات والأنماط الواضحة المشفرة في برمجتها، يصبح هذا التناقض واضحًا بشكل خاص في مهام مثل الفهم الفكاهي، حيث غالبًا ما تخطئ الآلات في تحقيق الهدف أو تلجأ إلى استجابات نمطية. (إدوارد جوناثان لو، 2020م، ص215)

بناءً على ما تقدم تكشف فلسفة اللغة عن الصفات المميزة للذكاء البشري والسعي المستمر لاستنساخها في الذكاء الاصطناعي، على الرغم من أن الآلات قطعت خطوات كبيرة في فهم اللغة وتوليدها، إلا أنها لا تزال قاصرة عن القدرات الفطرية للإدراك البشري، اللغة ليست مجرد عملية ميكانيكية لاتباع القواعد؛ إنها رقصة معقدة بين العقول، ومزج العاطفة، والسياق الاجتماعي، والمعرفة المشتركة، بينما نبحر عبر الحدود الآخذة في التوسع للذكاء الاصطناعي وتحسين محركات البحث، يجب علينا أن نحتضن قوة الذكاء البشري لإنشاء محتوى هادف وجذاب وجدير بالتصنيف. (عبدالله موسى، واحمد حبيب بلال، 2019م، ص180)

ويختلف الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي اختلافًا كبيرًا في قدراتهما وطبيعتهما وآلياتهما الأساسية. وكما يلي:

النشأة والتطور:

الذكاء البشري: يعد سمة فطرية متجذّرة في الإنسان ويتطور بصورة طبيعية كنتيجة للتفاعلات المعقدة بين العمليات البيولوجية والقدرات المعرفية.

الذكاء الاصطناعي: يتم إنشاءه بواسطة البشر باستخدام خوارزميات الحاسوب واللغات البرمجية، ويُعد ثمرةً للإبداع البشري وجهود البحث العلمي المنهجي. (محمد لحلح، 2020م، ص41)

التعلم والتكيف:

الذكاء البشري ليس ثابتاً، بل يمكن تطويره على مر الزمن من خلال التعلّم والتدريب المستمر، فالعقل البشري قادر على التكيّف والتعلّم من الخبرات الجديدة والمعلومات، ويمكن تحسين أدائه وقدراته من خلال التحفيز والتحديات المستمرة. (محمد عقوني، 2023م، ص24)

الذكاء الاصطناعي: تعتمد أنظمة الذكاء الاصطناعي في تعلمها على البيانات من خلال توظيف خوارزميات التعلم الآلي، وتمتلك القدرة على التكيف وتحسين أدائها بمرور الوقت عبر عمليات التدريب المستمر. (أحمد عبدالآخر، 2025م، ص10)

القدرة والنطاق:

الذكاء البشري: الذكاء البشري واسع النطاق وذو أغراض عامة، إذ يتيح للإنسان القدرة على إنجاز طيف واسع من المهام المعرفية، مثل حل المشكلات، والإبداع، والتعبير العاطفي، والتفاعل الاجتماعي.

الذكاء الاصطناعي: تتميز أنظمة الذكاء الاصطناعي بقدرتها العالية على أداء المهام المتخصصة التي صممت من أجلها بدقة وكفاءة. ويُعرف هذا النوع بـ"الذكاء الاصطناعي الضيّق"، إذ يُقيَّد بمجال وظيفي محدد. أما "الذكاء الاصطناعي العام"، فإذا ما أمكن تحقيقه، فسيتمتع بقدرات معرفية متعددة تشابه الذكاء البشري، وتمكّنه من أداء مجموعة واسعة من المهام المختلفة. (آلان بونييه، 1993م، ص36)

الوعي والعواطف:

الذكاء البشري: يعد البشر كائنات واعية تمتلك شعوراً ذاتياً، وإدراكاً للذات، فضلاً عن القدرة على اختبار المشاعر المعقّدة وفهمها.

الذكاء الاصطناعي: الذكاء الاصطناعي يفتقر إلى الوعي والعواطف، في حين أن بعض أنظمة الذكاء الاصطناعي يمكنها محاكاة العواطف لتطبيقات محددة، إلا أنها لا تتمتع بفهم عاطفي حقيقي. (ستيوارت راسل، 2019م، ص26)

الأخلاق:

الذكاء البشري: يمتلك البشر منظومة أخلاقية داخلية تمكّنهم من اتخاذ قرارات أخلاقية تستند إلى القيم الإنسانية، والتعاطف، والمعايير الاجتماعية السائدة.

الذكاء الاصطناعي: يفتقر الذكاء الاصطناعي إلى المنطق الأخلاقي والحكم الأخلاقي، إنه يعمل على أساس الخوارزميات والبيانات دون الشعور بالصواب أو الخطأ، فالذكاء الاصطناعي تيسّر من الإفلات من المساءلة الأخلاقية لسببين: الأول، إنه قدّم نفسه على أنه مسعى فكري. أما الثاني، كونه الأداة القادرة على التفكير أو على مساعدة الإنسان في التفكير محايدة أخلاقياً. (دانيال أندلر، 2024م، ص422)

فالسؤال الأخلاقي يُثار دائماً حول استخدام الذكاء الاصطناعي في اللغة، بما في ذلك استخدامه في تعلم اللغات وتعليمها وتبادل المعلومات، يجب علينا أن نتساءل عما إذا كان يمكن للذكاء الاصطناعي تعويض

الاتصال البشري الحقيقي والتجربة الفريدة التي نحصل عليها من التواصل وجهًا لوجه. (آلان بونييه، 1993م، ص27)

خاتمة

في فلسفة اللغة، يتبدد حدود النقاش بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، إذ تظهر التحديات الفلسفية في فهم اللغة والإبداع اللغوي والأخلاق في استخدام الذكاء الاصطناعي، ويستدعي التطور في هذا المجال استكشافًا مستمرًا لتفصيلات اللغة والتطور التكنولوجي والأخلاقي.

كما أن فلسفة اللغة تمثل مجالاً خصباً للتفاعل والتكامل بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، يستطيع البشر، بقدراتهم اللغوية والتحليلية الفريدة، استكشاف أعماق اللغة وتفسير تعقيداتها، بينما يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساعد في معالجة اللغة وتحليلها بسرعة وكفاءة لا مثيل لهما.

سوف يؤدي التعاون بين هذين النوعين من الذكاء إلى تطورات مثيرة في مجال فلسفة اللغة، إذ سيتمكن الإنسان من الاستفادة من قدرات الذكاء الاصطناعي في فهم اللغة وتفسيرها، في حين سيساعد الذكاء البشري في توجيه هذه التقنيات وتطويرها للوصول إلى تحقيق نتائج أعمق وأكثر إبداعا.

من جهة أخرى فإن دراسة فلسفة اللغة بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي تفتح آفاقاً جديدة للفهم والتطوير في هذا المجال الحيوي، مما يعزز قدرتنا على التواصل والتفاعل بشكل أفضل مع العالم من حولنا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

1. أندلر، دانيال، 2024م، الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري: اللغز المزدوج، تر: جلال العاطي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1.

2. أورو، سليفان، وآخران، 2012م، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، مراجعة: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1.
3. بروك، هنري، 2018م، الذكاء الاصطناعي، سلسلة المغامرون، دار المجاني، لبنان، ط1.
4. بغوره، الزواوي، 2005م، الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1.
5. بونيه، آلان، 1993م، الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله، تر: علي صبري فرغلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د. ط.
6. راسل، ستيوارت، 2019م، ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر، تر: مصطفى محمد فؤاد وآخر، مؤسسة هنداوي، ط1.
7. زيدان، محمود فهمي، 1985م، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط.
8. ساجان، كارل، 2005م، تنينات عدن: تأملات عن تطور ذكاء الإنسان، تر: سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1.
9. سبيلا، محمد، وعبدالسلام بنعبد العالي، 2010م، اللغة: نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط5.
10. صليبا، جميل، 1982م، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د. ط.
11. عبدالآخر، أحمد، 2025م، الذكاء الإصطناعي ومستقبل البشرية، نشر المؤلف، مصر، د.ط.
12. عقوني، محمد، 2023م، الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري والبحث العلمي، نشر المؤلف، د. ط.
13. غريلو، أريك، 2012م، فلسفة اللغة، تر: عفيف عثمان، دار ومكتبة البصائر، بيرت، لبنان، ط1،.
14. فيركلف، نورمان، 2016م، اللغة والسلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1.
15. قدوم، محمود محمد، 2024م، توظيف الذكاء الاصطناعي في تعلّم اللغة العربية وتعليمها: أبحاث علمية محكمة، د. ط.
16. لحلح، محمد، 2020م، مدخل إلى الذكاء الاصطناعي وتعلّم الآلة، أكاديمية حسوب، ط1.
17. لُو، إدوارد جوناثان، 2020م، مقدمة لفلسفة العقل، تر: رضا زيدان، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.
18. مارتان، روبير، 2007م، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبدالقادر المهيري، مراجعة: الكيّب البكّوش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1.
19. مدكور، ابراهيم، 1983م، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، مصر، د. ط.
20. موسى، عبدالله، و، احمد حبيب بلال، 2019م، الذكاء الاصطناعي: ثورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، ط1.
21. هوسرل، إدموند، 2011م، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، تر: ابو يعرب المرزوقي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1.

22. هوندرتش، تد، د. ت، دليل أكسفورد للفلسفة، ج2، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، د. ط.
23. هيل، جون، 2017م، فلسفة العقل: مدخل معاصر، تر: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

ثانياً: المجلات والدوريات

1. حمر العين، زهور، 2020م، المنطق المرن: نقطة بدء الذكاء الاصطناعي، اعمال الملتقى الوطني (اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي: الواقع والرهانات، ج1، المجلس الاعلى للغة العربية.
2. الدمرداش، خديجة ربيع عبدالغفار، 2023م، فلسفة الذكاء الاصطناعي، مجلة متون، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة سعيدة، م:16، ع:3.
3. السيد، هيثم، 2014م، الإسهامات الفلسفية والمنطقية في التطور التكنولوجي، الذكاء الإصطناعي أنموذجاً، مجلة ديوجين، منشورات جامعة القاهرة، ع:1..
4. طالب، عبدالقادر، 2021م، بين اللغة والهوية والإغتراب (واقع اللغة العربية انموذجاً)، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الانسانية والاجتماعية، م:2، ع:2.

Teaching Arabic to Non-Native Speakers through AI Educational Apps

Ahlam Allia
University of mohamed el bachir el ibrahimi_Algeria
ahlam.allia@univ-bba.dz

Abstract:

The teaching of Arabic as a foreign language today relies on new teaching methods and the use of more effective tools and resources. Those interested in this field have worked hard over recent years to provide their perspectives on the importance of offering new educational alternatives in order to improve and facilitate the teaching process both inside dedicated Arabic language centers and even outside these centers. Language teaching, like other behaviors, now requires adopting a modern approach to education and utilizing everything new to serve the learner. Today, it is indeed taking steps toward artificial intelligence and the services it offers to both the teacher and the learner alike. The investment in using various applications provided by artificial intelligence in the field of language teaching in general, and in teaching Arabic as a foreign language in particular, encourages us, in this research paper, to highlight the benefits that foreign learners of Arabic gain from being exposed to such educational applications, and how the teacher's role is played in this process. As these applications have taken on authority in the teaching process, leaving little room for the traditional teacher who was once an intermediary between the learner and the information (language), and with the emergence of what is known as the digital teacher or the e-teacher, we now question where the role of teaching truly lies when the applications and their creators and administrators are performing similar tasks. Thus, we pose the following question: Who is teaching here— the application or its creator and administrator?

Keywords: Educational, Arabic language, educational applications, artificial intelligence.

كتاب وقائع المحفل العلميّ الدّولي للمؤتمرات أيام 01-02-03/06/2025
تحت شعار ﴿نحو نهضة علمية رصينة﴾

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات التعليمية للذكاء الاصطناعي.

أحلام علية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي_برج بوعريريج _الجزائر
ahlam.allia@univ-bba.dz

ملخص:

عرف تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها اليوم اعتماد أساليب تعليمية جديدة واستخدام وسائل وأدوات أكثر فعالية، وقد حرص المهتمون بهذا المجال على تقديم رؤاهم حول أهمية توفير بدائل تعليمية جديدة على مدى السنوات الأخيرة من أجل تحسين وتسهيل العملية التعليمية داخل المراكز المخصصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وحتى خارج هذه المراكز؛ فتعليم اللغات كغيره من السلوكات بات يتطلب هو الآخر انتهاج طريقة حديثة للتعليم واستثمار كل ما هو جديد خدمة للمتعلّم، وها هو اليوم فعلا يخطو خطواته نحو الذكاء الاصطناعي وما يقدمه من خدمات للمعلم والمتعلم على حد سواء؛ فما نلحظه من استثمار في توظيف مختلف التطبيقات التي يوفرها الذكاء الاصطناعي في مجال تعليم اللغات بوجه عام وفي تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بوجه خاص يدفعنا في هذه الورقة البحثية إلى أن نسلط الضوء على الفائدة التي يجنيها متعلمو اللغة العربية الأجانب من تعرضهم لمثل هذه التطبيقات التعليمية، وكيف يكون للمعلم دورا في هذه العملية بعد أن أخذت هذه التطبيقات حيّز السلطة في عملية التعليم ولم تترك مجالا لتواجد المعلم التقليدي الذي كان يمثل وسيطا بين المتعلم والمعلومة (اللغة)، وبعد أن ظهر ما يعرف بالمعلم الرقمي أو المعلم الالكتروني فأين يتجلى دور التعليم بالضبط حين تجاذبت التطبيقات وصانعوها ومسيروها نفس المهام، ومن هنا نطرح السؤال التالي: **من يعلّم هنا هل التطبيق أم صانع التطبيق ومسيره؟**

الكلمات المفتاحية: التعليمية، اللغة العربية، التطبيقات التعليمية، الذكاء الاصطناعي.

مقدمة:

هذه الورقة البحثية في الحقيقة تقف على مجموعة من التساؤلات التي بات يطرحها التعليم الالكتروني خصوصا في ما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ونحن نعيش هذه التجربة ونتائجها فعلا، لذلك ارتأينا تقديم حاصل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها غبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي، من خلال عرض مجموعة من النقاط، وهي كالتالي:

أولا: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها_الأسس والإجراءات

أخذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها حيّز الاهتمام لدى الكثير من علماء العربية الذين كرسوا جهودهم في سبيل تبسيط دروس العربية ونقلها في صورة ميسرة لمتعلميها الأجانب، وذلك بانتهاج سياسة تعليمية جادّة تقود المتعلمين إلى الاعتراف بعظمة هذه اللغة في زمن الصراع اللغوي، وقد قام تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وفق هذه السياسة على جملة من الأسس (الغانمي، 2022، صفحة 56_57):

1_أسس لسانية: وتقوم على تلقين أصوات اللغة العربية للمتعلم الأجنبي وطرق نطقها باعتماد أسلوب المشابهة أي تقسيم الحروف إلى مجموعات متشابهة كتابةً (ت ث/ ج ح خ/ د ذ/ ر ز/ ط ظ/ ض ص....)، حتى يألفها ويسهل عليه نطقها شفويا والتعرف عليها كتابيا، كما تقوم أيضا على بيان القواعد العامة لبناء الألفاظ والتعرف على دلالاتها باعتماد الرسوم والصور التقريبية التي تسهل عملية الشرح والتوضيح باعتبارها وسيلة مادية مرئية تساهم في تقريب المعلومة والدلالة المتحَدَث عنها حتى تحفظ في ذاكرة الناطقين بغير العربية وتخزن في أذهانهم ، وحتى تصبح لهم بمرور الوقت معرفة سابقة بها، فمتى نطِق اللفظ إلا وقام المستمع بعملية تنشيط للذاكرة تستدعي مفهومه والمرجع المحيل عليه، وتستمر العملية التعليمية هنا على هذا المنوال التدرجي لتحقق لمتعلم اللغة العربية كفاية الربط والبناء والتمرن والإفادة والتواصل.

2_ أسس سيكولوجية : يعدّ الجانب السيكولوجي النفسي جانبا مهما في تدريس العربية وتعليمها لغير الناطقين بها لاختلاف استعداداتهم النفسية لتقبل لغة غريبة عن لغتهم الأم بما تحمله من ألفاظ وتراكيب ودلالات ومعانٍ قد تتقاطع وتشترك مع بعض بما يألفونه، وعند تشابه العناصر والتراكيب بين اللغتين تكون عملية اكتسابها أكثر سهولة إذ إن المتعلم يحاول الاستفادة من لغته الأم والنقل منها من أجل جعل عملية اكتساب هذه العناصر والتراكيب أكثر سهولة ويسراً.

إن العمل بهده الأسس في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين وتطبيقها على أرض الواقع من شأنه أن يسهل عمليتي التعليم والتعلّم كما من شأنه أيضا أن يقيم فضاءً تفاعليا بامتياز؛ فالمتعلم هنا سيجد نفسه أمام صرحٍ تعليمي يراعي قدراته الإدراكية ويلبي حاجاته المعرفية واهتماماته ويحاكي خصوصياته العقلية، أما بالنسبة للمعلم فسيكون موجها ومرشدا بدرجة أعلى إذا أحس بأنّ هناك مخاطَباً متفاعلا يسير بشكل ممتاز على الطريق الذي رسماه في بداية العملية، ويبقى نجاح الاثنين في تحقيق أهداف هذه الأخيرة مرتبطا بنوعية وجدّة المحتوى التعليمي المعدّ سابقا وبنجاعة طريقة التعامل مع هذا المحتوى من طرف المعلم والمتعلم معاً.

ثانيا: الذكاء الاصطناعي في الميدان التعليمي:

شهدت البيئة التعليمية اليوم قيام أسلوب تعليمي جديد يعنى بتوظيف كل ما هو حديث في حقل التكنولوجيا والانترنت، وذلك في سبيل تحسين جودة المنتوج التعليمي من جهة وتوفير الوقت والجهد من جهة أخرى، بالإضافة إلى تسهيل عمليتي التعلم والتعليم بتوفير الظروف والأدوات المساعدة التي تمكن كل من المتعلم والمعلم من ممارسة مهامها على أكمل وجه، وبما أنّ الذكاء الاصطناعي هو أحدث إنتاج للتكنولوجيا فإنّ استثماره في الميدان التعليمي بشكل عام وفي تعليم اللغات بشكل خاص أصبح ضرورة حتمية بالنظر إلى الأهداف المراد تحقيقها على مستوى هذين المجالين (التعليم / تعليم اللغات)، فهو تلك الأداة الرئيسية التي دخلت في صلب جميع القطاعات، بعد أن خرج من مختبرات البحوث ومن روايات الخيال العلمي، ليصبح جزءً لا يتجزأ من الحياة اليومية للأشخاص على اختلاف ذهنياتهم ومعتقداتهم، ابتداءً من المساعدة قي التنقل في المدن وتجنب زحمة المرور، وصولا إلى استخدام مساعدين افتراضيين للمساعدة في أداء المهام المختلفة (المهدي، صفحة 108) .

فالذكاء الاصطناعي هو ذلك المفهوم الذي دخل بقوة في حياة البشر ليغير نمط معيشتهم ويغدو المتحكم الرئيس في تنظيم مسارها من خلال ما يرسمه من مخططات وما يقدمه من إعانات وما يتيحه من فرص الراحة للعقل البشري، إنه تلك الوسيلة التي اخترعها الإنسان لتسهيل وتحسين المعيشة وإضفاء اللمسة الذكية على كل المجالات، وقد كان للمجال التعليمي نصيب من هذه اللمسة حين قرر الإنسان أن يستثمر هذه الخدمة في معالجة المشاكل التي يواجهها المعنيون في هذا المجال بوجه عام ويواجهها التعليم بوجه خاص ، ومن هنا جاء تطبيق الذكاء الاصطناعي في الميدان التعليمي خصوصا بعد أزمة انتشار الكوفيد التي ألزمت

وقتها الجامعات والمدارس بانتهاج التعليم عن بعد كبديل للتعليم الحضوري، ومنذ ذلك الوقت والمختصون يفكرون في عدم التخلي عن هذا النمط من التعليم نظرا لما قدمه من خدمات جليلة لكل أطراف العملية التعليمية وعزموا على استثمار هذه الخدمة الالكترونية في جميع الظروف وفي شتى الأصعدة بما فيها الصعيد الإداري على مستوى المدارس والجامعات، ومن هنا تبلورت أهمية الذكاء الاصطناعي في التعليم حيث نجده يعمل جنبا إلى جنب مع العقل البشري في توليفة محسوبة ومتقنة، تترجمها تطورات التكنولوجيا المختلفة ، وبسببها أصبح البحث على شبكة الانترنت جزءً من التعلم المدرسي، كما حلّت الأجهزة اللوحية محل الكتب أو بعضها في المدارس، إلا أن هذه التطورات قد تفقد بريقها أمام ما هو مرتقب من دخول الذكاء الاصطناعي قطاع التعليم، الأمر الذي بدأ يطلّ برأسه فعلا، واعدا بتحولات غير مسبوقة في مجال هذا القطاع (المهدي، صفحة 113) .

لقد غدا الذكاء الاصطناعي في الميدان التعليمي أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها العملية التعليمية وظل نجاح هذه الأخيرة مرتبطا بضرورة توظيف أدواته وتطبيقاته المختلفة، فتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على سبيل التمثيل استفاد هو الآخر من هذه الخاصية وصار خاضعا لسلطة الآلة وذكائها الذي صنعه البشر، إنّ حيز الحديث عن استخدامات الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يضيق ويتسع إذا أردنا تحديد الطرف الرئيس في هذه العملية، فالحديث عن من يعلّم هنا؟ يفتح المجال للبحث في خصوصية عمل المعلم البشر والمعلم الآلة، ولأنّ الآلة هي من صنع البشر ومخطط من مخططاتهم الرامية إلى التخفيف عن العقل البشري وذلك ببرمجة الحواسيب واللوحات الرقمية لتعمل بذكاء الإنسان، فإن عملها يكون متداخلا مع عمل البشر ولا يمكن بأي شكل من الأشكال فصله عنه، إلا أنه وبالرغم من ذلك يبقى عمل الآلة مختلفا نوعا ما لأنه بحاجة إلى تحيين وصيانة كل فترة وفترة من طرف البشر بالنظر إلى كل ما هو مستجد على جميع الأصعدة.

وبعد كل هذا يمكن القول أنّ توظيف الذكاء الاصطناعي في الميدان التعليمي بوجه عام جاء بما يخدم أهداف البشر وما يصبون إلى تحقيقه على مستوى هذا المجال، فنجد أهداف التعليم المسطرة في الغالب تتقاطع مع أهداف الذكاء الاصطناعي المتمثلة في (قاسم، صفحة 103):

_حل مشكلة المهام المكثفة للمعرفة

_عمل اتصال ذكي intelligent connection بين الإدراك pereception والفعل action

_تحسين التفاعل / الاتصال الإنساني، والإنساني الحاسوبي، والحاسوبي الحاسوبي

وخلاصة لما سبق: يعدّ التعليم في ضوء تقنيات الذكاء الاصطناعي منهجا جديدا فرضته التحديات التي واجهها كل من المعلم والمتعلم على وجه الخصوص في الآونة الأخيرة والتي قادت المختصين والمهتمين في هذا المجال إلى التفكير في كيفية استثمار إنتاجات العقل البشري التي أثبتت نجاعتها في المجالات الأخرى، ولأن التعليم هو أولى المحطات التي يتخرج منها الأفراد على اختلاف ميولاتهم وتخصصاتهم فهو أول مجال لا بد له من التحيين وإعادة النظر في هيكلته، وعليه بدأت مهمة تنظيم المدارس والجامعات وفق نظامي التعليم عن بعد والتعليم الالكتروني اللذان يتأسسان على استخدام التكنولوجيا الحديثة.

ثالثا: التفاعل في البيئة التعليمية الإلكترونية:

بعد أن عزمت المنظومات التعليمية في العالم على اعتماد أداة التكنولوجيا كوسيلة من وسائل تحقيق الفاعلية داخل العملية التعليمية، توجه التركيز بعد ذلك إلى وضعية كل من المعلم والمتعلم داخل هذا النمط الجديد من التعليم؛ ولأنّ المتعلم هو المحور الرئيس الذي من أجله تسطر الأهداف وتوضع المناهج والمضامين ويتحول دور المعلم من التلقين إلى التوجيه والإرشاد، فإن تفاعله داخل العملية التعليمية هو من أكبر الغايات التي تطمح إليها المنظومات التعليمية وتسعى إلى تحقيقها على أرض الواقع وتسخير كل الإمكانيات المادية والبشيرة من أجلها، فهذه الغاية أسمى من أن تكون غاية تعليمية فحسب، بل هي غاية تربوية واجتماعية ونفسية ...إلخ، إنّ هذا التفاعل في الحقيقة هو جوهر العملية التعليمية وجوهر الحياة الإنسانية بشكل أعمق، فهو من يوجه سلوك هذا الفرد المتعلم وينقله من عوالم التعلّم والاستكشاف إلى عوالم التسيير وبناء المستقبل والمساهمة في التنمية على كافة المستويات.

ولهذا فقد عنيّ التعليم الالكتروني كغيره من أنماط التعليم الأخرى بأهمية خلق جو تفاعلي بين المتعلم والمعلم، ولعلّ الأمر كان أسهل لتحقيق هذه الغاية في هذا النمط التعليمي بالذات لأنّ الخاصية الالكترونية التي يتمتع بها هذا النمط تمكنت حقيقة من عقول البشر وسلبتهم إرادتهم فأصبحوا لها طالبين ومدمنين، فكيف لا تستطيع أن تكسب عقول المتعلمين وهم الأكثر حاجة إليها لكونها مصدرا من مصادر المعرفة

التي يطمحون للحصول عليها، فالتعليم الالكتروني هو تلك العملية التي يتم فيها تهيئة بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنية الحاسب الآلي وشبكاته ووسائطه المتعددة، تمكن المتعلم من بلوغ أهداف العملية التعليمية من خلال تفاعله مع مصادرها، وذلك في أقصر وقت ممكن، وبأقل جهد مبذول، وبأعلى مستويات الجودة من دون تقيد بحدود المكان والزمان (علي، 2020، صفحة 183)، وهي العملية التي يكون التفاعل فيها أمرا محسوما بالنسبة لكل من المتعلم والمعلم فيكون كلاهما مقصودا من هذه العملية لذلك تسخر لهما كافة الأدوات والوسائل والتطبيقات الإلكترونية المساعدة التي تشبع استعداداتهم للتعلّم والتعليم، ويتمتع التعليم الالكتروني بميزات خاصة تجعل منه الأقدر على تحقيق التفاعل داخل العملية التعلميّة / التعليميّة/ ومن أهم هذه الميزات نذكر (علي، 2020، صفحة 184):

_توفير جميع وسائل التفاعل الحي بين الطالب والمدرس. وإمكانية تفاعل الطلبة والمدرس على السبورة الإلكترونية.

_تفاعل الطالب مع المدرس بالنقاش حيث يمكن للطالب التحدث من خلال المايكروفون المتصل بالحاسب الشخصي الذي يستخدمه.

_تمكين المدرس من عمل استطلاع سريع لمدى تجاوب وتفاعل الطالب مع نقاط الدرس المختلفة والتي تعرض على الهواء مباشرة.

_تمكين المدرس والطالب من عمل تقييم فوري لمدى تجاوب الطلبة من خلال عمل استبيان سريع وفوري يستطلع المدرس من خلاله مدى تفاعل الطلبة معه ومع محتوى المادة التعليمية والتربوية.

_يمكن للمدرس عمل جولة للطلبة على أحد المواقع التعليمية التفاعلية المختلفة مثل مشاركة التطبيقات.

_مساعدة المدرس على تقسيم الطلبة إلى مجموعات عمل صغيرة في غرف تفاعلية بالصوت والصورة من أجل عمل التجارب في الحال وفي نفس الحصة وتمكين المدرس من النقاش مع أيٍّ من مجموعات العمل ومشاركة جميع الطلبة في تحليل نتائج أحد مجموعات العمل.

_تمكين المدرس والطالب من عمل تقييم فوري لمدى تجاوب الطالب من خلال اختبار سريع يتم تقييم ومناقشة تفاعل الطالب معه في الحال وفي وجود المدرس.

إن ما يتميز به التعليم الإلكتروني من خصائص من شأنه أن يسهم في تحقيق الأهداف التعليمية العامة والخاصة والتي تصب في مجملها في خلق بيئة تفاعلية منتجة تحرص على تقديم متعلمين مسؤولين متشبعين بشتى أنواع المعرفة قادرين على مواجهة مختلف التحديات وبإمكانهم إيجاد حلول لكل المشكلات التي يمكن أن تواجههم في الحياة سواء داخل الإطار التعليمي وحتى خارجه، إن هذه الميزات تصنع من المتعلم فردا فاعلا داخل الأمة يسيّر ويعالج ويبتكر وينمي ويساهم في تحقيق التنمية الشاملة لوطنه وللأمة الإنسانية جمعاء.

رابعا: المعلم والمتعلم وصراع التطبيقات التعليمية الالكترونية _تبادل للأدوار أم تنحية

لا يختلف اثنان في أن المعلم طرف رئيس في نجاح العملية التعليمية فهو المتحكم الأول في سيرورة عملية التعلّم وتسويتها، فضلا عن دوره الكبير في بناء المشكلات المتعددة والمعقدة في الآن ذاته (وآخرون، 2019، صفحة 44)، وعلى الرغم من تلك الترتيبات الإصلاحية الجديدة التي تركز على المتعلّم وفعاليته داخل العملية التعليمية إلا أنّ الالتفاف حول المعلم يبقى حاضرا في كل إصلاح جديد تتخذه الجهة المسئولة، وهذا ما يؤكد على أن محاولات إنجاح العملية التعلّميّة / التعليميّة ينبغي أن تسير في ضوء فهم العلاقة الضرورية بين المعلم والمتعلّم، فالمتعلم الذي صار محور العملية التعليمية في الفكر التربوي الحديث وأسال الكثير من الحبر في كتابات وأحاديث مطولة عن أهميته كعنصر فاعل في بناء المجتمعات والأمم وأنه الرقم واحد في ازدهارها، يحتاج إلى معلم ماهر بارع يمتلك مهارات التوجيه والإرشاد بعد أن تشبع زادا من حقول المعرفة المتشعبة، معلم قادر على أن يحتويه معرفيا وسلوكيا يسير معه نحو منارة المعرفة ويجعله في نهاية المطاف يشع بنور الفكر السليم الإنتاجي.

إنّ الإيمان بالعلاقة الجامعة بين المتعلم والمعلم شرط ضروري ينبغي أن يتصدر قائمة الشروط التي تضعها المنظومات التربوية عبر العالم في سبيل تحسين العملية التعليمية وإضفاء الجودة عليها، حتى أنّ التفكير في تبني التعليم الإلكتروني كخطوة من خطوات الإصلاح الرامية لتسهيل عمليتي التعلّم والتعليم في سياق إنتاجي

هادف ينبغي أن يعزز هذا الإيمان وأن يحرص كل الحرص على تقديم صورة واحدة عن المتعلم والمعلم معا فهما وجهان لعملة واحدة ولا ينبغي الاعتراف بوجه لوحده وتنحية الوجه الآخر من هذا السياق. صحيح أنّ التطبيقات التعليمية الإلكترونية والتي تعمل بالذكاء الاصطناعي جاءت لتساعد المتعلم على التعلم وتفتح له الباب أمام مصادر المعرفة المختلفة وتسهل عليه عملية استقاءها وترشده إلى كيفيات توظيفها واستثمارها، وهي بهذا الدور لا تختلف كثيرا عن المعلم الذي من مهامه ترشيد المتعلّم إلى فضاءات المعرفة وتوجيه سلوكه إلى ما هو أفضل، وتوفير كل شروط التعلّم الإيجابي لهذا المتعلم الذي هو في الأساس فرد يتوقف عليه مستقبل المجتمعات والأمم، لذلك يحرص المعلم على إكسابه مهارات التفكير والفهم والاستثمار والإبداع ليكون قادرا على تحمل هذه المسؤولية الكبيرة.

ولقد شكل هدا التماثل في الأدوار بين المعلم والتطبيقات التعليمية الإلكترونية بؤرة للصراع حول ما إذا كان بالإمكان الاستغناء عن واحد منهما في حضور الآخر أو أن يأخذ كل واحد منها دور الآخر بالكامل داخل العملية التعليمية، وهذا الصراع هو من قاد دراستنا هذه للفصل في هذه المسألة التي نراها نقاشا جوهريا ينبغي أن لا نخطئه بقدر ما هو من الضروري جدا أن نُفهِم جمهور القَراء والمهتمين بأنّ هذا اللون من التفكير لم يأتِ عبثا وإنما جاء ليدلّ على أنّ النظرة الموجهة للمعلم وللتطبيقات التعليمية الإلكترونية واحدة وهي تعبر عن اهتمام واضح وكبير بنجاح عملية التعلّم. إن الحرص المتزايد على توفير الوسائل والأدوات الناجعة الكفيلة بحل مشاكل التعلّم التي يواجهها المتعلمون في المدارس والجامعات وحتى خارجها هو من خلق هذا الصراع عندما تَوَصَل إلى الالكترونيات وبرمجتها وفق خاصية الذكاء الاصطناعي من أجل تسهيل التعليم والتعلّم ، هذه الخاصية الالكترونية التي هي في الأصل من اختراع البشر، والتي تمنح المتعلم وسائل متعددة أثناء التعلم يمكن استعمالها على ثلاث مستويات: السمعي والبصري والمعلوماتية، للدلالة على استعمال الصور والأصوات والخطاطات ومقاطع الموسيقى وتوظيفها جميعا في آن واحد (جرجور، 2017، صفحة 150)، تحتاج هي الأخرى إلى مشغل ومقيم ومقوّم لأنها قد تخطأ في بعض الأحيان بسب عدم الصيانة وغيرها من الأسباب الأخرى التي تجعلها معرضة للهفوات مثلها مثل العقل البشري.

وفي ذات السياق حريّ بنا أن نشير إلى أنّ الذكاء الاصطناعي والالكترونيات ما هي إلا صناعة بشرية تحتاج دائما إلى تقييم من طرف الآخرين، فالمعلم الذي يبقى محل رقابة من طرف الآخرين ليقيموا أدائه

وعمله داخل العملية التعليمية وفي ضوء ذلك يتم تكوينه دوريا وفقا للمستجدات الحاصلة ليلبي حاجة المجتمعات إلى الأفراد الفاعلين، فإنه يبقى حجر أساس أيضا داخل العملية التعليمية مهما تغيرت ملامحها التركيبية، ومهما تلونت بالتطبيقات الالكترونية وخصائصها الذكية فستظل بحاجة إلى المعلم الذي من مهامه إدارة هذه التطبيقات حتى وإن استدعى الأمر أن يكون إلكترونيا، وفي الأخير يمكن القول أنّ صورة التعليم المعهودة ستبقى حاضرة بوجود عناصرها الرئيسية: المتعلم _ المعلم (إلكترونيا أو غير ذلك) _المعرفة الالكترونية _الوسائل التعليمية (الوسائل الالكترونية ، تطبيقات الذكاء الاصطناعي) حتى وإن اختلف نمط تواجد هذه العناصر داخلها.

خامسا: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في تطبيقات الذكاء الاصطناعي _بين الفاعلية والسلطوية:

أخذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها حيز الاهتمام لدى الكثير من المهتمين في المجال التعليمي لأنه عرف ظهور عدّة مشاكل خصوصا تلك المتعلقة بتعليمها حضوريا فكان حريّا بهم أن يوجدوا حلا لتلك المشاكل أو يقللوا على الأقل من حدة آثارها على العملية التعليمية بجميع أطرافها، ولهذا قرروا انتهاج منهج جديد في تعليم هذه اللغة للأجانب حرصا منهم على تلبية المطالب بصورة تتماشى مع ما أُثبِت ميدانيا أنه الأنسب لمواجهة مختلف التحديات في شتى المجالات، فوقع الاختيار على الذكاء الاصطناعي لأنه إضافة حقيقية لمجال تعليم اللغات لما يتمتع به من خصائص جديدة غير التي ذكرناها سابقا والتي حددها **الباحث هندي إيرين عطية إسحاق** في النقاط التالية (إسحاق، 2020، صفحة 612):

_تمثيل المعرفة بواسطة الرموز

_استخدام الأسلوب التجريبي المتفائل

_قابلية التعامل مع المعلومات الناقصة

_القابلية على التعلم

_استخدام أسلوب مقارن للأسلوب البشري في حل المشكلات

_تتعامل مع الفرضيات بشكل متزامن بدقة وسرعة عالية

_تعمل بمستوى علمي واستشاري ثابت ولا تتذبذب

_يتطلب بناؤها تمثيل كميات هائلة من المعارف الخاصة بمجال معين

_أنها تهدف لمحاكاة الإنسان فكرا وأسلوبا

_تقليص الاعتماد على الخبراء البشر

_القدرة على التعلم والفهم من التجارب والخبرات السابقة

_القدرة على استخدام الخبرات القديمة وتوظيفها في مواقف جديدة

_القدرة على التفكير والإدراك

_القدرة على اكتساب المعرفة وتطبيقها

وبالنظر إلى هذه الخصائص جاء الاعتراف بضرورة تبني الذكاء الاصطناعي لأنه سيكون الحل الوحيد للخروج من المشكلات التي عرفها واقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها خاصة المشكلات الاجتماعية؛ حيث إنّ المتعلّم غير الناطق بالعربية إذا أراد أن يتعلمها في بيئتها الطبيعية، وفي موطنها الأصلي، فمن المؤكد أنه سيشد رحاله إلى إحدى دول العالم العربي، ومن الطبيعي أن يتعامل مع المجتمع العربي، ومن الممكن أن يتعرض إلى بعض الصعوبات مثل: صعوبة التعايش مع المجتمع العربي؛ نظرا لجهله بقيم هذا المجتمع وعاداته وتقاليده، صعوبة التعامل المباشر مع أفراد المجتمع، فلكل مجتمع طريقته في أسلوب الحوار واستعمال المصطلحات والعبارات المتداولة في بيئته اللغوية؛ ولذا ينبغي على المتعلّم التعرف على أسلوب التعامل مع أفراد المجتمع العربي، حتى لا يتعرض للحرج والسخرية؛ لأنه قد يستعمل عبارة أو كلمة في غير سياقها العهود لدى المتلقي العربي، ومن المحتمل جدا أيضا أن تحدث له ردة فعل، وتوتر وارتباك والخوف من الاحتكاك بأفراد هذا المجتمع ،كما أنه قد يصاب بالفشل والإحباط وضعف دافعية التعلّم وقد ينفر من عملية تعلّم اللغة ككل، لذا فالتعرف على كيفية التعامل مع المجتمع من أهم الأمور التي تساعد المتعلم كثيرا على ممارسة اللغة عمليا وبشكل طبيعي، ومن المؤكد أن مهارة المحادثة من أهم مهارات إتقان اللغة الهدف (الشايع، دون سنة، صفحة 1729).

وبما أن الذكاء الاصطناعي يتيح فرصا تعليمية يحدها تواصل مباشر وغير مباشر تبثه وسائل التواصل الثقافي / الاجتماعي المختلفة مثل: **face book _ Instagram_ WhatsApp_Tik Tok_Snapchat_ YouTube_Telegram_X**، فستسهل عملية تعلم اللغة العربية من طرف الأجانب، كما أنّ التطبيقات التعليمية الخاصة بتعليم اللغات والتي يتيحها الذكاء الاصطناعي للمقبلين على تعلم اللغات تساعد هؤلاء على التواصل بشكل مباشر مع اللغة وممارستها في فضاءات مخصصة تتوفر على تقنيات المعالجة والتقويم مما يساهم في تعديل مسار التعلم لدى المتعلمين الأجانب قبل

إكماله، ولأنّ هذه التطبيقات تمتلك خاصية تعليمية مثلها مثل المعلم البشري فهي الحل الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه إذا ما أردنا معالجة الإشكالات المطروحة أمام متعلّم اللغة العربية الأجنبي هذا من جهة، والتخفيف على المعلمين من عبئ هذه العملية في ظل وجود مثل هذه المشكلات التي سبق ذكرها.

ولا ينفي أحد منا القول بأنّ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي قد ساهم في اتساع دائرة انتشار اللغة العربية عندما أصبح تداولها أمرا مفتوحا وسهلا أمام جميع رواد الالكترونيات والانترنت، ولا يخفى عن أحد منا كذلك أنّ الهواتف والحواسيب اليوم قد باتت تحمل تطبيقات تعليمية خاصة بتعليم اللغات وممارستها كتابة وصوتا وهذا ما هو دليل إلا على أنّ الذكاء الاصطناعي اعتنى أيّما اعتناء باللغة العربية كغيرها من اللغات العالمية الأخرى إيمانا منه بأنّ هذه اللغة تحمل خزانا معرفيا وثقافيا يحتاج إلى أن توجه رؤية الجميع إليه وأن تسخر خدمة له كل الأدوات والوسائل حتى يتسنى للجميع الإطلاع عليه ليستزيدوا من ثقافة الأمة العربية التي أثبتت عبر تاريخ حافل بالإنجازات والانتصارات عظمتها وعظمة لغتها وعاداتها وتقاليدها، فهي رمز للمواجهة والتحدي والتعايش مع كافة المستجدات.

وبالنظر إلى هذه المهام التي أخذت على عاتق الذكاء الاصطناعي في سبيل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات المختلفة التي يضعها في خدمة المتعلمين والمعلمين فإنّ الجميع يستفهم حول مكانة المعلم وموقعه من كل هذه السلطوية التي تمتلكها تطبيقات الذكاء الاصطناعي عبر العالم في مجال تعليم اللغة العربية للأجانب اليوم، وهو الأمر الذي يحتاج منا إلى أن نعترف بأنّ هذه التطبيقات مثل: تطبيق رحلة Rehla، تطبيق Duolingo ، تطبيق Rosetta Stone، خففت الكثير من العبء الذي كان يثقل كاهل المعلم في فترة ما، كما أنها احتلت مكانة كبيرة في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهو الأمر الذي جعل الجميع أيضا يشك في حقيقة تواجد هذه التطبيقات في الميدان التعليمي ويظن أنها جاءت لتنافس وجود المعلم داخل العملية التعليمية لا غير، وما يستوقف القارئ لهذه الورقة البحثية هو أنها تؤكد أيّما تأكيد على ضرورة أن يمعن الجميع النظر في دور هذه التطبيقات التعليمية وما حققته من نتائج إيجابية على المستويين: المتعلم/ المعلم؛ فحقيقة تواجد هذه التطبيقات اللغوية التعليمية التي يتيحها الذكاء الاصطناعي ما هي إلا لغاية واحدة وهي تسخير فضاء تعليمي يناسب كلا من المتعلم والمعلم على حد سواء، فضاء وفر على هذين الطرفين كثيرا من الجهد وكثيرا من الوقت ومنحهما جوا يسوده التفاعل

والفعالية لأنه حرص على الالتفاف حول كل صغيرة وكبيرة تخص هذه اللغة وأنه ساعدها على أن تنتشر بسرعة كبيرة عندما توسعت رقعة متعلميها ومستعمليها، يجب على الجميع ممن تساءلوا حول مصير المعلم في ضوء هذه التطبيقات أن يعلموا أن المعلم سيبقى حجرا أساسيا في ظل وجود هذه التطبيقات كيف لا وهو صانعها، وهو من يديرها ويدير محتواها التعليمي، فهذه التطبيقات ما هي إلا وسيلة اخترعها الذكاء البشري واختارها المعلم لتكون فضاء يمارس فيه ومن خلاله مهامه التعليمية

خاتمة:

لقد توصلنا من خلال ما تمّ عرضه في هذه الورقة البحثية التي جاءت لتجيب عن مجموعة من التساؤلات التي اعترت واقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي، إلى النتائج التالية:

_تلعب تطبيقات الذكاء الاصطناعي دورا محوريا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها إذ تمنح هذا المجال صبغة تفاعلية أسهل من تلك التي يسعى إلى التعليم الحضوري في المؤسسات.

_يخوض تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات التعليمية للذكاء الاصطناعي رحلة طويلة تتخللها الانتقادات والاستفهامات.

_يحتاج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات التعليمية التي يوفرها الذكاء الاصطناعي إلى وعي تام بالاستخدامات الإيجابية لهذا التوجه التعليمي الجديد، وبضرورة الحرص على تطبيقها ميدانيا بعد أن أنصفتها الكتابات النظرية.

_تتمثل أهمية استخدام الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في أنه يمنح للمتعلمين الأجانب فرص التعلّم المبسط والممارسة التطبيقية في بيئة إلكترونية عربية، كما يوفر للمعلمين آليات جديدة للتدريس الفعال.

_يبقى مسعى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر التطبيقات التعليمية للذكاء الاصطناعي مؤشرا ومعيارا لاستمرارية الذكاء البشري في خدمة البشرية جمعاء.

قائمة المراجع:

1_إسحاق ,ه .إ .(2020) .*إمكانية تطبيق معلمي التربية الفنية بالمرحلة الإعدادية بمحافظة المنيا لمهارات توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم* .كلية التربية النوعية جامعة المنيا :مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية.

2_الشايع ,ي .ع) .دون سنة .(*تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بين السهولة والصعوبة* .مجلة الدراسات العربية.

3_المهدي ,ي .م .*التعليم وتحديات المستقبل في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي* .

*4*_جرجور ,ي .م .(2017) .*الأدب في مهب التكنولوجيا* . المركز الثقافي العربي، لبنان.

5_سمر الغانمي. (2022). *تعليم العربية لغير الناطقين بها_الدوافع والأسس*. جامعة بابل للعلوم الإنسانية.

6_علي ,ر .(2020) .*أهمية التعلم الإلكتروني خصائصه وأهدافه ومميزاته وسلبياته*،:مجلة العربية ، عدد خاص (1)، المجلد 7، الجزائر.

7_قاسم ,ف .آ .*الذكاء الاصطناعي، نقلا عن الرابط www.myreaders.info/html/artificial_intelligence.html.*

8_ وآخرون ,ي .ع .(2019) .*أساسيات العملية التعليمية*، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر.

A Spatial Study of Social and Emotional Landscapes in Wuthering Heights: Ordered Garden vs. Wild Moor

Lec .Hassan Hadi Yasir
Imam Al-Kadhum College/Thi-Qar
Department of English
hassan.hadi@iku.edu.iq

Abstract

In the 1990s, the Humanities saw the emergence of a trans disciplinary phenomena known as the Spatial Turn. Geography has had an enormous influence on language and critical analysis in recent decades. Setting in narratives is considered from current geographical and environmental perspectives as a complex system that is crucial to the formation of literary works as opposed to just a background. Wuthering Heights (1847) is a great instance.

The geographic context of Emily Bronte's book effectively determines it. Even though she amassed a range of sources from models all across Yorkshire, they were put again to develop a setting that is both identifiable and peculiar, self-consistent yet redolent from actual spots. Furthermore, an important idea across the book is the interaction of displacement, arrivals, departures, and the landscape's seeming stasis. In Wuthering Heights, the moors' natural environment and its topography act as historical and remembrance markers. A reciprocal interchange between nature and culture is suggested by Brontë's weaving of poignant tales into the moorlands. In order to depict the cycles of change, family history, and passion that shaped that area, the author creates a layered landscape (Brazzelli, 2021, p.

Keywords : Boundaries. gothic elements. social order . Literary geography. Nature. Wuthering Heights.

دراسة مكانية للمناظر الطبيعية الاجتماعية والعاطفية في رواية "مرتفعات ويذرينغ": الحديقة المنظمة مقابل المستنقع البري

م. حسن هادي ياسر

كليه الامام الكاظم عليه السلام /اقسام ذي قار

قسم اللغه الانكليزيه

hassan.hadi@iku.edu.iq

الملخص

شهدت العلوم الإنسانية في تسعينيات القرن العشرين ظهور ظاهرة متعددة التخصصات عُرفت باسم "المنعطف المكاني" (the Spatial Turn). ففي العقود الأخيرة، كان للجغرافيا تأثير هائل على اللغة والتحليل النقدي. ووفقًا للمنظورات الجغرافية والبيئية الحديثة، لم يعد الإطار المكاني في الأعمال السردية مجرد خلفية، بل أصبح نظامًا معقدًا وحاسمًا في تشكيل الأعمال الأدبية. وتُعد رواية "مرتفعات ويذرنغ" (1847) خير مثال على ذلك.

يتحدد سياق رواية إميلي برونتي بشكل فعال من خلال جغرافيتها. فعلى الرغم من أن الكاتبة جمعت مصادرها من نماذج مختلفة في جميع أنحاء يوركشاير، إلا أنها أعادت تشكيلها لتكوين بيئة مكانية مميزة وفريدة، متسقة داخليًا وفي الوقت نفسه تُشير إلى أماكن حقيقية. علاوة على ذلك، تُعد التفاعلات بين النزوح، و الوصول، والمغادرة، والركود الظاهري للمناظر الطبيعية فكرة محورية في جميع أنحاء الكتاب. ففي "مرتفعات ويذرنغ"، يعمل المحيط الطبيعي للمرتفعات وطبوغرافيتها كعلامات تاريخية وللذاكرة. وتُشير برونتي من خلال نسجها قصصًا مؤثرة في بيئة المرتفعات إلى وجود تبادل متبادل بين الطبيعة والثقافة. و بهدف تصوير دورات التغيير، والتاريخ العائلي، والعاطفة التي شكلت تلك المنطقة، تخلق الكاتبة منظرًا طبيعيًا متعدد الطبقات (.Brazzelli, 2021, p).

الكلمات المفتاحية: الحدود. عناصر القوطية. النظام الاجتماعي. الجغرافيا الأدبية. الطبيعة. مرتفعات ويذرنغ.

Introduction

Emily Brontë's 1847 Gothic novel Wuthering Heights, which was set on the Yorkshire Moors, created a new community that was both obvious and human, yet painfully impenetrable. utilizing an imagery that conveys a sense of wrongness, the landscape serves as a means of sustaining the gothic concept—the dreadful, the supernatural—in the book.

In the context of the word "wuthering" on page one, Brontë creates an unknown community that is tied to the surroundings. Brontë describes wuthering as "being a major local epithet, descriptive of the atmospheric turbulence to which its station is exposed in stormy weather" (Brontë, 1847, p. 1), developing the term in the identical way as she generated the landscape. The setting in which the small community is situated defines it, and this setting reflects the turbulent, stormy story that the concept of wuthering predicts. First and foremost, the entire story is set against the backdrop of the moors, which come to represent the individuals and the storyline of the characters' surroundings on Yorkshire's moors.. (Bevin, 2018, p. v).

Because Wuthering Heights has a great deal to be explored in terms of the g othic, the characters, and the setting, I deliberately decided to work only on i t.

Analyzing only onebook allows to carefully evaluate both the psychologica l and physiological consequences ofput on the characters.Because they are is olated from the outer world, theCharacters who are

Expelled from society face mental and physical limitation of strict norms and a shifting balance of power while increasing their ties to the natural world.

The terrain serves as the novel's dramatic anchor, however even though an a nchor is a strong, unwavering image, Wuthering Heights' scenery is also the main changing force in the book.

In the book, the landscape serves as an unchanging, fixed location that conn ects the characters and places the narrative with respect to its the population, while also serving as inspiration that impacts the plot of the characters.

The landscape is incredibly essential and useful.

It resembles a main character in the book, although it is a very complicated one. that it is impossible to read as either the adversary or the protagonist.

Even if it is simple to draw biographical parallels between Emily and her ch aracters' solitary existence and fondness for the moors, I refrained from read ing the book in a biographical manner.
Rather, using a logical interpretation of how landscape works through this female gothic novel's text. (Bevin, 2018, p.i v).

Aim of the Research

The intent of the study is to examine how the Yorkshire Moors and the two contrasted homes (Wuthering Heights and Thrushcross Grange) greatly influence the themes, characters, and general Gothic ambiance of the book.

Methodology

The Literary Analysis which is used with a Focus on Geographical Theory and Environmental Criticism.

Emily Brontë's Wuthering Heights will be carefully studied as part of this study's qualitative literary analysis methodology. A thorough examination of the novel's location as an active and affecting force will be achievable to the theoretical frameworks from environmental critique and geographic theory that will drive the analysis.

Questions of the study

The main question is to know
How do the identities, mental states, and fates of the individuals of the characters in Wuthering Heights being actively were influenced by the varie d natural and architectural settings—the Yorkshire Moors, Wuthering Heights, and Thrushcross Grange?

Research Results

According to this study of Wuthering Heights, the surroundings directly develops the ideas as well as individuals rather than just acting as a background. The Yorkshire Moors show how nature reflects the features of humans like Catherine and Heathcliff by embodying their untamed unchecked impulsive behaviors. On the other hand, Thrushcross Grange represents confining societal norms, whilst Wuthering Heights represents degeneration and vengeance. The story is driven by the stark distinctions and lively interactions between these places, which capture characters in conflict and memory cycles. In the end, the setting plays a pivotal role in creating the Gothic ambiance of the book, firmly embedding an emotion of fear and inevitability into its very terrain.

Literature Review

This literature review aims to examine and distinguish the narrative styles adopted by Emily
Bronte in Wuthering Heights and Maryse Conde in Windward Heights, with references to the
concept of intertextuality by Julia Kristeva.
Intertextuality is the meaning of a text with reference to other texts. Julia Kristeva's theory of
intertextuality was in response to Saussure's theory of semiotics, and how he states that text
derives meaning through the structure it is placed in. She also developed on theory of Mikhail
Bakhtin's 'Dialogism' which stated that a word only has meaning when it enters into dialogue
with another word. Julia's theory is more evolutionary in nature and very source and reference
critical at times.
An analogy that comes to mind to understand it better is how a barrier reef is created by layers and layers of coral on top of each other; similarly our ideas, texts and
references are all pre-existing. We add onto this repository and literature and ideas progress.
We will now look at the primary sources Wuthering Heights and Windward Heights, and further
see the influences of the former, the former on the latter and how the latter went on to be a
wholesome piece that stands on its own.
We will see how it allowed dialogues of the time to progress with the styles of narration adopted that aided its successful re-telling. Wuthering Heights is a story about an upper-class English family in Yorkshire around the 18 century, when the slave trade was at its peak.
An outsider with no specific ethnic background but mostly addressed as 'dark-skinned' is introduced to this family to sort of upset the balance of powers and as the main point of conflict in the story that aids its progression. Through the means of this character, called Heathcliff, concepts like othering, social and racial differences, political themes of the time and Euro-centric perspectives on everything come through quite prominently. The narrative

adopts a style of constant stating and re-instating of positions and powers to accommodate this said outsider.
With multiple reconfigurations of this process told through the voice of two external narrators, the novella pretty much ends in the successful othering of Heathcliff as he is married, a part and member of a completely other family than what the story began with. Through these processes, Heathcliff finds himself falling in love, losing love, yearning for respect and taking revenge through the means of this lens as the 'other'. La Migration Des Coeurs (Windward Heights) by Maryse Conde is a transposition of the novella
Wuthering Heights onto a tropical Caribbean backdrop. Conde explores the story through multiple racial, historical and cultural lenses that formed the history of the Caribbean today.
in the journal article "Unheimliche Heights: The (En) Gendering of Brontë Sources" by Crystal
Downing, the structures of influences of Wuthering Heights is examined. How post-structuralist
criticism and source criticism both only affect the author in question. Intertextuality is a more
progressive form of review and criticism but even that almost alienates the author and looks at a
web of ideas, sources and progression as a world of its own. In the journal article, "Maryse Condé's "La Migration Des Coeurs", Jean Rhys' "Wide Sargasso .
Sea", and (the Possibility Of) Creolization", by Maria Cristina Fumagalli, the approaches to responding to the 'classic' English novellas by the Caribbean writers Jean Rhys and Maryse
Conde are explored. In the journal article, "Traversing the Atlantic: From Brontë's "Wuthering Heights" by Vinay Swamy, the narrative styles are broken down from their contexts and the gap between the two
texts is bridged. At the end, the conclusive and final configuration of the family lies in the successful rejection of the outsider to another family and the union of all the 'pure-bloods' within.
To conclude, the narrative styles are clearly different in the novellas 'Wuthering Heights' and
'Windward Heights' but this is also because of the ideas of the authors and what their mindsets
propagated through it either consciously or not.

Bronte's style is of a strong theme pertaining to socio-political standings of one perspective that
is in a mode of constant self-perpetuation ending to the start of the original idea.
Whereas in Conde's novella, the sense of self was always questioned from the start so the style
allows follows an open questioning and an honest search for position and belonging which she
successfully achieves because of the approach

Description of Environment

The author moved the medieval castle scenario in the Gothic tale to the deso lation of northern Elizabethan England.
By fusing crazy with reality, she was ahead of her time and took the initiativ e at the moment. Wuthering Heights by the author was quite harsh.
Some of the little areas had a Protective stones in several of them
There were some odd sculptures.
Being in an area like this, when the wind is blowing
Trees, including children, would become slender.
The three kids, Heathcliff, Catherine, and Snyder,had different personalities, but they were all anxious and agitated. Look at Thrushcross, however.
Grange is a comfortable place with lots of purple couches and dim lighting a round. house.
People would become gentler if their living conditions were mild.
Edgar and Isabella gave us a feeling. The existence of the golden mean.
They were emotionless and lacked strong feelings. (Lin & Zhu, 2017)

The Wild Moors: A Portrait of Human emotions

Wuthering Heights' surrounding moors are more than simply a landscape; they also act as a mirror for the characters' troubled emotions. Bronte masterfully builds a space of confusion and uncertainty by using nature to mirror their inner anguish. The untamed environment of the moors depicts Catherine's wild spirit and reflects Heathcliff's cruel and passionate traits. Their troubled relationship and their incapacity to attain inner calm are symbolized by the untamed landscape.
The moors also serve as the figurative border between two worlds, with Wuthering Heights standing for wildness and Thrushcross Grange for civilization. This striking contrast reveals how social conventions can squash

natural urges and emotions, causing internal discord and ultimate catastrophe. (Staff Writer, 2025)

The Moors as a Freedom Symbol

Keep in mind that entering one of these moor-bound homes will take you away from the moor-straganza taking on outside; Wuthering Heights takes the concept of the moors to a whole new figurative level.

The drama taking on in the two houses is juxtaposed with the untamed and barren moors. Even though the subject of nature toward society dominates Wuthering Heights—the house—is strongly connected to nature and cannot be neatly compared with it. (Shmoop Editorial Team, 2008)

"Wuthering" is "a major local epithet, indicative of the turbulent atmosphere to which its station is exposed in stormy weather," as Lockwood explains at the beginning of the story (1.12). In other words, pack a jacket.

However, various people have different meanings for the moors. For Lockwood, the moors are a confusing landscape that is nearly difficult to navigate alone. He is bewildered by the moors, particularly after snowfall. According to him, they are "one billowy white, ocean" (4.101), replete with deep bogs, hills, depressions, and holes. For some, the marshy areas of the moors can be fatal. Heathcliff creates a tale in Gimmerton that Nelly and Cathy "sunk in the Blackhorse marsh" and that he saved them after he imprisons them in Wuthering Heights. (28.2).

Although the moors frequently appear as harsh and dreadful, they also represent for liberation and a break from social norms. The grandeur of nature, where people may be true to their interests without judgment or limitation, provides comfort to characters like as Catherine and Heathcliff. They can completely embrace their passionate natures on the moors because they provide a sense of freedom from social limitations. (Staff Writer, 2025)

But there is a price for this freedom. Because they get caught in a vicious circle of retaliation and desolation, the characters' unchecked desires finally bring about their demise. Although nature offers a retreat from cultural norms, Bronte contends that people cannot escape the implications of their own activities. (Shmoop Editorial Team, 2008)

The Immortal Beauty of Nature: A Reminder of Death

Nature is a persistent reminder of death throughout Wuthering Heights. While human lives are short and temporary, the moors persist quiet by time. This

remarkable disparity illustrates how meaningless human life is in the larger scheme of things.

Nature provides a witness to the characters' struggles and a constant reminder that life is fleeting as they confront their mortality. This realization gives their experiences more depth and compels them to face their own death.

In brief, nature is a major the analogy of human emotions, freedom, death, and other notions in Wuthering Heights. Readers are drawn into the characters' innermost thoughts by Emily Bronte's deft use of symbolism, which additionally serves as a reminder of our own bond with nature. The way that nature infuses all facets of Wuthering Heights' narrative structure enthralls us as we read this eerie story set on a barren moorland. (Staff Writer, 2025)

Passion and Love in Wuthering Heights

Perhaps the most prominent subjected in the book is obsessive love, which is exemplified by Heathcliff's reactions for Catherine. Beyond romantic love, this passion is toxic and all-consuming. Heathcliff's affection remains even after Catherine's passing. "Be with me frequently - take whatever shape - drive me wild!" he shouts to her mentality. Just make sure you never leave me in this void where I can not locate you! This quotation highlights the extent of his obsession, indicating that he would rather suffer from Catherine's presence than to be without her. (Marcus, 2024)

One of the most significant elements of "Wuthering Heights'" representation of love is the contrast between nature and society. The untamed, wild moors frequently refer to Catherine and Heathcliff's love, signifying a passion that defies expectations from society. In her well-known assertion, "I am Heathcliff," Catherine alludes to a bond between them that goes beyond personal identification. The more refined, socially acceptable love that Edgar Linton and the world of Thrushcross Grange signify stands out with this bond with nature. (Marcus, 2024)

A reoccurring topic in the book is the destroying power of desire. In addition to causing their own pain, Catherine and Heathcliff's passionate love has an effect on everyone in their vicinity. The way they're related affects the next generation—especially Hareton and young Cathy—makes this clear. “I’ve watched Hareton grow up as stupid as a colt, with his own father disliking him!” notes narrator Nelly Dean. The cause of this carelessness is Heathcliff's passionate desire for Catherine. . (Marcus, 2024)

The work successfully expresses the idea of love that persists beyond death. Heathcliff's desire for Catherine does not go away once she died away.

Saying, "I will have her in my arms again!" he even excavates her grave. I will assume that the north wind is the reason of my shudder if she is chilly, and that slumber is the cause if she is still. The idea that their love transcends all physical limitations, including death itself, is exemplified by this gruesome deed.

The story emphasizes many types of love by portraying compared collaborations. Catherine's conventional marriage to Edgar Linton compares with Heathcliff's wild and passionate love. "My love for Linton is like the leaves in the forest: I know that time will alter it, just as winter transforms the trees," Catherine says Nelly. Heathcliff and I are like the endless rocks below. This analogy highlights the contrast between the unadulterated, unwavering emotion Elizabeth has for Heathcliff and the expectations society has of love. Throughout the book, there are multiple instances of self-destructive choices taken out of love. Catherine's decision to marry Edgar despite her love for Heathcliff leads to her emotional and physical decline. "I have no more business to marry Edgar Linton than I have to be in paradise," she regrets, adding, "and I might not have thought of it if the vile man in there had not driven Heathcliff so low." This decision, which was driven more by social ambition than genuine love, ultimately plays a part in her downfall. (Marcus, 2024)

Wuthering Heights: Depressing Sights, Heartfelt Love

Wuthering Heights Depressing Sights, Heartfelt LoveIn "Wuthering Heights," the Yorkshire moors are an important emblem of both self-reliance and isolation. The wild and passionate spirit of the characters—especially Heathcliff and Catherine—is reflected in the expansive, untamed countryside. In the absence of social conventions, instinct and pure emotion are allowed to rule the moors. This is particularly apparent in Heathcliff and Catherine's relationship, which is marked by a passionate, almost primordial bond that is reflected in the moors' uncontrolled nature. Their love represents the contradiction of desire because, like the moors, it is both beautiful and devastating. (Ward, n.d.)

But the moors also stand for loneliness. It is possible to interpret the harsh, barren terrain as a metaphor for the protagonists' emotional anguish. This loneliness is most represented by Heathcliff, who's connection with the moors serves as a reminder of his loneliness as well as a source of strength. The moors represent the dichotomy of freedom and confinement that runs throughout the book and operate as a tangible representation of the protagonists' internal conflict. Heathcliff's emotional state, as he struggles

with his unmet goals and the anguish of loss, is reflected in the moors' seclusion. (Ward, n.d.)

Class and Society idea in Wuthering Heights

The two families in Wuthering Heights adhered to the strict rules of class w hile living in an isolated locale.

Both the Earnshaws and the Lintons belong to the middle class, which falls between the working class and the upper class.

However, Catherine's marriage to Edgar Linton continues to make her the "b iggest lady in the neighborhood" (9.59), and she informs Nelly,

Did it never occur to you that Heathcliff and I ought to be beggars if we got married?

In contrast, I can help Heathcliff ascend and remove him from my brother's authority if I wed Linton. (9.99)

Heathcliff is at the bottom of the social order since he is an orphan with no r elatives and no land.

Hindley's refusal to offer Heathcliff an education indicates that he is attempt ing to force him into being a servant.

Therefore, it seems obvious that the class refers to in the book are closely rel ated to Heathcliff's desire for vengeance. (Shmoop Editorial Team, 2008)

Catherine and Linton's Temporal Love

With its dark and mysterious depictions of the landscape, characters, and associations, Emily Brönte's novel Wuthering Heights delves into the supernatural in relation to Catherine and Heathcliff's unending love. This research is controversial because it explores human cruelty and takes on the conventional class system of the time by creating toxic love relationships that surpass physical life and tear down barriers between classes. In this work, human experiences such as childhood, nature, sorrow, and death are combined with a supernatural element. This essay will examine the ways in which Zoomorphism and other literary techniques are used to show Heathcliff's non-human status.By examining the juxtaposed descriptions Brönte used to depict the scene, other elements such as the descriptions of the moors and the two distinct houses, Thrushcross Grange and Wuthering Heights, will be examined. Gothic themes, as well as the theme of mythological allusions like the narrative of Tristan and Isolde and holy references like the Garden of Eden, will be studied in order to examine the eternal love between Catherine and Heathcliff. All of these will provide an

improved understanding of Wuthering Heights' portrayal of the supernatural. (Beer, 1996; Oates, 1983).

Outlining Brönte's non-human descriptions of Heathcliff is essential for understanding how the character introduces signs of the supernatural. Brönte's use of zoomorphism and metaphors in the titles given to Heathcliff's character is the primary means of portraying the supernatural. For instance, Brönte [Page 141] portrays Heathcliff as a "unreclaimed monster, without refinement, without culture; an arid desert of furze and whin stone." The use of zoomorphism and the recurrence of the negative "without" put him in a negative light and portray him as something that is unusual, even though this description is true in terms of his wildness. Interestingly, he is essentially characterized by the wild, unreclaimed, and unrefined aspects of human nature. He is thought to be different, though, because he is seen as lacking class. Through the juxtaposition of adjectives, the metaphor "He is not a rough diamond - a pearl keeping oyster of a rustic; he is a savage, pitiless, wolfish man" (Brönte [Page 141]) demonstrates his depravity and callousness. Because he is made to feel like "the other," all of these metaphors evoke empathy in the reader. His wolfish and feral personality relates to nature and something outstanding that goes beyond what society expects.

thought to lack class, which is supposedly what sets him apart. Through a combination of adjectives, the metaphor "He is not a rough diamond - a pearl holding oyster of a rustic; he is a savage, pitiless, wolfish man" (Brönte [Page 141]) shows his depravity and indifference. Because he is made to feel like "the other," all of these metaphors evoke empathy in the reader. His untamed and wolfish demeanor relates to nature and something amazing that goes beyond what society expected.Heathcliff is sensitive to love, which has made him into an inhuman being."He remained a harsh, indifferent deportment, indicative of neither joy nor sorrow" (Brönte [Page 222]) following Catherine's passing. The oxymoron that contrasts the human sentiments of joy and grief emphasizes how Healthcliff must be something abnormal because he is unable to undergo this wide variety of emotions. The question of whether he is "a man?" is posed. Is she angry, if so? Is he a devil, if not? [Page 173] Brönte. His inhumanity and lack of knowledge are further demonstrated by the questioning and metaphorical usage, yet Catherine's strong love for him is a direct result of his nature.The moors are portrayed by Brönte as untamed and remote. Here, Catherine and Heathcliff spend the most of their time together, representing their wildness and recklessness, which only fully blossoms to the extent that physical life permits. Wuthering

Heights' wild and rustic components, as well as its small windows, give it a more otherworldly feel. It adds a gothic touch and

According to the tale, human love both elevates and ruins Catherine and Heathcliff. They reunite in death, demonstrating that love is not limited to the natural world (Williams, 2002)The story of Catherine and Heathcliff is history, and due to their passion, which outlasts death's natural extinction, it is passed down through the book and generations. As stated by critics, their sexual attraction has no bearing on their affinity and is rarely discussed in literature, which prevents readers from envisioning that Catherine and Heathcliff are physically related but instead conjures up an intense emotional connection (Williams, 2002)

This allows the reader to participate in both the supernatural aspect of Heathcliff's love for Catherine and their intricacy. In addition to closing Catherine and Heathcliff's physical bodies, which have been transformed into ghosts—possibly their real states—the final visit to the tomb by Lockwood, the main narrator, is another reference to the Tristan tale (Brontë, 1847/2003).. Heathcliff and Catherine are joined in death; they remain obscure to us, and we are left with the knowledge that we will never completely understand their stories and can only speculate about their spirit of oneness and intense love for one another.A holistic view of the use of the supernatural is developed via an examination of character, setting, and the topic of transcending love. The reader is truly moved by the poetic quality of the two lovers' screams, which also helps them comprehend their nuanced and otherworldly love for one another. The setting's gothic elements, along with the wilderness and uncertainty they impose, give Catherine and Heathcliff a certain non-physical bond that endures beyond their physical lives and leaves behind harmonic parts that both haunt and captivate future generations. Their passing not only has an impact on the fictional outside characters, but it also gives the reader pause to consider what and who they cherish and what they consider to be love. (Williams, 2002).

The symbolic meaning of theTwo Houses in Wuthering Heights

Thrushcross Grange and Wuthering Heights are two houses in Wuthering Heights that each symbolize a distinct facet of dictatorial patriarchy. Given how Hindley treats his family, the run-down, old Wuthering Heights serves as a metaphor for the negative impact of alcohol on family ties. A more subtle kind of despotism, which hides its actual nature beneath splendor is illustrated

by the more contemporary and graceful Thrushcross Grange. (eNotes Editorial, n.d.)
The Earnshaws' rough sixteenth-century farm, Wuthering Heights, and the Lintons' more elegant and modern living, Thrushcross Grange, are the two residences in Wuthering Heights. Different facets of an oppressive patriarchy that distorts relationships are represented by each living.

In the Earnshaw family, the distortions and abuses of patriarchy are stronger. There, the family is harmed by Hindley, the alcoholic who runs the household and makes life miserable for everyone. Despite being a servant, Joseph also assumes the role as the arbitrator of God's will, making the young Cathy and Heathcliff put up with his lengthy lectures and his incessant threats that they will burn in hell. His attempt to frighten and dominate them is based on a vindictive, patriarchal idea of God.
It can be harder to see the patriarchal rule in the Linton household. With white plaster walls, crystal chandeliers, and red velvet furnishings, the domicile is much more elegant and lovely. No one has a severe drinking issue. But as Catherine discovers when Linton throws Heathcliff out of the home, the kind Linton is not afraid to abuse his patriarchal authority to get what he wants, regardless of how much it pains her.
Furthermore, Isabella's the idealization of the violent Heathcliff into a Byronic hero is another example of how a warped patriarchy has spread to the home. He flees with her by using her fantasies of romance, love, and a powerful man wooing her. Only once she is married will she be able to Isabella discovers too late that his terrible hate and cruelty toward her, whic h she is powerless to stop, mirrors the harsh love language he employed and the hanging of her dog.
Human relationships are destroyed by patriarchal societal relationships, whi ch are symbolized by both houses.
Catherine and Heathcliff can only be happy in the freedom of the moors. eNotes Editorial, n.d.)

The sanctuary of the Nature

To make a point, Bronte sets the various social classes versus one another. She has expressed her opinions about culture and nature as the foundations of the world using the same method.
She gives the reader the sense of liberation that comes with taking a long wa lk across what the heather contains.
The start to Wuthering Heights states that Bronte's life as the

She received a dismal existence as the daughter of a curate, being raised by
Her devoted depictions of nature may be a result of her strict aunt. There is
There is a dispute between the two families (Basirizadeh et al. (2020).
The Earnshaws are a representation of nature and the
Lintons stand for civilization and culture.
Nature is characterized in this passage as being harsh and dangerous.
When the snow stops him in the opening chapter, Lockwood realizes this.
from going to his landlord and then coming home.
However, Wuthering Heights residents are
really flimsy and brief with him; they do not want him to go because of the
untamed moor. as well as the dangers of going through it at night.
It looks like nature. "Definitely a
lovely nation that is largely unaffected by society. (Bronte 19) .
Emily Bronte holds a deep affection for the moors, which she characterizes
as hazardous. However, she portrays them with affection at the same time.
It is there that Catherine and
Heathcliff discovers freedom in an area with continual wind.
When Catherine has her
In her worst moments, she misses her own room and her former home on th
e moors, where she
might inhale the wind blowing from the barren, open areas:
"Oh, if only I were in the old house, in my own bed!"
She continued resentfully, wringing her
"And the sound of that wind in the firs by the lattice," hands said.
Let me sense it, please! -it arrives directly
Let me take a breath down the moor! (Bronte 115).

How Social Class Is Precarious:

The Earnshaws and the Lintons hold a somewhat precarious position in the
British social order of the late eighteenth and early nineteenth centuries as m
embers of the gentry.
The monarchy was the ruling class of British society, followed by the aristo
cracy, gentry, and lower classes, which encompassed the enormous
the vast majority of people.
Although having servants frequently sizable estates, the gentry, or upper mi
ddle class, Despite this, their social standing was uncertain.
Aristocrats' social standing was a formal and determined issue,
due to the truth that aristocracy held official titles.
However, because gentry members lacked titles, their standing was

subject to modification.
To his shame, a guy may consider himself a gentleman but discover that his neighbors did not hold this opinion. Such inquiries would be taken into consideration in a debate on whether a man was truly a gentleman.
such as his land holdings, the number of tenants and staff he employed, his speech patterns, whether he maintained horses, and a
carriage, and if his wealth was derived from "trade" or land—
gentlemen disapproved of banking and commercial activities.
In Wuthering Heights, the motivations of the characters are frequently significantly influenced by their socioeconomic standing.
In order to become "the greatest woman in the neighborhood," Catherine chose to wed Edgar, but this is just the The most apparent instance.
While being passionate about their gentry rank, the Lintons go to a great extent to convey their rank by their actions.
Conversely, the Earnshaws are based on somewhat greater volatility
socially.
As Lockwood notes with obvious perplexity, they have less land, no carriage, and their house,
looks a bit like that of a "homely, northern farmer" than a nobleman.
A changing character of social standing is
most dramatically illustrated by Heathcliff's journey from homeless vagrant to young man-by-adoption to
common worker to gentleman once more (albeit Lockwood, who is status sensitive, says that Heathcliff is only a gentleman in "etiquette and attire." (SparkNotes Editorial, n.d.)

The Role of Nature in Love

Wuthering Heights by Emily Brontë powerfully merges the feral Yorkshire moors with Catherine and Heathcliff's passionate, occasionally destructive love. In the book, the natural world offers both an environment and an active force that mirrors the protagonists' emotional state. In stark contrast to Thrushcross Grange's refined restraint, the moors represent freedom, passion, and the wild sides of human nature.

According to Terry Eagleton, Wuthering Heights' moors "are evocative of the primitive, untamed feelings that drive the characters, especially Heathcliff and Catherine, whose love is as elemental and explosive as the landscape itself" (Eagleton, 2005, p. 45). " Their identities and emotional experiences are impacted by their natural surroundings, which supports the novel's

fundamental premise that humanity and the natural world are intricately interwoven.

The manner in which that love is expressed in "Wuthering Heights" heavily relies on nature. Heathcliff and Catherine's intense and turbulent love can be seen in the untamed, wild Yorkshire moors. Because it reflects the characters' emotional moods and the depth of their interactions, the location takes on the role of a character unto itself. The untamed beauty and erratic weather of the moors represent the pure and unpolished character of Heathcliff and Catherine's love.

Brontë often employs natural images to portray the range of emotions her characters go through. For example, the stormy weather that occurs during crucial plot points represents the disorder and upheaval of Heathcliff and Catherine's relationship. This relationship between nature and love implies that the two are inseparable, with the setting acting as a stage for the characters' growth in emotions. The moors reinforce the idea that love is as erratic and fierce as the natural world by reflecting the protagonists' inner turmoil and serving as a reminder of the intensity of their affections. (Defant, 2017)

conclusion

Readers encounter two sides of existence in Wuthering Heights.

It is acceptable to say that the story is a fundamental conflict between the re alms of darkness and light,

good and evil. light.

These divergent components lie under the category of chaos. and calm.

Furthermore, it can be suggested that both of those elements are not

in conflict, but serves as a counterbalance to create the cosmic order of

the cosmos. Emily Bronte's writings are the result of really challenging situations and a tough lifestyle.

It suggests the sentiments of

Hatred and cruelty are not limited to adults; they can exist in children.

themselves. Emily wrote Wuthering Heights, her only book.

Bronte demonstrates that humans are a unique species that is distinct from al l the other animals. The primary distinction is the intensity of the emotions.

of hate and brutality in all people. The arrival of the unidentified, dark-faced child to the adults' lives and futures as as well as the kids.

The novelist demonstrates via him that the

Hatred might be concealed beneath a person's gentle façade.

creatures, and these emotions might make him a beast that displays only brutality and hatred. This type of implied toughness It can be observed in the scheme when contrasted with the first generation. Heathcliff plans to exact revenge on the second generation. (Qais Jassim & Khalil Ibrahim, n.d.)

References

- Barr, J. (2013). "Good Lord... He looked to her like a Soukougnan": The warring aspects of Vodou and Christianity in Maryse Condé's Windward Heights. *Journal of Caribbean Literatures, 7*(2), 117–135. http://www.jstor.org/stable/43672614
- Basirizadeh, F. S., Soqandi, M., Raoufzadeh, N., Zarei, N., & Adisaputera, A. (2020). A study of Wuthering Heights from the perspective of eco-criticism. *Budapest International Research and Critics Institute (BIRCI)–Linguistics and Education Journal, 3*(4), 1623–1633. https://doi.org/10.33258/birle.v3i4.1297
- Beer, G. (1996). Myth and the making of modernity: The problem of grounding in Wuthering Heights. In *Romanticism and the modernity of myth* (pp. 102–123). Routledge.
- Bevin, E. G. (2018). “Harmonized by the earth”: Land, landscape, and place in Emily Brontë’s Wuthering Heights [Master’s thesis, Wake Forest University Graduate School of Arts and Sciences]. *ProQuest Dissertations Publishing*.
- Brazzelli, N. (2021). Trespassing boundaries in Wuthering Heights: Geographical and environmental perspectives. *Annali di Ca’ Foscari. Serie occidentale, 55*, 229–248.
- Brontë, E. (1847). *Wuthering Heights*. Thomas Cautley Newby.
- Brontë, E. (2003). *Wuthering Heights* (D. Da Sousa Correa, Ed.). Penguin Books. (Original work published 1847)
- Brontë, E. (2010). *Wuthering Heights*. China Press Group.
- Debjani, D. (2016). Kiln of cross-cultural desire: How Maryse Condé's Windward Heights draws, and differs, from Emily Brontë's Wuthering Heights. *An International Journal of Humanities and Social Sciences, 3*(4).
- Defant, I. (2017). Inhabiting nature in Emily Brontë’s Wuthering Heights. *Brontë Studies, 42*(1), 37–47. https://doi.org/10.1080/14748932.2017.1242635

- Downing, C. (1998). Unheimliche Heights: The (En)gendering of Brontë sources. *Texas Studies in Literature and Language, 40*(3), 347–369. http://www.jstor.org/stable/40755267

- Eagleton, T. (2005). *Myths of power: A Marxist study of the Brontës*. Palgrave Macmillan.
- eNotes Editorial. (n.d.). What do the two houses in Wuthering Heights represent? *eNotes.com*. Retrieved July 14, 2025, from https://www.enotes.com/topics/wuthering-heights/questions/what-do-the-two-houses-in-wuthering-heights-2432978
- Fumagalli, M. C. (2005). Maryse Condé's La Migration des Cœurs, Jean Rhys' Wide Sargasso Sea, and (the possibility of) Creolization. *Journal of Caribbean Literatures, 4*(1), 195–213. http://www.jstor.org/stable/40986182
- Gilbert, S. M., & Gubar, S. (2000). *The madwoman in the attic: The woman writer and the nineteenth-century literary imagination*. Yale University Press.
- Lin, J., & Zhu, X. (2017). An analysis of Wuthering Heights from the Gothic traditional perspective. In *Proceedings of the 3rd International Conference on Humanities and Social Science Research (ICHSSR 2017)* (pp. 5–21). Atlantis Press. https://doi.org/10.2991/ichssr-17.2017.15
- Marcus, M. (2024, August 25). Wuthering Heights analysis. https://x.com/inmoood/status/1541920441295585285?lang=en
- Milbank, A. (1992). *Daughters of the house: Modes of the Gothic in Victorian fiction*. Macmillan.
- Oates, J. C. (1983). The magnanimity of Wuthering Heights. In H. Bloom (Ed.), *Critical essays on Emily Brontë* (pp. 144–158). G. K. Hall.
- Qais Jassim, R., & Khalil Ibrahim, H. (n.d.). *Wuthering Heights: A research* [Unpublished undergraduate thesis]. University of Diyala, College of Education for Human Sciences.
- Shmoop Editorial Team. (2008, November 11). Nature, weather, and the moors in Wuthering Heights. *Shmoop*. Retrieved July 13, 2025, from https://www.shmoop.com/study-guides/wuthering-heights/nature-weather-moors-symbol.html
- SparkNotes Editorial. (n.d.). Wuthering Heights themes: The precariousness of social class. In *SparkNotes: Wuthering Heights*.

Retrieved July 15, 2025, from https://www.sparknotes.com/lit/wuthering/themes/

- Staff Writer. (2025, May 21). The role of nature in Wuthering Heights: A study in symbolism. *Ask.com*. https://www.ask.com/entertainment/role-nature-wuthering-heights-study-symbolism
- Swamy, V. (2006). Traversing the Atlantic: From Brontë's Wuthering Heights to Condé's La Migration des Cœurs. *Journal of Caribbean Literatures, 4*(2), 61–74. http://www.jstor.org/stable/40986192
- Ward, A. (n.d.). Essay on symbolism in Wuthering Heights. *EssayGenius.ai*. https://essaygenius.ai/essay/essay-on-symbolism-in-wuthering-heights
- Williams, A. (2002). *Art of darkness: A poetics of Gothic*. University of Chicago Press.
- Wolff, R., & Condé, M. (1999). Maryse Condé. *BOMB, (68)*, 74–80. http://www.jstor.org/stable/40426191

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

Discursive practices in the digital era "a sociolinguistic perspective on human-machine interaction"

Mebarki Noura
Doctoral Researcher in Sociolinguistics and Discourse Analysis
noura.mebarki@univ-alger2.dz

Abstract:

Our world has taken into account a digital dimension, relying on interdisciplinary approaches that no longer limit themselves to the analysis of traditional texts. To preserve scientific and critical rigor, we must understand how discourse analysis can study these digital discourses between humans and machines generated by algorithms? We rely on theoretical approaches with the aim of establishing new forms of discursive studies. Accordingly, to observe how multimodality and the speed of HM interaction influence meaning-making and shape thought. Discourse analysis must adopt a qualitative methodology, adequately suited to identify enunciative strategies and speech acts, analyze ideologies and identities constructed online, and elucidate the communicative relationship between humans and machines. The research is grounded in a digital sociolinguistic approach. Its corpus consists of content such as comments, stories, posts, and discussions on platforms like Messenger, Facebook, TikTok, and Instagram, and will be manually analyzed. In conclusion, this research aims to clarify the nature of new interactions and enunciative transformations, such as conversational modes, and the influence of AI on the evolution of human digital language norms.
Keywords: Discourse Analysis – Digital Discourse – Social Media – Digital Communication – Online Interaction – Human-Machine – Digital Sociolinguistics – Digital World.

**Actes de la conférence scientifique internationale,
du 1er au 3 juin 2025, sous le slogan « Vers une renaissance scientifique solide »**

L'analyse de discours à l'ère numérique « l'interaction home-machine »

Mebarki Noura
Doctorante en sociolinguistique et analyse du discours
noura.mebarki@univ-alger2.dz

Résumé

Notre monde a pris en compte une dimension numérique se base sur des approches interdisciplinaires et ne se limite plus à l'analyse des textes classiques. L'analyse de discours s'est vu obligé d'évoluer pour faire correspondre à l'état actuel du progrès ; A fin de conserver la rigueur scientifique et critique, nous devons savoir comment l'analyse de discours peut étudier ces discours numériques entre homme et machine générés par les algorithmes ? Nous nous basons sur des approches théoriques en vue de démonter ces discours numériques. Donc, il est censé d'observer comment la multimodalité et la rapidité de l'interaction homme-machine influencent la construction du sens et persuadent les pensés et d'étudier les stratégies énonciatives numériques. Nous adoptons une analyse qualitative afin de repérer les stratégies énonciatives et les actes de langages, d'analyser les idéologies et les identités construites en ligne, et d'élucider la relation communicationnelle homme-machine. Pour interroger ces pratiques langagières, nous nous appuyions sur l'approche sociolinguistique numérique. Le corpus est constitué de (commentaires, stories, publications, discussions, sur Messenger, Facebook, Tiktok et Instagram). En conclusion, cette recherche permet d'aboutir à une clarification des nouvelles interactions et transformations énonciatives « les modes conversationnels, les tensions des différentes expressions et l'influence de AI sur l'évolution des normes langagières numériques ».

Mots clés : - Analyse de discours –Discours numérique –Réseaux sociaux – Communication digitale – Interaction en ligne – Homme machine – Sociolinguistique numérique- Le monde numérique

Introduction:

Le monde d'aujourd'hui s'est vu confronté à des mutations technologiques remarquables, en particulier au niveau de l'analyse du discours. Il se constate que, les formes, les modes et les stratégies de la production et de l'interprétation du discours se sont transformés par le numérique, tel que : (les réseaux sociaux, les plateformes et les outils d'intelligence artificielle), la société actuelle a interagit avec des plateformes numériques et elle a navigué sur les réseaux sociaux avec ; « des podcasts, des vidéos, des émojis, etc.» D'où la nécessité de la reconfiguration discursive correspondante à l'ère numérique, en s'appuyant sur des apports théoriques de l'analyse qualitative. Cette évolution rapide des technologies numériques a modifié les conditions de l'analyse discursive avec une acuité particulière. Il est impératif de recourir à un protocole d'analyse d'un haut degré pour comprendre l'interaction homme-machine. Les réseaux sociaux (Facebook, Instagram, TikTok, etc.) ont permis le croisement de la vie privée et publique, et ils ont mené à une communication plus complexe. Dans ce contexte, nous devons savoir comment l'analyse de discours peut étudier ces discours modernes et numériques entre homme et machine générés par les algorithmes ? Cela amène à supposer que :

-la manière dont les humains s'adressent aux machines reflète une perception anthropomorphique.

-l'analyse de discours permet de montrer que l'interaction homme-machine est stéréotypée et caractérisée par une relation non réciproque face à la complexité du langage naturel.

- les interfaces numériques possèdent des compétences cognitives comparables à celles de l'humain au niveau de la production et de l'interprétation langagières.

- L'interaction homme-machine permet de créer un langage spécifique et codifié.

Ce travail vise à décrypter les mécanismes de l'interaction homme-machine, à étudier comment les outils numériques interprètent les actes langagiers naturels en réduisant les malentendus, et à analyser les contenus

mentaux des interfaces qui se substituent à l'humain (l'intention, les émotions, etc.).

a) L'analyse discursive :

L'analyse de discours est un domaine vaste qui s'intéresse à l'étude de la production du sens. « On appelle analyse de discours la partie de la linguistique qui détermine les règles commandant la production des suites de phrases structurées. L'analyse de discours, ou analyse d'énoncé, trouve son origine dans la distinction faite par F. de Saussure entre la langue* et la parole*, bien que le linguiste genevois ait pensé que cette dernière, soumise au hasard et à la décision individuelle, ne relevait pas d'une étude rigoureuse. » (Jean Dubois- Mathée Giacomo-Louis Guespin-Christiane Marcellesi-Jean Baptiste Marcellesi-Jean Pierre Mével, 2002, p. 34). La méthode de l'analyse discursive ne se restreint pas au texte « oral ou écrit » ; néanmoins, elle s'étend au-delà, prenant en compte tout critère pouvant influer sur cette production. Ainsi, le discours est susceptible d'être maîtrisé et façonné par un contexte qui désigne toute circonstance entourant le discours tel que, le cadre spatiotemporel, le locuteur, l'interlocuteur, l'intention du locuteur, l'identité, la culture et les connaissances communes.

b) L'interaction Homme-machine (IHM) :

Elle est définie comme toute interaction conversationnelle entre homme et système informatique déterminée par l'intelligence artificielle. L'homme se trouve face à un espace digital composé de machines avec lesquelles il doit interagir et communiquer pour pourvoir à ses besoins intellectuels et fonctionnels.

c) Le monde numérique :

Le monde numérique désigne le monde contemporain qui s'appuie sur la technologie de l'informatique et de la communication. Il est associé à un dispositif numérique qui se compose d'un nombre indéfini de plateformes et de sites internet dans un environnement virtuel. Ce monde est régi par :

- Les réseaux sociaux : ils se constituent des outils numériques formant une communauté virtuelle, notamment Facebook, TikTok, Instagram

qui offrent la possibilité de créer un compte personnel, et de se manifester et d'interagir en ligne d'une façon rapide, fluide, sécurisée, active et influente.

- Le discours numérique : « Nous jugeons préférable de spécifier l'analyse du discours comme la discipline qui, au lieu de procéder à une analyse linguistique du texte en lui-même ou à une analyse sociologique ou psychologique de son « contexte », vise à articuler son énonciation sur un certain lieu social. Elle a ainsi affaire aux genres de discours à l'œuvre dans les secteurs de l'espace social (un café, une école, une boutique ...}, ou dans les champs discursifs (politique, scientifique ...). [~ Contrat, Genre de discours, Typologie des discours.] » (Maingueneau, 1996, p. 11) . Le discours numérique renvoie au discours diffusé via les dispositifs numériques, il se concrétise à travers l'hybridité (image, vidéo, etc.), les interactions (commentaires, publications, j'aime, etc.) et les autres variétés des modes communicatifs (emojis, stories, hashtags, réels, etc.).
- La sociolinguistique numérique : c'est une nouvelle branche de la sociolinguistique qui étudie la production de la langue au sein de la société numérique et virtuelle. Elle analyse les pratiques langagières et l'interprétation de la coexistence des différentes langues à travers les supports numériques. « L'analyse du discours numérique consiste en la description et l'analyse du fonctionnement des productions langagières natives d'internet » (PAVEAU, 2017, p. 27) Donc, cette branche s'intéresse au traitement du discours numérique.
- La communication digitale : le fait de communiquer est une action relative à l'humain. La communication numérique désigne les échanges communicatifs entre homme et machine se passant au niveau des outils numériques (les interfaces) représentés par : (discussions, messages, podcasts, vidéos en direct, etc.).

3. Méthodologie :

Cette recherche a adopté une méthode qualitative en vue de comprendre en profondeur les comportements et les perceptions. En basant sur ces données recueillies : (mots, discours, images, observations, commentaires, stories, publications, discussions, etc.). Ils sont analysés discursivement par une approche sociolinguistique. L'analyse discursive en contexte numérique

nécessite l'adaptation des outils classiques : (observation participante, analyse de contenu, modalités énonciatives, structures argumentatives, etc.). On a analysé un corpus issu de Messenger, Facebook, TikTok et Instagram. Afin d'illustrer les mutations et montrer comment les utilisateurs construisent leurs idéologies et intentions par la mobilisation des ressources langagières et visuelles numériques mettant en scène la dimension dialogique et polémique des échanges numériques. Ce corpus est représenté par **:**

• Captures d'écrans des interactions utilisateurs avec l'interface.



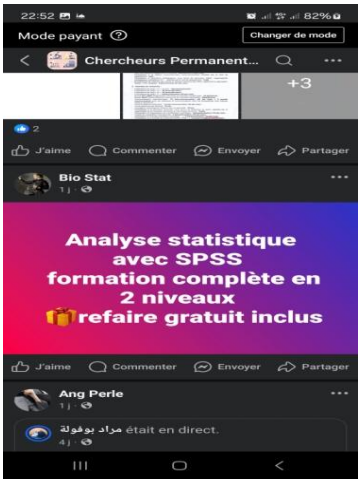

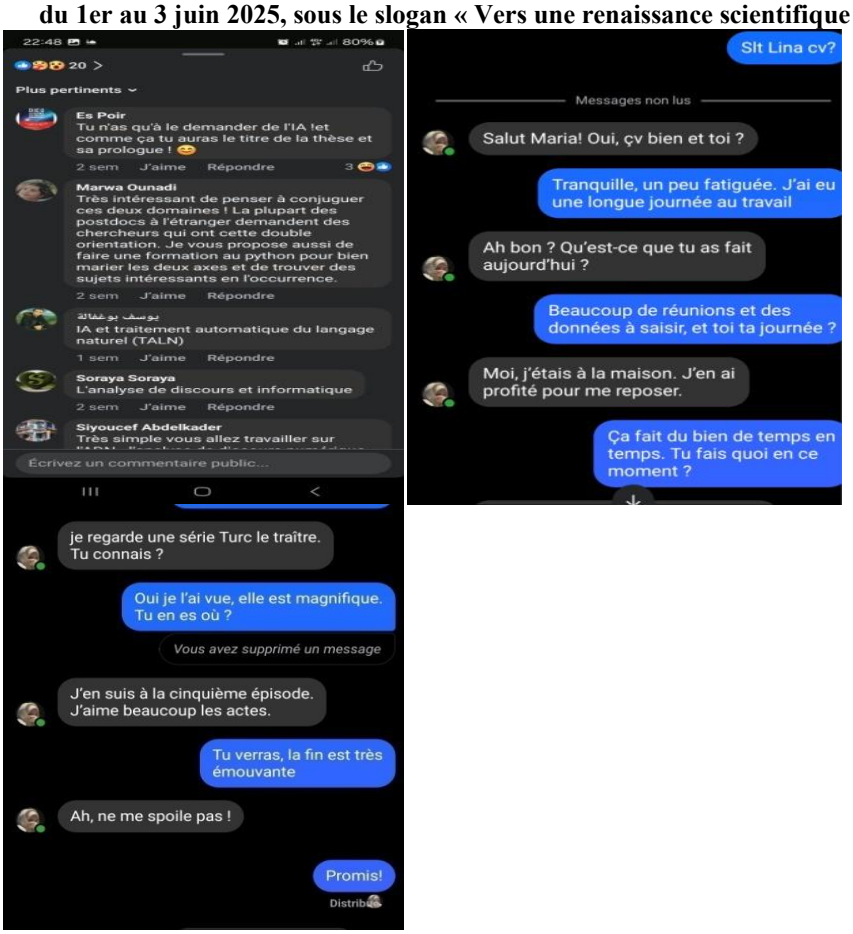

Grevisse dit que :

« Il y a des néologismes involontaires ou inconscients. Les uns sont dus au bilinguisme ; un locuteur fait passer un mot ou un sens de l'une à l'autre des langues qui lui sont familières. D'autres s'expliquent par la tendance à la régularité, à la simplicité » (Maurice Grevisse et André Goosse, 2016, p. 153). Cette néographie employée est spécifique aux internautes et elle représente leurs idéologies et leurs caractères.

• Transcriptions des sessions d'utilisation (observation directe). Une jeune fille interagit avec TikTok, sur son appareil, pendant 26 minutes :

- (22:35) Elle ouvre l'application TikTok, elle fait glisser son doigt vers le haut.

- (22:38) Elle s'arrête sur une vidéo (podcast), souriante : « très intéressant ça ».

- (22:45) Elle s'appuie sur le bouton « like ».

- (22:53) Elle lit quelques commentaires, puis elle revient à la vidéo.

- (23:00) Elle fait défiler à nouveau, elle passe 4 vidéos en moins de 5 secondes.

- (23:01) Elle s'arrête sur une vidéo humoristique, riante : « trop drôle ».

• Verbatim d'entretiens avec un utilisateur après l'utilisation de l'interface.

- « Bonjour, pouvez-vous me parler de votre expérience avec l'interface ? »

- « Bonjour, bien sur le menu de cet appareil est trop compliqué. Je m'attendais à trouver les données mobiles dans l'onglet du haut, mais ils sont cachés dans un sous-menu. Ce n'est pas intuitif. »

• Enregistrement de conversations avec des interfaces vocales (assistants vocaux).

- discussion entre une étudiante et une assistante vocale.m4a

• Journal de navigation (logs) pour analyser les comportements de navigation.

Heure	Ecran / page	Action de l'utilisateur	Comportement système	Commentaires utilisateur
13 :00	Page d'accueil	Cliquer sur créer un compte	Redirection vers la page d'inscription	Je ne sais pas où cliquer
13 :02	Page d'inscription	Saisir les informations personnelles	Affiche un message d'erreur	Je ne suis pas sur que mon adresse email soit bonne
13 :03	L'utilisation d'une adresse email	Saisir un email	Formulaire d'initialisation s'affiche	Le lien aurait pu être plus visible

13 :05	Nom d'utilisateur et mot de passe	Saisir un nom et un mot de passe convenables	Redirection vers nouvelle page de confirmation	C'est confirmé Il a été rapide c'est bien

Analyse et Résultats :

La nature humaine tend spontanément à privilégier le confort, la facilité et la rapidité dans l'exécution des tâches. Étant donné que le discours à l'ère numérique se caractérise par plusieurs traits spécifiques :

- L'hybridité des genres, la brièveté, la multimodalité (texte, image, son).
- L'interactivité et la circulation rapide.
- Interagir par des hachtags et des stories aide à construire un discours très influent

- Une prise en main intuitive de l'interface (toucher, voix, gestes ; partage, j'aime, etc.).
- Apprentissage important afin d'utiliser un outil.
- une expérience fluide et satisfaisante montre une implication émotionnelle.
- Réduction des frustrations et des erreurs.
- Un système efficace et efficient.
- Des interfaces compréhensibles et accessibles.
- Minimisation des efforts cognitifs et physiques.
- Tenir compte de l'environnement, des appareils utilisés (bruit, éclairage…).
- Des comportements humains (ex. : assistants vocaux, chatbots)
- Interprété par une intelligence artificielle et structuré selon des règles systémiques
- L'emploi d'un langage numérique, novateur, synthétique et crypté.

Ex : « bonne nuit ⟶ Bn8 – bien ⟶ b1 – ça va ⟶ cv – coucou ⟶ cc, etc. ».

Mais, cela n'exclut pas l'existence de certaines lacunes :

- Interfaces parfois trop compliquées à comprendre ou à utiliser.
- Trop de fonctionnalités peuvent perturber l'utilisateur.

- Une interface mal conçue peut entraîner des erreurs fréquentes.
- L'utilisateur devient dépendant des outils numériques.
- En cas de panne, il peut être bloqué ou perdre des données.
- Collecte de données personnelles pouvant poser des risques.

Alors, contrairement au langage parlé ou écrit utilisé entre humains (ex. : Français, arabe, anglais, etc.) qui est caractérisé par : (la richesse, la complexité, la nuance, l'ambiguïté fréquente (sous-entendus), la gestualité, le ton, la reformulation, la rupture et le contexte social). Exemple : « Tu peux fermer la fenêtre, s'il te plaît ? ». Le langage utilisé pour interagir avec une machine (les interfaces) est plus rapide, simple et en adéquation avec les besoins et les aspirations générationnelles. Exemple : convertis cette image au style Ghibli (commande vocale). « L'analyse du discours numérique s'appuie sur une conception symétrique de la linguistique, qui souhaite discuter les conceptions logocentrées de la linguistique » (PAVEAU, 2017, p. 27). «Les réseaux sociaux favorisent l'utilisation d'abréviations, d'acronymes et de constructions syntaxiques plus courtes. La communication devient plus concise, plus rapide, et les utilisateurs cherchent à transmettre des informations dans un format réduit». (Naouel, 2025, p. 313) Ces formes discursives impliquent la reconfiguration des stratégies discursives de l'analyse du discours classique, notamment les notions d'énonciateur, de destinataire et de contexte.

5. Discussion :

L'interaction homme-machine se caractérise par le fait qu'elle est interdisciplinaire. Elle rassemble l'informatique, la psychologie, le design, la linguistique et la sociologie. Donc ce contact ne peut pas être une simple interface graphique, il s'étend au-delà. Cette interaction crée un espace de dialogue entre l'humain et la machine, qu'il se distingue par un idiome virtuel et une langue émergente, innovante, symbolique et condensée. En effet, l'humanisation de la technologie (des machines adaptées aux capacités humaines) joue un rôle central dans le succès des affaires numériques, en influençant la satisfaction utilisateur. Elle permet à tout le monde tant des non-spécialistes, d'utiliser des outils complexes de façon simple. Mais, ce qui semble simple peut masquer des choix techniques ou idéologiques importants. « La multimodalité, loin de se limiter à un ornement graphique, constitue une composante essentielle de la communication numérique contemporaine ». (DRIDI, 2024, p. 428). Certaines IHM collectent des données utilisateur, parfois à l'insu de la personne, ce qui soulève des

questions éthiques. Elle devient donc un outil de contrainte qui peut améliorer la vie, mais aussi orienter les choix de l'utilisateur. Ce qui le rend crucial, c'est de la concevoir avec responsabilité et éthique.

6. Conclusion :

Cette recherche amène à conclure que les discours accompagnent, reflètent et transforment les pratiques sociales. Ainsi que le discours numérique impose à l'analyse du discours de repenser ses principes fondamentaux tout en évoluant des outils adaptés à la complexité et à la fluidité des nouvelles formes discursives. Cette mutation épistémologique ouvre la voie à une révision méthodologique et à une restructuration conceptuelle s'appuie sur l'analyse approfondie et l'actualisation pertinente, conformes aux exigences de l'ère numérique, tant dans ses méthodes que dans ses approches.

7. Référence bibliographique

- DRIDI, M. (2024). Dynamiques du multilinguisme numérique chez les étudiants algériens . *Contextes Didactiques, Linguistiques et Culturels , 2* (3), 428.
- Jean Dubois- Mathée Giacomo-Louis Guespin-Christiane Marcellesi-Jean Baptiste Marcellesi-Jean Pierre Mével. (2002). *Dictionnaire De linguistique.* Paris, France: Larousse-Bordas.
- Maingueneau, D. (1996). *Les termes clés de l'analyse du discours.* Amiens, France: Seuil.
- Maurice Grevisse et André Goosse. (2016). *Le bon usage: Grammaire française avec des remarques sur la langue française d'aujourd'hui.* Louvain-la-Neuve, Belgique: Boeck Supérieur.
- Naouel, M. (2025). L'IMPACT DES RESEAUX SOCIAUX SUR L'EVOLUTION DU LANGAGE CHEZ LES JEUNES : ENTRE NEOLOGISMES ABREGES ET NOUVELLES FORMES DE COMMUNICATIONS.(Ziglôbitha, Éd.) *Ziglôbitha,Revue des Arts, Linguistique,Littérature &Civilisations , 3* (013.21), 313.
- PAVEAU, M.-A. (2017). *Lanalyse du discours numérique.* Paris: Hermann.

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

AI-Driven Arabic Language Learning: Empowering Students Through Technology

Hanan El Medrai
Ministry of National Education
elmedraih@gmail.com

Abstract:

This study aims to identify the best AI tools that can assist the improvement of students while learning Arabic. The significance of the research stems from an attempt to gain an in-depth understanding based on students' perceptions of the use of AI-powered resources to enhance their Arabic skills. The research additionally proposes different suggestions to improve receptive and productive skills based on various AI tools and highlights the benefits of each tool to cater to different needs.

Keywords: Artificial intelligence; Arabic; Learning process; Learners; receptive skills; productive skills.

تعلم اللغة العربية باستخدام الذكاء الاصطناعي

حنان المدراعي

وزارة التربية الوطنية

elmedraih@gmail.com

ملخص:

ينفتح المقال على دراسة الدور الذي يمكن أن تلعبه تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعزيز تعلم اللغة العربية، مستهدفا الوقوف عند أكثر هذه الأدوات قدرة على دعم المهارات الأساسية لدى المتعلمين. يستمد هذا البحث قيمته من ارتكازه على دراسة رؤية المتعلمين للغة العربية لتوظيف هذه التطبيقات في بناء تعلماتهم. من جهـة أخرى، يروم هذا المقال تحليل

جملة من الاقتراحات التي تم التوصل إليها عبر مسار التحليل والدراسة، والتركيز على أكثرها قدرة على تحسين المهارات الإنتاجية ومهارات التلقي. مسلطا الضوء على الفائدة المتوخاة من استخدام مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاستجابة لاحتياجات المتعلمين.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي.، اللغة العربية.، التعلم.، المتعلمين.، المهارات الإنتاجية.، مهارات التلقي.

The research

Introduction:

In the current digital era, Artificial Intelligence has become a fundamental resource in education, particularly in the acquisition of various subjects including languages. Recognizing the main tools to learn Arabic and understanding how to implement them to enhance learners' skills is essential for developing linguistic proficiency.

Numerous studies in the field of education assert that the integration of AI in Arabic learning has a positive impact on the improvement of language skills. A comprehensive study by Ut Zinger Morals et al. (2022) analyzes the incorporation of chatbots in Arabic language instruction, focusing on the role of AI in supporting teachers and learners in higher education. The study reported that AI apps help students greatly in college to improve their skills. The role of AI in Arabic learning is further emphasized by the research conducted by Samera Amor (2024), clarifying the automatic processing of the Arabic language based on artificial intelligence and clarifying the potential development that computers have in the Arabic language, particularly in the linguistic field.

In a similar vein, Rifqah Nabilah Ruby Abrilian (2024) showcases the benefits of high-level technology in enhancing students' proficiency in the Arabic language. They suggest that learning Arabic in a fun and interactive way with the aid of AI will be more rewarding. This perspective, which emphasizes excitement and motivation in the learning process, supported by Elsherbini, N. Elashri I (2024), who shows the impacts of using gamification apps on students' motivation and performance while studying Arabic. Adaptive and personalized learning based on technology as well as instant feedback enhances learners' Arabic language skills.

Another important study by Rashad Seyidov (2024) discusses the evolution of educational technology tools. With a deep interest in the most effective

modern resources that can enable Arabic language learners to master the language. In the same way of following the main resources used to reach proficiency, an insightful qualitative study conducted by Mohammed Subkki Hidaytullah (2024) sheds light on recent literature that focuses on the gaps and potential utilization of artificial intelligence in Arabic language learning.

The researchers have provided significant insight into the AI tools used to learn the Arabic language. This study aims to bridge current gaps by examining in greater detail the integration of AI in Arabic language learning from the learner's perspective with an emphasis on identifying the most effective AI tools and demonstrating their functions and benefits in developing language skills, along with the challenges they present.

Utilizing artificial intelligence among learners can offer considerable benefits regardless of the challenges that AI may pose. To enhance understanding of these advantages and difficulties, the study addresses the following questions:

- What artificial intelligence tools are the most favored among learners to develop their Arabic language?

- How do they interact with these AI tools?

- How do these programs affect the improvement of students' levels?

- Which of these tools are the most effective for learning Arabic?

The research is based on the hypothesis that learners can improve their Arabic skills through the integration of AI into their learning process.

Students must explore the diverse benefits offered by AI to develop each skill. To investigate the main AI tools that can guide learners to proficiency, a mixed method approach would be advantageous. Initially, we would provide statistical information based on a questionnaire administered to 100 students from different educational levels. Subsequently, interviews and focus groups are conducted to collect qualitative data, allowing us to delve deeply into the experiences of students utilizing AI tools.

The results will be analyzed and interpreted to offer appropriate guidance to learners about effective AI tools and efficient strategies to benefit from recent technology in the improvement of students' Arabic language skills.

I Exploring the Effectiveness of AI Tools on Student Learning Finding

The development of technology offers new opportunities to improve Arabic language proficiency among students. In the following paragraphs, we delve into the results provided by questionnaires and interviews to explore the key findings that highlight the students' use of AI to learn Arabic.

Based on the data concerning familiarity with specific Arabic AI tools. Students show significant gaps in their understanding of key tools that can support their learning. While 100 students reported familiarity with Meta AI, the vast majority (84%) faced consistent struggles with Arabic AI. This tells us that selecting appropriate Arabic AI presents challenges to most of them. 14% report a lack of knowledge about the best AI applications in Arabic. Only the remaining 2% said that they are occasionally confused about choosing AI that is appropriate for their level and educational needs in the Arabic language. Worryingly, no student felt they had fully mastered the importance of different AI applications designed to develop Arabic skills. The comprehensive view of the data indicates insufficient knowledge of using AI in language learning, which poses nearly nine common challenges for students. These problems seem to be regularly occurring and persistent obstacles for most learners.

Based on the survey results of 100 students, it seems that most of them prioritize using AI in their homework rather than employing it in learning Arabic skills. 28 students reported they could use it to achieve grammatical exercises. A majority of 50 students stated that use it when they struggle with comprehending the meaning of a text or writing tasks. The remaining 22 students said they rely on themselves to complete their exercises as they can deduce meaning contextually.

The results provided important insight into how engaged students are with AI activities. 29 respondents reported that they had never integrated AI into their self-directed learning. Only five students claimed to always use it to improve writing skills, representing a small 5% minority. An additional two students answered that they sometimes integrate Arabic AI into their learning. This data signals the need for teachers' support to enhance the inclusion of all learners.

The data sheds light on the different approaches teachers suggest to enable students to integrate AI into their self-directed learning. Ninety students said that teachers simply provided knowledge based on textbooks without any reference to other AI support. 10% said teachers often concentrate on the pitfalls of AI rather than considering it a reliable method that can evaluate students and provide constructive feedback. It is clear from the earlier statistics that most students learning Arabic struggle extensively with the methods for integrating AI into their self-directed learning. The data showed around 98% consistently lack of understanding of the methods to improve their Arabic language with the support of AI. This current piece of

information reveals the likely core reason behind the challenges faced by students in their learning, namely, a lack of understanding of effective methods and guidelines. Unfortunately, only a small minority of two students reported familiarity with such methods.

To identify the root causes preventing students from using AI in Arabic learning, the data indicates a lack of motivation for self-directed Arabic learning compared to other languages like English and French. Fifty percent of students reported a lack of interest in mastering the Arabic language. Instead, they showed more enthusiasm in further developing their French and English speaking or listening skills. Thirty-three percent felt they did not have sufficient time to learn the four skills.

A notable twelve percent indicated that teachers give them opportunities to master the language in the classroom. Consequently, they do not need to integrate any technological means to learn Arabic outside the classroom.

The data found that sixty-three students, accounting for nearly one-third of respondents, depend primarily on textbooks or websites as sources for reading and writing activities without taking into consideration the development of speaking and listening skills. Similarly, thirty-seven students reported turning to online search engines such as Google for assistance. This result shows that students are not interested in developing their language independently of the curriculum.

An overwhelming ninety respondents reported experiencing a high level of struggle in writing, and they do not have the readiness to use AI for developing other skills, as they must prepare only for written exams. Only a small fraction of ten experienced high levels of readiness to build their vocabulary and improve their speaking and reading via AI, as they like to speak Arabic with non-natives and Arabs around the world. This information reflects students' perceptions of the progress that should be made during their study and the importance of supporting classroom learning with self-directed learning based on AI. Nearly half of the enthusiastic learners reported experiencing slow progress. In contrast, only six students felt they were progressing quickly. Interestingly, the data focused on strengthening Arabic language outcomes. It examined students' recreational reading habits using AI beyond classroom time to better understand areas for development. 90% of respondents reported not reading anything at all in Arabic independently, breaking down other responses. Furthermore, only two students mentioned occasionally reading some articles in their spare time.

The data aimed to gain insight into students benefiting from interactive

speaking AI. An overwhelming eighty-eight, representing nearly ninety percent of the total, reported not using such tools to improve their speaking, as they lacked the self-confidence to speak in Standard Arabic as they were used to speaking dialects. Slightly more than eight students perceived themselves as somewhat confident since they sometimes practice speaking in class and with the help of ChatGPT. Four students viewed themselves as very confident Arabic users.

Discussion:

Based on the data highlighted in the findings, students are unaware of the tools that may enable them to learn the Arabic language, which raises questions about educating students about the importance of using AI. Abrilian, R. N.R (2024) insists that “in the context of the society 5.0 era, Arabic language education needs to adapt to existing technological development. The use of high-level technology in learning Arabic can increase the efficiency and the effectiveness of the learning process” (P. 58). This study shows that students do not rely on AI to improve the four skills. They use it instead to complete their homework. Students are not motivated to learn Arabic using AI. They consider themselves natives. Contrarily, they learn French and English through AI tools. They overlook the role of Arabic in an international context. Abrilian, R.N.R (2024) reveals the importance of Arabic in intercultural communication due to its rich history.

According to this point of view, "Arabic is not only considered a means of communication but also a window to understand the rich Arab civilization and culture. The importance of Arabic is increasingly raised in the era of society because of the increasingly significant economic and political role of Countries of the Middle East" (P58).

The reported students attributed the lack of motivation towards using AI to the methods applied in teaching that do not encourage them to rely on technology to support their learning. Teachers do not inform them about the beneficial tools that can support their progress in Arabic, which sheds light on the need to review teaching methods and adjust them to pursue new technological advancements. Gunawan R. Hidayatullad, M.S. (2024) claims that educators have the power to initiate truly innovative and more detailed approaches to utilizing AI, not only as a learning tool but also as a reinforcement tool for character education, particularly in the Arabic language.

The curriculum also fails to highlight how each skill can be developed using AI. It does not mention the method of using these tools in the Arabic learning process, which requires a remarkable shift considering the modern digital age.

The study shows that the perception of some teachers about the cons of AI negatively influences students' attitudes; many teachers point out during their courses that AI does not have great benefits on students' levels. Students reported that teachers discussed the pitfalls of using AI in their classroom rather than examining the advantages that may guide students to discover the potential benefits offered by AI. However, Abrilian R.N.R. (2024) highlights in her article the pros of using AI in Arabic education, among them improved communication skills, broader career opportunities, and better understanding of Arabic culture.

The study shows that most students adhere strictly to the classroom curriculum without any effort to develop their language. They focus on the competencies related to the skills that will be evaluated. Contrarily, they neglect the importance of learning other aspects of the Arabic language that are not mentioned in exam preparation plans. To gain in-depth insight into the students' viewpoint about the impact that AI can have on the development of each skill separately, this investigation determined that

students consider that AI tools do not possess the power to develop their four skills due to errors that can be committed. Arabic students are confident about the knowledge they already have, and as a result, they consider it sufficient, and they are doubtful about the opportunities provided by AI tools to develop their learning process. This view raises questions about the importance of promoting awareness in the young generation about the challenges that AI poses while suggesting potential solutions to address those challenges.

II.The Impact of AI on Students' Skills

Productive Skills

Although the use of AI in Arabic is a bit slow and limited compared to other languages, it is considered a beneficial shift from traditional methods that concentrate on memorizing vocabulary, which makes the learning process boring and tiring, with little impact on improving productive skills. Artificial intelligence instead gives importance to developing productive skills, as it provides materials related to speaking and writing. Thanks to their immediate feedback and their power to analyze errors and personalized learning, these tools can make a remarkable improvement in students' levels. The rapid development of AI has paved the way for students to enhance their speaking skills.

Most people, even Arabs, do not get the opportunity to speak in Fusha. As most of the population in Arabic countries speak a language variety with friends and colleagues. The classroom hours dedicated to learning Arabic do not provide enough time to practice speaking, as teachers must complete the curriculum that consists of a variety of activities.

The large number of students in the classroom poses challenges to teachers in

allowing every student to speak and to follow up with corrections, especially with different levels of speaking. Focusing on students who have low levels of speaking only can jeopardize the process of learning for others. To overcome these challenges, learners must rely on artificial intelligence tools that enable them to improve their level. ChatGPT is considered one of the most important tools that has a great impact on the improvement of learners' speaking skills.

Based on insights generated through ChatGPT, effective Arabic speaking practice can include simulated conversation, role-playing, and regular feedback on grammar and pronunciation (Generated on May 4, 2025). In addition, ChatGPT can explain unknown words in its conversation. Learners should be precise in suggesting the topic of conversation, and they can give feedback to ChatGPT to guide them to adjust the conversation according to their needs.

Digital tools now offer language learners unprecedented support. ChatGPT suggests that "there are numerous benefits that it can offer to students to improve their productive skills, among them exposure to correct grammar, pronunciation, and natural phrasing, the opportunity to absorb authentic language patterns; and encouragement to improve their speaking ability. Practice will be less pressured, more comfortable and confidence-boosting. It is easier to make mistakes and learn from them in a low-stress environment " (Generated on May 4, 2025).

ChatGPT has a great ability to switch between languages, which facilitates the comprehension of conversation. It can be beneficial to get another level of conversation if a person can deal with it daily. Additional beneficial AI tools designed for non-natives to guide them in pronunciation from the beginning, are Alif Bae, Arabits, and Kaleela. All these tools provide speaking exercises that empower students to practice conversation skills and gain confidence in the language.

Among the beneficial AI tools that show strong potential to improve the learner's communicative skills for native and non-native speakers as well is Mondly. This interactive AI, provided with sound recognition technology and feedback on pronunciation and grammar rules, offers recommendations that can facilitate the process of learning and help to select the resources that are appropriate for their needs. Ihda Filzafatin Habibah et al. 2024 show the importance of conversation practice via Mondly AI: "Mondly Arabic features a chatbot that helps in conversation practice by ensuring proper pronunciation, which can improve speaking skills; users can engage in simulated conversations with virtual characters or through direct conversations with the app. This kind of environment can improve students' speaking skills, and not only that, but immediate improvement is also made" (P.85).

This app can have a positive impact on the development of other skills, such as writing skills, by providing a wide range of topics, from basic vocabulary to advanced levels. The app provides learning materials on various types of vocabulary, grammar materials, and commonly used sentences, as well as other learning resources essential for users from beginner to advanced levels in Arabic (Ihda Filzafatin et al. 2024). Other AI tools are designed to improve students' writing skills by reviewing content, analyzing grammar mistakes, and providing learners with recommendations that help to understand the rules of effective writing. Among these apps are: Katteb, Brisks Tools, language tools, and Think Teach, Crok AI.

These apps can correct grammatical errors and provide written exams based on the conditions proposed by learners. They can also evaluate responses and suggest the right process to achieve the desired outcomes, based on learners' levels. Although these tools can teach learners the principles of good writing, either theoretically or practically, they have some limitations. So, learners must review the suggestions presented to them and ensure their suitability with the context while comparing different tools to select the appropriate response.

Receptive Skills

Receptive skills are the cornerstone of learning any language and the primary skills that the learner must master to recognize vocabulary, grammar, structure, correct pronunciation, rhythm, and stress. For example, learners while listening can recognize new words and understand how to use them in different contexts, and it is easy for auditory learners to remember them rapidly. Listening also provides a model of the position of words, the structure of the sentence, and the pronunciation, which enables the learner to improve their speaking. Other impacts of reading can be noticed through the improvement of vocabulary and the comprehension of the meaning in different contexts. Continuous reading gives the learner a natural feeling with tenses and structure. The more learners read, the more their ability to imitate professional writing increases.

The use of AI tools has a remarkable effect on this improvement. Among these tools is Jais, which aims to tap into the synergy between Arabic and English languages. It offers an opportunity for learners to learn from different materials, as it contains a variety of articles and provides insight into the latest news. Jais is rich in updated content related to different fields of the Arabic language. It provides knowledge in education, business, health care, media, and entertainment, which can improve vocabulary and ensure diversity in knowledge and inspire students to write texts related to different topics. Another benefit of this app is its power to understand multiple dialects with a focus on standard Arabic.

Readlong is also considered one of the most powerful tools that can enhance reading skills, as it allows immediate translation while reading, and it can facilitate text comprehension by explaining the vocabulary and showing the meaning of words in different contexts. Additionally, ChatGPT can have a good impact on students' reading skills. When asked about the best way that learners can benefit from it in reading, its response was "Learners can paste any Arabic passage into ChatGPT and ask for simplification, vocabulary explanation, or summaries, which enhance comprehension. It can also generate reading comprehension questions, highlight key ideas, and suggest similar texts based on the learner's level (Generated May 15, 2025).

Transforming text to speech can be very beneficial for developing learners' listening skills. Learners can paste articles, courses, and stories in Elvenlabs AI, for example, to listen to them if they do not have time to practice daily reading. They can listen while doing other activities. This app can also translate movies, podcasts, and songs while maintaining the same voice of the actors. The main purpose of these speech-to-text AI tools is to support learners with special needs, such as students who suffer from visual impairment, hyperactivity, and dyslexia.

Another AI tool that can increase learners' motivation by suggesting listening materials based on learners' level is Gemini. While asking this AI about its role in the improvement of speaking, it responds "I can suggest personalized audio content based on your level and interests. I will guide you to relevant resources like podcasts, music, and effective listening techniques such as active and passive listening. We can also engage in interactive practice with audio clips and discuss challenging parts, all while setting realistic goals to track your progress (generated on May 13, 2025).

IV. CONCLUSION

AI-powered Arabic language is a recent method that proves its effectiveness in enhancing students' language skills. Studies show the crucial benefits of AI in the teaching-learning process. On the other hand, the findings indicate that despite students' familiarity with some AI tools, they struggle to utilize them effectively. A lack of motivation and insufficient awareness regarding the advantages of AI in self-directed learning and the strategies employed by teachers and the curriculum design do not allow students to present a positive attitude towards the integration of AI in Arabic education. The study reveals the importance of AI in developing productive skills and receptive skills. Resources such as ChatGPT, Mondly, JAIS, Elvenlabs, and Gemini can enhance students' level in Arabic skills by providing immediate feedback and personalized learning that caters to multiple learning needs and preferences.

V. Bibliography List:

- Abrilian, R. N. R. (2024). Learning Arabic in the Era of Society 5.0. MUSLA. 56-65
- Amor, S. (2024). Artificial Intelligence and its Role in Automated Analysis of Arabic Language Levels: The Morphology Level as a Model. V3, 143-156.
- Elsherbini, N., & Elashri, I. (2023). Gamification in Arabic Language Learning Apps: Impact on Student Motivation. ReCALL, 36(1), 71-92
- Gunawan, R., Hidayatullah, M.S. (2024). The Potential of Use Artificial Intelligence in Implementing Character Education in Arabic Language Subjects, Yo8, No.1, 39-51.
- Habibah, I. F., Fitri, T., Hasibuan, R. (2014) Unlocking Arabic Mastery: Exploring Self-Thought Language Learning with Mondly Application. EL-Syaker: Samarinda International Journal of Language Studies. VI(No.2), 79.92.
- Morales, V. Lopez, V. Joanan, So, Julia, H. (2022). Journal International Inspire Education Technology, vol.1, N. 3, 25-37.
- Seyelov, R. (2024). Arabic Language Processing: Status and Future Prospects of Artificial Intelligence. Journal of Namibian Studies, 41, 224-240.

Proceedings of the International Scientific Conference Program, June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"

The Role of E-Commerce in Expanding International Business for SMEs

Mohamed Abdalla M. Lasther
Istanbul Nişantaşı University, Graduate Education Institute, International Business Administration
20231566035@std.nisantasi.edu.tr
Server Sevil Akyürek
Istanbul Nişantaşı University, Aviation Management (Eng) Department
serversevil.akyurek@nisantasi.edu.tr

Abstract:

This study considered the key role of e -commerce in creating favorable conditions for international expansion of small and medium enterprises (SMEs). Thanks to a research method, the qualitative case is related to 15 managers of 10 small and medium enterprises in Istanbul, Türkiye, the study identifies the main strategies, challenges and results related to cross -commerce. The results revealed that e -commerce provided to medium businesses and an effective channel to access the global market, overcome geographical barriers and traditional resources. However, important challenges still exist, especially cross logistics, integrated payment systems, comply with regulations and cultural adaptation. Determined success factors include the selection of strategic platforms, effective digital marketing, strong participation of customers and operational efficiency. The study concluded that if democratized e -commerce democratized access to international markets, small and medium enterprises must strategically approve the challenges related to the application of technology, cultural intelligence and optimized operating processes to achieve sustainable global growth. Research provides information can be used for small and medium enterprises, decisions and trade advisors.

Keywords: E-Commerce; SMEs; International Expansion; Digital Platforms; Cross-Border Challenges; Digital Marketing.

دور التجارة الإلكترونية في توسيع نطاق الأعمال الدولية للشركات الصغيرة والمتوسطة

[محمد عبدالله محمد لاستر]

جامعة إسطنبول نيشان تاشي ، معهد الدراسات العليا، إدارة الأعمال الدولية]

20231566035@std.nisantasi.edu.tr

[البروفيسور المساعد د. سيرفر سيفل آقيورك]

جامعة إسطنبول نيشان تاشي ، قسم إدارة الطيران (هندسة)

serversevil.akyurek@nisantasi.edu.tr

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في الدور المحوري للتجارة الإلكترونية في تسهيل التوسع الدولي للشركات الصغيرة والمتوسطة .(SMEs) من خلال منهج دراسة حالة نوعي شمل 15 مديراً من 10 شركات صغيرة ومتوسطة في إسطنبول، تركيا، تم تحديد الاستراتيجيات الرئيسية، والتحديات، والنتائج المرتبطة بالتجارة الإلكترونية عبر الحدود. كشفت النتائج أن التجارة الإلكترونية توفر للشركات الصغيرة والمتوسطة قناة فعالة للوصول إلى الأسواق العالمية، متخطية الحواجز الجغرافية والموارد التقليدية. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات كبيرة، بما في ذلك الخدمات اللوجستية العابرة للحدود، ودمج أنظمة الدفع، والامتثال التنظيمي، والتكيف الثقافي. تشمل عوامل النجاح التي تم تحديدها الاختيار الاستراتيجي للمنصة، والتسويق الرقمي الفعال، ومشاركة العملاء القوية، والكفاءة التشغيلية. تخلص الدراسة إلى أنه بينما تتيح التجارة الإلكترونية الوصول الديمقراطي إلى الأسواق الدولية، يجب على الشركات الصغيرة والمتوسطة التعامل مع التحديات المرتبطة بها بشكل استراتيجي من خلال اعتماد التكنولوجيا والذكاء الثقافي وتحسين العمليات التشغيلية لتحقيق نمو عالمي مستدام. تقدم البحث رؤى قابلة للتطبيق للشركات الصغيرة والمتوسطة، وصناع السياسات، ومستشاري الأعمال

الكلمات المفتاحية: التجارة الإلكترونية؛ الشركات الصغيرة والمتوسطة؛ التوسع الدولي؛ المنصات الرقمية؛ تحديات العابرة للحدود؛ التسويق الرقمي

Introduction:

In the context of contemporary globalization, small and medium enterprises (SMEs) have always turned out to be the basic pillar of economic development, innovation and job creation in the world. Drafted more than 90% of companies and more than 50% of jobs worldwide, their meaning cannot be overestimated. However, despite their essential role in national economies, small and medium enterprises always face a series of formidable challenges when they try to go beyond their internal market. These challenges include serious resource restrictions on financial capital, limited human resources with international expertise, incomplete knowledge about foreign markets and significant obstacles related to the establishment of physical distribution networks and brand recognition. The traditional pathway towards internationalization is often a long and high level of intensity, which can be accessible to large companies with significant resources available for them. The 21st century digital revolution, especially the explosive growth in e -commerce, triggered a model change in this dynamic, basic revision about the playground of small and medium enterprises with global aspirations. E -commerce platforms have become strong and democratized sets of access to the international market effectively by significantly reducing traditional barriers to entry. When small and medium enterprises have difficulty setting up physical introduction programs or distribution channels abroad, they can now take advantage of digital windows that can be accessed to global customers 24/7. This technological transformation has redefined the concept of the presence in the market, even allowing the smallest companies to show the global footprint without a physical entity abroad. The theoretical significance of this change is profound. The traditional models of internationalization, have set a process of gradual participation and sequence of foreign markets, controversial by the phenomenon of "born" companies - small and medium enterprises using digital capacity to internationalize quickly since created. E -commerce facilitates a form of "internationalization of acceleration", allowing small and medium enterprises to ignore the usual stages and join customers through the border of the first stages of their development. It is not simply a theoretical proposal, but a trend that can be observed, with countless small and medium enterprises in different fields - from manual crafts to specialized software - using platforms like Amazon, Shopify and Alibaba to reach customers thousands of kilometers.

Despite the potential of this transformer, the journey to expand international e -commerce for small and medium enterprises is a simple or guaranteed success. Digital landscape, while eliminating geographical barriers, introduces a series of new complex challenges that require strategic navigation. Diagonal logistics and supply chain management have big obstacles, including international transport complexity, ground clearance process and productivity management over a large distance. Financial transactions are becoming more and more complicated with the need to manage some currencies, different payment methods and fluctuations of exchange rate. Following the addition of other complex layers, because small and medium enterprises must navigate in different taxes, the Law on Data Protection and the regulations on consumer protection in different legal areas. In addition, the digital market is strongly competitive, requiring small and medium enterprises to develop sophisticated digital marketing strategies, the ability to optimize for search engines and tactics to participate in social media in accordance with different cultural contexts. The challenge in strengthening the confidence and establishing the brand's identity in unknown markets, without the benefits of physical presence, requires creative approaches to customers' services and participation. These multi - aspect challenges mean that if the international expansion of e -commerce is greater than ever, it requires a strategic approach, good information and adaptation to managers and owners of small and medium -sized enterprises. This study aims to provide a complete inspection of this complex interaction between e -commerce and internationalization of small and medium enterprises. Thanks to an in -depth qualitative study of small and medium enterprises that have actively participated in cross -border e -commerce, this study is to beyond the theoretical applications to provide according to experience based on reality, strategies and challenges that these companies face. The study is guided by some important questions: How exactly the exact e -commerce platforms create favorable conditions for the international expansion process for small and medium enterprises? What are the specific and medium -sized enterprises that succeed in taking advantage of digital platforms to penetrate the global market? What are the most important barriers to operations, finance and culture they encountered in
Cross - border e -commerce? How do these companies overcome these obstacles and what lessons they can be distilled from their experience?
By approaching these questions, this article has double. At the academic level, it enriches the development of the theory of digital internationalization by providing experimental evidence from the dynamic

context of the emerging market. In fact, it provides information that can be used and strategic advice for owners, managers and decisions of small and medium enterprises, who seek to exploit the power of e -commerce to expand internationally and sustainably. When doing so, this study is aimed at clarifying the path for small and medium enterprises in the field of global but promising e -commerce, contributing both to learn and excellent reality in this rapid development field.

I. Literature Review and Theoretical Framework

1.1. E-Commerce and SME Internationalization

The intersection of e-commerce and international companies was the focus of the latest academic exams. Achmad (2023) emphasizes that digital innovation allows SMEs to break geographical barriers, a core principle of internationalization theory. The e-commerce platform serves as a catalyst to reduce "liability for strangeness" and provides a cost-effective, entry-level mechanism in the global market. This, as Diwan (2024) states, is particularly resonating in developing countries. There, e-commerce can be a great balance. Further research examines the mechanism of this extension. Bhatti et al. . The success of these efforts, such as Tolstoy et al. (2021) In relation to small and medium-sized businesses in retail, the selection of the right platform and effective use of digital marketing will depend heavily on. Purnomo (2023) strengthens this and highlights the critical role of targeted digital marketing strategies, including SEO and social media, in building an international online presence. However, the path is not without faults. Taher (2021) provides a balanced view of identifying clear benefits such as global reach and cost-effectiveness, while also explaining key challenges such as logistics, payment systems and the need for cultural adaptation. The adoption of e-commerce itself is a complex process influenced by corporate motivation and external market factors, as discussed in the e-commerce adoption model by Nalla & Reddy (2024) (2024).

1.2. Theoretical Framework

This research is supported by some theoretical lenses connected to each other:

- Internationalization Theory (Achmad, 2023): Sets e-commerce allows for rapid international market entry by overcoming spatial and temporal obstacles.

- E-commerce Recruitment Framework (Nalla & Reddy, 2024): Focuses on technical, organizational and ecological factors that influence a company's decision to take over e-commerce.
- Trade Cost Economy (Tolstoy et al., 2021): Explains the high costs associated with cross-border transactions such as logistics and payment processing that could thwart internationalization.
- Spreading innovation (Purnomo, 2023): SMEs and strategies are gradually adopted to explain processes with initial resistance.
- Resource-based perspective (Taher, 2021): suggests that a company's competitive advantage in international e-commerce is based on its ability to effectively use internal resources such as technology infrastructure and qualified personnel.

II. Methodology

This research employed a qualitative, multiple case study design to gain a deep, contextualized, and holistic understanding of how SMEs utilize e-commerce for international expansion. The case study approach was deemed most appropriate as it facilitates an in-depth investigation of a contemporary phenomenon within its real-life context, especially when the boundaries between the phenomenon and context are not clearly evident (Yin, 2018). This design allows for the exploration of complex social processes and the "how" and "why" questions central to this research.

2.1. Research Philosophy and Reconciliation

This study was based on an interpretivist philosophy that demonstrated a subjective and constructed meaning in the sense that social reality was subjective and that assigns individuals to their own experiences. This paradigm is particularly well suited to understanding the complex and differentiated perceptions and strategies of SMEs. An expedient approach was used. This study was originally directed by existing theoretical frameworks (deductive), but remained open to new topics and patterns created directly from empirical data (inductive), allowing for richer and grounded analysis.

2.2. Research Population and Sample Strategy

The defined population for this study was SMEs (SMEs) that operated the following criteria in Istanbul, Turkey:

1. In harmony with the general EU and small business definition of Turkish, it is officially registered and employed between 10-250 people.

2. We are actively working with international e-commerce to define at least 15% of the annual sales of online sales to customers other than Türkiye.
3. In the sector where e-commerce is a sustainable sales channel. It was used to realize the information using targeted sample technologies, particularly criteria-based sample strategies.

This non-enhancement was chosen to allow selected SMEs to provide deep insight into research issues. The goal was not statistical generalizability, but analytical depth and transferability of the results.
The final sample consisted of 10 small and medium-sized businesses from three major sectors to ensure a variety of experiences.

- Retail (4 companies): Includes fashion clothing, housing culture and specialization.
- Technology (3 companies): Includes accessories for SaaS (software as a service), home appliances and educational technology.

- Consumer goods (3 companies): Includes personal care products, fitness equipment and craftsmanship.

2.3. Data collection

methods and instruments are collected over three months using two main methods to enable triangulation of the data and improve the reliability and validity of the results.
1. Semi-structured interview: This was the main data source. Semi-structured interviews were conducted from 10 small businesses with 15 managers and key decision makers (e.g. CEOs, e-commerce managers, international sales managers). Some companies have made multiple respondents receive several perspectives. An interview protocol has been developed that includes open questions addressing important topics.
o international e-commerce adoption journey.
o Platform selection and market goal strategy
o Detailed challenges in logistics, payments and regulations.
o Marketing and customer loyalty tactics for foreign markets.
o Recognized results and survey results.

The interviews lasted between 45 and 75 minutes, and were conducted in Turkish or English, and were literally transcribed for analysis.

2. Document Analysis: A systematic document analysis was performed to review and enrich the interview data. This includes:

o Corporate Website and E-Commerce Store: Analysis of user experience, platform usage, multilingual support, international shipping guidelines.

o Published Management Reports and Press Releases: Provide data on milestones for announcements of growth and international expansion.

o Social Media Presence: Checked to understand digital marketing strategies and customer loyalty practices in various cultural contexts.

2.4. Data Analysis Process

Data analysis followed a systematic process of thematic analysis, as explained by Braun and Clarke (2006) that included identification, analysis and reporting patterns (topics) within the data. This process was performed using manual coding and NVIVO software to manage data records. The steps were as follows:

1. Inclusion: Repeat transcripts and documents to jump into data.
2. Initial Code Generation: Systematically encodes interesting functions of data across data records. For example, a segment of text regarding "customs delay" was encoded as a barrier to log customs.
3. Topic Search: Collects code for potential topics. For example, codes such as log customs barrier, longshoring costs, pay_ currency issues were grouped into the first topic in "Company Robbery".
4. Review topics: Check if the topic works in relation to the coded extracts and the entire dataset. This phase has refined the topic - for example, breaking down "operational friction" into various topics: "logistical challenges" and "payment system hurdles."
5. Define and Naming Topics: Further improvements to each topic and identify the essence of what all topics capture. Clear definitions and names for each final topic have been developed (e.g., "The persistent tyranny of transaction costs").
6. Report creation: A weapon of consistent narrative theme analysis, selection of lively and persuasive extraction examples, and link analysis with research questions and literature.

2.5. Ethical Considerations

The research documented strict ethical principles. Prior to the interview, all participants received a declaration of consent. This declaration stated the purpose of the study, the voluntary nature of participation, guarantees of

confidentiality, and the right to retreat at any time. Anonymity and confidentiality were protected by the use of pseudonyms for businesses and individuals in all reports and publications. To ensure rigorous and reliable, several strategies were used in this study.

•**Reliability**: Preliminary results were shared with a subset of participants through data execution (interview + document) and member reviews.

•**Transferability**: Provided by a thick, descriptive account of the context and participants. This allows readers to evaluate the applicability of the results to other settings. •Reliability: Conservation by detailed testing pathways of the research process including interview protocol, raw data, and coding decisions.

• **Confirmation**: Ensuring by maintaining objectivity and recognizing interpretations of collected data rather than personal bias. This strict methodological approach certainly did.

III. Results and Discussion

The results of this study provide rich and empirical insights into the diverse roles of e-commerce in SMEs international. Thematic analysis revealed five central topics. It depicts a comprehensive picture of opportunities, strategies and challenges in the global digital market. The following discussion interprets these results through the lens of an established theoretical framework, highlighting the convergence, divergence, and substantial expansion of existing knowledge.

3.1. In-Depth Discussion of Thematic Findings

1: E-commerce as a Catalyst for Rapid and Democratic Market Access

The consensus among all participating managers was that e-commerce platforms essentially compress the time and distance traditionally associated with international expansion. This finding robustly supports the core district of internationalization theory (Achmad, 2023). This indicates that businesses want to overcome geographical obstacles. However, this study expands the theory by showing that e-commerce does not only reduce these barriers. Redefine the process of entering the market. The manager of consumer goods who organized this shift: "They aim to negotiate new countries, entry to dealers, terms and send containers, with the aim of finding dealers in front of new countries. Now they can test demand from German or Saudi Arabian consumers on several units sent via targeted Facebook displays and courier services. It is market research and sales with minimal risk."

This "test and study" approach shows a significant difference from the traditional commitment model with high resource intensity. It is consistent with the concept of "Effective theory" observed in business behavior, where companies co -created their international roads through affordable price losses and strategic partnerships, in this case, with this platform. The results show that e -commerce allows a more agile and tested internationalization, especially for small and medium -sized enterprises in resources.

2: The Double-Edged Sword of Digital Marketing and Cultural Intelligence

Although the power of digital marketing has been recognized globally, research shows an important nuance: its effectiveness depends entirely on cultural and context adaptation. This topic is thought to be based on resources (Taher, 2021). Small and medium enterprises consider cultural intelligence as an internal strategic resource - by hiring local digital marketing experts, adapting to images and texting and adapting to local social media platforms - creating a significant competitive advantage. For example, a small and medium -sized enterprise in the field of technology has revealed that direct marketing and focusing on resonance characteristics in North America but failure in East Asia markets, where creating more effective brand relationships and reports. This observation questions a unique application of digital marketing frames. He said that the resource - based vision must be expanded in the context of digital techniques to include "soft" resources such as adaptive cultural capacity and marketing capacity as sustainable competitive advantages. This is linked and enriched Punomo's work (2023), showing that the strategy not only uses digital tools, but also uses them smartly through cultures.

3: The Persistent Tyranny of Transaction Costs in Logistics and Payments

The data has massively confirmed that logistics and payment barriers form the most important and persistent friction in the international e -commerce journey for small and medium enterprises. This provides a strong confirmation of the ground for the economy of transaction costs (Tolstoy et al., 2021). The costs of the Viking are cited are not only financially but also operate and have sex. The managers have spent an inadequate time managing the delay of transportation, resolving disputes and dealing with customer disappointments related to unexpected missions or failures. A

manager of a small and medium -sized retail enterprise explained: "Our biggest obstacles have no sale; it provides products and is paid transparent. A customer in Brazil is affected by an import tax of 60% of $ 50, the customer is lost forever and we support the repayment cost." This illustrates how the transaction costs expand out to the company to have a negative impact on the customer experience and the brand's reputation. The study revealed that successful and medium -sized enterprises were actively investing in solutions to minimize these costs, such as cooperating with third -party logistics providers (3PL) to customs bridges on customs and applying payment portals that provide transparent costs for total cost, including rights. This active reduction strategy is an important addition to the understanding of transaction cost theory.

4: The Gradual, Iterative Nature of E-Commerce Adoption and Mastery

Contrary to the concept of "applying" simple binary decisions, the results show that the exploitation of e -commerce for international growth is a progressive, repetitive and difficult learning process. This strongly strengthens the popularity of innovation theory (Punomo, 2023). Small and medium businesses are not simply "returning a change" to become an international e -commerce player. They went through the stages: Starting with a national online store, then testing some international orders, then the stage of confrontation and overcoming the challenges discussed above, and finally, to develop an e -commerce strategy based on international data and data. This process is usually marked with an initial resistance and reversed. A person interviewed in the field of manufacturing note: "Our first breakthrough is a disaster. We don't understand Incoterms and we find ourselves responsible for the shipping cost that has removed our profits. We have to back down, learn and rebuild our process." This story emphasizes that the "innovation" of international e -commerce is not only a technology, but a complex package of knowledge, processes and adjustments needed to use it effectively. Therefore, additional research is a practical depth and experience for applicable models, such as Nalla & Reddy (2024), illustrating emotional journeys and related organizations.

5: Strategic Platform Selection as a Core Competency

The research has determined that the selection of the platform is not a simple technical decision, but a basic strategic decision directly affecting the international expansion and brand identity. This study summarizes the elements of some theories. The choice between an integrated market such as Amazon (provides a large range but fiercely competition and brand control less) and a customized platform like Shopify (providing brand autonomy but

requires more marketing efforts) to represent classical strategic compromises. This is consistent with the vision based on resources in which the foundation becomes a leverage and ability to choose it and manage it effectively as a basic capacity. It also connects to the transaction cost economy; The market can reduce the "cost" of customer research, but can increase "costs" to stand out. For example, the case of Gymshark shows how to use Shopify allows direct relationships with consumers and a unique brand building, which is the center of success worldwide. In contrast, a small and medium -sized enterprise sells basic products that can be found to be more ready for Amazon. This topic emphasizes that there is no "best" platform; Optimal options depend on the company's products, resources and internationalization goals.

3.2. Synthesis and Theoretical Implications

The results presented a dynamic model of internationalization of small and medium enterprises through e -commerce. This is a process characterized by the tension between the democratic potential of digital platforms (softening the market) and the complexity of the activity they introduce (logistics, payment, cultural adaptation). The main theoretical contribution of the study lies in the integration of the theories set to explain this new reality.

- **An Integrated Framework:** The research demonstrates that no single theory is sufficient. Internationalization Theory explains the "why," E-Commerce Adoption Models and Diffusion of Innovations explain the "how," Transaction Cost Economics explains the "barriers," and the Resource-Based View explains the "solutions" and sources of advantage. Future research would benefit from an integrated framework that views these elements as interconnected.

- **Refining Adoption Models:** This study moves beyond listing factors that influence adoption to illuminate the *process* of adoption. It shows that adoption is not a one-time event but a capability-

  building journey, where SMEs develop digital maturity over time through experimentation and learning from failure.
- **Extending the Resource-Based View:** The findings compellingly argue for the inclusion of "digital-cultural capability"—the ability to adapt business and marketing models across digital cultures—as a vital intangible resource for SMEs in the global e-commerce arena.

In conclusion, the discussion affirms that e-commerce has irrevocably changed the international landscape for SMEs. However, it dispels the myth of it being an easy shortcut. Instead, it reveals a new, complex playing field where success is determined not by access to technology alone, but by a

firm's strategic acuity, operational resilience, and cultural agility in leveraging that technology to create and deliver value across borders

IV. Conclusion

This study concludes that e-commerce serves as a transformative force for SMEs aiming for international growth. It effectively lowers the entry barriers to global markets, offering a pathway to expansion that was previously unavailable to smaller firms. However, this pathway is fraught with operational and cultural complexities. Success in the international e-commerce arena is not guaranteed by mere platform adoption; it requires a strategic, integrated approach.

Key to this approach is the careful selection of e-commerce platforms aligned with target markets, a deep commitment to understanding and adapting to local cultures, and the development of robust solutions for logistical and payment challenges. Ultimately, sustained international growth for SMEs via e-commerce demands ongoing innovation, agility, and a willingness to continuously learn from and adapt to the dynamic global digital marketplace.

V. Bibliography List

1. **Achmad, W.** (2023). MSMEs Empowerment through Digital Innovation: The Key to Success of E-Commerce in Indonesia. *Daengku: Journal of Humanities and Social Sciences Innovation*, 3(3), 469-475.
2. **Bhatti, A., Raza, S. A., & Lee, J.** (2023). Understanding SMEs' Internationalization through Digital Platforms. *International Marketing Review*, 40(2), 300-320. https://doi.org/10.1108/IMR-09-2022-0332
3. **Diwan, M.** (2024). Impact of E-commerce on Small and Medium Enterprises: A Case Study of Developing Countries. *Universal Research Reports*, 11(4), 67-82.
4. **Gonzalez-Varona, F., Rodríguez-López, A., & Martínez, J. F.** (2024). Building and Development of an Organizational Competence for Digital Transformation in SMEs. *arXiv*.
5. **GSCARR.** (2024). Navigating Challenges and Seizing Opportunities in Emerging Markets: The Role of E-Commerce. *GSC Online Press*, 2(1), 105-123.
6. **Liang, Z., Mundy, M., & Jagwayan, M.** (2024). E-Commerce in Africa: Divergent Impacts on Rural and Urban Economies. *arXiv*.
7. **Nalla, L. N., & Reddy, V. M.** (2024). AI-Driven Big Data Analytics for Enhanced Customer Journeys: A New Paradigm in E-Commerce. *International Journal of Advanced Engineering Technologies and Innovations*, 1(2), 719-740.
8. **Purnomo, Y. J.** (2023). Digital marketing strategy to increase sales conversion on e-commerce platforms. *Journal of Contemporary Administration and Management (ADMAN)*, 1(2), 54-62.
9. **Taher, G.** (2021). E-commerce: Advantages and limitations. *International Journal of Academic Research in Accounting Finance and Management Sciences*, 11(1), 153-165.
10. **Tolstoy, D., Nordman, E. R., Hånell, S. M., & Özbek, N.** (2021). The development of international e-commerce in retail SMEs: An effectuation perspective. *Journal of World Business*, 56(3), 101165.

**Proceedings of the International Scientific Conference Program,
June 1-3, 2025, under the slogan "Towards a Solid Scientific Renaissance"**

Environmentally Sustainable Business Practices In The Context Of Balancing Profitability And Environmental Responsibility: A Study On Luxury Hotels*

Grace Dikun Martin Michael
Istanbul Nişantaşı University, Graduate Education Institute,
Business Administration
Gracedikumartin1977@gmail.com
Server Sevil Akyürek
Istanbul Nişantaşı University, Aviation Management (Eng) Department
serversevil.akyurek@nisantasi.edu.tr

Abstract:

This study considers luxurious hotels to reduce environmental impact while maintaining high profits and service quality, focusing on the Four Seasons Istanbul Hotel. By using qualitative approach, data is collected through staff maintenance, documents analysis and observation on the site, then analyzed by theme with NVivo. Research shows that the hotel applies sustainable practices such as waste management, energy -saving technology and partnerships with local friendly providers. These initiatives improve the brand image and bring long -term financial advantages. In terms of three net profits, stakeholders and the theory of perspective is based on vision, the results show the sustainability, when integrated into strategic planning and operate effectively, bringing competitive advantage. Research also provides practical information for students and propose guidelines for future research.

Keywords: Sustainability, environmental responsibility, profitability, hospitality industry, luxury hotels

الممارسات البيئية المستدامة في سياق تحقيق التوازن بين الربحية والمسؤولية البيئية: دراسة على الفنادق الفاخرة

]جريس ديكون مارتن ميشيل[

جامعة إسطنبول نيشان تاشي ، معهد الدراسات العليا، إدارة الأعمال

Gracedikumartin1977@gmail.com

]البروفيسور المساعد د. سيرفر سيفل آقيورك[

جامعة إسطنبول نيشان تاشي ، قسم إدارة الطيران (هندسة)

serversevil.akyurek@nisantasi.edu.tr

ملخص:

تتناول هذه الدراسة كيفية تمكّن الفنادق الفاخرة من تقليل تأثيرها البيئي مع الحفاظ على مستويات عالية من الربحية وجودة الخدمة، مع التركيز على فندق فورسيزونز إسطنبول كنموذج للدراسة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج النوعي، حيث جُمعت البيانات من خلال مقابلات مع الموظفين، وتحليل الوثائق، والملاحظات الميدانية في موقع الفندق، ثم جرى تحليلها موضوعيًا باستخدام برنامج .NVivo

وتُظهر نتائج البحث أن الفندق يطبق ممارسات مستدامة مثل إدارة النفايات، وتقنيات توفير الطاقة، والشراكات مع الموردين المحليين الملتزمين بالمعايير البيئية .وتُسهم هذه المبادرات في تعزيز صورة العلامة التجارية وتحقق فوائد مالية طويلة الأمد.

واستنادًا إلى نظرية الخط السفلي الثلاثي (Triple Bottom Line) ونظرية أصحاب المصلحة (Stakeholder Theory)ونظرية الموارد(Resource-Based View) ، تشير النتائج إلى أن دمج الاستدامة في التخطيط الاستراتيجي والعمليات التشغيلية الفعّالة يوفر ميزة تنافسية للفنادق. كما تقدم الدراسة رؤى عملية للمهنيين، وتقترح إرشادات مفيدة للأبحاث المستقبلية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الاستدامة، المسؤولية البيئية، الربحية، صناعة الضيافة، الفنادق الفاخرة

Introduction:

In recent years, sustainability has become a key part of how companies plan their strategies, especially in industries that have a big impact on the environment, like the hospitality sector. The luxury hotel industry is a special case: it is known for being exclusive, comfortable, and using a lot of resources, but it is also facing more pressure to follow eco-friendly practices. Making sustainability a part of luxury hotels is both important and difficult, as it needs to be balanced, protecting the environment while making money and keeping the high standards of service that guests expect. (Sharma et al., 2023; Filimonau et al., 2023).

Despite a lot of research on sustainability in the hospitality industry, there are still big gaps, especially when it comes to how luxury hotels in emerging countries carry out environmental strategies while keeping their finances stable (Chan et al., 2021; Vagena, 2024). Much of the existing work either looks at mid-scale or budget hotels or treats sustainability as just part of Corporate Social Responsibility (CSR), without looking at how it fits into the overall strategy. Also, there isn't much real data on how sustainability efforts actually affect the day-to-day operations and finances of high-end hotels (Legendre et al., 2022). This lack of detailed, real-world information is a problem because luxury hotels often set trends and have the resources to lead the way in sustainability.

The value of this study comes from its deep look at how a well-known luxury hotel, Four Seasons Hotel Istanbul, integrates environmental sustainability into its business strategies and daily operations.

By including real experiences from hotel workers and managers, the research adds real evidence to an area that has mostly been discussed in theory or in general terms. Additionally, the study shows how employee involvement, interactions with stakeholders, use of technology, and sustainable results are connected, helping to fill an important gap in both academic and business knowledge about the topic.

This lack of detailed, real-world information is a problem because luxury hotels often set industry standards and shape what customers expect.

Their business models are often copied by smaller hotels. Without understanding how sustainability can work in high-end settings, the industry might miss out on important, scalable solutions (Alonso-Almeida et al., 2020; Vagena, 2024).

To address these gaps, this study is guided by the following **research questions**:

What are the contemporary developments and demanding situations in enforcing sustainable sports withinside the inn industry? How do sustainable trade activities affect the financial efficiency of the hotel? The sustainable practices applied by hotels to reduce environmental impact while maintaining profits? How do certificates and standards of sustainability (for example, LEED, Green Globe) affect the competitiveness of the hotel and financial results? How do hotel customers find long-term practice and these perceptions that affect their booking preferences, and how to pay their bonuses?

How do hotels collaborate with local communities, suppliers, and stakeholders to support sustainability and social responsibility? What are the financial implications of investing in sustainable infrastructure and technologies? How do the regulations, incentives, and trends of the Government shape sustainable strategies for hotels? How can innovation and technology be used to create sustainable conversion in hotel activities?

What strategies can hotels adopt to effectively balance profitability with environmental responsibility? The theoretical foundation of the study draws on three major frameworks. The Triple Bottom Line model (TBL) (Elkington, 1997; Dyllick, 2020) emphasized the pursuit of economic, social, and environmental goals simultaneously. The theory of stakeholders (Freeman, 1984; Hörisch et al Finally, resource-based vision (RBV) (Barney, 1991) explains how unique internal resources - such as cultivation focuses on sustainability, commitment to the leadership, and capacity of employees - can create competitive advantage through sustainable activities. Although sustainability in the hospitality industry is widespread, most studies have either been the result of hotel types or focused on midrange and budget accommodation. There is a lack of empirical research findings examining how luxury hotels in emerging countries such as Turkey implement sustainability and how quickly they investigate luxury hotels (Chan et al., 2021; Legendre et al., 2022).

I Literature Review

1. Sustainability in Business

Sustainability in companies refers to strategies and practices that meet the current needs without affecting the capabilities of future generations to respond (Elkington, 1997). In today's global economy, the increase in environmental concerns, legal pressure and consumer expectations has made businesses integrate environmental, social and economic considerations in their main activities (Bocken et al., 2014; Lozano, 2015). This change marks

the transition from the sustainable vision that is an option to realize it is a strategic need for long -term competitiveness.

2. Environmental Responsibility in Hospitality

The hotel industry has an important environmental footprint due to energy consumption, water and high materials, as well as the production of waste (Bohdanowicz, 2006; Filimonau et al., 2023). Luxurious hotels, especially, often face criticisms for high intensity activities in the name of comfort and monopoly. However, their ability to display and financial capacity is unique to conduct sustainable sustainability of energy -saving technologies, waste reduction programs and sustainable supply (Mensah, 2020; Vagena, 2024).

3. Profitability and Competitive Advantage in Sustainable Hospitality

W While environmental duty is vital, profitability stays primary to commercial enterprise viability. Research suggests that after carried out strategically, sustainable practices can cause value savings, greater logo reputation, and elevated purchaser loyalty (Alonso-Almeida et al., 2020; Pereira et al., 2021). This ability for aligning profitability with environmental desires makes sustainability a supply of aggressive benefit withinside the hospitality sector (Sharma et al., 2023)..

4. Challenges in Implementing Sustainability

Despite the advantages, some obstacles that hinder the application of sustainability in luxury hospitality. They include high initial investment costs, lack of technical expertise, against changes and concerns related to service quality compromise (Singh and Dutt, 2023). In addition, some markets show the desire of customers' limitations to pay bonuses for eco -services, which can prevent investing in green initiatives (Jones et al., 2016)..

5. Three Pillars of Sustainability: Environmental, Social, and Economic

Sustainability in business is usually seen through three main areas: environment, society, and money. These areas show that companies should try to protect the environment, help people, and stay financially strong. In the luxury hospitality industry, it's important to keep these three areas in balance so that high-quality service doesn't harm the planet or create unfair situations for people (Dyllick & Rost, 2020).

6. Sustainability in the Hospitality Industry

The hotel industry plays an important role in the global environmental impact because of high resource consumption and waste. Luxurious, special, and criticized hotels for the use of their unbalanced water, energy, and materials under the name of comfort and exclusivity (Jones et al., 2016; Filimonau et al., 2023). However, they are the only ones to lead the conversion into sustainability due to their visibility, financial capacity, and influence on

consumer trends. In response to these concerns, many hotels apply ecological initiatives such as smart energy systems, water economy, sustainable architecture, and responsible provision (Mensah, 2020). In addition, tourists are increasingly considering environmental reference materials when choosing accommodation, which encourages luxurious hotels to integrate sustainability into their brand and service models (Vagena, 2024). Advantages and Challenges of Adopting Sustainability Practices

7. Advantages of Adopting Sustainability

The application of sustainable practices provides many strategic and operational advantages. They include reducing operating costs by conservation of energy and water, the brand's increased reputation, customer loyalty, and better linkage with the development of the requirements (Pereira et al., 2021; Legendre, 2022). Sustainability can also promote innovation, because hotels develop new services and experiences targeting guests with ecological consciousness.

8. Challenges in Adopting Sustainability Practices

Luxury hotels often encounter obstacles in performing. High initial investment costs, lack of technical expertise, internal resistance to changes, and concerns about the compromise of luxury standards are still significant obstacles (Singh and Dutt, 2023; Filimonau et al., 2023). Managers may hesitate to reduce the use of resources if it can reduce customer satisfaction, while employees may notice sustainable initiatives that are heavy or symbolic.

9. The Importance of Profitability in Sustainability

Profit continues to be a simple difficulty for hotel companies, mainly luxurious hotels, in which excessive running costs. The integration of sustainability has to know no longer compromise earnings however be appropriate for it. Recent research display that after strategic, inexperienced tasks can cause long-time period monetary benefits (Alons-Almeida et al., 2020).

10. Balancing Profitability with Environmental Responsibility

Balancing financial efficiency with environmental management is essential for luxurious hotels for sustainable excellent purposes. The integration of green technologies, staff training and participation strategies of stakeholders ensures that profit and sustainability coexist (Sharma et al., 2023).

11. Sustainable Practices in Luxury Hotels

Luxurious hotels such as four seasons apply long -term strategies, including ecological materials, smart construction systems and local supply. These

practices help reduce their footprints while preserving monopoly and quality related to luxury brands (Vagena, 2024).

12. The Role of Leadership in Driving Sustainable Business Practices

Leaders play an essential role in organizing cultural training and commitment to sustainability. Leaders influence the application of employees' policies, dynamics and long -term vision for sustainability. Higher management commitment helps improve the success of implementation (Jones et al., 2019).

13. Gap in Knowledge

Previous research has intensively tested sustainable commercial enterprise sports within the lodge industry, highlighting their effect on environmental performance, client satisfaction, and operational efficiency (Jones et al., 2016; Pereira et al., 2021). Researchers who specialize in regions inclusive of waste reduction, electricity efficiency, sustainable sourcing, and inexperienced certification (Alons-Almeida et al., 2018; Ding & Legendre, 2022). However, the majority of that research had been carried out in advanced markets, inclusive of North America and Western Europe, wherein economic sources, executives' prescriptions, and client expectancies are drastically distinct from those in emerging economies (Gürlek and Tuna, 2018). Despite the growing accents in sustainability, there's nevertheless a loss of experimental studies on how high priced motels - dealing with specific demanding situations because of excessive expectancies of customers, excessive-stop activities, and logo positioning - can combine sustainability without affecting profits (Gössling et al., 2011), out of a unique surroundings to put in force sustainable initiatives (Mensah, 2020). This hole is critical as it facilitates to recognize how high-priced motels stability environmental obligation with monetary efficiency, presenting treasured statistics to the arena and the university. By reading the case of the Four Seasons Istanbul Hotel, this study gives unique proof and sensible suggestions to guide managers` choices and stakeholders in integrating sustainable techniques into their activities. This difference is important because luxurious hotels have both visibility and resources to model sustainable practices for the larger industry. If their strategy is successful, they can move customers' expectations and competitive standards in this field (Velaoras et al., 2025). This study filled this space by focusing on the Four Seasons Istanbul Hotel as a case study. He discovered internal policies, employees' commitments, the cooperation of stakeholders, and the challenges of the operation of integrating sustainability in the context of luxury.

14. Theoretical Frameworks and Models of Sustainability in Business

This research is anchored in three interrelated theoretical frameworks: the Triple Bottom Line (TBL), Stakeholder Theory, and the Resource-Based View (RBV).

Triple Bottom Line (TBL): introduced by Elkington (1997) and then expanded by Dyllick & Rost (2020), this framework called for companies to resolve not only economic goals, but also for social and environmental aspects. In luxurious hospitality, which emphasizes profits and prestige, the integration of environmental and social considerations brings long -term sustainability without affecting competitiveness.

Theory of stakeholders: proposed via way of means of Freeman (1984) and advanced via way of means of Hörisch et al. (2020), this principle emphasizes the significance of spotting the wishes and have an impact on of all stakeholders - customers, staff, suppliers, control companies, and the community. In the context of a sustainable hotel, attracting those stakeholders to co-growing environmental techniques is an important thing for successful implementation. Natural assets (RBV): first of all advanced via way of means of Barney (1991), RBV units up those internal assets and competencies, along with leadership, culture, innovation, and sustainable focus, can create competitive advantages. Alonso-Almeida et al. (2020) and Jones et al. (2019) show that when sustainability is anchored in the main activities and culture of the hotel, it becomes a strategic property rather than a cost burden. Together, these executives offer a multi-dimensional lens through which the balance between profit and environmental responsibility can be assessed in luxurious hotels.

II. Methodology

This study has applied a concept of a qualitative case to explore how luxurious hotels are carrying out environmentally sustainable activities while maintaining profits. The case of Four Seasons Istanbul Hotel provides rich context information about strategic aspects and activities of integrating sustainability in the high reception environment.

1. Research Design

This study has applied a concept of qualitative case study to explore how luxurious hotels are carrying out environmentally sustainable activities while maintaining profits. The case of Four Seasons Istanbul Hotel provides rich contextual information about strategic aspects and activities of integrating sustainability in the high reception environment.

2. Population and Sample

The qualitative approach has been selected because of its ability to provide a deep understanding of complex social phenomena such as sustainable practice. The design of the case is suitable to check the unique context of a luxurious hotel operating in an emerging market (Yin, 2018).

3. Data Collection Process

This study has applied a qualitative research method, mainly using semi-structured interviews to collect ideas for higher levels than the Four Seasons Hotel Istanbul and select other luxury hotels. The data collection process has been carefully planned and implemented to ensure the moral integrity, comfort, and reliability of participants. The interviews are made in a calm and professional setting - especially in the meeting rooms reserved in the hotel campus - chosen to provide intimacy, minimize annoyance, and promote an open and honest conversation. All interviews have been planned according to the participants' available time and operating responsibilities. To ensure the environment of safe and ethical data collection, the following processes have been followed: Agree: Participants are fully notified of the objectives and scope of the research. A form of agreement has been provided and signed before the interview, and the consent with words has been confirmed when starting each session. Voluntary participation: The interviewers were informed that their participation was completely voluntary, and they had the right to withdraw money at any time or ignore a question. Security and Anonymity: No personally identifiable information is used. Each participant receives a code during the scan, and data is securely stored. COVID-19 Protocols (if applicable): Hygiene and social distancing measures are maintained during data collection, in accordance with hotel and public health instructions. Respect: All questions are formally and neutrally phrased, and participants are given time to reflect and respond. The interviews have been recorded with permission to ensure accuracy during the phonetic process. Additional notes have been made to grasp the melody, no language and context factors. The combination of data recorded and in writing has improved the abundance and reputation of the analysis. This complete approach ensures the integrity of the data collection process and provides a solid basis for the next topic analysis.

4. Trustworthiness and Quality Criteria

To ensure the reliability and strict academic of this qualitative study, the four criteria of Lincoln and Guba (1994) - Prestige, transfer ability, reliability and confirmation ability - have been approved. The reliability is guaranteed by a long -term commitment to participants, detailed notes and data triangle from

some luxury hotels. The verification of the members is done by allowing participants to check their answers to the phonetics of accuracy and clarification. The transfer ability has been done by providing rich and thick descriptions of the research context, the history of participants and institutional context. This allows readers and researchers in the future to evaluate the relevance and the ability to apply results to other luxury hotel contexts. The reliability has been maintained by recording the research process in detail, including interview guidelines, code transcription processes and analytical strategies. A trace of the audit of decisions made during the research has been preserved, allowing transparency and replication. Confirmability was enhanced by using verbatim quotes from participants, maintaining neutrality during analysis, and recording the researcher's reflections and memos throughout the data collection and interpretation stages.

5. Data Analysis

Interviews were audio-recorded with participant consent and transcribed verbatim. Thematic analysis was applied following Braun and Clarke's (2006) six-phase framework. The NVivo qualitative data analysis program was used to assist in organizing and coding the data. Codes were both deductive, based on the interview guides, and inductive, emerging from the data itself.

6. Ethical Considerations

All participants gave their permission to take part in the study and were told their identities would remain hidden and their information would be kept private. The study was approved by the university or college with which the researcher is connected. All the information gathered was kept safe following the rules set by the institution and the GDPR (General Data Protection Regulation).

This approach allowed the researcher to examine various views on sustainability both inside and outside the Four Seasons Hotel, providing a solid base for the analysis and results that will be discussed in the next part.

III Analysis and Findings

The qualitative analysis of the Hotel Four Seasons Istanbul has shown several recurring subjects in the eight dimensions of sustainability discussed with the participants. By using thematic coding, models have been identified in the way in which sustainability practices have been implemented, perceived, and compensated by profitability in the context of luxury hospitality.

Table 1. Participants' Profile

Variable	Category	Frequency (n)	Percentage (%)
Gender	Male	7	46.7%
	Female	8	53.3%
Position	General Manager	3	20%
	Sustainability Manager	2	13.3%
	Operations Manager	4	26.7%
	HR Manager	3	20%
	Other	3	20%
Years of Experience	Less than 5 years	4	26.7%
	5–10 years	6	40%
	More than 10 years	5	33.3%
Department	Front Office	4	26.7%
	Housekeeping	2	13.3%
	Food & Beverage	3	20%
	Sustainability	3	20%
	Administration	3	20%
Total Participants		**15**	**100%**

Table 1 summarizes the demographic and professional profiles of the 15 participants involved in this study. Gender distribution indicates that 53.3% of the respondents are women and 46.7% are men, showing a balanced representation. Regarding postal stations, the largest group was made up of operational managers (26.7%), followed by the General Director (20%) and human resource management (20%), while durable managers accounted for 13.3%. Regarding years of experience, 40% of participants have 5 to 10 years of professional experience, 33.3% are over 10 years, and 26.7% under 5 years old. This shows that the model includes participants with different professional histories. Finally, the representative of the department shows the relatively uniform distribution, the front office has the highest rate of 26.7%, followed by food and beverage, durability, and management, each contributing to 20% of participants.

Based on the semi-structured interview findings, data have been analyzed, and some themes and sub-themes emerged. The following explanations and Table 2 indicate these themes and sub-themes in detail. Table 3 also includes detailed explanations of participants in the current study.

1.Balancing Profitability with Environmental Responsibility

Participants expressed a strong awareness of the need to reconcile financial objectives with environmental practices. Several respondents found that initiatives such as energy efficiency and waste reduction benefit not only the environment but also lead to cost savings. A head of department said: “We invest in sustainability because it is paying for both the costs and the confidence of long-term customers.

2. Cost Efficiency and Impact on Operational Metrics

The analysis indicates that sustainable initiatives have positively influenced the hotel's operating costs. The acceptance of intelligent lighting and HVAC (Heating, Ventilation, and Air Conditioning) systems, for example, has significantly reduced electricity use. The application of water and food monitoring appliances has also contributed to minimizing resource consumption. The staff mentioned regular sustainability audits to maintain efficiency benchmarks.

3. Waste Management and Resource Efficiency

All interviewees recognized the importance of waste management. The hotel has implemented a large system of waste and recycling system in both the guest areas of guests and the service. The employees were trained in separate biological and non-biological materials. A domestic supervisor observed that guests are increasingly cooperative when the goal is clearly explained.

4. Employee Engagement and Internal Culture

Employees stressed that internal consciousness and commitment to success are of crucial importance. Many employees said they received regular training courses and briefings on sustainability targets. Many said that seeing managers actively involved in sustainability motivated them to do the same. "Sustainability is now part of our culture," said an operational employee.

5. Guest Expectations and Behavior

Employees have stressed that guests, especially international visitors, are increasingly expecting hotels to show environmentally friendly behavior. Simple actions such as the deletion of plastics and the supply of linen loan programs have been well-received. However, certain challenges have been found among the guests of the regions in which environmental awareness is still developing.

6. Use of Technology and Green Innovation

The hotel has added several eco-friendly technologies, including motion sensors, low-flow faucets, and digital monitoring systems. People who were interviewed said that technology plays a major role in achieving both

sustainability and a good quality of life. A facility manager mentioned, "We aim to make sustainability noticeable in its effects, but not in the way it's done.

7. Strategic Integration and Long-term Vision

The executives who were interviewed said that sustainability is a key part of the hotel's overall plan. When making choices about buying things, doing renovations, and picking suppliers, environmental impact has been a main factor. This ongoing effort has helped the hotel become a top choice in the luxury sustainable hotel category.

8. External Partnerships and Community Involvement

The hotel works with local NGOs, waste collection companies, and environmentally friendly certification organizations. Participants described these partnerships as advantageous for both parties. In addition, the hotel supports community-based environmental projects and helps strengthen its brand image and social license for the company.

In summary, the results show that the sustainability of the Four Seasons Istanbul hotel is not treated as a complementary module, but as an operational and strategic office. By integrating environmentally friendly practices into the departments and the inclusion of employees and customers, the hotel has created a culture in which environmental responsibility is in accordance with profitability and performance.

Table 2. Interview Findings

Themes	Sub-Themes	Codes	Representative Quotes
Energy Efficiency Initiatives	Use of green technologies	LED lighting, smart energy systems	“We've switched to energy-efficient lighting and smart sensors, which has significantly reduced our electricity bills” (Manager, Four Seasons)
	Renewable energy integration	Solar panels, eco-friendly systems	“Adopting renewable energy sources supports our sustainability goals while controlling

			costs." (Sustainability Coordinator)
Waste Management Practices	Reduction of single-use plastics	Plastic-free policies, eco-packaging	"Eliminating single-use plastics has become a priority to improve our environmental footprint." (Operations Manager)
	Recycling and composting	Segregation bins, organic waste compost	"We have implemented a strict recycling policy and trained employees to separate waste efficiently." (Housekeeping Supervisor)
Sustainable Sourcing	Local supplier partnerships	Regional producers, eco-certifications	"Partnering with local suppliers reduces our carbon footprint and supports the community." (Procurement Manager)
	Ethical procurement	Certified eco-friendly materials	"We prioritize suppliers with environmental certifications to ensure high sustainability standards." (Purchasing Officer)
Guest Engagement	Promoting sustainability to guests	Educational materials, green programs	"We encourage our guests to participate in linen reuse programs and reduce water consumption." (Guest Relations Officer)

	Enhancing guest experience	Eco-luxury services, personalized offers	"Sustainability doesn't compromise luxury; we integrate both seamlessly." (Front Office Manager)
Employee Involvement	Training and capacity building	Sustainability workshops, staff programs	"Our employees receive regular training on eco-friendly practices and guest communication." (HR Manager)
	Internal sustainability culture	Staff empowerment, green ambassadors	"Employees take pride in contributing to sustainability; it has become part of our culture." (Assistant Manager)
Financial Implications	Cost savings through sustainability	Lower energy bills, reduced waste costs	"Implementing green technologies has significantly improved operational efficiency and reduced expenses." (Finance Director)
	Long-term profitability impact	ROI on sustainability investments	"Sustainable practices create long-term value by enhancing reputation and reducing costs." (General Manager)

Table 3. Interview Summary

Interviewee	Profitability & Environmental Responsibility	Financial & Environmental Metrics	Waste & Resource Efficiency	Stakeholder Engagement	Sustainable Design	Implementation Challenges	Future Trends	Integration into Strategy
Participant 1	Sustainability is seen as essential for long-term profitability.	Energy costs down 12% after LED installation.	Implemented food composting and waste sorting.	Staff are trained monthly on green practices.	Used local materials in recent renovations.	The initial cost of solar panels was high.	AI-based systems to optimize energy use.	Sustainability is embedded in mission and vision.
Participant 2	Eco-initiatives reduced utility costs and improved image.	Carbon emissions have reduced by 18% since 2021.	Installed low-flow water fixtures in all rooms.	Guest awareness raised via in-room materials.	Solar heating is installed for pools.	Staff resistance to change in routines.	More plant-based food options planned.	All departments have green goals.
Participant 3	Environmental goals are	Waste management savings	Reusable amenities were	Sustainability team forme	Natural ventilation in	Guest habits are difficult to	Greater investment in	Annual strategy revie

	aligned with business success.	estimated at $10k/year.	introduced to reduce waste.	d internally.	the lobby area.	influence.	green certifications.	ws include ESG goals.
Participant 4	Sustainability helps differentiate from competitors.	Monitoring KPIs for water, energy, and waste monthly.	Leftover food is donated to local organizations.	Local suppliers chosen for low transport impact.	LEED-compliant standards followed in upgrades.	Suppliers lacked green product options.	Shift toward zero-waste operations.	KPIs align with sustainability benchmarks.
Participant 5	Green efforts enhanced guest satisfaction and loyalty.	Financial reports include sustainability metrics.	Reduced laundry frequency via guest participation.	Feedback from guests is used to improve initiatives.	Passive lighting design reduces daytime usage.	Tech systems needed upgrades to track usage.	Expansion of electric vehicle charging.	Budget allocation includes eco-projects.
Participant 6	Efficiency upgrades led to noticeable cost	A reduction in single-use plastic decreased	Motion-sensor lights and smart HVA	Community beach clean-ups are organ	Reclaimed wood furniture was	Balancing luxury with eco-practices is hard.	Focus on carbon neutrality by 2030.	Marketing strategy highlights green

	savings.	expenses.	C installed.	ized quarterly.	introduced.			efforts.
Participant 7	Profitability and sustainability must coexist.	Regular audits track environmental performance.	Sourced recycled products for daily use.	Partners involved in sustainability decisions.	Building insulation is enhanced to save energy.	Training new hires took additional time.	Enhanced mobile apps to manage resources.	CSR strategy merged with the sustainability road map.
Participant 8	Brand value increased due to eco-conscious operations.	Environmental goals tied to performance bonuses.	Digital menus and QR codes reduced paper.	Eco-themed events hosted with public access.	Smart room controls for temperature and lights.	Maintaining consistency in practices was a challenge.	More transparent sustainability reporting.	Executive team evaluates green performance.
Participant 9	CSR efforts strengthened customer trust and revenue.	Guest satisfaction scores improved after green changes.	Minimized packaging from suppliers.	The hotel collaborates with NGOs for education.	Raingardens to manage stormwater.	Not all sustainability ideas were cost-effective.	Increased collaboration with green startups.	Procurement aligned with sustainability criteria.

Participant 10	Sustainability is part of the pricing and marketing strategy.	Recycling rates and savings are documented.	LED lighting and solar panels on the roof.	Internal newsletters promote green actions.	Vertical gardens on exterior walls.	Certifications required extensive documentation.	Blockchain for tracking supply chain impact.	Sustainability is part of strategic planning cycles.
Participant 11	Guests value sustainability, increasing bookings.	ROI tracked for each sustainability investment.	Organic waste processed on-site.	Staff competitions incentivize sustainability.	Sensor-controlled water taps.	Some staff lacked motivation for sustainability.	VR training for staff on sustainability.	Monthly dashboards track integration progress.
Participant 12	Management supports green projects to cut costs.	Quarterly environmental benchmarking is in place.	Rainwater harvesting is used for landscaping.	Stakeholder input is considered in new policies.	Sustainable flooring in new suites.	Upgrading the infrastructure disrupted service.	Partnerships with local eco-initiatives.	Leadership development includes green values.
Participant 13	Balancing goals requires innov	Energy-efficient laundry	Kitchen redesigned to mini	Guests are asked to reuse towel	Motion-controlled hallway	Measuring impact accurately was	Focus on regenerative hospit	Cross-functional green taskfo

	ation and planning.	reduces water bills.	mize food waste.	s/lines.	lights.	complex.	ality practices.	rces in place.
Participant 14	Sustainability is no longer optional—it's strategic.	Paperless systems improved cost control.	Eco-friendly cleaning supplies adopted.	Workshops for employees on climate impact.	Minimalist, sustainable interior design.	Guest participation varied widely.	Guest-customized sustainability preferences.	Sustainability vision shared across teams.
Participant 15	Long-term investments in green tech yield ROI.	Green energy use is reported in annual reviews.	Zero-waste events were piloted successfully.	Sustainability is included in employee KPIs.	Use of bamboo-based décor and materials.	Time-consuming reporting requirements.	Circular economy approaches in procurement.	Long-term strategic focus on climate resilience.

IV. CONCLUSION

The results of this study suggest convincing evidence that sustainability in luxury hospitality can be both strategic and operational. The themes that emerged during the interviews support the idea that sustainability, far from being a financial burden, acts as a strategic activity that improves operational efficiency, strengthens the brand value, and promotes long-term profitability (Filimonau et al., 2023; Alonso-Almeida et al., 2020; Dyllick & Rost, 2020). One of the most important intuitions is that the success of sustainability in luxury hospitality depends on full integration into strategic planning and hotel culture. The case of Four Seasons Hotel Istanbul shows that sustainability is not limited to technical updates or marketing campaigns: it is incorporated into daily practices, staff training, purchase decisions, and guest services. This adapts to the display based on sources (RBV), which states that the

possibilities developed internally, such as the obligation of employees and a culture-oriented culture, can lead to a competitive advantage (Hart, 1995; Rashid et al., 2021). The study also highlights the importance of stakeholders' engagement, which is parallel to the studies in the literature (González-Torres et al., 2021; Tölkes, 2020). Internally, employee membership has become recognizable thanks to coherent training and a visible leadership obligation. Outside, customers are increasingly responding to environmentally friendly practices, especially if they do not affect luxury standards. Partnerships with local communities and environmental organizations have also determined the image of the hotel as a socially responsible actor. These results strengthen the principles of stakeholder theory (Freeman, 1984) and support the literature explaining that the struggle against different stakeholders contributes to strategic success (Hörisch et al., 2020). Technology has become a mediation element and an innovative foundation for sustainable activities. Smart lighting system, CVC, and water management have allowed the hotel to reduce costs and environmental impacts without having to rely on customer experience. This reflects the role in the development of green innovation in a sustainable sense with luxury principles (Berezan et al., 2023).

However, the research also shows challenges. The high advanced costs of investment in sustainability and the occasional resistance of customers who do not know the respectful standards of the environment indicate that the path to sustainable luxury is not without friction. These challenges reflect the concerns of current literature (Chan, 2008; Millar and Baloglu, 2011) and underscore the need for ongoing training and adaptation strategies. Briefly, integrating environmental sustainability into customer relations in the luxury sector is not only possible but also beneficial in several ways. The Hotel Four Seasons Istanbul illustrates how a commitment to environmentally friendly practices, with the excellence and profitability of the service, can work together. This study contributes to academic discourse by reducing the gap between sustainability theory and practice in high-end services. It also offers practical instructions for luxury hotels that should include sustainability in their basic strategies. Future research should extend these results by examining comparative cases in regions and market segments, approaches with mixed methods, and the evaluation of long-term financial effects of sustainability initiatives. Since the hotel industry develops in response to global environmental challenges, studies like this can shape a more responsible and more resilient future.

1. Theoretical Contributions

This research contributes to the theoretical discourse by the context of sustainability in the luxury hotel segment - a field that is still discovered in university documents. It applies and consolidates the relevant level of three main frames: the result of Ba (TBL) (Dyllick & Rost, 2020), the theory of stakeholders (Freeman, 1984; Hörisch et al., 2020) and resource -based views (RBV). Research shows that the sustainability in luxury hotels is not simply an additional -supplement, but a strategic pillar, derived from both internal capacity and the link of external parties.

In the link of internal resources, such as employees' commitments, leadership commitments and external pressure, as expected of customers and environmental concerns, research confirming these executives are effective lenses for modern hotel management.

Beyond these theories, the study contributes to the broader field **of** modern hotel management theories**,** which include:

- **Service-Dominant Logic (SDL)** – emphasizing co-creation of value through service relationships (Vargo & Lusch, 2008).
- **Institutional Theory** – explaining how hotels respond to pressures from the institutional environment (DiMaggio & Powell, 1983; Ali et al., 2021).
- **Dynamic Capabilities Theory** – focusing on how firms adapt and reconfigure internal competencies to respond to environmental changes (Barreto, 2010).
- **Corporate Sustainability Theory** – integrating ESG (Environmental, Social, Governance) values into business models for long-term resilience (Lozano, 2015).

By integrating these perspectives with empirical findings, this study enhances the understanding of how sustainability is not only a compliance requirement but a source of strategic differentiation and innovation in luxury hospitality.

2. Managerial Implications

From the management point of view, this study contains useful instructions for hotel guides and those responsible for sustainability. By integrating sustainability into daily operations such as the purchase of supplies, staff training, and construction systems management, costs can be reduced and the image of the hotel and how customers think about it. Managers should focus on the education of their team, the use of intelligent technology, and involve everyone in planning and implementing sustainability efforts. Cooperation with local communities and official certification groups can also strengthen the hotel's green references and build long-term reputation capital.

3. Limitations of the Research

In terms of limitations, qualitative approaches are rich in detail but limit the generalization of the results. Thematic research is limited to hotels in a particular cultural and geographical context. Second, this study is based on data on self-reported which may affect social opportunity bias. Finally, external customer outlooks are not directly evaluated. This may ensure a more overall understanding of sustainability.

4. Future Research Recommendations

Future research can take these limitations into account by embracing an approach to mixed methods, including quantitative data such as performance indicators and customer journals. Comparative studies involving the participation of several luxury hotels in different regional and economic contexts can help to check and extend these conclusions. Furthermore, longitudinal studies can explore the signs of long-term financial impacts and stability practices in luxury hospitality. Researchers can also study the role of new technologies such as AI and IoT in scaling mitigation and stability in this field. In conclusion, integration of environmental stability into luxury hospitality is not only carried out, but also useful in many dimensions. Hotel Four Seasons Istanbul shows how compliance with green practices can coexist with excellent service and profitability. This study contributes to academic discourse and overcomes the gap between stability theory and practice in high-end services. It also provides a practical guide to luxury hotels aimed at introducing stability into their main strategies.

V. Bibliography List:

1. Ali, B. J., Saleh, P. F., Akoi, S., Abdulrahman, A. A., Muhamed, A. S., Noori, H. N., & Anwar, G. (2021, May). Impact of service quality on the customer satisfaction: Case study at online meeting platforms. In Ali, BJ, Saleh, Akoi, S., Abdulrahman, AA, Muhamed, AS, Noori, HN, Anwar, G.(2021). Impact of Service Quality on the Customer Satisfaction: Case study at Online Meeting Platforms. International journal of Engineering, Business and Management (Vol. 5, No. 2, pp. 65-77).
2. Baloglu, S., & Jones, T. (2015). Energy efficiency initiatives at upscale and luxury US lodging properties: Utilization, awareness, and concerns. Cornell Hospitality Quarterly, 56(3), 237-247.
3. Barney, J. (1991). Firm resources and sustained competitive advantage. Journal of management, 17(1), 99-120.
4. Barreto, I. (2010). Dynamic capabilities: A review of past research and an agenda for the future. Journal of management, 36(1), 256-280.
5. Bohdanowicz, P. (2006). Environmental awareness and initiatives in the Swedish and Polish hotel industries—survey results. International journal of hospitality management, 25(4), 662-682.
6. Chan, L., Chaudhary, K., Saha, A., Chauhan, K., Vaid, A., Zhao, S., ... & Nadkarni, G. N. (2021). AKI in hospitalized patients with COVID-19. Journal of the American Society of Nephrology, 32(1), 151-160.
7. DiMaggio, P. J., & Powell, W. W. (1983). The iron cage revisited: Institutional isomorphism and collective rationality in organizational fields. American sociological review, 48(2), 147-160.
8. Dyllick, T., & Muff, K. (2020). A positive impact rating for business schools: Case study. Sustainability, 12(22), 9551.
9. Dyllick, T., & Rost, Z. (2020). Towards true product sustainability. Journal of Cleaner Production, 162, 346-360.
10. Elkington, J. (1997). The triple bottom line. Environmental management: Readings and cases, 2, 49-66.
11. Filimonau, V., Chiang, C. C., Wang, L. E., Muhialdin, B. J., & Ermolaev, V. A. (2023). Resourcefulness of chefs and food waste prevention in fine dining restaurants. International Journal of Hospitality Management, 108, 103368.

12. Font, X., & Lynes, J. (2018). Corporate social responsibility in tourism and hospitality. Journal of Sustainable Tourism, 26(7), 1027-1042.
13. Freeman, R. E., & Phillips, R. A. (2002). Stakeholder theory: A libertarian defense. Business ethics quarterly, 12(3), 331-349.
14. González-Torres, T., Rodríguez-Sánchez, J. L., & Pelechano-Barahona, E. (2021). Managing relationships in the Tourism Supply Chain to overcome epidemic outbreaks: The case of COVID-19 and the hospitality industry in Spain. *International Journal of Hospitality Management*, 92, 102733.
15. Gössling, S., Garrod, B., Aall, C., Hille, J., & Peeters, P. (2011). Food management in tourism: Reducing tourism's carbon 'foodprint'. *Tourism Management*, 32(3), 534-543.
16. Guba, E. G., & Lincoln, Y. S. (1994). Competing paradigms in qualitative research. Handbook of qualitative research, 2(163-194), 105.
17. Hall, C. M., Scott, D., & Gössling, S. (2021). Pandemics, transformations and tourism: Be Careful what you wish for. In *Global Tourism and COVID-19* (pp. 123-144). Routledge.
18. Hart, S. L. (1995). A natural-resource-based view of the firm. *Academy of Management Review*, 20(4), 986-1014.
19. Hörisch, J., Schaltegger, S., & Freeman, R. E. (2020). Integrating stakeholder theory and sustainability accounting: A conceptual synthesis. Journal of Cleaner Production, 275, 124097.
20. Hörisch, J., Schaltegger, S., & Freeman, R. E. (2020). Integrating stakeholder theory and sustainability accounting: A conceptual synthesis. Journal of Cleaner Production, 275, 124097.
21. Jones, C. D., Ciais, P., Davis, S. J., Friedlingstein, P., Gasser, T., Peters, G. P., ... & Wiltshire, A. (2016). Simulating the Earth system response to negative emissions. Environmental Research Letters, 11(9), 095012.
22. Legendre, L., Rode, J., Germon, I., Pavie, M., Quiviger, C., Policarpo, M., ... & Casane, D. (2023). Genetic identification and reiterated captures suggest that the Astyanax mexicanus El Pachón cavefish population is closed and declining. Zoological research, 44(4), 701.
23. Melissen, F., van Ginneken, R., & Wood, R. C. (2016). Sustainability challenges and opportunities arising from the owner-operator split in hotels. International Journal of Hospitality Management, 54, 35-42.

24. Mensah, I. (2006). Environmental management practices among hotels in the greater Accra region. International journal of hospitality management, 25(3), 414-431.
25. Pereira, L. S., Paredes, P., Hunsaker, D. J., López-Urrea, R., & Shad, Z. M. (2021). Standard single and basal crop coefficients for field crops. Updates and advances to the FAO56 crop water requirements method. Agricultural Water Management, 243, 106466.
26. Robinot, E., & Giannelloni, J. L. (2010). Do hotels'"green" attributes contribute to customer satisfaction? Journal of Services Marketing, 24(2), 157-169.
27. Rodríguez-Antón, J. M., & Alonso-Almeida, M. D. M. (2020). COVID-19 impacts and recovery strategies: The case of the hospitality industry in Spain. Sustainability, 12(20), 8599.
28. Seraphin, P., Gonçalvès, J., Hamelin, B., Stieglitz, T., & Deschamps, P. (2022). Influence of intensive agriculture and geological heterogeneity on the recharge of an arid aquifer system (Saq–Ram, Arabian Peninsula) inferred from GRACE data. Hydrology and Earth System Sciences, 26(22), 5757-5771.
29. Sharma, P., Goswami, S., Raychaudhuri, D., Siddiqui, B. A., Singh, P., Nagarajan, A., ... & Allison, J. P. (2023). Immune checkpoint therapy—current perspectives and future directions. Cell, 186(8), 1652-1669.
30. Tölkes, C. (2020). The role of sustainability communication in the attitude–behaviour gap of sustainable tourism. Tourism and Hospitality Research, 20(1), 117-128.
31. Vagena, F., & Sneiders, E. (2024, October). Introducing co-creation into transformational Government. In Proceedings of the 17th International Conference on Theory and Practice of Electronic Governance (pp. 176-183).
32. Vargo, S. L., & Lusch, R. F. (2008). Service-dominant logic: continuing the evolution. Journal of the Academy of marketing Science, 36(1), 1-10.
33. Velaora, A., Chanis, S., & Tsamadias, C. (2024). Testing for Screening using vocational skills: The case of upper secondary general and vocational education in Greece. Εκπαίδευση, Δια Βίου Μάθηση, Έρευνα και Τεχνολογική Ανάπτυξη, Καινοτομία και Οικονομία, 3, 1-14.
34. Wong, V. W. S., Chan, W. K., Chitturi, S., Chawla, Y., Dan, Y. Y., Duseja, A., ... & Farrell, G. (2018). Asia–Pacific Working Party on

Non-alcoholic Fatty Liver Disease guidelines 2017—part 1: definition, risk factors and assessment. Journal of gastroenterology and hepatology, 33(1), 70-85.

35. Yin, Y., Stecke, K. E., & Li, D. (2018). The evolution of production systems from Industry 2.0 through Industry 4.0. International Journal of Production Research, 56(1-2), 848-861.
36. Zhang, H., Wu, C., Zhang, Z., Zhu, Y., Lin, H., Zhang, Z., ... & Smola, A. (2022). Resnest: Split-attention networks. In Proceedings of the IEEE/CVF conference on computer vision and pattern recognition (pp. 2736-2746).